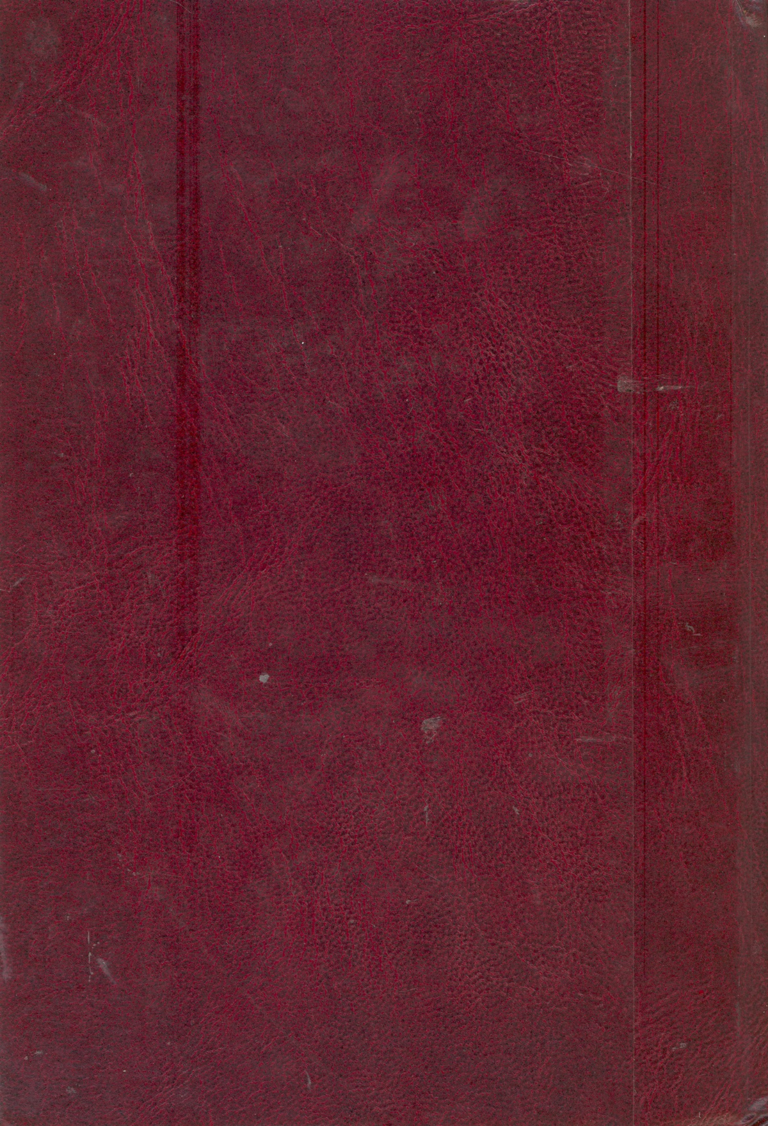




في هذا العدد
زرياب .. عازف الأندلس
حول أدب الأطفال

هولندا

الزهور في عيون الدنيا

الصهيونية ومحاولة تخريب الأدب الإسلامي

غير قابل للنشر: حوار صريح مع د. غازي القصيبي

مما قل

المنهل.. فتح جديد

حمـدا لله، وشكـرا على ما أنعم به وتفضل .. وصلاة وسـلامـا، على أفضـل المرسلين، سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين.. أما بعد فبهذا العدد يدخل (المنهـل) عامـه الثلاثين، متشحا بالنية الطيبة، وبالعزيمة المخلصة فى أن يكـون رائد منهجه التطورى متمثلا فى (تغذية) قرائه الاماثل، بكل ما يلذ ويطيب، من منثور القول ومنظومه.

ولقـد خبـروا فيه النزاهة فى القول، والاستقامة فى التوجيه والاهداف، والترفع عن كل ما من شأنه أن يؤدى الى الانحلال الخلقى أو الدينى أو الاجتماعى.. وهو فى مرحلته الجديدة يعدهم بأن بحوثه ستزداد امتاعا وتنوعا، واشراقا وسموا.. كما انه سيتقدم خطوة جديدة الى الامام فى هذا العام بإ دخاله بين موضوعاته وفى كل عدد منه عنصـر (التـرجمة) من اللغة الانكليزية الى اللغة العربية توخيا لما يفيد ويمتع، ويقدم ويدفع وتطعيما للاذهان وتعميما للفائدة بين سائر القراء، وسيرا مع مواكب الثقافة والادب والعلم فى خطواتها التقدمية الحثيثة.

وهكذا سيظل شعار (المنهل) بتوفيق الله تعالى كما كان من قبل:

(الى الامام على الدوام..)

عبد القدوس الأنصاري

المحرم ١٣٨٤هـ





العدد ٤٨٩ المجلد ٥٣ المحرم ١٤١٢هـ - يوليو واغسطس ١٩٩١م



مجلة شهرية للاداب والعلوم والثقافة
تصدر في جدة
المملكة العربية السعودية
عن دارة المنهل
للصحافة والنشر المحدودة

صاحب المجلة ورئيس التحرير
نبيه بن عبد القدوس الانصاري

مستشار التحرير
أ.د. عبد الرحمن الانصاري

نائب رئيس التحرير - المديرالعام
زهير بن نبيه الانصاري

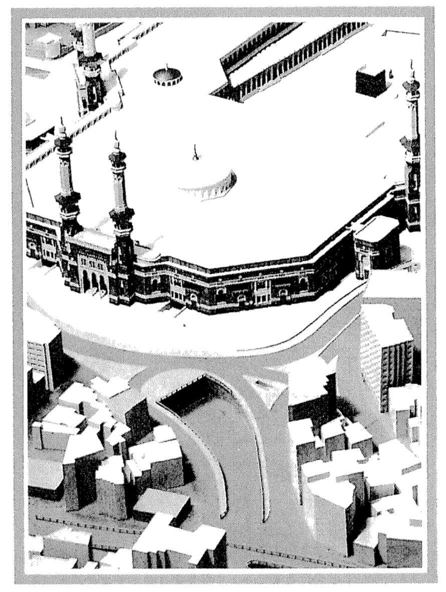
سكرتارية التحرير
السماني كمال الدين

العلاقات العامة
مصطفى محمد مصطفى

الاشراف الفني والتنفيذ
عبد الرحيم فؤاد بدر الدين



لقطة



التوسعة الحالية للحرم المكي الشريف تسع لـ (٧٣٠,٠٠٠) مصل في الايام العادية، أما في المواسم الدينية فتسع اكثر من مليون مصلي، اعتمدت التوسعة الامتداد الافقي للطوابق الموجودة.. هذه التوسعة الضخمة ارتبطت في كل أنظمتها الخدمية بالتوسعات السابقة.

المجلة السعودية الأم

almanhal Magazine
مجلة المنهل

أولى أمهات الصحافة السعودية تأسست عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م
على يد الاستاذ المؤرخ عبد القدوس القاسم بن محمد الانصارى (عليه رحمة الله)



● رياض الاطفال ، الرعاية المبكرة للطفولة


● الدم، ماء الحياة وشريانها الممتد

فى هذا العدد

إسـلاميات:

أدب وثقافـة:

شـعر:

لغويـات:

عزيزى القارىء.. عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها ايـات قرانية كريمة واسماء الله الحسنى فضلا عن احاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها وعدم إلقائها فى الطرقات أو الاكل عليها.

سعر النسخة

السـعـودية ٨ ريـال ـ قطـر ٨ ريـال ـ المـغـرب ٦ دراهـم ـ تونـس ٦٠٠ مليـم ـ مصـر ١ جنيـه ـ الكـويـت ٦٠٠ فلـس ـ سـلطنـة عمـان ٦٠٠ بيسـه ـ الامـارات ٨ دراهـم ـ السـودان ـ ٢٥٠ قـرش ـ موريتـانـيـا ١٠٠ أوقيـه ـ الاردن ٥٠٠ فلـس

الاشـتراكات

● قيمة الاشتراك السنوى للمؤسسات الحكومية ٢٠٠ ريال

● قيمة الاشتراك للافراد ١٥٠ ريال

اشـارة

● تحتفظ هيئة التحرير بالحق فى تحديد أولويات النشرويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع او مكانة الكاتب.

● يشترط فى الاسهامات المقدمة عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية مع رجاء ان تشفع المادة المرسلة بالصور الموضوعية والتوضيحية وصورة للكاتب مع نبذة مختصرة عن حياته.

● يرجى فى المقال المرسل أن يكون بخط واضح جدا، ويفضل ان يكون مطبوعا على الالة الكاتبة، ومراجعا من قبل صاحبه.

● الا يكون المقال او القصيدة قد تم نشرها قبل ذلك.

● الا تزيد صفحات الموضوع الواحد على أربع صفحات، او ثمانى صفحات إذا كان الموضوع يستلزم ان يكون على حلقتين علما بأن المجلة تفضل ان يكون على حلقة واحدة.

ورقة أولى

أصالة الثقافة.. وثقافة المعاصرة

أن نقرأ مؤلفات الجاحظ وأشعار المتنبي وأبي تمام، وألف ليلة وليلة والهلالية و.. و.. شيء جميل، بل وضروري للغاية.. لتكوين ما يعرف بالخلفية الثقافية.. وبعبارة أخرى.. هكذا نحن نبني أنفسنا ثقافيا..

أما أن نعيد كل ما قرأناه ووعيناه كما هو.. فهذا شيء غير مطلوب ولا ضروري.. المطلوب هو أن نستلهم هذا التراث الضخم.. والضروري هو أن نعرف كيف نوظف هذا التراث العربي في ثقافتنا وابداعاتنا المعاصرة..

وبعبارة أخرى.. المطلوب والضروري واللازم هو أن نستحدث هذا القديم.. بما يتماشى مع ثقافة عصرنا، وبما يتلاءم مع رتم الحياة التي نعيشها ونتجاوب معها. وبما يتفق مع قيمنا ومبادئنا وأخلاقياتنا..

حتى البعث والإحياء لتراثنا بدوافعه ومرتكزاته.. يجب أن يكون متوافقا مع العصر.. فهو منطلق من القديم غير أنه موجه للجديد.

إن قضية التوفيق بين القديم والجديد ليست سهلة ولا هينة.. والرأي السديد يرى أننا لا نستطيع أن نحيا في القديم مستسلمين لفوات التطور والتجديد.. ولا أن نعيش في الجديد.. رامين وراء ظهورنا تراثنا وحضارتنا وأمجادنا..

الحل إذاً هو الاستلهام.. ولا يفيد كم بقدر ما يهم كيفه.. فماذا نقرأ، وكيف نستلهم ونوظف.. هذا هو الأساس.. في رأينا.. ومن وجهة نظرنا..

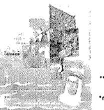
لا ننكر أن الجديد قد يصطدم أحيانا بعوائق وشوائك.. غير أن هذا الجديد.. النافع.. المفيد.. الذي يرتكز على الأصالة وينطلق منها.. سرعان ما يفرض نفسه بفاعليته.. وبمرور الأيام يصير تراثا يستلهم.. وأصالة يرتكز عليها.. وما بني على الأصالة فهو أصيل.. وهكذا.. يتضح السبيل إلى العالمية..

فبالأصالة والمعاصرة.. نفتح الطريق أمام المحلي.. للعالمي.. من هنا يكون التجديد.. أو هذا هو التجديد.. وذلك هو ما نحن في حاجة إليه..

ومع بداية عام جديد.. وعطاء جديد.. كل عام وانتم بخير..

رئيس التحرير





غلاف العدد

كل عام وانتم بخير:
كلمة طيبة، زهرة جميلة..
فكرة دافعة، انجاز رائع.
كل عام وانت بخير:
معزوفة جميلة نشترك جميعنا فى توقيع الحانها..

فقرات

● (.. شوقى تأثر بالبوصيرى الى حد كبير فى الشكل والمضمون، رغم محاولته التميز عليه فى مجموعة من المعطيات فى إطار هذه القصيدة..)

ص٢٠ د. حلمى القاعود

● (حكايات الجداة التى كان يسهر فى رحاب خيالها الصبية على ضوء القمر ـ رغم عدم واقعيتها فى كثير من الاحيان ـ إلا انها كانت تعطى ملامح من واقع البيئة التى ينبغى غرسها..)

ص٣٠ ـ ابراهيم رمانى

● (.. الذى يضيع أمسه يطمس هويته والذي يضيع يومه يضيع مستقبله.. فلنحرص على تراثنا حرصنا على واقعنا، وليكن حبنا لامسنا عميقًا كحبنا لغدنا).

ص١٢٢ ـ د. غازى القصيبى

● (الحضارة الاوروبية تنطلق مثل صاروخ انفصل عن مدار توجهه، وهو فى انطلاقه مندفع لا يبصر ذاته..)

ص١٢٤ ـ د. عبد الحليم عويس

● (.. لم يكن هدفنا ـ كناقدين ـ تأكيد مكانتنا في عالم القصة والرواية ـ فذلك أمر لا يضير الادب العربى فقدانه ـ بل هدفنا يتمثل فيما ينبغي أن يتوجه اليه الدرس النقدي من دراسة الادب العربى القديم، والكشف عن الطرق والخصائص التى يتبناها ذلك الادب فى الاثار الروائية إن وجدت).

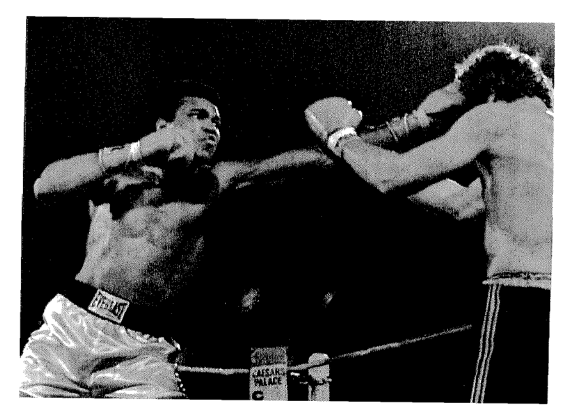
ص٢٨ د. صفوت الخطيب

● (.. من أبرز ما تعنى به اليهودية على مستوى العالم العمل على تفكك الاخلاق بتسهيل سبل الشهوات والحث على الجرائم واطلاق الشهوات، ونشر صحافة الغريزة الهابطة، واشغال الناس بتوافه الامور..)

ص٨٨ محمود عبد العال

أبواب ثابتة

المركز الرئيسي: جدة الشرفية: ص.ب ٢٩٢٥ رمز بريدي: ٢١٤٦١ برقيا: المنهل فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ ت: ٦٤٢٧٨٣١ ـ ٦٤٣٩٧٦٥ ـ ٦٤٣٢١٢٤ ـ ٦٤٢٥٦٨٧
مكتب الرياض: ص.ب: ٢٩٠ ت: ٤٥٤٢٤٣٢



● انها رياضة خطرة قد تودي بحياة الانسان

لا ملاكمة بعد اليوم؟!!

رياضة الملاكمة رياضة لها عاشقوها ومحبوها فى جميع أنحاء العالم.. ولكن الحقيقة الغائبة عن أذهان البعض.. أن تلك الرياضة كبيرة الخطورة.. حيث تؤدى الضربات المتكررة التى يتعرض لها الرأس الى بعض الاضرار المزمنة التى تصيب المخ كما أثبتت التكنولوجيا الحديثة فى مجال الطب ذلك.. مما دفع اتحاد الاطباء الاسترالى الى شن حملة لاقناع الهيئات الطبية فى أرجاء العالم للسعى من اجل منع رياضة الملاكمة فى دورة العاب الكومنولث ثم من جميع المسابقات الرياضية..

هذا وقد ذكر الاتحاد ان تلك الحملة لقيت تجاوبا من اتحادات طبية فى بنجلاديش وبريطانيا وكندا وفيجى وماليزيا ونيوزيلندا وسنغافورة وجنوب افريقيا.. وسيرى لانكا.

حين تغضب الشمس؟!!

قسم العلوم الفلكية بجامعة الملك عبد العزيز يتتبع هذه الايام ظاهرة بالغة الأهمية سبق أن حدثت فى مارس ١٩٨٩م.

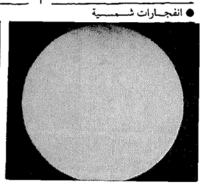
الظاهرة هى وجود بقعة شمسية كبيرة على سطح الشمس ويمكن رؤيتها بالعين المجردة قبل غروب الشمس مباشرة.. ومما يذكر أن الفلكيين حين رصدوا هذه البقعة لاحظوا وجود انفجارات قوية سرعان ما تنتشر بسرعة ونشاط وتغطى مئات الالاف من الكيلومترات.

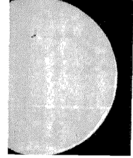
هذه الانفجارات يصاحبها تدفق الاشعاعات وقذف البلايين من الاطنان من الالكترونات والبروتونات الى الفضاء الخارجى بسرعة قد تصل الى ثلاث ملايين كيلومتر فى الساعة منطلقة نحو الغلاف الجوى للأرض ومكونة شرائط ضخمة من التيارات الكهربائية ذات القوى العالية.

ومن المعروف أن هناك جهودا مكثفة لرصد وتتبع هذه الظواهر الشمسية - فهناك ما يقارب ١٠٠ مركز شمسى فى انحاء العالم المختلفة من خلالها يتم تنسيق مشروع تجميع البيانات المتعلقة بسلوك الشمس.

إن الشمس التى تبعد عن الأرض بحوالى ١٥٠ مليون كيلومتر ويقدر العلماء عمرها ما بين ٤٫٥ و٥ ملايين سنة هى أقرب نجم الينا.. وأرضنا تنتمى اليه بل ونحيا به وهكذا فإن خطر تلك الانفجارات الشمسية على الأرض وارد.. خاصة اذا وضعنا فى الاعتبار ما يقوله علماء الفلك من تقدير تلك البقعة الشمسية بحوالى ثلاث مرات ونصف المرة مقارنة بمساحة الكرة الارضية.. والله نسأل ان يرحمنا برحمته الواسعة.. انه سميع مجيب.

● انفجارات شمسية





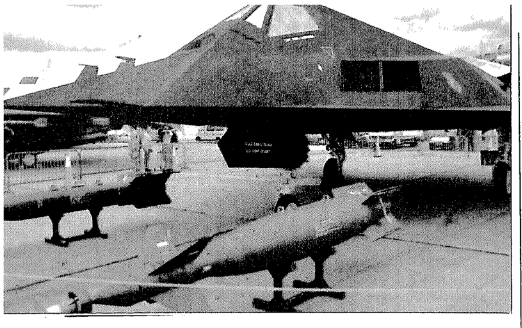
هنا طائرات العالم؟!!

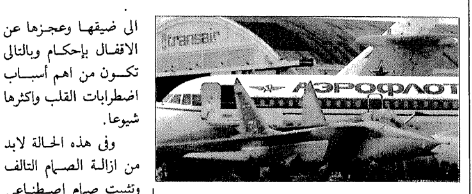
الرئيس الفرسى فرنسواميتران.. افتتح مؤخراً ما يمكن أن نعتبره أكبر عرض تشهده صناعة الطيران منذ قيامها.

شارك فى هذا العرض ٣٧ دولة. ومما تميز به هذا الاستعراض.. تقديم الطائرات التى شاركت فى حرب الخليج.. وكانت الطائرة الامريكية (إف ١١٧) ستيلث أو الشبح هى سيدة المهرجان باعتبارها بطلة حرب الخليج وبما تتمتع به من شكل غريب ومقدرة على التخفى.

والسلطات العسكرية فى الولايات المتحدة الامريكية ـ خاصة التى تعمل فى المجال الجوى ـ تأمل أن يكون معرض باريس مجالا واسعا وخصبا لبيع اسلحتها.

اما فى مجال الطيران المدنى. فإن (الايرباص) الاوربية والبوينج) تأملان بمبيعات هائلة حيث أشارت مصادر البوينج الى انها تلقت طلبات تصل الى (٢ر٤٧) بليون.





غير قابل للاكل؟!!

احدى الشركات الكهربائية فى لندن تستعد حاليا لطرح رجل آلى فى الاسواق ليقوم بمهمة حراسة المنازل من الخارج أثناء وجود أصحابها بالخارج.

الجهاز يتولى الاتصال بالشرطة عبر هاتف آلى يحمله وذلك عند اقتراب أى شخص يشتبه بأنه غريب عن أصحاب المنزل.

الجديد فى الموضوع أن الرجل الآلى المكلف بحراسة المنازل يشبه (الهمبرغر) ويزن حوالى ١٥ رطلا.. وللتذكر فهو للحراسة وليس للأكل؟!!

الطب العربى يفتح افاقا جديدة؟

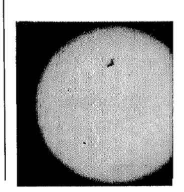
إصابة صمامات القلب بالحمى الروماتيزمية تؤدى الى ضيقها وعجزها عن الاقفال بإحكام وبالتالى تكون من اهم أسباب اضطرابات القلب واكثرها شيوعا.

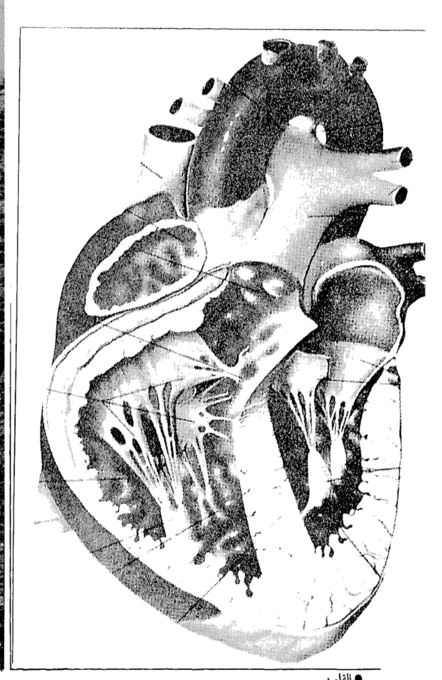
وفى هذه الحالة لابد من ازالة الصمام التالف وتثبيت صمام اصطناعى بدلا منه..

كان هذا هو المتبع فى هذه الحالات.. الى أن قام احد الاساتذة

● انسان آلى يدير المصانع ويعمل فى الحقول



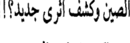




● القلب

● سـور الصـين العظـيـم

المختصين بجراحة القلب فى مستشفى القصر العينى بالقاهرة باتباع أسلوب آخر جديد.. حيث قام بتصنيع صمام من غشاء التامور المحيط بالقلب وتثبيته فى مكان الصمام التالف فاتحاً بذلك الباب أمام تلك الجراحة التى انطلقت من العالم العربى وكانت الأولى من نوعها فى العالم.

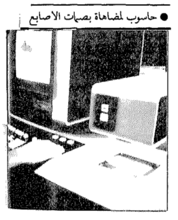


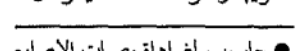
الصين وكشف أثرى جديد؟!!

اكتشف الصينيون مؤخرا أن سور الصين العظيم يقع بجانبه سبعة أسوار مازالت قائمة.. أما عن طول الاسوار القديمة فيتراوح ما بين سبعة ومائتى كيلومتر وتاريخها يعود الى ما يقارب ٢٤٠٠ سنة والآن تبدو فى صورة أطلال.

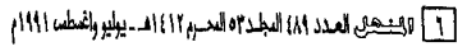
ومن هذه الاسوار سور مولنج ويبلغ طوله ٤٥ كيلومترا.. وأنشىء خلال فترة الحروب بين الولايات المتحدة ما بين عامى ٤٧٥ الى ٢٢١ قبل الميلاد.. وكان يحمى ممر مولنج فى مقاطعة شاندونج بشرق الصين.

● سور هولبين فى مقاطعة شانكس شمال الصين ويعود تاريخه الى ١٧٧٠ عاما تقريبا وطوله ١٥٠ كيلومترا.





● حاسوب لمضاهاة بصمات الاصابع



على بصمات الجناة.. وتأتى المشاركة عن طريق تمويل هذا المشروع الجديد فى الموضوع أن الاجهزة الجديدة والتى سيتم تطويرها ستتمكن من التعرف على البصمات وتحديدها فى فترة تتراوح بين ٣٠ ثانية الى ١٥٥ دقيقة بدلا من ساعتين كما هوالامر فى الوقت الحالى.

هذا بالطبع سيترتب عليه رفع نسبة معرفة خرق القانون الى خمسة أضعاف.. من ناحية.. وزيادة نسبة اكتشاف مرتكبى الجنح والجنايات والجرائم من ناحية اخرى.

المشروع سيتم انشاؤه والانتهاء منه عام ١٩٩٢ بتكلفة تبلغ ٦٠ مليون مارك ألمانى.

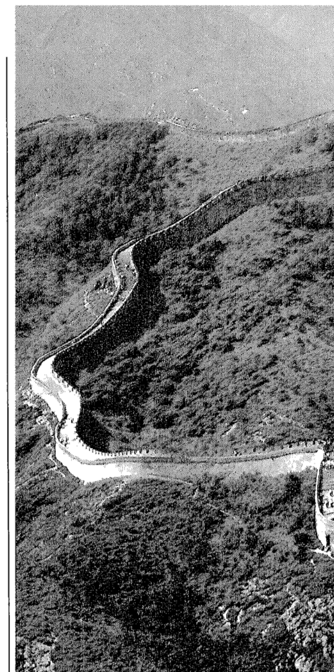
حل سعودى ١٠٠٪

كيف يمكن اخماد آبار البترول المشتعلة فى دولة الكويت الشقيقة وبأقصر وقت ممكن وأقل تكلفة وبما لا يترك أضراراً مضاعفة فى الآثار؟!

حل هذه المعضلة توصل إليه موجه تربوى «سعودى» بإدارة التعليم بمنطقة القصيم.

عن الطريقة يقول الاستاذ صالح سلامة صاحب هذا الحل:

هى طريقة «الحفر الافقى» التى تؤدى الى اخماد الحريق بشكل سريع جدا وهى طريقة حفر افقية على انخفاض من سطح الابار حسب المطلوب والحاجة على بعد مناسب من الابار للوقاية من الحرارة العالية حتى نصل الى البئر ثم يتم خرق «قصبة البئر» او ماسورة البئر على انخفاض يؤدى الى خفض منسوب ارتفاع البترول بعد خروجه عبر القصبة الافقية وينعدم خروج البترول لأعلى فينطفىء البئر بالتدريج بانقطاع البترول عن سطح

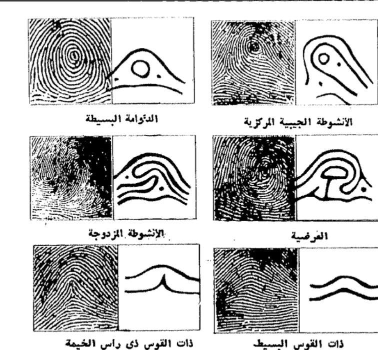


● سور شاوكوينجرى الذى يعود تاريخه الى ١٧٠٠ عام ويقع فى مقاطعة ليافوننج شمال الصين ويبلغ طوله سبعة كيلومترات.

نحتاج الى ٣٠ ثانية فقط؟!!

أشارت أنباء صحفية الى أن سلطات الامن الالمانية تشارك فى مشروع لتحسين أسلوب التعرف

● نماذج لتصنيف البصمات

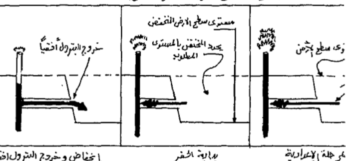


هذه بعض الاشكال التي تصنف بموجبها البصمات

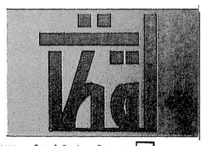


● لصالح من هذا الدمار؟

● (شكل تخطيطى لطريقة الحفر الافقى).



الارض وفقد النيران للهواء يجعلها تنطفىء بشكل نهائى.. مؤكدا ان الحفر الافقى امر سهل خاصة وان الطبوغرافية لتضاريس الكويت تساعد وتسهل عملية الحفر دون حاجة الى وضع قنوات ارضية منخفضة الا نادرا.. وقد اضاف صاحب الاكتشاف ان لديه اسلوبين آخرين للمساعدة فى ذلك لو لم تنطفىء البئر.

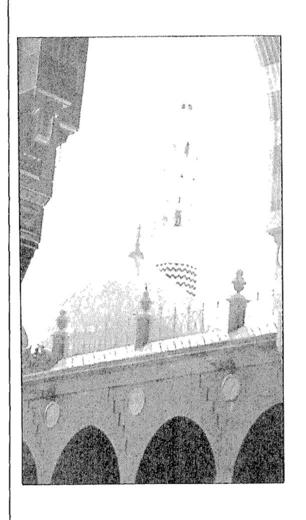


فى مكتبك تصلك المعلومات؟!!

قسم الحاسب الآلى بالغرفة التجارية يقوم الآن بتطويرات هائلة.. هذا ما أوضحه الأستاذ حمدان السريحى.. الأمين العام لغرفة تجارة وصناعة المنطقة الشرقية.. مشيرا الى أن القسم استطاع خلال الاسابيع الماضية أن يرتفع بمستوى التعامل فى قسم المنتسبين بحيث لا يستغرق التصديق على الاوراق الخاصة برجال الاعمال أكثر من دقيقتين لكل ورقة عن طريق استخدام الحاسب الآلى فى مراجعة موقف المشترك وتوقيعه دون الرجوع الى أى ملفات.

كما أشار الأمين العام الى أنه ليس من الضرورى ذهاب المشترك للحصول على أى معلومات الى المركز الرئيسى بالدمام.. فالحاسب الآلى يمكنه تحقيق وجود هذه المعلومات فى فروع الغرفة بالخفجى والجبيل وحفر الباطن قريباً بمشيئة الله.. كما أشار أيضاً الى أن الخطة التى يتم تنفيذها الآن ستوفر امكانية اشتراك أى رجل اعمال فى الحصول على المعلومات التى يرى أنها تفيده وذلك مقابل اجور رمزية من خلال شاشة الحاسب الشخصى بمكتبه سواء أكانت هذه المعلومات عن قطاعات ونشاطات الأعمال او الفرص التجارية سواء داخل المملكة أو خارجها.





مقاطع من عرس الهجره

(كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ أجمل الناس وأجود الناس وأشجع الناس فاليه يوم هجرته المباركة).

شعر: عبد السلام هاشم حافظ المدينة المنورة

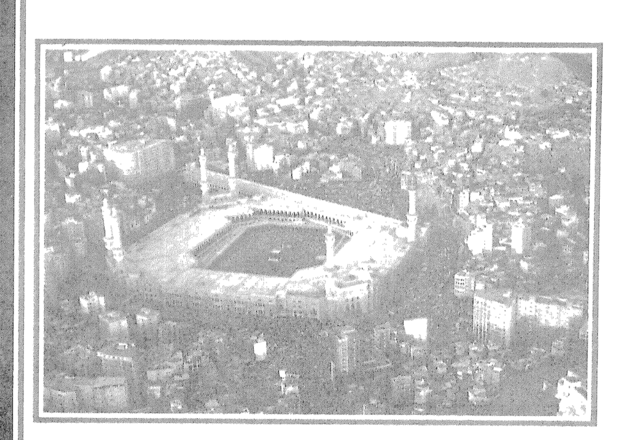
ياجمالا ما مثله من جمال
ومعان ما مثلها من معانى
جل هذا الجمال عن كل وصف
فهو نور يسخو بأحلى المجانى
وهو إشراقات الحياة أطافت
بين ليل الناس الطويل الزمان
فإذا الدنيا بهجة وابتسام
وإليها عين النبى روانى
حسنه يضفى النور فى كل درب
كل شىء فيها يغنى الأمانى
فلنصلى عليه شوقا وحبا
فصلاة المحب تجتاح كربا

****

حسنه أبهى ما رأى الناس حسناً
رائع السمت باسم بالوداد
يرتوى منه كل صاد ويهنا
وإليه الأشواق عبر ازدياد

****

يارسول الاسلام هذى المجالى
نورها أنت تملأ الكون بشرا
تغمر النفس بالنقاء وتهدى
خطونا فى الوجود عزاً وطهرا
تشغل الفكر بالكمال وترقى
بهوى الصب ، والحيا بك يترا
ترتقى بالوجدان دنيا المعالى
تفتح الذهن ـ يستزيدك أمرا
يا نبى الهدى أحبك قلبى
أنت ألهمت العقل هدياً وذكرا
فلنصلى عليه شوقاً وحبا
فصلاة المحب تجتاح كربا



تربيــة نبويــة

الذكر .. رأس الاعمال الصالحة، وسبيل النجاة من خزي الدنيا وعذاب الاخرة.. قال تعالى: ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ فالقلوب المؤمنه المخلصة، تجد نعيمها فى الذكر، فهو واحة النفوس، وربيع الافئدة.

ذكر .. وأذكار

ذكر الله وآدابه التربوية

بقلم:
صالح على أبو عراد الشهري
كلية المعلمين بأبها قسم التربية

ليس الذكر كلمات جوفاء، يرددها اللسان دون حضور القلب والعقل، لأنه إذا كان كذلك كان ذكراً مبتوراً. كما أن الذكر ليس قاصراً على اللسان وحده، وانما يشمل البدن كله. ولذا قالوا: إن الذكر على سبعة أنحاء: فذكر العينين البكاء، وذكر الأذنين الاصغاء، وذكر اللسان الثناء، وذكر اليدين العطاء، وذكر البدن الوفاء، وذكر القلب التسليم والرضاء، وذكر الروح الخوف والرجاء. ويعرف الذكر كما جاء فى كتاب «رياض الجنة» للشيخ عبد الحميد كشك بأنه:

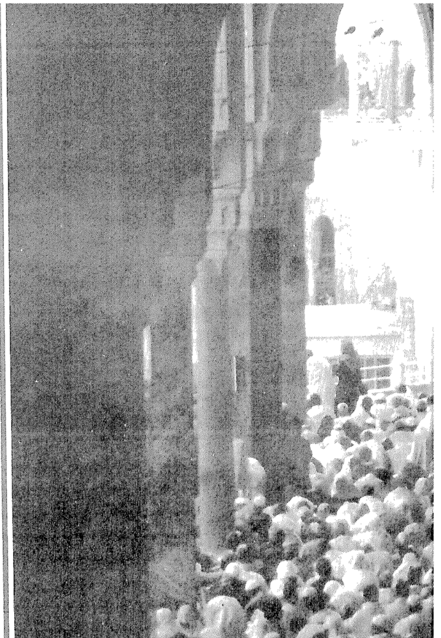
ما يجري على اللسان والقلب من تسبيح الله تبارك وتعالى، وتنزيهه، وحمده والثناء عليه، ووصفه بصفات الكمال، ونعوت الجلال والجمال.

والذكر رأس الاعمال الصالحة لحديث ابى الدرداء رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها فى درجاتكم، وخير لكم من انفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم؟ قالوا: بلى. قال: ذكر الله)** (رواه الترمذي وابن ماجه وصححه الحاكم).

كما أن الذكر سبيل النجاة والسلامة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، لأنه يزكي الانفس، ويطهر القلوب، ويوقظ الضمائر.

وأداة الذكر اللسان، والصورة الأكمل للذكر أن يكون باللسان نطقاً وبالعقل فكراً، وبالقلب خشوعاً وصدقاً واخلاصاً. واعظم ذكر هو القرآن الكريم لقوله تعالى: **﴿وهذا ذكر مبارك أنزلناه﴾** (الانبياء/ ٥٠). وقال سبحانه: **﴿ص والقرآن ذي الذكر﴾** ص١، والقرآن ذكر مبارك ينزل على القلوب برداً وسكينة وسلاماً. قال تعالى: **﴿إن هو إلا ذكر للعالمين﴾** (ص٨٧

فضــل الذكــر



قال احد العارفين بالله: إذا ذكر الصالحون نزلت الرحمة، فقال له أحد الجالسين: فكيف إذا ذكر الله؟ قال العالم العارف: إذا ذكر الله، نزلت الطمأنينة، أو ما قرأت قوله تعالى: **﴿والذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله. ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾** (الرعد/ ٢٨).

ولقد أخبر سبحانه أنه يذكر من يذكره في الملأ الأعلى. قال تعالى: **﴿فاذكروني أذكركم﴾** (البقرة/ ١٥٢).

■ وهنا يقول الشيخ عبد الحميد كشك في كتابه «شفاء القلوب»:

(ويكفيك شرفاً أيها الذاكر لله سبحانه أن يذكرك الله في الملأ الأعلى، ويكفيك فخراً أن يفوح العالم العلوي والملأ الملائكي بذكراك العاطرة).

● ومن فضل الذكر أن الذاكرين هم الأحياء على الحقيقة، فعن ابى موسى الاشعري أن النبي ﴿ﷺ﴾ قال: (مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر، مثل الحي والميت) رواه البخاري.

وذكر الله تعالى يحيي ميت القلوب، ويزكي فاتر الهمم، ويحوط المرء بسياج من العصمة، ويقيه نزغات الشيطان، ويباعد بينه وبين المعاصي. قال تعالى: **﴿ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر﴾**.

قال قتادة: ليس شيء أفضل من ذكر الله تعالى.

وذكر الله عظيم الأثر، كبير الجدوى، يغدق على المؤمن من فيض الله الخير الكثير، والأجر الوفير، يمحو الأوزار والسيئات، وهو تجارة الفقراء، وعطر المجالس، وجلاء القلوب. يقول ابو الدرداء رضي الله عنه (لكل شيء جلاء، وان جلاء القلوب ذكر الله عز وجل) ويقول ابن تيمية: (الذكر للقلب مثل الماء للسمك، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء).

■ ومن فضائل الذكر أن ادامته تنوب عن التطوعات وتقوم مقامها سواء أكانت بدنية أو مالية، ويتميز بأنه ليس من التكاليف الشاقة على النفس، وانما هو هين سهل، لا يستدعي قوة ولا استعدادا، وانما يستلزم الاخلاص وتفريغ النفس من شواغل الدنيا وهواجس القلب، والذكر فيه اشباع لإحدى الدوافع الفطرية عند الانسان وهو دافع الكلام وحب الحديث، كما انه يربي هذا الدافع ويوجهه بشكل يسمو به الى مكانة الانسان المسلم، ويترفع به عن الخطأ والخطيئة. قال ابن عطاء الله السكندري في الحكم: (نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل) فمن لم يعود لسانه على الذكر والطيب من الكلام، انفلت لسانه الى الحديث في الغيبة والنميمة والكذب والفحش والباطل والعياذ بالله. ولنا في قوله صلى الله عليه وسلم: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت) خير هدى وافضل تربية للتحكم في هذا اللسان وعدم السماح له بأن يوردنا المهالك.

اداب الذكر التربوية

(١) إخلاص النية لله سبحانه وتعالى وابتغاء مرضاته، وامتثالا لأمره،

واتباعاً لسنة نبيه ﴿ﷺ﴾. قال تعالى: **﴿قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين﴾** (الزمر/ ١١). وقال صلى الله عليه وسلم «انما الاعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى» متفق عليه. وفي هذا الأدب تربية للنفس والجوارح على صدق النية واخلاص العمل لله سبحانه.

(٢) حضور القلب وتدبر الذكر ومعرفة معناه، فلا يكون الذكر مجرد ألفاظ وعبارات تردد دون وعي وفهم وتبصر في معانيها ومدلولاتها.

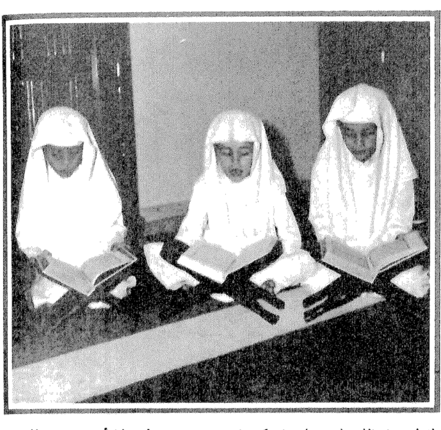
(٣) أن الذكر يكون على مختلف الحالات والصور، قال تعالى: **﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم﴾** (آل عمران/ ١٩١). وقال سبحانه في الحديث القدسي: **﴿أنا عند ظن عبدي بى، وأنا معه حين يذكرني، فإن ذكرني فى نفسه ذكرته فى نفسي، وان ذكرني فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه﴾** (الحديث رواه البخاري ومسلم). وهذا أدب يجعل من الانسان ذاكراً فى كل أحواله وأوقاته.

(٤) ذكره سبحانه بالكلام الطيب الذي لا يصعد إليه إلا هو، فالله سبحانه طيب لا يقبل ولا يحب الا الطيب من القول والعمل والنية.

(٥) على العبد أن يراعي أنه عندما يذكر الله يكون فى معية الله سبحانه لما روي عن ابي هريرة أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: «يقول الله عز وجل: **﴿أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني﴾** (الحديث رواه الشيخان والترمذي).

وهذا أدب يفرض على العبد استحضار عظمة الله واحترام قدسيته سبحانه والحرص على عدم التفريط فى ذلك.

(٦) المداومة على الذكر والاكثار منه، قال تعالى: **﴿يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾** ويقول سبحانه: **﴿يأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا، وسبحوه بكرة واصيلا﴾** (الاحزاب/ ٤١).



ولقوله صلى الله عليه وسلم «استكثروا من الباقيات الصالحات، قيل وما هن يارسول الله؟ قال: التكبير والتهليل والتسبيح، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله» (رواه النسائى والحاكم).

■ وفى هذا تربية للفرد على الاكثار من الذكر لشدة حاجته اليه وعدم قدرته على الاستغناء عنه فعن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: **«ما من ساعة تمر بابن آدم لا يذكر الله فيها الا تحسر عليها يوم القيامة»** (رواه البيهقى).

(٧) ملازمة الذكر للشكر فقد جاء فى الحديث القدسي الجليل: «يا ابن آدم، إنك إذا ذكرتني شكرتني، واذا نسيتني كفرتني» وهذا مصداق قوله تعالى: **﴿فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون﴾** (البقرة/ ١٥٢).. وهذا أدب تربوي يقتضى اتباع الذكر شكرا لله وحمده والثناء عليه سبحانه.. قال ابن القيم: الذكر رأس الشكر، فما شكر الله تعالى من لم يذكره. وجاء فى الحديث: (اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك) (ابو داود والنسائى). وفى هذا أدب تربوي للفرد يجمع بين الشكر والذكر لأنهما جماع السعادة والفلاح.

(٨) البكاء والخشوع والتأدب بين يدي الله سبحانه وحين ذكره. قال تعالى: **﴿واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض الدمع مما عرفوا من الحق﴾** (المائدة/ ٨٣). وعن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: (سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله.. ذكر منهم رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه) (رواه مسلم). وعلامة ذلك الخشوع والخضوع ومظهره الوقار والانكسار والذل لله سبحانه. وهذا أدب قولي وفعلي عند مناجاة العبد المخلوق للخالق المعبود جل شأنه.

(٩) أن الذكر يكون بالقلب ويكون باللسان والأفضل منه ما كان بالقلب واللسان معاً. يقول الامام النووي فى كتابه الأذكار: «فإن اقتصر على أحدهما فالقلب أفضل». وفى هذا أدب تربوي روحي يربط الفؤاد واللسان بذكر الواحد الديان سبحانه فى كل الأحوال

وذلك من تمام الأدب وكمال التربية.
(١٠) ترطيب اللسان بذكر الله سبحانه لما فى ذلك من تشبث بصفة خيرة، وتمسك بحظ وافر من الشريعة الاسلامية، فعن عبد الله بن بسر أن رجلا قال: يارسول الله إن شرائع الاسلام قد كثرت علي فأخبرني بشيء أتشبث به، فقال: (لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله تعالى) (رواه الترمذي).
وهنا يربي المعلم الأكبر صلى الله عليه وسلم أصحابه وأمته جميعاً على أمر يجمع لهم الخير كله، كما يربيهم على ذكر الله سبحانه وعدم نسيانه، وعلى اشغال اللسان بالذكر عن قبيح الكلام وباطل الأقوال.
(١١) الاشتغال بالذكر لأنه سبب للعطاء الأفضل من الله سبحانه للذاكر فعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: «قال سبحانه وتعالى: **﴿من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين﴾** ولذلك كان الذكر أفضل من الدعاء، ومن آداب الذكر أن يكون قبل الدعاء لأن الدعاء الذى يتقدمه ذكر لله وثناء عليه أقرب إلى الاجابة من الدعاء بدون ذكر.
(١٢) التلذذ بذكر الله عز وجل قال مالك بن دينار: ما تلذذ المتلذذون بمثل ذكر الله عز وجل. وفى ذلك أدب تربوي يدعو الى التأني فى الذكر وعدم العجلة فى أدائه كما أنه أدب تربوي روحي يهذب النفوس ويزكيها ويكون سبباً فى نزول الطمأنينة على القلوب.
(١٣) المواظبة على ذكر الله سبحانه فى أدبار الصلوات وغدواً وعشياً وفي المضاجع وعند الاستيقاظ من النوم. قال تعالى: **﴿والذاكرين الله كثيراً والذاكرات﴾** (الاحزاب/ ٣٥). وهذا أدب يستلزم المحافظة على هذه الأذكار وترديدها فى شتى الأمور الدنيوية اليومية، وفي الأوقات والأحوال المختلفة، ليلا أو نهاراً ليتربى عليها الفرد ويألفها فتصبح سلوكاً وعادة لا يفرط فيها وانما يتقرب بها الى الله.
(١٤) المحافظة على ترتيب الأذكار بمعنى أن يؤتى بالذكر المناسب فى الوقت المناسب لأن ذلك من تمام موافقة الحال للمقال وفيه تربية على الترتيب والنظام والبعد عن الفوضى.
(١٥) عدم الغفلة عن الذكر والمحافظة على الأذكار المختلفة لمن اعتاد عليها فى وقت معين فإن فاته ذلك الوقت، كان عليه تأدباً أن يتدارك ذلك وأن يأتي بالذكر متى تمكن من ذلك، وان لا يهمل أو يتساهل فيه فإن ذلك مدعاة لتضييع الذكر والغفلة عنه إذا ما تكرر ذلك.
(١٦) الاجتماع على ذكر الله فى صورة تليق بجلال الذكر، في مجالس ايمانية تغشاها الرحمة، وتنزل بأصحابها السكينة، وتحف بها الملائكة المكرمون. فقد جاء فى الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: «ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، الا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده» (مسلم).
(١٧) أن يتأثر الذاكر بما يقوله من أذكار، وأن تظهر آثارها على نفسه وسلوكه وشخصيته، فيكون خاشعاً لله، متواضعاً فاضلا، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، متفكراً في خلق الله، ساعياً فى طلب الرزق، مؤدياً للعبادات، مكثراً من الطاعات، مجتنباً للمنهيات. وقد قال السلف: إن كل أنواع الطاعات ذكر إذا قصد بها وجه الله تعالى. وهذا أدب تربوي سلوكى يوجه الفرد الى الفضيلة ويبعده عن الرذيلة.
(١٨) أن يسأل العبد ربه القبول والثواب بعد الذكر بشكل مؤدب في دعائه، راغب في مرضاته، طامع فى جناته.
(١٩) اختيار الأماكن المناسبة للذكر كالمساجد وحلق الذكر والمشاعر المقدسة والمواضع الشريفة لما فى ذلك من احترام الله سبحانه ولذكره، قال بعض السلف: لا يذكر الله تعالى الا في مكان طيب.
(٢٠) السعى الى ذكر الله سبحانه لقوله تعالى: **﴿فاسعوا الى ذكر الله﴾** (الجمعة/ ٩) ويتبع ذلك الجلوس فى حلق الذكر عند المرور بها وعدم التفريط فيها او التنحي عنها لقوله صلى الله عليه وسلم: «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا» قالوا: وما رياض الجنة يارسول الله؟ قال: (حلق الذكر) إضافة الى أن مجالس الذكر مجالس الملائكة فى الدنيا. وهنا دعوة تربوية نبوية لعدم التفريط فى حضور مجالس الذكر، وحث على تتبعها. والأدب الرفيع في التعامل معها بشكل يميزها عن غيرها من المجالس الاخرى التى يمر بها العبد كمجالس اللهو واللعب ونحوها.
(٢١) ذكر الله فى المجالس بصفة عامة وإن لم تكن مجالس ذكر، فعن ابى هريرة أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: «ما قعد قوم مقعداً لم يذكروا الله فيه، ولم يصلوا على النبى ﴿ﷺ﴾، إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة» وهذا أدب تربوي اجتماعي يفرض على العبد ذكر الله سبحانه فى مختلف المناسبات طمعاً فى الأجر والثواب وحصول البركة.
(٢٢) نظافة ثوب الذاكر وطهارة بدنه، وطيب رائحته، لأن ذلك مما يزيد النفس نشاطاً. كما أن من الأدب البعد عن شواغل الدنيا وهمومها واليقظة التامة للجوارح دونما فتور أو كسل، وأن يكون فم الذاكر نظيفاً، فإن كان فيه تغير أزاله بالسواك أو



● حلقة ذكر فى المسجد

بغسله بالماء حرصاً على الطهارة من باب الأفضلية. وهذا أدب تربوي يهيء العبد لذكر الله سبحانه.

(٢٣) الخوف من عظمة الله سبحانه والوجل القلبي المصاحب بنزول السكينة والطمأنينة رغبة فى عفوه سبحانه وبره وكرمه. قال تعالى: **﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً﴾** (الأنفال/٢). وهذا يقتضى من العبد التأدب مع الخالق سبحانه واستمرارية الصلة به واستحضار عظمته جل وعلا في القلب والذهن والمشاعر.

(٢٤) عدم التشويش بالذكر على الآخرين كالمصلين والنائمين والجالسين ونحوهم. وهذا أدب تربوي يربي الفرد على عدم إيذاء الآخرين ومراعاة مشاعرهم واحترام حقوقهم.

(٢٥) الذكر بالمأثور عن رسول الله ﴿ﷺ﴾ فمن لم يحفظ شيئاً من المأثور فليقرأ القرآن الكريم، وليدع بما يحفظه أو يخطر علي قلبه، وهنا أدب الزامي في التشريع، اختياري في المقدرة. كما انَّ فيه تربية على الاتباع والبعد عن الابتداع زيادة أو نقصاناً لقوله صلى الله عليه وسلم: «من احدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» (رواه الشيخان).

(٢٦) استقبال القبلة ما أمكن فإن خير المجلس ما استقبل به القبلة، والبعد عن كثرة الحركة والتأدب فى الجلوس لذكر الله جل وعلا.

(٢٧) تنزيه الذكر فى بعض الحالات، فلا ينبغي أن يذكر الله سبحانه حين الجلوس لقضاء الحاجة، أو فى حالة الجماع، أو الجنابة، أو فى خالة الخطبة لمن يسمع صوت الخطيب، أو في القيام فى الصلاة، أو فى حالة النعاس. وما كان ذلك الا أدب تربوي يعود الفرد على تنزيه الرب سبحانه وذكره، من كل مالا يليق به سبحانه.

(٢٨) قطع الذكر أحياناً عند رد السلام وتشميت العاطس وعند سماع المؤذن أو اجابة سائل او عند غلبة النعاس ونحوها. وقد يكون التوقف لغرض اجمام النفس واراحتها ليستعد الذاكر بعد ذلك لذكر آخر. وهنا أدب تربوي يراعي حاجة النفس البشرية إلى وقت للراحة والاستجمام وتجديد النشاط.

(٢٩) اتخاذ القدوة الصالحة المؤمنة الذاكرة لله سبحانه. قال تعالى: **﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا﴾** (الكهف/٢٨). وهنا أدب تربوي يقتضي اتخاذ القدوة الصالحة الحسنة التى تذكر الفرد إذا نسي، وتشجعه إذا فتر، وتقومه إذا انحرف.

(٣٠) استعمال أصابع اليد فى العد للذكر، وأصابع اليد اليمنى أفضل. فعن يسيرة رضى الله عنها: «ان النبى ﴿ﷺ﴾ أمرهن أن يراعين بالتكبير والتقديس والتهليل وأن يعقدن بالأنامل فانهن مسئولات مستنطقات» (قال عبد الله بن عمرو: «رأيت رسول الله ﴿ﷺ﴾ يعقد التسبيح بيمينه» (رواهما اصحاب السنن). وفى ذلك اقتداء بهدي المعلم الاول والمربى الأكبر صلى الله عليه وسلم، واتباع لسنته وتأدب بأدبه الرفيع.

■■ فيا اخوة الاسلام . . . وبعد أن طفنا هذا الطواف المبارك بآداب الذكر التربوية النبوية، فهل لنا من عودة صادقة الى هذه الآداب الكريمة بقلوب منشرحة لشرع الله، والسنة لاهجة بذكره جل وعلا، فنكون من الذاكرين الذين يمدهم الله بنوره، فيزدادون ايماناً الى ايمانهم، ويقينا الى يقينهم، وفضلا على فضلهم، فتسكن قلوبهم للحق وتطمئن به.

مراجع الموضوع

١ ـ الوابل الصيب لابن قيم الجوزية
٢ ـ الاذكار للنووى
٣ ـ مختصر زاد المعاد للشيخ محمد بن عبد الوهاب
٤ ـ الاقتداء فى الذكر والدعاء لمحمد جوده طيوان
٥ ـ الاذكار لمحمد ابراهيم الشيبانى
٦ ـ رياض الجنة للشيخ عبد الحميد كشك
٧ ـ شفاء القلوب للشيخ عبد الحميد كشك
٨ ـ الذكر وآثاره فى بناء الشخصية الاسلامية لعبد المتعال الجبري
٩ ـ منهاج المسلم لابى بكر الجزائري
١٠ ـ الادب النبوى لمحمد عبد العزيز الخولي.

الحديث النبوى

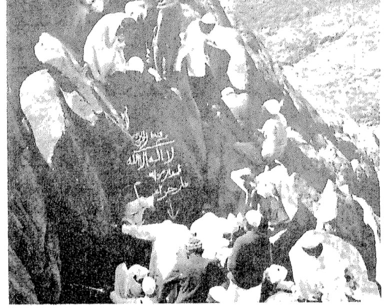
دراسات ودروس

فى بداية الوحى .. جبريل وورقة

«٣»

بقلم: احمد محمد جمال

كلا والله لا يخزيك الله أبدا .. كلمة هى تقرير حال، وتهدئة لروع رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالتها السيدة خديجة أم المؤمنين، وزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم.. ليس هذا فحسب بل اتبعت هذه الحقيقة بما يبررها إ ذ تقول: (.. إ نك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق).



● أعلى جبل النور حيث غار حراء
أسفل غار حراء حيث كان يتعبد الرسول صلى الله عليه وسلم .. وقد شهد أول نزول الوحى.

وفى مدرسة النبوة نتأمل بداية السيرة النبوية الطاهرة العاطرة، على صاحبها أفضل الصلاة وازكى السلام . .

● قالت عائشة رضي الله عنها: أول ما بدىء به رسول الله ﴿ﷺ﴾ من الوحي: الرؤيا الصالحة فى النوم، فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب اليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء . فيتحنث فيه الليالى ذوات العدد ـ حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ. قال: ما أنا بقارىء ـ قال: فأخذنى فغطنى حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلنى فقال: اقرأ. قلت: ما أنا بقارىء، فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى فقال: اقرأ. قلت ما أنا بقارىء، فأخذنى الثالثة ثم أرسلنى فقال: ﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق ● خلق الانسان من علق ● اقرأ وربك الاكرم ● الذى علم بالقلم﴾ (سورة العلق/ ١-٤).

فرجع رسول الله ﴿ﷺ﴾ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد ـ رضى الله عنها ـ فقال: زملونى زملونى . . حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: «كلا والله لا يخزيك الله ابدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق» .

فانطلقت به خديجة حتى أتت به ابن عمها ورقة بن نوفل بن عبد العزى، وكان امرءاً تنصر فى الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، يكتب من الانجيل بالعبرانية، وكان شيخا كبيرا قد عمي فأخبره رسول الله ﴿ﷺ﴾ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذى أنزله الله على موسى، يا ليتنى فيها جذع ـ ليتنى اكون حيا إذ يخرجك قومك ـ قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: أومخرجي هم؟ قال: نعم . . لم يأت رجل قط بمثل ما

جئت به إلا عودي، وان يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا».

ثم لم ينشب ورقة ان توفي وفتر الوحي[1]

■ هذا الحديث هو أول السيرة النبوية اي بدء الوحي او بدء الرسالة، فعائشة زوج الرسول عليه الصلاة والسلام تحدثنا عن كيفية هذه (البداية) المباركة، وتذكر أنها فى أولى مراحلها بدأت بالرؤيا الصالحة - أو الصادقة كما فى رواية اخرى - وهي بطبيعة الحال ليست كأضغاث الاحلام.. التى هي اخلاط من وساوس وأوهام وخواطر يعانيها النائم.

وقد بدىء الوحي الآلهي بالرؤيا الصادقة لنبينا محمد ﴿ﷺ﴾، ليكون ذلك تمهيدا أو توطئة لاتيانه فى اليقظة بواسطة جبريل عليه السلام.

وكذلك كان من مظاهر التمهيد والتوطئة - بعد الرؤيا الصادقة فى المنام - وقبل لقاء الروح الأمين مباشرة: رؤية الضوء، وسماع الصوت، كما ذكر ذلك الامام ابن حجر فى شرحه للصحيح، وكانت الرؤيا التى بدأها الرسول ﴿ﷺ﴾ فى منامه يأتي تأويلها او تحقيقها كفلق الصباح بيانا وجلاء.

ثم حبب اليه صلى الله عليه وسلم الاختلاء بغار حراء.. يتعبد فيه ليالي معدودات - حتى اذن الله تبارك وتعالى فأرسل اليه الملك جبريل، وكان من قصته إقراؤه لأوائل سورة العلق ﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق ● خلق الانسان من علق ● اقرأ وربك الاكرم ● الذى علم بالقلم﴾.

وقد جاء فى صحيح مسلم وسنن الترمذي: أن النبى ﴿ﷺ﴾ لم ير جبريل على صورته الملكية الا مرتين.. الاولى عند سؤاله اياه ان يريه صورته التى خلق عليها - والثانية عند المعراج. وروي ان المرة الاولى كانت فى أجياد.. رآه له جناحان من ياقوت يختطفان البصر.

■ وقوله صلى الله عليه وسلم: (فغطنى) اي ضمنى وعصرنى وحبس نفسى، وقد عاد عليه الصلاة والسلام الى بيت خديجة، وطلب منها ان تلفه فى ثياب حتى يذهب عنه الفزع.

■ أما قوله صلى الله عليه وسلم: «حتى خشيت على نفسي فقد أورد الامام ابن حجر اقوالا عديدة لا يصح - فى نظرنا - منها الا أنه عليه الصلاة والسلام قد خاف على نفسه من غط الملك له ثلاثا: الموت، أو المرض من شدة الرعب.

● قلت: حبذا لو اقتصر الشارح على القول الذى يستحسن من هذه الوجوه الاثني عشر - لان ذكرها جميعا (اولا) يوقع الدارس لصحيح البخارى وشرحه فى اضطراب - فكري، وازدحام عقلي - و(ثانيا) يمتلىء الكتاب بأقوال وآراء مرجوحة أو باطلة.

ثم يأتى دور السيدة خديجة الزوجة الاولى للرسول ﴿ﷺ﴾ - الزوجة التى واسته بنفسها ومالها، وقد أثنى عليها صلى الله عليه وسلم كثيرا بعد وفاتها، وذكر عشرتها الطيبة معه - حيث قابلته عند عودته من الغار فى حالة الرعب ومخافته على نفسه، عليه الصلاة والسلام.. قابلته بما يؤنس فزعه، ويطمئن روعه، ويشد عزيمته إذ قالت له رضى الله عنها: «**كلا.. والله لا يخزيك الله أبدا**».

فهو صلى الله عليه وسلم مثال الانسان الكامل حتى قبل نبوته، فقد عرف بالأمين وهو كما وصفته، واصل لذوي رحمه، معين للعاجزين، باذل للفاقدين، مكرم للضيوف ومخفف على المصابين نوائب الحق.

وحسبنا قول الله عز وجل عن نبيه الكريم: **﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾** (سورة القلم/ ٥)، وقول عائشة رضى الله عنها: «كان خلقه القرآن» وقوله هو عليه الصلاة والسلام: (إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق)[2].

■ ونعود إلى ورقة بن نوفل ومقالته للنبي ﴿ﷺ﴾: (ليتنى فيها جذع -

ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال صلى الله عليه وسلم: أو مخرجي هم؟ قال: نعم - وان يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزرا).

● قلت: إن ورقة تمنى ان يكون عند مبعث سيدنا محمد ﴿ﷺ﴾ جذعاً.. اي شابا أو فتى ليكون أول المؤمنين به، والمصدقين لرسالته، والناصرين لدعوته - ولكنه مات قبل أن يدرك بعثة الرسول الكريم.

ونلاحظ أن الرجل كان على علم بالأديان الغابرة، وبالتوراة والانجيل، وقد عرف أن محمدا ﴿ﷺ﴾ سيتعرض لأذى قومه، وأنهم سيضطرونه إلى الخروج من مكة. وقد تعجب الرسول من مقالة ورقة.. فذكر له ورقة أن تلك سنة الانبياء والرسل قبله أخرجهم أقوامهم.. بعد صد وأذى وعدوان. فهذا شأن من يحمل رسالة الرحمن، ويدعو بدعوة الايمان.

■ وفي حديث آخر يروي الامام البخاري - رحمه الله - أن النبي ﴿ﷺ﴾ قال: (بينا أنا أمشي اذ سمعت صوتا من السماء، فرفعت بصري، فإذ الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والارض، فرعبت منه فرجعت فقلت: زملوني - فأنزل الله تعالى: **﴿يأيها المدثر ● قم فأنذر﴾ الى قوله ﴿والرجز فاهجر﴾** (المدثر/١-٥) فحمي الوحي بعد ذلك وتتابع).

- قلت: يبدو من هذا الحديث: أن سورة المدثر نزلت بعد سورة (اقرأ) ومعنى الآيات واضح، فالله عز وجل يقول لرسوله الكريم: انهض لإنذار الناس بالعذاب إذا أعرضوا عن دعوتك، وكذبوا رسالتك. وعظم ربك.. استشعر الإجلال والإكبار لأمره ووحيه. وطهر ثيابك من الرجس، اي نظف ظاهرك وباطنك، فالثياب الظاهرة ليست مقصودة وحدها - واهجر الأوثان والأصنام، والرجز هو في الاصل: العذاب، وإنما سميت به الأوثان والأصنام التي تعبد من دون الله.. لأنها هي سبب العذاب وعلة الكفر بوحدانية الله عز وجل.

■ وفي حديث ثالث يروي الامام البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله تبارك وتعالى: **﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾** قال: كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ يعالج من التنزيل شدة، وكان يحرك شفتيه استعجالا لحفظه - فأنزل الله تعالى: **﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به ● إن علينا جمعه وقرآنه ● فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ● ثم إن علينا بيانه﴾** (القيامة/١٦-١٩) فكان رسول الله ﴿ﷺ﴾ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع اليه فإذا انطلق قرأه النبي ﴿ﷺ﴾ كما قرأه جبريل.

■ هذا الحديث يوضح سبب نزول هذه الآيات من سورة القيامة، وهو أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ كان يعاني مشقة في تلقي القرآن عندما يقرأه عليه جبريل عليه السلام.. بمعنى أنه كان كثير الاهتمام بحفظه لئلا ينساه فكان يردده أثناء تلقيه..

فأكرمه الله تبارك وتعالى بهذه الآيات ليطمئن باله، ويدرك ان الله عز وجل كفيل بجمعه في صدره، وعدم نسيانه.. وكفيل ايضا ببيان مقاصده ومراميه.

■ يقول الامام ابن حجر - رحمه الله - في ذلك: (كان صلى الله عليه وسلم في ابتداء الامر إذا لقن القرآن نازع جبريل القراءة، ولم يصبر حتى يتمها مسارعة الى الحفظ لئلا ينفلت منه شيء - ولابن ابي حاتم: يتلقى أوله ويحرك به لسانه خشية ان ينسى أوله قبل ان يفرغ آخره، وأما قوله: **(إن علينا بيانه)** فهو بيان مجملاته، وتوضيح مشكلاته(٣).

كما يروي الامام البخاري عن ابن عباس أيضاً قوله: (كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان، فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﴿ﷺ﴾ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة).

في هذا الحديث: ان جبريل عليه السلام كان يذاكر الرسول ﴿ﷺ﴾ - القرآن مرة كل سنة.. وكان ذلك في رمضان باعتباره الشهر الذي أنزل فيه هذا الكتاب الكريم.

وقد أتاه في آخر رمضان من عمر الرسول عليه الصلاة والسلام فذاكره مرتين كما جاء في حديث آخر.

وفيه ايضا: أن النبي ﴿ﷺ﴾ كان أكرم الناس وأسخاهم بالخير - وفي حديث أنس: (أنا أجود ولد آدم، وأجودهم بعدي رجل علم علماً فنشر علمه، ورجل جاد بنفسه في سبيل الله) وفي رواية اخرى عن انس أيضا: (كان النبي ﴿ﷺ﴾ أشجع الناس، وأجود الناس).

ليس ذلك فحسب.. بل كان عليه الصلاة والسلام أسرع بالخير وأسبق الى الكرم من الريح المرسلة. وقد جاء في رواية للامام احمد: (كان لا يسأل شيئا الا أعطاه) وفي حديث جابر: (ما سئل رسول الله شيئا فقال: لا).

وفي الحديث: حث على الجود في كل وقت، والاكثار منه في رمضان، وكذلك قراءة القرآن.. لأن رمضان شهر البركات والخيرات.

الهوامش

(١) عن صحيح الامام البخاري رحمه الله ملخصاً ج/١ ص/٢٢ والجلاء: الصغير من البهائم.
(٢) رواه الامام احمد وغيره.
(٣) ج/١ ص/٣٠ من فتح الباري.

أشعار

وأشع النور في الارجاء يضيء الدنيا، ويندام في النفوس ضياء ساطعا تنحسر دونه ظلمات الشر، وترتفع معانى الخير هالة من نور.



كالمسك ذكرك

شعر: محمد ضياء الدين الصابونى (المدينة المنورة)

كالمسك ذكرك يا محمد يعبق
فلأنت فى العلياء شمس تشرق
كالنور يسرى فى العوالم كلها
كالجدول العذب الذى يترقرق

●●●

الكون يشكو والحياة مظالم
والجهل طاغ والنفوس تمزق
وأدوا البنات على الحياة مخافة
من سبة فالعقل منهم مغلق
بينا الظلام محدد برواقه
ويسوده فقر وجهل مطبق
سطعت بأنحاء الجزيرة شمسه
فأنارت الدنيا وضاء المشرق
وأطل فجر محمد بضيائه
فانجابت الظلما وساد المنطق
جاء الرسول فليس من متناحر
أو قاطع رحما ولا من يسرق
جمع القلوب على المحبة والاخا
فتفتحت للخير نوّرا يشرق
واستل من أعماقهم عصبية
عمياء تلتهم البلاد وتحرق
الله ألف بينهم لولاه ما
ألفت بين قلوبهم ما تنفق
هذى بشائر (أحمد) وضياءة
حيث الرسالة نورها يتألق
نشر العدالة والاخوة سمحة
فإذا بأغصان المحبة تورق

●●●

أمّن أنار العقل من ظلماته
كالزهر فى أكمامه يتفتق
أمّن ألان القلب بعد تحجر
فإذا ينابيع البيان تدفق؟
خضعت له الافكار من وحى الهدى
فإذا بألسنة البرايا تنطق
وعجائب القرآن فى طول المدى
لا ينقضى وجديده لا يخلق
و(السنة الغراء) نبراس الهدى
من وحي ربك حكمة وتألق
شهدت لها الاعداء واعترفت بها
ولها المكانة والمقام الأليق

و(السنة الغراء) ليس ينالها
كيد الاعادي والمغيظ المحنق
تلك الحضارة لا تزال مضيئة
وحضارة الاسلام دوما تشرق

●●●

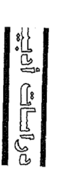
إنا بغير (محمد) لا نقتدي
أبدا وغير كتابه لا ننطق
إنا لنؤمن فى رسالة أحمد
لا ما يقول مغرّب ومشرّق
و(محمد) فخر العوالم كلها
و(محمد) ذاك الكمال المطلق
يا مسلمون تنبهوا واستيقظوا
إن العدو بأرضكم يتشدق
كونوا على الأعداء صفا واحدا
وتعاونوا فالخطب فينا محدق
إن تنصروا الرحمن ينصركم فلا
تهنوا فنصر الله عهد موثق

●●●

يا شرق مالك حائراً متخبطا
تهوى السعادة والظلام يطبق؟
إن السعادة فى اتباع (محمد)
وبخلق هادي العالمين تخلقوا
انظر إلى (الافغان) كيف تدافعوا
كالموج ضد المعتدين ومزقوا
هب المجاهد ثورة جبارة
وفؤاده للقا العدا يتحرق
لم يثنهم غارات وحش حاقد
يرمي بألوان الدمار ويحرق
(الله أكبر) زلزلت أقدامه
فإذا به من هول قصف يصعق
والله أيدهم ورص صفوفهم
ولكل من سلك الجهاد موفق
وعد الاله الصادقين بنصره
والله أكرم من يجود وأصدق

●●●

رباه من قلب يؤججه الأسى
أدعوك أن تحمي العباد وترفق
رباه إن جنح الطغاة الى الأذى
وتألبوا فى حربنا وتوثقوا
فاجعل لنا فرجا ومنها مخرجا
هل غير بابك يا إلهي يطرق؟



المحيط السياسي والاجتماعي، في الدائرة الزمنية التي عاش خلالها أحمد شوقي أعطى شاعرية شوقي بعدا جديدا ولدته هذه الظروف مجتمعة لم يكن موجودا قبل ذلك.
ونتيجة لهذا البعد الجديد في الرؤية جاءت قصيدة (نهج البردة) بتصور موضوعي يحمل كثيرا من ملامح طابع نفسية أحمد شوقي، ومعطيات عصره معا..
وفي كل هذا يطرح رؤيته من خلال قناعاته.

قراءة جديدة | قصيدة نهج البردة لأحمد شوقي

بقلم:
د. حلمى محمد القاعود

تتمثل براعة شوقى فى هضم ما يتأثر به والاستفادة منه بما يجعل لتصويره خصوصية متميزة.

تبدو قصيدة «نهج البردة» لأحمد شوقى، أشهر القصائد التى احتذت «البردة» فى العصر الحديث، بالرغم من سبق «البارودى» إلى احتذاء البردة فى قصيدته المعروفة «**كشف الغمة فى مدح سيد الأمة**»، ولعل هذا يرجع إلى شهرة «شوقى» كشاعر، وهى شهرة جابت الآفاق وجعلت بعض أبياتها تجرى على ألسنة الناس، فيستشهدون بها، ويستحسنونها.

ولقد جعل لها ارتباطها «بالبردة» الأصلية للبوصيرى مكانا فى وجدان الناس.

■ ويلاحظ بصفة عامة أن الذين قلدوا «البردة» للبوصيرى ركزوا على جوانب معينة لمعالجتها، وألحوا عليها إلحاحا واضحا، فالبارودى مثلا ركز فى قصيدته على غزوات الرسول ﴿ﷺ﴾ ـ ومعاركه ضد قوى الشرك، وأسهب كثيرا فى الحديث عن الانتصارات والهزائم وأخذ العبر

والدروس، وقد ركز الشيخ محمد عبد المطلب فى قصيدته «ظل البردة» على سيرة النبى ﴿ﷺ﴾ بعامة، وذكر فضائله وأخلاقه، أما شوقى فيبدو فى نهج البردة مهتما بالرد على خصوم النبى والاسلام، والدفاع عن المسلمين، ولعل ذلك يرجع إلى صلته القوية بالحركة السياسية والوطنية، وتعرضه للنفى بسبب ولائه الوطنى، فضلا عن ارتباطه الشديد بالخلافة الاسلامية التى تعاورتها رماح المستعمرين وأعوانهم وقد كانت تمثل رمزا لوحدة المسلمين وتضامنهم.

ونهج البردة تسير بصفة أساسية على ذات البناء الذى أقامه البوصيرى فى بردته، مع تصرف يتفق وطبيعة الشاعر فى الاهتمام والصياغة.

والقصيدة تبدأ بمقدمة غزلية يليها حديث عن النفس، ثم يدخل الشاعر الى ساحة النبى ﴿ﷺ﴾ فيتحدث عن فضائله وغزواته ومعجزاته وفضل الاسلام، ويدافع عن العقيدة، ويبرز مناقب الخلفاء الراشدين وملاحمهم، ويدعو الله ويتشفع بالنبى ويصلى ويسلم عليه مختتما قصيدته الطويلة، كأنه يتحرك من خلال بناء هرمى يبدأ من أحد طرفى القاعدة حتى يصل إلى القمة ثم يعود هابطا الى الطرف الثانى من القاعدة، تحركه فى ذلك حالته النفسية فى هدوئها وتموجها ومدها وجزرها.

ولا شك أن شوقى فى تقليده «للبردة الأصلية»، حاول أن يتميز على «البوصيرى»، **فإلى أى حد استطاع أن يكون هو نفسه، وإلى أى حد كان تابعا للبوصيرى؟**

الحق أن شوقى تأثر بالبوصيرى إلى حد كبير فى الشكل والمضمون، ولكنه تميز ببعض المميزات التى سنشير إليها فى حينها.

وتعد المقدمة التى افتتح بها «البوصيرى» قصيدته أنموذجاً، حاول كثير من الشعراء تقليده والتفوق عليه، ولكن بقى للبوصيرى جمال مقدمته وتفردها، وإن كان هو الآخر قد تأثر بغيره ممن سبقوه(١).

والمقدمة الغزلية، لدى البوصيرى وشوقى، تبدو مرحلة من المراحل الممهدة للدخول فى القصيدة بصفة عامة كما هو متبع وتبدو أيضا معادلا لعالم فيه من الاحباط والفشل أكثر مما فيه من النجاح والسعادة.

فالشاعر يستشعر أنه كان ضحية حب غادر لم يجن من ورائه إلا الأسى والحسرة، وهو ما يفرض عليه أن يراجع نفسه، ويكتشف خطأه، وينتقل الى حب فيه الهناء والسعادة والوفاء، وهو حب النبى ﴿ﷺ﴾، وعلى هذا يمكن أن نفسر سر افتتاح الشعراء لقصائد المديح النبوى بالغزل والانتقال منه ـ وهم يئنون ويتوجعون مما أصابهم ـ إلى مدح النبى ﴿ﷺ﴾ والتعبير عن فضائله وشمائله ومشاعرهم نحوه.

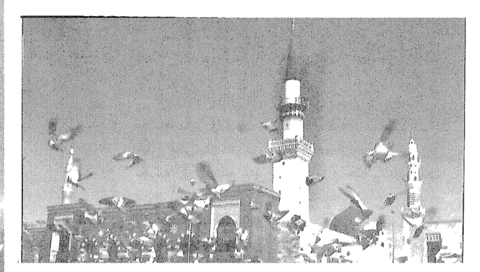
وجدنا هذا لدى الأعشى وكعب وحسان وابن الفارض والبوصيرى والبرعى وغيرهم من شعراء العصور التالية حتى عصرنا الحديث، فقط يختلف شاعر عن شاعر فى نظرته إلى القضية التى يركز عليها فى صلب القصيدة، فمثلا نجد البارودى لا يحفل بمقدمته كثيرا لأنه يريد أن يعالج قضايا الهزيمة والانتصار التى تلح عليه بسرعة، فجاءت سهلة وخالية من الصنعة، وأكثر صدقاً لاقترابها من ذات الشاعر ويخاطب فيها رائد البرق ليسقى حيا بذى سلم فينمو زرعه ويترعرع ويعيد عهدا جميلا له ذكريات تشبه الحلم، كأنه يعبر عن أمنيته فى الانتقال من مرحلة الجدب والاقفار التى يعيشها فى المنفى بعيدا عن أهله ووطنه إلى زمن أكثر خضرة ونضارة، وانتصاراً أيضا.

■ يقول البارودى فى مطلع **«كشف الغمة فى مدح سيد الأمة»**:

يارائد البرق يمم دارة العلم
واحد الغمام إلى حى بذى سلم
وإن مررت على الروحاء فأمر لها
أخلاف سارية هتانة الديم
من الغزار اللواتى فى حواليها
رى النواهل من زرع ومن نعم
إذا استهلت بأرض نمنمت يدها
برداً من النوْر يكسو عارى الاكم
ترى النبات بها خضراً سنابله
يختال فى حلة موشية العلم

■ وتبدو المقدمات بصفة عامة أقرب الى الصنعة والافتعال، أو على أحسن الفروض نوعاً من التقليد الفنى يحاول الشاعر قدر طاقته أن يقلد النموذج الأصلى، ولعلنا نرى ذلك بوضوح فى مقدمة «نهج البردة» فشوقى يتحدث عن حبيب سلب لبه وقلبه، وحمله فى سبيل ذلك الحب فوق طاقته، ويلتمس لذلك المبررات والاعذار ويستمر فى عرض قصته مع هذا الحب الذى ينتهى بالاخفاق والفشل، ويفاجئنا بعد كل هذا أن القصة محض خيال، ومجرد حلم، يقول شوقى:

ريم على القاع بين البان والعلم
أحلّ سفك دمى فى الأشهر الحرم
رمى القضاء بعينى جؤذر أسداً
يا ساكن القاع أدرك ساكن الأجم







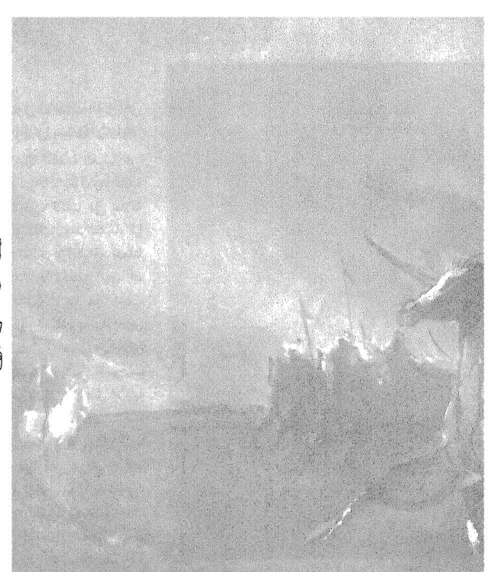
أعلى المسجد النبوى، ويضم الروضة والمنبر، ومثوى الرسول ﴿ﷺ﴾.
إلى اليسار محمود سامي البارودي
إلى أقصى اليسار لوحة رائعة تمثل المسلمون الأوائل وقد حملوا دعوة التوحيد إلى أرجاء الدنيا لينقذوا البشرية من ضلالات الشرك والوثنية

لما رنا حدثتنى النفس قائلة
يا ويح جنبك بالسهم المصيب رمى
جحدتها وكتمت السهم فى كبدى
جرح الأحبة عندى غير ذى ألم
رزقت أسمح ما فى الناس من خلق
إذا رزقت التماس العذر فى الشيم
يالائمى فى هواه والهوى قدر
لو شفك الوجد لم تعذل ولم تلم
لقد أنلتك أذناً غير واعية
ورب منتصت والقلب فى صمم
يا ناعس الطرف لاذقت الهوى أبداً
أسهرت مضناك فى حفظ الهوى فنم
أفديك إلفاً ولا آلو الخيال فدى
أغراك بالبخل من أغراه بالكرم
سرى فصادف جرحاً دامياً فأسى
ورب فضل على العشاق للحلم

■ فالشاعر يحدثنا عن الريم أو الحبيب الذى يشبه الظبى الأبيض الخالص البياض الذى أحل سفك دمه فى الأشهر الحرم، وهى صورة فيها الكثير من المبالغة أراد من خلالها الشاعر أن ينبئنا أن من يحبه يملك جمالا خارقا وساطعا يجعل التضحية من أجله ـ ولو بالحياة ـ أمراً هيناً، ليس فى الأيام العادية فحسب، بل فى الأشهر الحرم التى يحرم فيها القتال وسفك الدماء. ، ثم نراه يشبه جمال العينين بعينى ولد البقرة الوحشية، وهذا الجمال يشبه السهام التى انطلقت لتصيب مقتلاً منه «رمى القضاء بعينى جؤذر أسداً».

وهنا يستغيث استغاثة فيها من المفارقة الجميلة ما يعطى صياغة فريدة ومتميزة، فهو يطلب ممن يعيش فى الوادى الآمن أن يدرك من يحيا فى الغابة المليئة بالوحوش الضارية، بينما كان العكس هو الصحيح ولكنه أراد أن يدلل على قوة ذلك الحبيب التى تكمن فى ضعفه، أو جماله أساساً. ويطنب الشاعر فى تفسير إصابته بالحب فيقرر مرة أخرى أن نظرة الحبيب جعلته يدرك أنه وقع فى الحب لا محالة، وأن إصابته بسهم الحب ليست بذات أثركبير، فجرح الأحبة غير مؤلم، ويضيف للحبيب أفضل الصفات وأعظمها، ويلتمس العذر لنفسه أمام من يلومه، ويرى أن الهوى قدر مكتوب لا مفر منه، ولو جر به اللائم أو العاذل لما لام أو عذل، ولهذا فلن يستمع الى لائم أو عاذل، ثم

ارتباط «بردة» شوقى «ببردة» البوصيرى جعل لها مكانا فى وجدان الناس



يدعو لمن يحب ألا يذوق نار الهوى، ولا تباريحه، ويقدم نفسه فداء له، ويجعل من الخيال ساحة لحلمه حيث يداوى جراحه وآلامه.

■ وتبدو المعانى فى هذه الأبيات مألوفة ومطروقة سبق إليها الأقدمون منذ الجاهلية، ولكن «شوقى» يلعب على وتر الصياغة التى يبرز من خلالها «حرفته» الفنية، فيصوغ هذه المعانى من خلال معجمه وصوره وموسيقاه لدرجة توهمنا بابتكاره وجدته، ولكنه فى الحقيقة يطرق ما سبقه من معان فى هذا المجال، لقد استطاع شوقى أن يقدم لنا مقدمة غزلية أقرب إلى المقدمات الجاهلية، فمفرداتها توحى بذلك وتأمل: الرئم، القاع، البان، العلم، الاشهر الحرم، جؤذر، أسد، الأجم، السهم، فهذه مفردات خاصة بالبيئة البدوية، وقد أكثر الجاهليون والاسلاميون أيضا من سكان الجزيرة العربية - فى استخدامها، حتى صارت مرادفاً للغزل فى تلك البيئة، ولكن «شوقى» وهو يسعى جاهداً لتقليد القدماء استطاع ان يقتفى اثرهم بمهارة، وأن يكون واحداً منهم، وبالرغم من أن «البوصيرى» قد استلهم فى مقدمته الغزلية للبردة الاماكن المقدسة وما حولها فى المدينة المنورة لتكون أكثر صلة بالموضوع الذى يمهد له، فإن «شوقى» آثر أن ينفرد بصنع بيئة بدوية خالصة يحرك من خلالها خياله مع حبيب يشبه الظبى الجميل لا وجود له فى الواقع، ولذا فقد جاءت مقدمة «شوقى» طويلة بشكل ملحوظ، وقد أجهد نفسه على مدى أربع وعشرين بيتا يتحدث فيها عن الحبيب الذى سلب لبه، وعن الموائس اللاعبات بروحه، السافحات دمه، السافرات كأمثال البدور، القاتلات بأجفان بها سقم، العاثرات بألباب الرجال، المضرمات خدودا أسفرت عن فتنة، الحاملات لواء الحسن.. الخ، حتى يصل بنا إلى مفاجأة أو ما يشبه المفاجأة، حين نراه يؤكد أن علاقته بمحبوبته كانت من خلال حجاب أو حلم، فمنزلها أبعد للمشتاق من إرم:

بينى وبينك من سمر القنا حجب
ومثلها عفة عذرية العصم
لم أغش مغناك إلا فى غضون كرى
مغناك أبعد للمشتاق من إرم

■ ويستعين شوقى فى مقدمته بكثير من التشبيهات والاستعارات - وما أكثر تشبيهاته خاصة فى القصيدة - ليعطينا صورة لمن سحرته أو لمن سحرنه بجمالهن وتأثيرهن،

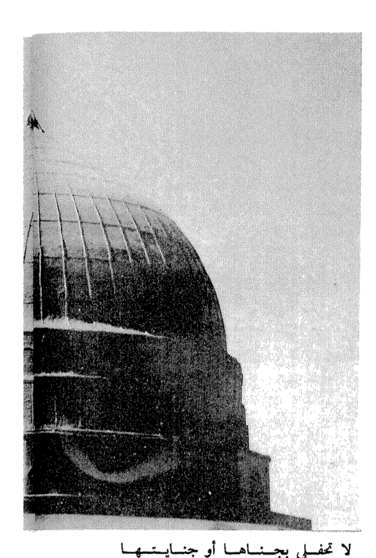
ولعل الذى دفعه إلى ذلك هو رغبته فى الاطناب الذى أدى به الى تطويل مقدمته بشكل ملحوظ كما سبقت الاشارة.

■ ولكن المفاجأة التى قدمها فى نهاية المقدمة الغزلية عن علاقته الخيالية مع محبوبته تطرح سؤالا، يقول وما فائدة هذه المقدمة إذا كان حديث «شوقى» قائماً على علاقة خيالية؟ أهى الحرفة الفنية دفعته الى ذلك ليقلد القدماء كما سبقت الاشارة؟ أم أن هنالك دلالة أخرى؟ الواقع يجعلنا لا نغفل الدافع الفنى وهو التقليد، ولا نستطيع أيضا أن نستبعد دلالة أخرى تجعل من الحديث عن هذا الحب الخيالى الذى لا يتحقق رمزاً للواقع أو الحياة. فالحياة تغرى بزخرفها وشكلها البراق، وتخدع كثيراً من الناس فى الجرى وراءها، ثم يتبدد جهدهم فى النهاية، وينتهى طموحهم إلى لا شىء، ومن هنا تكون المحبوبة التى لا تحقق الأمنية للمحب سراباً ووهماً وحلماً يفيق بعده على الواقع الجهم، ولعل إشارة «شوقى» فى بعض المواضع الى الدنيا وتشبيهها بالمرأة متأثراً فى ذلك بمقولة لعلى بن أبى طالب أو بعض الأحاديث ا شريفة، قد ترجح لدينا أن «شوقى» أراد بالمقدمة الى جانب التقليد الفنى، تقديم معادل موضوعى للواقع الذى يسبق الاتصال بحضرة النبى ﴿ﷺ﴾ وعالمه الروحى السامى، ومن ثم، يمكن أن نفسر سر طول المقدمة الغزلية التى أطنب «شوقى» فى استقصاء جزئياتها.

■ أيضا، فإن انتقال شوقى من عالم الغزل الذى انتهى فى الخيال، إلى حديث النفس والزهد فى الدنيا، والتوبة بعد المعاصى، يعطينا رابطة وثيقة بين المقدمة وما بعدها. ويأتى هذا الحديث ممتلئاً - فيما يبدو - بالعاطفة الصادقة، ويجنح الشاعر إلى التعبير السهل، البعيد عن الصناعة واستخدام المهارة الحرفية إلى حد ما وهذا مردود بالطبع الى صلة الحديث بالذات أو النفس.

■ يقول شوقى عن أحوال النفس وتقلباتها والدنيا وأطوارها:

يا نفس دنياك تخفى كل مبكية
وإن بدا لك منها حسن مبتسم
فضى بتقواك فاهاً كلما ضحكت
كما يفض أذى الرقشاء بالثرم
مخطوبة مذ كان الناس خاطبة
من أول الدهر لم ترمل ولم تئم
يفنى الزمان ويبقى من إساءتها
جرح بآدم يبكى منه فى الأدم



لا تحفلى بجناها أو جنايتها
الموت بالزهر مثل الموت بالفحم
كم نائم لا يراها وهى ساهرة
لولا الأمانى والأحلام لم ينم
طوراً تمدك فى نعمى وعافية
وتارة فى قرار البؤس والوصم
كم ضللتك ومن تحجب بصيرته
إن يلق صاباً أو علقما يسم
يا ويلتاه لنفس راعها ودها
مسودة الصحف فى مبيضة اللمم
ركضتها فى مريع المعصيات وما
أخذت من حمية الطاعات للتخم
هامت على أثر اللذات تطلبها
والنفس إن يدعها داعى الصبا تهم
صلاح أمرك للأخلاق مرجعه
فقوم النفس بالأخلاق تستقم
والنفس من خيرها فى خير عافية
والنفس من شرها فى مرتع وخم

وباستخدام المفارقة - والشاعر يستخدمها بمهارة واضحة - يصور لنا شوقى ما استشعره من فاجعة بين

النـدم .

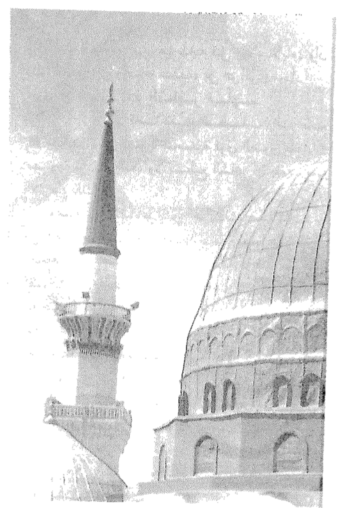
إن جل ذنـبـى عن الـغـفـران لى أمـل
فى الـلـه يجعـلـنـى فى خير معـتـصـم
ألـقـى رجـائـى إذا عز المـجـير على
مفـرّج الـكـرب فى الـدارين والـغـمـم
إذا خفـضـت جنـاح الـذل أسـألـه
عز الـشـفـاعـة لم أسـأل سوى أمـم
وإن تقـدم ذو تقـوى بصـالحـة
قدمـت بين يديـه عبرة الـنـدم

■ ويلاحظ هنـا أن «شوقى» متـأثر بالصور القرآنية فى البيتـين الأخـيرين خاصـة، «خفضت جناح الذل» وهو يستلهمها من قوله تعالى: ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾ (سورة الاسراء/ ٢٣٤)، «وقـدمت بين يديه عبرة». . ويأخذها من قوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله﴾ (سورة الحجرات/ ١).

■ إن هذه الأبيات وما قبلها يمهد تمهيداً طبيعياً للدخول فى صلب القصيدة أو موضـوعهـا وهـو مدح الـرسـول ﴿ﷺ﴾، ومن منطلق التوبة والندم نراه يتحدث عن لزوم باب أمير الانبياء الذى يفيض فى مدحه وتعديد فضائله ومحاسنه واستعراض معجزاته وملامحه وخصاله قبيل الدعوة وبعدها ويركز على قصة الاسراء والمعراج، والهجرة والجهاد والغـزوات ومميزات الشريعـة والخلفـاء الـراشدين. . مما يستغرق معظم «نهج البردة» ولا نستطيع الاشارة إليه كلية أو تنـاولـه جميعه، ونكتفى بالتوقف عند بعض اللقطات التى عبر فيها عن رؤيته للدعوة والداعية صلى الله عليه وسلم، وموقفه من أعداء الدين قديما وحديثاً.

يتوقف عند شخصيته محمد ﴿ﷺ﴾ فيصوره بأنه صفوة الخالق، ورحمة الله والشفيع يوم القيامة والنور الذى فاق جميع الانوار:

محمـد صفـوة الـبـارى ورحمـتـه
وبـغـيـة الـلـه من خلق ومـن نسـم
وصـاحـب الحـوض يوم الـرسـل سائلة
متـى الـورود وجـبريـل الأمـين ظمـى
سنـاؤه وسـنـاه الـشـمـس طالـعـة
فالجِـرم فى فلك والـضـوء فى علم
قد أخـطأ الـنـجـم ما نالـت أبـوتـه
من سؤدد باذخ فى مظهـر سنـم
نمـوا إلـيـه فزادوا فى الـورى شرفـاً
ورب أصـل لفـرع فى الـفـخـار نُمى



الحلم والواقع، فهذه الدنيا تخفى «المبكيات» ولو بدا منها حسن «مبتسم» وهى «مخطوبـة» و«خـاطبـة»، و«يفنى» الـزمان وتبقى إساءتها، و«جناها» يتساوى مع «جنايتها» والموت «بالزهر» مثل الموت «بالفحم»، والناس «نائمون» وهى «ساهرة» ويعيشونها مرة فى «نعيم وعافية» ومرة أخرى فى «بؤس ووصم»، ويرتعـون فى «مـريـع المعصيات» أو ينعمون فى حمية الطاعات».

وهـذه المفـارقة التى تبين أحوال الدنيا، تكشف فى الـوقت نفسـه عن مدى الخسارة التى أصابت الشاعر، وجعلتـه يستشعر المحنة، ولعل استخدامه «كم» الخبرية أكثر من مرة مع الندبة والتحسر «ياويلتاه» فى أوائل الأبيات السـابقـة، يجعل للمسألة وقعاً آخر، يهيىء لمقولاته عن الصلاح فى إطار من الأبيات التى عرفت قديمـاً بأبيات «الحكمة» التى تشيع على ألسنة الناس:

صلاح أمـرك للأخـلاق مرجـعـه
فقـوم الـنـفـس بالأخـلاق تسـتـقـم
والـنـفـس من خيرهـا فى خير عافـيـة
والـنـفـس من شرهـا فى مرتـع وخـم

■ كذلك فإن «شوقى» يتهيأ ليدخل إلى عالم التوبة وساح النبى ﴿ﷺ﴾ آملا فى الغفران، وطالبا الشفاعة مع دموع

حواه فى سبحات الطهر قبلهم
نوران قاما مقام الصلب والرحم

■ وهذا الوصف الخارجى لمحمد ﴿ﷺ﴾، تفرضه طبيعة الشخصية المحمدية التى لا يستطيع معظم الشعراء الاقتراب من طبيعتها البشرية، نظراً لوضعها الذى يستوجب التوقير والاحترام، وهو ما يجعل الشعراء - ومن بينهم شوقى - يدورون حول الشخصية المحمدية، ويضفون عليها أفضل الصفات.

●● وأحمد شوقى فى هذه الأبيات يختص محمداً ﴿ﷺ﴾ بخصائص انفرد بها عن العالمين، وعن الرسل جميعا، بل إنه ينطلق من نظرية النور المحمدى التى يؤمن بها بعض الطوائف الاسلامية فى وصفه ﴿ﷺ﴾ فهو يراه المصطفى من الله، والرحمة المهداه، بل إنه المراد من خلق البشرية كلها، أو أن البشرية كلها خلقت لأجله، ثم يشير الشاعر إلى ما يمكن اعتباره وصفاً أخرويا أو خاصاً بالآخرة، فيصفه ﴿ﷺ﴾ بأنه صاحب «الحوض» الذى يروى الظمآ ن أو الذين يشتد بهم الظمأ يوم القيامة رحمة ولطفاً . . وتأتى أهمية الوصف بصاحب «الحوض» لأنه اختص به وحده، دون سائر الرسل، بل إن الرسل يتساءلون: متى **يردون الحوض للارتواء.**

ويبدو الشاعر متأثرا بنظرية النور المحمدى إلى حد ما، فهو يجانس بين السناء والسنا، بين الرفعة والنور، بين مقامه وطبيعته، فهو يرى نوره الشمس طالعة، قد عمت بنورها الآفاق، ويرى أن مجد آبائه قد فاق النجوم، وإذا كان آباؤه كذلك فانه قد فاق النجوم، ولا يعنى انتساب الفرع للأصل أن الأخير دائماً أفضل، فربما كان الفرع أروع فى مجال المجد والشرف والفخار، وهو ما جعل آباءه ينتسبون إليه، وقديما عبر ابن الرومى عن هذا المعنى حين قال:

قالوا أبو الصقر من شيبانة قلت لهم
كلا لعمرى ولكنه منه شيبان
كم من أب قد علا بابن ذرا شرف
كما علت برسول الله عدنان

■ ولو تأملنا استخدام «شوقى» للفظة «رُبَّ» فى قوله «ورب أصل لفرع فى الفخار نمى» لوجدناها قد استخدمت فى مكانها الدقيق، حيث تفيد القلة أو الندرة، فالمعتاد أن ينتسب الأبناء للآباء ولكن من النادر أن يحدث العكس. . ويبدو أن الشاعر يعتمد على فكرة ارتباط الأصل بالفرع وتبعيته له، فى تأكيد انتساب الآباء لابنهم، وهذا ما يجعل من فكرة «النور المحمدى» أمراً طبيعياً حين يركز عليه، ويجعل النور هو بدايته قبل هؤلاء الآباء، وأن النور يتحول إلى رحم أو صلب، بل هو أقوى منهما:

حواه فى سبحات الطهر قبلهم
نوران قاما مقام الصلب والرحم

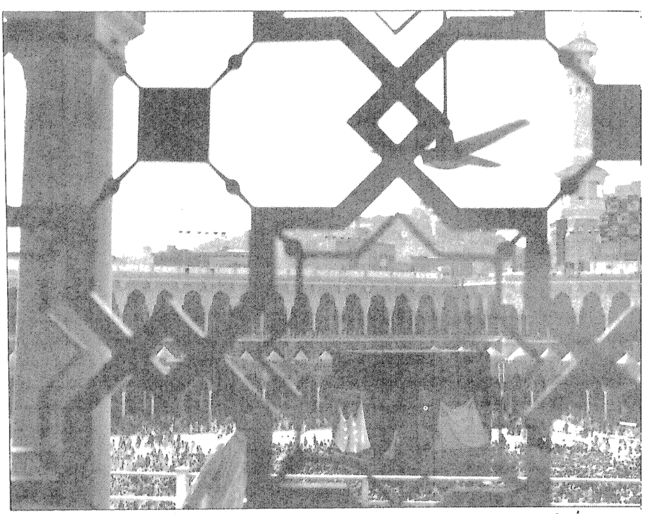
■ وهكذا نرى الصورة المحمدية فوق الصور العادية، مصنوعة من نور الله، ولا يستطيع الشاعر أن يقترب منها أكثر من ذلك.

وعموماً فإن الشاعر يدور حول الشخصية المحمدية من الخارج فيرصد صفاتها العامة ومعجزاتها الخارقة ومشاهد من ماضيها قبل البعثة وبعدها، ويظل على هذا المنوال، حتى ينتهى من غايته، وإن كان يتوقف عند معجزة الاسراء والمعراج باهتمام واحتشاد، ويبدو كمن ينكر على بعض المعاصرين - وليس كفار مكة - عدم تصديقهم - بهذه المعجزة، فسيتخدم قدراته البيانية والمعنوية فى البرهنة والاستدلال على صدق المعجزة وصاحبها عليه الصلاة والسلام. . بيد أن أهم ما تميز به «شوقى» فى «نهج البردة» هو دفاعه عن الاسلام فى وجه المعاصرين الذين رموا الدعوة وصاحبها صلى الله عليه وسلم ببعض التهم والأباطيل، فاهتم «شوقى» بتفنيدها ودحضها.

■ وفى هذا المجال ينطلق «شوقى» من الأخوة النبوية بين محمد وعيسى عليهما الصلاة والسلام، ويقارن بين شريعة كل منهما وتأثيرها فى المحيط الاجتماعى حولها:

أخوك عيسى دعا ميتاً فقام له
وأنت أحييت أجيالا من الرمم
والجهل موت فإن أوتيت معجزة
فابعث من الجهل أو فابعث من الرَّجَم

■ إن تقرير أخوة عيسى من خلال الجملة الاسمية التى بدأ بها البيت الاول من البيتين السابقين تخاطب من يعنيه الأمر بحقيقة مؤكدة لا تقبل الشك، وإسناد الأخوة فى الخطاب الى محمد ﴿ﷺ﴾ تعنى شدة الارتباط ووثوقه بين النبيين عليهما السلام، فلا مجال لمن يشعلون نار التعصب، ويفرقون بين الانبياء ولكن المقارنة بين عيسى ومحمد تنطلق من مفهوم إسلامى يرى فى الرسالة الاسلامية العمومية والشمول، وهذا هو سر إعجازها، فإن كان عيسى قد أحيا الميت بإذن الله، فإن دعوة الاسلام قد أحيت أجيالا من العدم، وإذا كان الاحياء هناك يرتبط بالجسد، فالاحياء هنا يرتبط بروح الأمة وعقلها ووجدانها إنه إحياء بالعلم والمعرفة والتوحيد. . ولذا فإن شوقى يرى الموت قريناً للجهل «والجهل موت»



أبيات البردة تتسلسل فى إطار طبيعى دون تكلف أو افتعال.

والمعجزة الحقيقية هنا هى «العلم» أو «المعرفة» لأنها البعث الفعلى الذى ينقل الجهلة من العدم إلى الحياة، وتكون المعجزة هى البعث للأجساد والارواح جميعا. ويلاحظ أن قوله «فإن أوتيت معجزة» تحمل معنى التحقيق أى إنه أوتى المعجزة فعلا بإخراج الناس من الظلمات الى النور، ومن الشرك إلى التوحيد، ومن الكفر الى الايمان. ويستوى البعث من الجهل والبعث من القبر (الرجم).

■ وإذا كانت هذه غاية الاسلام أن يبعث الناس من ظلام الجهل والقبر الى العلم والحياة، فإن الشاعر يؤسس على ذلك دفاعه ضد فرية شاعت فى عصره، وبعد عصره وربما الى الآن، وهى ان الاسلام دين سيف، أو دين يسفك الدماء، ويدخل الناس الى ساحته بالقوة، فيستعرض الفرية ويرد عليها بدليل وراء دليل:

قالوا: غزوت ورسل الله ما بعثوا
لقتل نفس ولا جاءوا لسفك دم
جهل وتضليل أحلام وسفسطة
فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم

لما أتى لك عفوا كل ذى حسب
تكفل السيف بالجهال والعمم
والشر إن تلقه بالخير ضقت به
ذرعاً وإن تلقه بالشر ينحسم
سل المسيحية الغراء كم شربت
بالصاب من شهوات الظالم الغلم
طريدة الشرك يؤذيها ويوسعها
فى كل حين قتالا ساطع الحدم
لولا حماة لها هبوا لنصرتها
بالسيف ما انتفعت بالرفق والرحم
لولا مكان لعيسى عند مرسله
وحرمة وجبت للروح فى القوم
لسمر البدن الطهر الشريف على
لوحين لم يخش مؤذيه ولم يجم
جل المسيح وذاق الصلب شانئه
إن العقاب بقدر الذنب والجرم
أخو النبى وروح الله فى نزل
فوق السماء ودون العرش محترم

الناقد .. ناقدان، يقف كل واحد منهما فى خط مواز للاخر حتى فى نقد العمل الواحد.
وحرصًا على مهمة الناقد الاساسية فانّنا ندعو إلى ضرورة تبني منهج اكثر أمنًا وبعدا عن دائرة المنزلقات، وفى نفس الوقت يقرب بين هذين الخطين المتوازيين.

فن الرواية فى الأدب العربى القديم

بقلم:
د. صفوت عبد الله الخطيب
(مصر)

إ قرارنا بكثرة الجدل ـ الذى ظفرت به البحوث النقدية ـ حول موقع الفن الروائى، فى خريطة الادب العربى، أمر لا نظنه يكلفنا مشقة البحث عن الشواهد التى تؤكده، ذلك أنه أمر ظاهر ظهورا بينا من ناحية وذلك أنه أيضا ـ ومن ناحية أخرى ـ أمر طبعى، صادف كثيرا من الفنون التى حفل تاريخها بملامح بارزة من التطور والتغير، بل إ ن الجدل حول فن الرواية، أمر يكاد يكون ملاحظا عند العرب وعند الغرب على حد سواء، وذلك فيما يشير إليه هنرى جيمس ـ فى مقال له بعنوان الفن الروائى ـ من الصلة الوطيدة بين الصورة وبين القصة فى معرض بيانه لمواقف المسلمين ومسيحي الغرب من هذه الفنون، فيقول: (يعتقد المسلمون أن الصورة شىء غير مقدس، ولكن وقتا طويلا قد مضى منذ كان يعتقد أى مسيحى ذلك، ولذا فمما يبدو أكثر غرابة أن يبقى فى العقل المسيحى اثار شك فى القصة ـ وهى أخت الصورة ـ إ لى هذا اليوم).

■ والباحثون الذين ضمتهم ساحة هذا الجدل، قد انقسموا فى الغالب قسمين. كلاهما متعصب لوجهة نظره.

أما أولهما: (ومنهم على سبيل المثال فاروق خورشيد فى كتابه الرواية العربية، والدكتور عبد الحميد ابراهيم فى كتابه قصص العشاق النثرية، وأيضا المستشرق جب فى فصل له ضمن كتاب تراث الاسلام) فيدافع بحماسة عن حيازة الادب العربى القديم للشكل الروائى، مستقصيا الامثلة ومتعقبا النماذج، بل إ نه ليتعدى ذلك أحيانا إ لى القول بأن الرواية العربية القديمة كانت الاصل الذى قامت عليه الرواية الاوربية الحديثة..

وأما اخرهما: (ومنهم على سبيل المثال جرجى زيدان فى تاريخ اداب اللغة العربية، وأحمد حسن الزيات فى كتاب فى أصول الادب العربى، وكذلك المستشرق هيل فى كتابه Arabic Civilization وكذلك زكى مبارك وأيضا توفيق الحكيم قديما فينفى ـ وبحماسة أيضا ـ معرفة الادب العربى بهذا الفن ، محاولا التدليل بكافة الطرق، على انتماء الفن الروائى الى الادب الاوربى دون غيره، منساقا وراء وهم يصور له أن الاصول الفنية الحديثة فى الرواية الاوربية، هى وحدها التى تكفل مقومات هذا الفن، وأن ما سبقها من أشكال وأصول ليس بشىء ، وذلك فى الوقت الذى تلاحظ فيه الدكتورة انجيل بطرس ـ مثلا ـ أن فكرة وجود أنماط ثابتة وأزلية فى الشكل الروائى، فكرة ترفضها أكثر الكتابات فى الفن الروائى فتقول (فوراء جميع الكتابات التى نقدمها هنا (أى فى كتابها نظرية الرواية الانجليزية) إ يمان راسخ بأن الرواية لا يمكن أن تحيا أو تبقى إ ن ظلت جامدة ثابتة لا تتغير، وكلها تدعو الرواية إ لى أن تنمو وتتطور وتجدد شبابها، وإ لا فمصيرها الذبول والموت).

وكلا الفريقين ـ فيما نرى ـ قد أخطأ الوسيلة، وضل الطريق.. أما خطأ الوسيلة، فإ نه يتمثل فى اتجاه كل فريق منهما إ لى وجهة نظره مشبوبة بالعاطفة تضامنا مع الادب العربى عند بعضهم، او ترفعا عليه عند بعضهم الاخر، ولم يكن هناك ما هو أخطر على البحث العلمى من اندساس العواطف خلف اراء الباحثين.

■ وأما ضلال الطريق، فإ نه يتمثل فى أن هذا النوع من الباحثين، بدلا من أن يبحث فى الادب العربى القديم، ليكشف عما فيه من أشكال التعبير الروائى، قد حدد اشكال وعرفها، ثم بحث عن هذه الاشكال ـ بالطريقة التى أرادها ـ فى الادب العربى، ذلك فى الوقت الذى يرى فيه النقاد أن دور البحث النقدى الروائى، يتمثل فى تقويم الاصول التى يرتضيها الروائى للتعبير عن موضوعه، وليس فى محاكمة الروائى الى أصول ثابتة قد لا تكون موافقة لظروفه، فمن حق الروائى أن يكون حرا، غير مقيد بأى نوع من القواعد أو التقاليد، له أن يختار الموضوع الذى يروقه، ويعالجه بالطريقة التى يراها خير الطرق لعلاجه، أما واجبنا كنقاد فيجب أن ينصب على تلك الطريقة التى تناول بها موضوعه، ومدى نجاحه فى تنفيذها.

■ ومن الطبعى أن من سلك الطريق التى سلكها الفريقان السابقان سوف ينتهى الى نتيجة من اثنتين: إ ما (نعم) وإ ما (لا) والنتيجة الصحيحة قد لا تكون الاولى، ولا تكون الاخرى، وإ نما تكون شيئا ثالثا يحوى بعض مافى الاولى، وبعض ما فى الاخرى أو يغايرهما معا، ولكن المؤكد فى نهاية الامر أنه شىء ثالث متفرد.

وانطلاقا من المقدمات السابقة فإ ننا ندعو إ لى ضرورة تبنى منهج أكثر أمنًا وبعدا عن دائرة هذه المنزلقات. وهو قراءة نصوص هذا الادب العربى القديم لاستنباط ما

توفيق الحكيم

جرجي زيدان

طه حسين

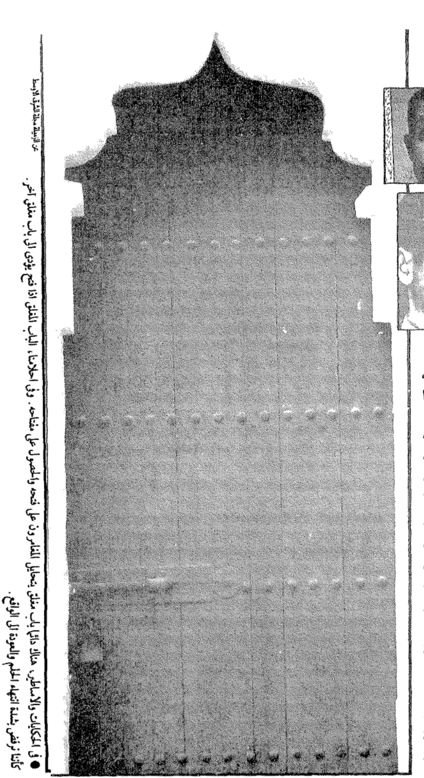
د. زكي مبارك

تحويه من أشكال، بدلا من معرفة هذه الاشكال وتحديدها ثم البحث عن تواجدها فى هذه النصوص.

■ وقد توجهنا إلى اختيار رسالة الغفران، نصا من نصوص الادب العربى القديم، وقرأنا القسم الاول منها، وأعنى حديث الغفران، فلاحظنا أن أبا العلاء يكتب شكلا أدبيا، ما هو بالخيال الروائى الذى قصد إليه صاحبه قصدا، وإن كان ذلك يتبدى فيه. وما هو - أيضا - بالتقرير النقدى الذى يأتيه صاحبه عامدا واعيا، وإن كان ذلك غالبا عليه، ولكنه مزيج منهما معا، ومن ثم فقد استخدمت فى هذا النص بعض الاصول الروائية، ولكنها جاءت محملة بخصائص مختلفة عما هو معروف فى الفن الروائى الحديث، غير أن هذا الشكل الذى استخدمه أبو العلاء فى حديث الغفران كان يقتضى منه هذه الخصائص الجديدة والغريبة والتى نرجو أن تتاح لنا فرصة العرض لها بشكل مفصل فى موضع اخر.

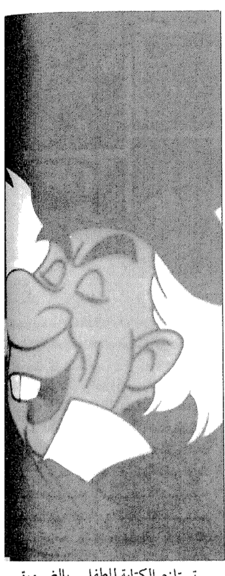
■ وما نود أن نشير اليه هنا هو أننا وإن لم نكن على يقين تام من أن كلام الدكتور محمود ذهنى - الذى سوف ننص عليه فيما يلى - يقر ما ذهبنا إليه من أن رسالة الغفران، يمكن اعتبارها نصا روائيا ذا طابع خاص متوافق مع طبيعة عصره ومؤلفه، أو أنه لا يقصد هذا المعنى محددا، وأن كل همه هو إثبات ما فيها من الرواية فحسب، فإننا فى مقابل ذلك نقول: إننا فى حاجة ماسة الى مثل ما نادى به من دعوة نقدية عندما قال (وإذا كان كل همنا الان هو إثبات أن رسالة الغفران لابى العلاء المعرى عمل قصصى فى المقام الاول، فإننا نود أن ننبه إلى مدى الغنى الفنى الذى يحوزه هذا النص الروائى، وأن الدراسات النقدية الجادة يمكنها أن تستخرج منه كنوزا تثرى أدبنا العربى وترفع من شأن النقد الادبى. وتؤكد مكاننا فى عالم القصة والرواية).

■ وما يهمنا أن نؤكده فى ذيل هذا المقال أن هدفنا لم يكن تأكيد مكاننا فى عالم القصة والرواية، فذلك وحده أمر لا يضير الادب العربى فقدانه، كما لا يغنيه الاستحواز عليه. وإنما يتمثل هدفنا حقا فيما ينبغى أن يتوجه اليه الدرس النقدى من دراسة الادب العربى القديم والكشف عن الطرق والخصائص التى يتبناها ذلك الادب فى الاثار الروائية إن وجدت، وذلك قبل التورط فى الحكم بخلوه من الفن القصصى اعتمادا على مقاييس محددة لهذا الفن، وقبل التورط أيضا فى إقحام مثل هذه المقاييس على نصوص الادب العربى القديم لنستولده سفاحا بعض الاعمال الروائية.



● فى الحكايات والاساطير هناك دائما باب مغلق يتحايل الشاطرون على فتحه والحصول على مفتاحه. وفى احلامنا، الباب المغلق اذا فتح يؤدى الى باب مغلق اخر. كأننا نرفض بشدة انتهاء الحلم والعودة الى الواقع.

عن الابيلة مجلة الشرق الاوسط





مراعاة الوجود الاجتماعي للطفل، أصبح بشكل ـ فى عالم اليوم ـ ضرورة قصوى تؤكدها حتمية إيجاد صيغة مثلى للبناء النفسي والاجتماعي والعقلى للطفل.. لا سيما وهو يصعد درجات سلم الغد.. الطفل لم يعد كما مهملا، ولم يعد أيضًا (ديكورا) اجتماعيًا جميلا، بل هو فى الواقع أمل المستقبل فى كل أبعاده.. ومن هنا كانت الضرورة الملحة لتنقية ما يكتب للطفل (له أو عنه).

حول أدب الأطفال

نطرح هذا السؤال..؟؟

هل أدب الأطفال هو الادب الذى يكتبه الاطفال أنفسهم، أم الذى يكتبه الكبار للأطفال، وهل هو الأدب الذى يقرأه الأطفال، أم الذى يتناول عالم الطفولة ولو لم يقرأوه؟

بقلم: ابراهيم رمانى (الجزائر)

وجد الطفل كمادة للعمل الأدبى، وكنموذج له وجوده وأبعاده ودلالته، مثلما نجد في قصص (ديكنز واندرسون) وغيرهما في الآداب الأجنبية، وكذلك فى أدبنا العربى (مرثية ابن الرومي لابنه ورثاء زكي قنصل لابنته، وقصيدة «يتيم» لعمر أبي ريشة، وقصيدة «ترنيمة السرير» لنسيب عريضة، ومقال «بكاء طفل» لمي زيادة.

غير أن هذه الأعمال الأدبية التى جعلت الطفل محورها الفني لم يذكرها النقاد فى اطار «أدب الأطفال». وانما الأدب الذى نعني به هنا هو الأدب الذى شكل من الطفل مادة فنية موجهة له، ومبدعة خصيصا له، تتلاءم مع مستواه الثقافي الأدبي، ومع ذوقه واهتماماته وتطلعاته.

■ كان الأطفال موجودين بيولوجيا منذ بداية التاريخ، الا أن وجودهم الاجتماعي لم يعترف به الا أخيرا. كانوا على هامش التاريخ، ضائعين في دورة الزمان، لم يعرفوا الا النهي والعقاب. وكانوا ينهضون على الخبرة والممارسة، وما لقوه من العطف والحنان لا يعدو حدود طبيعة الحياة والنفس.

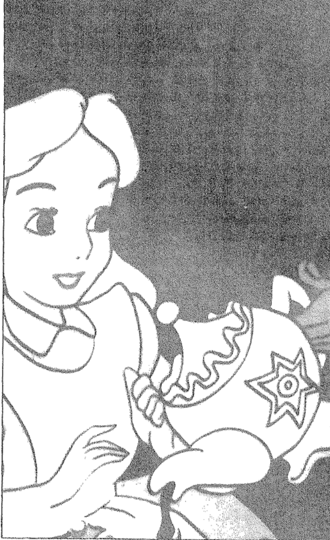
وبتطور الدراسات النفسية الاجتماعية، وظهور علم الترجمة وعلم نفس الطفل، وازدياد الوعي الانساني بقيمة الطفل، ودوره الحضارى الخطير في ضمان المستقبل، وانجاز مشروع الأمل في عالم يعاني فيه الكبار من الأزمة. بعد هذا كله اعترف العالم لهم أخيرا بالوجود الحق، وكان القرن العشرون «عصر الطفولة» وسنة ١٩٧٩م «عام الطفولة».

تستلزم الكتابة للطفل ـ بالضرورة ـ معرفة عالم الطفولة، والرحيل في عالمه الداخلي، لكشف خباياه وفهم أسراره وادراك حقائقه، لأنه الأرضية التى ينطلق منها العمل الأدبى واليها يعود في النهاية.

■ أدب الأطفال فن له قواعد ـ كالأدب العام، من حيث اللغة والأسلوب والبناء الفني. وهو ممارسة إبداعية صعبة تتطلب كفاءات عليا وخبرات فنية لكبار الكتاب، إنه موهبة واختصاص ورؤيا.

ويشتمل أدب الأطفال على حكايات فولكلورية شعبية (كان يا مكان ـ ألف ليلة وليلة) والرحلات والمغامرات والتراجم (السندباد البحرى ـ السوبرمان ـ روبنسون كروزو ـ أوليس . .)، وحياة الحيوان

إلى اليمين واليسار الكثير من شخصيات وموضوعات أفلام الكرتون التى نقدمها لاطفالنا بعيدة عن واقعنا.. ولا ترسخ فى ضمير طفلنا ما نود ترسيخه. أسفل مسلسل «افتح ياسمسم» من البرامج الناجحة الى حد كبير.





(الطفل والحيوان، عالم الحيوان وعالم الناس) وقصص الخيال العلمى (من الأرض الى القمر، رحلة فى باطن الأرض، عشرون ألف فرسخ تحت البحر للفرنسي جول فيرن ١٨٢٨-١٩٠٥). والشعر والالغاز والاقاصيص (أغاني - أناشيد، جحا، عنترة..) والقصة التاريخية والنفسية والاجتماعية والعائلية (الطفل البطل - بؤساء صغار، آباء وأبناء).

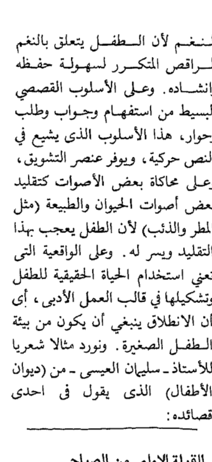
■ ويدخل فى ادب الاطفال - ايضا - صحافة الأطفال التي ترتبط به ارتباطا وثيقا ولا تنحصر ثقافة الطفل في الكتاب أو المجلة، بل تتعداها الى وسائل أخرى مثل الاذاعة والشاشة والمسرح والمعارض والمتاحف، ويهدف أدب الأطفال الى التربية السليمة، وبث الأخلاق الحميدة، والتكوين الاجتماعي الناضج، وترقية المدارك اللغوية والأدبية، وتعميق الوعى الطفولي، والامتاع والترفيه.

شعر الأطفال:

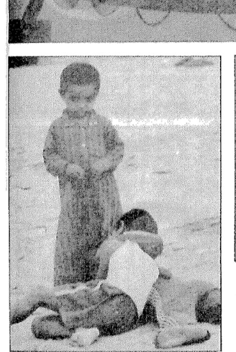
من مواصفات قصيدة الأطفال أنها تستخدم لغة واضحة تنحصر في حدود قاموس الطفل، وهى تعتمد على البساطة والمباشرة والوزن الخفيف الذى لا يزيد على تفعيلتين أو ثلاث، الذى يحقق غنائية عذبة، وعلى تكرار

النغم لأن الطفل يتعلق بالنغم الراقص المتكرر لسهولة حفظه وانشاده. وعلى الأسلوب القصصي البسيط من استفهام وجواب وطلب وحوار، هذا الأسلوب الذى يشيع في النص حركية، ويوفر عنصر التشويق، وعلى محاكاة بعض الأصوات كتقليد بعض أصوات الحيوان والطبيعة (مثل المطر والذئب) لأن الطفل يعجب بهذا التقليد ويسر له. وعلى الواقعية التى تعني استخدام الحياة الحقيقية للطفل وتشكيلها في قالب العمل الأدبى، أى أن الانطلاق ينبغي أن يكون من بيئة الطفل الصغيرة. ونورد مثالا شعريا للأستاذ ـ سليمان العيسى ـ من (ديوان الأطفال) الذى يقول فى احدى قصائده:

القبلة الاولى من الصباح
لجبهة الفلاح ـ لساعد الفلاح
للساعد المفتول ـ تحية الحقول
تعطيه ما يشاء من ثمر
من غلة كدفقة المطر
وتضحك البلاد لموسم الحصاد
ويسعد البشر.







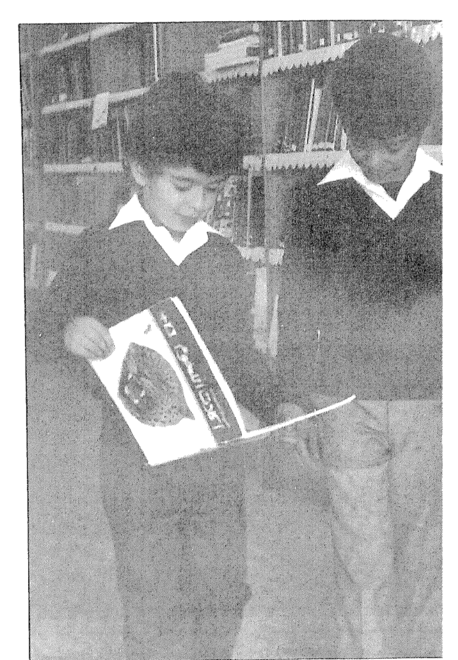
«نقار الخشب» كما يعرف وغيره من الشخصيات «الكرتونية» شخصيات للتسلية فقط. ترى الى أي حد يمكن ان نعود أطفالنا على القراءة.. إنها الانفع.

قاموس الطفل اللغوى:

يكون هذا القاموس بمخاطبة الطفل بلغة تلبي حاجياته، وتصور دخائله، وتحقق له مستوى جماليا. وهذا يستند الى فهم دقيق علمي للطفولة من الناحية النفسية، فالطفل خاضع لوعي يتدرج تدرجا تصاعديا تبعا لمداركه الطبيعية التى تنمو مع الأيام نموا سريعا، لذلك يجب مراعاة صفات الطفولة والتعامل معها بدقة، مثل العفوية والبراءة حب البحث والاستكشاف، والقدرة على التخييل.

■ إن هذه المواصفات المتنامية تجعلنا نعامله من منظورين، منظور مراقبته وتوجيهه برفق وعناية، ومنظور الحرية في فهمه وتعبيره.. وفي هذا كله يستند الباحث أو الأديب الى اجراءات علم نفس الطفل، وعلم النفس اللغوى الخاص بالطفل، ليوسع من أفق تصوره للغة التي تتلاءم مع الادراك الابلاغي والبلاغي للطفل، ويتمكن من تمثل هذه اللغة تمثلا واعيا في الكتابة الأدبية.

ويخضع قاموس الطفل اللغوى الى مراحل نمو الطفل وتعليمه، قاموس مليء بكلمات متناغمة مثل الحرية والجمال والصفاء والسعادة. هي كلمات



مرجعية يمكن بها ومن خلالها مخاطبة الطفل، والتواصل معه بعمق دلالي وشعوري، دلالي ينطلق من العقل ليبلغ القلب، وشعورى يرحل من القلب ليستقر في القلب.

■ إن قاموس الطفل اللغوى حسب التجربة الادبية الناجحة ـ قراءة وكتابة ـ يمكنه أن يكون وفق هذه المواصفات: التكرار، محاكاة الأصوات، الجملة القصيرة، العناية باستعمال الضمير واجتنابه في غالب الاحيان، الكلمة السهلة في مخارج الحروف المفهومة لدى الطفل، جعل اللغة مستوحاة من عالم الطفولة، استخدام اسلوب الطلب للتشويق والابتعاد عن المجازات والاستعارات في حدود الممكن، استخدام الافعال فى تركيب الجملة حتى يتعود الطفل على دلالة الحركة الزمنية في اللغة.

أدب الاطفال الغربى:

يقول ديستوفسكي: «ان من يسيء الى طفل يجب قتله، وإن الطفل هو العالم، لأنه يتغير بتغير العالم» وفي بريطانيا صرخ أحد العلماء، وحمل حملة شعواء على الحكومة حينما رفعت مرة سعر «الشيكولاته» قائلا: «قد تضطرنا الظروف الى توزيع الخبز بالبطاقات، ونحن نقبل ذلك عن طيب خاطر، وقد تسن الحكومة بعض القوانين التى قد تحد من حريتنا، ونحن نقبل ذلك راضين، لكننا نثور ونرفض أي قيد ضد سعادة الاطفال ورفاهيتهم».

■ أما عن نشأة أدب الاطفال الغربى، فان «معجم الادب»(١) الذى أشرف عليه الاستاذ بول فان تيغيم. يرى أن أدب الاطفال لا يشمل سوى ما كتبه الكتاب خصيصا للاطفال ولم يعرف هذا الادب الا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، وان ما كتب قبل ذلك التاريخ لا يعد من ادب الاطفال، وبالرغم من أن ـ شارل بيرو ـ الفرنسى (١٦٢٨ ـ ١٧٠٣) كان قد وضع كتابا معروفا ترجم الى لغات عالمية عدة. وذلك في سنة ١٦٩٤ بعنوان «أقاصيص وحكايات الزمن الماضي»، وكتب الايطالي ـ ج، بازيل ـ (١٥٧٥ - ١٦٣٩) «حكاية الحكايات» الذى يعد مرجعا هاما لمن جاء بعده.

وترى الباحثة ـ ازابيل جان(٢) في كتابها «أدب الطفولة» ان هذا الادب يفترض وجود الطفولة، وان الطفولة لم توجد في ضمير اوروبا في العصور الوسطى وفي العالم الكلاسيكي، وانما ظهرت بعد صيحة ـ جان جاك روسو: «إننا لا نعرف الطفولة» هذه الصيحة التى كانت فجرا لعصر جديد بالنسبة للاطفال، وقد تأثر روسو في آرائه حول تربية الاطفال التي ضمنها كتابه «ايميل» بفكر الفيلسوف الانكليزى «جون لوك» (١٦٣٢- ١٧٠٤) الذى دعا فى كتابه «افكار حول التربية» الى الاهتمام بشخصية الطفل.

وبعد خطوة «روسو» التاريخية، جاء عدد من المشرفين على التربية

والتعليم ليهتمــوا بميدان الاطفـال، ويولــوه قدرا كبــيرا من تفكــيرهــم وابــداعهم. فنجــد فى فرنسـا مدام لويرانس دوبــو (١٧١١ - ١٧٨٠) مربية وقـاصة اصدرت مجلة للاطفال سنة ١٧٥٧. و(مدام دى جينلس) (١٧٤٦-١٨٣٠) مربـية اصــدرت مجمــوعــة من المسرحيات والكتب الخاصة بالاطفال مثل «رسائل خول الـتربية - اسـماء القصر». والاديب ارنـول بيركـان - الـذى اصدر كتاب «صديق الاطفال» وحكايات اخرى. والشاعر - لافونتين - في نظمه للشعر على ألسنة الحيوانات.

■ أما فى انكلترا فاننـا نجـد - ساره فيلدينـك - (١٧١٠-١٧٨٠) مؤلفـة كتـاب «المربية» والمربية - ل. باربولد (١٧٤٣-١٨٨٥) صاحبــة كتـاب «أمسيات الاطفــال» وتـومـاس داى (١٧٤٨-١٧٨٩) صاحــب كتـاب «شانفور دو ميوتن».

وفى المانيا نجد الشاعر - كريستيان فيلكس - في القرن الثامن عشر الذى ألف مجموعة «أشعار اخلاقية وتربوية».

■ لقـد كانت الكتب الخـاصة بأدب الاطفـال في الغـرب متنـوعـة شكـلا ومضمونا، فهي تجمع الشعر والقصة والمسرحية بأنـواعهـا ومواضيعها التى ذكرنـاها سابقا. وفيما يخص الشكل فهي تتــوزع على الكتب المطبـوعـة و«الالبومات» أو الكراسات المصورة. ونذكر ان أول كراسة مصورة ظهرت في نورنـبرغ بألمـانيا سنـة ١٦٥٧ وضعها المفكـر المربي التشيكى - كومينوس - (١٥٩٢-١٦٧٠) ثم «ألبومات الاب كاستور» منذ سنة ١٩٢٧ بفرنسا.

■ ومن مشـاهـير ادبـاء الـطفـولة في الغرب، نجد في فرنسا - شارل بيرو - في القرن الســابع عشر، الذى نظم الحكـايات الشعبية شعرا، واستمدها من الـتراث الشعبي لبلاده «حكايات أمــي وأبي» وجــون فيدن (١٨٢٨-١٩٠٥) صاحــب قصص الخيال العلمي الذى ترجمت أعماله الى معظم اللغات الحية. وفي المانيا نجد الشقيقـين - غريم جاكـوب وفلهلم - الاديبين العالميين اللغويين رائدين في الحكاية الشعبية.

أمـا فى البلدان الاسكنـدنـافية، فهنـاك الدانمركي - هانس كريستيان أنــدرســن (١٨٠٥-١٨٧٥) الــذى اصدر «حكاية للاطفال» سنة ١٨٣٥ و«حكـاية حياتى» سنـة ١٨٥٠. وفي انكلترا يمثـل النـاشر - جون نيوبرى (١٧١٣-١٧٦٧) أب أدب الاطفـال الانــكــليزى صاحــب «لحن الام السـاذجـة» أو «ترانيم المهد»، ونجد أيضــا - الشـاعـر الـرسـام - ادوارد (١٨١٢-١٨٨٨) مؤلف كتاب «الهراء» و- ولـيم بليك (١٧٥٧-١٨٢٧) صاحب أشعــار «أغـاني الـطفـولـة و«أغانى التجربة» و- لويس كارول (١٨٣٢-١٨٩٦) الشــاعـر والنـاشر صاحب «مغـامـرات أوليس في البلاد العجيبـة» التى نقلها كاملة الى اللغة العربية الاستاذ كامل الكيلانى، وفى امـريكـا نجد رواد قصص المغامرات مثل - جيمس كوبر (١٧٨٩-١٨٥١) و - جيمس كاروود (١٨٧٨-١٩٢٧) ولويزا ماى الكوت (١٨٣٢-١٨٨٨).

و - مارى قابس رودج - الـتـى أنشـأت مجلة الاطفال. ونشير الى أن هناك أدباء كبارا غير متخصصين كتبوا





أعلى وأقصى اليسار حرية الاطفال فى تخير ما يقرأون لا تلغى مهمة الاباء فى توجيه هذه الحرية.
أسفل ترى.. هل قامت المدارس بدور فعال فى توجيه أبنائنا نحو القراءة الحرة؟!



مؤلفات للاطفال مثل ليون تولستوى الروسي، ومارسيل ايمي ومارك توين الاميريكيين وخوان رامون خمينى الاسباني(٣).

وبلغ عدد الناشرين لكتب الاطفال في امريكا وحدها ٥٨٩٥ ناشرا في سنة ١٩٦٥، وتنتج اليابان سنويا ما يناهز الخمسة آلاف عنوان، وأن انتاج كتب الاطفال فى المانيا الفيدرالية يساوى مجموع انتاج الكتب المدرسية.

أدب الاطفال العربى:

بلغت نسبة تعداد الاطفال العرب الى مجموع عدد السكان العرب ٤٣٪ بينما بلغت نسبة نفقات الحكومات العربية على هؤلاء ٣ر٠٪ من ميزانياتها، علما بأن عدد سكان الوطن العربى ما يقارب بـ١٤٠ مليون نسمة.

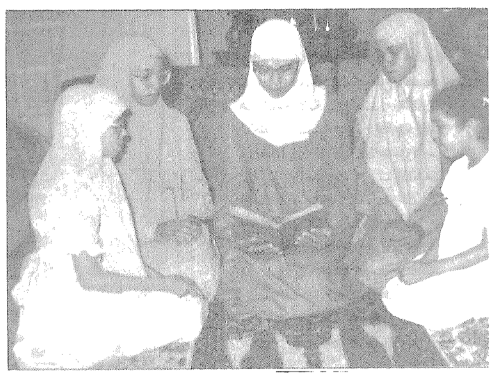
وتشكو المكتبة العربية من فراغ خطير فيما يتعلق بكتب الاطفال ولعل ذلك يرجع الى ظهوره المتأخر من ناحية، والى تأخر العلوم العربية المتصلة بالطفل من علم نفس الطفل من ناحية أخرى. فضلا عن عدم العناية الكافية، ومستوى التطور الاجتماعى والحضارى ككل. ظهر أدب الاطفال العربى نتيجة للاحتكاك بأدب الاطفال الغربي عن طريق الترجمة التى بدأت مع عصر النهضة.

وكان أول من اعتنى عناية شبه رسمية بهذا الادب، وترجم بعض القصص عن اللغة الانكليزية تسمى «حكايات الاطفال»، هو الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى الذى كان مسؤولا عن التعليم في عهد محمد على ثم جاء بعده أحمد شوقي رائدا للقصة الشعرية ومتأثرا في هذا بالشاعر الفرنسى ـ لافونتين ـ فأفرد في الجزء الرابع من «الشوقيات» قسما خاصا «بديوان الاطفال» الذى اشتمل على قصص الحيوان والخرافات والاساطير في قالب شعرى، وهى ذات غرض تعليمي بما فيها من نشر للمبادىء الاخلاقية الاجتماعية.

وبما أن شوقى كان يسلك سبيلا جديدا فقد نجح مرة وأخفق مرات كثيرة لكنه كان مرحلة ضرورية وخطوة أساسية تبعتها خطوات أخرى في محاولات الاستاذ كامل الكيلاني وعثمان جلال وغيرهما. وكان شعر هؤلاء جميعا يهدف الى غاية تعليمية مباشرة أما القفزة النوعية لشعر الاطفال، فقد كانت على يد الشاعر الاستاذ سليمان العيسى فى تجربته الشعرية الطويلة، التى تفرغ اليها أخيرا تفرغا كاملا تقريبا لأدب الاطفال، وللشعر بالتحديد.

■ بدأت مسيرته سنة ١٩٦٧، وظهرت كتاباته أكثر نضجا من حيث موضوعها أو لغتها أو شكلها الفني. ومما ساعده على ذلك نشاط حركة الترجمة في مجال أدب الاطفال على يد هاشم حمادى عن الروسية، وليان ديراني عن التشيكية، وعيسى فتوح عن الانكليزية، وميخائيل عيد عن البلغارية.

وقدم سليمان العيسى مجموعات شعرية كثيرة الى مكتبة الاطفال «ديوان الاطفال» ١٩٦٩، «المستقبل»١٩٦٩، «المتنبي والاطفال»، «غنوا أيها



أعلى القرآن الكريم حوله تلتف هذه البراءة . . انه منهج الحق للخلق. أسفل «نعمان» أحد الشخصيات المحببة للأطفال فى برنامج افتح ياسمسم.

الصغار» ١٩٧٧ ، «القطار الأخضر» ١٩٧٥ ، «أناشيد الصغار» ١٩٧٥ ، «مسرحيات غنائية للاطفال» ١٩٧٣ ، «النهر» ١٩٧٠ ، «الصيف والطلائع» ١٩٧٥ .

■ أما فيما يخص القصة ، فقد كان الاستاذ كامل الكيلانى رائدا لها بمجموعة من القصص الجيدة التى تضمها سلسلة «مكتبة الكيلانى» وفيها قصص مدرسية وعلمية وفكاهية وعربية وهندية ، وشعوب العالم ومشاهير العرب ، وأساطير العالم» .

يأتى مع الكيلاني جيل من كتاب القصة يتراوح فى المستوى الفنى تبعا لتجربته فى ممارسة الكتابة الادبية للاطفال مثل محمد سعيد العريان ، محمد عطية الابراشى ، فتيحة كنونة ، زكريا تامر ، دلال حاتم ، عبد التواب يوسف ، أيوب منصور .

ويجمل - بيان صفدى - في معالجته النقدية لفنون الكتابة الادبية للاطفال أربع ملاحظات أساسية لقصص الاطفال : امتلاء هذه القصص بحس خرافي ، التوجه الفكرى الضعيف غالبا ، السردية المملة التى تقيم وزنا للحجم والدقة في الكلام ، عدم مراعاة الاسلوب الواضح .

يبقى مجال الدراسة خصبا ، والأفق النقدى متسعا لتناول أدب الاطفال العربى ، مع هذا العدد المتضاعف باستمرار في الاسماء والعناوين ، فى الكتاب والكتب ، وهذا يستلزم دراسة احصائية نقدية تفصيلية تبحث فى المسار العام «التاريخى» ، لتستخلص خصائصه النوعية ، وتكشف عن آفاق جديدة لتطويره .

وفى آخر الأمر يجب أن نلاحظ ، ونلح فى الوقوف عند هذه الملاحظة وقفة الواعي المدقق ، الناظر المتفحص ، الناقد المفكر . كتب أدب الاطفال الغربي اعتمادا على فلسفة حضارية ومن خلال منظور خاص ، استنادا الى خلفية تاريخية «التراث» بمعنى آخر يملك عناصر نظرية لأدب الاطفال تعصمه - على الأقل - من الانزلاق فيما تأباه طبيعة النظرية الادبية الغربية .

■ وما أحوجنا الى أدب الاطفال العربى الذى يقوم على أسس صحيحة ، ومقومات حضارتنا الحقيقية ، وركائز مجتمعنا الاصيلة ، ولنا فى تراجم الابطال ، وقصص التاريخ وأمجاد الماضي ، وقيم ديننا ومجتمعنا وحضارتنا ، ما يكفي لتشكيل مادة أدبية للاطفال ، تجعل منهم أساتذة ورجالا كبارا ينجزون مشروع الأمل ، مشروع الأمة والحضارة والمستقبل .

المراجع

(١) معجم الآداب - باريس ١٩٦٨

(٢) ازابيل جان استاذة أدب الاطفال في جامعة باريس .

(٣) راجع «أدب الطفولة» ازابيل جان ، سلسلة طفولة سعيدة - بلريس ١٩٦٩ - مدخل الى أدب الطفولة في الغرب - محمد العربي الخطابي . مجلة «الدوحة» ع ٤٥ - الدوحة ١٩٧٩

(٤) منظمة اليونسكو - نشرة اعلامية ١٩٧٧ . راجع «أدب الاطفال» د . عبد الرزاق جعفر - منشورات اتحاد الكتاب العربي - دمشق ١٩٧٩ .



جائزة الملك فيصل العالمية.. وأدب الأطفال

جلالة المغفور له الملك الراحل فيصل بن عبد العزيز

الاطفـال . . أمـل الغـد فى كل المجتمعات، والاهتمام بهم وحسن تربيتهم ورعـايتهم ـ إضافة الى إشباع رغبة الأبوه والأمومة ـ يعد سمة حضارية، وثقافية . . وتنموية . . لا سيما ونحن نصارع الآن فى كل الميادين والاتجاهات من اجل التنمية البشرية . . فهى العمـود الفقري في كل مناحي التنمية المرجوة . .

اذن الاهتمام بالطفولة هو اهتمام بأجيال مستقبل لا نعلم من خطوطه العـريضة وسماته العامة إلا القليل، مما يجعلنا اكثر حرصاً على انتقاء أفضل سبل التربية .

واذا كان الطفل قديمـاً تعتمد تنشئته الأولى على الوالدين والجدة، وإلى حد ما المجتمـع، فان الـطفل فى هذه الايام قد تناولت تربيته عدة مؤسسات قد تكون إلى حد كبير قد سحبت البساط من وسائط الـتربية الأولية . . ويأتى فى مقـدمـة هذه الأشياء المختـرعات التكنولوجية الحديثة، وبـرامـج الاطفـال، والكتب والمجـلات المتخصصة فى هذا المجال .

ولقـد سبقنـا العـالم الغـربى فى هذا المجـال إذ انشئت أول جائـزة فى أدب الاطفـال فى عام ١٩٢٢م وهى جائـزة (بيوفـاري) فى امريكا ثم جائزة اندرسون العالمية فى عام ١٩٥٦م .

وفى عام ١٩٦٢م جاءت جائزة الدولة التشجيعية فى ادب الأطفال فى مصر لتضع اللبنة الأولى فى هذا التوجه والاهتمام بأدب الطفل وكان المرحوم محمد سعيد العريان هو أول من فاز بهذه الجائزة . . وتأتى جائزة الملك فيصل العالمية لعام ١٤١١هـ فى فرع الأدب العربى (أدب الطفل) لتمثل تتويجاً رائعـاً وحضارياً لكل الجهود القيمة التى بذلت فى هذا الميدان . .

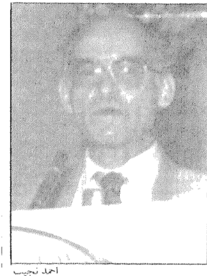
وقـد فاز بهذه الجـائزة فى فرع الأدب ثلاثة من أصحاب التوجه الخاص فى أدب الاطفـال هم: الاستـاذ على عبـد القادر الصقـلى (مغـربى) الاستـاذ احمد محمود نجيب (مصري) الاستـاذ عبد التـواب يوسف احمد يوسف (مصرى).

واشارة لما قدموا من انتاج رائع، وجهد متـواصـل فى أدب الاطفال، يسعدنا ان نقدم هنا نبذة مختصرة عن كل واحد منهم .

■ **الاستاذ على عبد القادر الصقلى:**

- من مواليد مدينة فاس بالمملكة المغربية ١٩٣٢م
- عمل أستاذا فى جامعة القرويين عام ١٩٥١م
- عمل مستشارا ثقافيا فى عدة سفارات للمغرب
- فى ١٩٥٤ عين استـاذا بكلية الآداب بالـرباط . . وعمل مفتشا تربويا، وعمل رئيسا لخلية اللغة العربية العاملة فى تأليف الكتب المدرسية .
- مثل المملكة المغربية وشارك فى العديد من المؤتمرات التربوية والمهرجانات الثقافية .


علي الصقلي


أحمد نجيب


عبد التواب يوسف

ـ عمل خبيراً فى شئون أدب الاطفال، وساهم بالكتابة فى العديد من المؤسسات والمنظمات التربوية المتخصصة.
ـ حصل على جائزة المغرب الكبرى. .
ـ حصل على الدكتوراة الفخرية من المهرجان العالمى للشعر الذى عقد فى مراكش.

■ الاستاذ أحمد محمود نجيب:

ـ من مواليد الجيزة فى (جمهورية مصر العربية) فى ١٩٢٨م
ـ حصل على ماجستير فى الآداب ـ جامعة القاهرة ـ دراسة (ديموغرافية فى التخطيط البشري)
ـ شهادة اكاديمية العلوم التربوية الالمانية.
ـ شهادة المعهد الدولي للتخطيط التربوي ـ فرنسا
ـ جائزة الدولة فى أدب الاطفال ١٩٧٢م
ـ وسام العلوم والفنون الطبقة الاولى ١٩٧٣
ـ عمل مديرا لمركز أدب الاطفال فى القاهرة.
ـ يعمل حاليا أستاذ مواد (كتب الاطفال) و(ثقافة الطفل)
فى: جامعة القاهرة ـ طنطا ـ كلية التربية النوعية ـ الاسكندرية.
ـ كلية التربية النوعية العباسية.
ـ عضو لجنة ثقافة ادب الطفل بالمجلس الاعلى للثقافة بالقاهرة
ـ مدير تحرير مجلة (المختار للصغار) التى يصدرها المجلس العربى للطفولة والتنمية.
ـ ألف حوالى (٣٠٠) كتاب للأطفال. . أحد هذه الكتب طبع منه تسعة ملايين نسخة.
ـ مشرف على (دائرة معارف مصر للاطفال ـ مصر ام الدنيا) التى صدر منها ٩٢ كتابا والتى قال عنها د. عبد العظيم رمضان فى احدى المقالات «انها عمل علمى هام وسلسلة نفيسة هى احسن ما صدر من نوعها فى نصف القرن الاخير فى مصر».
ـ مشرف على سلسلة «قصص عالمية للاطفال» التى تصدر في جنيف ـ مدريد ـ باريس ـ الدار البيضاء ـ بيروت ـ القاهرة.
ـ مشرف على (المشروع القومى لكتب الاطفال) الذى تسهم فيه وزارتا الاعلام والثقافة ودار المعارف وقد صدر منه الجزء الاول من (موسوعة مصر للاطفال) كطليعة لاعمال هذا المشروع القومي.
ـ رئيس تحرير (دائرة المعارف المصورة للاطفال) التى هى حاليا تحت الطبع ويصدرها المجلس الاعلى للثقافة بالاشتراك مع الهيئة المصرية العامة للكتاب.
ـ قام بالاشراف على اعداد موسوعة عن كتب الاطفال فى مصر والعالم العربى فى الـ ١٠٠ سنة الماضية بالاشتراك مع المعنين بأدب الاطفال فى مختلف البلاد العربية بمناسبة العيد السبعينى لكتب الاطفال العربية (يجرى حاليا طبعها فى مطابع الاهرام على نفقة وزارة الاعلام المصرية الهيئة العامة للاستعلامات)
ـ له عشرات البحوث والدراسات فى عشرات الندوات والمؤتمرات المحلية والدولية فى مجال ثقافة الاطفال وأدب الاطفال.

الاستاذ عبد التواب يوسف:

ـ من مواليد مصر ١٩٢٨م
ـ تخرج فى جامعة القاهرة (قسم العلوم السياسية ـ كلية التجارة) ١٩٤٩م
ـ قدم آلاف البرامج الاذاعية والتلفزيونية للأطفال على مستوى العالم العربى
ـ ألف للاطفال ما يقرب من مئتى كتاب طبع منها نحو ٢٠ مليون نسخة.
ـ أنشأ جمعية ثقافة الاطفال واصبح عضوا بلجنة ثقافة الطفل بالمجلس الاعلى للثقافة منذ انشائها والى اليوم وعضو مجلس ادارة اتحاد كتاب مصر منتخب على مدى ٨ سنوات.
ـ صاحب فكرة اصدار اول مجلة اسلامية للاطفال (الفردوس) وتصدر بمقال شهري له منذ عام ١٩٦٩م والى اليوم.
ـ اقام اول مؤتمر لثقافة الطفل (مارس ١٩٧٠م) وكان مقررا له، وحضر منذ ذلك

نحو خمسين مؤتمرا وندوة وحلقة بحث حول ثقافة الاطفال وأدبهم، كان مقررا لاغلبها وشارك فى كل مرة بدراسة او بحث حول ادب الاطفال وثقافتهم.

- سافر فى بعثة خاصة بثقافة الاطفال عام (١٩٧٠م) الى انجلترا والقى محاضرات فى جامعة او هايو (عام ١٩٨٥) عن الادب الشعبى العربى واستخدامه فى الكتابة للاطفال.

- مستشار الهيئة المصرية العامة للكتاب (كتب الاطفال)

- تعاون مع مكتب التربية العربى لدول الخليج ومركز ابحاث الملك فيصل (بالرياض) ومركز التراث لدول الخليج العربية (الدوحة)

- مستشار دار ثقافة الاطفال (بغداد - العراق)

- خبير هيئة اليونسكو العالمية فى قطر عام ٨٠.

- خبير هيئة اليونسكو العالمية فى قطر عام ٨٣ مسرح الطفل.

- خبير هيئة اليونسكو العالمية فى قطر عام ٨٥ التقنيات التربوية - التلفزيون التعليمى.

● **الجوائز والمنح.**

- جائزة الدولة التشجيعية فى ادب الأطفال عام ١٩٧٥م مع وسام العلوم والفنون من الطبقة الاولى.

- جائزة الدولة التشجيعية فى ثقافة الاطفال عام ١٩٨١م مع وسام الجمهورية من الطبقة الثانية.

- جائزة اليونسكو العالمية فى محو الامية عام ١٩٧٥م

- الميدالية الذهبية من اتحاد الاذاعات العربية عام ١٩٧٩م.

- وسام العطاء الذهبى (وزارة التربية - مصر) عام ١٩٨٠م

- درع الاذاعة على اعماله المتميزة للاطفال عام ١٩٨٤م

- جائزة مجلة الرائد (الكويت) عن احسن بحث عن قصص رياض الاطفال ١٩٧٨م

- جائزة ادارة رياض الاطفال بالكويت عن كتاب (اصحاب الفيل) ١٩٧٤م.

- شهادة تقدير على ورق البردى عن برامجه للاطفال فى الاذاعة والتلفزيون ١٩٨٥م.

- شهادات تقدير وميداليات من (وزارة التربية - مصر) اذاعة الكويت ادارة الثقافة - الشارقة دار ثقافة الاطفال - بغداد .. الخ.

- منحة تفرغ من الدولة للكتابة للاطفال لمدة عشر سنوات كاملة (١٩٧٦-١٩٨٥م)



المعروف عن الهند والسند أنها بلاد الساري والكاري والطقس المداري، موطن الببر والمهراجا والسحر والافيال بلاد المهاتما غاندي التى تمثل مزيجا عجيبا من الاجناس والثقافات والالوان واللغات والطقوس المتباينة العريقة والطارئة، ورغم الدراسات المستفيضة الا أن هناك الكثير والكثير الذى يستدعي البحث والتنقيب.

وعلاقة الهند بالاسلام والمسلمين علاقة تليدة منذ فجر الاسلام وقد أدى ذلك الى اهتمام الهنود المسلمين باللغة العربية ومتعلقاتها فهى تعتبر القاعدة التعبيرية لتعاليم الاسلام، وحرص المسلمين على العربية واهتمامهم بها، أدى الى اهتمامهم بجمالية الحرف العربى.. ومن هنا كان الحرف العربى ـ بكل متعلقاته الجمالية ـ ينتشر مع تعاليم الاسلام مما جعله موضع عناية فائقة فى كل الرقعة التى عرفت الاسلام ودانت به.

الخطوط العربية في الهند وتطوراتها الفنية

ادت الهند والبنغال دورا هاما فى استخدام الخطوط العربية وتطويرها كما ساهمت فى كتابة المخطوطات وتوضيحها فى أصالة تامة.

بقلم: د. محمد يوسف صديق
قسم الفنون الجميلة (جامعة هارفارد)

● اللوحة رقم (١) نقش مسجد أدنية فى البنغال.

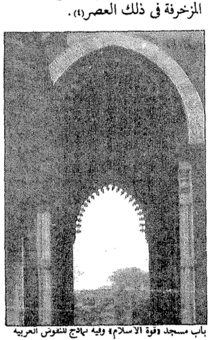
إن الخطوط العربية لها جذور قديمة فى الهند حيث إن استخدامها بدأ منذ الفتح الاسلامى للسند فى نهاية القرن الأول الهجرى (٨٩هـ/٧٠٨م).

فإن أول نقش عربى عثر عليه فى الهند هو نقش المسجد «الجامع فى بنبهور» فى السند. وهو يؤرخ ١٠٩هـ (٧٢٧-٧٢٨م) الأمر الذى يجعله من أقدم النماذج الخطية العربية على الأحجار فى العصور الاسلامية(١). وهذه اللوحة الكتابية التى كتبت بالخط الكوفى خالية من الشكل والاعجام، ولكنها كتبت بخط جميل واضح وناضج، الأمر الذى يدل على تطور الكتابة العربية فى هذه المنطقة فى هذا الوقت المبكر. وعلى الرغم من أهمية هذا النقش باعتباره من أقدم نماذج الخط العربى فى الهند، فانه لم يحظ باهتمام العلماء والباحثين فى العالم العربى.

وبالرغم من أن رحلة الخط العربى فى بلاد الهند بدأت مع الخط الكوفى كما لاحظنا فى نقش بنبهور، فان هذا الخط اليابس الجامد لم يستخدمه النقاشون كثيرا فى هذه البلاد. لذلك بدأ يختفى قبل أن يخضع معظم أقاليم الهند لحكم المسلمين فى الفترات التالية فى بداية القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى).

ومن النادر أن نعثر على نماذج كثيرة من هذا الخط، ولذلك فانه ليس لدينا معلومات كافية عن مدى تطوره فى هذه البلاد فى هذه الفترة.

■ ومن النماذج النادرة للخط الكوفى فى الهند نقش هوند (Hund) (٢) المؤرخ سنة ٤٨٢هـ/ ١٠٩٠م، والذى كتب فى عهد الغزنويين، وقد عثر على بعض النقوش أيضا مكتوبة بالخط الكوفى فى مقاطعة كجها بولاية كجرات، وفى مسجد «قوة الاسلام» بدلهى وكذلك فى مسجد «أرهائى دن كاجهونيرا» فى أجمير، وفى ضريح السلطان غورى بمانكهبور بجوار دلهى، وضريح السلطان التتمش بدلهى(٣). وعثر على بعض النقوش بالخط الكوفى أيضا فى نراول بمقاطعة مهندر غره، وفى سونيبيت وجام نكر فى منطقة كجرات. ومعظم هذه النقوش ترجع الى القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادى فى أوائل فترة السلاطين المماليك بدلهى، وتمثل مختلف أنواع الخطوط الكوفية مثل الكوفى البسيط والمورق والمزهر. ولا شك أن بعض هذه النقوش التى وجدت فى أجمير ودلهى تعتبر من أروع النماذج الكوفية المزخرفة فى ذلك العصر(٤).



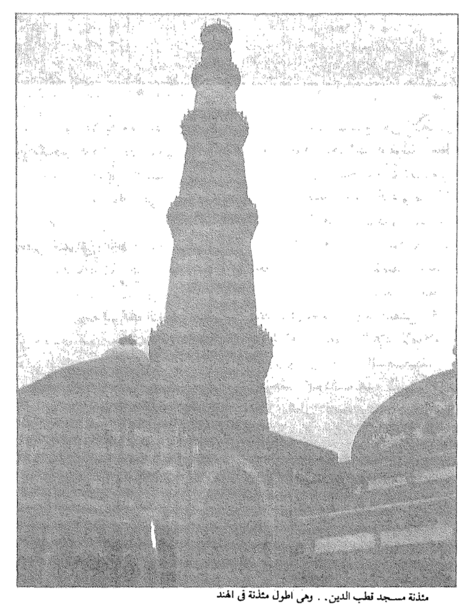
باب مسجد «قوة الاسلام» وفيه نماذج للنقوش العربية

■ أما فى المناطق الشرقية للهند مثل البنغال، فلم يعثر الا على نقش واحد بالخط الكوفى. وهذا النقش موجود فى مسجد أدينه فى مدينة بندوه الأثرية، والنقش يحتوى على سطرين رئيسيين بخط الثلث، بينما الكتابات الكوفية نقشت بحجم صغير على الاطار الأعلى فوق الكتابات المنقوشة بخط الثلث كأنها استخدمت لغرض الزخرفة فقط. وعلى الرغم من أن الكتابات الكوفية لم تؤد دورا رئيسا فى هذا النقش، فانها تمثل نموذجا رائعا للخط الكوفى فى هذه المنطقة. وتجدر الاشارة الى أن ظاهرة استخدام خطين مختلفين كما وجدنا فى هذا النقش، كان أمرا شائعا فى بعض البلاد الاسلامية الأخرى فى تلك العصور. (اللوحة: ١) وكانت هذه الفترة(٥) فترة انتشار لخطى النسخ والثلث وسيادتها على حساب الخط الكوفى فى جميع أنحاء العالم الاسلامى تقريبا، الأمر الذى نلاحظه فى الهند الاسلامية أيضا. وعلى الرغم من استخدام الخط الكوفى فى بلاد الهند فى بداية الأمر بشكل ضئيل، فانه لم ينتشر بشكل عام، بل سرعان ما ساد فى البلاد استخدام كل من خطى النسخ والثلث خاصة فى مجال النقوش. ولم يستخدم الخط الكوفى فيما بعد الا فى حالات نادرة وذلك لكتابة عناوين سور المصاحف والنقود على سبيل المثال.

■ ومن النماذج النادرة لهذا الخط فى نقوش العصور المتأخرة، نقش شاه أرجون (المؤرخ سنة ٩٣٨هـ/ ٣١-١٥٣٢م) والذى عثر عليه فى (سهوان) بمنطقة السند، وهو محفوظ الآن فى المتحف الوطنى بكراتشى وأجزاؤه الرئيسية كتبت بخط النستعليق.

الخط النسخى:

أما الخط النسخى، فكما أشرنا سابقا فقد ساد البلاد منذ أن بدأ حكم



مئذنة مسجد قطب الدين.. وهى اطول مئذنة فى الهند

المسلمين فى الهند بشكل مستقر ودائم، وذلك فى سنة ٥٩١هـ/١١٩٤م عندما فتح قطب الدين أيبك وسط الهند وشرقها لأول مرة، واتخذ من دلهى عاصمة للبلاد. وقد انتشر قبل ذلك الخط النسخى فى أفغانستان وخراسان، وهى المناطق التى كانت تأتى منها جيوش المسلمين ليفتحوا بلاد الهند. وقد عثر على بعض القطع الحجرية المنقوشة بالخط النسخى عليها اسم السلطان مسعود الثالث(٦) فى مدينة غزنة عاصمة السلاطين الغزنويين فى أفغانستان(٧).

ويمكن أن نستنتج من ذلك أن هذا الخط انتشر فى الهند عن طريق أفغانستان مع الفتح الاسلامى لدلهى فى أيام الغوريين فى بداية القرن السابع الهجرى. وبدأ يحتل الخط النسخى مكانا هاما فى جميع الميادين فكان يستخدم فى المعاملات اليومية وتدوين أحكام وقوانين الحكومة، وكتابة المخطوطات والكتب الدراسية والمسكوكات وغيرها.

ونلاحظ أيضا أن المناطق الشرقية البعيدة مثل البنغال التى فتحها المسلمون فى بداية القرن السابع الهجرى اتجهت الى استخدام الخط النسخى فى بداية الأمر. فنلاحظ فى النقش العربى الأول فى البنغال الذى عثر عليه فى ضريح سيان فى بولپور بمقاطعة بيربهوم والمؤرخ سنة ٦١٨هـ/١٢٢١م(٨) أنه يشبه الخط النسخى أكثر من الخطوط الأخرى، ولو أن هناك قليلا من الشبه فى بعض حروفه مع كل من خطى الثلث والرقاع. والحق أن هناك عددا كبيرا من النقوش العربية عثر عليها فى البنغال وكتبت بالخط النسخى. وكان هذا الخط أكثر استخداما فى كتابة المخطوطات والكتب الدراسية والمعاملات اليومية وغيرها.

ولا تزال بعض المخطوطات المكتوبة بالخط النسخى والتى دونت فى عصر السلاطين فى البنغال محفوظة فى المتاحف المختلفة. ومن هذه المخطوطات مخطوطة (حوض الحياة)، وهى ترجمة لكتاب سنسكريتى «أمرت كند» ونقله الى اللغة العربية القاضى ركن الدين السمرقندى فى أيام علاء الدين على مردان خلجى بمدينة لكهنوتى. كذلك هناك قاموس فارسى باسم (فرهنك ابراهيمى) الذى عرف أيضا باسم «شرفنامه» والذى كتبه ابراهيم قوان فاروقى فى عهد ركن الدنيا والدين باربكشاه سلطان البنغال(٩).

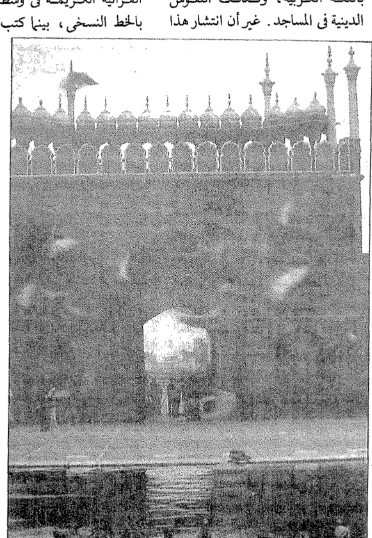
وفى فهرس المخطوطات العربية والفارسية لمكتبة خدا بخش الشرقية العامة فى بانكيپور (Khuda Baksh Oriental Library of Bankipur) نجد مخطوطة صحيح البخارى فى ثلاثة مجلدات قام بنسخها محمد بن يزدان بخش فى قلعة اكدالا فى عهد السلطان حسين شاه فى البنغال(١٠) وجميع هذه المخطوطات كانت بالخط النسخى. وكذلك نرى أن البنغال كان لها دور كبير فى كتابة المخطوطات الموضحة بالرسوم الملونة. ولكن مع الأسف الشديد، لم يبق منها الا عدد قليل يرجع الى الفترة السلطانية.

■ ومن أروع نماذج هذه المخطوطات الموضحة مخطوطة «اسكندر نامة»(١١)

باللغة الفارسية، وقد كتبت فى عهد السلطان نصرت شاه، وهى محفوظة الآن فى المتحف البريطانى بلندن وتحتوى هذه المخطوطة على قصة خيالية حول الاسكندر الأكبر وهى تمثل نموذجا فريدا للخط النسخى فى هذه الفترة(١٢).

■ وقد تحدثنا عن تطور الخط النسخى، واستخدامه فى الهند بصفة عامة وفى منطقة البنغال بصفة خاصة فى عصر السلاطين قبل قدوم المغول. أما بعد استقرار حكم المغول فى الهند، فقد استمر استخدام هذا الخط فى مجالات عديدة، خاصة فى كتابة المصاحف والأحاديث والمخطوطات الدينية التى كانت تكتب باللغة العربية، وكذلك النقوش الدينية فى المساجد. غير أن انتشار هذا الخط بدأ يقل حيث أخذ خط النستعليق يحتل مكانه كخط رئيسى فى المكاتبات الرسمية، وفى كتابة اللغة الفارسية، وفى مجالات أخرى.

■ ومن الملاحظ - فى بعض الحالات - أن بعض الكتب الدينية المكتوبة باللغتين العربية والفارسية كان الخطاط، يكتب النص العربى فيها بالخط النسخى بينما كان يكتب شرحه والتعليق عليه باللغة الفارسية فى الحواشى وجانبى الصفحة بخط النستعليق. ومن الأمثلة على ذلك، نسخة مصحف كتبت فى القرن الحادى عشر الهجرى (السابع عشر الميلادى) فى العصر المغولى(١٣)، ونلاحظ أن النساخ كتب الآيات القرآنية الكريمة فى وسط الصفحة بالخط النسخى، بينما كتب الحواشى باللغة الفارسية فى جانبى الصفحة بخط النستعليق(١٤) ولا تزال هذه الظاهرة متبعة فى شبه القارة الهندية اذ أن الكتب الدينية تكتب نصوصها العربية بالخط النسخى بينما الحواشى والشروح المكتوبة باللغة الفارسية أو الأردية أو باحدى اللغات المحلية فإنها تكتب بخط النستعليق، حتى يستطيع القارىء أن يميز النصوص الأصلية عن الحواشى بيسر وسهولة. ومن النماذج الرائعة للخط النسخى فى هذه الفترة (المغولية) مصحف محفوظ فى المتحف الوطنى ببنغلاديش بدهاكا ويرجع الى القرن الحادى عشر الهجرى/ السابع عشر الميلادى(١٥).

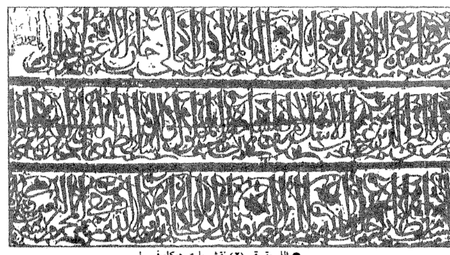


مسجد جامعة بالقبب الاسلامية

خط الثلث:

ومن الخطوط العربية الرئيسية التى استخدمت فى الهند خط الثلث الذى له جذور قديمة وعريقة فى هذه البلاد مثل الخط النسخى. والواقع أن خط الثلث له قواعده وأصوله التى لا تختلف كثيرا عن الخط النسخى، وكلا الخطين استخدما فى الهند فى وقت معاصر تقريبا، اذ أننا نجد الكثير من النقوش فى عهد المماليك كتبت بهذا الخط. ويمتاز خط الثلث بسماكة حروفه فى النقوش المبكرة التى نجدها فى العمائر مثل «قطب منار» ومسجد «قوة الاسلام» بدلهى(١٦) ومسجد أرهائى دن كاجهونيرا «فى اجمير» وبعضها تعتبر من النماذج الجميلة لكتابة الثلث فى أوائل العصر الاسلامى فى الهند(١٧).

■ وكان خط الثلث أكثر استخداما بين الفنانين فى شرق الهند منذ قدوم المسلمين فى هذه المناطق فنقش بارى دركاه فى بهار المؤرخ سنة ٦٤٠هـ/١٢٤٢م، والذى يعتبر ثانى أقدم النقوش العربية فى شرق الهند،



● اللوحة رقم (٢) نقش باري دركاه في بهار.

كتب بخط الثلث الجلي على أرضية من الزخارف النباتية. وهناك عدد كبير من النقوش العربية في بلاد البنغال كتبت بخط الثلث وترجع الى ما قبل عصر المغوليين. ولا نبالغ اذا قلنا إن هذا الخط يحتل الدرجة الثانية بين الخطوط العربية المستخدمة في هذا العصر(١٨).

كما هو معروف فإن من ميزات هذا الخط الميل في حروفه مما يميزه عن الخطوط الأخرى. غير أننا نلاحظ في كثير من النقوش أن هذا الميل في حروف الكتابات بخط الثلث لم يتضح بالقدر الذي يمكننا أن نميزه عن الخط النسخي، فتشابه الخطان، حتى أن كثيرا من العلماء لم يفرقوا بينهما في نقوش البنغال، واعتبروا معظم الكتابات بخط الثلث من الخط النسخي وعلى سبيل المثال فان المؤلف مولوى شمس الدين لم يذكر في كتابه Inscriptions of Bengal) (١٩) نموذجا واحدا بخط الثلث حيث إنه لم يميزه عن الخط النسخي.

■ وعلى كل حال فإن خط الثلث استمر مستخدما في أيام المغول في البنغال، ومناطق أخرى في الهند. وكان يستخدم في أغلب الأحيان لكتابة النصوص العربية مثل الخط النسخي. ومن أروع نماذج النقوش الكتابية بهذا الخط في هذه الفترة نقش براكاترا في مدينة دهاكا بالبنغال المؤرخ سنة ١٠٥٥هـ/ ١٦٤٥م الذى كتب بعناية ودقة يلحظها الناظر لأول وهلة (اللوحة: ٣). وهناك نماذج عديدة أخرى لاستخدام هذا الخط في اللوحات الحجرية في هذا العصر.

خط النستعليق:

ومن الخطوط الرئيسية في الهند خط النستعليق الذى استخدم في هذه البلاد في وقت متأخر نسبيا. وعلى الرغم من أن هذا الخط تطور وشاع في الهند بعد قدوم المغول، ولكن أغلب الظن أن فناني الهند قد تعرفوا عليه قبل المغول. وكان هذا الخط قد وصل الى منتهى الجودة والجمال على أيدى الفنانين الايرانيين في القرنين الثامن والتاسع الهجريين، وكان من أشهر هؤلاء الخطاطين سلطان على مشهدى ومحمد على اللذان عاشا في مدينة هرات. ومن الطريف أن بعض أعمالهم وصلت الى بلاد البنغال(٢٠) ولا يزال المتحف الوطني ببنغلاديش يحتفظ بنسخة من «شرح رباعيات» نسخها سلطان على مشهدى في عام ٨٨٢هـ/ ١٤٧٨-٧٧م بخط النستعليق، ويحتفظ هذا المتحف أيضا ببعض أوراق من مخطوطة «مخزن الأسرار» التى نسخها وزينها بالألوان الفنان محمد على.

■ ومن أوائل الأمثلة لاستخدام خط النستعليق في فترة ما قبل العصر المغولى نقش ناكور بمقاطعة راجستهان المؤرخ سنة ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م وكذلك نقش سونايت بمقاطعة هريانة المؤرخ سنة ٨٨٩هـ/ ٨٦-١٤٨٥م، وهما يعتبران من أقدم نماذج النستعليق في نقوش الهند. وفي نفس هذه الفترة استخدم هذا الخط في كتابة المخطوطات. فمكتبة جامعة ادنبره تحتفظ بمخطوط من الانجيل كتب في الهند باللغة الفارسية بخط النستعليق ويؤرخ سنة ٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م(٢١) وكذلك تحتفظ المكتبة الوطنية .Bibliotheque Nati on al (٢٢) بمدينة باريس بنسخة مخطوطة من كتاب: «تاج المعاصر» نسخت في الهند سنة ٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م، وأيضا نسخة كلستان وبوستان (وهى بستان باللغة العربية) لسعدى الشيرازى التى نسخت في مدينة سورت بالهند في سنة ٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م(٢٣).

■ ومن أروع أمثلة النقوش الكتابية المبكرة بهذا الخط في منطقة السند نقش شاه حسن أرجون المؤرخ سنة ٩٣٨هـ/ ٣٢-١٥٣١م، والذى عثر عليه في مدينة سهوان في السند، وهو محفوظ الآن في المتحف الوطنى بكراتشى. وتوجد في وسط هذا النقش، ثلاث كلمات بالخط الكوفى، والحق أن خط النستعليق في هذه الكتابات وصل الى منتهى الجودة والاتقان، فنسب الحروف متوازنة وناضجة، فلم تمد فيها ولم تقصر أكثر من اللازم، كما تمتاز هذه اللوحة بكثرة الزخارف النباتية التى تملأ الاطارات(٢٤).

الهوامش

(١) Mustafizur Rahman, Islamic Calligraphy, (Dhaka:1979), Pl

(٢) Ibid, pp 23 - 24.

(٣) Ibid, pp 23 - 24.

(٤) Annemarie Schimmel, Islamic Calligraphy, (Leiden: E.J. Brill 1970) Plate X (a, b, c) p 22

(٥) اى القرن السابع والثامن الهجريين/ الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين.

(٦) كان من أسرة السلطان محمود الغزنوي.

(٧) Mustafizur Rahman, Islamic Calligraphy, p 24.

(٨) Dr. Z.A. Desai, An Early Thirteenth Century Inscription from West Bengal, E.I.A.P.S.,(1975) PP 6-22.

(٩) A.K.M. Yaqub Ali, A Study of Mural Calligraphy in Bengal, Based on Selected Muslim Epigraphs J.V.R.M., Vol 7 (University of Rajshahi: 1981-82), P 177.

(١٠) Catalogue of Arabic and Persian Manuscripts in the Oriental Public Library of Bankipur, Vol. V, Part 1, No 130-32.

(١١) (Edited by) Robert Skelton and Mark Francis, Arts of Bengal, The Heritage of Bangladesh and Eastern India, (London: Whitechapel Art Gallery 1979) p34.

(١٢) هذه المخطوطة مجلدة، وفي ظهر جلدتها كتبت هذه السطور بالخط النسخي التي تتضمن بعض المعلومات التاريخية وهذا نصها الذي يقرأ لأول مرة:

س ١ - كتب
س ٢ - بأمر السلطان
س ٣ - المعظم المكرم ذي المناقب
س ٤ - السيد (السبعة؟) والمراتب العلية ذي جميع
س ٥ - السعادة حاز من أطاعة فاز ومن بين
س ٦ - الناجي من النار السلطان بن السلطان ناصر الدنيا
س ٧ - والدين ابو المظفر نصر تشاه السلطان بن حسين شاه السلطان
س ٨ - خلد الله ملكه وسلطانه الأولاد في الجنة الى يوم القيامة
س ٩ - اضعف العباد الملتجيء الى حضرت المعبود أحمد
س ١٠ - محمود في عام
س ١١ - ثمان وثلثين وتسعماية
س ١٢ - سنة ٩٣٨

(١٣) Enamul Haque Islamic Art Heritage of Bangladesh, (Dhaka: Bangladesh National Museum, 1983) pp 129-44.

(١٤) هذا المصحف محفوظ في المتحف الوطني ببنغلاديش بدهاكا برقم ٧٢،٨١٤ ومقاسه ما يقرب من ١٠×٦٫٥ بوصه.

(١٥) مقاس هذا المصحف ما يقرب من ٥×٧،٢٥ بوصة ونسخة خواجه شيخ في سنة ١٠٩١هـ/ ١٦٨٠م (رقم التحفة بالمتحف ٢٦٥١).

(١٦) N.M. Ganam, Development of Muslim Calligraphy in India in the Papers Presented in South Asian Workshop on Epigraphy (Mysore: Dept. of Epigraphy, March 25-31, 1985) pp 2-7.

(١٧) من الجدير بالذكر ان بعض هذه الكتابات لم تتضح فيها سمات خط الثلث بقدر ما يلزم الأمر الذي يجعل من الصعب تمييزها عن الخط النسخي.. ومن الملاحظ أيضا أن خط الثلث الذي وجد في قطب منار قد يشبه بعض الكتابات على التحف المعدنية في مصر التي ترجع الى عصر السلطان قلاوون.

(١٨) ومن المعروف أن الخط النسخي يحتل المرتبة الأولى من ناحية عدد النقوش التي كتبت بهذا الخط.

(١٩) Vol IV, (Rajshahi: Varendra Research Museum 1960)

(٢٠) Enamul Haque, Islamic Art in Bangladesh, (Dhaka« Dacca Museum 1978) P19.

(٢١) Mustafizur Rahman, Islamic Calligraphy, p 46. See also Hukk, Ethe and Robertson, A descriptive catalogue of the Arabic and Persian Manuscripts, (Edinburg Univ. Library) No 176.

(٢٢) Mustafizur Rahman, Islamic Calligraphy, p46.

(٢٣) Ibid, p 46

(٢٤) M. Abdul Ghafur: A persian Inscription of Shah Arghun, J.A.S.P., Vol VII N02 (December 1962): 277-88

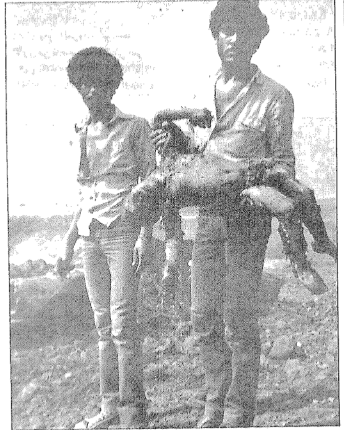
اللوحة رقم (٣) نقش براكاترا في مدينة دهاكا.

يتبع

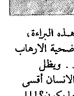
أروقــة منصــوبــة علــى أعمــدة الكلمــة، قوامهــا: الــطرفــة والمــزحــة، المعلومــة والمعــرفــة، المثــل والحكمــة.. أشتــات مجتمعــة تهــش لهــا النفــس وتســتوعبها.

عجائب وغرائب.. من تراثنا

حماد السالمي





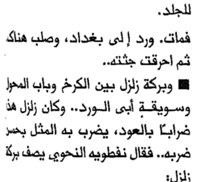


هـذه البراءة، ضحية الارهاب .. ويظل الانسان أقسى ما يكون؟!!!

بين وقت واخر، تتحدث الاخبار عن سفاحين عطاش لدماء البشر.. يتلذذون بقتل الاطفال والعجائز والنساء. واخره سفاح النساء الذى ظهر فى أميركا واستطاع ان يقتل أكثر من ست واربعين امرأة قبل القبض عليه.

ويظن النـاس، ان هذا من الامو التى جدت فى حيـاة النـاس، وما هو بجديد.. لان الحوادث والظواهر، تكرر نفسها فى العادة. ومن ذلك ما جاء فى (البداية والنهاية) لابن كثير.. أنه فى سنــة ٢٥٧هـ، ظفر ببغداد بموضع يقـال له (بركة زلزل)، برجل خناق. قد قتل خلقًا من النساء كان يؤلف المرأة ثم يخنقهـا ويأخذ ما عليها.. فحمل إلى المعتمد فضرب بين يديه بألفى سوط واربــع مئــة، فلم يمت حتى ضرب الجلادون على أنثييه بخشب العقابين.

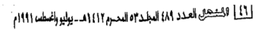
■ (أنثيـاه)، (خصيتـاه).. أما العقابان فهما خشبتان يشبح الرجل بينهما للجلد.

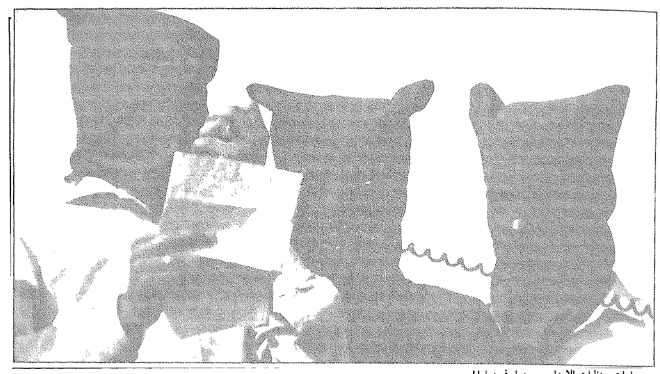


فمات. ورد إلى بغداد، وصلب هناك ثم احرقت جثته..

■ وبركة زلزل بين الكرخ وباب المحول وسـويقـة أبى الـورد.. وكان زلزل هذا ضرابًا بالعود، يضرب به المثل بحسن ضربه.. فقال نفطويه النحوي يصف بركة زلزل:

لو أن زهــيـرا وامـرأ الـقـيس أبـصـرا
ملاحــة ما تحـويــه بركــة زلـز
لمــا وصــفــا سلمــى ولا ام جنــدب
ولا أكــثــر ذكــر الــدخــول وحــومل





جماعات ومنظمات الارهاب . . دمار في دمار!!

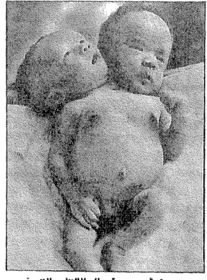
■ ورأيت فى (شذرات الذهب) عند ابن العماد الحنبلي قال: أحضر إلى بين يدى الظاهر، طفل ميت له رأسان واربعة اعين واربعة ايدى واربعة ارجل - وكان ذلك عام ٦٦٢هـ!

■ وهكذا فإن ما نقرأ عنه ونسمع به من وقت لاخر من حوادث شبيهة، إنما هو استمرار لما كان يظهر من بديع صنع الخالق، وحكمته التى لا تحاط ولا تدرك..

وجاء عند ابن العماد أيضاً فى (شذرات الذهب)، أنه فى سنة ٧٩٦هـ سار (تيمورلنك) بنفسه وعساكره إلى تكريت، فحاصرها فى بقية المحرم كله، ودخلها عنوة فى اخر الشهر فقتل صاحبها وبنى من رؤوس القتلى مئذنتين وثلاث قبات، وضرب البلد، واستولى على قلعتها، وهدم على أميرها دارا بعد أن نزل إليه بالامان فمات تحت الردم، ثم أثخن فى قتل الرجال وأسر النساء والاطفال..

■ قلت: سبحان الله كيف أن (تكريت) التى دخلها سفاح قبل ستة قرون، ففعل بها ما فعل، من قتل وتشنيع.. (تكريت) هذه يخرج من بين (جماجمها) سفاح جديد فيأتى من أعمال القتل والتعذيب والتشريد، ما يفوق اجرام القائد التترى (تيمورلنك) ولو جمعت جماجم قتلى سفاح تكريت الحالى لبنت العشرات والمئات من القصور التى يحبها السفاحون.

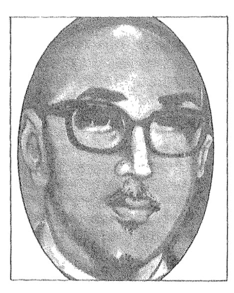




سبحان الخلاق . . توء مان ملتصقان . . وهذا طفل برأسين .

ومن أعجب وأطرف ما قرأت عند ابن إياس فى تاريخه، أنه فى سنة ٣١٠هـ حضر الى مصر من عند صاحب النوبة، هدية للخليفة المقتدر بالله، فمن جملتها، بغلة ومعها فلوها يتبعها ويرضع منها اللبن، وهذا من العجائب.. ومن جملة الهدية غلام زنجى لسانه يصل إلى جبهته..

■ قلت: وفى عصرنا كم من أولئك الذين يملكون ألسنة طويلة، ولو (مجازا) على اعتبار ما يسلقون به خلق الله، من منكور القول، ومستقبح الكلام.



حمـزة شـحاته
بيـن الادب والفلسـفة

مكان الميلاد مكة المكرمة عام ١٣٢٨ للهجرة ١٩١٠ للميلاد.

وفى جدة نشأ وتعلم وحصل على الشهادة الثانوية من مدرسة الفلاح وفى مدرسة الفلاح ظهرت بواكير موهبة حمزة شحاته الادبية واتصل بأستاذه الاديب الراحل محمد حسن عواد.

رحل الى الهند بعد تخرجه من مدرسة الفلاح للعمل.. ووجد فى الهند الفرصة متاحة للاطلاع على قدر من الثقافات الاجنبية المترجمة الى العربية.. واستعان فى اطلاعه أيضاً على اخوانه وأصدقائه المجيدين للانجليزية وبعض اللغات الاسيوية.

وكان لهذا أثر كبير فى تشكيل توهجه الفكرى والفلسفى ظهر بوضوح فى ذلك الوميض الفكرى المتألق وفى طابع أدبه الذى امتزج بالسخرية والفكاهة حينا والشكوى الغاضبة أو تأمل الناس والكون حينا اخر.

ورحل حمزة شحاته مرة اخرى.. وكانت تلك المرة فى مصر حيث عمل محاسباً للبعثات السعودية بمصر انذاك.. وعايش الاديب الفيلسوف الحركة الادبية والثقافية فيها.. وكانت له لقاءات مع الكتاب والنقاد والشعراء.. ورأت بعض أشعاره النور فى بعض الصحف المصرية.. وكان لذلك كله أثر اخر فى توهج أديبنا وشاعرنا وفيلسوفنا حمزة شحاته.

وفى مصر صدر له (شجون لا تنتهى) مجموعة أشعار.. تأتى بعض قصائده متأملة عالم الناس مستبطنة دواخلهم وتظهر فيها الحكمة البالغة.

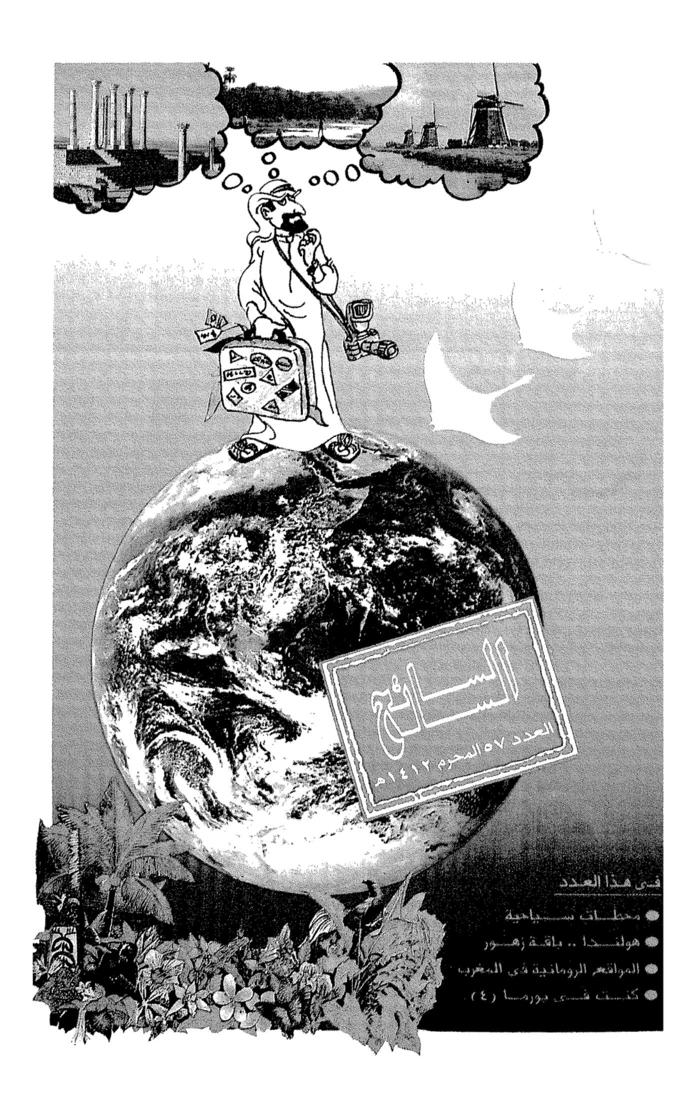
وتمثل توهج حمزة شحاته فى احيائه شعر الهجاء فى الادب المعاصر بعد أن خفت صوت هذا اللون من الشعر. ولعل المعارك التى دارت بينه وبين محمد حسن عواد تذكرنا بنقائض جرير والفرزدق والاخطل.. وتعود بنا الى عمالقة فن النقائض.

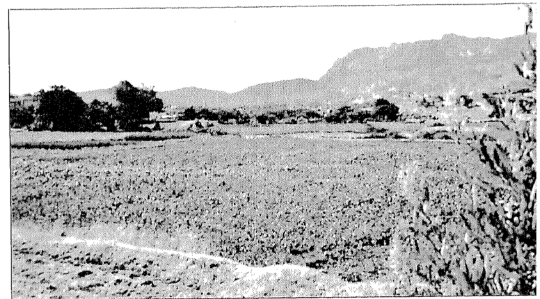
ويأتى شعره الفكه المضحك.. الساخر ليضيف توهجاً اخر الى توهجه.. فها هو يجارى حسين شفيق فى هذا اللون من الشعر وها هو يتفوق فيه ويمتاز.

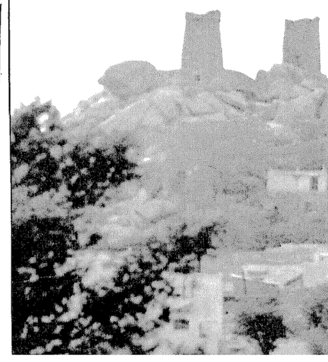
وها هو حمزة شحاته يهتم اهتماماً بالغا ويعنى عناية فائقة بأدب الرسائل فى وقت كاد يختفى فيه هذا اللون من الادب.. إنه يضمن رسائله الى أصدقائه ومضات فكره وفلسفته وآراءه وسخريته.. فيزداد توهجاً وتألقاً.

إن حمزة شحاته رحمه الله الذى كان يحب البعد كل البعد عن الشهرة وتسليط الاضواء على أى عمل يقوم به.. كما تقول عنه ابنته.. (قمة عرفت ولم تكتشف) كما قال عنه عزيز ضياء رفيق مسيرته وصديقه.




السائح
العدد ٥٧ المحرم ١٤١٢هـ
فى هذا العدد
محطات سياحية
هولندا .. باقة زهور
المواقع الرومانية فى المغرب
كنت فى بورما (٤)





الباحة .. أرض الخضرة والتراث.

محطات سياحية

الباحة .. الخضراء

الباحة.. هذه المدينة السياحية الخضراء.. بدأت تزدان لاستقبال روادها من السياح والمواطنين.

وتعد الباحة رائعة من روائع الطبيعة الخلابة، والتراث الشعبى ، وهى تعد متحفا لتراث خالد.

وتعميقا لكل هذا فقد امتدت اليها يد العمران والاصلاح والتحديث ، فكان العناق الحميم بين القديم والجديد .. بين الاصالة والتجديد.

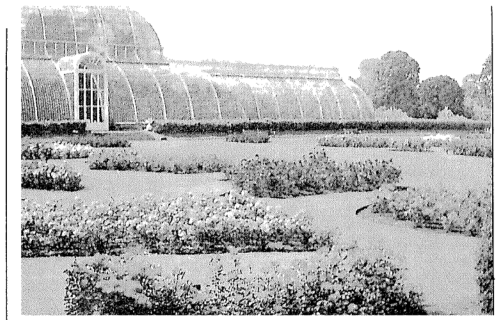
وهذه سمة مناطق المملكة العربية السعودية بعامة.. وما على أبناء هذا الوطن الا ان يكتشفوا بأنفسهم هذه الروائع عند زيارتها.

جدة .. تزدان

ونحن ننتظر الاجازة.. السنوية للمدارس.. بدأت مدينة (جدة) فى الاستعداد لاستقبال السياح ..وقد جرت العادة ان تكون مدينة جدة هى المنفذ السياحى الهام لبعض سكان مناطق المملكة حيث يحرصون على ارتياد شاطئها الساحر واماكن التنزه والسياحة والتسوق العامرة بها.

وفى السنوات الثلاث الاخيرة شهدت عروس البحر (جدة) اقبالا سياحيا لم تشهد مثيلا له من قبل، ورغم وفرة فنادقها وشققها المفروشة إلا ان أزمة حقيقة فى توفير المساكن لضيوف المدينة حدثت برغم كل شيء.. وأحد الحلول السريعة والعملية كانت بسيطة وفعالة، فقد لاحظت امانة المدينة استصحاب كثير من الوافدين للمدينة خيامهم وتجهيزاتهم معهم فسارعت الى تخصيص مساحات كبيرة من الاراضى القريبة من البحر وتنظيفها، وتزويدها بالماء والكهرباء ودورات المياه العامة والممرات والمواقف ثم تأجير المواقع والخيام باسعار رمزية لمن رغب.. فكانت بحق خطة سياحية سهلت الكثير لمرتادى (عروس البحر الاحمر) فيا بلاش!.







جدة .. رائعة البحر، وعبق التاريخ.

حدائق كيو..

زيارتك السياحية الى لندن (عاصمة القباب) لا تكتمل الا عند زيارة هذا المتحف الرائع المسمى حدائق كيو (الحدائق النباتية الملكية) حيث إنها تعد بحق اكبر واهم متحف يضم كل زهور العالم وتقع غرب مدينة لندن.

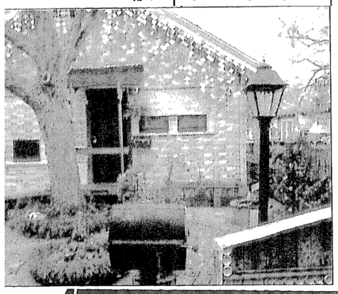
وهذه الحدائق الخضراء كانت فى الماضى ملكا للعائلة البريطانية المالكة، فقد عاش فى القصور المبنية عليها والتى ماتزال قائمة، عدة ملوك بريطانيين

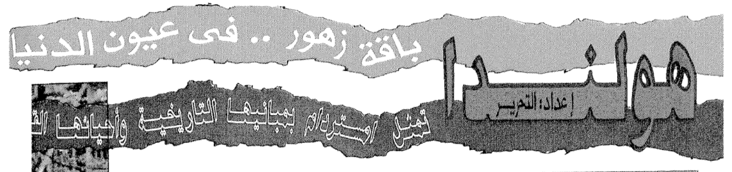
وفى عام ١٧٥٩ قررت (اوغوستا) اميرة ويلز ووالدة الملك جورج الثالث بناء حدائق نباتية على مساحة ثلاثة هيكتارات من تلك الارض وكانت اولى الابنية التى اقيمت على اثر قرار (اوغوستا) هى مبنى تنمية الحمضيات والبرتقال ومبنى (الباغودا).

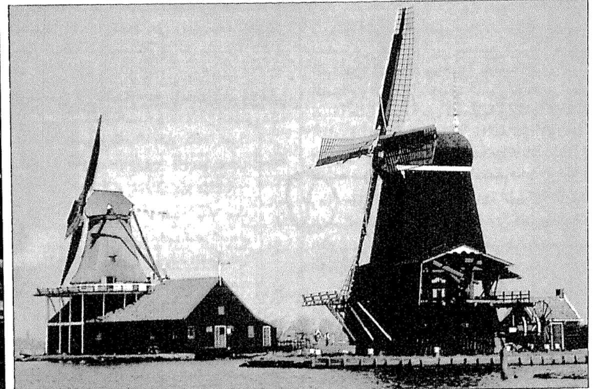
وفى عام ١٧٧٢ ضمت جميع الحدائق الى بعضها وبدأت شهرتها العالمية منذ ذلك التاريخ.. وكان السير (جوزيف بانكس) المشرف غير المعين هو اول من ارسل الشباب من ابناء بلده الى جميع انحاء العالم لجمع النباتات والاشجار والازهار من اجل تربيتها فى حدائق (كيو).

منزل علب الصفيح

قد يكون منزلا من الزجاج او من البلاستيك او من ... ومن ... ولكن ان يكون منزلا من علب الصفيح فهذا هو محل العجب والاستغراب.. وفى مدينة هيوستون قام شخص يدعى (جون ميكوفيتش).. (وكان يهوى المشروبات الغازية بالطبع) بتنفيذ فكرة مجنونة و(لذيذة) فى نفس الوقت حيث قام باستخدام ٣٩ الف علبة من المشروبات الغازية المعدنية من اجل بناء منزل نادر منها، وكانت بدايات تنفيذ هذه الفكره المجنونة هو احتفاظه ببقايا علب الصفيح لمشروبه المفضل بكميات هائلة فقرر ان يصنع هرما تذكاريا فكان هذا المنزل الذى تستطيع سماع قرع الهواء على جوانبه من مسافة بعيدة.. هذا وقد توفى (ميلكوفيتش) عام ١٩٨٨م، ولكن ارملته مازالت تعيش داخل البيت وتشرف على صيانته والعناية به.. حقا انه عالم عجيب.

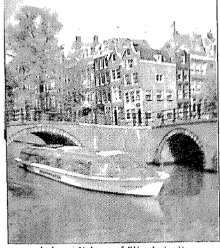




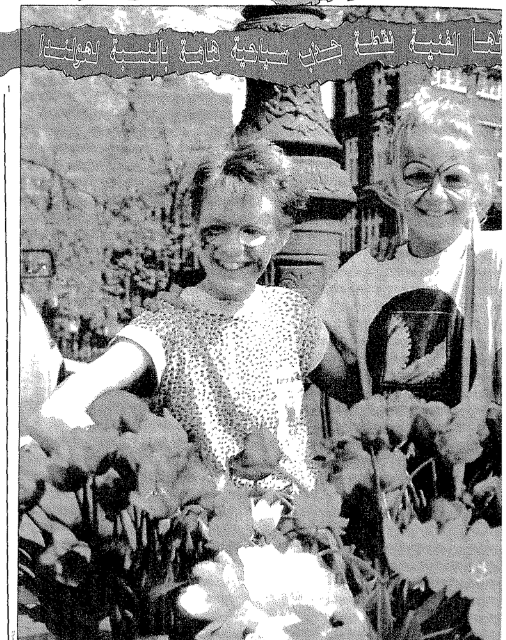

طواحين الهواء فى مدينة ايرام القديمة

حدائـق الزهـور ، وباقـات الـورود.. القنـوات المائيـة والانـهر والشلالات.. المتـاحـف وروائـع التـاريـخ والفـن.. خضـرة المراعـي وسـحـر الطبيعـة.. كـل هـذه وغيـرها كثيـر، مـن عوامـل الجـذب السياحي لاي بلـد مـن البلـدان فـى العالـم.. أمـا ان تجتمـع كـل هـذه الروائـع بيـن اصابـع الهـولنديين ليشكلوا منهـا عقـدا ساحرا منمقـاً، فهـذا مـن غيـر شـك الحلـم العـذب الـذى يسـدل السائـح عليـه جفنيـه.. الـى هـذا الحلـم الجميـل العـذب .. إ ـى هـولنـدا حيـث نحـط عصـا الترحـال حينـا..

إعداد: المنهل


المسطحات المائية سمه بارزة فى هولندا

هولنـدا هـذه اللوحة البارعة الخلق جديرة بالـزيارة فهى بالاضافة الى ما توفره للسـائـح من امـاكـن ومـنـتـجـعـات سياحية وترفيهية لا تعد ولا تحصى فإنها تعـد مقصـدا هامـا بالنسبة للسياحة العلاجية حيث إنها تقدم تسهيلات علاجية كبـيرة وفـوق كل هذا وذاك فإنها تقـدم



الطفولة تحتفل بعيد الزهور

للسائح الانسان الهولندى البسيط المتواضع.. فالشعب الهولندى يتميز بلطف المعشر وبانفتاحه على ثقافات الشعوب الاخرى.. بحيث يسهل عليك إن تتعرف عليه من اول لقاء.. بل وتحس انه صديق قديم.

ويتحدث غالبية الشعب الهولندى الانجليزية والالمانية والفرنسية.. وأما السكان فهم موزعون فى احدى عشرة مقاطعة و٨٥٠ بلدية.. والهولنديون البالغ عددهم حوالى (١٤) مليون نسمة والمقيمون فى رقعة صغيرة من الارض يتمايزون كثيرا فى الطباع والخلق والعادات والتقاليد واللهجات.. فمنهم الفريزيون فى الشمال ومنهم البرانبتيون فى الشرق ومنهم البمبورخيون فى الجنوب.. واخيرا الهولنديون فى الوسط والغرب.. لكنهم جميعاً أبناء بلد واحد يعرف باسم الأراضى المنخفضة.

ولعل هذه الصفة ترجع إلى أن اعلى نقطة فيها تقع فى الجنوب الشرقى، ولا يزيد ارتفاعها عن ٣٢٠ مترا فوق سطح البحر، بينما تقع أقل نقطة انخفاضاً الى الشمال من مدينة روتردام الجنوبية الغربية على عمق سبعة امتار تقريبا تحت سطح البحر.

■ وخلاصة القول أن ٢٧٪ من مجموع مساحة البلاد اراض منخفضة.. يقيم فيها حوالى ٦٠٪ من مجموع السكان.. ونتيجة لموقع هولندا الجغرافي على بحر الشمال وانبساط أرضها فإنها تتمتع بطقس معتدل تتراوح درجات حرارته بين ١٫٧ و١٨ درجة مئوية.. والامطار وفيرة على مدار السنة وموزعة بصورة معتدلة بين الفصول.

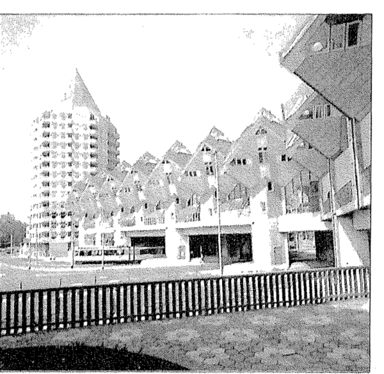
ميزات هولندية:

هولندا محاطة بمخارج وفوهات ثلاثة أنهار أوروبية مهمة (الراين والماس

وسخلده)، وهى قطر صغير كثيف السكان وعالي التطور. . وقد أتاح هذا الموقع الجغرافي المناسب للسكان فرصة النمو الاقتصادي السريع عن طريق التجارة النهرية والنقل المائى للاقطار المجاورة الكثيفة السكان والمتقدمة صناعياً، وأيضا بالعالم الواسع بحرا وجوا. وتبلغ مساحة هولندا ٣٦ ألفا و٩٤٨ كيلومتر مربع و٤٠٪ بالمئة منهم يعملون فى قطاع الصناعة و٥٨ بالمئة في قطاع الخدمات العامة و٢ بالمئة فى قطاع الزراعة. ويرجع عهد الصناعة المتطورة فى هولندا الى فترة الانتعاش التى اعقبت الحرب العالمية الاخيرة.

ويقع اكثر من نصف التربة الهولندية تحت مستوى سطح البحر، ولذلك فإن عمليات بناء السدود ومحطات ضخ الماء عملية مستمرة الغرض منها تخليص التربة من الماء الفائض، وتقع هولندا بين خطي العرض ٥١ و٥٤ والتيارات البحرية الدافئة التى تهب من الغرب تبقي الطقس معتدلا.

نظام الحكم نظام الملكية الدستورية المستندة الى برلمان ديموقراطى منتخب مباشرة من الشعب، والحكومة تقيم فى

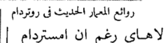


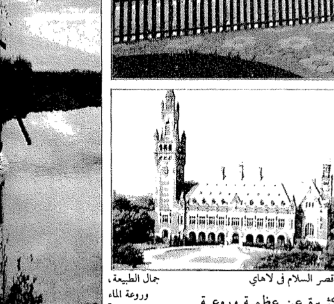
روائع المعمار الحديث فى روتردام

لاهاي رغم ان امستردام هى العاصمة الرسمية وتشكل هولندا مع جزر الانتيل الواقعة فى البحر الكاريبى، المملكة الهولندية واللغة الهولندية، الجرمانية الاصل، هى اللغة السائدة فى البلاد، وهناك لغة اقليمية خاصة يتحدث بها أهل مقاطعة فريزلاند الشمالية، تسمى اللغة الفريزية المتفرعة أيضاً عن الجرمانية. والتعليم اجباري حتى سن السادسة عشرة لدى الاحداث.

امستردام المدينة المحزمة:

العاصمة . . مدينة اوربية الطلعة . . عريقة الماضى فى معظم مبانيها تنتمى الى القرون الثلاثة الماضية . . ولا اعتقد اننا نحتاج هنا الى تفاصيل





قصر السلام فى لاهاي

جمال الطبيعة، وروعة الماء

كثيرة عن عظمة وروعة ودقة الفن المعمارى فى تلك الحقبة من الزمن . . وتزدان امستردام بانها المدينة المحزمة . . حيث تزينها عشرات القنوات المائية التى شقت بعناية متناهية لتضفى عليها لمسة من الجمال السحرى الهادىء . . بخلاف الغرض العلمى منها وهو حماية المدينة من الفيضانات . . وتتميز المدينة بصغر مساحتها إلا ان التخطيط والتنظيم قد كفلا لها من السعة والرحابة ما جعلها تبدو اكبر مما هى عليه . . وقد ازدانت هذه المدينة الرائعة بالمساحات الخضراء والحدائق الجذابة التى زادت بهاء المدينة واضفت عليها المزيد من الرحيق السحرى الدافىء . . وخير مثال على روعة هذه الحدائق وجمالها حديقة . . وودبارك . . وهي من اكبر الحدائق فى امستردام واكثرها تشجيرا . . وقد شيدت فى عام ١٩٣٠ . . حينما كانت جيوش العاطلين عن



المراكب المائية أحد وجوه هولندا

صورة ٨
الصناعات التقليدية فن وتراث

العمل تملأ اوروبا . . وتعتبر امستردام نقطة جذب سياحية هامة بالنسبة لهولندا عموما . . حيث يزورها السياح بصفة دائمة ومنتظمة وذلك ليكتشفوا خبايا ذلك السحر الفاتن والجمال الأخاذ لهذه المدينة . . والمتمثل فى مبانيها التاريخية واحيائها القديمة وأسواقها التى تزخر بمختلف أصناف السلع ، وكذلك ثروتها الفنية التى جعلت من امستردام احدى اهم المدن العالمية وأكثرها شهرة فى حقل الفنون . . حيث تحتوى على ٤٥ متحفاً واكثر من ٦٠ قاعة عرض و١٢ صالة موسيقى و٣٢ مسرحاً.

■ ومن المتاحف التى يجب على الزائر لهذه المدينة ارتيادها متحف (فان جوخ) الذى يضم مجموعة من اللوحات الفنية الرائعة التى رسمتها نخبة من الفنانين الهولنديين خلال القرون الاربعة الماضية . . كذلك فإن التجول على متن احد اليخوت المعدة لذلك فى القنوات النهرية داخل أحياء ومعالم المدينة ومساكنها تعد من اهم محطات الرحلة السياحية داخل امستردام .

ومن المستحسن أن تكون هذه الجولة ليلية وذلك لأن الاضاءة ستكون متوهجة ومسلطة على الجسور والبنايات الاثرية وفى هذه الحالة فإن ظلالها تتلوى على صفحة المياه الهادئة . . فتبدو المدينة مثل صبية حسناء مزهوة بجمالها وفخورة بلباسها المزركش والزينات البراقة المتدلية .

■ وفى امستردام يجمل بالسائح ان يتناول غذاءه فى مطاعم الفنادق المطلة على قنوات الماء . . فالمناظر التى تتوفر هناك تخلب العين فعلا . وفى امستردام علاوة على الاسواق والمخازن الكبيرة ومخازن المجوهرات . . هناك المنتزهات المدهشة مثل منتزه «فوندل» شاعر هولندا الكبير . وهناك الميادين الجميلة مثل ميدان الرسام «رمبرانت» وميدان القصر

الملكى الذى يعتبر - بحق - تحفة معمارية قلما يوجد فى العالم كله مثلها.

مدن هولندية أخرى:

فيما يتعلق بالمدينة الثانية لاهاي، وهي مركز الحكومة والبرلمان والبعثات الدبلوماسية فانه يجدر بالسائح ان لا يغفل مبنى البرلمان.. هذا المبنى الرابض فى مركز الدائرة الأكثر نشاطا وحيوية في القطاع القديم ذي الأصالة التاريخية، وهو عبارة عن قلعة اقطاعية تحيط بها كالسوار المحيط بالمعصم، وهى مبانٍ أقيمت فى القرون الغابرة لتؤوى كبار رجال الدولة وعائلاتهم ويحيط بالمجمع كله، قناة ماء عريضة شيدت فى حينه لحماية القصر وتوابعه من الأعداء.. واليوم تحولت المبانى القديمة المحيطة بالقلعة الى مكاتب خاصة بأعضاء البرلمان بمجلسيه، وقاعات اجتماعات، ومكاتب تابعة لبعض الدوائر الحكومية.

● وفى لاهاى، مبنى قصر السلام الذى شيد فى نهاية القرن الماضي ليكون مقر اتفاقيات السلام الأوروبية، والذى يضم حالياً محكمة العدل الدولية.



١٠ سخاء الطبيعة منحها محبة السياح
١١ متحف فان جوخ

● وفى لاهاى، مدينة «مادورادام» المصغرة، التى تجسم كل انجازات هولندا المعمارية والتكنولوجية والعلمية.

● وفى لاهاي كذلك، شاطىء سخيفننغن، مصيف المدينة المشهور، الذي ترصعه في ناصيته بناية فندق الكورهاوس الأثرية البديعة.

■ أما مدينة روتردام، فهي المدينة الواقعة على ضفاف أضخم ميناء في العالم. ومن مطعم البرج الذى يطل على الميناء على ارتفاع مائة وخمسين متراً، يشرف الانسان على هذا الميناء المذهل من كل نواحيه، فيشاهد فى مرآته المائية المتشعبة أشهر أحواض بناء السفن، وناقلات البترول العملاقة التى تحمل البترول من مختلف مصادره الى هذا الميناء المحتوي على أهم مصافي البترول فى القارة الأوروبية، ثم مئات السفن بمختلف حجومها وأنماطها التي تتردد على هذا الميناء بمعدل يزيد عن ثلاثين ألف سفينة في العام. وفى روتردام سوق التبضع العصرية الفسيحة المعروفة باسم «لاين بان» القريبة من دار البلدية الأثرية والمحرم دخول



١٢ أحد القصور القديمة
١٣ صانع القباقيب الخشبية
١٤ متحف الدولة في امستردام

السيارات اليها.

وفي روتردام أيضاً أضخم شبكة من الطرق المعلقة على جسور الخرسانة وأعمدتها العملاقة، بحيث أصبحت المدينة مركز الثقل في المواصلات المائية بين أوروبا الغربية من جهة وبقية أرجاء العالم من جهة أخرى.

■ رابع المدن الكبرى، مدينة اترخت الواقعة في منتصف البلاد. واترخت، علاوة على كونها مدينة المعارض التجارية الأوروبية والدولية، فانها أيضاً مدينة قنوات الماء الواقعة على عمق بضعة أمتار تحت مستوى الشوارع وأرضيات البيوت، بحيث أمكن إقامة المطاعم والمقاهي المنخفضة على رصيفها. وقد يستغرب الانسان وجود قنوات كثيرة في المدينة، على صورة تكاد تكون مشابهة لما هو حال أمستردام، بينما لا تقع على البحر، ولكن اذا أدرك الانسان أن اترخت واقعة على جانبي نهر الراين العظيم، زال عجبه. نهر الراين الأوروبي، القادم من سويسرا الى هولندا عبر المانيا الغربية وفرنسا، يمر بمدينة اترخت، قبل أن يصب في بحر الشمال عبر مدينة روتردام، وقد ساعد هذا الوضع الجغرافي على اقامة قناة عريضة تصل اترخت بميناء امستردام، الأمر الذي حول أترخت الى ميناء أوروبي داخلي نشيط. بواسطة هذه القناة، صارت القوارب والصنادل التجارية تحمل البضائع من ميناء أمستردام الى ألمانيا عبر مدينة اترخت.

■ ومن المهم بالنسبة للسائح أن يعرف أيضاً ان أضخم سوق للتبضع في اترخت، مقامة لصق محطة السكة الحديدية. فما ان يغادر الانسان القطار حتى يجد نفسه متنقلا بين قاعات هذا المجمع العصري الضخم.

■ ومن المدن الأخرى الجميلة، التى تستحق الزيارة، مدينة هارلم الى الشمال الغربى من مدينة أمستردام، وقرى فولندام والكمار التى يتخصص أهلها بصيد الأسماك مرتدين دائماً أزياءهم الشعبية التى تتميز بالسروال العريض الأسود للرجال والطاقيات السوداء أيضاً، ثم القفاطين البيضاء أو السوداء للنساء، المزركشة بالدنتلا وبغطاء الرأس المكلل أحياناً بقطع الزينة الذهبية، ثم بالقباقيب الخشبية الضخمة للرجال والنساء على السواء. ثم هناك مدينة الزهور المعروفة باسم السمير حيث تزرع الزهور داخل حظائر الزجاج الواسعة المدفأة، وحيث تباع داخل أكبر مزاد أوروبي. أيضاً هناك مدينة هلفرسوم القريبة من

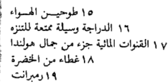
مجموعة بحيرات لوزدرخت والقابعة وسط قطاع أخضر سمي بحديقة هولندا، ومدينة خرونغن الشمالية ومدينة ماسترخت في أقصى الجنوب الشرقي. هذه كلها مدن جذابة، يوفر التنقل للسائح بينها فرصة مشاهدة الريف والتعرف على حياة الناس في مناطق البلاد المختلفة وعاداتهم وطرق معيشتهم.

هولندا بلاد الزهور:

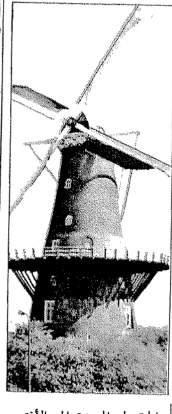
دائماً وأبداً فإن للزهور والورود عبقاً لا ينضب ثم إن هذه الزهور عادة ما تكون فاتحة لاستقبال الزوار ولعيادة المريض، ودليلا على حسن الضيافة وكريم الترحيب.. وانت فى هولندا لا تنس ان تتعرف على زهورها وتشاهدها مشاهدة العين فى مزارعها وفى حقولها المكشوفة وفى الاسواق التى تباع فيها.. فهى تبلغ من التنوع والنضارة والجمال ما يكسبها التفرد. أيضا، لا تنس القيام بزيارة لمنتزه الكوكنهوف فى منطقة حقول التيوليب. هذا اذا زرت هولندا فى شهر مايو، ايار. فهناك ستجد زهرة التيوليب بمئات أشكالها وأنماطها وألوانها، في الحقول الممتدة الى الأفق البعيد، وفي منتزه الكوكنهوف الشهير.، كذلك ستخطف عينيك الوان مئات الأنواع من الزهور المعروفة، كالزنابق والشقائق والنرجس والبنفسج والفريسيا والعنبر والاقحوان والسوسن والأوركيد، ثم الورود والقرنفل بمختلف ألوانها وأشكالها.

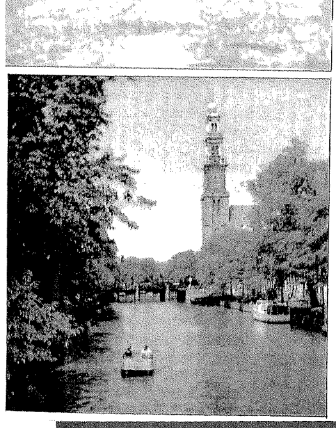
الطواحين الهوائية

هناك منطقة الطواحين الهولندية الهوائية القريبة من امستردام، والمنطقة

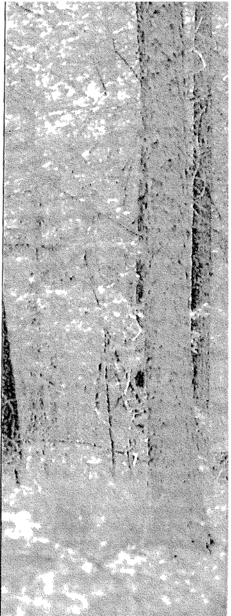


١٥ طوحين الهواء
١٦ الدراجة وسيلة ممتعة للتنزه
١٧ القنوات المائية جزء من جمال هولندا
١٨ غطاء من الخضرة
١٩ رمبرانت











لهام الفنانين
. حراس الليل

الشبيهة بها القريبة من مدينة لايدن.. إن الزائر سيقف مبهوراً وهو يتأمل فى هذه الهياكل العمرانية الجمالية التى تعتبر رمزاً عالياً من رموز الماضى الاصيل لهذه البلاد الساحرة.. وقد بقي من هذه الطواحين الآن حوالى الف طاحونة فى حالة جيدة.

ومازال البعض يستعملها فى طحن الحبوب.. بينما يقيم اصحابها بيوتهم فى طابقها الارضى.. والعجيب هنا أن هذه الطواحين تختلف فى كثير من خصائصها العمرانية عن الاخرى ففي احيان كثيرة يجد السائح مجموعات من هذه الطواحين ممتدة فى الافق واحدة بعد الاخرى.. فوق مرتفع من الارض وعلى صور تجذب العين فعلا.. وفى حالة اخرى تجدها قائمة على ارض منبسطة وفى شكل اعمدة متعامدة.. حقاً انها لدليل ملموس على عظمة الفن الهندسى المعمارى فى بنائها.

■ اخيرا:

فإن هولندا بلد جدير بالزيارة ويعد بحق من أعظم وأجمل بلاد الأرض قاطبة.. خاصة وأنه يوفر للسائح الكثير من اماكن الزيارة والترفيه.

مشاهد من الوطن العربي

المغرب ذو جذور عريقة في التاريخ، وقبل أن يعرف سكانه دين الاسلام منذ 12 قرناً حكمته عدة قبائل بربرية، وقبلها استوطنه الرومان والفينيقيون والوندال والبزنطيون وغيرهم.

من هنا مر الرومان

سلا وليكسوس ووليلي في المغرب أقام بها الرومان حضارات عريقة

بقلم: احمد المكينسي

وفى المغرب عدة مواقع رومانية تلاشت ولم تبق - بحكم عوامل الزمن - إلا آثار تاريخية منها، سلا(١) وليكسوس قرب مدينة العرائش(٢) ووليلي وكلها محطات أقام بها الرومان حضارات عريقة.

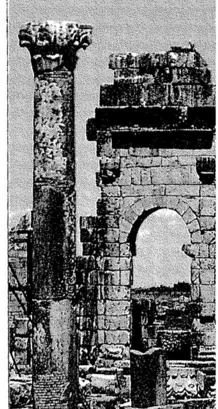
■ وتعد «وليلي» أو بالرومانية «يولوبيليس»(٣) أهم مركز روماني بالمغرب، تقع قرب زرهون التي تبعد عن مكناس بـ ٣٤ كلم، وبها مجموعة من الأطلال والآثار الرومانية لا تزال ماثلة للعيان، كما أنها تعتبر من المواقع السياحية التى يؤمها السياح للتعرف على معالمها الحضارية التى يرجع عهدها إلى القرن الثاني للميلاد.

■ وقد اهتم المستعمر الفرنسى إبان العهد الاستعمارى للمغرب منذ عام ١٩١٣(٤) بإقامة أوراش حفرية للتعرف على المزيد من التحف النادرة بها، ففي سنة ١٩١٥ اكتشفت بموقع وليلي هياكل بشرية وهيكل حيوانات من العصور الجيولوجية الأولى وحفريات تعود إلى القرن الثالث للميلاد.

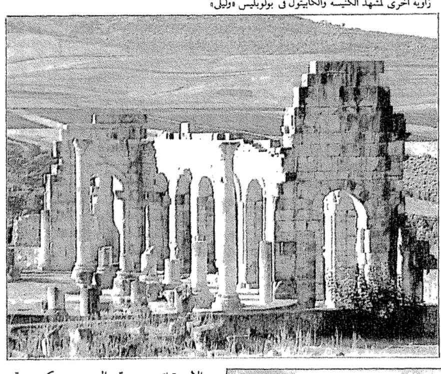
■ وفى سنة ١٩٧٥ تم اكتشاف ١٩ هيكلا بشرياً وهياكل لحيوانات قديمة ومنقرضة. وتوجد الآن بالمتحف الوطنى للآثار بالرباط وبمتحف البطحاء بفاس آثار قديمة وتماثيل لحكام رومانيين مثل بطليموس وجوبا الثاني، وأجزاء من الأعمدة الرخامية والمستوردة وهى من مواد تم صنعها فى ايطاليا على ما يبدو. وتتملك الدهشة زائر وليلي حينما يتعرف على أنماط العيش الروماني قبل ثمانية عشر قرنا من الآن، فأشكال البناء وطراز العمارة بالمجتمع آنذاك كانت مختلفة، وأنماط الحمامات الجماعية والفردية والنافورات وطريقة سقي الأراضي عبر قنوات صرف المياه والأعمدة العالية ذات الرخام والمرمر الأبيض والأسود وممرات المدينة المستقيمة وأبراج المدينة وأقواس الموقع الأثري والنقوش البديعة فوق الحيطان لأبطال



أعلى يمين: اطلال المعبد الرومانى فى «وليلى» يولوبليس
أسفل: مشهد عام لكنيسة وهيكل جوبيتر «الكابيتول» فى يولوبليس «وليلى»



زاوية أخرى لمشهد الكنيسة والكابيتول في بولوبليس «وليلي»





«قصر فرعون» بنيت في موقع جغرافي منبسط في تلال جميلة بالأطلس المغربي المتوسط، على ربوة مطلة على الطرق المؤدية اليها بحيث إن القادة العسكريين الذين شيدوها، كانوا متمكنين من

رومان بعرباتهم وخيولهم، وموقع الرماية وساحة «الاكواريوم» كلها مظهر من مظاهر حضارة سادت قديماً هنا بين جبال الأطلس المتوسط.

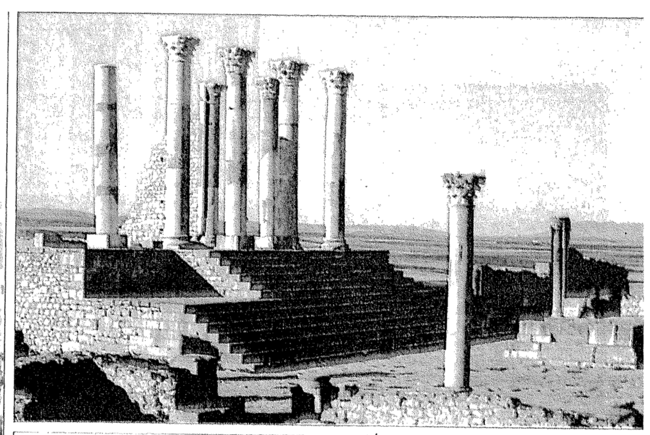
■ ووليلي أو كما يسميها البعض

الاستراتيجية العسكرية والجغرافية، فهو موقع يتحكم فيما يحيط به من طرق ومسالك مؤدية إلى مدن زرهون ومكناس بل وفاس، كما أن وجود الماء والأراضي الصالحة للزراعة وفر الظروف اللازمة لتشييد مدينة في مثل هذا الموقع المتميز.

■ ومن «وليلي» انطلقت الدولة الادريسية لتوحيد قبائل البربر من طرف مؤسسها المولى ادريس بن عبد الله بن الحسن(٥) وفيها بويع من بعده ابنه ادريس الثاني وهو لم يتعد بعد الحادية عشرة من عمره في جامعها(٦).

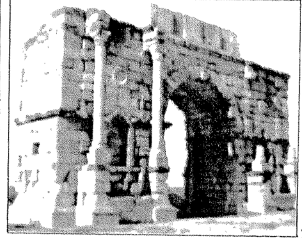
وبعد ذلك لم يبق من وليلي إلا الآثار التاريخية والتي بقيت برهاناً على أن الرومان قد مروا منها في يوم من الأيام.

واليوم، وليلي مقصد للسياح يقصدها الطلاب والتلاميذ في رحلات دراسية، إلا أن صيانتها

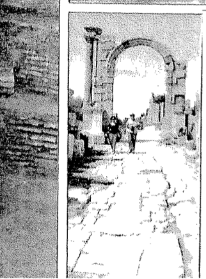


لـم تتـم بالشـكـل المطلـوب والجهـود منــصبـة الآن فـى وزارة الـشـؤون الثقافيـة علـى صيانـة الآثـار وتكويـن أطـر علـم الحفريـات لكـي يتسـنى التعـرف علـى المزيد مـن المعلومات الخاصـة بالآثـار القديـمة الموجــودة بالمغـرب .

□□□



أعلى يمين : مشهد لكنيـسة ومبنى الكابيتول فى يولوبليس «وليل»
أعلى يسار: مشهد بانورامي لبقايا قوس النصر فى كاركالا .
اسفل يمين : منظر عام لجانب من آثار مدينة فاس .
اسفل يسار: الحمام الروماني بموقع شالة الأثرى .



الهوامش والمراجع

(١) موقع روماني سبق لي أن كتبت استطلاعا خاصا بالمجلة عنه، العدد: يناير ـ كانون الثانى ١٩٨٨ جمادى الاولى ١٤٠٨هـ المجلة العربية .

(٢) العرائش: مدينة مغربية تقع شمال المغرب قرب تطوان .

(٣) Velubilis

(٤) عقدت الحماية الفرنسية على دولة المغرب فى ٣٠ مارس ـ آذار ١٩١٢ بفاس .

(٥) توفى عام ١٧٧هـ الموافق ٧٩٣م .

فر بعد موقعة «فخ» من الحجاز الى المغرب بطريق مصر، فبايعته قبائل البربر، واستقرت امارته فى شمال افريقيا ثم قتل مسموماً بتدبير الخليفة هارون الرشيد الـذى ارسـل له مبعـوثه جرير الشماخ الذى أهداه قارورة عطر وبها سم كما تروي الكتب التاريخية يوجد قبره بزرهون .

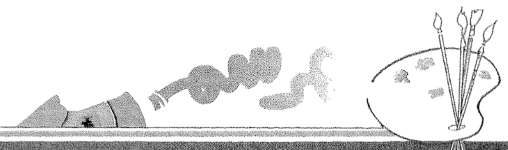
(٦) المـولى ادريـس الـثـانـى (١٧٧-٢١٣هـ) (٧٩٣-٨٢٨م)، ابن ادريس الأول ابن عبـد الله توفي والده وهو حمل، فتولى أمره مولاه راشد، بايعته القبائل البربرية . أسس مدينة فاس عاصمة جديدة للدولـة عام ٨٠٨م/ ١٩٣هـ وفيهـا توفي، منـه تسلـلت الـدولـة الادريسية بالمغـرب، يوجـد قبره بفاس بالمدينة القديمة .

١٤١٢هـ

عام التعداد العام للسكان والمساكن

* تعاونك مع القائمين على التعداد دليل حضاري .
* نتائج هذا التعداد ستكون من أجل التنمية .
* السرية التامة لكل المعلومات من أسس التعداد .





منمنمة للفنان الجزائري محمد راسم تمثل الامير الاموي عبد الرحمن الداخل لحظة دخوله قرطبة فاتحاً.

● الفن الاسلامي كان - ومازال - له صولاته وجولاته وعشاقه كل ما في الأمر أننا وبحكم الالتزام الديني إجتنبنا تصوير المجسمات ورسم الآدميين واتجهنا بجهدنا نحو تجويد الخط العربي والزخارف فبلغنا الذروة. ويمعنى آخر ان الفنون الاسلامية نحت نحو الاتجاه التطبيقي بصورة عامة ومن تلك المجالات التطبيقية صورة المنمنمات وهي لوحات تمثل شتى مناحي الحياة بأسلوب زخرفي بديع.

والمنمنمات الاسلامية إشتهرت في العالم أجمع بدقتها وزخارفها الرشيقة وكانت لها مدارس أهمها مدرسة بغداد ذات الطابع الفارسي في القرن الرابع عشر الميلادي، وإن كانت هذه المدارس قد إندثرت تحت سطوة الاستعمار، إلا أن الابداع الاسلامي لم ولن ينضب وسيبرهن فنانونا أمثال الفنان الجزائري محمد راسم الذي أعاد أمجاد الماضي وأبدع مئات المنمنمات التي أذهلت العالم الغربي.

محمد بن ناصر العبودي

تكتب البسملة بحساب الجمل وليس بالحروف..

كنت فى بورما «٤»



مدخل الجامع السورتى فى رانقون.. وقد بناه جماعة من مسلمي بلدة (سورت) فى الهند.

صلة ما سبق

فى الحلقة السابقة كنا مع السائح فى جمعيه علماء الاسلام كما وقفنا على اللغة البورماوية.. وفى هذه الحلقة ندخل مع السائح الجامع السورتي.. ونرى الزى الوطنى للبورماويين ونقف على عادات الزواج عندهم.. وفى مدينة رانقون نبدأ معه الجولة عصرا حيث جامع تشوليا ومسجد درقاء والجامع البنغالى.

قال الشيخ المفتى، إن مجيئك هنا كنا نتمناه.. فقلت له: اننى وزميلى الشيخ على عيسى ممثل رابطة العالم الاسلامى فى تايلند قد جئنا الى بلادكم بصفة سياح، وبينما كنا نتحدث كان الاخوة المشايخ من اعضاء الجمعية يتوافدون على المقر ومنهم الشيخ (نور محمد) الأمين العام للجمعية والشيخ (سليمان بن داود) خطيب الجامع الكبير وإمامه ونلاحظ المطابقة ما بين اسمه واسم أبيه وتماثل ذلك مع اسم النبى (سليمان بن داود) عليهما السلام وكنت أتامل المكتب فأجد على لوحة فيه شعار جمعية العلماء هنا وهو: الشهادتان بخط عربى جميل على هيئة هلال تتوسطه كلمة (العلماء) بالعربية ونجمتان.

■ وقال الشيخ المفتى محمود أرجو أن تحذروا من الحديث فى السياسة فالحكومة لا ترضى بذلك حتى أننى لم استطع السفر الى مكة المكرمة للاشتراك فى جلسات المجلس التأسيسى لرابطة العالم الاسلامى على اعتبار أن ذلك أمر سياسى، مع انكم تعلمون اننى لا أذهب الى مجلس الرابطة لاسباب سياسية وانما لحضور هذا الاجتماع الاسلامى المهم الذى يعقد فى جوار بيت الله الحرام فى مكة المكرمة.

وفى هذه الأثناء أحضر أحدهم الشاى الشبيه بالهندى إلا أنه أثقل منه قواما واكثر سوادا وهم يعالجون ذلك باضافة الحليب اليه واكثار السكر فيه ومعه شىء من الحلوى المصنوعة فى هذه البلاد.

فى الجامع السورتى:

طلبنا من الاخ (حكيم الله) سائق سيارة الاجرة أن يبقى معنا ونعطيه

أجره بالساعة لأنه أولى من غيره فصار لنا سائقا ودليلا.

وقد صحبنا مع الاخ الشيخ نور الدين الى اكبر جامع فى رانقون وهوالجامع السورتي سمى بذلك نسبة الى الذين قاموا على بنائه وهم من أهل (سورت) فى بلاد الهند، ويقع على شارع يسمى شارع المغول: (مغل استريت) فى حى (بابيدان) وهو مؤلف من ثلاث طبقات السفلى فيها المحراب الذى فيه الامام وثانية فوقها وثالثة فوقها.

وبناؤه قوى جدا بمآذن غليظة شامخة أخبرونا أنه كان مبنيا بالخشب فى أول الأمر حتى قام الاخوة المسلمون فى وقت عزهم وغناهم فأعادوا بناءه على هذه الصفة وهو ذو أهمية لأنه يقع فى القلب الهام التجاري من مدينة رانقون.

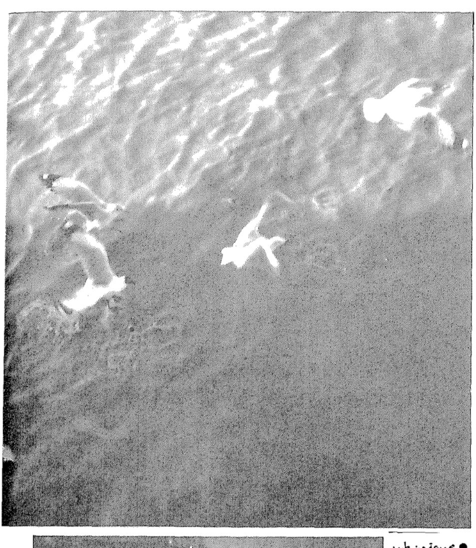
وقد وجدنا عند مدخله صبية من المسلمين يوزعون على الناس عقود الزهور من الفل ونحوه وذلك بمناسبة عقد زواج سيتم بعد الصلاة.

الموت والحياة:

بعد أن أخذ رجل فى داخل المدخل احذيتنا لحفظها بخلاف احذية الاخرين رأينا فى ساحة المسجد الخارجية لوحة تضم الاعلان عن موت عضو هيئة جماعة علماء الهند الشيخ محمد بشير الله. وتضم الى جانب ذلك الاعلان عن عقد زواج.

والعنوان الأعلى فى اللوحة التى تشبه السبورة هو (نكاح) أى: زواج محمد هاشم بن اوكريم، وليلى بيقم بنت او عبد الكريم بعد غاز جمعة، أى: بعد صلاة الجمعة.

اما العنوان الاسفل فهو اسمه (انتقال) وكلتا الكلمتين عربية نقلها

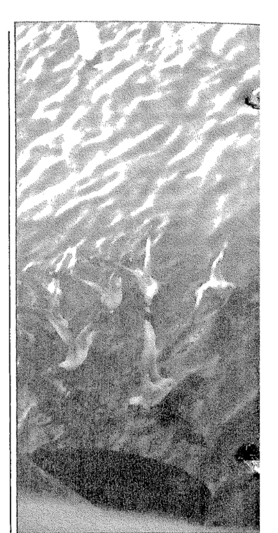




● مجموعة من طيور النورس تحلق فى سماء نهر رانقون.
● مكتبة جمعية بورما الاسلامية.. ويظهر أعلى الصورة شعار الجمعية.. ويتوسط الشيخ العبودى مجموعة العاملين فى الجمعية.

الاسلام الى هذا الركن القصي الغامض من العالم وبعدها: (بيرمال) وتعنى بالاوردية العالم الكبير. الخ اسمه.

والاعلان عن الموت والزواج فى هذه البلاد التى يؤلف المسلمون فيها



أقلية لا تسكن فى مكـان واحد، أمر مهم رأيت الاخوة المسلمين من أصل هنـدى يتمسكـون به فى مهـاجرهم، دخلنا المسجد فوجدنا القوم يتنفلون ولم نكن ننتهى من النافلة حتى اذن مؤذن بصوت دقيق جدا مع أن صاحبه بدين الجسم.

أخذ الاخوة بعد هذا الأذان الأول يتنفلون أيضا اكثر من مرة ثم فرغوا من صلاة النافلة وكنت فى الصف الثالث أمام المحراب فأخذ الذين أمامى يرص بعضهم بعضا وما لبث الذين خلفى أن فعـلوا فعلهم حتى كونـوا ممرا فى الصف، وتبين أن ذلك طريق لوصول الامام الى المنبر فهو لا يدخل من باب امامى كما نفعل نحن وغيرنا فى مساجدنا.

ثم ما لبث المؤذن أن أقبـل وهـو معهم يتقـدم الامـام الذى كان يسير الهوينا بخطى قد تدل على أنه يفهم أن سيره الوئيد مما يحفظ له الوقار والاكبار. وهـو يتبـع خطوات المؤذن، ولم يكن الامام هو الشيخ سليمان بن داود الذى قابلنـاه اليوم وانما هو مساعده الشيخ يحيى بن محمد وهو شاب وجيه المنظر.

وعندما وصلا الى المنبر بادر المؤذن الى عصا غليظة طويلة ذهبية اللون فى أغلبهـا ربـما لكون اللون الذهبى هو الغـالب بل هو الشعار فى الالوان فى (بورما) ولذلك كانوا يعلنون فى أماكن السياحـة بأن بورمـا ذهبية وينعتـونها بذلك يريدون اللون لا امتلاك الذهب.

فجلس الامام الخطيب على المنبر الذى تأنق واضعوه فى إعداده فجعلوا مقـدمتـه ذهبية اللون فيهـا عـمـودان شبيهـان بأعمـدة المساجد المبنية على الـطراز المغولى الا انهما قصيران لأنهما رمزان فقط أما أعلاه فان عليه قبة بين العربية والمغولية فى الشكل.

والمنبر من ثلاث درجات ومفروش بقماش أرجوانى اللون ترصعه زهرات برتقالية صفر، أذن المؤذن وهو كهل بل شيخ فى العقـد السابـع من العمـر بصوت دقيق جدا يظن من لم يره أنه لشـاب فى العشرين. ولم يدع بعـده بدعاء إضافى كما لم يدع غيره من القوم بأى دعاء آخر.

وقـد نهض الامـام وهو يخرج من إبـطه كتـابـا باللغة العربية ألقى منه الخـطبة الاولى وهى مسجوعة قديمة الاسلوب مما جعل الشيخ وهو يلقيها يبدو عربيا اكثر منه عجميا فضلاً عن ان يكـون بورمـاويا (رانقونيا) فإلقاؤه جيد ولباسه عربى أصيل إذ هو يرتدى عباءة كالتونسية واسعة قصيرة الاكمام وقميصـا سعـوديا يطل من تحته طرفا سروال حجازى وقد اعتمر رأسه بعمامة صغيرة ذات ذؤابة من تلقاء الرقبة.

وقـد ألقى الخطبة الثانية كالاولى كلها بالعربية ولم يخطب بغيرها، كما لم أر من وعظ بغير العربية قبل الصلاة أو بعدها كما يفعل بعض الاخوة من غير العـرب فى بعض البـلاد حيث تكون خطبـة الجمعـة كلها بالعربية وتكون قصـيرة ولكن تكـون هنـاك موعـظة يفهمهـا المصلون باللغـة المحلية قبل الصلاة أو بعدها.

كلهم عليهم الفوط:

اللباس الوطنى فى (بورما) مؤلف من قميص قصير كثيرا ما يكون قصير الاكـمام أيضا ومن فوطة مشدودة تبدأ من الوسط حتى تصل الى القدمين.

وقـد لاحـظت أن جميع من يقـع عليهـم بصرى من المـصـلين عليهم الفوط حتى الصبية الصغار ما عداى انا ورفيقى الشيخ على عيسى فقد كنا نلبس السروال العـالمى الافـرنجى إمعـانـا منا فى إظهار صفتنا السياحية والا فإن الشيخ على عيسى معه فوطة يلبسهـا فى غرفـة الفنـدق لأنها مما يستعمـل فى البلاد الحارة الرطبة فى جنوب آسيا الشرقى ولطالما أهدى الى اخوة لى أعزة من تلك المنطقة فوطاً الا اننى لم استطع أن آخذ نفسى بارتدائها فى البيت.

ومع الفوط كان شىء لابد منه فى مسـاجـد الحنفية وهـو غطاء الـرأس فالجميع قد غطوا رؤوسهم بالقلانس جمع قلنسـوة وهى فى العامية الطواقى جمع طاقية ونحن قد احضرنـا معنـا الطواقي التى غطينا بها رؤوسنا أيضا.

وهنـاك صفـة غالبة على المصلين ولكنهـا ليست مثـل هذين الامـرين الشـامـلين وهى أن اغلبهم من ذوى الوجوه التى تنتمى الى الاصول الهندية

أما الوجوه البورماوية الاصيلة التى هى كما قلنا وسط بين الجنس الملايوي والصينى فإنها لا توجد بين المصلين فى هذا المسجد الا على قلة.

ولقد انعكس الامر حالما خرجنا من المسجد الى الشارع فاصبحت الوجوه البورمية المشار اليها هى الغالبة والوجوه الهندية الأصول هى الاقلية.

بعد الخطبة أقام المؤذن للصلاة إقامة كالاذان لم ينقص شيئا وإنما زاده فى جملة الاقامة (قد قامت الصلاة) مرتين عما هو عندنا فأداها اربع مرات.

وكانت صلاة الامام مطمئنة لكنه عندما سلم منها قال المؤذن بصوته الدقيق كلمة أظنها تعنى الدعاء فابتدأ الامام بالدعاء والقوم خلفه يؤمنون مع انهم لا يسمعون ما يقوله لأننى وأنا فى الصف الثانى اذ تقدمت عند الاقامة لم أسمع الا بعض كلامه وفيه جمل دعائية بالعربية - مثل الدعاء بنصر الاسلام والمسلمين.

وقد لاحظت أن بعضهم عند ابتداء الدعاء بادر برفع يده على جانب رأسه ولا أدرى لم ذاك. وعند انتهاء الامام من الدعاء دعا المؤذن بصوت مرتفع بالاجابة.. ثم اخذوا بالتنفل وهم فى أماكنهم التى صلوا فيها متراصين كما يفعل الاخوة الأتراك فى مساجدهم.

ولاحظت فى المسجد شيئين يلفتان النظر أولهما شيء ما يشبه الرف الخشبى المزخرف زخرفة نظيفة جيدة مثل سائر المسجد وقد علق فى مستوى رأس الرجل او اعلى قليلا لكى ترفع فيه المصاحف وهو من الخشب المخروط المعتنى به.. والثانى أمر تتقزز منه النفس وهو انهم قد وضعوا عند اسفل الاعمدة أوعية تشبه الاوانى عليها أغطيتها أعدوها لمن يحتاج الى البصاق ولكن عليه أن

● نهر رانقون يمثل احد المصادر المائية فى بورما.

يكشف الاناء ويرى بطبيعة الحال بصاق من سبقه فيفعل ذلك.

وهى اشياء لا ينبغى أن تكون فى المسجد بعد أن وجدت مناديل القماش والورق التى يستعملها المرء بنفسه ولا يرى فضلات غيره.

وبعد التنفل اكثر من تسليمه، بل ربما ثلاث بدأ بعضهم بالخروج، ورأيت جارى فى الصف أخرج من جيبه دعاء مطبوعا بالعربية ملصقا به تفسيره بالبورماوية واخذ يتلو منه لنفسه.

خطبة الزواج:

بينما كانت اكثرية المصلين تنصرف من الجامع السورتي كان بعضهم يأتون الى المحراب ويتحلقون أمام الامام حتى كونوا ثلاث حلق كبيرة ثم ما لبث أن أقبل شاب قد أخذ زينته من الثياب الجيدة وفى عنقه قلادة متدلية منها الزهور البيض التى حليت بزهور وردية ويحف به شابان متجملان أيضا وعلى كل منهما وشاح من الزهر الابيض كله وتبين أن الاول هو الزوج أى العريس وأن الذين معه هما من أقاربه.. فجلسوا تلقاء الامام الذى كان لا يزال فى محراب المسجد كما جلس ولى أمر الزوجة بجانب الامام أما الزوجة فانه لا أثر لها هنا ولا لغيرها من النساء فالقوم من اصل هندى وهم محافظون متمسكون بذلك.

وقد اخبرنا مرافقونا ومنهم الشيخ (نور محمد) الامين العام لجمعية علماء

بورماً أن العادة المتبعة عندهم أن يتم العقد يوم الجمعة فى المسجد من اجل إعلان الزواج.

وبعد ان اكتمل حضور القوم بدأ الامام من مكبر الصوت يتلو خطبة النكاح الشهيرة التى لم أرها تتغير عما هو مألوف عندنا حتى فى بلدتنا ولقد ذكرتني بالخطبة التى عقد بها شيخ عقد زواجى بأم تامر قبل ستة وثلاثين عاما.

■ قال الامام: الحمد لله نحمده ونستعينه ونعتمد عليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات اعمالنا من يضلل الله فلا هادى له ومن يهد فلا مضل له.. ثم تلا الآية الكريمة: **﴿يـأيها النـاس اتقـوا ربكم الـذي خلقكم من نفس واحـدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقـوا الله الـذي تسـاءلـون به والارحـام﴾** (النساء/١)، وآيات كريمة أخرى.. ثم تكلم باللغة المحلية كلاما قصيرا كل ذلك من مكبر الصوت الذي كان يصدره فيسمعه كل من كان قرب المسجد.

وقد اخبرونا بأنهم يكتبون العقد فى دفتر بعد القبول والايجاب باللفظ ثم يختمون بالدعاء.

وقد انقضت خطبة الزواج بسرعة وغادر الامام المسجد بسرعة بينما كنا نتجول فيه وخلع عباءته الشبيهة بالتونسية قبل أن يغادر المسجد وسلمها للبواب ليحفظها لديه.

أما نحن فقد واصلنا التجول فى المسجد فصعدنا الى الطبقة الثانية فرأيناهم قد بلطوا الممرات فيه ببلاط ملون جميل أحسن من بلاط الفندق الذي نسكن فيه بمراحل ويصلي الناس صلاة الجمعة أيضا فى هذا الطابق الثانى.. أما الثالث فانه لا يفتح للناس الا فى أيام العيدين.

وفى الطابق الثانى محراب كالذى فى الأول الا أنه أقل تأنيقا وقد وضعوا فيه لوحين من رقائق الخشب اشارة الى عدم الصلاة فيه لان من يصلي فيه يكون متقدما على الامام الذى يكون فى محراب الطابق الاول أو الارضي كما يسميه بعض الناس.

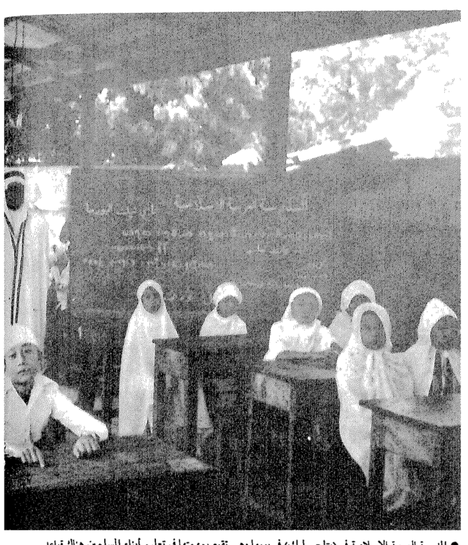
وهو مطلى باللون الازرق الانيق، وكل ما فيه يدل على العناية والاهتمام مثله فى ذلك مثل الطابق الاول.. بل بقية المسجد الذى ذكروا أنه بنى قبل مائة وعشرين سنة.

● احد المعابد البوذية فى ماندلي وتظهر فى الصورة مجموعة من تماثيل بوذا؟؟!!!!

فى مطعم صينى مسلم:

أول مشكلة تواجه المسافر الى بلاد قوم من الكفار اكثر أهلها ليسوا من اهل الكتاب ان يجد مطعما للمسلمين يأكل فيه وبخاصة اذا كان مثل سكان البلدان العربية قد ألفوا أكل اللحم فى وجباتهم وليسوا ممن يعتمدون على أكل السمك بديلا من اللحم.

ولكن اذا كان هناك مسلمون من أهل الهند ولو كانوا أقلية فى البلد فانهم سيكونون قد تكفلوا بهذا الأمر لأنهم



● المدرسة العربية الاسلامية فى (بتاجى ليك) فى بورما وهى تقوم بمهمتها فى تعليم أبناء المسلمين هناك قواعد واصول الشريعة الاسلامية واللغة العربية.

يهتمون (بالحلال) أى الطعام الذى يحل أكله للمسلمين حتى أنهم يتجاوزون الامر حتى فى بلاد المسيحيين فلا يأكلون من اللحم الا ما ذبحه المسلمون أو ما كان (حلالا) مع أن ظاهر النص يدل على أنه يجوز أكل طعامهم وذبائحهم لأنهم من اهل الكتاب ولقد اعتدنا على أن نفعل ذلك من دون أن نجد حرجا فى أنفسنا الا اذا كان من عادتهم ان يخنقوا الحيوان خنقا أو يخلطوا اللحم بلحم الخنزير مثلا.

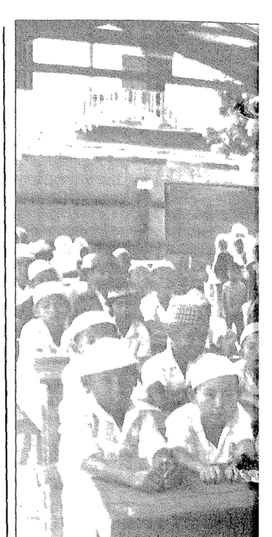
والامر هنا مشدد لأن أكثرية السكان هم من البوذيين الذين لا تحل ذبائحهم بحال.. ولكن الامر لا يؤلف مشكلة فنحن نريد مطعما للمسلمين صينيا بحيث نتذوق الطعام الصينى الشهير وفى الوقت نفسه تكون أنفسنا مطمئنة الى أنه حلال (بلال).

الارقام بديلة عن البسملة:

قادنا السائق المسلم الى مطعم أشار الى لافتة تعلوه وهو يقول: إنه للمسلمين أنظروا (بسم الله الرحمن الرحيم) ولم نر (البسملة) لا بالانكليزية ولا بالعربية ولكن رفيقى الشيخ على عيسى لفت نظرى الى أرقام تعلو اللوحة وقال: إن القوم هنا وفى بعض البلدان المجاورة يكتبون البسملة رموزا لحروفها بالارقام بحساب الجمل وليس بالحروف وأرقامها هنا (٧٨٦). وذلك احتراما من أن تقع فى الأرض، وفى مكان غير طاهر وهذا هو الاصل فى شيوع هذا الاستعمال.

ولم يفهم السائق كلامنا وإنما كرر قوله: انظروا الى بسم الله الرحمن الرحيم فسألته مستوضحا عن مكانها فقال: انها هذه الارقام التى تعلو اللافتة.. وتحت الارقام بالانكليزية (نان كنج مسلم رستورات) أي: مطعم نان كنج للمسلمين والمطعم صينى خالص بإدارته وعماله وهو جيد الاثاث نظيف جدا بالنسبة لما كان عليه المطعم الذى أكلنا فيه الليلة البارحة بل لا يكاد الامر يصل الى المقارنة الا فى أمر لم نستسغه وإن كنا قد رأيناه شائعا عندهم بعد ذلك وهو أنهم يأتون بمنديل واحد من القماش يضعونه على المائدة ليستعمله كل من يكونون على المائدة ولو كانوا خمسة مثلا، بل انهم اذا انتهى منه أهل مائدة أعاد صاحب المطعم طيه وتزويقه ثم أعده لقوم غيرهم، وذلك لعدم وجود ورق التنظيف عندهم، لأنه من الترف الذى (لا تتحمله) الاشتراكية وليس بمقدور هذه المطاعم الشعبية أن تتحمل إعداد فوطة من القماش نظيفة لكل آكل على حدة.

عندما اطمأن بنا المجلس فى هذا المطعم جاءوا بالقائمة مكتوبة بالانكليزية والبورماوية فلاحظنا أنها خالية من اللحم ومن الاسماك، وإنما اكثر ما فيها البط والدجاج والخضروات المختلفة الاعداد.. وعرفنا السر فى خلوها من الأسماك وهو انها حلال يمكن أن يجدها المسلم فى اى مطعم بخلاف ما يحتاج الى ذبح من البط والدجاج فانه لابد من ان يكون من ذبحه مسلمون.. وطلبنا شوربة الخضار الصينية الشهيرة مع صحن من



البط وآخر من خضروات مقلية\والارز الساذج او السادة كما تقول العامة إذ هم لا يجعلون فيه أى شيء من البهارات أو الزيوت مثل الشاى الصينى الذى شربناه مراً وأصله كان أخضر لا يوضع فيه السكر كما هى عادة الصينيين فى شرب الشاى، وهى عادة لا نستنكرها منهم لأننا نحن نشرب القهوة مرة خالية من السكر وان كان اكثر الناس فى انحاء العالم يستنكرون منا ذلك.

■ كان العمال يسعون فى إحضار الاطعمة وهى متنوعة لا يستطيع مثلنا أن يعرفها الا اذا ذاقها او شرح شارح له أمرها. وذلك لما للمطبخ الصينى من عناية زائدة بالطعام والشراب وهى عادة معروفة بل شائعة عنهم فى أنحاء العالم حتى إن المطعم الصينى يجتذب أعداداً من الناس كثيرة.

ولكن من غير المعروف لكثير من الناس أن الصينيين يهتمون بالأكل اكثر من اهتمامهم بأى شيء آخر من متع الحياة حتى كانوا اذا سألوا الشخص عن حاله او صحته يقولون له كيف أكلك؟. تماما مثلما كان يقول بعض الناس فى بعض البلدان التى تصيبها الأوبئة أو الحميات (ايش لونك او وش لونك) وهو لفظ انتقل بعد ذلك للسؤال عن الحال او الصحة الى بلاد اخرى لا تعرف الأوبئة والحميات.

وكنت أتأمل داخل المطعم فأجده ينطق بأ نه مطعم للمسلمين من اللوحات المعلقة فيه واحداها صورة للكعبة المشرفة،. واخرى مكتوب عليها بخط جميل لفظ الجلالة (الله) وثالثة ورابعة فيها آيات قرآنية كريمة.

وقد نقدنا ثمن الوجبة التى ضاق ظهر المائدة بها ثمانية وثلاثين (تشاتا) عندما تركنا معها (تشاتين) اثنين حلوانا اي، (بقشيشا) للعمال شكروا وذكروا وانحنوا بالتحية حتى كادوا ان ينكسروا.

وكانت وجبة رخيصة إذ المبلغ لا يزيد على خمسة دولارات بالصرف الرسمى ودولارين اثنين بالصرف الحر لشخصين جائعين.

جولة فى مدينة رانقون:

وهى جولة المقصود منها ان تكون على المساجد والمدارس الاسلامية أو (دور العلوم) كما يعبرون عنها هنا اتباعا لبعض أهل الهند أما فى غيرها من بلدان الاقليات التى يسكنها مسلمون من أصل هندى فانهم يطلقون كلمة (مدرسة) على الكتاب أو المعهد الذى يعلم الدين الاسلامى وحروف العربية ويطلقون كلمة (اسكول) الانكليزية على أنواع المدارس الأخرى.

■ بدأت الجولة من فندقنا حيث مر بنا شيخ الاسلام المفتى محمود داود يوسف يصحبه الشيخ (نور محمد) الأمين العام لجمعية علماء الاسلام ومع الشيخ سيارة خاصة قال انها لأحد ابنائه يريد أبناءه الروحيين فصرفنا سائق سيارة الاجرة المسلم (حكيم الله)• ونقدناه ما طلبه منا وهو مائة (تشات) عن أربع ساعات قضاها معنا لكل ساعة خمسة وعشرون تشاتا وهو مبلغ زهيد اذا ما عرفنا انه سائق ودليل وان المبلغ يساوى بصرف السوق الحرة دولارا واحدا وربعا وبالصرف الرسمى ثلاث دولارات لكل ساعة من الساعات الأربع.

وكان بدء الجولة فى الرابعة عصرا:

فى جامع تشوليا:

وكانت أولى الوقفات أمام مسجد تشوليا الجامع او (تشوليا جامع مسك) حسبما كتبوا اسمه بالانكليزية عليه. والأهم من ذلك أنهم كتبوا تاريخ تأسيسه أيضا وهو فى عام ١٨٦٩م وهذا تاريخ متقدم اذ مضى عليه اكثر من قرن ومدينة (رانقون) نفسها حديثة التاريخ ربما لا يرقى تاريخها الى اكثر من قرنين ونصف مما يدل على عراقة الاسلام ووجود المسلمين فيها.

وقد طلى المسجد من الخارج بطلاء برتقالى وهو لون لا يكثر فى هذه البلاد مع أن الابنية الحديثة فيها قليلة إن لم تكن معدومة ومعظم الأبنية قد بهت طلاؤها وكاد يمحى ولم تستطع (الاشتراكية) فيها أن تجدده.

وللجامع مئذنتان رئيسيتان وعدة مآذن أخرى صغيرة جريا على عادة

المسلمــين فى الهنـد فى عصر حكـام المغـول اذ يكون لمساجدهم اكثر من منارة واحدة . بل اكثر من عشر مآذن صغيرة قد تكون على هيئة شرفات عالية .

ولكـوننـا وصلنا الى الجامع قرب أذان العصر فقـد رأينـا أعـدادا من المستجدين من نساء واطفال قد جلسوا على مدخله يستجـدون المصلين وان كان عددهم غير كثير، ولا ندرى أهم من المسلمــين ام من غيرهم ولكن الملاحظ فى أنحاء أخرى من العالم أن أنـاسا من أرباب الديانات الاخرى يأتون الى مساجد المسلمين يلتمسون الصـدقة وقد يتلفظ بعضهم بالألفاظ الاسـلامية مثـل (فى سبيل الله) او حسنة لله، تقربا من المسلمين أو لأنه عرف أن هذه العبـارة هى التـى يستجدى بها من المسلمين.

■ والمسجد فخم البناء يدل على سعة فى الامـوال وسخـاء فى النفـوس عند الذين بنوه فقد تم بناؤه فى وقت لم تكن المسـاعـدات الخـارجية من البلدان الاسـلامية الاخـرى وبخـاصـة من البلدان العربية تأتى الى تلك البلاد بل لم يكن ينتـظر أن تأتى ، وربـما صح العكس فى بعض الحالات فكان بعض اثرياء المسلمين فى المهاجر يتصدقون او يوقفون بعض أملاكهم على اعمال البر والخير فى بعض البلاد العربية ، كما لا تزال بقـايا ذلـك موجـودة عنـدنـا فى الحـرمـين الشريفين وان كانت كادت تضمحـل اذا اغنانا الله عنها فانقطع حديثها، وأخلق قديمها .

■ أول ما يلقـاك منـه بركـة للوضوء (شـافعية) اعتـدنـا على رؤيتهـا فى المساجد التى يتمذهب اهلها بالمذهب الشافعى بخلاف الاحناف الذين يرى بعضهم أن الماء المستعمل فى الوضوء ليس طاهـراً، لذلـك لا يستعملون البرك للوضوء وانما يستعملون صنابير المياه.

وعنـدما لفت نظرى ذلك سألت المفتى والذين تبعونا من أهل المسجد عن القـوم الـذين اقاموا هذا المسجد فقـالـوا : إنهم (تـاميل مسلم) اي المسلمـون الـذين أتوا فى الأصل من ولاية (تاميل) او تامل التى تسمى الآن (تـامـل نادو) بمعنى ولاية التاميل فى جنوب الهند وعاصمتها مدينة مدراس رابعـة مدن الهنـد الكـبرى فى عدد السكان بعد كلكتا وبومبى ودلهى على الترتيب .

وأهل هذه الولاية الهندية مثل أهل جارتهـا ولاية تيرالا التى كان أسلافنا العرب ومنهم ابن بطوطة يسمونها (بلاد المليبـار) او المـالابـار هم على مذهب الشـافعى وليسـوا مثـل اهل الهند فى الشمال الوسط الذين هم على المذهب الحنفى .

وذلـك لكـون الاسلام دخل الى شمال الهند من طريق الفتح الافغانى من ممر خيبر وأهل أفغانستان فى ذلك



● مما يلفت الانتباه فى هذه الصورة أن (الفوطة) تمثل الزي الشعبى.

الوقت الذي لم يعرف به هذا الاسم هم على مذهب الامام ابى حنيفة بخلاف جنوب الهند الذي دخله الاسلام على أيدى التجار والمهاجرين من جنوب الجزيرة العربية وبخاصة من حضرموت وهم على المذهب الشافعى لذلك صار أهل جنوب الهند شافعية.

ويصلى فيه الناس على اختلاف المذهب ولذلك جعلوا فى جانب منه صنابير للمياه للذى لا يريد ان يتوضأ من البركة والمسجد كبير كالأول إلا انه طبقتان فقط وليس ثلاثا وذو محراب متسع ومنبر مبنى على الطراز المغولى.

وقد كان القوم يتقاطرون على المسجد عندما وصلناه لقرب وقت العصر ثم ما لبث المؤذن أن أذن لصلاة العصر بصوت دقيق لا بأس باخراجه الحروف الحلقية من مخارجها مع ان ذلك صعب على الاعاجم فى العادة.

ويقع المسجد على شارع اسمه (مونتى ليه) فى حي بابيران.

مسجد درقا:

لم نصل فى هذا المسجد لأننى ورفيقى الشيخ على عيسى قد صلينا العصر جمعا مع الجمعة أما المرافقون فقالوا: إن الوقت فيه متسع وقصدنا مسجدا كبيرا آخر.

وكنا نسير وما نزال فى الحى التجارى الفخم من قلب العاصمة (رانقون) ذلك الحى الذى كانت معظم الأبنية فيه يملكها المسلمون فى وقت من الاوقات وبخاصة قبيل الاستقلال.. حتى وصلنا (مسجد درقا) ويقع فى شارع اسمه ٢٩ لأنه من الشوارع المتعامدة التى جعلوا أسماءها أرقاما. وفى حى (بابيران).. وسمى المسجد (درقا) على اسم مؤسسه وهو ذو لون برتقالى فى الطلاء له منارتان كبيرتان وعدد من المنارات الصغيرة وقبة خضراء يعلوها شاهد ضخم من الصخر النظيف الجيد المظهر، وكتب عليه اسمه (مسجد جوليا مسلم) اى: مسجد المسلمين من جوليا وهي موقع فى جنوب الهند كان منه الذين بنوا المسجد وهم قوم تجار أو رجال أعمال كما يقول العامة من الكتاب مع أن هذا التعبير غير صحيح، لأن الناس جميعا من رجال الاعمال سواء أكانت اعمالا صالحة أم طالحة، وسواء أكانت أعمال تجارة أو صناعة او حتى صنعة من الصنائع وانما الصحيح ان يقال فى هذا رجال مال أو رجال تجارة او صناعة أو نحو ذلك.

وأخبرونا أن المسلمين الذين قاموا على بنائه من أهل تلك البلاد هم من اهل السنة المتمسكين بها.

وقد كتبوا عليه تاريخ بنائه بالميلادى والهجرى فكان عام ١٨٨٦م وعام ١٣٠٢هـ وعند مدخله رأينا لافتة فيها كتابة بالبورماوية والانكليزية تبين أوقات الصلاة وكتبوا عند الباب من الداخل دعاء (اللهم افتح لى ابواب رحمتك) بالعربية والبورمية وهو الدعاء الذى ينبغى أن يدعو به من يدخل المسجد. وفوق هذا الدعاء ساعة توضح الوقت.

ومن اللطيف انهم وضعوا فى اركان المسجد الاربعة اربع ساعات كلها جيدة ومضبوطة ليراها من يكون فى أى مكان من المسجد ولم يكتفوا بوضع الساعة عند المحراب كما هو عليه الحال فى اكثر المساجد فى العالم ومنها المساجد فى بلادنا.

والمسجد تصلى فيه الجمعة وهو كسابقه فيه بركة يتوضأ منها الناس واللطيف فيها الذى لم أره فى غيره ان فى وسط البركة قطعة جميلة كبيرة من الرخام على شكل زهرة متفتحة فى وسط الماء.

وهو ذو مظهر فاخر الا فى الفراش فمقدمته مفروشة بالبساط الرخيص ومؤخرته بالمشمع وليس فيه شيء من السجاد.

■ رأيت عندما دخلناه طائفة من الناس فيه بعضهم نائم، وبعضهم يقرأ القرآن وبعضهم يصلي يتنفل بذلك لان وقت العصر لم يحن، والسبب فى تفاوت الوقت أن الحنفية يؤخرون العصر قليلا بخلاف الشافعية الذين يعجلونه مثلما نفعل فى بلادنا.

وفى هذا المسجد ما فى الجامع السورتي رفوف خشبية جميلة صقيلة محيطة بالاعمدة على قدر ارتفاع قامة الرجل معدة لتوضع عليها المصاحف.

وهذه فكرة جيدة كانت تستعمل فى بلادنا النجدية فى القديم عندما كانت المساجد تبنى من الطين فكانت توضع رفوف من الخشب مثبتة بالجص فى العمود وعلى حيطان المسجد توضع عليها المصاحف، وهى أفضل من الطريقة الحديثة التى أخذ الناس يتبعونها من وضع خزائن ذات رفوف على الأرض توضع فيها المصاحف فهذه تضيق المكان وربما لا تخلو من امتهان للمصاحف اذ تصل اليها أيدى الاطفال ومن هم ليسوا على وضوء ولا يعرفون الحكم فى ذلك.. أما محرابه فإنه بسيط البناء خال من الزينة على خلاف المسجدين المذكورين قبله.

فريد الزمان:

كما قابلنا (حكيم الله) مصادفة وعجبنا من اسمه قابلنا هنا مصادفة أيضا الشيخ (فريد الزمان) وهو الامام



● جانب من مدخل مسجد تاجى ليك فى بورما. وتعقد فيه الدروس الدينية والمحاضرات.

والخطيب فى هذا المسجد، وقد أصر هو ومن معنا منا لمرافقين والموجودين على أن اسمه (فريد الزمان) فقط لانهم يرون أن الاسم الاول فيه كفاية ولا حاجة الى ذكر اسم الاب أو الجد أو الاسرة، وإذا أرادوا نسبة العالم منهم فانهم ينسبونه الى المدرسة التى تخرج فيها مثل القاسمي أو الرحماني، أو الصديقي.. الخ، ويكتفون بهذه النسبة العلمية عن النسبة الجسدية التى ليس لها اعتبار عندهم.

■ ولكننى عندما أصررت على معرفة اسم الشيخ كاملا قال إنه (فريد الزمان ابن مولانا عبد الجليل) و(مولانا) كما سبق لقب علمى وليس لمجرد التعظيم الخالى من السبب.. و(فريد الزمان) هو فى الحقيقة، فريد بين كثير من أقرانه أو أمثاله فى هذه البلاد فهو يعرف خمس لغات ويخطب بثلاث منها وهى العربية وقد وجدته فيها فصيحا جيدا لا يشوب فصاحته الا بقايا حمرة من التنبول الذى كان يصبغ شفتيه بصباغ غير محبب فكان كلامه بالعربية جيدا غير ان منظره وهو يتلفظ بها غير جيد.

■ كما أن الشيخ (فريد الزمان) يخطب بالأوردية والبورماوية ويعرف الفارسية وشيئاً من الانكليزية.. ومع ذلك فإن راتبه الشهرى لا يزيد على اربعمائة (تشات) ويساوى ذلك بالصرف الحر عشرين دولارا ولو كانت مواهبه وذكاؤه فى بلد غير هذه البلاد وعند قوم لهم اقتصاد غير هذا الاقتصاد لكان راتبه قد ازداد عشرين ضعفا أو كاد.

وقد أخبرونا أن هذا المسجد عليه أوقاف جيدة من الحوانيت ومنها حوانيت بجانبه وأنها تكفي لترميمه وتعميره وما يلزم له من نفقات متكررة كمصاريف الماء والكهرباء.

وهو مثل غيره من المساجد فى هذه البلاد يدل على مكانة للمسلمين وقدرة اقتصادية ونفوذ عظيم كان فبان، والله أعلم بما يأتى به الزمان. وربما يأتى بما يصحح من وضع أخينا فريد الزمان. بل ربما هو وحيد الدهر والأوان كما كان يقال فى مثل هذا الشأن.

الى الجامع البنغالى:

وتركنا أهل مسجد جامع (درقا) وهم يتوافدون لصلاة العصر ولما يؤذن المؤذن بعد قاصدين (المسجد البنغالى) فوجدناه فى شارع رئيسى هام أمام معبد للبوذيين شهير قالوا لى: إنه أكبر معبد بوذى فى العاصمة، والمعبد البوذى يسمى (باقودا) علم عليه مثلما أن مكان الصلاة عندنا نحن المسلمين يسمى (مسجدا) ولا يسمى معبداً.

وقد بناه الاخوة المسلمون فى هذا المكان قصداً حتى ترتفع منارات بيت من بيوت الله أمام أبراج ذلك المعبد الوثنى المرتفع وليكون دليلا على وجود الاسلام القوى فى هذه المدينة.

على باب هذا المسجد اللوحة التالية بالاوردية أعلاها البسملة بالارقام (٧٨٦) ثم فى السطر الاول (بنغالي سنى جامع مسجد رانقون) وتحت ذلك، العبارة نفسها بالانكليزية. ومعناها: جامع أهل السنة البنغالى.

وقال لى المفتى الشيخ محمود: إن هذا المسجد مع عدد من المساجد الاخرى هى تحت اشراف جمعية علماء الاسلام فى بورما بمعنى انها تتفقد امره وتعين فيه إمامه مثلا.

وللمسجد منارتان كبيرتان مستديرتان عاليتان كأنهما لقوتهما من أبراج القلاع القوية.. وقد أذن للصلاة ونحن عند الباب وأنا أتأمل اللافتة فكان ذلك موقفا محرجا اذ تركنى اصحابى المرافقون ليصلوا العصر مع الجماعة وكان بإمكانى الابتعاد عن المسجد حتى يفرغوا غير أننى لا اريد ضياع الوقت ولم أستطع أن أغالب الرغبة فى استجلاء أمر هذا

المسجد بينما كان الناس يدخلون للصلاة فكنت أقول لمن يطلب منى منهم أن أدخل للصلاة اى أشرح له الأمر وأننى مسافر قد جمعت العصر مع الظهر وانا أقول فى نفسى: ربما كانت هذه فرصة مناسبة ليعلم منهم من لم يكن يعلم أن الجمع بين الصلاتين للمسافر جائز.

وقد تحلق جماعات من الفضوليين الذى يحملقون فى كل شيء ويتابعون ما أقوله أو أفعله بحرص شديد لا لشيء الا لطبيعة من الفضول فى أنفسهم.

ولقد اعجبت بكثرة الحاضرين لأداء صلاة العصر فى هذا الحى الذى هو ليس حيا إسلاميا ولا هو فى وسط المدينة التجاري الفاخر.

ويقع المسجد فى سوق للبيع والشراء مجاور لحوانيت عديدة. ولذلك كان على مدخل المسجد حانوتان صغيران للمسلمين فيهما أشياء تتعلق بالدين عندهم مثل العطور التى قالوا: إنهم يستوردونها من الهند والسبح - جمع سبحة - التى تستعمل فى عد التسبيح والتهليل بعد الصلاة، وحاملات المصاحف من الخشب المخروط الجيد الا أنها ثقيلة الوزن بالنسبة للمسافر الذى يريد أن يأخذها معه.. وكتب عربية ومصاحف كريمة اكثرها من طبع الهند وباكستان، وطواق - جمع طاقية - أما عمارة المسجد الحالية فانها قد مضى عليها سبعون سنة. وكان أول بنائه بناء أقل من ذلك منذ مائة سنة كما اخبرونا والا فإننى لم أر لذلك عليه تاريخا مكتوبا.

الى ضاحية رانقونية:

سارت السيارة الصغيرة بأمر الشيخ المفتى محمود وما ندرى الى اين نذهب الا ان يكون ذلك ما اخبرنا به من قبل وهو الجولة على مساجد العاصمة ومدارسها أو على الأدق ما يتيسر من ذلك لأن المساجد فيها كثيرة لا يمكن اتمام الجولة فيها فى يوم كامل فضلا عن نصف يوم، وإنما المهم هو رؤية المساجد الرئيسية فيها او التى لرؤيتها معنى خاص من قدم أو سعة أو تاريخ مذكور.

فسرنا مع هذا الشارع المهم الذى يقع عليه المعبد البوذى ذو البرج الذهبى المرتفع وعليه قريبا منه الجامع البنغالى لا يفصل بينهما الا قسم ضيق من الشارع العام لأن المعبد البوذى يتوسط الشارع فيتشعب عنده الى شعبتين، وتختلط منارات المسجد ببرج هذا المعبد الذى يتألف من معبد رئيسى يشبه برج المتحف ومن معبدين أو جزئين ملاصقين له ولهما أيضا رأسان أو برجان هرميان وتحتهما أبراج اخرى بحيث يؤلف الجميع منهما ما يشبه الشكل المخروطى ولكن ذلك ليس باللون الذهبى وانما هو لون غامق غير بهيج.

فلا يستطيع من ينظر الى أبراج هذا المعبد من بعض الجهات الا أن يرى مآذن المسجد مختلطة فى المنظر معها الا من يأتى من جهة القبلة وهى الجهة الغربية حيث يقع المسجد وينظر الى المعبد فإنه يستطيع أن ينظر اليه منفردا.

ومر الشارع الذى نسير معه على جسر تحته خطوط للسكة الحديدية بعدها مبان فى جهة مقابلة هى محطة السكة الحديدية فى رانقون.. ثم غادرنا وسط العاصمة ذا البيوت المتلاصقة بسرعة الى ريف ذى دارات (فيللات) قديمة البناء غير بهيجة الطلاء، فالأبنية الحديثة سواء من المنازل الخاصة أو ما يسمى بالعمارات وهى الأبنية الكبيرة العامة لا يوجد، بل كل شيء قديم جامد كجمود حكام هذه البلاد على الاشتراكية التى لم تجلب اليهم غير الجمود على الفقر والتخلف.

ولكن تلك الضواحى التى تنعدم فيها المنازل المتلاصقة وتقل فيها المنازل لا تقل فيها المعابد البوذية ذات الابراج المخروطة الشكل ولم أر فى بلد من البلدان التى زرتها فى أنحاء العالم اكثر من المعابد فى بورما فلم يسبق أن رأيت مثلها فى الكثرة لا من المعابد البوذية ولا من دور العبادة الأخرى.

■ والاشجار العادية بمعنى القديمة وليس المعتادة كما يقوله بعض عوام الكتاب كثيرة فى هذه الضواحى كثرتها فى العاصمة لأنها لا تحتاج الى عناية كبيرة والبلاد لا تشكو نقصا فى المياه وتشهد فصلا مطيرا، بل كثير الامطار.

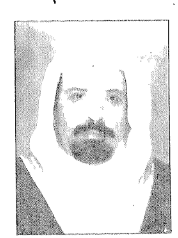
ومررنا ببحيرة ممتدة ذات شعب قالوا لنا إنها متجمعة من مياه الامطار لا من مياه الانهار، وانها تظل هكذا بحيرة ثرة المياه أبد الدهر. وكنا قد مررنا بجزء منها عندما جئنا من المطار أمس غير أن ثرثرة الشخص الذى كان راكبا معنا فى سيارة الاجرة منعنا من الحصول على أى قدر من المعرفة عنها أو غيرها بل حتى من استجلاء أمرها.

ومن اللطيف فى منظر شطآن هذه البحيرة أشجار عالية كبيرة وبط أبيض يسبح فيها لا يخشى صائدا أو مذيرا ولا ادرى السبب فى ذلك الا أن يكون هذا البط مملوكا ملكا خاصا وليس وحشيا لأن القوم هنا مثل أهل تايلند يربون البط فى البرك ابتغاء لحمه. ويأكلونه مثلما يأكلون الدجاج.

ومررنا بكلية الهندسة وهى حكومية ولم نقف عندها.. ورأينا ابقاراً كبيرة الحجم هنا قليلة فسألناهم عن عدد الهندوكيين الذين يعظمون البقرة هنا فأجابوا: إن عددهم قليل، بل هو نادر،

- يتبع -

العادات في حياة الأمم



د. عبد الرحمن بن حسن النفيسه

خطرات الأدب

حكاية قصيرة نشرها صاحبها فى صحيفة غربية تحكى قصته حين ذهب الى المشرق يستمتع بمعالمه، ويتعرف على حضاراته القديمة واثاره التاريخية.. وبينما كان فى احدى جولاته تعثرت ناقلته فلجأ الى قرية صغيرة يستنجد أهلها رغم وحشته من عزلتهم، وفقرهم وعدم معرفتهم للغته، واختلاف دينهم مع دينه. وكان عجبه شديدا ومنظره مذهلا حين راهم يقدمون له المساعدة مما لم يكن ليخطر فى باله حتى فى بلاده.

وحكاية أخرى روى صاحبها أنه كان ضيفا على صديق له فى احدى ضواحى مدينة غربية كبرى. وعندما خرج من منزله وقف على رصيف الشارع ينتظر سيارة تنقله الى محطة القطار فمر ضيفه بسيارته ولم يفعل غير تكرار توديعه وتركه يقف على الرصيف رغم انه كان يعرف خلو المنطقة من السيارات الاماندر.

والحكايتان على بساطتهما تصوران مدى التباين فى عادات الامم وسلوكها فى العلاقة تبعا لما الفته من تربية فى حياتها، فصاحب القصة الاولى ذهل لانه ما كان يعرف عادات البلاد التى جاء اليها سائحا.. وصاحب القصة الاخرى صعب عليه ان يتركه مضيفه يمشى على رجليه غير مقدر رحلته اليه واحترامه لصداقته وهو بذلك لم يدرك عادات صاحبه والبلاد التى جاء اليها سائحا وربما لن يعود لصديقه مرة أخرى فتنتهى بذلك صداقة كان يظن دوامها.

قلت: والتباين فى عادات الامم يشمل الكثير من جوانب الحياة المختلفة، فمن هذه الامم من يألف فى قصصه تمجيد صور البطولة والاعتزاز بالذات، وإخفاء النعوت والالقاب الى حد الاسراف.. ومنهم من يهمه من هذه القصص وقائعها المجردة دون الاهتمام ـ أو الاهتمام بدرجة اقل

ـ بالصور الاخرى فيها.. ومنهم من يهمه الحديث عن ماضيه.. وما كان عليه اسلافه وما ورثه عنهم مما تحكيه كتب التاريخ.. ومنهم من لا يهتم من ماضيه بشيء بل يعتبر نفسه واقع زمانه، ومنهم من هو فى الوسط بين النقيضين فيتحدث عن حاضره بمثل ما يتحدث عن ماضيه.

ومنهم من يهتم بمظاهره على طريقة الفلاحين الفقراء فى بعض البلدان النامية حين يركمون مخلفات الحيوانات أمام دورهم للدلالة على كثرة ما يملكونه من حيوانات رغم انهم لا يملكون منها شيئًا.. ومنهم من لا يهمه من ظاهره شيئًا بقدر ما يهمه داخله، وما يستطيع به التكيف مع واقعه كما هو.

لقد كان التباين فى العادات أحد الاسباب التى ادت الى فساد العلائق بين بعض الامم وتباعدها، بل واستحكام العداء بينها، ففيما مضى كانت القطيعة تحدث بين دولة وأخرى اذا انتهك ممثل احداهما عادة من العادات او صدرت منه عبارة يفهم منها المساس بهذه العادة . ومع تطور الاتصال بين الانسان، وتقارب مسافات الزمن بينه لا تزال الامم حساسة لعاداتها.. وتزداد هذه الحساسية شدة عندما تظن ولو مجرد ظن وجود قصد للنيل من عاداتها أو تقاليدها.

وليس من الغرابة فى شيء أن يتمسك الانسان بعاداته حتى ما كان منها لا يمت الى عقيدته، أو تاريخه، أو تراثه الاساسى بشيء، ولكن المهم ان يفهم الانسان الاخر هذه العادات.. فالمشرقي رغم اتصاله المعاصر بالحضارة الغربية لم يستطع بعد معرفة عقل صاحبها، والعوامل التى تحركه أو تؤثر فيه والغربى فى الجانب الاخر لم يستطع بعد معرفة عقل المشرقى رغم اتصاله المبكر بأمم المشرق منذ زمن الرحالة والمستكشفين فى القرون الثلاثة الماضية.. ومثلهما الاسيوى للافريقي والافريقى للاسيوي.

قلت: وكان لضعف هذا الفهم أثار فى العلائق قد لا تكون ظاهرة بوضوح ولكن المتتبع لها يدرك وجود هذه الاثار.

إ ن التاجر الغربي الذي يريد التسلل الى عقل اليابانى ليكسب سوقه قد لا يعرف ان من عاداته الا ياكل ولا يشرب ولا يلبس إ لا من نتاج بلاده وأن هذه العادة تعتبر عنده فى حكم الالتزام. والمشرقي الذى يتعامل مع الغربى قد لا يدرك أن هذا رغم حبه لنفسه يحترم من يحافظ على حقه، والمشرقى الذى تعجبه جمل المجاملة والنعوت قد لا يدرك ان الرجل الذى يتعامل معه يكره هذا الاسلوب.. ووسط هذا تفوت فوائد، وتضيع مصالح قد لا يدركها الا المدركون.

إ ن معرفة عادات الامم ستظل عاملا هاما فى معرفة التعامل معها فى وقت أصبح فيه من الصعب على أى أمة ان تعيش فى معزل عن الامم الاخرى. والمعرفة المقصودة أن يعرف الانسان من يتعامل معه، فمن يكره منه ان يكون كريما لا ينبغى الزام غيره بهذا الكرم.. ومن يحب ان يكون التعامل معه بلغة الرقم والكلمة المحدودة ينبغى الا يكون التعامل معه بالخطب.. ومن يحب أن يستمع قبل ان يبحث أمرا من الامور ينبغي ان يسمع الحقائق والوقائع.. ومن يريد التعامل معه فى ضوء المصالح والمنافع ينبغى الا يكون التعامل معه بالعواطف.

قلت: إ ن معرفة عادات الامم تعنى معرفة فكرها لان العادة جزء منه وجزء من سلوكها وجزء من منهج حياتها واذا استطاع الانسان من خارجها معرفة ذلك عنها عرف كيف يتعامل معها، وبالتالي عرف كيف يميز نفسه، ويحمي ذاته فى عالم نقصر فيه المسافات وتتسارع فيه الخطى، وتتفاعل فيه المعلومات، ويبقى فيه اولئك الذين يعرفون غيرهم كما يعرفون أنفسهم.

دراسات

● الهدف من قصص القران والسنة أصيل ..

● مفهوم القصص فى القران الكريم يشمل



أ.د. عبد الباسط احمد على حمودة

كلية اللغة العربية ـ جامعة الازهر

(القصة) فى أى شكل من أشكالها تحتل مكان الصدارة عند السامعين عادة، فهى لها من قوة الجذب ما يفتقده كثير من موضوعات الادب الاخرى.. وقصص النبوة وان كانت تحمل صيغة من صيغ الادب إلا أنها تقوم على قواعد ثابتة تمثل غايتها وهى التربية القويمة بغرس معانى الخير فى النفوس، وطرد نوازع الشر واماتتها. وفى هذه الدراسة القيمة العميقة يبين لنا الدكتور حمودة معالم القصة النبوية، مفهومها، أهدافها، وغايتها.



القصة النبوية من أقدم وأصح ما وصل إلينا ـ بعد كتاب الله ـ عن طريق الرواة الثقاة، وفى ضوء المقاييس العلمية الدقيقة التى وضعها العلماء، مما لا يتأتى لأى أثر علمى أو أدبى لأمة من الأمم المتحضرة.. وقد اطمأن بعض الباحثين ـ فى العصر الحديث ـ إلى ما كتب على الأحجار فى المعابد أو على ورق البردى، ولكن هذا الاطمئنان لا يرقى إلى درجة الروايات المتواترة فى الكتب الصحيحة للسنة النبوية الشريفة.

■ ومن هنا نتجه إلى القول بأن أقدم القصص الأدبى عند العرب يؤخذ من مصدرين هما: قصص القرآن الكريم، وقصص السنة النبوية، وأما ما جاء عن القصص قبل الاسلام، وما أشار إليه القرآن الكريم والسنة، فلم يصل إلينا بالصورة التى كان يؤديها فى مجتمع يسمر فى ليل الصحراء حيث التحلق فى المجالس وإكرام الضيف ومنادمة الأصحاب، وأخيرا صرف الناس بمثل هذه القصص عن وحى السماء.. كما فعل النضر بن الحرث.

■ وقصص القرآن الكريم وقصص النبوة لا يقاس بالمقاييس النقدية التى وضعت فى العصر الحديث، لأنه لا يصح أن نخضع المتقدم ـ بظروفه الاجتماعية ـ ونقومه وفق ظروف تختلف فى الزمان والمكان والتقدم العلمى والسياسى والاقتصادي، ولأن الهدف من قصص القرآن والسنة هدف أصيل، موجه إلى النفس البشرية، لايجاد وازع الترغيب والترهيب، يحض على الخير ويرغب فى الاستزادة منه، ويرهب من الشر وينفر منه ومن كل فعل يؤدى إليه.. وهو هدف تتغياه كل

الى النفس البشرية لايجاد وازع الترغيب والترهيب.

لورة والحديث والخبر والسيرة والمثل والنبأ.

المجتمعات فى القديم وفى الحديث، حتى تصل إلى مجتمع الحق والخير والفضيلة.

وفى هذا الاطار نحاول الوقوف على الأهداف والغايات التى جاءت فى القصص النبوى، ولا بأس من الاستئناس بالمقاييس الفنية عند القدماء والمحدثين إذ ساعدت على ذلك، لإيماننا بأن القصص الأدبي يجب أن يحتذى الأهداف التى تخدم الفطرة الانسانية، وتمهد للحياة فى المجتمعات فى إطار مفهوم الشرائع السماوية، وبذلك يلتقى الناس فى دنياهم على كلمة سواء وعلى مساحة واسعة من التفاهم الخلقى.

مفهوم القصص فى اللغة

وقبل الدخول فى المفاهيم المختلفة للقصص، نود الوقوف عند المفهوم العام من خلال ما جاء فى المعاجم العربية لعلنا نقرب إلى الأذهان ونمهد لما يأتى فى المفاهيم الخاصة، فمعاجم اللغة هى المعارف العامة، قد جمعت كما هائلا وكيفا عظيما فى رسم معالم القضايا اللغوية، حتى إذا لجأ إليها الناس وجدوا توضيحا لأطوار مفاهيمها من خلال ما يشيع فى العقل والوجدان الانسانى، ويجد الباحث كل ما يعن له من ألوان المعرفة، ويقف على الاشتقاقات والمترادفات التى تسد الفجوة بين الماضى والحاضر وتتجدد حيوية اللغة وشبابها.

ويرد فى السنة أحاديث عن القصة والحكاية والخبر والخرافة والرواية والسيرة والمثل والنبأ وغير ذلك مما سنتعرض له فى هذا البحث، ومن الأفضل أن نتعرف عليها فى رحاب اللغة.

■ ففى لسان العرب[1] (فصل القاف حرف الصاد) قص - بفتح القاف - فعل القاص إذا قص القصص - بفتح القاف وكسرها - والقصة معروفة، ويقال فى رأسه قصة، يعنى الجملة من الكلام، ونحوه قوله تعالى: ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾ أى نبين لك أحسن البيان. والقاص الذى يأتى بالقصة من فصها أى مفصلها ويقال قصصت الشىء إذا تتبعت أثره شيئا بعد شىء، ومنه قوله تعالى: ﴿وقالت لأخته قصيه﴾ أى اتبعى أثره.

■ والقصة الخبر، وهو القصص، وقص على خبره يقصه قصا وقصصا أورده والقصص - بفتح القاف - الخبر المقصوص، والقصص - بكسر القاف - جمع القصة التى تكتب، وتقصص الخبر تتبعه والقصة: الأمر والحديث، واقتصصت الحديث رويته على وجهه، وقص عليه الخبر قصصا. والقصص: البيان والقَصَص بالفتح الاسم. والقاص: الذى يأتى بالقصة على وجهها كأن يتتبع معانيها وألفاظها. وفى الحديث: (لا يقص إلا أمير أو مأمور أو مختال) أى لا ينبغى ذلك إلا لأمير يعظ الناس بها مضى ليعتبروا وإما مأمور بذلك فيكون حكمه حكم الأمير مكتسبا، أويكون القاص مختالا يفعل ذلك تكبرا على الناس. وقيل أراد الخطبة، لأن الامراء كانوا يلونها فى الأول ويعظون الناس، ويقصون عليهم أخبار الأمم السالفة، وفى الحديث: (القاص ينتظر المقت) لما يعرض فى قصصه من الزيادة والنقصان، وفيه التحذير من الكذب، لقوله - صلى الله عليه وسلم: «إن بنى اسرئيل لما قصوا هلكوا» وفى رواية «لما هلكوا قصوا» أى تكلموا على القول وتركوا العمل، فكان ذلك سبب هلاكهم أو العكس لما هلكوا بترك العمل أخلدوا إلى القصص.. مثل الأمم التى تجر تاريخ أمجادها ولا تسهم فى حاضرها.

ويقال أيضا: قص آثارهم يقصها قصا وقصصا، وتقصصها تتبعها بالليل، وقيل هو تتبع الأثر فى أى وقت كان. قال تعالى: ﴿فارتدا على آثارهما قصصا﴾ قال الأزهرى: القص اتباع الأثر، ويقال خرج فلان قصصا فى أثر فلان وذلك إذا اقتص أثره، وقيل القاص يقص القصص لاتباعه خبرا بعد خبر وسوقه الكلام سوقا، ويستطرد من الحكاية حكايات.

■ والقاموس المحيط[2] يدور حول هذا المعنى بدرجة تكاد تتفق مع ما سبق، فمادة: (قص) أثره قصا وقصيصا تتبعه، والخبر أعلمه. ﴿فارتدا على آثارهما قصصا﴾ أى رجعا من الطريق الذى سلكاه يقصان الأثر. و(نحن نقص عليك أحسن القصص) نبين لك أحسن البيان والقاص: من يأتى بالقصة على وجه يجذب السامعين أو القراء.

وجاء فى المختار الصحاح فى مادة: (قص) والقصة الأمر والحديث، واقتص الحديث رواه على وجهه، وقص عليه الخبر، والقصص - بالكسر - جمع القصة التى تكتب.

■ ومما تقدم فى الكلام عن مادة (قص) فى المعاجم العربية رأينا بعض الكلمات التى وردت من خلال استعراض استخداماتها، وهى كلمات تدخل فى بناء القصص القديم والحديث، رأينا من المناسب القاء الضوء عليها

والتعريف بها ومنها:

الاسطورة: وهى كلمة ليس لها أصل، وتجمع على أساطير، وتطلق على الخرافة والحكاية، وذكرت كثيرا فى القرآن الكريم، ويكثر حديث النقاد عنها والتعرض لها بالشرح والتحليل عند الكلام عن التراث الأدبى لدى العرب وغيرهم.

والحديث: كل ما يتحدث به سواء بالكلام أو الاخبار أو المحادثة مع الآخرين وكذلك الأحدوثة ما يتحدث به أو الحديث المضحك أو الخرافة، والحدث: الكثير الحديث الحسن البيان له، والمحدث راوى حديث رسول الله ﴿ﷺ﴾ وأطلق الحديث على كلام رسول الله ﴿ﷺ﴾ ويشمل كل قول أو فعل أو تقرير نسب إليه ﴿ﷺ﴾[٣].

والحكاية: ما يحكى ويقص من الواقع أو الخيال مع حسن الاداء اللفظى وخصوبة الخيال، وترتيب الاحداث وتنسيقها، مما يجعلها ذات جاذبية وتشويق على نحو ما.

والخبر: ما ينقل ويحدث به قولا أو كتابة، والخبر قول يحتمل الصدق والكذب.

والخرافة: الحديث المستملح المكذوب بحيث يشد السامع أو القارىء أو المشاهد دون ملل.

والرواية: تعرف حديثا بالقصة الطويلة، والراوى: الذى يروى الحديث أو الشعر حامله وناقله.. ووضع علماء الحديث علماً يعرف به حال الراوى والمروى من حيث القبول والرد وما يتبع ذلك من كيفية التحمل والرواية والضبط والكتابة، وموضوعه ومسائله معروفة[٤].

والسيرة: يقال سيره سيرة: حدث بحديث الأوائل. وتطلق السيرة على السنة والطريقة والحالة التى يكون عليها الانسان وغيره، والسيرة النبوية، وكتب السيرة مأخوذة من السير، بمعنى الطريقة، وأدخل فيها الغزوات وغير ذلك ويقال سيرة فلان تاريخ حياته.

والمثل: جملة من القول مقتطعة من الكلام أو مرسلة بذاتها، تنقل ممن وردت فيه إلى مشابهة بدون تغيير، ويطلق على الأسطورة على لسان حيوان أو جماد كأمثال كليلة ودمنة.

قال المبرد[٥]: المثل مأخوذ من المثال، وهو: قول سائر يشبه به حال الثانى بالأول، والأصل فيه التشبيه، فقولهم (مثل بين يديه) إذا انتصب، معناه أشبه الصورة المنتصبة و(فلان أمثل من فلان) أى أشبه بماله من الفضل والمثال القصاص لتشبيه حال المقتص منه بحال الأول، فحقيقة المثل ما جعل كالعلم للتشبيه بحال الأول، كقول كعب بن زهير.

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا
وما مواعيدها إلا الاباطيل

■ فمواعيد عرقوب علم لكل مالا يصح من المواعيد.

والنبأ: الخبر ويجمع على أنباء، وإن لفلان نبأ أى خبرا، وقوله عز وجل ﴿عم يتساءلون عن النبأ العظيم﴾ قيل عن القرآن، وقيل عن أمر النبى ﴿ﷺ﴾ ـ واستنبأت النبأ بحثت عنه.

الاقصوصة والقصة: وتعارف النقاد فى هذا العصر على إطلاق الأقصوصة على القصة القصيرة، وإطلاق القصة على ما يكتب من الكلام، وعلى الحديث والأمر والخبر والشأن وأنها حكاية نثرية طويلة تؤخذ من الواقع وتغذى بالخيال أو منهما معا، ولها قواعد معروفة فى الفن الكتابى فى العصر الحديث، أخذ أكثرها عن الغربيين.

المفهوم القرآنى

القصة:

لا شك أن معاجم اللغة اعتمدت اعتمادا كبيرا فى إرساء مفاهيم المعانى على القرآن الكريم ولذلك سنحاول أن نوجز ما جاء فى معنى القصة ومفهومها فى القرآن اعتمادا على ما سبق الاشارة إليه، ففى قوله تعالى: ﴿**فلما جاءه وقص عليه القصص**﴾ (سورة القصص/٢٥) أى قص عليه وروى له القصة وهى قصة موسى عليه السلام. وفى قوله تعالى: ﴿**وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك**﴾ (سورة النحل/١١٨) يعنى فى سورة الأنعام: ﴿**ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى**﴾ يتلونها مع التوضيح والتبيين، وقيل ذلك فى السورة نفسها قوله: ﴿**إن الحكم الا لله يقص الحق**﴾ يذكر. وقوله فى سورة آل عمران: ﴿**إن هذا لهو القصص الحق**﴾، إن هذا لهو البيان الحق والقول الصدق من ربك[٦]. وقوله تعالى فى سورة الأعراف: ﴿**فاقصص القصص لعلهم يتفكرون**﴾ أى فاقصص هذا القصص ونحوه رجاء أن يثوبوا إلى رشدهم ويتفكروا فى أنفسهم، وقريب من هذا المعنى فى قوله تعالى فى سورة طه: ﴿**كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا**﴾ مثل ذلك القصص الذى قصصناه عليك من خبر موسى وفرعون، نقص عليك من

أنباء ما قد سبقك من أخبار الأمم الماضية ففي القصص عبرة وعظة ودرس وتسلية، وإحاطة بأخبار الناس وأحوالهم، فالزمن يوم مكرر والناس هم الناس وإن اختلفت الأزمان وتغيرت الأحوال(٧) ويجسم سيد قطب هذا المعنى فى تفسير قوله تعالى: ﴿ذلك من أنباء القرى نقصه عليك﴾ فيقول: مصارع القوم معروضة، ومشاهدهم تزحم النفس والخيال.. فما كان لك به من علم إنما هو الوحى ينبئك بهذا الغيب المطمور وذلك بعض أغراض القصص فى القرآن(٨).

والأسطورة:

ونتبين معنى الأسطورة من القرآن فى قوله تعالى: ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾ أى الذى يكتبونه بالقلم - وقوله تعالى - فى السورة نفسها - ﴿إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين﴾ أى أباطيلهم المسطرة فى كتبهم. والأساطير جمع أسطورة، وهى الخرافة، لما روى أنه اجتمع أبو سفيان والوليد والنضر وعقبة وشيبة وأبو جهل وأحزابهم، يسمعون تلاوة رسول الله ﴿ﷺ﴾ للقرآن، فقالوا للنضر - وكان صاحب أخبار - ياأبا قتيلة ما يقول محمد؟ فقال النضر: والذى بيته ما أدرى ما يقول إلا أن يحرك لسانه ويقول: أساطير الأولين، مثل ما حدثتكم به عن القرون الماضية، فقال أبو سفيان: إنى لأراه حقا. فقال أبو جهل: كلا(٩).

ويقول ابن كثير فى قوله تعالى: **﴿يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ وقوله: ﴿وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين﴾** أى ما هذا الذى جئت به إلا مأخوذ من كتب الأوائل ومنقول عنهم، ولم ينزل الله شيئا إنما الذى يتلى علينا أساطير الأولين، حيث حكى عنهم ما قالوه (وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا) أى يفترون على الرسول ويقولون أقوالا متضادة مختلفة كلها باطلة(١٠). وهذه المعانى تدور حول أخبار تنقل عن كتب السابقين ترويها الأجيال اللاحقة عن الأجيال السابقة، وتشتمل على قصص وحكايات وأخبار وأنباء وخرافات مسطورة ومكتوبة ولذا تضاربت أقوال الكفار فى القرآن بين الأساطير والسحر والشعر (إن هذا إلا قول البشر) وهى ضروب تشغل العقل، وتحول الفكر، وتصرف النظر، وتنقل السامع أو المشاهد من حالة إلى أخرى.

والحديث:

وحدث يحدث حديثا، وأحدث وأحاديث، نجد لها مفاهيم فى القرآن الكريم، فقد وردت فى أكثر من عشرين موضعا من القرآن، ومنها قوله تعالى: ﴿تحدث أخبارها﴾ وقوله: ﴿أتحدثونهم﴾ وقوله سبحانه: ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾ وقوله تعالى: ﴿أحدث لك منه ذكرا﴾ وقوله تعالى: ﴿ومن يكذب بهذا الحديث﴾ وقوله سبحانه: ﴿ما كان حديثا يفترى به﴾... الخ(١١)

ونحاول أن نقف أمام نموذج من معانيها، فقوله تعالى: ﴿تحدث أخبارها﴾ (سورة الزلزلة/٤) أى تدل بحالها على ما عمل عليها، وقوله تعالى: ﴿لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا﴾ (سورة طه/١١٣) أى ما جاء فى القرآن وخاصة من الوعيد يدفع إلى العظمة والعبرة.. وقوله تعالى: ﴿ومن الناس من يشترى لهو الحديث﴾ (سورة لقمان/٦) أى الباطل الملهى عن الخير والعبادة، وقال ابن مسعود: هو والله الغناء. وقال الحسن البصرى: نزلت هذه الآية فى الغناء والمزامير، وقيل المراد اشتراء المغنيات من الجوارى، لقول النبى ﴿ﷺ﴾ (لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن وأكل أثمانهن حرام)، وفيهن أنزل الله عز وجل على ﴿ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله﴾، وقوله تعالى ﴿الله نزل أحسن الحديث﴾ يعنى به القرآن الكريم من حيث بلاغته وصدقه وشموله، وهذا مدح من الله عز وجل لكتابه القرآن العظيم المنزل على رسوله الكريم. وفى قوله: ﴿فجعلناهم أحاديث﴾ (سورة الزمر/٢٣) أى جعلناهم حديثا للناس وسمرا يتحدثون به من خبرهم وكيف مكر الله بهم، وفرق شملهم بعد الاجتماع والألفة والعيش الهنىء تفرقوا فى البلاد ههنا وههنا، ولهذا القصص عبرة وعظة(١٢).

والخبر:

ويمكن الوقوف على مفهوم الخبر فى القرآن الكريم من خلال استعراض بعض النصوص والتأمل فى تفسيرها مثل قوله تعالى: ﴿وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا﴾ (سورة الكهف/٦٨) أى ما لم تختبره والخبر هو الاختبار، وكقوله تعالى فى السورة نفسها: ﴿كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا﴾ قال مجاهد والسدي علما أى نحن مطلعون على جميع من سألوا عنه حين جاء نفر من اليهود قالوا لرسول الله ﴿ﷺ﴾، أخبرنا عن ذى القرنين، فأخبرهم أنه كان شابا من الروم وأنه بنى الاسكندرية.. إلى آخر قصته وأن جميع أحواله وأحوال جيشه لا يخفى على الله منها شىء وإن تفرقت أممهم وتقطعت بهم الأرض وقوله سبحانه وتعالى فى سورة محمد ﴿ونبلو أخباركم﴾ أى نظهرها ونكشفها، وكان الفضيل بن عياض إذا قرأ هذه

الآية بكى وقال: اللهم لا تبتلينا فإنك إذا ابتليتنا فضحتنا وهتكت أستارنا.

والسيرة:

لم أقف إلا على نص واحد في القرآن الكريم يتحدث عن السيرة وهو قوله تعالى في سورة طه: ﴿قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى﴾، قال ابن كثير: أي إلى حالها التي تعرف قبل ذلك. ومعنى هذا أن السيرة هي حكاية الماضي أو سرد حال من الأحوال التي مرت بالعصا فهي في الأصل عصا يهش بها على الغنم إلى جانب ما تؤديه من وظائف أخرى، ثم صارت حية تسعى تلتهم الحجارة وكل شيء يعترضها وكأنها جان في تقلبها وتحركها وسرعتها(١٤). وقال صاحب الكشاف: السيرة من السير كالركبة من الركوب، يقال سار فلان سيرة حسنة، ثم اتسع فيها فنقلت إلى معنى المذهب والطريقة وقيل سير الأولين فيجوز أن ينتصب على الظرف: أي سنعيدها في طريقتها الأولى: أي في حال ما كانت عصا، وأن يكون أعاد منقولا من عاد بمعنى عاد إليه.

والمثل:

وتحدث القرآن الكريم عن المثل والأمثال في كثير من المواضع وكذلك مثل ومثل وتماثيل مما يكون معرضا للمشاهدة والتعقل والفهم والمقارنة بين حال وحال في الأفراد أو الجماعات والأمم أو بين حال معنوية وأخرى حسية أو غير ذلك. قال سبحانه وتعالى في سورة العنكبوت: **﴿وتلك الأمثال نضربها للناس، وما يعقلها إلا العالمون﴾**، قال الزمخشري في الكشاف: كان الجهلة والسفهاء من قريش يقولون: إن رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ويضحكون من ذلك، فلذلك قال (وما يعقلها إلا العالمون) أي لا يعقل صحتها وحسنها وفائدتها إلا هم، لأن الأمثال والتشبيهات إنما هي الطرق إلى المعاني المحتجبة في الأستار حتى تبرزها وتكشف عنها وتصورها للأفهام، كما صورها هذا التشبيه. الفرق بين حال المشرك وحال الموحد.. وقال سبحانه وتعالى في سورة محمد **﴿كذلك يضرب الله للناس أمثالهم﴾** مثل ذلك الضرب (يضرب االله للناس أمثالهم) والضمير - كما يقول صاحب الكشاف - راجع إلى الناس أو إلى المذكورين من الفريقين، على معنى أنه يضرب أمثالهم لأجل الناس ليعتبروا بهم.

فإن قلت أين ضرب الأمثال؟ قلت: في أن جعل أتباع الباطل مثلا لعمل الكفار، وأتباع الحق مثلا لعمل المؤمنين، أو في أن جعل الاضلال مثلا لخيبة الكفار، وتكفير السيئات مثلا لفوز المؤمنين وقوله تعالى: ﴿ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل﴾ (سورة الفتح/٢٩). أي ذلك وصفهم في التوراة والانجيل.

وقوله تعالى: ﴿واضرب لهم مثلا أصحاب القرية﴾ (سورة يس/١٢) اضرب لهم مثلا أهل قرية أنطاكية الشام إذ أرسلنا إليهم رسولين فكذبوهما. وقال سبحانه وتعالى: ﴿ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل﴾ (سورة الاسراء/٨٩)، ولقد كررنا في هذا القرآن من كل مثل بوجوه مختلفة من التقرير، فأبى أكثر الناس إلا كفرا وجحودا(١٤).

والنبأ:

جاءت آيات كثيرة في القرآن الكريم تدور حول هذه الكلمة واشتقاقاتها وما تدل عليه بصيغ مختلفة، ففي قوله تعالى: ﴿عم يتساءلون عن النبأ العظيم﴾ أي القرآن أو البعث، ويقول ابن كثير: عن أي شيء يتساءلون عن أمر القيامة، وهو النبأ العظيم يعني الخبر الهائل المفظع الباهر وفي قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله﴾ أي أخبرتكما بتأويله. وقوله في سورة البقرة: ﴿قال أنبئوني بأسماء هؤلاء﴾ أي أخبروني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين وقال مجاهد في(١٥) قول الله: ﴿قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم﴾ قال اسم الحمامة والغراب واسم كل شيء، وروى عن سعيد بن جبير والحسن وقتادة نحو ذلك، فلما ظهر فضل آدم عليه السلام على الملائكة في سرده ما علمه الله تعالى من أسماء الأشياء، قال الله تعالى للملائكة: ﴿ألم أقل لكم إني أعلم﴾.. الخ. وقوله تعالى في سورة هود: ﴿ذلك من أنباء القرى﴾ ذلك النبأ من أخبار القرى نرويها لك. وفي قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك﴾ أي ذلك يا محمد من الأخبار المغيبة أو حيناها إليك، وما حضرتهم يتنازعون على كفالة مريم، ولا حين يقترعون عليها. وفي مفهوم قوله تعالى: ﴿أم لم يُنَبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذى وفى﴾ (سورة النجم/ ٣٦،٣٧) أي أم لم يخبر بما في صحف موسى وإبراهيم المكتوب أنه لا تحمل نفس آثمة إثم نفس أخرى وقال سعيد بن جبير والثوري أي بلغ جميع ما أمر به(١٦).

■ ومما تقدم نرى مفهوم القصص في القرآن يشمل الأسطورة والحديث والخبر والسيرة والمثل والنبأ، فالقاص يروي ليوضح ويبين للارشاد والتفكر، ويخبر الناس ويعلمهم بالأحوال والمشاهد التي تحقق غايات مختلفة للمجتمع الانساني أو حتى تسلية وشغلا كالأسطورة التي تجلب من

كتب السابقين لتروى حكاياتهم وأخبارهم وأنباءهم وخرافاتهم وأحاديثهم التى يسامرون بها ويجتمعون عليها ولا شك أنها أحاديث ماضية كما أن الكلام على الحال الشاهدة أحاديث منها الملهى مثل الغناء والمزامير (لهو الحديث) ومنها المصلح لمنهج الدنيا والآخرة كالقرآن الكريم (نزل أحسن الحديث). والخبر يشمل الاجابة عن شيء بعينه أو أشياء أو أخبار عن قصص وأحوال السابقين من أمم وأفراد، كما أن السيرة تشمل الأحوال فى السابق واللاحق بوسائل مختلفة كالقصص والنظر فى الآثار ومواطن العمران، وتلك أمثلة لمحاكاة الماضى بالحاضر، أو ليقارن الحاضر بالماضى كعرض ما جاء فى التوراة والانجيل ﴿ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل﴾ وهذه فى الانباء والاخبار الباهرة هى عن قصص وحكايات السابقين (أنباء القرى) و(أنباء الغيب) وتقرير أحوال الشاهدين ﴿وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين﴾.

(يتبع)

الهوامش

(١) ج ٨ ص٣٤١

(٢) ج ٢ ص٣١٣.

(٣) المعجم الوسيط ج١ ص١٥٩.

(٤) حاشية الأجهورى ص١١

(٥) الميدانى: مجمع الامثال ج١ ص٧.

(٦) محمد محمود حجازى: التفسير الواضح.

(٧) المرجع السابق.

(٨) المجلد الرابع ص١٩٢٥

(٩) د. محمد حجازى: سورة الانعام.

(١٠) تفسير القرآن العظيم ج٢ ص١٢٧، ٣٦٦.

(١١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ص١٩٤.

(١٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم.

(١٣) الدكتور حجازى: التفسير الواضح.

(١٤) تراجع المادة فى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص٦٥٩ ومفهومها فى كتب التفسير لمن يريد المزيد.

(١٥) ابن كثير ج١ ص٧٤.

(١٦) ابن كثير ج٤ ص٢٥٧.



شلال نياجرا

شعر: محمد بن احمد العقيلي

شلال (نياجرا) عليك سلام
وبشاشة ونضارة ووسام
فلأنت أروع ما يشاهد ناظر
قد شفه الاجلال والإعظام
ترغي وتزبد كالخضم يهيجه
ريح ولوه ساكب وغمام
وكأن قصف الرعد دوي هديره
وزئير عاصفة لها إحطام
تنصب من أعلى الشوامخ سادرا
كالسيف منصلتا له إقدام
فكأن ألواحا من البللور قد
عزلت بها الاطواد والاكام
أو عُلقت عبر الفضاء ستائرٌ
بيض لرجف متونهن خصام
دفق من الانوار يزحم بعضه
بعضا له في الخافقين زحام
وجدائل في رأس شاهقة الذرى
لشمت ذوائبها حصى ورغام
ينقض كالشهب الوضاء وقد هوى
وله اشتعال في الفضا وضرام
متواصل الأسباب ما بين الثرى
والسحب متصل له ، إسجام

قوس من الأنوار قد وصل السما
بالأرض مندفق له إرزام
سدلت على الجو الفضاء غلائلا
يبدو توهجها له استعظام
تستصغر الأنهار في جبروته
وتحار في ملكوته الأجرام
يجتاز شامخه القنان ويعـ
ـتلي ما لم يطله يذبل وشمام
شاهدته والشمس ساطعة السنى
والأفق ـ ضحيان السمات ـ غلام
فأثار في نفسي عوامل غبطة
وتأملات تقتعد وتقام
ومشاعرا لا أستطيع لوصفها
نطقا ولا لجمالها إلمام

●●●

ان كان يدهشني مشاهد ما أرى
وتكل عن أعجابها ـ الاقلام
فالقوم قد جعلوه مصدر قوة
ومجال طاقات لها استحكام
داروا المصانع من قواها وحركوا
الاثقال واندفعت بها الاجسام
وأدير من عالي مساقط مائها
أعتى الشروخ وماله إحكام

فلسطيننا

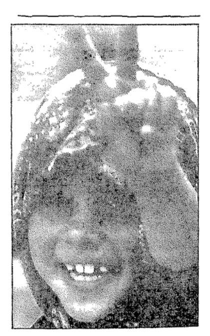
العــدد ٤٧ المحــرم ١٤١٢هـ

بســم اللـه الرحمـن الرحيم

﴿وأعـدُّوا لهـم مـا استطعتُم مـن قُـوَّة ومـن رباط الخيـل ترهبـون بـه عـدو اللـه وعـدوكـم واخـرين مـن دونهـم لا تعـلمـونهـم الـلـه يعلمهـم.. ومـا تنفقـوا مـن شـيء فـي سـبيل اللـه يـوف إليكـم وأنتـم لا تظلمـون﴾ (الانفال/٦٠).

محتويـات العـدد

فلسطيننا



البناء الداخلي

ضرورة ملحة

البنـاء الثقافى لاى أمة مسئولية القائمين على أمر تلك الامة، وهذا - بطبيعة الحال - يقتضى، بل ويستلزم أن يكون هؤلاء القائمون على الامر على إدراك تام بحجم وقـدر هذه المسئـولية.. لا سيما والبناء الثقافى يمثل التكوين الداخلى للامة ذاتها بحيث تستوى سامقة، شامخة لا التواء ولا انحناء فيها.

وأى امة تكون نشأة أجيالها على ثقافة هشة فانها لا تقف على رجليها الا ريثما تطيح على الارض ثانية، فهى كسيحة لا تقوى على شىء وتظل كلة على نفسها وعلى من نشأها هذه التنشئة.

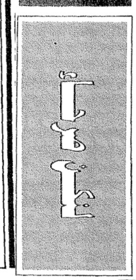
من كل هذا نستطيع القول بان البناء الثقافى لاجيال الامة يمثل العمود الفقرى لعلوها وارتقائها.. الامة العربية خلال هذا القرن نشئت على ثقافات عدة ليس لهـا ارتبـاط بمجمـوعـة القيم والاعـراف والتقاليد التى عرفها السابقون منا.. ورفعت رايات تلك الثقافات وبيارقها عالية فى الكثير من الاقطار العربية والاسلامية.. ولكن بكل اسف، لم تجد تلك الوافدة فتيلا، بل انها لم تجد حتى فى ارضها، فقد رفضت الاشتراكية والشيوعية فى ارضها التى كانت مهادها، وبطبيعة الحال لا نحسب ان للقومية مكانا الان اذ انها اصبحت مرادفة للعرقية وغيرها من شعارات التيه والتفرق والضياع.

اذا كانت اسـرائيل قد سلبت أرضنا، واحتلت ديارنا - ومازلنا بصدد مداواة هذا الجرح - فينبغى ألا تسلبنا ثقافتنا وتحتل ضمائرنا.

ومن هنـا كان لزامـا علينـا القيام بعملية مسح شامل لهذه المقومات الاسـاسيـة للبناء الداخلى، بعيدا عن كل تلك الشعارات والرايات الزائفة (الاشتراكية - القومية - الشيوعية - الوحدوية - الخ - الخ) فقد اصبحت لا تجدى فتيلا، ولا تطرح ثمرا، ولا تقيم أودا.. ويبقى الخيار واحدا لا نبغى عنه بدلا.

إنه خيـار الفطرة.. (وسماكم المسلمين). والاسلام هو المرتكز الاساسى للثقافة التى نودها لاجيالنا ولا محيد عنه.. راية الاسلام، يسير النصر تحتها خفـاق الاعـلام ما التـزمناه منهجا وسلوكا، وثقافة.. و﴿ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم﴾.

فلسطيننا





شعر: خير الدين وانلى (سوريا)

يا أيها الصِّيدُ والقوم المحاميدُ
هل بعد فرقتكم للشمل توحيد

الهود فى المسجد الاقصى لهم عبث
وفى (الخليل) لهم حظر وتشديد

والطفل يضرب بالأحجار غاصبها
وليس يرهبه قتل وتهديد

والبنت تصفع وجه العلج تدفعه
والأم تصرخ فالاجواء ترديد

والشيخ يُلقى به أرضا وتسحقه
أقدامهم أو يداس الصدر والجيد

كم حطموا سوق اطفال واذرعة
لليافعين وفى الاحكام تأبيد

كم هدموا منزلا بالحقد تجرفة
جرافة فلأهل الدار تشريد

كم عاجز مات بالغازات تخنقه
فالعيش هم وتنكيل وتنكيد

كم ذبحوا فى بيوت الله عابدة
وللمصلين تسبيح وتوحيد

سنون أربع والأحجار ما انقطعت
والجوع يفتك والتجوال محدود

والعلم مقفلة أبواب مورده
على التلاميذ فالتعليم مفقود

والماء يقطع والحارات مظلمة
وللتحرك تضييق وتقييد

والعرب بالعود والمزمار منشغل
إعلامهم أو بما ازدانت به الغيد

ناهيك عن عرض رقاص وراقصة
على الجليد فللالعاب تمجيد

والقدح والذم والتجريح ديدنهم
فبأسهم بينهم كى يسلم الهود

يا قوم لا تنفقوا اموالكم بددا
وحولكم مستحق العون مجهود

كونوا يداً تضرب الاعداء وارتدعوا
عن ضرب بعضكم يا أيها الصِّيد

إن تنصروا الله ينصركم فلا تهنوا
وتركنوا لافتراق فهو تبديد

لا ينصر الله أحزابا مفرقة
بحبله اعتصموا والله مقصود



الصهيونية

ومحاولة تخريب الادب الاسلامي

بقلم: محمود عبد العال حفنى (مصر)

الشيوعية والصهيونية يلتقيان على نشر الاباحية وهدم القيم والفضائل.

يوجد تنسيق وارتباط بين الفكر الصهيوني والفكر الشيوعي وهذا ما توصل إليه الفيلسوف «نيتشه» في القرن التاسع عشر الميلادي حينما قال «إن المفكر الذي يهمه أمر أوروبا ويطيل التفكير فيه تكشف له نظراته إلى المستقبل، إن اليهود والروس سيكونان أهم العوامل في رواية المستقبل العظيمة وصراع القوى المنتظر». . لقد كشف «نيتشه» عن الصلة الخفية بين الصهيونية والشيوعية وحدد أهدافها فالهدف الأسمى للشيوعية هو السيطرة على مقدرات الشعوب والسيادة سياسياً واقتصادياً وهذا يتضح في قول «ماركس» (أمامكم معالم وعليكم أن تكسبوها) فهدف الصهيونية هو السيطرة على العالم كله سياسياً واقتصادياً لزعمهم بأنهم شعب الله المختار وجاء في بروتوكولات صهيون «أننا نقرأ في شريعة الانبياء إننا مختارون من الله لنحكم الأرض وقد منحنا الله العبقرية كي نكون قادرين على القيام بهذا العمل ومن ثم ندرك أن أول من نادى بالشيوعية هم الصهاينة. . وها هي مجلة «أفريكان هيبرو» وهي كبرى المجلات اليهودية الامريكية تقرر في عددها الصادر في ١٠ سبتمبر عام ١٩٢٠م أن الثورة الشيوعية في روسيا كانت من تصميم اليهود وأنها قامت نتيجة تدبير اليهود الذين كانوا يهدفون إلى خلق نظام جديد للعالم وأن ما تحقق في روسيا كان بفضل العقلية اليهودية التي خلقت الشيوعية في العالم.

■ فالشيوعية والصهيونية يلتقيان معاً على نشر الالحاد وبث الاباحية في العالم صاحب الديانات السماوية كما يعملان على هدم القيم والفضائل والمثل والقضاء على الأديان ليسهل لهم السيطرة ونشر الالحاد بكل جوانبه والتحكم في مقدرات تلك الشعوب.



برجينسكى



دافيد اليعازر





آبا ايبان



غولدا مایر

■ لقد جاء فى بروتوكولات حكماء صهيون «ولهذا السبب يجب علينا أن نحطم كل عقائد الايمان وإذ تكون النتيجة المؤقته لهذا هى إثمار ملحدين فلن يدخل هذا فى موضوعنا ولكنه سيضرب مثلا للأجيال القادمة التى ستصغى إلى تعاليمنا على دين موسى الذى وكل إلينا بعقيدته الصارمة واجب إخضاع كل الأمم تحت أقدامنا».

وها هو زعيم الشيوعية وواضع أسسها «كارل ماركس» يقول: «لا إله والحياة مادة».

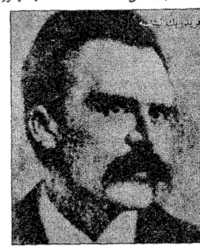
وهنا ندرك ما قام به اليهود من الدعاية بكل وسائل الاعلام حيث يقولون «نحن الذين رتبنا نجاح كارل ماركس».

■ ومن الصفات التى تلتقى فيها الصهيونية مع الشيوعية العنف والقسوة والوحشية ضد الشعوب يقول «ستالين» (إنكم لا تستطيعون الهرب من الكوارث الطبيعية التى تقتل الملايين فتقبلونها صاغرين فكيف لا تقبلون عمليات التطهير التى تقوم بها السلطات الشيوعية للحفاظ على هذا المبدأ الذى سيقدم إليكم الخير)..

وهذا ما يوافق ما جاء فى البروتوكول الصهيونى الأول «يجب أن يكون شعارنا كل وسائل العنف والخديعة إن القوة المحضة هى المنتصرة فى السياسة وبخاصة إذا كانت مقنعة بالألمعية اللازمة لرجال الدولة ويجب أن يكون العنف هو الأساس».

وعلى أثر قيام الثورة الشيوعية فى روسيا عام ١٩١٧م حكم روسيا عشرة أعضاء كان بينهم ستة يهود وأن «ستالين» كان متزوجاً من يهودية ويقال هو نفسه من أصل يهودى ومؤسس الماركسية كان من أب وأم يهوديين.

ويقول الدكتور عبد الحليم محمود (إن الصهيونية ليست شقيقة الشيوعية



فريدريك نيت

فحسب بل هى أمها وكل من درس تاريخ الشيوعية يعلم أن الذين كونوها وساروا بها الى وضعها الراهن أغلبهم يهود متعصبون لليهودية).

وقد نبه أيضاً للخطر الشيوعى المرحوم عاهل المملكة العربية السعودية (الملك فيصل) تغمده الله بواسع رحمته حيث قال: (إن الشيوعية والصهيونية لا تتيحان الفرصة للعالم لتحقيق أهدافه من التقدم والاستقرار والعالم يحتاج إلى البناء لا الهدم والتخريب ولكن الشيوعية والصهيونية لم تتركا لنا الفرصة لبناء بلادنا وشعوبنا وعندما نقول الصهيونية والشيوعية نذكر اسمين ولكن الحقيقة أن الصهيونية ولدت الشيوعية وهدفها الاساسى هو التخريب والتحطيم ولسوء الحظ يجدون الفرصة فى أكثر من العالم لتخريبه).

■ هذه هى الصهيونية والصهيونية هى «جماعة يهودية شيوعية تكونت فى جنوب القدس فى جبل صهيون للتعصب لليهودية والكراهية للشعب العربى الفلسطينى».

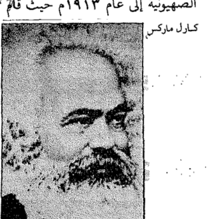
من مبادىء الصهيونية:

توطين اليهود فى فلسطين والتوسع فى الأراضى العربية عن طريق القوة المسلحة ضد العرب، إحياء الفكر اليهودى واستخدام اللغة العبرية فى فلسطين بدلا من اللغة العربية، اضطهاد العرب وتشريدهم، العمل على بناء المستوطنات اليهودية فى الأراضى العربية بالقوة وقد بنى حتى الآن ما يقرب من ٢٧٠ مستعمرة يهودية فى الجولان السورى والضفة الغربية للأردن وقطاع غزة.. ويقول «بن جوريون» رائد الحركة الصهيونية الحديثة: (إنه لا يعد صهيونياً إلا اليهودى الذى يسارع إلى جبل صهيون مضحياً بكل شىء مؤثرا الحياة بفلسطين على كل حياة).

تاريخ الحركة الصهيونية:

تمتد جذور تأسيس الحركة الصهيونية إلى عام ١٩١٣م حيث قام





كارل ماركس

«.. ان الشيوعية والصهيونية لا تتيحان الفرصة للعالم لتحقيق أهدافه..».



الملك فيصل/عليه رحمة الله

حوالى مائة من الشخصيات الصهيونية الموالية للشيوعية بتنظيم أنفسهم باسم «حرس الشباب» واعتبروا أنفسهم جزءاً من الشعب اليهودى وبدأوا فى إنشاء المستعمرات الزراعية بأرض فلسطين ثم انضموا إلى حزب العمل الاسرائيلى عند تأسيسه عام ١٩٣٠م وفى عام ١٩٤٥م تحول الى حزب سياسى انضم مع حزب يسارى آخر يسمى «لواهونت هافودا» وشكلا حزب «مابای» الذى فاز فى ذلك الوقت بـ١٩ مقعداً من مقاعد الكنيست الأولى ... وقد شكل الحزب الشيوعى الاسرائيلى عام ١٩٤٨م نتيجة لاندماج الحزب اليهودى المسمى بالحزب الشيوعى الفلسطينى مع ما تبقى من الرابطة القومية للتحرير وهى رابطة عربية.. وقد حدث انقسام داخل الحزب قبل ذلك بخمسة أعوام رابطة العرب القومية للتحرير تطالب بإقامة دولة موحدة والحزب اليهودى الشيوعى الفلسطينى يطالب بدولة مزدوجة القومية.. وبعد انقسام حزب «مابای» الشيوعى الصهيونى انضم المنشقون اليساريون فيه إلى حزب «ماكاى» الذى حصل على ستة مقاعد فى انتخابات الكنيست التى أجريت عام ١٩٥٥م.



ستالين

اهتم «ماكاى» بشكل خاص بمصالح الأقلية العربية فى فلسطين وعارض الادارة العسكرية للمناطق التى يقيم فيها العرب.. وكان هو الحزب الوحيد فى إسرائيل الذى عارض اشتراكها فى العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦م.. ثم ظهر على مسرح الأحداث «ليفى أشكول» وتولى رئاسة الوزراء وكون حزبه.

أخطار الصهيونية:

تسليط الأضواء على الباحثين المقلدين للغرب من أبناء العالم الاسلامى وإهمال الباحثين المسلمين فى العصر الحديث فنجد أن بعض الذين تخرجوا من معاهد التعليم الغربية ودرسوا مناهجه ورجعوا إلى مواطنهم سلمهم الاستعمار الإشراف على معاهد التعليم التى كانت معاهد غربية فى بلاد إسلامية فلا عجب أن نرى العالم الاسلامى يعيش فى هذه الحالة المتردية.. كذلك راحت دور النشر والصحف تسلط الأضواء على هؤلاء الباحثين المتغربين حتى صنعت منهم عقول الأجيال عمالقة.. ولم يفت للصهيونية أن تحارب الباحثين الاسلاميين الذين تنبهوا للخطر الداهم فحاصرتهم فى دائرة ضيقة وأبعدتهم عن معاهد العلم جسماً وفكراً ورمتهم بالتقليد والجمود.

وجاء فى البروتوكول الثامن عشر «لن يسمح لأحد بالدخول فى عالم الأدب ما لم يكن يحمل علامات بعض الأعمال المخزية فى حياته الماضية وعند أول بادرة لعدم الخضوع تفتضح أعماله المخزية فى الحال ما دامت هذه المخزيات معروفة لعدد قليل فإن مكانه الصحفى يجذب الرأى العام فى أنحاء البلاد فيعجب الشعب به ويعتمد أفكاره».

■ وهكذا نرى أن العالم الاسلامى أبتلى بأقبح أشكال المسخ الثقافى يذكى هذا المسخ ويزيده الآراء المبتورة التى تحركها العمالة الصهيونية التى تتشدق بحرية الرأى.

■ إن أبرز ما تعنى به اليهودية التلمودية إقامة بوتقة تفكك الأخلاق بتسهيل سبل الشهوات وأشرطة الفيديو والحث على الجرائم وعلى الشهوات واختراع الرقص الخليع بأنواعه ومسابقات الجمال واختيار ملكات المحاسن فى الغرب والشرق وعبادة المادة فى كل شىء ونشر صحف المجون والفسوق ونشر أشد الكتب المحظورة على أذهان الشبيبة ونشر الصحف الكاشفة عن القناع عن أسرار الجرائم تحت ستار التحقيق الجنائى وما هى إلا تحريض خفى لاقترافها بطريقة الايحاء التى يجيد اليهود توجيهها نحو الجماعات

■ ومن أخطار الصهيونية أيضاً إفساد الثقافة ومسخ الأدب . . فاليهودى «كارل ماركس» وراء الشيوعية التى تهدم الأخلاق والأديان واليهودى «دوركايم» وراء علم الاجتماع الذى يلحق نظام الأسرة بالأوضاع المصطنعة ويحاول أن يبطل آثارها فى تطور الفضائل والآداب واليهودى «سارتر» وراء الوجودية التى تقود الفرد لآفات القنوط والانحلال واليهودى «فرويد» وراء علم النفس الذى يرجع كل الميول والآداب الدينية والخلقية إلى الغريزة الجنسية كى يبطل قداسة الأسرة والمجتمع والكون وخالقه واليهودى «دارون» وراء نظرية التطور الذى ينكر ابتداء الله للخلق ومما يساعد اليهودى على ترويج هذه المبادىء الشريرة سيطرتهم على دور النشر والطباعة العالمية فى أقطار كثيرة.

■ فالمذاهب الأوروبية التى روجت لها الصهيونية حتى أصبحت مذاهب عالمية تسير جميعاً لتجعل مقياس الرقى الأدبى بمقدار دغدغته لغرائز الجنس وإثارة الشهوات . . وتسللت السموم الصهيونية فى الثقافة والآداب إلى العالم الاسلامى منذ القرن التاسع عشر بأشكال مختلفة . . باسم المستشرقين وباسم الإرساليات التبشيرية وباسم البعثات للآثار أو بواسطة البعثات العلمية التى تذهب إلى الغرب للدراسة ثم تعود، إلى غير ذلك من ألوان التسرب والهدف من هذا التآمر كما قال المستشرق الانجليزى «جب» هو حمل العالم الاسلامى على الحضارة الغربية لهدم وحدة الحضارة الاسلامية التى تقوم عليها وحدة المسلمين لأن كل قطر سيتجه إلى اقتباس ما يلائم ظروفه من هذه الحضارة وعند ذلك تتعدد أساليب الاقتباس ولا يعود هناك شىء اسمه حضارة إسلامية.

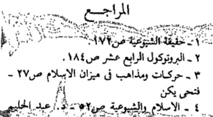




بلفور — ليفى أشكول — حاييم وايزمان — حاييم هيرتزوج

تآمر الصهيونية فى التراث الاسلامى :

كان المستشرقون إذا اضطروا الى الاعتماد على بعض جوانب التراث الاسلامى الصحيح أحاطوه بتعليقاتهم التى تستهدف تضعيفه والتقليل من قيمته وقد فرضوا هذا التراث الخليط من الجاهليات المختلفة على مناهج التعليم فى بعض بلادنا خلال فترة الاستعمار وقبلها بواسطة مدارسهم ودور نشرهم ومطابعهم وصحفهم فنشأ كثير من المسلمين يعتقدون بأن الذى بين أيديهم هو التراث الاسلامى وهو تراث يبعث على الخجل والاستخفاف لأنه لا يرتفع لمستويات تشرف وليس فيه شىء من نتاج المسلمين وخاصة وقد درسوه مقارناً بالتراث الأوروبى دراسة تظهر التراث الأوروبى بمظهر التراث الكامل الرفيع ومادرى ناشئة المسلمين أن التراث الاسلامى الصحيح مازال إما حبيس المخطوطات والمتاحف وإما حبيس المكتبات بعيداً عن مناهج التعليم.



المراجـــع

١ ـ حقيقة الشيوعية ص١٧٢.
٢ ـ البروتوكول الرابع عشر ص١٨٤.
٣ ـ حركات ومذاهب فى ميزان الاسلام ص٢٧ ـ فتحى يكن
٤ ـ الاسلام والشيوعية ص٥٢ ـ د. عبد الحليم محمود
٥ ـ الاتجاهات الوطنية ج٢ ص٢٠١ ـ د. محمد حسين
٦ ـ دراسات صهيونية وماسونية ـ د. محمد رشاد





هتلر

الصهيونية العالمية استطاعت أن تستغل مواقف العداء ضدها من اجل استمالة الرأى العام الاوروبى لصالحها.. وهى لا تزال حتى يومنا هذا تردد تعذيب هتلر لليهود فى سبيل الضغط على الحكومات الاوروبية لكسب المعونات المادية والمعنوية.

● هؤلاء الصبية نشأوا ورؤوسهم عن الكيم..

الادب الصهيونى عنصرى استيطانى يدعو

بقلم: شمس الدين العجلانى (دمشق)

(لا تقتلوا طفلا ولا امرأة ولا شيخا ولا تذبحوا شاة او بعيرا الا لمأكلة).

هكذا قال الخليفة ابو بكر الصديق للجنود المسلمين.. وهكذا عرف المسلمون الحرب.. وهذه هي الاخلاقية الاسلامية في الحرب.. الحرب التي هي حدث عابر في حياة المسلمين حملوا لها الشجاعة والاقدام، كما حملوا لها الكراهية حيث اعتبروها امرا واقعا فرض عليهم وشر لابد منه.

فلا توجد أمة على وجه الارض اعتبرت الحرب اساس وجودها ولا يوجد شعب على وجه الارض اعتبر الحرب اساس كيانه، ولا يوجد تجمع أو كيان ما اعتبر الحرب شيئا مقدسا سوى الكيان الصهيونى.



احصدوهم . . اذبحوهم . . اقتلوهم
نريد أن نرى دماء

هكذا يخاطب الشاعر الصهيوني يوناثان غيفن أبناء ملته من خلال قصيدته دماء صبرا وشاتيلا . .

فمسألة الحرب في الكيان الصهيوني أمرها يختلف تماما عن باقي الامم والشعوب، فهذا الكيان مبني على القتل والارهاب فالحرب بالنسبة اليهم ليست أمرا واقعا تعرضوا له في فترة زمنية، إنما الحرب والارهاب والقتل هي من مقومات هذا الكيان الصهيوني وهي خبزه اليومي ولا فرق لديهم أن تكون نتيجة الحرب خسارة أومكسبا، فالحرب هي الحرب بعكس السلام والاستقرار وما تتبجح به - اسرائيل - بين الفينة والاخرى بأنها من دعاة السلام وأنها تسعى للعيش بسلام بعيدة عن آلة الحرب والعدوان فهذا الطرح لا أساس له من الصحة في عرف الكيان الصهيوني، ولما كانت الوثيقة الادبية هي مرآة المجتمع تعكس انطباعاته وآلامه وآماله فإننا سوف نستعرض من خلال ما يسمى بالأدب الصهيوني مسألة الحرب والقتل والارهاب في الكيان الصهيوني الصهيونية فهو أدب محدد يسير ضمن منظور معين يستمد موضوعاته من تعاليم التلمود وأحلام التوراة الزائفة وبالتالي فان هذا الادب بشتى اشكاله وأنواعه غير انساني يسعى لتبرير العدوان وتشويه انسانية الانسان ويبتعد عن كل ما هو اخلاقي .

أدب الحرب الصهيوني:

«قاتلت االصهيونية بسلاح الادب قتالا لا يوازيه الا قتالها بالسلاح السياسي . . . إن الصهيونية الادبية سبقت الصهيونية السياسية وما لبثت أن استولدتها وقامت الصهيونية السياسية بعد ذلك بتجنيد الادب في مخططاتها ليلعب الدور المرسوم له»(١).

■ هكذا استغلت الحركة الصهيونية ما يسمى بالادب الصهيوني ودفعت به الى ساحة الحرب قبل ان تدفع بالجندي الارهابي .

■ وقبل الحديث عن الادب الصهيوني خلال حروب الكيان الصهيوني الارهابية لابد من التنويه الى :

●● أن الادباء والاعلاميين الصهاينة هم في الوقت نفسه من دائرة متخذي صفوف العصابات الصهيونية العسكرية قبل عام ١٩٤٨ .

●● انطلاقا من الأهمية البالغة للادب الصهيوني في عسكرة المجتمع الاستيطاني وتعبئته بروح الحقد والكراهية لكل ما هو عربي فان القطاع الادبي يتحول أثناء الحرب الى سلاح يوازي في أهميته الآله العسكرية الصهيونية في ساحة المعركة وهذا ما أشار اليه الشهيد غسان كنفاني حين قال في كتابه في الأدب الصهيوني: «قاتلت الصهيونية بسلاح الادب قتالا لا يوازيه الا قتالها بالسلاح السياسي» .

●● يعمل الادب الصهيوني خلال الحرب على تبرير المجازر والمذابح التي يقترفها الجيش الاسرائيلي واذا اقتضت الضرورة للانتقاد فان هذا الادب ينتقد أشخاصاً ولا يمس بنية المؤسسة العسكرية الصهيونية ويعتبر كل حرب يشنها الجيش الصهيوني هي حرب مقدسة للدفاع عن اليهود.

حرب ١٩٤٨:

قبل عام ١٩٤٨ كان ما يسمى بالشعر الصهيوني يترافق مع بروتوكولات حكماء صهيون

جريمة ويبرر إغتصاب الارض العربية..

مشيرين في البدء الى أن ما اصطلح على تسميته بالادب الصهيوني هو أدب عنصري استيطاني يدعو للجريمة ويحاول تبرير اغتصاب الارض العربية فهو ليس أدباً انسانياً بمعنى انتمائه الطبيعي والحر لتاريخ الادب في العالم بل هو أدب يسير ضمن دائرة محدودة واضعا لنفسه شروطا لا أخلاقية فهو لا يغوص الى أعماق النفس البشرية إنما يسير باتجاه السطح لغاية تبريرية اعلامية تخدم اهداف الحركة القرارات الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية في الكيان الصهيوني . . ولا يغير من هذه الحقيقة كل ما يقال عن استقلالية الاجهزة الاعلامية والادبية عن السلطة التنفيذية في الكيان الصهيوني خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار النسبة الكبيرة من رؤساء الاتحادات الإدبية والثقافية ومراكز الإبحاث وهيئات تحرير الصحف الكبرى هم من متقاعدي الجيش الصهيوني أو من عملوا سابقا في والتحركات التي قامت بها التجمعات الصهيونية لتكوين الكيان الصهيوني وبالتالي الدعوة للهجرة الى أرضنا العربية فلسطين مصورا فلسطين أنها الجنة الموعودة لهؤلاء الصهاينة وانها الحلم التلمودي الموعود لهم فهي أرض العسل واللبن وخير من يمثل هذا الاتجاه الشاعر «مناحيم نجهان بياليك» (١٨٧٣-١٩٣٤) فهو يحلم بـ:

حديقة وبئرا
اعلق عليه دلوي

اقضي بها أعيادي
ومن مائها أملأ جرتي

■ وكـذلـك يحلم الصهيوني «يعقوب فيخمان» بأرضنا الطيبة فلسطين ويقول:

حينما كنت شابا أخذ قلبي بمشهد السهل
أحببت اتساع افقه الازرق
الذي تضرب وتضيع الشمس داخله
كنت طفلا حينما أحببت أن تطأ قدماي
عشب حقولها الندي
أن أشعر بسجادتها الخضراء

■ وتـارة أخرى يستنهض الشاعر بياليك غريزة الارهـاب في نفـوس الصهاينة فيصرخ من خلال قصيدته «المـوت فى الصحـراء» التى نظمهـا حوالى عام ١٩٠٥م.

انهضوا أيها التائهون في الصحراء
اخرجـــوا
فمازال االطريق طويلا
وما زالت الحرب طويله
وها نحن ننهض
الى السلاح الى السلاح

■ وحيث تكاليت القوى الاستعمارية لتـأسيس الكيان الصهيوني في أرضنا العـربية أخـذ هذا الادب الصهيوني سمات جديدة تميزت بـ:

●● الدعوه للقتل والارهاب لتحقيق الغـاية المرجـوة في طرد السكـان من أرضهم واقتـلاع جذورهم العـربية المثبتة في الارض وهذا ما أشارت اليه الشاعرة الصهيونية «شموليت هرافن» حين قالت: «البطولة لا تكون الا من خلال فوهـة البنـدقية» وكـذلك جند كاتب القصة الصهيوني «هازي لابين» أعـمالـه القصصية المـوجهـة للاطفال لتحريضهم على القتل والارهاب.

سنوف نهاجم الاعداء
خلال الظلام بكل قوة
لانه لا يوجد لدينا لغة
غير لغة الجريمة

■ وتبلغ ذروة الارهـاب عنـد أحـد الشعراء الصهاينه فيصرخ:

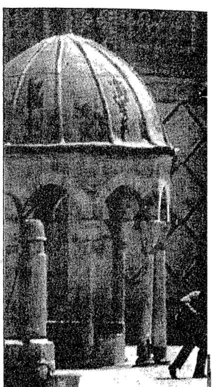
اطردوا كل الخونه
من البلاد اليهوديه
لا نريـــد هنـــا
الا كل صهيوني حقيقي
يصرخ أمام الملا
يهودا والسامره لنا..

●● تبرير الاعـمال الارهـابية التى ترتكبهـا العصـابـات الصهيونية مثل الهـاغاناه والاراغون التي كان لها باع طويل في الـقتـل والارهـاب حيث ارتكبت ابشع المجازر بحق المواطنين العـرب، فحين قام الارهابي «بيغن» عام ١٩٤٨ على رأس عصـابتـه الاراغـون بالاعتـداء على السكـان العزل للقرية العربية دير ياسين فقتل العشرات من أطفال ونساء ورجال هذه القـرية الـوادعـة، انـبرى المفكـر الصهيوني/افريم تاري/لتبرير هذه الجريمة فقال: ان مرتكبيها لم يكونوا مدفـوعـين باعتبـارات منهجية أو سياسية، بل كانوا يبحثون عن عدد من الجنـود العـرب الـذين كانـوا قد اغتصبوا مجموعة من النساء اليهوديات في القـدس. وعودة سريعة لمذكرات الارهـابي بيغن يتضح تماما بأن هذا الارهـابي خطط لهذه الجريمة البشعة ونفذتها عصابته الاراغون وكان الهدف منهـا دب الـذعـر والخـوف في قلوب العـرب العزل لاجبارهم على النزوح عن الاراضي العربية.. وقال الأرهابي بيغـن عقـب هذه المجـزرة «إن هذه المـذبحـة كانت أكثر من ضرورية. فلولا النصر في دير ياسين لما كانت دولة اسرائيل قائمة».

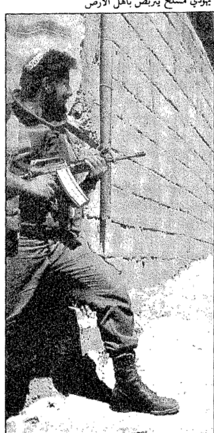
حـــرب ١٩٦٧م:

وجـاءت نكسـة الخـامس من حزيران عام ١٩٦٧م حيث اضحى الحلم الأزهى لكـل القـوى الملتزمة بالفكر الصهيوني التلمودي في أرضنا المـحـتـلة هو جلب ما يسمى يهود الشتات من مواطنهم في انحاء العالم من أجـل تثبيت الاحتـلال للاراضي

● حتى الصلاة التى جعلها الله سبحانه قرة عين وسكينة للنفس، فزع اليهود المصلين عن أدائها.



اسفل يمين مناحيم بيجين
اسفل يسار موشى دايان
يهودي مسلح يتربص بأهل الأرض



العربية التى تم الاستيلاء عليها خلال نكسة حزيران والتي اعتبرت لدى الحركة الصهيونية جزءا من أرض «إسرائيل» التاريخية «من الفرات الى النيل».

■ لقد أكد الادب الصهيونى عقب حرب ١٩٦٧ أن الحرب هي الخبز اليومي لاسرائيل:

عندما نتمشى فنحن ثلاثة
أنا وأنت والحرب القادمه
وعندما ننام فنحن ثلاثة
أنا وأنت والحرب القادمه
وعندما نبتسم
تبتسم الحرب القادمه
وعندما ننتظر في عنبر الولاده
ننتظر الحرب القادمة معنا.

■ وبقسوة ممزوجة بالحقد وبمنطق الارهاب الذي تدينه وسائل الاعلام الصهيونية يصرخ الشاعر اليهودي «حاييم جوري» فيقول في الحرب: «هذا التراب لا يرتوي» فهو يريد الحرب أن تستمر والارهاب أن يستمر الى ما لا نهاية فهو يطالب بالمزيد من الدماء والدموع والجثث وصناديق دفن الموتى.

وعقب حرب ١٩٦٧ زار الجنرال اندريه بوفر/ قائد القوات الفرنسية التى غزت مصر في حرب ١٩٥٦ أرضنا المحتلة وأراد تهنئة «اسحق رابين» على حربهم هذه فرد عليه الارهابي «رابين» ولكن ماذا سيبقى من هذا كله «أي لا فائدة من كل هذه الحرب فلا السلام سيأتي ولا الحرب ستقف» وموشي ديان قال ذات يوم: «إننا لا نستطيع غرس شجرة او بناء بيت دون الخوذة والمدفع».

ومن ناحية أخرى تميز الادب الصهيوني بشكل عام خلال هذه الفترة:

●● نظرة التعالي والغطرسة وتمجيد الجندي الصهيوني الذى لا يقهر «السوبرمان» «سبعة مسلحين صهاينة يكتسحون بلدة الجبة قرب المجدل ويحتلونها دون أن يفقدوا رجلا واحدا..».

●● إنكار وجود الشعب العربي الفلسطيني ففي حديث أدلت به غولدا مائير الى صحيفة الصندي تايمز في عام ١٩٦٩م قالت: «لا يوجد شيء



اسمه الفلسطينيون.. ليست المسألة أنه كان هناك شعب فلسطينى في فلسطين يعتبر شعبا فلسطينيا فأتينا نحن وطردناه واستولينا على أرضه.. الفلسطينيون لم يوجدوا قط»..؟؟؟ ويقول الاديب الصهيوني (سول بيلو) في تعليقه على عبارات مائير هذه: «العرب لا حق لهم في فلسطين لان ملابسهم غير انيقة وأصواتهم مرتفعة..».

●● ازدياد الدعوة للتوسع والاستيطان وخير من يمثل هذا الاتجاه هو الأديب الصهيوني الحائز على جائزة نوبل (يوسف عجنون) حيث كرس غالبية

أعماله القصصية للدعوة لقضم المزيد من الاراضي العربية فيقول في قصص إسرائيلية: إنني ادعــو الله ان تمتــد حدود اورشليم حتى تصل دمشق وفي كل الاتجاهات . . ؟

حـــرب ١٩٧٣م:

ما حدث ، حدث حقا
ما حدث ، حدث حقا
ما حدث ، حدث حقا
اعتقد بكل ما لدي من ايمان
بأن ما حدث قد حدث فعلا

«كارمى»

■ فعــلا احــدثــت حرب (٧٣) التحــريرية شرخـا كبـيرا فى الكيان الصهيوني هزته وخلخلت ركائزه المادية وآفـاقـه الاستراتيجية واشتدت عقب حرب تشرين ـ اكتـوبـر الصراعـات الــداخـلية والـسـياسـية في الـكـيان الصهيوني وأصبــح الادب الصهيوني بكـافـة جوانبه من شعر وقصة و. . . يتخبط في ظلال الهزيمة . . ولم يستطع الصهـاينـة نكـران ذلـك، إنهم أمام عظمة حرب ٧٣ وأن:

ما حدث قد حدث فعلا

■ وأن تشرين اكتوبر كانت كالصاعقة على الكيان الصهيوني افقـدته صوابه وهذا مما دعا الشاعر الصهيوني (مائير شيلاف) للقول:

ويل للمحاربين من على الكراسي
ولجنود الورق والقلم
وللراقدين في كمين على السرير
ولمحتلي الاهداف على المكاتب
وللصارخين الى القتال
المتدثرين بالعباءه

■ أمـا كارمي الذى اشتهر بقصيدته (البكائية) التى خرج من خلالها بأن:

ما حدث قد حدث فعلا

■ يعود ليبكي مرة أخرى على كيانه المصطنع:



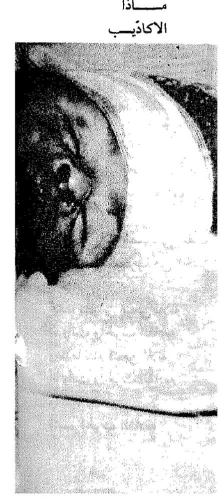
البلاد فقدت شكلها
ما في ذلك شك
فحتى الهواء اختنق داخل الارض

■ إن ما يقوله كارمي يعبر عن التغيير الذي احدثته حرب تشرين اكتوبر في نفسية الشـاعر الصهيوني المتغطرس، ان المرارة واليأس التي يعاني منها كارمي هي مشـاعـر الصهـاينة بشكل عام، فحرب (٧٣) احدثت أزمة نفسية في الشعـر الصهيوني بلغت ذروتها لدى الشاعر اسحق افينوعيم حين يقول:

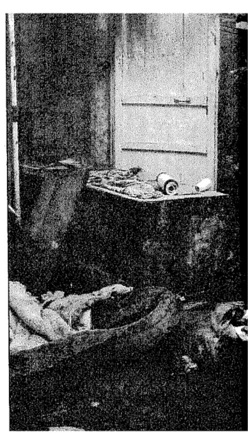
نطلب المغفره ، لاننا حزينون
نطلب المغفره ، لاننا نبكى
نطلب المغفره ، لان الوسائد
التى نضع عليها رءوسنا في الليل
مرطبة بدموعنا منذ الصباح

■ بينـما يرى شاعــر صهيونى آخر (شارون) أن الازمة التى يمر بها كيانه الــصــهـيوني نتيجــة حرب (٧٣) التحــريرية انـما هي نتيجـة حتمية للاكـاذيب والـوعود المقطوعة من قادة العدو الصهيوني بأنهم دائما المنتصرون وأنهم أصحاب كيان (ال والعسل).

فهذه دولة قاسية
لا تعرف إلا الأوامر
أتذكـــر
مــــاذا
الاكاذيـــب



الى اليمين آلة الحرب والدمار الصهيونية .



ترى ما جريمة هذا الطفل؟؟!!



لبـن وعســل
ورجال تخبىء الاقدار
على شفه البحـار
كيف الهروب من بيت الاحزان

وينهار شاعر آخر (ايتان) وله محبوه لدى جيل الشبـاب ، أمـام عظمـة تشرين ـ اكتـوبـر فينبىء الجيل الصهيوني القـادم بأنـه سوف يكـون عرضة للفشل والهزيمة والموت :

ستموتون في الحرب القادمه
حرب يموتون فيها تحت الشمس
وتحت مخبأ القمر
ستموتون أيها الاطفال
فلا مفر من الموت

■ لقـد انهـار الشعر الصهيوني أمـام انـتـصـار ٧٣ ونـزل شعـراؤه مـن برجهـم العاجـى ليتهمـوا قادتهـم بأن :

سلمنا لهم كل غال لدينا
ولم نسـأل
حتى جاء يوم الحساب
ومعـه الاسـئله
التى تنتظر الجواب حتى اليوم

■ وأى جـواب ينتـظـره الشـاعـر امينوعيم مـن قادتـه الارهابيين غـير:

دعونا نبكي فـى سرائرنا بهدوء

■ حتى البكـاء يريدونـه بهـدوء لان الموت ينتظرهـم :

ستموتون فى الحرب القادمة
محترقيـن بصاروخ دبابه
أو ممزقيـن بقذيفــة
انكم ستموتون في الحرب القادمة
شيئا فشـيئا
ودفعــة واحـده

وحـين يريد قادة الصهاينـة منـح الاوسمـة لمـن ارسلوهـم للموت فـى حرب تشرين ـ اكتـوبـر يقـول لهـم الشاعـر روبيـك روزنتـال :

أعيـدوا هـذه الاوسـمة
كـل الاوســمة
لمـن بعـث اليكـم
فالذين بعثوا الاوسمة للجنود
هـم الذين ارسلوا الجنود للحرب
اعيدو لهـم الاوسـمة

لم يعـد يريد هذا الـصـهـيونى اوسـمــة قادتـه لان المـوت أضحـى هاجسـه اليومي :

ما نـزال ندفــن
فـى كـل يــوم
فـى كـل أسـبوع
وفـي كـل شـهـر

■ وأما الشاعر اهودين عيزر وهـو من أشـد المتطرفين الصهـاينـة الداعي لمزيد من الحروب العدوانية فقد تلقى احـداث حـرب (٧٣) بمـزيـد من اليأس فكتـب قصيدة عنوانها (على هامـش دفـتر الـغفـران) حـاول أن يستفيد فيهـا مـن قصيدة نـزار قبـاني التـى تحمـل عنـوان (هـوامش علـى دفـتر النكسـة) فيقول مخاطبـا نزار قبانـى :

نـزار يا نــزار



دورية حراسة يهودية فى القدس العربية

لم تدخلوا الحرب هذه المره
بمواهب الرجل الشرقي الخطابيه
أو بمنطق الطبل والناى

حرب لبنان ١٩٨٢:

جاءت حرب حزيران ١٩٨٢ أو احتلال العاصمة العربية بيروت . . تتويجا لوصول التطرف الصهيوني الى ذروته في استلام اريل شارون لوزارة الحرب، وبالتالى فان مُنظرى الحركة الصهيونية يسعون لاعادة رسم خريطة المنطقة من جديد بعد أن يتم القضاء على حركة المقاومة الفلسطينية وتدمير الشعب الفلسطيني فى مخيمات لبنان الذى يشكل الرصيد الدميغرافى للثورة الفلسطينية والجسد الرئيسى لها.

■ لقد وعد قادة العدو الصهيونى انفسهم بأن تكون حرب لبنان كحرب حزيران ١٩٦٧م لا تستغرق سوى أيام . . ؟ فكانت الفروق شاسعة بين حزيران ١٩٦٧ وحزيران ١٩٨٢م الذى استمر لاكثر من ثمانين يوما متواصلة سجل خلالها الشعب العربى اللبناني والفلسطينى اروع الملاحم فى الدفاع عن العاصمة العربيه بيروت.

لقد زج العدو الصهيونى احدث انواع الاسلحة المتطورة ليدمر بها العاصمة العربية ولكنه خرج بعبرة جديدة من حرب لبنان تكمن بأن المقاتل الشجاع يستطيع بأسلحته البدائية ان يوقع الخسائر فى احدث آله حربية متطورة.

لقد صمد اطفال ورجال ونساء المخيمات الفلسطينية/ الرشيدية، وعين الحلوة ومدن صور وصيدا والنبطية/ بوجه اكبر آلة عسكرية واستطاع اطفال الـ آر. بي. جي كما اطلق عليهم هذه التسمية احد الاباء الصهاينة ان يوقعوا الخسائر الجسيمة بين قوات الاحتلال وهذا مما دعا احد جنود الصهاينة للقول:

«أقسم أن الذين يطاردوننا هنا هم اولاد . . أولاد صغار . .»

■ وازاء ذلك كان لابد للادب الصهيونى من أن يقف بجانب آلة العدوان والغزو يحرضها على الدمار والقتل والتدمير . . . وها هو ما يسمى بالجيش الاسرائيلى يحاصر العاصمة العربية بيروت ويستبسل المقاتلون العرب فى الدفاع عنها ويسطرون أروع الملاحم البطولية ويمنعون جيش الاحتلال من دخولها فيقول الشاعر الصهيونى أبشلوم كور محرضا على تدمير بيروت:

لو كنت قائدا لجيشنا الاسطوره
جيشنا العظيم
ووقفت عند أبواب المدينة
المحاصرة
المختنقة
مدينة «المخربين»



بالعصى واعقاب البنادق . . يساق الفلسطينيون الى السجون .

مدينـة الفلسطينيين
لزرعت الموت والدمار
فى كل المنازل والشـوارع
فى كل المساجد والكنائـس

■ فيما يصرح بصـوت الارهـاب الصهيونى الشاعر سيدرم واعدا بمزيد من الارهاب ضد اطفالنا ونسائنا :

كل النساء فى صيدا وصور
كل الامهات . . كل الحوامـل
كـل المسنين . . وكل الارامل
ها نحن قادمون لنعاقبكم
لنقتص منكـم .
فرجالكم مخربـون عناد
وأبناؤكم صائدوا دبابات
ومجـنزرات

■ واطفـال صيدا وصور يسـطرون أروع ملاحم البطولة والفداء في الدفاع عن مدنهم وهـذا مما دعـا الشـاعـر الصهيوني افرايم تسيدون لصب جام غضبه وحقده عليهم :

يا أطفال صور وصيدا
انني اتهمكم . . . ألعنكم
لانكـم مخربـــون
ارهابيـــون صـــغار
يا من تحملون (الار بي جي)
بدل الحقائب والكتب
انـي اتهمكم . . ألعنكم
والان جـاء عقابكـــم

مجزرة صبرا وشاتيلا :

وتأتى مجزرة صبرا وشاتيلا التي راح ضحيتهـا آلاف الاطفـال والنســاء والـرجـال لتـزيد من ادانـة المجازر الـوحشية غير الاخلاقية التي يرتكبها جيش الاحتــلال الصهيوني وتحـاول بعض الاجهزة الاعلامية الغربية منها والصهيونية إبعـاد أصابع الاتهام عن الجيش الاسرائيلي وان لا علاقة له في هذه المجـزرة التي فاقت بوحشيتها ما ارتكبه النازيون من جرائم قتل وتدمير وينسون أن الادب الصهيوني هو الذي حرض على ارتكابها :

لا رحمة لهم عندنا
لن يكون لهم وجود فى عالمنا
سنسفك الدماء الكثيرة
ونقتل الاطفال والنساء والشيوخ

■ ويؤكـد المفكـر الصهيوني يشيعـا ليبوفيتش في معرض حديثه عن مجازر صبرا وشـاتيلا أن المحتلين الصهـاينة لابـد لهم من أن يكـونـوا نازيين . . فيقول في حديث له نشرته صحيفة (ها عولام) «اذا اردنا فرض السيطرة على شعب آخـر، فانــه من غير الممكن الامتناع عن اتباع اساليب نازية . . إن المجزرة (صبرا وشاتيلا) هي من صنع اسرائيل لان الكتائب مأجورة لاسرائيل) .

ويشير مئير كاهانا زعيم حركة كاخ العنصرية المتطرفة الى اشتراك الصهاينة في اعـداد وتنفيذ مجازر صبرا وشاتيلا حين يقـول في مقـابلة اجـرتهـا معـه صحيفة بديعوت احرنوت :

إنـك تسـألني وكـأنني مشفق لما حدث من ذبح للفلسـطينيين في صبرا وشـاتيلا صدقني انني شعرت بالنشوة والاستمتاع فعلا خاصة عندما علمت بأن الضحايا من المدنيين كانوا بالآلاف .

لقد أكد الاديب الصهيوني في أكثر من موقـع حتمية ارتكاب مجزرة صبرا وشاتيلا لأن هذا الجيش العنصري هو للقتـل والتـدمير والارهـاب فيقـول الشاعر الصهيوني افرايم تسيدون : ستنامون محطمي العظام

لا تسألـوا لمـــاذا
فانـــه العقـــاب
والآن حـــان عقابكـــم

بينما يعلنها الشاعر يوناثـان غيفـن واضحـة بأن الصهـاينــة هم مرتكبو هــذه المجازر :

هناك في مقهي بكريات شمونه
كان جمهور غفير يجلس أمام
الشـاشـة الصغـيرة
عن الاسرى الفلسطينيين
صرخ الجمهور وصرخت أنا أيضا
احصدوهم . . اذبحوهم
اقتلوهم
فـى صـبرا وشـاتيلا
شاهدت دمـاء كثيرة
فارتـاحـت نفسـي

■ هذا غيض من فيض من ممارسات الأدب الصهيونى . .

وهـذا غيض من فيض من ممارسـات الـعـدو الـصـهـيوني ضد إنســانية الانسـان . . . إن الادب لدى الامم والشعوب والمجتمعات كافة هو أدب إنساني بينما لدي الكيان الصهيوني فهو ادب عنصرى ارهابي يدعو لاغتصاب الأرضى وقتل الانسان .

الهوامش

(١) الشهيد غسان كنفانى ،

عرض كتاب
من المكتبة الفلسطينية

الاستاذ الدكتور عبد الوهاب المسيرى أستاذ الادب الانجليزى بجامعة القاهرة حاليا والكويت سابقا أحد القلائل فى دول الوطن العربى المهتمين بمتابعة نشاط العدو اليهودى أولا بأول، وقد كتب العديد من الدراسات التى تختص بالتطورات الصهيونية، وأحدث هذه

تأليف: د. عبد الوهاب المسيرى

هجرة اليهـ

يجب رصد الهجرة بطر

☐ يصدم المؤلف قارىء الكتاب فى مقدمة هذا الكتاب بعبارة (اعرف عدوك ولتشعر بالهزيمة) ويبين المؤلف تحت هذا العنوان ضرورة الانتباه الى أن كل ما تنقله الآله الاعلامية ليس صحيحا، وينبه إلى الحرب النفسية التى يشنها اليهود ضدنا بواسطة الاعلام، وكان أول من أفرد مؤلفا عن الحرب النفسية اليهودية ضد المسلمين الاستاذ الدكتور حامد ربيع رحمه الله.. ونبه فيه الى أننا نعيش فى حالة من الوهم نتيجة لتلك الحرب، ثم يتحدث المؤلف عن الخطر الصهيوني الجديد، وهو يرى أن خطر الهجرة السوفيتية لا يجب الاسراع بالكتابة عنه بطريقة موضوعية متلقيه توثيقية سلبية سطحية، وكأن الظاهرة الصهيونية ليست بظاهرة بشرية تحتوى داخلها مقومات القوة والضعف، والحياة والموت، ويجب علينا أن نتقصى الحقائق وأن نرصد ونحلل هذه الهجرة بطريقة علمية لكى نستخلص فى نهاية الموضوع حقيقة التواجد اليهودى فى روسيا وامكانية هجرة يهود روسيا الى اسرائيل.

يعرض المؤلف فى الفصل الاول للجماعات اليهودية فى التاريخ أعدادهم وأنماط هجراتهم حيث لا توجد دراسة إحصائية واحدة باللغة العربية عن تطور عدد أفراد الجماعات اليهودية عبر التاريخ وانماط هجراتهم ويحاول المؤلف ان يتتبع بالدراسة التحليلية الزيادة فى تعداد اليهود على المستوى العالمى ويبرز لنا حدوث انفجار سكانى بين اليهود بعد عام ١٨١٥ وخاصة بين يهود العالم الغربى بينما انكمش عدد يهود الشرق وكانت هذه الزيادة نتيجة لزيادة عدد سكان أوربا بين عامى ١٨١٥-١٩١٤م.

وينتهى المؤلف الى أن مصادر المهاجرين الى الدولة الصهيونية آخذة فى النضوب فيهود الغرب لا يهاجرون بسبب ارتفاع مستوى معيشتهم، أما يهود الشرق فقد تمت هجرتهم الى الاراضى المحتلة ولم يتبق منهم الا مئات فى بلادهم الاصلية، ويبقى بعد ذلك الاحتياطى البشرى الوحيد للكيان الصهيونى فى الاتحاد السوفيتى وهو جوهر الصراع القائم الآن.

■ وفى الفصل الثانى ينتقل المؤلف الى نقطة هامة وهى الخلفية التاريخية لليهود فى روسيا القيصرية فيعود تاريخ الجماعات اليهودية فى روسيا الى القرن ٩هـ حيث توسعت مملكة الخزر

● مجموعة من اليهود السوفيت فى انتظار التاشيرة



الدراسات كتابه عن هجرة اليهود السوفييت، ولا تحاول هذه الدراسة أن تقدم أهم الحقائق والمعلومات عن هجرة اليهود السوفييت وحسب ، ولكنها تهدف أيضا - وبالدرجة الاولى - إلى تقديم منهج فى الرصد والتحليل والتفسير ينظر لهذه الواقعة باعتبارها جزءا من نمط متكرر.

الناشر دار الهلال
كتاب الهلال / القاهرة

عرض: خالد محمد عزب (مصر)

ود السوفييت

وتحليل هذه
قة علمية.

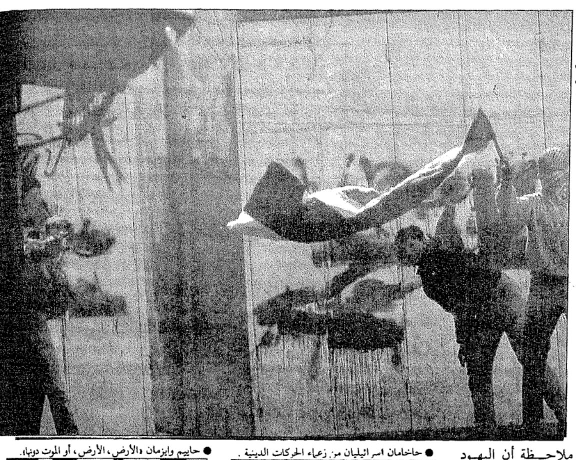
اليهودية فى وادى الفولجا ومناطق روسيا الاخرى، ويتحدث عن اضطهاد اليهود فى عهد ايفان الرهيب ١٥٣٣-١٥٨٤ وهو اول روسى قرر طرد اليهود من روسيا، حيث لم يكن من مصلحة روسيا السماح لليهود بالاستقرار نتيجة لنشاطاتهم التجارية المشينة وبصفة خاصة فى صناعة وتجارة الخمور، وقد أدى تقسيم بولندا الى ضم أجزاء منها الى روسيا مما سبب مشاكل جمة لهم، منها الحد من حركتهم داخل روسيا، وكان قياصرة روسيا قد قاموا بمحاولات لدمج اليهود داخل المجتمع الروسى ولكن جميعها باءت بالفشل، وقد أدت هذه الظروف الى هجرة على نطاق واسع لم يشهد اليهود مثله من قبل إذ ترك روسيا فى الفتره من ١٨٨١م الى ١٩١٤ مليونا يهودى.

■ والفصل الثالث من الكتاب يبين لنا العلاقة بين كل من الدولة السوفيتية والجماعات اليهودية بعد قيام الثورة البلشفية، وكانت أولى الخطوات التى اتخذتها الحكومة البلشفية هى عتق اليهود وإعطاؤهم كل حقوقهم السياسية فأصبحت معاداة اليهود جريمة، وقد ضمت روسيا عام ١٩٣٩، ١٩٤٠ أراضى تضم أعدادا كبيرة من اليهود (جاليشيا الشرقية وليتوانيا وبيساربياوبوكوفينا وغيرها) غير أن القوات النازية ما لبثت أن احتلت هذه المناطق وهرب اليهود منها، ويلاحظ أن معدلات اندماج اليهود فى المجتمع قد ارتفعت عن ذى قبل، ويستطرد المؤلف فى شرح أوضاع اليهود فى روسيا حيث يوضح ارتفاع مستوياتهم التعليمية، ويلمح إلى أن نسبة اليهود فى الحزب الشيوعى شكلت فى أوائل الستينيات إحدى أعلى نسب القوميات المختلفة فى الحزب، وقد أيد الاتحاد السوفيتى قيام الدولة الصهيونية، ولم تكن علاقة الاتحاد السوفيتى بالصهيونية على مستوى العقيدة النظرية أو على مستوى الاعتراف القانونى فحسب، وإنما امتدت لتشمل الدعم البشرى والعسكرى.

■ ويركز المؤلف فى الفصل الرابع على يهود الاتحاد السوفيتى عشية الهجرة وهو موضوع هذا الكتاب، فينظر إلى المجتمع السوفيتى من منظور الجذب والطرد لأفراد الجماعات اليهودية ومدى قابليتهم للهجرة والاستقرار فمن عناصر الطرد ظهور معاداة لليهود فى

● وصول الدفعات الاولى من اليهود السوفيت الى اسرائيل.





● ويظل اهل الارض بالمرصاد لكل مغتصب أو وافد إليها من اليهود.

المجتمع، مع ملاحظة أن اليهود السوفيت حققوا قدرا كبيرا من النجاح والحراك الاجتماعى داخل المجتمع ومن عناصر الجذب حالة الانفتاح المذهلة التى يعيشها المجتمع الروسى والتخلى عن كثير من المثل الاشتراكية مما يعطى لليهود فرصة كبيرة لمزاولة نشاطات تجارية شرعية، وهم لديهم خبرة كبيرة فى هذا المجال.

يضعنا المؤلف فى هذا الفصل أمام حقيقة هامة ألا وهى أن أرض الميعاد بالنسبة لليهود هى الولايات المتحدة الامريكية وليست إسرائيل، وكانت الولايات المتحدة هيجت الرأى العام من أجلهم ثم أوضدت أبوابها دونهم ومن ثم أصبحت إسرائيل بالنسبة لهؤلاء اليهود أسهل سبيل للهجرة، ولكن يظل الحلم الاكبر هو أرض الميعاد أمريكا، فهجرة هؤلاء اليهود لأسباب اقتصادية بحتة، ويبقى لنا أن نشير إلى ارتفاع المسنين بين اليهود السوفيت، بالاضافة الى تدنى الخصوبة بين إناثهم، فضلا عن ارتفاع نسبة الزواج المختلط بينهم.

● حاخامان اسرائيليان من زعماء الحركات الدينية.



● هرتزل: العقل المدبر للصهيونية.



■ ويناقش المؤلف فى الفصل الخامس ظاهرة اليهود المتخفين وغيرهم، ومن خلال مجموعة من المعطيات يرى المؤلف أنه لا يمكن أن يزيد عدد المهاجرين عن ما بين ٢٠٠ ـ ٤٠٠ ألف، ثم يوضح أن المهاجرين ليس لهم إنتماء دينى أو أيديولوجى محدد فهم مرتزقة باحثون عن الحراك الاجتماعى، خاصة مع بروز ظاهرة اليهود المتخفين والمتسللين وأعضاء الأسرة اليهودية من زوجات وأبناء وما يدفع هؤلاء للهجرة سوى الاوضاع المتردية فى الاتحاد السوفيتى ويستخلص من كل هذا أن عدد اليهود السوفيت يقل عن مليون ونصف وليس ملايين كما تردد آلة الاعلام.

● حاييم وايزمان «الأرض، الأرض، أو الموت دونها».

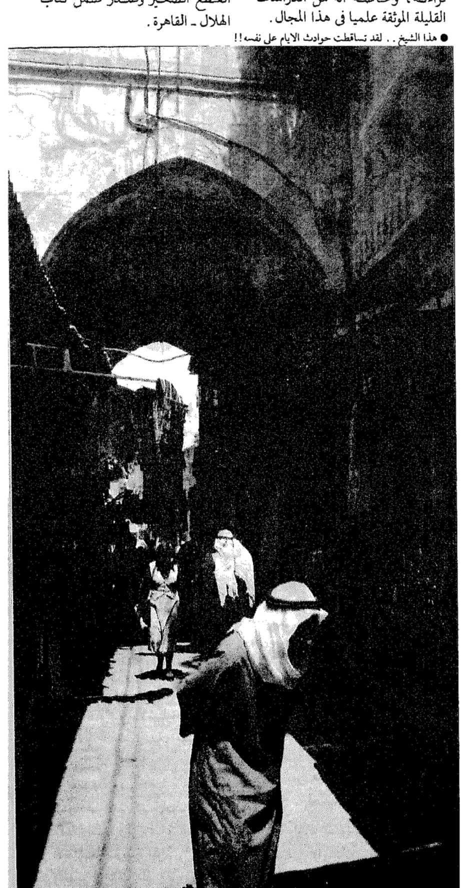
■ يعالج المؤلف فى الفصل السادس المشكلة السكانية والاستيطانية الناتجة عن هجرة اليهود السوفيت إلى الاراضى المحتلة ثم يتطرق بعد ذلك إلى مشاكل المجتمع الاسرائيلى الاستيعابية خاصة الاسكان، وهى مشكلة آخذة فى التفاقم بسبب الازمة الاقتصادية ولأهمية وغموض هذه المشكلة بالنسبة لنا يفرد لها المؤلف الفصل السابع حيث يتحدث بإسهاب عن البطالة والإسكان فى المجتمع اليهودى، ثم يتناول بالبحث والدراسة فى الفصل الثامن ما يسمى بمشكلة العداء للوافدين وهو العداء الذى يقابل به المهاجرون من قبل قطاعات كثيرة فى المجتمع الصهيونى مثل الشرقيين والمتدينين وغيرهم، ولن يؤدى وصول المهاجرين إلا الى تفاقم المشاكل الاقتصادية داخل اسرائيل.

■ ويطرح المؤلف فى الفصل التاسع برنامجا للتصدى لهجرة اليهود السوفيت يقوم على جمع معلومات وافية عنهم وشاملة، ثم التحرك على المستويين الرسمى والشعبى لمواجهة هذه الهجرة بتوضيح مدى الغضب الذى يسود دول الوطن العربى نتيجة لهذه الهجرة، وإبراز الجانب السيىء فى اسرائيل من خلال الدعاية الاعلامية لليهود السوفيت، فاليهود يظنون أن الجيب اليهودى السوفيتى هو عبارة عن مادة قتالية بشرية يحتاج اليها الكيان اليهودى ولكننا لو تحركنا ونجحنا فإن هذا سيعنى تصفية آخر مصادر المادة القتالية للجيب الاستيطانى، وبالتالى تتحول اللحظة التى كان يظن العدو فيها أنه ستتجدد فيها حياته وحيويته إلى لحظة النزال الأخير معه بإذن الله مع ملاحظة تزايد سكان فلسطين من العرب بالنسبة إلى مغتصبيها من اليهود.

ذلك كان عرضا موجزا لفصول هذا الكتاب وهو عرض لا يغنى عن قراءته، وخاصه أنه من الدراسات القليلة الموثقة علميا فى هذا المجال.

والكتاب يقع فى ٣٢٢ صفحة من القطع الصغير وصدر ضمن كتاب الهلال - القاهرة.

● هذا الشيخ.. لقد تساقطت حوادث الايام على نفسه!!



منير محمد سالم
يكتب عن





الضيافة في الموروث الشعبي الف

يمكن الجزم بأن الضيافة الفلسطينية ليست مقطوعة الصلات عن عمقها العربى العام، كما أن فلسطين لم تكن مقطوعة عن عمقها.. هذا منذ فجر التاريخ، وإلى اليوم، فالموروث مشترك، والقيم والعادات، والتقاليد والمعتقدات كلها مشتركة.

وقواعد الضيافة الفلسطينية كلها واحدة، لا تختلف فى القرية عنها لدى البدو إلا فى أمور طفيفة تفرضها الظروف الخاصة بكل تجمع بشرى، وأساليب عيشه.

ولابد من الاشارة هنا إلى أن القبائل الفلسطينية، مستقرة منذ زمن قديم، ولكل قبيلة منازلها وأراضيها ومواردها.. وكثير من أفرادها لهم نشاطهم فى مجال الفلاحة، والزراعة، الى جانب الاهتمام بتربية المواشى والأبقار، مثلهم فى ذلك مثل القرويين.

وميل أية قبيلة نحو العناية بتربية الأبقار، والاهتمام باقتنائها، دليل على استقرارها، وتخليها عن الترحال البعيد، واتجاهها الى الفلاحة، لأن الأبقار لا تحتمل المسافات المعطشة كالابل كما تحتاج كميات كبيرة من التبن والعلف والحشيش لا يمكن توفرها إلا فى مناطق محددة(١).

والبدو يعون هذه الحقيقة، فالبدويات المترحلات يأنفن من الاقتران برجل مستقر، مما يذكرنا بموقف «ميسون بنت بحدل» التى أطلت من شرفة قصر معاوية، وأنشدت:

لبيت تخفق الارواح فيه
أحب الى من قصر منيف
ولبس عباءة وتقر عينى
أحب إلى من لبس الشفوف

■ وأولاء نسوة يسخرن من فتاة تدعى (ميثة) تزوجت من بدوى مستقر فى وادى الغور، دفع مهرها عجولا:

يا سياق ميثه بقر وعجول
وإن قيقبن مالهن نيه(٢)

العزيمة(٣)

إن كان الضيف قاصدا أو معروفا بمقامه، تذبح له ذبيحة، وفى الوقت الذى تنشغل فيه النساء بإعداد الطعام يهب المعزب الى تجديد القهوة، وصوت المهباش إشارة إلى الجوار بأن الضيف مقيم. ومع ذلك لا يجوز أن يذهب أحدهم دون دعوة لأنه يترتب على المعزب أن يرسل (عزاما)(٤) يدعو رجال النزل، أو القرية، بعبارة واضحة: «تفضلوا على الغداء.. أو العشاء» وذلك حسب الوقت الذى يحدد زمن العزيمة ومكانها، وعلى المدعو أن يلبى.

وتعتبر العزيمة أهم تكريم للضيف لما لها من أبعاد اجتماعية طيبة، تشير الى أن الاحتماء به يشمل القرية أو النزل كله. ومن

دعى وقع عليه حق التلبية، وكما أن الدعوة تكريم للمدعو، فإن التلبية تكريم للمعزب.

وسعادة الضيف باجتماع الناس حوله، يتبادلون الاحاديث والافكار في بعض الأمور، وكثيرا ما يكون سبباً في المصالحة بين متخاصمين، وتطييب خواطر المتنافرين، فـ(الضيف ضيف الله) لا يرد له طلب ولا يخيب له جاه. لذلك فالضيف لا يفرح بالذبيحة تقدم له وحده، دون أن يشاركه الآخرون

فلسطيني

لأن عدم العزيمة يحمل في طياته كثيرا من الافكار والظنون، مثل بخل المعزب، أو خلافه مع الاخرين أو قلة شأن الضيف في نظره، ومن حق الضيف بعد انتهاء الضيافة أن يحيل المعزب الى (الحق) عند وجه معروف في النزل، أو القرية.

اداب الطعـــــام

البرغل أهم مادة للطعام في القرية، والثريد(٥) أهم مادة عند البدو، وشيوع الارز احدث، ولاعداد المنسف يطبخ اللحم المقطع قطعاً كبيرة، في لبن مشنون، ثم يمهد البرغل المطبوخ ليملأ المنسف، أو تمزق الارغفة ويصب فوقها اللبن المطبوخ، ويكوم اللحم فوق الثريد، أو البرغل، ويزداد عدد المناسف بزيادة عدد المدعوين، ويخصص للضيف المنسف الذي يحوى الاجزاء الاهم من الشاة.

بعد وضع المناسف، أو المنسف الواحد، إن كان عدد المدعوين قليلا، يصب المعزب أو من ينوب عنه السمن المذاب على الطعام(٦) وإلى جانبه إناء كبير فيه لبن مطبوخ - مليحي - ليصب منه حسب الطلب، ويبدأ المعزب بدعوة الضيف أولا، ثم يعمم، ومن الدعوات المتعارفة: (تفضل يا ضيف الرحمن.. أفلحوا يارجال) أو (ياالله على الفلاح) وتكون الاجوبة (فلاح زين) و(من يد ما تعدم) أو (كل ما تنوى تقدر) ولا يجوز أن يتقدم أحد قبل الضيف، وإن كان محيط المنسف لا يتسع للمدعوين جميعاً، فإن الاولوية في (الطورة)(٧) الأولى للأكبر سناً، والاكثر مكانة بين الناس، وإن خيف اللبس، يحق للمعزب أن يدعو هؤلاء الرجال بأسمائهم، بطريقة مهذبة كي لا يجرح الآخرين، وعلى أية حال فإن للسن أهمية لا يمكن تجاوزها.

وللطعام آداب صارمة يجب مراعاتها، ومن يتجاوزها يغدو محط نقد صامت، أو ترشقه النظرات المنبهة، وقد يوجه له النقد صراحة، ويمكن أن نحدد أهم هذه الآداب:

١ - يقعد الرجال القرفصاء مقدمين اليمنى ومؤخرين اليسرى، أو يقعد الرجل على كعب قدمه اليمنى، مع ثنى الركبة اليسرى الى الاعلى، وذلك ليتسع المجال لأكبر عدد من الرجال، فيتحلقون حول المنسف مع ترك مسافة مناسبة بين الاكل والمنسف.

٢ - تمد اليد اليمنى وحدها الى الطعام، ولا يجوز استخدام اليد الثانية قطعاً.

٣ - على الآكل ألا ينحنى على المنسف.

٤ - أن يأكل من نقطة واحدة أمامه مباشرة ولا يجوز أن يمد يده يمينا ويساراً، أو إلى الطرف الآخر من المنسف ليتخير أفضل الطعام، لأن الطعام نصيب، وكل نصيبه أمامه.

٥ - لا يجوز رفع قطعة اللحم الكبيرة لينهش منها الآكل، وإنما عليه أن يقتطع منها مقدار لقمة أولا فأولا، مع تركها في مكانها أو يضعها وسط المنسف، والافضل أن يقطع اللقمة بثلاثة أصابع.

٦ - على الآكل في الطورة الاولى ألا يجرد العظام، بل يكتفي بنصيبه من اللحم، ويدع البقية لمن سيحل مكانه في (الطورة) الثانية، وهناك عبارة تحدد طريقة الاكل بوضوح واختصار وهي: (الأكل نوش ما هو هوش)(٨) ومعناه أن يقطف الطعام قطف الزهر، لا أن يحش حشاً.

٧ - ألا يطيل الآكل المكوث على المنسف، وغالباً لا تزيد مدة تناول الطعام عن ثلاث دقائق، وذلك ليتسنى (للطورة) الثانية تناوله ساخنا.

٨ - عدم وضع الاصابع في الفم. أثناء تناول الطعام يظل المعزب واقفا يرحب بالضيوف، يهنىء الآكلين، يصب مزيدا من شراب اللبن الممزوج بالسمن حسب رغبة الآكلين، بينما ينوب أحد المقربين عنه، ويتولى تقطيع أفضل اللحم، وتكويمه أمام الضيف تكريماً له.

■ وبعد كف المنسف ينبرى أحد المدعوين، فيدعو الضيف والحضور الى وليمة خاصة، مستأذنا من المعزب اولا.

حـــالات خاصـــة(١)

أولا: الضيف الغـريم: يحدث أن يدخل رجل بيت طالبه ولا يكشف هذا إلا بعد فوات الأوان والأعراف تضمن لهذا الضيف سلامته فيقدم له المعزب الماء، إن كان ظامئا، والمكان معطشا، ثم يمنحه مهلة للنجاة، ومدة هذه المهلة كانت قديما ثلاثة أيام وثلث اليوم الرابع، ولا يجوز للمعزب ملاحقة ضيفه الغريم قبل انقضاء مدة المهلة.

والشفيع في هذا أمور منها: حرمة البيت، وحرمة الضيف، الذى يكون في هذا الوضع مثل حال الأسير والاعراف العربية لا تبيح قتل الاسير، مهما كان ذنبه، ولا يقتل إلا في حالات خاصة نادرة لا مجال للخوض فيها.

ثانيا: المعزب الغريم: يحدث ان يحل الطالب ضيفاً على عزيمه المطلوب دون معرفة فإن شرب قهوته ومالح زاده، ثم عرف الحقيقة بعد ذلك، فإن عليه أن ينسحب بسلام دون أن يسبب أذى للمعزب وعليه أن يقبل الصلح عند تدخل وجوه الخير.

والشفيع في هذا الموقف (حرمة الزاد) و(حق المصلحة).

ثالثا: الضيف الدخيل: لـ(الدخل)(١٠) أسباب عديدة لا مجال للخوض في تفاصيلها، ومنها حين يكون توزيع رجل ملاحقا، فإنه يسارع ويدخل أى بيت قائلا: «دخيل» فيقول: المعزب أو المعزبة، أوأى فرد في البيت، وإن كان طفلا «وصلت» وحين ذلك يصبح الملاحق آمنا على روحه مهما كان ذنبه، ولا يجوز لأحد أن يناله. والشفيع في هذا الموقف حرمة البيت، وحرمة الضيف، وبإمكانه أن يبقى دخيلا أياماً، أو أشهراً إلى أن يتمكن المعزب من حل معضلته، أو إبلاغه مأمنا أضمن.

■ ومن طبيعة هذا الاستقرار أن يوحد العادات والتقاليد، والقيم العامة بين الناس المستقرين في المنطقة الواحدة سواء أكانوا من سكان بيت الشعر، أو سكان بيت الحجر، وهذا ما كان حقاً وإن حدث بعض الاختلاف في أساليب الضيافة أو تفاصيلها الصغيرة، فلظروف معيشية، أما النظام العام فيبقى واحداً، وتكمن الاختلافات أساساً في بيت الضيافة.

الهوامش

(١) سخرت قبائل النقب الابل لأعمال الزراعية، وهو ما فعله البدو في شمال فلسطين أيضاً مع الفارق أنهم في الشمال سخروها للنقل أكثر من الحرث لاختلاف التربة، والتضاريس وكمية الامطار، فالتربة الطينيه تنضغط تحت مناسم الابل وتتماسك، ولذلك شاع المثل (مثل حراثة الجمال، اللى تفلحه تربصه).

(٢) هذا البيت من الفولكلور الشعبي الفلسطيني وهو عن الراوية أم ندى:
سياق: مهر، والمعنى يشير الى نوع المهر الذى كان شائعاً في الريف الفلسطيني، وهو المواشى والابل والأبقار التى تساق.
قيقب: فر من القيقوب. والقيقوبة ذبابة لاسعة طويلة الابرة، تظهر في الربيع، وتلاحق الابقار خاصة، فتفر منها الى الادغال.
ماهن نية: لن تبعد. والمقصود أن هذه العجول إن حدث وهربت، فإنها لن تكون كالابل في قطع المسافات الطويلة.

(٣) وتدعى (العزومة) أيضا، وتعنى الدعوة للاحتفال بضيف، وهي من (العزم) وهو الاقدام على أمر.

(٤) العزام: الرسول الذى يوجه الدعوة باسم المعزب، وقد يكون المعزب ذاته.

(٥) الثريد: يعد من خبز الصباح - يسمى الشراك - الذى يقطع في المنسف، ويغمر باللبن المطوخ حتى يتشبع، ثم يكون عليه اللحم.

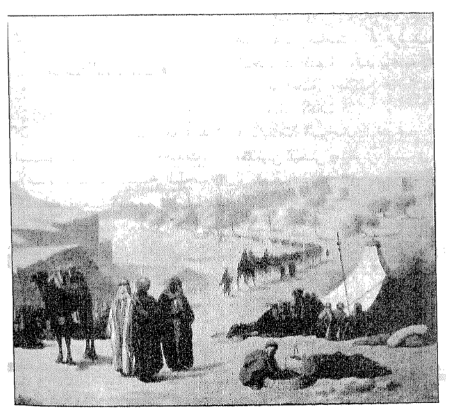
(٦) من علامات الكرم قديماً أن يطوف السمن، وينسكب على الأرض من أطراف المنسف، وهذا مغاز اعتقادية.

(٧) الطورة: المجموعة التى تصطف معاً على إناء طعام واحد.

(٨) النوش: يتناول، أو الشىء من طعام أو غيره، دون تعمق، الحوش: القتال.

(٩) في كتاب (من القيم والآداب البدوية) للدكتورة عبير فتحى تفاصيل وافية.

(١٠) الدخل: يعني اللجوء، وسمى بذلك لأنه يتم بدخول المطلوب بيتاً يحميه.



أخـــي ...

يَـذوُبـُ ضـمـيرُ مُـدمـنِ الخـمَـــر
في قـاع الـكـأس !
وَتـدمِّر المُـخـدِّرات العَـقـلَ وَالجِسـمَ مَعًا
فـمـاذا يَـبـقـى بـعــد ؟!





سقط الندى وفوح الشذى



(٢٢٢) قبر حرب

قالوا: إن الجن قتلت حرب بن أمية، وهذا مشهور عندهم، ومن المشهور حتى يومنا هذا قتل الجن رجالا ونساء.

ثم إن شاعرهم، أي شاعر الجن أنشد:

وقبر حرب بمكان قفر
وليس قرب قبر حرب قبر(١)

قال ابن مسعود: واستدلوا على أن هذا الشعر من قول الجن بأن احدا من الناس لا يتأتى له أن ينشد هذا ثلاث مرات متواليات لا يتتعتع في انشاده.

وعلى القارىء أن يجرب، فقد ينجم.

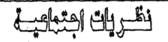


(٢٢٣) أمير الأدباء يجهل الجغرافية

كان الشعراء قد بايعوا شوقيا على امارة الشعر، ولو اجريت انتخابات للادب فى عهد أبى عثمان الجاحظ ما نافسه احد، ولكان لقبه اليوم أمير الادباء.

ولكن هذا الامير الادبى كيف علمه فى الاجتماعيات؟! تعال اسمع ما يقول الرحالة المسعودي(٢) يقول: (وقد زعم عمرو بن بحر الجاحظ أن نهر مهران الذي هو نهر السند من نيل مصر، ويستدل على أنه من النيل بوجود التماسيح فيه، فلست أدري كيف وقع له هذا الدليل - والكلام لازال للمسعودى - ثم يقول: وذكر ذلك فى كتابه المترجم (المسمى) بكتاب الامصار وعجائب البلدان، وهو كتاب فى نهاية الغثاثة، لان الرجل لم يسلك البحار، ولا اكثر الاسفار، ولا تقرى المسالك والامصار، وإنما كان حاطب ليل ينقل من كتب الوراقين.أهـ.

وليس لنا على هذا النص تعقيب، غير القول بأنه إذا كان هذا قول الجاحظ فى الجغرافية فلا يشك فى قدرته الادبية.

(٢٢٤) نظريات اجتماعية

الانسان: إذا احتاج قرب، واذا استغنى هرب.

وكان ابراهيم الصولي صديقا حميما للزيات الوزير العباسى المشهور، وكانا فقيرين، حتى قيل: إن الصولي كان يعطف على الزيات ويصرف عليه، فدار الزمن دورته فصار الزيات وزيرا، ففر من بين يدي الصولى وفى ذلك يقول الصولى:(٣)

وكنت أخا لى مفلسا ما تغبني
فلما أصبت المال صرت مع النجم

وحلت العداوة بين الرجلين حتى صار يفرح احدهما بموت الاخر، فجاء خبر الزيات، فقال الصولى:

لما أتانى خبر الزيات
وأنه قد صار فى الاموات
أيقنت أن موته حياتى

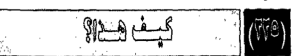
واصدق من ذلك قول العليم الحكيم: ﴿خلق الانسان هلوعا ● إذا مسه الشر جزوعا ● وإذا مسه الخير منوعا ● إلا المصلين﴾.

■ المرأة، قالوا عنها: كالظل، إن أقبلت عليه هرب، وان اقفيت عنه قرب.

■ البهائم مدرسة متحركة: كان لى أخ أمي - يرحمه الله - يقول: (إذا خفاك حال أنظر فى الحلال!)

وهم يقصدون بالحلال ما اقتنى الانسان من الانعام.

هذه البهائم نرى فيها طباعنا مجسدة، أطماعنا، طيبتنا، خيارنا، شرارنا، يكاد يكون الفرق الوحيد بيننا وبينها اننا نعرب وتخرس، وأن من الانعام لما يتراحم ويتالف بطرق لا توجد عند الانسان، وأن منها لما يدافع عن حوزته وقطيعه باستماتة الابطال! فخذ منها ما ينقص الانسان ودع ما خص به الحيوان.



(٢٢٥) كيف هذا؟!

أقول كيف هذا، لانى لم اجد كلمة مناسبة تكون عنوانا لهذا.

أ - قبل سنوات عين رئيس تحرير لجريدة سعودية يحمل درجة الدكتوراه، قمة العلم، فاذا هو يكتب: (الناس أصبحوا

يأكلوا ويشربوا ويناموا ويستيقظوا بحكم العادة)!.

وظل هذا يعاودنى، فلا أكاد أضع القلم وامسر باحد الافعال الخمسة حتى تقفز تلك المنصوبات او المجزومات بلا عامل الى قنة رأسى.

ب ـ قبل أيام طرق باب مكتبى طالب جامعى، كلف ـ حسب قوله ـ أن يكون مجال بحثه شخصى البسيط كيف ولدت؟ وما رأيت وما سمعت وما عملت؟! كل هذا لا خير فيه فليس لدى ما أخفى عن الناس، حتى البهم الذى كنت ارعاه لى معه ذكريات محببة وان كان بعض الاسرة يضيق بمثل هذا ولكن الذى ازعجنى سؤال الطالب: هذه المصورات (خرائط) التى تضعها فى كتبك ماذا تعنى؟ صحيح ماذا تعنى؟ لقد وضعت فى مؤلفاتى ما يزيد على مائة مخطط كلها الا بضع مخططات رسمتها بيدى وقد سطا عليها بعض الفالحين فانتقل ما انتقل بنفس الرسم دون أن يذكر مصدره ومع هذا إذا كان طالب جامعى لا يعرف ما تعنى فما يعنى هذا الجهد والعناية بها؟! وما الذى استفاد ذلك الذى اختلس بعضها ومسح اسمى من عليها؟!

ج ـ بينما كنت فى جهد جهيد من التفكير فى هذا وهل هو قصور تعليمى أو قصور ذهنى؟! إذا مدير تحرير صحيفة يكتب هذا النص الذى صورته لك تصوير او لم انقده، ولا نقدت ما قبله نقدا فنيا لان النقد اصبح عند بعضنا اثقل من وقوع الذباب على أرنبة الانف.

ـ يقول النص الذى كتبه سعادة مدير التحرير:

(وفى كل الاحوال فان الصفح.. والصبر.. والتسامح.. لا يثمروا الا حباً ونصراً.. وتوفقاً..

وسيعلم عندها مقدار شهامتك فلا يملكوا الا الحب يشترون به طيبة قلبك.. وصفاء سريرتك.. وحسن معدنك.. أ.هـ)

(٢٦٦)



الشافعى: لو كلفنى أهلى شراء بصلة ما حلت مسألة. إذا صح الحديث فهو مذهبي. لو لم ينزل الله للناس الا سورة (والعصر) لكفتهم.

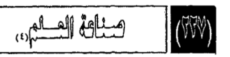
أبو حنيفة: سأله رجل، فقال: دفنت مالا لى فى مكان، ونسيت هذا المكان فقال الامام اذهب الليلة فصل مائة ركعة.. فذهب الرجل فصلى ما شاء الله فتذكر. فذهب مصبحا الى الامام يخبره بانه صلى ركعات فتذكر. قال له الامام: لقد علمت ان الشيطان لن يمهلك حتى تصلى مائة ركعة!

مالك: كل يؤخذ من قوله ويرد عليه، الا صاحب هذا القبر. واشار الى قبره صلى الله عليه وسلم.

احمد: لو علمت أنه لم تكن لى غير دعوة واحدة مستجابة لجعلتها للسلطان.

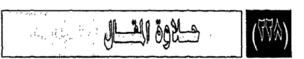
الامام زيد: قال له شيعة أبيه: ترفض الشيخين ونحن نتولاك. قال: لا رفض من لم يرفضه اصحاب رسول الله قبلى. قالوا: إذا نرفضك! قال: أذهبوا فانتم الرافضة!.

(٢٦٧)



قال ابن الجوزى ـ فى كلام ـ لان صناعة العلم شغلتنى عن تعلم الصناعة.. فاذا التفت الى ابناء الدنيا، رأيتهم لا يبيعون شيئا من سلعها الا بدين المشترى، وليت من نافقهم أو راءهم نال من دنياهم، بل أذهب دينه ولم يحصل مراده.

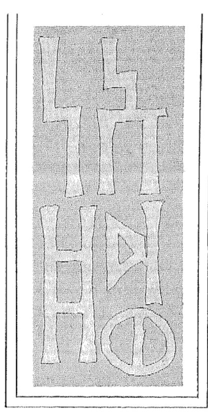
(٢٦٨)



(أم تحسب أن اكثرهم يسمعون أو يعقلون، ان هم كالانعام بل هم أضل سبيلا)

الهوامش

(١) مروج الذهب ١٦١/٢
(٢) نفس المرجع ٩٩/١
(٣) أمثال الشعر العربى (الميم المخفوضة).
(٤) صيد الخاطر/٣٨.



من التراث

التحرير

(من التراث) صفحات نتذاكر فيها قول الماضين فإن فى أقوالهم: الحكمة المرسلة، النكتة الفكهة، القول المعجب، النصيحة البالغة.. وفى جملة أقوالهم امتاع ومؤانسة.. لغة وأدب.. فصاحة لسان وسرعة بديهة.

●● وبالصورة نسترجع تاريخ أمة سلفت .. وتراث حضارات سادت ثم بادت.

هذه الصفحات، وددنا أن نجعلها تطوافا سريعا وعابرا فى غرائب وطرائف الحيوان.. ولنتصفح سويًا بعض كلمات صاحب كتاب (الامتاع والمؤانسة) عن عالم الحيوان.

■ الحوت :

فى البحر حوت يقال له: موفى، ضعيف الجسد، قليل القوة، إذا جاع خرج الى الشاطىء فاستلقى على الرمل فأقام شوكة فى رأسه، فإذا نظر إليه حوت اخر جاء مسرعا ليأكله يظن أنه ميت، فيدخل بطنه تلك الشوكة فيقتله بها ويأكله.

واذا القى الملاح صنارته ولقيت ذلك الحوت رمى مكانه بتلك الشوكة الحادة يد الملاح فتخدر ويطرح أداة صيده.. فاذا رأى الحوت أن الصنارة داخلت أضلاعه غلبت الظلمة على بصره ومات من ساعته.

وفى جلد هذا الحوت عجب، وهو أن الصاعقة لا تدنو من جلده، والملاحون يغطون سفنهم به عندما يتبينون الصواعق ووقوع المطر، ويدنو هذا الحوت الى طرف مقدم السفينة فيمسك بطرفه(١) اللطيف، فلو اجتمعت الرياح كلها بأشد هبوبها لم تستطع تحريك تلك السفينة، فمن أخذ من جلدها وسمر به شراع السفينة لم يخف على سفينته غرقا.

السريع الحضر أربعة: النمر والحريش(٢) وعنز الجبل وكباشها.

عدو الحيات أربعة: القنفذ والفيل والايل والعقعق.

■ أوصاف وخصال :

الجبان اثنان: الارنب والايل.

ذو الزهو ثلاثة: الفرس والديك والطاوس.

ذو حدة السمع ثلاثة: الذئب والحمار والخلد(٣).

القادر فى التزاوج ثلاثة: العصفور والحمام والعقعق(٤).

ذو الشهوة ثلاثة: العصفور والثور والباشق(٥).

المتحارس بالليل اثنان: الكركى والبط.

نافى فراخه ثلاثة: النعام والغداف والعقاب.

محب الظلمة ثلاثة: البوم والخفاش والخلد.

ذو حدة البصر ثلاثة: العقاب والظبى والباشق.

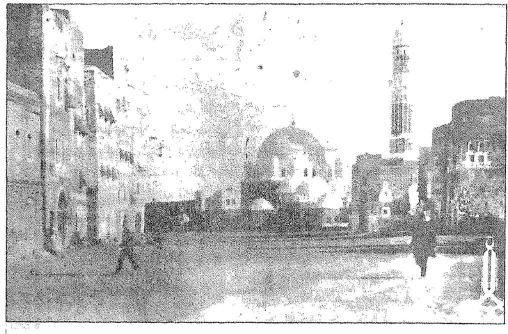
من أخذ لسان ضبع ومر به بين الكلاب لم تكلب عليه.

من مر بمكان كثير الضباع فأخذ بيده أصلا من اصول عنب الحية هربت منه. وعنب الحية هو الحنظل.

وذكر الحبارى يقال له: الخرب.

■ الثعلب :

الثعلب إذا جاع فلم يقدر على صيد عمد الى أرض شديدة الحر والى موضع الطير اذا حمى، فاستلقى على ظهره ونظر الى فوق، ثم اختلس نفسه وأخذ به داخلا حتى ينتفخ انتفاخا شديدا فيحسبه الطير قد مات، فيقع عليه ليأكل منه كما يأكل الجيفة، فاذا اجتمع الطير انتفض سريعا وقبض على ما وجد فأكله، لانه ذو خب(٦) ومكر، كذلك طبيعته إن أصابه ضرر فاثر فيه اثارا وكلم

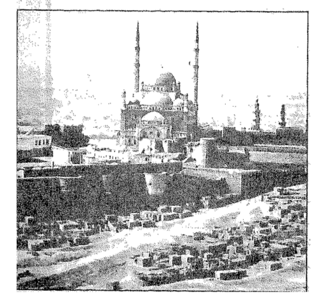


● لقطة جانبية لجامع البكيرية في مدينة صنعاء باليمن في اواخر العهد العثماني التقطت الصورة على أيام السلطان عبد الحميد الثانى .

فيه كلوما اخذ من صمغ شجرة تدعى قنطوريا(٧) فابرأها به.

القرد أهيأ الحيوان لقبول التعليم، وهو لعوب غضوب سريع الحس، لا يكون فى بلد كثير السباع، عدو لجميع الحيوان، مليح الاهاب، نهوش خطوف، إلا أنه إذا شبع نام فى غاره ثلاثة أيام، فاذا خرج صاح بصوت عال تخرج منه رائحة طيبة، فيجتمع إليه الحيوان لحسن صوته.

ومن اراد ختله(٨) فليتمسح بشحم الضبع ويدخل عليه فى غاره، فانه لا يمتنع، خفيف الجرم، حديد الشد(٩) يقظان.





● اعلى جامع محمد على باشا فى القلعة الشهيرة فى الحي الذى عرف باسمها فى مدينة القاهرة
ـ تصوير عام ١٨٨٠م تقريبا
● اسفل منظر للقصر الحكومي فى مدينة بيروت فى العهد العثماني وأمامه حديقته وساحته المشهورة
ـ تصوير عام ١٨٩٥م تقريبا.

الهوامش

(١) بطرفه، أى طرف مقدم السفينة. واللطيف: الدقيق.
(٢) الحريش: دابة صغيرة فى جرم الجدى ساكنة جدا، غير أن لها من قوة الجسم وسرعة الحركة ما يعجز القناص، ولها فى وسط رأسها قرن واحد مصمت مستقيم تناطح به.
(٣) الخلد: دويبة تحت الارض، وهى ضرب من الجرذان.
(٤) العقعق: طائر على قدر الحمامة وعلى شكل الغراب، وجناحاه أكبر من جناحى الحمامة، ذو لونين: أبيض وأسود، طويل الذنب.
(٥) الباشق: ضرب من بزاة الصيد، وهو طائر خفيف المحمل شديد الهلع، يأنس حيناً ويستوحش حيناً.
(٦) الخب بكسر الخاء وتشديد الباء: الخداع والمكر.
(٧) كذا فى الاصل. والذى فى ابن البيطار: قنطوريون، وهو صنفان: كبير وصغير، فالكبير له ورق شبيه بورق الجوز أخضر مثل ورق الكرنب. وله ساق شبيهة بساق الحماض طولها ذراعان أو ثلاثة. وله شعب كثيرة من اصل واحد، عليها رءوس شبيهة بالخشخاش الخ وهذا هو المراد هنا.
(٨) ختله: قتله
(٩) السـر

□□□

أول محرم

أول محرم من كل عام هجرى يعد يوماً حافلا بالذكرى العطرة، مملوءاً بالمعجزة الباهرة إذا جاء سعد به كل مسلم تقى يحب رسولنا الكريم محمد ﴿ﷺ﴾ كما يحب نفسه بل أكثر من نفسه التى هى بين جنبيه فكل مؤمن بالله ذاكـراً له، ناظراً إليه مسبحاً بحمده فى كل أمر ينويه لا يمكن أن تغيب عنه تلك المعانى الجليلة والآثار العظيمة الباقية الخالدة لهجرة الرسول العظيم ﴿ﷺ﴾ وحينما اشتد ايذاء المشركين له ولأصحابه الكرام الذين سبقوا الى الايمان والاستجابة لدعوته غير عابئين بما ينتظرونه من أهليهم وعشيرتهم من بلاء .

وقد نوه القرآن الكريم بالهجرة والمهاجرين فى آيات كثيرة، حيث قال عز من قائل: **﴿فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلى وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار﴾** (آل عمران/ ١٩٦)

والهجرة فى حقيقتها ليست موقفاً سلبياً إزاء الاحداث التى دعت إليها، ولا هروبا من تحمل تبعات الحياة التى يواجهها من طلب الهجرة مفارقاً وطنه وأهله وولده، وأصحاب الرسالات ودعاة الاصلاح فى كل مكان وزمان ـ يلقون دائماً فى سبيل تبليغ رسالتهم ونشر دعوتهم ألواناً من سفه السفهاء، وحمق الحمقى، وعناد المعاندين ما لا يرون معه مفراً من التحول برسالتهم ودعوتهم من هذا الحصار المضروب عليها الى جانب ملاقاة أشد ألوان العذاب من الكفار الفجرة، الى حيث يجدون لهم متنفساً فى جو تنمو فيه مغارسهم، وتثمر الثمر الطيب المرجو منها. ولقد ثبت رسول الله ﴿ﷺ﴾ فى موطن دعوته نحو ثلاث عشرة سنة. محتملا ما تنوء به الجبال من الضروالاذى الذى يسوقه قومه إليه والذى يتضاعف أثره، ويشتد عليه وقعه بما يلقاه الذين آمنوا واستجابوا لدعوته

حتى لقد مات بعضهم تحت سياط العذاب من المشركين وهو يصرخ فى وجه اولئك الظالمين مردداً شهادة الايمان بالله ورسوله، وذلك مما دعا رسول الله ﴿ﷺ﴾ الى أن يخرج من مكة الى الطائف ليجد عند أهل ثقيف متنفساً لدعوته، فلم يجد عندهم متنفساً ولكن وجد عندهم كما وجد من مشركى مكة من سفه وعناد وضلال، حتى أغروا به عبيدهم وصغارهم أن يرجموه بالحجارة حتى أسالوا دمه الشريف ـ فجلس يناجى ربه، ويسأله المخرج مما هو فيه .

ثم إن هجرة الرسول الكريم من مكة الى المدينة قد كانت بأمر الله تعالى الى رسولنا الكريم محمد ﴿ﷺ﴾ بعد أن هاجر إليها كثير من المؤمنين، وبعد أن دخل فى الاسلام كثير من الانصار من أهل المدينة، وقد حفظ الله تعالى شأن هذه الهجرة المباركة، وخلد ذكراها على مر الزمان .

■ وفى المدينة قامت دولة للاسلام وأذل الله المشركين وهزم جموعهم ثم ما هى إلا سنوات حتى عاد الرسول والمسلمون الى مكة فاتحين وأسلم المشركون ودخل الناس فى دين الله أفواجا .

ولا يسعنى الآن إلا أن أصور بقلمى صورا لمواقف الابطال الاول . . من شهدت لهم السماء يوم الزحف، وتنادي عليهم الجنة بأعلى درجاتها هلموا إلي يا أحبابى . . يا أحباب رسول الله ﴿ﷺ﴾ لأن من أحب الرسول فقد أحب الله .

■ وأول بطل فى الاسلام هو سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه لماذا؟ . . لأنه ضحى من أجل الاسلام ونام فى فراش الرسول ﴿ﷺ﴾ معرضاً نفسه للفتك والدمار والهلاك من قبل المشركين فداء للرسول الاعظم محمد ﴿ﷺ﴾ فطوبى لك يا على يامن تفخر بك الجنة يوم القيامة وتقول هؤلاء هم سكانى حقا .

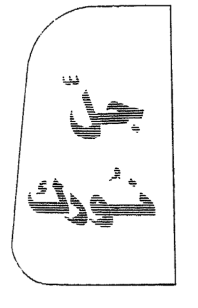
والبطل الثانى هو سيدنا أبو بكر الصديق من ضحى بالمال والجاه والسلطان والعزه حتى سألوه ماذا أبقيت يا أبا بكر لأولادك فقال: أبقيت لهم الله ورسوله .

والبطلة الثالثة هى البطلة المرموقة: أسماء بنت أبى بكر من راحت بالمؤن والطعام للصاحبين الجليلين. فهل آن الاوان أن نعظم هذه الذكرى ونحن فى مستهل هذا الشهر .

إن هجرة الرسول ﴿ﷺ﴾ لم تكن فراراً وانسحاباً ولكن كانت هجرته نصراً وفتحاً مبيناً .

أمير أيمن فوزى عيد

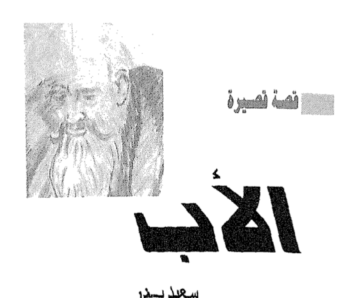
■ **ننشر لك موضوع (اول محرم) تشجيعاً ونـود أن نتنبه الى ما يمكن أن يرد من أخطاء نحوية فى كتابتك . . كما نود أن تكثر دائماً فى هذا اللون من الكتابات الاسلامية من الاستشهاد بآيات القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة .**



قصة قصيرة

الأب

سعيد بـدر



كانت عين الصبى تتابع يد أبيه حين فض اللفافة الهدية واخرج شيئا وضعه فى فمه.

تطلع الى وجه الاب عله يلمح بادرة مشاعر أبوة فيذيقه مما اكل.

لكن الاب دس اللفافة فى جانب من «بنك» البيع وتشاغل عن ولده بتقطيع «البسطرمة» وكان قد اشتهر بين عملائه بحذقه تقطيع رقائقها دوائر كاملة.

رنت العبارة فى رأس الصبى.

ـ الخواجة يرسل لاولادك هدية.. خذ.. لاولادك

قال فى نفسه: ترى اى لون من الاطعمة داخل اللفافة.. بالقطع هى فاكهة، فقد لاحظ لونها القرمزى يعبر المسافة بين فوهة اللفافة وفم ابيه.. وهى ايضا فاكهة لها ذنب.. استـأصله الاب وتركه يهوى بين قدميه.. غير أن بها نواة.. لفظها بعد أن لاك الحبة بين شدقيه.

بلع الصبى «ريقه» وهو يتساءل: أى لون من الفاكهة تراهـا، ما طعمها؟ وما الذى جعل وجه الاب يستشعر مذاقا حمضيا، تذكر مذاق العنب غير الناضج واستشعر مرارته التى تسرى فى نشوة، لكن؟ أيعقل ان يرسل هدية من «الحصرم»؟

أفاق الصبى على صوت أبيه المرتفع ـ يعنفه ـ يتهمه بالبلادة والبـرحان، وانه لم يأت ليساعده بقدر ما هو يحملق فيه.. وكان تعنيف الاب لابنه امام العملاء يؤلم الصبى، لكنه يشعر ان التعنيف كاذب، وربما كان مناورة من الاب، يستر بها يده التى سوف تتسلل الى اللفافه كل حين.

حين جذب الصبى الباب الصاج لاسفل ـ تقعقع ـ انثنى ليدخـل خطاف «القفـل» فى الـدائـرة الحـديدية الصدئة.. واجه معاناة فى إحكام غلق الحانوت. وكان الاب يلوك الفاكهة ويلفظ النوى تباعا.

كان الشارع خاليا من المارة.. وقت السحر، يغط فى سبـات عميق.. غير حذاء خشبى يطرق الارض من بعيد.. يشق سكون السحر منفردا وبصمت.. ليرتفع صوت متغضن.. الصلاة يا مؤمنين الصلاة.. تابع الصبى خطى الاب. من الخلف.. حيث لا يجرؤ على محاذاته، وكان الاب يسير فى طريق مختلف جعل الصبى يقول فى نفسه: أيعقل ان يكون قد ضل الطريق؟! هم بالسؤال. لكن لفظ النواة بعنف الى الخلاء جعلها تطير مخترقة

←

عبد الفتاح الطاهر الخطيب

يا إلهـى أنـت يا سر وجـودى وبـقـائى
يا إلهـى أنـت يا نور حياتـى وهـنـائى
يا إلهـى يا ملاذى يا معـينـى يا رجـائى
حينـما أدعـوك أحـيا فى بحـور من ضياء

●● ●● ●●

يا إلهى أصبح الصبـح فعم الكون نورك
أذن البـلبـل شدوا خلفـه صلت طيورك
هامت الارواح لما فاض فى الـدنيا عبـيرك
فإذا الايمان يسرى فى فؤادى جل نورك

يا إلهـى آية الآيات فى هذا المسـاء
كيف تغفـو الشمس فى وادٍ سحيق فى انزواء
كيف يأتـى الـليل جبـارا عتـى الكـبرياء
فإذا بالـكـون ساج فى خشـوع وولاء

●● ●● ●●

يا إلهـى أنـت يا وهـاب يا جم العـطاء
اشرح اللهم صدرى هبـه فيضـا من ضياء
امـلأ الـلهـم قلبـى بالمحـبـة والصفـاء
واغـفـر الـذنـب إلهـى يا مجيبـا للدعـاء

السكون والظلام وجعل الصبى يبلع السؤال. حين مزق سمعه عنف اللفظة.. تداعى له نصل السكين يشق لحم «البسطرمة» دخل الاب الى ازقة جانبية متفرعة، وهنا استوثق الصبى أنه يتعمد اطالة السير.

اشرفا على زقاق تربض على ناصيته - زلطه - قاعدة تشهد على المكان وتشترك فى تشكيل ملامحه.. جلس الاب واتاح للصبى مكانا لكنه آثر الوقوف منتظرا، وأخذ يتشاغل بمشاهدة البيوت المتداعية والمتكىء بعضها على بعض بشكل يجعل بقاءها مرهونا بتساندها.

لمح الصبى بين الرخامة وجدار البيت - قطة تلد - وعلى رأسها يقف قط.. له رأس كبير وفم واسع.. يلقف ما يخرج من رحم القطة.. يزدرد ويبلع - المشيمة والاجنة - فور خروجها من جوف القطة.

اختلطت فى نفس الصبى مشاعر.. الخوف.. والحذر.. والرهبة.. اراد أن يبكى وينشج.. حميما.. عتيقا.. يرفع الصوت ان استطاع.. أو يكتمه بكل ما أوتى من قوة.. على قدر ما تحتمل حنجرته وطاقة جوانحه.

تناهى اليه وقع خطأ عسكرية على رأس الزقاق.. شدت مشاعره وذهبت بها.. وكانت دورية ليلية تعبر.. تدق الارض بأحذية ثقيلة.. أفاق على وقعها الموحد.

وكانت اصابع الاب تبحث فى قاع اللفافة.. نفدت.. نهض.. كور اللفافة والقى بها. وكانت الدورية قد اقتربت منه..

فغر الصبى فاه واستسلم لدهشة عابرة.

عندئذ عقد الاب راحتيه من خلف ظهره وتبعه الصبى متابعة الظل حتى خرجا من الزقاق يلفهم الغبش - وكان الصبح لم يتنفس بعد.

■ ننشر لك قصة (الأب) ونحيى فيك استخدامك اللغوى المتميز كما نحي فيك أديباً واعداً وفى انتظار مشاركات أخرى.

المحرر



■ فاز بجائزة ومضات لاحسن إ نتاج العدد الماضى (سمير ددم) - سوريا - عن قصيدته الى (حديقة اللغة العربية) .. وقد أرسلت له الجائزة.

الطريق الممدود

(١) هذا ارتحال الموعد المضروب
سوسنة تسائل عن نسيم النيل
أعواما
وتستبق التشرد فى أراجيح القلوب
المفعمات
وظلها الممدود عند مواطن التحديق
يفزعه النهار
فمن يحاصر خصرها الملتاع..
والمغروس.. أفئدة - تباريحاً
ووجدا فى شظايا الوقت، تحفره
عذابات الطريق..
القابضات على الجمار؟؟!!

(٢) كتب ممزقة.. وقلب ليس
يغفو بارتحال الليل عن أفق المدينة
فالليل خاتمة المطاف.. وفى حنايا
الصدر أغنية بلا لون
تسافر فى أراجيز الفناء البابلى..
وتسكب الاحزان.. والاحلام..
فى وطنى..
فيا رمل الشواطىء فى ذهول
الدهشة الأولى..
خشونتك التى شاخت سئمناها..
وفجرنا جميع وسائط الجسد الممزق
عندها.
فمتى تعود الى المرافىء كل ألوية
السفين الغائبات؟؟!!

محمد محمود بخيت

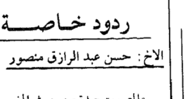


لأنك أمي

دعينى أحبك
دعينى أطوف بدرب الخلود
وأمزج اسمى بعطر الورود
لأنك حلم قريب بعيد
لأنك حرث وغرس وعيد
لانك أمى . . لأنى الوليد

دعينى أحبك رغم الصموت
البروق الرعود
دعينى أبدل جلد الوجود
وأشطب كل القديم التليد
أسجل اسما جديدا وعمرا جديدا
وحظا جديدا
دعينى أذوب كل الذنوب وكل
الحقود
وأبعث حيا كمثل الشهيد
دعينى أحبك أو فامنحينى انعتاقا
فكاكا شرود
فأنت القيود
وأنت اليمام الحمام الغريد
دعينى أبوح . . أفوح
أهدهد منى جوادا جموحا
أظاهر عمرا قبيحا قبيحا
أداوى الحزون الشجون
القروح
أبلسم هذا الزمان الجريح
دعينى بأفقك نجما يلوح
وطيرا يحلق فوق الروابى الفيافى
السفوح
يلملم بعض الصفاء وبعض
النقاء وبعض الوضوح
دعينى أروح أروح أروح
فقلبى اليك يحب النزوح
لأنى أحبك ماء وروح
لأنك أمى . . لأنى الطروح
دعينى أحبك كى استريح

رفعت عبد الوهاب المرصفى



ردود خاصة

الاخ: حسن عبد الرازق منصور

«المصور» جيدة من حيث المضمون . . غير أن صياغتها تحتاج الى نوع من فنية توظيف اللغة فبعض الاستخدامات اللغوية جاءت فى شكل تقريرى مباشر . . ننصح بالاطلاع على نماذج عديدة من القصة القصيرة . . وفى انتظار محاولات أخرى .

الاخ: عبد الرحمن محمد المزاح

كلمتك المقتضبة (الى أين يا حملة الضاد) تحمل قضية ـ غير أنك لم تستوف الكثير من جوانبها ولم تضع أى حل من الحلول لتلك القضية ـ فجاءت فى شكل مجرد ملاحظة كما ننصح بعدم إطلاق الاحكام العامة .

حبذا لو وضعت ذلك فى الاعتبار وأعدت المحاولة مرة أخرى وفى الانتظار .

المحرر



تأملات

أريد أن أتحلل من ربقة القنوط والقلق، فأستلقى في أرجوحة الورق والمداد . . أستيقظ من غفوتي، فأعود الى الدوران فى مدارات الواقع القاتمة، حيث تبدأ قوافل الملح فى شد رحالها نحو نهر الجراح .

أتوجد حياة بدون قلق؟؟ ما دام هناك صراع مأساوى فى دواخلنا بين المعقول واللامعقول، بين عبير الروح وطينية الجسد هل يمكن ان نطمع فى حياة غير قلقة؟؟ أمزق أوراقي، وأطوح بقلمي بعصبية . . ما فائدة الكتابة، إذا لم يكن بإمكانها مساعدة صاحبها على تحويل نظرياته المثالية الى مستوى السلوك .

عبد الهادى ابراهيم الورد

■ **ننشر لك تأملات ونحى فيك استخدامك لتلك اللغة الشاعرية وفى انتظار مشاركات أخرى.**

المحرر

في ظل العدالة

عبد الله ال ظافر القحطاني

أواه ما أشد وقع الخوف على النفوس! وما أفظع أن يشتد الصراع بين الشر والخير.. الخوف يجعل الحياة بلا طعم بلا لون بلا طموح.. الانسان يبني الحياة وآخر يهدم. ما أعجب هذا المخلوق.. ترى لو لم يكن هناك ضابط لأمور الحياة هل تستمر فى نبضها؟ وهل يعيش الناس فى استقرار؟ كلا فالشعوب سوف تتطاحن، والاشجار بأوراقها تدفن تحت الثرى.. ولكن ما ألطف من خلق الحياة ومن عليها. فمنذ بداية الوجود الانسانى حتى يومنا هذا خلق الله الحياة بكل مقوماتها لتخدم الانسان وجعل الاخذ منها بطريقة منظمة لأن الأساس هو المساواة والعدل. ﴿إن الله يأمر بالعدل والاحسان﴾.

والمساواة والعدل فى المعاملات بين الناس نجدهما اكثر دقة وتوازناً فى التشريع الاسلامى، حيث تحرص كل تعاليمه على المساواة بين الناس أمام القضاء، وعند التعامل وقضاء الحاجات.. وكلما تمسك الانسان بتعاليم الشريعة الاسلامية نصاً ومعنى كلما كان فى مأمن من الجور والظلم، فان الظلم ظلمات يوم القيامة.

والحديث عن العدل والمساواة يقودنا الى القول بأن المملكة العربية السعودية ـ وبفضل من الله سبحانه وتعالى ـ تعد النموذج الأمثل فى تطبيق هذا واقعاً ملموساً وما ذلك إلا لاتباعها لشريعة السماء.. لا سيما فهى مهد الرسالة، ومنزل الوحى.

■ تنشر لك ومضات خاطرتك فى (ظل العدالة) ونحيى فيك الروح الوطنية الوثابة ونتمنى لك مزيدا من التفوق الادبى وفى انتظار مشاركاتك.

المحرر

اسماعيل خضر ونوس

أحن إليك أيا قريتي
أحن الى الكرم والداليه
أحن الى زقزقات الطيور
ورف الفراشات والرابيه
أحن الى ذكريات الطفولة
ترتع بين الذرى العاليه
الى الفجر يغفو على الوشوشات
ويصحو على غنوة الراعيه
الى الشمس تركض بين الحقول
تضاحك زهر الربى الغافيه
أحن الى عتمات الشتاء
وموقد غرفتنا الساجيه

ردود سريعة

الاخ : احمد النجار

نعتذر منك عن عدم نشر قصيدة (ليه) فهى من الشعر العامى وومضات تعتمـ الشعر المكتوب بالفصحى ـ فى انتظـ محاولة من هذا اللون.

الاخ: محمد رمضان الصور باهرى

(شاعر لكنه قرد) لا تصلح للنشر.. ننصح بالاطلاع على نماذج القصة القصيرة كما ننبه الى الاهتمام بالاملاء.. و(يدخان) صحتها ـ ويدخن وتلمح عينيا (صحتها) وتلمح عيناى.. ونعتذر منك عن عدم نشرها.

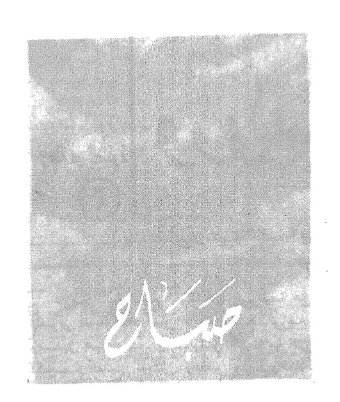
المحرر

تهنئة

كل عام وأنتم بخير

تتوجه ومضات الى كتابها الواعدين بأطيب التهانى مع بداية عامنا الهجرى الجديد جعله الله عام خير وبركة على المسلمين والعرب جميعا وتأمل من كتابها إرسال صور شخصية لنتمكن من نشرها مع العمل الفائز زيادة فى التشجيع الادبي.
ولكم تحياتنا..

أحن الى جدتى وحكايا زمان
ونحن لها أذن صاغيه
الى الأرض تعطى فيزهو العطاء
وتزهر أحلامنا الناديه
الى الزارعين وهم يحلمون
بموج السنابل والساقيه
الى الدوح يحنو على العاشقين
فتبتسم الاضلع الحانيه
الى الدار تجمعنا من جديد
فتحلو مواسمنا الآتيه
أحن الى كل شىء لديك
فهل ترجع الذكر الماضيه؟



يوسف عبد العزيز على

لصباح يغمر الوجه الحبيب
بنداه وصباه والطيوب
لصباح فيه يصفو للغنا
للمنى والزهر فى الروض العشيب
أسكب القلب على أفنانه
خضرة تشجى صداح العندليب
علّه إن مر يصغي باسماً
ثم يغضى هامساً يزهو طروب
أنثر الوجد على أنحائه
نشوات فى الضيا العذب الخصيب
علّه يذكر صبا ظامئا
ويرويه من الوعد الرطيب
لصباح برعم يهمى سنا
أصطلي شوقاً إليه وأذوب
علّه إن جاء وافى بهجتى
ذاد عن أحلامي الوهم الجديب
وصحا قلبى على رفرفة
زفت البشرى بلقياي الحبيب
وهفت روحي الى نسمته
تستقي فرحتها قبل الغروب

رحلة فى الذاكرة (٢)

ورواية الـ

العلامة عبد القادر المغربى

د. محمد رجب البيومى - عميد كلية اللغة العربية - الازهر - المنصورة

علامة الشام الشيخ عبد القادر المغربى تلميذ جمال الدين الافغانى وصديق محمد عبده، ونائب رئيس المجمع العلمى بدمشق، وعضو مجمع اللغة العربية، وصاحب المصنفات الرائعة فى االتاريخ واللغة والادب والتفسير والاخلاق، هذا العلامة الاكبر أشهر من ان نشير اليه بتعريف محدد، وقد اعتدت ان اراه بالقاهرة كل عام حين انقضاء المؤتمر السنوى لمجمع اللغة حيث يكون فى طليعة المتحدثين والمناقشين وله فى كل موسم موضوع جديد يجذب الانتباه، واماكن لقائه متعددة بساحة المجمع، ودار الكتب المصرية.

وندوة مجلة الرسالة ومنازل الزملاء من أصدقائه الكبار، وهذا فى وقت الطلب قبل أن تبعدنى الوظيفة عن القاهرة وكان أول التقائى به فى جمعية الهداية الاسلامية التى كان يرأسها صديقه وزميله العلامة الاستاذ الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الازهر فيما بعد، إذ كنت ازور الجماعة ذات عصر مع صديقى الدكتور احمد الشرباصى فرأينا العلامتين رئيس الجمعية، وزائره الدمشقى الكبير يتسامران فى حجرة الرئيس، وأشفقت أن اتطفل على مجلس لست أهلا له، وكنت إذ ذاك طالبا بالسنة الاولى بكلية اللغة العربية، ولكن الصديق الشرباصى أقدم جريئا وجرنى معه وكان على صلة بالشيخ الخضر، فأفضى إليه بما تم فى امر كلفه به واستأذن، ووجدت من بشاشة الرجلين ما دفعنى الى المكث لاستمع ما يقولان.

(نقاش مثمر)

وكان العلامتان رحمهما الله يتناقشان فى معنى كلمة (محدث) الواردة فى قول رسول الله ﴿ﷺ﴾ «إن منكم محدثين، وأن منهم عمر بن الخطاب» فأفاض المغربى فى معنى كلمة المحدث وصلتها بالالهام وتكلم كثيرا فى أمور تتعلق بالاشتقاق والدين والتاريخ، ثم استطرد الى مواقف تاريخية ظهر فيها إلهام الله للفاروق، وكان الخضر حسين يستمع مبتسما، ثم اتسع له مجال التعقيب حين سكت المغربى الممتع، فقال إنه عثر على رواية (محدث) بضم الميم وكسر الدال، وأخذ يفسر المعنى على لفظها. ودار نقاش أخذ يرتفع عن مستواى، تواردت فيه أسماء ابن جنى والاستراباذى والشهاب الخفاجى، ثم سكت الخضر. فوجدت العلامة المغربى ينظر الى مبتسما ويقول: وما رأيك أنت؟ فقلبت كفا على كف، وقلت: لا اله الا الله! أأصدر رأيى فى مسألة لغوية دينية يتناولها شيخان من أعلام المسلمين من أنا؟ حسبى أن أسمع، فربت الرجل على كتفى بيده الكريمة، وقال من يدرى؟ لعلك تسبق؟ فتشجعت وقلت: ان هذا النقاش المثمر يذكرنى بنقاش بين العلامة الاسكندرى والعلامة حسين والى، وكلاهما كان زميلا لكما بالمجمع. وقد حضره الشاعر الكبير الاستاذ على الجارم فقال عنه، والحديث عن حسين دالى:

ويوما مع الاسكندرى رأيته
يجاذبه فضل الحديث الشيق
فهذا يرى فى لفظة غير ما يرى
أخوه، ويختار الدليل وينتقى
واعجبنى رأى سليم ومنطق
يصول على رأى سليم ومنطق
وقد لوحت أيديهما فكأنها
إشارات رايات تروح وتلتقى
ولم أر فى لفظيهما نبر عائب
ولم أر فى لحظيهما لمح محنق
فقلت هى الفصحى بخير، وإنها
بأمثال هذين الامامين ترتقى

■ فقال الخضر رحمه الله، أنشد الجارم هذه القصيدة فى تأبين الاسكندرى بالمجمع وقد سمعتها فى حينها، وسررت بمعانيها قدر سرورى بجودة إلقاء الجارم!

ومضت برهة، فوجدت العلامة

ـــديث النبوي

المغربى، يقـول لـى فى ملاطفـة : عنـدى موعـد خاص بزيارة عالم كبير مـن كرام أئمـة الـدين وإذا لم تمانـع أكون سعيـدا بمرافقتك لآنس! قلت وافرحتاه أبلغ بى الحظ أن أسعى فى ركابك لأزور أحد الائمة! قال هيـا!.

(مفاجـــأة)

أخـذت سيارة المغـربـى تشـق الـطريـق فـى شـوارع الـقـاهـرة، فاجتـازت أمـاكـن التكـدس الـى الـضـواحـى الهـادئـة، مـرورا بالـعـبـاسـية والـقبـة والـزيـتـون والمطريـة حـتى وصـلنا الـى (عزبـة النخـل) وكانـت يومئذ أشبه بالقريـة الصغيـرة، قبـل أن تتـزاحـم المنازل وتتراكـب كما نـرى، فأشـار الشيخ الى منزل صغيـر ليقـف أمامـه السائق، وصـحـبـنـى الى الـبـاب، ففـتـحـه بهدوء، واتجـه الى حجـرة بالـــدور الاول، فضرب عليها ضربـاً خفيفـا بأصبعـه كمـن يستأذن، ثـم تقدم وأنا من خلفـه، لنجد عالمـاً مهيبـا يجلس متربعـا على كرسى مربع، وأمامـه عالم مهيب أيضا يجلس على الأرض، ومعـه نسخـة مـن كتـاب (الموطأ) للامـام مالـك رضى الله عنـه، يقرأ مـا بهـا فـى إجـلال، فأخذ المغربـى مجلسه فى خشـوع خلف القارىء الكريـم، وأشـار فأخـذت مجلسـى جواره، وجعلنـا نسـتمع وأنا فى دهـش حائر، لأن المجلس مجلس استـماع، والشيخ المتصدر ينصت دون أن ينطـق، ولـم يظهر عليهمـا ما يدل على أن زائرين قـد حلا ضيفـيـن، إذ اسـتـرسـل القـارىء، وأنصـت السامع، حـتى إذا مضت قرابـة ساعة نهـض القارىء فصافح الشيـخ الجالس، واتجـه إلينا فصافح المغربى فى شـوق، وصافحنى فى حنـو، كمن يسأل عنى لأول مـرة يرانى، ثـم تقدمنا الى الشيخ الكبير، فوجـدت القـارىء والمغـربـى يقبلان يـده فـى إكبـار فقلدتهـما! ولكـنـى لم أفهم شيئا مما أرى!

■ حـان الايـاب، فصحبت العـلامة المغـربـى، وأنـا فـى حيرة أتعجب، ورأى الـرجل الكبير ما يتلبسنى مـن تسـاؤل فقال ألا تعـرف فضيلة العالم الجليل الشيخ يوسف الدجـوى احد جماعـة كبـار العلمـاء، إنه هـو الذى يسمـع، ثـم ألا تعرف العالم الجليل الشيخ محمـد زاهـد الكـوثـرى وكيل المشيخة الاسلاميـة فـى عهد الخلافـة الـعـثـمـانية، إنـه هو الـذى يقـرأ ولـلمجلس معنى، فإن سلسلة رواية الموطأ عـن مالك لم تنقطـع الى اليـوم، إذ يقـوم بها خلـف عن سـلـف، حتى تـتـصـل بمالــك، والأئـمـة الـكـبـار يحرصـون على أن يكـونـوا حلقـات مبـاركـة فى هذه السلسلة النبـويـة الكريمـة، فقـد روى الدجـوى الموطأ عـن شيخـه سـليم الـبـشرى، ورواه البشـرى عن شيخه ابراهيم السقا ثـم رواه السقــا عن العـلامـة الأمـيـر الصغـيـر. ومازالت الرواية تتصاعـد دون بتر حتى تصل الى مالك بن أنس وهـو يروى عـن نافـع عن عبد الله بن عمـر عن رسول الله ﴿ﷺ﴾، ثم قال المغربـى استمع يا بنى! أما شاهدت الكـوثـرى يصـافـح الـدجـوى بعـد القراءة؟ إن كل قارىء يصافح مـن يقـرأ عليـه، ويعتقـد المحـدثـون أن المصافحـة تمتد مـن يد إ مـام الى إمـام حتى تصـل الى يـد الامـام مـالـك، وقـد صـافـح رضى الله عنـه نافعـاً، وصـافـح نافـع عبـد الله بن عمـر، وصافح ابن عمـر رسول الله، فكأن سلسلة المصافحة تشرف بكـف رسـول الله وأنا لم أصافح الشيخ الدجوى إذَ لا تتم المصافحة علـى وجهها الشرعى إلا لمن قرأ الموطأ كامـلا، كمـا يفعـل الكـوثـرى، ونحن حضـرنـا مجلسـاً للبركـة فقط! ولـيت الـزمـن يتـيح المداومـة ولكن متـى؟.

■ قلت للشيخ المغربى، كنـت أتمنى أن أصافـح أستاذنا العلامـة الدجـوى لأدخـل فـى سلم المصافحـة الممتدة الى مالـك بن أنس رضى الله عنـه، وتهـيبت أن أقـول الى رســول الله ﴿ﷺ﴾ لأن مقـامــه أعـلى وأرفـع، فلمعت عينـا الشيـخ ببريـق ساطـع انـتـقـل الى وجـهـه المشرب بالحمـرة فجعلـه قطعــة من الضياء، وقـال: ياولـدى، هـذه أمنيـة طيبـة، ولكنها متعذرة مع العلامـة الدجوى لأنـه لا يصافح إلا من يقرأ الموطأ كاملا دون نقص لحـرف واحد، والشيخ مريض ولا يعقـل أن يبدأ بالسماع لأحـد بعد الـعـلامـة الـشـيخ محـمـد زاهـد الكـوثرى، لأنـه صديقه الأعـز وقـد رجـاه أن يقرأ فاضطـر إلى القبول نظرا لمرضـه الـذى يحرمـه من الجـلـوس ساعات ممتدة إلا بضيق شديد، ولكـن سأدلـك على شىء سـار! وسـكـت مليا، ثم قال:

أعـرف أن الـشيخ منصـور على



جمال الدين الافغانى

على الجارم

الشيخ محمد الخضر حسين

الشيخ محمد عبده

ناصف امام المسجد الزينبى يعقد حلقة يقرأ عليه بها صحيح مسلم وقد قرأه على الشيخ محمد حبيب الشنقيطى رحمه الله ومن ورائه سلسلة ترتفع الى المقام الشريف، وتتم المصافحة عقب كل قراءة، فاذهب إليه بمسجد السيدة زينب، وشاوره!

كنت أعرف فضل الشيخ منصور على ناصف وأحتفظ بكتابه (التاج) فى خمسة أجزاء مشروحة، خاصة بما جمع فى كتب السنة الخمسة، فصممت على أن أذهب اليه فى اليوم نفسه بعد صلاة العشاء إذ اعتاد أن يؤم الناس فى صلاة المغرب ويجلس فى المحراب ذاكراً متأملا حتى يؤذن للعشاء فيؤم المصلين، فودعت العلامة المغربى، وأخبرته بما اعتزمت عليه، ورجوت أن يسمح بلقائى قبل سفره، فقال إنه سيكون بقسم المخطوطات بدار الكتب المصرية غداً بعد العصر، فإذا شئت أن أحضر، فهذا يسره.

لقاء الشيخ منصور ناصف

كنا على مقربة من الغروب، فهرعت الى المسجد الزينبى ووجدت الشيخ جالساً فى المحرا ب حيث توقعت، ينتظر صلاة العشاء، وهو شيخ جليل، يغمره وقار الشيب، أبيض الوجه واللحية والعمامة وقامته فارعة، وإبتسامه فى اللقاء مشجع عاطف، فلما فرغ من العشاء الآخرة، أقبل الناس جميعا من خلفه على تقبيل يده، وانتظرت كيلا أضيع فى الزحام، فلما تأهب للخروج دنوت منه مسلما، فتلقانى بعطف، وسألنى فى لطف: من أنت؟ قلت: طالب بكلية اللغة العربية ينشدك فى أمر دينى. فقال خيرا، قلت أريد أن أنضم الى حلقة الحديث، حين تبدأ مجموعة جديدة.

فجلس الشيخ فجأة على سجادة المسجد وكان واقفاً، وقال فى حنو: كم سنك يابنى؟ قلت أربعة وعشرون عاما، فضحك، وقال، وتريد أن تكون من رواة الحديث فى هذه السن؟ انتظر حتى تتجاوز الاربعين ليحدث لك وقار الموقف، وتحس هيبة القراءة! إنه حديث رسول الله يافتى!

فوجمت قليلا، ولحظ الشيخ انقباضى فقال أمامك مرحلة أولى، قلت ما هى، قال ابدأ بقراءة كتب المصطلح، وأشير عليك بكتاب (شرح علوم الحديث) للحافظ ابن كثير، لأنه مقدمة جيدة لمن يريد أن يتشبع بدراسة حديث رسول الله، وفيه كلام طيب عن آداب المحدث، وإملاء الحديث، وسماع الحديث والاجازة والوصية، وبيان أنواع الحديث من صحيح وحسن وضعيف ومسند، ومرفوع وموقوف، ومنقطع ومرسل ومعضل ومدلس ومنكر! فقلت ياسيدى درسنا مصطلح الحديث بالقسم الثانوى بالازهر، وفيه أكثر ما ذكرت، فقال فى هدوء: كتاب الحافظ ابن كثير كله نور، كله نور،فادرسه وستسعد بإذن الله ونهض فنهضت.

العودة الى المغربى

سارعت للقاء العلامة المغربى

بدار الكتب، ولم يكن يتوقع انى سأقابل الشيخ منصور بهذه السرعة فجعلت أحدثه عما قال لى، وأنا أتألم لقوله: بعد الاربعين!
فقال المغربى، . إن شيخ المحدثين بالشام أستاذنا بدر الدين الحسينى لم يكن يشترط سنا لقراءة الحديث، وقد قرأنا عليه فى دار الحديث بالأشرفية فى دمشق صحيح مسلم، وسنن الترمذى وكنا عدداً من الاخوان فينا الصغير والكبير.
قلت: أذكر ياسيدى أنك كتبت عنه مقالة بمجلة الرسالة فى السنة التى انتقل فيها الى جوار ربه، وقد قرأتها واحتفظت بها.
فتألق وجه الشيخ، وقال ما شاء الله، ما شاء الله.
ثم قال: إن كتاب الحافظ ابن كثير ليس هو الوحيد فى بابه، فكتب المصطلح من الكثرة بحيث لا تحد، ولكن قراءته بلا شك ستعود عليك بالنفع.
وعلمت أن المغربى سيسافر غدا الى دمشق، فودعته ولم يتح لى أن ألقاه كثيرا من بعد إلا فى مرات تعد على الاصابع إذ كنت اتولى التدريس فى غير مدارس القاهرة من مدن مصر، وكانت زياراته للقاهرة لا تصادف كثيرا موسم العطلة الصيفية. فحرمت من خير كثير بالنسبة لما كنت أرجو، ولكن لقاءه العابر ذو نفع عميم.
على أن مجلس الحديث بدار العلامة الدجوى لا يزال يملأ نفسى جلالا وهيبة وخشوعا، وأتمنى ان يعود هذا التقليد العلمى المفيد.

العلماء ورثة الأنبياء.

فى العدد القادم

- **التنقيب الأثرى**
  محاولة لرسم معالم حضارية
  "دراسة تاريخية بالصور من خلال الحفريات الأثرية"
  د. سليمان البدر
- **علمتنى الحياة**
  "تجارب الأفراد تظل ذخيرة تفيد منها المجتمعات"
  الأستاذ / عبدالعزيز الرفاعى
- **التشريع والفطرة الانسانية**
  د. محمد الدسوقى
- **رحلة فى الذاكرة** د. محمد رجب البيومى
- **قراءة فى قصيدة نهج البردة**
  د. حلمى القاعود
- **الخطوط العربية فى الهند**
  د. محمد يوسف صديق
- **مفهوم القصص فى السنة**
  د. عبدالباسط حمودة
- **مجلة المنهل ودورها فى حركة الأدب التهامى**
  د. عبدالله أبو داهش

هذا بالاضافة الى أبواب المجلة الثابتة

ليس كل ما يفكر فيه الانسان يبديه أو يصرح به .. ونحن فى هذا الحوار لا نخفى شيئا ولا نستره. شعارنا الصراحة .. بل الصراحة المطلقة.. فإذا ظهر أن الحوار (غير قابل للنشر) فتأكد أنك حتما سيكون أول من يقرأه.

حوار مع الأديب الشاعر د. غازي القصيبي

● (الشعب العربى شعب لا يقرأ).

هل هذا ادعاء ام أنه حقيقة واقعة يجب البحث عن اسبابها وعلاجها؟!

■ من مشاكلنا الخطيرة فى عالمنا العربى غير السعيد أننا لا نملك اية احصائيات دقيقة ـ عن اى شىء تقريباً. ومن هنا فحصيلتنا، فى العادة، انطباعات شخصية: كل منا يعرف اوضاع اقربائه واصدقائه وجيرانه فيعمم الحكم على الجميع.

وحتى نعتمد الطريقة العلمية فى نقاشاتنا وحواراتنا، والطريقة العلمية تقوم على الارقام الدقيقة والاحصائيات المبنية على عينات ذات دلالة نهجية، سنبقى مع انطباعاتنا. وانطباعى ان الشعب العربى يقرأ أقل بكثير من شعوب العالم الاول، ولا يختلف عن بقية الشعوب فى العالم الثالث، اما العالم الثانى فلا املك عن عاداته فى القراءة حتى الانطباع.

تريد العلاج؟! حسناً، المفتاح هو فى القضاء على الامية ـ والامية لازالت مستشرية، كالوباء من المحيط الى الخليج.

● بصراحة مطلقة.. اين ابداعنا بصفة عامة على ساحة العالم؟!

■ بصراحة مطلقة، لم يسمع العالم عن ابداعنا الا عن طريق جبران خليل جبران قبل نصف قرن. ونجيب محفوظ قبل سنتين!

● يعتبر البعض الايغال فى التراث والماضى تهمة.. رأيك.

■ اذا كان الاهتمام بالتراث تهمه فأنا اول المذنبين! ولكن هل لابد من الايغال؟ أخشى أننا اذا أوغلنا ضيعنا يومنا ـ والذى يضيع مستقبله كالذى يضيع يومه. . فى التعاسة. الذى يضيع أمسه يطمس هويته والذى يضيع يومه يبيع مستقبله ـ فنحرص على تراثنا حرصنا على واقعنا ـ وليكن حبنا لأمسنا عميقا ـ كحبنا لغدنا.

● عرف عنا استخدامنا لصيغة (أفعل) بلا حدود.. تعليقك.

■ لا أدرى. فأنا لست (أعلم) الناس بالصيغ التى نستخدمها بلا حدود.

● (الحياة القاسية تصنع الرجال).

مدى مصداقية العبارة.

■ كل حياة، قاسية كانت أو ناعمة، تصهر الرجال اتذكر ما قاله شاعرنا العربي القديم:

من لم يؤدبه والداه
أدبه الليل والنهار

عبارة الشاعر. . ادق من مسألة الحياة القاسية!

● وراء تخلفنا الحضارى اسباب فى رأيك؟!

■ كل تخلف يقوم على جهل وكل نهضة تقوم على علم ـ والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات﴾ ينطبق هذا القانون السماوى على الحضارات بنفس الدرجة التى ينطبق بها على الافراد.

● هل نحن فى حاجة شديدة الى المناظرات الفكرية؟!

■ كل مناظرة، لا تتحول الى مبارزة مفيدة. إلا أننا للاسف، نحرص على تحويل كل المناظرات الى مبارزات، الفرق، احيانا يضيع فى العقول: فى المبارزة ينتصر شخص، اما فى المناظرة فالانتصار للفكرة. . مناظراتنا، غالباً، صراع بين اشخاص ـ لا أفكارا.

● الزواج من الاجنبيات ... كيف تراه؟!

■ كما أرى الزواج من غيرهن: فيه الشقى. . وفيه السعيد وهو يتحول الى خطر اذا تحول الى ظاهرة عامة ـ واذا أصبح ظاهرة عامة. . كان معنى هذا ان هناك خللا يجب إصلاحه.

● (عقدة الخواجة) اصيب بها كثيرون ... تعليقك.

■ «عقدة الخواجه» انعكاس طبيعى شبه محتوم لافتتان الحضارات الضعيفة بالحضارة السائدة. . ولا يمكن ان



د. غازى القصيبى

تزول الا اذا تحولت الحضارة المقهورة الى حضارة قاهرة.

● ـ بكلمة واحدة:
الفن العربى ـ الادب السعودى ـ الصحافة السعودية ـ المسرح السعودى ـ سر تعلنه لأ ول مرة؟!

■ الفن العربى . . مجتر.
الصحافة السعودية . . تحاول.
الادب السعودى . . . خجول
المسرح السعودى . . ذاب .
سر أعلنه لاول مرة . . اكره التليفونات .

● هذا التجديد الادبى.. مجرد موضة..

■ كتابة الشعر بالكمبيوتر!

● بصراحة .. الحياة الدبلوماسية قدمت للدكتور غازى القصيبى.

■ بصراحة ، قدراً محدوداً من الدبلوماسية!

● ماذا تقول لـ..!؟
(ادونيـــس .. محمد علوان .. محمد الماغوط ..

■ ادونيس . . لو فهمتك لقرأتك!
محمد علوان . . طال الصمت!
محمد الماغوط . . قصيدة النثر تناقض ذاتى!

● الجهاد بالقلم يعادل الجهاد بالسيف..
تعليقى من واقع التجربة...

■ للاسف لم يقدر لى الجهاد لا بسيف ولا قلم . .

● برقيـة سـريعة الى...

■ الى كل رقيب فى العالم!
(يجب ان تتوقف فورا عن الكتابة)
التوقيع د. غازى القصيبى

الدكتور غازى القصيبى فى سطور

● ولد بالاحساء عام ١٣٥٩هـ . . حصل على درجة الدكتوراة فى العلاقات الدولية من امريكا.

● تقلد العديد من المناصب . . وعمل:

● محاضرا فى كلية التجارة بجامعة الرياض ثم ر ئيسا لقسم العلوم السياسية ثم عميدا للكلية.

● مديرا عاما للسكة الحديد بالدمام.

● وزيرا للصناعة والكهرباء . . ثم وزيرا للصحة.

● ويعمل الان سفير خادم الحرمين الشريفين فى دولة البحرين الشقيقة.

■ له مجموعة من الاعمال الشعرية منها:

● اشعار من جزائر اللؤلؤ عام ١٩٦٠.

● قطرات من الظمأ عام ١٩٦٥م.

● معركة بلا راية عام ١٩٧١م.

● ابيات غزل عام ١٩٧٦م.

● عودة الى الاماكن القديمة عام ١٩٨٥م.

■ له مجموعة من المؤلفات فى العديد من الموضوعات الأدبية والأجتماعية وغيرها.

● كتب العديد من المقالات فى الصحافة العربية.

● كان له وجوده القلمى الواضح (شعراً ونثراً) فى قضية الاحتلال العراقى للكويت.

● شعره يمتاز بصدق العاطفة، ودقة التعبير، وتخير الكلمة المنتقاه.

أبعــاد اجتماعيــة

الاســلام بوصفــه نظامــا لحسن المخــالــطة والمعــاشرة..
يقدم أكثر من خلق إجتماعى بالمعنى الدقيق.

الأخلاق الإسلامية وبناء المجتمع

بقلم: د. عبد الحليم عويس - جامعة الامام - الرياض

يشكل الافراد المواد التى يبنى منها المجتمع عبر نسيج من العلاقات التى تحتفظ بذاته وكيانه، وتجعله - فى الوقت نفسه - عضوا متآلفا منسجماً مع بقية أعضاء المجتمع.

ولا يستطيع مجتمع معين أن يؤدى وظيفته التاريخية ونشاطه المشترك دون أن توجد فيه شبكة العلاقات التى تؤلف عناصره النفسية والزمنية.

وكل علاقة هى فى جوهرها قيمة ثقافية يمثلها القانون الخلقى، والدستور الجمالى الخاص بالمجتمع، وبالتالى تعتبر القيمة الخلقية عنصراً جوهريا فى النشاط المشترك الذى يتم بفضل وجود شبكة العلاقات الاجتماعية(١) التى تمثل صمام الامان والروح الماسكة لكيان المجتمع. وكلما حدث إخلال بالقانون الخلقى فى مجتمع معين حدث تمزق فى شبكة العلاقات التى تتيح له أن يصنع تاريخه(٢).

■ ولا يوجد فى المجتمع نشاط عام أو خاص لا تسنده وتزكيه الأخلاق.. وعندما قامت الرأسمالية على أساس غير أخلاقى، فإنها ولدت الاستعمار الحديث الذى ذاقت البشرية من هوله الكثير، وكان أشأم مولود لها هو المادية الجدلية البغيضة.

ومع انحسار موجة الالحاد العلمى فى العالم، ووصول المرض الشيوعى إلى أقصى ما يستطيعه سقطت الشيوعية.. لكن الجسم الرأسمالى مازال فى حاجة الى الروح والأخلاق!!

■ وأمام عجز المسلمين المشين عن تقديم نموذج المجتمع الأخلاقى الذى يملك زمام أمره، ويعيش على إنتاجه، ويوازن بين الأخذ والعطاء والمادة والروح والواجبات والحقوق.. أمام هذا العجز انحسرت الأخلاق فى المجتمعات الحديثة، وأصبحت شبكة العلاقات مجرد نسيج يحكم القانون والمنفعة المتبادلة.

وكيف تصعد البشرية الى المستوى الاخلاقى الذى يسمو على المستوى القانونى، وهى لا تجد من يدفعها، بل تجد المسلمين قد سقطوا فى هاوية تضييع القانون السماوى والأخلاق أيضا، وقدموا نموذجا اجتماعياً ردیئاً، وتجد أحوالها فى ظل انحلالها الأخلاقى الأوربى أفضل تنظيما وإبداعاً من هؤلاء المسلمين الذين قال عنهم رسول الله (عليه الصلاة والسلام) «اكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا» (رواه الترمذى) ووصفه الله بقوله: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ (سورة القلم).

والانسان - بطبيعته - مجبول على السهولة واتباع المنحدر إذا لم تكن وراءه قوة دافعة إلى أعلى ﴿فلا اقتحم العقبة﴾ (البلد/ ١١).. إنها قوة من عقيدة وأخلاق تحفزه لهذا الاقتحام الذى قد يعنى التضحية بالمال أو بالنفس أو بهما معاً.

■ إن الحضارة الاوربية قد تقدمت اعتماداً على القانون وقد ظلت تحقق تقدماً فى مجالات التقدم المادى والتنظيمى، مثلما يتقدم صاروخ انفصل عن مدار توجهه، وهو فى تقدمه مندفع لا يبصر ذاته..

وعلم القانون الغربى لا يعدو أن يكون إفرازاً للظواهر الاجتماعية، فهو محصلة جمع الوقائع الاجتماعية مصاغة فى بنود قانونية، وهو يعالج سلوك الأفراد أو الجماعات ازاء نظام من القواعد خلقته ضرورات الوجود، وكأن الرعية موافقة عليه، وغالبا ما يحافظ عليه بمجموعة من الاجراءات القهرية.

أما قاعدة السلوك عند المسلم فهى، على العكس من ذلك إنها الارادة الآلهية المعبر عنها فى القرآن والتى تفسرها رسالة محمد النبوية.

■ وهنا تبرز الحاجة الى ملاحظتين: الاولى: أن

تنظيمات الاسلام «الشرعية» المحددة وغير القابلة للنقاش بالتأكيد تتعدى بشكل واسع وضعية المعتقد الضيقة لأنها تبدو متفتحة ومنشرحة بمشاعر الاخاء والعدالة، **والملاحظة الثانية:** أن الوحى كان بلا ريب الاساس الأولى للطابع الالزامى للقاعدة القانونية، فأكسبها قوتها الخلقية فى النهج الذى يحدد العلاقات بين الافراد، والعلاقات بين الزمر الاجتماعية. ولا تمييز فى العقيدة الاسلامية بين الموجب القانونى والواجب الخلقى، وهذا الجمع المحكم بين القانون والخلق يؤكد قوة النظام منذ البداية(٣)، ويحصن المجتمع ـ عند التطبيق ـ تحصينا كاملا فى المستوى الذى يطيقه البشر!!

ولئن كانت الاخلاق مطلقة وثابتة ولا تختلف من دين لدين إلا فى بعض وسائل التطبيق، بحيث إننا نجد الوصايا العشر مكررة ومعروفة فى الأديان كلها... لكن القرآن أضاف على صعيد الفضائل الفردية مجموعة حقيقية من قواعد الأخلاق والأدب شكلت الحضارة الاسلامية وطبعتها بطابعها. فالتهذيب والتربية الصالحة والعادات الحميدة والصدق والاخلاص، هى أسس الالفة التى كان لابد من أن تحيل جماعة المؤمنين إلى أخوية عريضة.. وواجب الفرد فى هذا المنظور سابق على حقه.. وإقامة مجتمع عادل وشريف من صلب التعاليم الإسلامية.

وفى المجتمع الاسلامى تصبح الفضيلة الاجتماعية الأساسية وهى قاعدة السلوك الاخلاقى للمسلم، جماعية أكثر مما هى بين فرد وآخر، وهذه لعمرى خصيصة النظام الاسلامى الجوهرية. فالقرآن والسنة والفقه تلح كلها على ضرورة تدعيم الروابط التى تشد أفراد المجتمع بعضهم الى بعض وتوثيقها.

■ ومن المناسب فى هذا الصدد أن نحسب حساباً حقيقيا للتمييز الذى يقيمه الاسلام بين (الانسان كانسان) و(الانسان الجماعى) وأن نحتفظ مع ذلك فى أذهاننا بأنه (إذا كان فى الاسلام فصل واضح بين الانسان كإنسان وبين الانسان الجماعى، فإن ذلك لا يقلل من عمق تماسك هاتين الحقيقتين، نظرا لأن الجماعة مظهر من مظاهر الانسان.. وإن المجتمع، على العكس من ذلك، عبارة عن أفراد متعددين. وتنتج عن هذا الترابط أو التقابل، أن كل ما يتم لمصلحة الجماعة.. ذو قيمة روحية بالنسبة الى الفرد، وبالعكس).

■ وثمة ميزة أساسية بالنسبة لعلاقة المجتمع الاسلامى بأخلاق الاسلام، فمن الجلى أنه لما كان بين يدى المسلم تنزيل كامل عليه أن يتعلم منه، فإنه سوف يحاول أن يحسن مسلكه الخلقى لا بالبحث عن حقائق جديدة، وإنما عن طريق التأمل فى الاسلام، والالتزام وقت الممارسة بالفضائل التقليدية ومحاكاة الافاضل ممن سبقوه أو من الذين يعيش الى جانبهم وتمثل الصلة بحياة النبى وصحابته شاهداً خاصا فى هذا الصدد.

■ والمؤمن ملزم فى حياته الخلقية بالتقيد بوصايا الشريعة الآلهية وليس هذا التقيد مجرد عمل يصدر عنه بشكل آلى. إن عليه بالعكس أن يشعر أنه ملتزم به التزاما عميقا، إذ ينبغى فى الواقع ألا يكتفى بصنع المعروف. بل أن يأمر كذلك به، وألا يكتفى بأن يتجنب المنكر، بل ان ينهى عنه أيضا، وهذا المظهر المتميز يكسب المجتمع الاسلامي ـ حتى فى هذه الايام ـ تلك الخلفية من التقليد والمحافظة(٤).

ومع ذلك، يقدم الاسلام، بوصفه نظاما لحسن المخالطة والمعاشرة، أكثر من خلق اجتماعى بالمعنى الدقيق.

■ إن الاسلام من حيث جوهره بالذات، ومن حيث منطق نظامه، قد بدا فور ظهوره دين المساواة من خلال الصورة التى قدمها عن الله والكون والانسان. فلقد وضعت التعاليم القرآنية حداً للطبقية الاجتماعية (المتصارعة) حين جعلت آدم أصلا لجميع الناس، والفضل الوحيد المحتمل للفرد على غيره يكمن فى تبصره وتمييزه، أى فى تقواه.

وبما أن الاسلام قد بنى المجتمع على قاعدة العدالة والنصفة، فإنه قد هدف على الصعيد الاقتصادى الى استئصال الفقر من جذوره.. وهو يطالب بـ (الكفاية) لكل مسلم، بغية إشباع حاجات الفرد اليومية الاساسية(٥).

■ وقد قدم المجتمع عبر التاريخ صورارائعة من المساواة واستئصال الفقر ومساهمة الاغنياء فى المجتمع طواعية بأضعاف ما يطلب منهم الشرع.. كما قدم المجتمع عن طريق الاخلاق وتطبيق الحدود الشرعية صورة من الامن الذي يعتبر الشرط الضرورى لنمو الحياة الاجتماعية وازدهارها.

وبعض الناس الذين لا يفهمون أسرار التشريع الاسلامى يزعمون أن فى الحدود قسوة، لكنهم يتجاهلون أن الحدود وقائية وزجرية، وأنها ـ مع

الأخـلاق والعقيدة ـ صمام الامـان لسـلامـة المجتمع والحضـارة. . وإن مجتمعاً لا أمـن فيـه لا يمكن أن يكـون مجتمعـاً إنسـانيا مؤهـلا للتحضر والـرقي . . يقـول ابن خلدون(٦) (اعلـم أن العـدوان على الناس فـى أموالهـم ذاهب بآمالهـم فـى تحصيلها واكتسابها، لما يرون حينئذ مـن أن غايتهـا ومصـيرهـا انتهابها مـن أيديهم، وعلـى قـدر الاعتـداء ونسبته يكون انقباض الرعايا عن السعى فى الاكتسـاب. . والعمران ووفوره، ونفـاق أسواقـه إنمـا هو بالاعـمال. . فإذا قعـد الناس عن المعاش. . كسـد العمـران وانقضت الاحـوال، وانذعر الناس فى الآفـاق فـى طلب الرزق فخـف سـاكن القـطر. وخلت دياره وخربت أمصاره، واختل باختلاله حال الدولة).

وكـما يحدث التـطبيـق العمـلى للأخلاق الاسلاميـة الانسجـام مـع أوامـر الله، وذيوع مشـاعـر الامـن والاخـاء والعـدالـة، وإذابـة الحـدود بيـن القوانين فـى صورتهـا المـاديـة الجـافـة وبيـن الاخـلاق فـى إطارهـا الـروحـى السـامـى . . . كذلـك تحـدث الاخـلاق الاسـلاميـة فـى المجتمـع الانسجـام مـع الفـطـرة الانسـانيـة، ومـع السـنن الاجتـماعيـة والكـونيـة التى وضعها الله لمسـيرة المجتمعـات والكون. . وفى ظل هذا تقف الاخلاق الاسلامية ـ وحدها ـ الاخـلاق الأقدر على إحكام نسيج شبكة العلاقات الاجتماعية، بحيث تصبح فاعليتها أقوى من كل النوازع الفردية التى تمزق نسيج المجتمع.

■ ومـن هـذه السـنن الاخـلاقيـة الاسـلاميـة ما هـو (عـام) يؤصل الخيـر بجميع أنواعـه والبر بكـل ألوانـه. ومن القوانين الاخلاقيـة ما هو (خاص) بخلق معين أو بفضيلة محددة(٧).

فمن السـنن الاخـلاقية العامة نجد على سبيل المثال بتلك القواعد الاخلاقيـة العامـة:

- **﴿قل لا يستوى الخبيث والطيب، ولو أعجبك كثرة الخبيث﴾**(المائدة/ ١٠٠).
- **﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾** (سورة الرعد/ ١١)
- **﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا، لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض، ولكن كذبوا، فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾** (سورة الاعراف/ ٩٦).
- **﴿ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله﴾** (سورة فاطر/ ٤٣).

■ ومن السنن الاخلاقية (الخاصة) (حول الرحمة) نجد النصوص التالية:

- (من لا يرحم لا يرحم)(٨)
- (إنما تنصر هذه الأمة بضعفائها، بدعواتهم وصلاتهم وإخلاصهم)(٩).
- (إن كنتم ترجون رحمتى فارحموا خلقى)(١٠).
- (من أحب أن يبسط له فى رزقـه، وينسأ له فى أثره، فليصل رحمه)(١١).

■ وحـول العـدل:

- ﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾ (سورة الانعام/ ٢١).
- ﴿وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم، وتبين لكم كيف فعلنا بهم، وضربنا لكم الأمثال﴾ (سورة ابراهيم/ ٤٥).

■ وحـول الصـبر:

- ﴿إنه من يتق ويصبر، فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ (سورة يوسف/ ٩٠).

■ وحـول الرفـق:

- (إن الله رفيق، يحب الرفق، ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف، وما لا يعطى على ما سواه)(١٢)
- (من يـحرم الرفق يحـرم الخـير)(١٣).

■ وحـول الحيـاء:

- (الحياء لا يأتى إلا بخـير)(١٤).
- (ما كان الحياء فى شىء الا زانه، ولا كان الفحش فى شىء إلا شانه)(١٥)

■ وحـول الصلـة القـويـة بين الايمـان أو النفـاق من جانب، وبـين الصـدق والـوفـاء والأمـانـة والعفـو من جانـب آخر ـ يقول رسـول الله صلى الله عليه وسلم: «أربع من كن فيه كان منافقا خالصاً، ومن كانت فيه خلة منهن، كانت فيه خلة من نفاق، حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر» غير أن فى حديث سفيان: (وإن كانت فيه خصلة منهن، كانت فيه خصلة من النفاق)(١٦).

- وحـول صلة الارحـام يقول النبى ﴿ﷺ﴾: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخـر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت»(١٧).
- وعن أبى هريرة أن رجـلا قال: «يارسول الله، إن لى قرابة أصلهم ويقطعون، وأحسن اليهم ويسيئون الى، وأحلم عنهم ويجهلون على فقـال: لئن كنت كما قلت، فكأنما تسفهم المل، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم، ما دمت على ذلك»(١٨).
- وحـول الـوالدين: يقول سبحانه: ﴿ووصينا الانسان بوالديه . . . ، وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم، فلا تطعهما . . . إلى مرجعكم، فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾ (سورة لقمان/ ١٤، ١٥).

ـ وحول الرحمة بالاطفال يرد ذلك الأثر العظيم، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: (قبل رسول الله ﴿ﷺ﴾ الحسن بن على، وعنده الأقرع ابن حابس التميمى جالساً، فقال الاقرع: إن لى عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً. فنظر إليه رسول الله ﴿ﷺ﴾ ثم قال: «من لا يرحم لا يرحم»)(١٩).

ـ وقال أبو قتادة: (خرج علينا النبى ﴿ﷺ﴾: وأمامة بنت أبى العاص على عاتقه فصلى، فإذا ركع وضعها، وإذا رفع رفعها)(٢٠).

ـ وفى الرحمة بالحيوان ترد آثار كثيرة منها ما ورد أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: (عذبت امرأة فى هرة سجنتها حتى ماتت، فدخلت فيها النار، لا هى أطعمتها وسقتها إذ حبستها، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض)(٢١).

■ ومن خلال هذا التتبع لبعض الفضائل التى تغرسها الأخلاق الاسلامية فى المجتمع ـ وهى مجرد نماذج محدودة ـ نستطيع القول: إن الاسلام يبنى المجتمع على الأخلاق الى جانب التشريع والعقيدة. وكما أن العقيدة والشريعة عبادة فكذلك الاخلاق عبادة.

وقد قدمت الحضارة الاسلامية صورا رائعة فى الحب والاخاء والتكافل والتراحم بين الانسان وأخيه الانسان ـ مسلماً كان أو غير مسلم ـ بدرجات تتفاوت ـ بالطبع، إذ للمسلم حقان ولغير المسلم حق واحد، وللمسلم الرحم حقوق ثلاثة.

■ ولم تكن الفضائل الخلقية فى المجتمع المسلم لغاية المنفعة أو اللذة، بل هى عبادة خالصة لله ذات إحسان واستمرار وأصالة وامتداد وإيجابية.

ـ والمجتمع الاسلامى ـ فى حقيقته ـ مجتمع اخلاق، ورسالته رسالة شاملة تقدم نموذجا للانسان الذى يحسن صلته بالله ويقدر الله حق قدره ويتعاون مع أخيه الانسان ويتعامل مع الكون بود وحب حيواناً كان أو جماداً.. إنها كلها تسبح الله، وكلها مظاهر لابداع الخالق العظيم.

■ لقد قدمت سيرة الرسول ﴿ﷺ﴾ الأخلاقية مع صحابته وزوجاته وأعدائه ومحاربيه أروع نموذج عرفته البشرية أو يمكن أن تعرفه للنسيج الاخلاقى المحكم المتعانق الخيوط كأنما ينطلق فى كل الاخلاق والمعاملات من حقيقة أخلاقية واحدة.

وعبر التاريخ الاسلامى ـ وحتى اليوم ـ قدمت المجتمعات الاسلامية على تفاوت فى الدرجات وعلى مرور ببعض فترات الانحراف، وعلى خلل فى أكثر الاحايين فى بعض الشرائح الفوقية.. قدمت أفضل ما يمكن تقديمه من سمو أخلاقى فى النطاق البشرى الممكن!! وحتى مع وجود تخلف مادى وعلمى فى المجتمعات الاسلامية المعاصرة، فإنها مازالت الأرقى والأزكى فى أخلاقها، سواء فى علاقة الرجل بالمرأة» أو الترابط الاسرى أو عطف الوالد على ولده والولد على أبيه والعطف على الارحام والجيران وإخوان العقيدة، والصدق مع الله والشعور بالآخرة..

فإذا أضيفت إلى هذه المجتمعات الجوانب التنظيمية والعملية وأسباب القوة المادية والعقلية ـ أمكن أن تقدم هذه المجتمعات ـ كما قدمت من قبل المجتمع المثالى اللائق بالانسان فى العصر الحديث. والله ولى التوفيق.

الهوامش

(١) مالك بن نبى: ميلاد مجتمع ٤٥ طبع دار الفكر ١٩٧٤ بيروت
(٢) المرجع السابق ٤٩
(٣) مارسيل بوازار: إنسانية الاسلام ص١٨، ١٩ دار الآداب بيروت ط١/١٩٨٠
(٤) مارسيل بوازار: إنسانية الاسلام ص٦٥.
(٥) المرجع السابق ٦٦، ٦٧
(٦) مقدمة ابن خلدون ص٢٤٠ طبعة مصر ١٩٣٠م
(٧) محمد ربيع جوهرى: أخلاقنا: ص٢٨ بتصرف مكتبة المسلم العصرية ـ مصر.
(٨) أخرجه البخارى فى الأدب باب رحمة الولد وتقبيله.
(٩) أخرجه احمد ومسلم وأبو داود والنسائى.
(١٠) كنز العمال ٣/١٦٩
(١١) أخرجه مسلم فى كتاب البر والصلة.
(١٢) رواه الامام مسلم فى كتاب البر والصلة والآداب
(١٣) المرجع السابق
(١٤) رواه مسلم فى كتاب الايمان
(١٥) رواه البخارى فى الأدب المفرد.
(١٦) رواه مسلم.
(١٧) رواه البخارى
(١٨) رواه مسلم (والمل هو الرماد المتبقى بعد النار)
(١٩) رواه البخارى
(٢٠) رواه البخارى.
(٢١) رواه مسلم

«البرّ ما اطمأنت إليه نفسك..
والإثم ما حاك في صدرك..
وخشيت أن يطّلع عليه الناس.»

الدم ماء الحياة

بقلم: د. نبيل سليم

الدم .. ذلك السائل الاحمر الغالى المتدفق فى شراييننا سيظل أبد الدهر مطلبا حيويا لاستمرار الحياة بكل ما يتميز به من مقومات وصفات تمنح القدرة لخلايا أجسامنا على أداء وظائفها، فهو الذى يحمل الحياة الى كل منها.

المعروف أن نسبة تكوين الدم الكبرى من الماء، وصدق قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وجعلنا من الماء كل شىء حى﴾ (الانبياء/٣٠).. لان الماء هو الذى يتكفل بحمل الحياة الى كل خلية فى جسم الانسان، ويذوب فى هذا الماء عناصر هامة وحيوية هى: بروتينات الدم ودهنياته، والفيتامينات، والهرمونات، وأملاح معدنية بكميات صغيرة.



● فجوات فى فقرة من فقرات الظهر حيث تضع الكريات الحمراء.

اعلى
واسفل عقدة لمفاوية واحدة فى المساريق

ومهما حاول العلماء والباحثون تصنيع دم بديل لدم الانسان . . فإن الدم الطبيعى سيظل أبد الدهر مطلبا حيويا، حيث لا يمكن تصنيعه، أو زراعته، فلا مصدر له سوى الانسان . . فالدم الطبيعى هو الأمثل والأوحد فى الحفاظ على حياة الانسان خاصة عند الاحتياج الشديد لنقل الدم من شخص الى آخر، ولعل من الضرورات التى تستدعى نقل الدم الى الانسان تلك الحالات التى يحدث فيها نقص مفاجىء فى حجم الدم الموجود فى جسم الانسان، أو عند حدوث نقص مفاجىء وخطير فى كمية الأوكسجين المنقول عبر الدم والضرورى لحياة الأنسجة، وهاتان الحالتان هما من أخطر الحالات التى تتطلب نقل الدم اليها، وقد تجتمع الحالتان معا كما يحدث فى حالات النزف الشديد الحاد جدا، أو فى حالات الجروح البترية.

■ ففى الحالة الأولى، وهى النقص المفاجىء فى حجم الدم الموجود فى الجسم، قد تتعدد أسبابه وأشكاله فيما يلى:

(١) **النزف الجرحى**: وهو النزف الشديد نتيجة جرح كبير كما يحدث فى حوادث السيارات أو القطارات أو الطائرات أو الكسور الشديدة، أو كما يحدث أيضا فى اجراء العمليات الجراحية الكبرى مثل:

● عمليات القلب المفتوح، حيث إن حجم الدم المفقود فيها يصل الى ٤ لترات تقريبا.

● عمليات استئصال الرئة ويصل حجم الدم المفقود فيها حوالى لتر ونصف اللتر.

● عمليات استئصال «فص» من الرئة، وحجم الدم المفقود فيها ١٦٠٠سم٣.

● عمليات استئصال الطحال وحجم الدم المفقود فيها ١-٢ لتر تقريبا.

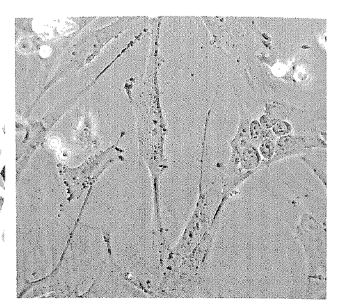
● عمليات استئصال المعدة وحجم الدم المفقود فيها من لتر الى لترين تقريبا.

● عمليات استئصال ورم سرطانى، وحجم الدم المفقود فيها يكون حسب موضع الورم، وقد تصل الى لتر ونصف تقريبا، وكذلك عند استئصال الكلى. وفى كل هذه العمليات لا يستطيع الجراح أن يجرى العملية إلا بعد توفير الدم اللازم لتعويض المريض عما يفقده من دم أثناء الجراحة.

■ من هنا نلمس أهمية وضرورة توافر الدم لإنقاذ حياة مثل هذا المريض.

(٢) **نزيف الولادة**: يقصد به النزيف الحاد الشديد الذى تصاب به السيدات قبل الولادة مباشرة أو أثناء الولادة أو بعدها مباشرة.

(٣) **نزيف الاجهاض**: وذلك





أيضا قد يكون من الشدة بحيث يعرض حياة المريض للخطر، وكل ذلك يؤدى الى ما يسمى «الصدمة» وتبدو على المريض أعراض إرهاق شديد وشحوب شديد فى الوجه وعرق يتصبب من جبينه وذهول وهزال ويصبح نبضه ضعيفا وسريعا وكذلك ضربات قلبه وانخفاض شديد فى ضغط الدم، وقد يفقد الوعى والشعور.

واذا لم يتم إسعاف المريض فورا فانه يفقد حياته ولا اسعاف او علاج له إلا بنقل الدم اليه.

ويعطى هذا المريض الدم عند وصوله الى المستشفى مباشرة أو حتى أثناء نقله الى المستشفى، وكل دقيقة يتأخر عنه فيها الدم تعنى ضياعا تدريجيا لفرص الحياة أمامه.

ولكى يصاب المريض بالصدمة لابد أن يفقد المريض فجأة وفى وقت قصير من ١٥ - ٢٠٪ من كل الدم الموجود فى دورته الدموية ويحدث ذلك فى معظم الناس، وبعض الناس يعنى دخولهم فى «صدمة» أنهم فقدوا ٣٥٪ من دمهم أو أكثر، وفى بعض هذه الحالات وحالات إصابات الحرب قد يحتاج المريض أو المصاب بجروح عميقة وكبيرة الى مثل حجم دمه (أى ٥ لترات) أو أحيانا أكثر.

اعلى من اليمين الى اليسار كريات حمر جديدة - كريات الدم الحمراء - كريات بيض منوعة الاشكال
اعلى يمين الماكروفاج، كريات بلعمية تهاجم وتبتلع الاجسام الغريبة
اسفل يمين الحجم العادى لقلب الانسان، وهو قدر قبضة الكف.

(٤) صدمة الحريق: وتنتج هذه الصدمة من تسرب السوائل من الدورة الدموية الى داخل الأنسجة المحروقة ومن خلال الحروق نفسها الى الخارج وهى سوائل تحتوى على العناصر الهامة مثل بروتينات الدم وينتج عن ذلك تركيز فى المواد الصلبة (أى الخلايا) المكونة للدم، ويتناسب ذلك تناسبا طرديا مع المساحة المحروقة من سطح الجسم.

■ وفى حالة الحروق فإن نقل بلازما الدم (وهى العنصر المفقود) يكفى لانقاذ المريض.

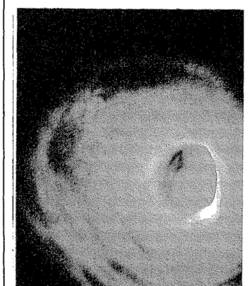
●● أما عن الحالة الثانية أى النقص المفاجىء أو الشديد فى نقل الاوكسجين فمنها:

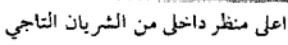
١ - أنيميا النزيف البسيط المزمن: وفى هذه الحالات يكفى أن نعطى المريض كرات الدم الحمراء فقط.

٢ - الأنيميا التحللية: أى التى تتكسر فيها الكرات الحمراء بسرعة أسرع من معدلها الطبيعى فبدلا من أن تعيش من ١٠٠ الى ١٧٠ يوما تعيش فقط ٣٠ أو ٢٠ يوما ثم تشيخ وتموت، وأوضح مثال على ذلك هى أنيميا البقول وهذه تصيب بعض الاطفال إثر تناول طعام به فول أو بسلة مثلا حيث تتكسر كرات الدم الحمراء الموجودة فى الدم بسرعة رهيبة وتبدو على الطفل بسرعة علامات فقر الدم الحاد من شحوب وذبول وعرق وذهول قد يصل الى حد فقدان الوعى مع نبض سريع ويصبح لون البول فاتحا.. ومثل هذا الطفل

لا يمكن إنقاذه إلا بنقل دم اليه أو كرات دم حمراء وقد تكون ٢٠٠ سم٣ من الدم كافية لانقاذ حياته.

٣ ـ حالات الأنيميا الناتجة




اعلى منظر داخلي من الشريان التاجي

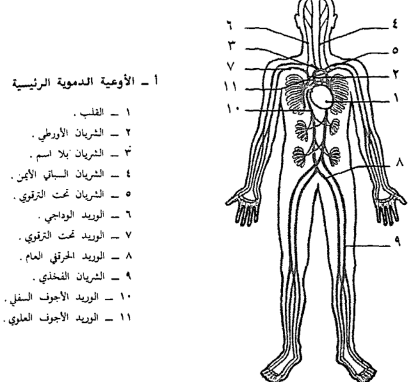
عن كسل النخاع العظمي: وفي هذه الحالات لا يقوى النخاع على انتاج كرات الدم بالمعدل الطبيعي ومثل هذه الحالات تعطى كرات دم حمراء فقط وهي احدى مكونات الدم.

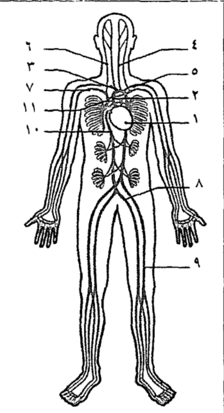
٤ ـ حالات الأنيميا المصاحبة لسرطان الدم: وهذه الحالات يعطى لها أيضا كرات دم حمراء وقد يلزم الدم كله.

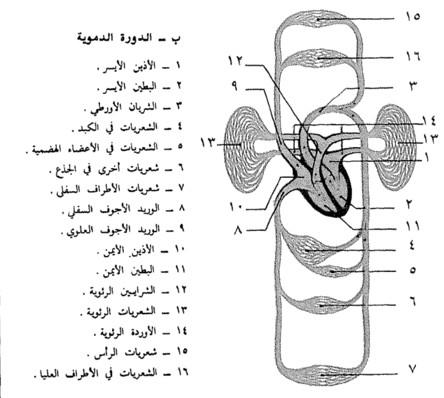
٥ ـ حالات الهيموفيليا: وهو المرض الذى يصيب الاطفال الذكور فقط وقد ينزف الولد نتيجة خلع ضرس أو اجراء الختان «الطهارة» أو جرح صغير حتى الموت.

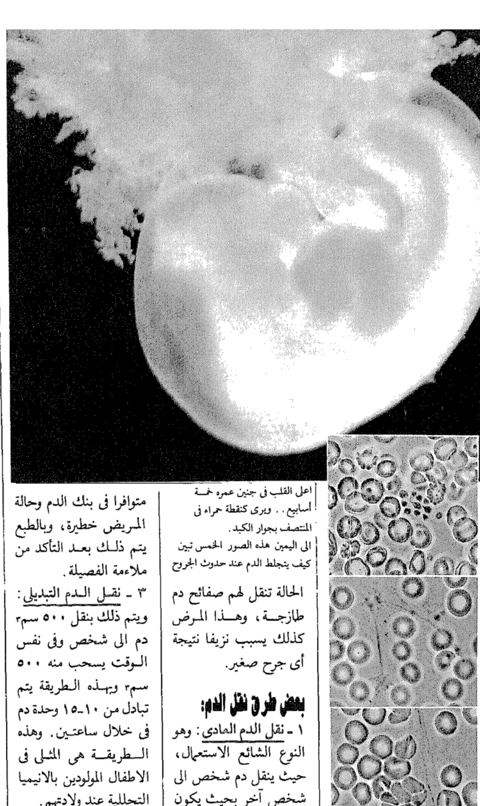
وفي معظم هذه الحالات يكفى إعطاء بعض مكونات الدم فقط كالكرات الحمراء أو الصفائح الدموية أو حتى بروتين واحد كما في حالات الهيموفيليا حيث يكفى أن نعطى الولد المصاب بهذا المرض العامل المضاد للهيموفيليا وهو أحد بروتينات الدم وقد يلزمه بلازما فقط.

٦ ـ حالات نقص صفائح الدم: والمصابون بهذه









اعلى القلب فى جنين عمره خمسة أسابيع . . ويرى كنقطة حمراء فى المنتصف بجوار الكبد.
الى اليمين هذه الصور الخمس تبين كيف يتجلط الدم عند حدوث الجروح

الحالة تنقل لهم صفائح دم طازجة، وهذا المرض كذلك يسبب نزيفا نتيجة أى جرح صغير.

بعض طرق نقل الدم:

١ - نقل الدم العادي: وهو النوع الشائع الاستعمال، حيث ينقل دم شخص الى شخص آخر بحيث يكون دم المتطوع ودم المريض متوافقان ومتوائمان من حيث الفصيلة ووجود أو عدم وجود عنصر (RH) أى معامل (ص).

٢ - نقل الدم المباشر: حيث يقوم الطبيب أو رجل الاسعاف بنقل الدم مباشرة من المتبرع الى الجريح إذا لم يكن الدم متوافرا فى بنك الدم وحالة المريض خطيرة، وبالطبع يتم ذلك بعد التأكد من ملاءمة الفصيلة.

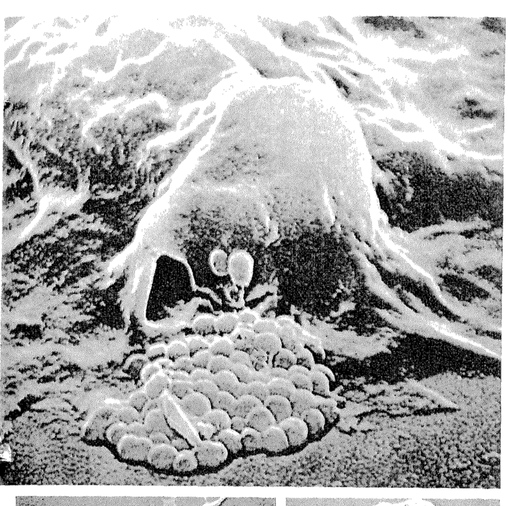
٣ - نقل الدم التبديلي: ويتم ذلك بنقل ٥٠٠ سم٣ دم الى شخص وفى نفس الوقت يسحب منه ٥٠٠ سم٣ وبهذه الطريقة يتم تبادل من ١٠-١٥ وحدة دم فى خلال ساعتين. وهذه الطريقة هى المثلى فى الاطفال المولودين بالانيميا التحللية عند ولادتهم.

٤ - نقل الدم الذاتي: أى نقل دم شخص منه واليه هو نفسه . . ويتم ذلك بأن نجمع الدم من شخص ونحفظه له فى بنك الدم لحين احتياجه اليه وعندئذ نعطيه له. وهذه طريقة مثلى لأن مثل هذا الشخص سيكون آمنا من الاخطار الكامنة فى نقل دم أى شخص آخر اليه مثل عدوى اليرقان أو وجود أجسام مناعية فى دم الشخص الآخر ضارة به هو. وهى أيضا مأمونة للشخص المعروف أن دمه يحتوى على مضادات مناعية فى دمه، فأفضل دم له هو دمه شخصيا، ويحدث ذلك عندما يكون الشخص منتظرا لاجراء عملية جراحية له وخاصة اذا كانت فصيلته من النوع النادر.

٥ - نقل الدم الى الجنين داخل رحم الحامل: وهذه طريقة حديثة ابتكرت عام ١٩٦٣ لانقاذ الاطفال الذين يعانون من الأنيميا التحللية وبها انخفضت نسبة وفياتهم من ١٠٪ الى ٥٪ فقط وهؤلاء هم الذين يموتون بعد الولادة وليس داخل الرحم.

ويحقن الدم من خلال بطن الأم الى الغشاء البريتونى للجنين، ويعطى مثل هذا الجنين كرات حمراء من فصيلة (و) سلبى العنصر الـ (ر. هـ) ولزيادة الامان يعطون كرات دم مغسولة، أو معلق لكرات دم حمراء مجمدة.

وقد يلزم أن ننقل الى المريض دما طازجا، أو بلازما فقط أو كرات دم حمراء فقط، وقد يحتاج الى كرات دم بيضاء فقط أو أحد بروتينات الدم فقط، وكل هذه تسمى مشتقات الدم.





فصائل الدم:.. توجد مادتان على كرات الدم الحمراء فى الانسان أطلق عليها للتعريف أ، ب وقد تم تقسيم الناس عامة حسب تواجد هاتين المادتين أو احداهما أو غيابهما الى أربعة أنواع :

١ - فصيلة «أ» حيث المادة (أ) موجودة على كرات الدم الحمراء وتمثل نسبة ٣٥٪ من الناس.

٢ - فصيلة «ب» حيث المادة «ب» موجودة على كرات الدم الحمراء وتمثل نسبة ٣٠٪ من الناس.

٣ - فصيلة (أب) أى أن المادتين أ، ب موجودتان على كرات الدم الحمراء وتمثل نسبة ٨٪ من الناس.

٤ - فصيلة صفر أو (و) التى لا توجد على الكرات الحمراء أى من المادتين وتمثل نسبة ٢٧٪ من الناس.

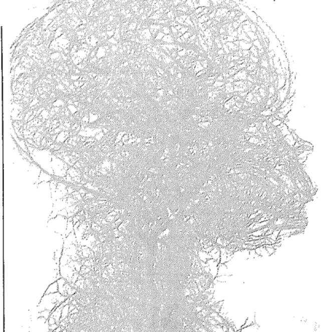
■ أما السائل أى بلازما الدم فيحتوى على مواد مضادة تسمى بالاجسام المضادة، وهى ضد أى فصائل أخرى ما عدا فصيلة الشخص نفسه بمعنى أن الدم ذا الفصيلة (أ) يحتوى على أجسام مضادة ضد الفصيلة «ب»، ودم فصيلة «ب» تحتوى البلازما أجساماً مضادة ضد «أ» أما دم «أب» لا يوجد فى البلازما أى أجسام مضادة، وفصيلة الدم «و» تحتوى البلازما الخاصة به على أجسام ضد أ، ب.

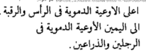
■ أما عن معامل (ر.هـ) أو (RH) والذى يسمى كذلك عامل «ص» فقد اكتشف هذا العامل أو العنصر لاول مرة فى دم نوع من القرود، وهذا العامل إما أن يكون موجودا على كرات الدم الحمراء فيسمى الشخص (ص - ايجابى) أو غير موجود ويسمى بالشخص (ص - سلبى).

وفيما بعد اكتشف العلماء أن هذا العامل (أو العنصر) له عدة مواصفات أو يتكون من عدة عناصر فرعية أطلق عليها C,D,E,c,d,e ولكن أهمها جميعا وأكثرها شيوعا (RHD)، وهو موجود فى ٨٠٪ من سكان الولايات المتحدة من الجنس الأبيض، ٩٠٪ من الامريكيين الذين هم من أصل زنجى، ومن حسن الحظ أنها سلبية فى نسبة ضئيلة من سكان الوطن العربى.

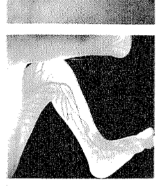
■ وأهمية هذا العامل تكمن فى خطورة نقل دم

اعلى - اسفل يمين يسار أعظم الصور الملتقطة لعمل الكريات البيض الدفاعي فى الجسم ضد البكتريا الغازية.





اعلى الاوعية الدموية فى الرأس والرقبة .
الى اليمين الأوعية الدموية فى
الرجلين والذراعين .



ايجابى الى مريض دمه سلبيا مما ينتج عن ذلك تفاعل وتحلل لكرات الدم الحمراء فى جسم المريض الذى يؤدى الى تفاعل خطير قد يودى بحياة المريض ، كما أن لهذا العامل أهمية خاصة بالنسبة للسيدة الحامل التى يكون دمها سلبيا ، بينما الزوج دمه ايجابى فإذا ورث الجنين الايجابية عن أبيه فإن بضع كرات حمراء قد تتسرب من خلال المشيمة الى دم الأم الذى يقوم بتكوين مواد مضادة لدم الجنين فتقضى على كرات الدم الحمراء فى الجنين قبل ولادته مسببا له انيميا تحللية ويرقان . وفى الحالات الشديدة يولد الجنين ميتا أو مصابا بانتفاخ وتورم فى جسمه وهذه المضاعفات لا تتأثر بها الأم ، وغالبا لا يتأثر بها الطفل الاول أو الثانى (إلا إذا كانت الأم قد نقل اليها دم من نوع مختلف فى أى وقت من حياتها قبل الحمل) وعلى العموم فهى نادرة الحدوث فى الأم ذات الدم السلبى والمتزوجة من رجل دمه ايجابى وتصيب فقط ٦٪ من أطفال مثل هذه الزيجات .

الكشف بكرات الدم الزرقاء والعلاج بالجينات

ومن ناحية أخرى حملت وكالات الانباء من طوكيو طريقة جديدة توصل اليها طبيب يابانى لاكتشاف اصابة الانسان بالسرطان فى وقت مبكر بل وبمجرد حدوث نشاط سرطانى فى بعض خلايا الجسم وقبل ظهور أية اعراض مرضية ، وتعرف هذه الطريقة الجديدة باسم «الكرات الزرقاء فى الدم» وتعتمد على تحليل نوع من البروتينات الموجودة فى الدم وتحديد نسبتها حيث تزيد هذه النسبة عند بدء النشاط السرطانى فى بعض خلايا الجسم .

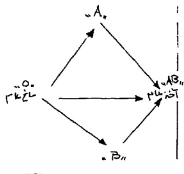
وقد أثبتت التجارب أن نسبة هذا البروتين فى دماء مرضى السرطان فى المراحل المبكرة تبلغ ٥٠٠ ميكروجرام فى كل ملليمتر دم .

ومن المعروف أنه عند الاصابة بالأورام الخبيثة يحدث العديد من التغيرات البيولوجية والمرضية بخلايا وأنسجة وأعضاء الجسم وينعكس ذلك بوضوح على دم المريض .

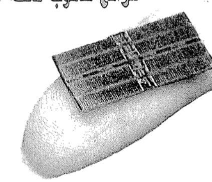
كما أن هناك العديد من البروتينات فى الدم تزيد زيادة كبيرة جدا عند حدوث الاصابة بالاورام السرطانية مثال ذلك : ما يحدث فى الاورام الخبيثة للكبد والقولون والثدى وسرطان المثانة . . ففى هذه الحالات المرضية نجد زيادة ملموسة فى بعض أنواع البروتينات النوعية بالدم مما يدل على وجود أورام بأنسجة الجسم ، وأخيرا فإن انتشار هذه الطريقة المذكورة كنوع من الفحص الدورى يمكن أن يساهم الى حد كبير فى زيادة نجاح علاج هذا المرض إذ أن الأمل فى الشفاء منه يزداد كلما كان الاكتشاف مبكرا .

وفى جانب آخر من البحث العلمى الذى يجرى على قدم وساق هناك أبحاث علاجية يطلق عليها تعبير «العلاج بالجينات» وذلك بالنسبة للامراض التى تنتج أساسا من خلل فى تركيب المادة الوراثية مثل : «الهيموفيليا» وبعض أنواع السرطانات التى تورث ، وكذلك تجرى الابحاث لعلاج مرضى السكر باستخدام الجينات وذلك من خلال السماح لنوع من أنواع البكتيريا الحاملة لصفة وراثية خاصة لتحفز تخليق الانسولين فى الخلايا وقت حاجة الجسم له ووقف إفرازه فى الوقت المناسب حيث يتأثر بارتفاع نسبة السكر فى الدم وانخفاضها لتكون هى المحرك الرئيسى لتشغيل الجين .

وتعد هذه الدراسات فى اطار التجارب المختبرية حتى الآن .



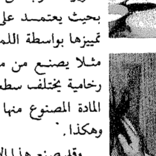
شرائح حاسوب فائقة الاداء



تستوعب شريحة الحاسوب التى انتجتها شركة هيتاشى ٦٤ مليـون وحـدة رقميـة ثنائية من المعلومات فى ذاكرة الوصول العشوائى (RAM) ويزيد هذا المقدار من البيانات ١٦ مرة ممـا يمكن للشرائح المتوفرة والمستعملة حاليا فى تخزينه.. ويبلغ عرض الدائرة الكهربائية فى هذه الشريحة الجديدة حوالى ٣ر٠ من الميكرون.

(الميكرون جزء من الف جزء من المليميتر) اى ان ذلك يقل ٢٢٥ مرة عن سمك شعرة الرأس.. وتتصل هذه الدائرة على تيار تبلغ شدته ٥ر١ فولت.

الرؤية بالقلب



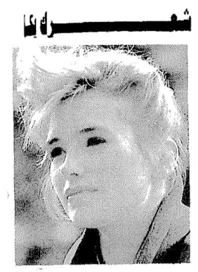
اقـتربت الكفيفـة من الفنـان وقـالت: لوحتـك جميلة جدا.. وعندما سألها عما استندت اليه فى حكمها وهى لا تبصر قالت.

لمستها فأعجبتنى تضاريس سطحها.

ومنذ تلك اللحظة قرر الفنان تطوير اسلوب فن رسم المكفوفين بحيث يعتمـد على الـوان يمكن تمييزها بواسطة اللمس، فالابيض مثـلا يصنـع من مادة كريستـالية رخامية يختلف سطحها عن سطح المادة المصنوع منها اللون الازرق وهكذا.

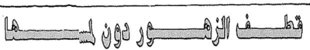
وقد صنع هذا الاسلوب المبتكر وأنـزل الى الأسواق بسعر (١٥٠) فرنكا فرنسيا للعلبة الواحدة.

شعـــــرك يا

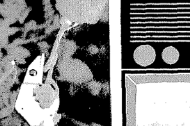


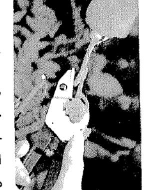
اكتشفت مجمـوعة من الأطباء أن شعر الانسان يختزن الكثير من المعلومـات عن صحتـه ومستوى ذكـائـه وفصيلة دمه، كما انه يرمز ايضا الى طبع الشخص.



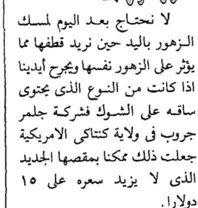


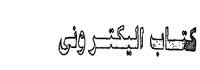
قطـــف الزهـــور دون لمســـها





لا نحتـاج بعـد اليوم لمسك الـزهور باليد حين نريد قطفها مما يؤثر على الزهور نفسها ويجرح أيدينا اذا كانت من النـوع الذى يحتوى ساقـه على الشـوك فشركـة جلمر جروب فى ولاية كنتاكى الامريكية جعلت ذلك ممكنا بمقصها الجديد الذى لا يزيد سعره على ١٥ دولارا.





كتاب اليكتروني

توصلت شركة سوني المتخصصة في انتاج الاليكترونيات من انتاج جهاز كومبيوتر صغير يوضع في الجيب.. هذا الجهاز قادر على تخزين ما يصل الى نحو مائة الف صفحة من البيانات يمكن استخراج المعلومات المطلوبة منها في سهولة ويسر.

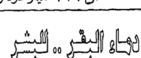
ناطحة سحاب من ٥٠٠ طابق

في العاصمة اليابانية طوكيو يتم تشييد ناطحة سحاب من ٥٠٠ طابق تتكون من مكاتب وشقق ومستشفى الى غير ذلك من مرافق، ويستخدم فيها من المصاعد ما يحمل مستخدميها الى اعلى طابق في مدة لا تتجاوز ١٥ دقيقة . . ومن المتوقع ان يكتمل بناؤها في ٢٥ عاما بتكلفة تصل الى ٣٢٦ مليار دولار.

يشف ذكاءك

وتبين من التحليل الطبيعي للشعر أن قطر الشعرة لا يزيد على ٥ر٠ مليمتر وهي مجموعة من الداخل وتتركب من الاساس الكيمائي لأنسجة الجسم.

ويؤكد العلماء أن للشعر اهمية خاصة كقيمة تحليلية عالية حيث يحتفظ بما يحوى من معلومات ومكونات مئات السنين ولا يتعرض للانحلال أو التلف حتى بعد وفاة الانسان وتحلل جميع اعضائه، ولا غرابة بعد هذا ان نقرأ أن تحليل شعر نابليون هو الذي سيقرر عما اذا كان موته جاء طبيعياً أو مسموماً.



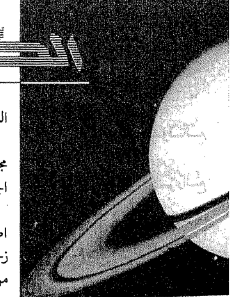
دماء البقر .. للبشر

لأول مرة في تاريخ الانسانية يتم في مطلع هذا العام اختبار نماذج من دم البقر تدفع في أوردة بشر متبرعين في مستشفى بوسطن ويأتي هذا التوجه الطبي الجديد عقب نجاح الشركة الامريكية «بايوبيور» في استخلاص الهيموجلوبين العالي النقاوة من دماء الابقار.

وتجدر الاشارة ان هذا الهيموجلوبين حقق نجاحات اولية في عدة اجناس حيوانية.

ويتوقع العلماء ان توفير دم الابقار الصالح للانسان له منافع عديدة . . فعلاوة على وفرته يتميز دم الابقار بخلوه من تلك الفيروسات الفتاكة التي توجد عادة في دم الانسان مثل «الايدز والكبد الوبائي»، كما يمكن نقل الهيموجلوبين الى الانسان المحتاج دون حاجة الى معرفة صنف دمه.

الكوكب ذو الآذان



كان البعض يسمى زحل بالكوكب ذي الاذان، وهذه الاذان كما اكتشف العلماء فيما بعد هي اقمار تدور حوله.

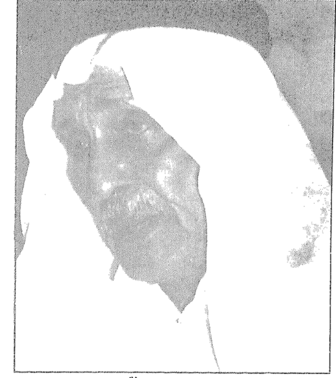
وزحل أو ساتورن من الكواكب السيارة التي سحرت علماء الفلك وظل مجرد نقطة مضيئة في كبد السماء الى ان وجه العالم كرستيان هويجنس تلسكوبه الجبار نحوه في العام ١٦٥٥م.

وبعد مئات السنين من اكتشاف زحل وأقماره الاربعة واهمها «تيتان» اطلقت مركبة فضاء امريكية للاقتراب من القمر «تيتان» الذي يدول حول زحل وسبر أغواره على امل فض اسراره لان «تيتان» يحيط نفسه بعباءة كثيفة من الغاز الكثيف الذي لا يعرف العلماء عن تركيبه الكثير.





مراحل العمر



شعر: محمد حسن فقي

يخيل لي أن الطفولة في دمي
تناجي بهمس شيخها المتداعيا!
تقول له ما كنت أحسب أنني
أصير لوهن ما أرى منه واقيا!
لقد كنت في النعماء أرفل لا الونى
يعوق ولا البؤسى تريني الدواهيا!
أعيش بدفء الروح والجسم أرتضي
حياتي. فما لاقيت منها التوانيا
توثبت حتى خلتني متقمصاً
بروح هزبر لا يخاف العواديا!
وكان رفاقي خفة وتوثباً
يكادون لا يغضون إلا ثوانيا!
يكادون من لهو طويل يصيبهم
دوار فيستشرون فيه تماديا!
فأمسيت في ضعف ينيخ بكلكلي
كثور ـ على البلوى ـ يجر السواقيا!
ويا ليتني أدري بصحبي رحالهم
وهل هم كمثلي.. ام تخطوا الغواشيا؟
وإلا كلانا جاثم في حضيضه
ولكنه لا يستحق المراثيا؟!
فقالت لها شيخوختي لا تعذبي
مهيضا غدا في الدرك مثلك ثاويا!
فما نحن إلا للزمان غذاؤه
فلا تلمي في الأكل من كان طاويا!
لقد كنت بعضي منذ جن فضمدي
جراحي وكوني للجراح المواسيا!
فهامت جوعانا .. ولا لمت صاديا
فقد كنت جوعاناً.. وقد كنت صاديا!
فأمعنت في الزاد الشهي ولم اكن
سوى نهم بل كنت كالذئب ضاريا!

●●●

ونمت قليلا وانتبهت بصيحة
تدوي كرعد قاصف في المسامع!
فألفيتني بين الظلام مفزعاً
من الصيحة الغضبى أقضت مضاجعي
وكان شبابي في الحنايا يدقها
برجليه دق المستفز المنازع!
يقول تيقظ كيف طاب لك الكرى
على حين أبقى بين شتى المواجع
لقد كنت بي تطوي المرابع لاتني
نشاطاً ولا تخشى حماة المرابع!
وكنت لك الظهر الذلول ولم أكن
عصياً وإن اقحمتني في الوقائع
فجبنا سويا كل قفر مروع
وروض أريض حافل بالروائع
وروضت بي الحور الحسان مزودا
بوثبة ضار.. لا يكبوة ضارع!
وكم من طريق قد شققت بصولتي
وسرت به سير القوي المضارع!

فلما أفاضوا فى الملام دعوتنى
فلبيت واسترهبت شتى النوازع!
فدانوا وراحوا يهمسون بغيظهم
ولو جهروا أدميتهم بالمقارع!
وكنت يراعاً فى يديك مدوياً
يصول فتستشرى به فى المجامع
وما كان هياباً.. ولا كان خائفا
ولا كان يجرى خلف كبرى المطامع
بلى كان مقداما وكنت به الضحى
مضيئا على الدنيا ضياء الشرائع!
وكم فى الصروح الباذخات من الهوى
وكم من نهى تطوى الدجى فى الصوامع
فقلت له أقصر فديتك إننى
جريح فلا تجهز بهذى المقامع
لقد قلت حقا ما تطيق أضالعى
لظاه وكم من جمرة فى الاضالع

●●●

وأصفيت نضوا بعده بكهولتى
وقد خلتها أرثى لحالها وأحكما
فقد عانت الشيب الملم بهامتى
كشيخوختى بل والكيان المهدما
وإن لم تكن أوفت على السقم والبلى
وقاست شقاء بالشلوج معمما
ولكنها استشرت على وهممت
بقول أسيف يذرف الدمع والدما!
لقد خلته رمحاً يسدد لهزما
وقد خلته ليلا تجهم مظلما!
أخاف فلم أملك سوى وغرة الحشا
تذيب وما كنت الاثيم المذمما
غدوت بها قد قال شلوا ممزقا
أصم به السمع الرهيف وأبكما
ويارُبَّ قول كان كالنار قسوة
ويارب قول كان أحلى من اللمى
يقول لقد كان الردى قبل شقوتى
بوهنى واسقامى أرق وأرحما
أعنتك من بعد الشباب فما الذى
جزيت به من كان أوفى وأكرما؟

وإن كان عونا ما به رونق الصبا
وعزم الشباب حاليا متقحما
ولكنه ما أستطيع فلا تكن
جحودا لفضلى أو تكن متبرما
ورب قليل كان أولى من النهى
بشكرانه أن كان بالجهد منعما!
فلا تبتئس مما أقول وخلنى
أنفس عن صدرى فقد ذقت علقما
وواس إذا لم تستطع أن تنيلنى
منالا فما يشقيك أن أتألما

●●●

بلى أيها القاسى على فاننى
شقيت بها قد قلته شقوة العانى
فيا للصبا يا للشباب من الرؤى
أضلتهما.. بتدوين الزمن الهانى!
عذرتهما.. لكن أتبدو كهولتى
كمثلهما فى الضيق.. كالعاذل الشانى؟
وكيف ولم تشطط بها فترة النوى
فكانا هما القاصى وكانت هى الدانى؟
وكانت هى الاولى بعمر مرزء
وهان بها لاقى وكنت أنا الثانى؟
فما هى عن شيخوختى ببعيدة
بما كان من قاس وما كان من حانى
يروع الصبى العيش روعته الفتى
وما ريع كهل مثل روعة صبيان

●●●

واعتذر الكهل فان الدنى
قد لقنته درسها.. فارعوى
انحرف الدهر به لحظة
عن دربه اللاحب ثم استوى!
مراحل العمر تضل السرى
بتيهها.. ثم تبين الصوى!
فالراشد.. الراشد من قد نجا
والاحمق الاحمق من قد هوى
ياليتنى انجو فلا استوى
فى حفرة مثل الذى قد غوى
إن الهوى فيه الوصال الذى
يحلو. وفيه الهجر فيه الجوى



فؤادى رحم الله الهوى
كان صرحاً من خيال فهوى
اسقنى واشرب على أطلاله
وارو عنى طالما الدمع روى
كيف ذاك الحب أمسى خبرا
وحديثاً من أحاديث الجوى
وبساطاً من ندامى حلم
هم تواروا أبداً وهو انطوى

●●●

قلت أسلوك وكم من طعنة
بالمداراة وبالوقت تهون
فإذا حبك يطغى مزبداً
كدفوق السيل طغيان الجنون
وكذا تمضى حياتى كلها
بين يأس ورجاء وظنون
ما على الهجر معين أبدا
وعلى النسيان لا شىء يهون

●●●

يا رياحاً ليس يهدا عصفها
نضب الزيت ومصباحى انطفا
كم تقلبت على خنجره
لا الهوى مال ولا الجفن غفا
وإذا القلب على غفرانه
كلما غار به النصل عفا

●●●

يا غراماً كان منى فى دمى
قدراً كالموت أو فى طعمه
ما قضينا ساعة فى عرسه
وقضينا العمر فى مأتمه
ما انتزاعى دمعة من عينه
واغتصابى بسمة من فمه
ليت شعرى أين منه مهربى
أين يمضى هارب من دمه

●●●

جُنّت الريح ونادته شياطين الظلام
أختاماً؟ كيف يحلو لك فى البدء الختام؟!

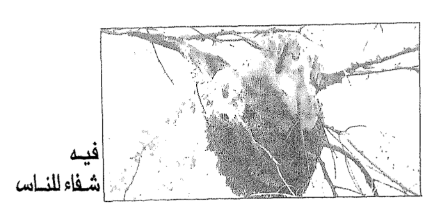
مجلة شهرية
ذات أداء متخصص
تعنى بشئون وثقافة المرأة
العدد ٦١ المحرم ١٤١٢هـ



فى هذا العدد

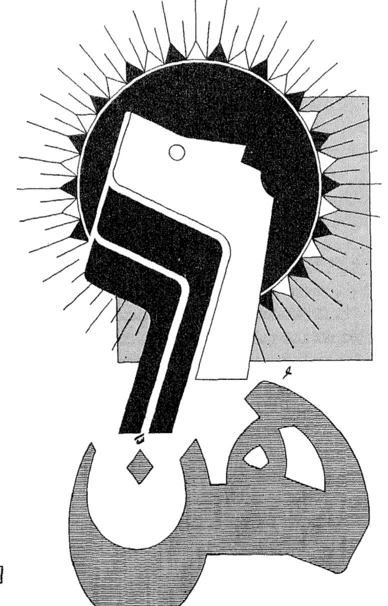
.. عزيزتي القارئة

مرحبـاً بمشاركاتـك فـى (هـن) وعلـى طريـق الكلمـة الهادفـة والفكـرة النيـرة نلتقـى.



فيه
شفاء للناس

● المبدع يبحث بطريقة تلقائية عن مثيرات الالهام.
● القيروان مدينة الزهاد، حولها زرياب الى مدينة الغناء.
● الوليد يتنكر فى زى بائع زيت ليشاهد سلمى.



د. ثريا العريض «الرياض»

مشكلة الابداع انه يبدأ بالحلم .. وليس أي حلم.

لا يفجر الابداع التجسيد المحدد المعالم.. ومشكلة الحلم - وكل شاعر حالم أزلي - انه يفقد روعة لا نهائيته حين يصبح حقيقة ملموسة.

الحلم يفجر ذلك التفاعل المتفرد الذي نعرفه بالالهام.. ولولا الالهام لما كان هناك ابداع ولا مبدعون.

ولكن الالهام ليس حلماً.. بل تفاعل مع حقيقة فعلية سواء كانت مادية أو معنوية.

ومعنى الابداع هنا يختلف شيئاً ما عن المعنى الذى يحاول تحديده الاستاذ عابد خزندار في مسيرته المستمرة نحو توضيح أبعاده.

كما فهمته يرى الاستاذ خزندار ان الابداع هو الرؤية الجديدة أو التعبير المتميز بخصوصية متفردة لتجربة هى غالباً أزلية في تكررها.. (ولذلك فسيرة الفن الخالد هو التناص تجربة انسانية تتكرر).

اما الابداع الذي اقصده فهو توحد الفنان أديباً أو فناناً تشكيلياً أو موسيقياً بمشاعره المتأزمة إ نفعالا بتجربة حقيقية يمر بها لابد فيها من طرف اخر يثير تلك المشاعر.. قد يكون إ نسانا اخر.. أو الطبيعة.. او حتى عملا فنياً ابدعه غيره.. وهو في تفرده بمكونات ذاته لا يكرر تجربته حتى لو كان ذلك الطرف الاخر هو نفسه في الحالتين.

والعمل الابداعي الناتج هو الصورة الخارجية المنفصلة لتلك التجربة.

المقصود ان الانفعال لا يأتي مكررا حتى بالنسبة للمبدع نفسه لانه هو متحول باستمرار.

ولذلك فإ ن هناك اشكالية واضحة وهي ان المبدع الحقيقي لا يستطيع ان يجمع الحلم والتجربة الفعلية المادية فى ذات الوقت.. الحلم ينتهي بمجرد دخول المبدع في تجربة الانفعال الفعلي حيث يتوحد بانفعالاته لتتدفق عبر موهبته الخاصة عملا ابداعيا.. وهو لا يملك إ ثارة حالة التدفق هذه بصورة واعية مقصودة.. برغم ما يقال عن اختلاف الظروف المثيرة للالهام.. أو طقوس الابداع.

وقد يفشل في الانتقال من ضبابية الحلم الى وضوح التجربة أو يتعسر الانفعال.. فلا يبدع شيئاً.. وفى تحول الانفعال إ لى عمل منفصل عن ذات المبدع تنتهي التجربة ويستعيد المبدع حالة التوازن والسكون بانتظار حالة انفعال قادمة يأتى بها حلم اخر.

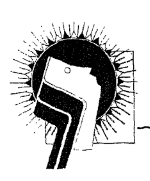
ولذلك فالحلم الذي يخلد به حالة الابداع لا يمكن ان يكون محدد المعالم حتى لو بدا وكأنه تحتويه أبعاد تجسيد معين.. مثل (الزا) أراجون.. الحلم الباعث للابداع حالة ضبابية تحمل كل الاحتمالات مستمرة فى الاندفاع التلقائى الدائم بأعماق الفنان للوصول الى حالة الالهام المفجرة للابداع.. ضبابية الحلم هى ما يتكرر فى تجربة الابداع الانسانى.. اما الانفعال فلا يتكرر.. هكذا.. لا يمكن ان يظل للمبدع إ لهام ثابت متكر ر.. إ لا فى حالة ان مصدر الالهام يظل متغيرا حاملا لكل الاحتمالات.. ومن النادر ان يحظى المبدع المتجدد الانفعال بتجسد الالهام المتغير ابعاد.. ويظلان في حالة انفعال مستمر!

ولذلك يبحث الشاعر أو الفنان بصورة عفوية تلقائية عن مثيرات الالهام الضبابية الابعاد التى تأتى كل يوم بصورة جديدة.

ولذلك أيضا لا يدوم الحلم إ لا خلال مرحلة البحث عن الحقيقة التى تحتويه.. وينتهي حيث يدخل المبدع معاناة الانفعال بالحقيقة التى ينفعل بها لينفصل عنها منتجاً عملا ابداعياً لا ينكرر حتى لو عاد المبدع بصورة استثنائية الى الانفعال بذات الحقيقة تلك مرة اخرى.

اما ذاك الذى تتشابه او تتكرر ابداعاته فى كل الحالات فإ نه يثير التساؤل المشروع فيما إ ذا كان يعيش الالهام فعلا أم يمر بمجرد الانفعال الحسى الذى يملكه الجميع بدرجات متفاوتة.. ثم يحاول بوعى كامل ان يختلق فيها تجربة الالهام.. والانفعال.. والابداع.. فيأتى الناتج صورة مكررة مملة ترى فيها ملامح القصد الواعى الذى لا تتلوث به حالات الابداع الحقيقي الحى بتفرده وتجدده حين يتغير فيه الانفعال حتى لو ظل المبدع ومصدر إ لهامه يتفاعلان مرة بعد مرة.

من الزميلة جريدة الرياض





قال تعالى: ﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون. ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا، يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس، إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾ (سورة النحل/٦٨، ٦٩).

■ تذكر الدراسات الحديثة أن العلم لا يزال يجهل كثيرا من مركبات العسل على الرغم من اكتشاف نحو (٩٠) عنصرا ومادة كيميائية فيه و من أهم مكونات العسل السكاكر، الخمائر المتعددة، الفيتامينات، الأحماض العضوية، الاملاح المعدنية، عناصر معدنية، هرمونات حيوانية ونباتية، ضديدات الجراثيم، بروتينات وأحماض أمينية، هرمونات حيوانية ونباتية وغيرها.

فيه شفاء للناس

إعداد: هبه عبد اللطيف مصطفى

فوائد عسل النحل فى الحمل والولادة

■ يعتبر عسل النحل بالنسبة للسيدات الحوامل من أفضل الاغذية على الاطلاق نظرا لقيمته الغذائية.. وقد أصدر معهد «باستير» فى فرنسا إحصائية تشير الى أن كيلو جرام من العسل يوازى قيمة ٥ر٣ كيلو جرامات من اللحوم و١٢ كيلوجرامات من الخضروات.

● إن أبرز الشكاوى التى تشكو منها السيدة الحامل هى القيء والدوخة والغثيان ويقول الدكتور على فريد محمد على: إن ثلاث ملاعق من عسل النحل عند استيقاظ السيدة الحامل صباحا وقبل نزولها من السرير يضمن لها يوما خاليا من المشاكل.

● وقد أجرى بعض الباحثين بحثا علميا قارن فيه بين مجموعتين من الحوامل، مجموعة أخذت العسل بانتظام، ومجموعة أخرى لم تأخذ عسلا، فلوحظ أن المجموعة الاولى التى أخذت عسلا مرت عليها فترة الحمل بأقل الشكاوى على عكس المجموعة التى لم تأخذ عسلا.

● ويصف الأطباء العسل للسيدات الحوامل مع اختلاف طريقة الاستعمال، ففى روسيا والصين يصف الأطباء العلاج للحوامل باستخدام الخبز الجاف المغطى بالعسل ويتناولونه عند الاستيقاظ من النوم وفى منتصف النهار، وبعض الأطباء يصف مسحوق العسل - وهذا أصبح متوفرا فى أوربا - للحوامل عند شعورهن بهبوط فى الضغط وذلك بأن تضع السيدة الحامل هذه المادة فى كوب ماء وتشربها مما يؤدى الى تحسن ملحوظ فى حالتها. وفى رومانيا امكن لبعض المراكز العلمية



● خلية نحل فى أعلى الاشجار . . حماية لأنفسها

استخدام عسل النحل فى علاج بعض حالات الغثيان والقيىء أثناء الحمل عن طريق استنشاق محلول عسل النحل.

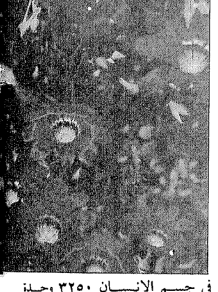
● وقد تشكو بعض الحوامل من الامساك أثناء فترة الحمل وكذلك حرقان فى فم المعدة أو (حرقان القلب) كما هو معروف فى الأوساط العامة . . ويوجد مثل عامى يقول: «إن العسل أحسن صديق للمعدة» فهو يساعد على الهضم وتفسير ذلك أن المنجنيز والحديد فى مكوناته يساعدان على الهضم وتمثيل الغذاء.

وقد نصح بعض الأطباء السيدات الحوامل اللائى يشكين من حموضة المعدة العالية بتناول العسل كطعام أو مزجه مع الاطعمة الأخرى، فإنه يساعد على نقص الحموضة لأثره فى علاج اضطرابات المعدة والامعاء المختلفة المصحوبة بزيادة الحموضة.

وفى هذا يقول الدكتور «على فريد محمد على»: إن استخدام العسل مرتين أو ثلاث مرات يوميا يضمن تحسنا فى حالة الجهاز الهضمى وخاصة الامساك، بالاضافة إلى ذلك فإننا نجد أن ملعقتين أو ثلاثا من عسل النحل قبل النوم يضمن للسيدة الحامل نوما هادئا، ومن المعروف أن آلام الاسنان واللثة تزيد أثناء الحمل ولقد وجد أن استخدام عسل النحل من الأغذية وأيضا من الأدوية التى تقى من اضطرابات الاسنان واللثة أثناء الحمل.

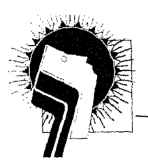
■ وفى المستشفى المخصص للعسل فى الصين أجريت تجربة على (٤٠) مريضة فى الحمل الاول فى فترة الثلاثة أشهر الأولى، فأعطى للمجموعة الاولى وتشمل (٢٠) مريضة العسل إلى نهاية الحمل، ولم تعط المجموعة الثانية وعددها (٢٠) مريضة أيضا العسل. . فكانت نسبة الاصابة بتسمم الحمل فى المجموعة الاولى (٢) حالة فقط أما فى المجموعة الثانية كانت الاصابة بتسمم الحمل (٨) حالات.

■ والعسل من أفضل الاغذية أثناء عملية الولادة لأنه يتصف ببعض المميزات التى تجعل منه غذاء شهيا كما تجعله يتفوق على الأنواع الأخرى من السكاكير الطبيعية والاصطناعية فالعسل تمتصه الامعاء بسهولة، ويعطى طاقة حرارية عالية فالكيلوجرام الواحد من العسل يطلق

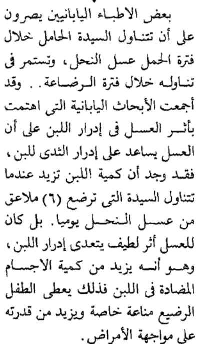


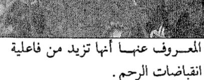
فى جسم الانسان ٣٢٥٠ وحدة حرارية. . والعسل لا يخدش أبدا الجدار الداخلى للجهاز الهضمى، وله تأثير ملين لطيف طبيعى.

■ وقد أجريت فى المستشفى الذى يستخدم العلاج بعسل النحل فى الصين بعض الابحاث باستخدام العسل كمحلول يساعد على تنشط الرحم وانقباضاته أثناء الولادة وذلك بعمل محلول مكون من ٨٠٪ عسل إلى ماء ويعطى فى الوريد بالنقطة، وحدثت نتائج مشجعة، وفسرت هذه الظاهرة بأن العسل يحتوى على مادة البروستاجلاندين وهذه المادة من المواد



● وكلي من كل الثمرات.





المعـروف عنهـا أنها تزيد من فاعلية انقباضات الرحم.

■ وقد نصح أحد أطباء النساء والولادة اليابانيين بتناول ٢٠٠ جرام من العسل يوميا. وتفسير ذلك أن العسل بمكوناته المختلفة والتى تكاد تجعله غذاء كاملا يعوض الأم عن ما فقدته من دم أثناء عملية الولادة، كما أن العسل يساعد على التئام الجروح، وشفائها بسرعة، فقد تبين أن عسل النحل مبيد جيد للجراثيم المسببة للأمراض وقد وضع لتعليل ذلك عدة نظريات منها:

١ ـ ان العسل يحتوى على حامض (الفورميك) النمليك وهو من المواد المضادة للعفونة.

٢ ـ ارتفاع تركيز السكاكر فى العسل (تصل نسبتها الى نحو ٨٠٪ من مكونات العسل) ومن المعروف أنه كلما ازداد تركيز السكر كلما توقف نشاط الجراثيم.

٣ ـ ان العسل يحتوى على «ضديدات الجراثيم» التى تمنع نمو الجراثيم وتبيدها وهذه النظرية من أكثر النظريات قبولا لبيان وتفسير دور العسل فى إبادة الجراثيم.

٤ ـ ان العسل يحتوى ـ فيما يحتوى ـ على مادة الماء الأوكسيجين (بيرو أكسيد االهيدروجين) وهى مادة تستخدم فى تطهير الجروح الملوثة نظرا لما لها من آثار قاتلة بالنسبة للجراثيم والبكتريا.

والواقع أن كل هذه النظريات متعاضدة مع بعضها البعض.

■ ودائما تكون الوقاية خير من العلاج والوقاية بالغذاء أيضا خير من العلاج بالدواء.. واستخدام عسل النحل يوميا مفيد لكل الاشخاص من السيدات والرجال والاولاد.

فوائد عسل النحل للأمهات وللأطفال

بعض الاطباء اليابانيين يصرون على أن تتناول السيدة الحامل خلال فترة الحمل عسل النحل، وتستمر فى تناوله خلال فترة الرضاعة.. وقد أجمعت الأبحاث اليابانية التى اهتمت بأثر العسل فى إدرار اللبن على أن العسل يساعد على إدرار الثدى للبن، فقد وجد أن كمية اللبن تزيد عندما تتناول السيدة التى ترضع (٦) ملاعق من عسل النحل يوميا. بل كان للعسل أثر لطيف يتعدى إدرار اللبن، وهو أنه يزيد من كمية الاجسام المضادة فى اللبن فذلك يعطى الطفل الرضيع مناعة خاصة ويزيد من قدرته على مواجهة الأمراض.

■ وهناك من ينصح بإضافة عشر نقط من عسل النحل فى فم الطفل المولود قبل أن يرضع من ثدى أمه.. وقد عقد مؤتمر فى أسبانيا عن «العسل والاطفال» فى مدينة مدريد وكان أحد المتحدثين الدكتور «تيلترز» من أسبانيا ومن المهتمين بدراسة أثر العسل كغذاء ودواء، وعنه قال: «يحتوى العسل على طاقة عالية نظرا لاحتوائه على الجلوكوز والفركتوز وهذه سكريات أحادية من الممكن هضمها بسهولة فى الجهاز الهضمى للطفل» بالاضافة الى ذلك فإن ٢٠٪ تركيز من العسل له نشاط لوقف البكتريا وله نشاط قاتل لها،

● النحل فى الخلية يؤدي واجباته فى نظام مذهل.

ويتميز العسل بأنه يحتوى على المواد التى تساعد على حدوث التخمر.

وعندما يتغذى الاطفال المبتسرون على العسل المضاف إلى لبن الام وجد أن وزنهم يتضاعف مرتين فى خلال ٧٠ يوما من الولادة. . ووجد أن مادة حمض الفورميك تعطى للعسل حامضية عالية تساعد على عملية الهضم ويضاف الى ذلك وجود مادة الأستيل كولين وعامل مضاد للبكتريا يقال عنه (انهبين).

■ وينصح بتناول الطفل بصفة مستمرة العسل لوقايته من فقر الدم والكساح. لأنه من المعروف أن الطفل الرضيع حديث الولادة يحتوى دمه على كمية من الحديد ومن الكالسيوم تكفيه ثلاثة أشهر فقط. . فإذا كان لبن الأم فيه نقص فى الحديد بدأت تظهر على الطفل أعراض فقر الدم وإذا كان لبنها فيه نقص فى الكالسيوم تأخر نمو عظامه وأسنانه عن موعدها ـ إن الكمية التى فى لبن الأم من الحديد والكالسيوم تكفى لاحتياج الطفل ولكن قد يكون هناك نقص لأسباب عارضة مرضية أو سوء تغذية مثلا ـ ولهذا ينصح الأطباء بإعطاء الطفل ملعقة عسل نحل يوميا ابتداء من الشهر الرابع ويمكن خلط العسل بالحليب بنسبة ملعقة صغيرة لكل (١٠٠سم).

■ وينصح الأطباء كذلك بتناول الاطفال الرضع ـ وبعد سن الرضاعة ـ العسل لعلاج التبول فى الفراش. فمن المعروف أن الطفل فى الظروف الطبيعية يبدأ السيطرة على المثانة (كيس البول) بعد سن الثانية من عمره بحيث يستطيع قبل سن الثالثة أن يحتفظ بالبول أثناء الليل. فإذا تأخر عن هذه السن فإن هذه الحالة مرضية تستدعى العلاج. وما لم يكن هناك مرض عضوى فى جسم الطفل فإن السبب غالبا يكون حالة عصبية أو نفسية. والعلاج الاول هو محاولة (تعويد) الطفل على التبول قبل النوم مباشرة، وايقاظه مرة أثناء الليل لكى يتبول وعدم إعطائه سوائل قبل نومه.

والعلاج الثانى هو إعطاء الطفل ملعقة عسل صغيرة قبل النوم مباشرة.

والعسل له تأثيران فى هذه الحالة:

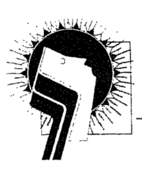
١ ـ أنه يعمل كمسكن ومهدىء للجهاز العصبى للطفل مما يساعد المثانة على الارتخاء والتمدد أثناء نومه.

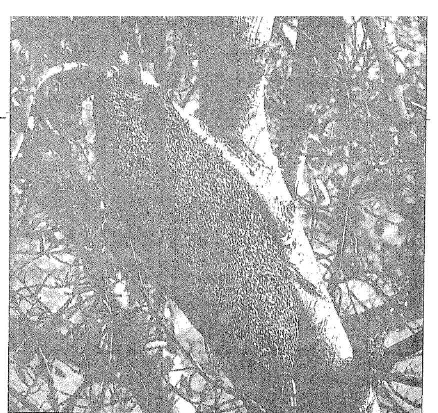
٢ ـ إن كمية السكر المركزة فى العسل تمتص الماء من جسم الطفل، وتحتفظ به مدة طويلة وبهذا لا تضطر الكلى إلى إفرازه فى الليل.

■ وقد قال ن. يويريش: إنه ثبت بالتجربة أن للعسل قيمة غذائية ممتازة كغذاء ودواء للصغار. وكان يهم الباحثين مشكلة تأثير العسل على نسبة الهيموجلوبين فى الدم فى الاطفال الأصحاء. . وقامت الملاحظة فى بعض معاهد الاطفال حيث أدخل العسل فى نظام التغذية فكانت نسبة الهيموجلوبين فى دم أحد الاخوين والذى لم يعط عسلا تزيد بنسبة ٤٪ خلال أربعين يوما من بقائه فى المصحة على حين زادت النسبة فى دم أخيه الذى أعطى العسل بنسبة ١٣٪ وكان هناك طفل أعطى العسل بالاضافة إلى نظام التغذية العادى له فزادت نسبة الهيموجلوبين فى دمه ٢٣٪.

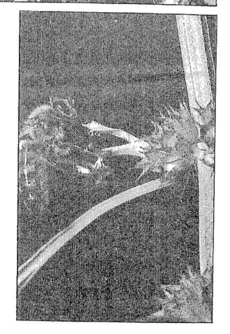
■ ويعتبر الاستاذ (ب. ويسجا) أن العسل يعمل على تحسين صحة الاطفال الضعاف البنية نظرا لأنه يتسبب فى زيادة الكرات الحمراء فى دمائهم ودور العسل فى غذاء الاطفال دور جليل، كما أن امتزاج السكريات ذات الفائدة العالية ـ الجلوكوز والليفيولوز ـ بالاحماض العضوية والزيوت الطيارة وغيرها من المواد الهامة فى العسل مما يقوى الشهية وينشط الهضم.

وينصح الدكتور «على فريد» لعلاج الالتهاب الفطرى للفم ان يطعم الرضيع شيئا زهيدا من العسل يوميا بضع مرات أو يذوب العسل بالماء ويوضع منه فى فم الرضيع شيىء قليل فيذهب الالتهاب الفطرى. وينصح





● النحل يختار لنفسه مواقعه بدقة بالغة



لازالة مخاط فم الرضيع . . ومخاط الفم غالبا ما يتكون على لسان الرضيع فى الشهر الأول من حياته فى صورة بلغم مخاطى سميك كالغشاء فإذا لم يزل هذا المخاط فإنه يحدث على لسان الطفل حبيبات تؤذيه أثناء الرضاعة وربما أحدثت إلتهابات مهلكة . . وأفضل دواء لها أن يلعق الطفل قليلا من العسل، فالعسل يلطف حلق ولسان وبلعوم الطفل ويمنع تكوين الفطريات ويفيد المعدة والدم .

■ ولعلاج سعال الاطفال ينصح بتناول فنجان حليب ساخن محلى بالعسل يعطى للطفل فيزيل البلغم ويخفف السعال وكذا البحة ولعلاج السعال الديكى للاطفال يطبخ ٢٥٠ جراما خروب فى لتر ماء إلى أن يصير كالشراب . ، ويضاف إلى هذا ٢٥٠ جراما عسلا ويطبخ الاثنان مرة أخرى ويعطى الطفل منه كل نصف ساعة ملعقة .

إن النتائج التى حصل عليها الاستاذ «جولب» كانت أشد إقناعا فقد وصف العسل لعلاج الاسهال السام المعدى فى الاطفال فوجد أن سير المرض كان أقل ضراوة وأن الشفاء كان أسرع . وكانت ملاحظاته التى قام بها فى عيادة طب الاطفال فى المعهد الطبى فى «نيبروبتروفسك» على أن إضافة العسل فى غذاء الاطفال لا يسرع فقط بشفائهم بل يزيد فى وزنهم . . وفضلا عن ذلك فقد اكتشف ان الاطفال المرضى الذين يتناولون عسلا يزيد وزنهم ضعفين ونصفا عن غيرهم من الاطفال الذين يمرون بنفس العلاج دون تناول العسل .

■ وقد قال «ترتياك» ومعاونوه بعلاج الدوسنطاريا بالعسل وإنه فى حالة الدوسنطاريا الخطرة لم تكن النتائج ملحوظة باستعمال العسل . ولكن فى الحالات الخفيفة فإن العسل ينظم عملية التبرز ويؤثر تأثيرا طبيا على مجرى المرض . ولم يظهر فى براز المرضى الذين تناولوا العسل أى دم وكانوا على العموم يشفون بسرعة والعلاج بالعسل يخفف من سير الدوسنطاريا المزمنة ويساعد على الشفاء العاجل . ودلت الملاحظات الاكلينيكية على أن العقاقير إذا استعملت مع العسل أتت بنتائج طيبة وسريعة وهذا معقول لأن الشفاء حادث من العقاقير ومن مكونات العسل المختلفة .

ودائما إن الوقاية خير من العلاج . وكما يقال : «**جرام وقاية خير من قنطار علاج**»، واستخدام العسل فى تغذية الطفل بصفة مستمرة هو الشىء الأمثل، ولذا ينصح باعطاء الطفل بصفة مستمرة ملعقة عسل نحل صغيرة ابتداء من الشهر الرابع ، وصدق الله العظيم فى قوله تعالى **﴿فيه شفاء للناس﴾** .

المراجع

● العلاج بعسل النحل: ن. يويريش ـ ترجمة د. محمد الحلوجى.
● مستشفى عسل النحل : عبد اللطيف عاشور.
● عسل النحل والطب الحديث: د. على فريد محمد على.
● مجلة الانوار الكويتية .
● مجلة البحرين الخيرية .
● مجلة الضياء.
● مجلة منار الاسلام
● مجلة الوعى الاسلامى .
● الطب الوقائى فى الاسلام. د. احمد شوقى الفنجرى.
● العلاج بالطبيعة والاعشاب. د. محمد على قرنى .

زرياب عازف

ابتكر زرياب طرقا حديثة احتكاكه بابراهيم الموصلي

لم ينل أحد الشهرة فى عالم الغناء والموسيقى أكثر مما نالها زرياب أمهر عازف فى الاندلس والذى لم يكن له فى كل عصره من يماثله أو يدانيه، لهذا قال عنه بعضهم ـ عازف زمانه ـ وهذه الشهرة لم تأت من فراغ وانما لما لهذا الفنان من عبقرية فذة وموهبة خاصة، وقدرة كبيرة على الابداع لدرجة أن الالة الموسيقية كانت طيعة له، فتتكلم بين يديه وتحت أنامله حسبما يريد، فماذا عنه.. عن زرياب المغني الكبير والموسيقار العبقري؟.

هوأبو الحسن علي بن نافع، عرف باسم زرياب، وتذهب اكثر المراجع الى القول بأنه لقب بهذا الاسم لسواد لونه وفصاحة لسانه، تشبيهاً له بطائر غرد أسود، على حين أن زرياب (بكسر الزاي) فى المعاجم اللغوية يعني الذهب أو ماءه وهذا يدفعنا إلى القول بأنه حمل هذا اللقب لكونه صاحب الصوت الذهبى أو انه يشبه إلى حد كبير الطائر الأسود المغرد وفى الحالتين هو جدير بهذا اللقب.

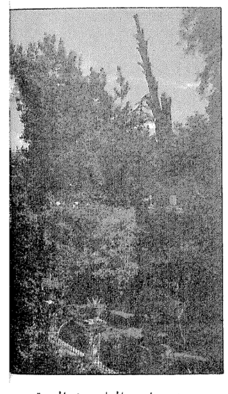
نشـــأته:

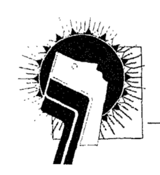
لا تشير المراجع القديمة الى تاريخ مولده، لهذا بقي مجهولا وربما يعود ذلك إلى أن التاريخ لم ينتبه إليه إلا بعد أن نبغ فى الموسيقى وعلا قدره وقدر عبقريته، وهذا يشير لنا إلى أصله المغمور فلا يعرف من أين جاء ولا إلى أية أسرة أو قبيلة ينتمى باستثناء ما كانت تجري حول أبناء جنسه الأسود المساومة بالبيع والشراء فى الاسواق، ولكن رغم هذا التعتيم على موطنه الاصلى ومولده فقد نصادف شيئا من ذلك فى إحدى المراجع ككتاب الاغانى لأبى الفرج الاصفهانى اذ يبين بأن مولد زرياب كان قبل وفاة الخليفة المهدى بسنوات عديدة واذا عرفنا أن وفاة المهدى كانت فى سنة ١٦٩هـ، أدركنا أن مولد زرياب يعود ما يقارب الى سنة ١٦٠هـ ـ ٧٧٧م.

ونتيجة لفصاحة لسانه قربه الخليفة الهادى ابن المهدى (١٦٩هـ/ ٧٨٥م ـ ١٧٠هـ/ ٧٨٦م) الى القصر منذ صباه فأعطاه حريته (التى لم يكن يتمتع بها أبناء جنسه)، وكذلك اهتم به الخليفة هارون الرشيد (١٧٠هـ/ ٧٨٦م ـ ١٩٣هـ/ ٨٠٩م) حينما انتقلت الخلافة إليه، وسمح له أن يغنى فى مجلسه حتى أنه تحول الى مغنى القصر والمجلس وهذا ما منحه مكانة مميزة وخاصة لدى الخليفة.

بيئتـــه:

إن للبيئة تأثيراً كبيراً على مجرى ابداع فنان ما سواء أكان شاعراً أو مغنياً أو موسيقياً أو رساماً ونرى ذلك جلياً عند زرياب فحينما نقترب من بيئته وندخل عوالمها حيث الموسيقى والغناء والطرب فى كل بيت وكل مجلس، حتى تحولت بغداد حينها إلى مركز اشعاعى يلتجيء إليه كل من يرغب فى الشهرة فى مجال فنى معين، وبمقدورنا أن نشير الى جملة مظاهر فى الدولة العباسية تلك المظاهر التى ساعدت زرياب فى انطلاقته وارساء قواعده، فالكتابة كانت نشطة حتى أن الدكتور محمود احمد الحنفى يقول:

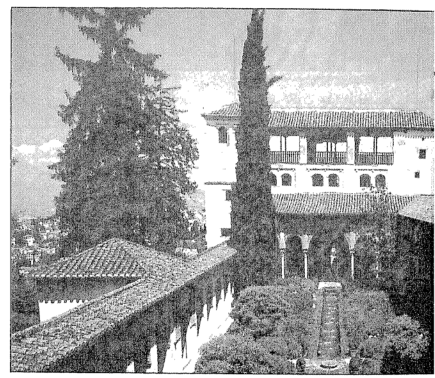




بقلم: شيرين عزيز ـ المغرب

فى تدريس وتعليم الموسيقى.
وابنه اسحق.. ترك لديه أثرا كبيرا.

الأندلس وموسيقارها العبقري



«اتسمت الدولة العباسية فى عرف المؤرخين جميعاً بأنها مطلع شمس العلوم والفنون، ومشرق نور العرفان، فقد كانت بحق دولة العلم والتأليف والابتكار والتدوين والنقل والترجمة فالخليفة والوزراء وكل الناس كانوا يتجهون الى الطرب والظرف، فنرى أن الخليفة والوزراء يخصصون الملايين من الدراهم على سهرات تمتد حتى الصباح ولمواسم طويلة، وتشجيع الجاريات من قبل الخليفة على الغناء والعزف».

المدرسة التى تخرج فيها زرياب:

لم يدرس زرياب فى مدرسة معينة، وانما البيئة التى عاش فيها والواقع الذى عاصره كان خير مدرسة بالنسبة له، فحياة بغداد (انذاك) الاجتماعية والعلمية انعكست عليه وتركت لديه أثراً كبيراً، اضافة الى احتكاكه بكل من ابراهيم الموصلي الذى كان يعتبر الموسيقار الاول فى بغداد، وابنه اسحق الذى تولى عرش الموسيقى من بعد وفاة أبيه. فتتلمذ زرياب على أيديهما واستمد منهما الكثير من العبر والدروس فكان يراقب استاذه ابراهيم وهو يعلم الجوارى الغناء واللحن والعزف، فيخرج بدرس ممتع ومفيد.

وثقافة ابراهيم وابنه اسحق وعلمهما بجميع انواع الغناء والالحان والعزف انعكست على زرياب الذى حملها معه ووضعها فى بوتقته ليخرج فيها بعد إلى الساحة الفنية بصوت خاص به. وبالتالى كان لابد لزرياب أن يرتقي فى العزف الى الدرجة نفسها التى ارتقى اليها كل من ابراهيم الموصلى واسحق.

والنبع الآخر الذى منه استلهم زرياب عزفه وموسيقاه هو احتكاكه المباشر بمعاصريه من اعلام الموسيقى والغناء ممن امتلأت بهم مجالس بغداد، وحمل زرياب منهم التجديد، إذ كان يمقت التقليد، ويكره التعقيد



والتكليف، وكان عميد المجددين حينذاك هو «ابراهيم بن المهدى أخو الرشيد» ويتبعه الكثيرون من المؤيدين نذكر منهم مخارق ويحيى المكى وابن جامع، وكذلك تبعه زرياب ولكن باختلاف إذ أنه كان يرى من الضرورة أن يلم بالتراث والمدرسة القديمة ومن ثم البناء عليها لانه ينطلق من مقولة لا جديد دون حفظ القديم والالمام بالتراث.

وقد أخذ زرياب بأسباب تلك المعرفة من أستاذيه ابراهيم الموصلى واسحق ولكنه لم يقف عند الحدود التى وصل إليها معلماه وانما طمع فى المزيد.

وممن أخذ منهم زرياب أيضاً نذكر «منصور زلزل» والذى قال عنه بعضهم بانه ربما كان أستاذاً لابراهيم الموصلى، فكان أشهر من ضرب بالعود فى الدولة العباسية، وقد قام زلزل بضبط مواقع النغم على دساتين العود واستحدث فى ذلك مواضع جديدة نسبت إليه حيث سميت احدى تلك النغمات (وسطى زلزل) وابتكر فى المقامات العربية مقام (المنصورى) الذائع الصيت نسبة إلى (منصور زلزل).

وكل ما جدده زلزل استفاد منه زرياب، اننا نستطيع أن نقول بأنه تابع مسيرة زلزل التجديدية ونماها بتطور كبير.

غيرة الاستاذ من تلميذه:

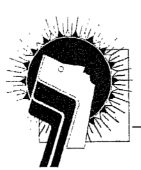
لما ازداد اهتمام الخليفة بزرياب وازدادت ثقته به وبفنه وعبقريته كان لابد أن يقل اهتمامه بالموصلى، وهذا ما دفع الموصلى الى الخوف على فقدانه لمكانته وضياعه لمنزلته، فبدأ باتهام زرياب بالجنون مرة وبالغرور مرة أخرى، ولما لم يطفيء ذلك غليله وحسده التجأ الى التهديد فخيره بين أمرين إما الرحيل أو وضعه أمام الأسهم والاغتيال ويتضح ذلك جليا من قوله لزرياب: «ان الحسد أقدم الادواء، والدنيا فتانة، والشركة فى الصناعة عداوة ولا حيلة فى حسدهما، وقد مكرت بى فيما انطويت عليه من اجادتك وعلو طبقتك وقصدت منفعتك فاذا أنا قد أتيت نفسى من مكمنها بادنائك، وعن قليل تسقط منزلتى وترتقى أنت فوقى، وهذا ما لا أصاحبك عليه، ولو أنك ولدي ولا رعى لذمة تربيتك لما قدمت شيئاً على أذهب نفسك وليكن فى ذلك ما كان، فتخير فى اثنتين لابد لك منهما: اما أن تذهب عنى فى الارض العريضة لا اسمع لك خبراً بعد أن تعطينى الايمان الموثقة، وأنهضك لذلك بما أردت من مال وغيره، وإما أن تقيم على كرهي ورغمى مستهدفاً لسهامى فإنى لا أبقى عليك ولا أدع اغتيالك، باذلا فى ذلك بدنى ومالى فاقض قضاءك».

وقد يكون هذا الموقف غريباً من اسحق الموصلي لما عرف عنه من ثقافات واسعة ومعرفة كبيرة وصاحب الالحان المعجزة فى عصره، ولكن يبدو أنه أدرك بأن البساط سينسحب من تحت قدميه وبأنه سيتضاءل أمام تلميذه الاسود هذا، لهذا فعل ما فعل لأنه لا يستطيع أن يتصور ذلك.

رحيله:

ربما كان من الطبيعى أن يختار زرياب الرحيل لأنه مخلص لأستاذه من جهة ولعدم قدرته على المواجهة من جهة ثانية، فوقع اختياره على الاندلس لكثرة ما كان يتردد على مسامعه من كلام جميل عن طبيعة هذا البلد ولكثرة ما قيل فيها من وصف أخاذ إضافة الى علمه ومعرفته بأحوال مدينة القيروان «محطته الاولى» عاصمة المغرب الاوسط آنذاك حيث عرف عن ملوكها حبهم للفنون وميلهم للموسيقى والغناء وتشجيعهم لاصحابها.

اذاً من بداية خروجه من بغداد



كان يدرك مسار رحلته، محطها فى القيروان مدينة عقبة بن نافع ومنذ نزل زرياب عند ملوكها ذاع صيته فى المغرب وفى كل الولايات الافريقية، ولم تمض فترة طويلة حتى استطاع أن يؤثر فى الجو العام للقيروان، فحول جزءاً منها الى منطقة تخصصت للغناء والعزف على حين أنه لم يعرف عن القيروان قبل دخول زرياب إليها غير الزهد، وازداد تأثير زرياب على بعضهم فمالوا إلى الغناء والموسيقى والرقص وهذا ما دفع إلى انقسام المدينة الى قسمين أو الى حيين متناقضين عرف احدهما باسم «الحى الزريابى» نسبة الى زرياب وعرف الآخر باسم «حي الزهاد».

وهذا يجعلنا ندرك أن زرياب عاش وأسرته فى القيروان عيشاً رغيدا وحياة هادئة، ولكن هذا الهدوء لم يستمر اذ نزل عليه غضب الملك زيادة الله حينها سمع منه اغنية تمدح فيها بالسواد فى قول عنترة والتى يقول فيها:

فان تك أمي غرابية
من أبناء حام بها عبتني
فاني لطيف ببعض الظبا
وسحر العوالى اذا جئتني
ولولا فرارك يوم الوغى
لقدتك فى الحرب أو قدتني

■ فأمر الملك بضربه وجلده ثم نفيه وابعاده، ومنحه مهلة ثلاثة أيام فقط على الخروج والرحيل وفي هذه المحنة القاسية جاءته دعوة من قبل ملك الاندلس الحكم الأول للحضور الى بلاط قرطبة وحينها بدأت مسيرته مع الاندلس.

فخرج زرياب من القيروان فى اواخر عام ٢٠٦هـ - ٨٢١م فى صحبة منصور المغنى رسول الحكم إليه متجهين الى الاندلس، ولكن ما ان دخلاها حتى جاءهما نبأ وفاة الحكم، فهم زرياب بالرجوع ولكن منصور شجعه فى متابعة الرحلة الى عبد الرحمن بن الحكم الذى خرج بنفسه الى استقباله ليرحب به ويؤمن له كل وسائل الراحة، وكتب له راتباً بمائتي دينار كل شهر مع عشرين دينار لكل ولد من اولاده مع مكافأة تقدر بثلاثة آلاف دينار تقدم له من الاموال العامة، ومنحه أيضاً مزرعة تقدر بأربعين ألف دينار، وجعل منه المغني الأول للقصر وصاحب النفوذ فى البلاط.

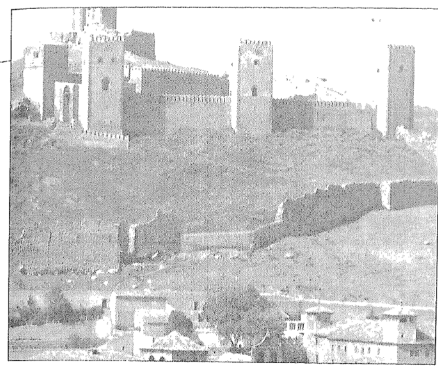
وهذا التقرب من البلاط كان لابد أن يخلق له خصوماً يأتى فى مقدمتهم يحيى بن حكم الغزال والذى كان قبل مجيء زرياب شاعر القصر والاندلس كلها، ولكن بدخول زرياب الاندلس والبلاط وتفوقه عليه فى عزفه وغنائه وشعره انخفض رصيد الغزال وقل الاهتمام به، خاصة من قبل الملك، فهذا ما دفعه الى الحقد عليه والحسد منه (من زرياب) حتى هجاه مرة:

سألت فى النوم أبي آدما
فقلت والقلب به وامق
ابنك بالله أبو حازم
صلى عليك الملك الخالق
فقال لى: ان كان منى ومن
نسلي فحوا أمكم طالق

عبقريته وتجديده:

وجدنا ان زرياب كان يبحث عن صوته الخاص منذ المرة الاولى التى قدمه فيها اسحق الموصلى للخليفة هارون الرشيد، اذ استدعى له الخليفة عود اسحق فأبى زرياب وقال: «لى عود نحته بيدي وأرهفته باحكامى، ولا أرتضي غيره» وحينما جيء بعوده وجد الرشيد بانه لا يختلف عن عود اسحق فسأل زرياب عن ذلك فقال: «ان كان مولاى يرغب فى غناء استاذى غنيته بعوده وان كان يرغب فى غنائى فلابد لى من عودى»، فقال الرشيد: «ما اراهما إلا واحداً» فأجابه زرياب: «صدقت يا مولاى، ولا يؤدي النظر غير ذلك، ولكن عودى وان كان فى قدر حجم عوده ومن جنس خشبه، فهو يقع من وزنه فى الثلث أو نحوه، وأوتاري من حرير لم يغسل بماء سخن يكسبها أنوثة ورخاوة وبها ومثلثها (البم والمثلث: وتران من اوتار العود) اتخذتهما من مصران شبل فلها فى الترنم والصفاء والجهارة والحدة أضعاف ما لغيرها من مصران سائر الحيوان، وله من قوة الصبر على تأثير وقع المضارب ما ليس لغيرها».

فزرياب أشار منذ خطواته الاولى الى تفرده وخصوصيته المميزة وبالتالى الى عبقريته المبكرة والتى اتضحت لنا فيها بعد بشكل اكثر أثناء وجوده فى الاندلس اذ زاد الوتر الخامس فى العود، اختراعاً منه وكانت من قبل أربعة أوتار وفقاً لمقتضيات الصنعة القديمة، فزرياب لم يتقيد بتلك المقتضيات وانما سار وفق مقتضيات الموسيقى من ضرورة ايجاد الوتر الخامس حتى تكتمل المطبقات الصوتية فى العود وصبغه باللون الاحمر وأسماه «الوتر الاوسطى الدموى» وجعله متوسطاً فى موضعه بين الاوتار الاربعة وذلك أن «الزير» وهو اكثر أوتار العود حدة كان يصبغ باللون الأصفر ليكون فى العود بمنزلة الصفراء





فى الجسد، وصبغ الوتر الثانى بعده باللون الاحمر وهو من العود بمنزلة الدم من الجسد، وهو فى الغلظ «ضعف الزير» ويسمى «المثنى» وصبغ الوتر الرابع بالاسود وجعله فى العود بمنزلة السويداء من الجسد وسمى «البم» وهو أغلظ اوتار العود وأعلاها من حيث الموضع، وهو ضعف «المثلث» الذى عطل عن الصبغ وترك ابيض اللون ليكون فى العود بمنزلة البلغم من الجسد، وجعل ضعف المثنى في الغلظ فلذلك سمي «المثلث».

إذاً استكمل فى عوده قوى الطبائع الأربع، وقام الوتر الخامس بينها مقام النفس فى الجسد.

كذلك اخترع زرياب مضراب العود «الريشة» من قوادم النسر، وكانت حتى وقته من خشب، وهى فكرة جميلة وبارعة من زرياب اذ تجمع الى لطف خفتها على الانامل طول سلامة الوتر بملازمة الضرب عليه.

إضافة الى أنه نقل الى الأندلس كل ما حمله معه من معرفة لبلاد المشرق العربى، فأخذ يبتكر فيها حتى جعل الاندلس تملك ثروة كبيرة من الآلات الموسيقية التى لم يعرفها بلد قبله، وسيطول بنا البحث اذا حاولنا تعدادها فمنها الالات الوترية وآلات النفخ وآلات النقر.

ولم تقف عبقرية زرياب ومواهبه عند ذلك وانما ابتكر طرقاً حديثه فى تدريس وتعليم الموسيقى وكان يطبقها بنجاح كبير فى المدرسة التى انشأها فى بلاط عبد الرحمن بن حكم والتى كان يتعلم فيها كل البعثات القادمة من أوربا ومن كافة أرجاء المعمورة أصول الموسيقى والغناء والعزف بمختلف الالات وفنون الشعر والرقص.

وفاتـــه:

وكما كان مولده مجهولا كذلك كان تاريخ وفاته، فقد مات دون أن يعرف على وجه التحديد تاريخ ذلك ولكن حسب التقديرات التقريبية وحسب ما جاء فى معجم الاعلام فان ذلك كان فى سنة ٢٣٠هـ/ ٨٥٤م بعد أن خلف عشر أبنـاء ثمانية منهم ذكور وهم: (عبدالرحمن، عبد الله، يحيى، جعفر، محمد، قاسم، أحمد، حسن).. والاناث هما: علية، حمدونة.

وكلهم شغف بالغناء والرقص والموسيقى.

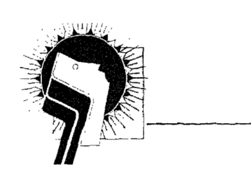
وكذلك خلف لنا عباءة من تحتها انطلق وينطلق الكثيرون من العازفين والفنانين الموسيقين.

المراجع

(١) د. محمود احمد الحنفى ـ زرياب أبو الحسن عل بن نافع ـ دار مصر للطباعة ـ القاهرة.

(٢) احمد تيمور باشا ـ الموسيقى والغناء عند العرب.

(٣) خير الدين الزركلي ـ الاعلام.



قصيدتي هذه نصح أوجهه
ارجو له أثرا إن هاجس هجسا

بيت بلا زوجة بيت بلا سكن
بيت به وحشة بيت يزيد أسى

يضيق صاحبه ذرعا بوحدته
ووجهه من تباريح الشقا عبسا

ان جاء ضيف اليه ضاق من حرج
يارب رحماك من لي من يجيد حسا

والمرء من دون زوج لا قرار له
مسكين فرد وحيد ظل منتكسا

ومرأة دون زوج فهي ضائعة
مسكينة تتوقى الذل والتعسا

لا زوج لا ولد لا حال يسعدها
تبقى فريسة دهر عطفه ينسا

تبغى الكمال لشخص راح يخطبها
هذا المحال فبدر التم قد نُكسا

لابد من نقطة للضعف بارزة
فيها وفيه وعاها من لها لمسا

فإن تعاون كل منهما صلحا
واصبح البيت مزدانا صباح مسا

والمهر يطلب منا ان نيسره
وان نبسط حليا مرهقا وكسا

وان نخفف حفلا لازما لنرى
روح الوفاق به الزوجان قد أُنسا

فربة البيت نور البيت فى حلك
للزوج طوعا تلبيه اذا همسا

وربة البيت معوان مدبرة
للزوج ترعى وتبقى دائما حرسا

وربة البيت تعطي البيت بهجته
فكل اوقاتها مجلوة عرسا

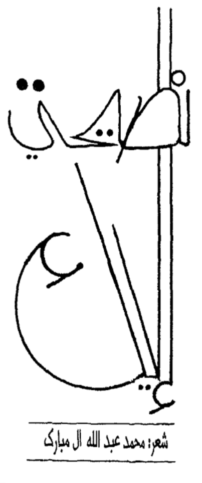
والزوج راع اب بر بحكمته
يضفى السرور احاسيسا اذا جلسا

وان حبيت واياها أغيلمة
وحزتما لبنيات فعل عسى

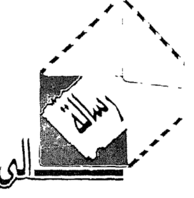
بأن يكونوا لكم ذخرا ومفخرة
وقرة العين هم اغلى لما لبسا

فهذه ثمرات للزواج فان
اردت تجنبيه فاغرس مثل من غرسا

ولا تطع من لحا فيه وعارضه
فبالهناء غدا ابليس منبلسا



شعر: محمد عبد الله ال مبارك



الى السيدة الجميلة

حبيبتي سلمى :

يا قرة العين . . ويا بهجة الفؤاد . . ويازهرة الدنيا . . ما عدت أبهج بالحياة وقد كنت أبهج بها وأنت إلى جوارى . . وما عدت ألذ بالحديث وقد كنت ألذ به وأنت الى جوارى . . نعم، وما عدت أطمع فى ترف أو متعة من متع الدنيا . . فما الذى دهانى وألم بى؟ ما الذى غشى عقلى وأصاب وجدانى وأصم مسامعى عن كلمة الحق والعدل؟ .

أبعث إليك برسالتى هذه وأنا أواجه اللحظات المصيرية ولا أدرى والله إن كنت سألقاك بعدها أم لا . . ها هم أبناء عمومتى وقد ضربوا حولى الحصار ويدقون أبواب قصرى بضربات رعيبة توشك أن تخلع قلبى خلعا . . لقد تبين لى الآن أن الدنيا لا تساوى هباءة من تراب، فإن كنت قد ظفرت منها بشىء فهو حبك أنت يا سلمى . .

حبيبتي سلمى :

فى هذه اللحظات التى أصبحت فيها قاب قوسين أو أدنى من طعنة الموت فإن أعدائى بعثوا الى من يساومنى على الاستسلام فقلت له :

دعوا لى سُلَيْمَىَ والطلاء وقينة
وكأسا ألا حسبى بذلك مالا
إذا ما صفا عيش برملة عالج
وعانقت سلمى لا أريد بدالا
خذوا ملككم لاثبت الله ملككم
ثباتا يساوى ما حييت عقالا

نعم، فى هذه اللحظات تمر بى ذكريات حياتى بحلوها ومرها . . بشظفها وترفها . . وبرخائها وقسوتها . . هل تذكرين يوم تنكرت فى زى بائع زيت حتى أراك؟ لقد خرجت يوما فلقينى بائع زيت معه حمار عليه زيت فقلت له : هل لك ان تأخذ فرسى هذا وتعطينى حمارك وما عليه وتأخذ ثيابى وتعطينى ثيابك؟ ففعل الزيات ذلك وجئت وعلى ثيابه وبين يدى الحمار أسوقه متنكرا حتى دخلت قصر والدك «سعيد»، فناديت: من يشترى الزيت؟ فاطلع بعض الجوارى فرأيننى فدخلن إليك وقلن لك: إن بالباب زياتا أشبه بالوليد فاخرجى فانظرى إليه . . فخرجت فرأيتنى ورأيتك فرجعت القهقرى وقلت: هو والله الفاسق الوليد وقد رآنى فقلن لى لا حاجة بنا إلى زيتك فانصرفت وقلت:

إننى أبصرت شخصا
حسن الوجه مليح
ولباسى ثوب شيخ
من عباد ومسوح
وأبيع الزيت بيعا
خاسرا غير ربيح

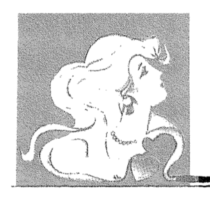
حبيبتي سلمى :

لكم حاولت قبل زواجى منك أن التقى بك وأنعم بقربك ولو لسويعات معدودات ولكن عندما كنت أقترب منك ويفعمنى الأمل بقرب الوصال وحلاوته أراك تنسحبين فى هدوء ورشاقة كأنك الظل الظليل الذى يترك صاحبه بغير أن يشعر. ألا ما كان أحلى تلك الليالى، بضع كلمات . . بضع همسات؟ لا أدرى . . ولكنها كانت الأنس والحبور، والهناء والسرور:

فما مسك يعل بزنجبيل
ولا عسل بألبان اللقاح
بأشهى من مجاجة ريق سلمى
ولا ما فى الزقاق من القداح
ولا والله لا أنسى حياتى
وثاق الباب دونى واطراحى

حبيبتي سلمى :

لقد استبان لى بعد لقائنا عدة ليال أنك كنت تتوجسين منى شرا وتقولين فى نفسك: كيف أتزوج من رجل أساء الى زوجته وهى أختى: «سعدة» وعمد إلى تنغيص حياتها



■ هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان من فتيان بنى أمية وظرفائهم وشعرائهم وأجوادهم.. كان خليعا منهمكا فى اللهو والشرب وسماع الغناء.. ولى الخلافة بعد عمه هشام ابن عبد الملك.

محمد عبد الواحد حجازى

بين آن وآخر حتى كرهته وأبت أن تعيش معه وكانت تلك هى وسيلته التى تذرع بها ليطلقها؟ كيف أثق فى أنه لن يعاملنى بمثل ما عامل به أختى سعدة؟

وكان لك الحق فى أن تشكى وترتابى فى إخلاصى وصدق نيتى ولكن عندما تعرفين الحقيقة التى أخفتها عنك سعدة فسوف تتأكدين من أننى كنت على حق حين خطبتك وفاتحت والدك «سعيد» فى أمر زواجى منك. لقد كانت سعدة شديدة الغيرة إلى درجة الحمق،

ومن حوادث غيرتها أنه عرضت على جارية صفراء كوفية مولدة يقال لها سعاد وأعجبتنى وراقت فى عينى قلت لها: أى شىء تحسنين؟ قالت: أنا مغنية، فقلت لها: غنى، فغنت:

لولا الذى حملت من حبكم
لكان فى إظهاره مخرج
أو مذهب فى الأرض ذو فسحة
أجل ومن حجت له مذحج
أغر ممكور هضيم الحشى
قد ضاق عنه الحجل والدملج

■ فهل فى هذا ما ألام عليه؟ لقد ثارت أختك كالبركان وأطلقت من فمها قذائف من سيىء الألفاظ وقاسيها فقد ظنت أننى سأتخذها زوجة فتحتل مكانها فى القصر وما درت أنها محظية حسنة الصورة حسنة الصوت.. وهجرت بيتها فترة حتى صار غيابها إهانة لكرامتى.
وبالطبع لما لم أعد أحتمل تلك الغيرة الحمقاء فإننى وجدت أن الطلاق قد صار أمراً محتوما فطلقتها.

وبعدها ندمت أيما ندم وحزنت على فراقها غاية الحزن، فماذا أصنع؟ استعنت بأشعب فاصطنعته سفيراً بينى وبينها عساه يفلح فى إعادة ما كان بينى وبينها من مودة.. ومما جاء فى رسالتى إليها:

أسعدة هل إليك لنا سبيل
وهل حتى القيامة من تلاقى
فأصبح شامت ونقرعينى
ويجمع شملنا بعد افتراق

■ فماذا تظنين كان ردها؟ لقد أوسعت أشعب سباً وشتماً وعاملته بما لا يليق.. وما ذنب أشعب وهو رسولى إليها؟ كان من الواجب عليها أن تحسن إليه ولا تسيىء وأن تكرمه ولا تهينه، ثم إنها للأسف الشديد حملته تلك الرسالة المختصرة وكأنها شاءت أن تبدد كل أمل لى فيها، فقالت:

أتبكى على لبنى وأنت تركتها
فقد ذهبت لبنى فما أنت صانع

حبيبتى سلمى:

لقد كانت لى أمنيات ثلاث عندما أتولى الخلافة: الأولى أن أنتقم من عمى هشام الذى استصغرنى وحقرنى وقد انتقم الموت لى منه.. والثانية أن أحقق للناس الرخاء فقد خاطبتهم بعد أن بايعونى بقولى:

ضمنت لكم إن لم تعقنى منيتى
بأن سماء الضر عنكم ستقلع

■ وكانت الأمنية الثالثة أنت يا سلمى:

قد تمنى معشر إذا أطربوا
من عقار وسوام وذهب
ثم قالوا لى تمنه نستمع
كيف تنحو الامانى والطلب
فتمنيت سليمى إنها
بنت عمى من لها ميم العرب

■ لكن آه من الناس يا سلمى.. لم أكن عابثا فاجراً كما صورنى الناقمون الحاسدون وروجوا عنى. وأنت أول من يعلم ذلك عنى.

حبيبتى سلمى:

إن القوم يدقون على باب حجرتى ويهمون بالفتك بى لتخلو لهم الخلافة.. فلا تحزنى ولا تبتئسى إذا ما بلغك خبر مصرعى.. وكل ما أرجوه أن تتذكرى ما حييت الذى قال فيك يوما:

اسقنى يا ابن سالم قد أنارا
كوكب الصبح وانجلى واستنارا
اسقنى من سلاف ريق سلمى
واسق هذا النديم كأساً عقارا





٤٩٦ ـــــــــــــــ أبو عــواد

أرجـو ألا يكـون انعدام ثقة المرأة فى نفسها هو الـدافـع الـرئيسى لمناصبتهـا العداء لمن يصارحها بأخـطائهـا وزلاتهـا . . وقـد كان بوسعـه ان يتملق لكسب رضاها . . لكنه آثر أن يكون صادقاً وصريحاً .

٤٩٦ ـــــــــــــــ ام عمـرو

انعـدام الثقة عند بعض النساء هو نتاج ذلك المعـول الـذى حمله بعض الرجال من الاباء والاخوة والازواج ممن يعتقدون ان دليل رجولتهم هو قدرتهم على تحـطيم من يحيطون بهم من النساء وتحويلهم إلى عرائس متحركة يمسكون هم بخيوطها.

٤٩٧ ـــــــــــــــ أبـو عـــواد

تستطيع المرأة العاقلة أن تملك على زوجها لبـه وقلبـه ولكن برقتهـا كأنثى . . . لا بالابتـزاز الذى ينطـوى على سياسـة ـ لَيّ الذراع ! !

٤٩٧ ـــــــــــــــ ام عمـرو

الابتـزاز هو لغـة التعـامـل المالى بين الطماع والبخيل. فإ ذا تحول الطماع قنوعـًا او البخيل كريمـًا تغيـرت حروف هذه اللغة ومعانيها. اما الاعتقاد بأن المرأة تكفيها انوثتها لكسب لب وعقل الرجل فأنا احذر كل النساء من ان ينسين ان لهن عقولا تعمل للحظة واحدة.

٤٩٨ ـــــــــــــــ أبـو عـــواد

يعجبني فى المرأة الريفية أنها طبيعية . . حتى وهي تحمـل الشهـادات العليا تظل واقعية ! ! ! . ومـع احترامى للنساء ـ العصريات ـ أو المتمدنات ـ على رأى المثل ـ يثير اشمئزازى ذلك التكلف والتصنع . . الذى قد يختفى وراءه أمية راجعة . . أو جهل فاضح ! ! .

٤٩٨ ـــــــــــــــ ام عمـرو

وانا ايضا احيى الريفيات فقد رفضن وبإ صرار رغبة الرجل الملحة فى ان يجعل من المرأة بهلوانا يضحك منه او يضحك عليه.

٤٩٩ ـــــــــــــــ أبـو عـــواد

وماذا يعنى أن تتطاول الزوجة على هيبة وكرامة زوجها أو استخفافها بوجهة نظره ومبادئه . . غير لون من ألوان الخضوع المهين لمن يسكت على مثل هذا ممن يعزون النفس بأنه حرية ! ! ! .

٤٩٩ ـــــــــــــــ ام عمـرو

على الرجل الذى تستخف زوجته برأيه ان يبحث عن مصـدر هذا الـرأى ويغيـره.. فأنا لا أعتقد ان له رأيا حقيقيـًا من البداية وإ لا لاجبرها على احترامه.

٥٠٠ ـــــــــــــــ أبـو عـــواد

حدثينى عن امـرأة توفى زوجهـا وكافحت تحوم حول صغارها وتظلهم بأجنحة حنانها . . وهى تقدم التضحية تلو الاخـرى . . فأنا لا أطيق سماع أخبار اللواتي يجهـزن على أوقاتهن ومقدراتهن فى سخافات أقل ما يمكن أن يقال فيها إنها ـ فاضية ـ ! ! .



٥٠٠ ـــــــــ ام عمرو

حدثنى أنت عن كل الرجال الذين يتركون بيوتـًا عامرة بزوجات فاضلات واطفال فى حاجة لرعاية الاب المتواصلة للقفز من بيت الى بيت بحثـا عن مزيد من المتعة الشخصية إ نها تبدو لى معادلة صعبة ومحزنة.

٥٠١ ـــــــــ أبـو عـــواد

أريدك مصباحا يرسل الضياء يبعث الدفء . . يأخـذ بأيدى العيون المعشية . . ولا يهم لو لاقيت حتفى حول ذلك المصباح كالفراشة!!

٥٠١ ـــــــــ أم عمرو

اتمنى لو تصـدقـك قارئـات المجلة ممن تصفع عقولهن وتصم اذانهن كل يوم قصص الفراشات الهائمة على وجهها بحثـًا عن مصابيح الليزر.

٢٠٥ ـــــــــ أبـو عـــواد

حين تكيلين التهم . . وتستبيحـين الهجوم على زوج «الثلاثة» أو «الأربعة» . . فهذا يا سيدتى منتهى التعصب لبنات جنسك . . وغنى عن القول هنا أن جاذبية الاولى واضطلاعها بمسؤولياتها كامرأة وزوجة لم يكن بالمستـوى الـذى يصرفـه عنى مجرد التفكير فى اخرى . . صدقينى لولا تكاليف العيش وتعقيدات العصر لكان أفضل ما يرد به أزواج اليوم على نساء اليوم هو اعادة الكرة . . لكن كما يقولون مصائب قوم عند قوم . .

٥٠٢ ـــــــــ أم عمرو

لو صرفنا النظر عن فروغية العين والعقل وامتلاء الجيب وهوالسبب الأول، كما نعرف جميعـًا، فى الزواج من ثانية وثالثة ورابعة! فالسبب الذى يليه مباشرة هو سوء الاختيار من جانب الزوج وعدم تحمله للمسئولية التى اعطيت له كرجل. وبذا يصبح الزواج من ثانية وثالثة ورابعة ليس ردا على نساء اليوم ولكن ردا على خيبته فى الاختيار الاول.

٥٠٣ ـــــــــ ابـو عـــواد

مرة واحـدة وقفت أمـك ـ حماتى العـزيزة ـ بجانبى . . وعساه لا يتكرر ذلك الموقف . . أتذكرين وأنت مريضة . . حين كنت عندك أرفع من معنوياتك والألم يعتصرنى وأنا ألوك الحزن فى أعين الصغار . . وأدارى هم الـدنيا وأنا أهرب من عينيك . . كانت وقتها أمك تربت على كتفي وتدعو لك بالشفاء!!.

٥٠٣ ـــــــــ أم عمرو

لحظات الالم والمحنة هى لحظات صدق مع النفس تجرد الانسان من عقده القديمة فينسى الزوج انه يقف الى جانب حمـاته وتنسى الحماة أنها تقف الى جانب زوج ابنتها وياليتنا نصدق دائمـًا مع انفسنا بلا عقد او مكابرة زائفة، ربما وقتها نجد انفسنا فى صف واحد بدلا من الوقوف وجها لوجه.

● ضحكـات ●

كنت فى زيـارة عمـة لي بالغـة البـدانة . . فقالت لى ساخـرة: «فـرض علي طبيبي الجديد حمية غذائية»، فهل تستطيعين تصور ذلك ؟ فى عمري!

ثم بدأت التهام فطيرة محشوة باللحم فسألتها باندهال «هل هذه هى حميتك؟». فردت بحدة: «بـالطبـع لا هذا غذائى، اما حميتي فأكلتها قبل ساعة».

قراءة فى كتاب

الناشر علي حسن مطبعة الاداب المصرية. درب الجماميز القاهرة

مؤلف هذا الكتاب هو أبوحيان التوحيدي وهو أبرز أدباء ومفكري القرن الرابع الهجري. وقد نهض بنشر الكتاب الاستاذ على حسن بمطبعة الاداب المصرية بالجماميز، ولعل هذا الكتاب أكبر مؤلف تراثى معروف فى موضوعه فقد بلغ خمسا وسبعين وأربعمائة صفحة من القطع المتوسط، وقد جمع بين دفتيه أقوال الحكماء والفلاسفة والعلماء والعباد والمتصوفة والخلفاء والامراء والاعراب والشعراء والكتاب، وضم حشدا كبيرا من الرسائل الشعرية والنثرية.

تأليف: أبو حيان التوحيدي

الصداقة..

وتسود الروح التشاؤمية أجواء هذا الكتاب فقد بدأ بزفرة وانتهى بزفرة على حد تعبير د/زكى مبارك (النثر الفنى ٢/١٦٩) ففى البداية يقول التوحيدي: غلب الجفاء ووقع اليأس ومرض الأمل وأشفى الرجاء، وفى النهاية يقول: والله أستعين على كل ما هم النفس ووزع الفكر وأدنى من الوسواس. وهذا الكتاب الذى يعتبره زكى مبارك أنفس ذخائر العربية (النثر الفنى ١/٢٠٤) يعوزه التنظيم والتبويب والتصنيف، فالمؤلف ينثر المعلومات من طيات الكتاب على غير نسق ويوزع ما يتصل بالفكرة الواحدة أو المعنى الواحد ذات اليمين وذات الشمال، فتعريفه للصديق - مثلا - جاء مفرقا فى الكتاب ، ففى ص٩٤ يذكر المؤلف قول الاندلسى حين سئل مم أخذ لفظ الصديق قال من الصدق وهو خلاف الكذب ومرة قال من الصدق لأنه يقال رمح صدق أى صلب وعلى الوجهين الصديق يصدق اذا قال ويكون صدقا إذا عمل.

وفى ص١٦٦ يذكر المؤلف قول أبى عامر النجدي فى تعريف الصديق: «الصديق من صدقك عن نفسه لتكون على نور من أمرك ويصدقك أيضا عنك لتكون على مثله لانكما تقتسمان أحوالكما بالأخذ والعطاء فى السراء والضراء والشدة والرخاء فليس لكما فرحة ولا ترحة الا وأنتما تحتاجان فيهما الى الصدق والانكماش والمساعدة على اجتلاب الحظ فى طلب المعاش».

وفى ص٦٦ يورد المؤلف تعريف أرسطو للصديق وهو قوله: «انسان هو أنت إلا أنه بالشخص غيرك» ويذكر فى ص١٤٠ قولا قريبا من هذا وهو قول أبى بكر الصديق لرجل أقطعه شيئا فمنعه عمر اياه فعاد الرجل الى أبى بكر وقال والله ما أدري أأنت الخليفة أم عمر فقال: «هو الا أنه أنا». . وفي ص ٢٥٧ يورد المؤلف قول احدهم: «إنما سمى الصديق صديقا بصدقه لك وسمى العدو عدوا لعدوه عليك لو ظفر بك». ومن الامثلة الاخرى لتشتيت ما يتعلق بالفكرة الواحدة ما أورده المؤلف فى ص ٣٨ وهو قول الحسن بن وهب «طرف الصداقة أملح من طرف العلاقة والنفس بالصديق آنس منها بالعشيق».

وفى ص١١٣ يذكر قول سليمان السجستاني «الصداقة أذهب فى مسالك العقل وأدخل فى باب المروءة وأبعد من نوازي الشهوة وأنزه عن آثار الطبيعة بذوى الشيب والكهولة وأرمى الى حدود الرشاد». . ثم يذكر فى ص١٤١ قول أعرابى حين سئل أبالصديق أنت آنس أم بالعشيق فقال يا هذا الصديق لكل شىء للجد والهزل والقليل والكثير ولا عاذل عليه ولا قادح فيه وهو روضة العقل وغدير الروح فأما العشيق فإنما هو للعين وبعض الريبة والعدول عنه من أجله سريع وفى الولوع به إفراط من جوى وحد موقوف دونه فأين هذا من ذاك؟!.

وربما تكررت العبارة بعضها فى أكثر من موضع، فقد تكرر قول محمد بن الحنفية «ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد بدا من معاشرته حتى يجعل الله له من ذلك فرجا»، تكرر هذا القول فى ص٥٤ وص٢٥٣. وقد اعترف المؤلف بهذا الخلط واعتذر له فى قوله: «قد أتت هذه الرسالة على حديث الصداقة والصديق». . ولو أمكن لكان تأليف ذلك كله أتم مما هو عليه وأحرى الى الغاية فى ضم الشىء الى شكله وصبه على قالبه فكان رونقه أبين ورفيقه أحسن ولكن العذر قد تقدم (١٠١) وقد تناول المؤلف مواقف الناس المتباينة من الصداقة بيد أنه بدأ بالموقف المتشائم وكأنه من خلاله يعبر عن موقفه ورأيه الشخصي، فأورد قول جميل بن مرة: لقد صحبت الناس أربعين سنة فما رأيتهم غفروا لى ذنبا ولا ستروا لى عيبا ولا

وجاء ت اراء المؤلف وتعليقاته مبثوثة فى ثنايا الكتاب، أما سبب تأليفه فقد ذكره المؤلف فى مقدمته، وهو أن أبا حيان ذكر لصديقه ابن رفاعة بعض ما يتصل بموضوع الصداقة فنقله الى ابن سعدان قبل أن يضطلع بمهام الوزارة فقال له ابن سعدان دون هذا الكلام وصله بصلاته مما يصح عندك لمن تقدم فإن حديث الصديق حلو ووصف الصاحب المساعد مطرب، فجمع مواد هذا الكتاب الذى أسماه رسالة ونسخه على نحيلته (ص٩، ١٠).



إعداد وتقديم: د. محمد عثمان الملا جامعة الملك فهد للبترول

والصديق

حفظوالى غيبا ولا أقالوا لى عثرة ولا رحموا لى عبرة. وساق قول الاول (ص١١).

إخــاء الــنــاس ممــتــزج
وأكــثــر فعــلهــم ســمــج
فقــومــهــــــم بهجـــرهــم
فإن لــم يهجــروا اعــتــوجــوا

■ ثم يورد الموقف الآخر المتفائل الا أنه يصفه بالغرابة فيذكر أبياتا فى التودد دون أن يفردها لقائلها ومنها (ص١٥):

أنــتــم سروري وأنــتــم مشــتــكى حزنــى
وأنــتــم فى سواد الــلــيــل سمارى
أنــتــم وإن بعــدت عنــا منــازلــكــم
نوازل بين أسراري وتــذكــاري

■ ويذكر بعد ذلك قول أبى حاتم السجستانى: إذا مات لى صديق سقط منى عضو (ص١٧).. أمـا الـرسائل الشعرية والنثرية التى ضمها الكتاب فيدور اكثرها حول الشكوى والعتاب مما يعكس نظرة المؤلف القاتمة ومشاركة الكثيرين معه فى هذه النظرة، فهو يجد فى الاسترسال فى هذا النمط شفاء للصدر وتخفيفاً من البرحاء وانجياباً للحرقة واطراداً للغيظ وبرداً للغليل وتعليلا للنفس على حد قوله (ص١٤) ولم يخل الشعر الوارد فى الكتاب وكذلك النثر من بعض الاغراض الاخرى كالحكمة والشوق والفخر والمديح والرثاء والتعزية والهجاء.

ونجد فى الاقوال الكثيرة التى عرضها المؤلف فى كتابه ما يتعلق بالأخوة بين الطبقات، فكسب الدوانق سد بين التجار وبين كل مروءة وحاجز لهم عن كل ما يتعلق بالفتوة وأما أصحاب الدين والورع فعلى قلتهم خلصت لهم الصداقة لبنائهم اياها على التقوى وتأسيسها على أحكام الحرج وطلب سلامة العقبى وأما الكتاب وأهل العلم فإنهم اذا خلوا من التنافس والتحاسد والتمارى والتماحك فربما صحت لهم الصداقة وظهر فيهم الوفاء وذلك قليل.. وأما اصحاب المذاب والتطفيف فإنهم رجرجة بين الناس لا محاسن لهم فتذكر ولا مساعي فتنشر (٥، ٧) وهذا تحليل عميق يدل على فهم دقيق لطبائع الناس وعواطفهم وتأثير العمل والصناعة فى علاقتهم وإن كانت هذه الاحكام عامة فهى لا تعنى اتصاف كل فرد من أفراد هذه الطبقات بها أو خضوعه لأحكامها وشروطها، كما نجد فى هذه الاقوال ما يتصل بالحث على الصداقة فمن ذلك قول الرسول الكريم «رأس العقل بعد الايمان بالله التودد إلى الناس» (ص٢٩٤) ويقول معاذ بن جبل «خير الناس الألوف وشرهم العزوف» (ص٢٧٩) ويقول الخليل بن أحمد «الرجل بلا صديق كاليمين بلا شمال» (ص٢٨).

وهناك أقوال كثيرة فى المحافظة على الصديق كقول عثمان بن عفان «ما ملك صديقا من لم يتجرع بغيظ ريقا» (ص٤٢) وقول الاحنف بن قيس «من حق الصديق أن يحتمل ظلم الغضب وظلم الهفوة وظلم الدالة» (ص٤١).

ويقول أبو جعفر المنصور «من أعطى إخوانه النصفه وعاشرهم بجميل العشرة قوى بهم عضده وزاد بهم جلده وبذلوا دونه المهج وخاضوا فى رضاه اللجج» (ص٣٧).. ويقول السبيعى «ثلاث يصفين لك ود أخيك السلام اذا لقيته وأن تدعوه بأحب أسمائه إليه وألا تماريه» (ص١٩٧).

■ ومن اجل المحافظة على الاخوان يرى المؤلف أن يقتصر الانسان فى المؤاخاة على من تفى طاقته بما يجب لهم فإن

حقـوقهم اذا زادت على وسعـه لحقتـه الاضاعة لبعضها وجنت الاضاعة عليه العداوة ممن أضاع حقه ولذلك قيل كثرة الاعداء من كثرة الاصدقاء (ص٤٠٣) وحول فائدة الصـداقـة أو المعرفة يذكر المؤلف أن خصمين تقدما إلى المغيرة بن شعبة فقال احدهما ان هذا يدل على بمعرفة بك قال صدق وإنها لتنفعه قال: كيف؟ أتضلع على فى الحكم قال لا ولكن انظر فإن توجه الحق له أخذته منك بعنف وإن توجـه الحق لك عليه قضيته عنه اليك، إن المعرفة لتنفع الكلب العقور فكيف عند الرجل الحر (ص٢٩٣).

وهناك أقوال ذات ردود وردت فى الكتاب، ومن ذلك قول بعض السلف: ضربـة النـاصح خير لك من تحية الشانىء ولا فضل للمرائى على مظهر الشنآن. ويرد أبو جعفـر الشـاشي على ذاك بقوله: «قد أصاب فى الكلمة الاولى فأما فى الثانية فهو مقصر لأن المرائى له ظاهر يحمد وان كان له باطن يذم وليس كذلك مظهر الشنآن فإنه ليس له باطن يحمد ولا ظاهر يقبل فقد بان فضل المرائى بالود على صاحبـه (ص١١٨) وثمـة فئـات أو أصنـاف حذر الكتاب من صحبتهم منهم الكذابون والجهلة أو الحمقى، ويحذر أحد الفلاسفة من صحبة الصنف الاول فيقول: اجتنب مصاحبة الكذاب فإن اضطررت اليها فلا تصدقه ولا تعلمه أنك تكذبه فينتقل عن ودك ولا ينتقل عن طبعه (ص٢٣٩).

وحول التحذير من صحبة الصنف الثانى يقول أبو حامـد المروزى: والله إن عداوة العاقل لألذ وأحلى من صداقة الجاهل لأن الصديق الجاهل يدل عليك بصداقته ويصليك بحر جهله.

والعـدو العاقل يتحامل بعداوته ويهدي اليك فضل عقله ورأيه ومن نكـد صداقـة الجـاهل أنك لا تستطيع مكاشفته حياء منه وايثارا للرعاية عليه ومن فضل عداوة العاقل أنك تقدر على مغالبته بكل ما يكون منه اليك (ص٥١).

وفى تصنيف الاصـدقـاء يورد المؤلف قول الحرانى: منهم من هو كالغذاء الذى يمسك رمقك ولا بد لك منه على كل حال لأنه قوام حياتك وزينة دهرك ومنهم من هو كالدواء يحتاج اليه فى الحين بعد الحين على مقدار محدود ومنهم من هو كالسم لا ينبغى أن تقربه فإنه سبب هلكتك (ص١٠١).

■ ولما كانت العلاقات الاجتماعية التى هى مدار موضوع الكتاب لا تحيا ولا تزدهر بمعزل عن الاخلاق الفاضلة فقـد ساق المؤلف جملة من الأقـوال فى ذلك، ومنها قول الجنيد الصوفى: «لو صحبنى فاجر حسن الخلق كان أحب الى من أن يصحبنى عابد سيىء الخلق قال لأن الفاجر الحسن الخلق يصلحنى بحسن خلقه ولا يضرنى فجوره والعـابـد السيىء الخلق يفسدني بسوء خلقه ولا ينفعنى بعبادته لأن عبادة العابد له وسوء خلقه علي وفجور الفاجر عليه وحسن خلقه لى (ص٧٢).

ويقول العتابى فى التنفير من الوشاية لا أحب رجلا نقـل الى ما كرهـت عن صديق فيترنى له ولا عن عدو يحملنى على طلب الانتصار منه ومع ذلك فلم يستح بأن واجهنى بما ساءنى سماعه (ص١٢٩).

وفى الدعوة الى البشر والطلاقة يورد المؤلف قول أبى سفيان الثورى «الصديق لا يراد ليؤخذ منه شىء أو ليعطى شيئا ولكن ليسكن اليه ويعتمد عليه ويستأنس به ويستشار فى الملح وينهض فى المهم ويتزين به اذا حضر ويتشوق اليه اذا سفـر والاخـذ والعـطاء فى عرض ذلك جاريان على مذهب الجود والكرم بلا حد ولا نكد ولا صدد» (ص٦٥) وحين سئل على بن عيسى عن سبب ارتباطه القوى بأبى مجاهـد أجاب بقوله: «وجدته متواضعا فى علمه هشا فى نسكه كتوما لسره حافظا لمروءته شفيعا على خليطه» (ص١٩٨).

والى جانب الرسائل الشعرية والنثرية والاقوال المأثورة الكثيرة توجد بعض الامثال ويسوق المؤلف من ذلك مثلا لبنى هذيل هو «هذا التصافى لا تصافى المحلب» وأصله أن هذيلا أصابت دما فى بعض العرب فأسر أصحاب الدم رجلين من هذيل متصافيين فقالوا لهما أيكما أشرف فنقتله بصـاحبنـا فقـال كل واحـد منهما أنا ابن فلان الحسيب النسيب ذى الثأر المنيم فاقتلونى دون صاحبى فكل بذل نفسه للقتل دون صاحبه فعيوا بأمر ما لما رأوا من تأبيهما فقالوا هذا التصافي لا تصافى المحلب أى لا تصافى المنادمة على الشراب (ص٣٤٥)

ولم يهمل الكتاب بعض الوصايا المتصلة بهذا الموضوع ومن ذلك قول جميل بن نصير لابنه «يابنى اصحب الملك بشـدة التوقى واصحب الصديق بلين الجانب والتواضع واصحب العـــدو بالاعـذار اليه والحق فيما بينـك وبينـه واصحب العامة بالبشر واللطف باللسان» (ص٣٦٤) كما لم يخل الكتاب من بعض النكت والطرائف ومن ذلك قول المؤلف قلت للهائم بن على من تحب أن يكون صديقك قال من يطعمنى اذا جعت ويكسونى اذا عريت ويحملنى اذا كللت ويغفر لى اذا زللت فقال له على العلوي أنت إنما تريد انسـانـا يكفيك مؤونتك ويكفلك فى حالك كأنك

تمنيت وكيلا فسميته صديقا (ص١٦٥) ولقى رجل صاحبا له فقال له إنى أحبك فقال كذبت لو كنت صادقا ما كان لفرسك برقع وليس لى عباءة (ص١١٠) وجاء رجل الى مطعم بن اياس فقال قد جئتك خاطبا قال لمن قال لمودتك قال قد أنكحتكها وجعلت الصداق الا يقبل فى مقالة قائل (ص٣١) ومن طرائف ولطائف عامر بن قيس أنه يصحب فى السفر من يتوسم بينهم الخير على ثلاثة شروط: أن يكون خادما لهم ومؤذنا بينهم ومنفقا عليهم (ص٥٦).

واذا كانت اكثر مواد الكتاب من أقوال الاخرين فإن شخصية المؤلف ظاهرة فى تعليقاته وآرائه التى ترددت فى العديد من الصفحات كصفحة (٧و ١٠و ٥٢ و٥٨ و٦٠ و٦١ و٧٠ و٧٣ و٢٠١ و٢٠٢ و٤٠٢ و٤٧٣ و٤٧٥) فهو فى هذه الصفحات يشرح ويحلل وينقد ويشكو ويقوم، يقول التوحيدي معلقا على تفريق احمد الكاتب بين الصداقة والعلاقة وهذا الذى قال هذا الشيخ كلام قصد سليم مقبول ولسنا نتعقبه بنقص ولا نقدح فيه باعتراض لأن العاشق والمعشوق ليسا من الصديق والصديق وإن كانوا يتشابهون ببعض الاخلاق ويتلاقون فى بعض الاحوال فليكن هذا الرسم كافيا محفوظا فإن المغالطة قد تقع فى هذا كثيرا والانصاف يقوم عليه دائما (ص١٣٠) وحين أوصى الثورى القرباني بقوله إن قدرت أن تنكر كل من تعرف فافعل وإن استطعت أن تستفيد مائة أخ حتى اذا خلصوا لك تسقط منهم تسعة وتسعين وتكون فى الواحد شاكا فافعل، علق التوحيدي على ذاك بقوله: قد تشدد هذا الشيخ كما ترى ولست أرى هذا المذهب محيطا بالحق ولا معلقا للصواب ولا داخلا فى الانصاف فإن الانسان لا يمكنه أن يعيش وحده فيستوى له أن يأوي الى المقابر ولابد له من أسباب بها يحيا وبأعمالها يعيش فبالضرورة يلزمه أن يعاشر الناس ثم بالضرورة يصير له بهذه المعاشرة بعضهم صديقا وبعضهم عدوا وبعضهم منافقا وبعضهم نافعا وبعضهم ضارا (ص١٣٠).

■ وهذه الفقرات ونحوها تذكرنا بقول زكى مبارك فى وصف أسلوب التوحيدي: فهو يصور خواطر الناس وآراءهم فى فهم الحياة تصويرا عجيبا يفصح عن قدرته أتم افصاح وهو يظهر فى ثنايا كلامه غني اللغة قوى الخيال محيطا بالمعنى من جميع أقطاره إحاطة بالغة لا يند منها شيء (النثر الفنى ١٦٩/٢) وكما أن الكتاب يصور الجانب الوجدانى من التوحيدي فهو بالاضافة الى ذلك يحتل جانبا هاما من جوانب ثقافته الواسعة العربية منها والاجنبية ففى الكتاب حكم عربية ويونانية وفارسية وهندية وغيرها وفى الكتاب ثقافة لغوية وأدبية وفلسفية ودينية وتاريخية، يقول زكى مبارك: ويمتاز التوحيدى بتأريخ أكثر ما ينقل من الاخوانيات فهو بهذا أفضل من الثعالبى الذى يهمل التاريخ حين يترجم للشعراء والكتاب (النثر الفنى ٢٠٤/١) وعلى الرغم من غلبة الطابع الفلسفى والفكرى على ثقافة التوحيدي الا أن له ذوقا فى نقد الشعر فبعد عرضه لقول شاعر قديم اوله:

أناجي أخي فى كل حق وباطل
وأرغمه حتى يمل ملائلي

■ يقول وهذه أبيات تصلح للحفظ لما فيها من شرف اللفظ وحسن الرونق وصحة المعنى وطراز العرب غير المتشبهين بهم ولعمرى إن حسيبة الطبع أكثر ماء وأبهى نضارة من مثقف التكلف (ص٤٧٣).

وربما أخذ على المؤلف الى جانب الخلط فى مداد الكتاب وعدم الدقة فى التصنيف والتبويب أن كثيرا من الشعر الذى رواه لشعراء جاهليين واسلاميين وعباسيين جاء غير معزو لقائليه مع أن كثيرا من هؤلاء الشعراء غير مجهولين. وقد نسب بيت طرفة بن العبد المشهور.

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة
على القلب من وقع الحسام المهند(ص١٤٩)

الى عدي بن زيد سهوا أو خطأ وتصنيف د/ هناء كشك الى الملاحظات السابقة قولها ولكن أبا حيان التوحيدي لم يعطنا فى رسالته قوانين أو أسسا علمية أو معايير للصداقة تقوم على التحليل العقلي والنظري إلا فيما ندر (ثقافة القرن الرابع مخطوطة٥) غير أن زكى مبارك لا يعترف بهذه الملاحظة فقد صرح بإعجابه بالتوحيدى فى المحاورات التى أنشأها فى تحليل معانى الصداقات والعلاقات والمودات وهو يعتبر هذا الكتاب أفضل ما كتب فى الاخوانيات كما يراه أنضج عشرة من أدب التوحيدى (ص٢٠٤/١).

■ وأخيرا فإن مواد هذا الكتاب كثيرة ومتشعبة لذا فإن من المتعذر الاحاطة بها فى هذا المقام، وحسبنا ما ألممنا به فى هذه العجالة.

لمحة

(.. احسن الجواب ما كان حاضرا مع اصابة المعنى وايجاز اللفظ وبلوغ الحجة.

اما حضور الجواب فليكون الظفر عند الحاجة. واما ايجاز اللفظ فليكون صافيا من الحشو، واما بلوغ الحجة فليكون حسما للمعارضه.

عن كتاب الامتاع والمؤانسة لابى حيان التوحيدي

الكافة وسائر

يكتب بعض الكتاب فى البيانات والاعلانات الصادرة عن جهات عملهم عبارات يريدون بها أن تبلغ بياناتهم واعلاناتهم الى جميع المعنيين بها فيقولون: وهذا بيان للكافة أو لكافة الناس وهم يقصدون الناس جميعا.

والتعبير على هذا النحو: الكافة أو كافة الناس لا يستقيم ولم يؤثر عن فصحاء العرب، وانما الفصيح المأثور هو ان تكون كلمة كافة منكرة غير مضافة منصوبة على انها حال فيقال هذا بيان للناس كافة.. وقد وردت كلمة (كافة) فى القران الكريم خمس مرات كانت فيها كلها منكرة غير مضافة منصوبة على الحالية.

قال تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين﴾ (سورة البقرة/ ٢٠٨)

وقال سبحانه : ﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين﴾ (سورة التوبة/ ٣٦) .

وقال عز وجل : ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون﴾ (سورة التوبة/ ١٢٣) .

وقال عز من قائل : ﴿ وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (سورة سبأ/ ٢٨).

ويجرى مجرى كافة قاطبة وطرا فيقال: جاء الناس قاطبة واقبل القوم طرا ولا يقال قاطبة الناس ولا طر الناس ولم تر هاتان الكلمتان فى القران الكريم ولذلك فلا شاهد لنا على استعمالهما من القران الكريم.

ومما يجرى على السنة المتحدثين وأقلام الكتاب قولهم: سائر الناس ويقصدون بذلك جميع الناس، ولكن المعنى الذى اتفق عليه علماء اللغة هو ان معنى كلمة سائر فى مثل هذا الوضع هو باقى، وقال بعضهم انها مأخوذة من كلمة سأر بهمزة فى وسطه بمعنى بقى ومنه السؤر وهو باقى الشراب وقد قال بعض اللغويين إ ن معنى سائر هو جميع ولكن الاصح هو ما ذكرناه من أن معناها هو الباقى.



الخيل لا الخيول

كلمة الخيل اسم جمع لا مفرد لها من لفظها ولا تثنى ولا تجمع ولا تؤنث.

فلا يقال خيلان ولا خيول ولا خيلة وانما يقال حصان او حصانان أو خيل وفرس أو فرسان أو افراس.

ولذلك فان من يصف سباق الخيل فى المذياع أو فى الصحف ويجمع كلمة الخيل على خيول مخالف لما فى المأثور من القول.

فقد وردت كلمة الخيل فى القران الكريم ثلاث مرات بلفظ المفرد ويقصد بها الجمع أو النوع.

قال تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ (سورة الانفال/ ٦٠) .

وقال سبحانه : ﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون﴾ (سورة النحل/ ٨) .

وقال عز وجل : ﴿واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الاموال والاولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إ لا غرورا﴾ (سورة الاسراء/ ٦٤).



بقلم الفريق:
يحيى عبد الله المعلمى



●● المخطوطات .. عالم الامس الذي نقراه اليوم وغدا.. هذا العالم الذى يتسع لكل الاجيال..فيه تجارب السابقين، وتاريخ الماضين.. صفحات المخطوطات حياة متكاملة ينقلها إ لينا من عاشوها نفيد منها ونورثها من بعدنا.

وعالم المخطوطات العربية الاسلامية فوق كل هذا يمثل خزانة ضخمة للديانات والعقائد، الفقه والتفسير، التاريخ والسيرة، الادب والعلم..

ولأهمية هذه المخطوطات فى حياتنا فإن المنهل يسعده أن يخصص هذه الصفحات ولأشهر قادمة ـ إن شاء الله ـ لعرض بعض المخطوطات فى بعض مكتبات العالم العربى والاسلامى.

وبهذه المناسبة فان المنهل قدم استكتابًا لعدد من إ دارات المكتبات فى الجامعات والمؤسسات العلمية لمدها بأسماء وعناوين المخطوطات لديها مع نبذة مختصرة عن كل مخطوطة.. وبهذه المناسبة أيضا يسعد المنهل مشاركة أصحاب المكتبات الخاصة من العلماء والمفكرين فى إثراء هذا الجهد.

إعداد: د. محمد شكير

تشكل الآثار جانبا مهما فى وجود الحضارات وتطورها، والحضارة الاسلامية غنية بالآثار القديمة كالجوامع والزوايا والمدارس والمكتبات وغيرها. تحتل المكتبات مكانة مرموقة ضمن هذه السلسلة الاثرية المتعددة الحلقات، لما تعكسه من نمو ثقافى وحركة فكرية داخل المجتمع ككل فى تلك الفترة التاريخية التى تواجدت فيها.

المخطوطات العرب

مكتبة راشد أفند

يوجد في مكتبة طوبقابى على سبيل المثال ١٢٧١ مجلدا مخطوطا من القرآن والتفسير، كتبت ما بين القرن الثانى الهجرى والقرن الثالث عشر الهجرى. تتضمن هذه المجموعة مصحف سيدنا عثمان رضى الله عنه وعليه دمه من يوم مقتله، وعلى بعض الكتب التى تنسب الى سيدنا علي رضى الله عنه والحسن والحسين(١).

وفى هذه المقالة سنحاول تقديم نبذة عن مكتبة راشد افندى، التى تحتوى على مجموعة من المخطوطات العربية فى شتى الاختصاصات ورغم ان هذه المكتبة اصغر من كثير من المكتبات المنتشرة فى المدن التركية، الا أنها تعتبر مكتبة نموذجية، لأنها تحتوى على مجموعة من الكتب القديمة التى تجعلها مكتبة بحث ودراسة، كما أنها تتضمن مخطوطات ومطبوعات قديمة باللغة العربية، وتتواجد فى مدينة قيصرى التى تتضمن جامعة، وسنعطى فى البداية لمحة عن راشد افندى، لننتقل فيها بعد الى تقييم مكتبته مع ذكر بعض النماذج من الكتب الموجودة في المكتبة.

حياة محمد راشد أفندى:

ولد محمد راشد افندى في قرية تقع بالقرب من قيصرى في سنة ١١٦٧هـ/ ١٧٥٣م، وعاش فى عهد عبد الحميد الاول والسلطان سليم الثالث. تعلم فى مدارس استانبول ثم اشتغل كاتبا فى الديوان السلطانى باستانبول(٢).

تقلد مناصب عديدة ومهمة، الى ان تولى منصب رئيس الكتاب فى سنة ١٢٠٢هـ/ ١٧٨٧م. اشغل المنصب نفسه ثلاث مرات بعد ذلك(٣). وهذه الوظيفة مهمة لانها تلى مرتبة وزير الدولة والخارجية(٤). كان راشد افندى اضافة الى كونه رجل دولة، شاعرا وعالما ومثقفا ومستقيما، وكان فى الوقت نفسه خطاطا.

توفى فى شهر رمضان سنة ١٢١٢هـ الموافق للثالث من شهر مارس سنة ١٧٩٨م عن عمر يناهز الخامسة والاربعين(٥).

دخلت المطبعة لأول مرة البلاد الاسلامية فى حياة محمد راشد افندى على يد ابراهيم متفرقة، وطبعت كتب اللغات والتاريخ والجغرافية والعلوم. حاول الفرنسيون شراء المطبعة بعد وفاة ابراهيم متفرقة سنة (١١٥٨هـ/ ١٧٤٥م)، الا ان محمد راشد افندى اشتراها مع صديقه واصف افندى، وقام بطبع كتب عديدة بواسطتها(٦).

مكتبة راشد افندى:

بنى راشد افندى مكتبته فى مدينة قيصرى سنة ١٢١١هـ/ ١٧٩٦م. كانت الجوامع والمدارس فى هذه الفترة من المعالم البارزة المميزة لمدينة قيصرى.

وضع راشد افندى فى مكتبته ٩٢٥ مجلدا مخطوطا و١٨ مجلدا مطبوعا، كانت من اولى المجلدات المطبوعة فى بلاد الدولة العثمانية آنذاك.

ختم راشد افندى كل كتاب بالعبارة التالية: «وقف هذا الكتاب محمد راشد بن جعفر فوزى طلبا لمرضاة الله تعالى بشرط استعارته داخل المكتبة فقط، غفر له ولوالديه، ١٢١١هـ»(٧).

وعلى هذا الأساس فقد اصبحت هذه الكتب وقفا لا يجوز نقلها الى مكان آخر، بل تقتصر الاستفادة منها فى المكتبة نفسها. ومن شروط الوقف تعيين ثلاثة حفاظ كتب

نجد فى تركيا أن المصادر الاسلامية كثيرة، وهى على شكل مخطوطات موجودة فى مدن عديدة كاستانبول ومانيسا (فيها مكتبة كتاب سراى) وتيرة (فيها مكتبة نجيب باشا) وقونية (فيها مكتبة يوسف أغا ومكتبة متحف مولانا جلال الدين الرومى)، ونوشهير (فيها مكتبة داماد ابراهيم باشا) وبورصة وطوقات واماسيا وبوردور وغيرها من المدن.

مراجعة: د. انور طاهر رضا - تركيا



ـــدي بقيصـــــــــرى

للمكتبة للدأب على محافظة الكتب(٨).

تتكون مكتبة راشد افندى من حجرتين وقاعة كبيرة للكتب تقدر مساحتها وحدها ٥٦٠٥ متر مربع (٧٥×٧٥م).

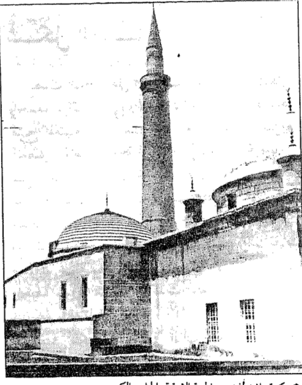
وقفيـة المكتبـة:

فقدت النسخة الأصلية من وقفية المكتبة، التى تعتبر وثيقة مهمة جدا من زاوية هذه المكتبة. على أن نسخة طبق الاصل منها وجدت فى ٧ نيسان ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م(٩). حدد فى هذه الوقفية تامين ايرادات الوقفية، والهدف من انشاء هذه المكتبة، نصت هذه الوثيقة على ان المكتبة اسست بهدف القراءة أو استنساخ الكتب من قبل طلبة المدارس والاشخاص الذين يرومون الاستفادة من هذه المكتبة. استوجبت الوثيقة مقابلة طلبات القراء بمرونة بالغة ووجه مبتسم بدون اثارة الصعوبات. اشترط الوقف ايضا على حفاظ الكتب المراقبة الدقيقة للتاكد من عدم تمزيق القراء للكتب اوتوسيخها او تشويه معالمها.

حفـاظ الكتـب:

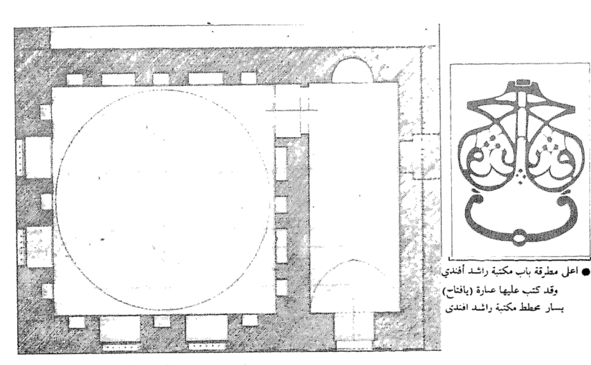
لقد وصف حافظ الكتب فى الوقفية كما يأتى:

«ينبغى ان يكون حافظ الكتب صاحب اخلاق حسنة، وامينا، ومستقيما يتم اختياره من بين المتدينين بشرط الا يكون من العلماء والمدرسين والقضاة والائمة والمؤذنين والقيمين الذين يعملون فى اماكن اخرى.. حدد للمكتبة فى هذه الوقفية ثلاثة حفاظ كتب وقيمان وهيئة



● مكتبة راشد أفندي، الجهة الشرقية والجامع الكبير.

متولية.. كما ورد فيها ان امام الجامع الكبير (اولو جامع) الموجود بجانب المكتبة يعين ناظرا، يتولى فى الوقت نفسه مهمة التاكد من فتح المكتبة فى وقتها المحدد، وسريان الامور بالشكل الطبيعى، وبعد ان حدد فى الوقفية شكل صرف اجور العاملين فى المكتبة ذكرت اجازات حفاظ الكتب وما يتعلق بها من احكام، ينبغى عدم التمتع بالاجازات الطويلة التى تزيد على سنة واحدة، ولابد من تعيين وكيل يقوم مقام المجاز، يتقاضى الوكيل راتب حافظ الكتب بكامله.



● اعلى مطرقة باب مكتبة راشد أفندي وقد كتب عليها عبارة (يافتاح)
يسار مخطط مكتبة راشد افندى

شكل العمل :

نصت الوقفية على ان المكتبة تعطل فى ايام الثلاثاء والجمعة من كل اسبوع والايام الثلاثة الأولى من الاعياد. تفتح المكتبة فى غير هذه الايام بعد ساعة من شروق الشمس، وتظل مفتوحة الى ما قبل ساعة من غروبها. . تفتح المكتبة حتى اذا لم يكن هناك قراء يرتادونها. . تفتح المكتبة فى كل صباح حسب مراسيم بالشكل التالى: يفتح حفاظ الكتب المكتبة ببسم الله الرحمن الرحيم، ثم يقرأون مع المستفيدين من المكتبة المتواجدين ولمرضاة الله ثلاث صلوات شريفة، وثلاث مرات سورة الاخلاص، ومرة واحدة سورة الفاتحة وقد اكدت الوقفية على إجراء هذه المراسيم بدقة تامة.

تفتش الكتب الموجودة فى المكتبة جميعا مرة واحدة فى السنة، ويصلح ما اتلف منها جلدها، او يعوض ما قدم عليه العهد. . اما تفاصيل هذه الاعمال فقد وضحت فى اقسام اخرى من الوقفية.

كتبت الوقفية فى ٧ ربيع الآخر ١٢١٢هـ/ ١٧٩٧ - ١٧٩٨م، وانتهت بتوضيح صحة الوقفية بناء على وجهات نظر المجتهدين وقناعاتهم وصدور حكم القاضى.

اصدار الكاتالوجات :

نشر لهذه المكتبة الى هذا اليوم كاتالوجان. . نشر احدهما من قبل احمد اوقوتان فى استانبول سنة ١٩٦٤م تحت عنوان «كاتالوج المخطوطات العربية التى تعود الى قسم اصول الحديث وعلم الحديث فى قسم راشد افندى بمكتبة قيصرى العامة» يشمل هذا الكاتالوج جزءاً من كتب المكتبة. . اعد الكاتالوج الثانى من قبل مدير مكتبة راشد افندى على رضا قرة بولوط تحت عنوان «كاتالوج المخطوطات التركية والفارسية والعربية في مكتبة راشد افندى بقيصرى». . نشر هذا الكاتالوج فى قيصرى سنة ١٩٨٢م، وهو كاتالوج كامل لمحتويات المكتبة.

تصنيف المخطوطات :

تصنف المخطوطات الموجودة فى مكتبة راشد افندى حسب اللغات التى كتبت فيها الى ما ياتي:
اللغة العربية ٢٥٦٥ مخطوطة
اللغة التركية ٣٩٣ مخطوطة
اللغة الفارسية ١٨٥ مخطوطة

تصنف المخطوطات الموجودة فى هذه المكتبة من ناحية اخرى حسب مواضيعها الى ما يأتى:

الموضوع	عدد المخطوطات
١ - قراءة القرآن والتجويد	٤٧
٢ - تفسير القرآن	٩٢
٣ - الحديث	١٠٨
٤ - اصول الحديث	١٣
٥ - العقائد والكلام	٢٠٠
٦ - الفقه والفرائض والمناسك	٤٠٢
٧ - اصول الفقه	٢٥
٨ - سيرة النبى وشمائله الشريفة	٣٠
٩ - التاريخ	٤٦

١٠ ـ المولد النبوى	٦
١١ ـ المناقب	٣٥
١٢ ـ التصوف والدعاء	١٨٩
١٣ ـ الاخلاق والاداب	٦٨
١٤ ـ المعاجم	٦٠
١٥ ـ الصرف والنحو	١٥٠
١٦ ـ الاداب (النثر ودواوين الشعر ومذكرات الشعراء)	٣٠٠
١٧ ـ المواعظ	١٥٠
١٨ ـ الطب	٢٨
١٩ ـ الفلسفة	١٠
٢٠ ـ المنطق	٧٧
٢١ ـ الجغرافية	٨
٢٢ ـ علم الفلك والهندسة	٤٨
٢٣ ـ الرياضيات والكيمياء	٢٠
٢٤ ـ تراجم الحال	٥٤
٢٥ ـ كتب مختلفة	٥٠

نماذج من الكتب:

ومن الكتب النادرة والمهمة الموجودة في هذه المكتبة نذكر ما يأتى :

١ ـ تفسير الاسماء والصفات. ابو منصور البغدادى عبد القاهر بن طاهر (المتوفي فى ٤٢٩هـ).

٢ ـ تأويلات اهل السنة. الماتريدى ابو منصور محمد بن محمد (المتوفى فى ٣٣٣هـ)

٣ ـ الاكمال فى رفع الارتياب عن المؤتلف، ابو ماكولا ابو نصر علي بن هبة الله (٤٢٩ـ٤٨٧هـ).

٤ ـ الجماهير فى معرفة الجواهر. البيروني ابو الريحان بن محمد (٣٦٢ـ٤٤٠هـ).

٥ ـ تحرير المجسطي. الطوسى نصير الدين محمد بن محمد (٥٩٧ ـ ٦٧٢هـ).

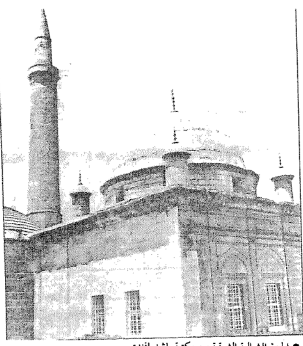
٦ ـ عجائب البلدان وغرائبها. ابن الجزار ابو جعفر احمد ابن ابراهيم الافريقي (المتوفي فى ٤٠٠هـ).

٧ ـ عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات. القزوينى زكريا بن م. (المتوفى فى ٦٨٢هـ).

٨ ـ عجائب المقدور فى نوائب التمور. ابن عرب شاه احمد ابن محمد (٧٩١ ـ ٨٥٤هـ).

٩ ـ اداب الازودية. ازود الدين عبد الرحمن بن احمد الايجى (٧٠٠ ـ ٧٥٦هـ).

١٠ ـ عبد المولى ابى خير. طاش كوبرى زادة احمد بن مصطفى (٩٠٦ ـ ٩٦٨هـ).



● الجهة الشمالية الشرقية من مكتبة راشد افندى

١١ ـ الاداب النافعة بالالفاظ المختارة الجامعة فى الامثال. ابن شمس الخلافة جعفر بن شمس الخلافة م. المصرى (٥٤٧ ـ ٦٢٢هـ).

١٢ ـ اسرار البلاد واخبار العباد. القزوينى زكريا بن م. (المتوفى فى ٦٨٢هـ).

١٣ ـ بغية الوعاة فى طبقة اللغويين والنحاة. السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن ابى بكر (٨٤٩ ـ ٩١١هـ).

١٤ ـ ديوان. المتنبي ابو الطيب احمد بن حسين الكندى (٣٠٣ ـ ٣٥٤هـ).

الهوامش

(1) Fehmi Edhem Karatay, Topkapi Sarayi Muzesi Kutuphanesi Arapca Yazmalar Katalogu, I, Istanbul, 1962

(2) Ali Riza Karabulut, Kayseri Rasid Efendi Kutuphanesindeki Turkce, Farsca, Arapca Yazmalar Katalogu, Kayseri, 1982, 1-2

(3) المصدر نفسه ، ص٢ـ٣

(4) Dr.Mehmet Seker-Ziya Kazici, Islam-turk Medeniyeti Tarihi, Istanbul, 1982,98,101

(5) Ali Riza Karabulut, المصدر نفسه ص٣ـ٤ .

(6) Selim Nuzhet Gercek,Turk المصدر نفسه، ص٧ـ٨ Matbaaxciligi, 1,94-99 Ahmed Cevdet Paşa, Tarih-i Cevdet,11, 191-192, Ali Riza Karabulut

(7) Ali Riza Karabulut, المصدر نفسه ص٩ـ١٠

(8) Ali Riza Karabulut, المصدر نفسه ص ١٠ـ١١

(٩) لقد نشرت الوقفية لاول مرة فى مجلة ارجياس ص ٦٥ ـ ٧٠.

ونشر فى مجلة الاوقاف من ناحية اخرى نص اعد بشكل اكثر دقة من قبل موجكن جونبور. ينظر الى:

Mujgan Cunbur, Kayseri de Rasit Efendi Kutuphanesi ve Vakfiyesi, Vakiflar Dergisi, VIII, Ankara, 1969, 188-195

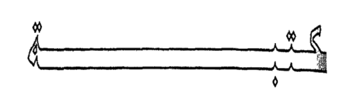
إعداد: التحرير

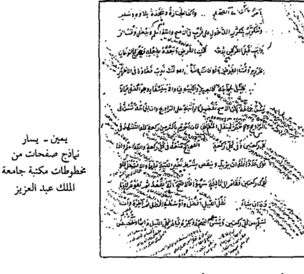
في العدد السابق الصادر في ذي الحجة ١٤١١هـ نشرنا جانباً من فهرس المخطوطات الموجودة في المكتبة المركزية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة.. وفي هذه الصفحات ننشر بعضا من اسماء

مخطوطات

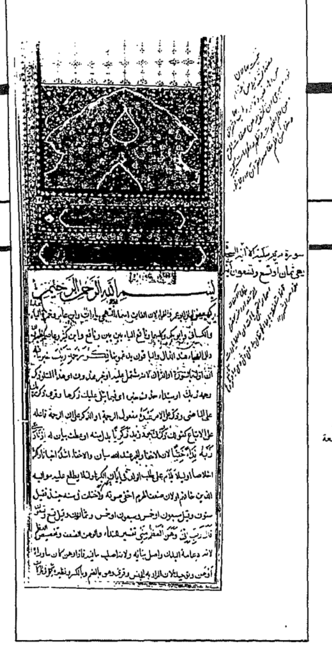
جامعة الملك عبد العزيز

المخطوطات المتعلقة بالجوانب الطبية والعلمية.. وفى أعداد اخرى نوالى نشر ما ورد إلينا من عناوين المخطوطات العربية والاسلامية من بعض المؤسسات العلمية الاخرى.





يمين - يسار
نماذج صفحات من مخطوطات مكتبة جامعة الملك عبد العزيز



● عقد ابن جنى فى الخصائص بابا للقياس

اللغـــة بيـن السـ

بقلم: د. فتحى أنور عبد المجيد الدابولى
أستاذ مشارك - كلية التربية للبنات بجدة

أولا: السمـــاع(١): يقصد به ما ثبت فى كلام من يوثق بفصاحته ويشمل كلام الله تعالى (القرآن الكريم) وكلام رسول الله ﴿ﷺ﴾ (الحديث الشريف الصحيح) وكلام العرب الخلص قبل بعثته وفى زمنه وبعده إلى وقت فساد الألسنة(٢) والذى حدده العلماء بمنتصف القرن الثانى الهجرى بالنسبة لعرب الحضر ومنتصف القرن الرابع الهجرى لأعراب البدو.

وسماع اللغة من أفواه أصحابها الأصليين هو الأساس فى روايتها والصحيح الذى يعتمد عليه فى قبولها.

أعلام السماع: وقد اشتهر فى العربية أعلام للسماع عرفوا به ولم يقبلوا غيره فى رواية اللغة وصحتها.

وأول هؤلاء الاعــلام أبــو عمـرو بن العـلاء البصرى (ت١٥٤هـ) أحد القراء السبعة، وجاء بعده: الاصمعى عبد الملك بن قريب (ت٢١٥هـ) الذى يقول ابن جنى فى حقه «إنه ليس ممن ينشط للمقاييس ولحكاية التعليل»(٣)، ويدلنا على ذلك: الرواية التالية: «حدث أبو صالح . . قال: قرأت على الأصمعى أرجوزة العجاج فلما بلغت:

تقاعس العز بنا فاقعنسسا

قال لى الأصمعى قال لى الخليل: أنشدنا رجل:

ترافع العز بنا فارفنععا

فقلت: هذا لا يكون فقال: كيف جاز للعجاج أن يقول:

تقاعس العز بنا فاقعنسسا(٤)

وتلاهما فى التشدد لرواية السماع والتمسك بها كثيرون كأبى عبيـــدة معمـــر بن المثنى (ت٢١٠هـ) ومؤرخ السدوس أبو فيد (ت١٩٥هـ) وغيرهم(٥).

ثانيا: القياس(٦): هو حمل غير المنقول على المنقول إذا كان فى معناه وبمعنى آخر هو «محاكاة العرب فى طرائقهم اللغوية وحمل كلامنا على كلامهم فى صوغ أصول المادة وفروعها وضبط الحروف وترتيب الكلمات وما يتبع ذلك من إعلال وإبدال الخ»(٧).

والقياس فى اللغــة أمــر ضرورى(٨) حيث يصعب الاحاطة بها عن طريق السماع ومن هنا رأينا مسائل اللغة وخصائصها فى كتب اللغة التى وصلت إلينا خاصة بعد أن دخل العرب فى الاسلام وأتقنوا لغته.

■ قال ابن جنى (ت٣٩٢هـ) فى مقاييس العربية: وهى ضربان: معنوى ولفظى(٩) ويستطرد ابن جنى فى الانتصار لهذه الظاهرة ويؤكد شيوعها فى العربية فيقول: «ومن ذلك قول أصحابنا: إن اسم المكان والمصدر على وزن المفعول فى الرباعى قليل إلا أن تقيسه وذلك نحو المدحرج وتقول: دحـرجتـه مُدَحْرجاً وهذا مُدَحْرجُنا وقلقلته مقلقلا وهذا مُقلقلنا وكذلك: أكرمته مكرماً وهذا مكرمك أى موضع إكـرامـك وعليه قول الله تعـالى ﴿ومزقناهم كل ممزق﴾ (سبأ/١٩) أى تمزيق وهذا ممزق الثياب أى الموضع الذى تمزق فيه(١٠)».

■ ثم يقول: «واعلم أن العرب تؤثر من التجانس والتشابه وحمل الفرع على الأصل ما إذا تأملته عرفت منه قوة عنايتها بهذا الشأن وأنه منها على أقوى بال. . . ومن ذلك حملهم حروف المضـارعـة بعضهـا على حكم بعض فى نحـو: حذفهم الهمزة فى: نكرم ويكرم وتكرم لحذفهم إياها فى: أكرم لاجتماع الهمزتين فيها نحو: أؤكرم وإن عريت بقية حروف المضارعة لو لم تحذف من اجتماع الهمزتين، ومن ذلك مراعاتهم فى الجمع حال الواحد لأنه أسبق من الجمع فلما أعلت الواو فى الواحد أعلوها فى الجمع أيضا نحو: قيمة وقيم، وديمة وديم ولما صحت فى الواحد صححوها فى الجمع نحو: ثور وثِوَرة»(١١).

■ ولأهمية القياس فى اللغة عقد له ابن جنى فى الخصائص بابـا مستقـلا بعنوان «ما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم» وابن جنى لا يقصر القياس على كلام العرب بعضه ببعض فقط بل يشمل القياس عنده ما قيس على كلام العرب من كلام غيرهم حيث يقول: «ألا ترى أنك لم تسمـع أنت ولا غيرك اسم كل فاعل ولا مفعول وإنما سمعت البعض فقست عليه غيره فإذا سمعت: قام زيد

السماع والقياس

أجزت: ظَرُف بشر وكرُم خالد قال أبو علي: إذا قلت طاب الخشكنان فهذا من كلام العرب لأنك بإعرابك إياه قد أدخلته كلام العرب(١٢).

ومن أئمة القياس فى اللغة غير ابن جنى: عيسى بن عمر (ت١٤٩هـ) والخليل (ت١٧٥هـ) ويونس بن حبيب (ت١٨٢هـ) وأبو زيد الانصارى (ت٢١٦هـ) وعبد الله ابن أبى اسحاق الحضرمى (ت١١٧هـ) الذى يعد أول من قال بهذه الظاهرة(١٣).

تعارض السماع والقياس:

لا ريب فى أن ما ورد إلينا من لغة العرب بعضه سماعى وبعضه قياسى، والسماعى يلزم قبوله كهيئته لا بوصية فيه ولا تنبيه عليه نحو حجر ودار، الخ.

والقياس ما يتدارك بالقياس وتخف الكلفة فى علمه على الناس، ومن هنا كان تصنيف العلماء فى أبواب اللغة كالمقصور والممدود يتقدم فيه المقيس ثم يتلوه المسموع(١٤).

ولكن إذا تعارض السماع والقياس «نطقت بالمسموع على ما جاء عليه ولم تقسه فى غيره نحو قوله تعالى ﴿استحوذ عليهم الشيطان﴾ (المجادلة/١٩) فهذا ليس بقياس لكن لابد من قبوله لأنك إنما تنطق بلغتهم وتحتذى فى جميع ذلك أمثلتهم ثم إنك من بعد لا تقيس عليه غيره ألا تراك لا تقول فى: استقام - استقوم ولا فى: استباع - استبيع(١٥).

والسماع فى اللغة قد يطلق على: الشاذ والقليل والأقل والنادر ويوصف بأنه «يحفظ ولا يقاس عليه».

أما المطرد والكثير والغالب والاكثر فيقال له: قياس ومقيس. والقياسي والسماعى كلاهما أصل فى اللغة لأنه مأخوذ عن العرب الخلص على اختلاف أماكنهم وقبائلهم(١٦).

أقسام ما ورد فى اللغة من حيث الاطراد والشذوذ

أصل معنى الاطراد فى لغة العرب: التتابع والاستمرار ومنه: مطاردة الفرسان بعضهم بعضا، واطرد الجدول إذا تتابع ماؤه بالريح ومعنى الشذوذ: التفرق والتفرد وشذ الشيء يشِذ ويشُذ شذوذا وشذا وأشذذته أنا... وشاذا أى متفرقا، جمعه شذاذ «ثم قيل ذلك فى الكلام والأصوات على سمته وطريقه فى غيرهما فجعل أهل علم العرب: ما استمر من الكلام فى الاعراب وغيره من مواضع الصناعة مطردا وجعلوا ما فارق ما عليه بقية بابه وانفرد عن ذلك إلى غيره شاذا.

■ وكلام العرب من حيث: الاطراد والشذوذ على أربعة أضرب:

١ - مطرد فى القياس والاستعمال جميعا وهذا هو الغاية المطلوبة وهو أكثر الكلام نحو: قام زيد، وضربت عمرا، ومررت بسعيد.

٢ - مطرد فى القياس شاذ فى الاستعمال نحو الماضي من - يذر ويدع - وقولهم «مكان مبقل» هذا هو القياس والأكثر فى السماع «باقل» والأول مسموع أيضا قال دؤاد لأبيه:

أعاشنى بعدك واد مبقل
آكل من حوذانه(١٧) وأنسل(١٨)

■ ومما يقوى فى القياس ويضعف فى الاستعمال مجيء: مفعول: عسى(١٩) اسما صريحا نحو: عسى زيد قائما أو قياما(٢٠).

■ هذا هو القياس غير أن السماع ورد بالاقتصار على ترك استعمال الاسم ههنا واستعمال الفعل نحو: عسى زيد أن يقوم ومنه قوله تعالى: ﴿فعسى الله أن يأتى بالفتح﴾ (المائدة/٥٢).

●● ومن الأول قول الشاعر:

أكثرت فى العذل ملحا دائما
لا تعذلا إنى عسيت صائما

٣ - مطرد فى الاستعمال شاذ فى القياس نحو قولهم: استصوبت الأمر ومنه: استحوذ وأغيلت المرأة واستنوق الجمل، واستتيست الشاة واستفيل الجمل، والقياس الاعلال فى الجميع ولكن الاستعمال ورد بدونه ولابد من اتباع السمع الوارد به فيه نفسه لكنه لا يتخذ أصلا يقاس عليه غيره، وذلك أنك إذا سمعت: استحوذ لا تقول فى استقام: استقوم ولا فى استساغ: استسوغ.. الخ.

٤ ـ شاذ فى القياس والاستعمال جميعا: كتتميم اسم المفعول فيما عينه واو نحو: ثوب مصوون، ومسك مدووف، وفرس مقوود. كل ذلك شاذ فى القياس والاستعمال فلا يسوغ القياس عليه ولا رد غيره إليه(٢١).

القياس والسماع بين البصريين والكوفيين(٢٢)

أخذ البصريون من علماء النحو بمذهب السماع اللغوى أى أنهم لا يضعون قاعدة إلا مع كثرة الأمثلة والشواهد الواردة فيها بينما أخذ الكوفيون بالقياس وبالغوا فيه حتى قاسوا على الشاهد الواحد(٢٣).

ويرجع السبب فى ذلك إلى أن البصريين أكثروا من جمع اللغة من مصادرها الأصلية فتجمع لهم أمثلة كثيرة وبنوا أحكامهم عليها معتمدين على كثرة الاستعمال والتداول وما جاء مخالفا لهذه القواعد فهو إما شاذ أو ضرورة(٢٤).

■ أما الكوفيون فقد اعتمدوا على الأعراب غير الخلص من مختلف القبائل غير العريقة فى عروبتهم بل كانوا يتساهلون فى التثبت من معرفة القائل إلى جانب حقدهم على البصريين فأجازوا كل مسموع وقاسوا عليه، قال الاندلسى فى شرح المفصل «الكوفيون لو سمعوا بيتا واحدا فيه جواز شىء مخالف للأصول جعلوه أصلا وبوّبوا عليه بخلاف البصريين»، قال: ومما افتخر به البصريون على الكوفيين أن قالوا «نحن نأخذ اللغة من حرشة(٢٥) الضباب وأكلة اليرابيع(٢٦)، وانتم تأخذونها عن أكلة الشواريز(٢٧) وباعة الكواميخ»(٢٨).

أهمية السماع والقياس فى عصرنا الحديث:

سبق أن ذكرنا أن الجزء الأكبر من لغتنا العربية سماعى وأن وجود القياس اللغوى أمر ضرورى وقد حفظت لنا معاجم اللغة وكتب التراث العربية مسموعها ومقيسها ومازلنا وسنظل نستخدمها ـ إن شاء الله ـ مادامت هذه الحياة.

وللقياس فى عصرنا الحديث أهمية خاصة حيث إن المصطلحات العلمية وما يستجد منها كل يوم فى عالمنا المعاصر وفى مختلف العلوم والفنون يتطلب من المختصين بهذه اللغة والمسئولين عنها تعريب هذه المصطلحات عن طريق لجان علمية مختصة تخضع هذه المصطلحات الى الأوزان العربية ـ كلما أمكن ـ وتقيسها على قياس كلام العرب: وبذلك نحقق: تقدم العربية ونهوضها بكل جديد وسعتها ومرونتها التى حققتها ـ على مدى الأيام ـ وعالميتها المستمدة من عالمية الدين الاسلامى والتى هى أداته ووسيلته التى لا ينهض إلا بها.

الهوامش

(١) مصدر: سمع يسمع بمعنى: قبل فالمسموع من اللغة يقبله الراوية وليس كل ما يسمع يقبل.

(٢) السيوطى ـ الاقتراح/٤٨ تحقيق د. احمد قاسم (ط/ الاولى ١٩٧٦م).

(٣) ابن جنى ـ الخصائص ١/٣٦١ تحقيق: محمد على النجار (ط/ الثانية ـ بيروت)

(٤) نفسه ١/٣٦٠، ٣٦١، د. حسين نصار ـ المعجم العربى ١/٢٥٨ (ط/ دار مصر للطباعة).

(٥) انظر د/عبد الحميد الشلقانى ـ رواية اللغة ٣١٤-٣١٦ (ط/ دار المعارف بمصر ١٩٧١م).

(٦) قسته على الشىء وبه أقيسه قيسا وقايسته بالشىء مقايسة وقياساً من باب: قاتل وهو تقديره به ـ انظر المصباح والقاموس (قيس).

(٧) السيوطى ـ الاقتراح/٩٤ نقلا عن ابن الأنبارى فى جدله، عباس حسن ـ اللغة والنحو بين القديم والحديث/٢٢، ٤٠ (ط/ الثانية ـ دار نهضة مصر).

(٨) هذا هو قياس اللفظ المتمثل فى الألفاظ والصيغ والأبنية ـ كما سيأتى فى الأمثلة ـ وهناك قياس المعنى وهو الخاص بدلالة الألفاظ مثل قياس المعنى الأساسى للكلمات المتضادة وذلك بوضع معيار متدرج لتحديد درجات الكلمات التى تقع فى التضاد المتدرج بين طرفين متضادين وعلى هذا المقياس يجرى توزيع سلسلة الكلمات المتضادة، وتبدو أهمية هذا القياس إذا كنا نبحث عن تضادات بعض الكلمات مثل: دافىء، نادر فهل مضاد الأول: معتدل أو بارد أو قارس، وهل مضاد الثانى: غالبا أو عادة أو باستمرار.. ويمكن بالنسبة لدرجة الحرارة وضع قياس متدرج على النحو التالى: غال ـ ساخن ـ حار ـ دافىء ـ معتدل ـ بارد ـ قارس ـ متجمد، وعمل مقياس للعلو مثلا توزع عليه الكلمات: يهمس ـ يوشوش ـ يتمتم ـ يتنهد ـ يغمغم، والاختلاف فى ملمح من ملامح الكلمة يجعلها متضادة مع ما يضادها من الكلمات.

انظر: احمد مختار عمر ـ علم الدلالة/ ٤٢-٤٩ (ط/الأولى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).

(٩) ابن جنى ١/١٠٩

(١٠) ابن جنى ١/٣٦٦، ٣٦٧

(١١) نفسه ١/١١١، ١١٢

(١٢) نفسه ١/٣٥٧

(١٣) انظر الشلقانى رواية اللغة ٣١٩-٣٢١ وابن جنى والخصائص ١/٣٦٩

(١٤) انظر: ابن جنى ٢/٤٢، ٤٣

(١٥) السيوطى ـ الاقتراح/١٨٨، ١٨٩، ابن جنى ١/١١٧

(١٦) عباس حسن ـ اللغة والنحو بين القديم والحديث/٤١، ٤٢ وقال ابن هشام «فالمطرد لا يتخلف والغالب أكثر الأشياء ولكنه يتخلف والكثير دونه والقليل دونه والنادر أقل من القليل فالعشرون بالنسبة إلى ثلاث وعشرين غالب والخمسة عشر بالنسبة إليها كثير لا غالب والثلاثة قليل والواحد نادر» السيوطى ـ الاقتراح/٥٩.

(١٧) اسم نبت.

(١٨) أسمن.

(١٩) يقصد خبرها

(٢٠) لأن المعنى لا يخبر به عن الذات إلا بتأول.

(٢١) انظر ابن جنى ـ الخصائص ١/٩٨، ١٠٠ وقارن بالسيوطى ـ الاقتراح

الهوامش

٥٨، ٥٩.

(٢٢) هناك فرق بين القياس والسماع عند : اللغويين والنحويين فهما وإن اتفقا فى الأساس إلا أنهم يختلفون فى المنهج والتطبيق ، فاللغويون يعتمدون فى السماع والقياس على ما سمع من اللغة من أفواه أصحابها والقياس عليه والنحويون يعتمدون على ما جمعه اللغويون من مادة لغوية ، ودراسة الحدود النحوية على ضوء هذه المادة من حيث الاطراد والشذوذ فالمطرد قياسى والشاذ سماعى .

(٢٣) انظر: محمد الطنطاوى ـ نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة/ ٩٠ (ط/ الثانية مع التعليق ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م).

(٢٤) نفسه/ ١١٣

(٢٥) جمع : حارشى وهو صائد الضب.

(٢٦) جمع يربوع .

(٢٧) جمع : شيراز وهو اللبن الثخين.

(٢٨) جمع «كامخ» بفتح الميم وربما كسرت معرب وهو ما يؤتدم به ويجمع أيضا على : كوامخ .

انظر الفيومى ـ المصباح المنير (كمخ)، السيوطى ـ الاقتراح/ ٢٠٢، الطنطاوى ـ نشأة النحو/ ١٢٠-١٢٢ .

المصادر والمراجع

● القرآن الكريم
● د/ أحمد مختار عمر ـ علم الدلالة ـ ط/ الأولى ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م
● ابن جنى ـ الخصائص تحقيق : محمد على النجار ـ ط/ الثانية ـ بيروت .
● د/ حسين نصار ـ المعجم العربى : نشأته وتطوره ـ ط/ دار مصر للطباعة ..
● السيوطى ـ الاقتراح فى أصول النحو تحقيق د/ احمد قاسم ـ ط/ الاولى سنة ١٩٧٦م
● عباس حسن ـ اللغة والنحو بين القديم والحديث ـ ط/ الثانية دار نهضة مصر .
● د/ عبد الحميد الشلقانى ـ رواية اللغة ـ ط/ دار المعارف بمصر سنة ١٩٧١م .
● الفيروز ابادى (مجد الدين) ـ القاموس المحيط .
● الفيومى (احمد بن محمد) المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير.
● محمد الطنطاوى ـ نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة . تعليق : د/ عبد العظيم الشناوى، د/ محمد عبد الرحمن الكردى ط/ الثانية ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٦م .

الازدواج اللغوى . . إلى متى؟

(... أصبحنا نعيش بلغة .. ونتعلم لغة أخرى، ونفكر بلغة، وندون افكارنا بلغة أخرى، ونتعامل ونشعر وننثر ونمثل ونخطب بغيرها).

(أمين الخولى)

هى لغة من اللغات السامية الجنوبية، إحدى طائفتى اللغات السامية(١) تلك التى تنتمى الى الفصيلة الحامية ـ السامية(٢).

ويرجع الباحثون أن الفضل فى نشر اللسان السامى فى بلاد الحبشة يرجع إلى عشائر سامية هاجرت إليها من جنوب بلاد العرب (اليمن) وامتزجت بسكان الحبشة الأصليين الذين كان معظمهم يتألف من أجناس حامية.. ولا يعلم على وجه اليقين تاريخ هذه الهجرة، ولكن من المقطوع به أنها حدثت قبل الميلاد المسيحى بعدة قرون.. ويؤخذ من شواهد كثيرة أنها لم تحدث مرة واحدة بل حدثت على دفعات متتالية.

بقلم: محمد السيد على بلاسى

مدرس أصول اللغة المساعد فى كلية اللغة العربية ـ جامعة الأزهر



● مجموعة وجوه من أثيوبيا

الحبشية.. وصلتها باللغة العربية

وقد اشتبك لسان هؤلاء الساميين مع لغات السكان الاصليين فى صراع انتهى بانتصاره عليها فى بعض مناطق قليلة فى بادىء الامر، ثم اخذ نطاقه يتسع شيئا فشيئا حتى بلغت الآن مساحة المناطق السامية اللسان نحو ربع مساحة الحبشة وأريتريا.

هذا، وتؤلف اللغة الحبشية مع اللغات اليمنية والعربية شعبة على حدة، فوجوه الشبه بينها وبين هذين الفرعين فى أصول المفردات والقواعد والأصوات أقوى كثيرا من وجوه الشبه بينهما وبين بقية اللغات السامية، وهى إلى اليمنية القديمة أدنى منها إلى اللغة العربية(٣).

وللغة الحبشية لهجات عديدة أهمها:

١ ـ اللهجة الجعزية: (gueze وهى مساة باسم الشعب الجعزى الذى يعد من أقدم الشعوب السامية التى نزحت إلى الحبشة). ويطلق عليها أحيانا اسم اللغة الحبشية القديمة ethiopien ancien ou classique وأحيانا اسم «اللغة الحبشية» مجردا من كل وصف ethiopien . وهى من أقدم اللهجات الحبشية السامية إن لم تكن أقدمها على الاطلاق. ولم يصل إلينا شىء عنها فى أدوارها الأولى، وأقدم ما وصل إلينا من آثارها يرجع تاريخه إلى سنة ٣٥٠ بعد الميلاد(٤).

وليس من شك فى أن اللغة الجعزية لغة سامية الأصل، لأن أصول اشتقاقاتها موجودة فى اللغة العربية وغيرها من اللغات السامية وكل ما فيها من العنصر الحامى لا يعدو كلمات قليلة، فقد تسرب إلى اللغة الجعزية بعض كلمات يونانية قبل انتشار المسيحية فى ربوع الحبشة، وكذلك اختلط بها أيضا بعض كلمات من السريانية والعبرية والعربية ولكن

هذه العناصر لم تؤثر شيئا فى أصول اللغة(٥).

■ هذا، ولم تعمر الجعزية طويلا فى ميادين التخاطب. فمنذ انهيار مملكة (أكسوم) وقيام مملكة (كوا) (Choa) على أنقاضها تحت حكم الأسرة الامهرية التى سيأتى ذكرها ـ أخذ نجم الجعزية فى الأفول وأخذت الامهرية تطاردها وتقتحم عليها معاقلها حتى انتزعتها منها جميعها أو معظمها، فانقرضت من لهجات الحديث كل الانقراض، أو لم يبق لها فيها إلا فلول ضئيلة. غير أن الجعزية بعد انقراضها من ميادين التخاطب، قد آوت إلى ركن شديد فى ميادين الكتابة والأدب والدين، فاستأثرت بهذه الشئون فى معظم المناطق الحبشية وظلت مستأثرة بها حتى العصر الحاضر، وإن كانت الأمهرية قد أخذت تنازعها هذا السلطان نفسه منذ اواخر القرن التاسع عشر(٦).

٢ ـ اللهجة الامهرية: وهى اللغة المستخدمة الآن فى التخاطب فى معظم المناطق الحبشية السامية اللسان. وكانت فى الأصل لهجة القبائل الامهرية (نسبة إلى منطقة أمهرا) ولكن منذ أن تقوضت مملكة أكسوم، وقبض على زمام الحكم سنة ١٢٧٠م أسرة أمهرية من منطقة كوا (الجنوب الغربى من بلاد الحبشة)، أخذ نطاق هذه اللغة يتسع شيئا فشيئا حتى وصل إلى الحد الذى وصفناه. ولم يقتصر نفوذها على ميادين التخاطب بل امتد كذلك إلى شئون الكتابة والآداب. وأقدم ما وصل إلينا عن الأمهرية بعض قصائد حربية يرجع تاريخها إلى القرون الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر بعد الميلاد.

وفضلا عن صراعها السابق ذكره مع أختها الجعزية، فقد اشتبكت مع اللهجات الحامية الكوشية، وخاصة فى المناطق الجنوبية، فى صراع آخر انتهى بانتصارها فى كثير من المواطن.

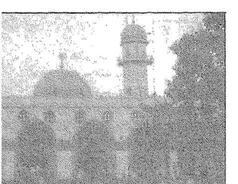
■ هذا، وإن كثرة احتكاكها باللهجات الحامية، وطول صراعها معها، وانتقالها إلى ألسنة كثير من أهلها، كل ذلك قد ترك بها آثارا كثيرة من هذه اللهجات. وتبدو هذه الآثار فى مختلف مظاهر اللغة: فتبدو فى الأصوات، كما تبدو فى القواعد وأساليب التركيب. فقد حذف منها بعض أصواتها السامية القديمة، واستبدل ببعضها أصوات أخرى ودخل فيها أصوات حامية جديدة وانقلبت فيها جميع القواعد السامية القديمة رأسا على عقب، وتغيرت فيها أشكال الضمائر وانقرضت منها معظم قواعد الجمع والتأنيث. أما مفرداتها فنصفها على الأقل قد انتقل إليها من اللهجات الحامية، والنصف الآخر السامى قد اجتاز مراحل كثيرة فى التطور الصوتى حتى بعد بعدا كبيرا عن أصله، ولهذا كله اتسعت مسافة الخلف التى تفصل الامهرية عن بقية أخواتها السامية(٧).

■ ولعل هذا كله، هو ما دفع «ولفنسون» ـ عالم اللغة المشهور ـ إلى أن يقرر ويقول: «وليس من شك فى أن اللغة الامحارية من اللغات السامية ولكن الصبغة الحامية فيها قوية جدا، حتى ليمكننا أن نقول: إن اللغة الامحارية هى الجسر الذى يصل بين العنصرين الحامى والسامى»(٨)

٣ ـ لهجة تيجرينيا، أو اللهجة التيجرينية: وهى متفرعة من اللغة الجعزية، ويتكلم بها فى منطقة تيجرينا التى تتوسطها مدينة أكسوم.

٤ ـ اللهجة التيجرية: وتستخدم هذه اللهجة فى المناطق الواقعة فى الشمال من منطقة اللهجة السابقة (التجرينية) وهى قوية الشبه بالجعزية.

٥ ـ لهجة مدينة هرر: وهى متفرعة من





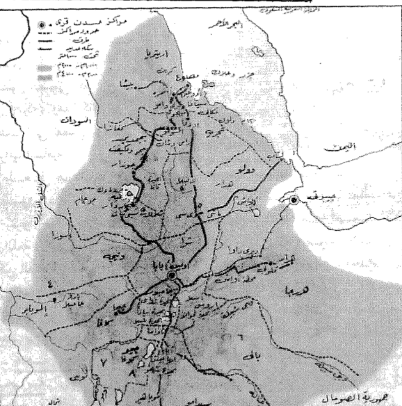
● اعلى مسجد فى هرر
● اسفل وجه من اثيوبيا فى الزي الشعبي

اللغة الامهرية، ولكنها بعدت عن أصلها بعداً كبيراً حتى أصبحت الآن لهجة متميزة غير مفهومة للأمهريين. ويرجع هذا إلى عاملين: أحدهما أنها تأثرت بلهجات حامية غير اللهجات الحامية التى احتكت بها الامهرية. والآخر ان اعتناق أهلها للدين الاسلامى قد ترك فيها آثارا من اللغة العربية فى صورة لا يوجد لها نظير فى الأمهرية المسيحية(٩).

■ مما سبق يتضح: أن اللغة الحبشية التى كانت تعاصر العصر الجاهلى وصدر الاسلام هى «اللهجة الجعزية» وقد كان رسم قلمها يكتب من اليمين إلى الشمال، كما كان يكتب الرسم السبئى الذى اشتق منه، ثم انحرف

● القلم الجعزى «نقلا عن تاريخ اللغات السامية: أ. ولفنسون»

أسماء الحروف	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	
١) Hōi	ሀውይ	ሀ	ሁ	ሂ	ሃ	ሄ	ህ	ሆ	𐩠	هـ
٢) Lawe	ለው	ለ	ሉ	ሊ	ላ	ሌ	ል	ሎ	𐩡	ل
٣) Haut	ሐውት	ሐ	ሑ	ሒ	ሓ	ሔ	ሕ	ሖ	𐩢	ح
٤) Mai	መይ*)	መ	ሙ	ሚ	ማ	ሜ	ም	ሞ	𐩣	م
٥) Śaut	ሠውት	ሠ	ሡ	ሢ	ሣ	ሤ	ሥ	ሦ	𐩦	ش
٦) Re'es	ረእስ*)	ረ	ሩ	ሪ	ራ	ሬ	ር	ሮ	𐩧	ر
٧) Sat	ሰት	ሰ	ሱ	ሲ	ሳ	ሴ	ስ	ሶ	𐩪	س
٨) Qaf	ቀፍ	ቀ	ቁ	ቂ	ቃ	ቄ	ቅ	ቆ	𐩤	ق
٩) Bet	ቤት	በ	ቡ	ቢ	ባ	ቤ	ብ	ቦ	𐩨	ب
١٠) Tawe	ተው	ተ	ቱ	ቲ	ታ	ቴ	ት	ቶ	𐩩	ت
١١) Harm	ኀርም	ኀ	ኁ	ኂ	ኃ	ኄ	ኅ	ኆ	𐩭	خ
١٢) Nahas	ናኅስ	ነ	ኑ	ኒ	ና	ኔ	ን	ኖ	𐩬	ن
١٣) Alf	አልፍ	አ	ኡ	ኢ	ኣ	ኤ	እ	ኦ	𐩱	ا
١٤) Kaf	ክፍ	ከ	ኩ	ኪ	ካ	ኬ	ክ	ኮ	𐩫	ك
١٥) Wawe	ወዌ	ወ	ዉ	ዊ	ዋ	ዌ	ው	ዎ	𐩥	و
١٦) ʿain	ዐይን	ዐ	ዑ	ዒ	ዓ	ዔ	ዕ	ዖ	𐩲	ع
١٧) Zai	ዘይ	ዘ	ዙ	ዚ	ዛ	ዜ	ዝ	ዞ	𐩸	ز
١٨) Jaman	የመን	የ	ዩ	ዪ	ያ	ዬ	ይ	ዮ	𐩺	ى
١٩) Dent	ድንት	ደ	ዱ	ዲ	ዳ	ዴ	ድ	ዶ	𐩵	د
٢٠) Gaml	ገምል	ገ	ጉ	ጊ	ጋ	ጌ	ግ	ጎ	𐩴	ج
٢١) Tait	ጣይት	ጠ	ጡ	ጢ	ጣ	ጤ	ጥ	ጦ	𐩷	ط
٢٢) Pait	ጰይት	ጰ	ጱ	ጲ	ጳ	ጴ	ጵ	ጶ	—	ف
٢٣) Sadai	ጸደይ	ጸ	ጹ	ጺ	ጻ	ጼ	ጽ	ጾ	𐩮	ص
٢٤) Sappa	ጸጸ	ፀ	ፁ	ፂ	ፃ	ፄ	ፅ	ፆ	𐩳	ض
٢٥) Af	አፍ	ፈ	ፉ	ፊ	ፋ	ፌ	ፍ	ፎ	𐩰	ف
٢٦) pa. psa	ፐሰ	ፐ	ፑ	ፒ	ፓ	ፔ	ፕ	ፖ	—	p.ps



بعد ذلك عن طريقته هذه، فأصبح يكتب من الشمال إلى اليمين وظل على هذه الحال إلى الوقت الحاضر(١٠).

هذا، ويشير المستشرق الألمانى «برجشتراسر» إلى أن: معظم الدخيل فى العربية من الحبشية يعود إلى أشياء دينية(١١)، ك(حواريون)، ومنبر، ومحراب، ومشكاة... وهذه الألفاظ تدل على الصلة بين المسلمين وبلاد الحبشة قبل الهجرة(١٢).

الهوامش

(١) تشمل مجموعة اللغات السامية طائفتين:

أ ـ اللغات السامية الشمالية: وتشمل اللغات الأكادية أوالآشورية البابلية، واللغات الكنعانية (العبرية والفينيقية) واللغات الآرامية.

ب ـ اللغات السامية الجنوبية: وتشمل العربية واليمنية القديمة، واللغات الحبشية السامية. علم اللغة: د. على عبد الواحد وافى، ص٢٠١، ٢٠٢، ط٩ ـ دار نهضة مصر. ولمزيد من التفصيل راجع: فقه اللغة: د. على عبد الواحد وافى، ص٢٥ وما بعدها. ط. دار نهضة مصر وكتاب تاريخ اللغات السامية: أ. ولفنسون، ط. أولى ـ دار القلم سنة ١٩٨٠م.

(٢) علم اللغة: د. على عبد الواحد وافى، ص٢٠١.

(٣) فقه اللغة: د. على عبد الواحد وافى ص٨٧، ٨٨ ـ بتصرف يسير ـ وراجع: تاريخ اللغات السامية: أ. ولفنسون، ص٢٥٤ وما بعدها، تجد مزيدا من التفصيل.

(٤) المرجع السابق: ص٩٠.

(٥) تاريخ اللغات السامية: أ. ولفنسون ص٢٦١ بتصرف.

(٦) فقه اللغة: د. على عبد الواحد وافى ص٩١، ٩٢ ـ بتصرف يسير ـ.

(٧) فقه اللغة: د. على عبد الواحد وافى ص٩٢، ٩٣ ـ بتصرف ـ ولمزيد من التفصيل راجع: تاريخ اللغات السامية: أ. ولفنسون ص٢٦٤ وما بعدها.

(٨) تاريخ اللغات السامية: أ. ولفنسون، ص٢٦٥.

(٩) فقه اللغة: د. على عبد الواحد وافى، ص٩٤، ٩٥ ـ بتصرف ـ وراجع: تاريخ اللغات السامية: أ. ولفنسون ص٢٦٦، ٢٦٧، تجد مزيدا من التفصيل.

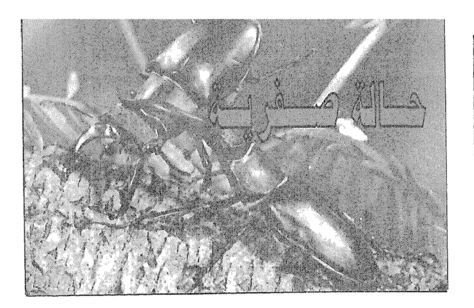
(١٠) فقه اللغة: د. على عبد الواحد وافى، ص٨٩، ٩٠ بتصرف.

(١١) راجع: إحصاء الكلمات الحبشية الدخيلة فى اللغة العربية فى كتاب:

Beitrage Zur Serntischen sprachwissenschaft Theodor Nildeke, Strassburg, 1910, S.46-66.

تجد صحة ما أشار إليه برجشتراسر.

(١٢) التطور النحوى للغة العربية: برجشتراسر، ص٢١٧ بتصرف. واللغة العربية. كائن حى: جرجى زيدان، مراجعة الدكتور مراد كامل، هامش ص٣٦.



بقلم: سعيد محمود سالم

حسبته أمرا عاديا أن يجرى أمامى صرصار ويكون فى متناول يدى فلا أفكر فى التخلص من وجوده الكريه فى غير مكانه . . ليس هذا من باب التعاطف معه أو انعدام الرغبة فى القضاء على حياته ، وانما لمجرد الكسل والشعور بعدم أهمية قتله أو تركه يرتع امامى فى وقاحة بين كتبى وأوراقى ، فمن الضرورى أن أبذل جهدا لرفع يدى ـ بعد أن تمسك بالحذاء ـ ومن الضرورى أن احكم الضربة واحسن تصويبها قبل أن أنقض عليه وإلا أفلت منى ، ومن الضرورى أيضا أن أستنفر فى نفسى إرادة قوية لا تعرف التردد فى قتله .

والحقيقة أننى لم اجد لنفسى مبررا واحدا لكل هذه الضرورات . . ورغم ذلك فقد كان لابد أن أبذل جهدا آخر ـ وإن كان عقليا ـ للتوصل إلى فهم ما يبرر موقفى الجديد تجاه الصراصير ، فأسوأ ما فى الأمر أنه ما من شىء فى هذه الدنيا إلا ويحتاج الى جهد سواء لفهمه أو الحصول عليه أو حبه أو كراهيته أو قبوله او رفضه .

كان إحساسى بالعدالة هو المبرر الحقيقى لموقفى من الصرصار . . فلماذا أقتله؟!! لأن منظره يؤذينى ويشعرنى بالتقزز بينما أترك مخلوقات أخرى ظلت تؤذينى وتصيبنى بالغثيان على مدى خمسة واربعين عاما دون أن أفكر حتى فى لومها أو مجرد إنذارها؟ لقد جاء هذا الصرصار فى تلك اللحظة لينبهنى الى حقيقة هامة تتعلق ببقائى على قيد الحياة ، وإن كنت لا أستطيع أن اجزم إن كانت العناية الالهية هى التى بعثت به الى الآن أم أنها مجرد صدفة كان من الممكن ألا تكون .

يسمونه بالصرصار الامريكى وهو صغير الحجم لا ينمو لأكثر من مليمترات محددة . . وقد حدثت بيننا مواجهة ساخنة تبادلنا فيها الحيلة والمراوغة والنظرات التأملية المنطوية على الغدر والخسة أحيانا وعلى البلاهة احيانا أخرى . . غير أن أحدنا لم يتخذ من الآخر موقفا إيجابيا يسفر فى النهاية عن فعل محدد .

ظل ينظر اليّ متوجسا وهو يحرك شواربه فى هدوء أحيانا وفى عصبية أحيانا أخرى . . يمشى قليلا الى الامام ثم يعود ثانية الى الخلف . . يحوم حول مساحة دائرية صغيرة فى متناول بصرى ويدى أتأمله بعمق ويتأملنى بغموض .

تعجبت كيف تحملت عيناى رؤية القبح ثم اعتادت هذا التحمل زمنا طويلا ، وتساءلت هل امتزج القبح بالجمال أم صار القبح جمالا أم أننى فقدت عينيّ ، أم أصبحت أنظر بعينين غير عينيَّ ، إم أننى لم أعد أنا؟!

لو كان فراشة ملونة جميلة لما كان فى الامر غرابة ، لكنه مخلوق قذر بشع المنظر رغم صغر حجمه ودقة تكوينه وبراءة نظراته الخبيثة النابعة من شدة جبنه وتشبثه بالحياة بأى ثمن .

تحرك فجأة باتجاه يدى الممسكة بكتاب ضخم . . اتسمت حركته بشىء من الحرص فى البداية ، وشيئا فشيئا تملكته الجرأة أمام سكوتى وصمتى وشعورى بالوحدة واستقرار الملل فى خلايا جسدى . . ازداد اقترابه من يدى حتى لامسها ، وبتدرج غير محسوس تسلل إلى جلدى فنفذ منه دون أن أحرك ساكنا .

شعرت به يجرى فى دمى ويسبح فى حرية تامة حتى وصل الى نفسى فاستقر بها .

عندئذ ظهر صرصار آخر وكرر معى نفس المحاولة ثم تلاه صرصار ثالث ورابع وخامس وألف حتى امتلأت نفسى بالصراصير وأنا فى حالتى الصفرية الساكنة التى لا تعرف الحركة الى يمين أو يسار أو أمام أو خلف أو فوق أو تحت!

وعندما اختفت الصراصير من أمامى شعرت فى البداية بقلق لم يلبث أن أعقبه شعور بالسعادة ترتب ظهوره على إدراكى المفاجىء أن القلق دليل على الحياة!

ولكن . . لأنى كنت يائسا فقد تعادل عندى شعور القلق بشعور السعادة ، فلم أعد أشعر بشىء!! .

● الأمير فيصل ـ فهد







● أ. د. احمد الضبيب
● أ. د. عبد الرحمن الانصاري

الأمير فيصل بن فهد يكرم المشرفين على معرض التراث

منح صاحب السمو الملكي الامير فيصل بن فهد بن عبد العزيز الرئيس العام لرعاية الشباب ورئيس اللجنة الدولية للحفاظ على التراث الحضارى الاسلامى المشرفين على معرض التراث الاسلامى الذى أقيم فى رحاب الجامعة العام الماضى ميداليات وشهادات تقديراً تقديراً من سموه لما بذلوه من جهود مميزة لنجاح اهداف المعرض وهم :

أولا: الحاصلون على ميدالية وشهادة تقدير: (الاستاذ الدكتور احمد الضبيب مدير الجامعة ـ الاستاذ الدكتور عبد الرحمن الانصارى عميد كلية الآداب ـ الدكتور سعد الراشد عميد شئون المكتبات ـ الدكتور احمد الزيلعي رئيس قسم الآثار ـ الدكتور على ابراهيم غبان).

ثانيا: الحاصلون على شهادة تقدير: (د. ساعد العرابى الحارثى رئيس قسم الاعلام ـ ود. خليل المعيقل، ود. سعود ذياب، ود. عبد الله بن آدم نصيف، ود. عبد العزيز العشبان).

ثالثا: الحاصلون على شهادة تقدير من الاداريين والفنيين: (ابراهيم البديعي، وفهد السليم، وسعد الحليبة وصالح الحجي وعبد الرحيم الأمين ومحمد على مصطفى ومحمود فرج ونبيل السكري وعبد البديع عبد الرحمن ومصطفى الخنيزي وإبراهيم الحصين وعلى العميرة).

الاكاديميون .. و.. وجع الدماغ

(.. لا أمانع فى أن يصدع الاكاديميون رؤوسهم بأعمالي ما داموا لا يطالبوننى بأن أشترى لهم الأسبرين..).

ورغم عدم الرغبة الواضحة لدى صموئيل بيكيت فى ان يشغل الاكاديميون أنفسهم باعماله فان الاكاديميين ـ مع سبق الاصرار والترصد ـ قد عقدوا اجتماعاً فى امارة موناكو لدراسة اعمال بيكيت.. وسيكون نتاج هذا اللقاء الاكاديمى إصدار خمسة مجلدات عام ١٩٩٤م تحوى مجموعة من رسائل بيكيت المنتقاة.

تعقيب وتصويب

فى عدد المنهل الخاص (الحديث النبوي والقدسى رواية ودراية) وفى موضوع (الحديث النبوى مصدرا للتشريع) أورد الدكتور وهبة الزحيلى حديث معاذ المشهور (كيف تقضى يا معاذ إذا عرض لك قضاء.. الخ) وقد تعقب الاستاذ محمد نجيب لطفى هذا الحديث فى عدد المنهل رقم ٤٨٦ فى الصفحة (٢٠٨)..

ولامانة الكلمة ننشر هذا التعقيب

الاستاذ نبيه الانصارى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ـ وبعد:

وصلنى العدد(٤٨٦) مع خطابكم اللطيف، وبالرغم من أنى لا أحب الجدل وكثرة الأخذ والرد، أرى لزاماً علي أن أبين الوجهة العلمية الصحيحة فى الحكم على حديث معاذ

لقد أنجز الفكر الاسلامى علمين عظيمين لا مثيل لهما فى العالم وهما علم مصطلح الحديث وعلم أصول الفقه، ولا يستغنى بأحدهما عن الآخر، فنحن نحترم مقاييس علم الحديث وضوابطه، ولكنا لا نقر أن يكون هناك ضيق فى الأفق العلمي أو التزام متزمت فى الأخذ بضوابط سند

الحديث دون فهم ولا دراية، وبخاصة إذا كان الحديث بمثابة أصل من أصول الاسلام فالمحدثون وإن كانوا أهل الصنعة إلا أنهم كما قيل عنهم من المجتهدين: يا معشر المحدثين، أنتم الصيادلة، ونحن الأطباء.

■ إن حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه في بيان أصول الاجتهاد رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن عدي والطبراني والدارمي والبيهقي، وهو حديث مرسل إلى النبي ﴿ﷺ﴾، قال الدارقطني عنه: «المرسل أصح» وقال البخاري في تاريخه الكبير: «مرسل إلا أن عدم اتصال إسناده لا يمنع صحته، لأنه مروى عن أصحاب معاذ، وهم كلهم ثقات». وقال الشوكاني في إرشاد الفحول ص٢٢٧، وهو محدث وأصولي: «وهو حديث مشهور، له طرق متعددة، ينتهض مجموعها للحجة، كما أوضحنا ذلك في مجموع مستقل».

واعترض ابن حزم في كتابيه: «الاحكام» و«إبطال القياس والاستحسان» على حديث معاذ بأنه من المراسيل، لأن الذين رووه عن معاذ مجهولون.

وأجيب على اعتراضه: بأن جهالة الرواة عن معاذ لا يمنع صحة الأخذ به لسببين:

أولا: إن هذا الحديث قد اشتهر وتلقته الأمة بالقبول، وما كان كذلك لا يقدح فيه كونه مرسلا، بل إن جهالة الرواة عن معاذ لا تضر، لأن القرائن والوثائق التاريخية دلت على أنهم عدول، فهم خلصاء معاذ، وشهرتهم لا تخفى على أحد.

ثانيا: إن هذا الحديث وإن كان مرسلا عن شعبة، والحارث بن عمرو مرفوعاً إلى معاذ، فإنه روى مسندا من طريق آخر، بإسناد عرف كل أصحابه، وكلهم ثقات ضابطون.

بهذا يتبين أن إرسال هذا الحديث في الرواية المرسلة لا تضر، لانه قد عضد بأقوال العلماء وقبولهم إياه، ثم إنه قد ثبت اتصاله من طريق آخر، والمرسل كما يرى الامام الشافعي رحمه الله مقبول إذا عضده مسند آخر، أو عضده قول أكثر العلماء، فكيف يجوز إدراج هذا الحديث في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة؟!.

والمهم لدينا صحة الاعتماد على الحديث، دون التشكيك به، لأن روايته في بعض الطرق مرسلة، ألا فليكن هدفنا من النقد بيان مدى صحة الاعتماد على حديث أو عدم صحته وإقفال الباب أمام المستشرقين الذين استغلوا الحكم الجانبي الحديثي على هذا الحديث، وحاولوا إبطال العمل به، مع أنه أصل من أصول الشريعة، فاللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وفقها في ديننا.

وحول حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أضيف ما يلي:

نسب إلى مقالي الاخ المعقب أني جزمت بنسبة حديث «ادرؤوا الحدود بالشبهات» إلى الرسول ﴿ﷺ﴾ ولم أكن في أثناء تعقيبي السابق تنبهت لهذا النقد.

والرجاء أن يتثبت هذا الأخ الكريم من نسبة الأخطاء لأصحابها، فقد وهم أو غلط حينما نسب هذا إلى مقالي فقال: جاء في نفس المقال السابق ما نصه: الخ، علماً بأن مقالي لم يشتمل على إشارة أو إيراد لهذا الحديث أصلا، فأرجو التصحيح، والبحث السابق أمامكم، وليبحث الأخ الكاتب المتعجل في النقد عن موضع هذا الحديث في مقال آخر، فإني لأشد حرصاً منه من هذا التهور بنسبة حديث أذكر تخريجه لطلابي منذ أكثر من ثلاثين عاماً.

أ.د: وهبة الزحيلي
رئيس قسم الفقه الاسلامي
ومذاهبه بجامعة دمشق

المنظمة الاسلامية للتربية والثقافة والعلوم: الرباط

استراتيجية الثقافة الاسلامية

الثقافة الاسلامية محور أساسي تلتقي عند مركزه كل نظم الحياة المثلى في مناهجها العليا الآتية والمستقبلية.. وبهذا المفهوم الشمولي للثقافة كانت الثقافة الاسلامية مع أشعة الشمس لتحتويها قلوب المؤمنين.

وما أن انحل عقد المسلمين، وتناثرت حباته حتى تناوشت ثقافتهم - التي هي مرتكزهم - مجموعة من الثقافات

● تابع ما قبله

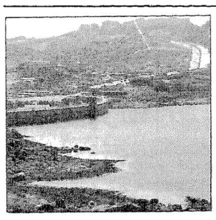
الوافدة، اصبحت تحتل مكان المرتكز. . ومن اجل انتظام حبات هذا العقد المتناثر، ومن اجل ارجاع الثقافة الاسلامية لسابق عهدها مهيمنة على كل تصرفات المسلم الغيور على دينه ومثله وثقافته، من اجل كل ذلك عقدت المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة فى الرباط مجموعة من جلسات العمل للمهتمين بموضوع (الاستراتيجية الثقافية الاسلامية) وذلك من اجل وضع برامج تربوية وثقافية للعالم الاسلامى تقوم على تمكين الامة الاسلامية من تعزيز وجودها ككيان ثقافى متميز.

وتعمل هذه الاستراتيجية على محاربة الهيمنة الثقافية والاعلامية التى تمارسها ثقافات الدول الصناعية. . كما تعمل على تمكين المسلمين من المساهمة فى بناء الحضارة الانسانية.

معرض الكتاب فى حيفا

رغم ما تعانيه الأرض المحتلة من قصف ودمار، فانها تظل متمسكة بالكتاب. . ويعد معرض الكتاب الذى أقيم فى (حيفا) وقد ضم نصف مليون كتاب ـ وزاره اكثر من اربعين ألف شخص ـ اكبر معرض منذ عام ١٩٧٦م.

ملتقى أبها الثقافى ملتقى الفن والابداع



ملتقى أبها الثقافى لهذا العام ١٤١٢هـ والذى ستبدأ أعماله وانشطته من الفترة ٢١ـ٢٦ من شهر صفر للعام الحالى ١٤١٢هـ تحت رعاية وإشراف صاحب السمو الملكى الأمير خالد الفيصل (أمير منطقة عسير)، سوف يشهد العديد من الانشطة الثقافية والأدبية والفنية. . هذا اضافة الى الامسيات الشعرية والمحاضرات والندوات واللقاءات والمعارض الفنية، الفردية والجمالية.

■ ومن المحاضرات التى ستلقى فى هذا الملتقى:

● حاضر العالم الاسلامى للدكتور عبد الله عمر نصيف.

● اعلامنا والمستجدات للاستاذ اياد مدنى.

■ مستقبل التنمية فى بلادنا لسمو الامير عبد الله بن فيصل بن تركي.

● كيف نثرى مصادر تاريخ منطقة عسير للدكتور محمد عبد الله آل زلفة.

● التجربة الابداعية فى النص الشعري للاستاذ احمد فرح عقيلان.

هذا وقد وجهت دعوات شخصية من سموه الكريم للادباء والكتاب والصحفيين لحضور هذه التظاهرة الثقافية المميزة.

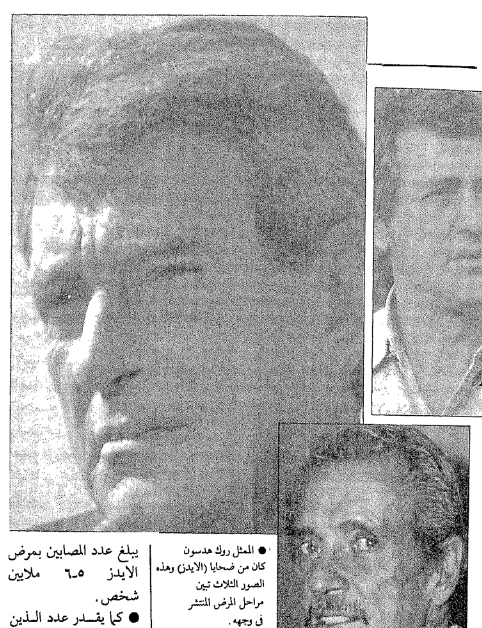
الايدز بالارقام

أعدت إدارة الصحة الوقائية (التوعية الصحية) بوزارة الصحة دراسة احصائية عن الايدز بالارقام حيث اتضح فى عام ١٩٧٨م في أول تقرير من قبل مركز إحصاء الامراض فى اتلانتا بولاية جورجيا الامريكية عن إصابة خمسة اشخاص بمرض نادر فى الرئتين وهذا المرض لا يصيب إلا الذين يعانون من انهيار نظام المناعة.

وفى عام ١٩٨٠م وردت تقارير تكشف اصابة ٢٦ شخصا فى نيويورك وكاليفورنيا بسرطان خبيث يعرف باسم ساكوركوما كابوي وهذا النوع من السرطان له علاقة وطيدة بانهيار نظام المناعة.

وفى عام ١٩٨١م تم التعرف على الايدز لأول مرة كمرض وبائي حيث تم إعلان اكتشاف مرض الايدز عن طريق مركز اتلانتا لمكافحة الامراض وأعلن عن اصابة ٤٥٧ حالة.

وفى عام ١٩٨٥م بلغ عدد المصابين بالايدز فى العالم ٢٠٠٠٠ مصاب



● الممثل روك هدسون كان من ضحايا (الايدز) وهذه الصور الثلاث تبين مراحل المرض المنتشر فى وجهه.

حسب تقارير منظمة الصحة العالمية التى صدرت مؤخرا.

● وفى عام ١٩٨٧ بلغ عدد المصابين اكثر من ٣٢٠٠٠ مصاب.

● وفى عام ١٩٨٩م بلغ عدد المصابين اكثر من ١٣٩٨٨٦ مصابا.

● وفى عام ١٩٩٠م بلغ عدد حالات الايدز المبلغ عنها لدى منظمة الصحة العالمية ٢٨٠,٠٠٠ حالة إلا أن منظمة الصحة العالمية تقدر أن العدد الحقيقي لحالات الايدز هو ١٢,٠٠٠٠٠ حالة من الرجال والنساء والاطفال فى العالم.

● ويتوقع عام ٢٠٠٠م ان يبلغ عدد المصابين بمرض الايدز ٥ـ٦ ملايين شخص.

● كما يقدر عدد الذين يحملون فيروس العوز المناعى البشرى فى العالم كله بين ٨ـ١٠ ملايين شخص.

● وعدد النساء المصابات بفيروس العوز المناعى البشرى في ارجاء العالم اليوم باكثر من ٣ ملايين امرأة.

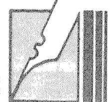
● مع حلول عام ١٩٩٢ سيتجاوز عدد الاطفال المولودين لأمهات يحملن فيروس الايدز ٤ ملايين طفل ويقدر ان حوالى مليون طفل من هؤلاء سيكونون مصابين بالفيروس عند ولادتهم.

● في عقد التسعينيات سيصبح عدد اليتامى من الاطفال الاصحاء ممن فقدوا اباءهم او امهاتهم بسبب الايدز اكثر من ١٠ ملايين طفل.

● فى عام ٢٠٠٠م يتوقع ان يبلغ عدد الحاملين لفيروس العوز المناعي البشرى ١٥ـ٢٠ مليون شخص من مختلف الاجناس.

● منذ عرف الايدز ظهرت اعراض المرض على نسبة تتراوح من ١٠٪ الى ٣٠٪ تقريبا ممن اصيبوا بالعدوى، وظهرت نسبة اخرى من بينهم تتراوح بين ٢٠٪ الى ٥٠٪ اعراض مرتبطة بالايدز والنسبة الباقية لم تظهر عليها اية اعراض بعد.

● بلغت نسبة الوفيات بالايدز فى اوائل الثمانيات ٩٠٪ حيث دلت الدراسات الاحصائية على ان معدل الوفاة بعد سنتين من ظهور الاعراض هو ٥٠٪ وبعد ثلاث سنوات من ظهور الاعراض هو ٨٥٪ وبعد خمس سنوات




● تتمة ما قبله

من ظهور الاعراض هو ١٠٠٪.

اما عن الدول التى ظهر بها الايدز:

● فمن عام ١٩٧٨-١٩٨٠ لم يعرف الا فى الولايات المتحدة.

● وفى عام ١٩٨١ بلغ عدد الدول التى ظهر بها الايدز ٨ دول هى الولايات المتحدة والبرازيل وفرنسا وهاييتى والمانيا الغربية وبريطانيا وكندا واستراليا.

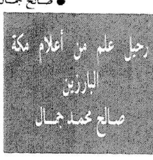
● وفى عام ١٩٨٧م بلغ عدد الدول التى ظهر بها الايدز ١٢٩ دولة.

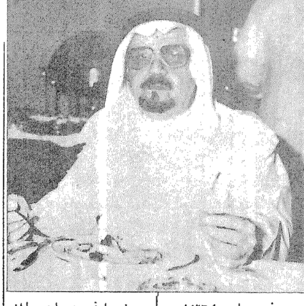
● وفى عام ١٩٨٩م بلغ عدد الدول التى ظهر بها الايدز ١٤٠ دولة.

● وفى عام ١٩٩٠م بلغ عدد الدول التى ظهر بها الايدز ١٥٠ دولة.

● وفى نهاية العام نفسه زاد عدد الدول التى انتشر بها الايدز حتى بلغ ١٥٧ دولة.

● صالح جمال





برحيل الاستاذ صالح جمال تفقد المملكة واحدا من أعلامها الثقافية.. فقد كانت حياته حافلة بالعطاء والخير حيث كان رحمه الله من خيرة الأجلاء الأوفياء الصادقين المؤمنين العاملين من أجل حب المجتمع وحب الجميع، وكان محبا للخير يؤثر على نفسه، وكان من أفضل الناس خلقا يجيد فن التعامل الانسانى إلى كل من يتعامل معهم، وكان أديبا مثقفا رائعا فى كل شيء.

ولد بمكة المكرمة عام ١٣٣٨هـ الموافق عام ١٩٢٠م، تلقى تعليمه أولا فى بعض الكتاتيب، ثم التحق بأول مدرسة تحضيرية أنشئت بالمملكة العربية السعودية هى المدرسة التحضيرية بالصفا، ومنها انتقل الى أول مدرسة ابتدائية بالمسعى، وبعد ذلك انتقل الى المعهد العلمى السعودى بأجياد - كان المعهد يعادل المرحلة الثانوية.

فى عام ١٣٦٤هـ أسس مع بعض أصدقائه مكتبة الثقافة بمكة المكرمة، ثم أسس مطابع دار الثقافة.

حصل على امتياز إصدار جريدة حراء ورئيس تحريرها فى عام ١٣٧٦هـ حتى أدمجت فى جريدة الندوة عام ١٣٧٨هـ.

فى شعبان من نفس السنة أصبح رئيسا لتحرير جريدة الندوة.. كان عضوا بالمجلس الاعلى لجامعة أم القرى فى بداية انشاء الجامعة وفى فترة سابقة استفادت الجامعة فى خلال تلك الفترة من فكره وعلمه وثقافته واقتراحاته الطيبة، كما كانت له أعمال خيرية فى بعض الجمعيات الخيرية بمكة المكرمة، كما كان رئيسا للمجلس البلدى بمكة المكرمة وعضوا فى جمعيات ولجان عديدة وكان له قلم يدافع به عن كثير من القضايا والشئون الاسلامية.

يعتبر الاستاذ صالح جمال من رواد الصحافة السعودية وكاتبا مرموقا، صدر له: (من أجل بلدى - دليل الحاج المصور - المرأة بين النظرتين - حقق كتاب أخبار المدينة لابن النجار - مذكرات وذكريات مخطوط - رحلاتى ومشاهداتى فى العالم).

فرحم الله الفقيد رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

نادى جدة الأدبى

«لغتنا الجميلة» كانت المحاضرة القيمة التى القاها الاديب الشاعر فاروق شوشة فى نادى جدة الادبى.. وكانت المحاضرة مطعمة بالكثير

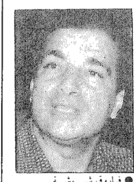
من القصائد المختارة التى القاها الشاعر فاروق شوشة.

نادي جـازان الادبي

الأدب الاسلامى بين الواقع والتنظير تحت هذا العنوان تحدث الدكتور محمد بن سعد بن حسين فى محاضرته التى ألقاها فى نادى جازان الأدبـي.. تناول المحاضر العديد من النقـاط ذات الاهمية، لا سيما تأكيده على أن الشعر العربى القديم قد اهتم بالجانب الاخلاقى وأولاه عنايته واهتمامه.. كما نفى ما أشيع بأن الادب الانـدلسى فيه كثـير من المجون.. واشار المحاضر إلى أن كل من يقول بذلك لا شك واقـع تحت تاثير المستشرقين والمستغربين.

النادى الادبي فى المدينة المنورة

الأديب الموسوعي أبو عبـد الـرحمن بن عقيل الظاهري ألقى فى النادى الأدبى فى المدينة المنورة محاضرة بعنوان (أهم قضايا الفكر والادب فى الساحة الثـقـافية) واستعـرض المحـاضر فيهـا عددا من القضـايا المطروحة على السـاحـة الأدبية فتحت مجالا واسعا للمناقشة.. كما القى الاستاذ عبد السلام احمد الراغب محاضرة فى نفس النـادي تحت عنوان (قراءة جديدة فى شعر عمر ابو ريشة).


● فاروق شوشة


● د. محمد سعد بن حسين


● أبو عبد الرحمن بن عقيل


● عمر أبو ريشه

نادى أبها الثقافى
أضواء على الأدب فى الاحساء

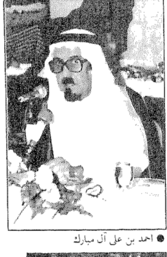
كان هذا عنـوان المحـاضرة التى القـاها فى نادي أبهـا الأدبى الاستاذ الشـاعـر احمد بن على آل مبـارك السـفـير بوزارة الخـارجية.. استعـرض المحاضر فى مقدمة محاضرته ملامح منطقة الاحساء الجـغـرافية والـبيئية والاجتماعية والأدبية.. ثم استعـرض أبرز شعراء الأحسـاء منـذ العصر الجـاهـلى، ثم صدر الاسلام، والدولة الاموية والعباسية حتى الشعراء المعاصرين الآن.. وتوقف عنـد العـديد من الشعراء الـذين يمثلون النـماذج الشعرية المتميزة فى تاريخ الأحساء الشعري.

كرم مطاوع .. هل يعدل مسار الاعلام؟

«.. إن الاعـلام سيظل محتـاجاً الى نبض الابداع، والثقافة دوماً فى حاجـة الى من يعلن عنها ويلقى الضوء على مظاهر إبداعاتها.

فالاعـلام بلا ثقـافـة طبل أجوف، وعندما نضع الاعـلام فى خدمة الثقافة فإننـا نصحـح الـوضـع ونعـطى له عمقـاً إنسـانياً يستحق بموجبه أن يكون مبجلا..»

هذه فقـرة من الكلمة التى القـاهـا الفنـان كرم مطاوع فى المهـرجان الذى


● احمد بن على آل مبارك


● كـرم مطـاوع

أقامته جمعية الأدباء والكتاب بالاسكندرية تكريما لرجال الاعلام والادباء والفنانين فى مصر.

والآن هل تمثل هذه الكلمة وجهة نظر لتعديل مسار الاعلام..؟؟ وحسبنا ان نردد معه بصوت مرتفع (إعلام بلا ثقافة طبل اجوف).

اصدارات جديدة:

●● «كلمات قرآنية أو مفردات القرآن» مؤلف جديد للفريق يحى عبد الله المعلمى.. والكتاب تخير مجموعة من مفردات القرآن الكريم، قام المؤلف بشرح معانيها في اللغة وبيان أصل المعنى، وما طرأ عليه من تطورات ثم ابراز المعنى الذي وردت به الكلمة فى القرآن الكريم.

وجاء ترتيب هذه الكلمات المختارة على طريقة المعاجم العربية وذلك بارجاع الكلمة الى اصلها المجرد.

الكتاب من الحجم الكبير فى (٥٥٠) صفحة توزيع دار المعلمى للنشر - الرياض.









●● «الشواهد والامثال فى القرآن الكريم» تأليف الفريق يحى عبد الله المعلمى وهو الكتاب الرابع للمؤلف سلسلة الكتب القرآنية.. وهو اختيار لبعض الآيات القرآنية التى تجرى مجرى الأمثال ويستشهد بها فى أحاديث الناس فى المواقف التى تناسبها.. ومن خلال الآية يوضح المؤلف مضمون الاستشهاد بها.

والكتاب فى مجمله يعمل على تركيز هذه الآيات فى الأذهان مع المضمون العام لها.

الكتاب من الحجم الكبير فى ٣٨٠ صفحة.. توزيع دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع - القاهرة.

●● «ديوان رماة الحجر» للشاعر الاستاذ كمال عبد الكريم الوحيدى - الطبعة الاولى - الدوحة/ قطر.. الديوان من الحجم المتوسط فى (١٤٠) صفحة.. ويضم (٥٢) قصيدة تدور حول طفل الحجارة الذى أصبح ظاهرة أقلقت اسرائيل، ومن والاها.. وللمؤلف مجموعة أخرى من الدواوين الشعرية والمؤلفات النثرية منها مجموعة قصص:

●● «رجال من مكة المكرمة» الجزء الثاني.. تأليف زهير محمد جميل كتبى.. صادر عن دار الفنون للطباعة والنشر - جدة.. الكتاب فى (٢٧٠) صفحة من الحجم المتوسط.

تناول فيه المؤلف (١٢) شخصية من رجال مكة المكرمة هم: (الشيخ عبد المهيمن ابو السمح - الشيخ محمد صالح قزاز - الدكتور السيد محمد علوي المالكى - الشيخ جنان محمد طيب - الاستاذ محمد صالح الخزامى - الاستاذ حسين عبد الغفار - السيد بكر تونسي - الشيخ عبد الله عاشور - الشيخ محمد صالح باشراحيل - محمد محمود سفر السفيانى - الاستاذ صالح محمد جمال - الشيخ احمد هاشم بدر).

والكتاب يضم بعض الصور الشخصية النادرة.

●● «فصول زمكانية» تأليف حماد السالمي الطبعة الأولى ١٤١١هـ/ الجزء الاول - صادر عن دار الحارثى للطباعة والنشر - الطائف - المملكة العربية السعودية.

الكتاب من الحجم الكبير يقع فى (٢٨٦) صفحة.

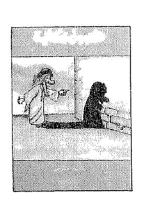
الكتاب يضم مجموعة متفرقات مجتمعة، فيها الموضوع، والطرفة،

والخبر، والمثل، والنادرة والحكمة، ، وغير ذلك من الموضوعات خفيفة الظل، مرحة التناول. . يضم الكتاب اربعة فصول (ابتسامات - سياحة وسفر، مدن وبلدان - في الحب والأدب والحياة - متفرقات).

●● «منتهى الهدوء» مجموعة قصصية للقاصة شريفة الشملان من اصدارات نادي القصة السعودي . . يضم المؤلف (١٥) قصة قصيرة في ١٠٦ صفحة من الحجم الصغير. . وهو أول اصدار للمؤلفة.

●● «تقاسيم على الرمس» ديوان شعر للشاعر دخيل الله أبو طويلة من الحجم الصغير في (٥٦) صفحة من اصدارات نادي الطائف الأدبي، وقدم له الاستاذ سعيد السريحي.

●● «ذكريات» تأليف الاستاذ احمد علي - مطبوعات نادي الطائف الأدبي. . الكتاب من الحجم الكبير (١٦٦) صفحة. . ذكريات في الأدب والتاريخ والفن في الحياة الاجتماعية والمجتمع. . ذكريات شتى في مواضيع شتى يضم شملها جميعها ذاكرة كاتبها.









●● مجلة البحوث الفقهية المعاصرة. . مجلة متخصصة في الدراسات الفقهية. . تتناول في دراساتها وبحوثها العديد من الموضوعات المستجدة على الساحة الاسلامية والتي يحتاج النظر فيها إلى كثير من العمق الفقهي، وذلك لالتصاقها بحياة المسلمين الحاضرة وما يجد في واقعهم المعاش مما يستلزم إيجاد منبر متخصص يبحث هذه المستجدات في ضوء الفقه الاسلامي، لإبداء الرأى الفقهي الأرجح فيها.

وفي هذا الظرف الذي تتلاحق فيه مستجدات ومعطيات حياتنا الحاضرة تأتي «مجلة البحوث الفقهية المعاصرة» لتسد جانباً من هذه «الثغرة الفقهية» وهي لا شك تقدم جهدها في هذا المجال ما استطاعت الى ذلك سبيلا. . وفي عددها التاسع من السنة الثالثة (شوال - ذو القعدة - ذوالحجة).

تناولت مجموعة من الموضوعات الدقيقة منها:

- رسوم الخدمات العامة - د. عبد الله بن مصلح الثمالي
- السفارات في النظام الاسلامي - د. حسن محمد سفر
- الفتوى ضوابطها وآثارها - د. عبد الرحمن بن حسن النفيسة
- مسائل في الفقه.

● ويضم العدد مجموعة من فتاوى المجامع الفقهية وموضوعات اخرى.

- كما يشمل قسماً مترجماً الى اللغة الانجليزية ليضم مجموعة من الدراسات.

■ مجلة البحوث الفقهية المعاصرة



مفارقـــات:





● وسط هذا الدمار، والحرائق المشتعلة لبيل نهار، هناك من يسهرون ليلهم غناء وطربا.. هل نقول: إ نها طبيعة الحياة.. ام كل يغنى على ليلاه.

مراجعـات:

فى الـعـــدد (٤٨٧) رمضان وشوال من (المنهل) الغراء عنت لى مراجعات أثبتها فى الآتى :

١ - ص (٣١) فى مقـال (زيارة الى المسجد الأموى) جاء قول الكاتب (ويعبر عن تصميم الوليد وخطته قوله حين عزم على (إشادة) المسجد. والصواب أن يقال (شـيد) المسـجـد أو (تشييده) فالفعل (شاد) بمعنى بنى وأقام ثلاثى ومنه (الشيد) وهو الجص. أما (أشاد) الرباعى فلا يأتى بمعنى البنـاء وإنما بمعنى الذكر والتنويه.

٢ - ص (٧٠) فى مقـال المضمـون الاسلامى فى الشعـر الفلسطينى) جاء قول الكـاتـب (ونسب الحبشية الى (أرقـده) بالقـاف وهى (بـالفـاء) واغلب الظن انه تصحيف تطبيع.

٣ - ص (٨٠) فى مقـال (الـدولـة الاسلامية.. أصـولهـا ونشأتها) قال الكـاتب فى قولـه تعـالى (فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر) بالسـين وقـد جاءت فى المصحف العثمانى (بـالصـاد) وهـو الأسـاس فى القـراءة وإن صح التعادل بينهما لغة.

٤ - ص(٨٠) فى المـقـال نفسه ذكر الكاتب قول الله تعـالى (وما من دابـة فى الأرض ولا طائـر يطير بجنـاحيه إلا (أمم) أمثالكم) معقبا بقوله «بأننا نهتم بطبيعـة الحال باستخدام القرآن الكريم لمدلول (الأمة) فى نطاق الجماعات البشرية.. وما كانت ثمـة حاجـة لهذا القـول لأن (الأمـة تطلق على جماعة البشر قبل جماعة الـطير فى قولـه فى الآية (أمثالكم) أى كما أنتم أمة من الأمم.

٥ - ص (٨٢) فى المقـال نفسـه جاء قول الكـاتب (وتتفق (كافة) التعريفات على ان الـدولة تتكون من عدة أركان..) و(كافة) لا تاتى إلا حالا فى الاستعمال اللـغـوى السليم وكـان الصـواب ان يقال (وتتفق التعريفات (كافة) على كذا وكـذا..) قال تعالى (وما ارسلناك إلا (كافة) للناس).

٦ - ص (٨٢) فى نفس المقال ذكر الآية من سورة هود (ما كنت تعلمها أنت ولا (قـومكم) والصـواب (قومك) وهو خطأ تحريف.

٧ - ص (١٢٠) فى قصيدة (شوال) جاء قول الشاعر:

وأنسى أن لى ذكرى وانسى
أين (عنوانى)
وتصبح خمسك الذكرى
وكل رموز (عنوانى)

وقـد كرر الشـاعـر لفظ القـافية (عنوانى) فى بيتين متتاليين وهو خطأ عروضى يسـمـى (الايطاء) نربـأ بالشعراء من الوقوع فيه.

٨ - ص(١٣٥، ١٣٧) فى مقـال (الـكى) جاء قول الـكـاتـب (فـان الـكى التقليدى يفيد فى (ايقاف) النـزيف من الأوعية).. وتكـرر هذا الخطأ فى اكثر من مكـان فى المقـال.. والصواب (وقف) النزيف وهـو من الفعـل الثـلاثى (وقـف) لازم ويتـعـدى بنفسه وهى اللغة الفصيحة الصحيحة.

٩ - ص(١٣٨) فى المقال نفســه جاء قول الكـاتب (وضيق الصـدر والسعـال و(عـرق الـنـسـا)).. والصـواب (النسا) لأنه اسم عرق بذاته.. واكثر المعاجم أن (النسا) عرق فى الفخذ والتثنية (نسيان) ولا يقال (عرقا النسا).

هذا بعض ما عن لنـا مراجعته والله الهادى الى الصواب.

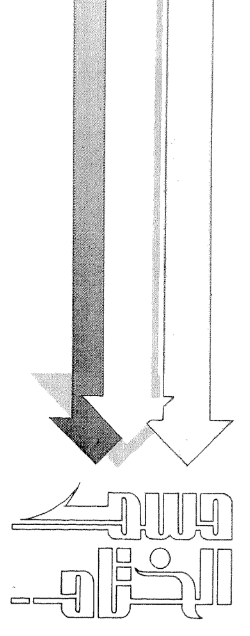
(عدنان أسعد)



يا إلهي . . يا مسبحا بكل لسان.
يا من لا ينبغي التسبيح إلا له . .
ياذا المن والفضل . . ياذا العز والكرم
أسألك بأسمائك المطهرة، المعروفة، المكرمة، الميمونة، المقدسة.
أن تحفظنا بحفظك . .
وأن تجعلنا في كنفك . .
وأن تحفظ قلوبنا من القلق والاضطراب
وأن تطهر أفكارنا من الشك والارتياب
يا الهي: يابديع السموات والأرض . .
أسألك بنور وجهك وقوة سلطانك المبين وجبروتك المتين:
أن تسترنا بقدرة اقتدارك من كل حاقد حسود . .
وأن تعيذنا بنكال قهرك من كل شيطان مريد . .
وأن تحجبنا بعز اعتزاز عزك من كل ظالم غشوم . .
وأن تدمر بسطوة قهرك كل عدو جبار يريد بنا سوءا
يا إلهي: يا خالق كل شيء ولا شيء يشبهك.
يا من أنت مع كل شيء ولا شيء معك . .
يا من نحن من صنع قدرتك . .
يا من لا حدود ولا نهاية لعزه ومجده.
يا من لا ينبغي التسبيح إلا له:
ارحمنا بترك المعاصي أبدا ما أبقيتنا.
وارحمنا أن نتكلف مالا يعنينا . .
وارزقنا حسن النظر فيما يرضيك عنا
واشرح بكتابك صدورنا، وفرج به همومنا
يا أرحم الراحمين.







الوطن .. بين أزمة

أحيانا يجد الانسان نفسه مجبورا على نقد صحافتنا المحلية بشيء كبير من القسوة، والسبب ان صحافتنا تتبنى احيانا القضايا ذات السمة الافتراضية.. وللأسف لا يفرق اصحاب تلك القضايا بين القضية التى تؤرق المجتمعات الغربية.. وبين المشاكل التى قد توجد فى المجتمع السعودى.

ان البعض يناقش موضوعات تتحرك بسرعة فى المجتمعات الغربية، ولكنها لا تجد حراكا لها فى مجتمعاتنا فلقد سئلت فى الاسبوع الماضى - على سبيل المثال - من قبل احد الصحفيين عن كيف أنصح القارىء اختيار كتابه وسط الكم الهائل من الكتب المطروحة اليوم فى السوق السعودى للكتاب؟

بالتأكيد هذه مشكلة من المشاكل التى يعانى منها المجتمع الغربى وليست اطلاقا مشكلة من المشاكل التى يعانى منها سوق الكتاب السعودى.. واذكر اننى سألت المرحوم الاستاذ احمد عبد الغفور عطار عن كم نسخة يقترح على أن اطبعها من احدى مؤلفاتى..

فقال لى: لا تزد عن الف.

فنظرت اليه فى ضجر وقلت: لماذا؟

فقال ان كتبى (وأنا أشهر منك) تجد راحتها فوق ارفف المكتبات بالشهور والاعوام.

فقلت له: وهل هذا يسبب تكدسا للكتب فى المكتبات وسوق الكتب.. أعنى هل كان هذا بسبب زيادة العرض على الطلب واصابة سوق الكتاب بتكدس الكتب.

قال: لا بالعكس، المشكلة اننا نعانى من قلة وجود الكتاب، ولذلك فإن جوهر المشكلة يكمن فى عدم وجود القارىء.

■ وفى عام ١٣٨٧هـ حضرت محاضرة القاها الاستاذ عزيز ضياء فى مدينة الملك سعود العلمية بجدة وكان موضوعها «تاريخنا لم يقرأ بعد».

وحول المحاضرة دارت حوارات ساخنة مفادها ان كتب التاريخ موجودة ولكن القارىء غير موجود، وان السوق السعودى للكتاب هزيل ضعيف لا يغذى بالكتاب الجيد المدروس .. اى انه رغم ان سوق الكتاب موجود.. الا ان القارىء غير موجود، فهذا بالطبع لا يشجع على المزيد من الكتب والمؤلفات.

وما أشبه اليوم بالبارحة، فلقد سألنى - كما سبق ان ذكرت - احد



بقلم: د. أمين ساعاتى

الكتاب وأزمة القراء

الصحفيين عن كيف اعاون القارىء على الاختيار امام الكم الهائل من الكتب التى يزخر بها سوق الكتاب؟.

ولقد قلت للصحفى: ربما اختلف معك فى ان سوق الكتاب السعودى يكتظ بكم هائل من الكتب.. والصحيح هو ان سوق الكتاب السعودى يفتقد الى كم هائل من الكتب.

وتساءلت هل تعرف كم كتابا تستقبله ـ مثلا ـ سوق الكتاب الامريكى كل يوم؟.. ان آخر الاحصائيات اشارت الى ان سوق الكتاب الامريكى تستقبل اكثر من مائة الف كتاب فى اليوم الواحد وفى شتى العلوم.. ابتداء من كتب الكومبيوتر والجغرافيا والطبوغرافيا.. الى التاريخ والسياسة والرحلات والأدب والبحث والسياحة والاقتصاد والاجتماع.. وحتى الذرة.

وفى مقابل هذا العدد الهائل من الكتب فى السوق الامريكى فان السوق السعودى لا اتصور انه يستقبل اكثر من ثلاثين كتابا جديدا فى اليوم ترده من كافة الاقطار العربية.

وطبعا الفرق كبير بين ثلاثين كتابا فى اليوم.. مقابل مائة الف كتاب فى اليوم..

اذن الخيار ليس مطروحا امام القارىء السعودى.. بل بالعكس، فاننا نجد أن بعض العلوم والمجالات العلمية لا تصدر فيه الكتب الا بمقدار كتابين او ثلاثة طوال العام.

فمثلا علوم الذرة وعلوم تقنية الاتصالات التى اضحت مظاهرة علمية فى سوق الكتاب العالمى.. اين هذه الكتب من السوق السعودية للكتاب؟

اننى اؤكد بأننا نعانى من أزمة فقر مدقع للكتاب وليس العكس.. واسألك كم كتابا أصدره المفكر السعودى عن السعودية.. وكم كتابا اصدره المفكر غير السعودى عن السعودية؟.. اكثر من هذا كم كتابا صدر عن الفن السعودى وعن الرياضة السعودية؟ وعن الأدب السعودى.. وعن التاريخ السعودى.. وعن البترول السعودى.. وعن البتروكيماويات السعودية.. وعن البيئة السعودية.. وعن الجغرافيا السعودية وو... الخ..

الجواب قليل جدا قياسا بما يجب ان يصدر وان ينشر.

دعنى الآن أسير معك واسلم بأن هناك كما هائلا من الكتب تحير خيار القارىء السعودى.. ان هذا الافتراض هو افتراض عام فأنا من باب التسهيل أقسم القراء حسب ميولهم، فأنا انصح القارىء الرياضى بالبحث عن الكتب الرياضية والقارىء الاقتصادى بالبحث عن الكتب الاقتصادية والقارىء الاديب بالبحث عن كتب الادب.

واذا صنفنا القارىء بهذا التصنيف فاننا نسهل امام القارىء الاختيار.. ولكن هذا التصنيف سيسبب لنا مشكلة امام القارىء المولع بالذرة.. او القارىء المولع بالتقنيات الدقيقة.. فلا توجد كتب كافية فى السوق السعودى عن الذرة أو عن تقنية الاتصالات.. أو البرتوكيماويات... الخ.

امام هذه المشكلة المستعرة رجوت الاخ الصحفى ان يجرى تحقيقا آخر عن أسباب عدم وجود الكتاب السعودى المدروس فى هذه المجالات.. كما رجوته ان يعمل تحقيقا آخر عن عدم وجود القارىء، فهذه القضايا هى قضايا تلتاع منها مجتمعاتنا وترنو الى الخبراء والمفكرين ان ينزعوا الى حلها.. أما المشاكل التى لا يلتاع منها المجتمع السعودى فما أحرانا ان نتركها لاصحابها.



نتيجة مسابقة أرامكو السعودية السنوية الثانية عشرة لرسوم الأطفال

تتقدم أرامكو السعودية، ممثلة بإدارة العلاقات العامة فيها، بخالص الشكر والتقدير لجميع الأطفال الذين شاركوا في مسابقتها السنوية الثانية عشرة لرسوم الأطفال، وبأحر التهاني للأطفال الذين فازوا في هذه المسابقة؛ هذا الشكر وهذه التهاني تشمل، بدون شك، أولياء أمور هؤلاء الأطفال ومدرسيهم وجميع من حثهم وشجعهم على المشاركة.

وعلى الرغم من الظروف العصيبة التي مرت بها بلادنا الحبيبة والمنطقة ككل، والتي أنهاها الله بفضله وكرمه على خير ما يرام، على الرغم من هذا بقيت روح أطفالنا الوثابة المليئة بالأمل دافعاً قوياً لنجاح هذه المسابقة، فقد وصلت إلى الإدارة أكثر من ثلاثة آلاف وخمسمائة لوحة من مختلف أنحاء المملكة، وقد اضطرت الإدارة آسفة إلى استبعاد عدد منها لعدم مطابقتها لشروط المسابقة، ودخلت المسابقة أكثر من ثلاثة آلاف لوحة.

إن أرامكو السعودية إذ تكرر شكرها وتهانيها، توجه الدعوة إلى جميع الأطفال في المملكة للمشاركة في المسابقة القادمة التي سيعلن عنها مع بداية العام الدراسي القادم إن شاء الله.

فيما يلي أسماء الفائزين في المسابقة

- ابراهيم خليل صالح العنزي — مدرسة النعمان بن مقرن المتوسطة - عرعر
- ابراهيم عويض سالم العفر — المدرسة الساحلية - عرعر
- آسي برهتوبين — مدارس أرامكو السعودية - الظهران
- احلام سعد مهنا الشرهان — الروضة الثانية - الخرج
- احمد ابراهيم الأشرم — مدارس منارة جدة - جدة
- احمد حسين محمد نور الدين — مدارس نجد الأهلية - الرياض
- احمد داخل العتيبي — متوسطة الملك فهد - الطائف
- احمد شرواني — مدرسة البراعم الابتدائية - ينبع
- احمد عالي رداد الطلحي — متوسطة الملك فهد - الطائف
- احمد عثمان علوب — مدرسة ابن الأثير الابتدائية - عرعر
- احمد ماهر طالب — مدارس الروضة الأهلية - الطائف
- احمد محمد بكر بالخيور — مدارس دار الفكر - جدة
- احمد محمد علي آل صبخي — المدارس النموذجية الأهلية للبنين - الدمام
- احمد محمد عمر العسكري — المتوسطة السادسة - حائل
- ادريس لافي معزي — مدرسة أسامة بن زيد الابتدائية - عرعر
- آراشي سوغنانث — مستشفى صامطة العام - جيزان
- اريج عبد الرحمن محمد ابوبكر — المدرسة ١٧٤ الابتدائية - الرياض
- إسلام احمد نظيم سليمان — مدرسة الحارث بن كلدة - الطائف
- اضواء بنت سلطان آل سعود — مدارس الرياض الأهلية - الرياض
- الهام طالب سعد العمري الحربي — المدارس النموذجية الأهلية للبنات - الدمام
- اليسا زهير امظهر — ص.ب ١١٧-١ الخبر ٣١٩٥٢ - الخبر
- آمنة محمد يوسف ناغي — مدارس دار الفكر - جدة
- إيلاف عبد المقصود محمد خوجه — مدارس دار الفكر - جدة
- إيمن محمد النجار — مدرسة ابن الأثير الابتدائية - عرعر
- ايهاب حافظ محمد احمد عثمان — مدارس نجد الأهلية - الرياض
- بتول محمد فلاح الملاحي — مدارس دار الفكر - جدة
- بدور نزيه علي جابر — ص.ب ١٠٣ جدة ٢١٤١١ - جدة
- بشار احمد عبد العزيز السالم — مدرسة عمير بن وهب - جدة
- بندر رفداع نوات — مدرسة ابن خزيمة المتوسطة - عرعر
- ثامر احمد الصمعاني — مدرسة الحويرث الابتدائية - الجبيل الصناعية
- ثامر عبدالله القرعاوي — مدرسة حراء الابتدائية - الجبيل الصناعية
- جيبا برانك — بواسطة ضياء الدين خان - ينبع
- حامد ابتور الحربي — مدرسة جعفر الجزيرة الابتدائية - المدينة المنورة
- حسين محمد الزاكي — المدارس النموذجية الأهلية للبنين - الدمام
- حصه محمد عبدالله السويلم — مدارس الرياض الأهلية - الرياض
- خالد شريم عمير الحربي — مدرسة الحويلات الابتدائية - الجبيل الصناعية
- خير الدين صبري — مدارس الجامعة - الظهران
- دلال عبدالله عبد العزيز العقيل — مدارس الرياض الأهلية - الرياض
- ديم البابطين — المدرسة الفيصلية الإسلامية - الخبر
- ديمه محمد البرجس — بواسطة عادل البرجس - الدمام
- رامي سالم حصريم — مدرسة حراء الابتدائية - الجبيل الصناعية
- رامي عبد الرحيم واكد ابوعقلين — مدرسة الحارث بن كلدة - الطائف
- رؤى العماري — مدارس الرياض الأهلية - الرياض
- رشا يحيى مصطفى العطيات — منارة جدة للبنات - جدة
- رضا تكليف عوده — مدرسة المعتصم بالله الابتدائية - عرعر
- رها طارق عبد الوهاب اسماعيل — مدارس دار الفكر - جدة
- رواء عبدالله العماري — مدارس الرياض الأهلية - الرياض
- روان رشاد رضا — مدارس الرياض الأهلية - الرياض
- رويشد لافي الرويلي — مدرسة ابن الأثير الابتدائية - عرعر
- ريما ماهر ابو الهدى خاشقجي — مدرسة الجيل الصالح - جدة
- ريهام كريم عبيد بليدي — مدرسة ليلى الأنصار الابتدائية - الأفلاج
- زهير عمر مختار — متوسطة رفحاء - رفحاء
- زينب محمد عبدالله المشخص — ص.ب ٢١٩٦ الخبر ٣١٩٥٢ - الخبر
- زينه السقاف — مدارس الرياض الأهلية - الرياض
- سائد حربي ناجي — مدرسة ابن الأثير الابتدائية - عرعر
- ساجي عبد اللطيف ابوشنب — مدارس الجامعة - الظهران
- سارة احمد حسن مدير — مدارس الرياض الأهلية - الرياض
- سارة سيد عبد الفتاح — مدارس الروضة الأهلية - الطائف
- سارة عبدالله الغامدي — المدرسة السادسة والثلاثون - الدمام
- سامر سمير ابراهيم بركات — مدارس نجد الأهلية - الرياض

سجى الحشالدي
المدرسة الفيصلية الإسلامية - الخبر

سحر عدنان احمد كيفي
مدرسة الفتاة الأهلية - مكة المكرمة

سعد بدر الدين محمد عمارة
مدرسة تحفيظ القرآن الكريم - عرعر

سعود مداوس آل سالم
مدرسة الحويلات الابتدائية - الجبيل الصناعية

سماح حسن عبدالله محمد
المدرسة التاسعة والخمسون - جدة

سناء سميح ايوب
ص ب ٨١٢ - أرامكو السعودية - بقيق

سوزان اسماعيل
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

سيد اسعد علي
المدرسة العربية السعودية العالمية - جدة

سيرافت وزورين
مدارس أرامكو السعودية - الظهران

سيف مساعد الشيشكلي
مدارس نجد الأهلية - الرياض

شادي محمد سليمان صالح
مدرسة العويقيلة الابتدائية - عرعر

شازا فاطمة قوادري
المدرسة العربية السعودية العالمية - الرياض

صالح سعيد الغامدي
مدارس الجامعة - الظهران

طارق ابو سعدي
مدارس الجامعة - الظهران

طاهر عبدالعزيز حامد صادق
ص ب ١١٢٥ - ابها - ابها

طلال عبدالكريم النافع
مدرسة الرواد - الرياض

عالية انور علي حسن
ص.ب ١٨٣٠ الخبر ٣١٩٥٢ - الخبر

عبدالرؤوف حسين سرحان
مدرسة عبدالله بن رواحة الابتدائية - العويقيلة / عرعر

عبدالعال عبدالوهاب بشير
مدرسة يزيد الشيباني الابتدائية - الدمام

عبدالعزيز رشيد الكحيمي
مدارس نجد الأهلية - الرياض

عبدالعزيز مبارك الدبل
روضة جمعية الجفر الأهلية - الاحساء

عبدالله جمال الكباسي
مدرسة الحويلات الابتدائية - الجبيل الصناعية

عبدالله مدري مطر الشبيقي
متوسطة الملك فهد - الطائف

عبدالله نصار رشيد نصار
مدرسة العويقيلة الابتدائية - عرعر

عبدالواحد مصطفى السيهاتي
المدرسة النموذجية الأهلية - الدمام

عبير ابوبكر احمد العيدروس
المدرسة الثامنة والاربعون - مكة المكرمة

عقيل فتيون عقيل العنزي
مدرسة الفاروق المتوسطة - عرعر

علاء محمد الغندور
مدارس الروضة الأهلية - الطائف

علي حميد خليفة
المدارس النموذجية الأهلية للبنين - الدمام

علي عبيد ناصر
مدرسة البراء بن عازب الابتدائية - رفحاء

عماد الدين يوسف الحسن
مدارس منارة جدة - جدة

عمر دانيل شهريار
المدرسة العربية السعودية العالمية - الظهران

عمرو زهير حامد فايز
مدارس دار الفكر - جدة

غدير عبدالله حمزة السبحي
المدرسة الرابعة الابتدائية - مكة المكرمة

غسان احمد المقيد
مدرسة ابن سينا المتوسطة - ينبع الصناعية

فرحان زقام عبيد الشمري
مدرسة العويقيلة المتوسطة - عرعر

فهد احمد القاضي
المدارس النموذجية الأهلية للبنين - الدمام

فهد حمد العبد القادر
المدارس النموذجية الأهلية للبنين - الدمام

كريم حسين فرغلي
مدرسة جيل الفيصل النموذجية الأهلية - جدة

كمال نبيل كمال علي بدوي
مدرسة ابن الجزري - جدة

لبنى هاني الشامي
دار الطفولة - الدمام

محمد اسامه سعد اليماني
مدارس دار الفكر - جدة

محمد الحسين حافظ السيد
مدرسة طلحة بن عبيدالله الابتدائية - عرعر

محمد زين محمد الشنقيطي
مدرسة الملك خالد - ينبع البحر

محمد سعيد مصطفى امام
مدرسة الملك خالد - ينبع البحر

محمد سمير دبركي
مدرسة ابن الأثير الابتدائية - عرعر

محمد سمير فؤاد جعفر
مدارس دار الفكر - جدة

محمد عبدالفتاح عطيه حلبي
مدرسة الحويلات الابتدائية - الجبيل الصناعية

محمد فلاح الخالدي
مدرسة الحويلات الابتدائية - الجبيل الصناعية

محمد كساد المجلاد
مدرسة الفاروق المتوسطة - عرعر

محمد مسفر مصلح النفيعي
مدارس عنيزة الأهلية - عنيزة

محمد ناهض الصوراني
مدارس الجامعة - الظهران

محمد نواف محمد يابقي
مدارس نجد الأهلية - الرياض

مصطفى عبدالكريم كوري
مدرسة حطين الابتدائية - طريف

مضاوي بنت تركي آل سعود
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

معاذ محمد عبدالمحسن العساف
مدرسة الأمير سعود بن عبدالمحسن - جدة

ملاك صالح حسن حنجور
مدرسة الروضة الأهلية - الطائف

منى سعد شعير الحربي
المدرسة الأولى للبنات - عفيف

منى ناصر العماري
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

منير حمود الذويبي
متوسطة الملك فهد - الطائف

مها الحمودي
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

مهاب مصطفى حلمي النجار
مستشفى الرس العام - الرس

مهند شعين
مدارس الجامعة - الظهران

مهند عبدالله عامش الشمري
مدرسة العويقيلة الابتدائية - عرعر

مهند كمال أبو العينين
مدرسة صلاح الدين الأيوبي - عرعر

ميشيل كرستين لو
ص.ب ٨٩٠٣ - الظهران ٣١٣١١ - الظهران

ناجح كريم حضيري الرويلي
مدرسة ابن جبير الابتدائية - عرعر

نادر محمد صالح عاشور
مدارس الظهران الأهلية - الظهران

نادية كامل عمر
مدارس أرامكو السعودية - الظهران

ناصر محمد الضويان
مدارس الظهران الأهلية - الظهران

نجلاء الشنيفي
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

نزار خليل سجيع صبالحه
مدارس نجد الأهلية - الرياض

نسيم صلاح صالح احمد مبارك
المتوسطة الرابعة عشرة - مكة المكرمة

نشور جمال الدعيج
المدرسة التاسعة للبنات - الخبر

نهى عبدالرحيم محمد اسماعيل
مدرسة رياض الجزيرة الأهلية - الرياض

نورا سهيل احمد الحمود
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

نوف عبدالله بجاد المطيري
المدرسة الفيصلية الإسلامية للبنات - الخبر

هاني محمد الزهراني
متوسطة الملك فهد - الطائف

هدى هيثم حسين الصالح
مدرسة البنات الابتدائية بحي أرامكو - صفوى

هديل الرواف
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

هشام صنقورة
مدرسة ابن سينا المتوسطة - ينبع الصناعية

هنادي احمد الصديق
مدارس الروضة الأهلية - الطائف

وائل عزت دبنو
مدارس الجامعة - الظهران

ود عبدالرحمن نظيف
مدارس الروضة الأهلية - الطائف

ود عبدالعزيز محمد ابوحشيش
مدارس دار الفكر - جدة

وليد فوزي عبدالرحمن البسام
مدارس دار الفكر - جدة

يحيى جمال الدين حسن
مدرسة النعمان بن مقرن المتوسطة - عرعر

يحيى عبدالله يحيى العساف
مدرسة ابن الأثير الابتدائية - عرعر

يمان الجندي
مدارس أرامكو السعودية - الظهران

يوسف محمد صالح الوهيبي
مدارس النسيم الأهلية - الرياض



عيد مبارك

بمناسبة حلول عيد الأضحى المبارك يطيب لأرامكو السعودية
أن تتقدم بأسمى التهاني وأجمل الأماني

إلى خادم الحرمين الشريفين

الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود

وصاحب السمو الملكي

الأمير عبد الله بن عبد العزيز

ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني

وصاحب السمو الملكي

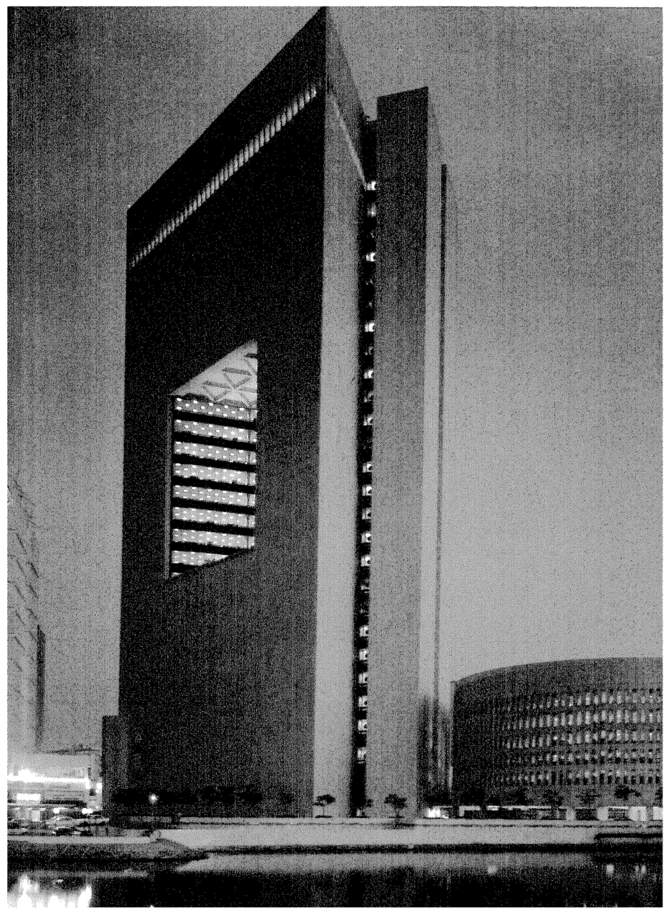
الأمير سلطان بن عبد العزيز

النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام

وحكومة المملكة العربية السعودية الرشيدة والشعب السعودي الكريم
أعاده الله على الجميع باليمن والبركات

(PRS-3-91) (أرامكو السعودية)

دار الأصفهاني للطباعة بجدة



المنهل

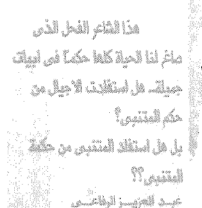
ALMANHAL

موضوع خاص

دور مجلة المنهل في الادب التهامي

● قصيدة نهج البردة (لاحمد شوقي)

● مخطوطات جامعة ام القرى



هذا الشاعر الفحل الذي صاغ لنا الحياة كلها حكماً في ابيات جميلة.. هل استفادت الاجيال من حكم المتنبي؟

بل هل استفاد المتنبي من حكمة المتنبي؟؟

عبد العزيز الرفاعي

التنقيب الاثري محاولة لقراءة تراث الماضين لرسم معالم الغد..



فرنسا

سر القرون وواقع الايام

مما قل

حاجتنا الى المجمع اللغوى

ارى ان حاجة البلاد الى إ نشاء مجمع لغوى الان اصبح ضرورة لازمة.. مثل حاجة الظمان الى الماء الزلال، والغرثان الى الطعام الدسم، والعريان الى الكساء الواقى من حر ومن برد، والمريض الى العلاج الشافى من داء.

وليس فى المجمع اللغوى العلمي الذى نتمنى بناءه من صميم قلوبنا تكرار لا مبرر له للمجامع المنشأة في الاقطار العربية الاخرى، فالمعرفة لا تكرار فيها.. والتكرار فيها خير من الافتقاد. وانشاء المجمع المشار اليه انما هو تغذية مباشرة للغة المدارس والجامعات بالصالح والاصلح من اللغة والبيان الناصع والعلوم المفيدة والاداب القيمة الاخرى.

وليس المجمع الذى دعونا وندعو لانشائه مقصورا على ما تنشؤه او تصنعه المجامع الاخرى فى اللغة فحسب،.. انه مجمع ذو مهمة حيوية تختص بواقع بلادنـا المتطورة، ورغبتنا فى تزويدها باقساط ثمينة محلية وسمينة من زاد المعرفة فى كل فن وعلم.. ولو قال بهذه النظرية كل من انشأوا مجامع مماثلة قبلنا، ما انشأوها، وما تقدموا بها وتقدمت بهم فيما بعد.. والمسألة مسألة وضع النواة الاولى .. والبذرة الصالحة الصغيرة تسقى فتنمو وتكبر وتضخم، كما فعلت مصر وفعلت الشام، وفعلت فرنسا قبلهن والمجمع الذى نريده ينبغى ـ كما قلنا ونشرنا ـ ان يشارك فى حمل امانة العلم والادب واللغة، وان يكون الرائد لحملة التقدم التى نسير فى ركابها.. حتى لا تتعرج بنا سبل البيان واللسان والفكر فى فوضى جامحة لا اول لها ولا اخر.. بسبب ان لا قائد ولا رائد من هذه الناحية.

(الى الامام على الدوام..)

عبدالقدوس الأنصاري

صـــفر ١٣٨٤هـ





العدد ٤٩٠ المجلد ٥٣ صفر ١٤١٢هـ - اغسطس ١٩٩١م



مجلة شهرية للاداب والعلوم والثقافة
تصدر في جدة
المملكة العربية السعودية
عن دارة المنهل
للصحافة والنشر المحدودة

صاحب المجلة ورئيس التحرير
نبيه بن عبد القدوس الانصاري

مستشار التحرير
أ.د. عبد الرحمن الانصاري

نائب رئيس التحرير - المدير العام
زهير بن نبيه الانصاري

سكرتارية التحرير
السمالي كمال الدين

العلاقات العامة
مصطفى محمد مصطفى

الاشراف الفني والتنفيذ
عبد الرحيم فؤاد بدر الدين

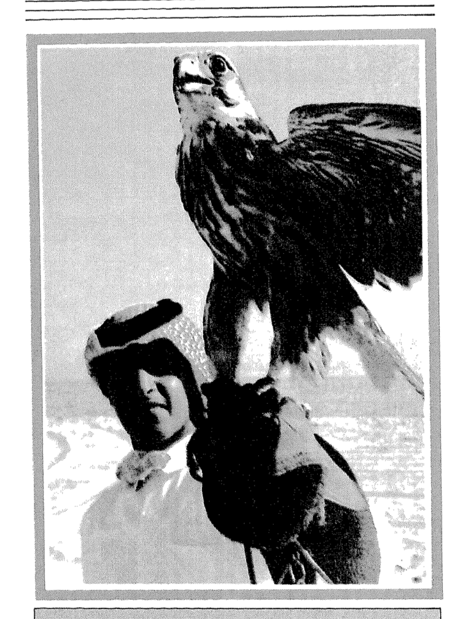
وكلاء التوزيع

تهامة للتوزيع/ جدة ت ٦٦٩٥٠٠٠ - وكالة الاهرام للتوزيع/ القاهرة ت: ٧٥٥٥٠٠ - الشركة التونسية للصحافة/ تونس ت: ٢٤٢٤٩٩ - الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ت ٤٠٠٢٢٣ - دار المسيرة للطباعة/ ابو ظبي ت: ٣٣٨٢٨٥ - دار الثقافة للطباعة/ الدوحة ت: ٤١٤١٨٢ - وكالة التوزيع الاردنية/ عمان ت: ٣٠١٩١٥٢ - دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ت: ٤١٨٠٩

الاعلانات

الادارة ت: ٦٤٣٢١٢٤

لقطة



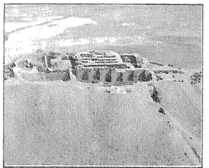
الصقور، يمكن ان نقول إنها دنيا لوحدها، رسالة مفتوحة نصعد إليها أنظارنا لنقرأها.. إنها عالم الحرية والانطلاق والشموخ.. إنها رسالة القوة في عالم لا يعرف إلا القوة.. ولهذا كله كان الاهتمام المتزايد في مملكتنا الغالية لهذه الرياضة الاصيلة فهي تراث الاجداد وامتداد الماضي بالحاضر المشرق ان شاء الله.

almanhal magazine
مجلة المنهل

أولى أمهات الصحافة السعودية تأسست عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م
على يد الاستاذ المؤرخ عبد القدوس القاسم بن محمد الأنصاري (عليه رحمة الله)




● فرنسا .. سر القرون وواقع الايام



● الاكتشاف الاثري .. محاولة لرسم معالم حضارية.

فى هـذا العـدد

إسـلاميات:

أدب وثقافـــة:

شـــعر:

لغويـــات:

عزيزى القارىء.. عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها ايات قرانية كريمة واسماء الله الحسنى فضلا عن احاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها وعدم إلقائها فى الطرقات أو الاكل عليها.

سعر النسخة

السعودية ٨ ريال ـ قطر ٨ ريال ـ المغرب ٦ دراهم ـ تونس ٦٠٠ مليم ـ مصر ١ جنيه ـ الكويت ٦٠٠ فلس ـ سلطنة عمان ٦٠٠ بيسه ـ الامارات ٨ دراهم ـ السودان ـ ٢٥٠ قرش ـ موريتانيا ١٠٠ أوقيه ـ الاردن ٥٠٠ فلس

الاشـتراكات

● قيمة الاشتراك السنوى للمؤسسات الحكومية ٢٠٠ ريال
● قيمة الاشتراك للافراد ١٥٠ ريال

اشــارة

● تحتفظ هيئة التحرير بالحق فى تحديد اولويات النشرويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع او مكانة الكاتب.

● يشترط فى الاسهامات المقدمة عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية مع رجاء ان تشفع المادة المرسلة بالصور الموضوعية والتوضيحية وصورة للكاتب مع نبذة مختصرة عن حياته.

● يرجى فى المقال المرسل أن يكون بخط واضح جدا.. ويفضل ان يكون مطبوعا على الالة الكاتبة، ومراجعا من قبل صاحبه.

● الا يكـون المقال او القصيدة قد تم نشرها قبل ذلك.

● الا تزيد صفحات الموضوع الواحد على أربع صفحات، أو ثمانى صفحات إذا كان الموضوع يستلزم ان يكون على حلقتين علما بان المجلة تفضل ان يكون على حلقة واحدة.

غلاف العدد



السياحة، فلسفة واسعة مجال متعددة الانحاء، فهي تقتصر على المكان فحسب ل تشمل الفكرة وغيرها من عطيات الحياة.

فقرات

● التشريع الاسلامي المنهج الامثل للبشرية كلها، إذا ما سارت عليه فهو المنقذ لها من طغيان البشر وضلالات الهوى.

ص١٠

● محمد محمد علي شاعر مرهف الحس، لبق ذكي، وساخر لاذع.. يحب الكلمة ذات الجرس الموسيقى والرصانة العربية الاصيلة على قدر عشقه للطبيعة والجمال والمرح، كان الالم يعتصره، وهنا تأتي كلماته بعمق مأساته ومعاناته.

ص٤٠

● تعلمت من الحياة أن اقول نعم.. ما لم تضرني، بل لقد تعلمت ان أقولها حتى لو تحملت شيئا من الضرر، ولكن إلى حد ما، فان وصل الامر الى الافتئات أو التعدي أو الظلم أو مساس الكرامة فقد تعلمت أن أقول لا - وكلا - وجميع ادوات النفي.

ص٨٢

● قصيدة الانتفاضة، استطاعت أن تؤسس معجمها الخاص الذى تمحور حول الحجارة والطفولة، وأحرزت من تفجر هذين المحورين قاموسا شعريا لا يزال تنداح دوائره الدلالية فى أوسع نطاق.. وفيها تألقت الروح الاسلامية الجهادية.

ص٨٦

● التنقيب الاثري لا تقف مهمته عند استخراج الاثر من تحت الركام، ومحاولة قراءة تاريخه الزمنى، بل يذهب إلى استقراء الحضارة الانسانية فى المكان والزمان، وهذا بطبيعة الحال له فوائده من حيث افادة الاجيال التالية واللاحقة من معطيات من سبقهم.

ص١٥٦

ورقة أولى

دعوة مفتوحة

في الستينيات كان طه حسين .. وكان العقاد .. وكان .. وكان.. وكانت حركة ثقافية واسعة .. فاعلة ومؤثرة .. وكان مثقف واع يعرف ماذا يقرأ، وكيف يقرأ ..

وأسباب ذلك تعددت وتشعبت لكنها كانت واضحة نلمسها بسهولة، ونضع أيدينا عليها في يسر ..

كانت وسائل الاعلام موجهة بكاملها لخدمة الثقافة والمثقف.. وكان المثقف يجد أكثر من باب يلج منه إلى دنيا الثقافة ومن نافذة يطل منها على عالم المعرفة ..

كانت العلوم الانسانية بما فيها الآداب تفرض نفسها بقوة على الساحة إلى جانب العلوم التقنية والعلمية ..

ولم تكن محاولات التجريب، وما يشوب بعضها - وإن لم نقل معظمها - من تغريب وعدم إدراك لما يترجم ويستلهم تمثل استفحالها وخطرها اليوم ..

واليوم .. وفي عصر تفوق العلوم التقنية والطبيعة وتقدمها المذهل نشهد حالة من حالات - نوم - إن جاز التعبير - العلوم الانسانية والآداب .. يكاد صوت المثقف - لا نقول يخفت بل يكاد يختفي - في حين أن العلوم التقنية اذا لم يصحبها فكر وتساندها فلسفة لا فائدة منها .. بل إن هذا الفكر وتلك الفلسفة ضروريان للازدهار الأولى وسبقها.

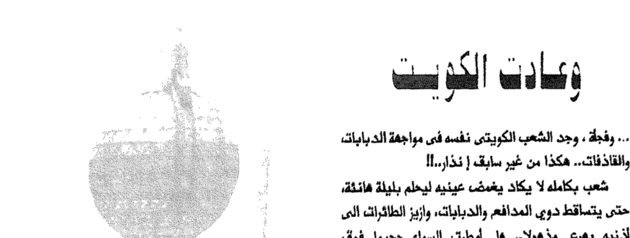
والآن لا انتساءل - بل يفرض السؤال نفسه - أين المثقف؟

نظن أنها دعوة مفتوحة لقضية هامة تفرض نفسها - والباب مفتوح لاستطلاع الآراء .. لتلمس القضية في محاولة لحلها..

رئيس التحرير

أبواب ثابتة

المركز الرئيسي: جدة الشرفية: ص. ب٢٩٢٥ رمز بريدي: ٢١٤٦١ برقيا: المنهل فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ ت: ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧
مكتب الرياض: ص. ب: ٢٩٠ ت: ٤٥٤٢٤٣٢



وعادت الكويت

... وفجأة ، وجد الشعب الكويتى نفسه فى مواجهة الدبابات، والقاذفات.. هكذا من غير سابق إنذار..!!

شعب بكامله لا يكاد يغمض عينيه ليحلم بليلة هانئة، حتى يتساقط دوي المدافع والدبابات، وازيز الطائرات الى أذنيه يهرع مذهولا.. هل أمطرت السماء جحيما فوق الرؤوس؟؟!!

فى تلك الليلة كان الاحتلال العراقي الغاشم.. أحمق طائش.. لا يحمل أى مبرر ولا هدف ولا غاية غير إرضاء شهوة حمقى، هي حب السيطرة عند هدام العراق..

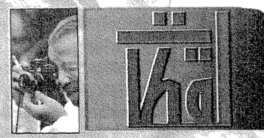
وبفضل من الله سبحانه، رُدَّ الغازون على أعقابهم يجرون ذيول الخيبة والحسرة.. بعد أن خلفوا وراءهم حرائق ابار البترول، وتلوث البيئة.. بل بعد أن خلفوا من ورائهم قدرا من البغض والكراهية.. ولّد علامة استفهام عريضة على كل كل الوجوه.. كيف يغزو عربى مسلم، عربيا مسلما..؟؟!! وترانا نردد مع الشاعر (على الشرقاوى)

ماذا سأخبر إبني عندما يسألني
كيف يغزو عربى يا أبى أرض العرب
ماذا سأخبره غير أن أبكى كما
تبكى العصافير إذا الكون اضطرب

إنها محنة هذا القرن، قرن الكوارث.. عربى يغزو أرض العرب..!!

يأتى هذا الغزو الغادر على بلد عربى مسلم شقيق فى وقت قد تكسرت فيه النصال على النصال.. يأتى هذا الغزو الغادر على أرض العرب فى وقت كان العرب فيه اكثر حاجة الى من يجمع كلمتهم لا إلى من يخالف بين قلوبهم.

وبفضل من الله سبحانه يرجع أهل الكويت إلى ديارهم طنهم .. رغم الحرائق والدمار فهو الوطن .. حمدا لله كرا.. وتحية خالصة لأهل الكويت.





● الأمير سلمان بن عبد العزيز
● أسفل جناح التراث فى معرض المملكة ..فى كندا



معرض المملكة بين الأمس واليوم فى كندا بالليزر

استخدام اشعة الليزر في المعارض الدولية هو اسلوب حديث حيث استخدم الليزر منذ اكتشافه فى اهداف صحية وعسكرية وصناعية وغيرها. ولكن استخدامه كأداة للعروض الاعلامية المبهرة والمثيرة هو من احدث استخداماته.

وتعتمد فكرة استخدام الليزر على ارسال «حزم» من الاشعة الى شاشات ضخمة حيث يتم التحكم فى هذه العملية بأجهزة كمبيوتر معقدة وضخمة وتبعث الاشعة بألوان سبعة فى اشكال مدروسة ومبرمجة بإحكام لتقدم الصورة المنشودة بشكل جذاب وملفت يستحوذ على إحساس المشاهد.

ومن هذا المنظور فإن النجاح الفائق الذى حققه معرض المملكة بين الامس واليوم فى «المحطات» الدولية التى زارها حتى الان انما يجسد براعة التنظيم السعودى ودقة التنفيذ والقدرة المحكمة على توظيف اساليب العرض المبهرة لتختصر جهودا اعلامية كانت تتطلب سنوات من خلال الوسائل التقليدية للاعلام والاتصال.. بحيث يصل الى عقول وأحاسيس اكبر عدد من المشاهدين فى لحظات محدودة ومشاهد معدودة مبهرة تنقل الواقع والحقيقة بكل ابعادها ومعانيها الى المشاهد بل تنقل المشاهد حسا ومشاعر الى واقعنا الحاضر - والماضى معا.

وكان من بين الاساليب الساحرة التى خلبت ألباب زوار معرض المملكة فى مونتريال - استخدام «الليزر» فى العروض التى يضمها المعرض.

فاذا كان تجسيد بعض الانجازات الحضارية الملموسة أمرا يمكن تصوره فإن تجسيد الجوانب الروحية والادوار الانسانية والحضارية والتاريخية لهذه البلاد منذ بدء الخليقة هو امر يبدو فى الاذهان غير قابل للتحول الى مشاهد مرئية بالليزر.. وتلك عملية اخرى شهدت بمقدرة وبراعة التنظيم وروعة التنفيذ.. فقد اختصرت عروض الليزر فى وقت محدود اجيالا طويلة والافاً من السنين واختصرت مئات الالاف من الاميال من البعد المكانى ووضعت زوار المعرض لمدى دقائق فى رحلة حقيقية بعقولهم واحاسيسهم مما عبر العصور والمواقع والانجازات والمواقف والسياسات.

وقد اشتمل العرض على المشاهد التالية:

المشهد الاول: يبدأ بداية موفقة لا ترجع الى تاريخ محدد فى مسيرة نهضة هذه البلاد.. بيد أنه ينطلق من دورها الانسانى أى منذ بدء الخليقة.

والثانى: يصور تعاقب الاجيال وإشعاع نور الاسلام.

ثم مشاهد النقلة التاريخية الكبرى فى انجازاتنا الحضارية فينتقل المشاهد إلى قلب مئات المصانع السعودية ويقف على عصر العلم والتقدم والصناعة.

المفتاحة ومعارض للفنون!!

قرية المفتاحة التشكيلية بمركز الملك فهد بأبها - أول قرية تشكيلية عربية أنهت استعداداتها بعد أن أقر صاحب السمو الملكى الامير خالد الفيصل بن عبد العزيز أمير منطقة عسير ورئيس لجنة التنشيط السياحى برامج الصيف وملتقى أبها الثقافى.

القرية تسعى بكل

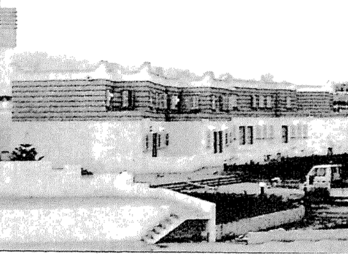
←




● الأمير خالد الفيصل

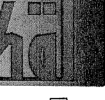
للعروض والندوات على المسرح المفتوح.

وقد بين مدير القرية الاستاذ صالح بن محمد العبيدى أن عدد اللوحات الفنية التى رسمت فى مراسم القرية منذ افتتاحها وحتى الان تبلغ أكثر من مائتى لوحة.. كما أشار إلى أنه قد تم الاستعداد لتقديم نشاطات جديدة لأول مرة فى القرية مثل مركز الدعاية والاعلان وعمل اللوحات والوسائل التعليمية وتعليم الخط العربى.



● قرية المفتاحة للفنون التشكيلية

جهدها لتأصيل فن تشكيلى سعودى متميز محتوى ومضمونا.. ستشهد القرية خلال موسم الصيف لهذا العام ١٤١٢هـ بمشيئة الله إقامة الكثير من المعارض الفنية ومعرض الكتاب والشريط الاسلامى.. كما ستقام عدة نشاطات



● مستشفى المغربى للعيون أحد مراكز العلاج المتطورة فى طب العيون.

● د. المغربى مع د. كوفيان أحد أعلام طب العيون فى امريكا.

اتفاقية علمية بين مستشفى العيون ومعهد ويلمر

● د. عاكف المغربى مع فضيلة الشيخ محمد الشعراوي

اتفاقية علمية بين اثنين من معاهد العيون الرائدة فى العالم.. معهد ويلمر للعيون بجامعة جون هوبكنز الامريكية، ومستشفى المغربى للعيون بجدة.. هذه الاتفاقية تمت بتوقيع برنامج لتبادل الخبرات العملية وتدريب الاطباء السعوديين والعرب.

وقد قام جراح العيون الرائد د. عاكف المغربى بالتبرع لجامعة جون هوبكنز بمبلغ ٥٠٠ر١ مليون دولار وقفاً على



خدمة تطوير أبحاث طب العيون.

وسيتم من ريع هذا الوقف تمويل وإنشاء كرسى د. المغربى لمكافحة العمى فى معهد ويلمر كما صرح بذلك د. جولد برج المدير الطبى لمعهد ويلمر وأضاف أن الدكتور المغربى واحد من أحرص أطباء العيون بالعالم على خدمة مكافحة العمى.. كما أنه يرأس المجلس العربى لطب العيون.

هذا.. ومن شأن هذا الاتفاق بين معهد ويلمر الامريكى ومستشفى المغربى للعيون بجدة أن يؤدى الى تبادل الاستشارات الطبية عن حالات المرض المستعصيه وارسال تشخيصاتهم بالبث المباشر.. مما سيوفر الكثير من نفقات العلاج والسفر لأصحاب الامراض المستعصية بالسعودية.

كذا فإن تخصيص تبرع د. المغربى لكرسى الاستاذية سوف يوجه كثيرا من الابحاث المختصة بأمراض العيون المعروفة فهو يشمل (الكتاركتا)، و(الجلوكوما) وأمراض السكر بالشبكية.. كما أنه سيخصص جزء منه لتمويل برنامج تبادل الخبرات فيما بين الدولتين والذى سيسمح للأطباء والطلبة المتخصصين فى طب العيون بالسفر للتدريب الفنى المناسب والمتخصص.

● عملية لازالة مياه بيضاء فى العين اجراها د. المغربى.

فى المملكة أول جراحة قلب عالمية!!

بمركز الملك فهد للقلب بجدة.. أجريت جراحة قلب فريدة.. تعتبر الأولى من نوعها..

العملية أجريت لطفلة فى الثانية عشرة من عمرها.. تعانى من ثمانية تشوهات قلبية خلقية معقدة.. ذكر ذلك د. حسان يحيى رفة رئيس المركز وأضاف بأن مراكز قلب أخرى رفضت اجراء أى جراحة على أساس أن هذا التشوه غير قابل لأى تصحيح جراحى.. على حين أنه تم تطوير طريقة جديدة وحديثة لاجرائها فى مركز الملك فهد وقد تمت العملية بنجاح واكد الدكتور رفة أن الجراحة السعودية استعملت أنبوبة من الغشاء المحيط بالقلب مما يمنع حدوث تجلط أو التهاب فى الدم كما يحدث مع استعمال الشرايين الصناعية والتى استخدمت فى اثنتى عشرة حالة مشابهة فى العالم.

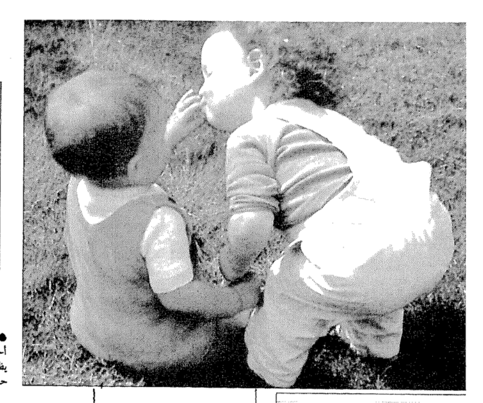
وختم د. حسان رفة تصريحه قائلا بان المركز قد احتفل مؤخرا بإجراء خمسة الاف جراحة للقلب المفتوح خلال العشرة الاعوام الماضية وان المركز يلقى دعما مستمرا من لدى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ومعالى وزير الصحة الاستاذ فيصل الحجيلان وجمعية القلب الخيرية السعودية وعلى رأسها معالى الدكتور محمد عبده يمانى.

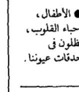
حضارة ثلاث الاف عام؟!!

فى غابات بوليفيا الاستوائية اكتشف مجموعة من العلماء الاسبان والبوليفيين آثار حضارة مجهولة عمرها حوالي ثلاث آلاف عام.

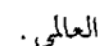
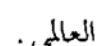
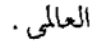
وذكرت صحيفة بريسنيشيا ان المكتشفين وجدوا أدوات مائدة يرجع عمرها الى الف ومائتى عام قبل الميلاد فى حوض نهر المامور بمدينة بيني ووجد في بعض الكهوف رموز مكتوبة وقطع من السيراميك.

المكتشفون أضافوا بأن هذا يدل على وجود حضارة زراعية متقدمة عاشت في اقليم الامازون في بوليفيا.





● الأطفال، أحباء القلوب، يظلون في حدقات عيوننا.

رئيسة أطفال العالم؟!

تم اختيار طفلة مصرية لتكون رئيسة لأطفال العالم لمدة عام.. تم هذا في احتفال الجمعية العامة للأمم المتحدة بيوم الطفل العالمي.

ومن المعروف أن مصر ترأس اليوم العالمي للطفل خلال عام ١٩٩١م الحالي.. وهناك مسؤوليات تقع على عاتق الرئيسة الجديدة.. منها النشاط للعمل من أجل قضايا الطفولة وحث الاطفال في جميع أنحاء العالم وخاصة مصر للمشاركة في البرامج والجهود التي تبذل للحفاظ على البيئة.

هذا ومما تجدر الاشارة اليه أن السيدة قرينة الرئيس المصري حسني مبارك تتبنى أنشطة وسبل رعاية الطفولة حيث أعلنت أن عام ١٩٩١م هو العام القومي لمحو أمية الطفل.



لأجلك نقول.. راجعي نفسك

تفيد المعطيات الرسمية لوزارة الصحة البرازيلية ان السنوات العشر الماضية شهدت زيادة حادة في عدد النساء المصابات بامراض القلب والاوعية.

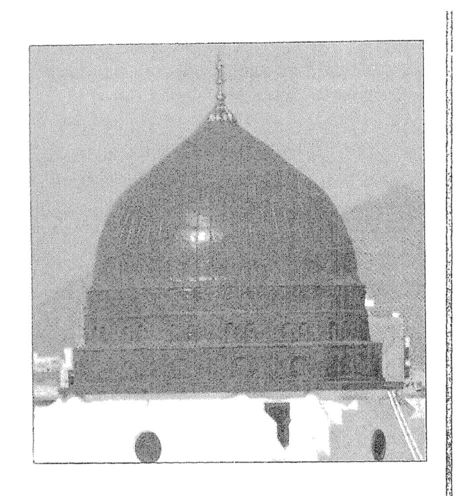
يبقى المؤشر الخاص بالرجال على هذا الصعيد مستقرا الى درجة ويعلل الاطباء البرازيليون هذه الظاهرة بتغيير دور المرأة في المجتمع المعاصر بسبب «تحررها».



وتشغل المرأة اكثر فاكثر مناصب مسؤولة، سياسية وادارية واجتماعية وما الى ذلك، وبالتالي تنمو الاعباء البدنية والعصبية لتبلغ حد الارهاق وعليها بالذات يرد القلب بحساسية خاصة.

ولا يجوز عند ذلك نسيان ان المرأة التي تنافس الرجل على مكان في سوق العمل في ظروف اعقد بكثير منه مضطرة الى رعاية العائلة والاطفال اي انها تتحمل عبئا مزدوجا ومنذ ١٠ سنوات لم تشارك في العمل الاقتصادي النشيط سوى ٨ر١١ مليون امرأة برازيلية بينما بلغ عددهن اليوم اكثر من ٢٢ مليونا.

وتوصل الاطباء الى استنتاج ان الصلة المباشرة بين «تحرير المرأة» الاجتماعي وذلك الثمن الغالي الذى تدفعه مقابله ليس بسمة تميز البرازيل وحدها. فان الدراسات الطبية التي تعرضت لها النساء الشابات في ١٨ بلدا بمختلف القارات تؤكد وجود هذه النزعة عموماً.



في روضة النور

شعر: عمر بهاء الدين الاميري (المغرب)

... ابتعدت بي الاقدار، سنوات طوالا، عن مدينة الرسول الاكرم صلى الله عليه وسلم. كنت أعيش فى ذاكرتي.. نبضات الوجد، وانداء السعد التي نعمت بها ـ خاشعا ساطعا ـ فى روضة النور الطهور.. اصلى فى المحراب الوضاء.. واتضرع في المواجهة السنية. فلما أكرمني الله بالعودة الى الرحاب الغراء.. سارعت لهفان الوجدان، الى الحرم النبوى.. وأنا اختزن فى تنفسي الصعداء.. عـرام الحنين .. وشوق السنين.

تَنَسَّمِي يا خَلَايا القَلْبِ ملءَ مَدَى
عَوالِمِ النورِ عَرْفَ النُّورِ وانْتَعِشِي

وأَتْرِعِي رِئَةَ الوَلْهَانِ مُصْعِدَةً
بِرَوْحِ جَنَّاتِ عَدْنِ الوجدِ واعْتَرِشِي

وَحلِّقي في سَماءِ الوصْلِ هائِمَةً
وَعانِقي ذروةَ الجَوْزاءِ وافترِشِي

وَضاعِفي يا خَلَايا القلبِ خَفْقَتَهُ
وأرْعِشي دَمَهُ الدَّفاقَ وارْتَعِشِي

فَهذهِ روضَةُ النورِ التي وَرِفتْ
أفنانُها بالرسُولِ "المصطفى القُرَشِي"

حديث

لا تتحدد درجة أى حديث نبوى أو قدسى إلا فى ضوء ما يظهر وينكشف من أحوال الرواة جرحا أو تعديلا، ولست أبالغ إذا قلت إن ما بذله ائمة السنة من جهد فائق فى دراسة رواة الحديث والبحث والتنقيب عن أحوالهم ووضع المعايير العلمية الدقيقة لمعرفة من يكون أهلا للرواية ومن ليس أهلا لها لا يوجد له نظير فى منهج الباحثين والناقدين المتقدمين والمتأخرين شرقا أو غربا، وسيدرك القارىء الكريم من خلال حديثنا ذلك الجهد الفائق كما سيدرك أهمية معرفة أحوال الرواة وارتباطها الوثيق بتحديد درجة أى حديث.

الـ...

بقلم: د. على عبد الفتاح على
استاذ الحديث المشارك - كلية التربية للبنات - جدة

■ إن رواة الحديث يُعْتَبرون سلسلة الاتصال الممتدة بين نبى الأمة الذى هو مصدر الحديث والسنة المطهرة وبين القرون المتعاقبة على مر العصور والأجيال.

لذا كانت معرفة أحوال الرواة امرا ضروريا لمعرفة أى حديث من القبول أو الرد.

وفى البداية يجدر بنا ان نتعرف على نظرة الاسلام الى الجرح والتعديل أو بمعنى آخر نقد الرواة وكيف كانت حاجة الامة ماسة الى هذا النقد.

الجرح والتعديل:

إن الاسلام يقرر أن الجرح والتعديل أو (نقد الرواة) حق وأنه لا يعلو فوق سلطان النقد إنسان ابدا مهما وهبه الله من رجاحة العقل وبسطة العلم ومهما آتاه من قوة العقيدة وحسن الخلق فهو على أى حال لابد وأن يخضع لسلطان النقد وجبروته وأن النقد نصيحة دينية مطلوبة وسنة محمدية مشروعة طالما انه يستهدف الخير وينشد الاصلاح.

ويقرر القول بوجوب النصيحة ومشروعية النقد ما رواه الامام مسلم فى صحيحه عن تميم الدارى ان النبى ﴿ﷺ﴾ قال: «الدين النصيحة قلنا لمن يارسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم»، فكان من النصيحة لله ورسوله وللمؤمنين ان يتكلم العلماء فى الرجال وفى نقلهم اذا شهدوا أو رووا لمصلحة الحكم والرواية.

وعدل النبى عليه الصلاة والسلام بعض الناس وشهد لهم بالخير ومن ذلك قول النبى ﴿ﷺ﴾ فى عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما: «إن عبد الله رجل صالح» (اخرجه البخارى فى صحيحه).

وتكلم كذلك رسول الله فى البعض للنصيحة فقال بشأن رجل استأذن عليه بغير ادب «بئس اخو العشيرة أو ابن العشيرة) وهذا التجريح من النبى كما ذكر ابن حجر «نصيحة ليحذر السامع» (والحديث اخرجه البخارى).

وتكلم من بعده أصحابه فى رواية بعضهم عن النبى ونقدوا نقلهم وأخبارهم ونبهوا على أخطائهم. ومن هذا القبيل استدراكات أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها على بعض الصحابة ومن امثلة ذلك أنه قد بلغها: (أن عبد الله بن عمرو يأمر النساء اذا اغتسلن ان ينقضن رؤوسهن) (يعنى حل ضفائرهن) فاستدركت عليه بقولها «أفلا يأمرهن أن يحلقن رؤوسهن لقد كنت اغتسل أنا ورسول الله ﴿ﷺ﴾ من اناء واحد وما أزيد على أن افرغ على رأسى ثلاث افراغات» (اخرجه مسلم فى صحيحه).

فلما نقد رسول الله ﴿ﷺ﴾ وهو مصدر السنة المتبعة نفرا من أصحابه ولما نقد الصحابة بعضهم بعضا وهم القدوة الحسنة تأكد لنا أن النقد فى الاسلام حق مشروع وأنه لا يعلو على سلطان النقد وجبروته سوى رسول الله الذى عصمه ربه وسائر النبيين والمرسلين.

حاجة الامة الى النقد:

ليس عجيباً بعد ما بيناه من مشروعية الجرح والتعديل ونظرة الاسلام اليه ومباشرة رسول الله ﴿ﷺ﴾ له واقتداء

رواة ودرجة الأحاديث

الصحابة به أن تشتد حاجة الامة الى نقد الرواة ونقد ما يروون من الأقوال فى عصر التابعين وعصر أتباع التابعين ومن بعدهم، فمع كل جيل يتأخر زمانه عن زمان رسول الله ﴿ﷺ﴾ كانت تجد امور وتقع احداث وتندلع فتن وتدبر مؤامرات لها من الأخطار الجسام والاضرار العظام ما استهدف النيل من الكتاب والسنة طمعا فى تصديع كيان الاسلام وتقويض أركانه ثم القضاء عليه، من أجل ذلك أضحى النقد ضرورة لابد منها ليحفظ للأمة كيانها وليدفع بأسلحته الناطقة بالحق عن الكتاب والسنة تحريف الغالين وتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين.

ولما كانت السنة النبوية لم تظفر بمثل ما ظفر به القرآن الكريم من المميزات نحو الكتابة فى المصاحف والنقل بالتواتر وغير ذلك فقد حسبها المتآمرون مطمعاً سهلا لتنفيذ مآربهم الخبيثة فاستهدفوها بالدرجة الأولى موجهين لها الكثير من مؤامرات الدس والتشكيك والتزييف.

وقد انبرى النقاد لفحص وتمحيص أحوال الرواة طبقة من بعد طبقة وبينوا للأمة من تقبل روايته ويصح الأخذ عنه ومن ترد روايته ولا يحتج به أولا يعتبر به فبينوا كذلك درجة كل راو من الحفظ والضبط أو من الخطأ والنسيان.

كما قرعوا بالحجج الناصعة الدامغة شبهات المفترين على السنة ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون.

سمات أئمة النقد:

الحقيقة التى يجب أن نؤكدها هنا والتى يجب الا تغيب عن انظارنا أنه ما من طبقة من طبقات الرواة المتقدمين الا وقد وجد فيها نخبة من ائمة النقد العدول الذين حملوا لواء الدفاع عن الدين وعن السنة النبوية على وجه الخصوص فردوا عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

وقد امتاز هؤلاء النقاد فى دينهم وعقلهم وعلمهم بسمات خاصة جعلتهم أهلا للقيام بمهمة النقد الخطيرة وتحمل أمانته الجليلة. أما دينهم وأخلاقهم فلابد أن يمتازوا بالشهرة الواسعة فى العدالة من صدق واخلاص وأمانة بحيث لا يعرف عنهم ولا يجرب عليهم فى نقدهم وحكمهم على قول من الأقوال أو على رجل من الرجال الا احقاق الحق من غير تحيز لهوى أو تعصب لمذهب، ومن غير مجاملة لصديق أو تحامل على خصم. ، أما عقلهم فلابد وأن يتصف النقاد بشدة اليقظة وقوة الانتباه وحضور البديهة والذاكرة الواعية لكل ما يحصلون والفهم الثاقب والنظر البعيد والادراك المرهف حتى لا ينخدعوا بظواهر الامور حتى يتمكنوا من التحليل والاستنباط.

أما علمهم فلابد وأن يكون لديهم معرفة واسعة وعلوم متنوعة مع الالمام بكل ما يتعلق بالرجال فلابد للنقاد من معرفة تواريخ مواليد ووفيات الرواة وطبقاتهم وأوطانهم ومعرفة احوالهم من الجرح والتعديل ومعرفة اسمائهم وكناهم وألقابهم وأنسابهم ومعرفة مكان وزمان تعلمهم وارتحالهم.

والشيوخ الذين أخذوا عنهم والتلاميذ الذين تتلمذوا عليهم وكيفية تحملهم وآدائهم.

صفة من تقبل روايته:

اشترط أئمة الحديث والفقه والأصول لقبول راو ما من رواة الحديث شرطين اساسيين لابد منهما معاً فى كل راو من





أرخ التدخين

ذكر بعض مؤرخى مكة أن التدخين أول ما ظهر فى الحجاز سنة ٩٩٩هـ فأرخها أحدهم بحساب الجمل: (يوم تأتى السماء) بعض اية.

وقد حاربه العلماء والحكام أنذاك وأفتوا بتحريمه وأعلنت الامة عليه النكير، حتى إ ن أمير مكة انذاك كلف فى سنة ١٠٤٩هـ من يدور فى أحياء مكة فاذا وجد من يدخن عوقب عقابا شديدا، فصار الناس يعقدون مجالسهم فى بيوتهم ليتعاطوه.



صغيرة ولكنها تغنيك عن الطبيب

مما أدركنا من الطب الشعبى هذه العلاجات البسيطة، التى لا تكلف مالا ولا جهدا ولا كثير وقت:

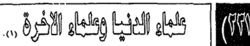
ضربة الشمس: يصبون الماء على الرأس ثم يطبطبون عليه ثم يلفونه فى دثار، ويطلبون من المصاب ان ينام، فيقوم كأنما أطلق من عقال. ويسمى هذا العلاج (طبطبة الرأس).

الرمضاء: الرمضاء تسبب للماشى فيها حسر البول، وعلاجه أن يضع قدميه فى ماء بارد، فيشفى.

الشهاق: عرض غريب، يعالجونه باغرب منه، فاذا رأوا المصاب به بهتوه بشىء لم يفعله، كأن يقول له أحدهم: أنت الذى اخذت كذا، أو فعلت كذا، وغالبا يكون المصاب من الاحداث فيفاجأ بهذا الاتهام ويظل يحلف ما فعله، ويواصل الذى يتهمه التأكيد انه عمله، حتى اذا غضب ذهب منه الشهاق، فيقول له: أين شهاقك؟! فيعرف أنه كان غير جاد فى اتهامه.

أم لعبان: داء لم نعد نراه، وهو أن يشعر الانسان فجأة بهماج على ثغرة المعدة، فيسرع اليه القىء وعلاجه أن يطعم ملحا وكأنه من أثر تسميط المعدة.

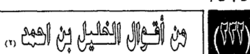
وجعة الكبد: وهذا الم يصيب المعدة بين السرة والثغرة، وهم يظنون أو يسمون هذا المكان الكبد، وهو اصطلاح قديم، وهذا له علاج تجدهم يحتفظون به مخصوصا لهذا المرض، لانه من أقوى ما يصيبهم من أوجاع واخطرها، وهذا العلاج الذى يسمونه (الطبيخ) يؤخذ الزهو من البلح ثم يطبخ فيجفف فيصير يابسا، فيحتفظ به، وكان شائعا الى عهد قريب بحيث كنت تراه ينظم قلائد ويعلق على أبواب الدكاكين.



قال ابن الجوزى رحمه الله: تأملت التحاسد بين العلماء، فرأيت منشأه من حب الدنيا، فان علماء الاخرة يتوادون ولا يتحاسدون، كما قال عز وجل ﴿ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا﴾ (سورة الحشر/ ٩)، وقال تعالى: ﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين امنوا﴾ (سورة الحشر/ ١٠).

وقد كان أبو الدرداء ـ رضى الله عنه ـ يدعو كل ليلة لجماعة من اخوانه، وقال الامام احمد لولد الشافعى: أبوك من الستة الذين أدعو لهم كل ليلة وقت السحر.

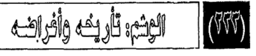
والامر الفارق بين الفئتين ـ والكلام لازال لابن الجوزى: أن علماء الدنيا ينظرون الى الرئاسة فيها، ويحبون كثرة الجمع والثناء، وعلماء الاخرة بمعزل من إيثار ذلك وقد كانوا يتخوفون ويرحمون من بلى بها.



ثلاثة أشياء أنا أحبها لنفسى ولمن احب رشده: احب أن اكون بينى وبين ربى من أفاضل عباده واكون بينى وبين الخليقة من اوسطهم، واكون بينى وبين نفسي من شرهم. قال عبد الله: لو كتب شيء بالذهب لكتب هذا.

وقال: إ ذا أردت أن تعلم خطأ معلمك فجالس غيره.

وقال: إ ذا خرجت من منزلى لقيت احد ثلاثة: إ ما رجلا أعلم منى بشىء فذاك يوم فائدتى، او مثلى فذاك يوم مذاكرتى، أو دونى فذاك يوم ثوابى.



الى زمن غير بعيد كان الوشم ظاهرة بارزة فى البادية وخاصة بادية شمال الحجاز وبادية الشام، منه ما يوضع على ظهر اليد، ومنه ما تضعه المرأة خاصة تحت الشفة السفلى ومنه ما يضعه بعض الرجال على العضد، وغير ذلك. فأما تاريخه فموغل فى القدم،

وهذا طرفة بن العبد الشاعر الجاهلي، يقول مفتتحا معلقته الشهيرة:

لخولة أطلال ببرقة تهمد
تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد(٣)

■ ونلاحظ هنا ثلاث ظواهر:

١ ـ إن الوشم قديم من عهد الجاهلية، بل هو عادة جاهلية محضة وقد استنكرها الاسلام، فقال ﴿ﷺ﴾ (لعن الله الواشمة والمستوشمة)

٢ ـ إنه قد تطور على مر السنين، فهذا طرفة يقول: كباقي. والمشاهد اليوم أنه لا يمحوه الزمن، فكم رأينا شيخا أو عجوزا قد تاب، يحاول التخلص منه، ولات حين مناص.

٣ ـ قال: بظاهر اليد. وهي الظاهرة العامة في المستوشمين. كيف يصنعونه؟ يغرزون المكان بالابر، فاذا خرج الدم وضعوا على تلك الغرزات شيئا من الكحل أو النيلة فتسقط في مجرى الغرز فتظهر من وراء الجلدة.

وهم يضعونه على اشكال ورسوم شائعة، منها: مثل وطأة الطير، ومنها نقط متقاربة على أشكال مختلفة، كالدموع، والقناديل، وغيرها، وتظل هذه الرسوم مدى حياة الانسان.

أغراضه: للوشم ثلاثة اغراض رئيسية: أشيعها التجمل، حين تضع المرأة في ذقنها وتحت شفتها السفلى رسوم يرونها جميلة، والانسان ابن بيئته، ومنها ـ للذكرى، وهذه عادة شائعة لدى المحبين، كأن يتقابل اثنان لاول مرة فيضع احدهما على ظاهر يده ذكرى ذلك اللقاء.. ومنها ما يعمله الفتيان على عضودهم علامة البأس والقوة.

(٢٣٤) ثلاثة كزارع في سباخ

متحدث إلى غير سامع، ومنفق على ابن عاق، وبار امرأة لغير وجه الله.



(٢٣٥) وثلاثة كراجم السماء

ساب السلطان، وعايب الكرماء، ومعادي العلماء.

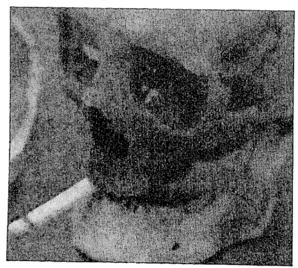
(٢٣٦) حلاوة المقال

تباركت يا ربنا ما ارحمك
تباركت يا ربنا ما احلمك
تباركت يا ربنا ما احكمك
تقدر للناس أرزاقهم
تقسم بينهم أخلاقهم
فناس يديرون أنغامهم
وناس يرعون أغنامهم
فذا سادر لا يكاد يفيق
وذا شاقي لا يكاد يليق
ترى الساكنى شامخات القصور
كذلك من يسكنون الخدور
وكل له رزقه بقدر
وكل من الفاقة في حذر
وأنت الرقيب وأنت الحسيب
وأنت العليم بحال البشر

(زيد بن عبيد)

الهوامش

(١) صيد الخاطر: ١٧، دار الكتب العلمية.
(٢) كتاب الاوائل: ٢/١٢٦
(٣) ديوانه: ١٩ دار بيروت



العصور المتأخرة نقش ضريح مرزا نظام الدين فى كولكنده حيث نلاحظ تأثير الطغرا فى ترتيب الألفات واللامات بشكل منتظم(٥).

ويلاحظ استخدام هذا الأسلوب أيضا فى نقش مغولى فى مسجد بشارع دى سى روى بدهاكا المؤرخ سنة ١٠٥٢هـ/ ١٦٤٢م الذى حاول فيه الناسخ تمديد الألفات واللامات الى الأعلى وتنسيقها بأسلوب الطغرا. غير أنه فشل فى أن يبرز فى هذه الكتابة البراعة والاتقان اللذين كنا نراهما أيام السلاطين فى كتابة الطغرا.

(اللوحة: ١)



● اللوحة رقم (١) نقش مسجد شارع دى س روى بدهاكا.

الخط البهارى

ومن الخطوط العربية التى تميزت بها شبه القارة الهندية الخط البهارى(٦) ونادرا ما استخدم هذا الخط فى العالم العربى حيث لم نجد نماذج كثيرة منه(٧).

ولا نستطيع أن نحدد على وجه التحقيق زمن نشأته، ومكان ابتكاره، . ومن خصائص هذا الخط، أنه كان يكتب بزاوية خاصة من القلم حتى تختلف سماكة الحرف فى أجزائه المختلفة. فعلى سبيل المثال، كان الحرف يبدأ بنقطة رفيعة فى بداية الأمر. ثم تزداد سماكة الحرف تدريجيا الى أن تصل الى وسطه، ثم تقل هذه السماكة تدريجيا الى أن تنتهى على شكل نقطة رفيعة مثل البداية.

كما نلاحظ أن بطون الحروف الأفقية مثل حرف السين والياء السيفى (الياء الراجعة) فى هذا الخط تمد أكثر من الخطوط الأخرى.

ونجد فى حروف هذا الخط أيضا ميلا مثل الثلث. أما الحروف الرأسية مثل الألفات واللامات، فكانت تكتب بخط رفيع. كما يمتاز هذا الخط أيضا بشىء من الجمود والجفاف بالمقارنة مع خط النستعليق أو الخط النسخى(٨)، الأمر الذى أدى ببعض العلماء الى اعتباره أحد أنواع الخط الكوفى(٩)

(اللوحة: ٢)



● اللوحة رقم (٢) حروف من الخط البهارى.

■ ومن أقدم نماذج هذا الخط مصحف محفوظ فى مجموعة الأمير صدر الدين اغاخان الذى نسخ فى قلعة كواليار بالهند، ومؤرخ سنة ٨٠١هـ/ ١٣٩٨م(١٠) كما أن مكتبة تشستربيتى بد بلن(١١) فى ايرلندا وبعض متاحف باكستان والهند وبنغلاديش زاخرة بعدد من المصاحف كتبت بهذا الخط. ومن هذه النماذج نستطيع أن نستدل على أن الخط البهارى كان يستخدم عادة فى كتابة المصاحف(١٢).

أما استخدامه فى النقوش، فكان نادرا جدا. ومن النماذج النادرة للنقوش العربية التى كتبت بهذا الخط، نقش سلطان غنج المؤرخ سنة ٨٣٥هـ/ ١٤٣٢م (اللوحة: ٦) الذى يعتبر مثالا رائعا لاستخدام هذا الخط على اللوحة الحجرية فى عهد السلاطين. والمتحف الهندى بمدينة كلكتا يحتفظ بنقش عربى بتاريخ ٩٦٧هـ/ ٥٦٠م الذى نلاحظ فيه تأثير الخط البهارى.

■ ولكننا نلاحظ أيضا فى هذا النقش بعض عناصر الطغرا فى تمديد حروفه الرأسية الى أعلى وترتيبها بأسلوب منتظم. وهناك نقش آخر فى متحف أبحاث ورندره براجشاهى الذى نجد فيه تأثير هذا الخط وهو خال من التاريخ.

ولكن من ضمن عباراته اسم شاه جهان ولذلك نرجح أنه يرجع الى العصر المغولى.

■ ومن جميع هذه النماذج التى أشرنا اليها نستطيع أن نرجح أن هذا الخط قد نشأ فيما بين القرنين السابع والثامن الهجريين فى الهند أو المناطق المجاورة لها مثل أفغانستان حيث كان يستخدم فى كتابة المصاحف فى فترة ما قبل العصر المغولى. . ومن الطريف أيضا أننا نجد قليلا من التشابه بين هذا الخط والخط السودانى(١٣)، غير أنه قريب الشبه بالخط الكوفى الشرقى، خاصة النوع الذى كان يستخدم فى مدينة هراة فى افغانستان قبيل معرفة الخط البهارى، ولذلك نرجح أن هذا الخط نشأ متأثرا بالخط الكوفى الشرقى الذى كان يستخدم فى هراة.

خـــط الرقـــاع

ومن الخطوط المستخدمة أيضا خط الرقاع الذى نجده فى بعض النقوش المبكرة فى الهند. ومن هذه النماذج بعض النقـوش التى عثر عليها فى مقـاطعـة كيمبى فى ولاية كجرات ومعظمها ترجع الى بداية القرن السابع الهجرى(١٤).

وقد عثر على بعض النقوش أيضا فى منطقة كيرالا فى جنوب الهند. وكان هذا الخط معروفا أيضا فى شرق الهند خاصة فى منطقة البنغال وبهار. ومن أجمل نماذج الرقاع فى هذه المناطق نقش قصر حاتم خان المؤرخ سنة ٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م الـذى يوجد حاليا فى مدينة بهار شريف بمقاطعة بهار (اللوحة : ٣) ومن خصـائص كتابة هذا النقش أن جميع حروفه متصلة ببعضها البعض فى شكل متناسق ومسلسل.

(اللوحة : ٣)

ولهذه الخصائص نطلق عليه اسم خط الرقاع المسلسل. وجدير بالذكر أن هناك نقوشا عديدة فى البنغال وبهار كتبت بهذا الخط فى أوائـل الحكم الاسلامى فى القرنين السابع والثامن الهجريين. أما بعد قدوم المغول، فبدأ يقل استخدام هذا الخط سواء أكان فى البنغال أو المناطق الأخرى فى الهند. فالنقش الـوحيد الـذى عثر عليه فى العصر المغولى - على حد علمى - هو النقش المحفـوظ فى متحف أبحـاث ورندره بمدينة راجشاهى وهو يسجل انشاء جسر فى عهـد السلطان علاء الدنيا والدين شاهجهان.

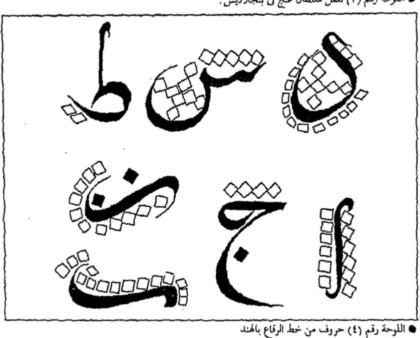
(اللوحة : ٤)

الخطـــوط الاخـــرى

كان خط الاجـازة من الخطوط النـادرة التى لم تستخدم كثيرا فى بلاد الهند. . ومن خصائصه أنه يجمع ما بين مميزات خطى الثلث والنسخ ولعله



● اللوحة رقم (٣) نقش سلطان غنج فى بنجلاديش.



● اللوحة رقم (٤) حروف من خط الرقاع بالهند

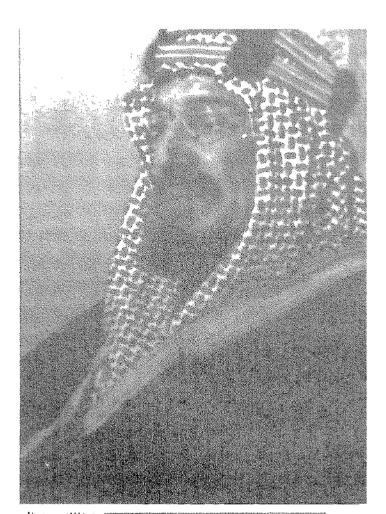
أثر فيهما. كما أنه يحتمل التشكيل مثل الثلث. وتبتدئ حروفه وتنتهى ببعض الانعطاف، فيزيد فى جماليته وهو شبيه بالخط الريحانى.

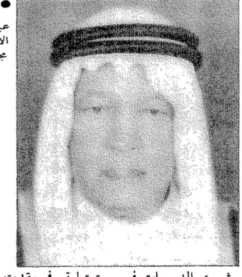
■ ومن الخـطوط النـادرة أيضـا خط التـوقيع، ويحتفظ متحف أبحـاث ورندره بمدينة راجشاهى بنموذج رائع له مؤرخ ٧٢٢هـ/ ١٣٢٢م. ويبـدو أنـه كان من انتـاج أحـد الفنـانـين البـارعـين حيث إن كتـابته تدل على نضج الخط واتقانه. . وفى هذا النقش نجـد أن جميع حروفه متصلة بعضها ببعض، كما أنها تخلو من الشكـل والاعجـام. . ولأجل وجود التسلسل والتشـابـك فى الكتـابة، نستطيع أن نسميه بخط التوقيع المتشابك، ولم يعثر على نمـوذج آخر بهذا الخط الى الآن حسب المعلومات المتوفرة لدى.

وجـدير بالذكر أن كلا من خطى شكسته والديوانى كانا مستخدمين فى الفترة المغولية فى الهند فى المخطوطات والمـراسلات اليومية وفى الدواوين. . ولكنهما نادرا ما استخدما على اللوحات الحجرية. . ونلاحظ أن نقش ضريح شاه مخدوم المؤرخ سنـة ١٠٤٥هـ/ ١٦٣٤م الذى كتب بخط النستعليق فى عهد شاه جهان متقارب الى حد ما بخـطى شكسته والديوانى حيث إن أذنـاب بعض الحـروف طولت الى الأسفل مع الميل الى اليسار.

●● وبعد ما ذكرنا من تطور الكتابة والخطوط العربية فى الهند بشكل عام وفى البنغال على وجه خاص، نستطيع أن نستنتج أن هذه البلاد قد أدت دورا هاما فى استخـدام الخـطوط العربية وتـطويرهـا. . فقـد أولى السلاطـين والفنـانـون اهتـمامـا خاصـا بالكتـابة وجودتها، ونشأ فيها كثير من الخطاطين البـارزين سواء فى فترة المغـول أو ما قبلهم. غير أن فترة ما قبل المغول قد تنوعت فيهـا الخـطوط. . أما العصر المغـولى، فقـد اشتهـر بجـودة خـط النستعليق أكثر من الخطوط الأخرى.

ولكن فى الوقت نفسه نلاحظ أن





● الملك عبد العزيز

عبد القدوس الانصاري مؤسس مجلة المنهل

شيوع الدوريات فى ربوع تهامة وفي مقدمتها مجلة المنهل أن الأدباء التهاميين عندئذ أخذوا ينشرون نتاجهم في هيئة مؤلفات ودواوين مستقلة مثلما فعل الشعراء: على بن محمد السنوسي(١٨) (١٣١٥ - ١٣٦٣هـ)، ومحمد بن أحمد العقيلي (١٣٣٦هـ) ومحمد بن على السنوسي (١٣٤٣-١٤٠٧هـ)، وأحمد عبد الفتاح الحازمي الذين نشروا شيئاً من شعرهم في مجموع: «شعراء الجنوب» الذى صدر فى سنة ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م، وكان عدد من تلك القصائد التى جمعها أولئك النفر الشعراء قد تم نشرها فى مجلة المنهل على وجه الخصوص، فلقد ذكر حسن عبد المقصود أن لأولئك الشعراء أثرا فى يقظة الأدب ونهضته، إذ قال: «وها هم شعراء الجنوب فى ديوانهم وفى أعداد مجلة المنهل يؤيد شعرهم هذه النهضة ويصفها ويفخر بها، ويدل عليها»(١٩) وذلك كله يعد من أسباب يقظة الأدب في السعودية بعامة، وجازان منها بخاصة حيث أسهم أولئك الأدباء مع بقية اخوانهم الأدباء في الحجاز، وغيره بإيقاظ الحركة الأدبية وتنشيطها، ويؤكد هذا القول ما ذكره عبد القدوس الانصارى فى معرض حديثه عن الحركة الأدبية فى المملكة العربية السعودية، إذ قال: «هى حركة ناشطة نسبيا، فيوجد في أمهات المدن: كمكة المكرمة، والمدينة المنورة، والرياض، وجدة، وجازان أدباء هواة بعضهم يقرض الشعر، وبعضهم يكتب القصة القصيرة والمطولة وبعضهم ينشىء المقالات الأدبية، وبعضهم يقوم بالتأليف في: الأدب، والتاريخ، والاجتماع»(٢٠)، وأضاف الى ذلك قوله: «منهم السادة. . محمد السنوسي. . ومنهم من له عدة دواوين. . ومنهم من له ديوان واحد كمحمد السنوسي»(٢١).

■ ويلاحظ أن نتاج أدباء جازان كان ينال عناية إخوانهم الأدباء في الحجاز وفي غيره من حيث: تقريظه، والتعريف به، أو دراسته، وربما نقده، ومناقشة مضمونه كما فعل محمد سعيد العمودي حينما تناول بالدراسة والعرض مجموع «شعراء الجنوب»، في مقاله: «جانب من الأدب السعودى الحديث: شعراء من الجنوب»(٢٢)، ومثلما كان يفعل أحمد ابراهيم الغزاوي في تناوله لبعض دواوين شعراء جازان، مثل محمد بن علي السنوسى الذى تناول ديوانه: «القلائد» بشيء من الدرس والتحليل فى مقاله: «الأدب الصاعد في ديوان القلائد»(٢٣)، وحينما يتعدى الأمر للنقد الجاد، والدرس الحقيقي فإن ذلك يدل على أن نتاج أدباء جازان بدأ ينال اهتمام النقاد والأدباء من داخل السعودية ومن خارجها، ومن ذلك مالاحظه عدنان أسعد، من مصر على الشاعر: محمد بن على السنوسي، إذ قال: «في العدد التاسع لشهر رمضان ١٣٦٦هـ قرأت في المنهل الغراء لحناً جميلا للأستاذ محمد بن على السنوسي بعنوان أغنية البلبل، وهي في الحق أبيات جميلة منغومة خفيف وقعها فى الأذن، لطيف مسراها في البدن، كيف لا وهو يبعث الوجد من ضمير المعنى فيبدىء من فؤاده أسراره، على أنى وقفت عند قوله:

وإذا بالغدير وهو بساط
طربا قد أهاجه وأثاره

موقف المنبه الذي ينشد الحق والصواب، فلا يقال في اللغة أهاجه من الرباعي المهموز، وإنما يقال هاجه من الثلاثي، وهو يتعدى ويلزم، كما يقال هيجه بالتضعيف فى

مقام التكثير، ويقع في مثل هذا أغلب الشعراء، وأحسب أن الشعر لا يجوز للشاعر مالا يجوز، حفاظا على الوزن فللضرورة مواضع لا تخفى على الاستاذ(٢٤)، ويبدو أن السنوسى قد تقبل تلك اللمحة النقدية بروح أدبية واثقة، وأنشأ بسببها قصيدة، قال فى صدرها:

تحفة الضاد منطقا جذابا
هاتها من فم الحبيب رضابا(٢٥)

■ ولم يكن دور مجلة المنهل محصورا في تشجيع الناشئة، ونشر نتاج الأدباء المعهودين وحسب، وإنما كان ظاهراً في نقل أخبار تهامة، والتعرض لواقع حركتها العلمية والأدبية، إذ يبدو أن مراسلي المجلة، ومندوبها قد حرصوا على هذا الجانب، فلقد تحدثوا مثلا عن المهرجانات الأدبية التى كانت تقام هناك، وتعرضوا أيضا لذكر فتح المدارس التى تؤسس فى ربوعهم، فلقد أشار إلى شىء من ذلك وكيل مجلة المنهل بجازان حين تعرض في شهر ذي الحجة سنة ١٣٥٦هـ الى حفل مدرسة جيزان الأميرية بمناسبة مرور عام على افتتاحها(٢٦)، ولم يكتف بهذا بل كرره في ربيع الأول عام ١٣٥٨هـ(٢٧)، ويبدو أن هذه الأخبار لم تكن مجرد إعلام بتلك الوقائع، وإنما يبدو أن ذلك المراسل كان يرصد المظاهر الأدبية التى يذكيها المواطنون عندئذ من: خطابة، وقصائد، ومشاركات، ومن الواضح أن البريد الأدبي الذي كان يرد من مراسل المجلة في جازان كان يحفل ببعض القصائد المناسبة التى يسهم بها الشعراء المواطنون فى المناسبات العامة المهمة، فلقد كان لوفادة الأمير محمد بن عبد العزيز لتهامة سنة ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م أثر في إذكاء روح الأدب والاسهام فى ميدانه، حيث قيل بأن محمد بن على الثروي بعث إلى مجلة المنهل بالقصيدة: «العصماء» التى ألقاها الشاعر على بن محمد السنوسى بين يدي سمو الأمير في جازان»(٢٨)، عبر تلك الزيارة، وفى إحدى المناسبات التى أقيمت فى تلك الرحلة، ولكن الذى يجب التنبه له أن توقف مجلة المنهل سنة ١٣٥٩هـ وخلال الحرب العالمية الثانية قد أثر على مشاركة أدباء تهامة فى هذه المجلة.

■ ويتبين للناظر في الحركة الأدبية التى كانت تؤديها هذه المجلة أنها الى جانب ما تقدم من اخبار كانت تحفل بالمقالات الثقافية ذات الطابع الاجتماعى المحلى الذى يتمثل فى التعريف بمناطق تهامة وأوضاعها الجغرافية، فلقد كتب محمد الهادى بن عقيل فى ذى القعدة ١٣٥٧هـ مقالا وسمه بـ: «جازان: جغرافيتها، وحياتها»(٢٩)، وأشبهه في هذا الميدان محمد بن زارع عقيل الذى تعرض فى عدد جمادى الثانية سنة ١٣٧٣هـ للحديث عن تهامة تحت عنوان: «اعرف بلادك»(٣٠)، وكرر مثل هذا في مقال له بعنوان: «جبل القهر فى التاريخ» في عدد جمادى الثانية سنة ١٣٧٥هـ(٣١)، وربما كان التعريف بعلماء تهامة وإجراء المقابلة معهم من السنن الثقافية المعهودة في هذه المجلة عبر هذه الفترة، مما زاد في ايضاح مستوى الفكر بتلك الأنحاء، ودلل على أدبائها ومثقفيها، ومن أمثلة ذلك ما صنعه محرر مجلة المنهل فى لقائه مع الشيخ عبد الله ابن محمد القرعاوي، تحت عنوان: «ساعة مع مؤسس مدارس الجنوب، وذلك في جمادى الأولى سنة ١٣٦٧هـ(٣٢)، ومثلما تعوده ناصر قاسم فى مقابلاته المستمرة مع أدباء تهامة ومثقفيها، من مثل: عبد الله بن علي العمودي، ومحمد زارع عقيل، ومحمد بن أحمد العقيلى، ومحمد بن على السنوسى(٣٣)، وغيرهم، وإذا كان قد اتسع نطاق هذه اللقاءات بعد سنة ١٣٧٥هـ تاريخ نهاية هذه الدراسة فإنها قبل ذلك كانت محدودة، ولكنها ظاهرة معروفة، ولقد دللت تلك اللقاءات أن أدباء جازان قد تفاوتوا في نشر إسهاماتهم الأدبية، ففي حين كان محمد ابن على السنوسى ينشر نتاجه الشعري قبل سنة ١٣٧٥هـ، قال إنه لم ينشر شيئاً من نتاجه النثرى إلا فى سنة ١٣٧٦هـ، ومثله محمد زارع عقيل الذى ذكر أن: أول كتاباته النثرية عن جازان كانت في سنة ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م(٣٤).


محمد بن على السنوسى احد شعراء الجنوب البارزين، وقد اطلق عليه الانصارى (شاعر الجنوب)

ويتجلى دور هذه المجلة في حركة الفكر والأدب أن شعراء جازان قد أخذوا يشاركون فى عملية التأثير والتأثر مع إخوانهم الأدباء فى أنحاء المملكة العربية السعودية وخارجها وذلك عن طريق هذه المجلة وغيرها ـ ويظهر ذلك في معارضة محمد بن أحمد العقيلى لأحمد شوقى(٣٥) فى قصيدة العقيلى الموسومة بـ: «ذكرى الملك عبد العزيز آل سعود»(٣٦)، إذ قال العقيلى:

سنة ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٦م، فإن معاصره محمد بن علي السنوسي قد أخذ أيضا ينشر شعره في هذا العام نفسه، ولعل للمواطنة دوراً في ذلك، وربما كان لتوافق نشأتهما أثر في هذا الميدان، إذ نلحظ أن السنوسي بدأ يسهم مع إخوانه الأدباء في باب الشعر الموسوم بـ: «ديوان المنهل»، حيث ظهر ذلك في الجزء التاسع لشهر رمضان ١٣٦٦هـ. وذلك يعني أنه تأخره عن مواطنة العقيلي يقدر بنحو شهرين، وهذا يدل على توافق ظاهر بين الشعراء الشبان في مجتمع جازان وما حوله، وتأتي مساهمة السنوسي الأولى في قصيدة: «أغنية البلبل» التى يقول في مطلعها:

وتـر ما سمـعـت أم قيـثـارة

أم شجـى بلبـل الـريـاض هزاره(٥٣)

■ ويتواصل عطاء السنوسيْ في مجلة المنهل على الرغم من قلته في السنوات اللاحقة، إذ وجد له قصيدة عنوانها: «شهداء فلسطين» ثم نشرها في ربيع الثاني ١٣٦٨هـ، ومطلعها:

تحيـة شهـداء المـجـد والشرف

عطراء كالمسـك أو كالـروضـة الأنف(٥٤)

■ ومما نلاحظه في مشاركات هذا الشاعر من بعد ذلك أنه كان يسهم في مجلة المنهل عبر هذه الفترة بصفة حولية تكاد تكون منتظمة، ففي شهري جمادى الأولى والثانية من سنة ١٣٦٩هـ نشر له قصيدة عنوانها: «تحية الاذاعة السعودية»، وقد علق عليها محرر المنهل، بقوله: «ألقيت بالاذاعة السعودية فكان أول أديب جازاني يذاع شعره في العالم على أمواج الأثير»(٥٥)، وفي عدد ذي القعدة وذي الحجة سنة ١٣٧٠هـ أسهم السنوسي في مجلة المنهل بقصيدة شعرية، كان قد ألقاها في محفل شعرى بجازان عنوانها: «تاج يضيء ودولة تتألق»، وقد مهد لها في بابها بقول المحرر: «القصيدة الرائعة التى نظم عقدها شاعر الجنوب الاستاذ السيد محمد السنوسي، وألقاها بين يدي سعادة أمير جازان الامير مساعد السديري بمناسبة عيد الأضحى، وقد كان لها رنة استحسان عظيمة، ولا غرو فهي تزخر بشاعرية فياضة عريقة»(٥٦)، ومطلعها:

تاج يضـيء ودولـة تتـألـق

وحـمى يصـول، وأمـة تتـفـوق(٥٧)

■ وإذا كان السنوسي من أكثر شعراء تهامة إسهاماً في هذه المجلة، فإنه قد زاد في مشاركاته الشعرية في السنوات: ١٣٧٢، ١٣٧٣هـ، ١٣٧٤هـ، ١٣٧٥هـ، اذ أخذ يسهم بقصيدتين في السنتين الاوليين، ثم بأكثر من ذلك في السنتين الأخريين، ففي عدد جمادى الأولى سنة ١٣٧٢هـ نشر له في مجلة المنهل قصيدة عنوانها: «مركب


عبد المجيد شبكشي — د. هاشم عبده هاشم

السحاب»، ومطلعها:

هب والأفـق ديـمـة وغـمـامـه

وجـبـين الـسـماء بادي الجـهـامـه(٥٨)

■ وفي ذات السنة أيضا في عدد ذي الحجة سنة ١٣٧٢هـ أسهم بقصيدة ثانية عنوانها: «قطوف وأصداء»، ومطلعها:

أمـل لاح في سماء الـوجـود

ذهـبـي الـسـنـا زكـي الـورود(٥٩)

■ وفي عدد ربيع الاول سنة ١٣٧٣هـ شارك السنوسى بقصيدة تحت عنوان: «صوت جازان: الملك العصامي» يرثى فيها الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، مطلعها:

صقـر الجـزيـرة عاهـل الاسـلام

من ذا يكـافـح عنهـا ويحـامـي(٦٠)

■ وفي عدد ذي القعدة عام ١٣٧٣هـ أسهم السنوسي بقصيدة عنوانها: «درة التاج»، قيل في صدرها: «القصيدة العصماء التى نظمها شاعر الجنوب الاستاذ السيد محمد علي السنوسي بجازان بمناسبة حلول أول عيد على ارتقاء جلالة الملك سعود المعظم عرش آبائه، وقد نظمها خصيصي لهذه المناسبة الكريمة وفي قلب الجنوب من جازان.

على الشرق نور من محيـاك يسـطع

يلوح على الـدنـيـا سعـودا ويـلمـع(٦١)

■ وتزداد مشاركة السنوسي في مجلة المنهل عبر سنتي ١٣٧٤هـ، ١٣٧٥هـ، إذ اسهم في كل منهما بثلاث قصائد أولاها نشرت في عدد ربيع الاول ١٣٧٤هـ، تحت عنوان: «فرحة الجنوب»، إذ قيل في صدرها: «القصيدة العامرة التى ألقاها الاستاذ محمد بن علي السنوسي شاعر

الجنوب بين يدي جلالة الملك المعظم أثناء زيارته الميمونة لتلك المنطقة، وقد حازت التقدير والاعجاب والاستحسان:

في هالـة من شعـاع الـروح تأتـلق
نور الخـلافـة فى برديـك ينبـثـق(٦٢)

■ وفى العدد السادس لشهر جمادى الثانية سنة ١٣٧٤هـ أسهم السنوسى بقصيدة أخرى عنوانها: «أحمد أمين» ومطلعها:

ثمـن المـجـد أن تعـيش غريـبـا
فيـلسـوفـاً أو شاعـرا أو أديـبـا(٦٣)

■ وفى عدد شهر شعبان من هذا العام نفسه أنشأ السنوسي قصيدة عنوانها: «فارس الاحلام»، ومطلعها:

الـدجـى يزحـف والـنـجـم يرود
وهـلال الأفـق في الأفـق ولـيـد(٦٤)

■ أما مشاركة السنوسي فى مجلة المنهل عام ١٣٧٥هـ، فقد كانت ظاهرة فى مطلع هذا العام، حيث نشر له قصيدة عنوانها: «أم القرى: من وحي المؤتمر الاسلامي»، ومطلعها:

نور على الـبـطـحـاء لماح الـذرى
يهدي الـقـرون ضيـاءه والأعصرا(٦٥)

■ وفى شهـر رجب من هذا العام نشر للسنوسي قصيدة عنوانها: «حطم المارد القيود»، ومطلعها:

هتـفـت والـشـعـور روح وراح
ويـك غرد فقـد أضـاء الـصـبـاح(٦٦)

■ وقد قيل فى صدرها: «القصيدة الفائزة بالجائزة الأولى مسابقة مجلة الرياض السعودية»(٦٧).

■ وفى عدد ذى القعدة سنة ١٣٧٥هـ أهدى السنوسي قصيدتـه الموسومة بـ: «العالم العربي» الى الاستاذ حسن عبد المقصود، ومطلعها:

خلفـت كيـد الحـاسـديـن ورائـي
ونـفـضـت من رهـج الـغـبـار ردائي(٦٨)

■ وهـذا كله يشير الى دور مجلة المنهل في انعاش الأدب التهامي، وإيجاد الصلات الأدبية بين أدباء تهامة وإخوانهم في بقية أنحاء المملكة العربية السعودية.

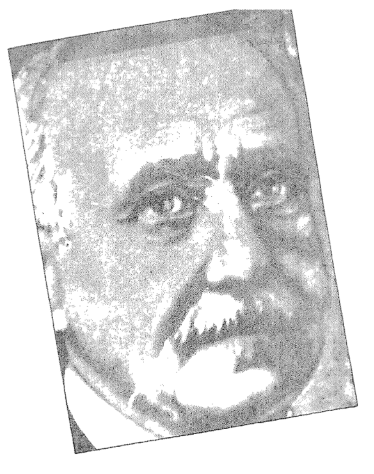
■ وإذا كان قد أدرك دور مجلة المنهل في استقطاب الشعراء وتشجيعهم، ونشر نتـاجهم فإن ذلك يدل على أثر هذه المجلة فى إذكاء روح الأدب بجازان، فالحق أن دور مجلة المنهل يعد من الأسباب الحقيقية ليقظة الأدب، وبخاصة في ميدان الشعر الذى يعد من أوسع أبواب الأدب مادة ومشاركة، وهذا يجعل الباحث يدرك البون الشاسع بين الشعـر وغيره من الفنـون الأدبية الأخرى، مثل القصة ونحوها، ولعل السبب فى ذلك يعود إلى أن الشعر أقدم الفنون ذيوعاً، وظهوراً في مواطن البلاد بعامة، إذ هو فن موروث معهـود، إزداد يقـظة ونشـاطـاً بوجـود أسبـاب النهضة، ومنها الدوريات التى ساعدت على إيقاظ هذا الجانب الأدبى المهم، لأن القصة تعد من الفنون الأدبية الحـديثة التى تم تقعيدهـا، وظهـورهـا بهيئتها الجديدة وضوابطها الفنية المعهودة، وهذا ما دعا إلى تأخر ظهورها، حيث كانت سنة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م بداية لظهورها فى الأدب فى تهامة عبر مجلة المنهل، ولعل من أبرز كتابها محمد زارع عقيل الذي أسهم بشيء من نتاجه القصصي فى هذه المجلة، إذ كتب في العـدد الثـالـث لشهـر ربيع الاول ١٣٧٥هـ قصة عنوانها: «قلب الأسد»، قيل فيها: «قصة واقعية نقلها (كاتبها) بصورة أدبية»(٦٩)، إذ يبدو أن الروح التقليدية ظلت تسيطر على ما كان يكتبـه محمـد زارع عقيل، فلقد كتب أيضا في مجلة المنهل في العدد العاشر من ذي الحجـة سنـة ١٣٧٥هـ قصـة عنـوانها: «الفـارس الملثم»(٧٠)، وقد كانت هذه الاسهامات بداية فعلية لهذا الجانب الأدبى المهم، حيث نلحظ من بعد أن أدباء تهامة بدأوا عنـدئذ يشاركون في كتابة هذا الفن، فلقد ورد في عدد ربيع الأول سنة ١٣٧٦هـ من مجلة المنهل شيء من إسهامات أدباء جازان فى هذا الميدان، إذ كتب أحمد عبد الواحد أحمد قصة رمزية عنوانها: «الهاتف المجهول»(٧١)، وهذا يشير الى أن أولئك الناشئة بدأوا يكتبون القصص ويشاركون به فى الساحة الأدبية، وأن مجلة المنهل أدت دوراً ظاهراً فى تشجيع هذا اللون الأدبي، كما فعلت من قبل فى الشعر، وكما تحقق في أعدادها المستمرة من بعد في الربع الثانى من القرن الرابع عشر الهجري، وذلك مالا نقف عنده فى هذا المبحث المختصر، فهو ظاهر وافر يدل على اتساع رقعة الأدب، وعظم دور هذه المجلة الغراء، والذى يمكن الاشارة اليه أنه إذا كان قد توقف إسهام أدباء جازان فى مجلة المنهل عن الفترة (١٣٦٠-١٣٦٥هـ) فإن ذلك يعود إلى توقف صدور المجلة نفسهـا: «خلال الحرب العالمية الثانية»(٧٢)، «إذ احتجبت مع سائر الصحف المحلية ولم تعد الى الصدور إلا فى ديسمبر ١٩٤٥م»(٧٣).

الهوامش والتعليقات

(١) قال محمد بن عبد الرحمن الشامخ: «أصدرت الحكومة السعودية جريدة «أم القرى» بمكة المكرمة فى ١٥-٥-١٣٤٣هـ (١٢-١٢-١٩٢٤م)، وهى صحيفة أسبوعية رسمية توجت صفحتها الاولى بالاية الكريمة: ﴿وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها﴾ (سورة الشورى/٧)، نشأة الصحافة ١٤٩، ط١، دار العلوم، الرياض (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م) وانظر: «موجز تاريخ

أدب

الجزء الثانى والاخير



صلة ما سبق:

فى الحلقة الماضية من هذا الموضوع ناقش الكاتب نقاط التوافق الموضوعي والشكلى بين قصيدتى بردة البصيرى، ونهج البرده لاحمد شوقى، مع شىء من التركيز فى جوانب التجديد عند شوقى، مركزا على نقاط التفرد فى قصيدة نهج البردة.

وفى هذه الحلقة يناقش بقية النقاط المتعلقة بالموضوع.



قراءة جديدة قصيدة نهج البردة لأحمد شوقي

بقلم:
د. حلمى محمد القاعود

■ يطرح الشاعر مقولة الشانئين للاسلام «قالوا: غزوت. . » أى إن السيف كان وسيلة الدعوة وطريقها وكأن الغزو هو السمة الفارقة بين الاسلام وغيره من الشرائع، ثم يعقب الشاعر على ذلك بتفسير القوم لرسالة الرسل: بأن رسل الله ما بعثوا لقتل الناس، ولا سفك دمائهم. . أى إن رسالة الاسلام - فى تصورهم الخاطىء - كانت على عكس ما جاء به الرسل، فهى رسالة دموية كما يزعمون.

ويرد الشاعر بصيغة قاطعة مستخدما الجملة الاسمية مرة «جهل وتضليل أحلام وسفسطة» والجملة الفعلية مرة أخرى ذات الفعل الماضى، «فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم». فى الجملة الاسمية يقطع بأنه كلام جهل وضلال خيال، وثرثرة لا تقوم على أساس من الأدلة والبراهين. وفى الجملة الفعلية يستخدم الفعل الماضى كأنه يعادل الفعل الماضى فى فريتهم «قالوا: غزوت» وليؤكد لهم أن الفتح بالقلم: أى الفتح بالكلمة الطيبة القائمة على الحكمة والموعظة الحسنة والحوار والاقناع، وهذا الفتح قد بدأ مع بداية الاسلام، وأول آية نزلت فى القرآن الكريم. ﴿**اقرأ باسم ربك الذى خلق ● خلق الانسان من علق ● اقرأ وربك الاكرم ● الذى علم بالقلم ● علم الانسان ما لم يعلم**﴾ (سورة العلق/ ١-٥)، وما كان السيف وسيلة للدعوة، ولكن كان وسيلة للحماية بعد استنفاد كل وسائل الاقناع والحوار، وبعد إصرار الطرف الآخر على العداء والايذاء والمقاتلة. . فشرع القتال حماية للمسلمين والدعوة فى مواجهة الكفر المتوحش الذى ركب رأسه ورفع السيف فى وجه الاسلام استهانة بالمسلمين ورغبة فى القضاء عليهم.

■ ويفسر «شوقى» ذلك، من خلال موقف الذين اهتدوا الى الاسلام عن اقتناع وفهم ويقارنه بأولئك الذين وضعوا

العقل جانباً واستخدموا القوة ضد الاسلام، فعندما نشر النبى ﴿ﷺ﴾ دعوته آمن ذووا الاحساب والانساب عن طواعية، وجاءوا إلى الرسول ﴿ﷺ﴾، لينضموا إلى قافلة الاسلام دون إكراه ولكن الآخرين من الجهال والعامة الذين آثروا العداء، ورفعوا السيف فى وجه الدعوة، كان لابد من مواجهتهم بالسيف حتى يستقر المسلمون ويأمنوا على أنفسهم، فكفل السيف بالجهال والعمم (العامة) . . والثابت تاريخيا أن المسلمين لم يبدءوا غيرهم بقتال ولكن هذا الغير هو الذى كان يبدأ القتال.

ويضرب الشاعر مثلا يؤكد سلامة المنهج الاسلامى فى الدفاع عن النفس، فيقول إن الشر لا يصلح فى مواجهته الخير، بل لابد من شر مثله كى يقضى عليه:

والشر إن تلقه بالخير ضقت به
ذرعاً وإن تلقه بالشر ينحسم

■ والشر الثانى الذى يقصده الشاعر لمواجهة الشر الأول، ليس العدوان، وإنما يقصد «القوة» التى يدافع بها أصحاب الحق عن أنفسهم . . وسماه الشاعر «شرا» مشاكلة على غرار قوله تعالى، ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ (سورة الشورى/ ٤٠).

المهم هنا أن الشاعر لم يأت بالمثل حشوا للقصيدة، وإنما أتى به كبرهان من براهينه على خطأ المقولة المعادية «غزوت . .» ودحضها.

ثم يضرب الشاعر مثالا تاريخيا معروفا يتعلق بالمسيحية نفسها التى حوربت وطوردت فلم تعش إلا من خلال القوة أو من خلال السيف، لقد حورب المؤمنون بالمسيحية حرباً شعواء لدرجة أن هربوا إلى الجبال والسراديب ليختفوا فيها ويحتموا بها ويتعرف الواحد منهم على الآخر من خلال إشارات خاصة، بعد أن ذاقوا مر العذاب، وفى روما كانوا يلقون المسيحيين للحيوانات المفترسة من الاسود والنمور تمزق أشلاءهم وتقطع أحشاءهم وهم قيام ينظرون[٣] . . واستمر الحال على ذلك طويلا حتى جاء أحد القياصرة ليتخذ منهم جنوده ويحارب بهم أعداءه ثم يطلق لهم حرية التدين، فتنتشر المسيحية تحت ظلال السيوف.

■ ويعود الشاعر مرة أخرى ليؤكد الأخوة النبوية بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، ليقطع الطريق على المرجفين والمتعصبين، وليوضح أنهما يستقيان من منهل واحد، وأن الاسلام واحد.

أخو النبى وروح الله فى نزل
فوق السماء ودون العرش محترم

■ ووصف المسيح بروح الله يتفق مع التصور الاسلامى . . ﴿إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾ (سورة النساء/ ١٧١)، والمسيح مع محمد عليهما الصلاة والسلام ينتميان فى كل الاحوال الى منزلة محترمة تسمو على غيرهما من البشر، وتقترب بهما الى رحاب الله.

■ إن «أحمد شوقى» وهو يرد الفرية التى افتراها اعداء الاسلام المعاصرون ومن قبلهم، لا ينسى أن يكشف عن أخلاق الاسلام فى ميدان الجهاد، وإنسانية المسلمين فى تعاملهم مع غيرهم، ثم يشير إلى نقطة مهمة للغاية، وهى قيمة الجهاد كأساس من أسس نظام الكون:

علمتهم كل شىء يجهلون به
حتى القتال وما فيه من الذمم
دعوتهم لجهاد فيه سؤددهم
والحرب أس نظام الكون والأمم
لولاه لم نر للدولات فى زمن
ما طال من عمد أو قر من دعم
تلك الشواهد تترى كل آونة
فى الأعصر الغر لا فى الاعصر الدهم
بالأمس مالت عروش واعتلت سرر
لولا القنابل لم تسلم ولم تصم

■ إن الدفاع ضد الفرية يقتضى تذكير أعداء الاسلام بمنهج القتال أو الحرب فى الاسلام، وهو منهج يقوم على الانسانية والرحمة، وقد حوت كتب الشريعة والحضارة الاسلامية تفاصيل هذا المنهج، الذى ورد فى القرآن الكريم والحديث الشريف، وطبقه الرسول ﴿ﷺ﴾ عمليا. يكفى أن نشير إلى نهى الاسلام عن التمثيل بالقتلى، أو قتل النساء والأطفال والعباد الذين يلزمون أماكن العبادة، والذين يعلنون السلام، ويكفى أن يكون العفو والصفح هو المثل الاوضح عند فتح مكة، بالرغم مما تعرض له المسلمون على أيدى كفارها . . ولعل استخدام الفعل «علم» ينبىء عن سمو المنهج الاسلامى بعامة، وفى القتال بصفة خاصة، فقد كانت الحرب قبل الاسلام أقرب الى الهمجية والوحشية التى لا ترعى حرمة ولا تحفظ عهداً، ولذا جاء الاسلام ليضع أصولا تجعل للقتال أصولا وقواعد إنسانية، حفاظا على العهود وصونا للحرمات.

ثم يبين «شوقى» أن الجهاد فى الاسلام ليس لمجرد الغزو والقتل وسفك الدماء، ولكنه لطلب المجد والأمن وفقا لأصوله وقواعده، عندما يرد أعداء الدين والأمة، ثم إن الجهاد «أس نظام الكون» أى هو الأساس الذى قامت عليه الدنيا منذ بدء الخليقة، حيث يبغى الشر، فيرده من

أن يكونوا قدوة للآخرين والقدوة لا تقارن بالمقتدى ولذا يصفهم «شوقى» بالارتفاع عن الموازنة او المقارنة بغيرهم لانهم نمط خاص، ونموذج فريد من صنع الاسلام وحده لم يلحق بهم فى العدل والزهد والتقوى والشجاعة والنخوة والعقل أحد. وقد توقف الشاعر وقفات سريعة خاطفة عند بعض الخلفاء تعطى ملمحاً بارزا من أهم ملامح كل منهم.

●● ويلاحظ هنا أن الشاعر يبدو مجهدا فقد استغرقه الانشاد طويلا، وها هو يقترب من نهاية قصيدته المطولة، فيبدأ الاجهاد الفنى يتسلل الى أبياته وكأنه يريد أن ينتهى من الانشاد بأية وسيلة ولعل ذكر الخلفاء رضوان الله عليهم، وعددهم كبير بلا شك، لم يمكنه من التريث عند كل منهم بما يتلاءم مع عطاء شخصيته وإشعاعها. لقد كانت الأبيات هنا أقل من مستوى الأبيات الأخرى التى قالها فى المطلع أو عند حديث النفس، أو حول قضية الاسلام وأعدائه، فقد خلت إلى حد ما من الصور البلاغية والعاطفية المتأججة وهما ركنان أساسيان فى بناء شعره، وجاءت أقرب إلى النظم والصياغة التقريرية.

■ بيد أن «أحمد شوقى» عندما وصل إلى الختام التقليدى للقصيدة، واستشعر أنه على اتصال وثيق - مرة أخرى - بشخصية النبى ﴿ﷺ﴾، أخذت عاطفته تشتعل ووجدانه يسطع، وروحه تنتعش فقد أعادته الشخصية المحمدية الى غايته الأساس وهى حال المسلمين المعاصرين التى استولت على معظم أبيات القصيدة وربطت بين الطرفين (الشخصية المحمدية وحال المسلمين) برباط وثيق تكشف عنه الأبيات.

لا ريب أن «شوقى» فى ختام القصيدة، كان مقلدا، ولم يكن وحده فى هذا المجال فقد كان التقليد بختم القصيدة بالصلاة والتسليم على النبى شائعاً فى قصائد المديح النبوى منذ البوصيرى والبرعى، وربما قبلهما وحتى الآن ولكن الجديد فى هذا الختام هو مزج الصلاة والتسليم بقضية الأمة.

يبدأ الصلاة والتسليم باظهار أبرز الصفات المحمدية، مثل تنزيل العرش، خير الرسل، محى الليالى بالصلاة، مسبح فى جنح الليل، رضى النفس، ثم يدعو لآل النبى، والخلفاء الأربعة والصحابة.

يارب صل وسلم ما أردت على
نزيل عرشك خير الرسل كلهم
محي الليالى صلاة لا يقطعها
الا بدمع من الاشفاق منسجم
مسبحا لك جنح الليل محتملا
ضرا من السهد أو ضرا من الورم

■ وتتصاعد قوة الاداء حين يدعو للخلفاء الأربعة والصحابة، ويستعيد نخوتهم وشجاعتهم فى مواجهة الاخطار:

واهد خير صلاة منك أربعة
فى الصحب صحبتهم مرعية الحرم
الراكبين إذا نادى النبى بهم
ما هال من جلل واشتد من عمم
الصابرين ونفس الأرض واجفة
الضاحكين الى الاخطار والقحم
يارب هبت شعوب من منيتها
واستيقظت أمم من رقدة العدم
سعد ونحس وملك أنت مالكه
تديل من نعم فيه ومن نقم
رأى قضاؤك فينا رأى حكمته
أكرم بوجهك من قاض ومنتقم
فالطف لاجل رسول العالمين بنا
ولا تزد قومه خسفاً ولا تسم
يارب أحسنت بدء المسلمين به
فتمم الفضل وامنح حسن مختتم

■ إن الدعاء بالصلاة للأربعة (الخلفاء الراشدين) تكشف عن مدى قيمتهم فى واقع الأمة فهم من الصحابة التى ترعى حرماتهم، ولهم من الذمة والمهابة ما لا يحل انتهاكه.. وكأن الشاعر يريد أن يذكر بما كانوا عليه حين اختار هذا الوصف دون غيره من الأوصاف (صحبتهم مرعية الحرم)، فهذا الوصف على المستوى الشخصى والمستوى العام، يبين الى أى حد كانت منزلتهم الشخصية ومنزلة الدولة تحت قيادتهم ولعل اختياره لهذا الوصف، يرتبط ارتباطا وثيقاً بالاوصاف التالية بعده لأنها تصب فى ذات الاتجاه، اتجاه المهابة والعزة والكرامة، فهم الراكبون إذا نادى النبى «وهم الصابرون» و«نفس الارض واجفة» و«الضاحكون» إلى الاخطار والقحم»، إنها أوصاف الفروسية والبطولة والنبل، التى تحمى أمة وتبنى دولة، وتوقظ شعباً.. وكأن الشاعر، ونفسه الشعرى يصاعد، يقودنا إلى دعاء آخر لتحقيق غايته من القصيدة.

يارب هبت شعوب من منيتها
واستيقظت أمم من رقدة العدم
سعد ونحس وملك انت مالكه
تديل من نعم فيه ومن نقم

رأى قضاؤك فينا رأى حكمته
أكرم بوجهك من قاض ومنتقم
فالطف لأجل رسول العالمين بنا
ولا تزد قومه خسفا ولا تسم

■ هنا المراد، منذ أنشد شوقى قصيدة «نهج البردة» يدعو ربه أن يلطف بأمته ولا يحملها فوق ما تطيق لأنها ذاقت من «الصعاب» الكثير. . وهو لم يدع ربه، إلا بعد أن نبه أمته، وخاطبها وألح فى الخطاب كى تستيقظ فقد وضح معالم الشخصية المحمدية كقيادة نادرة تمضى بمنهج الله لتحمى الأمة، وتقيم الدولة، وتخرج الناس من الظلمات إلى النور، وأظهر كيف يكون البناء وإقامة الدعائم، وضرورة أن تكون هنالك قوة تحمى كل ذلك، دون أن يؤثر مقولات الغرب المعادى ودعاواه حول الاسلام والغزو على مسيرة الحرية والعدل والحضارة. . وعندما يخاطب شوقى ربه ويطرح أمامه ما يجرى للشعوب الأخرى التى استيقظت من تخلفها وقامت من موتها فإنه يرجو أن يحدث مثل هذا لأمته فى عصرها الراهن، ويرجو الله ـ متشفعاً برسول العالمين ﴿ﷺ﴾ أن يدركها، ويلطف بها حتى تبعث مرة أخرى.

■ إن «شوقى» مع تحريضاته الكثيرة على البعث الحضارى واليقظة الانسانية للأمة الاسلامية، ووعيه بأن هذه اليقظة أو ذلك البعث لن يكون الا من خلال امتلاك القوة التى تحمى وتصون، فإنه يدرك أولا أن ما تمر به الأمم من دورات ارتفاع وانخفاض وتقدم وتخلف، هو من سنن الله فى كونه وأنه إلى قدر معلوم، ولذلك يتحدث عن «السعد والنحس» كناية عن القوة والضعف لدى الأمم، ثم يشير إلى أن الله هو صاحب الكون «الملك له» ينزعه ممن يشاء ويعطيه من يشاء، وأن إرادته سبحانه، هى الفيصل فى كل الأحوال، ولن يكون جل وعلا إلا قاضيا بالحق. . وهنا يكون الرجاء وتكون الضراعة باللطف، وتأمل قوله ولا تزد قومه خسفاً ولا تسم»، وكأن المسلمين قد نالهم من الضراء ومالم يعد فى طاقتهم احتمال المزيد منه.

ثم إنه فى ختام القصيدة أو البيت الأخير (التسعين بعد المائة) لا ينسى أن يلتفت إلى بدايتها الفعلية حيث ظهرت غايته منها، وهى العودة إلى المجد القديم. . أمة قوية ودولة قوية وشعبا أو شعوباً قوية ترفرف عليها راية الاسلام.

يارب أحسنت بدء المسلمين به
فتمم الفضل وامنح حسن مختتم

■ فالبدء بمحمد كان حسنا وكان عظيما، والمرجو أن يكون الختام (العصر الراهن) حسناً أيضا، وإن كان الشاعر هنا يضعنا فيما يشبه التورية عندما يتحدث عن «حسن مختتم» حيث يختم قصيدته بخير ختام، وهو ذكر محمد ﴿ﷺ﴾.

وهكذا يتحرك الشاعر على امتداد قصيدته أو عالمه الشعرى «فى نهج البردة» ليصعد بنا هرمه العظيم، الذى تتمثل قمته فى الدفاع عن الاسلام، ثم يهبط عند «حسن مختتم» بعد أن طوف بنا تطوافاً طويلا وحافلا من أجل بعث أمته.

■ وتمضى قصيدة «نهج البردة» على البحر البسيط، وهو البحر نفسه الذى نظم عليه صاحب البردة ومن قلدوه وربما كانت ايقاعات هذا البحر مع القافية الميمية الفخمة، من أنسب الايقاعات الموسيقية لمثل هذه المطولات، وما تعج به من قضايا تحتاج الى الجدل والبرهنة، وبخاصة فيما يتعلق بالدفاع عن الاسلام والتدليل على صدق المعجزات. . إنه بلا شك موقف يحتاج إلى الجدية والصرامة ولهذا يكون الايقاع أقرب إلى «مارش» عسكرى يتحرك مع دق الطبول إلى ميدان القتال، وهناك وجه شبه بين المعركة الحقيقية، والمعركة الذهنية والفكرية التى اشتعلت من خلال هجمات أعداء الاسلام على قيمه وتشريعاته والمؤمنين به. ونستطيع أن نلمح هذه الخاصية بصورة أوضح لدى البارودى وباكثير فى احتذائهما للبردة.

وبالاضافة إلى هذه الخاصية الموسيقية، فإن خاصية التصوير لدى «شوقى» ترتكز على عناصر بيانية وبديعية، وبخاصة التشبيه والاستعارة والطباق، ويحفل المطلع بالكثير من التشبيهات والاستعارات التى تصور الحب والاخفاق فيه، منذ أول بيت (ريم على القاع ـ أحل سفك دمى ـ رمى بعينى جؤذر أسدا ـ سرى فصادف جرحاً داميا فأسا ـ المؤانس بانا ـ اللاعبات بروحى ـ السافحات دمى ـ السافرات كأمثال البدور . . الحسن فى الأرام كالعصم).

وتتجلى خاصية التصوير البيانى والبديعى فى حفظ النص من السقوط فى قبضة التأريخ الجافة، إذ إن طبيعة القصيدة، وتناولها للماضى وأحداثه من خلال الشخصية المحمدية تجعلها أقرب إلى التقريرية والمباشرة، ولكن خيال الشاعر العريض أنقذه من هذا المنزلق الى حد كبير بفضل التصوير الجيد القائم على عناصر البيان والبديع.

بيد أننا لا نغفل أن الشاعر كانت عينه على «البردة» وهو ينظم «نهجها» فأخذ منها العديد من الملامح التصويرية، فضلا عن ملامح موضوعية وفنية لا تخفى على من قرأ القصيدتين.

وقفات مع الشاعر مد

تحس وأنت تطالع شعره أنك أمام شاع

بقلم: د. عبيد خيرى
أستاذ الأدب الانجليزى المساعد قسم اللغات الاجنبية
كلية التربية بالمدينة المنورة

أدب

■ ولد الشاعر محمد محمد على فى حلفاية الملوك شمالى الخرطوم فى عام ١٩٢٢م، وتلقى جزءا من تعليمه الأولى فيها، وتخرج من معهد أم درمان العلمى فى عام ١٩٤٥م، ثم عمل بالصحافة لفترة وجيزة، نزح بعدها الى مصر والتحق بكلية دار العلوم، وحصل فيها على ليسانس فى اللغة العربية وآدابها، ثم على دبلوم معهد التربية من جامعة عين شمس بالقاهرة، وعند عودته الى السودان عمل مدرساً بمدارس حكومة السودان الثانوية، ثم محاضراً بمعهد المعلمين العالى بأم درمان.

واستطاع على الرغم من ظروفه الصحية القاسية من إحراز درجة الماجستير من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة وكانت رسالته فيها بعنوان «الشعر السودانى فى المعارك السياسية ١٨٢١-١٩٢٤م» وما أن بدأ فى تحضير رسالة الدكتوراه مواصلاً فيها موضوع رسالته السابقة حتى داهمه المرض العضال فصعدت روحه الى جوار رب العالمين فى عشية الثامن والعشرين من شهر سبتمبر ١٩٧٠م.

■ ومن آثاره الأدبية ديوان شعر بعنوان «ألحان وأشجان» وآخر بعنوان «ظلال شاردة»، أما آثاره النثرية فنذكر منها: محاولات فى النقد وأخرى مبعثرة فى الصحف والمجلات المحلية.

وشاعرنا هذا رجل مرهف الحس، لبق ذكى، وساخر لاذع، يحب الكلمة ذات الجرس الموسيقى والرصانة العربية الأصيلة، فأنت تحس وأنت تطالع شعره أنك أمام شاعر عملاق فى يده ريشة فنان يرسم بها مشاهد الطبيعة طورا وما يختلج فى النفس البشرية تارة، وأسوق اليك من هذا مثلا رائعاً فى قصيدته «عتاب النيل»:

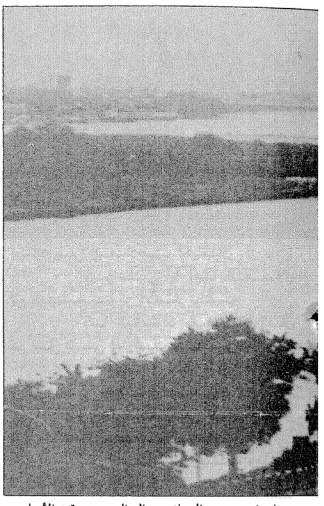
أبا الخير حيتك العطاش النواهل
وحيتك سود مدجنات هواطل[1]
وحياك دوح مورق العود ناضر
وحياك قفر عن نميرك سائل
وحياك من أرض الجزيرة نورها
وحياك همس أرسلته السنابل
فمنك أصاب الرى فينان مورق
ومنك استمد العزم نشوان عامل
وحياك وجدانى وحياك خاطرى
وحيتك الآمى وما أنا آمل
وغنت لك الدكن السواقى ملاحماً
يعيش بها ميت ويخصب ماحلُ
وناجاك مجداف السفين ببثه
ومن زجل النوتى غناك زاجلُ

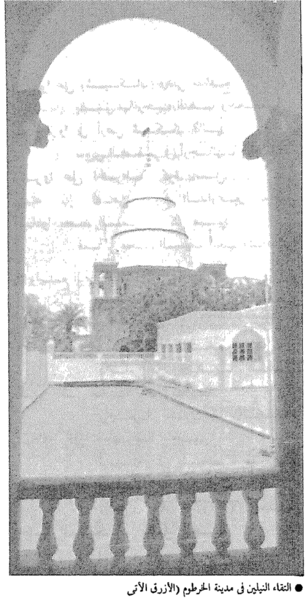
■ وفى هذه الأبيات يشهد القارىء الصور المتحركة الهائلة من الطبيعة فى السودان - أرض الجزيرة ونورها، همس السنابل، غناء السواقى الدكن، مناجاة المجداف، زجل النوتى - كل هذه المشاهد الطبيعية استطاع الشاعر أن ينقلها لك حية تحس حركتها وتسمع زجلها وهمسها فى شعر حافل بضروب البلاغة والبيان.

ويستمر شاعرنا فى قصيدته هذه معاتباً النيل فى شعر

د محمد على

عملاق فى يده ريشة فنان.





● التقاء النيلين فى مدينة الخرطوم (الأزرق الآتى من هضبة الحبشة، والأبيض الآتى من أوغندا).
● قبة الامام محمد احمد المهدى فى مدينة أم درمان.

يتجلى فيه حسن السبك وجمال التجسيد وقوة الأسلوب وجودة انتقاء الألفاظ وروعة الصور الشعرية الأخاذة، فيقول:

أبا الخير عندى من عتابك قصة
روتها عن البيد الظهاء قوافل
عطشنا وعشنا فى ربوع جديبة
تمر بها عجلان، ركبك جافل
كأنك مطرود وخلفك جحفل
له شكة مرهوبة وغوائل(٢)
نعيش على التأميل منك وتنحنى
علينا صغاراً أمهات نواحل
شرقن من الدمع الحبيس وأترعت
لهن من الدمع الغزير مناهلُ
فهن من البأساء غبر عوابسٌ
وهن من الأدواء صفر ثواكلُ

■ ثم يستشهد الشاعر بالنيل على الاحداث التاريخية التى جرت فى وطنه فى مجال الفخر بأجداده وجهادهم المضنى فى سبيل حماية النيل والذود عن حياضه فى شعر يمتاز بعمق الفكر ودقة التصوير والتحليق فى آفاق الشعر العالى مع الالتزام بقانون الخليل بن احمد الفراهيدى:

أبا الخير، أفنتنا الحوادث جهرة
فلا تشغلن عنا عدتك المشاغل
ظمئنا الى أمواج الحمر إنها
جمال وعرفان وبعث ونائل
فهن تراث من رجال أعزة
وهن دم منا بمجراك سائل
حميناك بالأرواح من كل غاصب
وطهر شطيك الأباة البواسل
أغاروا على الترك الجفاة بضيغم
من الشعث نابا: القنا والمناصل

ترامــوا على (شـيـكــان) وهـى مدافـع
يضيـق بها رحـب الفضـا وجحـافـل(٣)
فما غادروا فى أرض شيـكـان قائـماً
سوى الـصـقـر فى أرجـائهـا يتخـايـل
وكــروا على الخـرطـوم كرة باسـل
له من دروع الـدارعـين نوافـل
أبـادوا بحـد الـسـيـف كل مسـود
فعـاش بحـد السيف شعب منـاضـل

■ واستمع اليه فى منظومة أخرى عنوانها «ليلة ميتة» يرسم فيها بالكلمات فعل هذه الطبيعة فى نفسه وأعماقه فيعكس لنا الانسجام والتجاوب بين الانسان والبيئة من حوله :

لا الـبـدر يؤنـسـهـا ولا الـنـجـم
دهمـاء من ظلمائـهـا الـظلم(٤)
ظلماء قد ماتـت كواكـبـهـا
وأجـنـهـا كفـن هو الـغـيـم
سوداء كل جهـاتـهـا جـدر
تيـهـاء لم يشـخص بها وسم
الـرعـد قد خنـقـتـه قبـضـتـهـا
والـبرق لا يخبـو ولا يسـمـو
جثـم الـسـكـون بكـل ناحـيـة
وأصـابـنـى فخـواطـرى بكـم
صفـرت من الـصـهـبـاء خابـيـتـى
وجـفـانـى الـوسـواس والـوهـم(٥)
وإخـالـنـى جبـلا بمـوحـشـة
يبـسـت على اكـتـافـه الـعـصـم

■ وكل ما جاء فى شعره من سخط وشكوى فهو تصوير رائع لحالة من التشاؤم والقلق واليأس والحيرة التى عاناها السودانيون فى ظل الاستعمار البغيض الذى جثم على ظهر هذه الأمـة ردحـاً من الـزمان وخير مثال لذلك قصيدته «ظمأ» التى يقول فيها :

يا مترع الأكـواب من خمر الهـنـاء نسيت كوبى
أظمـأتنى وتـركتنى فى قفـرة الـزمن القـطـوب(٦)
فسكبت روحى فى ظلام الليـل ذى الأفق الـرحيب
دمعـاً تهش له الـرمـال البيض فى سفـح الكثيب
ينسـاب من خلل الـرمـال يضج من هول المغيب
كالـنجم أرعشـه خيـال القـبر فى كف الغـروب
حتى يعـود الى ظلام الـصـمـت فى سر الـغيـوب

■ وعندما رفع العلم فى السودان معلناً استقلال البلاد أنشد الشاعر الأبيات التالية فى قصيدته «العلم» معبراً فيها عما يختلج فى نفسه من أحاسيس ومشاعر:

● مسجد النيلين فى مدينة الخرطوم.

حيـاك منـى الـصـاخـب الخـفـاق
ويـراعـتـى يا أيهـا الـعـمـلاق
يوم انـتـفـضـت من الاسـار توثـبت
منـا الـقـلوب وفـاضـت الآمـاق
من قبـل عيـنـى قد رأتـك مشـاعـرى
طيـفـاً تمثـله لى الأشـواق
وأبـى وأمـى خالـتـاى وجـدتـى
لما انـتـفـضـت من الممات أفـاقـوا
لى فى مسـاء الـسـبـت منهـم سامـر
حتـى الـصـبـاح ونـشـوة وعـنـاق
تاريـخ آبـائـى عليـك مسـطر
ما أمـلوا ما كابـدوا ما ذاقـوا
ولـدتـك شيـكـان على صم الـقـنـا
وغـذاك من «كـررى» دم مهـراق(٧)
ومـذابـح الخـرطـوم وهـى رهـيـبـة
والـسـجـن والـتـعـذيب والارهـاق

■ ويتحـدث شاعـرنا فى قصيدته «إفريقيا الجديدة» عن حال إفـريقيا زمن الاستعـمار وحـالها بعد الاستقلال فى أسلوب خطابى يشعـر الانسـان فيه بصـدق القول وقوة الكلمات وجودة الأداء :

الـلـيـل شرده الـصـبـاح المشرق
والـقـفـر زينـه الخـمـيـل المورق
وشـدا على الأغـصـان كل مغـرد
خضـل الجـنـاح هديـله يترقـرق
لا تـسـمـع الآذان غير مهـلل
يتـلو خطاه مكـبر ومـصـفـق

إفـريـقـيـا طوت الـظلام وودعـت
حقـبـاً عجـافـاً لا تعـى لا تنـطق
كانـت كأهـل الـكـهـف الا أنها
فى كهـفـهـا تحسـو الأسـى فتـؤرق
صور ممزقـة الـرجـاء يلفـهـا
ليـل غرابـى الـطيـالس مطبـق[٨]

■ كان الرثاء من أهم خصائص شعر محمد محمد على، فقد قال فى رثائه للدكتور/ احمد الطيب، طيب الله ثراه، فى قصيدته «شهيد الفن»:

أوقـدت نفسى وقـد أطفـأت مصبـاحى
ليـلى ضريـر وصـبـحـى غير وضـاح
سلافـتـى دمـعـة من جفـن نائـحـة
وغـنـوتـى عولـة من صدر نواح
قد صوح المـزهـر الـريـان من شجرى
وأورق الـعـوسـج الملعـون فى ساحى[٩]
جف الـسـنـا من نجـوم كنت أحسبهـا
هدى سفـيـنـى إذا ما ضل ملاحـى
أمـوت فى موت صحـبـى ثم يبـعـثنى
حب الحـيـاة فأحـيـا بين صفـاح

■ فى هذا الرثاء أذاب الشاعر نفسه وكأنه يرثيها فقد فقد بفقد صديقه هناء العيش فصوح الريان من شجره وأورق الشوك الملعون ويعنى به أعداءه وهو إنما يرثى نفسه فى رثاء صحابه أمثال الدكتور/ أحمد الطيب ـ عميد معهد بخت الرضا آنذاك.

وقد رثى أيضا الاستاذ الكبير عباس محمود العقاد فى قصيدة بعنوان «يالهف نفسى» وكان شاعرنا آنذاك مريضا طريح الفراش، فقال:

يا مطلع الـنـور ياحـبـى وإيـنـاسـى
يا باعـث الـضـوء من أعـماق نبراسـى
وافى نعـيـك والـعـواد فى جزع
وصـفـرة المـوت فى وجـهـى واحسـاسى
جف الـرجـاء وجف الـدمع وانصرفت
خواطـرى عن حديث الـنفس والنـاس
يا لهف نفـسـى على سيـماك ساطـعـة
كالـبـدر يشرق بين الـنـرد والآسـى
لهفـى على منـزل شعـت جوانـبـه
بالـعـلم والـفـن لا بالـتـبر والمـاس

■ وفى شعر محمد محمد على مقطوعات كثيرة فى التأمل الفكرى العميق وخير مثال لذلك منظومته «الحظ ينتصر»:

يزعـم المـرء أنـه
مطلق الـفـكـر والـنـظر
مسـتـبـيـنـاً سـبـيـله
يأخـذ الـشـىء أو يـذر
ثـم تلقـاه سـاخـطاً
يلعـن الحـظ إن عثـر

■ ومثال آخر فى التأمل الفكرى نجده فى قصيدته «الخير» التى يقول فيها:

الخـير فى الـدنـيـا طيـوف سراب
إن قاربـت ذهـبـت لغـير مآب
ناجـيـه فى عرض الحـيـاة وطـولهـا
فى قبـحـهـا وجمـالهـا الخـلاب
فى ما بدا لك من جهـير سماتهـا
أو ما طواه الـغـيـب خلف حجـاب
سفـر الـوجـود هو الـكـتـاب الحق لا
ما سطرتـه يراعـة الـكـتـاب

■ وهكذا مات شاعرنا الانسان محمد محمد على تاركاً لنا حصيلة تجربته وشعره فى ومضات مشرقة تصور احاسيس نفس حزينة كليمـة عاشت الفقر والأسى والاحساس باليأس والشقاء وخير مثال لذلك قصيدته «زفرة»:

مللت الـعـيش والـدنـيـا ابـتـهـاج
لأنـى فى مرابـعـهـا غريـب
فيـوم ولادتـى يوم عبـوس
ويـوم نهايـتـى يوم عصـيـب
احس من الـشـقـاء بأن قلبـى
تقـلـقـله وقـد غرسـت نيـوب

■ وفى قصيدته «أصداء الليل» يرسم لنا الشاعر بريشة فنان أحاسيس نفس حزينة حائرة تعانى من اليأس والألم الدفين:

عشـت فى الـعـزلـة الـكـئيـبـة حتى
ضقـت ذرعـا بحـكـمـتـى وصـوابـى
أحـسـد الـطير إذ يمـوج على الأيـ
ك وتـضـحـى جموعه فى اصـطخـاب[١٠]
كلما عادت الـطيـور الى الـوكـ
ـر تذكـرت وحـدتـى واغـترابـى
وإذا زفـهـا الـصـبـاح الى الأفـ
ق ومـرت صفـوفـهـا خلف بابـى
عاقـنـى عن لحاقـهـا ثقـل الـقـ
يد وشـطت منـازل الاحـبـاب
آه من وطـأة الحـيـاة على الحـ
س وواهـا الى الـعـهـود الـعـذاب

زفــزفى يا ريــاح فى غســق الــلـ
يل ونــوحــى على الــذرى والــشعــاب
إن فى صوتــك الحــزيــن شكــــاة
افــصــحــت عن نوازعــى ورغــابــى
الــنــجــوم الــوضــاء سوف أنــا
جيــهــا وإن كان ضوؤهــا فى حجــاب
فهــى تدرى ماذا أكــابــد وحــدى
وهــى أنــســى وســلوتــى فى مصــابــى

■ ولكن رغم اليأس الذى عاشه الشاعر كانت تشرق فى نفسه ومضات من الأمل والرجاء بين الفينة والأخرى:

ومــا تدرى أخــلف الــغــيــب بحــر
من الأنــوار دفــاق رحــيــب!

■ وفى قصيدته «الامل» يمتلىء سمع القارىء بموسيقى صاخبة تناسب هذا المشهد وكاد يأس الشاعر يدرك أمله فيغطى عليه:

نــوره مــلء خاطــرى
وهــو فــى غيــبه استــتر
يطبــيــنــى حديــثــه
مــا الأغــانى ومــا الــوتــر
أســهــر الــليل علــنــى
أجــتــلى وجــهــه الأغــر
فــاذا ما كشــفــتــه
ســاءنــى منــه مــا ظهــر
واســتــعــضــت بتــائــه
لــيــس يــبــدو لــه أثــر

■ فالله أسأل له الرحمة والغفران فقد أسدى لوطنه وأمته أسفاراً قيمة هى بحق إضافة جديدة للمكتبة العربية عامة والسودانية خاصة، ولا يسعنى فى مضمار التعبير عن حبى وإعجابى بصديقى وزميلى محمد محمد على ـ عليه رحمة الله ـ إلا أن أقول:

ولــكــن حبــاً خامــر الــقــلب فى الصبــا
يزيــد على مر الــزمــان ويــشــتــد

المصادر والهوامش

(١) سود مدجنات هواطل: سحب داكنة ممطرة.
(٢) شكــة: ســلاح
(٣) شيكــان: منـطقـة بالقـرب من مدينة (الأبيض) بمديرية كردفان بغرب السودان ولقد وقعت فيها موقعة حربية فى ٥ نوفمبر ١٨٨٣م بين جيوش المهدية والجيش التركى الانجليزى بقيادة هكس باشا ولقد هزم فيها الجيش التركى الانجليزى وأبيد عن آخره.
(٤) دهمــاء: ســوداء
(٥) الصهبــاء: الخمر
(٦) قفرة الزمن القطوب: وحشة الزمن القاسى أو الصعب
(٧) كــررى: اسم منطقة شمال مدينة أم درمان وقد اشتهرت بموقعة تعتبر من المواقع الحربية الكبيرة فى تاريخ المهدية وقد وقعت فى الصباح الباكر من يوم الجمعــة ٢ سبتمبر ١٨٩٨م، بين جيوش المهـدية بقيادة الخليفـة عبـد الله التعايشى، والجيش الذى أرسل لاسترجاع السودان بقيادة الجنرال كتشنر بعد صلاة الفجر واستمرت أربع ساعات فقد فيها الأنصار نحو عشرة الاف قتيل بينما لم يصل قتلى الجيش الغازى المائة.
(٨) ليل غرابى الطيالس: ليل شديد السواد.
(٩) العوسج: الشــوك
(١٠) الأيك: الشجر الكثير الملتف

● جانب من المعدات الحربية التى كانت تستخدمها القوات المهدية ضد الانجليز. وهذا جانب من متحف الخليفة عبد الله التعايشى فى ام درمان.





أ.د. عبد الباسط احمد على حمودة
كلية اللغة العربية ـ جامعة الازهر

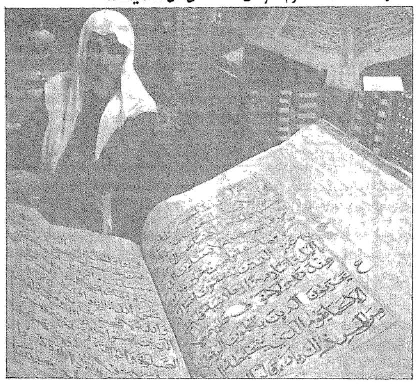
(القصة) فى أى شكل من أشكالها تحتل مكان الصدارة عند السامعين عادة، فهى لها من قوة الجذب ما يفتقده كثير من موضوعات الادب الاخرى.. وقصص النبوة وان كانت تحمل صيغة من صيغ الادب إلا أنها تقوم على قواعد ثابتة تمثل غايتها وهى التربية القويمة بغرس معانى الخير فى النفوس، وطرد نوازع الشر وامانتها. وفى هذه الدراسة القيمة العميقة يبين لنا الدكتور حمودة معالم القصة النبوية، مفهومها، أهدافها، وغايتها.



صلة ما سبق:

فى الحلقة السابقة من هذا الموضوع تناول الدكتور حمودة بالحديث مفهوم القصص فى اللغة، واستعرض الاسطورة والحكاية والخرافة والرواية والخبر..

وتحدث عن المفهوم القرانى للقصة فى كل مسمياتها.



مفهوم القصص فى السنة

وإذا استعرضنا مفهوم القصة وما فى معناها فى ضوء السنة النبوية فإنها تؤدى إلى ما فى معنى الحكاية أو الحديث أو الخبر وغير ذلك مما تقدم ذكره، فكما سبق كلها تغترف من معين اللغة التى تعتمد على المصدرين الأساسيين: القرآن والسنة.

■ والنصوص التى بين أيدينا من السنة توضح ما نحن بصدده، فقد روى البخارى(١) عن الزهرى عن سالم عن أبيه ـ رضى الله عنهما ـ قال كان الرجل فى حياة النبى ﴿ﷺ﴾ إذا رأى رؤيا قصها على رسول الله ﴿ﷺ﴾ فتمنيت أن أرى رؤيا فأقصها على رسول الله ﴿ﷺ﴾ وكنت غلاما شابا وكنت أنام فى المسجد على عهد رسول الله ﴿ﷺ﴾ فرأيت فى النوم كأن ملكين أخذانى فذهبا بى إلى النار، فإذا هى مطوية كطى البئر، وإذا لها قرنان، وإذا فيها أناس قد عرفتهم، فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار، قال فلقينا ملكا آخر فقال لى لم ترع، فقصصتها على حفصة، فقصتها حفصة على رسول الله ﴿ﷺ﴾ فقال: نعم الرجل عبد الله، لو كان يصلى من الليل، فكان بعد لاينام من الليل إلا قليلا.

وروى البخارى عن الهيثم أنه سمع أبا هريرة ـ رضى الله عنه ـ وهو يقص فى قصصه وهو يذكر رسول الله ﴿ﷺ﴾ أن أخا لكم لا يقول الرفث ـ يعنى بذلك عبد الله بن رواحة:

وفينا رسول الله يتلو كتابه
إذا انشق معروف من الفجر ساطع

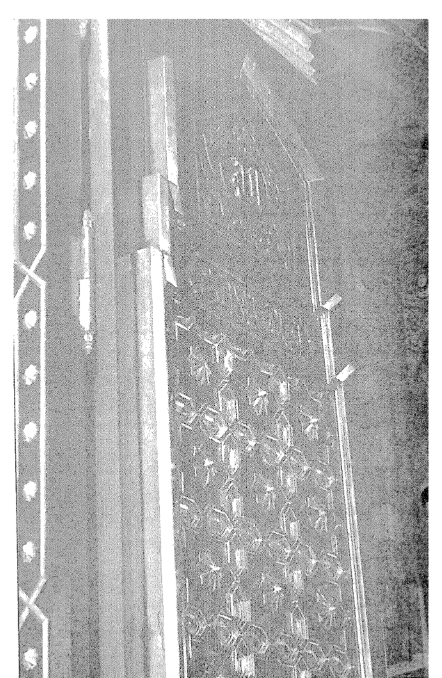
أرانـا الهـدى بعـد العمى فقلوبنـا
به موقنـات أن ما قال واقـع
يبيـت يجافى جنبـه عن فراشـه
إذا استثقلت بالمشركـين المضاجـع

■ وجـاء فى البخارى عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال: رأيت فى المنام كأن فى يدى ترقة من حرير لا أهوى بها إلى مكان فى الجنة إلا طارت بى إليه، فقصصتهـا على حفصـة ، فقصتها حفصـة على النبى ﴿ﷺ﴾ قال: إن أخاك رجل صالح، أو قال: إن عبد الله رجـل صالـح. ويروى البخارى أيضـا عن قيس بن عبـاد قال: كنت جالسا فى مسجد المدينة، فدخل رجل على وجهـه أثـر الخشوع، فقالوا هذا رجل من أهل الجنة فصلى ركعتين تجوز فيهـا، ثم خرج وتبعتـه، فقلت إنك حين دخلت المسجـد قالوا هذا رجل من أهـل الجنـة، قال والله ما ينبغى لأحد أن يقول مالا يعلم، وسأحدثك لم ذاك، رأيت رؤيا على عهـد النبى ﴿ﷺ﴾ فقصصتها عليه، ورأيت كأنى فى روضـة ـ ذكر من سعتها وخضرتها وسـطهـا عمود من حديد، أسفله فى الأرض وأعـلاه فى السـماء، فى أعلاه عروة، فقـيل له أرقـه، قلت لا أستطيع، فأتانى منصف(٢) فرفع ثيابى من خلفـى، فرقـيت حتـى كنـت فى أعـلاهـا، فأخذت بالعروة، فقيل له استمسك، فاستيقظت وإنها لفى يدى فقصصتهـا على النبى ﴿ﷺ﴾ قال: تلك الروضة الاسلام، وذلك العمود عمـود الاسلام، وتلك العروة العروة الـوثقى، فأنت على الاســلام حتى تموت، وذاك الرجل عبد الله بن سلام.

■ ومما تقدم تطلق القصة على مفاهيم كثيرة منها ـ على سبيل المثال ـ الرؤيا والرواية والخبر والحكاية(٣)، وأحاديث السـابقـين، وأحـداث الحـاضرين، ووصف أحـوال الأفـراد والجـماعـات والأمم وعالم الغيبيات وقد يكون توقعا لما سيحـدث مما سنـراه فى صحـيح البخارى، حيث يضع باباً لقصة عكل وعرينة، وقصة الأسود العنسى، وقصة أهل نجران، وقصة عمان والبحرين، وقصة دوس، وقصة وفد طيىء، وقصة يأجـوج ومأجوج، وقصة غزوة بدر.. ففى باب قصـة عكـل وعـرينة يقول حدثنى(٤) عبد الأعلى بن حماد، حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا سعيد عن قتادة أن أنسا ـ رضى الله عنه ـ حدثهم أن ناسا من عكل وعرينة قدموا المدينة على النبى ﴿ﷺ﴾ وتكلمـوا بالاسـلام، فقالوا يانبى الله، إنا كنا أهل ضرع، ولم نكن أهل ريف، واستوخموا المدينة، فأمـرهـم رسـول الله ﴿ﷺ﴾ بذود وراع، وأمرهم أن يخرجوا فيه فيشربوا من ألبانها وأبوالها، فانطلقوا حتى إذا كانوا ناحية الحرة، كفروا بعد إسلامهم وقتلوا راعى النبى ﴿ﷺ﴾ واسـتاقـوا الـذود، فبـلغ الـنبى ﴿ﷺ﴾ فبعث الطلب فى آثارهم، فأمر بهم فسمروا أعينهم وقطعوا أيديهم وتركوا فى ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم.

■ ويضع البخارى بابا فى قصة أهل نجـران(٥).. عن حذيفـة قال: جاء العـاقب والسيد صاحبـا نجـران إلى رسول الله ﴿ﷺ﴾ يريدان أن يلاعناه قال: فقال أحدهما لصاحبه لا تفعل، فوا الله لئن كان نبيا فلاعنا لانفلح أبدا نحن ولا عقبنـا من بعـدنـا، قالا إنا نعـطيك ما سألتنـا وابعث معنا رجلا أمينا، ولا تبعث معنا إلا أمينا، فقال لأبعثن معكم رجـلا أمينا حق أمين، فاستشرف له أصحـاب رسـول الله ﴿ﷺ﴾ فقـال: قم يا أبـا عبيدة بن الجـراح، فلما قام قال رسـول الـله ﴿ﷺ﴾ ـ هذا أمين هذه الأمة.

■ وقـد يطلق القصص على دعـوة التـوحيد، وعـلى القـرآن الكـريم، وخطاب الناس، روى البخارى(٦) عن أسامة ابن زيد أن النبى ﴿ﷺ﴾ ركب حمارا عليه أكاف(٧) تحته قطيفة فدكية، وأردف وراءه أسامة بن زيد، وهو يعود سعـد ابن عبـادة فى بنى الحارث بن الخزرج، وذلك قبل وقعة بدر، حتى مر فى مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود وفيهم عبـد الـله بن أبـى بن سلول، وفى المجلس عبـد الله بن رواحـة، فلما غشيت المجلس عجـاجـة الدابة خمر عبد الله بن أبى أنفه بردائه، ثم قال: لا تغـبروا علينا، فسلم عليهم النبى ﴿ﷺ﴾ ثم وقف فنـزل فدعـاهم إلى الله، وقـرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بن أبى بن أبى سلول: أيها المرء



لا أحسن من هذا إن كان ما تقول حقا، فلا تؤذنا فى مجالسنا وارجع إلى رحلك فمن جاءك منا فاقصص عليه.. الخ. أى ادعه إلى الاسلام وترك عبادة الأوثان والشرك بالله.

وأصحاب السير يضعون أحاديث رسول الله ﴿ﷺ﴾ فى إطار القصص الذى يروى فى كتبهم، فيتحدث ابن هشام عن(٨) (قصة الشاة المسمومة) حيث أهدت له زينب بنت الحارث، امرأة سلام بن مشكم، شاة مصلية(٩)، وقد سألت أى عضو من الشاة أحب إلى رسول الله ﴿ﷺ﴾؟ فقيل لها الذراع، فأكثرت فيها من السم، ثم سمت سائر الشاة ثم جاءت بها: فلما وضعتها بين يدى رسول الله ﴿ﷺ﴾ تناول الذراع، فلاك منها مضغة فلم يسغها، ومعه بشر بن البراء بن معرور، قد أخذ منها كما أخذ رسول الله ﴿ﷺ﴾، فأما بشر فأساغها، وأما رسول الله ﴿ﷺ﴾ فلفظها، ثم قال: إن هذا العظم ليخبرنى أنه مسموم، ثم دعا بها فاعترفت، قال: ما حملك على ذلك؟ قالت: بلغت من قومى مالم يخف عليك، فقلت: إن كان ملكا استرحت منه، وإن كان نبيا فسيخبر قال: فتجاوز عنها رسول الله ﴿ﷺ﴾ ومات بشر من أكلته التى أكل.

■ وعند الامام أحمد بن حنبل فى مسنده أحاديث كثيرة تنحو هذا المنحى أى المفهوم المتقدم من الحكاية عن رسول الله ﴿ﷺ﴾ فعن الحسن بن الاسود بن سريع(١٠) وكان رجلا من بنى سعد قال: وكان أول من قص فى هذا المسجد، يعنى المسجد الجامع، قال: غزوت مع رسول الله ﴿ﷺ﴾ أربع غزوات، قال فتناول قوم الذرية بعدما قتلوا المقاتلة، فبلغ ذلك رسول الله ﴿ﷺ﴾ فقال: ألا ما بال أقوام قتلوا المقاتلة حتى تناولوا الذرية، قال فقال رجل: يارسول الله أوليس أبناء المشركين، قال فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾ إن خياركم أبناء المشركين إنها ليست نسمة تولد إلا ولدت على الفطرة فما تزال عليها حتى يبين عليها لسانها فأبواها يهودانها أو ينصرانها.. وهذه الروايات عدها سلفنا الصالح قصصا وحكايات ينقلونها للخلف من بعدهم.

■ وفى مسند الامام أحمد أيضا(١١) عن الشعبى قال قالت عائشة لابن أبى السائب ـ قاص أهل المدينة ـ ثلاثا لتبايعنى عليهن أولا ناجزتك، فقال ما هن، بل أنا أبايعك يا أم المؤمنين، قالت اجتنب السجع من الدعاء، فإن رسول الله ﴿ﷺ﴾ وأصحابه لا يفعلون ذلك. وقال إسماعيل: مرة فقالت: إنى عهدت رسول الله ﴿ﷺ﴾ لا يفعلون ذاك، وقص على الناس فى كل جمعة مرة، فإن أبيت فثنتين، فإن أبيت فثلاثا، فلا تمل الناس هذا الكتاب، ولا ألفينك تأتى القوم وهم فى حديث فى حديثهم فتقطع عليهم حديثهم، ولكن اتركهم فإذا جرؤك عليه وأمروك به فحدثهم.

■ وروى أيضا(١٢) عن الزهرى عن السائب بن يزيد أنه لم يكن يقص على عهد رسول الله ﴿ﷺ﴾ ولا أبى بكر، وكان أول من قص تميما الدارى، استأذن عمر بن الخطاب، أن يقص

على الناس قائما فأذن له عمر. فالقصص يشمل الدعاء وغيره وما يتصل بالكتاب والسنة.

■ وفى سنن ابن ماجة(١٣) ما معناه أن عبادة بن الصامت غزا مع معاوية فذكر حديث رسول الله ﴿ﷺ﴾ (لا تبتاعوا الذهب بالذهب إلا مثلا بمثل، لا زيادة بينهما ولا نظرة) فقال معاوية: يا أبا الوليد لا أرى الربا فى هذا إلا ما كان من نظرة. فقال عبادة أحدثك عن رسول الله ﴿ﷺ﴾ وتحدثنى عن رأيك لئن أخرجنى الله لا أساكنك بأرض لك على فيها إمرة، فلما قفل لحق بالمدينة، فقال له عمر بن الخطاب: ما أقدمك يا أبا الوليد؟ فقص عليه القصة.. الخ وهذا الحوار بين اثنين أطلق عليه قصة.

■ وروى أيضا(١٤) فى كتاب الأذان عن محمد بن زيد عن أبيه قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ قد هم بالبوق... فخرج عبد الله بن زيد حتى أتى رسول الله ﴿ﷺ﴾ فأخبره بما رأى قال يارسول الله رأيت رجلا عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوسا فقص عليه الخبر.. الخ.

■ ويطلق القصص على المحاورة لما روى فى البخارى(١٥) عن أبى الدرداء قال: كانت بين أبى بكر وعمر محاورة، فأغضب أبو بكر عمر، فانصرف عنه عمر مغضبا فاتبعه أبو بكر يسأله أن يستغفر له، فلم يفعل حتى أغلق بابه فى وجهه، فأقبل أبو بكر الى رسول الله ﴿ﷺ﴾ فقال أبو الدرداء ونحن عنده، فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾ أما صاحبكم هذا فقد غامر، وندم عمر على ما كان منه، فأقبل حتى سلم وجلس إلى رسول الله ﴿ﷺ﴾ الخبر قال أبو الدرداء وغضب رسول الله ﴿ﷺ﴾ وجعل أبو بكر يقول والله يارسول الله لأنا كنت أظلم فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾.. هل أنتم تاركوا لى صاحبى، هل أنتم تاركوا لى صاحبى إنى قلت يا أيها الناس إنى رسول الله اليكم جميعا، فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت. فأطلق القصص على الوصف - قبل هذا الحديث - وهنا على الحوار.

■ ومن خلال النصوص السابقة وما سيأتى من نصوص أخرى كثيرة فى الكم الهائل من قصص السنة يتضح أن القصة فى مفهوم السنة تتسع لكل الاستخدامات القديمة والحديثة فالرؤيا المنامية طالت أو قصرت والخبر والحديث والنبأ ينقل إلى فرد أو جماعة قصة والمثل والحكمة فى ظلال ما اتصلت به قصة، والرواية عن الآخرين قصة كذلك.

■ وقد كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ يستخدم القصص بالمفاهيم السابقة فى تبيين الوحى القرآنى، وفيما يحدث به عن أهل الكتاب ومن سبق من الأمم الأخرى.

■ روى عن فاطمة بنت قيس(١٦) سمعت منادى رسول الله ﴿ﷺ﴾ ينادى الصلاة جامعة، فخرجت إلى المسجد فصليت مع رسول الله ﴿ﷺ﴾ فلما قضى صلاته جلس على المنبر وهو يضحك، فقال ليلزم كل إنسان مصلاه، ثم قال: هل تدرون لم جمعتكم؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال: إنى والله ما جمعتكم لرغبة ولا رهبة ولكن جمعتكم لأن تميما الدارى، كان رجلا نصرانيا، فجاء وأسلم، وحدثنى حديثا وافق الذى كنت أحدثكم به عن المسيح الدجال، حدثنى أنه ركب البحر فى سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لخم وجذام، فلعب بهم الموج شهرا فى البحر فأرسلوا إلى جزيرة، أى قاربوها حين تغرب الشمس، فجلسوا فى أقرب السفينة، فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب كثير الشعر، قالوا ويلك ما أنت؟ قالت أنا الجساسة(١٧)، انطلقوا إلى الرجل فى الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق، قال سمت لنا رجلا فزعنا منها أن تكون شيطانة، قال فانطلقنا سراعا حتى دخلنا الدير، فإذا فيه أعظم إنسان ما رأيناه قط وأشده وثاقا مجموعة يده إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد، فقلنا ويلك ما أنت؟ قال قد قدرتم على خبرى ما أنتم؟ قالوا نحن أناس من العرب، ركبنا فى سفينة بحرية فلعب بنا البحر شهرا، فدخلنا الجزيرة فلقينا دابة أهلب، فقالت أنا الجساسة، اعمدوا إلى هذا الدير، فأقبلنا إليك سراعا، فقال أخبرونى عن نخل بيسان هل تثمر؟ قلنا نعم، قال أما أنها يوشك أن لا تثمر، قال فأخبرونى عن بحيرة طبرية، هل فيها ماء؟ قلنا هى كثيرة الماء، قال إن ماءها يوشك أن يذهب، قال أخبرونى عن عين زعر، هل فى العين ماء وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا نعم هى العين كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها، قال أخبرونى عن النبى الأمين ما فعل؟ قلنا خرج من مكة ونزل يثرب، قال أقاتلته العرب؟ قلنا نعم، قال كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه، قال أما إن ذلك خير لهم أن يطيعوه وإنى مخبركم عنى أنا المسيح وإنى يوشك أن يؤذن لى فى الخروج فأخرج فأسير فى الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها فى أربعين ليلة غير مكة وطيبة هما محرمان على كلتاهما، كلما أردت أن أدخل واحدة منهما استقبلتى ملك بيده السيف صلتا يصدنى عنها، وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها. قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ وطعن بمخصريه فى المنبر هذه طيبة، يعنى المدينة، ألا هل كنت حدثتكم؟ قالوا نعم.

■ وفى القصص النبوى متسع، فمن

القصص ما يرويه النبى ﴿ﷺ﴾ عن ربه، أو ما يشاهده من مشاهداته المنامية، أو الحقيقية كالاسراء والمعراج، ومن القصص أيضا ما يقصه النبى ﴿ﷺ﴾ عن الأمم السابقة، وهناك مجال آخر للقصص النبوى ما يرويه الصحابى من أفعال أو أقوال أوتقرير عن النبى ﴿ﷺ﴾ ومن أصحاب رسول الله ﴿ﷺ﴾ من كان على دين أهل الكتاب مثل وهب بن منبه، وتميم الدارى وغيرهما وتميم - كما تقدم - أول من قص فى مسجد رسول الله ﴿ﷺ﴾ على عهد عمر بن الخطاب واستمر فى عهد عثمان بن عفان رضى الله عنهما، وكان يقصد من هذا القصص الترغيب والترهيب، عن طريق النفس البشرية التى تميل الى الطريف من الحكايات والأحاديث والأخبار، فالقصة وسيلة من أنجح الوسائل فى تحقيق أهداف الدعوة، ولذا لجأ إليها كثير من السلف الصالح فى مقدمتهم الحسن البصرى وأخوه سعيد، وجعفر بن الحسن وابراهيم التميمى، وعبيد بن عمير الليثى، ومطرف بن عبد الله بن الشخير، وأبو بكر الهذلى، وهو عبد الله بن سلمى، ومسلم بن جندب - وكان قاص مسجد رسول الله ﴿ﷺ﴾ بالمدينة - وكان إمامهم وقارئهم، وأبو على الاسوارى، وهو عمرو بن فائد(١٨).

■ ويعتمد القرآن الكريم فى وسائل الدعوة على القصص لتحقيق هدفه الأصيل فى إبلاغ الدعوة وتثبيتها (وهى تخضع للأغراض الدينية، ووفائها بهذه الأغراض تمام الوفاء، وان لم يمنع بروز الخصائص الفنية فى عرضها ولا سيما خصيصة القرآن الكبرى فى التعبير، وهى التصوير ومن ذلك على سبيل المثال: إثبات الوحى والرسالة وتوحيد الأديان فى أساسها والانذار والتبشير، ومظاهر القدرة

الالهية وعاقبة الخير والشر والصبر والجزع، والشكر والبطر وكثير من الاغراض الدينية والمرامى الخلقية(١٩).

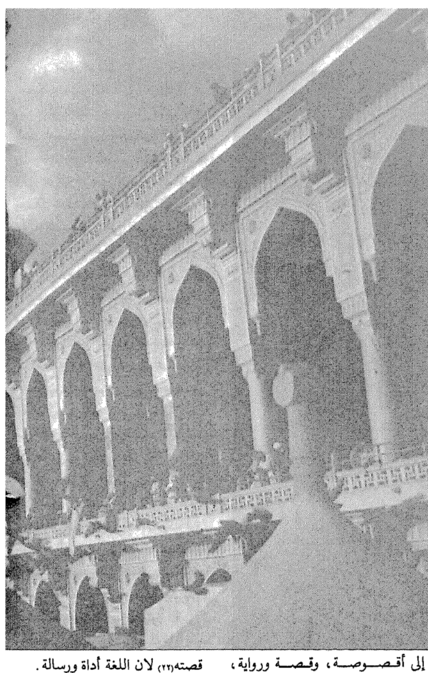
بين القصص النبوى والقصص الحديث

رأينا القصص النبوى يتسع فى مفهومه ليشمل الحديث والخبر والسيرة والمثل والحكاية والنبأ وغير ذلك، ويكون ذلك عن طريق نقل الأقوال والأفعال والتقارير والصفات التى تتصل بالنبى ﴿ﷺ﴾ ليقتدى بها الناس ويسيروا على نهجها فتحقق لهم سعادة الدنيا والآخرة.

■ أما بالنسبة لتعريف الفن القصصى فى العصر الحديث فإن كل التعاريف التى قيلت عنه لم تكن كافية ولا شافية، وأى تعريف فإنه يكون مشكلة أو مغامرة أمام عملية التفكير التى تسعى إلى أهداف وغايات متعددة لمجتمع ما، لأنه يتضمن أحداثا جزئية كثيرة ويتطلب استغلال المادة لتواكب مجموعة من الحوادث أو الأفعال فى البيت وفى الطريق وفى العمل وفى النادي، ولا شك أن كل هذه الاشياء تصادف كل إنسان يعيش بين الناس(٢٠). ومن هنا اختلفت التعريفات والتقسيمات للقصة بل وتغيرت هذه التعريفات والتقسيمات من حقبة إلى أخرى، وتبعا لاختلاف ثقافات النقاد والمؤرخين ما بين ثقافة شرقية وثقافة غربية وأصحاب اتجاه واتجاه آخر مما يصعب السيطرة عليها فى ضوء المذاهب والاتجاهات.

وعند المحدثين أن القصة عرض لفكرة مرت بخاطر الكاتب، أو تسجيل لصورة تأثرت بها مخيلته، أو بسط لعاطفة اختلجت فى صدره، فأراد أن يعبر عنها بالكلام ليصل بها إلى أذهان القراء، محاولا أن يكون أثرها فى نفوسهم مثل أثرها فى نفسه.

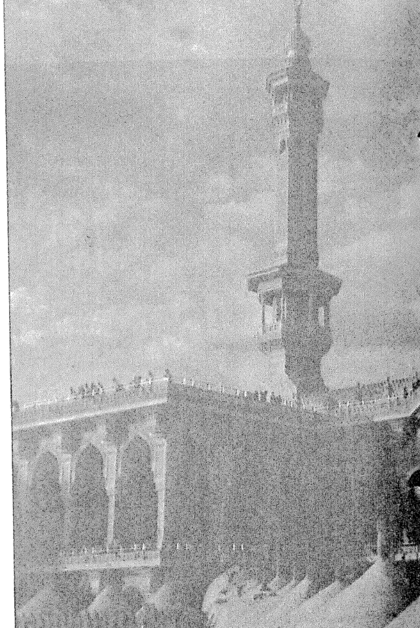
■ وتنقسم من ناحية القالب والمظهر



إلى أقصوصة، وقصة ورواية، وحكاية(٢١) وهذه التقسيمات منقولة عن الغرب، ولها تعريفاتها الخاصة بكل لون، وتتألف عادة من ثلاثة عناصر هى: الموضوع، والشخصيات، والحوار، ولكتابة القصة قواعد من أهمها: الوحدة الفنية، ومراعاة جانب التلميح ما أمكن فى عرض الموضوع وأن يعنى الكاتب برسم شخصياته وخاصة فى إصدار أقوالها وأفعالها بحيث تكون عن منطق حتى لا تكون بوقا ينقل ما يلقى إليه المؤلف، وأن يكون لكل قصة معنى، وألا تصاغ فى قالب موعظة أوحكمة، وألا تخلو من عنصر التشويق حتى يتابع القراءة فى نشاط وانتباه، وأن يعنى الكاتب بلغة قصته(٢٢) لان اللغة أداة ورسالة.

وعلى كل حال فالقصة اختيار وتنسيق، اختيار حادثة أو عدة حوادث لها بداية ونهاية تقع فى زمن معين لتصل إلى غاية بعينها فى حبكة مخصوصة تساعد على رسم صورة تؤثر فى نفس قارئها، فالمهم هو طريقة التنسيق: بالحذف هنا والاضافة هناك، وبالتقديم والتأخير فى الجزئيات، وبقيادة سير الحوادث والخوالج، لتؤدى إلى تصوير خاص لهذه الفترة، يفرزها من شريط الزمن الذى لا يقف، ويضع لها طابعا موسوما بنظرة صاحبها إلى الحياة(٢٣).

■ ومن غير شك فإن القصص الحديث يتأثر بالحياة التى يحياها



الكاتب فى بيئته وتملى عليه المؤثرات الدينية والسياسية والاقتصادية ما يميز اتجاهات قصصه من أفكار وفلسفات تظهر فى سرده وحواره مع شخصيات قصته، كما نرى ذلك فى أبطال القصص التاريخى والاجتماعى فى عالمنا الاسلامى.

■ ولا نبالغ إذا قلنا إن القصص النبوى أوسع وأشمل من القصص الحديث، لاتساع أنماط الكتابة وتحررها من القيود التى وضعها النقاد مجلوبة من الشرق والغرب، مما تأباه الموهبة والفطرة السليمة، بالاضافة إلى أن القصص النبوى يتوخى الحق والخير والفضيلة فى المقام الأول، ولا ينشد التسلية والسمر وقطع الوقت فيما لا يفيد، وإنما القصص النبوى لإتمام مكارم الأخلاق وفى النهاية هو من صميم رسالته صلى الله عليه وسلم، وهو قصص يتلاءم مع فطرة الانسان وتقويم هذه الفطرة وإصلاحها ويرسم المنهج السوى لما يجب أن يكون عليه بناء القصة، حيث يتسع هذا المجال، ولا يوضع في قوالب ضيقة... مما هو ظاهر فى الفروق بينه وبين فنون القصة الحديثة.

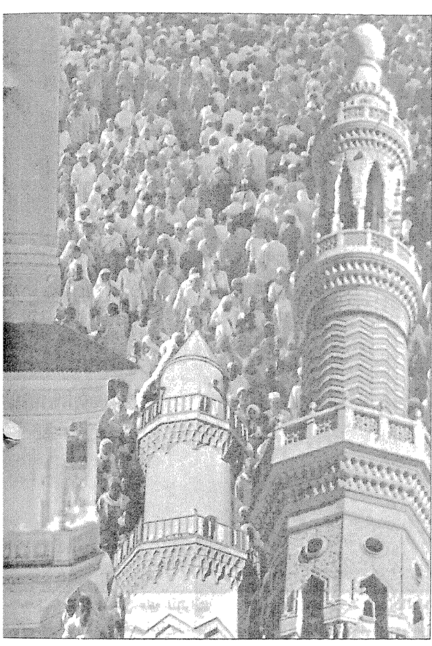
نماذج من القصص

وفى مقدمة النماذج القصصية (حديث أبرص، وأعمى، وأقرع)(٢٤) وهى من القصص الذى يستحق التأمل، لما فيه من ميزات ومضامين أخلاقية، وأهداف تتلاءم مع رسالة الاسلام وما سبقها من رسالات أخرى، وفى القرآن آيات مفصلات عن بنى اسرائيل وعن أحوالهم مع رسلهم وأنبيائهم، ولذلك كان النبى «ﷺ» يكثر من الحديث عن بنى إسرائيل، ويقارن بينهم وبين أحوال أمته، مما جعل رسول الله «ﷺ» يسأل الله أن يجنب أمته سوء مصيرهم، ويرجوه أن يمنح المسلمين من نعمه، كما جاء فى أسباب ليلة القدر، فقد ذكر النبى «ﷺ» رجلا من بنى إسرائيل لبس السلاح فى سبيل الله ألف شهر. الخ وذكر أيضا، يوما أربعة من بنى إسرائيل عبدوا الله ثمانين سنة(٢٥).. كما أن هذا النموذج فيه من الترغيب والترهيب ما يجعل المؤمن يقظا حذرا راجيا الله ببذل العطاء، خائفا منه بنزول النقمة وزوال النعمة.

■ يقول صلى الله عليه وسلم(٢٦) «إن ثلاثة من بنى إسرائيل: أبرص وأعمى وأقرع، أراد الله عز وجل أن يبتليهم فبعث الله إليهم ملكا، فأتى الأبرص فقال له: أى شىء أحب إليك؟ فقال: لون حسن، وجلد حسن، فقد قذرنى الناس، قال: فمسحه فذهب عنه، فأعطى لونا حسنا، وجلدا حسنا، فقال: أى المال أحب إليك؟ قال: الابل، فأعطى ناقة عشراء، فقال: يبارك لك فيها.

■ وأتى الأقرع فقال: أى شىء أحب إليك؟ فقال: شعر حسن، ويذهب عنى هذا، فقد قذرنى الناس، قال: فمسحه فذهب، وأعطى شعرا حسنا، قال: فأى المال أحب إليك؟ قال: البقر، قال: فأعطاه بقرة حاملا، وقال: يبارك لك فيها.

■ وأتى الأعمى فقال: أى شىء أحب إليك؟ قال: يرد الله إلى بصرى، فأبصر به الناس قال:



فمسحه، فرد الله إليه بصره، قال: فأى المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطاه شاة والدا، فأنتج هذان، وولد هذا، فكان لهذا واد من إبل، ولهذا واد من بقر، ولهذا واد من الغنم.

●● ثم إنه أتى الأبرص فى صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين، تقطعت بى الحبال فى سفرى، فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذى أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن، والمال الحسن، بعيرا أتبلغ عليه فى سفرى، فقال له: إن الحقوق كثيرة، فقال له: كأنى أعرفك!! ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيرا فأعطاك الله، فقال: لقد ورثت لكابر عن كابر، فقال: ان كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت.

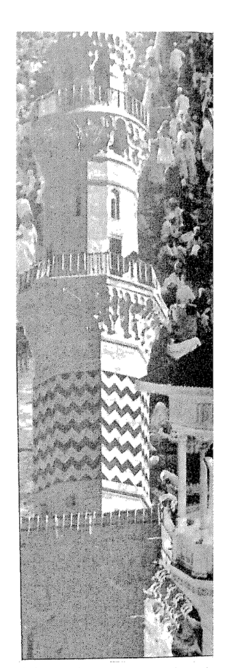
■ وأتى الأقرع فى صورته وهيئته، فقال له مثل ما قال لهذا، فرد عليه مثل ما رد عليه هذا، فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت.

■ وأتى الأعمى فى صورته فقال: رجل مسكين وابن سبيل، وتقطعت بى الحبال فى سفرى، فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذى رد عليك بصرك، شاة أتبلغ بها فى سفرى، فقال: قد كنت أعمى فرد الله بصرى، وفقيرا فقد أغناني فخذ ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشىء أخذته لله.

فقال: أمسك مالك، فإنما ابتليتم، فقد رضى الله عنك، وسخط على صاحبيك.

القصص أى قصص السنة الطوال

ومن نماذج القصص التى جاءت فى السنة المطهرة قصة طويلة تتفرع منها قصص تخدم الدعوة وتبتلى الناس ليعرف الخبيث من الطيب وقوى الايمان من ضعيفه، وهى قصة لها أثرها فى أدبنا العربى وفى الآداب العالمية، كما سنتحدث عليها فى مجال اوسع، تلك هى قصة الاسراء والمعراج، كما جاءت فى صحيح البخارى(٢٧)، عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة - رضى الله عنهما - أن نبى الله ﴿ﷺ﴾ حدثهم عن ليلة أسرى به فقال: ؟بينما أنا فى الحطيم - وربما قال فى الحجر - مضطجعا، إذ أتانى آت(٢٨) فقد - قال وسمعته يقول - فشق ما بين هذه الى هذه فقلت للجارود وهو جنبى، ما يعنى به، قال من ثغرة نحره إلى شعرته وسمعته يقول من قصته إلى شعرته، فاستخرج قلبى، ثم أتيت بطست من ذهب مملوء إيمانا، فغسل قلبى، ثم حشى، ثم أتيت بدابة، دون البغل وفوق الحمار أبيض، فقال له الجارود، هو البراق يا أبا حمزة، قال أنس: نعم، يضع خطوه عند أقصى طرفه، فحملت عليه، فانطلق بى جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح، فقيل من هذا؟ قال جبريل، قيل ومن معك؟ قال محمد، قيل وقد أرسل إليه؟ قال نعم، قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح، فلما خلصت فإذا فيها آدم فقال هذا أبوك آدم فسلم عليه، فسلمت عليه فرد السلام، ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح، ثم صعد حتى أتى



السماء الثانية فاستفتح، قيل من هذا؟ قال جبريل، قيل ومـن معـك؟ قال محمد، قيل وقد أرسل إليه؟ قال نعم، قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح، فلما خلصت إذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالـه قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت وردا ثم قال: مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح ثم صعد الى السماء الثالثة فاستفتح، قيل من هذا؟ قال جبريل، قيل ومن معـك؟ قال محمد، قيل وقد أرسل إليه؟ قال نعم، قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح، فلما خلصت إذا يوسف، قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه، فرد ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح، ثم صعد بى حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح، قيل من هذا؟ قال جبريل، قيل ومن معك؟ قال محمد، قيل وقد أرسل إليه؟ قال نعم، قيل مرحبا به فنعم المجى جاء، ففتح، فلما خلصت إلى إدريس، قال هذا إدريس، فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح، ثم صعد بى حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قيل من هذا؟ قال جبريل، قيل ومن معك؟ قال محمد، قيل أو قد أرسل إليه؟ قال نعم، قيل مرحبا به، فنعم المجيء جاء، فلما خلصت فإذا هارون، قال هذا هارون فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح، ثم صعد بى حتى أتى السماء السادسة، فاستفتح قيل من هذا؟ قال جبريل، قيل ومن معك؟ قال محمد، قيل وقد أرسل إليه؟ قال نعم، قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء، فلما خلصت فإذا بموسى، قال هذا موسى فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح، فلما تجاوزت بكى، قيل له ما يبكيك؟ قال: أبكى لأن غلاما بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتى، ثم صعد بى إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، قيل من هذا؟ قال جبريل، قيل ومن معك؟ قال محمد، قيل وقد بعث إليه؟ قال نعم، قال مرحبا به فنعم المجيء جاء، فلما خلصت فإذا إبراهيم، قال هذا أبوك فسلم عليه، قال فسلمت عليه، فرد السلام، وقال مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح، ثم رفعت إلى سدرة المنتهى، فإذا نبقها مثل قلال هجر(٢٩)، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة، قال هذه سدرة المنتهى، وإذا أربعة أنهار: نهران باطنان، ونهران ظاهران، فقلت ما هذان ياجبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران فى الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات، ثم رفع لى البيت المعمور، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل، فأخذت اللبن، فقال هى الفطرة أنت عليها وأمتك(٣٠)، ثم فرضت على الصلوات خمسين صلاة كل يوم وليلة. فرجعت فمررت على موسى، فقال بم أمرت؟ قال أمرت بخمسين صلاة كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإنى والله قد جربت الناس قبلك، وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، فرجعت، فوضع عنى عشرا، فرجعت إلى موسى، فقال مثله، فرجعت فوضع عنى عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عنى عشرا فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم فرجعت فقال مثله، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم، فرجعت إلى موسى فقال بم أمرت؟ قلت أمرت بخمس صلوات كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم، وإنى قد جربت الناس قبلك، وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، قال: سألت ربى حتى استحييت ولكن أرضى وأسلم، قال فلما جاوزت نادى مناد: أمضيت فريضتى وخففت عن عبادى، وأجزى الحسنة عشرا(٣١).

■ وهذه القصة على الرغم من طولها بالمقارنة بالقصص النبوى، إلا أنها تحتوى على إيجاز واضح فى الرواية وفى العبارة مثل قوله (فغسل قلبى ثم حشى) وقوله (فاستفتح) وفيها تنوع العبارة مثل (الأخ الصالح والنبى

الصالح) أو (الابن الصالح والنبى الصالح) ومثل (وقد أرسل اليه) أو (وقد بعثت اليه) وفى القصة السرد مثل (بينما أنا فى الحطيم مضطجعا إذ أتانى آت. . .) الخ. كما يكثر الحوار مثل (فقيل من هذا؟ قال: جبريل، قيل ومن معك؟ قال محمد، قيل وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح. .) الخ. وفى القصة ألوان وصور من عناصر التشويق (أتانى آت. . . فلما تجاوزت بكى، قيل له ما يبكيك؟. . . ثم رفعت الى سدرة المنتهى، فإذا نبقها مثل قلال هجر. . . ثم رفع لى البيت المعمور. . وهذه العناصر فى القصة حقيقة وهى ادعى إلى الاقبال عليها، لأنها تؤدى دورا هاما فى بناء عقيدة المؤمن من حيث التصديق بالغيب والايمان بالسمعيات والتأكيد على رسالة الرسل وغير ذلك مما سيأتى الحديث عنه.

من القصص الموجز

وتزخر السنة بالقصص الموجز الذى يساق لتحقيق أهداف الرسالات السماوية مثل هذه القصة عن أيوب التى جاءت فى كتاب الغسل عن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى ﴿ﷺ﴾، قال(٣٢) (بينا أيوب يغتسل عريانا فخر عليه جراد من ذهب فجعل أيوب يحتثى فى ثوبه، فناداه ربه: يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى، قال: بلى وعزتك، ولكن لا غنى بى عن بركتك) أو قصة قارون كما جاءت فى باب اللباس عن أبى هريرة عن النبى ﴿ﷺ﴾: (٣٣) (بينما رجل يمشى فى حلة تعجبه نفسه مرجل جمته(٣٤) إذ خسف الله به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة)أى يغوص فى الأرض إلى يوم القيامة، لما جاء فى تفسير ابن كثير(٣٥) أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: (بينما رجل ممن كان قبلكم خرج فى بردين أخضرين يختال فيهما، أمر الله الأرض فأخذته فإنه ليتجلجل فيها إلى يوم القيامة).

تراث يشهد بالنبوة والرسالة

لقد كانت بعثة محمد ﴿ﷺ﴾ حدثا أيقظ العالم من أقصاه إلى أقصاه، ومن معالم نبوته التى لا تزال بين أيدينا تلك البلاغة التى تجلت فى الوحى المنزل فلفت أنظار العرب، وجذب أفئدتهم إلى سحر بيانه، وكان كلامه - صلى الله عليه وسلم - وهو الأمى الذى لم يتعلم القراءة ولا الكتابة ملفتا للنظر، وداعيا للتأمل إلى يومنا هذا، لما فيه من أخبار دقيقة وصادقة عن السابقين واللاحقين، مما يتجلى فى التراث الزاخر من أقواله - صلى الله عليه وسلم - التى تبهر الخاصة والعامة حين يخاطبهم أو يملى عليهم رسائله وكتبه، وما ذلك إلا لأن الله أدبه فأحسن تأديبه.

وفى القصص النبوى الكثير - على النحو السابق - الذى يضم فى ثناياه ما يشهد له بالنبوة، وأنه مبلغ عن الله عز وجل، وأن تلك القيم العالية فى مبناه ومعناه، وفى مفهومه وأهدافه التى تجل عما تعارف عليه الكتاب والنقاد فى كل عصر، وفى عصرنا الحاضر، فهذا التراث هو الذى أثر فى كثير من القصص الانسانى الذى يتخفى فى الخيال، وشطحات الأحلام، ويتنكر لهذا الينبوع الفياض.

ونشير هنا لمجموعة من قصص السنة، حيث لا يتسع المقام لعرضها مفصلة(٣٦) مكتفين بذكر بعض منها(٣٧) (قصة غزوة الحديبية) ويبدأ بقوله صلى الله عليه وسلم: (إن خالد بن الوليد بالغميم فى خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين، قال، فوالله ما شعر بهم خالد. .) وفيها من معجزات النبى ﴿ﷺ﴾ والمواقف ما يجعلها من خيرة القصص الذى يؤدى أغراضه فى تبليغ الرسالة وتعليم المسلمين.

ومنها (الاخلاص فى أداء الدين) وتبدأ بقوله صلى الله عليه وسلم: «إن رجلا من بنى اسرائيل سأل بعض بنى إسرائيل أن يسلفه ألف دينار. .) الخ.

ومنها قصة (أم اسماعيل وزمزم) وتبدأ بقوله - صلى الله عليه وسلم - (أول ما اتخذ النساء المنطق(٣٨) من قبل أم إسماعيل اتخذت منطقا لتعفى أثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها وهى ترضعه حتى وضعها عند البيت. . .) الخ.

ومنها قصة يقول - صلى الله عليه وسلم: «بينما أنا نائم رأيتنى فى الجنة فإذا امرأة تتوضأ. . » الخ. و(قصة الذين يرمون أزواجهم) وتبدأ بقوله صلى الله عليه وسلم (البينة أوحد فى ظهرك) الخ. . و(قصة مانعى الزكاة). . (تأتى الابل على صاحبها على خير ما كانت) الخ. . و(قصة الجنة والنار). . (تحاجت الجنة والنار) (وقصة الرحم) يقول صلى الله عليه وسلم: (خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم بحقو الرحمن. .) وقصة (دخلت امرأة النار فى هرة. .) وقصة (رأى عيسى بن مريم رجلا يسرق. .) وقصة (عرضت على الأمم فجعل النبى والنبيان يمرون. .) وقصة (العبد إذا وضع فى قبره. .) وقصة (غزا نبى من الأنبياء). . وقصة (غفر لامرأة مومسة). . وقصة أمة من بنى إسرائيل مسخت (فقدت أمة من بنى اسرائيل لا يدرى ما فعلت). . وقصة (فقال رجل لأتصدقن). . وقصة (قام موسى النبى خطيبا فى بنى اسرائيل فسئل أى الناس أعلم فقال أنا). . وقصة (قد دنت منى الجنة). . وقصة (قمت على باب الجنة). . وقصة (كان الرجل فيمن كان قبلكم يحفر له). . وقصة (كان فى بنى اسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين). . و(كان فيمن كان

قبلكم رجل به جرح فجزع). . و(كانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن إحداهما). . و(كانت بنوا إسرائيل يغتسلون عراة). . و(كان - صلى الله عليه وسلم - إذا أراد أن يخرج سفرا أقرع بين أزواجه (٣٩) و(كان - صلى الله عليه وسلم - إذا صلى صلاة الصبح أقبل علينا بوجهه، فقال من رأى منكم الليلة رؤيا . .) وكان أول ما بدىء به رسول الله ﴿ﷺ﴾ - الرؤيا الصادقة). . و(كان جذع يقوم إليه النبى ﴿ﷺ﴾ فلما وضع المنبر له سمعنا للجذع مثل أصوات العشار). و(كان رجل نصرانيا . .) و(لله أفرح بتوبة عبده . .) و(لقيت من قومك ما لقيت). و(لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة). . و(لم يكذب إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلا ثلاث كذبات). . و(مثل البخيل والمنفق). . و(مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر). . و(مثل الذى يقرأ القرآن). . و(مثل القائم على حدود الله). . و(مثل المسلمين واليهود والنصارى). . و(من يضم هذا). . و(هاجر إبراهيم). . و(هل تضارون فى رؤية الشمس). . و(هل تمارون فى القمر). . و(يؤتى بالموت). . و(يدعى نوح يوم القيامة). . و(يلقى ابراهيم أباه). . وغير ذلك من قصص الأنبياء والصالحين، بأساليب وطرق متعددة تسهم فى نشر الدعوة، وترغب الناس فى الاقبال عليها، دون ملل أو كلل، ملتزمة بالصدق ونشر مكارم الأخلاق، وإقامة المجتمع الفاضل الذى تظلله المحبة والأمن والاستقرار.

أغراض القصص

نقول فى إيجاز شديد، إن القصص النبوى يتوخى مقاصد الرسالات السماوية وفى مقدمة ذلك ترسيخ الايمان بالله فى نفس الانسان والدعوة الى توحيده عز وجل فى ذاته وصفاته والايمان بالوحى المنزل على سائر الأنبياء والمرسلين والايمان بالبعث والثواب والعقاب، والجنة والنار، كما يدعو إلى الايمان بالقضاء والقدر، خيره وشره، والاخلاص لله وابتغاء مثوبته، ودوام المراقبة له فى السر والعلن والرجوع اليه كلما زلت به قدم، ليكون بين الرجاء والخوف، والاحسان فى كل شىء وإلى كل شىء، والتحلى بصفة الجود والكرم، وترك الشح والبخل، والبعد عن الرياء والكبر والتنفير من السرقة والكذب، والرفق بالفقير والمسكين وابن السبيل، ورحمة الانسان والحيوان، والتيقن من أن الانسان مستخلف فى الأرض، وأن ما بيده عارية قد يستردها فى أى وقت يشاء سبحانه وتعالى، وأن الانسان قد يحرم الرزق بسبب الذنب يصيبه وأن زوال النعم من النقم، كما أن ابتلاء الله واستدراجه قد يكون بكثرة المال والعرض، وزيادة الولد، وإعطاء الجاه والسلطان، من قبيل كلما أحدثوا ذنبا أحدثنا لهم نعمة.

أثر القصص النبوى فى الأدب

من خلال الدراسات العلمية المتأنية، يجد الباحث تأثيرا واضحا للكتب المقدسة فى الآداب العالمية، وفى مقدمة هذه الآداب القصة، لأنها تساق لأغراض دينية لتنظيم العلاقة بين العبد وخالقه، وبين العبد وأفراد المجتمع الذى يعيش فيه، وفى التوراة والانجيل والقرآن مجموعات طيبة لها تأثيرها الواضح فى البشرية وسلوكها، ولا شك أن ذلك أثر على شعورها الوجدانى والفكرى، ومعنى هذا كما يقال(٤٠) (إن خضوع القصة للغرض الدينى، لم يمنع بروز الخصائص الفنية فى عرضها . . وأنه كان من أثر هذا الخضوع بروز خصائص فنية بعينها تحسب فى الرصيد الفنى للقصة فى عالم الفنون الطليق، ويصدق ما قلناه فى أول هذا الفصل: من أن القرآن يجعل الجمال الفنى أداة مقصودة للتأثير الوجدانى فيخاطب حاسة الوجدان الدينية، بلغة الجمال الفنية).

وما ينطبق على الكتب المقدسة ينطبق على السنة المحمدية، لأنها أصح كتاب بعد القرآن الكريم، ولأن المسلمين الأوائل بذلوا جهدا خارقا فى تدوينه، وتحقيقه وغربلته من الدخيل، ووضعوا لذلك علوما لا تقل شأنا عن علوم القرآن الكريم.

وكان أثر هذين الكتابين: القرآن والسنة على جميع المسلمين، ثم نقلوه الى غيرهم ووضح ذلك فى الأمم المتحضرة قبل الاسلام(٤١) (ولكن أبرز المؤثرات الدينية فى قصص الفرس بلا مراء هى تلك المؤثرات الاسلامية، ويرجع هذا الى اعتناق الكثرة العظمى من الايرانيين للاسلام بعد الفتح العربى، وكان من نتيجة ذلك أن اصطبغت (الشاهنامة) نفسها حين جمعها ونظمها بهذه الصبغة الاسلامية، فنرى كل ملوكها وأبطالها - تقريبا - موحدين، يؤمنون بالله واليوم الآخر، وقضائه وقدره خيره وشره . .). ويمتد تأثير الاسلام - الوارث للأديان السابقة - والمخبر عن أحوال الامم السابقة، والقاص لأحوال الأنبياء والمرسلين مع أممهم فى عقول المسلمين وثقافتهم وكذا غير المسلمين(٤٢) (ويظن - والظن من الأوربيين قبل الشرقيين - أن الفيلسوف محيى الدين بن عربى كان له أثر كبير فى عقول النساك والمتصوفة من فقهاء المسيحية الذين ظهروا بعده فإنه نشأ فى مدينة مرسيه قبل ختام القرن الثانى عشر للميلاد، وانتقل من دراسة علوم الكلام ومذاهب الفلسفة إلى الرياضة الصوفية.

■ وإذا أردنا الدقة فإن الذين درسوا الأدب المقارن دراسة واعية ودقيقة تجلى لهم بما لا يدع مجالا للشك، تأثير القصص النبوى فى الآداب العربية والغربية وبصفة خاصة لدى كبار الكتاب، ولا نستطيع أن نستقصى كل النصوص التى جاءت فى هذا الصدد، وإنما نكتفى بما جاء فى كتاب الأدب المقارن (قد نشر البحاثة المستشرق الأسبانى «ميجل أسين بالاثيوس» المتوفى عام ١٩١٩ قبيل موته بقليل، مجلدا كبيرا فى مدريد يشرح فيه مصادر «دانته» العربية فى ملحمته «الكوميديا الالهية». وقد شرح ذلك المستشرق فى كتابه كيف تأثر تأثرا مباشرا بحكاية الاسراء والمعراج.

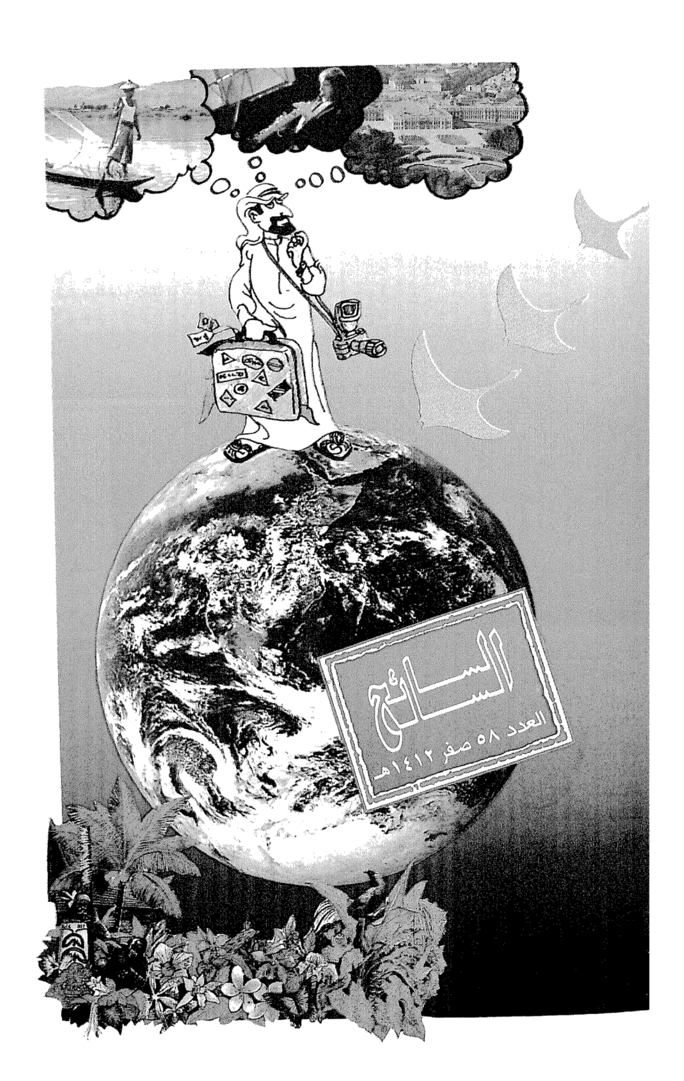
ولقد أثار الكتاب - فى أوربا وأمريكا - خلافا بين المتخصصين فى أدب «دانته» وكان من المتحمسين لهذا الاتجاه الجديد فى فرنسا «أندريه بلسور» و«لويس جيبه» ومما قاله هذا الكاتب الأخير فى شأن كتاب «بلاثيوس السابق الذكر»: انه أهم كتاب ألف فى أدب «دانته» وهو الكتاب الوحيد الذى قدمنا خطوة فى التعرف على الشاعر «وكان أهم المتحفظين على قبول هذا التأثير المستشرق الايطالى «جبريلى» فأيدى فى كتيب له اعتراضين ردهما بعده كثير من الباحثين أولهما: أن التشابه بين ملحمة «دانته» من ناحية وبين الاسراء والمعراج والمصادر العربية الأخرى من ناحية ثانية تشابه سطحى، وثانى الاعتراضين أن «دانته» لم يكن يعرف العربية حتى يطلع على ذلك كله.

ولقد قضى على كل معارضة فى ذلك التأثر، وزالت كل شبهة أمام الباحثين بفضل عالمين مستشرقين أحدهما: إيطالى هو «تشيرولى» فى بحثه الطويل الذى عنوانه «كتاب المعراج» ومسألة المصدر العربى الأسبانى للكوميديا الالهية، والمستشرق الثانى أسبانى هو «مونيوس سندينو» فى كتابه الذى عنوانه «معراج محمد» وقد قام هذان العالمان ببحوثهما كل على حده، ونشرا كتابيهما فى وقت واحد تقريبا عام ١٩٤٩م واتفقت نتائج بحوثهما على الرغم من أن احدهما لم يتصل بالآخر. وقد اكتشفا مصدر «دانته» فى مخطوطة أصلها عربى، وموضوعها «معراج الرسول» وقد ترجمت هذه المخطوطة إلى الأسبانية (فى لهجة قشتاله) ثم إلى الفرنسية واللاتينية بأمر من الملك «الفونس العاشر» (١٢٥٢-١٢٧٢) الذى كان ملك «قشتاله» ثم امبراطور ألمانيا، ويسمى: «الفونس الحكيم»(٤٣).

■ هذه مجرد وقفة مع قصة واحدة من قصص السنة، كشفت عن آثارها البعيدة فى الأدب العربى والأدب العالمى. عرضناها فى هذا المجال الضيق.

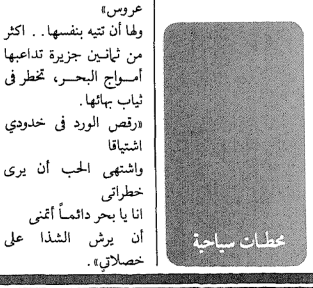
الهوامش

(١) البخارى ج٥ ص٤٧، ٣٠٤٧، ٣٧، ج٢ ص٦١-٦٨، وج٦ ص١١٦، وج٩ ص٤٧، ٤٨.
(٢) المنصف - بفتح الميم وكسر الصاد - بلغ منصف الطريق.
(٣) البخارى ج ٥ ص١٦٤.
(٤) نحاول - إن شاء الله - التوسع فى بحث مستقل على نحو ما فعلنا فى مفهوم القرآن.
(٥) راجع البخارى ج٥ صفحات ٢١٦ - ٢٢١ وج٤ ص١٦٧، ج٦ ص١٠ - ١٦، ج٨ ص٤٤، وغير ذلك.
(٦) البخارى ج٨ ص٦٩.
(٧) أكاف الحمار وكافه ما يشد عليه.
(٨) السيرة النبوية ج٣ ص٢١٨
(٩) مسمومة.
(١٠) مسند الامام احمد ج٤ ص٢٤
(١١) ج٦ ص٢١٧.
(١٢) المصدر السابق ج٣ ص٤٤٩
(١٣) ج١ ص٨.
(١٤) سنن ابن ماجة ج١ ص٢٣٢
(١٥) ج٦ ص٧٥.
(١٦) شرح الشبرخيتى على الأربعين حديث النووية ص١٢١ وكذا منتخب كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال هامش مسند الامام احمد ج٦ ص٣٧ والاصابة لابن حجر ج١ ص١٩١
(١٧) ما جاء فى القرآن من قوله تعالى (أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم) وهذا الحديث يمهد للقصص على لسان الحيوان.
(١٨) الجاحظ: البيان والتبيين ج١ ص٣٦٧
(١٩) سيد قطب: التصوير الفنى فى القرآن ص١١٩
(٢٠) الدكتور عز الدين بن إسماعيل: الأدب وفنونه ص١٧٩.
(٢١) محمود تيمور: ص٩١.
(٢٢) المرجع السابق: ص٩٥.
(٢٣) سيد قطب: النقد الأدبى ص٧٤.
(٢٤) هكذا فى البخارى.
(٢٥) ابن كثير ج٤ ص٥٣٠.
(٢٦) البخارى ج٤ ص٢٠٨.
(٢٧) ج٥ ص٦٦ وأنظر ج٤ ص١٣٣ وهداية البارى ص٢٩٤.
(٢٨) جبريل عليه السلام.
(٢٩) هجر بالفتح فى الثلاث، وهى بلدة يمتاز نبقها بالكبر.
(٣٠) فى الدردير على قصة المعراج: إناء من خمر وإناء من لبن فاختار اللبن وكان هذا فى المسجد الأقصى.
(٣١) الجملة الأخيرة فى ج١ ص١٣٥ وفى الدردير إضافات أخرى ص٢٥.
(٣٢) البخارى ج١ ص٧٨.
(٣٣) البخارى ج١ ص١٨٣.
(٣٤) الجمة - بضم الجيم - مجتمع شعر الرأس.
(٣٥) ج٣ ص٤٠٠.
(٣٦) نعتزم وضع كتاب فى هذا المجال - إن شاء الله - قريبا.
(٣٧) أهم مصادر هذه الأحاديث صحيح البخارى وهداية البارى.
(٣٨) شقة تلبسها المرأة وتشد وسطها يتدلى أعلاه وينجر على الأرض.
(٣٩) انظر صحيح البخارى ج٢ ص١٠٠ وهداية البارى ج٢ ص٢٤.
(٤٠) سيد قطب: التصوير الفنى فى القرآن ص١٣٩.
(٤١) د. أمين المجيد: القصة فى الأدب الفارسى ص٣٨٦.
(٤٢) العقاد: أثر العرب فى الحضارة الأوربية ص٩٣.
(٤٣) راجع هذا البحث فى المصدر السابق للوقوف على دقة البحث العلمى (الأدب المقارن).


السائح
العدد ٥٨ صفر ١٤١٢هـ







محطات سياحية

فرسان . . جزائر اللؤلؤ

«إننى فيك يا خضم
عروس»
ولها أن تتيه بنفسها . . اكثر من ثمانين جزيرة تداعبها أمواج البحر، تخطر فى ثياب بهائها.
«رقص الورد فى خدودي اشتياقا
واشتهى الحب أن يرى خطراتى
انا يا بحر دائماً أتمنى
أن يرش الشذا على خصلاتي».

ولها أيضاً أن تتمنى ما شاء وطاب لها المنى
شاعر قال: إنها قصيدة، وفنان قال: لوحة . . وآخر قال: تحفة . .

ذلك هو ارخبيل فرسان، يقع بمحاذاة الساحل الجنوبى الغربى للمملكة العربية السعودية وغرب مدينة جازان يضم هذا الارخبيل اكثر من ثمانين جزيرة، اشهرها جزيرة فرسان.

تضم هذه الجزر مجموعة ضخمة من كنوز التاريخ والآثار، والموروثات الشعبية الرائعة . . هذا إضافة إلى طبيعتها الرائعة، وجوها الخلاب.

ولا شىء نضيفه غير أنها «ارخبيل فرسان» قصيدة شعر ولوحة ابداع».

حيث لا تغيب الشمس

عندما تشرق الشمس فى الاجزاء الواقعة فى

باث .. المياه الدافئة .. والمعمار الفريد

مدينة فتحت قلبها لأحبائها الزائرين، فمنحوها مهاداً بين قلوبهم.. وترددوا عليها مرارا.. إنها قلائد المحبة يزدان بها جيد كل عاشقة للتاريخ.

وهذه المدينة الانموذج صغيرة لا يتعدى عدد سكانها ٨٥ ألف نسمة تقع في الجنوب الغربي للمملكة المتحدة..

اسمها (BATH) يعكس جانباً من خصائصها، فهي غنية بالمياه المعدنية التى تعد حلماً للسائح يقطع لها الآفاق ليستمتع باستحمام هادىء في مياهها الدافئة.. وقبل الفى عام كانت هذه المدينة قبلة للرومان، واقاموا لأجل هذا الغرض حمامات رومانية (بخارية).

وفى القرن الثامن عشر كانت هذه المدينة مع موعد جديد من الابداع تضمه بين ذراعيها، فقد شيد فيها الجورجيون جانباً رائعاً من المعمار، يحمل طابع الجمال والتفرد والابداع الهندسى والمعمارى.. كل هذا اضافة لما تغمض عليه المدينة أجفانها من تحف هندسية، وروائع أثرية.

أقصى شمال فنلندا فى السابع عشر من مايو من كل عام فإنها لا تغيب الا مع نهاية شهر يوليو.. إن الصيف بلا ليل هو جزء من سهر لا بلاند الآسر. وهذا الفصل الجميل «فصل الصيف» يعقبه فصل الخريف حيث تتفتح الازهار والورود وتكسو الخضرة كل مكان وتعكس اوراق النباتات والازهار كافة الوان الصيف ابتداء من اللون الاخضر وانتهاء بالاحمر البنفسجى.

قصر الاحلام .. رمال فى رمال

لم يشهد المحيط الهادى على وسع وامتداد شواطئه قصرا عظيما كهذا الذى شيده ٦٠ فرداً من سكان ولاية كاليفورنيا وذلك على مدى سبعة ايام فقط والطريف العجيب أن هذا القصر استخدم فى تشييده نحو طنين من الرمال، وقد ارتفع بطول ثلاثة ادوار، وتبلغ المساحة التى شيد عليها القصر وملحقاته ١١٨ قدماً.. قام بتصميمه اثنان من النحاتين المختصين فى فن تكوين بعض الاشكال الفنية من الرمال..



● منظر جوى للقصر وتبدو حدائقه الجميلة بمياهها واحواضها.

فرنسا.. سر القرون وواقـ

إذا كان أى حديث عن فرنسا يرتبط ارتباطاً بدهياً وتلقائياً باللوفر وبرج ايفل ومتحف الشمع وكان وشارع ريفولى والريفيرا ومرسيليا. . فهنا سنطل إطلالتين. تاريخية على أسرار ماض عريق بقى مجسماً فى فرساى. . وحاضرة على فرنسا القرن العشرين. . فرنسا ١٩٩٠ معاصرة. . وواقعاً معاشاً. .

إعداد: قسم التحرير بالمجلة

مدينة فرساى جنوب غرب باريس العاصمة. . تبعد عنها حوالى ١٨ كيلو مترا مركز عسكرى له إداراته المحلية. . اقتصاد المدينة يعتمد على السياحة فهى تضم أروع تحفة معمارية عرفها التاريخ. . قصر فرساى الذى شيده الملك لويس الثالث عشر وقام بتوسعته الملك لويس الرابع عشر عام ١٦٦٨م. . مهوى افئدة الزائرين والسائحين وسعه وزينه وزخرفه عباقرة الفنون فى زمانهم فخرج تحفة فنية شهد بجمالها وروعتها التاريخ.

قاعة المرايا:

وهى ممر بين الجزء الشمالى والجنوبى ـ عمل فيها عدد من الفنانين المشتغلين فى الزخرفة والديكور تحت إشراف Leburn أروع الرسامين فى فرنسا من ١٦٨٩ ـ ١٦٨٩.

ـاهيا واحواضها .

واقع الايام

تطل على الحدائق من خلال سبع عشرة نافذة كبيرة.

وفى تلك القاعة كان لويس الرابع عشر يحتفظ بأروع التحف الكلاسيكية التى نقلت الى متحف اللوفر فى باريس إلا أن بعضها أعيد الى مكانه الاصلى عام ١٩٥٣م.

قاعة الحروب او المعارك:

تم تشييدها بقرار من الملك لويس فيليب لتحل مكان الاجنحة التى كان يمكث فيها شقيق الملك لويس الرابع عشر وزوجته الثانية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر.

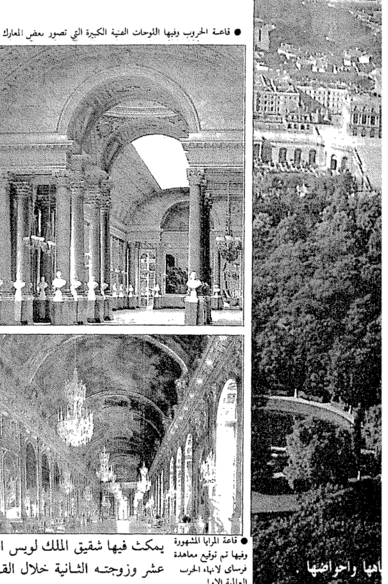
وقد تحولت الى معرض كبير للصور التى تمثل أعظم الاحداث التاريخية فى تاريخ فرنسا.

■ الديكور الذى يراه زائر القصر حاليا هو نفسه الذى وضع سنة ١٧٠١م حيث النحوت والاطر المذهبة واللوحات الفنية الناعمة.

وخلال حكم الملك لويس الرابع عشر كان جناحه الخاص يضم عددا من قاعات الاستقبال يشكل بعضها متاحف خاصة صغيرة كان يزورها كبار الضيوف والفنانين والعلماء.

■ مكتبة لويس السادس عشر الذى أمر بإنشائها سنة ١٧٧٤م وقد زودت بمنحوتات صغيرة تعبر عن الفترات الثقافية الماضية.. ويلاحظ أن أرفف الكتب ذات أطر خشبية مذهبة.

■ حدائق قصر فرساى تميزها الخضرة الكثيفة والأشجار الوارفة والأزهار اليانعة.. كانت مكاناً لنشاطات الملك اليومية كما كانت مكاناً مناسباً لإقامة الحفلات الموسيقية الكلاسيكية وبعض الالعاب النارية التى تقام فى المناسبات وحين افتتحت لعامة الناس أعيد تنظيم رياضها وأضيفت إليها نوافير وبساتين.



● قاعة الحروب وفيها اللوحات الفنية الكبيرة التي تصور بعض المعارك



● قاعة المرايا المشهورة وفيها تم توقيع معاهدة فرساى لانهاء الحرب العالمية الاولى.

فرنسا اليوم

السكان:

٥٦ مليون نسمة هم سكان فرنسا اليوم.. بزيادة ٦ ملايين عما كانت عليه فرنسا منذ عشرين عاماً.. تلك النسبة تمثل ١١٪ من مجموع سكان العالم و١٧٪ من سكان المجموعة الأوربية.

■ إن أهم ما يلاحظ فى فرنسا منذ أواسط القرن التاسع عشر وحتى اليوم ذلك التراجع الديموغرافى.. فنسبة الخصوبة ١٫٩ طفل لكل امرأة فى سن الانجاب وتلك نسبة غير كافية لتأمين تجدد الأجيال مما جعل تعزيز نسبة المواليد واجباً وطنياً تسعى الحكومة لتحقيقه.. والحقيقة أنه لزمن طويل

أمكن تعويض انخفاض نسبة المواليد عن طريق الفائض الناتج عن المد الهجرى والذى بدأ هو الآخر يتضاءل منذ السبعينيات.

ومما يلفت الانتباه أن عدد سكان فرنسا من الاجانب يبلغ حوالى ٤ر٤ ملايين نسمة أى بنسبة ٨٪ من مجموع السكان.. وتمثل تلك النسبة ست جنسيات مختلفة تكون حوالى ٧٠٪ من مجموع المهاجرين وهم البرتغاليون - الجزائريون - المغاربة - الايطاليون - الاسبانيون والتونسيون.

وعلى الرغم من ذلك فإن الاراضى الفرنسية غير مكتظة بالسكان، فالكثافة السكانية تبلغ ١٠٢ ساكن لكل كيلو متر مربع.

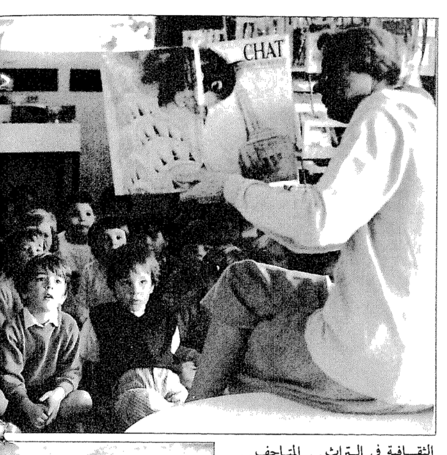
أما التوزيع الجغرافى فمتفاوت.. اذ يعيش حوالى ٧٥٪ من السكان فى بلديات يفوق عدد سكانها الالفين.. كما أن هناك ثلاث مدن يفوق سكانها المليون.. هى باريس العاصمة - ومدينة ليون ومدينة مرسيليا.

ويمارس ثلثا الفرنسيين نشاطاً مهنياً فالعاملون يمثلون ٤٣٪ من مجمل السكان.. أما عدد المزارعين فيتجاوز المليونين بعد أن كان خمسة ملايين عام ١٩٥٥م.

وحوالى ٥ر٩٪ من مجمل السكان العاملين يقعون تحت لائحة (طالب عمل) ومنذ أكثر من عام تجدد نشاط سوق العمل بحصول ٢٥٠٠٠٠ على أعمال وهذا يدل دون شك على تحسن المناخ الاقتصادى.

الوضع الثقافى فى فرنسا اليوم:

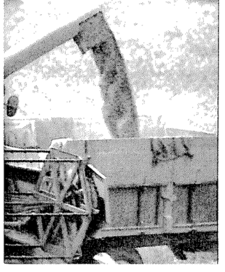
الحكومة الفرنسية تولى الثقافة جل اهتمامها.. يكفى أن نذكر أن الميزانية المخصصة لها زادت عام ١٩٩٠م بنسبة ٦ر٧٪ عما سبق.. وتتمثل التوجهات الرئيسية لسياسة الحكومة الثقافية فى التراث.. المتاحف.. الابداع والتعليم الفنى.



أما التراث الثقافى الفرنسى فيتمثل فى ٣٠٠٠٠ر٣٠ مبنى و١١٠٠٠٠ر١١٠ من الأشياء المختلفة المصنفة آثارا تاريخية وأربعة ملايين تحفة فنية و٢٠٠٠٠ر٢٠ موقع أثرى.

■ وعن المتاحف: فلم يعد برج ايفل ذلك الصرح التاريخى الاكثر استقبالا للزوار فقد تفوق عليه المركز الثقافى فى جورج بومبيدو.. وهناك أيضاً متحف (أورسيه) المخصص لفن القرن التاسع عشر والذى يستقبل يومياً حوالى ١٠٠٠٠ر١٠ زائر كما أن هناك ما يقرب من ألف متحف تنتشر فى الاقاليم وتمثل نهضة فنية حقيقية.

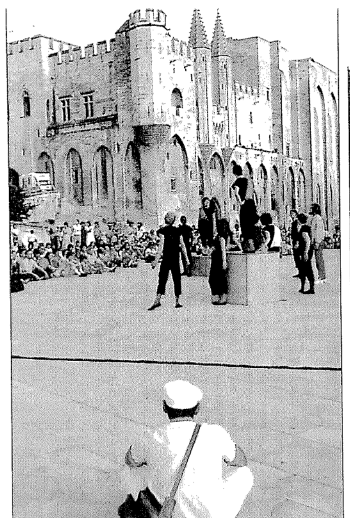
■ أما المسارح: فالجهود المبذولة لاعادة تنظيم المسارح الوطنية (الكوميدى فرانسيز - الأوديون..) جهود ملموسة وواضحة.. كما أن هناك خطة موجهة لانعاش الفن السابع (السينما) متمثلة فى المساعدة فى كتابة السيناريوات



وتأمين الدولة لتمويل الافلام الطموحة.

■ والموسيقى: تملأ عروض المسارح الغنائية.. وهناك الأوركسترات الوطنية الكبيرة كأوركسترا باريس.

أما (دار أوبرا الباستيل) الجديدة التى فتحت أبوابها فى ربيع ١٩٩٠م فسرعان ما بدأت تحقق نجاحاً هائلا وواعدا. وتقف مدينة العلوم والصناعة. معهد العالم العربى. قوس لا ديفانس - استكمال متحف اللوفر - تشييد مدينة



أعلى يمين - الأطفال قطاع حيوى لاعداد أجيال المستقبل ورغم إنخفاض نسبة المواليد الحاد إلا أن العناية الموجهة إلى هذا القطاع تفوق كل تصور.

مسرحية فى الهواء الطلق، محاولة للوصول الى اكبر قدر ممكن من المشاهدين وتغيير فى أسلوب الشكل والمضمون المعتاد للمسرح.

إلى اليمين - رغم الميكنة والتقدم في مجالي التطور الآلي إلا أن القطاع الزراعي يشهد إنخفاضاً ملحوظاً في نسبة المزارعين.

الموسيقى - البداية فى بناء مكتبة فرنسا - انجازات معمارية وفنية كبرى بدأت تغير وجه باريس.

■ أما عن الكتاب: فهناك ١٦٪ من الفرنسيين يجعلون من المطالعة تسليتهم الاولى.. وتمثل الروايات ٥٣٪ والتاريخ ٤٦٪ من نسبة الكتب المقروءة.

وصناعة الكتاب تتميز بدعم اقتصادى متميز من قبل الحكومة الفرنسية.. وفى سنة ١٩٨٩م نظم أول عرس للكتاب فى الوقت الذى انتهى فيه انجاز برنامج مكتبات للجميع.

ولا ننسى أن هناك جهوداً فائقة تبذلها الحكومة للقضاء على بقايا الامية التى لا تزال موجودة فى بعض الاماكن.

وسائل الاعلام الفرنسية اليوم

خمسة صحف يومية تهيمن على ميدان الصحافة الوطنية.

(لوموند) التى تحتل المرتبة الاولى باستقطابها ١٫٥٩٤٫٠٠٠ قارىء. (الباريزيان ليبريه - الفيفارو (ليبراسيون) وفرانس سوار أما فى الاقاليم فالسبق لصحيفة (واست فرانس) التى تستقطب نحو ٢٫٣٤٧٫٠٠٠ قارىء.

● والصحافة الدورية فى أوج التوسع والانتشار.. إذ أن مجلات الاحداث كمجلة «بارى ماتش - ما جازين - الاكسبريس - لوبوان - وغيرها» تستقطب أعداداً هائلة من القراء لاعتمادها على تقديم خلاصة تطور العالم.

ولا ننسى أن فى فرنسا أقدم وكالة أنباء.. إنها وكالة الانباء الفرنسية (أ.ف.ب) التى أسست سنة ١٨٣٥ وهى عميدة الوكالات العالمية الأربع ويعمل فيها حوالى ٩٥٠ صحافيا فى ١٢٩ بلداً.

ويكفى أن نقول أن هناك فرنسيا من بين كل اثنين يقرأ صحيفة يومية كما يكفى أن نذكر أن ٨ مليار نسخة من الصحف والدوريات هو محصلة ما يباع سنوياً لنؤكد ذلك الوعى الثقافى وتلك النهضة الصحفية.

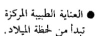
■ أما عن الاذاعة المرئية والمسموعة:

ففى فرنسا ٢٨ مليون وحدة من أجهزة التلفاز يخصص منها ثلاث قنوات تابعة للقطاع العام وأربع قنوات للقطاع الخاص.. وتتولى الشركة الوطنية بث اذاعة فرنسا على خمس شبكات إلى جانب المحطات المحيطية أو تلك التى ركزت محطات ارسالها على الحدود.

●● واخيرا فهناك المجلس الاعلى للقطاع السمعى - البصرى الذى يسهر على احترام رسالة المصلحة العامة سواء للقطاع العام أم القطاع الخاص.

الصناعات الاساسية

قطاع البناء دليل الصناعة الفرنسية - تلك الصناعة التى تحتل المرتبة الخامسة فى العالم - قطاع جيد ومتفوق.



● العناية الطبية المركزة تبدأ من لحظة الميلاد.



● الحياة الفنية والموسيقية يدخلها التجديد على يد العناصر الجديدة من الشباب.

والانتاج الصناعى فى مسار متصاعد - إن الصناعيين اليوم فى فرنسا يديرون آلاتهم وهذا ما لم يحدث مطلقاً منذ سنة ١٩٧٣م.

تأتى صناعة السيارات الفرنسية التى مرت على قيامها أكثر من مئة عام رابع صناعة فى العالم بعد اليابان وأمريكا وألمانيا الفيدرالية وتأتى فى مقدمة شركات صناعة السيارات شركة رينو وشركة ب. س. أ.

■ أما صناعة الحديد الفرنسية فتأتى فى المرتبة الثامنة فى العالم بإنتاج يتراوح بين ١٩، ٢٠ مليون طن فى السنة.

وتقوم شركة (أوزينور - ساسليور) بإنتاج الفولاذ الفرنسى كله.. والصناعات الميكانيكية المتنوعة (من المعدات الثقيلة الى صناعة الساعات) تمثل حوالى ١٠٪ من أعمال الصناعة الوطنية وتقوم بها ٦٥٠٠ مؤسسة.

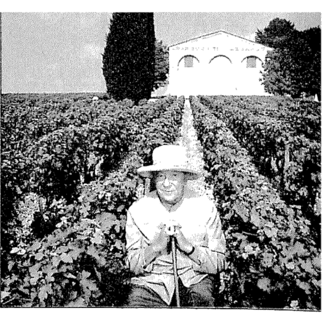
وفى مجال المعدات الكهربائية تأتى فرنسا رابع منتج فى العالم على حين تقوم بعض الشركات والتى لها صفة الحجم العالمى بصناعة المعدات الدقيقة.

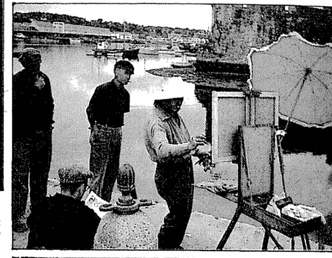


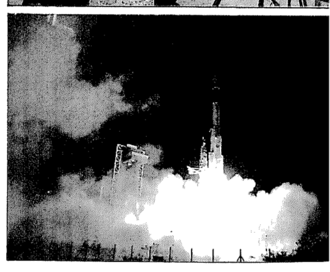
● شارع (لازار) باريس، وزحام مستمر فى ساعات الذروة.



● عملية استماع ومشاهدة البرامج التلفزيونية والاذاعية مسألة ضرورية فى حركة الاستمرارية.. والمحطات التى تبلغ اكثر من الف محطة ما بين خاصة وعامة تؤمن للمشاهد مجالا اوسع للانتقاء.







● أعلى يسار مجال الصناعات يشهد تحديثاً متصاعداً وهنا أحد الفنيين يقوم بتركيب رجل آلي عنكبوتي الشكل فى قعر مولد بخار لمعمل طاقة نووي.

●
الفرنسيون مغرمون بكل العمليات الترويحية مثل الرسم فى الهواء الطلق والصيد وغيرها.

● برنامج الفضاء (اريان) برنامج مشترك بقيادة فرنسا.

أما منتجات النسيج والملابس والاحذية.. فتغطى كل مراحل الانتاج.

الصناعات الفرنسية الرائدة:

تحتفظ فرنسا بريادتها فى صناعة الطيران وصناعة الفضاء.. وتلك من أكبر وأبرز قطاعات الصناعة الوطنية فى فرنسا.. فهناك طائرة الكونكورد.. وفى المجال المدنى طائرة الايرباص وهناك الصاروخ (أريان) الذى تم إطلاق برنامج انجازه ببادرة من فرنسا.

وتقوم بعض القطاعات الصناعية بتكنولوجياتها المتقدمة والمتخصصة فى الابتكار والتجديد بجهود مميزة محققة نتائج متميزة ومتفوقة.. وتتركز صناعة الطائرات والفضاء فى الجنوب الغربى حول باريس ويقوم بها حوالى مئة مؤسسة أهمها مؤسسة (ايروسباسيال) المؤممة و(داسو).

■ ومما تجدر الاشارة اليه أن قطاع صناعة الطيران والفضاء يحقق فائضاً تجارياً يبلغ حوالى ٣٠ الى ٤٠ مليار فرنك.

ومن الصناعات الرائدة أيضا الصناعات الالكترونية.. (الهاتف - معدات الطب الاشعاعى - الصمامات الالكترونية - وغير ذلك من صناعات تقف شاهدة على ريادة فرنسا وتقدمها وحضارتها.

■ **تلك بعض ملامح الحياة فى فرنسا اليوم ويبقى الكثير عن هذا المجتمع الحضارى المتقدم.**

● الجامعة الاسلا
● «بيت الضعفا

كنـ

صلة ما سبق:

فى الحلقة السابقة من هذا الموضوع مع صحبة الاستاذ العبودى وقفنا عند الكثير من المعالم الدينية فى رانقون، مساجد، مدارس، معاهد دينية.. كما تناول بالحديث بعض العادات والاعراف السارية عند أهل بورما فى كثير من جوانب حياتهم اليومية المعتادة.
وفى هذه الحلقة نتعرف على جوانب اخرى لها أهميتها وطرافتها ايضا.

محمد بن ناصر العبودى



■ الصيد يمثل جانبا مهما فى حياة

عندما طال السير بنا ونحن ندخل فى ضواح أشبه ما تكون بالريف سألت الشيخ المفتى عن المكان الذي يقصده؟ فأجاب إنه بيتى . . ولم يكن من اللياقة أن أقول إن الأفضل أن تكون زيارة بيته فى الليل اغتناما لضوء النهار فى رؤية بعض المساجد والمدارس وتصويرها حيث لا يمكن ذلك فى الليل.

ويقع بيت المفتى فى مكان مرتفع فى ضاحية جميلة نسبيا تسمى (بهات)، يمكن ان تصبح جميلة حقا لو لقيت شيئا من العناية فشوارعها ترابية وحدائقها الكثيرة التى تكاد تختفى منازلها فيها لا تلقى العناية، بل إن الاهمال هو الطابع عليها.

وعلى مدخل البيت مكتوب بيتان من الشعر باللغة الفارسية فى مدح صاحبه والد المفتي، وقدم الشيخ جزاه الله خيرا الاشربة الباردة والحلوى ثم القهوة والشاى فى جلسة قصيرة فى بيته.

الى الجامعة الاسلامية او دار العلوم:

قلنا فيما سبق إن الامر فى التسميات فى هذه البلاد هو اصطلاحي فالجامعة الاسلامية هنا وفى الهند تعني المدرسة والمعهد الدينى الاسلامي وان تكن لا تصل فى مستواها التدريسى الى الجامعي وقد تسمى (دار العلوم) أيضا التى يراد بها العلوم الاسلامية خاصة.

وهنا فى بورما اكبر المدارس فى رانقون هذه التى سنذهب اليها جمعوا لها الاسمين كليهما (الجامعة الاسلامية، ودار العلوم).

وفى الطريق مع هذه الضواحى من (رانقون) التى تبين أنها ضواح قديمة وليست حديثة بدليل قدم الابنية فيها رغم عدم اتصالها، مررنا بشيئين يلفتان النظر وان كانا مختلفين فى كل شيء عدا ذلك.

أولهما: مقبرة صينية يلاحظ انها رغم كونها لقوم من الصينيين البوذيين فانهم لا يحرقون موتاهم وانما يدفنونهم دفنا على حين ان البوذيين من الوطنيين البورماويين يحرقون موتاهم ويدفنون رمادهم بعد الحرق مثلما عليه الحال بالنسبة الى اكثر البوذيين، ومثل ما عليه الحال بالنسبة الى الهندوكيين فى كل البلاد.

ثانيهما: مسجد صغير المساحة إلا أنه عالى المنار ظاهر الشعار، بلونه الأبيض الناصع الذى يدل على الطهر والنقاء لا سيما فى هذه البلاد المشركة الوثنية التى تسجد اكثرية سكانها لتمثال بل لتماثيل (بوذا) التى هى من الحجر أو المدر مع أنهم يدرسون أن (بوذا) كان إنسانا، ولكنه زهد فى الدنيا وترقى فى ذلك حتى وصل الى رتبة الالوهية بزعمهم الفاسد.

ثم وصلنا الى مسجد (محمد جان) الذي تقع الجامعة الاسلامية بجواره وهو مسجد قديم الا أنهم يبنون منارته عالية جدا قوية البناء رحبة الفناء فهم فى هذا الامر أكثر حيوية من الحكومة فى أبنية الحكومة وذلك رغم الفقر الذى

| هنا تعني المدرسة والمعهد الديني.
فروع هام يحتاج الى الكثير والكثير.

في بورما ٥

حاق بالمسلمين، بل الناس فى بورما اجمعين حيث تبددت الثروات، وشلت الحركات الاقتصادية الفردية الا المحدود منها لمن كان من الناس مجدوداً - اى محظوظاً -

وقد اخبروا ان بناء هذه العمارة الكبيرة هو من صندوق للتبرع يشارك فيه المسلمون كل على قدر حاله وبحسب ما تجود به نفسه من طاقته.

وقد رأينا طوائف بل جمهورا كبيراً من الاخوة المسلمين جاءوا الى هذا المكان بعضهم ليؤدوا صلاة المغرب خاصة وبعضهم لطلب العلم فى المدرسة. ولم يكن لاحد منهم أو من غيرهم علم بمجيئنا هكذا أردنا وأراد مرافقونا وإلا لكان جمهورهم قد أصبح جماهيرا، ولكان كثيرهم قد صار ازيد من ذلك بكثير.

الجامعة الاسلامية:

لم يبق من الوقت قبل الغروب الا القليل الذى لا يسمح نوره بالتصوير فاكتفينا بالاطلاع العام على هذه المدرسة الاسلامية العريقة التى تخرج فيها فيما قاله لنا اخواننا من المشايخ ما يصل الى ثمانمائة عالم أو ما يقارب ذلك وكلهم اخذوا أماكنهم فى انحاء البلاد، فى إمامة المسلمين وإرشادهم ووعظهم أو تعليم الدين الاسلامى الحنيف. وذلك بقدر استطاعتهم ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها، ويقال (من عمل بقدر استطاعته فقد اعذر».

والقوم عملوا بقدر استطاعتهم، وقد أعذروا بالفعل، وبقى لهم لكى يرتفع مستواهم ويزيد علمهم أن يساعدهم إخوانهم المسلمون من خارج البلاد الذين هم أكثر منهم علما ومالا على ذلك.

وبناء المدرسة أو الجامعة قديم تحيط به أروقة خشبية جميلة على الطراز الذى كان شائعا فى هذه البلاد فى القديم، لأنها من البلاد التى تنتج وفيرا من الاخشاب مثلها فى ذلك مثل (نيبال).

واسست هذه المدرسة فى عام ١٩٣٥م وقال لى الشيخ المفتى: إن والدي الحاج داود هاشم يوسف هو الذى قام على تأسيسها.

مقبرة المسلمين:

فى مكان مجاور للمدرسة توجد مقبرة للمسلين خاصة من مقابر ست خاصة بهم.

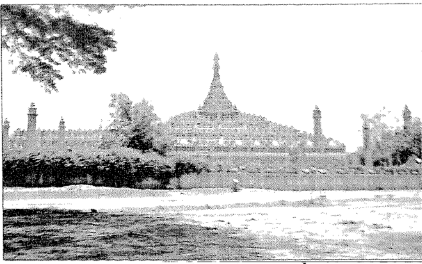
وهذه المقبرة واسعة جدا والغريب فى أمرها أن الذى تبرع بأرضها كلها وما عليها هو شخص من المسلمين واحد لم يشاركه احد فى ذلك واسمه (محمد ابراهيم ملا) وأصله من بومبى بالهند.

وقد أرونا قبره مكتوبا عليه اسمه فسلمنا عليه السلام الشرعي ودعونا له بالثواب الجزيل.

و(محمد ابراهيم الملا) يرحمه الله كتبوا على قبره تاريخ وفاته بالتاريخ الهجرى عام ١٣٥٦هـ وبالميلادى ١٩٣٨م وذكروا انه توفى وعمره ثلاث وستون سنة.. وعامة القبور لا ترتفع كثيرا عن المعتاد الذى هوحوالى نصف ذراع او ثلث متر الا انهم يجعلونها ذات زوايا متساوية كما يفعل بالمربع المستطيل وذلك لكيلا ينجرف ترابها كما يجعلون على كل قبر شاهدا حجريا واحدا يكتبون عليه اسم صاحب القبر وعمره وتاريخ وفاته. وبجانب المقبرة بناء واسع لتجهيز الاموات والصلاة عليهم.

ولا شك فى أن القوم يحتاجون الى توعية فى هذا الامر وغيره من أمور دينهم فهم يعيشون فى زاوية منعزلة عن بلاد المسلمين خلف حجاب من السياسة وعدم المقدرة المالية وبعد الانصراف من السلام على الاخوة المسلمين المحسنين من أهل هذه المقبرة استقبلنا عند المسجد (مسجد محمد جان) إمام الجامع البنغالى وخطيبه وهو الجامع الذى زرناه قبل ساعتين فاعتبرتها فرصة سانحة لسؤاله عن تاريخ المسجد، فأجاب: إنه لا يعرف تاريخ بنائه واسم الامام (عبد الوهاب عبد الستار)،

وتقع هذه الاماكن الاسلامية فى حي لا يؤلف المسلمون فيه الاغلبية وانما يؤلفون فيه أقلية فالاغلبية فيه



● بورما كغيرها من دول شرق آسيا تمتاز بتفردها في هندسة المعمار وروعته.

للبوذيين ويسمى حي (باهات).

حديقة العزيز:

مررنا بحديقة واسعة مسورة بسور لم يجدد منذ دهر فقالوا لنا: إن هذه (حديقة العزيز) لما استنفلنا منهم ما يقصدونه اجابوا بأنها لرجل مسلم اسمه عبد العزيز وسميت بذلك اضافة الى اسمه. وأضافوا: إن للمسلمين في هذا الحي وحده ست حدائق.

والحدائق المذكورة هنا تشبه الحدائق الحكومية الواسعة التي تكون في أحياء المدن ويستعمل المالكون ما تنتجه من أخشاب وفواكه للاستثمار.

والآن وقد زال عهد الاستثمار، وحل عهد الاستئثار، فإن هذه الحدائق قد اصبحت معطلة واذا اتخذنا (حديقة العزيزية) هذه مثلا على ذلك تجد أنها قد أهملت أشجارها وتقلصت ثمارها وان طوائف من الناس وبخاصة من فقراء المسلمين قد بنوا فيها اكواخا وسكنوا فيها.

مسجد العزيزية:

مع ان الزيارة لم تكن للحديقة وحدها وإنما كانت لمسجد العزيزية، وهو مسجد تبرع صاحب حديقة العزيزية بأرضه للمسلمين فبنوه عليها ولا يزال عامرا بالمصلين.

وصلنا الى المسجد والمغرب قد حان فقال الاخوة انه ينبغي لنا أن نزور:

«بيت الضعفاء»:

وبيت الضعفاء هكذا أسموه، هو ملجأ لكبار السن من الرجال مقام على أرض من حديقة العزيزية محاذية للمسجد تبرع بها صاحبها عبد العزيز المذكور واقاموا عليها بناء خشبيا مرفوعاً عن الأرض إتقاء للرطوبة يصعد اليه مع درج خشبي أيضا، والبناء على هذه الارض من تبرعات المسلمين.

■ ويقول لي الشيخ المفتي والذين معه: إن (بيت الضعفاء) هذا تشرف عليه جمعيتهم وهي جمعية (علماء الاسلام).

جلسنا في مكتب المشرف على هذا الملجأ الذي اسموه بحق (بيت الضعفاء) واظن ذلك أصدق من الملجأ الذي لابد من تعريفه بأنه لكبار السن أو من إضافة توضح امره.

فأخبرونا أنهم يقبلون فيه من يزيد سنه على ستين سنة ولا يقبلون من هم دون ذلك وقالوا: ان عدد الموجودين بصفة دائمة فيه يتراوح - ما بين ستين الى سبعين وانهم يعيشون فيه ويصلون في المسجد الموجود بجانبه ويستمعون الى المواعظ.

وقالوا: إن المكان ضيق لا يتسع لاكثر من هذا العدد والا فإن المسنين من المسلمين المحتاجين الى الرعاية عددهم اكثر من ذلك بكثير لكنهم لا يستطيعون تلبية رغبتهم بسبب الضيق. وانهم اذا وجدوا النفقة اللازمة فانهم يعتزمون بناء طابق ثانٍ على هذا الموجود المؤلف من طابق واحد.

ولما أخبرتهم بأن رابطة العالم الاسلامي مستعدة لمساعدة هذه المشروعات الاسلامية وأنها يمكن أن ترسل لهم مساعدة مجزية لهذا المشروع ولغيره، قالوا بتحسر: شكرا لكم ولكننا لا نستطيع أن نطلب المساعدات لأن حكومتنا لا تريد ذلك ولا تسمح به.

ثم قمنا بجولة على غرف النزلاء من المسنين فرأيت نظراتهم تدل على المسكنة والحسرة، وقال إخواننا: إن بعضهم كانوا من التجار ذوي اليسار ولكن تجارتهم افلست. وبعضهم كانت له أسرة فحدث فيها ما فرق شملها من موت أو غيره فبقوا لا عائل لهم، ولا كافل الا نحن اخوتهم في الدين.

وكان تأسيس هذا الملجأ في عام ١٩٥٥م فهو مثل غيره من المؤسسات الاسلامية قد أسس أيام قوة المسلمين في بورما.

■ بينما كنا نتحدث في (بيت الضعفاء) كان الأذان يصدح في الآذان ويلج القلوب وبخاصة في مثل هذه الساعة التي يرهف فيها الحس، وتتضاءل رغبات النفس في الدنيا حينما يرى ان هؤلاء الاخوة المسلمين من المسنين الضائعين الذين لولا توفيق الله تعالى لإخوانهم المسلمين لكان ضياعهم مضاعفا لانهم إما أن لا يجدوا من يعتني بهم على كبرهم. أو أن يجدوا ذلك عند قوم من الكفار الذين لا

يقبلونهم الا عندما يقبلون بشروطهم التى منها ان الملجأ هو غير اسلامى .

وقد أخبرنا إخواننا أن الحافز لهم على إنشاء هذا البيت للضعفاء هو ان (شيوخ) المسلمين بمعنى كبار السن فيهم العاجزين هؤلاء يضطرون الى الدخول فى ملجأ الكفار وهو هنا ملاجىء الحكومة أو جمعيات الاحسان البوذية فلا يجد من يوفر له الطعام الحلال، ولا من يسمعه من آيات الله وحديث رسوله ما يطمئن نفسه ، ويهدىء روعه وهو فى سن صعبة وفى حالة نفسية أصعب، كما لا يجد النظافة فى البدن والثياب ولا المسجد الذى يؤدى فيه الصلاة .

■ إضافة الى ما قد يتعرض له من إضلال فى دينه فى هذه المرحلة النهائية من عمره وسألتهم عما تقدمه الحكومة لهم من المساعدات مثلما تقدم الحكومات الاخرى المساعدات للجمعيات الخيرية التى تخدم طائفة من أبناء شعبها. فذكروا أن الحكومة لا تقدم قرشاً واحداً وحجتها فى ذلك أنها تقول إننا نحن لدينا ملاجىء للمسنين أمثال هؤلاء فمن أراد أوأريد له أن يدخل فيها فليدخل مثل غيره من بقية المواطنين.

بعد سماع الاقامة اسرعنا بدخول المسجد مع الداخلين الذين رأيناهم قد امتلأ بهم لأنه صغير حتى لم يبق مكان لزيادة مصل واحد، الا من يكون خارج المصلى الرئيسى .

بعد صلاة المغرب التى لم يكن فيها ما يلفت النظر غير البقاء قليلا بعد التسليم للدعاء كالمعتاد سلمنا على إمام المسجد (الحافظ هداية الله بن صفى الله) وتأمل معنى كلمة (صفى الله) . .

واشار الاخوة ايضا الى مدرسة إسلامية او كتاب صغير بجانب المسجد (وبيت الضعفاء) قالوا: إنه يتعلم فيه اطفال المسلمين مبادىء الدين الاسلامى والحروف العربية ولم يكن فى الوقت متسع لمشاهدة المدرسة كما لم يكن فيها طلاب فى تلك الساعة.

وقبل مغادرة المكان كانت جلسة مع الأخ (بشير احمد بن الاخ عبد العزيز) الذى نسبت الى والده هذه الحديقة وما نسب اليها من المسجد والمدرسة والملجأ.

وهو يبدو فى مظهره كالهندي الشمالى العريق. وقد كان هذا بالفعل اذ عندما سألته عن الجهة التى جاءوا منها فى الأصل قال: لقد ولدت هنا ولقد قدمت أسرتنا الى بورما منذ اكثر من تسعين سنه وأصلنا من ولاية جامو وكشمير فى الهند الآن فنحن على بعد قليل من عاصمة منطقة (جامو) تلك.

وهذه واقعة فى اقصى الشمال من القارة الهندية بل أن كشمير نفسها تكاد تكون خارجة عن الهند وان كانت الحكومة الهندية هى التى تسيطر على اكثرها فى الوقت الحاضر واذا كان القارىء الكريم يرغب فى معرفة المزيد عن كشمير فانه يمكنه أن يقرأ كتاب: (سياحة فى كشمير).

ومع كون الاخ بشير احمد ذا مظهر هندى شمالى فإن معيشته فى هذه البلاد البورماوية قد اكسبته سمرة بل سوادا فى اللون ذهب بإشراق وجهه الذى يوجد فى وجوه الكشميريين ولقد سألته عما اذا كانت أمه من بورما؟ فأجاب بالنفى .

ولكن الذى لم يقله صراحة إن الاحداث التى مرت على المسلمين فى بورما وأخذ أموالهم منهم وكف أيديهم عن أعمالهم التجارية التى كانوا يمارسونها وبالتلخيص مضايقتهم ومحاصرتهم وسلب حرية الحركة منهم هى التى أثرت عليه.

فقد أشار الى صف من البيوت الخشبية التى أمام الملجأ وقال: هذه البيوت كلها كانت لنا وكنا نؤجرها وننتفع بثمنها واليوم يسكنها غيرنا بأمر الحكومة.

وفى العودة من الجولة الى الفندق شاهدنا الاماكن العامة على قلتها مضاءة ومنها المعبد البوذى الكبير المجاور للجامع البنغالى وذلك لمناسبة (عيد الفلاحين) الذى خصصوا له هذا اليوم ومعنى الاضاءة أنها مزينة بمصابيح كهربائية ملونة خافتة اللون، فسألت الاخ المفتى عن المساجد أيزينونها بالاضاءة فى مثل هذه المناسبات مثل غيرها من المحلات العامة لاننى رأيت الجامع البنغالى ليس عليه من هذه الزينة شىء؟

فأجاب: لا، نحن لا نفعل ذلك. ، والمساجد للعبادة فقط ولا يجوز أن تتأثر بالمناسبات السياسية فهذا ليس من عملها، فقلت: جزاك الله خيرا.

قال: والحكومة لا تجبرنا على ذلك لأن هذا أمر يتعلق بالدين.

ثم أثنى مثل غيره على العلاقات ما بين المسلمين الذين هم أقلية عددية وبين الاكثرية العددية من البوذيين، فقال: إن البوذيين يتعاونون معنا وهم قوم طيبون وليسوا مثل الهندوكيين الموجودين فى الهند فهم لايؤذون المسلمين، إلا أن غيرهم ممن سمعت كلامهم فى هذا الموضوع قالوا: إن هذا كان الى ما قبل عشرين سنة او عشر سنين عندما غيرت الحكومة سياستها نحو المسلمين وأوغرت صدور الاكثرية من المواطنين عليهم.

مطاعم المسلمين:

كان العشاء هذه الليلة أيضا فى مطعم للمسلمين صينى فالطعام

الصينى شهي وخفيف لأن الخضروات لها مكان عظيم فى وجبات الطعام عندهم.

ولقد عجبت من كثرة مطاعم المسلمين هنا حتى انهم ذكروا لنا خمسة مطاعم صينية للمسلمين وهناك غيرها هندية وبورمية فذكروا لى ان غير المسلمين يأكلون أيضا فى مطاعم المسلمين وبعضهم يفضلها لنظافتها ولرخصها النسبى.

وأول ما يطلبه المرء منا فى المطاعم الصينية شربة الخضار فهم يضعون فيها من الخضرات مالا تدرى ما هو بعضها على هيئة شرائح صغيرة. وقد يضعون شيئا من الاربيان - الروبيان أو الجمبرى - مطبوخا أو مسلوقا بطريقة خاصة تجعله مقبولا للأكل وليس كما اعتدنا عليه فى بلادنا وفى البلاد العربية بأن يكون مقليا.

ثم يأتون بصحون أخرى من الخضرات المنوعة المطبوخة حتى الأشياء المعتادة عندنا مثل لحم الدجاج لا يأتون به قطعا خالصة مثلما نفعل ويفعل غيرنا فى الغرب والشرق وانما يحضرونه مقليا أو مسلوقا أو معداً بطريقة خاصة ومعه مقادير من الخضرات المنوعة.

وأحيانا يأتون به خالصا من العظم على هيئة قطع صغيرة لا تكاد تفرق بينها وبين بعض الخضرات التى تطبخ معه والتى تكون بيضاء اللون.

ثم زينة المائدة الصينية وهو الشاى الصينى الذى أصله أخضر ولكنه ليس بالشاى الاخضر الذى نعرفه فى بلادنا ويأتون به فى أباريق فيسكب فى اكواب كبيرة ويشرب كما يشرب الماء أو عصير الفاكهة ولا يقربه السكر مطلقا وكلما نقص كأسك زادوك منه بدون أن تطلب ذلك فكأنه الماء البارد الذى يقدم على الموائد فى البلاد الحارة.

حوانيت المسلمين:

وكان الوقت لا يزال مبكراً للجوء الى النوم وكانت الحوانيت لا يزال اكثرها مفتوحا ومقهاة الفندق لا تصلح لقضاء الوقت فهى موحشة لأن روادها قليل وهم من الاجانب الذين هم سكان الفندق اما أهل البلاد فانهم لا يستطيعون دفع ثمن الشاى فيها لأنه مرتفع الثمن حيث لا تتحمله جيوبهم.

لذلك فضلنا ان تكون السهرة بالانطلاق فى بعض الاسواق فجعلنا نتجول بدون أن نقصد مكانا بعينه، بل يقودنا الى ذلك أى منظر نلاحظه حتى نمل وقد لاحظنا شيئا لم ننتبه اليه من قبل وهو ان حوانيت المسلمين فى الاسواق كثيرة كثرة تفوق نسبتهم العددية فى البلاد مما يوحى بأن اكثرهم كانوا يشتغلون فى التجارة وانهم كانوا على قدر لا بأس به من الثروة.

■ ومن العلامات الدقيقة المميزة لحوانيت المسلمين أى: دكاكينهم بالعامية وجود البسملة بالارقام مكتوبة عليها وهى (٧٨٦) أو وجود صورة للكعبة معلقة فى المحل وصورة للمسجد النبوى الشريف فى المدينة المنورة.

وبعضهم يقتصر على وضع تقويم للمسلمين فى ركن منه صورة ترمز الى الانتماء الاسلامى كالذى سبق.. ومن الملاحظ أيضا أن اطفال المسلمين الذين نراهم فى محلات اهليهم وذويهم حتى الذين يقال لنا بانهم من أبناء المسلمين يكونون اكثر نضارة فى الوجوه. وصفاء فى الألوان ولا أدرى أسبب ذلك من جودة الغذاء، او من نوعه الذى كثيرا ما يكون للثروة والغنى دخل فيه، ام ان ذلك بسبب أصولهم العرقية؟ مع أن أهل البلاد البورماويين الأصلاء بيض الألوان مع صفرة، فهم وان كانوا يشبهون التايلنديين فى بعض الخصائص المظهرية الا أنهم اكثر بياضا منهم فان وجوه أطفالهم ليست فى إشراق وجوه أطفال المسلمين.

الفندق:

بدأ الصباح هذا اليوم فى هذا الفندق المعدود هنا من فنادق الدرجة الأولى بداية غير مريحة للنزيل فقد لاحظنا منذ وصولنا أن الماء الساخن لا يوجد فى الحمام، وقلنا ربما كان هذا

● عند مدخل المطعم الصينى فى ماندلى العبودى وآخر من بورما.



لبعض الـوقت من النهـار كما تفعـل بعض الفنادق. الا انه استمر فلم اجد ماء ساخنا فى الصباح الباكر إضافة الى سوء حالـة الصنابير فى الغرفة واتساخ المغطس او حوض السباحة فيها لأن طلاءه قد عبث به الزمن حتى ذهب باكثره ولم يجددوه أو يزيلوه كله. وحتى الماء، عندما فتحته هذا الصباح لأول مرة انطلق من الصنبور أسود كالمخلوط بالرمـاد الى ان صفا بعد ذلك. وقد حذرنـا الـفـراشـون من شرب ماء الصنـابـير فى الحـمام قائلين: إنه غير صالح للشرب وانـما كانـوا يحضرون (زمـزميات) صغـيرة فيها ماء من نوع آخر نظيف.

مكتب السـياحة:

الـسياحـة هنـا شأنها شأن كل الأ مور الهامة فى يد الحكومة وحدها.

ولقـد عجبنـا حين سألنـا مكتب الاستقبال فى الفندق عن الطريقة التى يمكننـا أن نشترى بها تذكرة سفر الى مدينـة (مـانـدلي) العـاصمة الاثرية القـديمـة لبورما، فنحن نريد زيارتها لذلـك ولـزيارة اخـوتنـا المسلمين الموجودين فيها الذين هم كسائر الاخوة فى هذه البلاد يفوق نشاطهم ومالهم فى المؤسسـات الاسلامية ما قد توحي به نسبتهم العددية الى باقى السكان.

فاخـبرتنـا إدارة الفنـدق أننـا لا نستطيع شراء أية تذكرة من هذا النوع الا من مكتب السياحة الحكومي الذى قد يقر ذلك أو يرفضه.

فذهبنـا فى الثـامنـة مع صاحبنـا (حـكيم الله) سائق سيارة الأجـرة المسلم ولكننا وجدنا فراشا فى المكتب قال: ان العمل يبدأ فى الثامنة والنصف.

فـى مقهـاة شـعبية:

خرجنـا نزجى الوقت فى الأماكن القريبة من مكتب السياحة ومنها شارع رئـيسـى فيه مقـهـاة (شـعـبية) على الرصيف العريض شأن اكثر الارصفة فى الحى التجارى الذى كان فاخراً من وسط المـدينة. ولكن حاله ساءت كما ساءت أحوال كثيرة فى هذه البلاد.

وقـد نشـر أربـاب المقهـاة مقـاعد خشبية صغيرة جدا ليس لها ظهور أو أيد، وإنـما هى شبـه الكـراسى التى تكـون فى الحمامات ترفع الجالس عن الأرض وهى قريبة من الأرض بحيث لا يحتـاج من يجلس عليهـا إلى مائدة يضع عليها قهوته.

وطلبنـا منـه أن يأتينا بكوبين من القهوة الساذجة (السادة) وطلبنا منه ألا يضيف إليها اي شيء من الحليب لاننا لا نثق بنـظافـة حليبهم ولكنـه جاء بابـريق كبير معه من قبل قد خلطوا قهوته بحليبه، وربما كانوا قد طبخوها منـذ مدة وسكب لنـا منـه فى اكواب صغيرة لا تبعد نظافتها عن نظافة ثيابه التى لا تقـل حالتهـا سوءا عن حالة الـرصيف التى ذكـرتهـا. ويكفى ان تعرف ان هذا الرصيف تمر منه القناة الصغيرة المعتادة التى تخرج من خلالها المياه المسـتـعـملة من البيوت وقـد تكسرت بعض أغـطيتهـا فانكشف سترها، بل بان سرها.

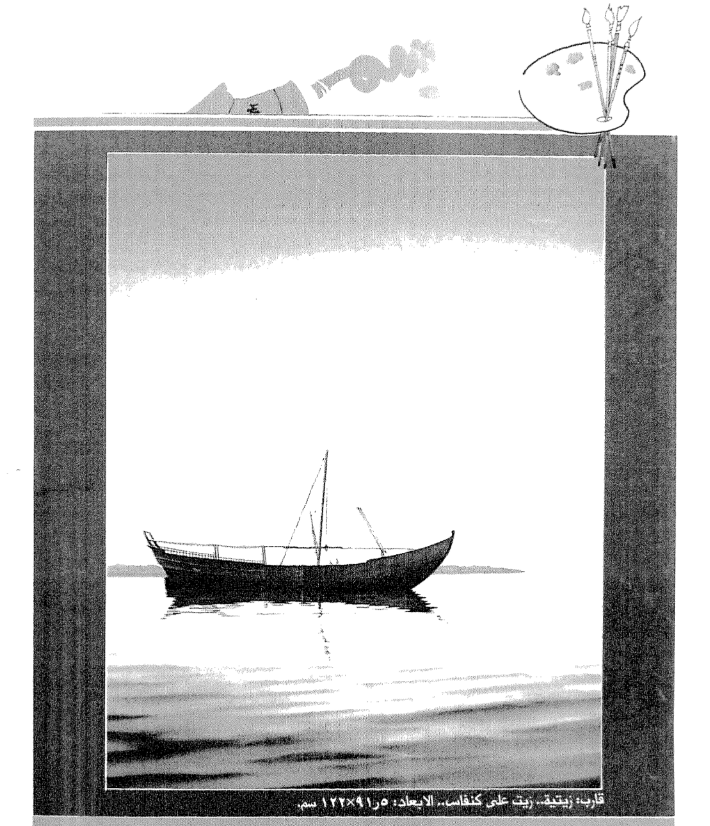
وكـانت المتعـة ليست فى القهـوة نفسها وانما فى الاطلاع على حالتها ومن ذلك ما لاحظته من أن بعضهـم يجلس ويطلب شيئـا من العـامـل فى القهوة فيحضر له شيئا مقليا يشبه ان يكون حلوى او عجينـا مقليا ويضعـه فى الصحن أمامه فيأكل منه ما يريد. وهو على هيئة الاصابع الغليظة المتساوية فى المقـدار، ثم يأخذه العامل بعد ذلك ويقدمه لغيره. ويتركه عنده حتى يفرغ منه ويحـاسبـه على ما أكله، وهكـذا تتنـاول الايدى ذلـك الصحن. وقد نتلمس ما فيه، ويتنـاوله معها طائفة قليلة من ذات الحـظوظ من الذبان - التى لا يعـوزها ما تقع عليه فى هذه البـلاد - ولـذلـك لم نشرب القهـوة وفـوجىء صاحبهـا بمن يدفـع اليه النقود، ويعيد اليه الكأس مترعة.

الحرية التى يهزئهم:

بينما كنـا فى المقهـاة نتفرج برؤية الناس اذا بصبى معه قفص فيه طيور ملونة أكثر الوانها الحمرة وهى صغيرة فى حجم العصـافـير وهـو يبيعها ووقف علينا يتفرج برؤية هؤلاء الغرباء الذين لهم لحى خلاف الشبان الذين يراهم من اهـل بلاده فاشـتريت منه واحداً بتشـاتـين اثنـين اى حوالى ربع دولار بالصرف الـرسـمـى وعشر دولارات بالصرف الحر.

وكـانت مفـاجـأة الجميع وأولهم الصبى البـائـع حين فرغت من تأمل هذا الـطائر الصغير المسكين فاعطيته حريتـه وأطلق جناحيه فطار ولا أقول كأنها أفلت من قفص لأنه قد افلت من القفص حقيقة لا تشبيها وربما لم أر فى حياتى عصفوراً يطير بسرعة طيرانه.

وذهـل الصبى والـذين معـه فقد كانوا يرون فى ذلك الطائر الذى طار غير ما أراه من كونـه مخلوقـا صغـيراً يطلب الحرية فحصل عليها من دون سعى منه الى ذلك وإنما ينظرون الى (تشـاتـين) اثنين من عملتهم، وكأنما طارا بجناحين، وقد يعجبون من هذا الغريب الذى ان لم يقولوا: انه مجنون مصاب فى عقله فانهم ربما يقولون: انه مصـاب فى جيبـه، ولم يدروا أن ثمن جميع ما فى القفص من الطيور يعد شيئا غير مذكور، لقاء ما منحنا ربنا من خير كثير ومال وفير، وان عتق جناحي هذا الـطير ولا أقول رقبته من العبودية هو من الاعمال التى يبتغيها اهل الخير.



قارب: زيتية.. زيت على كنفاس.. الابعاد: ٥ر٩١×١٢٢ سم.

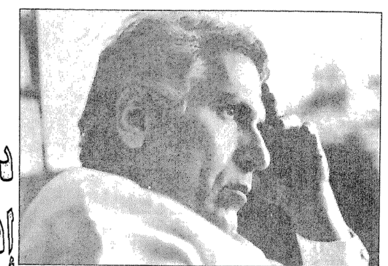
أحد لوحات الفنان التشكيلى (فيليب بوشارد) وهذه اللوحة تمثل رؤية خاصة تعمقها الفنان من خلال معايشته للبحر وتجاوبه معه.

وتأتى هذه اللوحة ضمن (٥٦) لوحة ضمها كتاب (الجزيرة العربية وتاثيراتها على اعمال الفنان فيليب بوشارد).

.. فيليب بوشارد من مواليد القاهرة ١٩٥٢ حيث كان يعمل والده فى السلك الديلوماسي.. اكمل دراسته الجامعية فى لندن.. اقام اول معرض له فى باريس ١٩٧٤ ـ عاد الى منطقة الشرق الاوسط فى ١٩٧٩م.

بهرته الصحراء والسماء الزرقاء، والطبيعة المفتوحة فى المملكة العربية السعودية، فابدع مجموعة من اللوحات هذه واحدة منها.

د. يوسف إدريس



الفيلسوف .. الرائد ١٩/٥/١٩٠٧م

■ المولد كان فى محافظة الشرقية ١٩ مايو ١٩٠٧م يوم الميلاد..

■ بكالوريوس الطب والجراحة ودبلوم الامراض النفسية والصحة العامة عام ١٩٥٢م .. المؤهلات العلمية..

● رئاسة قطاع المسرح .. المستشار الثقافى لمؤسسة الاهرام الصحفية بعض المناصب التى تولاها..

■ ونقطة التوهج: الغرباء ١٩٥٠م، ليالى ١٩٥٤م، بيت من لحم، لغة الاى الاى، النداهة، الحرام، رجال وثيران، العسكرى الاسود، البيضاء، الفرافير، المهزلة الارضية..

لقد كان ـ ولا يزال ـ يوسف إ دريس متوهجًا فى كل عمل إ بداعى.. وقراء ة قصة واحدة.. كـ نظرة أو مسحوق الهمس أو العملية الكبرى.. نقول قصة واحدة.. تقوم دليلا على هذا التوهج.

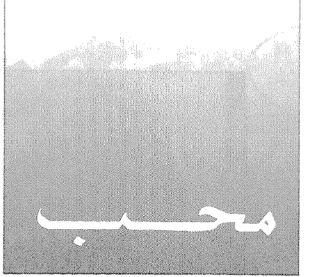
ولرائد القصة القصيرة فى العالم العربى ما يزيد على أربعة عشر كتابًا فى الانطباعات والرحلات.

ولعميد القصة القصيرة مئات المقالات فى الصحف والمجلات العربية والعالمية..

وعن الفيلسوف القصاص والمسرحى السياسى وابداعاته المتوهجة نوقش أكثر من ثمانين رسالة دكتوراه.. كما ترجمت إ بداعاته إ لى أكثر من عشرين لغة ولا نبالغ إ ذا قلنا إ ضافة الى ما سبق.. إ ن يوسف إ دريس السبب الحقيقى فى أن يبحث المسرح المصرى والعربى عن هوية.

ويكفينا تعليق أحد كبار الكتاب حين منح يوسف ادريس جائزة الدولة التقديرية (للجائزة أن تشرف بالدكتور يوسف إ دريس).





ابراهيم نافع الفقيه

أتاني هواها كعذب فرات
سأنهل منه شفا كل حين
وأسكت نزع فؤاد ذبيح
وأمسح جرح غرام دفين

●●●

تقولى نجوت ومن كل موت
وبعد جراحك لا تستكين
عهدتك مت زمانا وصرت
لتعسك تربا تذر وطين
صبرت فيا عجبى من محب
تقلب ما بين هجر وبين

●●●

أتذكر حين رميت فؤادك
وشكت أسهما من جديد
سقيتك سم الافاعى الصلال
ومزقت قلبك بهجر مبيد[1]
وأرسلت الموت يقضى عليك
ويقطع منك بأمرى الوريد
إذا أنت تخرج من كل هذا
بروح جديدة وقلب جديد!!
فخذنى اليك فتاة مطيعة
لتصنع من الحب ما قد تريد

(١) الصلال: جمع صل بالكسر، الحية التى لا تنفع معها الرقية.

هيكل الإنسان

أنا كانسان فى تلك الحياه..

لا أريد أن أحيا حياة هلامية.. ولا أريد أن أعيش كأى إنسان.. لا أود ان أكون إمعة.. أميبى الشكل فى أى اتجاه من الممكن أن أسير.

لا أحمل هيكلا أبنى عليه ثقافتى.. وعلمى.. ومعاملاتى.

إن الاميبا كائن حى بلا هيكل.. كائن يستطيع أن يتحور الى أى شكل وفى أى اتجاه يمحور نفسه ليدخل فى أى بحر أو أى بيت أو بيئة

مثله هذا الانسان الذى لا أرغبه.. ولا أود أن أحيا حياته فبالنسبة لى فهى حياة ضائعة.. يتحور فيها الانسان مع أى بيئة تبعا لظروف تلك البيئه.. بمعنى أنه لا يحمل صفاته الاساسيه.. ولا يحمل مبادئه التى يعيش عليها.

● الهيكل الذى أوده.. هو عباره عن مجموعة من المبادىء والاساسيات التى يعيش عليها الانسان ويبنى عليها قيمه وأفكاره وتعاملاته مع كل الناس.. أود أن أبنى لنفسى هيكلا قويا.. شامخا.. ليس فيه تزعزع.. ولا شك.

أنه من يرد ذلك.. فلا سبيل غير الاسلام.. ليصبح أقوى ما فى الوجود.

ذكريات

كل يوم فى هذه الحياة.. بل كل لحظة.. تأتى ونعيشها بكل ثوانيها.. ثم تحمل ما تحمل.. وتجىء اللحظه الاخرى وتدفنها تحتها.. وتغطيها بأحداث أخرى وذكريات أخرى.

ويسير اليوم وراء اليوم.. وتغطى الاحداث الاحداث.. والذكريات الذكريات.. وهكذا نعيش بين

ذكريات الماضى الخافته . . ووهج الحاضر . . والانوار البعيده أنوار المستقبل .

ولا أحد منا يستطيع أن يحدد تماما ما هية تلك الانوار . . فقد تكون نوراً وقد تكون نارا وقد تكون سرابا .

المهم أنه شيء خفى . . ولكننا نعيش على أمل هذا الشيء . . فمنا من يجده نوره الذى يحلم به . . واخر قد يجده نارا ومنا من لم يجده شيئا! ومنا من لا يفكر فى هذه الأمور على الاطلاق . . فماضيه مساو لحاضره . . ولا ينتظر الجديد من مستقبله .

وتغيرنا

ان الزمن لم يتغير . . ولكن نفوسنا هى التى تغيرت

قلتم . .

كنا زمان نحس بالعيد عندما يأتى بأنه فرحة غامرة . . تضيف على كل شيء بهجه .

أما اليوم . .

فكيف نشعر به عندما يأتى . . يأتى ويمر . . وكأنه يوم عادى . . بل يفكرنا بماسينا . . أيام كنا نعيشه كأجمل يوم فى الحياه .

إن الزمن لم يتغير . . وإن العيد لم يتبدل . . ولم يأت عيد اخر . عيد كئيب الوجه . . يلبس الثياب البيضاء وفى فمه ابتسامه زائفة . . لم يتغير العيد . . فالعيد كما هو بكل بهجته وفرحته . . وإن لم تصدق . . فاسأل طفلا صغيرا يمر بالشارع أو ارقب اخا لك صغيراً لم تتبدل نفسه بعد .

بكل أسف . . الذى تبدل وتغير هو أنفسنا . . وقلوبنا . . حملت قلوبنا اليوم ما لم تكن تحمله بالأمس . . وتحملت نفوسنا ما لم تكن تعرفه بالأمس . . وقاسى كل منا الهموم . . والمشاكل والأحزان . . وتغير كل منا . . وبدأنا ننظر الى الحياه . . من وراء نظارة سوداء

يا لها من حياة عندئذ!!!

عندما تتساقط الدموع من تحت تلك العدسه الزجاجية السوداء! .

محمود محمد بدوى

خواطر

فزع . . وانطلاق

بكاء، ظلام حالك ، أصوات سيارات غريبة على مسمعه ، نظر من ثقب صغير، نساء ـ أطفال الى عربة صغيرة . . ذهل، اشتد الظلام وحل الصمت .

طال الليل . . برودة شديدة، انكمش فى داخله . . هواجس تجول برأسه، لا ينفع إلا أن . . . خوف، حركة أم كلمة تجره إلى . .

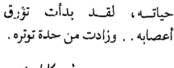
أطل الفجر الجديد، لم يكن كالأمس، شمس تشرق، نهار دافىء يعود إليه نشاطه تدريجيا . فتح الباب على مصراعيه، دخلت أشعة الشمس، ثمة حركات وحركات . . انطلق، عملى . . عملى، لم يكن فى باله إلا إنجاز عمله .

الزهـــرة

ضاعت زهرته ، أصبحت ذكرى، زهرة انتهت ولن تعود، وهو الآن لا يدرى أهى سقطت منه أم نسيها؟

لم يعد يتذكر شيئا، تحول ماضيه القريب بما يحوى الى صفحة بيضاء ملؤها الفراغ . . كيف وأين ومتى؟ أسئلة بلا معنى ولن يكون لها اجابة، وتلك الدمعة التى تنحدر على خده ما معناها؟ أهى ضعف أم كبرياء أم ندم؟ أم يراها مجرد عادة أن يبكى على ماضاع .

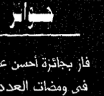
جلس واجما لا يدرى ماذا يفعل . . طوفان من المشاعر يغرق فيها . . تذكر اليوم الذى صادف فيه تلك الزهرة، اليوم الذى أراد فيه أن ينحيها، من أمامه، من حياته، لقد بدأت تؤرق أعصابه . . وزادت من حدة توتره .



فرج كامل منصور

● **تنشر لك ومضات بعض خواطرك.. (فزع وانطلاق.. الزهرة) ونأمل الاطلاع على عيون التراث العربى.. لاستلهامه فيما تكتب.**

المحرر



جوائز

فاز بجائزة أحسن عمل أدبى فى ومضات العدد السابق (سعيد بدر) عن قصته (الاب) وقد أرسلت الجائزة على عنوانه.

جلا الليل

محمـود درويشه

جلا الليل وأقبلت عروس الصباح في مواكب من نور فألقت على الكون وشاحها الأبيض وجرجرت على الوادى ذيولا من ضياء . . وذر قرن الشمس من وراء الأفق ، ونثرت على الربا ورساً مشعاً .

وعندما تلقفت ورود الحدائق ونور البساتين هدايا الأشعة ابتسمت أكمامها وافتر ثغرها شكراً لبارىء الشمس وفالق الإصباح .

ونشر الناس من رقادهم ، واستيقظوا من سباتهم وأقبلوا على معاشهم ، وقد انطلق الموظفون إلى وظائفهم يحلمون بذلك الراتب الوضيع آخر الشهر والـذي يحمـل فى ردنيه من حاجات الجسوم ما يكسو ويطعم وينيم ، ومن حاجـات النفـوس آمالا كبيرة وأحلاما جميلة . وبكر الفلاحون الى حقولهم والأمانى تراودهم وتدغدغ قلوبهم تلك الثمرات التى تنتظرهم يوم الحصاد والخيرات التى يدرها عليهم ذلك البيدر .

وغـدا الـطلاب إلى مدارسهم يحملون في حقائبهم كنوز الماضي وآمال المستقبل ، تتراءى لهم صور تلك الوريقات التى سوف يرفعونها على جدران منازلهم ، برهاناً لنجاح وإيذانا بانتهاء زمن الدراسة . . !

وبقيت النسـوة في دورهن يضطربن في الأعمال المنزلية ، ويبذلن جهوداً جهيدة ليضفين على الحياة صوراً من الرواء وألواناً من البهاء .

وهبت نسـائم من غرب الـوادي فتحركت لها باسقات الحور وهادلات الصفصـاف ، وأرسلت ألحانا من الحفيف اللطيف تلاقت مع أنغام الخرير والهدير المنبعثة من مياه الجداول واصطخاب أمواج النهر . . وشرعت طيور الخمائل وحمام الأدواح بمهرجانها الغنائى الذي تقيمه بعيد كل صباح وقبيل كل مساء فأضفت على الطبيعة رواء جميلا وعلى الوادي[1] حياة زاخرة بالنماء والنشاط . .

وراحت مواكب الحيوان تنـطلق من حظائرها آخذة سمتها نحو الجبال العـالية ، والهضاب الخصبة بالمراعي وهي تعبر عن شكرها لبارىء الطبيعة بالمعاء والثغاء والخوار والنهيق ، وسارت من خلفها بهمها وجداياها الصغار ، وهي تتراقص فرحـة ، وتسابق أمهاتها منتشية تحت أشعة الشروق ، ونسائم الاصباح ، يالفرحة الجدايا بأمهاتها ، وفرحة الصغار بالكبار .

(١) وادى بردى ضاحية من ضواحي دمشق .



■ معع تلك اللغـة الشـاعـرية الرقيقة وهذا الاستخدام اللغوى المتميز والقـدرة على التصـوير البارع.. نأمل فيك أديبًا واعدا.. وفى انتظار محاولاتك أخرى.

(المحـرر)

رحماك

عادل محمد احمد

رحماك من هذا الجوى رحماك
غرق المتيم فى بحور هواك
صب تقلبه الأكف على النوى
ويروح نشوانا إلى نجواك
ذاق الأمرين السهاد وليله
فلترحمى قلباً دواه رضاك
تخضر أشعارى إذا ناديتها
فى روضة ريحانها ذكراك
زهرية الأغصان إلا انها
لا تشتفى إلا بطيب شذاك
والروض نشوان الخميل متيم
بمحاسن جادت بها عيناك
رحماك من هذا الجوى رحماك
غرق المتيم فى بحور هواك

أنت التى ملكت زمام صبابتى
من ألهم الاحساس فى سواك
ومن التى عزفت بأوتار الهوى
فى مهجتى وطويتى إلاك
انسان عينى فى غرامك هائم
يصبو فيسطع فى الجفون سناك
أنا من علا بهيامه فوق الذرا
يحكى هواه لسائر الأفلاك
ويظل يروى قصة العشق الذى
أنسامه عبقت بطيب شذاك
يا مهجة القلب المعنى إننى
مازلت أرقى فى عنان سماك
أشدو بلحن من أغاريد الهوى
لولاك ما رمت الهوى لولاك
رحماك من هذا الجوى رحماك
غرق المتيم فى بحور هواك

ردود خاصة :

■ الاخ/ علوى شملان ـ الطائف

موضوع رحلة الحب فى مدار الكلمة.. بداية على الطريق.. غير أن كثرة الاخطاء النحوية والاملائية حالت دون نشره..

فى انتظار محاولة أخرى..

■ الاخ/ محمد لطفى جمعة ـ مصر

(نسمة امان) من الشعر العامى.. وومضات لا تعتمد الشعر العامى للنشر.

قيثارة الشكوى

خالد مصطفى مكاوى

اماه لا ادرى افي الدنيا انا
أم فى سراب العيش أقتطع السنين
أماه ضاق الصدر وارتحل المنى
وتشقق الامل الحزين مع الحنين
أبحرت يا امي وقلت لعلني
أنسى قليلا او اعود بلا طنين
لكن امواج الهموم تهزني
وسألت عمرى كيف تاه بي السفين
وصرخت قلت لعل صوتي يرتحل
أو يخترق سمع الاحبه والقرين
لكنه ازرى بظنى ثم عا
د صداه صوت خافت ومع الانين
قيثارة الشكوى تبدل صوتها
وتقطعت اوتارها ضاع الرنين
اماه ها انذا اعود لحضنك
طفلا يصوغ الاه بالحزن الدفين
اماه ضميني اليك فلن اجد
ابدا واقسم غير صدرك لي أمين

وأشرق الحب من جديد

محمود درويش

كانت تخطر جيئة وذهابا أمام نافذة حجرته بخطى رشيقة، فاذا ما فطنت الى أنه يرقبها، تضرج وجهها، كان يشعر لجمالها بسحر طاغ يجعله يتهيب التطلع إليها، وكأنه يراها للمرة الاولى، ويحس بأن ما بينهما من ألفة ومودة قد تحول إلى تردد وانبهار بفتنتها. كان قلبها شابا يترقب مولد الحب.

جلس ينظر إلى ذلك المحيا الذى كان كل شىء فيه رائعا فتانا. خدان أحمران بلون الورد.. شفتان كأنهما مفعمتان بخمر فى حمرة الكريز.. عينان دعجاوان تحكيان البندق.. غمازتان قابعتان على بستان خديها.

أخذ كل منهما يرمق الآخر استولى عليهما ذهول عقد لسانيهما أحسا بذلك الشىء الرائع المبهم الذى كان يسكب الغبطة فى أعماقهما.. يدفىء مشاعرهما دون أن يحرقهما. خفق قلبها.. وانبثقت فى نفسها غبطة ناعمة، فيها نفحة من الحياة، لا قبل لها بها من قبل، لا تعرف مأتاها، أو سببها.

تكلمت فكشفت عن أسنان كعقد اللؤلؤ. ضحكت وأغمضت عينيها نصف إغماضة، فرقصت الغمازتان على خديها كراقصين بارعين. كان جمالها غير العادى قوى التأثير، كل من ينظر إليه يلبث أن يفقد صوابه.

مالت بصدرها على إفريز النافذة.. قالت وهى تغرق عينيها الجميلتين فى عينيه: «ألا ترى أننى ملك لك، وأننى مقيمة على حبك؟!». خفق قلبه بعنف.. شعر بارتباك الصبى الصغير وخجله إذا ما داعبته فتاة كبيرة.

أطلت من عينيه تعبيرات فيها ألف جواب، وألف رسالة غرام حافلة بمشاعر العشق واللوعة.. اعتراها حياء جميل، وخفر لذيذ، وعلت خديها حمرة قانية. تلفتت حولها فى حذر غريزى لتطمئن الى أن احدا لم يرها.

انفلتت إلى الداخل فى خفة الطيف، وعبيرها النشوان يملأ رئتيه ويحمله على أجنحة الأحلام.

ظل فى مكانه برهة خالها امتدت دهرا، وهو يرتقب عودتها.. شعر بسعادة غامرة تحمله على جناحيها وتطير به فى الفضاء اللانهائى عندما تلاقت أعينهما مرة أخرى.

وفى استرخاء ودون ما جهد، تعانقت نظراتهما، وتجاوب قلباهما فى رعشات وخفقات، وغمر المكان موجة من السحر لم يكن لهما عهد بها من قبل.

وما إن وافى مساء اليوم التالى، ارتقب أن يطل عليه وجهها إطلالة عابرة، وقد برح به الشوق، وعصف به جمر الانتظار.

تراءى له طيفها وهى مقبلة.. كاد قلبه يقف من شدة وجيبه وخفقانه.. حياها فى لهفة خجلى وشوق حبيس.

أهكذا يصفو الزمن بعد طول عبوس، وتبتسم الأيام بعد طول تجهم؟!

مكث يوما ويومين وأسبوعا دون أن يلمحها أو يراها تطل من النافذة، كاد أن يجن.. أهو فصل تمثله عليه كى تؤجج من نار حبه لها؟!.. إن الزمن قد يستطيع أن يمحو ما على الأرض، ولكنه لا يقوى البتة على أن يمحو اثار الحب الأول من القلب!.

صحا من نومه فجأة على صوت زغاريد تملأ الحارة.. أسرع بفتح النافذة.. وقف مذهولا.. كانت بفستان الفرح.. تزفها القينات. ونسوة الحارة يزغردن.. تحسس جبهته وهو غير مصدق لنفسه.. أهو فى حلم أم فى يقظة؟!.. صفعته الحقيقة.. أحس بسهم مميت قد صوب إلى قلبه.. دارت به الأرض.. ترنح وأوشك أن يغمى عليه.. خفض رأسه.. أراد أن يخفى دمعة فرت من

عينيه. انسحب فى سكـون دون أن يحس به أحد.. ثم أجهش بالبكاء فى مرارة وحرقة.

ظل واجما طيلة النهار الذى أعقب تلك الليلة لا يغادر مكانه، وعينه لا تفارق النافذة التى شهدت مولد حبه، حتى إذا حل المساء، نفذ إلى أنفه شذى عطرها الفواح، يحمل إليه رحيقا أطفأ ظمأ روحه وبل أوام شوقه. وتلاقت نظراتهـا فى عتب صامت متبادل. راح يحدق فى عينيها كأنما يود أن يكشف ما فى أعماقها.. وأقبلت تحدق فى عينيه تستجلى ما فى القلب الذى ضم عليه جوانحه.. وسبحا فى خضم من العـواطف.. غمـرهـما الصمت هنيهة.. وقد هامت روحاهما وتوارى العالم عن أفقهما، فلم يعودا يسمعان سوى وجيب روحيهما المتشاكيتين.

رنا إليها فى عتاب وألم، ورنت إليه فى صمت وحـذر، أنبأته عيناها بأن لديهـا ما ستقـولـه له. إرتجف قلبه، وعاودته الرغبة الملحة فى أن يسرى عن نفسـه بالبكـاء، ولكنـه غالب دمعه ليقول فى حسرة: «لا.. لم يعد من حقى أن أسعد بهذا.. لم نعد نبحر على ظهر سفينة واحدة.. أنت إلى مرفأ أمين، وأنا إلى عرض البحر. لقد ألقيت بنفسك فى أحضان أول خاطب لاح فى أفق حياتـك. لعلك جئت تكفرين عن خطيئتك»!!.

ارتفع حاجباها دهشة، ثم انفلتت من أمامه إلى إحدى الغرف وهى تغالب نفسها من الضحك. عادت بعـد قليل والابتسـامة مازالت على شفتيهـا، داعبتـه قائلة: «مـالى أراك حزينـا.. ماذا بك؟! أظننت أننى أستمرىء العيش ولست بجوارى؟!» صاح مكذبا أذنيه: «ماذا تعنين؟!» ـ أعنـى أننى مازلت لك، قال وهـو يغـالب ارتبـاكـه: «يعنى..!!» ـ «نعم.. لست أنـا أيها الأبله.. إنها أختى التوأم».

وأشرق الحب من جديد.. جيدة من حيث الصياغة غير أن هناك بعض الامـور التى نريـد أن ننـوه اليهـا ومنها: استخدام أفعال المضارعة فى القصة يبعث نوعا من الحركة والديناميكية.

ينـبـغـى التخلص من بعض الاستخـدامـات اللغوية الاعتيادية الـتـى تنشبـه الـى حد كبيـر (الكليشيهـات) مثل.. أسنان كعقد اللؤلؤ.. ما كان أروعه.

تجـاوز فن القصـة القصيـرة اعتمادها على عنصر المفاجأة كما نراه فى قصص دوموباسان.

ومضـات تنشر لك هذا العمل القصصى متمنية أن تضع ما سبق فى الاعتبار فى محاولاتك القادمة بمشيئة الله.

(المحرر)



فصل في الغياب

وحاضـرة في دمي
تفرش القلب بالأمنيات
وبالشعر والأغنيات
وحاضرة في الغياب
تحاول رغم العذاب
اختصار المسافة
بين البلاد
وبين «الحساسين»
فيا روعة الشوق حين تغيبين
ويا روعة الشوق
حيـن تكونين
نخلة حزن عتيق
وعصفورة فى الربيع ـ البنفسج
أسـميك جرحي
وقلبي
جنونا جميلا
فينهمر العشق فينا
أسـميك حزنا
وفرحـا
وصخر انتفاضـة
وضحكـة طفـل
فيخضر فينـا
زمان التداني
لأنـك أنـت
الحضور برغم الغياب
وأنت العذاب
العـذاب

بهاء الدين رمضـان

كان عندي من الصبر أنواع وشكور

أنا.. والجد

دائرة الذكريات

بقلم: عبد العزيز الرفاعي

وهل ما تعلمته منها غير ما تعلمه الآخرون؟ أليس تجارب الأفراد مهما تميزت فى خصوصيتها، هى فى واقعها وفى حصيلتها تجارب الآخرين؟ حقا قد تختلف الأساليب ولكن المضامين تظل واحدة.. بدليل أن النتائج، أعنى نتائج التجارب البشرية لا تكاد تختلف.. وأن ما صاغه الحكماء والفلاسفة والأدباء والشعراء، والقصاصون، إنما يلتقى التقاء عجيبا ليصب فى مجرى واحد، يجتمع فيه حكماء الشرق والغرب، والشمال والجنوب.. ويجمعون على قرارات موحدة قد تختلف فى صياغتها ولكنها قطعاً لا تختلف فى مضامينها.

لا يعنى هذا الذى أقوله أن أقلل من شأن التجارب الذاتية.. التى تميز كل فرد فى المجموع الانسانى الواسع عن الآخر، تماماً كما تميزه سحنته، وبصماته عن الآخرين.. ولكن الأحكام النهائية لتلك التجارب الذاتية، هى نفسها التى توصل إليها الآخرون.

■ ومع أن البشرية، فى مسيرتها الطويلة، قد انتهت منذ أوائل تجاربها، إلى تلك القرارات، أو الحكم، أو الوصايا، فصاغتها شعراً، أو نثراً، أو فلسفة، أو فناً.. إلا أن الاجيال المتتالية لم تركن إلى هذه الحصيلة الجاهزة، أو الوجبة المهيأة، بل آثر كل جيل، أن يصنع تجاربه بنفسه، ليحتفظ بلذة المشوار، أوعناء المشوار.. ثم لينتهى بعد لأى، إلى ما انتهت إليه مسيرة الأجيال السالفة.

ألا ترى أنك تحاول أن تصوغ لابنك حكمة الحياة لتجنبه السير على أشواكها.. ولتقدم له طريقا معبدا سهلا.. فيأبى إلا أن يثبت شخصيته.. ويبدأ الدرب من أوله بكل أشواكه ومصاعبه.. حتى إذا بلغ الكهولة، حاول بدوره أن يجنب ابنه مشقة السير.. ولكن هيهات..!.

بين أيدينا أكوام مكدسة من كتب التراث.. حصيلة تجارب الأجداد.. كتب التاريخ التى اسماها بعض الحكماء (تجارب الأمم) فهل استفاد البشر من تاريخهم؟.

وكتب الوصايا والحكم، والأشعار والأخبار. إنهم حكماء علمتهم الحياة الكثير الكثير فسطروا تجاربهم مشفقين علينا.. وقد امتلأت رفوف المكتبات بهؤلاء الحكماء الصامتين.. الذين قلما طرقنا أبوابهم.. فإن فعلنا ذلك لسبب ما، فقلما نستفيد من تجاربهم.

لأضرب مثلا.. هذا المتنبى.. الشاعر الفحل الذى صاغ لنا الحياة كلها حكما فى أبيات جميلة، سارت مسار الشمس.. فهل استفادت الأجيال من حكم المتنبى؟ بل هل استفاد المتنبى ذاته من حكمه الرصينة؟

الجواب القطعى: كلا.. بدليل أن الأجيال بعد المتنبى ظلت تبحث عن الحكمة.. وتعمل على صياغتها ليكون بعد المتنبى ألف متنبى، وإن لم يكن له جهارته ولا سيرورة أقواله.

●● مع كل ذلك أنتم تسألون ماذا علمتنى الحياة.؟

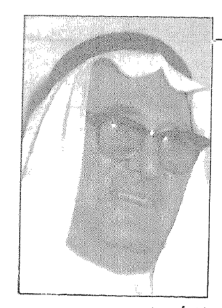
وقبل أن أحاول الاجابة على هذا السؤال الذى ينتهى العمر قبل أن أجيب عليه، حتى لو ظللت اكتب لكم فى كل يوم مقالة.. ذلك لأن تجارب الحياة لا تنتهى إلا بانتهاء العمر.. كل شمس جديدة تشرق فى الصباح لا تغرب إلا على حصيلة من التجارب.. قبل ذلك لا أدرى لماذا تتمثل فى خاطرى قصيدة رائعة للشاعر «مصطفى حمام».. بعنوان (علمتنى الحياة) نشرت فى إحدى صحفنا المحلية.. كانت تلخيصاً رائعاً لتجاربه فى الحياة.. وهى التجارب ذاتها التى ينتهى إليها كل مفكر متأمل.. وإنى اقترح على (المنهل) نشرها.؟

■ أريد أن أقول، إننى حينما أحاول أن ألخص تجاربى، فإنها لن تخرج عن تجارب الآخرين.. ومع ذلك فليكن لكم ما تشاءون.

■ يخيل إلى ـ أحيانا ـ أن الحياة دوائر متصلة الحلقات، يأخذ بعضها برقاب بعض، دوائر ذات ألوان.. منها الصافى المنير، ومنها الأسود الحالك المعتم، ومنها الأحمر والأزرق والأخضر.. إلى آخر الألوان القزحية وغير القزحية.. ومنها الصارخ ومنها الباهت.. وان هذه الدوائر تدور بنا، أو ندور نحن داخلها.. واننا كلما خرجنا من دائرة دخلنا فى أخرى.. لا

...كان لكل نوع فائدة ودرس تعلمته.

...ائـــزة..



نعلم من أمر الأولى شيئا، ولا نعلم من أمر التالية شيئا. . ولكن من المؤكد أن كل دائرة تحفر فى نفوسنا أثراً ما. . قد يثبت فلا ينسى. . أو لا يكاد. . وقد يبهت. . فتمحوه الأيام أو تكاد. . ودوائر الأيام لا تحتفظ بلون معين. . فقد يكثر فيها الأبيض وقد يكثر فيها الأسود. . وقد تتداول ألوانها بطريقة ما.

■ كنت فى طفولتى أعيش فى أسرة ميسورة الحال، ذات رياش وخدم وحشم وغلمان وجوار، فلم أكد أبدأ مرحلة الصبا. . حتى كان كل ذلك قد تبدد ذات صباح. . وإذا الأسرة كلها على حصيرة قديمة لا تجد قوت يومها.

ثم أدركت فيها بعد أن رب ضارة نافعة. . وأن الله قد جعل ذلك الحدث الجلل، سببا لخروج أسرتى من القرية الصغيرة التى كانت تسكنها التى لا مدرسة بها، بل ربما حتى ولا كتاب، إلى مكة المكرمة، لكى يذهب بى أبى إلى المدرسة. . إذن. . فقد اصطحب الفقر مع التعليم. . كان الأول نقمة فى ظاهره، ولكن نعمة فى باطنه. . نعمة أبدأ بها حياة الطلب وهى نعمة باذخة لا أدرى الآن كيف أشكرها. . ؟

حقاً لقد كان الأمر بالنسبة لأسرتى كارثة. . وكان بالنسبة لى بداية شظف وبؤس، ولكن حمدت الله ان اختار لى حياة الحرف. . ولو ظللت حيث أنا. . لكان أمرى غير ما صار!.

وبدأت حياتى فى المدرسة الابتدائية تلميذاً بليدا كسولا لا يدرى أين واجبه؟ ولا أين كتابه؟ كما لا يدرى أين حذاؤه؟ ولا أين إحرامه؟ لا يعبأ بشىء. . حتى كان يوم. . وكان ذلك فى السنة الثالثة الابتدائية، وكان الدرس فى مادة التجويد. . وكان المدرس هو (عبد الله خوجه) يرحمه الله، ويحسن اليه بجنات النعيم. . فلاحظ أننى كعادتى فى غفلة غامرة عن درسه أجلس فى آخر الفصل. . منشغلا بالثرثرة المتواصلة مع زميل من زملائى. . لا يقل عنى استهتاراً بالدرس. . وفى فمى مصنع للفصفص يدخل اللب، وينفض القشور بلفظها على الأرض. . فرأى المدرس الحازم أن ينقلنى إلى أول الفصل على مقعد أمامه مباشرة. . وهذا أوان الحزم. . فقد ظللت جامداً لا أملك حراكاً. . ولا أكاد أتنفس إلا بمقدار. فإنى أعرف أية عصا حامية مؤلمة عصا هذا المدرس. . فهو مراقب المدرسة. . لا تنزل عصاه من يده. . وقد تذوقتها مرات ومرات فلم احمدها قط. . وتعلق بصرى بالمدرس وبما يقول. . ومكره أخاك لا بطل. . حتى إذا فرغ من شرحه. . التفت إلى طلابه يسألهم. . واختار سؤالا معينا. . وقال: من يجيبنى على هذا السؤال له منى جائزة. . ؟! ولكن الصمت ساد. . ليس فى الحى أحد، وكنت قد التقطت هذا الجزء بالذات من المدرس. . حينها وجدت نفسى أصغى إليه. . تحت تأثير السلاح والرعب. .

فلما رأيت الصمت قد هيمن تاقت نفسى إلى الجائزة. . لم لا. . ؟ وأنا أعرف الجواب. . ورفعت إصبعى متردداً. . مرتعشاً. . ورأى المدرس إصبعى الصغير. يتراوح انخفاضا وارتفاعاً. . فالتفت إلىّ : أنت؟ قالها مستغرباً مستعجبا. . قلت فى صوت خفيض مرتعش: نعم أنا. . قال وكأنه لا يصدق أذنيه قل. . فقلت. . وكان ما قلته الصواب. . فتهلل وجه الاستاذ وشكرنى، وأثنى. . وكتب ورقة لمدير المدرسة: الشيخ (مصطفى يغمور) يرحمه الله: أن امنح فلانا دفتراً كبيرا واسمح له بالانصراف إلى بيته. . ونفذ المدير ما اقترح معاونه. . وكأنه لا يصدق. وكنت أنا الآخر. لا أكاد أصدق ما جرى. . فأخذت الدفتر. . ولم يكن أمره يعنينى فى كثير ولا قليل. . ولكن المهم هو الانصراف. . فلم أكد أصل باب المدرسة. . حتى أطلقت ساقى للريح. . وأحسب أننى كنت حافيا، تساعدنى قدماى على الجري. . حتى وصلت البيت. . فزففت الخبر إلى أمى. . ولكنها لم تصدق. . فلابد أن أكون قد هربت من المدرسة. . ولكن لم يكن من شأنى أن أهرب، ولا أن أتخلف عن مدرستى فقد كنت أحبها بكل بلاويها وأحب النظام، ولكننى لم أكن أحب الدروس

ولا الواجبات. . فقط لا غير.

وأقنعت والدتي بهذا البرهان الذي بين يدي، وهو الدفتر الجديد. . هدية المدرسة. . وجائزتها.

■ كانت هذه الجائزة مفتاحاً عجيبا لمستقبلي. . فقد تذوقت لأول مرة حلاوة الاجتهاد. . !

■ ومن الغد. . تغير الصبي. . وأصبح يحرص على المقاعد الأولى، ويستمع للدرس في إصغاء وتبتل. . ووضع حداً للثرثرة على الأقل داخل الفصل. . وتوقف مصنع الفصفص عن الانتاج. . إلا في (الفسحة). . وانضمت جوائز اخرى، وان كانت ورقية إلى تلك الجائزة. . فحصل الفتى على أوراق جميلة مذهبة كانوا يسمونها (شكر) و(ثناء جميل) أو شيئا من هذا القبيل. . وارتفع ترتيبي من الأخير (الطيش) الى الأوائل: البرنجي، أو الاكنجي وهذا مما كان يشيع استعماله من بقايا الألفاظ التركية وتحالفت مع الأولية في غالب الأحايين. . ولا أزعم في كلها. . ولكن:

وكم منجب في تلقي الدرو
س تلقى الحياة فلم ينجب

■ كما يقول شوقي في قصيدته الرائعة (المكتب). . وهي الأخرى تحمل حشداً من التجارب، جديراً بالدرس.

لقد تعلمت أن التشجيع، عنصر مهم جدا في التعليم بل هو عنصر مهم في الحياة بجميع جهاتها. . ومراحلها.

وانتهى عهد التحصيل. . وبدأت مرحلة الجد. . الصراع مع الحياة. . ومع المتاعب. . ومع التبعة.

نشأت وحيداً مفرداً. . ليس لي عم. . ولا خال. . ولا إخوان. . تحملت وحدي مسئولية أسرتي. . وتعلمت كيف أعتمد على نفسي. .

ولكن الحياة الاجتماعية تتطلب المساندة فلابد أن أصطنع صداقات وعلاقات. . فكيف السبيل إلى ذلك؟؟

لابد لي من أمرين: مال. . أصطنع به المعروف، وأؤلف به القلوب. . وأنى لي ذلك. ؟ فقد كنت ألهث وراء القرش لهاثا شديدا. . إذن لابد من الأمر الآخر. . وقد وجدته في الكلمة الطيبة. . وفي طرح جانب اللين والمسايرة. . لقد علموني في المدرسة أن لا اكون يابساً. . فأتعرض للكسر. . وما كانت بي حاجة إلى مزيد من الكسور. . وأن لا أكون لينا فأعصر. . فأخذت حذري في جانب اللين، حتى لا يصل إلى حد العصر. . تعلمت من الحياة أن أقول: نعم. . ما لم تضرني. . بل لقد تعلمت أن أقولها حتى لو تحملت شيئا من الضرر. . ولكن إلى حد ما. . فإن وصل الأمر إلى الافتئات. . أو التعدي أو الظلم أو مساس الكرامة فقد تعلمت أن أقول: لا. . وكلا. . وجميع أدوات النفي. . والحزم والجزم. . وتدربت على استعمال هذه الأدوات بداهة. . كلما رأيت أن المبادرة بها واجب لا هوادة فيه.

■ وتعلمت من الحياة. . أن الامانة مطلب أساسي. . لمن أراد أن يعيش حياة شريفة. . ثم تعلمت أن أعلى درجات الأمانة أن أحافظ على الأسرار. . فما أسر إلى شخص ما سواء أكان صديقاً أو غير صديق ـ بسر فحاولت أن أفشيه. . حتى لو استفدت من هذا الافشاء. . حتى لو كان هذا الافشاء يمثل انتصاراً على خصم. . لا يتورع هو في خصومته عن استعمال شتى أنواع الأسلحة.

وانتقلت هذه الخصلة من علاقاتي الشخصية إلى عملي. . الذي تعلمت كيف أحافظ أيضا على أسراره إن كانت له اسرار. . ؟

وقد لمس في بعض أصدقائي. . هذا الحرص على إغلاق فمي. . فأطلقوا على اسم (أبو الهول). . وقد أكسبتني الأمانة الثقة. .

وأكسبني الصمت والكتمان الثقة. .

وليس لي فضل في هذا ولا في تلك، ولا في غيرها إنما هي ضروب من نعم الله عليّ. . يسر لي الطريق إليها. . وجاء بها عن طريق الصهر. . والصبر. . والدربة. . وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها. . فلله الحمد اولا وآخرا.

وقد تطرقت إلى ذكر الصبر. . ويخيل إلى أنه ما من نعمة أنعمها الله علي أكبر من نعمة الصبر.

تدربت عليه من صغري. . لم أكن فيه من المجتهدين. . أعني لم يأت عن طريق الاجتهاد. . ولكن يسر الله لي دروبه على ما فيها من مشقة. . فصبرت على الفقر. . وصبرت على الجوع، وصبرت على المظهر الشعث. . وصبرت على قسوة القريب والبعيد، والبيت الضيق، والخلق الضيق، والصديق الشرس، والصاحب الطامع، والرفيق المتعب.

كان عندي من الصبر أنواع وشكول. . وكان لكل نوع فائدة ودرس تعلمته. . ولكن هذه الخصلة عندي أخذت تضمحل مع الأيام. . لأن الجلد برته السنون. . فرق. . فلم أعد أحتمل قسوة الحر، ولا عنف البرد، ولا مشقة الأسفار. . !

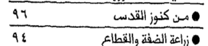
■ وبعد. . فماذا علمتني الحياة. . ؟ ما أكثر الدروس. . وما أعظمها وما أجلها. . ! تكفى منها هذه الصور وهي مجرد لمحات، وليس حصراً لتجارب حياة.

فلسطيننا

العدد ٤٨ صفر ١٤١٢هـ

بسم الله الرحمن الرحيم
﴿وأعدُّوا لهم ما استطعتُم من قُوَّة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم.. وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون﴾ (الانفال/٦٠).

محتويات العدد





فلسطيننا



فى كلمة سابقة تناولنا مسألة الثقافة كقيمة ثابتة تعد من المرتكزات الاساسية لبناء أى أمة على وجه الارض تحترم ذاتها ووجودها.. وعلى تفرد الذاتية الثقافية يقوم كيان الأمة.

والثقافة إ ما أن تقوم على مرتكز ثابت فى أساسياته ينشأ عليه ناشئتهم، ويلتزمه كبـارهم وشيـوخهم.. واما أن تقوم على مرتكز هش، متحرك، غير ثابت.. ثقافة قابلة للتعديل والتغيير الجزئى والكلي من حين لاخر، ومع هذا التغير والتبدل، تنقلب كل أعراق المجتمع رأسا على عقب.

وما الثقافات الوافدة التى تتبناها من حين لاخر الا مجرد تلال رملية متحركة لا تعرف الثبات.

الشعب الفلسطينى، شعب مسلم، والاسلام مرتكز ثابت فى كل شئون حياته.. ولا شىء ينصـر القضية الفلسطينية غير هذه العقيدة الثابتة تتعمق فى قلوبهم.. واى خروج عن هذا النهج هو خروج عن الجادة، واهدار متعمد للطاقة والوقت، وتمكين للعدو.

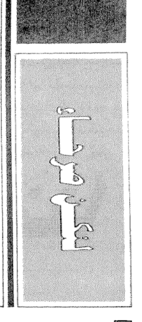
وإ ذا كان اليهود ـ وهم على ضلال على تمسك تام بيهوديتهم كعقيدة ودين ومنهج، فما بالنا نحن أصحاب الحق نتوارى عن الحق يمينا ويسارا تحت شعارات زائفة.

والجهاد، إ ضافة إ لى أنه قيمة ايمانية، وتقرب الى الله سبحانه، وأعلى نموذج فى الفداء، فانه يخيف الاعداء ويرهبهم، ويدخل فى قلوبهم الرعب اذا ما صدقت نية المجاهد..

إ ذن قضيتنا، قضية جهاد.. جهاد بكل مقوماته ومعانيه..

و... ﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ .

فلسطيننا



الأقصى

شعر: محمد الحلوى (المغرب)

لا لا ! فقد بلغت مآسينا المدى
وتعمقت فينا الخناجر والمدى!
بحت حناجرنا فلم يسمع لها
صوت ولا دوى لأهليها صدى
وجراحنا أعيا الأساة علاجها
وأبى نزيف دمائها أن ينفدا
عصفت بمركبنا أعاصير الهوى
وطحت به الأنواء حتى اجهدا
نامت عيون رجاله عما خبا
لهم الزمان من الخطوب وارصدا
لم يشعروا بالهول يزحف فاغرا
فمه ولا مدوا لتيار يدا
ربان يعرب نام ملء جفونه
ورمى على الشيطى مجداف النصدا
ما للعروبة! مالها قد ضيعت
مجداً على جثث الضحايا شيدا؟
ظلت تطارد من أباحوا أرضها
بالصف ملتحم القلوب وبالفدا
حتى اذا انتصبت على أقدامها
وغدا مواطنها طليقاً سيدا
عادت لفرقتها وفتنتها التي
نسيت بها ما كان يفعله العدا!
واستل كل أخ على اخوانه
سيفا على الاعداء كم قد جردا!
وجرت دماء العرب فيما بينها
هدراً وضاعت فى حماقتها سدى
وما كان أحرى بالعروبة أن تعي
أحداث ماضيها لتصطنع الغدا
وما كان أجدر أن تعود الى الصفا
وتسير صفا للنضال موحدا
وما كان أحرى أن تعيد بناء ما
هدم الخلاف المستمر وأفسدا!
يا أمة كانت كواكب يهتدى
بضيائها فى الخافقين من اهتدى

ومحط أنظار الشعوب وشوكة
فى حلق حاسدها، وحتف من اعتدى
كيف السبيل الى تصافى إخوة
لم يألفوا غير العداوة مورداً؟
وعلى مشارفهم عدو جاثم
كم داس قدس ترابهم واستعبدا
كيف استحال الكبرياء تواضعا
وبدا صباح بنى العروبة أسودا
وخلت رياض بعدما غنى على
افنانها الخضر الهزار وغردا
وكأنما عقمت نسائنا بعدما
ولى صلاح كأنه لن يولدا؟
أوهى الخلاف صفوفنا فتصدعت
وانحل عقد نظامنا لتبددا
كادت مشاعلنا التى لا تنطفى
ان تنطفى وحماسنا ان تخمدا
نبكى على القدس المضاع ونحن من
قد ضيعوا اقداسهم والمسجدا
وكأنما لم يعرف الاسلام فى
أبهائها حدثا ولم يك منتدى
ومباركاً من حوله قد عانقت
فيه الملائكة النبى محمدا؟
مازال يخترق الغيوب ويرتقى
حتى أراه المنتهى والمشهدا
واضيعة الاسلام إن لم يرتجع
من غاصبيه أجل شيء يفتدى
وشقاؤه أن يستطيب حماته
طعم الخلاف وأن يظلوا هجدا!
يترقبون صلاح دين آخر
ليحرر القدس الأسير المجهدا
فمتى أرى أبواب قدسى فتحت
والمسلمين على ثراه سجدا
ومآذن الاقصى تجلجل فوقها
الله اكبر لا يطاولها ندا
ومتى يجف الدمع فى اجفاننا
ونعانق الاقصى وينتصر الهدى؟



● وتظل الانتفاضة فى الأرض المحتلة أحد ارهاصات البركان النفسي الهادر.

قصيدة الانتفاضة .. إلى أين؟

بقلم: د. محمد صالح الشنطى (حائل)

قصيدة الانتفاضة استطاعت أن تؤسس معجما خاصا بها ونلاحظ تراجعا ملحوظا فى جماليات قصيدة الانتفاضة بعد الشهور الأربعة الأولى لها.

ليس هناك من شك فى أن الفتنة الشعواء التى أثارها غزو الكويت قد ألقت بظلال قاتمة على مستقبل المنطقة بأسرها وعلى الثقافة العربية والأدب العربي فكراً وإبداعاً ونقداً، وأحدثت صدعاً هائلا فى الوجدان العربى، فلم يلحق الدمار بالكويت وحدها بل بما تمثله الكويت فى الثقافة العربية المعاصرة ساحة وإمكانات وأقلاماً وصحافة، وكان ما أصاب الانتفاضة جسيماً من جراء ذلك، فبدلا من أن تواصل القصيدة العربية تجسيدها لحدث الانتفاضة شغلت بالمحنة الجديدة وما نجم عنها من زلزلة الوجدان العربى، فقد كانت الصدمة عنيفة وقاسية، وكانت قصيدة الانتفاضة قبل ذلك قد وصلت الى طريق يوشك أن يكون موصداً، فاعتقلت داخل شرنقة المناسبة، وكان قد آن الأوان لاستشراف آفاق تحولات جديدة برؤية ثاقبة وجماليات شعرية متقدمة!.

وبرزت عدة تساؤلات، كان أبرزها: لماذا سيطر على قصيدة الانتفاضة الانفعال المنبرى التقليدى ولم تنجح النماذج الحديثة منها فى تأسيس جمالياتها الخاصة.

كل هذه الاسئلة وغيرها تبدو ملحة فى هذه المرحلة.. ولعل ضرورة الاجابة عن هذه الاسئلة تدفعنا الى مراجعة حصيلة الانتفاضة إبداعياً..

فى الشهور الاولى من تفجر الانتفاضة لاحظ الدكتور احمد الخطيب الذى عنى بجمع ديوان الانتفاضة جمعاً استقصائياً ودراسته دراسة جادة أن الصحافة قد احتفت حفاوة بالغة بالمادة الشعرية الخاصة بالانتفاضة، وقد أفرزت هذه الحفاوة بعض السلبيات التي تمثلت فى نشر نماذج غير ناضجة فنياً. ثم ما لبث ان خفت حدة هذه الحفاوة، وخبت جذوتها، وانزوت

القصائد الجادة لتفسح المجال لنماذج من الشعر المنبرى المسطح.

وقد أدخلت الانتفاضة تحولات ملحوظة فى الشعر العربى الحديث تمثلت فى ظواهر فنية بارزة منها: العودة الى الغنائية العذبة بعد أن أوغلت فى شعاب الغموض وتدثرت بنسيج متشابك من الصور العنقودية والرموز المتكاثفة، فارتدت نقية الصوت عذبة الايقاع واللحن متدفقة عفوية.

كما لاحظنا أنها اغترفت من الحدث بخصوصيته المشهدية فراحت تلاحق المشاهد اليومية الغاصة بتفاصيلها الفاجعة والمشرقة فى آن واحد فنقلت لنا من خلال إدراك جمالى متقدم ومضات ساطعة فى سيناريوهات متعاقبة ومتناسلة تناسلا عضوياً أدق وقائع هذا الحدث المدهش.

ولاحظنا أيضاً أن قصيدة الانتفاضة استطاعت أن تؤسس معجمها الخاص الذى تمحور حول الحجارة والطفولة وافرزت من تفجر هذين المحورين قاموساً شعرياً لا يزال تنداح دوائره الدلالية فى أوسع نطاق.

كما لاحظنا تألق الروح الاسلامية الجهادية، ليس فقط لدى الشعراء الاسلاميين الملتزمين بل لدى عامة الشعراء.

ولكن ما لبث منطق المناسبة أن سيطر على الحدث، وفقد الشعر قدرته على التواصل مع هذا الحدث الفذ فتقطعت أنفاسه وتراجعت نماذجه، ولعل خير شاهد على ذلك ما نلحظه من خلو الصفحات الأدبية فى الصحف والمجلات وحتى الدوريات الثقافية المتخصصة من النماذج المتوهجة التى ألفناها فى العام الأول من الانتفاضة. هذا من ناحية، وأما من الناحية الأخرى فإن استعراضاً مسحياً سريعاً لما ألقى من قصائد فى المهرجانات الشعرية فى العامين الماضيين يكشف عن حقيقة بالغة الاهمية تتمثل فى خفوت صوت الانتفاضة فى هذه القصائد، وطغيان النماذج الهزيلة على ما عداها.

وإذا طفنا سريعاً بما يعقد من أمسيات شعرية هنا وهناك فى أرجاء العالم العربى لا نعثر إلا على قصائد منبرية بخطاب سياسى فج ورؤية قاصرة، وتشبث بأفكار مستهلكة وسياقات متهافتة هذا من جهة الكيف، أما من جهة الكم فحدث ولا حرج.

هذه الظواهر جميعها لابد أن تدفعنا الى البحث عن الأسباب.. بعض هذه الاسباب يكمن فى بنية التفكير الشعرى الذى لم يستطع أن يتجاوز حتى الآن منطق الانفعال بالمناسبة ليستشرف آفاق الحدث التاريخى ويبحر فى خضم معطياته إنسانياً وحضارياً وفكرياً، ولكن الصورة ليست قاتمة إلى حد اليأس، بل إن هناك نماذج رفيعة أفرزتها الوقائع المفجعة، وغذتها حرارة الانفعال، ولكنها ظلت فى الغالب أسيرة لمنطق المناسبة إلى حد ما.

● إنه الطوفان..

■ وقد اخترت بعض النماذج المنشورة فى الشهور الأخيرة من العام الماضى لعدد من الشعراء البارزين، وقد حرصت على أن يكون هؤلاء الشعراء ممثلين لاتجاهات متعددة وموزعين على أقطار عربية مختلفة لنتبين ما انتهت إليه قصيدة الانتفاضة.

وقد حرصت أن تكون القصيدة الأولى لشاعر يعتبر فى طليعة الشعراء المجددين الذين تبنوا الحركة الحديثة وحاربوا الاتجاه التقليدى من على منابر شعرية متعددة وهو أستاذ جامعى بارز.

■ أما القصيدة الثانية فهى قصيدة لشاعر قريب من بؤرة الغليان وعلى صلة حميمة بأحداثها الساخنة.

■ والقصيدة الثالثة لشاعر إسلامى متميز ملتزم له حضوره الساطع فى الساحة الشعرية.

■ فى قصيدة «الطفل والحجر» للدكتور «نذير العظمة» يتحول الخطاب الشعرى الى لون من ألوان النشيد، ويتحول النشيد إلى بيان تاريخى، تغلب رؤية التحديد والقطع، تتلبس القصيدة حماسة الشعر القديم،



● عرب فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ في سخنين

فيغلب عليها النهج التفسيري الذي يرقد في أحضان التقرير والصورة الجزئية التوضيحية ولهذا تقع القصيدة في قبضة القافية الموحدة، وتنحرف الى معجم الفروسية العنتري، ولهذا كثيراً ما يصور إيقاعها وهن موسيقى تستره نبرة جهيرة تجرف في تدفقها تلك النتوءات النغمية واللغوية والتشكيلية وتطوق اللغة نمطية عتيقة توشك أن تتردى بها في وهدة التسطيح والهتاف وتحشرها في أغلال المناسبة.

■ لقد تقمص الشاعر شخصية الطفل المقاتل بالحجر، وردد على لسانه أغنيات الظفر، ولم يفسح الشاعر المجال أمام نموذجه هذا لكي يغني بعفوية بل قسره على ترديد الافكار التي فرضها عليه فرضاً فجاءت حاملة لمنطقية جافية لا تتسق مع غضاضة الطفل الثائر، وكأننا أمام شاعر يغالب الشعر ويخوض معركته مع المفردة ليطوعها فإذا ما استقامت في يده نفر منه السياق فلوى عنقه ليحمل أفكاره ورؤيته، ولهذا، اختار بحراً طيعاً سهل النغم هو بحر المتقارب، وقد حمله حشداً من الأفكار المتعلقة بالحجر وما يعول عليه من تحقيق للحلم وبيان للهوية، فهو بديل للسيف لأنه يرفع الذلة والهوان، وهو صنو البندقية بعد أن عزت البندقية، وهو الذي سيحقق للقدس فرحتها، وهو الذي سيكتب التاريخ المستحيل.. وهكذا فبإمكاننا أن نمضي في تفسير القصيدة على هذا النحو، وننضو عنها ثوبها الشعري الرقيق ونعريها من أوزانها فتنكشف نثريتها للعيان وإذا أردت شاهداً على هذه النثرية الكئيبة فانظر الى تلك التداعيات اللغوية المصفدة بأغلال الشرط ـ النمط الأسلوبي المحكوم بالسببية المنطقية:

إذا غصت الأرض بالظلم والنار أسكن فيك فأنت المكان

إذا سفكوا واستحلوا دمي تسامقت في وجههم سنديان

إذا حبسوا الماء عني انفجرت بساتين دانٍ بينابيع فان

إذا حاق بي الموت أضحى بكفي يغني ويلعب كالخيزران

إذا سور الحتف أطفالنا وعلمنا الموت ألا نهان... الخ

■ وهكذا فإن هذه النثرية تمسك بتلابيب القصيدة التي تقود الى تداعيات لغوية مجانية أحياناً وتقليدية مستهلكة أحياناً أخرى.

أما القافية فقد أدت دوراً سلبياً في القصيدة، فكان الحشو الذي لا مبرر له والذي جعل المفردة اللغوية مقحمة إقحاماً من مثل قوله:

يخترق الريح يحمل هويتي والبيان

كلمة (البيان) هنا لا مبرر لوجودها سوى ضرورة القافية، حتى إن الشاعر ليضطر أحيانا إلى العزوف عن تكملة الجملة واستدعاء جملة أخرى تفي بتكاليف القافية كقول الشاعر:

فيا حجر في يدي لا تهن لانك، إني ملكت الزمان.

■ فقد اضطر الشاعر إلى حذف بقية الجملة الأولى. كذلك فإن القافية أوقعت الشاعر في وهن معنوي آخر كقوله «حتى نرى القدس في مهرجان». وانظر إليه وهو يقول «إذا حبسوا الماء عني انفجرت بساتين «بينابيع فان» فما بساتين دان هذه وينابيع فان سوى تعلة الحائر الذي يلتمس السبيل الى القافية فيعتسفها اعتسافاً، وهكذا فإن المنهج الذي سلكه الشاعر في بناء قصيدته اضطرنا الى تسجيل هذه الملاحظات الجزئية، لأنه انساق وراء نمطية القصيدة التقليدية، فكان بناؤه تراكمياً، بمعنى أنه لم يعمد الى التعبير عن تجربة ذات رؤيا خاصة متوهجة، بل عبر عن معان مستهلكة وانساق خلف قوالب جاهزة يصب فيها هذه المعاني فحشرها حشراً. انظر إليه في هذا البيت العجيب الغريب إذ يقول:

أنخصي الفحول ولكننا ننكر حيضهم بالختان.

■ إننا نفتقد تلك الخصوصية التي تجعل من القصيدة كائناً عضوياً متنامياً، وحتى تلك الغنائية الكثيفة الأخاذه تهرب من بين السطور لأن الشاعر عمد إلى تفصيل قصيدة على مقاس المناسبة فلم تتجاوز مضامينها تلك المعاني الجزئية المطروحة على قارعة الطريق.

كما يقول الجاحظ فى قصيدة: «أم عدنان». . ريحانة الذاكرة ليوسف طافش نلحظ مستويات متعددة من الخطاب يتراوح بين الغنائية والحوارية والملحمية فى سياق فاجع وغاضب ومتفائل وهذا النمط البنائى يعكس حالة فريدة أفرزتها تجربة الانتفاضى حيث تداخلت التجربة النفسية الحميمية بالواقع الجديد الذى اشتعل بشكل يبدو مفاجئاً للوهلة الأولى ولكنه عميق الجذور.

الشاعر يختار نموذجاً شائعاً فى زمن الانتفاضة «الأم التى تفقد وحيدها فتقف وجهاً لوجه أمام الموت يتنازعها شعوران داهمان: الاحساس بلوعة الفقد وهى تحاول أن تكسر حدته بالتماس البديل فتخاطب طفلا فى مثل سن ابنها، ويتحول ولدها الشهيد رمزاً للطفولة كلها، والشعور الثانى بالاعتزاز، فهو يسابق أترابه فى الوثوب الى الشمس، وهو يترجل نحو السماء لذا فهى تنتشى بصنيعه فتبلغ الذروة «أطلقت زغرودة للشهيد» ولكنها تعود فتنتكس حين تتأمل التجربة من جديد».

لمـاذا يموت؟
وأين يمـوت؟
وكيف يمـوت؟

■ إنها على شفا الانهيار إزاء هذا الموت الذى يبدو مجانياً. . إنها تستعرض المشهد الكلى فيتراءى لها حجم الموت أضخم من كل تجربة فردية خاصة. . فتهرب من اللحظة بعد أن تفثأ غضبها فى بضعة نعوت تزجيها لرموز الانهيار.

وبعض الميادين محكومة بالمرابين.
كل على قمة الانهيار
يبارك هذا السكوت

■ ترتد الى التفاصيل الصغيرة فتستدعيها من الذاكرة وتقصها على الشاهد البديل. . الطفل الذى التمست فيه عزاءها، ويتراوح خطابها



مدفعية الحجارة

بين النعوت المتلاحقة المتداعية التى تستحضر الغائب بلسان الشاهد:

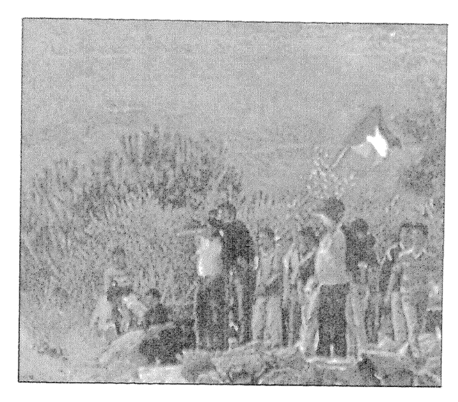
هذا الشقى الحنون الخجول
يضللنى

وتسرد تفاصيل الواقعة ثم تعلن أنها إنما تبكى مرحلة الانطفاء والقنوط تبكى (لأنها تأخرت عنه) و«تبكى دجاج العواصم».

ثم يصار إلى الالتفات الذى هو عدة الشاعر فى اختراق السياق الغنائى وإثرائه، وهنا يعلو صوت الخطاب الشعرى ويتماهى فى صوت الحدث التاريخى، ونسمع ضجيج سنابك الخيل ووقع الانفجارات وتأجج نيران الغضب حيث يقبل النهار. تنتصر الرؤية الاشراقية المتفائل، ويخرج الشعر من وشوشاته الخجلى وينطلق ساطعاً يلتحم بالهتاف.

■ ومن خلال هذا الاستعراض لمنهج الشاعر فى بناء قصيدته، نلاحظ أنه تخلى عن صوت الشاعر المباشر فيها، واستعار نموذجاً من قلب الحدث يتولى القص والحوار والانشاد، ثم استبدل الشاهد بالغائب فأمسك باللوحة فى دلالتها القاطعة على الاستمرارية، وجعل من الموت وقوداً للبقاء والتنامى، فأم عدنان، وإن كانت قد فقدت وليدها الوحيد فإنها مازالت تراه ماثلا فى هذا الطفل الذى يشبهه إنه باق فى الطفولة التى لا تنتهى ولا تندثر والتى ستشعل شمعة الروح من جديد.

ويستغل الكاتب أسلوب الالتفات فيصل بين اجزاء المشهد، وهو أسلوب له بعده النفسى يناسب التنقل بين مستويات نفسية وانفعالية وبنائية مختلفة فى القصيدة، والالتفات منهج قولى بلاغى يتم فيه الانتقال من صيغة الى صيغة كالانتقال من خطاب حاضر الى غائب أو من خطاب غائب الى حاضر أو من فعل ماض الى مستقبل أو من مستقبل الى ماض أو غير ذلك كما يقول ضياء الدين ابن الأثير فى شرحه



لمعنى الالتفات، وهو من خصوصيات اللغـة العـربية، ويدرجه العديد من البـلاغيين تحت باب شجـاعـة اللغة الـعـربية لأن فيه قوة يتصرف بها فى المخاطبات وتمكن الكاتب من أن يجول فى جوانب المعنى كيفما شاء.

■ والحقيقة أن وقوفى عند هذا النمط من الـصياغـة الأسـلوبـية فى هذه القصيدة لا أقصـد به جلاء وجه من وجـوه الاستعـمال اللغـوى، ولكننى اعتبرتـه خصيصة بنائية على مستوى التشكيل النصى الذى يعكس وضعية نفسية واجتماعية عامة، فهى تنبىء عن رؤيا يعتورها شيء من الاضطراب فى الـنظر الى الانتفاضة كمفصل تاريخى وحركة جماعية ولكن هذا الاضطراب لا يلبث أن يحسم لصـالـح الايمان بجدوى الاستمرار والتواصل.

وعـلى مستـوى لغـة النص فإن الالتفـات يأخـذ بعـداً آخـر أشمل، ويلاحظ أن هذا النص استـطاع أن يجمع بين وضوح النبرة الذى يفرضه صخب الوقائع وثراء التشكيل، ولكنه يظل دون السطوع والتميز والتفرد المطلوب.

والنموذج الثالث يتمثل فى قصيدة «وجـه ابتسـام.. وخـارطـة العـالم» للشـاعر عبد الرحمن العشماوى الذى يعتبر من أبرز شعراء السعودية والعالم الـعـربـى الـذين يمثلون الاتجـاه الاسلامى فى الشعر العربى المعاصر، وهـو ذو صوت عذب متـدفق تعرض لحمـلات انـتقـادية عنيفـة متهمـاً بالمباشرة والتقريرية آخرها كان فى مقالة نشرتهـا «المسلمـون» تحت عنـوان «محـاكمـة الشعر الاسلامى الحديث» للاستاذ محمد عبد الله منور. غير أن الشاعر ـ على الرغم من ذلك ـ يمتلك طاقـة غنـائية متميزة وانسيابية عذبـة جعلته شاعراً منبرياً من الطراز الأول.

■ وقصيدة (وجـه ابتسام) تتنوع فيها الاصوات ويتلون فيها الخطاب وتتعدد فيهـا الصـور التمثيلية، والمشـاهـد المتباينة متمحورة حول الطفلة البطلة (ابتسام) التى تحولت فى القصيدة إلى رمز لأطفال الحجارة.

■ وقد بدأها الشاعر بمشهد نموذجى يشكل الخلفية المعتادة للحياة فى ظل الانتفـاضة ويمهد للدخول إلى واقعة الاستشهـاد (محور القصيدة).

الليل يغلق باب قريتنا ـ ويطرد من وراء التل آثار النهار ـ الليل يرسم لوحة سوداء مظلمة الاطار ـ الليل هذا المارد الجبار.

■ ويختفى الشاعر وراء الراوى فيوجد مسافة معقولة تحول بينه وبين المباشرة وقـد حاول العشـماوى أن يكـرس جماليات المشهد المروى غير أن الزمام يكـاد يفلت منـه حين ينفجـر حماسه فيدوى عبر الـتقـرير المتشبث بأذيال الشرط، ولـكنـه ينجـح فى تشكيل نموذجه فى مشاهد يتقاطع فيها الملمح الخـاص بالتضـاريس العامة، ويقوم التكرار بدور فى اختراق حيادية اللوحة التى تكمن فيها طاقة الايحاء والتأثير:

«ماذا أرى؟! ـ وجه ابتسام ذلك الـوجـه المعفر بالثرى؟! ـ أهدابها.. تلك التى انطبقت فما عادت ترى؟! ـ شعـر ابتسام.. ـ ذلك الشعر المموج فوق خارطة الدماء ـ شعر ابتسام ـ أم غصون التين والزيتون.. الخ».

ولكن الشـاعـر لا يضبط نفسـه الشعرى فى حدود نموذجه الذى بنى عليه القصيدة بل يتجـه إلى مسـارب عديدة فيبرز الخـطاب السياسي الذى يتحـدث عن أولئـك الـذين تشبثـوا بالـسلم وعن المؤامـرات التى تحاول فيطل علينا الصوت الشعرى عارياً من غلالتـه الفنية، وربـما كان الحضـور المنبرى للشاعر وراء هذا الانعتاق من ربقة القيود الجمالية فى بعض أجزاء من القصيدة.

ومهما يكن من أمر فإن ثمة تراجعاً ملحـوظـاً فى جمالـيات قصـيدة الانتفاضة، إذ أن أفضل ما كتب كان فى الشهور الاربعة الاولى، ثم بدأت بعد ذلك تنحسر تلك الموجة الطاغية من الحـماس والانفعال وخيم جو من العـادية والـروتينية، غير أن ذلـك لا يعنى افتقـاد النـماذج الجيدة، ولكن ليس بالمستوى المأمول.

منير محمد سالم (مصر)
يكتب عن

الضيافة في الموروث الشعبي الفلسطيني

جانب من شوارع القدس القديمة

● مضافة القرية تمثل تفكيرا إنسانيا متطورا وراقيا.

● الكرم عادة متأصلة فى المجتمع العربى الفلسطينى.

تختلف القرية عن البادية بتلاصق البيوت، أو تقاربها، وبالاستقرار وبالاعتماد على الزراعة، وبالتالى فإن فكرة الاقتصاد هنا متطورة عنها فى مجتمع البداوة. فالكوارة مخزن للحبوب، والجرار مخزن الزيت والسمن، والدبس... والباكية مخزن للأعلاف، وما يزيد عن الحاجة يباع من فوره، فالسياسة الاقتصادية إذن هى سياسة الاكتفاء الذاتى، أما الذين لا يملكون أرضاً فيجمعون مؤونة عيالهم بعرقهم، وإذا استثنينا الاقطاعيين الكبار، مالكى أفضل الأراضى، فإن الفوارق الطبقية غير حادة، وبسبب هذا الوضع الاقتصادى المستقر، ولقلة الترحال، فإن الضيوف أقل، وغالباً ما ينحصر الضيوف فى الأقرباء والأصدقاء.

■ أما الوفود القادمة من القرى، والأماكن البعيدة لأمر ما، فإنها تقصد دار المختار، أو وجيه القرية وفى القرى الكبيرة عدة وجهاء يملكون سعة فى الرزق، ورحابة فى المكان، تمكنها من تخصيص غرفة كبيرة مستطيلة غالباً، أشبه بقاعة لتكون مضافة، وباب المضافة منتح عن بقية المنزل كى لا تكشف عورته أمام الفضوليين.

وأصحاب المضافات هؤلاء متفرغون تقريباً لاستقبال الضيوف، وحل المشاكل الطارئة فى قريتهم، أو القرى المجاورة، أما أعمالهم الزراعية، وما يتعلق بها فيقوم بها عمال بأجر معلوم والمضافة موردة - كما يقولون - وأصحاب الحاجة كثر، لذلك تبقى بواباتهم مفتوحة أغلب الوقت وإن لم يكن صاحب المضافة موجوداً، فإن أولاده، أو إخوته، أو زوجته، أو ابنه.. يرحبون بالقادمين ويقومون بواجب الضيافة فى أى وقت نهارا أو ليلا، ويؤمنون الماء والطعام والفراش ويوقدون النار فى الأيام الباردة.

وفى أحيان كثيرة تقضى الزوجة أو البنت حاجة الضيف إن كانت ممكنة، فـ(بنات الأصول) لا يتهيبن من مقابلة الرجال، ففى العرف الشعبى (بنت الرجال ما تستحى من الرجال) مع ملاحظة أن حرية المرأة فى هذا المجال تزداد كلما اتجهنا الى البداوة، وتتناقص كلما اقتربنا من المدينة، والمضافة فى فلسطين نوعان:

(أ) فردية (ب) جماعية

١ - المضافة الفردية:

الكرم عادة متأصلة فى المجتمع العربى الفلسطينى، وكثير من ذوى السعة يبنون مضافات رحبة، يستقبلون فيها العابرين، والزوار والذين يعانون من مشكلة تحتاج الى مساعدة فى حلها.

والابن الأكبر هو الذى يرث مضافة أبيه، ويستمر بعده فى متابعة المسيرة، ويتحمل أصحاب هذه المضافات النفقات المترتبة وحدهم، دون تكليف أحد من أقربائهم أو أبناء قريتهم، ويفتحون أبوابها للقاصى والدانى، فيرتاح المسافرون، والعابرون،

ويلتقى فيهـا أبناء القـرية، فتحـل الخصـومـات وتسوى الأمور، ويخطط للفلاحة، والحصاد، ولغيرها من أمور الحياة. ويسمـر الجـوار، والأقـرباء ويلعبون بعض الالعاب المسلية، ومن أهمها (المنقلة).

٢ ـ المضافة الجماعية:

وهى لا تختلف عن سابقتهـا من حيث مهمتها، وإنما فى أسلوب تمويلها الذى يتم بطريقتين:

أ ـ مضـافـة الحمولة: يكون فى القرية الكبيرة عدة حمائل (عائلات) لذلك يتفق أبنـاء الحمـولـة الواحدة ويبنون مضافة مشتركة لهم، يتعاونون فى كل ما يتعلق بها من نفقـات، وتـدعى المضافة أحياناً «ديوان» فيعينون رجلا يدعى «**ناطور الديوان**» بأجر سنوى يقسم على أفراد القبيلة، ويتكفل هذا النـاطـور بتنـظيف الـديوان، وعمـل القهـوة، وإحضـار الفراش من بيوت عائلته، وتنظيم أدوار إطعام الضيوف على أبناء الحمولة.

ب ـ مضـافة القرية: وهى أشبه بثاو تبنيه القرية بالتعاون فى مكان رحب، ويجمع مبلغ سنوى للانفاق يشترك فيه جميع أبنـاء القـرية، وغـالبـاً ما تكون إقامة المختار فى هذه المضافة، كما يعنى رجـل للاشراف الـدائم على المضافة وتسيير الأمور فيها بأجر سنوى.

■ إن مضـافـة القرية أشبه بمجلس مصغـر، هدفه مصلحة القرية كلها، فهى نتـاج تعـاون بين أفـراد القـرية بالتساوى، دون تمييز، الذين يختارون أنسبهم لمهمـة تمثيلهم فى العـلاقـات العـامـة مع القرى المجاورة كما يعتبر الضيف ضيف القـرية كلهـا. وهى بذلـك تمثـل تفكـيراً إنسانياً متطوراً، راقياً، ينـطلق من مصلحـة الجميع، ويحفظ كرامـة الجميع، ويتيح المجال للنقـاش الصريح، وتبـادل الـرأى، والسمر الجماعى.

أمـا مضـافة الحمولة، فهى نتاج نزعـة فردية، انفصـالية، لا تخلو من ضيق الأفـق، هدفـهـا مصلحـة (الحمـولـة) وحسب، وغالباً مصلحة رأس هذه الحمـولـة، الـذى يختلق أسباب الخلاف مع الحمائل الأخرى، ليحـافظ على امتيازات، أو طمعـاً فى امتيازات ربما تتاح له نتيجة التفرقة.

وعـلى أية حال فإن المضـافـات جميعها، بما فيها مضافة الحمولة، تمثل مقر اجتماعات شبه دائمة، تسهم فى حل المشاكل، وضبط العلاقات العامة بين النـاس، وتـرسيخ القيم الطيبة، والحد من نشاط المفتنين، بل والضرب على أيديهم إن لزم.

الضـيافة

أشرنـا فى الحلقـة السـابقة(*) الى العلاقات والعادات والتقاليد المشتركة فى المجتمـع الفلسـطينى العـربى بقطاعاته كلها، من ساكن بيت الشعر الى ساكن بيت الحجر. وإلى ارتباطه الـوثيق بمحيطه العـربى العام، فأية فروق هى نتـاج فروق الاقـتـصـاد والبيئـة، ولهـذا فالضيافة فى فلسطين ضيافة عربية أصيلة.

■ تقـول عبارة شعبية: «**الضيف إذا أقبل أمير، وإذا حل أسير، وإذا رحل شاعر**».

تلخص هذه العـبـارة مراحـل الضيافة، وما يحدث فيها، ففى البدء يجب الـترحيب بالضيف سواء أكـان معـروفاً أو غير معروف، ترحيباً لائقاً وكـأنـه أمير، وحين يحل الضيف عند المعزب، عليه ألا يتـدخل فى شؤون مضيفه، وألا يرفض له اقتراحاً، أو يرد ضيافته، وأن يسلك مدة إقامته سلوك الأسير، أما بعد أن يغادر فهو حر فى مسلكه، مثل الشاعر، والشاعر كان فى ريفنـا حتى فترة قريبة أشبه بصحيفة حرة المنبر، لا يخضع إلا لرقابة الضمير.

والضيافة فى المفهوم الشعبى ليست حبـاً فى التبـاهى، كما يصفهـا بعض الباحثين غير الموضوعيين، وإنما تحمل فى مضمونها معاهدة دفاع مشترك، تمر بمـراحـل محددة، لكـل مرحلة منها حقوق وواجبات على المعزب والضيف معاً، وعلى من له علاقة بهما، يلتزم بها ذاتياً مما يحقق حالة من الأمن والسلام للفـرد، والجـماعة، تحلم فى الوصول اليهـا كثـير من المجتمعات التى تعد راقية فى أيامنا هذه. ومن هذه المراحل:

دخـــول الحمـــى

للبيت حرمـة تبلغ القـداسة، لا يجوز انتهـاكهـا أو المسـاس بها فى أية حال، ومهما كانت المسوغات ووصول أى رجـل الى بيت المعزب يضمن له الأمن والسـلامـة، حتى وإن قادتـه رجلاه خطأً الى بيت غريمه.!

وحمـى الـبيت لا يقـتصر على مسـاحتـه، وإنـما يمتـد خاصـة عند البدو، الى دائرة واسعة، وانتهاك هذا الحمى يعتبر كبيرة قد تؤدى الى سفك الدم، وقد تجر إلى معارك طاحنة أو حروب.

القهـــوة

يسكب المعزب للضيف بعد نزوله مباشرة فنجانين من القهوة، وبعد برهة لا تزيد عن ربـع السـاعة يسكب له الفنجـان الثالث، وأحياناً تسكب له الثلاثة بالتتالى فى بعض المناطق.

يدعى الأول (فنجـال الضيف) ويقصـد به الترحيب، ويدعى الثانى (فنجـال الكيف) والهـدف منه تجديد نشاط الضيف، بعد رحلة ربما تكون شاقة، والتخفيف من معاناته النفسية إن كانت وراءه أمور تثقل كاهله.

أما الثالث فيدعى (فنجال السيف) ويعنى أن الضيف قد دخل فى معاهدة دفاع مشترك مع المعزب فى حال حدوث خطر طارىء، وشرب هذا الفنجال يشبه التوقيع على المعاهدة، ولهذا تركت برهة للتروى بينه وبين سابقيه، وللضيف حق الامتناع عن شربه، ولكن الامتناع هذا لا يعفيه من واجباته التى تحددها الأعراف.

● الجمل راحلة السفر والترحال، وصديق الطريق عند البدو الرحا

الخبز والملح

يقدر المعزب دائماً أن ضيفه جائع، نظراً للمسافات التى كانوا يقطعونها، وللجوع علامات يلحظها المعزب فيسارع الى تقديم ما تيسر من الطعام دون استشارة الضيف لأن (المعزب إذا شار فان) كما يقول المثل. فالخجل أو المكابرة أو الحزن قد يمنع بعض الضيوف من طلب الطعام، مع أن للضيف المستعجل حق طلب الطعام والتزود بزوادة للرحلة وبالاضافة الى هذا فإن تقديم الطعام دون مشاورة، يهدف الى حماية الضيف من السؤال، لأن فى السؤال مذلة والعربى يحرص على ألا تمس كرامة ضيفه، و(كرامة الضيف من كرامة المعزب).

وخيانة الملح من الكبائر التى لا تغتفر، ولها فى القضاء الشعبى عقوبات صارمة، بالاضافة لما يتعرض له مرتكبها من تشهير، ونبذ من المجالس، وطرد من الدواوين، وعدم دعوة الى الولائم، وهذه كلها من أشد العقوبات النفسية التى لا يقدر على احتمالها رجل فى ريفنا إلا من تبلدت أحاسيسه.

وعادة لا يسأل الضيف عن اسمه، ولا عن مكان قدومه، ولا عن الجهة التى يقصدها، منعاً لأى شك يساوره من وراء هذا السؤال بسوء نية المعزب،



● البيدر الفلسطينى للرسام بالمر (١٨٧٥م)

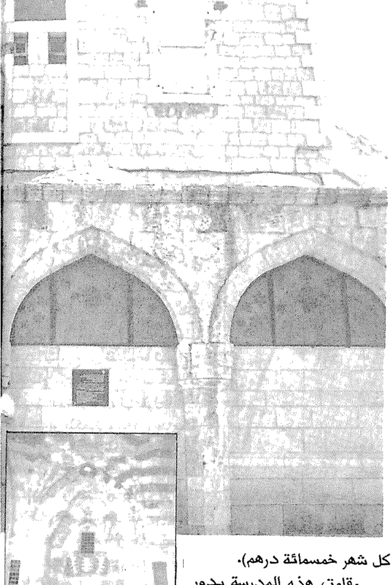
ولكن على المعزب ألا يبخل بالارشاد والنصيحة إن طلبها الضيف.

وواضح أن قوانين الضيافة نشأت فى ظروف تختلف كلياً عن ظروفنا الحالية، وكان الهدف منها نشر الأمن والسلام، وحماية الضعاف، والعابرين ممن لا حماية لهم، وحماية الممتلكات، ومحاصرة الجريمة الجنائية بمختلف أشكالها.

هامش

(*) نشرت فى (فلسطيننا) المنهل عدد المحرم ١٤١٢هـ.

● ملتقى العقود مع السقف



المدرســة الأشــرفية

تنسب هذه المـدرسة الى السلطان الاشرف قايتباي.

وكـانت تسمى المـدرسـة السلطانية، أو المدرسة الاشرفية السلطانية.

كان الاميـر حسن بن ططر الـظاهـري، ناظـر الحـرمين الشريفين، قد عمر مدرسة للملك الظاهر خشقوم، على ظهر الرواق المجاور لمنارة باب السلسلة، من جهـة الشمـال. وتـوفي الظاهر خشقوم قبل إتمام عمارتها. ثم سأل الاميـر حسن الـظاهـري السلطان قايتباي أن يقبلها منه، وكـان قد عمـرها من ماله، وان تنسب إليه، فقبلها، وكتب اسمه على بابها. وكان ذلك في سنة ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م. وفـي السنـة التـاليـة، اهتم برديك التـاجي، ناظر الحرمين، بإكمال عمـارتهـا، وعمـل لها الابواب، وفـرشها بالبسط، وعقدت فيها حلقات الدروس.

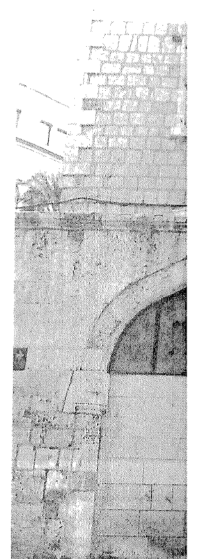
وفـي سنـة ٨٧٧هـ/ ١٤٧٢م. رتب الاشرف قايتباي لها (صوفية، وفقهاء، وعين لها أوقافـًا بمدينة غزة. وجعل عدة الصـوفية ستين نفرا، لكل نفر في كل شهر خمسة عشر درهمـًا شاميـة، وجعل للطلبة لكل نفر في كل شهـر خمسـة وأربعين درهمـًا، وجعـل لهـا أربـاب وظـائف من الفـراش والبواب، ونحو ذلك. وجعل للشيخ في كل شهر خمسمائة درهم).

وقامت هذه المدرسة بدور كبيـر في الحـركة الفكرية في القـدس. وتـولى مشيختهـا والـتـدريس فيهـا عدد من العلماء الاجلاء.

ذكر مجير الدين الحنبلي أن الاشـرف قايتباي قدم إلى القـدس في سنـة ٨٨٠هـ/ ١٧٤٥م، ونـزل بمدرسته ولم تعجبـه، فأمـر بهـدمها وبناء مدرستـه مكـانهـا. وفى سنـة ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م شرع المهنـدسون في العمل وبني المجمع السفلي الملاصق لرواق المسجـد من جهة الشرق. وفى الـسنــة التــاليــة اجتهــد



● المدخل ● محراب المدرسة



المهندسون، والصناع، والحجارون، لعمارة المدرسة، وانتهى بناء المدرسة وتكاملت عمارتها في سنة ٨٨٧هـ، كما يبدو جلياً في نقش كتب على أحد جدرانها . . وهناك نقش اخر على الجدار ذاته، يبين أن قايتباي كان قد أمر بإنشاء المدرسة في سنة ٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م.

وعدت هذه المدرسة جوهرة ثالثة في بيت المقدس، الى جانب الصخرة، والاقصى.

وصفها مجير الدين الحنبلي، وعبد الغني النابلسى، وغيرهما.. وكانت لها خزانة كتب.

وفى سنة ٩٠٣هـ/ ١٤٩٦م، تعرضت هذه المدرسة لزلزال فهدم القسم الاكبر منها. ثم أعيد بناء المدرسة، وعادت الى سابق عهدها.

قامت دائرة الاوقاف في القدس بترميم الطابق السفلى منها، ونقلت إليه مكتبة المسجد الاقصى.. وتتكون هذه المدرسة من طابقين علوي وسفلي، ويتم الوصول إليهما بوساطة مدخل جميل الشكل والتكوين، ويمتاز بزخارفه الهندسية وكتاباته الاثرية وغناه بالعناصر المعمارية.

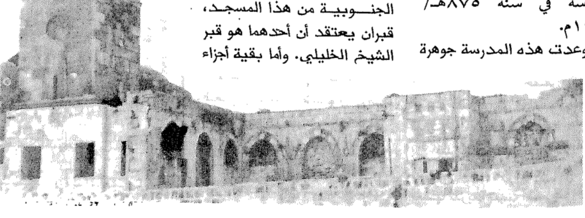
ويؤدى المدخل إلى دركاه، حيث الطابق الاول، ويوجد في جنوبها سلم حجري، يدور إلى جهة اليسار، ويؤدي الى الطابق العلوى. ويوجد في شمالها مسجد كان يستعمل مسجدا للحنابلة. وله محراب، وهو عبارة عن حنية مجوفة في الجدار الجنوبي.

ويقوم حاليا، في الجهة الجنوبية من هذا المسجد، قبران يعتقد أن أحدهما هو قبر الشيخ الخليلي. وأما بقية أجزاء المسجد فتشغله مكتبة المسجد الاقصى المبارك بأقسامها المختلفة.

وأما الطابق العلوي، فيشغل القسم الجنوبي الشرقي منه مدرسة شرعية للبنات. وهو عبارة عن مجموعة غرف.

وأما الجزء الاوسط من هذا الطابق، فقد كان يوجد فيه الصحن المكشوف، والاواوين الاربعة، ولم يبق منها شيء باستثناء بعض المداخل، والواجهات المتهدمة وبعض الكتابات الاثرية والعناصر الفنية.

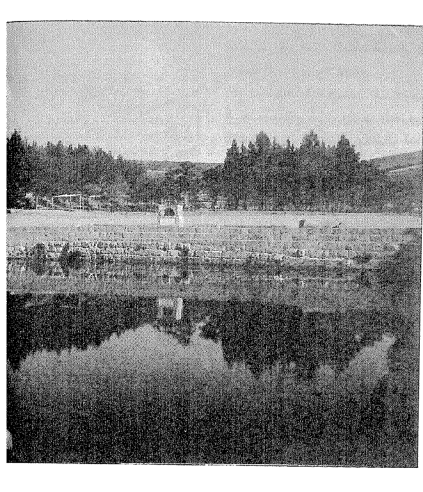
وأما بقية هذا الطابق وهو القسم الشمالي منه، فتشغله دار للسكن.



زراعة الضفة والقطاع تحت نير الإحتلال

بقلم: عبد القادر ياسين (فلسطين)

ضعف النمو الاقتصادى وتشويه البنية الاقتصادية يمثلان محنة اقتصاد الضفة تحت الاحتلال.



منذ عشرات العقود من السنين، والزراعة تحتل الموقع الرئيسى فى اقتصاد الضفة والقطاع، لذا كان طبيعياً أن تكون هدف الضربة الرئيسية للسياسة الاقتصادية للاحتلال الاسرائيلية.

وفى ما بين سنتى ١٩٥٨ و١٩٦٧ شهد قطاع غزة نموا زراعيا ملحوظا، تمثل فى التوسع الكبير فى بيارات البرتقال أساساً، وهى التى وظفت فيها النسبة الأكبر من مدخرات العاملين فى دول الخليج من أبناء القطاع وقد أغرى هؤلاء العاملون على استثمار أموالهم فى هذا المجال، أكثر من غيره، بما لا يقاس بالأسعار المجزية المدفوعة فى الاسواق الاوروبية - الشرقية منها والغربية - وهى الأسواق المؤهلة لابتلاع أضعاف ما ينتجه القطاع من حمضيات.

فيما ظلت الزراعة فى الضفة الغربية تعتمد على أشجار الفاكهة والزيتون والخضروات، وعموما، فقد زاوجت الزراعة فى الضفة والقطاع حتى الاحتلال الاسرائيلى، بين البدائية والتقدم التكنولوجي.

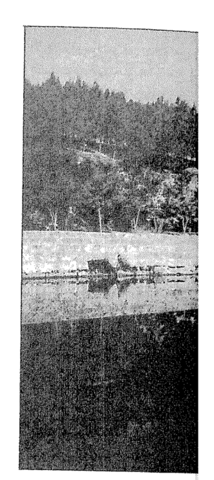
وقد تضررت الزراعة فى هاتين المنطقتين المحتلتين، أكثر من غيرها من قطاعات الانتاج، فمن سياسة الدمج الاقتصادى إلى التشريعات الجائرة والاجراءات التعسفية طوال نحو واحد وعشرين عاما متصلة من الاحتلال.

■ **وتمثلت هذه الاضرار أساساً فيما يلى**(١):

١ - تناقص المساحات المزروعة:

بسبب تطبيق البرنامج التوسعى الاستيطانى الاسرائيلى فى الضفة والقطاع، حيث خصص لكل مستوطنة أراض زراعية، وأخرى للمشاريع الاقتصادية المحتملة.

فقد بدأت سلطات الاحتلال فى ابتلاع المزيد من أراضى الضفة، بعضها بذريعة تغيب أصحابها (٤٣٠



الف دونم)، والبعض الآخر بدعوى أنه أراضى دولة (٨٠٠ الف دونم) وما أفلت من هاتين الذريعتين، بادر الاحتلال الى الاستحواذ عليه، لاستخدامه فى الاغراض العامة (١٥٠ الف دونم). وهناك أراض منع الاحتلال أصحابها العرب الفلسطينيين من الوصول اليها لاعتبارات أمنية (مليون دونم) وثمة نمط مشابه منع الاحتلال أصحابه من استغلاله، أو زراعته، بحجة استخدامه لأغراض حربية (الف دونم) وأخيرا، هناك ما شمله «الجنان» الاسرائيلى فظللته حماية الطبيعة (٣٥٠ الف دونم)(٢).

■ وبلغت مساحة اجمالى الاراضى التى صادرتها سلطات الاحتلال لحساب المستوطنات التى أقامتها فى الضفة والقطاع حتى نهاية أيار مايو ١٩٨٧ نحو ٢٫٧٣٩٫٥٥١ دونما، تمثل ٥٢٪ من اجمالى مساحة الضفة الغربية، وزهاء ثلث أراضى قطاع غزة(٣) ومن ثم تقلصت الأراضى الزراعية فى الضفة من ٢٫٦١٢ مليون دونم إلى ٢٫٠٢٠ مليون دونم، بعد سبع سنوات من قدوم الاحتلال، أى بنقص نسبته ٢٣٪(٤). وهبطت عام ١٩٨٤، الى ١٫٥٨٥ ألف دونم. أى الى أقل من النصف فى أقل من عشرين عاما من الاحتلال، فى ما بقيت مساحة الأرض المروية خلال المدة نفسها على حالها تقريبا (١٠٠ الف دونم، سنة ١٩٦٦، أصبحت ١٠١ الف دونم، ١٩٨٤(٥)، فى ما احتلت سلطات الاحتلال ما مساحته ١٢٠ الف دونم فى قطاع غزة.

■ وبسبب من ضرب تجارة الحمضيات، تحت الاحتلال، وتدنى حجم عمال الزراعة فى قطاع غزة من ١٦٫٨٠٠ سنة ١٩٧٠م الى ٧٫٨٠٠ عامل، سنة ١٩٨٤م، يعملون فى الزراعة، مقابل ٧٫٩٠٠ يعملون من القطاع فى الزراعة الاسرائيلية، فقد تقلصت مساحة الاراضى المزروعة فى قطاع غزة من ١٧١٫٢٥٥ دونماً، سنة ١٩٦٦، الى ١٦٥٫٠٠٠ دونماً، سنة ١٩٨٤م وفى مجال الحمضيات، فإن المساحة تقلصت، عن المدة نفسها، من ٦٨٫٠٠٠ دونم الى ٦٦٫٧٠٠ دونم(٦).

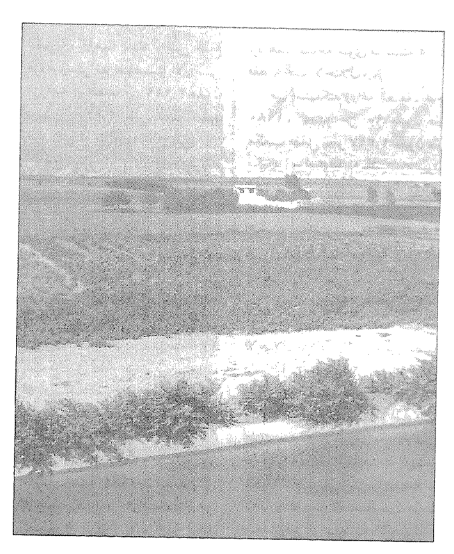
٢ - استنزاف المياه: ففى العام ١٩٨٤م، وضع ما بين ٣٠-٦٠ مليون متر مكعب من مياه قطاع غزة وتحت تصرف ٢٫١١٠ مستوطن يهودى مقابل ١٠٠ مليون متر مكعب، وضعت تحت تصرف ٥٠٠ ألف عربى فلسطينى، أى ما يربو على ٢٨ الف متر مكعب لكل مستوطن يهودى مقابل ٥٠٠ متر، فقط، لكل مواطن عربى فلسطينى هناك، علماً بأن ٩٠٠٫٠٠٠ دونم (٤٥٪ من المساحة الكلية المزروعة فى القطاع تغنى عن الزراعة المروية، ولم تزد هذه المساحة سوى ما نسبته ٥٪، فقط، تحت الاحتلال(٧)،

فيما استهلكته زراعة الضفة، عام ١٩٨٠، نحوا من ٩٠ مليون متر مكعب مقابل نحو ١٫٣٢٧ مليون متر مكعب، استهلكه المستوطنون الصهاينة فى زراعتهم بالضفة. أى أن المستوطن الصهيونى استهلك فى ذلك العام ٣٧٥ متراً مكعباً من الماء، للشرب فقط، بينما استهلك مواطن الضفة ١٤٣ متراً مكعباً من الماء للشرب والصناعة معا(٨).

ويقدر ما تستنزفه سلطات الاحتلال من المياه المشتركة بين الضفة وإسرائيل بنحو ٩٥٫٥٪ ويترك الباقى (٤٫٥٪) للمزارعين العرب الفلسطينيين فى الضفة. أما المياه التى أفلتت من نار الاشتراك مع الأراضى الاسرائيلية، فإن المستوطنات اليهودية بالضفة سطت على زهاء ثلثها، تاركة الثلثين للعرب الفلسطينيين هناك ومعروف أن سلطات الاحتلال عمدت الى تقييد استهلاك العرب الفلسطينيين للمياه، فحظرت عليهم حفر الآبار الارتوازية، كما وضعت عدادات على ما هو محفور من آبار لضبط المستهلك من المياه. الأمر الذى حد من اتساع الاراضى الزراعية المروية(٩).

كما نسفت سلطات الاحتلال ١٫٤٠٠ مضخة تعود للبيارات والمزارع على الحافة الغربية لنهر الأردن، وأغلقت مساحات واسعة من الأراضى الزراعية الخصبة، وأجبرت بعض الفلاحين على مبادلة أراضيهم بأراض أخرى، سبق للحارس الصهيونى على أملاك الغائبين أن وضع يده عليها.

أما فى قطاع غزة، فحرمت هذه السلطات المزارعين من الاستفادة من وجود طبقة تحت طبقة الرمل، فى زراعة العنب، وردمت ٦٧ بئرا



إرتـوازياً، وحـظرت غرس أي شجرة مثمرة، إلا بترخيص مسبق(١٠).

٣ ـ الحد من زراعة الاشجار المثمرة: ذلك أن سلطات الاحتلال حدت من زراعـة الاشجـار المثمـرة حماية منهـا للمحـاصيل الاسرائيلية، كما حظرت تسويق المحاصيل الزراعية من الضفة الى إسرائـيل، حتى أنها منعتهـا من التصـدير الى الأسواق الخارجية، إلا عبر احـتـكـار تصـدير الـفـواكـه الاسرائـيلية، المعـروف باسـم «أجريسكو» الذى يفرض شروطاً مذلة، وأسعاراً بخسة على محاصيل مزارعى الضفة والقطاع وتعترض سلطات الاحتلال، بشتى السبل، سبيل تطوير الزراعة، فتحجب عنها القروض المالية، والماكينات الحديثة، وأدى هذا التكبيل إلى إبقاء علاقات الانتاج ما قبل الرأسمالية على حالها فى كل من ريف الضفة والقطاع(١١).

وكما هو معروف، فإن الأشجار المثمرة هى النمط المحصولى الرئيسى (فى الضفة) فواكه وزيتون، وفى القطاع حمضيات).

وتبلغ المساحة المروية فى الضفة نحو ٧٠ الف دونم (٣٪ من مجموع الأرض الزراعية هناك)، مقابل ١٣٧ الف دونم فى القطاع (٥٠٪ من الأرض الزراعية)، تشغل الحمضيات ٩٢ الف دونم فيها، وللمحاصيل الزراعية، والخضروات ٣٥ الف دونم، وللفواكه والزيتون ١٠ الاف دونم، وكان قطاع غزة يصدر زهاء ثلاثة ملايين صندوق من الفاكهة، فى ما أسهمت الضفة الغربية بأكثر من ٦٠٪ من إجمالى إنتاج الفواكه فى الأردن، وبأكثر من ٨٠٪ من إنتاج الزيتون، وبنحو ٢٥٪ من إنتاج الحبوب، واشتملت منطقة نابلس على نحو نصف الأراضى المزروعة بالخضروات، وزهاء ثلث الأراضى المزروعة بالمحاصيل الحقلية. فيما تركزت الخضروات فى قطاع جنين/ نابلس، وإنتاج الأشجار المثمرة فى قطاع نابلس/ القدس، أما المحاصيل الحقلية، فتوزعت على شتى أرجاء الضفة الغربية. وقد بذلت سلطات الاحتلال قصارى جهدها لتغيير أنماط المحاصيل الرئيسية فى الضفة والقطاع لتجعل من هاتين المنطقتين المحتلتين مزرعة تدر الأرباح على اسرائيل(١٢).

٤ ـ الحرمان من اليد العاملة: حيث امتصت سوق العمل الاسرائيلية نسبة كبيرة منهم، فهذه السوق امتصت نحو ثلث مجموع عمال الضفة والقطاع (زهاء ١٢٠ الف عامل) علما أن ٧٠٪ من فلاحى الضفة والقطاع ومزارعيها تجتذبهم سوق العمل الاسرائيلية، فبينما كان يعمل فى زراعة الضفة سنة ١٩٧٠، نحو ٤٢،٤ الف عامل زراعى، فان عددهم هبط سنة ١٩٨٥م الى ٢٨،٣ الفا، فقط. وبذا هبطت نسبة استيعاب القطاع الزراعى فى الضفة الغربية من ٤٢،٥٪ من إجمالى العاملين هناك سنة ١٩٧٠، الى ٢٧،٣٪ عام ١٩٨٥(١٣)

وفى عام ١٩٦٥ بلغت قوة العمل الموظفة فى قطاع غزة نحو ٦٣،٠٠٠، يعمل نحو ثلثهم فى الزراعة وزهاء ٤٠٪ فى الخدمات، و٢٠٪ فى البناء، وبعد الاحتلال بعدة سنوات تحول نحو ٤٠٪ من اجمالى اليد العاملة فى قطاع غزة للعمل داخل إسرائيل، ويقدرهم نيورن بتفنستى بنحو ٤٥،٠٠٠ عامل، أى ما نسبته ٤٥٪ من إجمالى العاملين هناك(١٤).

النتـــائج

أدت سياسة الاحتلال الزراعية إلى عجز الضفة والقطاع عن إعالة شعبهما زراعيا، وبـالتـالى حيل بين هاتين المنطقتين المحتلتين وبين الاكتفاء الذاتى الزراعى، بعد أن تحولت الزراعة فيهما إلى تابع ومكمل للزراعة الاسرائيلية بدلا من ان تكون منافسة لها فقد حدث تدهور جاء فى إنتاج المحاصيل الزراعية الرئيسية، لحساب المحاصيل والمواد الاولية التى تحتاجها الصناعة الاسرائيلة، مثل التبغ الذى ارتفعت مساحة الأرض المزروعة به فى الضفة من ٤٫٥٠٠ دونم سنة ١٩٦٨م الى ٥٠٫٠٠٠ دونـم سـنـة ١٩٧٤ والسـمـسـم من ١٫٨٠٠ دونم الى ٢٠٧٫٠٠٠ دونم. فيما انخفض إنتاج البطيخ من ٧٠٠٫٠٠٠ عام ١٩٦٨، إلى أقل من ١٥ الف طن عام ١٩٨٠ حتى اضـطرت الضفـة الغربية الى استيراد ٣٢٫٠٩٥ طناً من البطيخ، فى العام ١٩٨٠ من اسرائيل(١٥).

وعلى الرغم من ارتفـاع القيمة المالية للزراعة فى إجمالى الناتج المحلى من ٣٢٫٩ مليون دولار، عام ١٩٦٨، الى ١٤٨٫٤ مليون دولار عام ١٩٨٤، إلا ان نسبة هذه الحصة فى اجمالى الناتج المحلى هبطت هنا من ٣٤٫٨٪ الى ١٤٪، فقط ويعـود الارتفـاع فى القيمـة المالية للزراعـة الى التـطور النسبى فى إنتاجية العمـل الزراعى الذى نجح فى تعويض جمود المساحة المزروعـة، وحجب مياه الـرى، والأيدى العاملة(١٦).

أما فى قطاع غزة، فمثلت الزراعة عام ١٩٦٦م زهـاء ٢٦٪ من إجمالى الناتج المحلى هناك والتى بلغت قيمتها ٥٫٥ مليون جنيه مصرى. وقفـز هذا الـرقم عام ١٩٨٤ الى ما يربـو على ٣٢٫٩ مليون دولار لكـن نسبتـه الى النـاتـج المحلى انخفض أيضـاً الى ١٢٫٦٪. اذ بلغ إجمالى الناتج آنذاك، نحواً من ٢٤٩٫٤ مليون دولار(١٧).

الاســتنتاجـات

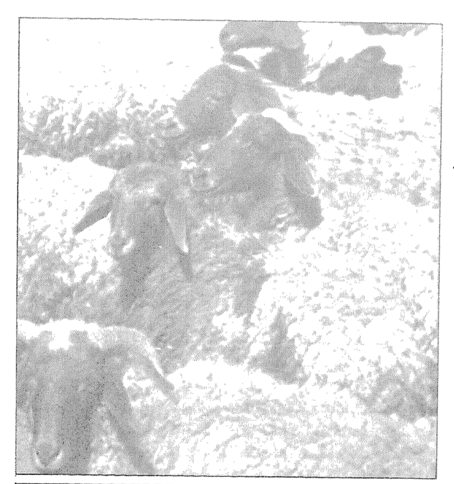
تمثلت محنة اقتصاد الضفة والقطاع تحت الاحتـلال الاسرائيلى فى ثلاثة مظاهـر: «ضعف النمو الاقتصادى، وتشـويه البنية الاقتصـادية، والتبعية شبه الكاملة للاقتصاد الاسرائيلى».

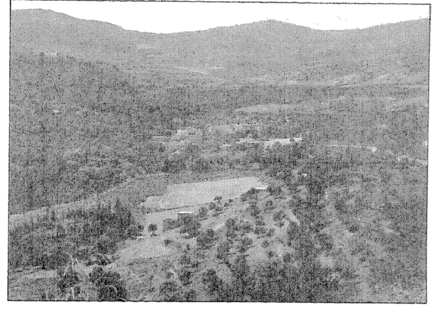
وقـد لاحظنا كيف ان نسبة كبيرة من الزيادة فى حصة الزراعة هى زيادة زائـفـة تعـود لعملية تسريع رسملة اقتصـاد هاتين المنطقتين المحتلتين، وزيادة الاعتماد على السوق.

وتـرافق مع هذه العملية تدمير واسع وسريع للاقتصـاد الـطبيعى، المنفصل عن السوق، والذى لا يدخل ـ عادة ـ فى الاحصـاءات. وقـد زج بمئات الفـلاحين الفقراء فى العمل داخـل إسرائيل ودخلت اجـورهم ضمن النـاتج المحلى، بعد أن كانت دخـولهم المحدودة، قبل الاحتلال لا تدخـل فى هذا النـاتج حيث لم تكن تظهـر فى السوق، ومن جهة اخرى، فإن تسريع الـرسملة أنهى ـ الى حد بعيد ـ البطالة الموسمية والمقنعة مما رفع مؤشرات النمـو الاقتصادى. كما دفع أرباب العمل الفلسطينيين الى الاخذ بوسائل الانتاج والأكثر تقدماً، وبأنماط التكنـولوجيا للصمود فى وجه المنافسة الاسرائـيلية مما ترك أثـره فى رفـع معدلات النمو الاقتصادى الامر الذى تعزز مع ازدهار الاقتصاد الاسرائيلى، فى أعقاب حرب ١٩٦٧م وحتى بعد الـتراجع النسبى للاقتصاد الاسرائيلى فى النصف الثـانى من السبعينيات، فان اقتصـاد الضفـة والقـطاع حقق تقـدماً طفيفاً، متكئا على أموال أبناء الضفـة والقـطاع العـاملين فى دول الخـليج العـربى على ان السنـوات الثلاث الاولى من الثمانينيات شهدت تفاقما فى عملية تقليص مصادر النمو، كما عكست أزمة الاقتصاد الاسرائيلى نفسها على اقتصاد الضفة والقطاع.

وباختصار فان الاحتلال الاسرائيلى نزل بكلكله على القطاع الزراعى فى الـضفـة والقـطاع. فأولا: تدفقت المحـاصيل الـزراعية، المماثلة لتلك المنتجة فى هاتين المنطقتين المحتلتين، وقد تمتعت هذه المحاصيل بالتسهيلات الـرسمية الاسرائيلية، وبـاحتكـار







الاسـاليب الحـديثـة فى التخـزين والتكنـولـوجيا فى الـزراعـة نفسهـا. وثـانيا: استحـوذ الاحتلال على نسبة كبيرة من أراضيها، وثالثا: وضع يده على مصادر المياه وقيد استهلاك العرب الفلسطينيين لها.

■ إن هدف الصهيونية هو تعـطيب الارض الفلسطينية حتى يفترسها الملح وتـتحـول الى عبء على الـفـلاح الفلسـطينى حتى يهجـرهـا أو يسعى للتخلص منها. بما يسهل تدمير البنية الاجتـماعية الفلسـطينية فى الضفـة والقـطاع وفـك ارتبـاط هذه البنية بالأرض، ويجعـل من الأرض العربية الفلسـطينية لقمة سائغة للصهيونية، ناهيك عن تهيئة السوق الفلسطينية فى الضفـة والقـطاع لاستقبـال البضائع الاسرائيلية. . الأمـر الـذى يفقـد الاسـتقـلال السياسى الفلسـطينى المـرجـو أساسه الاقتصادى، بحسب الطموح الاسرائيلى.

على أن الانتفاضة الشعبية الراهنة هزمت هذا الـوهم. حتى أن بعض النجاحات التى أحرزها الاحتلال على الجبهة الاقتصادية طوال عشرين عاماً تحول بتأثير هذه الانتفاضة المجيدة الى عبء ثقـيل على الاحـتـلال وعـلى الاقتصـاد الاسرائيلى وبخاصة توقف عمال الضفـة والقـطاع عن العمل فى مؤسسات وشركات ومصانع اسرائيل، ناهيك عن المقـاطعة الكبيرة للبضائع الاسرائيلية فى الضفـة والقـطاع وبذا يكون السحر قدارته على الساحر.

الهـوامش

(١، ٨، ١٠، ١٢، ١٥) محمـد مبـاركـة، المشكلة الـزراعية فى الضفـة الغـربية وقـطاع غزة، صوت فلسطين العدد ٢٤٠ كانون الثانى/ يناير ١٩٨٨ ص٢٠ـ٢٧.

(٢، ٥، ٩، ١١، ١٦) د. سمـير عبـد الله، تأثير الاحتـلال على القطاع الزراعى فى الضفة الغربية، (القدس، العدد ٨٦ حزيران/ يونيو ١٩٨٧م ص١٢ـ٢١.

(٣) السـفـير (بـيروت) ١٩٨٧/٨/١٩ + البعث (دمشق) ١٩٨٧/١٢/١٣.

(٤) الأرضى (دمشق) العدد ٢٠، ١٩٧٩/٧/٧، ص٢٨.

(٥) عبد الله ، مصدر سبق ذكره.

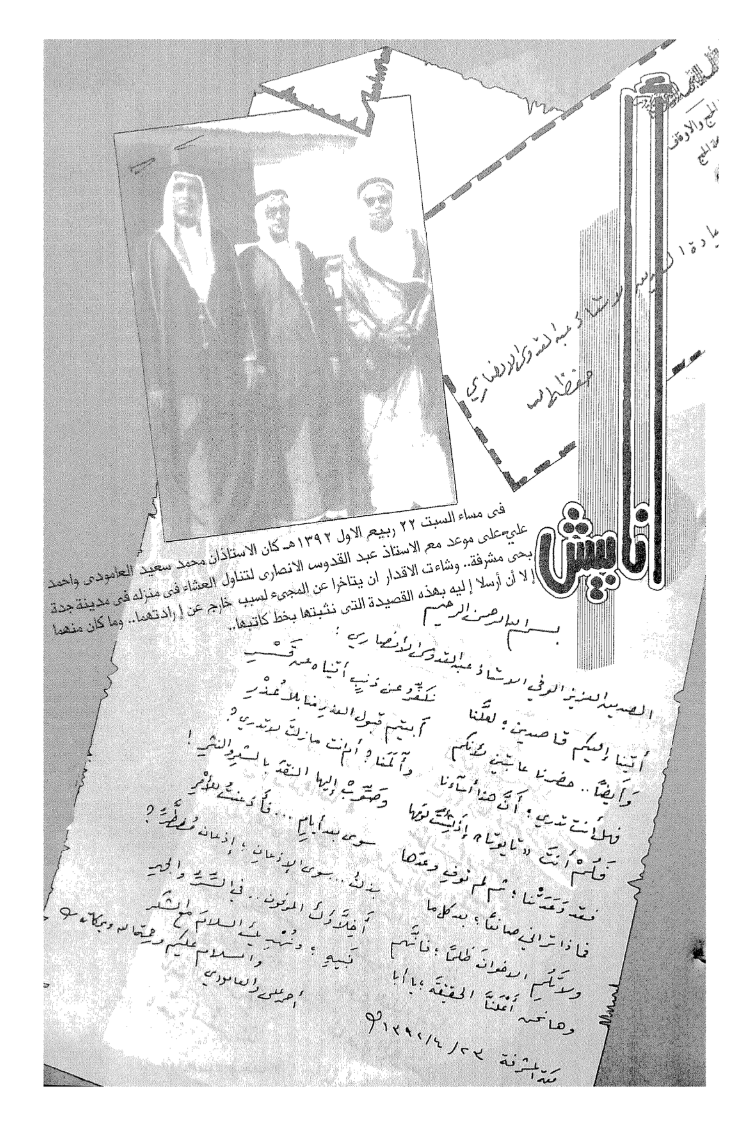
(٦، ٧، ١٧) د. زياد أبو عمرو، الكاتب (القدس) العدد ٨٦ حزيران/يونيو ١٩٨٧ ص٧٢ـ٩٥.

(١٣) المصدر نفسه + عبد الله، مصدر سبق ذكره.

(١٤) عمـرو، مصـدر سبق ذكـره + جبرو ساليم بوست، ١٩٨٦/٥/٢٥.

● حكمة ●

■ الحصـول على كل ما نبـتغيه لا يعنى بالضرورة ان نحصل عليه دفعة واحدة.



فى مساء السبت ٢٢ ربيع الاول ١٣٩٢هـ كان الاستاذان محمد سعيد العامودى واحمد علي على موعد مع الاستاذ عبد القدوس الانصارى لتناول العشاء فى منزله فى مدينة جدة بحى مشرفة.. وشاءت الاقدار ان يتأخرا عن المجيء لسبب خارج عن إرادتهما.. وما كان منهما إلا أن أرسلا إليه بهذه القصيدة التى نثبتها بخط كاتبها..

بسم الله الرحمن الرحيم

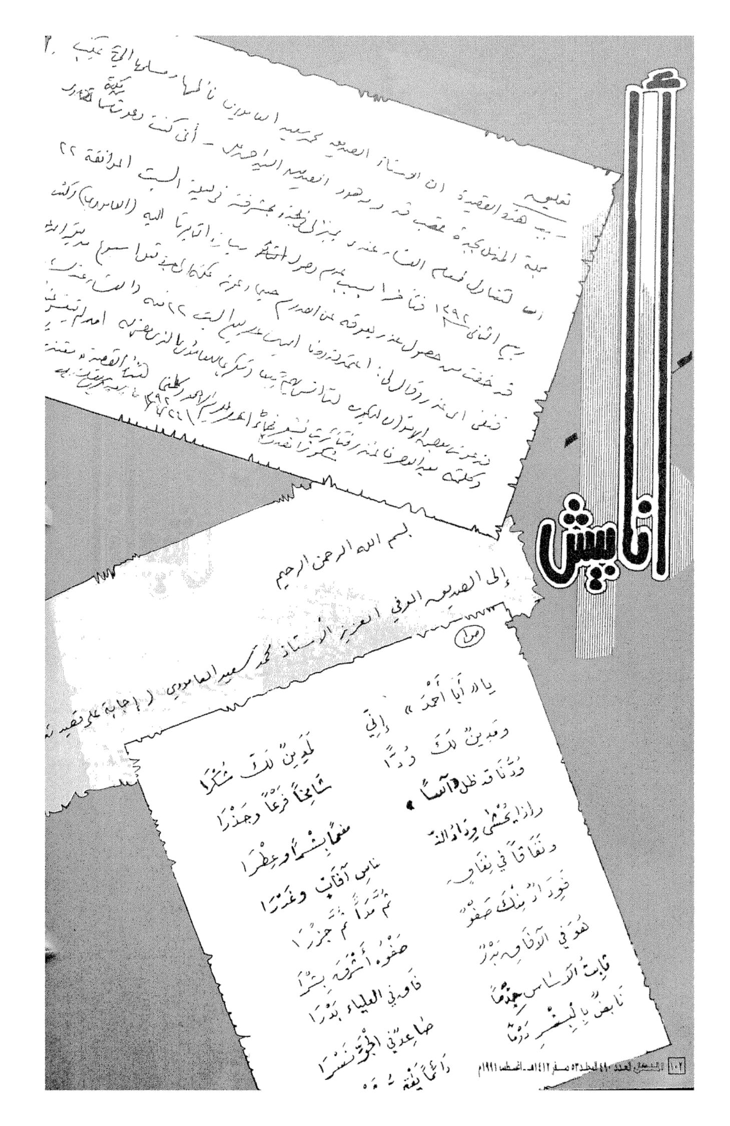
الصديق العزيز الوفي الأستاذ عبد القدوس الأنصاري :

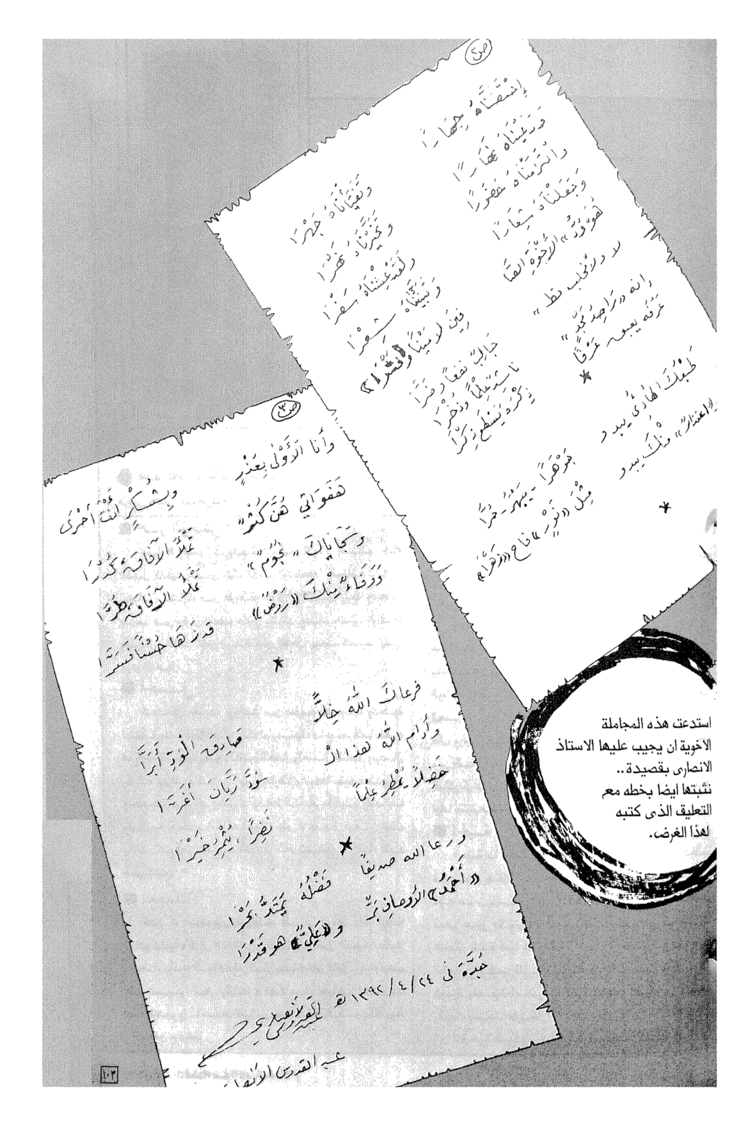
أتينا إليكم قاصدين لعلنا ... نكفّر عن ذنب أتيناه عن قسر

أبيتم قبول العذر منا بلا عذر

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أحمد علي والعامودي


أنابيش
بسم الله الرحمن الرحيم
إلى الصديق الوفي العزيز الأستاذ محمد سعيد العامودي (إجابة على قصيدته
يا «أبا أحمد» إني
لمدين لك شكرا
ومدين لك ودا
شامخا فرعا وجذرا
ودنا قد ظل آسا
فمها نشرا وعطرا
وإذا يحظى وداد الناس
آفات وغدرا
ونفاقا في نفاق
ثم مدا ثم جزرا
فوداد منك صفو
صفوه أشرقه بشرا
لهو في الآفاق بدر
فاوه في العلياء بدرا
ثابت الآساس جدا
صاعد في الجو نسرا
نابض بالبشر دوما
دائما



(ص ٣)

وأنا الأَوْلى بِعُذْرٍ ... وبشكرٍ لك أحرى

لهفواتي هُنَّ كُثْرُ ... تملأ الآفاق كِبْرا

وسجاياك «نجوم» ... تملأ الآفاق عِطرا

ودعاءٌ منك «روضٌ» ... قدرها [illegible]

★

فرعاك الله خِلاً ... صادق الودِّ أبرّا

وأدام الله هذا الـ ... ـودَّ ريّانَ أغرّا

فضلاً عِطراً عِلماً ... نضراً يثمر خيرا

★

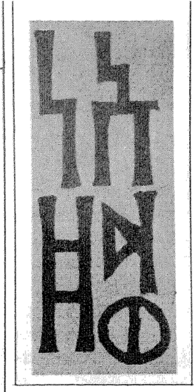
ورعا الله صديقاً ... فضله يمتد بحرا

«أحمد» الأوصاف بَرٌّ ... و«عليٌّ» هو قدرا

جدة في ٢٤/٤/١٣٩٢ هـ

عبد القدوس الأنصاري

استدعت هذه المجاملة الاخوية ان يجيب عليها الاستاذ الانصارى بقصيدة.. نثبتها ايضا بخطه مع التعليق الذى كتبه لهذا الغرض.



فى الحلقة السابقة من هذا الباب (من التراث) نشرنا عن مجموعة من الحيوانات والطيور.. ولا شك ان فى وصف بعض خصائص الحيوانات والطيور الواردة شىء من الخرافة الخارجة عن طبيعة الاشياء.. لكننا ننشرها بمجملها لطرافتها.



من التراث

التحرير

(من التراث) صفحات نتذاكر فيها قول الماضين فإن فى أقوالهم: الحكمة المرسلة، النكتة الفكهة، القول المعجب، النصيحة البالغة.. وفى جملة أقوالهم امتاع ومؤانسة.. لغة وأدب.. فصاحة لسان وسرعة بديهة.

●● وبالصورة نسترجع تاريخ أمة سلفت .. وتراث حضارات سادت ثم بادت.

● هذه الفقرات مأخوذة من كتاب (الامتاع والمؤانسة) لابى حيان التوحيدى

■ حمار الوحش :

حمار الوحش إذا ولدت الانثى الاولاد الذكور جاء الفحل فانتزع خصى تلك الذكور وقطعها بأسنانه لكيلا(١) تصاد أو تشاركه فى طروقة(٢)، إلا أن الانثى ربما وضعت ولدها فى مكان غامض حتى يشتد جسمه وتتصلب حوافره، ويقوى بالشد على النجاة من الفحل، ولهذا السبب يقل منها الفحول.

■ الجمل :

الجمل حقود، يرتصد من ضاربه الفرصة والخلوة لينتقم منه، فاذا أصاب ذلك لم يستبق صاحبه، فاما ظهره فذو سنام مقبب يكبون لكثرة الحمل واحتمال الثقل وأوصال ركبته وعراقيبه كبار صلاب، واوتارها وعروقها متينة شديدة، وعصبه وثيق لم يشتد بضغط التحام مفاصله واتصالها ولم يسترخ مطويا، لكنها هيئت على الاعتدال ليهون عليه بذلك البروك والنهوض بحمله، مع تسهيل الارتقاء عليه فى ذلك.

■ الديك :

الديك صلف فى طبيعته، غير ان له مع ذلك ايقاظا للنائم بصياحه فى اناء الليل، والتبشير بإقبال الصبح وطلوع الشمس، يؤنس السيارات فى السفر بصياحه فى الليل.. ويحرضهم على السير، مع ايقاظه الفلاحين لعملهم والصناع لصناعاتهم، وإذا سمع المرضى صوته داخلهم من ذلك روح وخفة من مرضهم.

■ الطاووس: يحب الزينة، غير عفيف الطبيعة، يدعوه زهوه وحرصه على التزين الى نشر ذنبه وعقده كالطاق لتراه الانثى بحسن زينته.

■ النسر :

النسر يتخذ وكره فى المكان العالى المرتفع، وعليه يقع وفيه ينام كالراصد، إما فى ذروة الجبل أو فى وسطه من شظاياه(٣) وثناياه وموضع المنعة.

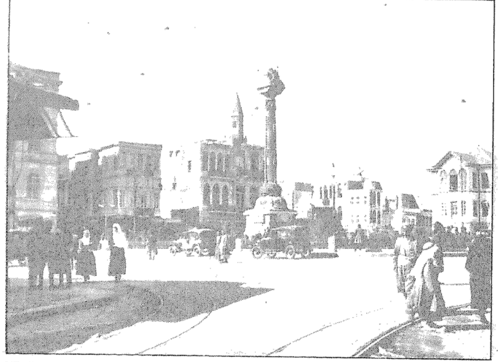
واذا حملت زوجته مضى الى الهند فاخذ من هناك حجرا كهيئة الجوزة اذا حرك سمع به صوت حجر اخر يتحرك فى وسطه ـ كصوت الجرس، فان عسرت على زوجته الولادة جعلت ذلك الحجر تحتها وعلت عليه فيذهب عنها العسر.

قال: ورأيت مرة أنثى من جنس الطير مات زوجها فامتنعت من الطعام والنوم ليالى كثيرة صارت فيها كالنائحة الباكية على زوجها بتنفس الصعداء وزفرات الحزن لا تلقط اياما متتابعة شيئا.

■ الحية :

الحية اذا هرمت وكل بصرها واسترخى جلدها دخلت فى صدع صفاة ضيق أو جحر ضاغط يعسر عليها النفوذ فيه حتى ينسلخ عنها جلدها فتأتى عين الماء فتنغمس فيها حتى يقوى لحمها وينعصب، فاذا هى فعلت ذلك عادت شابة كما كانت. فإذا أرادت أن تضىء(٤) عينها أكلت الرازيانج الرطب فاشتفت عيناها واحتد بصرها، وان ضربتَ ضربة بقصبة استرخت فلم تستطع الفرار، فان ثنيتها وثبت وسعت هاربة.

إن انقع الحسك(٥) فى الماء ثم نضح ذلك الماء بين



● ساحة المرجة فى سوريا .. ويرجع تاريخ الصورة الى اكثر من قرن.

يـدى جحـر الحيـة فرت من هنـاك.

وإن وضـع فى جحرهـا أصل حمص رطب فرت أيضا.

وإن رأت الحية إنسانا عريانا استحيت منه ولم تقربه.

وإن رأته كاسيا(٦) حملت عليـه بجراة شـديدة، وما أشـد طلبهـا لثأرهـا، وإن شدخ رأسها ماتت مـن ساعتها.

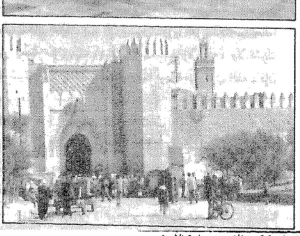
■ النمـل :

النمـل عمـول مواظـب، فإذا جمـع الحب قطعـه كيلا ينبت إذا أصابـه النـدى والبلـة، ويخرجـه ويبسـطه عند فـم الجحـر، فإذا يبس أدخله.

ومن جرب طبائع النمل أدرك علـم أزمـان المطـر والصحو.

ومن أراد أن يقتـل النمـل فليدق الكبريت والحبق(٧) ويذرهمـا فى جحرتـه ولا يولد مـن تزاوج ولكنـه يخـرج منـه شىء قليل صـغير فيقـع فـى الارض فيصـير بيـا، ثـم يتصور من البيـض بالهيئـة التى ترى، وإذا شمت الورد موتت وأجنحتهـا مدمجـة لاصقـة بهـا.





● واجهة قصر المشتى من بادية الاردن.

● إحدى البوابات الشهيرة فى مدينة فاس وتسمى قصبة النوار.

الهـوامش

(١) يريد بقـولـه (لكيلا تصاد) أنها اذا خصيت قويت على الجرى فلا يقوى الصيادون على اصطيادها.

(٢) يريد بالطروقة: الأتان التى يطرقها الفحل.

(٣) شظايا الجبـل: قطع ضخام تنقلع من عرضه ولم تنفصل انفصالا تاما، تشبيها لها بالشظايا المعروفة. وثناياه: العقبات فيه.

(٤) (تفـنى)

(٥) الحسك محركا: نبات له ثمرة شائكة مدحرجة تعلق بأصواف الغنم.

(٦) (كابســا)

(٧) الحبق محركة: نبات طيب الرائحة، حديد الطعم، ورقه كورق الخلاف، منه سهلى ومنه جبلى، وهو الذى يقال له: الفوتنج. وقال أبو حنيفة: انه يشبه الريحانة التى تسمى النمام ويكثر نباته على الماء وهو أنواع كثيرة.

الحديث النبوي
دراسات ودروس

((٤))

ما بين هرقل .. وابي سفيان

الحوار الذى دار بين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبين ورقة بن نوفل، وحضرته السيدة خديجة بنت خويلد الزوجة الاولى للرسول الكريم ـ قبل بعثته عليه الصلاة والسلام وعرف فيه ورقة أن محمدا سيكون نبي هذه الامة.. روت لنا السيرة النبوية حوارا فى مثل موضوعه دار بين أبى سفيان ـ قبل ان يسلم وبين هرقل ملك الروم.

بقلم: احمد محمد جمال

كان أبو سفيان بن حرب فى ركب من تجار قريش بغزة من ديار الشام ـ سنة ست من الهجرة ـ وفى هذه الفترة تلقى (هرقل) عظيم الروم رسالة من سيدنا محمد ﴿ﷺ﴾ يدعوه فيها إلى الاسلام. وهذا نص الرسالة كما يرويها الامام البخارى فى صحيحه(١).

■ من محمد عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم ـ سلام على من اتبع الهدى . . أما بعد، فإنى أدعوك بدعاية الاسلام ـ أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فان عليك إثم الإريسيين ـ و(يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم: ألا نعبد إلا الله، ولا نشرك به شيئا، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ـ فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون).

■ قال هرقل ـ بعد ان قرأ كتاب الرسول عليه الصلاة والسلام: (هذا كتاب. . لم أسمع بمثله) ثم أمر صاحب شرطته ان يقلب الشام ظهراً لبطن حتى يأتيه برجل من قوم صاحب الكتاب ليسأله عن شأنه. . ويقول أبو سفيان: فوالله إنى وأصحابى بغزة إذ هجم علينا فساقنا اليه بايلياء، فدعانا الى مجلسه، وحوله عظماء الروم، ودعا بترجمانه.

وهنا يبدأ الحوار بين هرقل وأبى سفيان سؤالا وجوابا، ثم تعقيبا من هرقل بما يثبت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته.

■ قال هرقل لأبى سفيان وأصحابه: أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذى يزعم أنه نبي!؟

■ فقال أبو سفيان: أنا اقربهم نسبا ـ وذلك لأن أبا سفيان كان من بني عبد مناف، وعبد مناف هو الأب الرابع للنبي صلى الله عليه وسلم، ولم يكن فى أصحاب ابى سفيان احد من بنى عبد مناف غيره.

وقبل أن يوجه هرقل سؤاله الاول الى أبى سفيان أمر بإدنائه منه، وجعل أصحابه من خلفه لئلا يستحيوا ان يواجهوه بالتكذيب إن كذب ـ ثم قال لهم على لسان ترجمانه: إنى سائل هذا الرجل، فان كذبنى فكذبوه قال أبو سفيان: فوالله لولا الحياء من أن يأثروا على كذبا لكذبت عنه.

■ ثم كان اول ما سأل هرقل أبا سفيان أن قال: كيف نسبه فيكم؟ فأجاب: هو فينا ذو نسب.

● قال هرقل: فهل قال هذا القول منكم احد قط قبله؟ فأجابه ابو سفيان: لا.

● فسأله: فهل كان من آبائه من ملك؟ فأجابه: لا.

● قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقال بل ضعفاؤهم.

● قال هرقل: أيزيدون أم ينقصون؟ أجاب ابو سفيان بل يزيدون.

● قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فقال أبو سفيان: لا.

● سأل هرقل: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال؟ قال ابو سفيان: لا

● قال هرقل: فهل يغدر؟ فأجاب أبو سفيان: لا، ونحن

منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها ـ يعني صلح الحديبية.

● قال هرقل: فهل قاتلتموه؟ وكيف كان قتالكم إياه؟ فقال أبو سفيان: نعم.. والحرب بيننا وبينه سجال، ينال منا وننال منه.

● ثم سأل هرقل: ماذا يأمركم؟ قال: يقول اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة، والصدقة، والعفاف والصلة.

■ انتهى دور الحوار سؤالا من هرقل، وجواباً من أبي سفيان. وكان هرقل حكيماً ذكياً في مسائله، كما كان ابو سفيان صادقاً أمينا فيما أجاب به.

وهنا يبدأ التعقيب الحكيم ايضا من هرقل: ونقول «حكيم» لأنه استنباط ذكي من إجابة أبي سفيان على ما سأل عنه من أحوال هذا الرسول الكريم العظيم.

قال هرقل للترجمان: قل له سألتك عن نسبه، فذكرت أنه فيكم ذو نسب، وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها.

● وسألتك: هل قال احد منكم هذا القول؟ فذكرت أن لا فلو كان احد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتسي بقول قيل قبله.

ـ وسألتك: هل كان من آبائه من ملك؟ فذكرت أن لا. فلو كان من آبائه من ملك لقلت رجل يطلب ملك ابيه.

ـ وسألتك: هل تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت أن لا. فعرفت انه لم يكن ليذر الكذب على الناس، ويكذب على الله.

ـ وسألتك: اشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم فذكرت ان ضعفاءهم اتبعوه، وهم اتباع الرسل.

ـ وسألتك: ايزيدون أم ينقصون فذكرت انهم يزيدون، وكذلك امر الايمان حتى يتم.

● وسألتك: ايرتد احد منهم سخطة لدينه بعد ان يدخل فيه؟ فذكرت ان لا، وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب.

ـ وسألتك: هل يغدر؟ فذكرت أن لا. وكذلك الرسل لا تغدر.

ـ وسألتك: بم يأمركم؟ فذكرت انه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدقة والعفاف.

.. فان كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن اظن انه منكم، فلو أني أعلم اني أخلص اليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه(٢).

■ إن حديث الحوار بين هرقل ملك الروم وابى سفيان حول نبوة محمد ورسالته صلى الله عليه وسلم ـ حدث به عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال إن أبا سفيان نفسه هو الذى أخبره به، وهذا بطبيعة الحال بعد فتح مكة عام ثمانية للهجرة حيث دخل أبو سفيان فى الاسلام.

ـ وكان مما قاله أبو سفيان فى أعقاب هذا الحوار مع هرقل: (ما رأيت من رجل قط أدهى من ذلك الأقلف)يعنى هرقل، والأقلف هو الذى لا يختتن.

■ ونلاحظ فى أسئلة هرقل لأبى سفيان: أنها تبحث فى مكانة الرسول ﴿ﷺ﴾ وفى اخلاقه ـ فلما عرف من أجوبة ابى سفيان ـ وهو يومذاك مشرك لم يسلم بعد ـ انه صلى الله عليه وسلم: ذو نسب كريم فى قومه.. وانه لا يكذب.. وانه ايضا غير معروف بالغدر.. وليس فى آبائه ملك حتى يتهم بأنه انما يطلب ملكا.. وان الضعفاء هم الذين يتبعونه، وهذا شأن الرسل والانبياء حيث يتبعهم فى بداية امرهم الضعفاء.. وان هؤلاء الاتباع يزيدون يوما بعد يوم.. وان احدا منهم لا يرتد عن دينه بعد ان يدخل فيه، وذلك شأن الايمان حين يتم، وحين تخالط بشاشته قلوب المؤمنين.. وانه صلى الله عليه وسلم انما كان يأمر قومه بأن لا يشركوا بالله شيئا، وان يوحدوه بالعبادة، ويتركوا عبادة الاوثان من حجر أو بشر.. كما يأمرهم بالصلاة والزكاة والعفاف.. لما عرف هرقل هذه (المكارم) من أخلاق سيدنا محمد ﴿ﷺ﴾، وقد حدثه بها وشهد عليها رجل من قومه لم يدخل فى دينه بعد ـ أعلن رأيه فى نبى الاسلام صريحا صحيحا إذ قال لأبى سفيان وأصحابه يستمعون معه:

«إن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم انه خارج، ولكني لم أكن اظن انه منكم.. ولو أني أعلم انى اخلص اليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت

● الرسالة التي بعثها الرسول ﴿ﷺ﴾ الى هرقل



عنده لغسلت عن قدمه(٣).

وقد روى الطبراني وابن اسحاق: أن هرقل قال: والله إني لأعلم أنه نبي مرسل، ولكن اخاف الروم علي نفسي، ولولا ذلك لاتبعته.

وكما تنبأ هرقل لقد بلغ الفتح الاسلامي - الذى سماه هرقل (ملكا) موضع قدميه، وهو بيت المقدس، بل الشام كلها. . قال ابن حجر: ومما يدل على أن هرقل آثر ملكه على الايمان بمحمـد صلى الله عليه وسلم: أن حارب المسلمين فى غزوة مؤتة، وقد روى ابن حبان فى صحيحه عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب إليه من تبوك يدعوه الى الاسلام وأنه قارب الاجابة ولكنه لم يجب.

■ وفى مسند الامام احمد: انه كتب من تبوك الى النبى ﴿ﷺ﴾ يقول: إنى مسلم فقال صلى الله عليه وسلم: كذب، بل هو على نصرانيته. .

■ ومن مدلولات كتاب الرسول عليه الصلاة والسلام الى هرقل - فى قوله: (فإن توليت فإن عليك إثم الإريسيين) أى الفلاحين والعمال.

إن السادة والكبراء والرؤساء مسئولون عن رعاياهم، وعن صدهم عن الاستجابة لدعوة الحق، ونداء الخير - او كما قال الخطابي: «أراد أن عليك إثم الضعفاء والأتباع اذ لم يسلموا تقليداً له. . لأن الأصاغر أتباع للأكابر».

وقد عقب ابن حجر بقوله: ولا يعارض هذا بقوله عز وجـل: ﴿ولا تزر وازرة وزر اخرى﴾ لأن وزر الاثم لا يتحمله غيره، ولكن الفاعل المتسبب والمتلبس بالسيئات يتحمل الاثم من جهتين: جهة فعله، وجهة تسببه.

■ قلت: وهنا ثابت وواضح فى قول الله تبارك وتعالى: ﴿ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الـذين يضلونهم بغير علم - ألا ساء ما يزرون﴾(٤)، وفى قوله عز وجل: ﴿وليحملن أثقالهم واثقالا مع أثقالهم وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون﴾(٥).

فالمتسبب فى إضـلال غيره، أو صده عن دعوة الحق ونداء الخير - بسلطانه أو قوته كالكبراء والرؤساء او بعفويته ودعـايته كالعلماء والدعاة يحمل اثمه واثم من أضله، أو صده عن سبيل الله.

هوامـش

(١) ج/١ ص/٣٢.
(٢) صحيح البخارى ج١ ص/٣١، ٣٢.
(٣) تجشمت: أى تكلفت الوصول إليه.
(٤) سورة النحل آية ٢٥.
(٥) سورة العنكبوت آية ١٣.





● كافكا

يكثر إستخدام مصطلح (شبه الفصامى) فى الدراسات التحليلية النفسية، ومن الخصائص المميزة لدى أشباه الفصاميين ما يلى:

١ - الاحساس بالقدرة الكلية.
٢ - الاحساس بالانعزال والانفصال.
٣ - الانشغال بالعالم الباطنى.

وقد تكون هذه الخصائص واعية وواضحة ولكنها تكون وفقا للمنظور التحليلى النفسى غالبا، ذات طبيعة لا شعورية ومتشابكة ومركبة مع عمليات التعويض وما يماثلها من المظاهر النفسية.. إلا أن أهم الخصائص المميزة السابقة هى عملية الانشغال بالواقع الداخلى ويكون هذا الانشغال موجودا سواء أكان هذا الانشغال تعويضا عن الواقع الخارجى أم توحدا معه أم من أجل فرض العالم الداخلى على العالم الخارجى.

وهناك محاولات للاستفادة بهذا المفهوم فى تفسير عملية الابداع وسلوك المبدعين ومن بين المحاولات الاكثر حداثة لوصف السلوك الغريب لدى بعض المبدعين، ومن خلال مصطلح (شبه الفصامى) نجد محاولة أنطونى ستور عام ١٩٨٣ للتمييز بين نوعين من أشباه الفصاميين: بلزاك الانبساطى المنطلق المرح المتجه للخارج والواقع الخارجى وكافكا الانطوائى المتحفظ المكتئب المتجه للداخل وللعالم الباطنى.



- «بلزاك» كشف عن المنابع الداخلية للشخصية الانسانية.
- شخصيات «بلزاك» منحت بيئاتها توجيهات ودلالات جديدة.
- يبدو العالم غامضا باردا ومهددا للذات فى أعمال كافكا.

كافكا و.. بلزاك رؤيتان إلى العالم

بقلم: د. شاكر عبد الحميد

يقول أنطونى ستور معتمدا على بعض الكتابات عن بلزاك مثل كتاب أندريه موروا «بروميثيوس»: حياة بلزاك ١٩٦٥.. وكتاب هربرت هنت «أونوريه دى بلزاك» ١٩٥٧ وكذلك الفصل الذى كتبه سومرست موم عن بلزاك فى كتابه: «عشر روايات ومؤلفوها» ١٩٥٤ إن بلزاك كان صاحب تكوين هوسى - اكتئابى كما كانت لديه عادة الكلام الكثير بصوت مرتفع - وليس مجرد تكوينه الجسمى فقط هو الذى كان يدل على وجود بعض علامات الاضطراب النفسى لديه فظروف نشأته ساهمت أيضا فى حدوث هذا الاضطراب - فقد وضع بلزاك عند ولادته (٢٠ أيار ١٧٩٩) مع حاضنة كانت تقيم فى مكان بعيد عن منزل أسرته وكانت أمه نادرا ما تزوره هناك وكما قال أندريه موروا فى كتابه «بروميثيوس: حياة بلزاك» فان بلزاك لم يغفر لأمه تركها له منفصلا عنها فقال: «من يخبرنى عن ذلك الأذى البدني والنفسي الذى لحقنى نتيجة مشاعر أمى الباردة؟.. ألم أكن سوى طفل جاء نتيجة واجب زواجي عابر؟.. هل كانت ولادتى مجرد صدفة كى أرسل الى حاضنة فى بلدة بعيدة ويتم اهمالى بواسطة أسرتى لمدة ثلاث سنوات - وعندما عدت الى المنزل لم أدرك بأنهم يشعرون بأى أسى من أجل ما فعلوه معى.

وفيما بعد كما يقول موروا فإن بلزاك قد قال: «لم تكن لدى أم أبدا» ويقول: «موروا» إن هؤلاء الأطفال الذين يشعرون بأنهم مرفوضون من قبل ذويهم دون أن يعرفوا لماذا يتوقون أكثر من غيرهم للانتصار على العالم من أجل تعويض احساسهم العميق الجذور بالفقد المبكر الذى حدث لهم.

وفى عمر الثانية تم ارسال بلزاك الى مكان آخر هو «أوراتوريان كوليج» فى منطقة «فاندوم» حيث ظل هناك لمدة ست سنوات ولم يقم بزيارة أهله مرة واحدة خلال تلك الفترة.. ووفقا لتصريحاته الخاصة فان والدته لم تقم بزيارته سوى مرتين خلال الأعوام الستة هذا رغم أن المدرسة كانت على بعد ٣٥ ميلا فقط من منزل الأسرة، ويعد هذا دليلا آخر يضاف الى سلسلة الأدلة الحقيقية التى تشير الى إهمال والدة بلزاك له.. كما أنه لم يكن تتوفر لديه النقود الكافية فى تلك الفترة بما يسمح له



بمشاركة أقرانه ألعابهم وتسلياتهم.

وأيا كان السبب ـ كما يقول أنطونى ستور ـ فان بلزاك ظل طيلة حياته لا يشعر بالشبع، بل ظل فى حالة جوع دائم للحب والشهرة كما لو كان هناك فراغ لا نهائى بداخله لا تستطيع أية كمية من المدعمات الخارجية أن تملأه.

وحين كان بلزاك تلميذا فى المدرسة كان يقول «سوف أصبح مشهورا». وقام فى وقت مبكر من حياته بتطوير فكرة أن الارادة يمكن أن تكون بلا حدود اذا تعلم الانسان فقط أن يكثف هذه الارادة ويقويها ويتابع اتجاهها.. وفى مرحلة الشباب اعتقد بلزاك أن العالم عبارة عن غابة وأن النجاح يأتى للانسان الذى يقوم ـ مثل بطله فوترين ـ باستخدام الرجال والنساء كمخالب ويتابع أهدافه الخاصة من خلال حسابات لا تعرف الرحمة..

وفى عام ١٨٢٠ كتب الى صديق له «قبل كل شىء يجب على أن أمتلك سر القوة السحرية.. يجب أن أجبر كل الرجال على اطاعتى وكل النساء على حبى».

واتساقا مع مفهوم القدرة الكلية Ominipotence الذى هو خاصية ملازمة لأشباه الفصاميين فان حياة بلزاك قد كشفت عن بلورة كاملة لهذه الخاصية فلديه الاحساس بالقدرة على فعل كل شىء والحصول على كل شىء لكنه فى نفس الوقت لم يكن راضيا عن أى شىء وكان فى داخله يشعر بتعاسة وكآبة وانعزال شديد.

■ قال بلزاك ذات مرة «**إن رغبتى الوحيدة الشديدة هى أن أكون مشهورا وأن أكون محبوبا**».. وقد حقق بلزاك هاتين الرغبتين لكن ذلك لم يمنعه من اغراق نفسه فى العمل وذلك لأن الشهرة والحب لم يكونا كافيين لملء ذلك الفراغ اللانهائى الذى كانت تتأجج بداخله نيران الحرمان الأولى الخاصة برفض والدته له وبرود مشاعرها تجاهه.

مزاج متقلب:

كانت هناك أدلة على تقلبات مزاج بلزاك.. لقد كان يعتقد أحيانا أنه كل شىء.. وأحيانا أخرى أنه لا شىء، أحيانا يكون فى حالة من المرح الشديد.. وأحيانا فى حالة من الحزن العميق.

وقد كان بلزاك يشير الى نفسه باعتباره «ابنا للتعاسة» وفى سن الخامسة والعشرين وجده أصدقاؤه يقف على متراس فوق كوبرى على نهر السين يحدق فى مياهه الهادئه ـ وقد صرح لصديقه بعد قليل أنه كان يفكر فى الانتحار.

وهذا التضاد والتناقض بين القسوة المتخيلة لدى بلزاك واعتقاده فى امكانية استخدام الارادة لخداع الآخرين واستغلالهم من ناحية ثم مشاعر الشفقة وسلوك الكرم الحقيقى فى الواقع من ناحية أخرى هو أمر نمطى لدى أشباه الفصاميين.. وكما نلاحظ فى الحياة فان الشخص المتسم بالمزاج الاكتئابى غالبا ما يكون رحيما بشكل غير طبيعى ويكون أيضا قادرا على ادراك حاجات الآخرين ـ وتنبعث هذه الحالة فى جانب منها من القلق الشديد النابع من رغبته فى التسرية عن نفسه.. وأن يكون ذا حظوة وصاحب فضل.. وأن يعوض عن فرحه المفقود بأفراح الآخرين.. وهى حاجة لا تنتقص أبدا من الفضائل الايجابية لهذا السلوك.. لكن بلزاك كان يظهر فى كتاباته الجانب الآخر من هذه الفضائل بحيث كان يبدو أحيانا لديه أن المسايرة والتأييد الكامل للقوة والنفوذ هو فقط ما يعنيه وأن الحب والعواطف الرقيقة أما أنها لا توجد أو أنها تستخدم كخطوات أو نقاط ارتكاز يقفز منها المرء الى الشهرة.

■ والقول إن الطموح لدى بلزاك كان مرضيا هو أمر لا يحتاج بالفعل الى التدليل عليه ـ وقد كتب مرة فى صباه على قاعدة تمثال صغير كان يقتنيه لنابليون «ما لم تستطع احرازه بالسيف سأحققه بالقلم».. وكل شىء كان بلزاك يفعله كان أكبر من حدود حياته

وهى خاصية هوسية انبساطية ـ فقد كان ينفق نقوده ببذخ شديد بحيث كان في حالة استدانة دائمة . . وبعض الذين كتبوا عن حياته مثل سومرست موم قالوا بأن بلزاك كان يستطيع الكتابة فقط تحت ضغط الحاجة الى المال ومطاردة الدائنين له . . وقد كان يكتب الى الدرجة التى يبدو فيها شاحبا ويوشك على التداعى ـ وفى مثل هذه الظروف كتب بلزاك بعضا من أفضل رواياته .

ولكن عندما كانت تحدث معجزة ولا يكون واقعا تحت وطأة هذه الظروف . . وعندما يتركه السماسرة فى سلام . . وعندما لا يكثر الناشرون من مطاردته وإزعاجه . . فان موهبته كانت تبدو وكأنها تروغ منه فلم يستطع أن يضع كلمة واحدة على الورق . . ويبدو الأمر هنا كما لو كان بلزاك يستخدم الاستدانة وسيلة وحافزا للكتابة وكان يعتقد دائما بأن الحظ الجيد سيكون حليفه من خلال الكتابة وقد حدث ذلك فعلا لكنه لم يستطع أن يستفيد من الامكانات الكبيرة التى توفرت له . . ويبدو أن خياله الهوسي الملىء بأفكار العظمة قد قام بشكل دائم بتضليل وعود المستقبل من أجل واقعية الحاضر. لقد كان بلزاك دائما على يقين بأن كتابه القادم سوف يغطى تكاليف مظاهر اسرافه الكبيرة التى كانت ـ كما يقول أنطونى ستور ـ محاولات لتعويض نفسه عما كان قد فقده فى طفولته المبكرة . .

إن الشىء الحقيقى هو أن بلزاك قد رسم صورا أدبية كبيرة وجيدة لحالات الخداع والكذب والنفاق والاستغلال التى نجدها فى الحضارة الحديثة ولم يقم بلزاك فقط بسبر أغوار التعاسة والفساد ولكنه كشف أيضا عن المنابع الداخلية فى الشخصية الانسانية .

وقد يصل بعض النقاد الى استنتاج بأن حب الأب جوريو (فى رواية ابنة البخيل لبلزاك) كان ثمرة للرأسمالية مثلما كان بخله كذلك أيضا لكن الشىء الذى يعنينا أكثر هو أن بلزاك لم يستطع أن يقف أثناء ابداعاته عند حدود الحياة المباشرة فقط بل ان خياله النشط قد استخدم خبراته كمواد يسيطر عليها ويعطيها شكلا جديدا ـ وقد كانت شخصياته حية ليس لأنها مشتقة ومحدودة بالظروف التى تعيش فيها ولكن لأن هذه الشخصيات استطاعت أن تمنح بيئاتها توجيهات جديدة ودلالات جديدة .

٢٩ مسودة لرواية واحدة :

لقد انعكست تقلبات مزاج بلزاك فى حياته بشكل كبير لكن أعماله أتسمت فى عمومها بالرؤية المتماسكة والاتجاه المحدد . . لقد تقلب بلزاك بين ملذات العمل وملذات اللهو وقد اتسم سلوكه فيهما معا بالتطرف ـ فعندما كان يعمل كان برنامجه يتشكل على النحو التالى : العشاء فى الساعة السادسة بعد الظهر ثم النوم حتى الواحدة (صباحا) . . والعمل حتى الثامنة (صباحا) . . ثم الراحة حتى التاسعة والنصف (صباحا) . . ثم يتناول قدحا من القهوة ـ ويعمل ثانية حتى الرابعة عصرا . . ومنذ الرابعة حتى العشاء فى السادسة مساء قد يستقبل بلزاك زواره أو يذهب خارج المنزل أو يغتسل ثم تبدأ الدورة ثانية .

وقد كان بلزاك يستطيع أن يحافظ على هذه الدورة لعدة أسابيع وأثناء حالة العمل يتناول القليل من الطعام والشراب ـ ولكن هذه الفترات المقتصدة فى الطعام يتم استبدالها فيما بعد بحفلات صاخبة يستطيع بلزاك أن يفرغ فيها فى جوفه أربع زجاجات من شراب الفوفرى . . كما أنه يلتهم بنهم إلى حد الامتلاء والتخمة كميات كبيرة من محار البحر وشرائح اللحم .

ومن الأشياء النمطية المعروفة عن انبساطية بلزاك القريبة من الهوس أنه قد أتخذ لنفسه شعارا غير شعار أسرته . . كما أنه أضاف الى اسمه المقطع (دى) ليكون (أونوريه دى بلزاك) رغم عدم وجود هذا المقطع فى أسمه الأصلى . وذلك حتى يظن الناس أنه ينتمى الى عائلة نبيلة ـ بله كان يرتدى ملابس فاخرة تماما . . وقام بتأثيث بيته بشكل يدل على الثراء الفاحش الذى لم يكن حقيقيا فى واقع الأمر .

وقد كان بلزاك يتكلم كثيرا ورغم أنه كان كريما ومضيافا ومسليا فانه كان يكون فى أحسن حالاته عندما يجلس على الأرض . . ورغم أنه كان يقوم بعمله بطريقة شاقة وعنيفة فانه نادرا ما كان يفى بالتزاماته ومواثيقه ـ وقد كان هذا يرجع فى جانب منه الى أنه كان يقوم بتصحيح واعادة تصحيح مخطوطات روايته عدة مرات . . وقد كان هناك تسع وعشرون مسودة لروايته (بيريتا) . . وقد كان بلزاك يخترع حكايات مبالغ فيها حتى حول ممتلكاته وأشيائه المنزلية ـ فالخاتم الذى أعطى له فى فيينا قال بأنه كان مسروقا من ملك المغول . . وقهوته التى يحتسيها كانت تحتاج بصفة خاصة أن تكون من تركيبة فريدة . . وقد أكد أن

الشاى الذى كان يتناوله كان جزءا من هدية قدمها امبراطور الصين الى امبراطور روسيا ـ وقد قام على رعاية نباتات الشاى كبار الموظفين فى الصين ـ وقامت العذارى قبل الفجر بقطف أوراقه ثم حملته مع أغنية خاصة والقينه عند أقدام الامبراطور. . وقد كانت عصا المشى التى يعتمد عليها بلزاك مطعمة بالجواهر الثمينة.

■ عندما مات فى الواحدة والخمسين كان مدينا بحوالى ٨٣٥٠٢ فرنك رغم أن ممتلكاته الثمينة كانت تقدر بضعف هذا المبلغ. . ويوضح أنطونى ستور أن الميكانزم الدفاعى الهوسى يكمن فى حقيقة الأمر فى أن يعمل لفترة طويلة من أجل حماية الفرد ضد الاكتئاب الذى هوخاصية أساسية تكمن وراء الهوس والتظاهر بالمرح فاسراف بلزاك وافراطه وبهرجته وزهوه وتكبره وعاداته كانت لها محاولات لتقوية عاطفة اعتبار الذات لديه. . والجهد الهائل للأعمال الكبيرة التى لم تكتمل لديه كان مرتبطا بتصورات خيلائية تتصف بالميل نحو العظمة ـ فبعض الكتاب يكتفون بالكتابة عن قطاع صغير من المجتمع وقد يفشلون اذا خرجوا عن هذا القطاع وكتبوا عن غيره، أما بلزاك فأخذ على عاتقه الكتابة عن المجتمع ككل. . عن الحالة الانسانية الكلية باعتبارها موضوعه الخاص والكوميديا الانسانية التى هى عمله الكبير ـ ما حاولت أن تعبر عن هذه الحالة.

وقد كان بلزاك يقول «**باستطاعتى أن أحمل مجتمعا بأكمله فى ذهنى**». . وقد توفرت لبلزاك معرفة فنية مدهشة تقوم على أساس الملاحظات التفصيلية للواقع. . وعندما كان يصف كيف كانت الطبقات الفقيرة تعيش. . أو كيف يعمل المرابون. . أو يقوم الصحفيون بأعمالهم. . فان المرء منا لابد وأن يتوفر لديه اليقين بأن بلزاك كان يعرف جيدا ما يكتب عنه. . وقد توفر لديه حب كبير للحقيقة. وقد كان خياله شديد الخصوبة لكنه كان خيالا يستمد جذوره من أرض الواقع الخصبة. وقد كانت شخصياته تكثيفات وتضخيمات لمظاهر الواقع المحيطة به.

ويقول انطونى ستور «إن كون شخصيات بلزاك أكبر مما هو متاح فى الواقع هى سمة من سمات التضخيم الهوسي لكن هذا التفسير فى واقع الأمر ليس هو التفسير الوحيد الذى يمكن طرحه لفهم ما فعله بلزاك».

فكما يقول «البيريس» فى كتابه (تاريخ الرواية الحديثة) إن الرواية عرفت فى ذلك الوقت اغراء الكلى أى ملحمة «الحياة» وسجلها الحياة الكلية ذات الأشكال العديدة التى لا تقاس. . وهذه الرواية «الكلية» التى هى أكبر أحلام العصر ـ توازى حلم العلم الكلى (لدى تين). . وحلم التقدم الجبرى (ميشليه وريتان). . ووحدة الفكر (هيجل). . وهى تعود فى جذورها من الناحية التاريخية الى ولتر سكوت.

فهذا المؤلف المجد البارد بعض الشىء فكر فى أن يجمع «كل المطامح المشتتة للرواية وكان الموحى لمنزونى وبلزاك». . اذن فالميل للكلية والرواية الكلية الشاملة كانت خاصية فرضتها طبيعة التطور فى فن الرواية وهو تطور حاول أن يكون مواكبا لشكل الحياة ونزعتها نحو التفتح والكلية والاستطلاع والمعرفة الشاملة ـ وهى نزعة ميزت الفكر فى أوربا فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الى حد كبير ـ وقد كان بلزاك أحد كبار الممثلين لهذه النزعة. وكما كتب «بودلير» فانه: «من قمة الارستقراطية الى المستوى الادنى للدهماء ـ كان كل الممثلين فى الكوميديا الانسانية أكثر اندفاعا نحو الحياة. . وأكثر عنفا ومكرا فى صراعاتهم. . واكثر معاناة من الحظ العاثر. . واكثر شراهة فى ملذاتهم. . وأكثر ملائكية فى تضحياتهم من تلك الأفعال التى يمكن أن نشاهدها فى كوميديا الواقع الحقيقي».

لقد دافع بلزاك كما يقول «جورج لوكاتش» عن التكامل والتكافل الانساني وعن سلامة الانسان فى المجتمع الرأسمالى الكبير الذى بدأ فى فرنسا خلال نهضتها الحديثة. . وقد رأى بلزاك أن هذا التطور رغم ما

● ارنست رينان

● موروا

يشتمل عليه من تفكك وتحلل للفرد فانه يمثل مستوى أعلى من التطور مما كان متاحا أثناء النظام الاقطاعي أو شبه الاقطاعي الذى كانت تتم عملية تقويضه والقضاء عليه. . وقد رأى بلزاك أن هذا التقدم قد جلب الانعزال والانحلال للانسان وباسم الدفاع عن وحدة الانسان وتكامله شعر بلزاك بالكراهية تجاه هذا التقدم.

■ إن رؤيته الاجتماعية والسياسية الواعية تمثل هذا التناقض غير المحلول لدى بلزاك المفكر، فمن خلال دراسة وتمثيل العالم بواسطة واقعية موضوعية أصيلة لم يصل بلزاك فقط الى القيام بعملية انعكاس دقيق لجوهر عملية التقدم بما تشتمل عليه من مظاهر ايجابية وسلبية ثم انعكاس ذلك على عمله، وانما حفر بعمق فى اغوار ذاته لسبر جذور انفعالات الحب والكراهية لديه. وقد كان بلزاك المبدع بشكل عام يرى أفضل وأعمق من هؤلاء المفكرين السياسيين اليمينيين. وقد كان قادرا على تحديد التناقضات الكامنة فى قلب النظام الاقتصادى الرأسمالى وكذلك المشكلات المصاحبة للحضارة الرأسمالية.

■ المسألة اذن ليست هى تربية بلزاك المبكرة وحرماناته واحباطاته ورغباته المبكرة غير المشبعة فهناك الالاف من البشر الذين يمرون بمثل هذه الخبرات، فالعوامل النفسية العقلية المزاجية والتربوية كلها تتفاعل فى تكوين وعي الفنان - لكن هناك أيضا خياله وطموحاته وقدراته الخاصة واللحظة التاريخية التى يعيشها الوسط الحضاري والثقافى الذى ينشأ فيه يصدق هذا فى حالة الفنان الانبساطى مثل بلزاك كما يصدق فى حالة الفنان الانطوائى مثل كافكا وتفصيل ذلك يتطلب منا أن نولى كافكا بعض الاهتمام الذى قمنا به بالنسبة لبلزاك.

كافكا: الخوف من الماضى:

تشتمل كل أزمة نفسية كما يقول ايريك اريكسون على مكونين أحدهما ايجابى والآخر سلبى، واذا كان الصراع الذى يمر به الفرد ذا طابع يرضى حاجات الفرد وكان لهذا الفرد تاريخ من الانجاز الفردى فان المكون الايجابى للأزمة (أى الثقة الأساسية والاستقلال) يتم امتصاصه بشكل جيد فى الذات الناشئة المتنامية الى حد كبير ثم يتم تطويره بعد ذلك بشكل صحى. . ويحدث العكس اذا كان الصراع يستمر أو ينحل بشكل غير مقنع وغير مشبع لحاجات الفرد وأن الذات النامية قد يتم تدميرها. . ويتضخم الدور الكبير الذى يلعبه المكون السلبى للأزمة والصراع (أى عدم الثقة والخجل والشك) فى تشكيل الشخصية فيما بعد.

إن الطفل الانساني يولد فى خضم هذا العالم وهو لا يمتلك قوة دفاع ذاتية وهى فى حالة تجعله حساسا معرضا للأذى من الناحيتين الجسمية والعقلية واذا تم اشباع حاجاته الأساسية بشكل جيد فانه يكتسب الثقة والاحساس بالأمان - وهذا ما دعاه ايريكسون بالاحساس بالثقة الأساسية Basic Trust.

أما اذا لم تشبع حاجات الطفل بشكل جيد - أو كانت تشبع فى البداية ثم حرم منها بشكل مفاجىء كما فى حالة موت الأم أو تركها لطفلها مثلا أو قسوة الأب فانه من المحتمل أن يكون الطفل بداخله احساس بعدم الثقة فى البشر بحيث يشعر أنه من المثير للخطر بالنسبة له أن يكون علاقات أخرى مع الناس ما دامت العلاقات التى يكونها يتم قطعها وتؤدى الى حرمانه من الاشباعات التى كان يستمتع بها معهم. بمعنى آخر: إن الاحساس الخاص بكون المرء محبا ومحبوبا عادة ما يكون محاطا بمشاعر القلق والخطر. . وعادة ما يحدث أن يتجنب هؤلاء الافراد فى مرحلة الرشد اقامة علاقات عاطفية كاملة أو مستمرة حيث إن العلاقات العاطفية أيا كان نوعها ترتبط باعطاء معنى للحياة. . وهؤلاء الأفراد يميلون فى حالات كثيرة الى رؤية الحياة على أنها لا معنى لها ما داموا يفتقدون فيها بشكل دائم العلاقات العاطفية الجيدة - ومن ثم يميل هؤلاء الأفراد الى البحث عن معنى للحياة فى الأشياء وليس فى الأشخاص - وهى حقيقة تبدو شديدة الارتباط بالابداع.

■ الشيء اللافت للنظر أنه بينما حرم بلزاك من عطف أمه وحدبها عليه وقد اتسم سلوكها كثيرا بالقسوة حياله فان كافكا قد عومل كثيرا بقسوة من قبل والده - فكثيرا ما عنفه وضربه ووضعه فى شرفة المنزل حتى يمنعه من البكاء أو احداث الضوضاء ليلا وفى الأجواء الباردة. . وظلت ذكرى هذه الأيام المبكرة تحوم فى ذاكرة كافكا وكتاباته - وقد تضخمت لديه صورة أبيه لتصبح بديلا رمزيا لكل صور السلطة التى شعر بالانسحاق أمامها وأراد أن يهرب منها متحولا الى حشرة كما يبدو ذلك فى قصة «المسخ» إنها رغبة داخلية فى الاختفاء والانزواء والهروب من عالم شديد القسوة يحاصر الفرد ويضطهده ويقلب حياته جحيما.

وفى الكثير من أعماله الروائية يصف كافكا هذا العالم الكابوسى الغريب . . ففى رواية «المحاكمة» يصف كافكا كيف تم القبض على «جوزيف . ك» وأخذ متهما بجريمة لا يعرف عنها شيئا ـ وكيف تتم عملية احضاره ومحاكمته امام محكمة غريبة شديدة الغموض تعكس غرابة وغموض العالم النفسي والاجتماعي الذى عاناه كافكا وأراد أن يصوره بشكل رمزى، وكما يقول «ماكس برود» كاتب سيرة كافكا: فان كافكا حاول أن يصف أباه فى خطاب كتبه له وهو فى السادسة والثلاثين وقد حمل كافكا أمه خطابا الى أبيه الذى لم يستلمه بيد أنه كان قد كتب منه نسختين ارسل واحدة منها لأمه وترك الأخرى حتى اكتشفها ماكس برود ونشرها عام ١٩٤٨ . . فى هذا الخطاب يصف كافكا علاقته بأبيه الذى كان يشعر بقوته الكبيرة وضعفه ازاءه وعدم كفاءته . . ومشاعر ذنب غير معقولة عانى منها بسببه، وقد كان كافكا يشعر بأن ذاك هو ضعفه الخاص . . طبيعته الخاصة مثل طبيعة أبيه المتعجرف المغرور الذى قام بمحاولات كثيرة لمنع زواجه من (فيليس باور) التى أحبها كافكا واستمرت علاقته بها مدة طويلة وان كان اغلبها من خلال الخطابات، وهى علاقة شبيهة مع الفارق بعلاقة بلزاك بمدام «دى بيرنى» التى كانت أكبر منه فى السن بسنوات كثيرة بل اكبر من ام بلزاك أيضا لكنها كانت تمثل العواطف والمشاعر التى حرم بلزاك منها فى طفولته المبكرة.

وبشكل عام وغير قابل للاستبعاد أو الازالة فان والد كافكا بدا له عملاقا ضخما قويا لا يقاوم بينما كان يرى نفسه أمام أبيه ضعيفا خائفا هشا.

■ ومن المقاطع التى جاءت فى رسالته الى أبيه التى افترض كافكا وتخيل وكتب بداخلها بعض الردود التى توقع أن يجيب بها أبوه على تساؤلاته واستفساراته ما يلى:

«اعترف بأننا قد صارعنا بعضنا بعضا، لكن هناك نوعين من الصراع: هناك أولا صراع الفرسان حيث يختبر فارسان خصمان قوة بعضهما البعض. . كل واحد منهما يقف على أرضه ويفقد كل شىء أو يكسب كل شىء لنفسه. . ثم هناك ثانيا صراع الطفيليات والحشرات الضارة التى لا تكتفى بالعض ولكنها أيضا تمتص الدماء التى تعيش عليها. . انها فى الواقع تمثل الجندى المرتزق وهذا ما أنت عليه بالفعل، انك لم تستطع مواجهة الحياة لكنك من أجل أن تضع نفسك فى حالة من الراحة وتنعم بالسكينة وتتخفف من المسؤولية ولوم الذات أو تأنيب الضمير تحاول أن تثبت أننى قد سلبتك قدرتك على مواجهة الحياة ووضعت هذه القدرة فى جيبى».

وفى مقطع آخر كتب كافكا عن فشله فى اتمام زواجه وفسخ خطبته وقام بمقارنة نفسه بأبيه، فهو لا يمتلك أى شىء بينما يمتلك أبوه كل شىء.

«إن العقبة الرئيسية أمام زواجى هى ذلك الاعتقاد والذى لم استطع لمدى طويل من الزمن ان استأصله من نفسى وهو أنه اذا كان على المرء أن يحتفظ بأسرة يكون على رأسها فإن ما هو ضرورى فى هذه الحالة هو ما أعرف جيدا أنك تمتلكه، أى كل شىء معا فى نفس الوقت. . الأشياء الجيدة والسيئة المتحدة بداخلك بطريقة عضوية من خلال القوة واغراء الآخرين. . الصحة وبعض الافراط. . الفصاحة والتحفظ. . الثقة بالذات وعدم الرضا بالنسبة لأى شخص آخر. . الاحساس بالتفوق على العالم واستبداد المعرفة بالعالم وعدم الثقة فى أى شخص فيه. . المزايا والعيوب المرتبطة بها كما هو الأمر فى الصناعة: قوة التحمل، حضور الذهن والشجاعة، وفى مقابل هذه الخصال لا أمتلك أنا فى الغالب أى شىء منها.

عالم غامض أو بارد:

هذا الاحساس الشامل بالضعف والخوف وعدم الجدارة ظهر فى العديد من كتابات كافكا وفى مذكراته أيضا. فقد كتب كافكا فى مذكراته بتاريخ ٣ شباط ١٩٢٢ يقول: «إننى عاجز تماما عن النوم، تعذبنى الأحلام وتقض مضجعى كما لو كانت تنبش باظافرها بداخلى بحثا عن مادة صعبة عسيرة المنال مطمورة هناك فى الأعماق، إن هناك ضعفا ونقصا خاصا بى يكمن بداخلى، إنه واضح ومميز بدرجة كافية لكنه يصعب وصفه، انه مركب من الجبن والتحفظ والثرثرة وانكسار القلب ـ ومن خلال ذلك أحاول أن أحدد شيئا خاصا بى، ان مجموعة عوامل النقص التى أعانيها والتى تتجمع معا لتقوم بتشكيل مكون واحد بارز وواضح للنقص الذى أعانيه (والذى لا يستطيع أن يفعل شيئا فى مواجهة النقائض المثيرة للأسى مثل الكذب والتفاهة)، هذا المكون هو ما حفظنى من الوقوع فى براثن الجنون ولكنه منعنى أيضا من القيام بأية مبادرة أو حركة للأمام، ولأنه حفظنى من الجنون فقد قمت بتهذيبه وتشذيبه. . وبعيدا عن الخوف من الجنون فقد ضحيت بكثير من الفرص التى أتيحت لى وقد كنت الخاسر بالتأكيد فى

كثير من الصفقات لانه ليس من الممكن عقد أية صفقات أو اتفاقيات عند هذا المستوى من الخوف - وبالاضافة الى ذلك فان هذا التراخى والكسل لم يمنع أو يتداخل مع العمل الشاق الذى كان يتم ليلا ونهارا لتحطيم كل عقبة ولاضاءة الطريق - وبالنسبة لهذا الأمر فاننى أكاد أن أصاب بالجنون، لأنه كلما تقوم بمغامرة أو حركة يجب أن تكون لديك الرغبة فى القيام بذلك وانا لم تكن لدى مثل هذه الرغبة من قبل» . . إن اعمال كافكا المختلفة مثل (المحاكمة) و(القلعة)، (امريكا) و(التحولات) و(المسخ) والرسائل والمذكرات ومستعمرة العقاب وغيرها يبدو العالم فيها باردا غامضا مهددا للذات الضئيلة المحاصرة الهاربة الخائفة التى تهاجمها أشباح شيطانية ويحيط بها العبث من كل جانب.

كافكا ضد بلزاك:

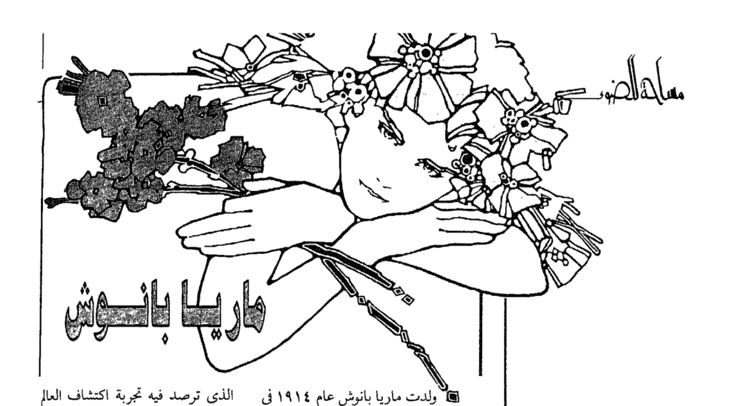
قلنا إن بلزاك من ناحية التركيب الجسمى شبيها بالنمط المكتنز Pyknic الذى يتسم ببنيان جسمى قوى. . ووزن كبير. . وحب كبير للحياة وشراهة فى عب ملذاتها، أما كافكا فكان أقرب الى النمط الواهن أو النحيل Asthenic وصاحبه يتميز ببناء جسمى ضعيف طويل يصفه كرتشمر بأنه «يعانى من نقص نمو (الثخانة) فى جميع أجزاء الجسم والوجه والعنق والجذع والأطراف وفى الانسجة كافة. . الجلد والدهن والعضلات والعظام والجهاز الدورى كله. . وهو عموما شخص نحيف ضيق البناء يبدو أطول مما هو عليه. . ضيق الكتفين تتدلى منهما ذراعان نحيفان من عضلات رفيعة بين عظام رقيقة وصدر مستو طويل ضيق نستطيع أن نعد الأضلاع من خلاله».

■ إن هذه احدى صور التناقض بين بلزاك المكتنز وكافكا النحيل، لكن هذه مجرد ملاحظة عابرة، الشىء الأكبر أهمية هو تلك الخصائص السيكولوجية التى ميزت هذين الكاتبين المهمين، فبلزاك حرم من عطف أمه وكافكا عومل بقسوة من خلال أبيه - أى حرم من عطفه أيضا، لكن الحرمان من الأم أدى ببلزاك الى الاتجاه للخارج - للعالم الذى حرم منه وأراد أن يشبع نهمه وجوعه الأبدى له. . وأراد أن ينال كل متعة حسية حرم منها فى الطفولة بشكل مضاعف فى مرحلة اليفاعة والنضج. . أما كافكا الذى واجهه العالم بقسوة أبيه فربما نتيجة لإحساسه بالصراع بين قسوة أبيه وعطف أمه التى تبدو كثيرا غائبة عن الصورة فضل الاتجاه الى الداخل، الى عالم الباطن أكثر.

■ إن بلزاك انبساطى المزاج انبساطى الكتابة وكافكا انطوائى المزاج انطوائى الكتابة. ونحن لا نقول هنا بأن هناك علاقة مرآوية مباشرة بين المزاج السيكولوجي الداخلى والكتابة بوصفها فعلا ابداعيا خارجيا لكنها على الأقل موجودة بشكل واضح لدى هذين الكاتبين.

انبساطية بلزاك جعلته يفضل الاتجاه نحو العالم الخارجى يأخذ منه شخصياته وتكون هذه الشخصيات فى أعمال بلزاك كثيرة ومتنوعة - اتجاه العين الابداعية الراصدة. . هنا يسير من الداخل الى الخارج حيث توجد شخصيات كثيرة تتحايل على الحياة. . تحبها وتكابدها. وتعانى عنف المشاعر. . وتعبر بشكل صريح عن مشاعرها واحلامها واحباطاتها - بعكس كافكا: فالعالم الخارجى لديه غامض وغارق فى الكآبة والعبث وتحيط به الظلال الكآبيّة المهددة من كل جانب. . وبينما توجد فى أعمال بلزاك شخصيات كثيرة تتفاعل معا فانه توجد فى أعمال كافكا بصفة عامة شخصية واحدة محورية خائفة ومبتعدة. . منطوية ومنسحبة.

فالعالم الخارجى يخيفها ويحبطها فتندفع نحو الداخل وتغرق فى الأحلام والأوهام والتهويمات والكوابيس والهلوسات والخداعات البصرية والسمعية - أما الشخصيات الأخرى فلها أدوار ثانوية أو انها تعمل على تضخيم الحالة وتجسيم الدلالة. . ان العين الابداعية الراصدة لدى كافكا تتجه من الخارج الى الداخل بعكس عين بلزاك الراصدة التى تتجه من الداخل الى الخارج. . بالطبع توجد تفاعلات لدى الكاتبين بين عالمي الداخل والخارج - لكن كمية الباطن الداخلى أكثر فى حالة كافكا بينما كمية الواقع الخارجى أكبر فى حالة بلزاك. . لقد حاول بلزاك أن ينقذ المجتمع أما كافكا فحاول انقاذ الفرد. . والتصميم الفنى لدى بلزاك هو تكوين انتشارى أوركسترالى يقوم على أساس توزيع الأدوار على أكبر عدد من الأفراد يساهمون جميعا بأدوار متفاوته فى حمل كلية العمل، مثلما يساهم أعضاء الفرقة الموسيقية فى تنفيذ مقطوعة أوركسترالية. . أما التكوين أو التصميم الفنى لدى كافكا فهو تكوين مركزى أو انفرادى أشبه بالعزف الانفرادى حيث تقوم الشخصية الوحيدة المنفردة المنعزلة الخائفة بتنفيذ مقطوعة خاصة بلحن مأساوي حزين.



ماريا بانوش

شاعرات من رومانيا

ترجمة: محمد نبيل محمود

مراجعة: فاسيلي برونا

■ ولدت ماريا بانوش عام ١٩١٤ فى بوخارست ودرست القانون والآداب.. ونشرت أولى قصائدها فى سن الرابعة عشرة فى مجلة بيليت دى باباجال.. وكان شعرها المبكر النضج حسيا، وقد واتاها النجاح بديوانها الأول «أرض الفتيات الصغيرات» الذى ترصد فيه تجربة اكتشاف العالم عن طريق الحواس. وفى حياتها التالية أصبحت شاعرة حب ناضجة، وامتد حنوها ليشمل دائرة الحرب ثم معاناة المعدمين. وترجمت شعر جوته وريلكه وايلوار إلى الرومانية.. ونشرت ما يزيد على خمسة عشر ديوانا ومسرحيتين.

حلم مع ملاك

يحدث الأمر كله مشوباً بالرسميات
ها أنا أعبر الجسر، مسقطة عملة نحاسية
فى راحة ضابط الجمرك المتعاظم
ويأخذ فى تفحص أمتعتى.

●●●

ـ ماذا تحملين فى تلك الحقيبة؟
ـ دفترا للصور
ـ صور من أى نوع؟ إن شعرك رمادى
ويتفرس فى بتشككك.

●●●

ببرودة فاتكة شعرت
ذكرى، بومة، تأتى طائرة من فوق الأرض
وتمزق صدرى بمخالبها.

●●●

الآن سيسجلوننى فى قائمة المختلين عقليا،
فلا أليق بالفردوس.
وعبر الجسر توجد غرفة الغاز
للمجنونين والمرضى.
وأتمتم: ليس الأمر كما تظن
فلدى تصريح بأن أصير طفلة حينما أريد،
وأن أستحم فى ضياء الغسق.
وفى الوديان الضيقة الزرقاء
وفى ضجيج الليل الذى يشبه رخات السكاكين،
لأننى أديبة.

●●●

ماذا سيئول إليه أمرى، أنا ودفتر صورى؟
أمسكه وأقربه منى
وأرتعش، والعرق يغمرنى،
وأقف هنالك منتظرة
على حافة النوم

شعر:
ماريا بانوش

الصوت الأكثر نقاء فى الشعر الاسبانى الحديث

«خوسي يرو»



■ ولد «يرو» فى مدريد عام ١٩٢٢م وقضى معظم حياته عاملا فى الاذاعة الوطنية الاسبانية معدا للبرامج الثقافية والأدبية.

يقرن اسم «خوسي يرو» عادة بأسماء شعراء أسبان آخرين لا يقلون عنه أهمية وشهرة مثل: بلللاس دى وجابريل ثيلايا وأبو خينيو.

ويتميز الشاعر «خوسى يرو» بتواضع جم، فحين أخبر بنبأ منحه الجائزة الوطنية للشعر قال: إننى أعتقد بأن هناك شعراء آخرين لهم أعمال أدبية تفوق أعمالى أهمية..

وأصبح صوته مميزا بين الشعراء فقد قال عنه الشاعر «خوسى جوبتيولو» بأنه «الصوت الأكثر نقاء ووضوحا وتجديدا، إنه صوت حوارى ذو مستوى غنائى عال» وقال عنه «ديو نيسيوكانياس» فى «شعر يرو» ينصهر التقليد بالحداثة، اللغة التقريرية المباشرة باللغة الحوارية مع قوة تصويرية، ويحاول من خلال هذا الصهر أن ينقل الى القارىء شحنة عاطفية موجهة نحو التجديد الشعرى للشعور الجوهرى للانسان».

ومن دواوينه «ما أعرفه عن نفسى» وهو ديوان يحاول فيه الشاعر أن يكتشف من خلاله نفسه، فشعره أشبه ما يكون بالترجمة الشخصية، ويعد شعره بشكل عام بمثابة شهادة حية على عصره وظروف هذا العصر:

يبدو أنى أسير على الأرض
أحضر مراسيم دفنى الخاصة
إننى معلق فى الحاضر
مثل عين عظيمة
تتأمل الحياة التى بنت عشها فى جسدى
وأنا من خارج لحمى،
أراه بغير تأثر

■ ويعد «يرو» من شعراء الأوزان التقليدية على الرغم من إضافاته الجديدة فى هذا المضمار، وهدفه الأساس فى قصائده الشعرية هو كسب عاطفة القارىء وجذب انتباهه، وكانت الدقة والوضوح والبساطة واللغة الأقرب الى الحديث اليومى هى مميزات الخطاب الشعرى «لخوسي يرو» وهذه نفسها كانت مميزات شعر كبار الشعراء.

وعن تأثيرات الشاعر «يرو» يجد النقاد فيه صدى للعديد من الشعراء والأدباء سواء منهم الأسبان أو الأجانب مثل شعراء جيل «٢٧» الأدبى.

ملاحة بلا حركة

خوسي يرو

لأول مرة أو لآخر مرة
أنا حر
شجيرات بأشواك من عاج
أحجار صدئة
الخريف ينشر ألوانه
بمواجهة هدير الأمواج
لأول مرة أو للمرة الأخيرة

* * *

النوارس تنشد مزاميرها الراعدة
أصابع خضراء تغرق القمر فى نور بحرى
وتركنه إلى جانب الصمت
تهيأت امرأة وكشفت عن أنوارها المضاعفة
وعند الهرب باعدت ما بين خطواتها
رمل مضىء من النجوم
لأول مرة أو للمرة الأخيرة

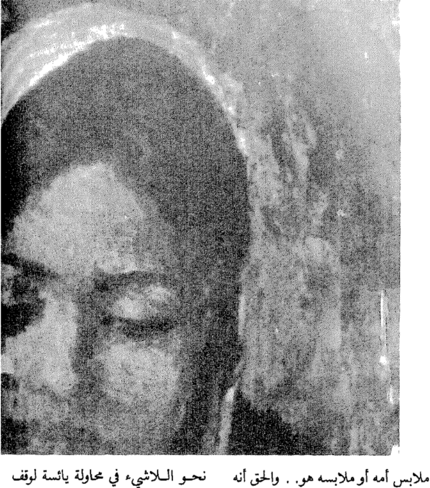
* * *

مقص ذهبى فى الغروب
يشتعل كمان منشد
فى هيكل البحر
مخالب الغيوم تخنق الأزرق
وتجعله يئن

* * *

عيون محدقة فى كنزها
حاضر لا يتحرك بلا ذكريات
بلا أهداف، أنا الآن.
كله خاضع لنظام
لا أفهمه أنا، غير أننى أركب البحر
وبعد ذلك فى الباخرة سيقول لى البحار نشيده
من غيبوبته
لأول مرة
أو للمرة الوحيدة، أنا حر

قصة قصيرة





المنجم

للكاتب السويسري: موريس مترال
ترجمة: لطفي عز الدين

منذ أن بدأ «ستيفن» يعي، وهو يخاف تلك القوة الرهيبة التي ملكت مدينة سيون الصغيرة وسكانها العشرة آلاف. وهو لا يزال يذكر جيداً أيام أن كان طفلا يحملق في اندهاش في تلك العجلة الحديدية الضخمة التي تقف عالية كأنها تؤكد سيطرتها المخيفة على حياته. كان يرى في تخيلاته الطفولية هذه العجلة وقد أمسكت به وأخذت تدور وتدور وترسم الدوائر حتى يفقد الاحساس بكل شيء. وحين كان يرى مئات الرجال آتين من الطريق الصاعد إلى المنجم وقد اسودت وجوههم وأيديهم كان يزداد رعباً.. إذن فهذا ما تفعله العجلة في الرجال.

■ كان معتاداً على رؤية الوجوه القذرة فأبوه كان يعود الى المنزل وتراب الفحم على وجهه ويديه، وكانت ملابسه على الدوام لها رائحة تختلف عن رائحة ملابس أمه أو ملابسه هو. والحق أنه في البداية لم يكن يفكر في هذا الفارق بل كان يجد الراحة في ذراعي أبيه القويتين وهما تحتضنانه بينها يدس وجهه في ملابس أبيه ويشعر بالسعادة لصوت قبلته على خده النظيف.. وفجأة فهم كل شيء.. المنجم.. وأباه.. فهم لماذا يبدو على أبيه كل هذا التعب حين يأتي إلى المنزل لتناول الشاي.. أدرك سر كتفيه المتدليتين المتعبتين ووجهه المرهق المتسخ.. لقد فعلت العجلة به كل هذا.

واختلط المنجم بكل كابوس رآه في طفولته، كان يحلم فيرى العجلة تجذبه إليها ببطء وهو عاجز حيال قوتها، تشده إلى أسفل، ثم إلى أسفل إلى باطن الأرض. ويشعر كأنه في منتصف الطريق بين سطح الأرض وقاع البئر يهبط بالتدريج إلى الأعماق، يمد يديه نحو اللاشيء في محاولة يائسة لوقف القفص الهابط إلى أسفل، وعندئذ يستيقظ فجأة فيجد الظلام يحف به من كل جانب فيظن أنه في قاع المنجم وأن هذا السواد ليس إلا الفحم الصلد فيمد يديه ليتحسس ملمسه فلا تلمسان شيئا وعندما يحل النور محل الظلام يجد نفسه في سريره وقد تكومت الاغطية على أرض الحجرة بعد أن أزاحها بيديه حين كان يحاول في الحلم وقف هبوط القفص. ويستمر راقدا ينساب العرق البارد على كل جسمه ويحاول عقله أن ينسى تلك القوة البشعة التي تجذبه الى باطن الأرض ولكن ما أن يغلق عينيه حتى يرى ظلام المنجم مرة أخرى ويعاوده نفس الحلم ويظل هكذا لا يأتيه النوم حتى يرهقه الرعب والفزع.

واستمر ستيفن طوال فترة حداثته



أسير تلك العجلة الكبيرة ويتمنى لو اختفت ليوم واحد، ولكنها ظلت على الدوام مكانها لا سبيل للفكاك منها.

كان إذا استيقظ فى الصباح وتساءل عما إذا كان الجو صحواً لدرجة تسمح بلعب كرة القدم أثناء فسحة الظهيرة وأخرج رأسه من النافذة ليرى السماء، كان أول ما يصدم عينيه هو تلك العجلة الضخمة في أعلى المنجم.. وعندئذ كان ينسى الطقس واللعب.

■ المنجم.. فى يوم من الأيام سيدعوه المنجم كما يفعل مع كل الرجال الآخرين فى مدينة ـ سيون ـ وستقذف به العجلة إلى باطن الأرض.. لو أن لديه الشجاعة لوقف بثبات وأعلن أنه يرفض النزول إلى المنجم ولكنه كان يعلم أنه لن يكون شجاعا لهذه الدرجة.

وكلما كبر ستيفن كبر الخوف معه، وتحول ظل المنجم من خوف طفولي إلى رعب وفزع مميت كل ما في الأمر أن الرعب قد اختبأ في داخله ـ أليس كل شيء على سطح الأرض هادئاً، أما ما يدور في باطن الأرض فمختبيء لا يراه أحد.. كان يتعجب حين تغوص أقدامه في الحشائش الخضراء أثناء سيره على سفح التل، لما يدور على بعد مئات الأقدام تحت قدميه كان يتخيل ساعتها حوائط الفحم وقد وقف بجوارها عمال المناجم الكبار الأقوياء لا حول لهم ولا قوة.. وحين كان يغلق عينه بحركة غريزية كان يشعر على الفور بأن ضوء الشمس قد ذهب والظلام قد أطبق عليه من كل جانب، ظلام كذلك الذي يملأ قلب المنجم فيشعر ـ من الرعب ـ أن حلقه قد جف وتشقق.. فيحاول الهرب من هذا الظلام الخانق فيفتح عينيه ليرى ثانية ذلك الغول الكبير.. العجلة تقف كعهدها في أعلى المنجم لتجدد مخاوفه مرة أخرى.

لو أنه كان شجاعاً لدرجة تجعله يرفض أن يكون عامل منجم! ولكنه يعلم أنه لن يكون شجاعاً.. لهذا الحد، فإن سكان ـ سيون ـ يعتقدون أن أفضل الأشياء هو أن تكون عامل منجم فهذا ما تتفاخر به النساء عن رجالهن.

سيقولون عنه أنه جبان وربما كانوا على صواب فى هذا، ومع ذلك فقد كان يعرف أنه حين يأتي الوقت فسيذهب هو الآخر إلى المنجم.

ولقد بدأوا بالفعل يتكلمون في المنزل في هذا الشأن وقالت أمه: « ليس بعيداً ذلك اليوم الذي تنتهي فيه دراسة ـ ستيفن ـ ويلحق بأبيه في المنجم، سيعجبه طبعاً أن يكسب بعض النقود لنفسه».

نقود! إنه يفضل أن يموت جوعاً ولا ينزل إلى المنجم.. ولماذا يذكرونه بحديثهم؟ ألا يكفي وجود المنجم نفسه.

حتى في الدراسة لم يكن يستطيع الهرب من المنجم فقد قام ناظر المدرسة ظنا منه أنه لابد من إعداد الصبية لحياتهم بعد الدراسة قام بتنظيم محاضرة سماها: «يوم في حياة عامل منجم» شرح فيها عملية قطع الفحم ثم وضعه في العربات ثم رفعه في النهاية إلى السطح، وعرض الأستاذ لوحات تظهر الرجال النائمين على ظهورهم وهم يقطعون الفحم وتصف بطولة أولئك الذين يغامرون بحياتهم من أجل إمداد العالم بالفحم.

وظن الاستاذ أن محاضرته قد



نجحت إذ لاحظ اهتمام التلاميذ بما يقول، كما لاحظ هدوءهم ويقظتهم ولم يدرك أن هذه اليقظة إنما كانت ليتصيدوا له الخطأ، لا ليستفيدوا من المعلومات التي أراد أن يقدمها لهم.

ولكن المحاضرة تركت آثارها على ولد واحد على الأقل إذ عمقت لدى ستيفن كل ذلك الرعب المميت الذي كان يشعر به عند قمة المنجم.

وسار ستيفن بعد انتهاء المحاضرة وإغلاق المدرسة، سار وحده عائداً إلى منزله فلم تكن له رغبة في مصاحبة الأولاد الآخرين إذ كان يعلم أن حديثهم سيكون حديث الفخر عن ذلك الوقت الذي يكبرون فيه لدرجة تسمح لهم بالنزول إلى المنجم ولم يجرؤ أبدا على الاعتراف لهم بفزعه الدفين فلا شك أن الأولاد إذا عرفوا سيلقبونه بالجبان.

وكان يريد أن يظل وحيداً.. لكنه رأى الأستاذ يلحق به ويسير بجواره ثم يسأله.. «ما رأيك في محاضرة اليوم..» وأجاب ستيفن بلا مبالاة «لا بأس» ولكن الأستاذ الذي تعود على بلادة تلاميذه أستمر يسأل «ألن تكون فخوراً يا بني حين يأتي اليوم الذي تصبح فيه بطلا من أبطالنا: عمال المناجم؟.

وهز ستيفن كتفيه إذ لم يستطع أن يكون منافقاً لدرجة أن يجيب بالايجاب.

وظن الأستاذ أن حركة ستيفن هذه مرجعها التواضع فاستمر يقول: «إنها حياة جميلة يفخر بها الانسان يا بني» وصدم الصبي من تلك السهولة التي يتحدث بها الاستاذ عن الشجاعة والبطولة والتي يدعو بها الآخرين لها. نعم كان سهلا على الأستاذ أن يقول هذا الكلام فليس عليه أبداً أن يعمل في منجم. وأخرجته كلمات الأستاذ هذه عن خضوعه المعتاد وهكذا قال وهو بين خائف ومتشجع «هناك أشياء أخرى أفضل أن أفعلها» ولم يكن الأستاذ مستعدا لمثل هذه الاجابة فلم يحدث من قبل أن أراد صبي أن يفعل شيئا غير الذهاب إلى المنجم - على الأقل لم يسمع بذلك من قبل - وهكذا نظر إلى ستيفن وقال متسائلا: «وماذا تود أن تفعل؟».

ولكن ستيفن لم يكن لديه أدني فكرة عن الاجابة، إذ لم يخطر بباله من قبل أن يناقش فكرة بديل المنجم لاستحالتها فهناك المنجم ولا شيء آخر، ولم يجد أمامه سوى ناظر المدرسة الذى لم يكن مرغما على العمل في المنجم لذا أجاب دون لحظة تروو قال: «أود أن أكون معلما مثلك، ولكن».

ودهش الأستاذ واستثاره الأمر، ولما كان يفخر بأنه رجل عملي فقد دخل إلى الموضوع مباشرة وقال بلطف: «تقصد أن والديك لا يستطيعان تحمل تكاليف تعليمك والانفاق عليك حتى سن العشرين؟».

وهز ستيفن رأسه علامة الايجاب.

وسكت الاستاذ بضع دقائق ثم قال: «هناك منح دراسية كما تعلم، وسوف أبعث لك عنها».

وحين عاد ستيفن إلى المنزل في اليوم التالي حمل معه بضعة كتيبات تشرح تفاصيل المنح الدراسية ولكن أمه رفضتها على الفور وقالت أنت تصبح معلما! حسنا ولماذا تريد أن تصبح أحسن من والديك؟ أتتكبر على أبيك وأمك؟ لقد أخجلتني حقا يا ستيفن.

وهكذا كان كلما ازداد موعد الذهاب إلى المنجم اقترابا، كلما ازداد ستيفن كراهية له ولراموسه الطويل المظلم.

■ كانت أرصفة القطارات تقع خلف منزل ستيفن، وكانت تغص على الدوام بالعربات التي كانت بدورها

تغص بالفحم وتجري ذهاباً وإياباً تطلب المزيد والمزيد من الفحم وفجأة بدأت الحركة تقل ولكن ذلك لم يكن ملحوظاً في البداية ولكن بالتدريج تزايد عدد العربات الفارغة على الخطوط بل خلت بعض الخطوط من العربات كلية.

وبدأ ستيفن يلاحظ جماعات صغيرة من عمال المنجم فى الشوارع ثم أخذت تتزايد وتتوسع حتى بدت شوارع المدينة وكأنها امتلأت بهم.

وانتشرت الكآبة على وجوه سكان المدينة الذين لم يخافوا المنجم ـ ولكنهم خافوا من توقفه ورأى ستيفن الكآبة في منزله، رأى عيني أبيه الذابلتين وقلق أمه حين تبتاع الطعام وتحاول أن تجعل للفرنك قيمة الفرنكين وكف الجميع عن الحديث إلا عن تعويض المنجم.

ولاحظ ستيفن أن الكآبة تزداد انتشاراً فى المدينة وأن الرجال الواقفين على النواصي بلا عمل يتزايدون ووجوه النساء تزداد نحافة والمتاجر تكاد تخلو من السلع والطعام نادر وقليل.. وفي المنزل رأى البؤس يتزايد في عيني أبيه كلما قلت أيام العمل .. كان يلزم المنزل لمدة أسبوع.. ثم يعمل ثلاثة أيام.. ثم انزواء في المنزل مرة أخرى.

لاحظ أباه وهو يحوم حول المطبخ وأمه وهي تشكو حظها التعس إذ صادفت أباه يوماً ثم جاء يوم ساد فيه صمت مثير وكفت أمه عن الصراخ والشكوى كما كف أبوه أيضا.

كان مستسلمين تماماً. فقد أغلق المنجم أبوابه.

ونقل ستيفن بصره بينهما ولاحظ عضلات أبيه القوية وفكر كيف لن تستخدم هذه العضلات في المنجم بعد الآن.

وفكر في الحفرة التي تقع على بعد حوالي أربعة أميال من المدينة ثم تساءل بقلق: «ربما تجد عملا في حفرة الوادي يا أبي؟».

وهز الأب رأسه وأجاب: «حاولت .. إنهم لا يقبلون سوى الصبيان».

وبلا كلمة واحدة وضع ستيفن قبعته على رأسه واندفع خارجاً من المنزل وفي المساء عاد وقال: «لقد وجدت عملا في حفرة الوادي».

ولم يزد فلم يكن هناك مجال لكلام آخر.

موريس مترال

● أديب وقاص وروائي سويسري الجنسية.. ولد فى ٥ ابريل ١٩٢٩م بمدينة «سيون» جنوب سويسرا.. درس الآداب الفرنسية في جامعة لوزان بسويسرا.. له عدة مؤلفات منشورة بفرنسا وسويسرا وكندا.

● اشتهر فى بلاده برواياته العديدة منها: (ليلة الانتصار)، (زمن الأسى).. (طفل الرجال).. وكلها طبعت العديد من المرات.. كما نشر أغلب إنتاجه في الصحف السويسرية باللغة الفرنسية.

● اشتغل أستاذ اللغة الفرنسية بمعاهد سويسرا منذ سنة ١٩٥٥م.

● تحصل على عدة جوائز تقديرية من عدة جامعات أوروبية.

شعر: إليزاكوك

ترجمها: ثروت محمد يوسف

تعلم أن تجأر بهذه الكلمة الصغيرة
فى مكانها وموضعها المناسب..
كلمة: لا!..
ولا تدع مجالا،
لأى شك أو تردد،
أو للرهبة من أى شىء..

●●●

دع شفتيك تنطقان بها،
وتعلنها صريحة جلية واضحة،
بدون مواربه
وببسالة تامة
مهما حاولت آلاف الضغوط
والوعود المموهة الخلابة،
أن تمنعك عن النطق بها..

●●●

وكن متأكدا،
أن نفوسنا ستكون بمأمن،
من أية محنة متوقعة،
إذا نحن وجدنا الشجاعة الكافية.
للنطق فى ساعة الحسم،
فى الساعة التى نحن فيها:
بكلمة: لا!
عند الضرورة.

أروقة منصوبة على أعمدة الكلمة، قوامها: الطرفة والمزحة، المعلومة والمعرفة، المثل والحكمة.. أشتات مجتمعة تهش لها النفس وتستوعبها.

عجائب وغرائب.. من تراثنا

حماد السالمي

●● نعت وسائل الاعلام في كل العالم، الفنان الكبير محمد عبد الوهاب ـ يرحمه الله ـ وقالت: (سقوط الهرم الرابع في مصر).. والقصد، الهرم الفني الرابع في مصر، بعد أم كلثوم، وفريد الاطرش، وعبد الحليم حافظ.. وهناك إشارة ذكية غير خفية إلى شهرة أهرام الفراعنة، كمعالم أثرية وتاريخية فريدة في كل العالم. وكثيرا ما كان يأتي المشاهير إلى مصر، بدافع مشاهدة الاهرام، التي ارتبطت بمصر، وشاعت أخبارها في كل أرجاء الدنيا.



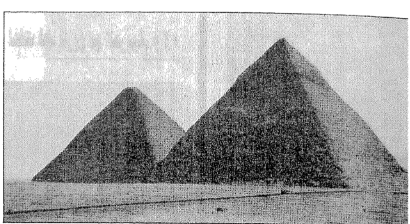


● أعلى محمد عبد الوهاب
● الى اليمين فريد الأطرش

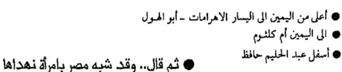
ومن هؤلاء المشاهير، الخليفة العباسي المأمون.. فقد ذكر المسعودي في (أخبار الزمان ومن أباده الحدثان) أن المأمون لما دخل الديار المصرية، أراد هدم الاهرامات، فلم يقدر على ذلك، فاجتهد وأنفق أموالا عظيمة، حتى فتح في أحدها! طاقة صغيرة، فوجد خلف الطاقة من الاموال، قدر الذي أنفقه، وكتابا فيه: قد علمنا أنك تأتي في عصر كذا، ولا تستطيع أكثر من ذلك، فجعلنا لك ما أنفقت فلا تتعب.. فأنشد المأمون في ذلك:

انظر الى الهرمين واسمع منهما
ما يرويان عن الزمان الغابر
لو ينطقان لخبرانا بالذي
فعل الزمان بأول وبآخر

●● وسواء أكانت صحة مقولة الكتاب وما فيه، فإن الاعلام والمعالم التاريخية، شواهد حية، لا ينبغي التفريط في شأنها، وكم درت الاهرامات على مصر، من سمعة عالمية، ومحملات صعبة، وآفاق









● أعلى من اليمين الى اليسار الاهرامات - أبو الهول
● الى اليمين أم كلثوم
● أسفل عبد الحليم حافظ

ثقافية وتاريخية.. ولو أحسن باحثوا مصر، فجمعوا لنا ما قيل فى اهراماتهم من شعر، لاثروا مكتبات العرب والعجم، بما هو أثمن من الكنز.

لقد أكثر الشعراء من ذكر الاهرام، فهذا المتنبىء يقول:

أين الذى الهرمان من بنيانه
ما قومه ما يومه ما المصرع
تتخلف الايام عن أصحابها
حينا ويدركها الفناء فتصرع

وكان ذلك من قصيدة له فى رثاء أبى شجاع، فاتك المتوفى سنة ٣٥٠ هـ

● وهذا الفقيه عمارة اليمني في وصف بليغ.. يقول:

خليلي ما تحت السماء بنية
تماثل في إتقانها هرمي مصر
بناء يخاف الدهر منه وكل ما
على ظاهر الدنيا يخاف من الدهر
تنزه طرفى في بديع بنائها
ولم يتنزه فى المراد بها فكرى

● ثم قال.. وقد شبه مصر بامرأة نهداها الهرمان.. والهرم في البيت الشيخوخة، وتقدم السن:

تبين أن صدر الارض مصر
ونهداها من الهرمين شاهد
فيا عجبًا وقد ولدت كثيرا
على هرم وذاك النهد ناهد

● وقال سيف الدين بن جبارة، يصف اهرامات مصر:

لله أي عجيبة وغريبة
فى صنعة الاهرام للالباب
أخفت عن اسماع قصة أهلها
ونضت على الابداع كل نقاب
فكأنما هى كالخيام مقامة
من غير ما عمد ولا أطناب

● ولشاعرين اخرين ما ينبىء عن تأثرهما بعظمة الاهرام، وبعدها التاريخى.. قال الاول:

قد علا نيل مصر فى زيادته
حتى لقد بلغ اهرام حين طما
فقلت هذا عجيب فى دياركم
إن ابن ستة عشر يبلغ الهرما

● وقال الثانى:

مصر التى لحسنها
قد قيل فيها إنه
لما جفت عشاقها
بدا عليها الهرم

● ولا يفوتنا التورية المليحة من وراء الهرم فى البيت الاخير..

وإلى لقاء اخر إن شاء الله.

لغات لها تاريخ مع العربية: «٢»



اللغة اليونانية

محمد السيد على بلاسى (مصر)

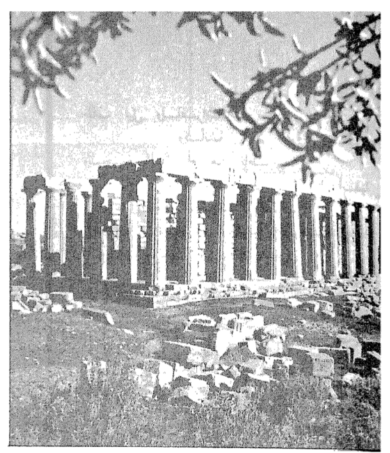


هى لغة من اللغات الاغريقية(١)، تلك التى تنتمى إلى الفصيلة الهندية الأوروبية(٢). وموطنها الأصلى اليونان ثم انتشرت فى الشرق الاوسط بعد فتوحات الاسكندر الكبير (٣٥٦-٣٢٤ ق.م) الواسعة التى أخضعت الشرق من مصر إلى جيحون للحكم اليونانى.

وبعد موت الاسكندر قسم مستعمراته أربعة من قواده أشهرهم: بطليموس، وسلوقس، وكانت مصر من نصيب الأول وسوريا من نصيب الآخر.

ولقد أسس سلوقس الأول - الملقب بالمنتصر - المملكة السورية وبنى مدينة جديدة لتكون مقر حكومته وسماها أنطاكية باسم أبيه أنطنوخس. وكانت الأولى من بين مراكز نشر الثقافة اليونانية، وازدهر فيها كما ازدهر في الاسكندرية بمصر عدد من الأدباء الفصحاء والفلاسفة فى القرنين الأخيرين قبل الميلاد.

واستمر حكم السلوقيين بسوريا إلى عام ٦٤ ق.م فقد فتح سوريا فى ذلك العام بومبى، وأصدر قرارا بأن



تحكم سوريا مباشرة من قبل نائب قنصل رومانى.

وخلال الثلاثمائة سنة هذه كانت اللغة اليونانية قد أصبحت لغة التفاعل فى سوريا وغيرها من البلاد الخاضعة للحكم اليونانى.

وإبان الحكم الرومانى أصبحت اللاتينية اللغة الرسمية، وبقيت اليونانية لغة التعامل، كما كانت من قبل، وفى عام ٣٢٣م نقل الامبراطور الرومانى قسطنطين الكبير عاصمته من «رومة» الى «بيزنطة» وسميت «القصطنطينية» وسماها اليونان: ἡ Νεα ρωμη أى رومه الجديدة تمييزا لها من رومة الأصلية بإيطاليا والتى أطلق عليها اسم ΡΕΒ-BUTΕρα ρωμη أى رومة القديمة.

ومن هذه التسمية جاءت كلمة الروم بالعربية. أخذتها العرب من [illegible] (رومى) بالسريانية واعتبروا الياء فيها للنسب، وبحذفها نتجت كلمة «الروم» التى أطلقتها العرب على الامبراطورية البيزنطية وعلى سكانها من الأصلين اليونانى والرومانى.. أما الرومية اسما للغة فتطلق على اللغة اليونانية السائدة فى بلاد الروم(٣).

هذا، وقد تعددت الكلمات اليونانية فى العربية، فى الزمان المتأخر. ومن أقدمها: الفندق، والازميل، والزوج، والجنس(٤).

وعدد رفائيل نخلة اليسوعى(٥) عشرات الكلمات التى دخلت العربية من اللغة اليونانية.. غير أن معظم الدخيل من هذه اللغة الى العربية لم يصلها مباشرة، وإنما جاء بواسطة الآرامية التى اختلطت بها بعد ما خضعت جميع أقطار الشرق لسيطرة الرومان، وكانت اليونانية لغة الدواوين فيها(٦). فى حين أن هناك بعض الكلمات اليونانية قد وصلت إلى العربية عن طريق اللغة الحبشية أو الفارسية.. مثال ذلك «الانجيل» وقرأها الحسن البصرى وغيره: «أنجيل»، وهى فى الحبشية: angil وأصلها اليونانى: euangeliom و«القلم» وهو فى الحبشية: Kalam وفى اليونانية Kalamos.

و«الدرهم» مأخوذ من الفارسية وهو هناك كذلك، والأصل يونانى، أى: drachmē(٧)

هذا، وقد دخلت فى اللغة العربية فى العصر العباسى عشرات من الكلمات اليونانية عن طريق ترجمة الكتب فى الطب والفلك والفلسفة: كالقولنج، والبلغم، والماليخوليا، والاسطرلاب، والفلسفة، والهيولى(٨).

الهوامش

(١) اللغات الاغريقية تشمل: (اللغات اليونانية القديمة واشهرها اليونية ـ الاتيكية، والدورية. وتشمل كذلك اللغات اليونانية التى تكونت فى القرون السابقة للميلاد وقامت على أنقاض اللغات اليونانية القديمة، واشتهرت عند علماء اللغة باسم «اليونانية الحديثة».. وتشمل كذلك اللغات اليونانية في العصر الحاضر).

راجع: علم اللغة: د. على عبد الواحد وافى، ص١٩٨، ط دار نهضة مصر.. وقارن بـ: دراسات فى فقه اللغة: د. صبحى الصالح، ص٤٢، ط١٠ ـ دار العلم للملايين.

(٢) علم اللغة: د. على عبد الواحد وافى، ص١٩٧، ١٩٨.

(٣) المعرب والدخيل فى اللغة العربية، مع تحقيق الألفاظ الواردة فى كتاب المعرب للجواليقى: للدكتور عبد الرحيم عبد السبحان، ص٤٣، ٤٤ ـ رسالة دكتوراة مخطوطة محفوظة بالمكتبة المركزية لجامعة الازهر تحت رقم ٣٥٨، سنة ١٣٩٧هـ، نقلا عن كتاب: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين: للدكتور فيليب حتى ١/٢٦٠، ٢٧٤، ٣١٣، ترجمة الدكتور جورج حداد وعبد الكريم رافق، ط. دار الثقافة ببيروت سنة ١٩٥٨م. ولمزيد من التفصيل حول هذا الموضوع راجع: اللغة بين القومية والعالمية: د. ابراهيم أنيس، ص٢٦٤ ـ ٢٦٩، ط. دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٠م.

(٤) التطور النحوى للغة العربية: للمستشرق الألمانى برجشتراسر، ص٢٢٨ إخراج وتصحيح وتعليق الدكتور رمضان عبد التواب، ط. المجد سنة ١٤٠٢هـ.

(٥) غرائب اللغة العربية: رفائيل نخلة، ص٢٥٠ ـ ٢٧١، الطبعة الثانية ـ المطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٩٦٠م، فراجعه تجد مزيدا من التفصيل.

(٦) التطور النحوى للغة العربية: للمستشرق الألمانى برجشتراسر: ص٢١٢ ـ بتصرف ـ.

(٧) المرجع السابق: ص٢٢٨.

(٨) المعرب والدخيل فى اللغة العربية، مع تحقيق الألفاظ الواردة فى كتاب المعرب للجواليقى: للدكتور عبد الرحيم عبد السبحان، ص٤٥.

ولمزيد من التفصيل راجع: فقه اللغة العربية: للدكتور إبراهيم محمد نجا، ص٨٤ وما بعدها الطبعة الأولى ـ مطبعة السعادة سنة ١٩٦٥م.



المشـــتار

رحلة ملتهبة

شعر: منصور دماس (السعودية)

حينـما صدت الـصـبـابـة عذري
وقـســت وطـأة الـفـراق عليا
تحت إبط الهـوى غدوت أداري
لمرادي هوى ولـلحـب رؤيا
ولـظى الـشــوق خلف ظهـرى وحينـا
فى فؤادى يسـتـعـجـل الـسـير كيا
فكـأن الـطريق سيف محف
والمـسـافـات غمض طرف لديا
لاسـكـونـا حتـى الـتقينـا فأمسى
كل غال فى الـكـون ملك يديا
طاب ليلي ولـلـفـراشـات سعـد
وكـأنـا نهيم فوق الـثـريا
ونـجـوم الـغـرام من ناظـرينـا
تكـتـب الأنس قالـبـا أبـديا
(لـلـندى) من سخـائـنـا قطرات
- غيرة - تشرب الـوجـود نجـيا
والأمـالـيد للبـلابـل تصـغـي
حين ترنـو لنـا وحـينـا إلـيا
وفـم الـفـارع المضيء أغـان
راقـصـات تخالـج الـقـلب وهـيا

●●●

سعـدنـا أبهـج المـكـان إذا ما
حان وقـت الـوداع صاح مليا
وتـنـاجي الـغـصـون بعضـا لتحـظى
برؤانـا ويكـسـب الـعـشـق وعـيا
ما عسـاهـا.. إذا سلونـا عليهـا
بالـعـصـافـير هل (تـبـان) قصـيا؟
إن يك الـطير من فراغ يغـنـى
نحـن نشـدو الـوداد حسـا سنيا
وإذا للرياض. حسـن فروضي
طلعـه زان هيكـلا قمـريا
يتـهـادى فيدهش الـغـصـن حتـى
يلمس الـغـصـن فى الـتـمايل عيا
مبـدعـات تهدي الحـقـول فنـونـا
ورنـيـا من المـعـازف حيا
ما رأت مثـله مقـاطـع لحن
ساحـلي أو .. باعـثـا شاعـريا
فتـغـني من نسـمـة الـبـدر نشـوى
وتـضـاهـي الـنـور المـدلـه ريا
وأنـا أنهل الـشـذى وعـيوني
سفـر دائـم يجوب شديا
وفـؤادى ينـغـم الحس فنـا
يتـجـلى من خاطـرى عسـليا

●●●

إن تعـدت سفـح (الـسـهـى) خطراتي
أنـا فوق الأديم أسـلو حفـيا
ما ألـذ الـغـرام إن فات طبعـا
عن بذىء الهـوى فبـات سليا
ينـظر الـصـقـر ساحـه الجيف لكن
يأنـف الـقـرب - وهـو طاو - أبـيا

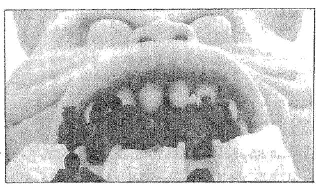
مجلة شهرية
ذات أداء متخصص
تخاطب عقل المرأة ووجدانها
العدد ٦٢ صفر ١٤١٢هـ



فى هذا العدد

.. عزيزتي القارئة

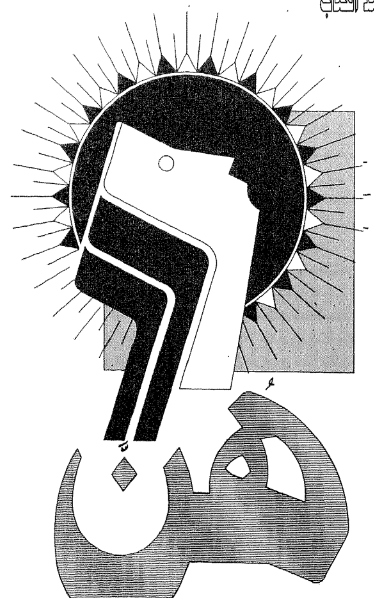
مرحبا بمشاركاتك فى (هن) وعلى طريق الكلمة الهادفة والفكرة النيرة نلتقى.



الطفولة حرية مجردة

● الفنان المبدع، مرهف الحس، عميق النظرة، يستقرىء كل الابعاد المتاحة ولا يقف عند السطح.

● الطفولة حرية مجردة.. واللعب نشاط جاد لا يقل درجة عن النشاط عند الكتاب



بهية بوسبيت

سر الوجه الآخر للفنان

من طبيعـة الفنان المبدع صاحب الريشة والفرشاة السحرية الرقيقة أن يكون مرهف الحس، رقيق المشاعر، ذا قلب كبير فى أعماقه ينابيع من الحنان والحب لكل الناس، خصوصا الذين يكونون بحاجة الى كلمـة طيبـة، ونظرة حانية، وابتسامة شافية تعكس اثارا طيبة إ يجابية داخل اعماقهم المظلمة ونفسياتهم المعذبة، وروحهم التائهة.

الفنان يتميز عن غيره برقة مشاعره وشفافية أحاسيسه، وسعة خياله وعمق نظرته وادراكه، مما يجعل لديه القدرة على الكشف عن مشاعره ودخائل غيره من الناس من خلال نظرة عابرة أو بسمة ظاهرة، أو عدة كلمات، أو من خلال التعبيرات التى ترتسم على ملامحه... الخ.

كل ذلك كاف لان يجعل الفنان يغوص فى أعماق النفس ويحلل ما يدور فى فكر أو نفسية الشخصية التى أمامه.

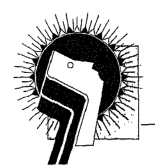
كما أن هناك فئة من الفنانين لهم قدرة على معرفة الناس من أول نظرة أو بمعنى اخر من أول اجتماع أو لقاء وذلك نتيجة لشدة الحساسية التى يتمتع بها الفنان، وهناك ايضا من لديه الحاسة السادسة أو الشفافية الصافية التى تجعله يتوقع الاشياء قبل حدوثها أو يتخيلها بأي شكل من الاشكال.. وسرعان ما تحدث.. فيقول.. لقد كنت مدركا أن هذا سيحدث أو لقد عرفت مسبقا أن هذا سيكون... الخ.

ومن طبع الفنان أيضا أن يتعامل مع الناس معاملة حسنة لان شاعريته ورقته وحساسيته تفرض عليه ذلك، لانه يحس بمشاعر وأحاسيس غيره، كما يحس بمشاعره وأحاسيسه فيتعامل معها برقة وهدوء واتزان حتى لا يجرحها أو يدميها، فيسبب لها الاما لا تندمل بسرعة ولا تنسى مع الايام.

ولانه أيضا لا ينظر للاشياء من زاوية واحدة بل من عدة زوايا، ولا يقدم على عمل شيء ما.. إ لا بعد أن يحلل أبعاده ويتخيل نتائجه حتى لا يقع فى محظور، فيسىء إ لى نفسه، ويسيىء الى غيره، هذه هى صفة الفنان المبدع سواء أكان حامل ريشة أو قلم وهذه هى الصورة التى يجب ان يكون عليها كل فنان مبدع قادر على تجسيد الام الاخرين، وقادر على تخفيفها.

ولكن عندما تتعامل مع فنان صاحب ريشة وفرشاه مبدعة وتشعر بالزهو، وأنت تطالع أعماله وتحس بالفخر وأنت تقرأ عنه وتجد السعاده وأنت ترى نجاحه يطفو فوق السطح ثم فجأة.. تكتشف أنك خدعت فيه.. وأن صورته الجميلة التى رسمتها له فى مخيلتك وشاهدتها عيناك قد سقطت من خلال تعامل المقربين منه.. فالحمل الوديع لم يكـن سوى ذئب قد تخفى فى ثياب حمل تدهش أول الامر، ثم لا تلبث أن تتحول الدهشه الى حيرة.. والحيرة الى تساؤل .. ما السر وراء هذا التحول المفاجىء ؟ أتراه قناعًا زائفًا ثم احترق؟ أم ماذا؟ ولكن حيرتك لا تطول، فسرعان ما ينكشف السر، إ نها الشهرة!! التى تدفع الكثيرين الى قمة السماء ثم سرعان ما تقذف بصاحبها إ لى هاوية الغرور والتكبر، لانه لم يصعد السلم درجة، درجة بل قفز قفزات سريعة على اكتاف اخرين، واستغلال اخرين، واستخدام قوته عن طريق منصبه وأوامره واصدار تعليماته التى لا تنتهى.

داء العظمة سيطر على كل تفكيره فلم يبق له شيئا من الصبر والتأنى والقناعة، إ نه يريد أن يصل ويعتلى ويشتهـر أكثر حتى يكون هو الوحيد المعروف، ناسيا أن القفز السريع يوقع بنفس السرعة وعندما يسقط تدرك انذاك سر الوجه الاخر للفنان الذى طار بسرعة البرق وحلق فوق رؤوس غيره.



أمل الغد

هند احمد هرساني

يتطلع كل والد وولده للغد المشرق الذى تظهر فيه ثمرات جهودهما بعد مشوار طويل من العناء والتضحية فى سبيل أن يكون للأبناء الاعزاء ارقى الرتب والمستويات فى كل مجالات الحياة على اختلاف المجتمعات وتنوع البلدان . . فهذه الامنية الغالية تسكن قلب كل أم صالحة واب فاضل تؤيدها تلك الفطرة التى غرسها الله تعالى فى نفوس الوالدين عطفاً وحناناً وإيثاراً لا نهاية له وعطاء بلا مقابل حتى اذا ما أوشكت الثمرة على النضوج وكادت الآمال ان تتحقق تزلزل هذا الكيان بشدة وعنف وتهاوى الى سحيق الفشل وسوء العاقبة . . فلا آمال فى الغد ولا رجاء فى المستقبل ما دامت تلك البراعم قد ذوت وتلاشت نضارتها وذوت فى غياهب الظلام لتعلن عن هزيمة مريرة . . وجرح اليم فى نفس كل أم وأب يرى فلذة كبده وقد انجرفت الى الضياع والضلال وحفرت بذلك اللوعة والأسى فى قلبيهما .

ليرحم الشباب افئدة والديهم من مواجهة هذه الهزيمة ومجابهة هذا المصير عندما ينساق بعض الشباب ببلادة عمياء الى رفقاء السوء وتتلاشى ارادتهم ومبادئهم امام اغراءات شائنة ورذائل كريهة على اختلاف مسمياتها وانواعها .

فليصن كل شاب واع روحه الوثابة وعزيمته القوية من رفقاء السوء ومن وسائل الانحراف وعوامله وليحذر نتائجه ويتعظ بتجارب غيره من الشباب الذى مزقوا أفئدة أسرهم ووالديهم ألماً وحرقة . . وهما يعيشان ليريا فيه ضياع الرجاء وانحسار الأمل وقد كانوا يرجون ليوم عظيم يسند فيه عجزهم ويشد أزرهم .

لقد استجدت فى مجتمعنا عوامل للتحدى والانحراف قد لا ترحم ابداً نتيجة عوامل معروفة وواسعة هيأتها وسائل الاحتكاك بغيرنا من المجتمعات بما فيها من سلبيات او عوامل سلبية ونماذج شاذة مدمرة تعبث بيننا فساداً وتستهدف استنزاف طاقة المجتمع من الشباب بما تزينه وتروجه عن هذه السموم البغيضة التى تدمر كل بيت وتمزق كل وئام نكب بها .

إن دور الآباء التاريخى الجليل لابد أن يتضاعف حرصاً وبذلا وصيانة تحمي هؤلاء الاعزاء من الضياع . . وتجنبنا كآباء وأمهات ـ مغبة الاسف والندم اذا ما نحن تهاونا وتجاهلنا أي بادرة للانحراف فى سلوك الابناء مهما تكن ضالته .

وان نكن نبذل كل ما بوسعنا من أجلهم فليتضاعف هذا البذل فاشتداد الخطر في اي مجال يقابله اقوى الاستعداد لدرئه وابعاده عند أول مراحله وقبل استفحاله حيث لا تجدى الدموع ولا ينفع الأسى . . فهداية الله تعالى للأبناء ثم التربية السليمة والمراقبة الدؤوب من الوالدين تضمن بحوله تعالى الحفاظ على هذه الثروة الغالية الاثيرة على الوالدين والمهمة فى بناء الوطن هذا الكيان الكبير الذى يشرفنا ان ننتمى اليه عن جدارة واستحقاق بنزاهة سلوكياتنا وسمو اخلاقنا .

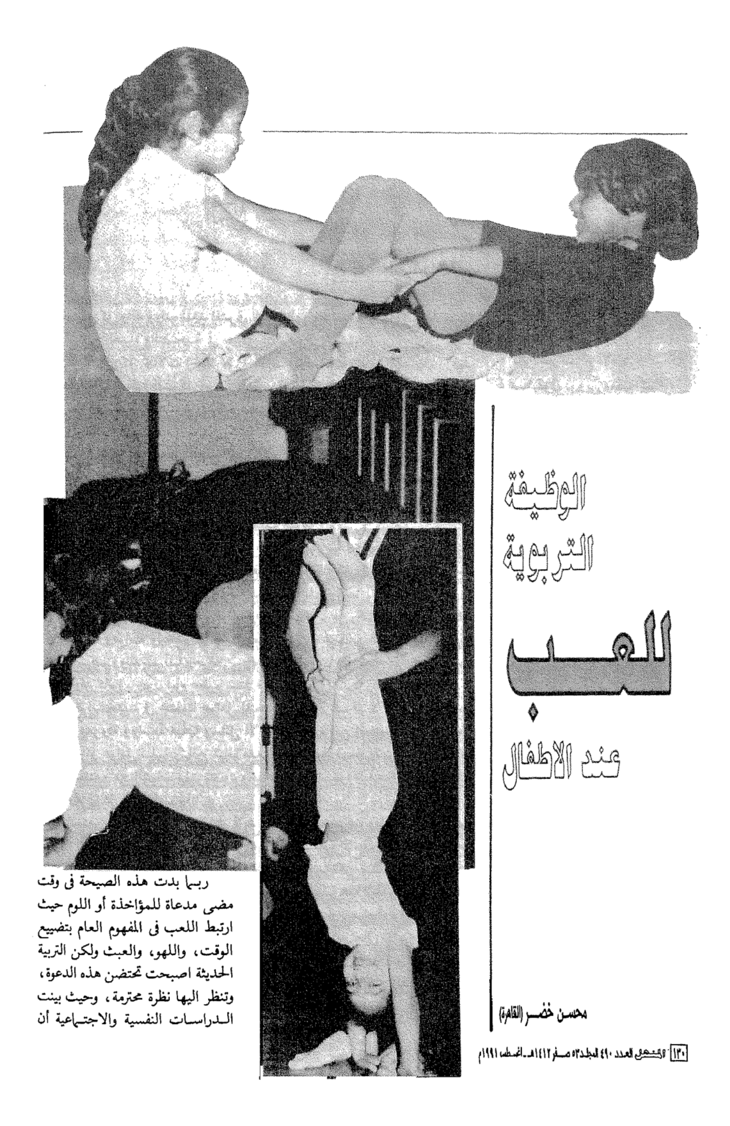
اختناق

مديحة ابو زيد

من وقت لم يطرق باب الزهرة عطر
لا يأتى طير للفرع الأصفر
لم تهبط فوق دروبى ومضة شوق
فى وحشة ليل لم يبزغ فيه ضياء
كنا نشتاق للحظة شوق
تسرى لهذا فى الأعراق
كان الفجر يبث الانوار
يخرج افراحا من سرداب اليأس
فى وهج الحس الطالع للشمس
خط الصوت الرافض حرفا ينزف هجرا
صرنا أشباحا نرقص من فرط الإعياء
كان الكبت يزلزل فينا الرغبة
يقتل نبت الحب الطالع فى وجنات الصبح
راح البدر غريقا فى أنهار الغربة
والعشق سرابا للأحباب .

● ● ●

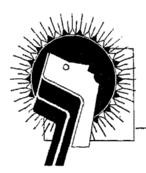
يا صوت القهر الصارخ فى وجه الأشباح
لا تقتلنا فوق شواطىء نهر الظمأ الموحش
لا تجعل من نصحك ظلا لليأس وللأشجان
يا صوت الفجر الاتى عبر خيوط الظلمة
ارجع لى ذاتى قبل نماء الشوك النابت،
من أغصان الغربه
ارجع لى لون البشره
يا من جئت تبث الوجد
ارجع لى لون عيونى الباهت
من عصف الاخفاق
فك قيودى
ارجع لى من ايامى فصل ربيع



الوظيفة التربوية للعب عند الاطفال

محسن خضر (القاهرة)

ربما بدت هذه الصيحة فى وقت مضى مدعاة للمؤاخذة أو اللوم حيث ارتبط اللعب فى المفهوم العام بتضييع الوقت، واللهو، والعبث ولكن التربية الحديثة اصبحت تحتضن هذه الدعوة، وتنظر اليها نظرة محترمة، وحيث بينت الدراسات النفسية والاجتماعية أن



اللعب ذو وظيفة تربوية وصحية هامة.

ومن ثم شاعت فى الكتابات التربوية عبارة (الطفل مهنته اللعب) كتعبير عن الأهمية المتزايدة لدور اللعب فى حياة الطفل.. فلم تعد ساعات اللعب فى حياة الاطفال مجرد ساعات مفقودة، أو ساعات لهو، بل يقوم اللعب بوظائف متعددة، ويتضمن قيما متنوعة... ..

ويرسم ابن سينا صورة عن فهم الفكر الاسلامى للحقيقة السابقة، فيرى أن حياة الطفل عبارة عن نوم وراحة ولعب وغذاء واستحمام ولا شىء غير ذلك، فالطفولة حرية متجردة من كل مسئولية، وقد اسقط الاسلام التكاليف عن الطفل.

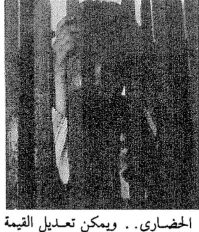
فيقول ابن سينا «**اذا انتبه الصبى من نومه فالأحرى أن يستحم ثم يخلى بينه وبين اللعب ساعة ثم يطعم شيئاً يسيرا، ثم يطلق له اللعب الأطول، ثم يستحم ثم يغذى**»(١).

وهو ما يشير الى خصوبة النظرة التربوية فى الاسلام للطفولة ومتطلباتها من خلال وضع مبادىء تكفل حق الاطفال فى التمتع بحياتهم دون أى مسئوليات أو قيود.

القيمة التربوية للعب:

تعتبر الحاجة الى اللعب من ضمن حاجات الاطفال النفسية.. ويتطلب اشباع هذه الحاجة اتاحة وقت الفراغ للعب واختيار اللعب المتنوعة وتوظيفها توظيفا نفسيا وتربويا أثناء اللعب.

واللعب ما هى الا انعكاس للحضارة التى يعيش فيها الطفل والخبرات التى يمر بها.. فنوع لعبة الطفل يعبر عن ثقافة المجتمع ووضعه



الحضارى.. ويمكن تعديل القيمة التربوية للعب فى أنه يحقق الجوانب الآتية:

١ - يطلق الخيال للطفل من خلال عالمه الخيالى الذى يعيش فيه.

٢ - يسمح له بحرية الحركة والتفكير والسلوك.

٣ - يساعد الطفل على تنمية قدراته العضلية واللغوية.

٤ - يساعد اللعب الطفل على النضج والتعليم، كما يساعده على النمو الاجتماعى والانفعالى.

٥ - يسبب اللعب السرور للأطفال ويحدث لهم المتعة والاثارة.

٦ - يتوفر فى اللعب الدافعية حيث يقبل الطفل على اللعب برغبته.

٧ - يتعامل الطفل مع العالم والوجود من خلال اللعب ويكون مدركاته عنها.

٨ - يشبع اللعب عند الطفل الحاجة الى التملك وهى احدى الحاجات النفسية.

القيمة النفسية للعب

ينظر المربون الى اللعب على أنه وسيلة لفهم ودراسة الطفل وسلوكه ودراسة مشكلاته.. وهناك طريقة معروفة للعلاج عن طريق اللعب تسمى العلاج باللعب Play Thera-py حيث يعتبر اللعب اداة علاجية نفسية هامة للاطفال المصابين باضطرابات نفسية.. فيختلف سلوك الطفل المضطرب نفسيا وهو يلعب عن سلوك الطفل الصحيح نفسيا، ويستخدم اللعب فى التشخيص حيث يعبر الطفل فى لعبه عن مشكلاته وصراعاته واحباطاته.. ويعكس المناخ الاسرى والاجتماعى له وعلاقاته بالمحيطين به.. وفى العلاج باللعب تجهز حجرة اللعب باللعب المتنوعة



الأشكال والأحجام لتمثل الاشخاص المحيطين بالطفل فى حياته العملية . . وتطبق المقاييس والاختبارات الخاصة باللعب . . ويدل الاستغراق فى اللعب الايهامى عند الطفل على فشله فى التوافق مع الحياة الواقعية(٢).

وقد تستخدم اللعب فى طريقة الارشاد المعروفة باسم الارشاد السلوكى .

المربون الاسلاميون وموقفهم من وظيفة اللعب فى التربية

لم يغفل المربون المسلمون عن الأهمية التربوية للعب . . وإبطال اللعب هو بمثابة إبطال حاجة طبيعية عند الانسان وحرمانه من حاجة سيكولوجية هامة ويقول الغزالى فى ذلك . . «إن منع الصبى من اللعب وإرهاقه دائما بالتعلم ، دائما يميت قلبه ويبطل ذكاءه ، وينغص عليه العيش»(٣) . . ولمس اكثرهم الوظيفة الترويحية والتعويضية للعب ، فهو سبيل لافراغ الطاقة الزائدة عندهم ، وقد يكون اللعب احيانا علاجا تربويا . . وهذا نجده فى قول الماوردى «إذا استعصى على المؤدب قيادة الطفل ودام منه نفور قلبه مع سياسته ومعاناة رياضته ، تركه ترك راحة ، ثم عاوده بعد الاستراحة»(٤) .

وكان سيدنا عمر بن الخطاب هو أول من اشار الى أهمية منح الصبيان عطلة من التعليم ، ورتب لهم استراحة فى المكاتب يوم الخميس والجمعة من كل اسبوع .

ويفصل العبدري هذه الفائدة ـ فائدة منح عطلة اسبوعية وسنوية للمتعلمين ـ من الناحية التربوية فيقول إن انصراف الصبيان واستراحتهم يومين فى الجمعة لا بأس به ، وكذلك انصرافهم قبل العيد بيومين أو ثلاثة ، وكذلك بعده . . بل ذلك مستحب لقوله صلى الله عليه وسلم : «روحوا القلوب ساعة بعد ساعة » ، فاذا استراحوا يومين فى الجمعة نشطوا لباقيه(٥) .

ويرى الغزالى أن اعطاء الفرصة للأطفال للعب يتسق مع الحاجات الطبيعية والفسيولوجية للجسم ، وإن منع الاطفال من اللعب هو تعطيل لتلك الطبيعة . . ومن ثم فاللعب لا غنى عنه فى نظره وذو فائدة هامة .

■ وحكى معتب بن أبى الازهر من علماء القيروان عن ابن سحنون قوله : **وما حال صبيانكم فى الكتاب؟**

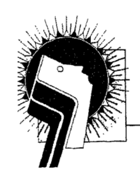
قلت له : ولع كثير باللعب .

فقال : إن لم يكونوا كذلك فعلق عليهم التمائم .

يريد أنه لا يكسر الأطفال عن اللعب الا المرض(٦) .

فروبل . . أول تربوى غربى يدرك تعليم الاطفال عن طريق اللعب

سبق روسو وبستالوزى بقية المفكرين الغربيين فى ادراك أهمية اللعب فى تربية الاطفال . . ودعا روسو الى ترك الاطفال تربى فى الطبيعة . . ولكن فروبل كان أول مفكر غربى يتوسع فى شرح الأهمية التربوية للعب . . ويرى فروبل ـ مؤسس رياض الاطفال فى العالم ـ أن الوسائل



التى نستخدمها لتنمية جسم الطفل هى حركة أعضائه واستغلال وتدريب حواسه . . وأهم غرائز الطفولة هى غريزة الحل والتركيب. وتبدأ بالتقليد ثم ينمو الى الابداع والابتكار، ويقترح فروبل تدريبا لكل حاسة من الحواس ويشجع الاسئلة التى يسألها الأطفال(٧).

■ ويرى فروبل أن أهم سمة مميزة للطفل هى رغبته الفطرية فى النشاط أو ما يسمى باللعب، وينصح بضرورة استخدام اللعب والغناء فى التعليم . . وقد استلهم فروبل هذا التصور عندما رأى صغارا يلعبون بالكرة فى الشارع فأيقن ان اللعب هو أول نشاط تلقائى معبر عن حيوية الطفل ونشاطه.

وجعل من اللعب قاعدة النشاط التربوى للصغار . . وفلسف اللعب، واخترع نظاما من الالعاب المتدرجة لها لعبها، فالكرة بداية اللعب ويرمز شكلها الدائرى الى الوحدة، والمكعبات ترمز الى «التنوع فى الوحدة» والعرائس تدعو الى «معايشة الحياة الانسانية» . . ومع اللعب تكون الحركة المنطلقة والجهد المبذول كاللعب بالكرة، كما تكون الراحة والاستقرار كاللعب بالمكعبات، كما يكون التمثيل والتخيل والحوار كاللعب بالعرائس(٨).

■ وانشأ فروبل رياض الاطفال وهى بيئات باسمة مرحة يجد فيها الطفل الالعاب والهدايا والحدائق للزراعة والحنو والارتياح، ووجد فى لعب الاطفال مع بعضهم وتعلمهم عن طريق اللعب وسيلة للتعبير عن انفسهم، ووسيلة لتقربهم من بعضهم البعض ومن الطبيعة، ومن الله.

وانتشرت رياض الاطفال فى دول اوروبا، وفى امريكا، وبقية العالم وهى الدور التى طبقت فيها افكار فروبل السابقة وأهمها قوله **«إنه حتى يتسنى استخدام اللعب كأسلوب تربوى، فبالنسبة للأطفال فإن اللعب يمثل لهم مرآة لما سوف يقابلهم من صعوبات فى المستقبل»**.

النظريات التربوية للعب

توجد عدة نظريات تفسر اللعب عند الاطفال تفسيرا تربويا ونفسيا كالآتى(٩):

(١) نظرية الطاقة الزائدة: حيث يعتبر اللعب تنفيسا للطاقة الزائدة عند الاطفال، حيث اللعب هو التعبير عن تراكم الطاقة الفائضة لدى الكائن الحى بشكل عام . . ولا يستنفد نمو الاطفال كل ما يتولد لديهم من الطاقة، فيدفع فائض الطاقة هذا الى اللعب لاستنفاده.

(٢) النظرية التلخيصية: وقال بها (ستانلى هول ١٨٤٤-١٩٢٤) وتفترض أن كل طفل يكرر تاريخ الجنس البشرى فى لعبه من سباحة وبناء الكهف وتسلق الاشجار والصيد . . فهناك التوازى بين مراحل النمو الحركى وانواع النشاط التى يستطيع الطفل ممارستها.

(٣) نظرية تجديد النشاط: وتقول هذه النظرية إن اللعب وسيلة الفرد لتجديد طاقته واستمتاعه بالحياة وأساس هذه النظرية ان اللعب يتيح للطفل ان يستخدم اعضاء جسمه المهملة والتى لا يستخدمها عادة إلا فى اثناء لعبه.

(٤) نظرية الاعداد للحياة: وصاحبها كارل جروس ١٨٩٦ حيث وظيفة اللعب فى نظره اعداد الأطفال للمستقبل والتدريب على ادوارهم المتوقعة فى حياتهم . . فاللعب ينمى التوافق العضلى . . العصبى والتوافق بين اليد والعين . . وقال جروس ان الغريزة معلمة بعيدة النظر تعمل حساب المستقبل فتعلم الطفل عن طريق اللعب أن يعد نفسه.

(٥) نظرية تنمية الذات: ويرى اصحاب هذه النظرية أن اللعب يتضمن أسلوب تنمية الذات واتزانها لدى الطفل، الى جانب مساعدته على النمو الاجتماعي من خلال اللعب.

■ **ألا يستقيم بعد ذلك اطلاق صيحة «دع طفلك يلعب» . . ويلعب بحرية بقدر ما يستطيع لأن تحقيق ذلك معناه فى نفس الوقت: دع طفلك ينمو.**

الهوامش

(١) ابن سينا: القانون فى الطب، دار صادر، ص١٥٩

(٢) حامد عبد السلام زهران: علم نفس النمو، عالم الكتب، ط٤، القاهرة ١٩٧٧، ص٢٧٤، ٢٧٥

(٣) الغزالى: احياء علوم الدين، ج٣، دار الشعب، القاهرة د.ت، ص٦٦٣

(٤) ابن مسكويه: تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق، الجامعة الامريكية، بيروت ١٩٦٦ ص٥٦

(٥) ابن الحاج (العبدرى) المدخل، دار الكاتب العربى، بيروت ١٩٧٢، ص٣٣١

(٦) محمد بن سحنون: آداب المعلمين، مكتبة الحلبى، القاهرة ١٩٥٥، ص٥٣ راجع محمود قمبر: دراسات تراثية فى التربية الاسلامية، دار الثقافة، الدوحة، ١٩٨٥ه

(٧) سعد مرسى أحمد وآخرون: فى تاريخ التربية والتعليم، القاهرة ١٩٨٦، ص٣٠٢

(٨) محمود قمبر: دراسات تراثية فى التربية الاسلامية، مرجع سابق ص٤٠

(٩) Lee Josoph., Play in Education, (New York, the Macmillan Conpany, 1933)

، وحامد عبد السلام زهران، مرجع سابق ص٢٧٣



آراؤهن في أزواجهن

اجتمع احدى عشرة من النساء فى مجلس واحد وتعاقدن وتعاهدن على أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئا إلا ويذكرنه بعبارة وجيزة.

* **فقالت الاولى**: زوجى لحم جمل، غث على جبل. . (تريد بذلك أنه خفيف اللحم كالجمل الهزيل. يصعب الانسجام معه، والتحدث إليه. والأنس معه).

* **وقالت الثانية**: زوجى لا أبث خبره، ولا أذكر أثره. . (تريد بذلك إن تفصيل حالة زوجها ـ لكثرة ما فيه من طباع مختلفة وصفات متناقضة ـ غير مستطاع).

* **وقالت الثالثة**: زوجى . . إذ نطقت طلقنى، وإذا سكت علقنى (قصدت بذلك أنها إذا طلبت منه شيئا يهددها بالطلاق، وإذا سكت عن الطلب أهملها وتركها).

* **وقالت الرابعة**: زوجى مثل ليل تهامة. . لا حر فيه، ولا قر، ولا سآمة. . (تريد بذلك إن زوجها هو المثل الكامل فى الاعتدال فى أعماله وأفعاله. . وإذ يشبه ليالى تهامة التى لا يشعر النائم فيها بالملل والحر والبرد).

* **وقالت الخامسة**: زوجى إذا دخل فهد، وإذا خرج أسد، ولا يسأل عما عهد. . (تقصد أنه إذا كان داخل البيت يميل إلى الدعة والراحة والنوم كالفهد، وإذا خرج هابه الناس مهابتهم للأسد، وانه كريم سموح بحيث أنه لا يسأل عن شيء عهده فى البيت ولم يجده).

* **وقالت السادسة**: إن زوجى إذا أكل لف، وإذا شرب شف، وإن اضطجع كف. . (تريد أن زوجها يأكل ما فى البيت من طعام، ولا يبقى فيه من شراب، ويكف نفسه عن ملامستها. .)

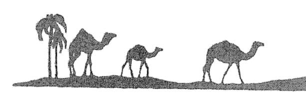
* **وقالت السابعة**: إن زوجى إياب. . غياب. . (تعنى أنه كثير البحث عن العيوب، يذم الناس فى الغيبة والشهود).

* **وقالت الثامنة**: إن زوجى ألمس . . أريح . . أرنب. . (تقصد أنه لطيف الروح، كريم الخلق، حسن العشرة، بعيد عن الشهوات).

* **وقالت التاسعة**: إن زوجى رفيع العماد، طويل النجاد، كثير الرماد، قريب الناد. . (تقصد أنه ذو نسب رفيع ويتقلد سيفا ذا حمائل طويلة ـ لطول قامته وعظيم شجاعته ـ كثير الرماد لكثرة ضيوفه والواردين عليه، قريب النار لقرب مجلسه من مسكنه ليكون ما فى البيت سهل إحضاره على خداعه).

* **وقالت العاشرة**: إن زوجى مالك، وما ملك. . (تعنى أنه رغم ملكه لكل شيء فإنه يعيش كالفقراء الذين لا يملكون أى شيء).

* **وقالت الحادية عشرة**: إن زوجى يزرع، ولا يحصد. . (تعنى أنه يعمل المعروف فى غير أهله، ولا ينال على معروفه نصيبا).





رثاء الأحياء

انتصار أبو عرقوب (الأردن)

داخل سياج الحرمان جلس جدي يحدق في المجهول.. يعيد أشرطة الذكريات إلى الوراء.. ولكن ما باله لا يذكر شيئاً؟!

أشرطة حياته تدور وتدور ولكن لا صوت ولا صورة وكأن جدي لم يولد إلا اليوم.. إنه لا يرى إلا أشباح لأشياء.. حياته دورة عجيبة غريبة مكونة من ظل وظلام.

أهكذا غسيل الدماغ، طفل أجهضته الأيام.. وهل الحياة إلا صورة مصغرة لحقل مزروع بالألغام؟.

أدرك جدي أن شمس حياته قد قاربت على الغروب.. لحظات.. هنيهات وتختفي وراء الأفق مخلفة سحابة جميلة اسمها الشفق:. وبدأ جدي يتمتم تراتيل مرثاة مأساوية حزينة.

غداً أموت
غداً يهزني ملاك موتي
غداً تفارق الأنوار شمعتي
فأنتهي
وينتهي مشوار رحلتي
غداً تعج بالديدان حفرتي
وبعد ساعة هو الصمت
وبعد نفخة أحيا
فيعرف الانسان نفسه
ويعلم القديم والجديد

■ وبدأت العبرات ساخنة تنسكب من بحر عيني جدي ولكنها تفرعت وتبعثرت تشق طريقها بصعوبة خلال التجاعيد والتضاريس التى صنعها وصاغها الزمان!،، إن وجه جدي يشبه إلى حد بعيد خارطة بلدي.

ترى هل يعيد الزمن الدورة ليدخل من بوابة الماضي؟
أينساب الحب بعكس الفكرة كما يفعل نهر العاصي؟
هل تصبح الشوكة سوسنة أو قرنفلة؟
كما أصبح الحجر رصاصة وكما أصبحت حبة البرتقال في بيارتنا قنبلة!
هل تضحك الدمعة بحرارة؟
وهل تبكى البسمة بمرارة؟
هل أحب فيك كل شيء وأكره
فيك لا شيء

أسئلة سأضع لها لحناً لكي أغنيها وصورتك يا بلدي الحبيبة سأحملها معي إلى قبري لكي أبقى دوماً أسرح النظر فيها.

تنهدات

عفاف سكرى - الجزائر

في موكب الحزن شدتني عواديها
يا قصة جرفت قلبي لواديها
ما كنت أحسبها تجتاح عاصفة
بالروح تشحنها قرحا فترديها
وتزرع الشوك في اعماق ذاكرتي
فأرسل الدمع من عيني وأبكيها
مادت مزمجرة في سيل ثورتها
فأغرقتني وسارت بي لماضيها
وجرعتني حروف المر في صغري
فسرت في ركبها أحدو كحاديها
قد كنت املك أظفارا مقلمة
عن التشبث بالتقوى لأحميها

امنحنى طفلا

وفاء جابر القاهرة

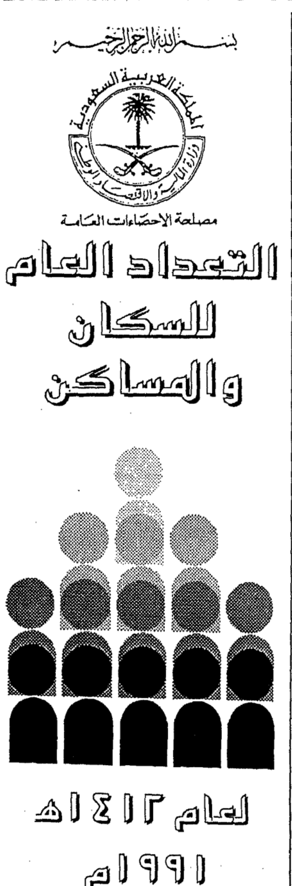
حوار خاص.. خاص جدا.. يدخل في خلايا الاحلام.. وينسج فكرة هائلة الجناحين.. تطير الى البعيد البعيد لنخاع الدهشة والمتعة.. اتحلق في صدرك فكرة مجنونة.. تمتد ايدينا بمساحة خطيرة من عشق.. اتصدى لعيونك الولود.. ذاخرة هي بمولود وحيد.. هلم الى امنحنى طفلا.. يتبختر في احساسى البكر.. يشبه جنونك المتفرد.. طفلك المستحيل الطالع مع عيونك تلك ألمحه يزغرد في قلبي.. يتبرك بمساحة الم الرجولة.. ينمو فوق اعصابي ويكبر باسم الله.. (امنحنى طفلا) لم يوجده ربي الا في عينيك الفذة.

يشبهك.. يتقلد سيفك.. يمارس دورك.. ويؤكدك في عيني.. يحمل نفس فصيلة دمك وجبينك وعيونك.. بسمة ثغرك.. وتحملك.. وضميرك.. وشجونك.. وجنوني.

(امنحنى طفلا) بلون بلادي.. بعنف حنيني الى التغير.. بصدق شعورى بالوحدة اقويه بعاطفتي.. اكون فيه افكاري.. اجس جبينه الغض.. امارسنه باحساسي.. امنحه كل تعاليم الرب.. واهذبه بشرائع امتنا الحرة.. وافيض عليه من دمي.. املكه ليملكني.

(امنحنى طفلا) لأعود به الى دنياك عاشقة.. أبايعك على احلامنا فيه.. الى عينيك يحملني لدنيا من مشاعرك.. اريد الطفل مجنونا كما انت.. يناغيني.. جنون الصدر يأمرني ويطويني فأصرخ ملء حرماني.. عد بالطفل ثانية لعينيك.. لتحرقني اماني.. ليلهبني شخوص الطفل.
من عينيك.. يغذيني جنوني أن اعاوده..
واطويه بشرياني.. وارميه الى عينيك.. وترميه باحضاني.
ودائرة تدور بنا.. اريد الطفل في عينيك.. اريده لصق احضاني.





وانهارت الروح عند الحب صاغرة
يشدها لخيوط الطين يبقيها
ومن كؤوس الجوى بالدمع مفعمة
يذيقها الشوق يسقيها فيشقيها
حتى طفت مسحة بالنور فانبلجت
غياهب الدرب تشنينى فأطويها
وهبت الريح بالايمان مشربة
فحركت زورقى نصحا وتنبيها
فانساب فى عرض الامواج فى ثقة
يغالب اليأس فى اعتى نواحيها
واليوم فى مهجتى العطشى سرى رمق
مهلهل يتردى فى مهاويها
يا قصة للهوى الفياض من أمد
تطغى فأرسلها للحبر يبديها
لمن أبيع بقايا من صبا ولهي
من يشترى الروح والأطلال يبغيها
من يشترى من جفوني حر دمعتها
يسقي بذور حنين من مآقيها
لا شك لا أحد يرضى بمقبرة
ليبذر الشوق فى أدنى روابيها
لا شيء ينمو سوى أشواك محزنة
مشجوجة الجفن لا تضنى سواقيها
شاخ الغرام وات الوجد في خلدي
لم تبق بارقة للحب أسديها
وذابت النفس فى لألاء توبتها
يرجها التوق للأخرى فيرقيها
وعربد النور فى قلبى بلا وجل
فتأهت الحلكة الوهلى بما فيها
الله يرحم روحا هدها شبق
تحيكه النفس تضليلا وتمويها
يارب عدت الى اعطاف مغفرة
بزورق الجد أرسو فى مراسيها
من لي سواك إذا صاحت هنا فتن
فأنت خالق نفسى انت باريها



٥٠٤ ـــــــ أبو عــواد

إنـك حقا امرأة خيالية . . تحلمين في قصور . . ودرر وتـذاكر وسفر . . ونحن نسحب سلك الهاتف من المشترك . . نخشى أن تكون المكالمه من الشخص الذى وقف إلى جانبنا يوم كنا فى حاجة ماسة لمن يمد لنـا يد العـون والمؤازره . . واليوم نتوارى منه خجلا فالعين ـ بصيرة ـ واليد ـ قصيرة ـ !! .

٥٠٤ ـــــــ ام عمرو

الاحلام لا تكلفنا شيئا فلنحلم كما نريد ما دمنا نكتب الواقع بالورقه والقلم ونلتزم به.

٥٠٦ ـــــــ أبو عــواد

لا يهم ان كان الحب ـ رفيعا ـ أو ـ وضيعاً ـ ولا تهم الشهاده ان كانت عليا ـ تخصصية . . أو دنيا ـ أمية . . المهـم هل أنت بوسعـك أن تجمعي بين الاصالة والعصرية؟! . . وهل بالامكان أن تكونى امرأة عاملة . . وطاهية ماهرة . . وأم لسبعة أطفال . . وتقرئين كل يوم صحيفة يومية!!

٥٠٦ ـــــــ ام عمرو

امرأه عاملة وطاهية. ماهرة وام لسبعة اطفال وفوق ذلـك قارئـة للصحف اليوميه...! هل جرب احد الرجال القيام بكل هذه الاعمال ليوم واحد ام ان للنساء قدرات سحرية خارقة لا يملكها الرجال؟!.

٥٠٧ ـــــــ أبو عــواد

انسانة واحدة فقط تستطيع أن تجعل من الفتاه زوجة المستقبل المثالية ـ بكل ما تعنيه ـ وهذه الانسانه هى الأم . . بشرط أن تكون هى زوجة مثالية . . لأن فاقد الشيء لا يعطيه . .

٥٠٧ ـــــــ ام عمرو

نعم، هى الام فعـلا أول واهم نموذج تتعلم منه الفتـاه.. فلنحسن اعدادها ولا نستكثر عليها ميزانية التـربية والتعليم الجيد.. فكل ما نخصصه لها يعود علينـا فى النهـايـة، اعنى الرجال من واضعي خطط الانفاق والتنمية.

٥٠٨ ـــــــ أبو عــواد

ان الـزوجـه التى تستطيع أن تكسب ثقة أهل الـزوج بوسعهـا أن تعيش فى بيتهـا بمنـأى عن العـواصف!!! . . وبمقـدورهـا أن تقتحم بزورقها الامواج . . لأنه السلاح ـ الذي يمكن أن يكسبها الأهلية . .

٥٠٨ ـــــــ ام عمرو

وكثيـرا ما تكـون ثقة الزوج فى زوجته المعلنه والمخفيه هى اهم ما تحتاجه الزوجه لكسب ثقة اهل زوجها.

٥٠٩ ـــــــ أبو عــواد

هل أنت حقا تبحثين عن السعادة . . إذن جربى حظك فى تقمص شخصية رجل اذا كان زوجك جادا فى حديثـه . . وشـاركيه الحـوار بعقلك . . وعـودى لطبيعـك الانثوى اذا كان الحديث ليس مصيريا أو



هاماً . . وشاركيه الحوار بالعقل تارة وبالقلب أخرى .

٥٠٩ ـــــــــــــ ام عمــرو

تتمنى كثير من النساء ان تثبت لزوجها ان داخل جمجمتها عقل لو اعطاها اذنه مرة واحدة.

٥١٠ ـــــــــــــ ابــو عـــواد

بعض الأزواج يطمعون فى زواج النساء الثريات وعنـدما يضعون أيديهم على تلك الثروه . . وتمارس عليهـم ـ المنية ـ من الــزوجـــه ! ! . . تثـور فيهم الحميه ! ! . . ويكون سبب اللقاء . . هو نفسه مبعث الشقاء . . والفراق ! ! . . أو بمعنى أصح ـ الطلاق ! !

٥١٠ ـــــــــــــ أم عمــرو

المـال يأتى ويذهب ويبقى طيب الخلق وحسـن المعشـر انه الثروة الحقيقية.

٥١١ ـــــــــــــ أبو عـــواد

المؤسف أنه بتقادم عهد المرأة بالزواج وبالرغم من اكتسـابهـا خبرات تسـاعد فى تقريب وجهات النظر والرفاء فى حياتها الزوجية . . إلا أنها بالمقابل تفرط فى بعض الأمور الهامة فى معاملتها مع زوجها والتى ما كانت أبداً لتجرؤ على التفريط بها فى بداية عهدها بالزواج .

٥١١ ـــــــــــــ ام عمــرو

الزواج خبره مشتركة يختبر كل شريك فيها شريكه. وقد تكون نتيجتها أن يقدره ويحترمه او يستهين به ويقلل من شأنه.. فإذا كان طول العهد بالزواج قد علم الزوجة أن تستهين بزوجها فليبحث فى دفاتره القديمة عما وقع فيه من خطأ وليصححه لو كان هناك وقت باق لتصحيحه.

٥١٢ ـــــــــــــ أبــو عـــواد

نعــم يا سيدتى : إن الذين يخشون على أناملهم من أشواك الورد تظل أنوفهم أقصر من شذاه وعبيره .

٥١٢ ـــــــــــــ ام عمــرو

نعم يا سيدى ان الذين يخشون على (أصابعهم) من اشواك الورد تظل انوفهم اقصر من شذاه وعبيره.

٥١٣ ـــــــــــــ أبــو عـــواد

صـحيح ان عيون الـرجال فارغه . . لكن ليس بالضـروره أن تكون الدوافع ماديه بحته . . فثمة أمور معنـويه كثـيرة تحول اهتـمامهم عن أمور مادية ثرية الشكل والمضمون .

٥١٣ ـــــــــــــ ام عمــرو

العين الفارغة ترى الشكل الخارجى فقط لان العقل المملوء وحـده يدرك اننا لا نعرف حقيقة إنسان الا بمعاشرته واختبار صحبته. وكثير من الرجال تخدعهم حيل الصائدات الماهرات اللاتى يتحولن من ملائكه الى شياطين بعد وقوع الفريسة على وجهها.

رسالة من أبى العتاهية إلى السيدة الجميلة

حبيبتى عتبة:

من طاقة الحبس الذى ألقانى فيه أمير المؤمنين هارون الرشيد، أبعث برسالتى هذه إليك لأطمئنك على أحوالى وما جرى لى.. أخذونى عنوة من بيتى فى الليلة التى كنت فيها تزورين أهلك ومعك أولادك. ولقد طلبت من جند أمير المؤمنين قبل أن يقتادونى إلى الحبس أن يمهلونى حتى أكتب رسالتى هذه التى ما إن انتهيت منها حتى أسلمتها إلى جاريتنا «محبوبة» كى تعطيها إليك.. فإياك إياك أن تطلعى أحدا عليها أو تفشى ما بها من أسرار واننى أحذرك وأنذرك لأننى أعلم أنك مصابة بآفة المباهاة والافتخار ولو ألقوا بى إلى السباع.

حبيبتى عتبة:

لا أعلم سبب تلك الخواطر التى هاجمتنى والانفعالات التى تفجرت فى وجدانى وخيالى حتى صيرتنى فى موقف لم أعانه من قبل، فقد وجدت نفسى وأنا أزداد اليك حبا وبك شغفا وعليك خوفا.. ووجدت نفسى فى ذات اللحظة وأنا أستعر منك غيظا وعليك نقمة ولك مقتا.. نعم، اعتورتنى كل تلك العواصف النفسية بغير أن أعثر على لحظة من راحة البال تعيننى على احتمال ذلك البلاء.. آه يا عتبة.. آه يوم أن وقعت فى حبك: سبانى سحر ألحاظك، وجمال أعطافك ومبغوم ألفاظك.. ورشاقة خطاك وغضارة محياك..

حقا لقد حسدنى عليك صديقى أحمد وغبطنى على حبى لك ولهجى باسمك:

قال لى أحمد ولم يدر مابى
أتحب الغداة عتبة حقا؟
فتنفست ثم قلت: نعم حب
ـا جرى فى العروق عرقا فعرقا
لو تحسين عتيبة قلبى
لوجدت الفؤاد قرحا تفتقا
قد لعمرى مل الطبيب ومل الـ
أهل منى مما أقاسى وألقى
ليتنى مت فاسترحت فإنى
أبدا ما حييت منه ملقى[1]

حبيبتى عتبة:

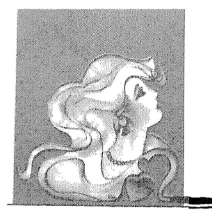
ماذا أقول لك يا حبيبتى؟.. يا حبيبة عمرى؟ هل أقول لك إنك كنت ماهرة فى صناعة الحب؟ وفى إضرام نار الجوى بالقلب؟ تتأبين مزدهية بجمالك الذى شغفنى وأخضعنى.. فتارة كنت تجسدين الهفوة اليسيرة وكأنها جريمة خطيرة وعبثا أحاول أن أفسر لك نيتى وقصدى ولكنك تصرين على اتهامى بخيانة حبك والتلون له.. فكم صددت.. وكم هجرت، وحيرتنى فى صدك وهجرانك وإن تبت بين يديك توبة نصوحا.

الله بينى وبين مولاتى
أبدت لنا الصد والملالات
لا تغفر الذنب إن أسأت ولا
تقبل عذرى ولا مواتاتى
منحتها مهجتى وخالصتى
فكان هجرانها مكافاتى
أقلقنى حبها وصيرنى
أحدوثة فى جميع حالاتى

■ نعم، صيرنى هجرانك أحدوثة فى جميع حالاتى حتى أننى:

برمت بالناس وأخلاقهم
فصرت أستأنس بالوحدة
ما أكثر الناس لعمرى وما
أقلهم فى حاصل العدة

■ وتوج الزواج حبى لك وهيامى بك.. وتعاهدنا على الوفاء والنقاء، كما تعاهدنا على الاقتصاد والتوسط فى الانفاق وعدم البهرجة فى الترفه والتنعم فإن نهاية الترف وخيمة وعاقبته أليمة.. وعشنا على ذلك سنوات وسنوات أنجبنا خلالها الأولاد والبنات. ثم رأيتك تزدادين كلفا بملذات الحياة وتزدادين شرها للذيذ الطعام وناعم الثياب، وصار أولادك على خلقك وسجيتك.



* هو اسماعيل بن القاسم بن سويد .. أكثر شعره فى الزهد والامثال، وكان من أبخل الناس مع يساره وكثرة ما جمعه من الاموال.

محمد عبد الواحد حجازى

وطالما آخذتهم على ذلك وبصرتهم بأن يقتصدوا فى النفقات ولا يقبلوا إقبال الهيم على الملذات فكنت أنت سباقة الى الدفاع عنهم والذود عن نوازعهم. والأمر العجيب أننى قلت لك يوما وكانوا حضورا:

إذا المرء لم يعتق من المال نفسه
تملكه المال الذى هو مالكه
ألا إنما مالى الذى أنا منفق
وليس لى المال الذى أنا تاركه
إذا كنت ذا مال فبادر به الذى
يحق وإلا استهلكته المهالك

■ ولما انتهيت من كلامى رأيتك تقطبين جبينك وتنظرين إلى فى دهشة وسخرية وتقولين لى: من أين قضيت بهذا؟ فقلت: من قول رسول الله ﴿ﷺ﴾: إنما لك من مالك ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت. فقلت لى: أتؤمن أن هذا قول رسول الله ﴿ﷺ﴾ وأنه الحق؟ قلت: نعم، قلت: وياسوء ما قلت ـ فلم تحبس عندك سبعا وعشرين بدرة(٢) فى دارك لا تأكل منها ولا تشرب ولا تزكى ولا تقدمها ذخرا ليوم فقرك وفاقتك؟ فقلت لك: ولكنى أخاف الفقر والحاجة إلى الناس. قلت: وبم تزيد حال من افتقر على حالك وأنت دائم الحرص دائم الجمع تضن علينا لا تشترى لنا اللحم إلا من عيد الى عيد ولولا أننى أقتنص منك بعض الدراهم لما استطعت أن أهيىء لأولادى طعاما شهيا وثيابا فاخرة. فقلت لك: لكأنك إذن تنكرين ما اشتريته لكم وأطرفتكم به؟ هل نسيت أننى اشتريت فى يوم عاشورا لحما وتوابله وما يتبعه بخمسة دراهم؟!!

■ إن هذا يا حبيبتى يذكرنى بما طلبه منى أمير المؤمنين هارون الرشيد فلمولانا غرام شديد بغناء الملاحين فى الزلالات إذا ركبها وكان يتأذى بفساد كلامهم ولحنهم وسقم معانيهم فقال فى احدى المرات: قولوا لمن معنا من الشعراء يعمل لهؤلاء شعرا يغنون فيه وتحمست للطلب الشريف فقلت:

خانك الطرف الطموح
أيها القلب الجريح
لدواعى الخير والشر
دنو ونزوح
هل لمطلوب بذنب
توبة منه نصوح
أحسن الله بنا
إن الخطايا لا تفوح
فإذا المستور منا
بين ثوبيه نضوح
كم رأينا من عزيز
طويت عنه الكشوح
صاح منه برحيل
صائح الدهر الصدوح

■ وما أن انتهيت من قصيدتى حتى بكى أمير المؤمنين، ثم رفع رأسه وقال لى: لماذا لا تقول فى الغزل؟ إن الغزل طب للنفوس القرحة والصدور المنقبضة إنه يبهج ويفرح .. فقلت له:

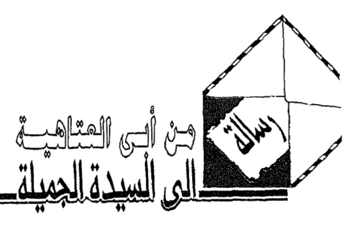
يا مولاى وسيدى لقد عزمت على أن أقول فى الغزل شيئا.. ثم أمرنى بالانصراف وكان جزائى ما أنا فيه الآن.

حبيبتى عتبة:

أما آن لنا أن نخفف قليلا من حبنا للشهوات وحرصنا عليها ولهجنا بذكرها كأننا ما خلقنا فى هذه الحياة الا من أجلها؟.. أما آن لنا أن نزجر نفوسنا فنكفها عن الهوى الذى طالما غرقت فيه؟.. أما آن لنا أن نعود إلى رشدنا ونحكم عقلنا فى هذه الحياة الدنيا التى حفت بالشهوات؟

حبيبتى عتبة:

اعلمى أن فرج الله قريب وأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا.. إننى أعلم مدى حب أمير المؤمنين لى وعطفه على ولذلك فإننى أرسلت إليه قصيدة لا أشك فى أنها ستميل قلبه فيصفح لقد قلت فيها:



من أبي العتاهية الى السيدة الجميلة

لأمر ما تصرفت الليالى
وأمر ما تقلبت النجوم
تموت غدا وأنت قرير عين
من الغفلات فى لجج تعوم
سل الأيام عن أمم تقضت
ستخبرك المعالم والرسوم
ألا أيها الملك المرجى
عليه نواهض الدنيا تحوم
أقلنى زلة لم اجر فيها
إلى لوم وما مثلى ملوم
وخلصنى تخلص يوم بعث
إذا للناس برزت الجحيم

■ فإلى أن يمن على أمير المؤمنين بالعفو فإن عليك أن تتجملى بالصبر وتتحلى بالأمل:

واصبر على غير الزمان فإنما
فرج الشدائد مثل حل عقال

الهوامش

(١) ملقى : ملاق شرا
(٢) البدرة: عشرة آلاف درهم.



المشتار

المشاعر الكاذبة

شاعر الريف السعودى

وفرج السيد

هاتفى المهجور بعد اليأس صفر

ولـه اسرعت رجلى تتعثر

يا مساء الخير قالت فى برود

قلت فى صوت كمثل الثلج يظهر

يا مساء الخير أين اليوم كانت

من فؤادى كان منها الوصل ينظر

فأجابت دون فكر أو عناء

كنت فى امسيتى قد زرت كوثر

وهو عذر قد سمعناه كثيرا

وتعودنا له فى كل محضر

وقبلت العذر غصبا أو رضاء

طالما قولى ورأيى لا يؤثر

أو كما قال الذى قد حب قبلى

إن قلب العاشق الولهان يعذر

أو كما قلت أنا فى شرح حالى

من أنا حتى عليها أتامر

ثم قالت صوتك المنهوك يبدو

فى عناء منه قلبى يتفطر

ما درت أنى ملهوف وأخفى

فى فؤادى بعض ما قد كان يضمر

هاتفى الآخر فى أذان أخرى

فى حديث شيق كالشهد يقطر

قلت خفق لقلب هذا من غرام

لك فى قلبى مع الأيام يكبر

خدعة من خدع اللاهين مثلى

يتوخاها إذا للكذب يضطر

ثم قالت ذلك الملهوف تعنى

آخر العشاق فى الجيش المظفر

فلها اكثر من عشرين هاو

كلهم فى قلبها المفتوح يعبر

ذلك الملهوف قالت قال همسا

أين يا حلوة وعدى قد تأخر

غرست من قولها فى عمق قلبى

دون قصد أو بقصد ألف خنجر

ثم قالت قد تذكرت حديثا

اقرأ الشعر الذى قد كنت تذكر

فقرأت الشعر قالت إن نفسى

تعشق الشعر الذى فى الحب يحصر

عندما الشاعر فى لفظ لطيف

للذى يهواه يحكى ويعبر

قبل أن أنطق قالت لى وداعا

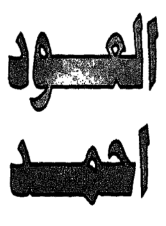
نم هنيئا أو مع الاحلام فاسهر

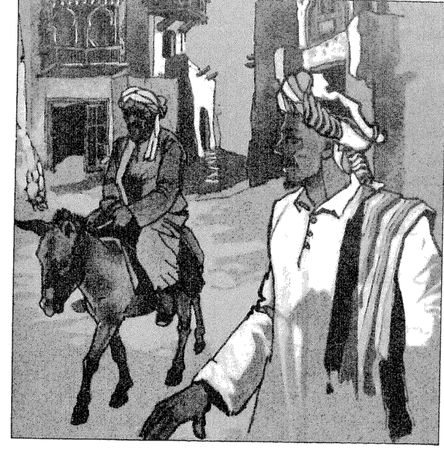
قلت هل للعاشق الولهان وعد

فى غد قالت إذا ما الله قدر

قصة قصيرة:

عثمان سعيد الغامدى





القرية تحتل المنعطف الشمالي من الناحية الشرقية للوادى المتعرج الذى ينكسر من الناحية الغربية ملتفا حول القريه كحارس أمين وتبدو القرية كقلعة كبيرة بها مساريب مسقوفه تقسم القرية الى ثلاثة أقسام وباستطاعتك العبور فى كل الاتجاهات دون أن يراك أحد.

المسجد يتوسط القرية له باحة صغيرة وخزان ماء مخصص لحفظ مياه الأمطار وبه منارة دائرية الشكل تعلو هامات المنازل.

المنازل في أطراف القرية عالية البنيان ثلاثة أو اربعة أدوار ذات فتحات ضيقة يصعب تسلقها تحسبا لطالب ثأر أو لص القرية لها روح معمارية مميزة وهندسة في التخطيط فرضتها الظروف السائده آنذاك..

وفى هذه القرية تدرج حمدان في كل الوظائف رعى (البهم)(١) حتى قارب البلوغ وانتقل إلى رعاية الغنم حتى اقترب من النضج وتوالت الأحداث عليه.. مات أبوه وأمه خلال عامين وبقي هو وأخته مليحة المخطوبة يصارعان الظروف بقليل من التجربة، يزرعان الأرض ويسقيانها، المحراث يحتاج لمران وثور متمرس، وعدة الساقية تحتاج لتجربة كبيرة، والثور كل شيء في حياتهم، الكل فى خدمته، وجباته متنوعة، العلف (والقصيل)(٢) والبرسيم متطلبات ضرورية للثور (والفريقه)(٣) تطبخ له في كل المواسم بانتظام، ويحتاج لمتخصص في عمل اللقم بأعواد الذره والبرسيم.. الثور يأكل ما حرث وما سقى ويشاركهم في الحبوب وكل جهد.

الأسرة وعرقهم من أجل ارضاء الثور وتهيئته للحرب (والدياس)(٤) والسقي..

تزوجت مليحة وبقي حمدان وثوره حبيش شغله الشاغل، وتحتل الثيران مكانة فى قلوب المزارعين، إذا مرض حزن أهل البيت وأصبح حديث المجالس في القرية وضاق حمدان ذرعاً بحبيش وبات هما ثقيلا على قلبه وزادته الوحدة تصميما على أن يغير نمط حياته وقرر الزواج.

وتشاور مع الأعمام والأقارب ووقع الاختيار على ابنة العم سعيد - عزيزة - ولبس وتبخر واحتزم بجنبيه واصطحب أقاربه المسنين لبيت العروسة وكان العم سعيد مترددا حتى لمح الرضا باديا على أهل بيته ووافق وتم الزواج وأقيمت الافراح ثلاثة أيام.

وعادت الحياة تدب في بيت حمدان من جديد..

ومضى عام وحمدان وعزيزة في سعادة متناهية، كان ثمرتها طفل جميل أسمياه (صالح) ويده في يدها فى الحلوة والمرة.

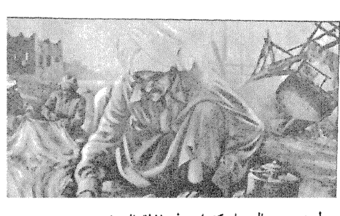
وباتت عزيزة حديث الناس والسبب في ذلك صبرها وجلدها فقد كانت في شهرها التاسع تنقي الحشائش (وتنزع)(٥) أعواد الذره في مزرعتهم القريبه من الطريق

عندما لمحها العم أحمد وهو عائد من العمل خلف جمله . .
وحياها قائلا : (والعون)(٦) . . رفعت رأسها : الله يعينك .
يا ابنتي أعـطيني هذا العشب للجمـل خالتـك رفعـة مريضة . . وحزمت له حزمة كبيرة وناولته متمنية لها بطول البقاء .
وفي اليوم الثاني رآها تستكمل العمل . .
وقال : صباح الخير وردت عليه : صبحك الله بالنور
قال لها : عندك ولم يكمل فقد سمع صوت مولود في سند المزرعة (الركيبة) يبكي واقترب منها وحدق فيها بدهشه ورآها تبتسم قائلة : بارك لنا ياعم أحمد فقد رزقني الله ولدا البارحة . .
ما شاء الله يبارك الله فيه ولكن بالأمس . . قاطعته ماذا أفعل الوحيد كان الله في عونه . .
وراح يتمتم الله يحرسك من أولاد الحرام . .
وراح يشيع قصتها بين الناس . . .
وحمدان الذى كان يشكو الوحدة أصبح ربا لأسرة بدأت تكبر . . .
وثوره حبيش يتمتع بالنصيب الأكبر من اهتمام عزيزة رغم قدوم الوافد الجديد لا سيما ان المزارع في حاجة الى ماء . .
«الطوف الاول» . .

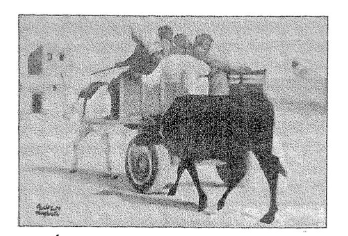
وبدأ حمدان فى تفقد (الارشيه والمقطان والقتب والسهمان والمحالة والدراجة)(٧) .
وحول (المله»)(٨) دار هذا النقاش .
قالت : يا أبو صالح بكره نسقي مزرعتنا في «الحازم»
أجابها حمدان بدرى عليها أنت لازلت نفساء وولدنا أهم . .
قاطعته : أنا بخير والاولات الروابح (والجمة)(٩) ما تكفي لفلجل واحد وهز رأسه بالايجاب .
وفي الصباح الباكر ركب حمدان العدة على قرون البئر وهو يعتقد أنه بات خبيراً وعزيزة بين الزرع تنظر وصول الماء .
ونطق العبارة المألوفة «عل على الله الفرج وفي نهاية المجرة هو» لغة يفهمها الثور مرة مرتان ثلاث مرات عبر المجرة الممتـدة بطول البئـر وفي المـرة الرابعة اختل توازن الثور وسقط أرضـا ولسعـه (بالعرقة)(١٠) قفز الثور مهرولا تجاه البئر وانفرط العقد، سقطت المحالة والدراج وبقية العدة واختلطت الأرشيه والمقطان وسحب الغرب المملوء بالماء الثور إلى القاع يتدلى قليلا ويسقط في البئر محدثا ارتطامة دوت دوياً كبيراً .
تسمع عزيزة الصوت وتلتفت إلى ناحية البئر وإذا كل شيء استقـر في قاع البئـر وتـطلق صوت الاستغـاثـة ويصيح الصائح ويتجمهر الناس . .
وعـزيزة ألقت بنفسها فى البئر لترفع رأس الثور حتى لا يمتـلىء جوفه بالماء ويختنق وحمدان مندهشا لما حدث . .
تولى الرجال رفع رأس الثور وبدأوا في تربيطه تمهيدا لإخراجه . .
وعزيزة تضع قوتها مع الرجال إذا سحبت معهم ارتفع وإذا أعياها التعب وفكت يدها عاد الثور إلى الماء .
والخوف ان يموت الثور «لأن طائحة الديره لأهلها» .
إذا أحسوا أنه سيموت ذبحوه وأكلوا لحمه بدون عوض . .
وعـزيزة وحمـدان يشحذان الهمم المثبطه وبعد عناء طلع الثـور وتجمهـر الناس حوله بعضهم اشتهى لحمه قال : سعيد الأعـور سيموت، أضلاعه مكسرة وطالب بذبحه وقال : بعضهم صدق سعيد اذبحوه الله يعوض عليكم .
وآخرون إنه سليم كسر بسيط في ساقه . .
وحمدان واجم مستلق على ظهره فى (الفلج)(١١) الذى به بقية من ماء .
وعزيزة تقبل ثورها حبيش وتطبطب عليه وتتحسس عظامه وترجوه أن يعيش، ولدها الرضيع يبكي معلقاا في (ميزبه)(١٢) بشجرة المشمش وهي لا تعبأ به فالثور فى هذا الموقف أهم . .
وبعـد ساعـات من العناء والتدليك قام الثور وهو يعرج وخطوة يقوم وأخرى يتعثر حتى وصل إلى السفل بالبيت . .
اشعلت النـار وأخرجت من البيت الحب والنقاء لتصنع وجبة دسمة للثور وهى تدرك ما للنقاء من قدرة على تجبير الكسور . .
حمدان صامت تعلو وجهـه مسحـة حزن واحبـاط وأهل القـرية نسـاء ورجـالا يتوافدون يهنئون بسلامة الثور . .
حمدان يعتقـد أن الثـور لن يستـطيع الحـرث أو السقايه وزوجته تصر على أنه بخير وسيعود كما كان وهو يشكك في آمالها ويغرق في التفكير .
سيموت الزرع وموسم الحرث كيف سيحرث أرضه؟ . .
كيف وكيف تكاثرت همومه والثور بهذه العاهة لا يساوى نصف ثمنه . .
ويومـا بعـد يوم تحول البيت إلى صمت مطبق . . تحول الوادى الى (أشباح نخل خاوية)
الـزرع بدأ يذبـل والثـور يزداد شحـوبـا . . والنـاس لا يستطيعون مد يد العون .
ويستعيد الذكريات، سقط الثور، لسعته بالعرقه «السوط» بقـوة، انـدفـع نحـو البئر، ما كان يجب أن أضربه فهو (جفول)(١٣)، لابد أنني اخطأت التركيب، بل العدة هي

السبب بل أنا . . كيف لو عرفت أنني . . لسعته . .
ويحاول أن يخرج من هذه الدوامة . . ويناديها ويكرر النداء بصوت مرتفع ويتجه صوب السفل غاضبا معتقداً أنها سمعته . .
وصمم أن يلقنها درسا في الادب واحترام الزوج . . .
ولكنه تراجع عندما وجدها ترضع (صالح) وتلقم الثور وتلوك شيئاً من قصب الذره الحلو المذاق مستغرقة في عملها بهمة ونشاط . . وعرف أنه لا سبيل لها في اطعام فم رابع وجلس بالقرب منها وشرد بذهنه وهي تراقب شروده وتبكي بصمت ويزداد الموقف سوءا وعيناها تتهمانه بالتقصير . .
الناس يزرعون ويسقون ويجنون والخريف يؤذن بالرحيل . .
وكل همها حبيش وصالح ونظرات التأنيب تزداد كلما رأت الثور يتلوى من الألم . .
وخرج حمدان وسمع خلسه الناس يتحدثون، والله ما يستاهل ضفرها، الناس في كفة وهي في كفه يوم طاح الثور . . وآخر يقول: دفنت نفسها بالحياة . .
وراح يرد سيل التهم الموجهه اليه بترديد المثل «اذا طاح الثور كثرت سكاكينه» ويعود أدراجه مفكرا في حاله وكيف يتحمل المسؤلية فى ظل هذه الظروف . .
يدخل واجما ويخرج لا يدرى أين يذهب . .
وعزيزة تحترق وهي ترى اليأس وقد استولى عليه وتشفق عليه ولكنها تريده قويا لا تحسسه بشيء من عواطفها نحوه . .
يبادلها النظرات خلسة ويتذكر كيف كانت تعامله برقة متناهية وكيف سلب الثور «حبيش» كل تلك المعاني وتزاحمت هذه الصور في رأسه . .
ولاح في الأفق الحل . . السفر، ديار الله واسعة وتذكر كلام الشيخ محمد . .
«سافر ففي الأسفار خمس فوائد» .
ولكن إلى أين . . . . .
إلى مكة أم القرى حيث اقترب الحج . . ولكن لا أجيد إلا الرعي والزراعة . . وكيف سيكون وقع الخبر على عزيزة ومن يسافر من القرية إلا الشيخ محمد وهو رجل علم ودين . .
هل توافق عزيزة أم تعتبر هذا تهرباً من المسئولية ربما ترجوه أن لا يفعل .
ويضعف أمامها . . عليه أن يرحل بدون ضجيج . .
وبات ليلته بين أخذ ورد . .
وفى الصباح صلى فى المسجد وعاد إلى المنزل والنار تتأجج تحت الدلة وهى تصلي وتململ قليلا حتى فرغت من صلاتها وقال: صباح الخير وردت صبحك الله بالنور، واخرجت تميرات قليلة وصبت له فنجاناً من القهوة وبحث بين التميرات عن ثمرة صالحة للأكل ولم يجد شيئا وهو يعرف أنها أخرجتها للمره العاشرة . .
وقربت الدلة منه وأخبرته بأنها ذاهبة للوادى لجلب العشب للثور قبل احتماء الشمس . . وقبل أن يستيقظ صالح . .
وحملت قفتها واتجهت للوادى . . مما سهل المهمة على حمدان . . السفر
وقام لصندوق (السيسب)(١٤) وأخرج ثوبه (المبرم)(١٥) النصف جديد ولبسه ووضع شيئاً من الدقيق فى صرة حملها على كتفه وحمل ابنه بين يديه وخرج مسرع الخطى متجها إلى بيت أخته . . واخبرها بما عزم عليه وهو فى عجلة من أمره حاولت أن تمنعه لكنها رأت التصميم عليه وأخبرها بأن عليها ابلاغ زوجته بالأمر وقبل ابنه والدموع تتساقط على الشعيرات المتناثرة على ذقنه وودع أخته وهى تبكي، ودست بعض النقود وحجلها الفضي في جيبه فهى تعلم أنه لا يملك شيئا . .
وخرج متجها إلى شعب العين ليلقي نظرة وداع على زوجته بين أشجار العرعر الباسقه الطول المتزاحمة على أطراف الوادى رآها تجمع العشب فى خفة ورشاقة .
ألقى نظرة الوداع الأخيره واتجه إلى طريق العصبة الذى ترتاده قوافل الحجاج، وعبر سلاسل جبال السروات المتعرجه الطرق هبوطا وصعودا حتى وصل مكة في اليوم الثامن متورم الاقدام متسخ الثياب وراح يتفرس في الوجوه المتباينه الأشكال لعله يعرف بعض أبناء القبيلة .
وبجوار الكعبة المشرفة التقى بعلي بن جمعان وأخذه الرجل إلى دهليز في عمارة متعددة الأدوار بين أزقة سوق الليل وأخبره بقلة حجاج هذا العام وقام بواجب الضيافة، وبالتالي ففرص العمل قليلة وبعد أسبوع وجد لنفسه عملا لدى بعض المطوفين مقابل الأكل والشرب وما يعطيه الحجاج من اكراميات .
ومر الحج وبدأ الحجاج بمغادرة مكة . . .
وقابل رجلا من السهل من قرية السوق ارتاح له واشتكى له همومه وأفرغ ما في صدره وأخبره الرجل: يقولون هناك بلاد اسمها توكر ومصوع والسودان والحبشة بيننا وبينهم بحر الخير فيها والزراعة لا تحتاج إلى سقايه الثيران، الأمطار والعيون فى كل مكان .
وحمدان يستزيده، الله أكبر يا لدنيا هه وبعدين . . الرجل يواصل حديثه ناس من قرية الحصن سافروا لها ورجعوا بالفلوس والهدايا واشتروا المزارع صار عندهم تجارة، يقاطعه كيف يسافرون لها . . يركبون السواعي من جدة

أربعة أيام في البحر ويصلون، والناس ما عندهم حسد في تلك الديار، وسأله ما تعرف أحد فيها؟
أي والله صاحبي من الروح للروح عبد الله . .
حمدان يطلب أن يكتب له كتاب توصية وسأله الرجل وهل صممت على السفر ، نعم وأريد منك الكتاب الليلة.
قال الرجل: لا تتعجل فكر بالموضوع . .
رد عليه الليلة بعد العشاء آجيك . . . وخرج إلى قهوة الشيخ لعله يجد أحداً من أبناء القبيلة مسافراً إلى الديره ولكنه لم يجد أحدا . .
وعاد أدراجه متجها للرجل وأخذ منه الكتاب واشترى كمرا ووضع فيه حصيلته من النقود وفي اليوم الثاني غادر إلى جده وركب السواعي مع بقايا حجاج وناس طوال القامة سمر، يكثرون من الطلاق، يفهم القليل من كلامهم.
يتسامرون وهو صامت منطوعلى نفسه يراقب صخب الموج وقلبه يفيض ألما وحزنا يرى (صالح) وأمه في كل قطرة ماء ونسمة ريح . .
وفي اليوم الثالث لاح لهم الشاطىء كخيط رفيع والركاب يلملمون أشياءهم ويتهيئون،
وفي اليوم الرابع وصلوا وهو لا يعرف مصوع وتوكر والسودان والحبشه . . . ما عليه، الدنيا واسعة، والمهم أن يجد عملا، ونزل يحمل صرته وكمرا في وسطه، ملابسه غريبة والناس كل يتجه لوجهة معينة، وهو يتسكع في الطرقات كل ما أحس أنه غريب أخرج سلاحه، الرسالة التي ستفتح له الابواب المغلقه.
وراح يسأل عن عبد الله ليعطيه الرسالة وتأتيه الاجابة ذاتها كل مرة هزة رأس، لا أحد يعرف هذا الرجل (عبد الله) . .
واتجه غرباً متعمقا بين القرى المتناثرة حول النهر . .
انبهر برؤية الأغنام والأبقار وأعدادها الكبيرة والخضرة والمياه وراح يعرض خدماته على المزارعين وأفهمهم أنه مزارع ماهر . .
وبعد قرابة أسبوع وصل إلى قرية حالمة هادئة يلتف بها النهر من ثلاث جهات وحولها تنتشر مزارع القطن والذره والدخن والقصب وبها سوق وفيها مقهى مبني من أعواد الحلفا والذره.
في ركن منزو من المقهي رجل عجوز تبدو عليه آثار السنين يعد بعض النقود يرفعها إلى ان تلامس أهداب عيونه يتفحصها ثم يلقيها في صندوق متهالك قديم . . ملامح الرجل تبدو من عرب الجزيرة، ألقى عليه السلام وجلس على خصفه مهلهلة تناثرت أطرافها وطلب حمدان من الرجل ان يساعده في ايجاد عمل له . .



لم يتحمس الرجل كثيرا، وفي غفلة الرجل وضع حمدان رأسه على الصرة الخاوية وراح في اغفاءة من شدة التعب والجوع وتقدم العجوز وتفرس في وجهه وخرج وبعد فترة عاد مع رجل طويل أسود شعره متداخل، نصف شعره أبيض والباقي أسود وسمع الصوت وفرك عينيه والرجل يتجادل مع العجوز عرف أن الرجل في حاجة له ومشى خلفه إلى ما يشبه كوخ بجوار النهر حوله أغنام وأبقار وبعض الجمال وعرف أن عليه الاهتمام بها . . .
ومرت الأيام والشهور سراعا وهو يجاهد في معرفة كيف يتعامل معهم واستغرب من انتاج الذرة مرتين في الموسم الواحد الحبوب لا تباع تلقى على الارض اغلبها يفسد من كثرتها . .
السوق يقام يوم الأحد وبعد ساعات تهد الدكاكين المقامة من الأعواد وكأن شيئا لم يكن يتقايض الناس في أغلب السلع . .
اذا فاض النهر جاع الناس وماتت المواشي . . وإذا أتى الجراد أكل الاخضر واليابس، والناس سنة جياع حفاه عراة . . . وسنة لا يدرون أين يضعون الحبوب والمواشي وسنه أخرى أصبح يزرع ويربي المواشي لحسابه، الطقس يرتفع وينخفض، من فترة لأخرى يزور العجوز في مقهاه ويخرج وهو مصر على أن لا يعود اليه.
مرة اخرى يحدثه عن صالح وزوجته باسهاب ولا يسمع منه إلا نعم أو لا . .
وفي الطريق إلى الكوخ يصيح بأعلى صوته ويغني «شريت لي ثور من ويلي اليبانيه يرتح وينطح وفيه عيوب شرعيه» لا أحد ينكر عليه ذلك . .
وكلما فكر بالعودة يتذكر المثل «من غاب جاب الغنائم» . .
وكادت فترة الغياب أن تكسر شيئا في نفسه تجاه عزيزة . .
وظل يؤنب نفسه حرام أهجرها عشر سنوات وابني ما مصيره؟ أسئلة تحاصره ويتهرب منها، ربما تزوجت؟ من حقها ذلك، يسأل ويجيب ويتذكر كيف اهملته وكيف سرق حبيش منه كل شيء وقوض أحلامه وراح يلملم ما بقي في ذاكرته عنها.



وعلى الشاطىء الآخر وفوق جبال السروات وفي أحضان تلك القرية ظلت عزيزة تتألم وتبكي وتقاطع أفراح القرية وتنحت من الصخر مكاناً لها ولابنها . .

وعـادت للثـور حبيش عافيتـه وزرعت وقلعت وانتظرت الغائب لعله يعود . . الناس يقولون : إنه مات . . ويأتي ردها عليهم بشراء الاغنام وتضمها إلى قطيعها وتخبرهـم أنه هو الذى أرسل لها النقود . .

صالح كبر وأصبح في الحادية عشرة يرعى الغنم ويساعد أمه في الحرث والسقي والحصاد . .

ازدهرت المنطقة وتداولت الريالات وفتحت المدارس . . .

ولاح الفرج لصالح ، لا بأس بعمل أى شيء والمدرسة هى الحل

أم صالح تنتظر الفرج وتغلف أحزانها بالصمت والعمل . .

وعـادت الاشـاعـات مرة أخـرى . . ناس قالوا تجنن ، وآخرون . . قالوا الحج جاء فيه شوطة تلك السنة ومات . . الذين وراء تلك الاشاعات لهم أهداف . . يمكن تيأس وتتزوجني قالها البعض . .

وهى تزرع وتجني اللوز والمشمش والـذرة والحنـطه وتبيع الفائض في السوق . . . وتضع الريال على الريال .

اشـترت بقـره ولدت مرتين وحبيش رغم كبر سنه الا أنه سمين وهى تتمسك به رغم وجود ثور اخر .

امتـلأ البيت بالحبوب والثمار، مزارعها وأغنامها وأبقارها أفضل ما في القرية . .

صالح بدأ في الذهاب للمدرسة وكثرت أسئلته عن أبيه بإلحاح ويأتيه الرد المشبع بالتفاؤل والأمل . .

سيعـود قريبـا سيحـج هذا العـام ويعود لنا . . . ملامح الرجولة تبدو على صالح وقررت أمه ان تزيد غرف المنزل تمهيدا لزواجـه ولا سيما أن لديها المال الكافي وصالح فى السنة الاخيرة من المرحلة الابتدائية . .

وبـدآ يجنيان ثمار كفاحها طوال السنين ويبيعان العجول والاغنـام والفـواكه والحبوب ، وعزيزة تحلم بعودة حمدان ستذبح حبيش من الوريد إلى الوريد وأرمي لحمه للطيور والكـلاب . . سنـدعـوا أهل القرية ونذبح لهم العجول والخراف ، سألبس صيغتي وثيابي وأقيم ليلة عرس جديدة . .

وما عادت مشاريعها الجديدة تنسيها حمدان ، قررت إعادة طلاء الأبواب بالقطران والجدران بالشيده والنوره . .

وعجبت من حالها وأفكارها وبدأت تكتم أنفاسها اللاهثة كلما تذكرت حمدان .

« العـــوده »

حمدان قرر العوده فقد مل من اخراج الصرة وادخالها ومن عد النقـود وتغـيرت معـاملة الناس ونفوذ الاغراب (الخواجات) واحكام قبضتهم على خيرات البلاد ، دراهم حمدان توقفت عن النمو وخشي ان تتناقص أكثر وأكثر .

الحجاج العائدون أخبروه أن البلاد المقدسة فى أمن وأمان وقـد توفر فيها كل شيء والسيارات تنقلهم من مكة إلى المدينة وتحركت في قلبه العواطف المجمده وثارت وتمردت عليه بشدة .

يريد أن يرى ابنه ، أما عزيزة فلن يجدها بانتظاره ، ويشطح به الخيال ويراهـا وقـد تزوجت ولـديهـا البنين والبنات ، وخـاطب نفسـه : أخطأت المرة الأولى عند قبولها لى ولن تكرر خطأها وتنتظرني خمسة عشر عاما . . ولكنني سأعود ، وأنهى كل أعماله . .

وركب مع تجار المواشى وبعض الحجاج فى باخرة تعمل بالمكينة ، تجربة جديدة يمر بها وخلال يوم ونصف كانت جدة على مرأى البصر وقد تغيرت معالمها وسأله الحراس عن اثبـات الهوية وبعد أخذ ورد تأكد لهم صدق أقواله وسمحوا له بالدخول وفي خلال ساعات وهو في مكة . .

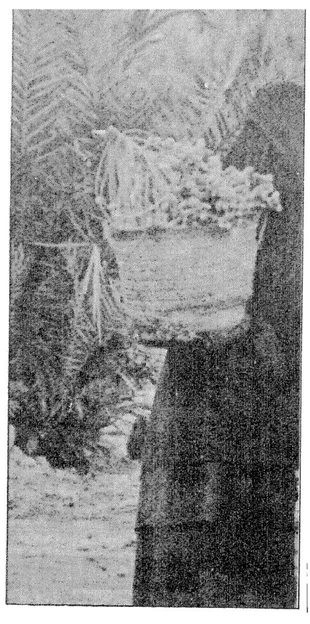
وعرف الكهرباء في الحرم وحملته سيارة الى الديرة مع جمع من الناس وبعد يومين وصل القرية ليلا واقترب من المنزل وقـد تغـيرت ملامحـه وزيدت غرفه والحوش ممتلىء بثغاء الشياه ونياح البقر والبيوت تناثرت حول القريه ، وتشجع وتقدم تجاه المنزل وقرع الباب وكرر القرع مرتين وفي المرة الثالثة سمع صوتا ظل يلازم سمعه طوال السنين من عند الباب . . .

لم يستطع النطق وتكرر السؤال وبشق الانفس قالها: حمدان

وفى لمح البصر صرصرت متـاريس البـاب وانفتح الباب ووقف كل فى محله وجهها كالبدر يعلوه شيء من التعب وبـلادة الاحساس ومعاناة خمسة عشر عاما ، وجهه يبدو عليه الذهول والارهاق . . .

ظل مكانه ينتظر ارتماءها فى احضانه وكادت أن تفعل وإذا

صالح يقطع هذا الصمت.
من هذا الرجل؟ قالت: رحب بالضيف أولا ما هكذا ربيتك! ولم تتمالك نفسها وأخذت تقبل يداه وتجهش بالبكاء وتحمل عنه الصره إنه أبوك وتتحسس جسمه غير مصدقه.. وهو يوارى دمعه سقطت على خده..
صالح يقبله تارة ويتأمله تارة أخرى ويعاود التقبيل واختلط البكاء بالضحكات ودخلوا جميعا متشابكين بالأيادى..
أضاء صالح الاتريك واشعلت هى النار وسمعت الضحكات الرنانة لأول مرة منذ زمن طويل وتتظاهر بفتح الدولاب للتأكد من شكلها من خلال تلك المرآة المهجورة وخلال فترة وجيزة أعدت القهوة والسمن والعسل والتمر والخبز وتكرر السؤال للمرة العاشرة كيف الحال.
وتتعانق العيون بين الفينة والأخرى وصالح ينصرف عنها بصب القهوة وسأل عن كل شيء حتى وصل إلى الغرف الجديدة قالت: إنها لعروس صالح إنشاء الله وهذه الأغنام والابقار والحبوب من خيرك الذى تركته لنا، تريد أن تسمع ابنها، ومن عروستك ياصالح طأطأ صالح رأسه وبدت عليه ملامح الخجل واستأذنهم للنوم في بيته الجديد تاركا لهم الحرية وراحت تسأل بنهم عن غيابه وأين كان وكيف تحمل البعد عنهم كل هذه السنين.
وقبيل أذان الفجر راح يتباهى بعد النقود أمامها وهى تدعو له بطول العمر وتشيد بانجازه قال: سأشترى لك قلادة من الضفار وحجولاً من الفضة وأعوضك عن السنين الماضية ويرفع صوته بالعد وهي ترجوه أن لا يعدها وهو يصر في عناد قالت: نحن نملك نقوداً سنضعها مع بعض وهو يواصل العد.
قالت: له كأنك تريد أن نتحاسب إذن.. وتوقف عن العد
ماذا تقصدين وتحسست مفتاح طرف شيلتها وغابت عنه قليلا وفتحت صندوق السيسب واخرجت كيس خيش مملوء بالنقود وافرغته بين يديه وهو ينظر إليها بذهول.. أكثر من نقوده ثلاث مرات واردفت قائلة لدينا مئة وخمسون من الغنم وبقرتان وثلاثة عجول.. واعتقد أنها اهانة له، واستدركت قائلة الناس تعرف أن هذا من النقود التى تبعث بها ويعرفون أنك الذى امرتني ببناء الغرفتين لصالح ولدينا ثور غير حبيش وعلي نذر عندما تعود أن اذبح حبيش وأطعم لحمه للطيور والكلاب...
وأن أحيي ليلة عرس جديدة/وهو صامت وعليه بقية من غضب..
وهذا كله لا يساوى شيئا بالنسبة لك أنت أبونا حبيبنا وتاج رؤوسنا وكل أموال الدنيا لا تساوى صوت نعالك في



الدخول أو الخروج.
وبدأ عليه الارتياح وألقى بالنقود بعيدا عنه ونظر إليها بفخر واعتزاز وهو يتمتم صحيح الغبائن في النساء...

معانى الكلمات

(١) البهم: صغار الغنم
(٢) الفصيل: نبات الذره
(٣) الفريقه: وجبة من الدقيق
(٤) الدياش: هرس سنابل القمح
(٥) تزعر: تخفف من تزاحم الذره فى الارض
(٦) والعون: دعاء بطلب العون من الله
(٧) الارشيه والمقطان: الخ: مستلزمات السواقى من الحبال وغيرها
(٨) الملة: مكان من الحجر تصنع فيه القهوة والخبز
(٩) الجمه: الحصه
(١٠) العرقه: سوط
(١١) الفلج: مكان مرور الماء.
(١٢) ميزبه: ما يحمل فيه الاطفال الصغار
(١٣) جفول: شديد الخوف.
(١٤) السيسب: الخشب المصنوع منه
(١٥) المبرم: قماش ثقيل.



وقفة مع مختارات من صحافة العالم

قصاقيص .. هى أنباء وطرائف منتقاة من صحف ومجلات العالم العربى والاسلامي وغيرها تحمل مضامين سامية وفى نفس الوقت تمتاز بالخفة والذكاء نأمل أن تحوز أعجابكم ومشاركتكم.. أرسلوا مشاركاتكم الى دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة — مجلة المنهل ص.ب ٢٩٢٥ جده ٢١٤٦١ (قصاقيص) مرفقة بتاريخ ورقم واسم الاصدار المأخوذ عنه.

قرآن كريم

﴿ولا تمش فى الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا﴾ (الاسراء/٣٧)

حديث شريف

« بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجل جمته إذ خسف الله به فهو يتجلجل الى يوم القيامة» (صحيح البخاري/ حاشية السندي)






U.S.NEWS & WORLD REPORT, APRIL 22, 1991

رب ضـارة نافعة

معظم السجاد الشرقى الممتاز والاكثر روعة في العالم يأتي من قرى صغيرة في الشرق الاوسط فكل سجادة حيكت بيد طاقم من الرجال والصبيان يعملون بامرة معلم حياكة، ومع أنهم يعملون عادة من الجانب السفلي للسجادة المنبسطة فوق النول، فيحدث غالبا أن يسهو المعلم فيرتكب خطأ بإ دخاله لونا لا ينسجم مع النموذج، وعندما يحدث ذلك لا يعمد معلم النول الى كر الجزء المنسوج خطأ بل يعمد الى ايجاد طريقة ما تدخل الخطأ بانسجام في النموذج الكلي.

إ نها لامثولة نافعة نستطيع جميعا أن نتعلم منها كيف نعالج ما يطرأ علينا من صعوبات وأخطاء بتكييفها لمصلحتنا ضمن النمط الاوسع لحياتنا. ففى معظم الصعوبات تكمن فائدة.

نورمن فنسنت بيل

المختار

تعريفات

الوفـــاق

من السهل المحافظة على الوفاق بين الاولاد فى المنزل فهذا لا يتطلب سوى صبر وتفهم وجهازي تلفزيون على الاقل.

الموافقة واللامبـالاة

يمزج بعض الناس بين الموافقة واللامبالاة، مع أن الفرق بينهما واسع وسع الكون فاللامبالاة تفشل فى التمييز بين ما يمكن وما لا يمكن ان يساعد، بينما الموافقة تقيم هذا التمييز واللامبالاة تشل ارادة العمل، اما الموافقة فتحررها بتخليصها من اعباء مستحيلة.

آرثور غوردون

الاستاذ والضرائب

كنا نتناقش فى موضوع الضرائب ضمن درس المحاسبة فى الجامعة وسألنا الاستاذ عن الفرق بين تفادى الضرائب والتهرب منها وبعدما اعطى بعض الطلاب اجوبة خاطئة بادرنا الاستاذ بالجواب الصحيح فقال: الفرق هو خمس سنوات فى السجن.

المختار

رجل وامرأة

"شعرت بحسن حالها قلت لها إنها تشكو احد امراض الشيخوخة."

Halbinger in Stuttgarter Zeitung

مواقف شعرية ـ شعرنا موتنا ـ

يقول د. غازى القصيبى:

فى قصيدة ـ شعرنا موتنا ـ التى جاءت مع ذكرى الشاعر الصديق أمل دنقل وذلك القروى الذى تقاسمنا بعض الفرح والقهر معا والذى فجعتنى أيامه الأخيره اكثر من فجيعة موته:

يا رفيق الحروف التى اغتسلت
فى صميم النقاء
قل لنا كلمتين
عن رفيق الحروف القديم الجديد العنيف
الرقيق العدو الصديق المسمى الفناء
لونه..؟!
ابيض قاتم
كخريف الشتاء
اسود مشرق
كشحوب العناء
طعمه؟!
حارق مؤلم
مثل طعم الدواء؟
قل لنا كيف جاء باسما!
واجما؟
صامتا؟
شامتا؟
طرق الباب ـ مستاذنا ـ طرقتين؟
ام اتى فى الخفاء..
من اقاصي الدماء؟
قل لنا كلمتين
اى موت هو الشعر..
فى عالم يئد الابرياء
أي شعر هو الموت..
لما تشيخ بنا الكبرياء
شعرنا موتنا
موتنا شعرنا
هـذه
يا رفيق الحروف
التى اغتسلت فى صميم النقاء
قصة الشعراء

ـ الجيل ـ



كـان رســاما . . لا تفتح الأبـواب . . لا تكسـرها

ولكـن الصـــور . . عـــادة لا تـرد الحـوت عـن وجـه القمـر!!

● شيبان ●

من قصص التراث : نهاية المجنـون

حدث شيخ من بنى مرة أنه خرج الى أرض بنى عامر ليلقى المجنون، قال: فدللت على محلته فأتيتها فاذا أبوه شيخ كبير، وإخوة له رجال، وإذا نعم كثير وخير ظاهر فسألتهم عنه فاستعبروا جميعا.

وقال الشيخ: والله لهو كان اثر فى نفسى من هؤلاء وأحبهم إلى وانه هوى امرأة من قومه والله ما كانت تطمع فى مثله، فلما أن فشا امره وأمرها كره أبوه أن يزوجها منه بعد ظهور الخبر، فزوجها من غيره، فذهب عقل ابنى ولحقه خبل، وهام فى الفيافى وجدا عليها فحبسناه وقيدناه، فجعل يعض لسانه وشفتيه حتى خفنا عليه أن يقطعها فخلينا سبيله، فهو يهيم فى هذه الفيافى مع الوحوش يذهب اليه كل يوم بطعامه، فيوضع له حيث يراه، فإذا تنحوا عنه جاء فأكل منه.

قال فسألتهم أن يدلونى عليه، فدلونى على رجل من الحى كان صديقا له، وسألته أن يدلنى عليه فقال: إن كنت تريد شعره فكل شعر قاله الى أمس عندى، وأنا ذاهب اليه غدا فإن كان قال شيئا اتيتك به.

فقلت: بل أريد أن تدلنى عليه لأتيه.

فقال لى: إنـه إن نفر منك نفر منى، فيذهب شعره، فأبيت إلا أن يدلنى عليه.

فقال: اطلبه فى هذه الصحارى فاذا رأيته فادن منه مستأنساً، ولا تريه أنـك تهابه، فإنـه يتهددك ويتوعدك أن يرميك بشىء، فلا يروعنك واجلس صارفا بصرك عنه والحظه أحيانا فاذا رأيته قد سكن من نفاره، فأنشده شعراً وغزلا. وإن كنت تروى من شعر قيس بن ذريح شيئاً فأنشده إياه فإنه معجب به.

فخرجت فطلبته يومى الى العصر، فوجدته جالساً على رمل قد خط فيه بإصبعه خطوطاً، فدنوت منه غير منقبض، فنفر منى نفور الوحش من الانس، وإلى جانبه أحجار فتناول حجراً، فأعرضت عنه فمكث ساعة كأنه نافر يريد القيام، فلما طال جلوسى سكن، وأقبل يخط بإصبعه، فاقبلت عليه وقلت: أحسن والله قيس بن ذريح حيث يقول:

ألا يا غراب البين ويحك نبئنى | بعلمك فى لبنى وانت خبير
فإن أنت لم تخبر بشىء علمته | فلا طرت إلا والجناح كسير
ودرت بأعداء حبيبك فيهم | كما قد ترانى بالحبيب أدور

فاقبل على وهو يبكى ثم قال. وأنا أحسن منه قولا حيث أقول:

كأن القلب ليلة قيل يغدى | بليلى العامرية او يراح
قطاة عزها شرك فباتت | تنازعه وقد علق الجناح

■ فامسكت عنه هنيهة، ثم اقبلت عليه فقلت: واحسن والله قيس بن ذريح حيث يقول:

البقية فى العدد القادم

● مواقف ضاحكة ●

شحاذ وله شروط

دخل سائق بسيارته محطة صديقي وقال انه مفلس وليس في خزانه نقطه وقود. . فعرض عليه صديقي الكريم ان يزود سيارته بضعة ليترات من الوقود فتردد الرجل ثم سأل: «هل لك أن تعطينى مالا بقيمة الوقود؟ فالمحطة في الشارع المجاور تبيع بأسعار أرخص.

خيال طفل

عندما كان ابناؤنا الثلاثة صغارا واجه احدهم صعوبة فى العد وحاولت مساعدته، فوزعت عليهم قصاصات ورق قائلة: «احسبوا انها اكواز أيس كريم» ثم جمعت الاوراق منهم وانا اعد واحد. . اثنان. . اين كوزك يا سمير؟ فاجاب: «لقد اكلته».

«لا تمزحي!»

سألت المرأة زوجها: «ماذا تحب في أكثر: جمالي الطبيعى أم جسدى الرائع؟. فأجاب: بل روح الفكاهة لديك».

● من أقوالهم ●

■ نادرون هم الاشخاص الذين يزنون اخطاء الآخرين من دون ضغط إبهامهم على الميزان.

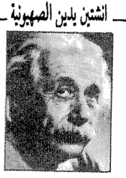
بايرون لانغنفيلد

■ كن دائم الفضول، فالمعرفة لن تكتسبك، بل عليك انت أن تكتسبها.

المختار س.ب.

● هل تعلم؟! ●

انشتين يدين الصهيونية



العالم البرت أنيشتين لم يكن أبدا من انصار الصهيونية السياسية أو مؤيدا لها. . وهو لم يختلف عن معظم المفكرين الآخرين في ادانة الصهيونية أو انتقادها رغم كون الدين الذى نشأ عليه هو الدين اليهودى.

فى الصفحة (٢٦٣) من مذكراته (Out of My later Years) يقول اينشتين: «ان الآفة القاتلة فى زمننا الحاضر انها هى القوميه المتطرفة النابعة دوما من مشاعر البغضاء والكراهية العمياء». . وأضاف الى ذلك قوله: «وانى لأوثر التفاهم بين العرب واليهود، والتعايش السلمى بينهما، على أية دولة يهودية يسعى الصهاينة الى خلقها. . ! فالديانة اليهودية كما افهمها تتنافي وقيام الدولة اليهودية. والذى أخشاه هو الانحلال الداخلى الذى سيحل باليهودية نتيجة للروح القومية الضيقة التى ستظهر وتتمشى في الدولة اليهودية اذا هى خرجت الى حيز الوجود».

ـ العربي ـ

عددنا القادم

« القران الكريم .. الهدي والاعجاز »

عـــدد خـــاص

تقـرأ فيــــه

الموضوع	الكاتب
الحقيقة الايمانية فى القران الكريم	الشيخ محمد متولى الشعراوى
القران الكريم .. منهج متكامل للحياه	د. محمد عبد المنعم خفاجى
الاعجاز البيانى فى القران الكريم	د. عبد الحميد الامين
الاستشفاء بالقران الكريم	د. عبد الله اللحيانى
النفس كما يصورها القران الكريم	د. فهــــد الرومــــي
القران الكريم .. والفكر التربوى	د. مصطفــــى رجـــــب
الظاهرة الحضارية فى القران الكريم	د. عبـد الحليم عويـــس
اعجاز القران فى ترتيبه	د. محمد احمد يوسف القاسم
اثر القران الكريم على اللغة	د. علـى محمـــد يوســف
المستشرقون والقران الكريم	د. اسماعيل سالم عبد العال
من الظواهر النحوية فى القران	د. احمـــد محمـــد قاسم
الاحرف السبعة والقراء ات	د. عبد الفتاح اسماعيل محمد شلبى
الوحدة الموضوعية بين ايات السورة الواحده	د. زاهر بن عواض الالمعى
القصـص القرانـــى	د. محمد احمد حمدون
القصص القرانى من كتبوا فيه وعنه	محمد خير محمود عدوى
علم الاجنـــة فى القران الكريم	د. محـمد علـى البـــار
القـــران والفـلك	د. عبـد الرحمن بافضل
القران الكريم والطب الوقائى	د. عبـد الجواد الصاوى

هذا اضـــافـــة لمجـمـوعـــة من

الموضوعات الاخرى ذات الاهمية

فى هذا العدد

تمهيد :

يتنـاول البحث موضوع التنقيب الاثرى Archaeological Excavation ودوره في التعرف على بعض المعالم الحضـارية التى سادت في فترة زمنية وطمستهـا ظروف بيئيـة أو سياسية أو اقتصادية أو دينية، والتنقيب الاثرى يؤدى الى الكشف عن جوانب شتى من حيـاة الانسان لم يبق لنا منها الا موقع أثرى قد يفصح عن نفسه فتظهر معالم قرية بشوارعها ومنـازلها ومدافنها، وقد تظهر للمنقب أدوات وأثاث ذلك الانسان وربما ينجم الكشف الاثرى في العثور على كتابات ومـدونـات ممـا ييسـر تفسير المؤرخ للكثير من الاثار المادية المعاصرة.



● خارطة تبين ساحل الكويت وموقع جزيرة فيلكا.

محاولة .. لرسم معالم حضارية

التنقيب الأثرى عملية تقنية بالاساس تعتمد على معطيات علوم أخرى

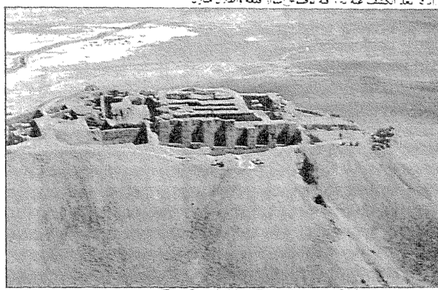
د. سليمان سعدون البدر

قسم التاريخ - جامعة الكويت

يرتبـط التنقيب الأثرى ارتباطا وثيقا بعلم الآثار الذى يعني مفهومه دراسة المخلفات التى تركهـا الانسـان عبر مسيرتـه الحضـارية، وتؤدى هذه الدراسة الى التعرف على تاريخ وحضـارة الانسـان شاملة سلوكه وفكره وتطلعاته ومعتقداته الى جانب ممارساته اليومية وانتـاجه المادى الذى يعينـه على الاستمـرار في حياتـه. وبذلك يمكن ايجاز تعريف التنقيب الأثرى بأنه عملية يراد منها الكشف عن آثـار وبقـايا حضـارة طمرها التـراب فأصبحت معـالمهـا عبـارة عن تل أثرى أو مبنى حجرى مطمور ينتظر المنقب الأثـرى الـذى يعمل ضمن فريق متكامل من أجل اماطة اللثـام عن تلك المعـالم الحضـارية، كما يمكـن استكمال هذا التعريف بذكر هدف التـنـقيب الأثـرى الاسـاسي وهـو اعـداد المادة العـلمـية لعلماء الآثـار والمؤرخين كي يأخذوا دورهم في اعـطاء التـفسـيرات والتحليلات التى تشكـل صورة واضحة للمعالم الحضارية.

وبـذكر هذا التعريف لم نبعد كثيرا عن التعريفات التي أوردتهـا بعض المـوسـوعـات

● تل أثري بعد الكشف عنه تبدو فيه بوضوح أسوار قلعة وأطلال مبان



عن The Cambridge Encyclopedia Of Archaeogy

العلمية ففي «الموسوعة الأثرية المختصرة»(١)، يرى لوينارد كوتريل، من المدرسة الانجليزية أن الآثار هي قصة الانسان كما ترويها مخلفاته التي تركها سواء أكانت أدواته اليومية، أسلحته، أثاثه، مبانيه، مدافنه، هياكله العظمية أو هياكل حيواناته المستأنسة. أما «موسوعة لاروس الأثرية»(٢)، فتعبر عن وجهة نظر المدرسة الفرنسية التي ترى أن الآثار تعني «دراسة كل شيء قديم» مشتقة بذلك مفهوم الآثار لدى الاغريق والذي كان يعني «التاريخ القديم» وتحلل المعنى الحديث للكلمة مقررة أن الآثار هي «العامل المساعد للتاريخ حيث يغطي مساحة واسعة من المعرفة التاريخية القديمة» ويقود الى معرفة الحقيقة التاريخية. وتفسر «الموسوعة الأثرية المصورة»(٣) هذا الاتجاه حين يشير جلين دانيال فيها الى أن كلمة آثار (Archaeology) مشتقة من كلمتين اغريقيتين هما: (Archaia) التي تعني الاشياء القديمة، و(Logos) بمعنى «العلم، المعرفة أو النظرية»، وكان استخدام الاغريق للكلمة يعني «دراسة الأشياء القديمة» ولا يجب ان يقود هذا القول الى أن الأغريق حفروا أو نقبوا عن الآثار أو درسوا ما يقوم به الآثاريون حاليا، فكلمة الآثار، في عهد اليونان والرومان، استخدمت أساسا لتعنى «التاريخ القديم»، ولكن منذ نهاية القرن الثامن عشر وحتى عصرنا الحاضر فان «الآثار» تعني فرعا من العلوم يتناول دراسة مخلفات الانسان المادية(٤)، وهي دراسة تؤدى أيضا الى التعرف على حياة الانسان الفكرية والعقائدية والنفسية والاجتماعية، ولا يمكن أن تتحقق هذه الدراسة بدون اجراء عمليات التنقيب عن الآثار.

■ من هنا يمكن الاستطراد بأنه مع حداثة علم الآثار فان التنقيب الأثرى هو عملية تقنية بالاساس تعتمد على معطيات علوم أخرى(٥)، وتستفيد من تطور مختلف التنقيبات الحديثة، كما أنه عملية معايشة مع الآثار والمواقع الأثرية تكسب المنقب خبرة ودراية. ويهدف هذا البحث الى التعرف على المواقع الاثرية ووسائل التنقيب الاثرى ودوره في وضع تصور لمعالم حضارية قديمة مع اعطاء نموذج ميداني عن دور التنقيب الأثرى في جزيرة فيلكا بدولة الكويت.

وسائل التنقيب الاثرى وارتباطها بطبيعة الموقع

تتفاوت الدراسات الأثرية وفقا لتوجه الآثاريين الزمني، فبعض الدراسات اقتصرت على التركيز على آثار عصور ما قبل التاريخ وهو ما يعرف باسم Prehistoric Archaeology وتمتد في نشاط بعضها لتغطي آثار العصور التاريخية(*).. وبعض الدراسات اتجهت الى البحث عن آثار العصور الاغريقية والرومانية فظهر متخصصون في «علم الآثار الكلاسيكي» كما تخصصت بعض المدارس في دراسة «علم الآثار الاسلامية».

ويعكس هذا التفاوت في الدراسات الأثرية مفاهيم المدارس الغربية واهتماماتها في البحث عن نمط معين من الآثار مما يؤدى الى تدمير بعض المواقع الأثرية لاهمالها الحفاظ على عملية التتابع الطبقي المصاحبة لأعمال التنقيبات، ذلك لأن الموقع الأثرى في أغلب الأحيان، يضم مجموعة من الطبقات الأثرية تمثل مختلف المراحل التاريخية لانسان هذا الموقع، فاذا اقتصر دور منقب الآثار على البحث عن الآثار اليونانية، مثلا فانه قد يعرض الموقع الى تدمير لا مبرر له فتضيع معالمه ومحتوياته، وهذا ما يسمى بالعبث في الآثار الذى قد يكون مقصودا أو ناجما عن جهل وتسرع. وينجم عن ذلك تخريب للموقع الأثرى مما يترتب عليه بالضرورة ضياع التسلسل التاريخي.

وعادة ما يكون الموقع الأثرى عبارة عن تل يظهر بشكل واضح وهو عبارة عن كومة من التراب ترتفع عن سطح الأرض بنسب متفاوتة ويتم تكوين مثل هذا التل نتيجة استيطان بشرى عبر مراحل مختلفة فيكون الاستقرار الأول للانسان في



هذا الموقع على الأرض البكر، ثم يضطر هذا الانسان، لأسباب اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية أو دينية الى هجر

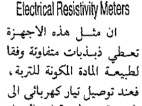
هذا المكان الذى ربما يكون قد تعرض لتدمير أو هدم، وبعد مرور فترة زمنية يأتي أقوام ليستقروا في هذا المكان ومن هنا تتم التسوية بداية، ثم يقام العمران للاستيطان الجديد الذى قد يستمر فترة طويلة أو قصيرة ثم يخلي هذا المكان لأحد الأسباب السالفة الذكر، ثم يأتي قوم آخرون ويستقرون وهكذا حتى تتشكل طبقات أثرية متميزة بنمط البناء والأدوات. وقد تنقسم الطبقة الأثرية الواحدة والتي تمثل مجتمعا واحدا الى عدة طبقات يظهر خلالها التطور الحضارى أو التقهقر.

■ وبناء على هذا يتم استخدام وسائل التنقيب بحيث تتناسب ومثل هذا النمط من المواقع الأثرية وأول وسائل التنقيب هو المسح الأثرى Archaeological Survey الذى هو عبارة عن استقصاء للحقائق والتعرف على طبيعة الموقع والمادة الأثرية بغرض جردها والتعرف على علاقتها بما حولها من معالم سطحية. وقد بدأ المسح الأثرى منذ بداية الاهتمام المنظم بالتنقيب عن الآثار(٦)، ولا شك أن أفضل طريقة لإجراء المسح الأثرى هو ما يتم بالتجول على الأقدام في الموقع الأثرى المختار مع الاستعانة بما تقدمه الخرائط الحديثة والقديمة وصور المسح الجوى من معلومات يستعين بها من يقوم بعملية المسح الأثرى(٧)، وبذلك يستطيع المسح الأثرى تحديد اهمية الموقع، أو ثرائه والتى على ضوئها يبدأ استخدام وسائل أخرى.

التصوير الجوى

أدى التصوير الجوى دورا هاما، حين استخدم لأول مرة فى الحرب العالمية الأولى بغرض عسكرى بحت غير أن استخدام هذه الوسيلة في مجال المعرفة التاريخية ظهرت على يد أحد الفرنسيين عندما قام بدراسة الطرق القديمة في بادية الشام وخطوط الدفاع الرومانية القديمة فى المنطقة(٨). وقد استفاد الأثاريون من التصوير الجوى وتطور تقنياته الحديثة وكان أن ظهر نوعان من التصوير الجوى استخدمهما المنقب الأثرى للكشف عن آثار عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية وهما:





● خارطة توضح المواقع الأثرية فى جزيرة فيلكا.

التصوير الجوى المجسم

Stereoscopy

وهذا النوع يوضح ويبرز المعالم الأثرية المطمورة كالقنوات والأسوار والمقابر والقلاع الخ.. حيث تظهر هذه المعالم في الصورة كعلامات متغيرة عن مستوى ما يحيط بها من حقول أو أرض صحراوية.

التصوير الجوى الفوتوغرامترى

Photogramelry

وهذا النوع يعطي صورة مجسمة بثلاثة أبعاد(٩) معطية تفاصيل دقيقة ووافية للموقع(١٠)، وهناك تطور يمكن استخدامه في التصوير الجوى كالاشعة تحت الحمراء (Infra Red) والتصوير بالاشعة الكونية واستخدام مناظر الخنادق (Perios-copic) الذى هو عبارة عن انزال كاميرا حساسة تحت الأرض وتوجيهها الى عدة زوايا لالتقاط صور مختلفة لطبيعة ما هو موجود تحت هذه البقعة من الأرض المراد استكشافها.

اجهزة تقدير مقاومة التربة لتيار كهربائى

Electrical Resistivity Meters

ان مثل هذه الاجهزة تعطي ذبذبات متفاوتة وفقا لطبيعة المادة المكونة للتربة، فعند توصيل تيار كهربائى الى التربة تعطي قراءة العداد مقاومة التربة تبعا لصلابتها فتكشف عن وجود مواد صلبة كالجدران والمنشآت المطمورة وكلما ازدادت التربة صلابة ازدادت مقاومتها للتيار الكهربائى(١١).

جهاز قياس القوة المغناطيسية

Magneto Meter

يستخدم هذا الجهاز لقياس انحراف وقوة مغناطيسية البقايا المطمورة تحت الأرض، فحيثما ظهرت قراءات متذبذبة للجهاز تأكد للباحثين وجود مواد طينية أو غيرها متأكسدة بمادة الحديد، ويتفوق هذا الجهاز على غيره من وسائل تحديد المادة الأثرية فى البحث عن الأفران، والمبانى الطينية المحروقة والحديد وبقايا القمامات المتجمعة في مكان ما.

وسائل تنقيب أخرى

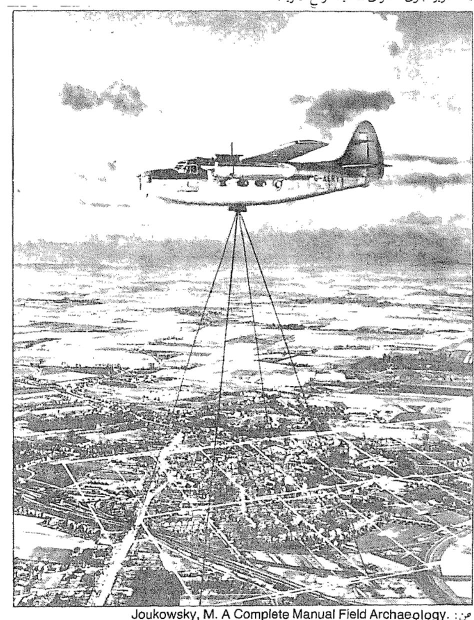
هناك وسائل تنقيب حديثة أخرى لا تزال تحت التجربة ومنها استخدام جهاز مسجل الزلازل (Seismo-

عن: Oates,D.i The Riseof Civilization



● منظر لتل أريحا فى فلسطين تعود أساساته إلى الالف التاسع ق.م.

● التصوير الجوى العمودى لتحديد المواقع الأثرية .



من: Joukowsky, M. A Complete Manual Field Archaeology.

graph) الذى يسجل موجات اهتزازية متأثرة بما هو مدفون تحت الأرض من بقايا أثرية . كما يمكن استخدام جهاز الصوتيات Bosing الذى يقيس الاختلاف في تردد الصوت وفقا لما يحتويه باطن الأرض من آثار ان وجدت(١٣) .

وخلاصة القول فإن العلوم التطبيقية بفروعها المختلفة تخدم عالم الآثار خدمة جليلة وتقدم العون للباحثين سواء في تحديد الموقع الأثرى وما يحتويه من مخلفات أثرية أو فى تحديد عمر الموجودات المكتشفة ، ولا يزال العلم يقدم خدماته المتعددة لحل الكثير من المسائل الأثرية ويعين الباحثين في معرفة حياة الانسان وتطور حضاراته بدراسة مخلفاته الأثرية والمتمثلة في معابده ومدافنه ومدنه وقراه .

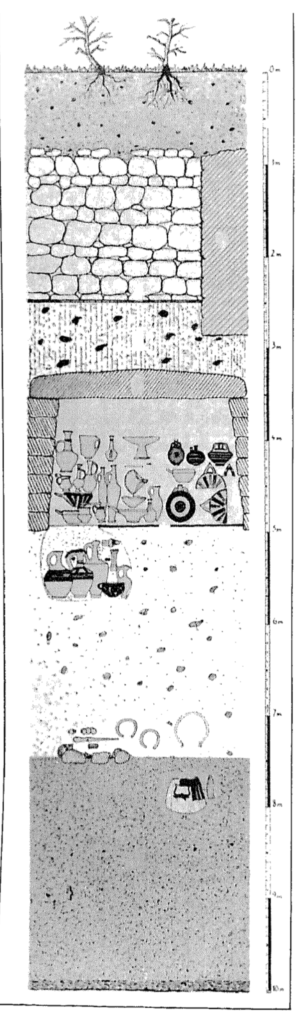
التنقيب الأثرى ودوره فى تحديد تاريخ وحضارة الموقع

تعتمد دراسة تاريخ أى موقع أثرى اعتمادا يكاد يكون كليا على ما يعثر عليه من آثار، ومن الضرورة بمكان تنظيم وفهم وتفسير نتائج دراسة المواد الأثرية المكتشفة في موقع ما .

■ ان مهمة المؤرخ أن يقدم دراسة شاملة للنشاط البشرى عبر مختلف العصور التى تمثلها الطبقات الأثرية ، وهذا النشاط قد يكتنفه الغموض حين تقتصر المكتشفات على بقايا مادية وتغيب المدونات التي سجلها انسان هذا الموقع ، ويزداد الأمر تعقيدا كلما توغلنا في المراحل الأولى لاستقرار الانسان . . ومن هذا المنطلق تبرز أهمية التنقيب الأثرى الذى يضع صورة مستمدة من الماضي لحياة الانسان منذ بداية استقراره في بقعة من الأرض ومروره عبر عصور تاريخية حتى الوقت الحاضر، وتمثل هذه الصورة، ضمن ما تمثله، حضارة ذلك الانسان ، . فان الحضارة من الناحية الأثرية، يمكن تعريفها والتعرف عليها من خلال الانتاج المادى والمضامين المادية وتتبع سيرها زمنيا في الموقع الواحد(١٤) .

■ لقد سبقت الاشارة الى أن تطبيق وسائل التنقيب الأثرى تقودنا الى الكشف عن آثار الموقع الحضارى الموجودة في الطبقات الدنيا، وهي آثار تمثل حضارة هذا الموقع وقد تعود الى عصور سابقة على العصر التاريخى شاملة حياة المجتمع الذى ترك مخلفاته فى هذه الطبقات . ومن المؤكد أنه لا يوجد خط فاصل بين حياة هذا المجتمع في عصور ما قبل التاريخ وحياة نفس المجتمع ، أو المجتمع الذى حل محله ، في العصر التاريخى ، فالطبقات الأثرية غالبا ما تتداخل عند نهاية مرحلة وبدء مرحلة جديدة .

ومع أن التوصل الى معرفة الكتابة يعتبر قفزة هائلة في حياة الانسان وفي التعرف بوضوح على التسلسل التاريخى المدعم بالوثائق المكتوبة الا أنه من الخطأ افتراض خط حاد يقسم حضارة تلك المجتمعات السابقة على العصر التاريخى ،



● مقطعه طولى يوضح نموذجا للطبقات الأثرية فى موقع رأس شمرا بسوريا.
عن: The New Caxton Encyclopedia

وتلك التى عرفت الكتابة والتدوين في فترة لاحقة(١٥)، ولتقريب هذه الفكرة نضرب مثلا من منطقة الشرق الأدنى القديم خلال الألف الثالث قبل الميلاد، ففي بعض مجتمعات مراكز هذه المنطقة كمصر والعراق، توصل الانسان الى اكتشاف الكتابة وأخذ يدون السجلات التي تتعلق بالجوانب الاقتصادية والدينية والسياسية والأدبية، ومع هذا ظلت معالم كثيرة من حياة هذين المجتمعين مرتبطة بالفترات السابقة من ناحية، كما أنهما، مجتمعا مصر والعراق، كانا على اتصال بمجتمعات ومراكز أخرى لم تعرف التدوين مما نجم عنه ضرورة الاشارة اليهما فى السجلات المصرية والعراقية، ومن هنا يمكن الاستعانة بهذه السجلات واجراء دراسات مقارنة للتربة الأثرية من أجل تحديد المكانة الحضارية لتلك المجتمعات(١٦). وهكذا فعن طريق التنقيب الأثرى واستخدام وسائل التقنية الحديثة يمكن استخراج السجلات والوثائق المكتوبة ليقوم علماء فقهاء اللغة والمؤرخون باستنتاج تاريخ وحضارة الموقع الى جانب دراسة المضامين المادية لتلك الحضارة.

دراسة تطبيقية عن دور التنقيب الاثرى فى جزيرة فيلكا

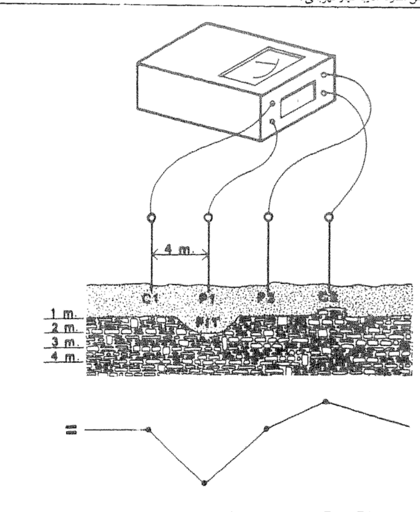
وصف الجزيرة:

ظل الخليج العربي عبر العصور التاريخية المختلفة يحتل موقعا تجاريا واستراتيجيا، فكانت تمخر مياهه السفن التجارية وهي تربط بين مختلف المراكز التجارية ابتداء من موانيء جنوب بلاد الرافدين الى موانيء وادى السند في شبه القارة الهندية مرورا بموانيء الخليج العربى وبحر العرب جنوب غرب ايران، كما كان الخليج العربى محط انظار القوى الدولية المحيطة بالمنطقة نظرا لما يمثله من أهمية في المجال العسكرى والأمنى والتجارى، وقد حرصت مختلف القوى التي نشأت في جنوب بلاد الرافدين على تأمين حرية الملاحة في الخليج واقامة أحسن الروابط مع مدنه وموانيه وبخاصة فى الالف الثانى ق.م وحتى منتصف الألف الاول ق.م حيث حاولت تلك القوى وقوى جديدة نشأت فى بلاد فارس فرض السيطرة والنفوذ على المنطقة. ولو تتبعنا مسيرة الخليج العربى في مجال الصراع الدولي لوجدناه لا يزال حتى يومنا هذا مطمعا ومحطا لأنظار القوى الدولية المتصارعة سواء في حروبها الباردة أو الساخنة.

■ وقد تطلب اتساع النشاط التجارى الدولي في الألف الثانى ق.م بين مدن الخليج العربى نفسها وبينها وبين وادى السند من جهة، وبينها وبين مدن الرافدين من جهة أخرى وبينها وبين جنوب الجزيرة العربية وشرق افريقيا من جهة ثالثة أن ازداد الاهتمام بالموانيء البحرية وانشاء المحطات التجارية فقامت تبعا لذلك مراكز استقرار ومستوطنات تجارية منها جزيرة فيلكا وتاروت والبحرين وأم النار.

وجزيرة فيلكا، وهي

● جهاز قياس مقاومة التربة لتيار كهربائي .



عن: Joukowsky, M.

احدى جزر دولة الكويت، تقع على بعد ١٩ كيلو مترا من رأس الأرض ويبلغ طولها ١٤ كيلو مترا وعرضها حوالي ستة كيلو مترات. وتتبوأ الجزيرة موقعا جغرافيا هاما على طريق التجارة البحرية مما هيأ لها ان تؤدي دورها التجاري وبخاصة ان مقومات حياة الاستقرار للانسان من مياه عذبة وتربة صالحة ومناخ مناسب وموانى طبيعية متوفرة في الجزيرة، وأوضحت الدراسات البيولوجية في الجزء الغربي من الجزيرة وجود ترسبات بلاليستوسينية (رمل جيرى وصخر رملي ما بين خشن الى متوسط)، وحجر جيرى مكسو بطين غني بكربونات البوتاسيوم. كما بينت الدراسات الجيولوجية انواعا أخرى من الحجر الجيرى، ربما يكون هولوسين، وهو صخر رسوبي كثير الصدف(١٧). ان سمات الجزيرة بشكل عام جعلت منها المكان المفضل لدى البعثات الأثرية لاجراء المسوحات الأثرية الاولى، ثم شجعت النتائج الأولية على الاستمرار بل والتركيز على اجراء التنقيبات الاثرية خلال العقود الثلاثة الماضية.

يتبع



الهوامش والمراجع

(١) The Concise Encyclopedia of Archaeology, London, 1960, p.1

(٢) Larousse Encyclopedia of Archaeology, London, 1972, p.9

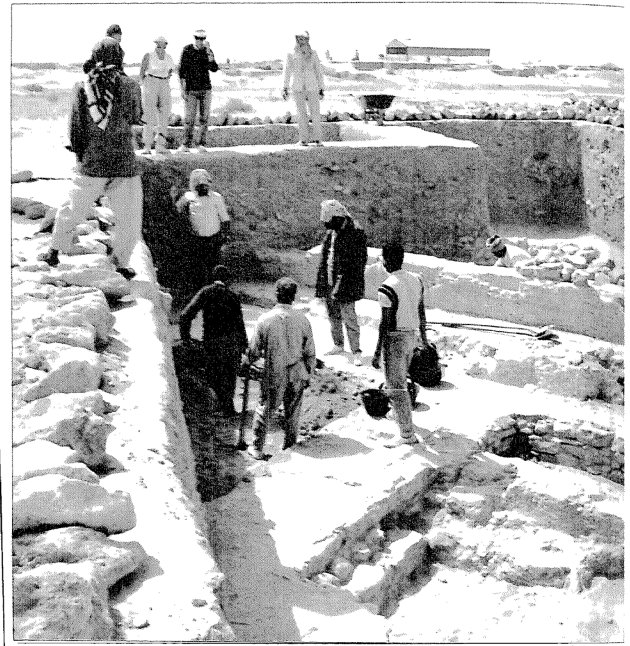
(٣) The Illustrated Encyclopedia of Archaeology, New York, 1977, p.5

(٤) المرجع السابق.

(٥) من هذه العلوم: علم طبقات الأرض، علم الانسان، علم المناخ القديم، علم الحيوان علم النبات، الفيزياء، الكيمياء، علم الخطوط.. الخ انظر: عدنان البني: التنقيب الأثرى الحديث، دمشق ١٩٧٦، ص٦-٧

(*) يقصد بالعصر التاريخي المرحلة التي عرف فيها الانسان الكتابة وبدأ يدون وثائقه التى أصبحت مصادر المعرفة التاريخية، وهذه المرحلة تتفاوت زمنيا من منطقة الى أخرى، وأول من توصل اليها انسان العراق ومصر فى حدود ٣٠٠٠ ق.م.

(٦) عبد الله حسن مصرى،



● منظر يبين أعضاء فريق عمل التنقيبات الأثرية فى موقع أثرى فى جزيرة فيلكا. . عن : متحف الكويت الوطنى .

ـ الهوامش والمراجع ـ

(مفاهيم جديدة للمسح الآثارى وعلاقته بحركة التنقيب) المؤتمر الثامن للآثار في البلاد العربية، مراكش ١٩٧٧، ص٤

(٧) بهنسام ابو الصوف، طرق التكنولوجيا الحديثة في التنقيب عن الآثار، المؤتمر الثامن للآثار في البلاد العربية.

(٨) عدنان البني، التنقيب الاثرى الحديث ـ دمشق ١٩٧٦ ص٢٥.

(٩) عدنان البني، المرجع السابق، ص٢٦ ، ٢٧

(١٠) Joukowsky, M, A Complete Manual of Field Archaeology, U.S.A., 1980, p.47

(١١) Joukowsky, M., Ibid., P.48-49

(١٢) Ibid., p.50

(١٣) على حسن، الموجز في علم الآثار، القاهرة، ١٩٨٤، ص٦٠، وما بعدها.

(١٤) Piggott,S,A Proach to Archaeology, London, 1959, P.83

(١٥) Ibid., P.101

(١٦) Piggot,S., Ibid., P.105

(١٧) تقرير مبدئي عن العلميات الفرنسية للتنقيب عن الآثار في فيلكا ١٩٨٤..

تنويـه:

القارى العزيز:

بما أن لهذا الموضع صلة وعددنا القادم من الاعداد المتخصصة كما هو المعتاد فإ نا نامـل استكمـالـه فى عدد جمادى الاولى باذن الله تعالى

اسرع فى الانتقال من الضوء بعد ان درس لفترة طويلة اشارات الهاتف الالكترونية وهى تنتقل من مكان الى آخر.

وللمزيد من المعلومات يمكن مراجعة مجلة الالكترونيات وعالم اللاسلكى.

سم العافية..!

يعاود العلماء نبش سم الافاعى الذى يشل الانسان أو يميته وذلك لاستخدامه فى علاج الجلطة الدماغية.

ويؤكد خبراء مركز علم الصحة التابع لجامعة تكساس بعد التجارب والتحاليل وجود انزيم معين يمنع بطريقة كيماوية تكون «الختر» فى الدم.. هذه الميزة هى ما يطمح الباحثون الى استخدامها لعلاج ضحايا الجلطة الدماغية.

وتوصلوا الى عقار جديد تبلغ تكلفته لعلاج مريض واحد (٢٠٠) دولار.. وتتم عملية انتاج هذا العقار باستحلاب ٤٠٠ افعى مالیزية مره واحدة كل اسبوع كما تخضع تلك الافاعى لرعاية خاصة فى حقل مخصص لتربيتها والاشراف على تغذيتها

فى رحاب العلم ـ الهزات الارضية

هزة ارضية وقعت ـ ان جاز التعبير ـ فى عالم الفيزياء المليء بالرمال المتحركة، الهزة اصابت فى الصميم مؤسس علم الفيزياء الحديث: البيرت اينشتاين، ونظريته التى تقول ان ما من شىء يسافر بسرعة اكثر من سرعة الضوء.

صاحب النظرية الجديدة العالم الامريكى (الكسيس اوبلنسكى) الذى يؤكد بعد تجارب جديدة فى مختبره ان من الممكن كسر حاجز الضوء كما كسرنا حاجز الصوت، وان الاشارات الالكترونية تسافر بسرعة اكبر من سرعة الضوء.

ـ ولم يكن بالامكان التأكد من النظرية المناقضة لنظرية اينشتاين لو لم يفلح العالم المذكور فى تصميم اجهزة تحليل مسار الضوء وهو يسافر بسرعة مليون من المليون من الثانية، وقد توصل «اوبلنسكى» الى ان الاشارات الالكترونية

ولا زال هذا العلاج ضمن برامج التقويم الاولى.



نهاية الصلع وشيكة

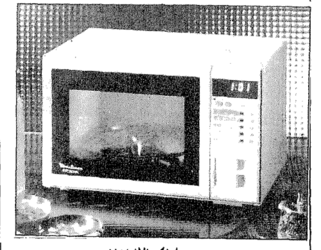
تم لاول مرة وبنجاح، فائق تربية شعر الانسان في قناتي الاختبار، ومن المتوقع ان يؤدي هذا الانجاز الى ايجاد حل للصلع بحلول عام ٢٠٠٠.

في هذا الصدد ذكر الدكتور تيرنس كيلي رئيس فريق الباحثين الذين حققوا هذا الانجاز في قسم الكيمياء العضوية بجامعة كمبردج انه مع ذلك لا يمكن اعتباره وسيلة شفاء.. انها خطوة متطورة تستدعي مزيدا من التجارب.

وتتلخص المرحلة المقبلة في السعي لمعرفة السبب وراء توقف الشعر عن النمو لدى الكثير من الرجال واصابتهم بالصلع بعد ذلك.

ومن هنا يتوقع اكتشاف علاج للصلع خلال عشر سنوات.

و... أبشروا أهل الصلع.



عندما تفكر الافران!!

آخر صرعات الافران ولدت في اليابان حيث طورت شركة «شارب» تقنية المايكروويف الذكي، وعقله جهاز كمبيوتر متطور مزود بتقنية «المنطق» فالفرن هنا يعرف متى يحين موعد تحريك الطعام ومزجه وكم يستغرق من وقت حتى ينضج، وبناء على هذه المعرفة يستخدم الفرن الادوات المناسبة للمزج أو التقليب أو الهرس بعيدا عن توجيه ربة البيت.

وهكذا يحتل الطعام منذ فجر التاريخ المرتبة الأولى في حياة الانسان.

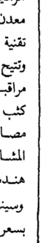
مطبخ يعمل بالليزر ديسك

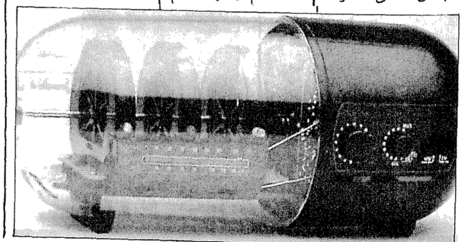
منتجات تردت اليابانية تمكنت مؤخرا من انشاء اجهزة للاستعمال المنزلي تجعل المنزل كله يعمل بالكومبيوتر واشعة الليزر.. فمن منتجاتها جهاز فيديو يعمل بالليزر ديسك لاستعماله في تنفيذ العديد من الوصفات الغذائية الشهية.

الراديو الشفاف

مرة أخرى تثبت اجهزة الراديو انها وجدت لتبقى في سوق الالكترونيات حيث تستهوي انظار المستهلكين وتفرغ جيوبهم.

والجديد في صناعة الراديو هذا انه مصنوع من معدن شفاف يكشف عن تقنية الراديو باكملها، وتتيح شفافية هذا الجهاز مراقبة اداء الاجهزة عن كثب والاستمتاع بانوار مصابيحه الداخلية وكأن المشاهد يتطلع الى عمارة هندسية مضاءة النوافذ وسينزل الاسواق قريبا بسعر ٩٠ دولار.

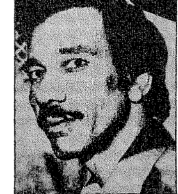




يا وجهها

المختار

أمل دنقل



شاء الهوى أن نلتقى .. سهوا
كم كنت أفتقدك
يا وجهها الحلوا
●●●

من قبل ما أجدك
أضحى على شفة الصبا .. لغوا
●●●

كن لى كما أهوى
أمطر عليَّ الدفء والحلوى
ويدى تبث سماتك الشجو
فيئن مرتعدك
●●●

يا حينما أعدك
الصيف فيك يعانق الصحوا
عيناك ترتخيان فى أرجوحة
والثغر مرتعش بلا مأوى
وعذابه: سلوى
إن جئت أنفض عنده الشكوى
●●●

فى الليل افتقدك
فتضىء لى قسماتك النشوى
تأتى خجول البوح مزهوا
وعلى ذراع الشوق استندك
وأحس فى وجهى لظى الانفاس
حين يلفنى رغدك!
وأنام!
تحملنى رؤاك لنجمة قصوى
نترفق الخطوا
نحكى، فأرشف همسك الرخوا
ويهزنى صحوى .. فافتقدك
لكن بلا جدوى
بلا جدوى!
يا وجهها الحلوا
أمطر ، فإنى مجدب السلوى
ما زلت لا أقوى
أن أنقل الخطوا
إن فاتنى سندك
●●●

يا وجهنا الحلوا
ما زلت أفتقدك
ما زلت أفتقدك

●● المخطوطات .. عالم الامس الذي نقراه اليوم وغدا.. هذا العالم الذى يتسع لكل الاجيال..فيه تجارب السابقين، وتاريخ الماضين.. صفحات المخطوطات حياة متكاملة ينقلها إ لينا من عاشوها نفيد منها ونورثها من بعدنا.

وعالم المخطوطات العربية الاسلامية فوق كل هذا يمثل خزانة ضخمة للديانات والعقائد، الفقه والتفسير، التاريخ والسيرة، الادب والعلم..

ولأهمية هذه المخطوطات فى حياتنا فإن المنهل يسعده أن يخصص هذه الصفحات ولأشهر قادمة - إن شاء الله - لعرض بعض المخطوطات فى بعض مكتبات العالم العربى والاسلامى.

وبهذه المناسبة فان المنهل قدم استكتاباً لعدد من إ دارات المكتبات فى الجامعات والمؤسسات العلمية لمدها بأسماء وعناوين المخطوطات لديها مع نبذة مختصرة عن كل مخطوطة.. وبهذه المناسبة أيضا يسعد المنهل مشاركة أصحاب المكتبات الخاصة من العلماء والمفكرين فى إثراء هذا الجهد.



اعداد: د. اسماعيل دورموش - أزمير

تشكل الآثار جانبا مهما فى وجود الحضارات وتطورها، والحضارة الاسلامية غنية بالاثار القديمة كالجوامع والزوايا والمدارس والمكتبات وغيرها. تحتل المكتبات مكانة مرموقة ضمن هذه السلسلة الاثرية المتعددة الحلقات، لما تعكسه من نمو ثقافى وحركة فكرية داخل المجتمع ككل فى تلك الفترة التاريخية التى تواجدت فيها.

المخطوطات

مكتبة ١٩ مارس

مدينة سمسون:

سمسون مدينة ساحلية جميلة فى وسط منطقة البحر الاسود، ومزدحمة بعدد سكانها البالغ أربعمائة ألف وفيها جامعة ١٩ مارس التي أنشأت فى الأعوام الأخيرة، والتي احتوت على عدد كثير من الكليات مثل كلية الشريعة وكلية التربية وكلية الطب وكلية البيطرة وكلية الزراعة وكلية الهندسة وكلية الحقوق. . وتأريخ (١٩ مارس) مهم جدا للجمهورية التركية، لان في ذلك اليوم وفي هذه المدينة اشتعلت حركة تحرير الوطن من الاعداء المستعمرين الذين استولوا عليه وقسموه بينهم في نهاية الحرب العالمية الاولى. . لذا يحتفل كل عام في هذا اليوم بـ «عيد الشباب والرياضة» فأخذت الجامعة اسمها من ذلك التأريخ، وكذا اسم المكتبة التى تناولنا مخطوطاتها العربية «مكتبة ١٩ مايس».

مكتبة ١٩ مارس:

تعتبر هذه المكتبة أغنى مكتبات مدينة سمسون من حيث الكتب العربية. . وبجانب الاثار المطبوعة الكثيرة الموجودة فى هذه المكتبة، فقد شغلت مخطوطاتها موقعا مهما. واختيرت فى سنة ١٩٧٩م أطروحة لدراسة الماجستير موضوعها «تثبيت المخطوطات ووصفها فى مكتبة ١٩ مارس بسمسون». . وحسب الدراسة التى قمنا بها فى ذلك التأريخ وجدنا هنا مخطوطات عربية وتركية وفارسية يتجاوز عددها ١١٥٠ مخطوطة. . ان عددا قليلا منها وهو ٧٦ مخطوطة فقط تركية وفارسية والمخطوطات الباقية كلها عربية. وسنصنفها بعيد قليل بالتفصيل حسب أقسامها العلمية التى تعود لها. . ومن بينها مخطوطات من صنف مجموعة الرسائل، ويتجاوز عددها ٢٣٠ مجلداً. . تتألف هذه المجموعات من رسائل مختلفة كثيرة منها كبيرة الحجم وأخرى صغيرة، يتجاوز عددها ٩٠٠ رسالة. لذا يكون مجموع المخطوطات العربية فى هذه المكتبة سواء أكانت كتبا او رسائل، حوالى ٢٠٠٠ مخطوطة.

مصادر تأمين المخطوطات:

هذه المخطوطات عموما آثار وقفية قد وقفت الى «مكتبة وزير كوبرى»(١) القديمة و«مدرسة(٢) لاديك(٣)» العتيقة. وأكثر هذه المخطوطات قد وقفت من قبل السيد عبد الله خزينه دار زادة والشيخ عثمان الرومي وشيخ الاسلام محمد أفندى وغيرهم من الاشخاص الكرام. وعلاوة على المخطوطات التي ختمت بختم الوقف توجد أيضا مخطوطات أخرى غير مختومة، الا أنها تضمنت أسماء أصحاب المخطوطات مثل عبد الرحمن رافع بن الشيخ نظمي وعبد الكريم بن علي والسيد ابراهيم الملازم وغيرهم. وتوجد أيضا مخطوطات أخرى كثيرة لم يذكر أصحابها ولم يعرف من وقفها، الا انها أهديت الى المكتبة من طرف الانام الكرام.

أصناف المخطوطات:

هنا نستطيع ان نصنف هذه المخطوطات حسب أقسامها العلمية:

نجد فى تركيا أن المصادر الاسلامية كثيرة، وهى على شكل مخطوطات موجودة فى مدن عديدة كاستانبول ومانيسا (فيها مكتبة كتاب سراى) وتيرة (فيها مكتبة نجيب باشا) وقونية (فيها مكتبة يوسف أغا ومكتبة متحف مولانا جلال الدين الرومى)، ونوشهير (فيها مكتبة داماد ابراهيم باشا) وبورصة وطوقات واماسيا وبوردور وغيرها من المدن.

مراجعة: د. أنور طاهر رضا
- تركيا -



بمسـون (تركيا)

ا - المخطوطات العربية:

علم النحو وأصوله	٧٨
رسائل علم النحو	٤٢
علـم الصـرف	٢٢
رسائل علم الصرف	١٩
القواميـس	١٤
علم البلاغة والبيان والبديع والمعاني	٢٧
القرآن الكريـم	٤
علم قراءة القران وتجويده	١٨
رسائل القراءة والتجويد	٩
علـوم القران	٧
تفسـير القـران	١٢٢
علم الحديث وأصوله	٨٠
رسائل علم الحديث	٥
علم الفقه وأصوله والعبادات	٢٧٩
رسائل الفقه والعبادات	١٩
علم العقائد والكـلام	٤١
رسائل العقائد والكلام	٧
التصوف والطريقة والموعظة والارشاد والادعية	٥٤
رسائل التصوف والطريقة والموعظة والادعية	٣
التأريخ والسير والغزوات والطبقات	٢٢
الفلسفـة	٤
رسـائل الفلسفـة	٣
المنطـق	٣٠
رسائل المنطق	١٥
آداب المناظرة والجدل والتعليم والتعلم	٨
رسائل آداب المناظرة والجدل والتعليم والتعلم	٢
مخطوطات أدبيـة	١٠
رسـائل أدبيـة	٣
الحساب والهندسة والطب وعلم الفلك وعلم النجوم	٩
رسائل الحساب والهندسة	٣
رسائل مختلطة مشتركة	١٠٨
ب - المخطوطات التركيـة	٥٦
ج - المخطوطات الفارسية	٢٠

الكتب المخطوطة ٩١٥ + مجموعات الرسائل: ٢٣٨ = ١١٥٣ مخطوطة

تعكس هذه المخطوطات عموما، الميزة العلمية للعهد العثماني ذلك انها عبارة عن شروح او حواش او تعليقات او تلخيصات على المصادر القديمة. ومع ذلك فمن الممكن ان توجد من بينها مخطوطات نادرة واصلية.

مجموعات الرسائل:

ان مجموعات الرسائل المخطوطة منها بشكل خاص مهمة جدا فى هذا الموضوع. ولأن موظفى المكتبة غير مختصين بالمخطوطات والخطوط العربية الاسلامية، لذا لا يستطيعون ان يسجلوها بشكل تام وصحيح، وربما يغفل الباحثون أيضا الرسائل التي احتوتها المجموعة المخطوطة. ومن الممكن ان يقرأوا عنوان الرسالة الاولى من المجموعة المكتوب على الغلاف او الجلد او على الاوراق الاولى، وان يظنوا ان هذا العنوان بتمامه هو عنوان المجموعة.. وفى الواقع ان هذا الاسم ما هو الا عنوان الرسالة الاولى من المجموعة. وبذلك يغفل انتباههم عن رسائل أخرى من المجموعة.

هنا نستطيع ان نصنف هذه المجموعات المخطوطة حسب محتواها الى ما يأتي:

١ - مجموعات تتضمن رسائل مختلفة الموضوعات لمؤلف واحد، كـ رسائل ابن كمال باشا أحمد بن سليمان المتوفى سنة ٩٤٠هـ. وهى تتألف من ٢٦ رسالة مختلفة، مرقومة بـ (٣٠٣) فى المكتبة وعدد أوراقها ١٢٠. و«رسائل السيوطي جلال الدين عبد الرحمن المتوفى سنة ٩١١هـ» وهى تتألف من ٥١ رسالة مختلفة، مرقومة بـ (٢٤٥) و(٩٧٠) وعدد أوراقها ٢٤٦. و«رسائل ابن نجيم زين العابدين عمر بن ابراهيم المتوفى سنة ٩٧٠هـ». وهى مرقومة بـ (١٨٢) فى المكتبة.

٢ - مجموعات تتضمن رسائل مختلفة لمؤلفين مختلفين مثلا: الرسالة الاولى في النحو والثانية فى الصرف والثالثة فى المنطق والرابعة فى الجدل الى آخره.

٣ - مجموعات تتضمن رسائل بلغات مختلفة كالعربية والتركية والفارسية..

٤ - مجموعات تتضمن رسائل فى موضوع واحد لمؤلفين مختلفين كما في المجموعات التى جمعت شروحا وحواشي وتعليقات حول مصدر واحد.

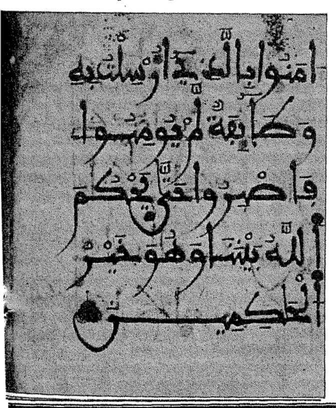
٥ - مجموعات تتضمن رسائل تتركب من كتيبات أو رسائل عديدة.

٦ - مجموعات تتألف من رسائل كثيرة، وأحيانا يتجاوز عددها العشرين.. نستعرض الآن رسالة من هذه الرسائل كما يلي:

نموذج من الرسائل:

مثلا المجموعة المرقومة بـ (٨٠٤) في المكتبة أبعادها الخارجية (١٥×٢٢) سم. وعدد أوراقها ٣١٩ ورقة.. وهى تتألف من الرسائل التالية:

١ - رسالة فى علاقات المجاز لمحمد الصوبجوى (؟)
٢ - الشمسية فى المنطق لنجم الدين عمر القزويني الكاتبي المتوفى سنة ٦٩٣هـ.
٣ - مرقاة الوصول الى علم الاصول في أصول الفقه لملا خسرو محمد المتوفى سنة ٨٨٥هـ.
٤ - العقائد العضدية لعضد الدين الايجي المتوفى سنة ٧٦٥هـ.
٥ - الاسماء الحسنى، مؤلفها غير معروف.
٦ - السراجية فى الفرائض لسراج الدين السجاوندي المتوفى حوالي سنة ٥٩٦هـ.
٧ - آداب المناظرة لساحقلى زاده محمد المرعشي المتوفى سنة ١١٥٠هـ.
٨ - رسالة الاستعارة لابى القاسم الليثى السمرقندي المتوفى حوالي سنة ٨٨٨هـ.
٩ - ملخص تلخيص(٤) المفتاح(٥) فى البلاغة للسيوطى المتوفى سنة ٩١١هـ.
١٠- رسالة مختصرة فى النحو، مؤلفها غير معروف.
١١- عروض الاندلسي لابى محمد ابي الجيش عبد الله الانصاري المتوفى سنة ٥٤٩هـ.
١٢- الشافية فى الصرف لابن الحاجب المتوفى سنة ٦٤٦هـ.
١٣- الولدية فى المنطق للسيد الشريف على الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦هـ.
١٤- رسالة منظومة فى العروض، مؤلفها غير معروف.
١٥- تلخيص المفتاح لجلال الدين محمد القزويني المتوفى سنة ٧٣٩هـ.
١٦- تقرير القوانين المتداولة فى علم المناظرة لساجقلي زاده المرعشي (١١٥٠هـ).
١٧- رسالة فى القياس لموسى البهلواني(؟) او لمحمد باقر



المجلسي الاصبهاني (١١١٠هـ)

١٨- ايسـاغوجي في المنطق لأثير الدين مفضل الابهري المتوفى سنة ٦٦٣هـ.

١٩- شرح ايساغوجي لحسام الدين حسن الكاتي المتوفى سنة ٧٦٠هـ.

٢٠- شرح ايساغوجي لشمس الدين محمد ملا الفناري المتوفى سنة ٩٣٤هـ.

٢١- حاشية على شرح الفناري لايساغوجي لقول(٦) أحمد بن محمد بن خضر.

■ هذه المجموعة كما رأيناها تتألف من ٢١ رسالة مختلفة تعود لعلوم مختلفة أى البلاغة والمنطق وأصول الفقه والعقائد والتوحيد والكلام وعلم الفقه وآداب المناظرة والجدل وعلم النحو وعلم الصرف والادب.

نماذج أخرى من المخطوطات:

١ - الايضاح شرح المفصل(٧) لابن الحاجب المتوفى سنة ٦٤٦هـ.

٢ - المكمل فى شرح المفصل لمظهر الدين الشريف الرضي المتوفى سنة ٦٥٩خـ.

٣ - المحصول فى شرح الفصول(٨) لجمال الدين حسين بن آياز البغدادي المتوفى سنة ٦٨١هـ.



٤ - تقريب المدارك فى شرح ألفية ابن مالك لابى زيد المكودى المطرزى المتوفى سنة ٨٠٧هـ.

٥ - شرح لب الالباب(٩) لنقره كار جمال الدين النيسابورى المتوفي سنة ٧٧٦هـ.

٦ - شرح شافية ابن الحاجب (٦٤٦هـ.) في الصرف للرضى الاسترابادى المتوفى سنة ٦٨٦هـ.

٧ - الهارونية في التصريف لنجم الدين عمر بن الهروي.

٨ - الافعال في فن اللغة لمحمود الزمخشرى المتوفى سنة ٥٣٨هـ.

٩ - كتاب التمييز لما أودعه الزمخشري من الاعتزال في الكتاب العزيز لعمر بن محمد بن الخليل السكوني المتوفى سنة ٧٠٧هـ.

١٠- شرح مسند الامام الاعظم أبي حنيفة المتوفى سنة ١٥٠هـ. لعثمان بن يعقوب الكماحي المتوفى سنة ١١٦٦هـ.

١١- شرح الفقه الاكبر (لأبي حنيفة) لالياس بن ابراهيم السينوبى المتوفى سنة ٨٩١هـ.

كلمة أخيرة:

وفى نهاية المقال نستطيع أن نقول ان أسلافنا الصالحين قد اجتهدوا فى الاسلام لوجه الله، وكتبوا ابتغاء مرضاة الله، وتركوا لنا آثارا قيمة ثمينة لا تعد ولا تحصى.. لذا ينبغي على الباحثين الحديثين النشيطين ان يصلوا الى هذه الاثار الموجودة على رفوف المكتبات أو في معارض المتاحف، ويدرسوها، ويبحثوا فيها، ويعدوها للطبع والنشر لنفع عالم العلم واستفادة الناس.

الهوامش

(١) وزير كوبري: قصبة قديمة تابعة لمدينة سمسون، اشتهرت بتخريج رجال الدولة فى العهد العثمانى، مثل كوبريلي محمد باشا، وكوبريلي فاضل أحمد باشا.

(٢) المدرسة هنا بمعنى الجامعة فى العهد العثماني.

(٣) لاديك: قصبة قديمة أيضا، تابعة لمدينة سمسون، ومشهورة ببسطها «بسط لاديك»

(٤) تلخيص المفتاح لجلال الدين محمد الخطيب القزوينى المتوفى سنة ٧٣٩هـ.

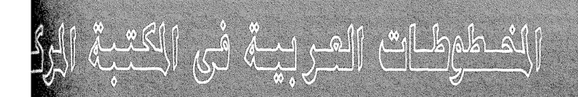
(٥) مفتاح العلوم لابى يعقوب السكاكي المتوفى سنة ٦٢٦هـ.

(٦) قول: هنا كلمة تركية بمعنى العبد.

(٧) المفصل في علم النحو لمحمود الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨هـ.

(٨) الفصول الخمسون في علم النحو لابي زكريا يحيى بن (عبد) المعطي الزواوي المغربي الجزائري المتوفى سنة ٦٢٨هـ.

(٩) لب الالباب لتاج الفاضل الاسفرائيني المتوفى سنة ٦٨٤هـ.



لا شك ان المخطوطات تمثل مرتكزا مهما فى حياة الأمة الفكرية والثقافية . . والحفاظ عليها، ورعايتها يعنى الحفاظ على ذاكرة الأمة عبر أجيالها السابقة واللاحقة ومن هذا المنطلق، قامت المكتبات المركزية فى جامعات المملكة العربية السعودية بالمحافظة التامة على كل مالديها من مخطوطات بل وسعت الى تنميتها بالاضافة اليها من الجهات المختصة وبعض المظان الأخرى.

وجامعة أم القرى فى مكة المكرمة تحتفظ مكتبتها المركزية بنصيب موفور من هذه المخطوطات فى مختلف العلوم والمعارف الاسلامية والعربية واصدرت من اجل ذلك مجموعة من الفهارس الببليوغرافية لمجموعة المخطوطات لديها. . وذلك انطلاقا من ادراكها الواعي بأهمية هذه المخطوطات وأهمية الحفاظ عليها وتسهيل الافادة منها.

■ **وتأكيدا لهذا الفهم جاء فى تقديم الجزء الاول من فهرس المخطوطات:**

«تراث الأمة الدينى والعلمي هو روحها الذي به تعيش وبه تفاخر. . وهو لذلك ما يجب أن تعنى به مؤسساتنا العلمية من جامعات ومراكز بحوث ومكتبات، وعمادة شؤون المكتبات بجامعة أم القرى بمكة المكرمة إدراكا منها بأهمية هذا التراث جمعا وتحقيقا ونشرا وفي محاولة منها للتعريف بهذا التراث ووضعه في متناول الباحثين طلاباً وأساتذة وعلماء ـ فقد أولت هذا الجانب الاهتمام البالغ. فأنشأت قسماً خاصاً بالمخطوطات جعلت مهمته العمل على اقتناء ما يمكن من المخطوطات ومساعدة الباحثين في التعرف على مظان المخطوطات وجلب ما يهمهم منها.

ولكون الفهارس أهم معين لطلاب العلم في عملية البحث والتنقيب عن هذا التراث، فقد كرست جهود القائمين على قسم المخطوطات لعمل فهارس علمية لمحتويات القسم من مخطوطات أصلية وغيرها من أوعية التراث.

■ **وبين ايدينا الجزء الاول من فهرس مخطوطات جامعة ام القرى وقد سار العمل فيه على النحو التالي.**

أولا: ذكر عنوان المخطوط كاملا:

ثانيا: ذكر اسم المؤلف، مبدوءاً بالاسم الشخصي وما يلي ذلك من لقب أو كنية أو اسم للشهرة. وذكر تاريخ وفاته إذا توصلنا الى معرفتها بين قوسين، هكذا: (ت ٨٥٠هـ) مع تحقيق كل من العنوان واسم المؤلف وذلك بالرجوع الى المراجع العلمية التى تعين على ذلك.

ثالثا: ذكر أول المخطوط.

رابعا: ذكر آخر المخطوط.

خامساً: بيان نوع الخط، وذكر اسم ناسخ الكتاب إن وجد، وكذا تاريخ النسخ.

سادسا: حجم المخطوط ويشتمل على:

(أ) عدد الاوراق

(ب) عدد الاسطر في الصفحة الواحدة.

(ج) مقاس المخطوط من حيث الطول والعرض بالسنتيمتر هكذا (٢٠×١٥سم) ونعني بالرقم الأول طول المخطوط وبالرقم الثاني عرضه.

سابعا: رقم المخطوط فى المكتبة وقد وضعناه بين قوسين، وفي حال وجود المخطوط ضمن مجموع ذكرنا الرقم العام للمجموع وبعد خط التقسيم المائل أوردنا رقم المخطوط ضمن المجموع مثال ذلك (٤٠٥/١).

ثامنا: أية ملاحظات أخرى تفيد الباحث من سماعات وتعليقات وتملكات أو غيرها.

■ وفى هذه الصفحات ننشر صفحات مختارة من هذا الفهرس تعطى القارىء نماذج سريعة.

التفسير

■ **الجوهر الشفاف الملتقط من مقاضاة الكشاف:**

تأليف: عبد الله بن الهادي بن يحيى بن حمزة (ت حوالي ٨١٠هـ). الجزء الاول:

أوله: الحمد لله الذى نور بصائرنا بمعرفة كتابه وطهر ضمائرنا بتلاوة خطابه.

آخره: تفسير آخر سورة التوبة.

الخط: نسخي معتاد.

الناسخ: حسن بن صلاح بن محمد بن القاسم المهدي.

تاريخ النسخ: فرغ من نسخه في العشر الوسطى من شعبان ٩٠٧هـ.

٢٤٥ق، ٣٢س، ٢٧×٢٠سم.

(٧٨)

انظر معجم المؤلفين ٦: ١٦١.

■ **الجزء الثالث من النسخة نفسها:**

أوله: ناقص ويبدأ بتفسير قوله تعالى من سورة العنكبوت (من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت).

آخره: ناقص وينتهي في أثناء تفسير قوله تعالى: ﴿من شر حاسد إذا حسد﴾ من سورة الفلق، بقوله يستفاد منه خمسا معنى الاستعاذة بعده من الغاسق.

الخط: نسخي معتاد.

الناسخ: حسن بن صلاح بن محمد (وهو ناسخ الجزء الأول).

تاريخ النسخ: غير مذكور

٢٩٦ق، ٢٩ س، ٢٧×١٩سم.

(٧٩)

بعض الاوراق مخرمة ومرممة ترميما سيئا ذهب بالكتابة.

■ **حاشية ابن كمال باشا على المحاكمات على الكشاف**

تأليف: أحمد بن سليمان بن كمال باشا (ت٩٤٠هـ).

أولها: بعد البسملة والاستعانة قوله: فقيل مصدر من رق هذا بأن فاعله في المصادر قليلة.

آخرها: الحمد لله على التمام وعلى رسوله أفضل السلام.

الخط: فارسي.

الناسخ: غير مذكور

تاريخ النسخ: غير مذكور.

٣٢ق (١٥٥-١٨٦)، ٢١س، ٢١×١٦سم.

(٢/٣٧٧)

■ **حاشية على أنوار التنزيل وأسرار التأويل.**

تأليف: محمد بن فراموز بن علي ملا خسرو (ت٨٨٥هـ).

أوله: الحمد لله الذى خلق النسم ورزق القسم وبين الحجة وعين المحجة سببي الفوز والنجاة.

آخره: توجه الرسول ﴿ﷺ﴾ الى قبلة آبائهم وهي الكعبة وبالنظر الى أهل المدينة كونه الى قبلة أنبيائهم يزول بزواله أي زوال ذلك العارض.

الخط: نسخي معتاد.

الناسخ: غير مذكور.

تاريخ النسخ: غير مذكور.

١٣٥ق، ٣١س، ٢٦٫٥×١٧٫٥سم.

(٣٨١)

انظر الاعلام ٧: ٢١٩، ومعجم المطبوعات٢: ١٧٩٠.

حاشية على تفسير البيضاوي
حاشية على أنوار التنزيل واسرار التأويل

■ **رسالة فى الكلام على البسملة والحمدلة**
تأليف: مصطفى بن محمد بن أحمد بن موسى العروسي (ت١٢٩٣هـ).
أولـه: قد سألني بعض النجبا من أهل العلم ممن..
آخره: وصلى الله على سيد النبيين والمرسلين وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين.
الخط: نسخي معتاد.
الناسخ: حسين بخيت الصعيدي المطيعي.
تاريخ النسخ: فرغ من نسخه فى يوم الاحد ١٠ شعبان ١٢٧٦هـ.
٢٠ق (٢٠٠-٢٢٠)، ١٩س، ٥ر٢٢×٥ر١٥سم.
(٤/٤٤٠)
بآخره من ق٢٢٠-٢٢٧ فوائد فى شمائل النبى ﴿ﷺ﴾ وبعض أحكام الميراث.

■ **شفاء الغليل شرح الخمسماية آية من التنزيل**
تأليف: عبد الله بن أبي القاسم
أوله: بعد البسملة ﴿إن الذين كفروا سواء عليهم﴾ دلت إشارة مع قوله تعالى لينذر قوما ما انذر آباؤهم على وجوب الدعاء الى الدين.
آخـره: ذلك كله مندوب فقط الا عند خشية التلف فيجب بأجره وإن كان فعل ذلك يعد من المروءة ومكارم الأفعال وتاركه ينسب إلى عكس ذلك.
الخط: نسخي معتاد.
الناسخ: غير مذكور.
تاريخ النسخ: فرغ من نسخه في ٧ جمادي الآخرة ١٠٧٧هـ.
٩٩ق (١٣٥-٢٣٣)، ٢٤س، ٢٠×١٤ سم
(٢/٣٠٩)
بهوامشه حواش وتعليقات كثيرة

■ **عرائس البيان في حقائق القرآن**
تأليف: روزبهان بن أبى النصر البقلي الشيرازي الصوفي أبو محمد (ت٦٠٦هـ).
أولـه: بعد البسملة الحمد لله الذى كان في الازل موجوداً بوجوده وذاته وكنوز صفاته.
آخره: ناقص وينتهي في أثناء تفسير قوله تعالى فى سورة البقرة ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾ بقوله: رفع الحجاب عن الغيب فتوجد فى الغيب الغيب صاحب الغيب وذلك قوله ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾.
الخط: رقعة.
الناسخ: غير مذكور.
تاريخ النسخ: غير مذكور.
٩ق، ٣١س، ٥ر٢٢×٥ر١٤ سم
(١٤٦)
انظر كشف الظنون ٢: ١١٣١

■ **عيون التفاسير للفضلاء السماسير**
تأليف: احمد بن محمد السيواسي (ت٨٠٣هـ)
أولـه: الحمد لله الذى أنزل القرآن كلاما قيما لا يحول حوله عوج وجعله كتابا محكما منظم معجز.
آخره: سألت محمد بن المنكدر عن المعوذتين الاسماء فى كتاب الله تعالى.. فى كتاب الله تعالى فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين رضوان الله عليهم أجمعين.
الخط: نسخي قديم.
الناسخ: أحمد بن رجب.
تاريخ النسخ: فرغ من نسخه فى ذي الحجة ١٠٢٧هـ.
١٨٠ق، ٢٥، ٢٨×١٩سم
(٣٨٥)
به شروح وتعليقات على الهوامش
انظر كشف الظنون ٢: ١١٨٥ ومعجم المؤلفين ٢: ١٧٢.

■ **فتح الرحمن بكشف ما يلتبس فى القرآن**
تأليف: زكريا الانصاري الشافعي أبو يحيى (ت٩٢٦هـ).
أولـه: بعد البسملة: الحمد لله الذي نور قلوب العباد.
آخره: قلت لم خص الناس بالذكر فى الثلاثة الأولى مع أنه يقال رب كل شيء وملكه وإلهه.. تشريفا لهم وتفضيلا على غيرهم.
الخط: نسخي معتاد.
الناسخ: غير مذكور.
تاريخ النسخ: غير مذكور.
١٧٨، ١٧س، ١٩×٥ر١٣ سم
(٤٠٤)
به شروح وتعليقات على الهوامش
انظر كشف الظنون ٢: ١٢٣١، والاعلام ٣: ٨٠.

■ **الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية**

تأليف: سليمان بن عمر المعروف بالجمل (ت ١٢٠٤هـ)
الجزء الاول:
أوله: بعد البسملة الحمد لله على أفضاله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وصحبه وآله.
آخره: ناقص وينتهي بقوله: وجميع الغنايم فلم تزل النار فأوحى الله إلى يوشع أن فيها علي.
الخط: نسخي معتاد.
الناسخ: غير مذكور.
تاريخ النسخ: غير مذكور.
٣٨٨ق، ٢٩س، ٢٤×١٦ سم
(٨٦)
انظر: إيضاح المكنون ذيل كشف الظنون ٢: ٧٧ ومعجم المؤلفين ٤: ٢٧١.

■ **الجزء الرابع من النسخة نفسها:**
أوله: بعد البسملة الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبه نستعين.
آخره: وذلك دليل حسن الخاتمة أي على السعادة السابقة والحمد لله رب العالمين الى قوله تعالى ﴿وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾.
الخط: معتاد.
الناسخ: محمد موسى.
تاريخ النسخ: فرغ من نسخه في ٢٤ شوال ١٢٨٢هـ.
٥١٢ق، ٢٩س، ٢٤×١٦سم.
(٨٧)
يبدأ بتفسير سورة غافر وينتهي بنهاية الكتاب.

■ **المحاكمات على الكشاف عن حقائق التنزيل**
تأليف: عبد الكريم بن عبد الجبار
أولها: بعد البسملة الحمد لله المنعم المبدع كاشف ظلمات الكفر والجهل بأنوار القرآن.
آخرها: فلا بد من اعتبار التجريد بأن ينتزع من المخاطب أسد ومن الثمرة رزق.. الخ.
الخط: فارسي.
الناسخ: غير مذكور.
تاريخ النسخ: غير مذكور ولعله من خطوط القرن الثاني عشر
١٥٣ق (١-١٥٣)، ٢١س، ٢١×١٦سم
(١/٣٧٧)
انظر كشف الظنون ٢: ١٤٧٨

■ **معالم التنزيل - قطعة منه**
تأليف: الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٠هـ)
أوله: ناقص ويبدأ في تفسير سورة يوسف بقوله: ألا بما علمنا فإنا رأينا إخراج الصواع من مكانه... الخ
آخره: ناقص وينتهي بقوله: (وفي رحالهم قدح من ماء فعطشت فأخذته فشربته ووضعته كما كان فسألوا هل وجدوا الماء في القدح حين رجعوا قالوا هذه آية).
الخط: نسخي معتاد.
الناسخ: غير مذكور.
تاريخ النسخ: غير مذكور.
١٣٧ق ٣١س، ٢٩×١٨سم.
(١٤١)
انظر كشف الظنون ٢: ١٧٢٦ والاعلام ٢: ٢٨٤

الحساب

■ **بغية المبتدي القلم الهندي (في علم الحساب)**
تأليف: علي بن محمد بن محمد علي القرشي القلصادي (ت٨٩١هـ).
أولـه: بعد البسملة، أما بعد فالمقصود من هذا الموضوع أن يكون في الحساب وهو يشتمل على مقدمة وأربعة أجزاء.
آخره: ناقص وينتهي بقـوله أو العمل فيه أن يطرح المطروح منه وما بقي تحفظه ثم تطرح المطروح بذلك الطرح وما بقي تطرحه من المحفوظ فما بقي فهو الجواب.
الخط: نسخي معتاد.
الناسخ: غير مذكور.
تاريخ النسخ: غير مذكور.
٢٨ق، ١٦سم، ٢٠×١٤سم.
(٣٢٩)
انظر الاعلام ٥: ١٦٣.

■ **رسالة في استخراج الاحتمالات**
تأليف: إبراهيم الحلبي.
أوله: الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد فيقول الفقير إبراهيم الحلبى هذه رسالة في كيفية استخراج عدة الاحتمالات التركيبية من أى عدد كان.
آخره: لما كان في الخامس والستين عدد مراتبه عشرون ففي ضعفه إلا واحد أو هو مائة وتسعة وعشرون ما مراتبه أربعون.. وهذه المراتب لا يفي بها الشمل ولا يحيط بها ذهن والله سبحانه علام الغيوب.

الخـط: نسـخي معتـاد.
الناسخ: غير مذكور.
تاريخ النسخ: غير مذكور.
١٧ق، ١٩ س، ١٦٫٥ × ٢١٫٥سم
(٥٠٤)
يشتمل على جداول مكتوبة بالمداد الأحمر.

الكيميـــاء

■ رســالة في الكيميــاء
تأليف: ....
أولها: بعد البسملة. هذه رسالة نافعة لمن قاده العقل بزمام التوفيق، الحمد لله الواحد القهار الباري المهيمن الصبور الجبار.
آخرها: ناقص، وينتهي الموجود منها بقوله فإن أعطاك الله هذه المرتبة فقد زال تعبك وإن تجنى ثمراتها باجتهادك فاعتمد على الله تعالى.
الخـط: معتـاد.
الناسخ: غير مذكور.
تاريخ النسخ: غير مذكور.
٧ق، ١٩س، ٢٣ × ١٦٫٥ سم
(١/٢٣٩)

■ نسـخة أخـرى
أولها: بعد البسملة، هذه رسالة نافعة لمن قاده العقل بزمام التوفيق..
الحمد لله الواحد القهار الباري المهيمن.
آخرها: فلا تترك التقوى اتكالا على النسب (لقد رفع الاسلام سلمان فارسي وقد وضع بالشرك أبو لهب).
الخـط: معتـاد.
الناسخ: غير مذكور.
تاريخ النسخ: غير مذكور.
١١ ق، ٢٥ س، ٢٣ × ١٦٫٥ سم
(٢/٢٣٩)
فيها أثار أكل الأرضة وعليها حواش يسيرة.

■ رسـالة فـي الكيميـاء
تأليف: الحاج عبد السلام القرمودي الرجراجي.
أولها: بعد البسملة، الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم قال الوالي الصالح والقطب الراجح العارف بالله.. الحاج عبد السلام القرمودي.

آخرها: كالا سفيداج واحد منه على مائة من القلع يخرج قمرار وياضيا بشهادة الله تعالى هذا ما عملته بيدي تم.
الخـط: معتـاد.
الناسخ: غير مذكور.
تاريخ النسخ: غير مذكور.
١٢ ق، ٢٥ س، ٢٣ × ١٦٫٥ سم
(٣/٢٣٩)

■ غاية السرور في شرح ديوان الشذور
تأليف: ايدمر بن علي بن أيدمر الجلدكي (ت٧٤٢هـ).
الجزء الأول:
أولـه: بعد البسملة وبه ثقتي الحمد لله المالك الملك الحق الحي القدير الغفور الخالق للخلق الذي أضاء من ضياء فيض نور مدده كل نور.
آخره: فطوبى لهم وحسن مآب والله يرزق من يشاء بغير حساب تم الجزء الأول من كتاب غاية السرور في شرح ديوان الشذور.
الخـط: معتـاد.
الناسخ: سويفي بن أحمد العدوي.
تاريخ النسخ: فرغ من نسخه في شهر رجب سنة ١٣٢٦هـ.
١٧٣ ق، ١٩ س، ٢٣ × ١٧ سم
(٢٤٤)
انظر: كشف الظنون ٢: ١٠٢٩، الاعلام ٥: ١٥٧ والمؤرف فيه هو علي بن محمد بن أيدمر الجلدكي، عز الدين توفي بعد سنة ٧٤٢هـ.
معجم المؤلفين ٧: ٤٢ واسم الكتاب فيه الجوهر المنظوم والدر المنثور في شرح ديوان الشذور.

■ الجزء الثاني من النسخة نفسها:
أولـه: بعد البسملة وبه ثقتي الحمد لله الذى خص أهل ولايته بغاية السرور والمعارف وأمدهم بمعارف العوارف.
آخره: تم القسم السابع من كتاب غاية السرور في شرح ديوان الشذور وهو آخر الجزء الثاني من الكتاب المذكور بحمد الله سبحانه لا إله إلا هو.
الخـط: معتـاد.
الناسخ: سويفي بن أحمد العدوي.
تاريخ النسخ: فرغ من نسخه في شهر رمضان سنة ١٣٢٦هـ.
٢٠٢ ق، ١٩ س، ٢٣ × ١٧ سم
(٢٤٥)

■ الجزء الثالث من النسخة نفسها

أولـه : بعد البسملة الحمد لله الأول الذي لا أول لأوليته ولا آخر لأزليته وسرمديته .
آخره : وقد ختمناه بخاتم الامامة والامان من عند العزيز الحكيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .
الخـط : معتـاد .
الناسخ : سويفي بن أحمد العدوي .
تاريخ النسخ : غير مذكور ولعله عام ١٣٢٦هـ كما ورد في الجزءين السابقين .
٢٣٢ق ، ١٩س ، ٢٣ × ١٧ سم
(٢٤٦)

■ الجزء الرابع من النسخة نفسها :
أولـه : بعـد البسملة وبه ثقتي الحمد لله الملك القدوس السلام الإله الحق الخالق البار المصور العليم العلام .
آخره : نجـز الجـزء الـرابـع المبـارك الختام لكتاب غاية السرور في شرح ديوان الشذور بحمد الله وعونه وحسن توفيقه .
الخـط : معتـاد .
الناسخ : سويفي بن أحمد العدوي .
تاريخ النسخ : فرغ من نسخه في يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من شهر صفر سنة ١٣٢٨هـ .
٢٢٥ق ، ١٩س ، ٢٣ × ١٧ سم
(٢٤٧)

■ كتـاب فـى الكيميـاء
تأليف : خالد بن يزيد .
أولـه : بعد البسملة ، قال أبو بكر بن معلي الخولاني رحمه الله تعـالى الحمـد لله الـذي بحمـده نحمـده وبتوفيقه نعبده . . قال خالد بن يزيد . . لما رأيت الناس قد طلبوا في كل عصر ورأيت الحكماء قد كرهو إذاعتها وصانوها من الجهال الخ .
آخره : ناقص ، وينتهي الموجود منه بقوله :
هرمس قال ذا وبقراط أيضا قال ما قلته برأي وثيق .
الخط : نسخي معتـاد .
الناسخ : غير مذكور .
تاريخ النسخ : غير مذكور
٧٠ق ، ١٩ س ، ٢٢ × ١٦ سم
(٢٣٧)

الطـــــب

■ الرحمة فى الطب والحكمـة
تأليف : اسماعيل بن أبي بكر بن عبد الله المقري (ت٨٣٧هـ) .
أولـه : بعـد البسملة الحمد لله الذي اخترع من العدم الموجودات وأظهر الى الوجود الكائنات وأبدع حكمة في طبائع المفاعلات .
آخـره : وإن كانت العلة عظيمة مزمنة مثل الجذام فليعيد بمهل كل أسبوع مرة أو في الشهر مرتين أو مرة على قدر قوة الشخص وضعفه فإنه نافع صحيح مجرب .
الخـط : نسـخي معتاد .
الناسخ : أحمد بن حسن بن أحمد بن عبد الله .
تاريخ النسخ : فرغ من نسخه في شهر رجب ١٢٠٥هـ .
٢١ق (١٢٩-١٥٠) ، ٢٢س ، ٢٢ × ١٥ سم
(٢/٣١٦)

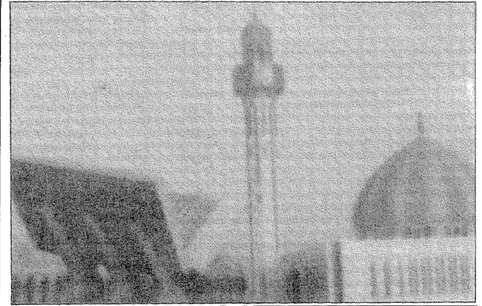
انظـر الاعـلام ١ : ٣٠٦

■ القانـون فـى الطـب
تأليف : . . . . . .
أولـه : بعـد البسملة الحمـد لله على أفضـاله والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه ، أعلم أن الطب علم يعرف منه أحوال بدن الانسان من جهة ما يصح ويزول عن الصحة .
آخـره : ناقص وينتهي بقـولـه وأما الوسواس السوداوي فينفـع منـه شرب المسنا والكزبرة الخضراء أو لبن الماعز والحنظل أو سويق السلق .
الخـط : نسـخي معتاد .
الناسخ : محمد حبشي .
تاريخ النسخ : ١١٧٣هـ .
١٦٧ق ، ٢٣س ، ٢١٫٥ × ١٣٫٥ سم
(٢٩٢)

■ الموصل إلى الاغراض في مداواة الأمراض
تأليف : عبد اللطيف بن موسى
أولـــه : بعد البسملة ، الحمد لله المنفرد بالقدم المتفضل بايجاد الكائنات من كنز العدم ذي الجود والكرم والمتكرم بإسباغ النعم .
آخـره : فالدعاء والصدقة سبيلان لرد البلاء واستجلاب الرحمة كما أن الترس والسهم تدافعان وكذلك الدعا .
الخـط : نسـخي معتـاد .
الناسخ : أحمد بن يحيى . . . احمد بن حسن بن أحمد رسام .
تاريخ النسخ : غير مذكور .
٧٩ق (١٥٠-٢٢٨) ، ٢٢س ، ٢٢ × ١٥ سم
(٣/٣١٦)

فى آخر الكتاب عدد من المسائل لعدد من الحكماء والمشايخ .

● مجمع الملك فهد لطباعة القرآن الكريم فى المدينة المنورة أحد المعالم العملاقة لخدمة القرآن الكريم.



ترجمة معانى القرآن الكريم بسبع لغات

مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.. يقوم حالياً بطباعة ترجمات معانى القرآن الكريم بسبع لغات هى الانجليزية، الفرنسية، الصينية، الاندونيسية، الهوسا، التركية، والاوردو.

ومن المعروف أن المجمع قد قام بتوزيع حوالى مليونى نسخة من هذه الترجمات فيما سبق.. واليوم يقوم بخطى حثيثة فى طباعة بقية الترجمات الاخرى.. ويأتى هدف مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف متمثلا فى إصدار ترجمات لتفسير معانى القرآن الكريم بمختلف اللغات التى ترجمت إليها هذه التفاسير المتفق على دقتها وصحتها وسلامة ما تؤديه من معنى.

والمجمع يقوم كذلك بإصدار مصاحف مرتلة على أشرطة التسجيل بصوت مشاهير القراء فى العالم الاسلامى وكذا بمختلف القراءات المشهورة حتى يكون المعلم لكيفية تلاوة القرآن وتجويده.

ندوة علمية عن المدارس الاسلامية فى مصر

عقدت «الجمعية المصرية للدراسات التاريخية» فى مقرها في القاهرة مؤخرا ندوة علمية عن «المدارس الاسلامية في مصر» استمرت ثلاثة أيام وحضرها عدد كبير من المؤرخين والباحثين والأساتذة المتخصصين المشتغلين بالمدارس الاسلامية وبالآثار والفنون الاسلامية، في مصر وخارجها.

وكان من أظهر موضوعات هذه الندوة:

- العلم والمدرسة.
- العلم بين الجامع والمدرسة.
- المكتبة المدرسية.
- عوامل مؤثرة فى تخطيط المدرسة المملوكية
- الجامع الازهر ودوره في نشر الثقافة الاسلامية.
- دراسة مقارنة بين المدرسة المصرية والمدرسة اليمنية.
- سياسة صلاح الدين في بناء المدارس.
- المدارس في مصر قبل العصر المملوكي.
- مجالس الاملاء.
- العلاقة بين النص التأسيسى والوظيفة والتخطيط المعماري للمدرسة في العصر العثماني.



علم الكلام..!!

الجمعية الفلسفية المصرية، تضم فى عضويتها جميع اساتذة الفلسفة والباحثين فى الفلسفة فى الجامعات المصرية، وتكاد تكون فى حوار دائم حول كثير من معطيات الفلسفة، أهدافها وغايتها وجاءت ندوتها السنوية هذا العام تحت عنوان (الفلسفة

إشارة

نود الاشارة الى أن موضوع (رحلة فى الذاكرة) الذى أثر به الاستاذ الدكتور محمد رجب البيومي مجلته المنهل وقراءها الكرام سوف ينشر بالتناوب مع موضوع (علمتنى الحياة).

الجامع الازهر قلعة العلم فى ربوع قاهرة المعز

الاسلامية وعلاقتها بالفلسفات المعاصرة).. وعقدت اعمال هذه الندوة فى جامعة الأزهر تحت رعاية فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الجامع الازهر.. وشارك فى اعمالها أساتذة العقيدة واصول الدين والفلسفة فى جامعة الازهر بالعديد من الدراسات والبحوث الى جانب العديد من الدراسات والبحوث لكثير من الباحثين والمهتمين بهذا الجانب.. وظل الموضوع (نحو علم كلام جديد) هو المحور الاساسي للمطارحات.

وفى الجلسة الافتتاحية للندوة تحدث كل من الدكاترة جعفر عبد السلام وعبد المعطى بيومي عميد كلية أصول الدين وأبو الوفا التفتازاني رئيس الجمعية الفلسفية وعبد الفتاح الشيخ رئيس جامعة الازهر ثم كلمة فضيلة الامام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الازهر.

وفى الجلسة التالية تحدث الدكتور زكى نجيب محمود عن (تجديد الفكر الديني) وأثار موضوعه جدلا واسعاً وتحدث الدكتور عبد المعطي بيومي عن (المنهج التحليلى والفكر الدينى فى مصر).

ومن البحوث التى قدمت للندوة (خطة مقترحة لتجديد علم الكلام) للدكتور محمد عبد الوهاب أبو ريده، (تاريخية علم الكلام) للدكتور حسن حنفى رئيس قسم الفلسفة بآداب القاهرة، (نحو منهج اسلامي) للدكتور محمود حمدي زقزوق، (بين الاسلام والعلمانية) للدكتور قنديل محمد قنديل.

المسابقة الرابعة للكتاب

اعلنت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عن نتائج المسابقة الرابعة للكتاب ثقافة الطفل من سن الثامنة الى العاشرة.

وقد منحت الجائزة الاولى لابراهيم حلمي الغوري من سوريا عن مجموعته العلمية «المجموعة الكونية» والمجموعة الجغرافية ومجموعة المحيطات والبحار وقيمتها الفان و٥٠٠ دولار

اما الجائزة الثانية فكانت لعبد التوات يوسف من مصر عن كتابه «طفولة النبى ﴿ﷺ﴾ للاطفال وقيمتها الفا دولار.

وكانت الجائزة الثالثة مناصفة بين احمد صوفان وهانئة جار الله من الاردن عن مجموعتهما حيوانات العالم وموفق عدى من سوريا عن الموسوعة العربية المبسطة للمعارف والعلوم.

مكتبة بن سودة

مدينة فاس، فى المملكة المغربية، من المدن الاسلامية والعربية التى تضم بين جنباتها قدراً هائلاً من التراث الاسلامى والعربى، وهى من المدن العريقة فى هذا المجال.. وظهر فيها العديد من العلماء الذين كان لهم دورهم الواضح فى العلم والمعرفة.

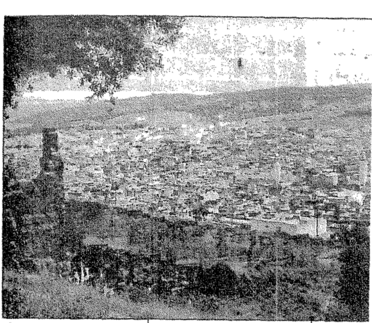
ومن الاحداث الهامة فى هذه المدينة العريقة افتتاح النادي الأدبى ومكتبة احمد بن يحي بن سودة مستشار العاهل المغربى الملك الحسن الثانى.. وقد قام باهداء كل كتبه ومخطوطاته لمدينة فاس وأبنائها من طلاب العلم والبحث.

وتعد هذه المكتبة تجديداً للمكتبة التاريخية التى عرفت عند المؤرخين بالمكتبة الاحمدية نسبة الى صاحبها ومؤسسها الداعية احمد بن الطالب بن سودة، وقد انتفع بها كثير من شيوخ التاريخ المغربى امثال محمد المنونى، وعبد الهادي التازى.

وحفل افتتاح هذا المعلم الثقافى تحول الى قراءة عميقة فى تاريخ فاس وشخصياتها الفاعلة في

تابع ما قبله

نهضتها واشعاعها العلمي اذ تحدث فيها عبد الهادى بوطالب المدير العام لمنظمة الايسيسكو واحمد العلوى وزير الدولة المغربى وعبد الوهاب بلمنصور مؤرخ المملكة المغربية وعباس الجيرارى عضو الاكاديمية المغربية وتذكروا خلالها طفولتهم وشبابهم ونضالهم من اجل قضية استقلال المغرب والحفاظ على هويته.



● مدينة فاس فى المغرب مدينة حفلت بالعلم والعلماء

جون كونستابل .. المجموعة الكاملة

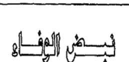
الفنان الانجليزى (جون كونستابل) من مشاهير الرسامين الذين كان لهم وجودهم الفنى وتاثيرهم على الاجيال التالية مثل جيل الانطباعيين..

وقد حظيت مجموعة من لوحاته بالشهرة مثل (عربة العلف) - (وادي ديدهام) - (طاحونة فلاتفورد) - و(كاتدرائية سالزبيرى).. في حين بقيت مجموعة ضخمة من اعماله فى الخفاء لم تعرض الا قليلا ومعرض تيت الفنى فى لندن الذى أقيم فيه مؤخرا المعرض الفنى لاعمال جون كونستابل أتاح الفرصة للمشاهد والمتابع للحركة الفنية التشكيلية أن يتعرف عن كثب على المجموعة الكاملة لاعمال هذا الفنان.

ويضم المعرض فى مكان واحد مجموعة اعماله المكونة من ١٨٧ لوحة زيتية و١٢١ لوحة من الرسوم والالوان المائية و٣١ مادة مطبوعة واربعة كراسات رسوم تخطيطية وذلك بعد ان تم جمعها من عدة مجموعات خاصة وعامة فى العديد من «البلدان».. هذا بالاضافة الى لوحاته التى لم تعرف كثيرا مثل لوحة حقل القمح والتى عرضها كونستابل خلال عامى ١٨١٦، ١٨١٧ ولم يتم عرضها فى مكان عام منذ ذلك الحين كما يوجد فى المعرض ايضا دراساته الرائعة التى ألفها حول تكوينات السحب.



● لوحة (عربة القش) للفنان جون كونستابل.



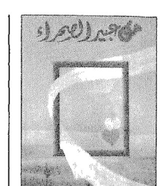
نبض الوفاء

سعادة الاستاذ نبيه عبد القدوس الانصارى

صاحب ورئيس تحرير مجلة المنهل - المحترم

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد

فقد تسلمت بالشكر والتقدير خطابكم المؤرخ ١٤١١/٦/١٢هـ والمرفق به نسخة من ديوان «من عبير الصحراء» الذى قامت دارة مجلة المنهل باصداره كأحد إصداراتها المتميزة باستمرار. وانى لاشكركم جزيل الشكر على هذه الهدية القيمة وما تبذلونه من جهد فكرى متميز تجلى واضحا فى مجلة المنهل وأبارك لكم ما حققته



● ديوان عبير الصحراء

دارة المنهل من تقدم وتطور تجسد فى عطاءاتها الفكرية المتميزة والمتألقة مما شد القراء وجذب انتباههم لقراءة تلك الاصدارات وان مجلة المنهل لمجلة تاريخية وثقافية وفكرية عريقة تمثل العطاء والوعي والشموخ الفكرى وتحمل جانب الخير والصدق والقيم والمثل الأدبية الرفيعة وترسيخ الأصالة والتراث وتصوير الأدب السعودى تصويرا صادقاً والتعبير عنه تعبيراً سليما وهادفا وشرحه وابرازه إبرازا جليا . .

نسأل الله لكم المزيد من التوفيق ومواصلة العطاء المتفاعل مع العقل السليم والفكر الصالح والمستضيء بالصدق والصفاء ليظل المنهل صرحا من صروح الفكر وتكوين الادب وبناء المجتمع الواعي الكريم.

لقد أسهم والدكم رحمه الله فى نشر الادب والفكر والثقافة وعمل على ازدهارها وحركتها وابراز ملامحها وواقعها ومازلنا نتذكر احاديثه وعباراته الفصيحة الجميلة وأسلوبه القشيب وتصويره الأدبي المبدع وتأصيل المثل العليا والأهداف السامية . .

وهكذا استمرت المنهل تحمل راية العلم والعرفان وتسهم بما يغني حركة الادب وتأصيل قيم الثقافة والمعرفة ومواصلة العطاء والنشاط والاضافة لمسيرتنا الفكرية عطاءات متواصلة واثراء الحركة الثقافية فى شتى مجالات الفكر وميادين الادب والوان المعرفة .

سدد الله الخطى وحقق الآمال مع أطيب التحيات لكم والأمنيات بالتوفيق والنجاح والتقدم والازدهار.

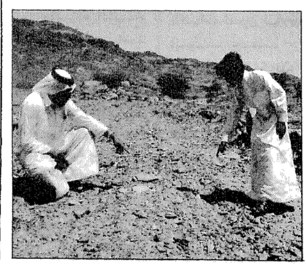
اخوكم

عبد الله بن حمد الحقيل
الامين العام والمدير العام لمجلة الدارة

سلوك الصخور .. على شاشة الكمبيوتر

توصلت دراسة لقسم الجيولوجيا الهندسية بكلية علوم الارض جامعة الملك عبد العزيز الى استنتاج يشمل انتاج خرائط جيولوجية بالكومبيوتر يمكن من خلالها التنبوء بسلوك الصخور وتحركاتها وردود فعلها تجاه المنشآت الهندسية التى تقام عليها خصوصا الطرق التى تشق في الجبال والقضبان التى تقام بين الجبال ومن ثم تلافى حدوث تشققات وانهيارات لهذه الطرق او تصدعات بالمنشآت الهندسية المقامة بالاضافة الى ايجاد سبل حمايتها وصيانتها.

واوضح الدكتور بهاء الدين هاشم صدقة بجامعة الملك عبد العزيز والذى قام بالدراسة انه امكن من خلال البحث الذى تم بدراسة ميدانية على طريقين جبليين طولها ٢٩ كيلو مترا فى منطقة عقبة الضلع وعقبة الجوه بمنطقة عسير بجنوب المملكة العربية السعودية امكن التوصل بعد التحليل والتفسير المركز للفحوصات الحقلية والعملية للمعلومات الجيولوجية والجيوتقنية للكتل الصخرية على طول طريق العقبات فى استخدام الكمبيوتر لانتاج الخرائط الجيولوجية الهندسية لتعطى سبل الاستعمال السليم للمعلومات الهندسية المستنتجة من الحقل والمعمل للانشاء الهندسي وقطع الطريق فى منتصف انواع الصخور.



تشغيل أول قناة تلفزيونية عربية من لندن

خلال شهر اغسطس الحالى تم تشغيل اول قناة تلفزيونية عربية من لدن .

وقد انشأ المحطة التى تعمل من خلال مركز تلفزيون الشرق الاوسط مجموعة من رجال الاعمال العرب واستغرق انشاؤها عامين كاملين وتبث ارسالها من غرب لندن .

تابع ما قبله

واشار الدكتور صدقة الى ان هذه الطريقة تعطى فعالية بصدد امكانية تطبيقها فى انشاء اي طريق جبلي او اصلاحه او صيانته على اساس علمي هندسى باستخدام الكومبيوتر.

البيليوجرافيا الوطنية البحرينية

يجرى العمل حاليا لاصدار اول «ببليوجرافيا» فى البحرين وهي البيليوجرافيا الوطنية البحرينية التى ستشمل معظم النتاج الفكري للمواطنين البحرينيين بالاضافة الى ما تم تأليفه عن البحرين للكتاب العرب والاجانب «الكتب المترجمة» كذلك رسائل الماجستير والدكتوراه التى حصل عليها المواطنون.

البيلوجرافيا ستتضمن فصلا يتناول تطور الحركة الفكرية فى البحرين عبر ثلاثة عصور.. العصر الجاهلي والعصر الاسلامي والعصر الحديث.. كما ستتناول تاريخ دخول المطابع الى البحرين ونبذة عن الصحافة منذ بدايتها في الثلاثينيات ودور المكتبات العامة وتأسيس اول مكتبة عامة فى الاربعينيات.

ومن المتوقع صدور البيلوجرافيا قريباً.



● جانب من التراث الغنائى فى البحرين، ويعبر عن مدلولات ثقافية ظلت متوارثة عبر الأجيال

كتب

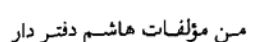
فضيلة الشيخ الجليل هاشم محمد سعيد دفتردار أهدانى مجموعة من مؤلفاته الحديثة وهى من القيمة العلمية والموضوعية بما يجعلها مكان اهتمام القارىء المطلع.

وفى هذه الاسطر استعرض هذه الكتب:

■ **الكتاب الاول:** معجزات قلب القرآن - وبودى أن لو قلب من معجزات القرآن - لكن الكتاب ثمين نبذ فيه المؤلف بعضا من التفسيرات الفاسدة والاراء الجائحة..

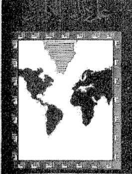
الكتاب جملة وتفصيلا كتاب ممتع يجمع بين العلم والوعي، ويجمع بين الفهم والتدبر. الى جانب فصاحة العبارة وصفاء المعنى وصحة العقيدة، فيه ما لذ وطاب من التفسير والايمان والعقيدة والكتاب يحمل صائب البيان وثاقب التفكير، ولعل مما جعله محبوبا مقروءا أنه يشتمل على فوائد جمة وتفسيرات مهمة حواها أكثر من ستين وأربعمائة صفحة.

■ اما الكتاب الثانى فهو- حقائق العلم بين الايمان والالحاد - وهو الاخر كتاب مهم للمسلم والمؤمن وذي البصر والادراك وحب العقيدة، وقد قدم له عالم



من مؤلفات هاشم دفتر دار







جليل ومسلم أصيل هو الشيخ محمد رشيد القباني، ومقدمته الوافية لها مكانها فى الحديث عن الكتاب وأهميته البالغة، والعلم والمعرفة هما القصد والهدف، وهما الغاية والمطلوب، وقد حاول المؤلف إبرازها للقراء والشباب والشيوخ وكل مسلم.. مبينا فيه العلل الثلاث مشيرا الى موجهي الناشئة فى أيامنا وما هو لازم منهم لشبابنا، ضم ما تفرق من النصائح والتوجيهات واشتمل على أكثر من ست وثلاثين بابا من الوقائع التي تهم المسلم والمؤمن، وتذكر المرء بها للاسلام وما في العلم من أنوار يجب أن يعيها المسلم بقلب وبصيرة ثاقبين، وأن يكون على علم بها.. والكتاب بصفحاته التى فاقت على المائتين سفر علم ومعرفة فيها خير كثير.

■ اما نوابغ الكلم فعلى الرغم من أن صفحاته تصل الى ٣٦٠ صفحة، فكنا نود أن لو حوت اكثر مما حوت لأن النوابغ فى الاسلام منذ أكثر من ١٤١١ عاماً هجريا لا تتسع لها مثل هذه الورقات، إن فيها لعلماً وأدباً ونقولات طيبة، وهي من الارتفاع في درجة تجعل مثل هذا الكتاب زينة المكتبة، ويكفي أنه طبع مرتين لنفاسته واهميته وقيمته العلمية.

كما ان مقدمتي الطبعة الاولى والثانية أفصحت عن أهمية الكتاب وقيمته الجليلة، وقد أعجبتني المقدمة للطبعة الثانية ففيها فوائد لغوية وتعريفات لطيفة ومدلولات حية لها مدلول ساطع مما فى الكتاب من شرح وتفصيل..

والحقيقة أن مراجع عقائد البشر ومستقاها واحد ترجع إلى توحيد الله ونبذ الشرك والوثنية اللتين أضلتا الأمم السابقة.. لا أستعرض الكتاب ولا أنقل ما فيه.. فإنه يحتاج التعليق عليه إلى إفاضة واسعة واطلاع علمى عميق، ولست من هذين في شيء كثير، وهذا لا يمنعنا أن نقول إنه كتاب نفيس وجليس أنيس لمن كان له قلب كبير وفكر واع وذهن صاف ليعرف المتشابه والمحكم، وإن يقين العلم لا ينهزم أبداً، لأنه من عند الله تبارك وتعالى.

وافاض المؤلف فى عقاب المرتدين.. وأن رسول الله «ﷺ» لا خير إلا دل الأمة عليه ولا شر إلا وحذرنا منه.

وختم الكتاب بالحديث عن أعلام الجزيرة، والمعطيات عن المستقبل والقناعة وفضلها والظروف القاسية ومجابهتها بالصبر والعزيمة.

وهذه الكتب ثمينة وجديرة بالثقة والاكبار والاحتفاظ بها.

وللاستاذ الفاضل هاشم محمد سعيد دفتر دار خالص تحياتنا على هذا الجهد الموفق.

عثمان الصالح



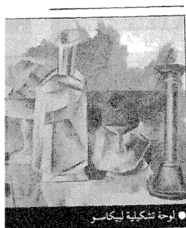
● عثمان الصالح



● هاشم دفتر دار

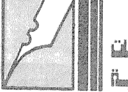
منحوتة جديدة لبيكاسو في غيابه

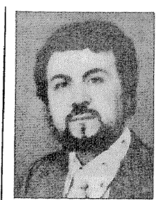
لا يزال الفنان بيكاسو، على الرغم من مضي سنوات عدة على وفاته، يحتل حيزا مهما في النشاطات الفنية الفرنسية، فبعد المعرض المهم الذى اقيم فى العام الماضي فى «متحف القصر الكبير» حول مجموعة من لوحاته ومحفوراته، قام «متحف الفن الحديث» التابع لمركز «جورج بومبيدو الثقافي» بتحويل احدى منحوتاته الصغيرة التى انجزها عام ١٩٥٧، وتمثل وجه امرأة الى مجسم ضخم يتجاوز طوله الاثنى عشر مترا، وقد اعد هذا المجسم ليزين احدى المحطات الجبلية في منطقة السافوا الفرنسية وتدعى محطة «فلين» وهي تتميز بعمارتها الحديثة.



● لوحة تشكيلية لبيكاسو

وتقتضي الاشارة هنا الى ان بيكاسو كان قد وافق على مشروع النصب هذا منذ العام ١٩٧١، لكن وفاته والمشاكل التى واجهت ورثته ادت الى تأخير التنفيذ.

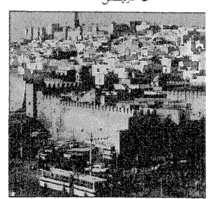




● د. نور الدين صمود



● أدونيس



ندوة حول الشعر والزمن

نظم مهرجان سوسة الدولي الذى انطلق فى السادس من تموز (يوليو) الندوة العالمية الاولى حول الشعر والزمن التى يشارك فيها شعراء ونقاد من تونس ودول اتحاد المغرب العربى.

وعقدت الندوة اربع جلسات، شارك فى الجلسة الأولى محمد البدوي تونس حول «النص الشعرى وزمن الكتابة» ومحمد الغزي تونس حول «الشعر المعاصر والتاريخ» وخليفة التلبسى ليبيا حول «ثلاثيات العرب.. مراجعة نقدية في الشعر القديم ومصطفى الكيلانى تونس حول «موقع الزمن فى نقد الشعر العربى المعاصر».

وفى الجلسة الثانية محمد بنيس المغرب حول «القصيدة العربية من خلال تجربتى فى الكتابة» وبوراوي عجينة تونس حول «موجات الشعر الحديث فى تونس» ومنوبية المسكى تونس حول «الزمن الشعرى لدى بودلير» والمنصف الوهيابى تونس حول الزمن فى القصيدة الجاهلية.

وفى الجلسة الثالثة نور الدين صمود ورجاء بن حليمة ومختار بوخريص ونور الدين الجربي تونس، ومحمد الاخضر السايحي الجزائر حول «التراث والحداثة» و«قضية الالتزام» و«الزمن لدى ادونيس» و«هل للشعر زمان».

وشارك فى الجلسة الرابعة الحبيب شبيل تونس حول «الحداثة والزمن» وصلاح الدين بوجاه تونس حول «مفهوم الزمن في نماذج من الشعر الصوفي».

الأعشاب.. ثانية

العقاقير الطبية بتركيباتها المعقدة، رغم ما لها من فوائد إلا أن آثارها الجانبية ـ كما يقولون ـ لها خطورتها ومحاذيرها.. ولهذا كثيرا ما نجد علماء الصيدلة والباحثين فى هذا المجال يركزون على دراسة التداوي بالاعشاب بعيدا عن تلك المركبات الكيميائية المعقدة.

وفى نبأ لوكالة الانباء الاسلامية يؤكد هذا التوجه يقول:

«وجاء فى الابحاث التى نشرت مؤخرا فى هذا الصدد ان نبات الكرفس يساعد على شفاء امراض المفاصل والتخفيف من الامها اذا جرى تناوله بانتظام.. وان بذور عباد الشمس غنية بالبروتينات والمعادن والفيتامينات وتساعد على تخفيض نسبة الكوليسترول اما البنفسج المجفف فانه يفيد في شفاء قرحة المعدة عندما يستعمل كشاى قبل وجبات الطعام وتناول كوب ساخن من الكركديه افضل من تناول الحبوب المهدئة والمنومة فهو يساعد على تهدئة الاعصاب والنوم الهادىء.

■ الندوة المفتوحة

قضية للمناقشة

يقولون: خرج الاستعمار الاوروبى من العالم العربى والاسلامي وترك وراءه لغاته ميراثاً حيا تتعامل به تلك الشعوب.. فى الدواوين والمكاتب، فى المدارس والجامعات، فى وسائل الاعلام.. بل حتى فى التخاطب اليومي بين الناس.

ويقولون: خرج الفاتح الاسلامي العربى من بلاد الاندلس وغيرها بعد بقائه فيها عدة قرون ولم يترك وراءه ميراثاً حيا.. لا في اللغة ولا في الدين.

والسؤال الناتج عن هذا الاستقراء:

ـ ما مدى صحة هذه المقولة؟؟

ـ وما الاسباب التى أدت لذلك؟؟

ـ وما الدرس المستفاد؟؟

والندوة المفتوحة ترجو الأجابة!!









يا صاحب الذات المعظمة الاحدية..

يا صاحب الذات المعظمة الابدية ..

يا موجد الاشياء وخالقها .. ورازقها وراحمها

لا فرج إلا فرجك .. ففرج عنا كل شدة وكربة..

ولا عطاء إلا عطاؤك فلا تحرمنا الفضل والرحمة والمحبة

ولا إبداع إلا إبداعك فاتحفنا ببدائع العلم والحكمة.

فوضت أمرى كله إليك .. فلا تكلنى إلى نفسى طرفة عين، واهدنى.

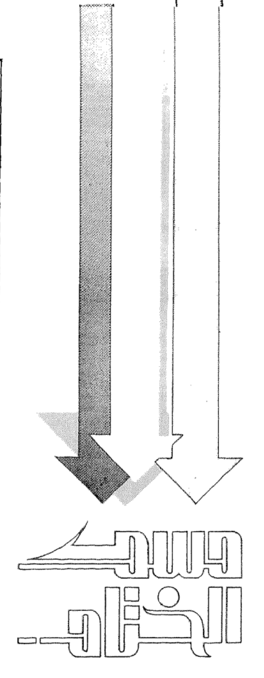
رب سبل السلام!!

وأقدرني على تحمل الاعمال وصدمات الاعداء، وخلصنى من حقد الحاقدين والالداء.

يارب .. .. يا أول من غير بدء واخر بغير انتهاء:

أنت حسبى فكن حسبى وأنت ذخرى فكن ذخرى وأنت أملى، فحقق أملي، وأنت عدتي فالهمني رشدى والسداد فى كل أمر وعمل وحركة وسكنة.

ياذا الجلال.. يا لطيف: الطف بنا في كل أمورنا .. ولا تهيئ أكفاننا إلا ونحن في جهاد في سبيلك .. يا حنان، يا منان.





أيام في القاهرة



بقلم: احمد محمد الصائغ

مدينة القاهرة من المدن العريقه التى تثير الاعجاب، وتستقطب السائح لما تتميز به من المعالم الحضاريه، والآثار التاريخية، وما تعج به من النشاط فى سائر مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

وبين يدى كتاب بعنوان (القاهرة) لمؤلفه اولج فولكف.. وقد وصف القاهرة بقوله: (قليل من المدن تلك التى يمكن ان تثير خيال المرء لدى سماع اسمها كمدينة القاهرة، ان هذا الاسم يبعث في النفس صورا وخيالات رائعة.. وقد يثير هذا الاسم صورة مدينة حديثة تزدحم بالسيارات وتخترق سماء ها الطائرات.

ولكن على تعدد تلك الصور وتباينها، تشترك جميعا فى كونها صورا جذابة تضاعف من روعة تلك المدينة العتيقة.. وهذه المدينة لم تكن متجانسة العناصر ولكن كانت مزيجا من عدة مدن متباينة العصور والحضارات. أول تلك العناصر تراث المدينة الثرى الذى يشيع فى نفس الانسان النشوة. وهذا التراث لا يتمثل فقط فى الابنية العتيقة التى شيدت على مدار خمسة الاف سنة، ولكن الشواهد الدالة على حضارات عدة متباينة، شكل منها وجه المدينة باسلوبه وخلّف لنا آثارا تشهد بذلك.

وقد تحدث المؤلف عن القاهرة منذ الفتح الاسلامى بقيادة عمرو بن العاص وتأسيس مدينة الفسطاط ثم عهد ابن طولون ثم قاهرة المعز لدين الله الفاطمى.. كما عرض لذكر قلعة صلاح الدين ثم عهد المماليك ثم

السيادة العثمانية ثم الحملة الفرنسيه، واخيرا القاهرة الحديثة التى اخذت تبرز معالمها منذ عهد محمد على الذى تبنى عهدا جديدا من التغيير والتطوير كان المنطلق لما وصلت اليه القاهرة في عهدها الحاضر.

ولكاتب هذه السطور ذكريات جميلة فى ربوع القاهرة وكانت اول رحلة أتيحت لي الى القاهرة قبل ثلاثين عاما وبالتحديد فى عام ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م. وقد تكررت زياراتي للقاهرة بين فترات متباعدة ولاحظت ما طرأ خلال الثلاثة العقود الماضية من تحولات اجتماعية وتطورات عمرانية، ومن اهم الظواهر ما يعم القاهرة من الزحام بسبب الكثافة السكانية.

وكانت رحلتى الأخيرة الى القاهرة فى منتصف عام ١٩٩١م. وقد امضيت فيها اياما جميلة ممتعة حيث كان الطقس باردا ويشجع على السير والتجوال، وقد حرصت على ان اشاهد احياء ومعالم القاهرة القديمة مثل حى الازهر والحسين، وشارع الفجالة وغيرها.

وفى الليلة الاولى من وصولنا تناولنا طعام العشاء فى مطعم قرب احد الميادين وعرفت ان هذا الميدان هو ميدان (مصطفى محمود) والمقصود به الطبيب الاديب والكاتب المعروف الدكتور مصطفى محمود وهو من الشخصيات المرموقة فى ميدان الادب والفكر، وهو صاحب البرنامج التلفزيونى (العلم والايمان) وقد اسس مسجدا كبيرا بجوار الميدان المذكور، كما اسس مجمعا للخدمات الطبيه علمت انه يخص الفقراء وذوى الدخل المحدود بالعلاج باجور رمزية، وهذا عمل خيرى جدير بالتنويه والتقدير. وقد اشارت احدى الصحف اليومية المصرية ان القاهرة تشهد حاليا عناية كبيرة لتجميلها، وتزيينها، واعادة تنظيم الكثير من شوارعها وميادينها، واضفاء لمسات جمالية على مظهرها العام بما يتفق مع مكانة القاهرة وعراقتها.

ومن شوارع القاهرة الحديثة الرئيسيه (شارع الملك فيصل) وقد اطلق هذا الاسم تعبيرا عن تقدير مصر حكومة وشعبا لدور الملك فيصل بن عبد العزيز يرحمه الله - وما بذله من جهود فى دعم ومساندة مصر خلال حرب رمضان ١٣٩٣هـ اكتوبر ١٩٧٣م.

وغنى عن القول ان العلاقات بين المملكة العربية السعودية ومصر متميزة وقد تجلت معانى الاخوة الصادقة بين البلدين الشقيقين فى مختلف الظروف.. فلا غرو ان نجد الكثيرين من ابناء المملكة يؤثرون قضاء اجازاتهم فى ربوع مصر، وبدافع هذا الشعور كانت زيارتى للقاهرة، وقد عدت سعيدا بالايام التى امضيتها على ضفاف النيل الخالد.

بسم الله الرحمن الرحيم

مشروع المملكة العربية السعودية للإفادة من لحوم الهدي والأضاحي

تنفيذ

البنك الإسلامي للتنمية

يسره أن يعلن إلى حجاج بيت الله الحرام

ان لجنة الافادة من لحوم الهدي والاضاحي قد قامت بحمد الله وعونه بأداء نسك النحر فى موسم حج هذا العام ١٤١١هـ فى كل من مجزرة المعيصم النموذجية رقم (١) ومجزرة المعيصم رقم (٢) ومجزرة وادى محسر رقم (٣) وذلك بالنسبة للاغنام، وفى مجزرة الجمال والابقار رقم (٤) بالنسبة للجمال والابقار، وقد تم التأكد من استيفاء جميع الشروط الشرعية والصحية وتوافرها فى جميع الانعام بالمسالخ الاربعة . . وفيما يتعلق بالاغنام فقد تم اداء نسك النحر نيابة عن جميع الحجاج الذين شاركوا فى مشروع المملكة العربية السعودية للافادة من لحوم الهدى والاضاحى للاغنام سواء عن طريق موكليهم او الذين وكلوا لجنة الاشراف على الوكالات للحجاج فى نطاق هذا المشروع . . وقد بلغت التوكيلات جميعها بالنسبة للاغنام سواء تلك التى نفذت بمعرفة اللجنة او بمعرفة وكلاء الحجاج الذين اشرفوا على اداء النسك نيابة عن موكليهم (٤٠٧١٢٠) اربعمائة وسبعة الاف ومائة وعشرون وكالة لجميع انواع الذبائح من هدى تمتع وهدي قران وهدى تطوع وفدية واضحية وصدقة . . وقد وزعت كميات من هذه اللحوم على حجاج بيت الله الحرام فى منى وعلى فقراء الحرم، كما تم شحن كميات منها جوا وبرا الى عدد من البلدان الاسلامية ويجرى باذن الله انهاء ترتيبات شحن كميات اخرى جوا وبحرا وبرا .

وفيما يلى بيان بكميات لحوم الاغنام التى شحنت والمعدة للشحن الى خارج المملكة العربية السعودية (برؤوس الاغنام) .

بيان شحن لحوم الهدى والاضاحى من الاغنام لموسم حج عام ١٤١١هـ

اسم الدولة	الكمية المعدة للشحن	الكمية المشحونة بالرأس	طريقة الشحن	الموعد التقريبى للشحن وصول السفن
السودان				
بورتسودان	١٥٠٠٠	—	مجمد بحرا	١٢/٧/١٩٩١م
الخرطوم	—	٥١٠٠	مبرد جوا	٢٥-٢٨/٦/٩١
باكستان	—	٢٣٣٠٠	مبرد جوا	٢٤-٢٧/٦/٩١
جيبوتى	١٠٠٠٠	—	مجمد بحرا	١٥/٧/٩١
بنجلاديش	٦٥٠٠٠	—	مجمد بحرا	٢٢/٧/٩١
الاردن	—	٤٠٠٠٠	مبرد برا	٢٥/٦-٤/٧
تشاد	—	٥١٠٠	مبرد جوا	٢٣-٢٤/٦/٩١
لبنان	٢٥٠٠٠	—	مبرد بحرا	٢٨/٧-٥/٨
موريتانيا	١٠٠٠٠	—	مجمد بحرا	٢٦/٧/٩١
مالى	٥٠٠٠	—	مجمد جوا	٣٠/٧/٩١
بوركينا فاسو	٥٠٠٠	—	مجمد جوا	٣٠/٧/٩١
مصر	٣٥٠٠٠	—	مجمد جوا	١/٧/٩١
السنغال	١٠٠٠٠	—	مجمد بحرا	٢٩/٧/٩١
الصومال				
بربرة	٣٠٠٠	—	مجمد بحرا	٢٢/٧/٩١
مقديشو	٣٠٠٠	—	مجمد بحرا	٢٩/٧/٩١
جامبيا	٥٠٠٠	—	مجمد بحرا	٢٨/٨/٩١
سوريا	-	١٥٥٠٠	مبرد برا	٢٥/٦/٩١
النيجر	٥٠٠٠	—	مجمد جوا	٣٠/٧/٩١
سيراليون	٥٠٠٠	—	مجمد بحرا	٧/٩/٩١
غينيا كوناكرى	٥٠٠٠	—	مجمد بحرا	١٠/٨/٩١
غينيابيساو	٥٠٠٠	—	مجمد بحرا	٦/٨/٩١
تنزانيا				
زنجبار	٣٠٠٠	—	مجمد بحرا	٦/٨/٩١
دار السلام	٣٠٠٠	—	مجمد بحرا	٧/٨/٩١
جزر القمر	٣٠٠٠	—	مجمد بحرا	١٤-١٦/٩/٩١
كينيا	٣٠٠٠	—	مجمد بحرا	٥/٩١/٩١
موزمبيق	٣٠٠٠	—	مجمد بحرا	١٨-٢١/٩/٩١
المجموع	٢٢٦٠٠٠		٨٩٠٠٠	ذبيحة

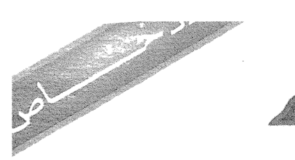
اما فيما يتعلق بالجمال والابقار فقد تم اداء نسك النحر للجمال والابقار لاول مرة فى اطار مشروع المملكة العربية السعودية للافادة من لحوم الهدى والاضاحى فى المجزرة الجديدة التى اعدت لهذا الغرض، حيث تمت الافادة من ٨٦٦٨ رأسا من الجمال و٢١٥٧ رأسا من البقر بمجموعه ١٠٨٢٥ رأس، وتم توزيع لحوم نحو ٥٠٠٠ ذبيحة طوال ايام العيد فى منى، ومكة المكرمة على حجاج بيت الله الحرام وفقراء الحرم . وبذلك يتحقق ما هدفت اليه حكومة خادم الحرمين الشريفين ـ حفظه الله ـ من هذا المشروع من تيسيرات اداء نسك النحر لحجاج بيت الله الحرام، وافادة فقراء المسلمين من لحوم الهدى والاضاحى.

ولجنة الافادة من لحوم الهدى والاضاحى اذ تعلن هذا لحجاج بيت الله الحرام لتعبر لهم عن شكرها للثقة التى أولوها إياها، كما تعبر عن بالغ تقديرها للجهود الموفقة والامكانات الكبيرة التى وفرتها حكومة المملكة العربية السعودية بتوجيه كريم من خادم الحرمين الشريفين ـ حفظه الله ـ لكى يتم تنفيذ هذا المشروع الاسلامى الهام بيسر وسهولة.

اثاب الله الجميع والهم امتنا الاسلامية امر رشدها وجمع صفوفها ووحد كلمتها وكتب لها النصر المؤزر.

دار الاصفهانى للطباعة بجدة


أحدث تشكيلة من المفروشات
تقدمها
المؤسسة العالمية للأثاث
ندعوكم لزيارتنا لتشاهدوا بأنفسكم
الذوق الرفيع والجودة العالية
المركز الرئيسى
غرف نوم ○ مكتبات ○ صالونات
أنتريهات ○ غرف طعام ○ جلسات
اثاث مكتبي
مكاتب/ دواليب/ كنب
قسم خاص للكمبيوتر
المركز الرئيسي: جدة ـ شارع الستين ـ ميدان الفلك ـ ت: ٦٩١٥٣٩٠/٦٩١٥١٨٨ ـ فاكس: ٦٩١٥٢٠٧
جدة ـ شارع الجامعة ـ مركز الامير متعب ـ هاتف ٦٨٨١٧٩٢ الرياض ـ شارع العليا ـ ت ٤٥٤٩٠٩٦
مكة المكرمة العزيزية ـ جوار جامعة ام القرى ت: ٥٥٨٩١٩٠/٥٥٨٩٠٤٦ ـ فاكس ٥٥٨٩٢٦٨





العدد ٤٩١ المجلد ٥٣ الربيعان ١٤١٢هـ سبتمبر واكتوبر ٩١م AL MANHAL Issue No. 491 Volume 53 A-Rabean 1412H Spt. Oct. 91

القرآن الكريم الهدى والإعجاز



العدد ٤٩١ المجلد ٥٣ الربيعان ١٤١٢هـ - سبتمبر واكتوبر ١٩٩١م

المنهل
ALMANHAL
مجلة العرب الأدبية

مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة
تصدر في جدة
المملكة العربية السعودية
عن دارة المنهل
للصحافة والنشر المحدودة

صاحب المجلة ورئيس التحرير
نبيه بن عبد القدوس الأنصاري

مستشار التحرير
أ.د. عبد الرحمن الأنصاري

نائب رئيس التحرير - المدير العام
زهير بن نبيه الأنصاري

سكرتارية التحرير
السماني كمال الدين

العلاقات العامة
مصطفى محمد مصطفى

الاشراف الفني والتنفيذ
عبد الرحيم فؤاد بدر الدين

وكـلاء التوزيع

تهامة للتوزيع/ جدة ت ٦٦٩٥٠٠٠١ - وكالة الاهرام للتوزيع/ القاهرة ت: ٧٥٥٥٠١١ - الشركة التونسية للصحافة/ تونس ت: ٢٤٢٤٩٩ - الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ت ٢٢٣٤٠٠٤ - دار المسيرة للطباعة/ ابو ظبي ت: ٣٣٨٢٨٥ - دار الثقافة للطباعة/ الدوحة ت: ٤١٤١٨٢ - وكالة التوزيع الاردنية/ عمان ت: ٣٠٩٢٥٢(٩) - دار أقرأ للنشر/ الخرطوم ت: ٤١٨٠٩

الاعــلانات

الادارة ت: ٦٤٣٢١٢٤

ورقــة أولــى

الرحمة المهداة

القرآن الكريم قول الحق وحجته على عباده، النور الساطع، والحق الباهر، والصراط المستقيم.. أنزله الله سبحانه هدى ورحمة للمؤمنين فيه شفاء لما في الصدور، تطمئن به النفوس، وتستريح فيه القلوب.. يملأ أفئدة المؤمنين خيراً وبركة ونعيما، وهي تتلوه ضارعة خاشعة - اللهم اجعل لنا هذا القرآن إماماً ونوراً وهدىً ورحمة. اللهم علمنا منه ما جهلنا، وذكرنا منه ما نسينا، وارزقنا تلاوته آناء الليل وأثناء النهار، اللهم اجعله حجة لنا ولا تجعله حجة علينا..

القرآن الكريم يدور هذا العدد في رحابه، يستظل في ظلاله الوارفة، ويعطر الآفاق من طيبه، هذه الدراسات والبحوث ما هي إلا غرفة من بحر، وغيض من فيض، فالدراسات القرآنية أوسع من أن تضمها الأسفار.. ومعاني القرآن الكريم وذخائره أوسع من ذلك كله...

وهذا جهدنا، وجهد العلماء الأفاضل الذين شاركوا المنهل هذه النفحات القرآنية.. وهو جهد المقل - نسأل الله أن ينفع به عباده..

رئيس التحرير

almanhal magazine
مجلة المنهل

أولى أمهات الصحافة السعودية تأسست عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م
على يد الاستاذ المؤرخ عبد القدوس القاسم بن محمد الانصارى (عليه رحمة الله)

فى هذا العدد

عزيزى القارىء.. عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل فى العديد من صفحاتها ايات قرانية كريمة واسماء الله الحسنى فضلا عن احاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها وعدم إلقائها فى الطرقات أو الاكل عليها.

سعر النسخة

السعودية ٨ ريال - قطر ٨ ريال - المغرب ٦ دراهم - تونس ٦٠٠ مليم - مصر ١ جنيه - الكويت ٦٠٠ فلس - سلطنة عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم - السودان ٢٥٠ قرش - موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الاردن ٥٠٠ فلس

الاشتراكات

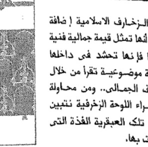
● قيمة الاشتراك السنوى للمؤسسات الحكومية ٢٠٠ ريال
● قيمة الاشتراك للافراد ١٥٠ ريال

اشارة

● تحتفظ هيئة التحرير بالحق فى تحديد أولويات النشر وتخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع او مكانة الكاتب.
● يشترط فى الاسهامات المقدمة عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية مع رجاء ان تشفع المادة المرسلة بالصور الموضوعية والتوضيحية وصورة للكاتب مع نبذة مختصرة عن حياته.
● يرجى فى المقال المرسل أن يكون بخط واضح جدا.. ويفضل ان يكون مطبوعا على الالة الكاتبة، ومراجعا من قبل صاحبه.
● الا يكون المقال او القصيدة قد تم نشرها قبل ذلك.
● الا تزيد صفحات الموضوع الواحد على أربع صفحات، أو ثماني صفحات إذا كان الموضوع يستلزم أن يكون على حلقتين علما بأن المجلة تفضل ان يكون على حلقة واحدة.

غـلاف العـدد

الـزخـارف الاسلامية إضافة إلى أنها تمثل قيمة جمالية فنية عليـا فإنها تحشد فى داخلها قيمة موضـوعيـة تقرأ من خلال النسق الجمـالى.. ومن محـاولة استقـراء اللوحة الزخرفية نتبين عمق تلك العبقرية الفذة التى جاء ت بها.





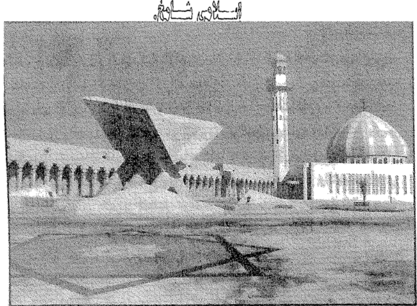


ALMANHAL
مجلـة العـرب الأدبيـة

خـــاص

● أول طبعة للمصحف الشريف اكتشفت حديثا.. ويذهب هذا الاكتشاف الى أنها كانت فى إيطاليا.. ويبقى لهذا الاكتشاف قيمته العلمية ككشف تاريخى.. وقد خصت مجلة المنهل بهذا التحقيق الفريد.

● مجمع خادم الحرمين الشريفين لطباعة المصحف الشريف صرح اسلامي شامخ



● الايمان يدور فى نفس المؤمن خاطرة تشغل عقله بالله حتى يصـدق به وبـرسـالاتـه، ثم يعـايشها سلوكا حتى تملك اقطار نفسه وتملأ جوانحه حبا لله سبحانه.. والمزيد من التفكر يقود إلى مزيـد من الايمـان والانـابـة والاذعـان والسعادة.. وتلك هى فطرة الانسان السليمة.
ص١



● نزلت الايات الاولى من القران الكريم لتثبت عقيـدة التـوحيد والايمان بالله وحده وتنفي وتبـطل عقيدة الشرك والوثنية.. والتدرج فى الاحكام كان أدعى الى اتباعها والقيام بها حلا وحرمة. ص٤١

● عملية الترجمة ليست بالامر السهل وإنما هي ابداع يتطلب من الناقل محاولة استيعاب ما وراء النص قدر المستطاع.. وعوامل الاخلال بالمعنى كثيرا ما تتعلق بالتركيب والمعجم والدلالة والصوت. ص٨٥

● القران الكريم أفاد العربية بان قدم لها ثروة لغـويـة ضخمة، وجعل الدارسين من اللغويين والمفسرين والمهتمين بعلوم القران يعكفون على دراسـة الفـاظـه وأصـواته واشتقاقاته وتصاريفه وتـراكيب جمله ودلالاتها.. وتحت كل من هذه الجوانب نشأ علم أو اكثر من علوم العربية.
ص١٣١

● الالفـاظ القرانيـة تميـزت بدقـة الاختيار، والمـطابقـة للمعنى وتمكنها فى موضعها من الجملة .. ودلالات الالفـاظ تصـور المشـاهـد وتستحضر الاحداث كأنما تراها العين وتسمعها الاذن. ص ١٤١

● القران الكريم والسنة النبوية الشريفة عندما يتحـدثـان عن سقـوط الحضارات، يركزان على التـداعي الـداخلي الـذى هو العـامـل الاول والجوهري فى سقوط الحضارات. ص١٩٣

المركز الرئيسى: جدة الشرفية: ص ب ٢٩٢٥ رمز بريدى ٢١٤٦١ برقيا: المنهل فاكس ٦٤٢٨٨٥٣ ت ٦٤٢٧٨٣١ ـ ٦٤٣٩٧٦٥ ـ ٦٤٣٢١٢٤ ـ ٦٤٢٥٦٨٧
مكتب الرياض: ص ب ٢٩٠ ت ٤٥٤٢٤٣٢

العقـــــل والقلـ

العقــل والعاطفــة يلتقيــان فــى القــران الكريــم لقــاء الاخ بأخيــه.



د. محمد عبده يمانــى

جدة

أفلا تعقلون . .

أفلا تتفكرون . .

أفلا تتدبرون . .

أفلا يبصرون . .

أفلا يسمعون . .

سبحان الله ما أحكم كتابه، وما اكمل هديه وخطابه، وما أتقن صنعه واروع خلقه واعدل حكمه، وأدق حسابه.

من ذلك اننا كثيرا ما نقرأ في القرآن الكريم مثل هذه اللفتات، وتلك النداءات الكـريمـة، تخاطب في الانسان عقله ولبه، وتستثير فيه فكره وقلبه، وتحرك فيه آلة الادراك لتحمله الى ميادين البحث والنظر والتفكر في خلق السماوات والارض. .

ويكفى لذلك برهانا ان نذكر بعض ما ورد فى كتاب الله في هذا الشأن، وهو غيض من فيض لا يخفى على احد من الناظرين، وهو الذي دفع هذه الامة في طريق العلم حتى صارت خلال قرنين من الزمان الامة الرائدة فى كل ميدان من ميادين العلم خلال ثمانية قرون باعتراف االراسخين فى العلم المنصفين في الشرق والغرب دون استثناء.

■ من هذا الغيض هذه اللفتات العجيبة البديعة التي تشمل الكون كله بأرضه وسمائه وما بينهما حتى لا تدع صغيرة ولا كبيرة الا وتلفت اليها الانظار: **﴿أفلا ينظرون الى الإبل كيف خلقت. وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الارض كيف سطحت﴾** (الغاشية/ ١٧-٢٠).

﴿وآية لهم الارض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون. وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون، ليأكلوا من ثمره وما عملته ايديهم أفلا يشكرون. سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن انفسهم ومما لا يعلمـون. وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون. والشمس تجري لمستقـر لها ذلك تقدير العزيز العليم. والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم. لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون. وآية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون. وخلقنا لهم من مثله ما يركبون﴾ (سورة يس/ ٣٣-٤٢).

﴿أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون. ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون﴾ (سورة يس/ ٧١-٧٣).

ب مدارات للايمان

﴿أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج . والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج﴾ (ق/ ٦، ٧) .

﴿أولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن انه بكل شيء بصير﴾ (سورة الملك/ ١٩) .

﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون﴾ (البقرة/١٦٤) .

■ ان هذا الحشد الهائل من اللفتات الرائعة ، والهواتف الرقيقة الشفيفة التي تبعث على التفكر، وتستحث على التدبر تمثل جزءا قليلا مما ورد من الآيات في هذا المجال ، وهي تخاطب الانسان في أخص خصائصه ، ومناط التكليف في كيانه وتكوينه الا وهو العقل من اكبر نعم الله على الانسان ، وآية تكريم الله لهذا الانسان :

﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ (الاسراء/٧٠) .

■ إنها تخاطب في الانسان فكره وقلبه وتلمس وجدانه وتثير عواطفه واشواقه ليزداد ايمانا وعلما وتفكيرا بدقائق الخلق ، وبدائع الصنع فيما بث الله بديع السموات والارض من آيات ، لتتجه قوى الانسان في طريقها الصحيح ، طريق الفطرة السليمة التي لم تشوهها قوى الظلم والانحراف ، ولم تستحوذ عليها الاهواء والشهوات : ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم﴾ (الروم/٣٠) . ففي تناسق النظام ما يبهر العقل ويملأ النفس ويحرك المشاعر ويبعث على التأمل لاستشراف ما وراء هذا الكون . . احكام الصنعة واتقان المبدع ، وجلال الصانع ، وكمال الخلاق العليم ، لتلهج بالتسبيح والتقديس والرضى والاطمئنان ﴿ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الالباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار﴾ (آل عمران/١٩٠، ١٩١) .

■ إن مزيدا من التفكر يقود الى مزيد من الايمان والانابة والاذعان والسعادة ، وتلك هي فطرة الانسان ووظيفته ، وتلك اشواقه وآماله وخواطره ، وذلك ما يهفو اليه ، ان العقل والقلب ميدانان للايمان ، ومنبتان للاحسان ، فكلما ازداد العقل ادراكا لعظمة الله ازداد القلب يقينا بالله ، وحبا له ، ورضى بحكمه ، وانابة اليه ، فاذا تحقق ذلك خالطت بشاشة الايمان القلب فصار الله ورسوله احب اليه مما سواهما ﴿انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون﴾ (الانفال/٢) .

■ إن العقل والعاطفة يلتقيان في القرآن لقاء الاخ بأخيه ، لقاء حب وعطاء متجدد وتبادل مستمر

الايمان يدور في نفس المؤمن بين خاطرة تشغل عقله بالله حتى يصدق به وبرسالاته، ثم يعايشها سلوكا حتى تملك أقطار نفسه وتملأ جوانحه حبا لله.

دون أن يكون بينهما انفصال ولا خصام فلا يخاطب العقل الا والقلب من وراء ذلك، ولا تخاطب العاطفة الا والعقل وسيلة تحريكها وآلة اثارتها ونمائها، وفي الآيات التي مر ذكرها أدلة لا يخطئها النظر، ولا تخفى على احد، ولكننا ومن اجل زيادة الايضاح سنورد هذه الآيات التي تظهر فيها العاطفة بشكل اوضح، وهي كذلك غيض من فيض لآيات كثيرة اخرى لا سبيل لذكرها.

﴿وإذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾ (البقرة/١٨٦).

﴿للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا، وما تنفقوا من خير فان الله به عليم﴾ (البقرة/٢٧٣).

﴿وإن كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون. واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾ (البقرة/٢٨٠، ٢٨١). **﴿واذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا. وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا.﴾** (النساء/٨، ٩).

﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون﴾ (الحديد/١٦).

﴿يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون. كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون﴾ (العنكبوت/٥٦، ٥٧).

﴿أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولو الالباب. قل يا عبادِ الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ (الزمر/٩-١٠).



■ هذه النظرات الجادة في القرآن.. والداعية الى التدبر والتفكر - فاذا ما عدنا الى الانسان على الارض وجدناه كائناً متميزاً بين المخلوقات بكثير من القوى والطاقات التي استحق بها ان يكون خليفة في الارض، وهي قوى تتفاوت في ذاتها، وتتفاوت في انتفاع صاحبها بها، حسب تسخيره لها فيما ينفع أو يضر، أو اهمالها حتى تصبح كأنها معدومة وبهذا التفاوت في نفس هذه الطاقات، وفي مقدار الاستفادة منها - يتمايز شخص عن آخر، على رغم مظهرهما الانساني الواحد.

﴿ وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم﴾[١].

﴿وضرب االله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه اينما يوجهه لا يأت بخير. هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم﴾[٢].

ولو تساوى الناس في ذلك لما كان هنالك قائد ومقود، ولتوقفت حركة الحياة، لان التماثل المطلق يسد باب احتياج الناس بعضهم لبعض وهو اساس الحركة المنتجة والتعاون المثمر البناء.

ولان ادراك الغـايات والعمل على تحقيقها هو جوهر الاستخلاف واساس المسئولية - كان التكليف منوطا به - وهو ما نسميه الرشد أو العقل.

وكل امور الحياة ترتبط بطاقتين عظيمتين في الانسان الرشيد - هما طاقة الوعي والادراك - وطاقة الحب والبغض.

فمن الامور ما تدرك ضرورته القدره المدركة العاقلة بناء على مقدمات ونتائج معقولة مترابطة ترابط السبب بالمسبب، فتسعى الى تحقيق ما ينفع منها - ودفع ما يضر. ومن منطلق الاقتناع العقلي، والادراك الواعي بالامر وعاقبته، والفعل او الترك وما ينتج عن كل منهما، وتأتي الذاكرة

وهي جزء من هذه القوة المدركة في الانسان فتعيد في وعيه صورا من الماضي وخبراته، فيقيس عليها بعض ما يعن له في حاضره، أو بعض ما يصبو إليه في مستقبله حتى يعدل سلوكه في الحاضر أو امانيه في المستقبل بما يتلاءم مع هذه الخبرات الماضية فيجني من سعيه الخير ان احسن الاعتبار، ويدفع عن نفسه من الشر بمدار ما يحسن الاذكار.

■ وفي المقابل هنالك من الامور ما يؤثر في النفس، ويحركها الى وجهة معينة، ويقيمها على نوع من السلوك دون ان يكون للقدرة المدركة فيه - العقل - كبير دور في هذه الحركة وذلك السلوك وانما هي قوة اخرى تنبثق في اعماقه - وفي كثير من الاحيان - دون ترتيب ذهني - او تدبير عقلي، وانما هو انفعال مبهم المنشأ، عارم التأثير يجعله يحب شيئا ما أو يبغضه دون منطق مطرد، بل هو يسخر في حالات كثيرة قواه المدركة العاقلة في تبرير ميله لهذا الشيء او اعراضه عنه، مع وضوح الخطأ في هذا التبرير المزعوم في غالب الاحوال.

(حبك الشيء يعمي ويصم).

■ وقد تعارف الناس على تسمية هذه القوة المدركة «بالعقل» وعلى تسمية الطاقة الموجهة الى الميل او الاعراض بعيدا عن تبرير عقلي «بالعاطفة».

وكذلك يقول الناس ان مصدر العاطفة ما يسمى «بالقلب» أو «الفؤاد».

وقبل ان نستكمل الحديث عن هذين المحورين المؤثرين في مواقف الانسان واختياراته وسلوكه. نحب ان نحدد معناهما في اللغة، وتصور الناس عنهما في الواقع.

في الانسان الرشيد طاقتان.. طاقة الوعي والادراك.. وطاقة الحب والبغض.

«العقـــل»:

يقول اهل اللغة - في المصباح، وفي القاموس المحيط:

فـي المصـباح[٣]:

«عقلت الشيء عقلا من باب ضرب ايضا - تدبرته، وعقل يعقل من باب «تعب» لغة ثم اطلق العقل - الذي هو مصدر، على الحجا واللب، ولهذا قال بعض الناس العقل غريزة يتهيأ بها الانسان الى فهم الخطاب».

ويقول في القاموس المحيط[٤]:

«العقل: العلم بصفات الاشياء من حسنها وقبحها، وكمالها ونقصانها أو العلم بخير الخيرين، وشر الشرين، او مطلق الامور، او لقوة بها يكون التمييز بين القبح والحسن، ولمعان مجتمعة في الذهن يكون بمقدمات تستتب بها الاغراض والمصالح، ولهيئة محمودة للانسان في حركاته وكلامه. والحق انه نور روحاني به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية - وابتداء وجوده عند اجتنان الولد - أي منذ كونه جنينا - ثم لا يزال ينمو الى ان يكمل عند البلوغ».

«القلـب والفـؤاد»:

يقول في القاموس: [٥]

«القلب: الفؤاد أو اخص منه، والعقل ومحض كل شيء».

وعن الفؤاد يقول:

« التفؤد التحرق والتوقد، ومنه الفؤاد للقلب»[٦].

ونلاحظ هنا ذكر القلب مرادفا للفؤاد، بل وايراد استعمال العقل بمعنى القلب، وهو استعمال

نجده في القرآن الكريم. ﴿لهم قلوب لا يعقلون بها﴾[٧].

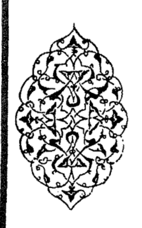
ولو سألنا اهل الطب والتشريح ـ عن القلب والعقل ـ لوجدناهم يقولون القلب عضلة في تجويف الصدر تضخ الدم في دورتين احداهما لتنقيته عن طريق الرئة، والثانية لينقل الطاقة والغذاء لكل اجزاء البدن ولا يجدون فيه شيئا اكثر من هذا العمل الآلي.

■ أما العقل فيجعلونه وظيفة المخ واجزائه المختلفة فهو يتلقى ما يقع على الحواس ويبرمجه في اجزائه، ويرسل به اشارات كهربائية سريعة عن طريق النخاع والاعصاب الى اجزاء البدن فتستجيب لمقتضى هذه الاشارات حركة وسكونا، وحسا ووعيا، وفي بعض اجزائه مخازن للتجارب والذكريات، يستدعيها عند الحاجة الى عمل مثلها او الربط بينها وبين موقف طارىء.

فإذا رجعنا الى القرآن الكريم فسنجد عناية فائقة بموضوع القلب والعقل ودورهما في صلاح المرء وفساده، وتحقيق ايمانه أو كفره.

وعندما يتحدث القرآن عن الايمان او الكفر او النفاق فسنلاحظ ربطا واضحا بين العقل والقلب، ودورهما في تحقيق ايمان المؤمن اذا كانا في حالة سليمة على ما فطرهما الله عليه، فاذا تطرق اليهما الفساد والمرض المعنوي تخبط صاحبهما في دياجير الكفر او مزالق النفاق، واقرأ معي هذه الايات من سورة البقرة.

فيقول عن المؤمنين بعد ان يصفهم بالتقوى والايمان بالغيب وتحقيق العبادات والتصديق بالرسالات واليقين بالبعث:



﴿**أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون**﴾[٨].

فاذا تكلم عن الكافرين ذكر ان قلوبهم وحواسهم التي هي نوافذ القلب مغلقة معطلة:

﴿إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون. ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة﴾[٩].

فاذا حدث عن المنافقين وضح غفلتهم وخداعهم حتى لأنفسهم ثم يعلل ذلك بمرض قلوبهم:

﴿**ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين. يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون. في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا**﴾[١٠].

ثم يبين بعد ذلك ان مرض القلوب مسخ دور الحواس فكأنها غير موجودة فيقول عنهم:

﴿صم بكم عمى فهم لا يرجعون﴾[١١].

وهو بهذا يسقط آدميتهم ويلحقهم بالأنعام بل يجعلهم اضل منها لأنهم ملكوا بآدميتهم وسائل التمييز، ووهبوا بالفطرة قدرات التكليف فانحدروا بها الى مستوى دون مستوى البهائم: ﴿**ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس، لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها، اولئك كالأنعام بل هم أضل، أولئك هم الغافلون**﴾[١٢].

فالايمان يدور في نفس المؤمن بين خاطرة تشغل عقله بالله حتى يصدق به وبرسالاته، ثم يعايشها سلوكا حتى تملك اقطار نفسه وتملأ جوانحه حبا لله فيحظى بحب الله له ورضائه عنه ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾[١٣]، ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾[١٤].

فاذا اصبح الايمان شغل القلب وغايته اعرض عن كل ما عدا الله وبذل كل شيء لله، واحب في الله وكره في الله: ﴿**وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه**﴾[١٥].

﴿**قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى**

يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾[16].

■ ولأن اساس الاسلام وشرائعه العقيدة، كانت عقيدته أمرا معقولا، ودلائلها مما تدركه العقول وتلحظه الحواس، فاذا عرفت بتأملها ربها وما يليق به من توحيد وتنزيه ـ كلفت منه بالعبادات وهي في كثير من قضاياها تربى معنى الانقياد والطاعة، لا الاقتناع والجدل، فاذا مارس العبد فرائضها منقادا للامر ـ سعت به نوافلها الى معنى التبتل والقرب وأكسبته مشاعر الاطمئنان والحب، فما دور العقل مثلا في كون الصبح ركعتين والظهر والعصر والعشاء اربعا، والمغرب ثلاثا؟

«ما تقرب إلى عبدي بشيء أحب الى مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب الى بالنوافل حتى احبه، فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التى يبطش بها»[17].

■ وهكذا نجد الايمان يدور بين قطبين يتم بهما أثره في تنوير البصائر وتحقيق الفلاح ـ هما عقله المدرك المفكر، وقلبه النابض المتأثر وهو ما بين هذين الجاذبين مخلوق ارضي يسمو بادراك وعقل، وروح سماوي يتسامى بحس ووجدان، فكأنما اجتمع فيه الانسان والملك ـ الا انه يعيش في الارض بشبحه وعقله، ويسبح مع الملأ الاعلى باشواقه وقلبه.

يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه ـ فاذا تحقق بهذا الافق الرفيع من الايمان والمعرفة ـ علمت الملائكة اذ تراه يمشي على الارض كذلك نبأ من قولة بارئه الاعلى لهم يوم اعلن استخلافه في الارض: ﴿إني أعلم ما لاتعلمون﴾.

فسبحان من كرم بني آدم . . وأكرمه وميزه بالعقل وجعل العقل والقلب مداران للايمان.

إن مزيدا من التفكر يقود إلى مزيد من الايمان والانابة والاذعان والسعادة، وتلك هى فطرة الانسان ووظيفته.. وتلك أشواقه وآماله وخواطره.

الهوامش

(١) الانعام/١٦٥ (٢) النحل/٧٦ ـ (٣) ص٥٠٥ ـ (٤) القاموس المحيط ص٤، ص١٨، ص١٩ ـ (٥) ص١ ص١٢٣ ـ (٦) القاموس المحيط ص١، ص٣٣٣ ـ (٧) الاعراف/١٧٩ ـ (٨) البقرة/٥ ـ (٩) البقرة/٦، ٧ ـ (١٠) البقرة/٨-١٠ ـ (١١) البقرة/١٨ ـ (١٢) الاعراف/١٧٩ ـ (١٣) البينة/٨ ـ (١٤) المائدة/٥٤ ـ (١٥) التوبة/١١٤ ـ (١٦) المائدة/٢٤ ـ (١٧) رواه البخارى.





فى هذا المقال يبين الكاتب أن القرآن الكريم هو الكتاب السماوى الذى تكفل الله تبارك وتعالى بحفظه الى يوم الدين . . ثم يعرض لأنواع الهداية . . وهى . . هداية االتهيئة للتكليف بحمل الامانة . . وهداية الدلالة . . وهداية التوفيق وأخيرا الهداية فى الآخرة الى الجنة . . ويستأنس فى ذلك كله بآى الذكر الحكيم .



د. حسن محمد باجوده
أ. الدراسات القرآنية البيانية - بجامعة أم القرى
مكة المكرمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . . وبعد :

هذه دراسة بعنوان : (إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم) محورها الآية الكريمة التاسعة من سورة الاسراء . . قال تعالى : ﴿**إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيرا**﴾ وقد بينت هذه الدراسة أن معجزات النبيين السابقين كانت مادية ولم يكن التحدى بالكتب السماوية التى أوحاها الله تعالى إليهم لأن رسالات النبيين السابقين محلية أو إقليمية وليست كالاسلام عالمية . وبينت هذه الدراسة كذلك أن القرآن الكريم معجزة المصطفى صلى الله عليه وسلم الكبرى ، هو وحده المعجزة والمنهج معاً لأن المصطفى صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، ولأن رسالته عليه الصلاة والسلام عالمية منذ فجرها وللناس كافة ، ولهذا تكفل الله تعالى بحفظ هذا الكتاب العزيز إلى يوم الدين . وبعد أن بينت الدراسة أنواع الهداية ، ومنها هداية الدلالة وهداية التوفيق ، وبعد أن ذكرت بعض آي الذكر الحكيم فى الهداية وقفت مليا عند أمرنا سؤال رب العالمين الهداية إلى الصراط المستقيم فى سورة الفاتحة ، وعند وصف الكتاب العزيز بأنه هدى للمتقين فى أول سورة البقرة . إن الوقوف عند سورة الفاتحة وعند الآيات الخمس الأولى من سورة البقرة حاول تبيين معنى الهدى ومغزاه وتبيين بعض مظاهر إعجاز هذا الكتاب العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

معجزات النبيين السابقين مادية

خلق الله سبحانه وتعالى الجن والانس كي يعبدوه جل وعلا وحده لا شريك له وإلى هذه الغاية السامية أشار قوله تعالى : ﴿**وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون**﴾(١) ، وبشأننا نحن البشر خلق الله سبحانه وتعالى أبانا آدم عليه السلام من طين ، وخلق حواء عليها السلام من ضلع من أضلاعه ، من شقه الأيسر كما روي عن ابن عباس(٢) وشاء الله سبحانه وتعالى أن يهبط آدم وحواء من الجنة إلى الارض ، وشاء الله تعالى أن ينشر من آدم وحواء رجالا كثيرا ونساء ، وإلى عملية الخلق والنشر أشارت الآية الكريمة الأولى من سورة النساء ، قال تعالى : ﴿**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ، إن الله كان عليكم رقيبا**﴾ .

ونستطيع أن نفهم أن ذرية آدم عليه السلام ، الذى جعله الله تعالى فى الأرض

خليفة، قد اقتفت آثار آدم عليه السلام أبى البشر المسلم لله رب العالمين فى مجال الدين على جهة الخصوص، وبسبب طول العهد بين آدم عليه السلام وذريته التى شكلت أمة فى الأرض أخذت هذه الأمة تختلف فى مجال الدين على جهة الخصوص فظهرت الحاجة لارسال رسول. وكان نوح عليه السلام أول الرسل وحصل لذرية نوح وقومه ما حصل لذرية آدم من اختلاف فى مجال الدين فظهرت الحاجة لارسال رسول أو نبى آخر. وقد أيد الله سبحانه وتعالى رسله وأنبياءه بالحجج الظاهرات، والمعجزات الباهرات، والآيات البينات، وبالكتب السماوية. وظل الحال يسير على هذا المنوال حتى بعث الله تعالى خاتم النبيين وأشرف المرسلين محمد بن عبد الله ﴿ﷺ﴾ أحد أولى العزم من الرسل بل زعيم أولى العزم من الرسل وهم على التوالى نوح أول الرسل والأب الثانى للبشر، وابراهيم أبو الأنبياء، وموسى كبير أنبياء بنى إسرائيل، وعيسى آخر أنبياء بنى إسرائيل، ومحمد بن عبد الله خاتم النبيين وأشرف المرسلين عليهم جميعا صلوات الله تعالى وسلامه، وإلى هذه المعانى أشار قوله تعالى: **﴿وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون﴾**(٣)وقوله تعالى: **﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم﴾**(٤)، وقوله تعالى: **﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظا﴾**(٥)، ويلاحظ ابتداء الآية الكريمة بذكر محمد بن عبد الله ﴿ﷺ﴾ لأنه زعيم أولى العزم من الرسل مع أنه آخرهم زمنا، وقوله تعالى: **﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين، وكان الله بكل شيء عليما﴾**(٦).

القرآن الكريم هو وحده المعجزة والمنهج معاً

■ وإنه بالنظر إلى الآيات البينات التى أيد الله سبحانه وتعالى بها أنبياءه يتبين أن منها الآيات المادية أو المعجزات الحسية ومنها الكتب السماوية. وإنه بالنظر إلى المعجزات الحسية يتبين أنها معجزات أريد بها تحدى قوم كل نبى فى المجال الذى هم نابغون فيه. إن قوم موسى عليه السلام لما كانوا نابغين فى السحر كانت معجزة موسى عليه السلام الكبرى أو معجزتاه الكبريان العصا واليد، تحدياً لقومه النابغين فى السحر. وإن قوم عيسى عليه السلام لما كانوا نابغين فى الطب كانت معجزة عيسى عليه السلام كإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بمناداتهم فيخرجون من قبورهم، تحديا لقومه النابغين فى الطب، وهكذا.

ويلاحظ بشأن معجزات النبيين السابقين على خاتم النبيين وأشرف المرسلين محمد بن عبد الله ﴿ﷺ﴾ أنها كلها معجزات مادية. والمعروف أن المعجزات المادية لا يشاهدها الا الجيل المعاصر لذلك النبى بل عدد محدود من أفراد ذلك الجيل. ونحن حينما نقول إن كل تلك المعجزات مادية ومحدودة بجيل واحد نحن نعنى ما نقول. ولهذا كانت الكتب السماوية السابقة كالتوراة والانجيل لم يكن المقصود بها التحدى إنما كان التحدى بالمعجزات الحسية والآيات المادية وهذه الحقيقة تبين الحكمة من كون رب العزة لم يتكفل بحفظ أى من الكتب السماوية السابقة على القرآن الكريم. وقد جاء فى القرآن الكريم ذكر أربعة من هذه الكتب السماوية السابقة وهى على التوالى صحف إبراهيم وتوراة موسى وزبور داود وإنجيل عيسى عليهم جميعا صلوات الله وسلامه. وبشأن اثنين من هذه الكتب الأربعة المذكورة فى القرآن نحن لا نكاد نعرف عنهما إلا الاسم، وهما صحف إبراهيم وزبور داود عليهما السلام. وبشأن التوراة والانجيل، الثابت بنص القرآن الكريم انهما تعرضا لتحريف شديد وقد تبين مما جاء فى القرآن الكريم فى مواضع متفرقة فى أثناء الحديث عن تحريف كل من التوراة والانجيل، كما تبين من الدراسات والمقارنات بين

نسخ التوراة والانجيل.

■ ومن إلقاء نظرة عابرة على كل منهما نجد أن التحريف تجلى فى خمسة أمور:

أحدها: لبس الحق بالباطل وهو خلطه به بحيث لا يتميز الحق من الباطل.

الثانى: كتمان الحق.

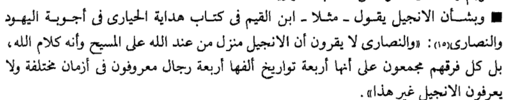
الثالث: إخفاؤه وهو قريب من كتمانه.

الرابع: تحريف الكلم عن مواضعه. وهو نوعان تحريف لفظه وتحريف معناه.

الخامس: لى اللسان به ليلبس على السامع اللفظ المنزل بغيره(٧).

■ وكانت نتيجة هذا التحريف أن أعلن الامام المهتدى السموءل بن يحيى المغربى المتوفى سنة ٥٧٠هـ والذى كان حبراً من أحبار اليهود، أعلن فى كتابه الفريد فى بابه فى فضح مخازى اليهود والشهادة لدين الاسلام بأنه الدين الحق الموسوم باسم «**إفحام اليهود**»(٨) حكماً على التوراة التى فى أيدى اليهود صحيحاً وصريحاً. جاء تحت عنوان: ذكر السبب فى تبديل التوراة: علماؤهم وأحبارهم يعلمون أن هذه التوراة التى بأيديهم لا يعتقد أحد من علمائهم وأحبارهم أنها المنزلة على موسى البتة(٩) ويقول فى موضع آخر(١٠): «فهذه التوراة التى بأيديهم على الحقيقة كتاب عزرا وليس كتاب الله» وعزرا هذا كان خادماً لملك الفرس وكان حظيا عنده فتوصل إلى بناء بيت المقدس بعد أن خربه بختنصر وكتب لليهود التوراة التى بأيديهم لذا فقد كان يسمى بالكاتب أو الناسخ.. وهو غير عزير المعروف(١١) لقد جمع عزرا من محفوظاته ومن الفصول التى يحفظها الكهنة ما لفق منه هذه التوراة التى بأيديهم الآن(١٢) وهذه النسخة كتبها عزرا قبل بعثة المسيح عليه السلام بخمسمائة وخمس وأربعين سنة(١٣) وقد بينت سورة المائدة أن الله سبحانه وتعالى استحفظ الأحبار وعلماء اليهود التوراة التى أوحاها جل وعلا إلى موسى عليه السلام.. قال تعالى: ﴿**إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتى ثمناً قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**﴾(١٤) ولم يحفظ الأحبار التوراة ولم يحفظ غيرهم كتابهم السماوي.. والمعروف أن رب العزة إنما تكفل بحفظ القرآن الكريم وحده دون سواه من الكتب السماوية.





■ وبشأن الانجيل يقول ـ مثلا ـ ابن القيم فى كتاب هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى(١٥): «والنصارى لا يقرون أن الانجيل منزل من عند الله على المسيح وأنه كلام الله، بل كل فرقهم مجمعون على أنها أربعة تواريخ ألفها أربعة رجال معروفون فى أزمان مختلفة ولا يعرفون الانجيل غير هذا».

■ ومن الآيات الكريمات التى أشارت إلى صحف إبراهيم وتوراة موسى وزبور داود وإنجيل عيسى والقرآن الكريم الذى أوحاه الله تعالى الى محمد بن عبد الله ﴿ﷺ﴾ وعلى سائر النبيين والمرسلين هذه الآيات الكريمات. قال تعالى: ﴿**الم الله لا له إلا هو الحى القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل. من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان. إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام**﴾(١٦)، وقال تعالى: ﴿**والآخرة خير وأبقى. إن هذا لفى الصحف الأولى. صحف إبراهيم وموسى**﴾(١٧)، وقال تعالى: ﴿**وربك أعلم بمن فى السماوات والأرض. ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا**﴾(١٨)، وقال تعالى: ﴿**وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين**﴾(١٩)، وقال تعالى: ﴿**نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن**

الغافلين﴾(٢٠).

القرآن الكريم وحده معجزة ومنهج معا

مما خص الله سبحانه وتعالى به محمد بن عبد الله ﴿ﷺ﴾ دون سائر النبيين والمرسلين أن رسالته عليه الصلاة والسلام منذ فجرها عالمية وللناس كافة. ومن الآيات المكية التى نزلت قبل الهجرة والتى قدرت هذا المعنى الآيات الكريمات التاليات.

قال تعالى: **﴿تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾**(٢١)، وقال تعالى: **﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾**(٢٢)، وقال تعالى: **﴿قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا الذى له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون﴾**(٢٣).

■ ومما خص الله تعالى به محمد بن عبد الله ﴿ﷺ﴾ أيضاً أنه خاتم النبيين وأشرف المرسلين.

قال تعالى: **﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما﴾**(٢٤)، ومن مظاهر إعجاز الآية الكريمة أنها تنص على أن المصطفى ﴿ﷺ﴾ خاتم النبيين وبذلك هى توصد الباب أمام كل مدع أنه نبى وكل مدع أنه رسول لأن فى ختم النبوة إيصاداً للباب أمام مدعى النبوة ومن باب الأولى أمام مدعى الرسالة. إن النبوة هى الباب الوحيد المؤدى إلى الرسالة، الدرجة الأعلى، وفى إيصاد باب النبوة إيصاد ضمنى لباب الرسالة من باب الأحرى والأولى.

الآيات البينات التى أيد الله تعالى بها أنبياءه ومنها المادية أو المعجزات الحسية .. ومنها الكتب السماوية.

■ ولما كانت رسالة المصطفى ﴿ﷺ﴾ عالمية تشمل كل مكان وزمان، وكان المصطفى ﴿ﷺ﴾ خاتم النبيين وأشرف المرسلين كانت آيته صلى الله عليه وسلم الكبرى ومعجزته العظمى خالدة إلى يوم الدين ألا وهي القرآن الكريم كلمة الله تعالى الأخيرة إلى البشرية. إن للمصطفى ﴿ﷺ﴾ الكثير من الآيات المادية والمعجزات الحسية. وقد عرفنا أن هذا النوع من المعجزات محدود بجيل معين، بل بعدد محدود من أفراد ذلك الجيل الذين رأوا المعجزة، لذلك كانت تلك المعجزات الحسية مؤيدة لمعجزة المصطفى ﴿ﷺ﴾ الكبرى الخالدة وهي القرآن الكريم.

شاء الله سبحانه وتعالى أن يستجيب دعوة أبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام وهو يرفع القواعد من البيت الحرام مع ابنه إسماعيل عليه السلام بأن يبعث فى أهل البيت رسولا منهم قال تعالى:

﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم. ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم. إنك أنت العزيز الحكيم﴾(٢٥)، والمعروف أن محمد بن عبد الله ﴿ﷺ﴾ هو النبى الوحيد من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام أما سائر النبيين من ذرية إبراهيم عليه السلام فإنهم من ذرية إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام.

■ ولما كان المصطفى ﴿ﷺ﴾ من أهل البيت الحرام أى من العرب من ذرية إسماعيل عليه السلام وكانت رسالته عليه الصلاة والسلام عالمية وخالدة لذا كانت معجزة المصطفى ﴿ﷺ﴾ الكبرى الخالدة كتاباً سماوياً معجزاً خالدا بلسان عربي مبين.

■ عرفنا بشأن الكتب السماوية السابقة أنها كلها كانت منهجاً ولم تكن معجزة، لأن كل رسالات النبيين السابقين محلية وليست عالمية ولأنها كلها منسوخة برسالة خاتم النبيين وأشرف المرسلين محمد ابن عبد الله ﴿ﷺ﴾. قال تعالى: **﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب**

وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه. قال أأقررتم وأخذتم على ذلك إصرى(٢٦) قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾(٢٧)، قال ابن عباس: ما بعث الله من نبى إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به وليتابعنه»(٢٨) ومن الأدلة على أن رسالات النبيين السابقين محلية ومنسوخة بالرسالة الخاتمة أن رب العزة لم يتكفل بحفظ أى كتاب سماوي سوى القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾(٢٩) ومن الأدلة على أن رسالة المصطفى ﴿ﷺ﴾ خاتمة الرسالات وأنه عليه الصلاة والسلام خاتم النبيين عجز الانسانية عن الاتيان بمثل هذا القرآن الكريم، بل عن عشر سور من مثله، بل عن سورة مثله أو من مثله وقد قال تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾(٣٠) وهذا القرآن الكريم المعجز بمعناه ومبناه، والذى يرضى كل عقل بخصوص حكمه، ويشبع كل نفس بجمال جرسه، نزل بلسان عربى مبين. ومما جاء فى هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين. نزل به الروح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربى مبين﴾(٣١).

■ ولما كان القرآن الكريم ينفرد بين سائر الكتب السماوية بأنه يجمع بين كونه معجزة ومنهجاً معا، وكان النور الذى تستنير به الانسانية وتهتدى به إلى الطريقة التى هى أقوم وقد قال تعالى: ﴿إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيرا﴾(٣٢) فإنا نود أن نتحدث فى معنى الهداية وفى هداية القرآن الكريم للطريقة التى هى أقوم وأحسن.



أنــواع الهدايــة:

الهداية دلالة بلطف. وهداية الله تعالى للانسان على أربعة أوجه:

الاول: الهداية التى عم بجنسها كل مكلف من العقل والفطنة والمعارف الضرورية التى أعم منها كل شيء بقدر فيه حسب احتماله كما قال: ﴿ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾(٣٣).

الثانى: الهداية التى جعل للناس بدعائه إياهم على ألسنة الأنبياء وإنزال القرآن ونحو ذلك وهو المقصود بقوله تعالى: ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾(٣٤).

الثالث: التوفيق الذى يختص به من اهتدى وهو المعنى بقوله تعالى: ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم﴾(٣٥)، وقوله: ﴿ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله. ومن يؤمن بالله يهد قلبه. والله بكل شيء عليم﴾(٣٦)، وقوله: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم. دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾(٣٧)، وقوله: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا. وإن الله لمع المحسنين﴾(٣٨)، وقوله: ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى. والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير مردا﴾(٣٩)، وقوله: ﴿فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه. والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم﴾(٤٠).

الرابع: الهداية فى الآخرة إلى الجنة المعنى بقوله: ﴿والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم. ويدخلهم الجنة عرّفها لهم﴾(٤١)، وقوله: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا إلا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون. ونزعنا ما فى صدورهم من غل تجرى من تحتهم الأنهار وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا

أن هدانا الله. لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون﴾(٤٢).

■ وهذه الهدايات الأربع مترتبة. فإن من لم تحصل له الأولى لا تحصل له الثانية بل لا يصح تكليفه. ومن لم تحصل له الثانية لا تحصل له الثالثة والرابعة. ومن حصل له الرابع فقد حصل له الثلاث التى قبلها، ومن حصل له الثالث فقد حصل له اللذان قبله. ثم ينعكس فقد تحصل الأولى ولا يحصل له الثانى ولا يحصل له الثالث(٤٣).

القرآن الكريم يهدى للطريقة التى هي أقوم

مهما نقل فى إعجاز القرآن الكريم من حيث المعنى أو المبنى، فإن القرآن الكريم يظل كتاب هداية أولا وآخرا. قال تعالى: ﴿إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيرا. وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليما﴾(٤٤)، ومعنى القول: ﴿إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم﴾ إن هذا القرآن الكريم يهدى للطريقة التى هى أقوم من كل طريقة أخرى.

■ واذا كان القرآن الكريم توحيداً، وأمراً أي أحكاماً، وقصصا(٤٥) وكان التوحيد هداية إلى إفراد الله تعالى بالعبادة، والأمر هداية إلى حكم الله تعالى الأحسن لقوم يوقنون فإن الهداية هي الهدف الأول والأخير من قصص القرآن الكريم، وقد قال عز من قائل خطاباً للمصطفى ﴿ﷺ﴾ فى سورة يوسف: ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين﴾(٤٦)، وإنما كان القرآن الكريم يقص أحسن القصص لأن إعجازه من حيث النظم، وجمال الجرس، وكثرة الماء والرونق، هو من أجل تحقيق الهداية إلى الطريقة التى هى أحسن، أي من أجل الوصول إلى المعنى وإظهاره فى أجمل حلة وأبهى منظر.

ونحن نود أن نذكر بعض اي الذكر الحكيم فى مجال الهداية إلى الطريقة التى هي أقوم مع تفسير ما يحتاج إلى تفسير فى بعض هذه الآيات الكريمات.

قال تعالى: ﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبينا﴾(٤٧) والبرهان محمد بن عبد الله ﴿ﷺ﴾ والنور المبين الذى أنزله الله تعالى إلى الناس هو القرآن الكريم الذى يستنيرون بنوره ويستهدون بهديه.

وقال تعالى: ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير. قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين. يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾(٤٨).

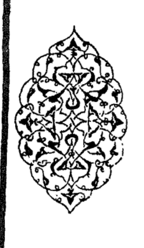
إن الله سبحانه وتعالى يهدى بالقرآن الكريم من آمن طرق السلامة الموصلة إلى الجنة والنعيم المقيم بإذن الله تعالى. وقال تعالى: ﴿هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾(٤٩)، وقال تعالى: ﴿هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله. وكفى بالله شهيدا﴾(٥٠)، وقال تعالى: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجا كأنما يصعد فى السماء. كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون. وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون. لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون﴾(٥١)، إن الذى يريد الله سبحانه وتعالى أن يهديه إلى الحق يشرح صدره لاعتناق دين الاسلام الذى بعث به محمداً ﴿ﷺ﴾. وإن الذى يريد الله سبحانه وتعالى أن يزيده ضلالا إلى ضلاله يجعل صدره عند سماع دعوة الحق ضيقاً

رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم منذ فجرها تشمل كل زمان ومكان.. خالدة الى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها.

حرجا، والحرج أشد الضيق(٥٢)، وأصل الحرج(*) والحراج مجتمع الشيء وتصور منه ضيق ما بينهما فقيل للضيق حرج وللاثم حرج. وقد حرج صدره(٥٣) وقد سأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا من الأعراب من أهل البادية من مدلج عن الحرجة فقال: هى الشجرة تكون بين الأشجار لا تصل إليها راعية ولا وحشية ولا شيء. فقال عمر رضى الله عنه: كذلك قلب المنافق لا يصل إليه شيء من الخير(٥٤).

■ وهكذا يكون صدر الكافر ضيقا من حيث المساحة شديد الضيق بسبب ما ازدحم فيه من شكوك وريب وأباطيل وفوق هذا وذاك هو حينما يدعى إلى دين الاسلام الذى يبغضه بمثابة الذى يصعد إلى أعلى حيث السماء. وهناك يرتفع الضغط ويقل الأكسجين إلى أن ينعدم فتحدث الوفاة ويكون الرجس بمعنى العذاب من نصيب الذين لا يؤمنون، ويكون الرجس بمعنى الشيطان الرجيم على الذين لا يؤمنون(٥٥).

وقال تعالى: ﴿**الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابهاً مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء. ومن يضلل الله فماله من هاد**﴾(٥٦)، إن الله سبحانه وتعالى نزل أحسن الحديث كتاباً كريمـاً قرآنا عظيمـاً يشبه بعضه بعضاً معنى ومبنى ويثنى فيه الوعد والوعيد وما إليهما وعند ذكر الوعيد تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم والخشية مزيج من الخوف والحب. وعند ذكر الوعد تلين جلودهم وتطمئن قلوبهم وتهفو إلى ذكر الله تعالى. وقال تعالى: ﴿**إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفورا**﴾(٥٧)، إن الله سبحانه وتعالى هدى الانسان سبيل الحق. وهو بعد ذلك إما أن يكون شاكرا لله تعالى فيسلم لله رب العالمين وإما أن يكون كفوراً فيعرض عن دعوة الحق. وقال تعالى: ﴿**ألم نجعل له عينين. ولساناً وشفتين. وهديناه النجدين**﴾(٥٨)، والنجد المكان المرتفع. والمراد طريق الخير وطريق الشر كي يختار ما يشاء ويكون مسئولا بسبب هذا الاختيار. وإنما عبر عن الطريق فى الخير والشر بالنجد لأن الانسان يبتليه الله تعالى بالشر والخير فتنه. فكما يختبر الله تعالى عبده بالنقمة يختبره بالنعمة. أيصبر فى حال النعمة أم يجزع؟ أيشكر فى حال النعمة أم يكفر؟ وجاء على لسان الجن قوله تعالى: ﴿**قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم**﴾(٥٩)، وإنما ذكر موسى عليه السلام وليس عيسى عليه السلام لأن رسالة عيسى عليه السلام مكملة لرسالة موسى عليه السلام التى هي بمنزلة الأصل. وقال تعالى: ﴿**قل أوحي إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجبا. يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا**﴾(٦٠).



وجاء فى المن على المصطفى صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين بإنزال القرآن الكريم قوله تعـالى: ﴿**فـاستمسك بالذى أوحي إليك إنك على صراط مستقيم، وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون**﴾(٦١)وقوله تعالى: ﴿**لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم. أفلا تعقلون**﴾(٦٢)، وجاء فى وعد الله تعالى المؤمنين بالعز والتمكين فى الأرض إن هم آمنوا وعملوا الصالحات قوله تعالى: ﴿**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا. يعبدوننى لا يشركون بى شيئا. ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون**﴾(٦٣)، وقد أمر الله تعالى المصطفى ﴿ﷺ﴾ أن يقول كما جاء فى سورة الانعام: ﴿**قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم ديناً قيمـاً**(٦٤) **ملة إبراهيم حنيفاً** وما كان من المشركين. قل إن صلاتى ونسكى ومحياي ومماتى لله رب العالمين. لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾(٦٥)، وقال تعالى: ﴿**إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين. وأن أتلو القرآن فمن اهتدى**

فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين . وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون﴾(٦٦) .

وجاء خطابا للمصطفى ﴿ﷺ﴾ قوله تعالى : ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم. صراط الله الذى له ما فى السماوات وما فى الأرض. ألا إلى الله تصير الأمور﴾(٦٧) . وجاء فى حث المسلمين على أن يكبروا الله تعالى أن هداهم لمعالم دينهم ومنها كيفية العمل فى حال المرض أو السفر فى شهر رمضان وكيفية القضاء ، وفى حثهم أن يشكروا لله تعالى الذى أراد بهم اليسر لا العسر قوله تعالى : ﴿شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان . فمن شهد منكم الشهر فليصمه . ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر . يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون﴾(٦٨) ، وبشأن نحر الابل وما فى حكمها فى الحج جاء قوله تعالى فى سورة الحج : ﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف . فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر(٦٩) كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون . لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم . كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين﴾(٧٠) .

وجاء فى الحث على سؤال الله تعالى التوفيق بالاستمرار على الهداية قوله تعالى : ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة . إنك أنت الوهاب﴾(٧١) ، وجاء وعد الله تعالى المجاهدين فى سبيله تعالى بالهداية قوله تعالى : ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾(٧٢) وجاء فى مزيد الهداية قوله تعالى : ﴿والذين اهتدوا ازادهم هدى وآتاهم تقواهم﴾(٧٣) ، وهذه هى سورة الفاتحة وفيها الأمر بطلب الهداية إلى الصراط المستقيم . قال تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . إياك نعبد وإياك نستعين . اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ آمين . وفى الآيات الخمس الاولى من سورة البقرة تبيين لصفات المتقين الذين هداهم القرآن الكريم إلى الصراط المستقيم . قال تعالى : ﴿الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾ ، ومن البين مجيء الهدى بين يدى ذكر صفات المتقين وبعد ذكر تلك الصفات .



■ وإن آيات سورة الفاتحة وآيات صفات المتقين المهتدين من سورة البقرة ستكون ميدان نظرة خاصة فى هذه الدراسة حيث إنهما نموذجان مختاران لهذه النظرة الخاصة . فمع آيات سورة الفاتحة أولا .

الهدى وسورة الفاتحة :

قال تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . إياك نعبد وإياك نستعين . اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ آمين .

■ إن خير ما يبين معنى هذه السورة الكريمة هذا الحديث القدسى . روى الامام مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﴿ﷺ﴾ قال : «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهى خداج

ثلاثاً غير تمام. فقيل لأبى هريرة: إنا نكون خلف الامام قال: اقرأ بها فى نفسك فإنى سمعت رسول الله ﴿ﷺ﴾ يقول: **قال الله عز وجل: قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل. فإذا قال: الحمد لله رب العالمين. قال الله: حمدنى عبدى. وإذا قال: الرحمن الرحيم. قال الله: أثنى علي عبدى. فإذا قال: مالك يوم الدين. قال الله: مجدنى عبدى. وقال** مرة: **فوض إلي عبدى. فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين. قال: هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل. فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين. قال الله: هذا لعبدى ولعبدى ما سأل. . وهكذا رواه النسائى. وقال الترمذي: هذا حديث حسن. وقد روى هذا الحديث عبد الله ابن الامام أحمد**(٧٤).

■ إن السورة الكريمة تبين أن الحمد كله والثناء جميعه لله تعالى الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، رب العالمين مربيهم بنعمه العظيمة ومنشئهم بآلائه الجسيمة لا إله غيره ولا معبود بحق سواه. رحمان الدنيا والآخرة الرحيم بالمؤمنين وقد قال تعالى: **﴿وكان بالمؤمنين رحيما﴾**(٧٥) مالك يوم الدين، يوم القيامة، الذى يحاسب الله تعالى فيه الناس ويجازيهم فيثيبهم أو يعذبهم بعدله أو يعفو عنهم بفضله.

■ وإن الحديث عن يوم الدين يوم الحساب يربط الآخرة بالأولى ويجعل المؤمن مهتما بيوم الدين يوم الجزاء لأن الحياة الأولى حياة العمل وبذر البذور، ولأن الحياة الآخرة حياة الجزاء وجنى الثمار. والمعروف أن الثمار إنما تكون من جنس البذور، وهكذا الجزاء فى الآخرة إنما يكون بناء على النية والقول والعمل فى الحياة الدنيا.

■ ولما كان الاسلام ديناً ودنيا وكان الهدف من خلق الله تعالى الجن والانس أن يفردوه جل وعلا بالعبادة كان من هذه الآية الكريمة: **﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾** حديث عن العبادة وعن الاستعانة. ويلاحظ تقديم العبادة لأنها الأهم كما يلاحظ وراء ذلك أن الاستعانة تشمل الدين والدنيا. وإن تقديم اسم ضمير النصب المنفصل «إياك» مرتين اثنتين وهو الذى يفيد الاختصاص يعنى أن العبادة لا تكون إلا لله تعالى وأن الاستعانة لا تكون إلا بالله تعالى.



وإذا كان تقديم العبادة فى القول: «إياك نعبد وإياك نستعين» يفيد تقديم الدين على الدنيا، الآخرة على الأولى، فإن هذا المعنى يعمقه طلب الهداية من الله تعالى إلى الصراط المستقيم والطريق القويم. قال تعالى: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾.

ومن البين وضوح روح الأخوة الايمانية من مجيء ضمير جماعة المتكلمين لأن المؤمن كما يذكر نفسه ويدعو لها بخيرى الدنيا والأخرة يذكر إخوانه فى الاسلام ويدعو لهم بخيري الدنيا والآخرة إننا جميعاً نعبد الله تعالى وحده لا شريك له. . وإننا جميعاً نطلب العون من الله تعالى. وإننا جميعاً ندعوه جل وعلا أن يهدينا الصراط المستقيم.

والصراط المستقيم هو الطريق المستقيم الموصل إلى الجنة الذى سار فيه محمد بن عبد الله ﴿ﷺ﴾ خاتم النبيين وأشرف المرسلين، وإمام المتقين. وقد جاء لفظ الصراط فى الآية الكريمة التالية بدلا من لفظ الصراط فى الآية الكريمة السابقة وبناء على ذلك كأننا بصدد تكرار جملة اهدنا وبذلك يكون المعنى: اهدنا ياربنا الصراط المستقيم. اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم وهؤلاء المنعم عليهم هم على التوالى المرسلون. النبيون. الصديقون. الشهداء. الصالحون. وهم الذين نصت عليهم آية سورة النساء. قال تعالى: ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. وحسن أولئك رفيقا. ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما﴾.)(٧٦)

وكما يكون الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله تعالى عليهم يكون غير صراط المغضوب عليهم وغير صراط الضالين: «اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين» ومن لطائف التعبير أن الحديث عن المنعم عليهم جاء فى أسلوب الخطاب: «صراط الذين أنعمت عليهم» فى حين حذف الفاعل فى الغضب. . يقول ابن كثير(٧٧) فى هذا المعنى: «وما أحسن ما جاء إسناد الانعام إليه فى قوله تعالى: **﴿صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم﴾** وحذف الفاعل فى الغضب فى قوله تعالى: **﴿غير المغضوب عليهم﴾** وإن كان هو الفاعل لذلك فى الحقيقة كما قال تعالى: **﴿ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم﴾** (٧٨)، الآية وكذلك إسناد الضلال إلى من قام به وإن كان هو الذى أضلهم بقدره كما قال تعالى: **﴿من يهد الله فهو المهتد. ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا﴾** (٧٩). وقال: **﴿من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم فى طغيانهم يعمهون﴾**(٨٠) الى غير ذلك من الآيات الدالة على أنه سبحانه هو المنفرد بالهداية والاضلال».

والمغضوب عليهم والضالون يدخل فيهم كل من غضب الله تعالى عليه وضل عن سواء السبيل. وعن ابن عباس: غير المغضوب عليهم، اليهود. ولا الضالين، النصارى. وكذا قال الربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد. وقال ابن أبى حاتم: ولا أعلم بين المفسرين فى هذا اختلافا (٨١)وقد تقدم اليهود فى الذكر على النصارى لتقدمهم زمناً وعداوة هذا إلى استقرار لفظ الضالين فاصلة: «غير المغضوب عليهم ولا الضالين» عن أبى ذر قال: سألت رسول الله ﴿ﷺ﴾ عن المغضوب عليهم قال: اليهود. قلت: الضالين. قال: النصارى(٨٢).

■ نسأل الله سبحانه وتعالى أن يهدينا الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله تعالى عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، صراط المتقين المهتدين الذين بينت صفاتهم الآيات المتقدمة من سورة البقرة فإلى:

الايمان بالغيب يشمل كل ما غاب عنا. كالايمان بالله تعالى وملائكته والجنة والنار والنعيم والعذاب واليوم الآخر.

الهدى وصفات المتقين من سورة البقرة:

قال تعالى: **﴿الم. ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين. الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون. والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون. أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾**.

سورة البقرة الكريمة واحدة من تسع وعشرين سورة (٨٣)نبدأ بالحروف المقطعة. واللطيف فى: «الم» أنها موزعة على ثلاثة مخارج للحروف متباعدة، الألف من أقصى الحلق، واللام متوسطة، والميم متطرفة(٨٤) ثم إن الألف أكثر دوراناً فى الكلام من اللام واللام أكثر دوراناً من الميم. وعليه يكون: «الم» مبنيا على غرار كلام العرب من حيث الحروف الأكثر استعمالا (٨٥) ومن حيث البناء على الثلاثى الغالب على كلام العرب(٨٦) أيضا.

ومن الآراء التى لها وزنها فى تفسير هذه الحروف المقطعة فى أوائل السور الرأي الذى يذهب إلى أن هذه الحروف تنبيه على إعجاز القرآن الكريم الذى يتألف من كلمات يعرفها العرب، وهى كلمات تتألف من هذه الحروف التى يعرفها العرب ويستعملونها ولكن نظم القرآن الكريم نسيج وحده. ومن الأدلة على قوة هذا التفسير للحروف المقطعة أن كل السور التسع والعشرين المبتدئة بهذه الحروف المقطعة يأتى فيها على الفور أو التراخى الانتصار للقرآن الكريم أو الحديث عنه.

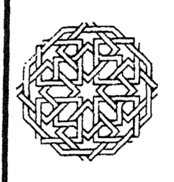
وإن سورة البقرة المدنية الكريمة واحدة من السور التى يأتى فيها الانتصار للقرآن الكريم على الفور وذلك فى الآية الكريمة، عماد الآيات الكريمات فى الحديث عن هداية القرآن الكريم

للمتقين. قال تعالى: ﴿الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾ إن الآية الكريمة تشير إلى الكتاب العزيز باسم الاشارة الدال على البعد: «ذلك» تنبيهاً على رفيع مكان القرآن الكريم ومكانته. . ثم تنفى الآية الكريمة عن هذا الكتاب العزيز أدنى ريب وشك. إن هذا الكتاب لا ريب فيه ولا شك ثم إنه عين الهدى للمتقين. ويلاحظ أن اسم الفاعل «هادى» لا يجيء هنا، إنما الذى يجيء هنا القول: «هدى للمتقين» والمعنى أن القرآن الكريم هو الهدى للطريقة التى هى أقوم وسبق أن عرفنا أن من معانى الهدى الدلالة. ونستطيع أن نفهم الهدى هنا فى حق الكتاب العزيز بأنه هدى الدلالة والارشاد.

■ والقرآن الكريم هو عين الهدى للمتقين الذين يتقون النار باجتناب ما حرم الله تعالى والذين وصلوا بفعل الأوامر إلى مرتبة التقوى التى تكاد تكون الوجه الآخر للاحسان بأن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك (٨٧) ونستطيع أن نفهم الهدى كذلك بأنه زيادة الهدى. بمعنى أن هؤلاء المتقين مهتدون. وإن الكتاب العزيز يزيدهم هدى إلى هداهم وقد قال تعالى: ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم﴾ (٨٨).

والآية الكريمة التالية تبين ثلاثاً من صفات المتقين. . قال تعالى: ﴿الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾.

والايمان بالغيب يشمل كل ما غاب عنا كالايمان بالله تعالى وملائكته والجنة والنار والنعيم المقيم والعذاب الأليم، واليوم الآخر. ومن البين أهمية الايمان بالغيب ولهذا ابتدأ الحديث به وجاء فى صيغة الزمن المضارع الذى يفيد التجدد والاستمرار. وبعد الحديث عن الايمان بالغيب باعتباره أهم صفة يتحلى بها المتقون يأتى الحديث عن الصلاة عماد الاعمال البدنية، وعن الانفاق مما رزق الله تعالى ويدخل فى ذلك الزكاة عماد الأعمال المالية. وتتقدم الصلاة فى الذكر على الزكاة لتقدمها فى الأهمية فالصلاة عماد الدين، وكما جاء الحديث عن الايمان بالغيب فى صيغة الزمن المضارع جاء الحديث عن إقام الصلاة وإيتاء الزكاة.



والآية الكريمة التالية تتحدث هى الأخرى عن ثلاث صفات أخر للمتقين المهتدين بالقرآن الكريم. قال تعالى: ﴿والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون﴾ لقد تحدث السياق من ذى قبل عن الكتاب العزيز الذى لا ريب فيه وتتحدث الاية الكريمة هنا عن هذا الكتاب العزيز من زاوية الايمان به، كما تتحدث عن الكتب السماوية السابقة، وبذلك يكون الحديث فى الموضعين هنا عن جنس الكتاب السماوي. كما تحدث السياق من ذى قبل عن الايمان بالغيب وإن الآية الكريمة هنا تتحدث عن اليوم الآخر وهو من الغيب. . وهكذا يكون الحديث عن الصفات جديداً قديماً، مستأنفاً وغير مستأنف. ولما كان الكتاب العزيز أمام أعيننا كان الحديث عنه من زاوية الايمان به ومن زاوية الايمان بالكتب السماوية السابقة كذلك. ولما كان اليوم الآخر من جنس الغيب وكان بحاجة إلى نوع قوي من الايمان متميز كان الحديث بشأنه متعلقا بالايقان وليس بالايمان وحده: «وبالآخرة هم يوقنون» وإن مجيء اسم الضمير المنفصل: «هم» الذى يراد به التوكيد قوة لهذا الايقان الذى أشير إليه هو الآخر فى صيغة الزمن المضارع الذى يفيد الاستمرار والتجدد. وهكذا يتبين الجديد من المعانى والمفيد منها فى أثناء الحديث عن الايمان باليوم الآخر بعد الحديث عن مطلق الايمان بالغيب الذى يدخل فيه اليوم الآخر.

■ فإذا تحولنا إلى الآية الكريمة الخامسة والأخيرة: ﴿أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾ تبين أن الاشارة إلى أولئك المتقين فى القول: «أولئك» تجيء على غرار الاشارة إلى القرآن الكريم: «ذلك الكتاب» إن اسم الاشارة الدال على البعد فى الموضعين يدل على رفيع المكان والمكانة لكل من القرآن الكريم والمتقين المهتدين. وإن حرف الجر: «على» يدل على

الاستعلاء والتمكن من الهدى. وإن لفظ الرب المتصل به الضمير العائد على المتقين يشيع جو الرضا والبهجة لأن لفظ الرب فى القرآن الكريم إنما يستعمل فى مواطن الخصوص والتنبيه إلى نعم الله تعالى التى ربى بها جل وعلا عباده ووجوب القيام بالشكر على تلك النعم والآلاء.

■ وإذا كان الهدى فى القول: «ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين» هدى الدلالة والارشاد فإن الهدى فى القول: «أولئك على هدى من ربهم» هدى التوفيق والتأييد من رب العباد. إن أولئك المتقين على هدى من ربهم جل وعلا مربيهم بنعمه وآلائه، وإن أولئك المتقين هم المفلحون فى الأولى والآخرة. ومن البين أن الهدى فى الآية الكريمة يتعلق بالحياة الأولى بدرجة أكبر، وأن الفلاح يتعلق بالحياة الأخرى بدرجة أكبر.

وإذا كنا لاحظنا استعلاء المتقين على الهدى دليلا على التمكن منه بفضل الله تعالى فى القول: «أولئك على هدى من ربهم» فإن هذا المعنى ذاته نلاحظه بشأن الفلاح الذى جاء فى جملة اسمية مؤكدة تدل على ثبات الفلاح ودوامه: «وأولئك هم المفلحون» وقد قال تعالى: ﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾(٨٩).

الخاتمـــة

فى الصفحات السابقة بينا أن معجزات النبيين السابقين مادية ولهذا لم يتكفل الله تعالى بحفظ الكتب السماوية السابقة لأن التحدي لم يكن بها إنما كان بالمعجزات المادية وهى بطبعها محدودة بجيل واحـد هو المعاصر لهذا النبى الكريم أو ذاك. وبشأن القرآن الكريم بينا أنه هو وحده المعجزة والمنهج معاً وذلك لأن رسالة المصطفى ﴿ﷺ﴾ عالمية منذ فجرها تشمل كل مكان وزمان وخالدة إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها. وقد تكفل الله تعالى بحفظ هذا الكتاب العزيز إلى يوم الدين. وبشأن الهداية بينا أنواعها الأربعة وهى هداية التهيئة للتكليف بحمل الأمانة، وهـداية الدلالة، وهداية التوفيق، والهداية فى الآخرة إلى الجنة. وبعد الاستئناس ببعض آي الـذكر الحكيم فى مجال الهداية اتخذنا من أمرنا بطلب الهداية فى سورة الفاتحة ووصف القرآن الكـريم الذى لا ريب فيه بأنه هدى للمتقين الذين ذكرت صفاتهم الآيات الأولى من سورة البقرة، اتخذنا من هذا وذاك أنموذجين للدراسة من أجل معرفة أبعاد الهدى ومظاهر الاعجاز.

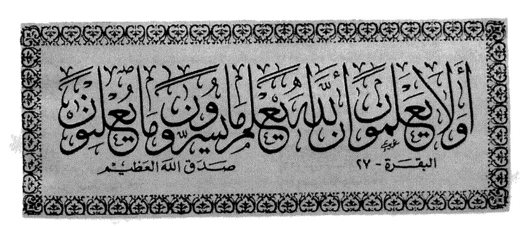
الهـــوامش

(١) سورة الذاريات/٥٦.
(٢) تفسير الطبرى ١٥٠١٤
(٣) سورة يونس/ ١٩.
(٤) سورة البقرة/ ٢١٣.
(٥، ٦) سورة الاحزاب/ ٧، ٤٠.
(٧) انظر هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم ٤٩
(٨) الكتـاب بتقـديم تحقيق، تعليق الـدكتور محمد عبد الله الشرقاوى - طبع ونشر الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد - الرياض - المملكة العربية السعودية ١٤٠٧هـ.
(٩، ١٠) إفحام اليهود ١٣٥، ١٤٠.
(١١) هامش إفحام اليهود ١٣٩
(١٢) إفحـام اليهـود ١٣٩ كان بختنصر قتـل يوم فتـح بيت المقـدس الأئمـة الهارونيين الذين كانوا يعرفون التوراة - انظر إفحام اليهود ١٣٨.
(١٣) إفحام اليهود ١٤٠ هامش ١
(١٤) سـورة المائدة ٤٤.
(١٥) ص ٤٨.
(١٦) سـورة آل عمران ١-٤.
(١٧) سـورة الأعلى ١٧-١٩.
(١٨) سـورة الاسراء ٥٥.
(١٩) سـورة المائدة ٤٦.
(٢٠) سـورة يوسـف ٣.
(٢١) سورة الفرقان ١.
(٢٢) سورة سـبأ ٢٨.
(٢٣) سـورة الاعراف ١٥٨.
(٢٤) سـورة الاحزاب ٤٠.

الهوامـــش

(٢٥) سـورة البقرة ١٢٧-١٢٩.
(٢٦) إصـرى: عهدى.
(٢٧) سـورة آل عمران ٨١،
(٢٨) هداية الحيارى ٥١.
(٢٩) سـورة الحجـر ٩.
(٣٠) سـورة الاسراء ٨٨.
(٣١) سـورة الشعراء ١٩٢-١٩٥
(٣٢) سـورة الاسراء ٩.
(٣٣) سـورة طـه ٥٠.
(٣٤) سـورة السجدة ٢٤.
(٣٥) سـورة محمد ١٧.
(٣٦) سـورة التغابن ١١.
(٣٧) سـورة يونس ٩، ١٠.
(٣٨) سـورة العنكبوت ٦٩.
(٣٩) سـورة مريم ٧٦.
(٤٠) سـورة البقرة ٢١٣.
(٤١) سـورة محمد ٤، ٦.
(٤٢) سورة الاعراف ٤٢، ٤٣.
(٤٣) نقلا عن مفردات الراغب الاصفهانى: «هدى» ٥٣٨، ٥٣٩ وقد أكملنا الآيات الكريمات.
(٤٤) سـورة الاسراء ٩، ١٠.
(٤٥) الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لابن تيمية ٩.
(٤٦) الآيـــة ٣.
(٤٧) سـورة النسـاء ١٧٤.
(٤٨) سـورة المائدة ١٥، ١٦.
(٤٩) سورة التوبة ٣٣ وسورة الصف ٩.
(٥٠) سـورة الفتح ٢٨.
(٥١) سورة الانعام ١٢٥-١٢٧
(٥٢) تفسير الطبرى ٨/٢١.
(٥٣) مفردات الراغب الأصفهانى: «حرج» ١١٢.
(٥٤) تفسير ابن كثير ٢/١٧٥ وتفسير الطبرى ٨/٢٢.
(٥٥) انظر هنا تفسير ابن كثير ٢/١٧٥ وتفسير الطبرى ٨/٢٤
(٥٦) سـورة الزمر ٢٣.
(٥٧) سـورة الانسان ٣.
(٥٨) سـورة البلد ٨-١٠.
(٥٩) سـورة الاحقاف ٣٠.
(٦٠) سـورة الجن ١، ٢.
(٦١) سـورة الزخرف ٤٣، ٤٤.
(٦٢) سـورة الانبياء ١٠.
(٦٣) سـورة النور ٥٥.
(٦٤) قيمـا: مسـتقيما.
(٦٥) الآيـات ١٦١ - ١٦٣.
(٦٦) سـورة النمل ٩١-٩٣.
(٦٧) سـورة الشورى ٥٢، ٥٣
(٦٨) سـورة البقرة ١٨٥.
(٦٩) القانع هو الذى يقنع بما يعطى. والمعتر هو الذى يتعرض بالمسألة.
(٧٠) سورة الحج الآيـة ٣٦ و٣٧.
(٧١) سـورة آل عمران ٨.
(٧٢) سـورة العنكبوت ٦٩
(٧٣) سـورة محمد ١٧.
(٧٤) انظر تفسير بن كثير ١/١١.
(٧٥) سـورة الاحزاب ٤٣.
(٧٦) سـورة النساء ٦٩، ٧٠.
(٧٧) تفسير ابن كثير ١/٣٠.
(٧٨) سـورة المجادلة ١٤.
(٧٩) سـورة الكهف ١٧.
(٨٠) سـورة الاعراف ١٨٦.
(٨١) (٨٢)، تفسير ابن كثير ١/٣٠.
(٨٣) انظر الكشاف ١/٧٨ وتفسير ابن كثير ١/٣٨.
(٨٤) انظر إعجاز القرآن للباقلانى ٤٦.
(٨٥) انظر الكشاف ١/٧٩.
(٨٦) انظر هنا إعجاز القرآن للباقلانى ١١٨.
(٨٧) صحيح البخارى ١/٢٠.
(٨٨) سـورة محمد ١٧.
(٨٩) سـورة النحل ٩٧.

(*) والحرج جمع حرجة وهى مجتمع شجر ويقال فى الجمع حرجات، ويقال حراج أيضاً. ومن ذلك الحرج الاثم والحرج الضيق. معجم مقاييس اللغة: حرج ٢/٥٠.



فهرست المصادر والمراجع

● ابن تيمية: (احمد بن عبد الحليم) - الامر بالمعروف والنهى عن المنكر - تحقيق د. صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت لبنان ١٩٧٦م/ ١٣٩٦هـ.

● ابن فارس: (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا) مقاييس اللغة. تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون. الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م حلبى. مصر.

● ابن القيم: (محمد بن أبى بكر) هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى. مكة المكرمة. مؤسسة مكة للطباعة والنشر. من مطبوعات الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ١٣٩٦هـ.

● ابن كثير: (عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن كثير) تفسير القرآن العظيم. دار إحياء التراث العربى بيروت ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م.

● الاصفهانى: (أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى) المفردات فى غريب القرآن. تحقيق محمد سيد الكيلانى، دار المعرفة. بيروت. لبنان بدون تاريخ.

● الباقلانى: (أبو بكر محمد بن الطيب) إعجاز القرآن. تحقيق السيد أحمد صقر. الطبعة الثالثة. ذخائر العرب ١٢ دار المعارف بمصر.

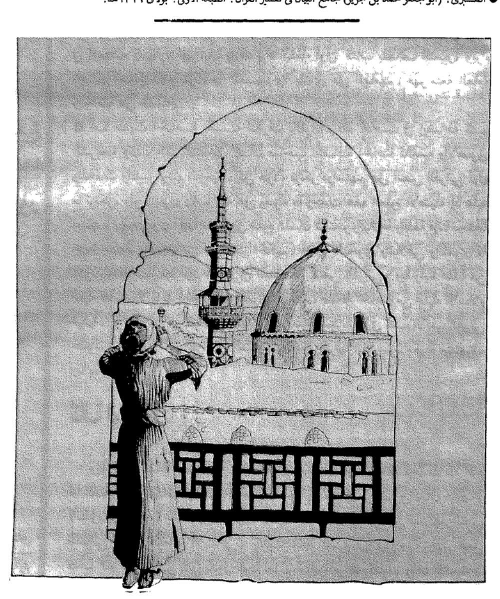
● البخارى: (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم) كتاب الصحيح. كتاب الشعب ١٣٧٨هـ.

● الزمخشرى: (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي) الكشاف مصطفى البابى الحلبى. مصر ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م.

● السموءل: (بن يحيى المغربى) إفحام اليهود. تقديم تحقيق تعليق د. محمد عبد الله الشرقاوى. طبع ونشر الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد. الرياض ١٤٠٧هـ.

● الطبرى: (أبو جعفر محمد بن جرير) جامع البيان فى تفسير القرآن. الطبعة الأولى. بولاق ١٣٢٩هـ.





ثقافة القرآن بين الخاصة والعامة

النبــأ العظــيم

سعدت المكتبة العربية بكتاب (النبأ العظيم) الذى ألفه أستاذنا الكبير المغفور له الدكتور محمد عبد الله دراز، وقد فتح الله عليه فيه بآراء طريفة فى النسق الأسلوبى للقرآن، ومما قاله فى هذا الصدد، «إن كتاب الله قد جمع بين خطاب العامة، وخطاب الخاصة، وهما غايتان متباعدتان، فلو أنك خاطبت الأذكياء بالواضح المكشوف الذى تخاطب به الاغبياء لنزلت بهم الى مستوى لا يرضونه لأنفسهم فى الخطاب، ولو أنك خاطبت العامة باللمحة والاشارة التى تخاطب بها الاذكياء لجئتهم من ذلك بما لا تطيقه عقولهم، ولكن القرآن قد انفرد فى إجادة التخاطب لهؤلاء وأولئك بما يرتضونه فى إعجاب وانبهار، فهو قرآن واحد يراه البلغاء أوفى كتاب بلطائف التعبير، ويراه العـامة أحسن كلام يقرب من أنفسهم ولا يلتوى على أفهامهم، فهو متعة العامة والخاصة على السواء».

■ أمـا حديث الخـاصـة بالنسبـة لتأثرهم بالقرآن، فقد أفاضت فى إيضاحه كتب الشريعـة وكتب اللسـان معـا، إذ أن صاحب الثقـافـة الخاصة كالفقيه والاصولى والمحدث والمفسر وعالم التوحيد، كل هؤلاء ترتكز دراستهم على النص القرآنى أول ما ترتكز، ولو لم ينزل كتاب الله على رسوله ما وجدت هذه العلوم الأصيلة إذ عليه تعتمد، وإليه تؤول، فإذا انتقلنا إلى علوم اللسان كالنحو والبلاغة واللغة فإننا نجدها جميعا تستمد مقوماتها من آى الذكر الحكيم، فثقافة النحوى والبلاغى واللغوى لا تكون ثقافة صحيحة دون التبحر فى استشفاف النص القرآنى، وما رأينا عالمـاً من علماء اللسان لا يؤيد آراءه بالنص القرآنى المجيد، فثقافة الخاصة من علماء الاسلام قرآنية، لا تنصرف عن النص إلا لتعود إليه معتزة مستندة، وفى كتب الأدب العربى فصول شافية عن تأثير القرآن فى العلوم المختلفة، يعرفها الدارسون معرفة مشتهرة، وما بنا أن نزيد.

ثقافة العامة بحاجة إلى من يشير إليها فى مقال هادف.



ثقافــة العامــة:

وإذا كانت ثقافة الخاصة ممن نهلوا القرآن، واستضاءوا بنوره قد وجدت من أفرد لها الصفحات الضافية فإن ثقافة العامة بحاجة إلى من يشير إليها فى تعال هادف، لأننا فى هذا الجيل، بالنظر إلى الأجيال السابقة قد أخذنا نعرض عن استظهار النص القـرآنى فى دور التعليم الابتدائى، وكانت ثقافة المسلم فيما قبل هذا الجيل تجعل كتاب الله المادة الأولى التى يدور حولها تعليم الناشئة قراءة وكتابة، وكان التلميذ لا

د. محمد رجب البيومى
كلية اللغة العربية - المنصورة - جامعة الأزهر

يذهب إلى المدارس المصرية (ومثلها أكثر المدارس فى بلاد الاسلام) إلا اذا تعلم القراءة والكتابة فى ضوء ما يحفظ من كتاب الله، إذ عليه أن يكتب سطورا من القرآن كل يوم فى لوح خشبى أو إردوازى ليحفظها حفظا مبتدئا بسورة الحمد فالناس حتى ينتهى بآخر سورة البقرة، فإذا انتهت دراسته بالمرحلة الأولى من المدارس، ابتدائية أو إلزامية أو أولية كما كانت تسمى حين ذاك، فقد خرج حافظاً واعيا للقرآن ليلتحق بمدارس المعلمين أو بمعاهد الازهر، وكلها كانت لا تقبل من الطلاب غير من حفظ كتاب الله! وأقول كانت! آسفا، لأن التساهل قد تطرق إلى القائمين على أمور التعليم، فاكتفوا ببعض القرآن عن بعض، ولا تزال الصيحات الناقدة تدعو إلى الرجوع إلى استظهار جميع الأجزاء، ولنا أمل أن تصحح الأوضاع.

وإذا كنا نلمس القوة فى أسلوب من تخرجوا من قبل، بعد أن حفظوا كتاب الله، بالقياس إلى ركاكة التعبير لدى متخرجى اليوم، فإن غياب النص القرآنى عن ذاكرة هؤلاء كان سبيلهم الى الركاكة الهابطة، وقد تجد حامل الليسانس أو البكالوريوس لا يحسن التعبير الصحيح، لأن لسانه لم يعتمد نصاعة البيان القرآن، فارتضخ العامية الهابطة، ومال إلى الاقتضاب المخل، بدافع من العى المقيت.

ثقافة المستظهر:

هذا أثر واحد من آثار الالتزام بتحفيظ آيات القرآن الكريم، إذ يورث قارئه ثقافة فكرية ترتفع بمستواه على نحو كريم، ولست أريد هنا بثقافة القرآن ما يلم به الدارس المتخصص من مؤلفات علمية تدور حول كتاب الله من التفسير ومعرفة أسباب النزول وتعدد القراءات ثم ما يتفرع عن ذلك من مسائل الفقه والتشريع والحديث، وأوجه البلاغة فى الاعجاز، وإعراب الدقائق فى النحو واستنباط الكليات فى الأصول، فتلك ثقافة متخصصة لها رجالها العاملون، ومعاهدها الجادة، وهى بإذن الله مستمرة باقية، إذ أنى أريد فى نطاق هذا المقال أن أتحدث عن أناس كثيرين أعرفهم حق المعرفة لم يأخذوا أنفسهم بدراسة دينية فى معهد، أو يقرأوا كتبا علمية على أستاذ، بل كان جهدهم الثقافى وحده هو حفظ القرآن فى دور الطفولة والمراهقة بمكاتب الريف، دون أن يجدوا الأسباب لفهم أسراره وشرح معانيه، وإنما كان مقرىء القرية هو المعلم وحده، وهو كما نعلم لا يستطيع شرحاً لما دق، أو إيضاحا لما غمض، وأنى! وهو حافظ مرتل، لا دارس متأمل.

هؤلاء هم الذين أعنيهم بالحديث، فقد اتضح لى بمعاشرتهم الطويلة، ومشافهتهم المباشرة، أن مجرد حفظ القرآن حتى بدون شرح قد جعلهم على نصيب طيب من الثقافة الاسلامية فدفعهم الى قراءة ما يقدرون على فهمه من كتب التفسير والحديث، فاستطاعوا بذلك أن يردوا مناهل الحق بأنفسهم، وأن يقفوا فى بعض الأحيان على ما قد يفوت الدارس فى المعاهد.

في كتب الادب العربي فصول شافية عن تأثير القرآن الكريم في العلوم المختلفة.

أساتذة أنفسهم:

إن المسلم منهم يحفظ كتاب الله من ألفه إلى يائه، حفظاً يستشعر به شموخاً فى نفسه، ونورا فى قلبه، وانشراحاً فى صدره، إذ يلم بداهة بقصص القرآن المتكررة فى كتاب الله، ويعرف أصولا عن العبادات والمعاملات فى الاسلام، كما تمده آيات الاخلاق فى القرآن بنمط من السلوك الاسلامى الهادف، فيتطلع فى شوق إلى إدراك ما يهدف إليه النص الكريم، ويعمل تلقائيا على الاتصال برجال العلم من أئمة المساجد ووعاظها ومدرسى التربية الدينية فى القرية أو المدينة،

ويشعر فى أعماقه أنه قريب من هؤلاء إذ يحفظ القرآن كما يحفظون ، ولئن فاته استيضاح أكثر معانيه فهو بسبيله إلى أن يستوضح .

ولن يقول أحد إن أسلوب القرآن ببيانه العالى يقف ارتفاع أسلوبه حائلا دون أن يمد هذه العقول الناشئة ببعض الشعاع ، إذ أن من آثار رحمة الله على قارىء القرآن الكريم ، أياًّ كان مستواه الذهنى أنه يمده بنور هدايته ، فهو يجد الشفاء فيه لقلبه ، ويحس من إيحائه الصادق معانى إن ضاق بها تعبيره اللفظى فإنها تملأ كيانه الانسانى ، وتورثه طمأنينة نفسية إذا كان ممن يتجه بعمله إلى الخير، كما تعذب ضميره إذا قارف الشر، ومع ذلك فحفظه لكتاب الله يمده بثقة عالية لأنه يحفظ أصدق كتاب فى الوجود كله ، وأى شعور أسمى من صاحب هذا الشعور.

خـبرات واقعيـة :

نعهـد من معارفنا أناساً يحفظون كتاب الله ، ولم تهيىء لهم ظروفهم أن يلتحقوا بمدرسة تعليمية ولكنهم ائتنسوا بكتاب الله ، وأحسوا بما يكن من ثروة روحية لا تقف عند حد ، فأخذوا يحرصون على مجالسة أهل العلم ثم ارتقوا إلى مطالعة كتب السيرة والتفسير والحديث ، يفهمون شيئا ويغمض عليهم شيء ، ولكن القارىء منهم يكسب كثيرا بما يفهم ، ويسأل أهل العلم عما لا يفهم ، ثم يدفعـه طمـوحـه الـدينى الى الاشـتراك فى المجلات الدينية والحرص على سماع الاحاديث العلمية بالمذياع ، وتمر الأيام فإذا حافظ القرآن دارس قارىء ، وإذا الدارس عالم صغير وقد يصير إماما يعظ ويخطب ويشرح الدرس فى مجالس رمضان كل عام .

■ لقد ظل الاستاذ الشيخ أحمد محمد البيومى يخطب الناس بمسجد بلدته أربعين عاما وهو فى كل خطبة يبتكر ويجدد ، ويفيض فى الشرح ملما بأحداث الساعة ، ومحللا دقائق الأمور فى ضوء ما يسرد من الآيات والأحاديث ، وقد انتفعت به وزارة الاوقاف إذ أقامته هذا المقام الكريم ، حتى إذا بلغ السن القانونية للمعاش ، أقام له ذوو الفضل حفل تكريم إسلامى جزاء لما قدم ، وهو بعد رجل حفظ القرآن صغيرا ، ثم صار أستاذ نفسه يقرأ ويسأل ويناقش حتى استوى خطيباً أمينا وتسأل عن سر هذا الاجتهاد فتجده فى حفظ كتاب الله ، إذ أثار فيه ثائرة الشوق لاكتناه ما يضم من عبر وأحكام وقصص ومواعظ ، وكم مثله فى العالم الاسلامى من أناس كرمهم القرآن ، ورفع مكانتهم ، إذ أقبلوا على دراسته مخلصين مشوقين .

ثقافة القرآن الكريم ذات نفع مؤكد للعامة والخاصة معا .

بين الماضـي والحاضـر :

لقد مضى الوقت الذى كانت فيه كتب التفسير القرآنى بوجه خاص ، وكتب الثقافة الدينية بوجه عام أقرب ما تكون إلى الأحاجى والألغاز، فهناك متن غامض ، ووراء شرح يقف عند حدود اللفظ ومن بعدهما حاشية تعترض على الشرح ، ثم تقرير يحاول التوفيق بين رأى ورأى ، وجوهر الموضوع من وراء ذلك كله مظلم لا ينير، ولكن تقدم التأليف المعاصر قد ساعد على سلوك نهج آخر فى التأليف الدينى ، وأظن من يحفظون كتاب الله جميعا لا يعجزون عن قراءة شرح كشرح الاستاذ العلامة محمد فريد وجدى فى كتابه (المصحف المفسر) حيث نأى بتفسيره السهل عن كل مصطلح علمى ، أو خلاف جدلى ، وله فى ذلك نظراء بذلوا جهدهم فى التفسير المبسط ، على نحو ما أشرنا إليهم فى كتابنا (التفسير القرآنى) مادحين شاكرين .

■ إن ثقافة القرآن ذات نفع مؤكد للعامة والخاصة معا ، ونفعها للخاصة مما لا شك فيه فلم نطل

القول فى تأكيدها، ولكن جمهرة القارئين من العامة فى حاجة إلى التوجيه القرآنى المؤكد، لأن انتشار وسائل الاعلام الهابطة من صحافة صاخبة، وإذاعة لا تراعى حرمة الحق فى تقديم الصالح دون الطالح، وشرائط تسجل ما يخجل من الاغانى والقصص والافلام، كل ذلك قد زاحم أهل الجد فى جدهم، وأكبر ما نشكو منه انجذاب الناشئة إلى هذا اللهو العابث، ولا منقذ منه غير العمل الجاد على إذاعة الثقافة القرآنية، وأول خطوة من خطواتها حفظ كتاب الله، وإذاعة الشرح المبسط فى فترات مناسبة، وقد أنشأ القرآن الكريم أول جيل إسلامى حمل الدعوة إلى العالم أجمعه فنقل الناس من الظلمات إلى النور، وهو بلا شك صالح كل الصلاحية لأن يؤدى دوره من جديد، لأن ظلام الأرض يتطلب نور السماء.

بسم الله الرحمن الرحيم

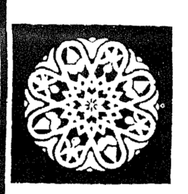
لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا



الرسالة والقرآن الكريم
في مرآة أساطين الشرق والغرب

لقد كتب مسيحيو الشرق وأساطين الغرب كتبا كثيرة، ومراجع لا حصر لها، ومقالات وبحوثاً متنوعة، وموسوعات علمية فى شتى الميادين عن الاسلام ونظمه وتنظيماته، وعباداته وشعائره، والدارس لهذه الاسفار يجد التحريف المتعمد للحقائق التاريخية الثابتة، والتزييف الخبيث للنصوص القرآنية والسنة المحمدية المطهرة. غير أن بعضهم قد انصرف بكلياته نحو دراسة التراث العربى الاسلامى بروح علمية مجردة عن هوى النفس، فأنصفوا الاسلام والحضارة الاسلامية إنصافاً لا تشوبه شائبة، وكان الحق ـ فيما نظن ـ نبراساً يضيىء لهم الطريق.

وفى هذا المقال نود أن نعرض للقارىء الكريم ما كتبه بعض جهابذة الشرق والغرب عن الاسلام ونبيه الكريم وكتابه المقدس فى نصه ومتنه وعظمته، وفيما جمع بين طياته من معارف دينية وأخلاقية تسمو بها النفوس، وما جاء به من عقائد وتشريعات وأحكام إلهية الى البشرية جمعاء، وها هو ذا الكاتب المسيحى الشرقى المرموق نصرى سلهب فى كتابه «فى خطى محمد» يقول: «من هذا القديم حسبنا أن نشير إلى ما يردد كأنه حقيقة راهنة: وهو أن الدين الاسلامى فرض بحد السيف، وأن البشر لم يقبلوا على اعتناقه الا مكرهين، وليس خفياً على أحد ما ينطوى عليه هذا الرأى من سوء القصد، ومن دس خطير، وأخطر ما فيه أن الزمن جعله يتأصل فى بعض النفوس ويتغلغل، كل ذلك بتأثير من الغرب الطامع فى هذا الشرق، عبر مسيحييه»[1]. ثم يضيف الكاتب قوله: «واذا كان الغرب المسيحى يصر على رفض الاسلام وعلى عدم الايمان بنزوله من لدن الله، عز وجل، فذلك شأنه، ولكننا نحن، مسيحيى الشرق، ينبغى أن يكون لنا موقف آخر، تمليه علينا روحانية الشرق وسماحه وكونه مهبط الوحى لجميع الديانات السماوية»[2].



وفى مقام آخر من مدخل كتابه هذا، يقول الكاتب: «والقرآن معين روحى وخلقى لا ينضب، ومن يرده فلن يعرف العطش الى روحه سبيلا، فإلى وروده أدعو قارئى لأنه كلام الله، ومن كان كلام الله زاده فى الحياة والمعاد، فلن تكون نهاية مطافه إلا ملكوت السماء»[3].



■ وإليك أيها القارىء الكريم ما قاله الفيلسوف الهندى المهاتما غاندى: «لقد أردت معرفة تلك الحياة الفضلى لمن يأسر ويهيمن ويؤثر بصورة لا جدال فيها على قلوب ملايين البشر، وقد ازددت اقتناعا بأن السيف وحده لم يكن ليكسب الاسلام مكانة فى نظام الحياة السائدة فى تلك الأيام السوالف. إنها البساطة المتناهية والتواضع المطلق للنبى محمد «ﷺ»، ووفاؤه التام لعهوده، وإخلاصه القوى لأصحابه وأتباعه، وإقدامه وجرأته، وشجاعته، وإيمانه الكامل بالله وبرسالته، هذه الصفات

د. عبيد خيرى
قسم اللغات الاجنبية كلية التربية بالمدينة المنورة
جامعة الملك عبد العزيز

ـ وليس السيف ـ هى التى حلت كل المشاكل أمامهم ومكنتهم من التغلب على العقبات»[٤].

■ ويقول الكاتب الانجليزى الشهير جورج برنارد شو عن الاسلام وعن نبيه الكريم: «إننى أحمل لدين محمد ﴿ﷺ﴾ دائما تقديراً كبيراً وذلك نسبة لحيويته الرائعة، إنه الدين الوحيد الذى يملك القدرة الاستيعابية على قبول المتغيرات فى الحياة، وبذلك أصبح صالحاً لكل زمان، لقد تنبأت بأن عقيدة محمد ﴿ﷺ﴾ ستكون مقبولة لدى أوربا مستقبلا، وقد ظهرت دلائل ذلك بالفعل فى الوقت الحاضر، أما قساوسة القرون الوسطى، فقد أضفوا ألواناً داكنة على المحمدية إما تعصبا وإما جهلا، وهم فى الحقيقة قد دربوا على كراهية كل من شخص محمد ﴿ﷺ﴾ ودينه، لأنهم يعتقدون بأنه ضد المسيح، لقد درست هذا الرجل الرائع، وفى اعتقادى أنه أبعد من أن يكون ضد المسيح، وعليه يجب أن يدعى منقذ البشرية، وأعتقد أنه إذا قدر لرجل مثله أن يتولى الحكم المطلق للعالم الحديث لنجح فى حل المشاكل بطريقة تجعل العالم يعيش فى سلام وسعادة. لقد بدأت أوربا تعجب بعقيدة محمد ﴿ﷺ﴾ وفى القرن التالى قد تذهب إلى أبعد من ذلك بمعرفة قدرة تلك العقيدة على حل مشاكلها القائمة، وفى هذا السياق عليكم أن تدركوا ما قد تنبأت به»[٥].

■ ومن أقوال نابليون بونابرت عن الرسول الكريم ما نصه: «لقد بين سيدنا موسى عليه السلام لأمته وجود الله سبحانه وتعالى، كذلك فعل سيدنا عيسى عليه السلام للأمة الرومانية، ومحمد ﴿ﷺ﴾ إلى العالم أجمعه كان العرب وثنيين يعبدون الأصنام.. عندما أعلن محمد ﴿ﷺ﴾ عبادة إبراهيم وإسماعيل وموسى وعيسى عليهم السلام لله عز وجل. لقد أوضح محمد ﴿ﷺ﴾ أنه لا إله إلا الله وحده، ليس له والد ولا ولد، وأن الثالوث هو الذى نقل فكرة الوثنية.. إننى أتمنى أن يأتى الوقت الذى أستطيع فيه توحيد كل الحكماء والمتعلمين فى كل الاقطار، وأن أقوم بتأسيس نظام حكم موحد مبنى على مبادىء القرآن الكريم التى هى مبادىء الحق، وهى المبادىء الوحيدة التى تقود البشرية إلى السعادة الأبدية»[٦].

وحقا قد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم، كما كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة، وفى هذا يقول الخالق سبحانه وتعالى: **﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾**[٧].

ويقول السير وليم ميور: «ليس هناك ما يمكن قوله سوى أن الاسلام قد نجح ـ بنقاء توحيده وقانونه الذى أسس على العدل والانسانية ـ فى إنقاذ البشرية مما سقطت فيه من براثن الوثنية وعبادة الأصنام»[٨].

ليس هناك ما يمكن قوله سوى أن الاسلام قد نجح بنقاء توحيده وقانونه الذى أسس على العدل والانسانية

(السيروليم ميور)

ويصف ميجر آرثر ليونارد الرسول الكريم بأنه: «الرجل الذى بنى أمة عظيمة ودولة كبرى وأكثر من ذلك فهو أكثر الناس إخلاصاً لأنه كان صادقاً مع نفسه ومع قومه، وفوق هذا وذاك مع ربه... فالاسلام عقيدة عميقة تسعى لرفع الروح المعنوية للمسلمين والنهوض بهم من غياهب ظلمات البشرية إلى دنيا النور والحقيقة المثلى»[٩].

ويصيب مفكر مسيحي مرموق كبد الحقيقة عندما يكتب عن النبى ﴿ﷺ﴾ فيقول: «لا يملك أى شخص يدرس حياة وشخصية النبى الكريم لا يملك إلا المهابة والاجلال والتبجيل لذلك النبى العظيم، أحد رسل رب العزة والجلال، ورغم ما سأورده فى أشياء كثيرة قد تكون مألوفة للكثيرين إلا أننى شخصيا أشعر عند إعادة قراءتها بموجة جديدة من الاعجاب وشعور متجدد بالتوقير والاجلال لهذا النبى العظيم»[١٠].

■ ويقول الكسندر رسل وب: «عندما بلغت سن العشرين وأصبحت عملياً سيد نفسى تعبت

من رتابة وقيود الكنيسة فتركتها إلى غير رجعة . لحسن الحظ وبايحاء فطرى كنت أبحث عن تفسير لكل الظواهر، وقد وجدت أنه ليس بمقدور الرجل العادى أو القسيس أن يعطينى تفسيراً منطقياً لهذه العقيدة . وقد أخبرنى كلاهما أن مثل هذه أشياء غامضة أو هى أشياء فوق مستوى إدراكى . إن جوهر الايمان الحقيقى بالاسلام هو الاذعان الكامل لإرادة الله عز وجل وحجر الزاوية فى ذلك هو الصلاة . إن الاسلام يعلم الاخاء والحب والعطف الكامل ، ويتطلب نقاء العقل والفعل ، نقاء الحديث وطهارة الجسد ، إنه بلا شك أبسط أنواع الاديان التى عرفها الانسان وأكثرها إعلاء من شأنه»[11] .

■ أما السير عبد الله آرشيبولد هاملتون فيقول: «لقد أعجبت بالحسن والنقاء السهل للإسلام منذ بلوغى سن الرشد . إننى لم أولد قط لأكون مسيحياً أعتقد فى مظاهر الكنيسة التعسفية وأنا الذى أضع دائمـاً الادراك والعقل فوق الايمان الأعمى . وبمرور الوقت أردت أن أكون فى وئام مع خالقى ، ووجدت أنه لا الكنيسة الرومانية أو الانجليزية يمكن أن تنفعنى فى شىء . باعتناقى دين الاسـلام فإننى قد أطعت ما يمليه على الضمـير، وعندها شعرت بأننى الرجل الأفضل والحقيقى . إن الاسلام يعلم الطهارة المتأصلة والكامنة فى الانسان ويعلم أن الرجل والمرأة من جوهـر واحـد ، يملكـان نفس الـروح ومـزودان بمقـدرات متساوية للانجاز العقلى والروحى والاخلاقى ، يعلمنا أن السيد والعبد ، الغنى والفقير، جميعهم سواسية . فى الختام أريد أن أقول بأنه فى حين أن الاسلام يرشد البشرية جمعاء فى الحياة اليومية العادية ، نجد أن ما يدعى بالمسيحية فى الوقت الحاضر تعلم أتباعها فيما يبدو بطريقة غير مباشرة نظرياً ، ودائمـاً عملياً أن يعبدوا الله فى أيام الآحاد وأن يفترسوا مخلوقاته فى بقية أيام الأسبوع»[12] .

■ وعن القرآن الكريم كتب جيمس أ . متشنر يقول : «إن القرآن الكريم أكثر الكتب المقروءة فى العالم ، وبالتأكيد فهو أسهل الكتب التى يمكن استظهارها ، ويمكن أن يكون أكثر تأثيرا على الحياة اليومية للذين يدينون به . وعلى خلاف «العهد الجديد» فقد كتب بأسلوب رفيع ، إنه ليس شعراً ولا نثراً عادياً ، وهو قادر على إثارة مستمعيه لنشوة الايمان . إن رابطة الاخلاص لله وحده إضافة لتعاليمه العملية جعلت القرآن الكريم نسيج وحده»[13] .

■ ويقول هـ . أ . ر . جب : «حسناً ، إذا كان القرآن الكريم من إنشاء محمد ﴿ﷺ﴾ فباستطاعة الآخرين مناظرته ، فليأتوا بعشر آيات من مثله ، وإذا لم يستطيعوا ، ولن يستطيعوا فليتقبلوا القرآن كإعجاز برهانى ساطع ومميز»[14] .

■ وهنا إشارة واضحة لقوله تعالى فى محكم تنزيله : **﴿وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين﴾**[15] ، وليس بعيداً أن الكاتب قد قرأ الآيتين الكريمتين وعبر عن مضمونهما بكلماته فى النص السابق .

ويضيف جون نايش قوله : «إن للقرآن الكريم فى ثوبه العربى الأصيل جمالا فاتنا وسحرا خاصا يميزه ، فهو ذو صياغة موجزة ، ويتميز بأسلوبه الرفيع وجمله المختصرة والمفعمة بالمعانى ، مقفى أحياناً ، ويطرح قوة متفجرة مما يجعل من العسير بل من المستحيل نقل سحره هذا عن طريق الترجمة الحرفية»[16] .

ومن جهة أخرى فإن ف . ف . أربوثنوت يقرر : «أن القرآن الكريم من الوجهة الأدبية يعد مثالا رائعاً يحتذى للبلاغة العربية . . ورغم أن محاولات عديدة قد جرت لمناظرته وتقليده بتحرير عمل مساو له بل وقريب منه إلا أن أياً منها لم يحالفه التوفيق»[17] .

■ ويجزم عالم مسيحى آخر: «أن القرآن الكريم وحى من عند الله أبلغه لنبيه الكريم عن طريق

إننى أتمنى أن أقوم بتأسيس نظام حكم موحد مبنى على مبادىء القرآن الكريم التى هى مبادىء الحق

(نابليون بونابرت)

جبريل عليه السلام وكان كاملا فى كل حرف منه، وهو المعجزة الباقية الخالدة دوماً. ويكمن إعجازه فى أسلوبه وهو من الاعجاز بحيث لم يستطع الجن والانس الاتيان بآية من مثله تتميز بالايجاز المتناهى وما يحتويه من تعاليم ونبوءات إضافة الى المعلومات الدقيقة الموثقة بحيث لا يستطيع محمد الأمى جمعها وتأليفها وسبكها من تلقاء نفسه»[١٨].

وفى رأى يول كازانوفا: «كلما طلب إلى رسول الله محمد ﴿ﷺ﴾ إبراز معجزة كدليل على مصداقية رسالته قدم نصوصاً قرآنية بجودتها التى لا تضاهى كدليل على أنها ذات منشأ إلهى، وحتى بالنسبة لغير المسلمين فإن لغة القرآن الكريم مدهشة،وبديعة وأخاذة»[١٩].

■ ويقرر ج. و. لوفجروف بوضوح لا لبس فيه ولا غموض بأن: «كتاب الاسلام ـ القرآن الكريم ـ مازال إلى يومنا هذا كما هو فى عهد النبى الكريم لم يعتوره أى تغيير. لقد وصلتنا أفعال الرسول ﴿ﷺ﴾ وأقواله التى فسر بها مختلف مبادىء الكتاب الكريم فى صورتها النقية. لقد وجدت فيها العزاء الذى بحثت عنه فى كل مكان دون جدوى. كنت أبحث عن دين سهل وعملى خال من التعصبات والمعتقدات التى لا أستطيع قبولها دون التخلى عن العقل والمنطق»[٢٠]

■ هذه نظرة سريعة فى كتابات بعض أساطين الشرق والغرب، فيها اعتراف بالحق وتعريف بالحقيقة، وأن القرآن الكريم جاء من الله رسالة إلهية إلى البشرية جمعاء، وأن الله سبحانه وتعالى كلف رسوله الكريم بتبليغ هذا الوحى إلى كافة الناس، فقال سبحانه وتعالى فى محكم تنزيله: «تبارك الذى نزل الفرقان على عبده، ليكون للعالمين نذيرا»[٢١].

ونحن بدورنا نبارك لهؤلاء الكتاب هذا السعى الموفق بمشيئة الله على طريق الكلمة الطيبة الخيرة، والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل، وآخر دعوانا: أن الحمد لله رب العالمين.



الهـــوامش

(١) نصرى سلهب: فى خطى محمد (بيروت، لبنان: دار الكتاب العربى ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م) ص١٨.
(٢) المرجع السابق: ص٣١.
(٣) المرجع السابق: ص٣١.
(4) Quoted by Afzalur Rahman, Encyclopaedia of. Seerah, Vol. 1, (London: The Muslim. Schools Trust, 1981) P. 187. (N.B. All citations From this book are translated into Arabic by the writer of this article).
(5) Ibid., P. 187.
(6) Ibid., p. 187.
(٧) سورة التوبة: الآية ٣٠
(8) Afzalur Rahman, p. 187.
(9) Ibid., p. 185.
(10) Ibid., p. 183.
(11) Ibid., p. 190.
(12) Ibid., p. 190.
(13) Ibid., p. 181.
(14) Ibid., p. 181.
(١٥) سورة البقرة: الايتان ٢٣، ٢٤
(16) Afzalur Rahman, pp. 181.182
(17) Ibid., p. 181.
(18) Ibid., p. 181.
(19) Ibid., p. 181.
(20) Ibid., p. 191.
(٢١) سورة الفرقان: الآية١

الرسول ﷺ في القرآن الكريم

الايمان بالرسول ﴿ﷺ﴾ صنو الايمان بالله، قال جل شأنه: ﴿ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا﴾(١).

القرآن يقر نبوة محمد ﴿ﷺ﴾:

يفيد المسلم أن يعرف أسلوب القرآن في تقرير نبوة محمد ﴿ﷺ﴾، وهذا الموضوع وهو من أدلة نبوته صلى الله عليه وسلم عنوان ألف فيه عدد من العلماء كتباً جيدة حتى غدت هناك مكتبة يمكن أن ندعوها بـ(دلائل النبوة) وقد استمر التأليف في هذا الموضوع عبر العصور، وقصر عصرنا في متابعة التأليف في هذا فالكتب الحديثة التى تتعرض لاثبات دلائل النبوة قليلة(٢) مع أن دلائل عدة ظهرت في زماننا تثبت نبوة رسول الله محمد ﴿ﷺ﴾، وهي جديرة بالجمع والتصنيف(٣).

■ ومما يتصل بهذا الموضوع الكتب المؤلفة في إعجاز القرآن، قال عبد الرحمن بن ناصر السعدي: (هذا الأصل الكبير قدره الله في كتابه بالطرق المتنوعة التي يعرف بها كمال صدقه صلى الله عليه وسلم فأخبر أنه صدق المرسلين: ودعا إلى ما دعوا إليه، وأن جميع المحاسن التي في الأنبياء في نبينا محمد ﴿ﷺ﴾، وما نزهوا عنه من النقائص والعيوب فرسولنا محمد أولاهم وأحقهم بهذا التنزيه، وأن شريعته مهيمنة على جميع الشرائع وكتابه مهيمن على كل الكتب، فجميع محاسن الأديان والكتب قد جمعها الله في هذا الكتاب وهذا الدين، وفاق عليها بمحاسن وأوصاف لم توجد في غيره(٤). وقرر نبوته بأنه أمي لا يقرأ ولا يكتب، ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون﴾(٥)، ولا جالس أحداً من أهل العلم بالكتب السابقة، بل لم يفجأ الناس إلا وقد جاءهم بهذا الكتاب الذي لو اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثله ما أتوا ولا قدروا، ولا هو في استطاعتهم، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، وأنه محال مع هذا أن يكون من تلقاء نفسه، أو أن يكون تقوله عن ربه(٦).

■ وقرر القرآن الكريم نبوة محمد ﴿ﷺ﴾ بأنه يخبر بقصص الأنبياء السابقين مطولة على الوجه الواقع الذي لا يستريب فيه أحد ثم يخبر تعالى أنه ليس هناك طريق ولا وصول إلى هذا إلا بما آتاه الله من الوحي، كمثل قوله تعالى في قصة مريم: ﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون﴾(٧). وقوله تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين ولكنا أنشأنا قرونا

الرسول صلى الله عليه وسلم، الهادي إلى سواء السبيل، والداعى الى صراط الله العلي القدير. جاءنا بالمحجة البيضاء ليلها كنهارها من تمسك بها أعزه الله ومن حاد عنها أضله الله.. هذا الرسول الكريم، لقد جاهد في الله خير جهاده حتى وصلت إلينا شريعة السماء بيضاء ناصعة، مضيئة نيرة.



د. عمر يوسف حمزة
كلية الشريعة والدراسات الاسلامية (جامعة قطر)

فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين، وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما آتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون﴾(٨).

● وقوله تعالى فى قصة يوسف عليه السلام: **﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون، وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وما تسئلهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين﴾**(٩)

● وقوله تعالى بعد أن أورد قصة نوح عليه السلام: **﴿تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين﴾**(١٠).

■ وهكذا فقد أخبر القرآن عن الامم السابقة وأورد قصصهم مفصلة وذلك كإخباره عن نوح وعاد وثمود وفرعون ﴿كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا﴾(١١)، وقوله تعالى: ﴿ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد﴾(١٢)، بل في قصصه تصحيح للأخبار والحوادث التي وردت مشوهة محرفة في كتب أهل الكتاب بسبب تبديلهم وتغييرهم علي نحو ما يقرأ من قوله سبحانه: **﴿وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن. وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما﴾**(١٣).

■ ولقد كان من أهم أغراض القصة في القرآن الكريم إثبات الوحي والرسالة - ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن كاتبا ولا قارئا ولا عرف عن أنه كان يجلس إلى أحبار اليهود والنصارى، ثم جاءت هذه القصص في القرآن كقصة يوسف وموسى وعيسى - عليهم السلام - فورودها في القرآن اتخذ دليلا على وحي يوحى. جاء في أول سورة يوسف: **﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون، نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغفلين﴾**(١٤).

إعجاز القرآن كما يدل عليه لفظه وتاريخه.. دليل النبى صلى الله عليه وسلم على صدق نبوته..

وفى سورة القصص قوله تعالى: **﴿نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون﴾**(١٥)، وجاء فى سورة آل عمران قوله تعالى: **﴿وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون﴾**(١٦).

وكذلك ما ورد في القرآن مقررا لنبوة محمد ﴿ﷺ﴾ ما جاء بشأن ولادة موسى وعيسى عليهما السلام، كل ذلك لم يعرفه أهل الكتاب علي حقيقته إلا بعد نزوله في القرآن.. فكان ذلك من أكبر الأدلة على أنه رسول الله حقا ومن الأدلة التى ذكرها القرآن في تأييد نبوة محمد ﴿ﷺ﴾ وصفه بالصفات الكريمة التى لا تجتمع في غيره من البشر، فقد أدبه ربه وكمله من أوصاف الكمال، وتحلى بالأخلاق العظيمة من الصدق والأمانة والوفاء، والكرم والنبل وغيرها من المثل العليا والصفات السامية(١٧).

● يقول تعالى فى وصفه: **﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾**(١٨).

● ويقول تعالى فى الاشادة بالقيادة الحكيمة، لرسول الله ﴿ﷺ﴾ مع مخالفة بعض الصحابة لأوامره عليه الصلاة والسلام في غزوة أحد(١٩) **﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين﴾**(٢٠)، فقد وسعهم عليه الصلاة والسلام بخلقه الكريم وقلبه الرحيم، ولم يخاطبهم بالغلظة والشدة وإنما خاطبهم باللطف واللين، ولذلك اجتمعت القلوب حول

دعوته، وتوحدت تحت قيادته(٢١).

كما جاءت آيات أخرى تتحدث عن المنة العظمى ببعثة الرسول الرحيم، والقائد الحكيم يقول تعالي: ﴿**لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين**﴾(٢٢).

■ قال ابن كثير في معنى الآية: (٢٣) لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من جنسهم ليتمكنوا من مخاطبته، وسؤاله ومجالسته، والانتفاع به، فهذا أبلغ في الامتحان أن يكون الرسول إليهم منهم، بحيث يمكنهم مخاطبته، ومراجعته في فهم الكلام عنه، ولهذا قال:

«**يتلو عليهم آياته**»، يعنى القرآن.

«**ويزكيهم**»، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر لتزكو نفوسهم وتطهر من الدنس والخبث الذي كانوا متلبسين به في حال شركهم وجاهليتهم.

«**ويعلمهم الكتاب والحكمة**» القرآن والسنة.

«**وان كانوا من قبل**» هذا الرسول.

«**لفي ضلال مبين**» لفي غى وجهل ظاهر بين لكل أحد.

■ ومن الأدلة التى ذكرها القرآن في إثبات نبوته صلى الله عليه وسلم ما جاء في الكتب التي بين أيدي أهل الكتاب من بشارات هاتيك الكتب وبشارات النبيين السابقين من نحو قوله تعالى: ﴿**وإذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين**﴾(٢٤).

وقد أفاض في بيان هذا الموضوع وتفصيله شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢٥) وفي غيره من الكتب(٢٦).



■ ومن الأدلـة التي ذكـرهـا القـرآن في تقريره نبوته صلى الله عليه وسلم إخباره عن الغيوب المستقبلية، وذلك كإخباره عن انتصار الروم علي الفرس في قوله جل شأنه: ﴿**الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين**﴾(٢٧).

وكإخباره عما سيكون عليه الصحابة ﴿**علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله**﴾(٢٨). وهذه الآية من سورة المزمل تعد من أوائل ما نزل من القرآن بمكة، وكإخباره عن انتصار المسلمين في المستقبل: ﴿**أم يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر**﴾(٢٩).

■ ومن الأدلة التى ذكرها القرآن مما يقرر نبوته صلى الله عليه وسلم ما تضمنه من الاخبار عن السرائر ودخائل النفوس من غير ان يظهر منهم بقول أو فعل، فذلك دليل كبير على صدق نبوته، وعلى أن هذا القرآن من عند الله تعالى. وكذلك كإخباره عن حديث نفس خطر ببالهم فأطلع الله نبيه عليه وأنزل قوله: ﴿**إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون**﴾(٣٠).

● قال جابر بن عبد الله: نحن هم بنو سلمة وبنو حارثة، وما نحب أن لو لم يكن ذلك لقول الله: «**والله وليهما**».

● وقال الحسن: هما طائفتان من الأنصار همتا بذلك، فعصمهما الله(٣١) ومما يقرر نبوة رسول الله ﴿ﷺ﴾ إعجاز القرآن الكريم وقد جلى هذا الموضوع تجليه رائعة الاستاذ محمود شاكر حيث يقول(٣٢) «ولا مناص لمتكلم في إعجاز القرآن من أن يتبين حقيقتين عظيمتين قبل النظر في هذه المسألة، وأن يفصل بينهما فصلا ظاهرا لا يلتبس.. وأن يميز أوضح التمييز بين الوجوه المشتركة التى تكون بينهما:

أولاهما: أن اعجاز القرآن ـ كما يدل عليه لفظه وتاريخه هو دليل النبى ﴿ﷺ﴾ على صدق نبوته، وعلى أنه رسول من الله يوحى اليه هذا القرآن، وأن النبى ﴿ﷺ﴾ كان يعرف «إعجاز القرآن» من الوجه الذى عرفه سائر من آمن به من قومه العرب، وأن التحدي الذى تضمنته آيات من نحو قوله تعالى: **﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وان لا إله إلا هو فهل انتم مسلمون﴾**(٣٣)، وقوله تعالى: **﴿قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾**(٣٤).

إنما هو تحد بلفظ القرآن ونظمه وبيانه لا شيء خارج عن ذلك، فما هو بتحد لاخبار باليقين المكنون ولا بالغيب الذى يأتي تصديقه بعد دهر من تنزيله، ولا بعلم ما لا يدركه علم المخاطبين به من العرب، ولا شيء من المعاني مما لا يتصل بالنظم والبيان.

ثانيتهما: ان إثبات دليل النبوة، وتصديق دليل الوحي، وأن القرآن تنزيل من عند الله كما نزلت التوراة والانجيل والزبور وغيرها من كتب الله سبحانه، لا يكون منها شيء يدل على أن القرآن معجز، ولا أظن أن قائلا يستطيع أن يقول: إن التوراة والانجيل والزبور كتب معجزة بالمعني المعروف فى شأن إعجاز القرآن من أجل أنها كتب منزلة من عند الله، ومن البين أن العرب قد طولبوا بأن يعرفوا دليل نبوة رسول الله، ودليل صدق الوحي الذى يأتيه، بمجرد سماع القرآن نفسه، لا بما يجادلهم به حتى يلزمهم الحجة في توحيد الله، أو تصديق نبوته، ولا بمعجزة كمعجزات إخوانه من الانبياء مما آمن على مثله البشر، وقد بين الله في غير آية من كتابه أن سماع القرآن يقتضيهم إدراك مباينته لكلامهم وأنه ليس من كلام البشر، بل هو كلام رب العالمين، وبهذا جاء الأمر فى قوله تعالى: **﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه﴾**(٣٥)

إثبات الوحى والرسالة من أهم أغراض القصة فى القرآن الكريم.

■ فالقرآن المعجز هو البرهان القاطع على صحة النبوة، أما صحة النبوة فليست برهانا على إعجاز القرآن، والخلط بين هاتين الحقيقتين، وإهمال الفصل بينهما في التطبيق والنظر قد أفضى إلي تخليط شديد فى الدراسة قديما وحديثا، بل أدى هذا الخلط إلى تأخر علم إعجاز القرآن(٣٦)، قال تعالى: **﴿وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه، قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين، أو لم يكفهم أنـا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون﴾**(٣٧)، فأخبر الله سبحانه وتعالى أن القرآن الكريم آية في نفسه دال على صدق محمد ﴿ﷺ﴾، وأنه كاف فى الدلالة قائم مقام معجزات غيره وآيات سواه من الأنبياء(٣٨).

■ وطاعة الرسول من طاعة الله، فقد أوجب القرآن الكريم على المسلمين طاعة الرسول بجوار طاعة الله، قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾**(٣٩) وجعل طاعته طاعة لله تعالى: **﴿من يطع الرسول فقد اطاع الله﴾**(٤٠)، وجعل ثمرة طاعته الاهتداء: **﴿وإن تطيعوه تهتدوا﴾**(٤١)، كما جعل ذلك في اتباعه: **﴿واتبعوه لعلكم تهتدون﴾**(٤٢)، وجعل إتباعه دليلا على محبة الله ومغفرته: **﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾**(٤٣).

● قال ابن كثير: «هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب فى دعواه تلك حتى يتبع الشرع المحمدي في جميع أقواله وافعاله»(٤٤).

وأمر القرآن باتباع النبى ﴿ﷺ﴾ فيما يأمر وينهى: **﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾**(٤٥).

● قال ابن جرير الطبرى: وقوله: «وما آتاكم الرسول فخذوه» يقول تعالى ذكره: وما أعطاكم رسول الله ﴿ﷺ﴾ مما أفاء عليه من أهل القرى فخذوه، (وما نهاكم عنه) من الغلول وغيره من الأمـور (فانتهوا) (٤٦) وقال بنحو هذا ابن القيم فى زاد المسير إلا أنه قال: «وهذا نزل في أمر الفيء، وهو عام في كل ما أمر به، ونهي عنه»(٤٧).

● وقال ابن كثير: «وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» أى مهما أمركم به فافعلوه، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر بخير وإنما ينهى عن شر» ا هـ(٤٨).

● وقال الشوكانى: «والحق أن هذه الآية عامة في كل شيء يأتى به رسول الله ﴿ﷺ﴾ من أمر أو نهي أو قول أو فعل، وإن كان السبب خاصا، فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وكل شيء أتانا به من الشرع، فقد أعطانا إياه، وأوصلنا إليه، قال: «وما أنفع هذه الآية وأكثر فائدتها»(٤٩)، وأمر القرآن بالاستجابة لدعوته صلى الله عليه وسلم، واعتبر ما يدعوهم إليه هو الحياة: **﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾**(٥٠).

وحذر من مخالفة أمره: **﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾**(٥١).

وأوجب الرجوع إليه عند التنازع: **﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾**(٥٢).

ولم يجعل لمؤمن ولا مؤمنة خيارا فى قبول حكمه: **﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا﴾**(٥٣).

وأقسم على نفي الايمان عمن أعرض عن تحكيمه، أو لم يقبل حكمه راضيا مسلما وجعل الرضا بحكم الرسول شرطا في صحة الايمان بالله: **﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾**(٥٤).

وجعل قبول حكمه أو التولي عنه المحك الذي يميز الايمان من النفاق: **﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا، ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين، وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون، وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون، إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون﴾**(٥٥).



■ ورغب القرآن في الاقتداء به صلى الله عليه وسلم: **﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾**(٥٦).

الهوامـــش

(١) سورة النساء آية ١٥٠.

(٢) من ذلك كتابا الشيخ سعد ياسين، والشيخ أبى الحسن الندوى، انظر أصول التفسير د. محمد لطفى الصباغ ص٢٨٥.

(٣) وقد ألف فى هذا الموضوع من السلف، الامام أبو داود سليمان بن الأشعث المتوفى سنة ٢٧٥هـ كتابا عنوانه «دلائل النبوة» ولابن قتيبة عبد الله بن مسلم المتوفى سنة ٢٦٧ كتاب بهذا العنوان، وللقاضى عبد الجبار بن أحمد الهمذانى المتوفى سنة ٤١٥هـ كتاب (تثبيت دلائل النبوة) وهو مطبوع وهناك كتب لغيرهم، انظر: كشف الظنون لحاجى خليفة، وانظر الرسالة المستطرفة ص١٠٥ وفى البداية والنهاية لابن كثير بحث واسع فى دلائل النبوة.

(٤) انظر: المقدمة التى صدر بها الاستاذ المحقق السيد أحمد صقر كتاب «إعجاز القرآن لابى بكر الباقلانى ص٩ فما بعدها، وثلاث رسائل فى إعجاز القرآن ص٢٤، ودلائل الاعجاز ص٤٤-٤٥، وانظر المقدمة التى صدر بها الاستاذ محمود شاكر كتاب «الظاهرة القرآنية» للاستاذ مالك بن نبى رحمه الله، وانظر علوم القرآن للدكتور عدنان محمد زرزور ص٢٢٨ فما بعدها.

(٥) سورة العنكبوت الأيات: ٤٨، ٤٩.

الهـــوامش

(٦) أنظر: المقدمة التى صدر بها الاستاذ محمود شاكر كتاب «الظاهرة القرآنية» وانظر: تفسير التحرير والتنوير، ج٢٠، ص١٠ فما بعدها.
(٧) سورة آل عمران، آية٤٤. - (٨) سورة القصص، آية: ٤٤-٤٦.
(٩) سورة يوسف عليه السلام الآية ١٠٢-١٠٤.
(١٠) سورة هود عليه السلام الآية ٤٩. - (١١) سورة طه: الآية ٩٩.
(١٢) سورة هود، الآية ١٥٧، ١٥٨. - (١٣) سورة النساء. الآية ١٥٧، ١٥٨.
(١٤) سورة يوسف عليه السلام، الآية ٢، ٣. - (١٥) سورة القصص، الآية: ٣.
(١٦) سورة آل عمران، الآية٤٤.
(١٧) انظر: كتاب اخلاق النبى ﴿ﷺ﴾ للحافظ الأصفهانى، ص١٩، ١٨، ٣٠ وانظر: تهذيب سيرة ابن هشام، عبد السلام محمد هارون ص٤٤-٤٩.
(١٨) سورة التوبة، الآية١٢٨.
(١٩) وذلك حينما نزل عدد من الرماة الذين كانوا يرابطون على الجبل ظنا منهم بأن الحرب قد وضعت أوزارها، وراحوا يأخذون مع اصحابهم الغنائم: انظر: طبقات ابن سعد ج٣، ص٨٠، وابن هشام ج١ ص٢٣٣، وصحيح مسلم ج٧، ص١٥٥٠، والبخارى فى كتاب الجهاد ج٥، ص٢٨، وفقه السيرة للبوطى، ص١٧٦.
(٢٠) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.
(٢١) انظر البحر المحيط ٨١/٣ وتفسير أبو السعود ج١، ص٢٨٢ وتفسير القرطبى ٢٤٢/٤.
(٢٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤.
(٢٣) تفسير ابن كثير ج١، ص٤٢٤.
(٢٤) سورة الصف، الآية ٦.
(٢٥) انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج٢، ٢١٣٢، وج٣، ص٣١٢، وج٣، ص٢٩٩.
(٢٦) انظر بحوث فى أصول التفسير، ص٢٨٩.
(٢٧) سورة الروم، أولها الآيات ١، ٢، ٣، ٤.
(٢٨) سورة المزمل، الآية ٢٠. - (٢٩) سورة القمر، الآية ٤٤-٤٥.
(٣٠) سورة آل عمران، الآية ١٢٢.
(٣١) انظر: زاد المسير فى علم التفسير، ج١ ص٤٤٩، وانظر تلخيص البيان ص٢٢ والبحر المحيط ٤٢/٣، وصفوة التفاسير، ج١، ص٢٢٧.
(٣٢) انظر: مقدمة الاستاذ محمود محمد شاكر. لكتاب «الظاهرة القرآنية» للاستاذ مالك بن نبى - رحمه الله -
(٣٣) سورة هود، الآية ١٤. - (٣٤) سورة الاسراء، الآية ١٨٨.
(٣٥) سورة التوبة الآية ٦. - (٣٦) علوم القرآن، د. عدنان محمد زرزور ص٢٢٩.
(٣٧) سورة العنكبوت الآية ٥٠-٥١.
(٣٨) البرهان فى علوم القرآن للزركشى، ج٢، ص٩١ ط عيسى الحلبى.
(٣٩، ٤٠) سورة النساء الآية ٥٩، ٥٨. - (٤١) سور النور الآية ٥٤.
(٤٢) سورة الاعراف الآية ١٥٨. - (٤٣) سورة آل عمران الآية ٥٤.
(٤٤) مختصر تفسير ابن كثير، ج١، ص٢٢٧. - (٤٥) سورة الحشر، الآية ٧.
(٤٦) تفسير ابن جرير الطبرى، ٣٥/٢٨. - (٤٧) زاد المسير فى علم التفسير ٢١١/٨.
(٤٨) تفسير ابن كثير ج٤، ص٣٨٧. - (٤٩) فتح القدير للشوكانى، ج٥، ص١٩٨.
(٥٠) سورة الانفال، الآية ٢٤. - (٥١) سورة النور، الآية ٦٤.
(٥٢) سورة النساء، الآية ٥٩. - (٥٣) سورة الاحزاب، الآية ٣٦.
(٥٤) سورة النساء، الآية ٣٦. - (٥٥) سورة النور، الآيات ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١.

الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم جزء لا يتجزأ من ثوابت الايمان الكامل واتباعه واجب تمليه ضرورة الاقتداء به والأخذ عنه.

تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبدا كتاب الله وسنتى.

البحث في الإعجاز القرآني

القرآن الكريم يؤدى المعنى المراد أداؤه بصورة جمالية مؤثرة فى النفس من خلال العلاقات اللغوية صوتيا، ونحويا وصرفيا.. وهذه العلاقات الثلاث تسهم فى وضعية الدلالة وتأثيرها.



د. مصطفى رجب

استاذ اصول التربية المشارك - كلية التربية - سوهاج

■ يدل لفظ معجزة فى اصطلاح علماء الكلام والتفسير والبلاغة على عدة معان تدور دلالاتها العامة حول «أمر خارق للعادة مقرون بالتحدى سالم من المعارضة». وقد تقبلت الأمة هذا التعريف قبولا حسناً، وشاع بذلك استعماله قديماً وحديثاً.

وإضافة لفظ المعجزة أو الاعجاز - بهذا المعنى - إلى القرآن الكريم يبين لنا أن القرآن تضمن تحديا للعرب أن يأتوا بمثله، وأنهم قبلوا هذا التحدي وحاول بعضهم ذلك فأخفق. فمنذ متى بدأ ذلك؟ وكيف ناقش العلماء هذه القضية؟

■ الحقيقة أن تحدي العرب بأن يأتوا بمثل القرآن الكريم لم يبدأ من فراغ فقد طالب العرب محمداً ﴿ﷺ﴾ أن يأتيهم بمعجزة كتلك المعجزات التى جاء بها أنبياء سابقون حتى يصدقوا دعوى نبوته ويؤمنوا به، وكانت تلك المعجزات السابقة حسية ملموسة كناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى عليهم السلام. وقد عبر القرآن الكريم عن طلبهم هذا فى عدة مواضع منها قوله تعالى: **﴿وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي فى الأسواق! لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا. أو يلقى إليه كنز! أو تكون له جنة يأكل منها! وقال الظالمون: إن تتبعون إلا رجلا مسحورا﴾** (الفرقان/٧-٨).

وقوله تعالى:

﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا. أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا. أو تسقط السماء - كما زعمت - علينا كسفا. أو تأتى بالله والملائكة قبيلا. أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء. ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه. قل: سبحان ربى! هل كنت إلا بشراً رسولا؟!﴾ (الزخرف/٩٠-٩٣).

وقد قطع القرآن الكريم الطريق أمام العرب المطالبين بهذا النوع من المعجزات المحسوسة الملموسة، فقال إن مثل هذا النوع من المعجزات لن يكون كافياً لاقناعهم وغرس الايمان فى نفوسهم لأنهم سيقولون إنها ضرب من ضروب السحر. قال تعالى **﴿ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين﴾** (الانعام/٧).

■ لذلك كان من الطبيعى أن يرد القرآن على هذا المنطق المريض الذى ينم عن عقلية ترفض فكرة الاذعان للألوهية الواحدة، بمنطق حاسم وأسلوب معجز يدع هذه العقول متحيرة، فدعاهم إلى المنازلة فى أشهر ميدان برعوا فيه وهو ميدان الفصاحة والبلاغة الذى بلغوا فيه ما لم تبلغ غيرهم من الأمم. فبدأ تحدي القرآن لهم بمعارضة القرآن - إن استطاعوا - يسير فى خطى متتالية مواكباً نزول الوحي يمكن إجمالها فيما يلى:

●● الاشارة الى أمية النبى ﴿ﷺ﴾ إشارة صريحة بوصف ذلك دليلا على أن ما جاء

نظـــرة تاريخيّـــة

به هو وحى من الله عز وجل فذلك حيث يقول القرآن : ﴿**وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون**﴾ (العنكبوت/٤٨) .

●● تسجيل انبهارهم بأسلوب القرآن إدانة لكفرهم وتنديدا بمغالاتهم فى الكفر مع اعترافهم بهذا الانبهار. تحكى هذه الآيات (من ١١-٢٦) من سورة المدثر التى تحدثت عن قصة الوليد بن المغيرة حين سمع القرآن من النبى ﴿ﷺ﴾ وانبهر به. قال السيوطى فى الاتقان «اخرج الحاكم عن ابن عباس انه قال: جاء الوليد بن المغيرة إلى النبى ﴿ﷺ﴾ فقرأ (أى النبى) عليه القرآن. فكأنه رق له. فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ليعطوكه لئلا تأتى محمداً لتعرض لما قاله. فقال: قد علمت قريش أنى من أكثرها مالا. قال: فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك كاره له. قال: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر منى ولا برجزه وقصيده ولا بأشعار الجن. والله ما يشبه الذى يقول شيئا من هذا. ووالله إن لقوله الذى يقول حلاوة. وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته. قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه. قال: فدعنى حتى أفكر، فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر» .

●● تسجيل تخبطهم فى تفسير سر بلاغة القرآن ومحاولاتهم المستمرة للنيل منه فمرة يقولون إنه قول شاعر، ومرة يقولون إنه أساطير الأولين، ومرة يزعمون أن رجلا أعجميا يوحى به إلى محمد، ومرة يشبهونه بما يقوله شعراؤهم فى المناسبات ويطلبون من محمد أن يأتى بالقرآن كله جملة واحدة. ومرة يطلبون منه أن يغيره ويبدله. والقرآن يتعقب هذه المحاولات اليائسة ويذكرها:



* ﴿**وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا**﴾ (الفرقان/ ٥) .
* **وقالوا** ﴿**إنما يعلمه بشر**﴾ (النحل/١٠٣) .
* **وقالوا** ﴿**أضغاث أحلام**﴾ (الانبياء/ ٥) .
* **وقالوا** ﴿**لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة**﴾ (الفرقان/ ٣٢) .
* **وقالوا** ﴿**ائت بقرآن غير هذا أو بدله**﴾ (يونس/ ١٥) .

■ وسجل القرآن هذه المحاولات كلها للطعن فى نبوة محمد ﴿ﷺ﴾ وفى كون القرآن وحيا وأشار إلى هذا بقوله تعالى: ﴿**ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا**﴾ (الفرقان/٣٣) .

●● **فلما باءت محاولاتهم بالفشل المتتابع والاخفاق المتتالي، ادعوا أنهم قادرون على تأليف مثله فأوقعوا أنفسهم فى مازق التحدي .**

قال تعالى: ﴿**وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا: قد سمعنا، لو نشاء لقلنا مثل هذا. إن هذا إلا أساطير الأولين**﴾ (الانفال/٣١) .

■ ومن هنا بدأت أزمتهم الحقيقية فقد نزل الوحى صريحاً فى تحديهم بكل وضوح وقوة وتأكيد. وقد ورد التحدي فى الآيات التالية :

* ﴿**أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله**﴾ (يونس/٣٨) .

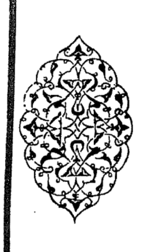
* ﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات﴾ (هود/١٣).
* ﴿وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله﴾ (البقرة/٢٣).
* ﴿فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين﴾ (الطور/ ٣٤).
* ﴿قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله﴾ (الاسراء/٨٨).

■ وقد اختلف العلماء فى ترتيب نزول هذه الآيات. ولكن الأشهر ما رواه السيوطى فى الاتقان، والعلوى فى الطراز والفخر الرازي فى تفسيره من أن التحدى بدأ بآية الطور أى بأن يأتوا بمثل القرآن كله، ثم بعشر سور، ثم بسورة واحدة وقليل من العلماء ذهبوا إلى عكس هذا ورأيهم مرجوح والخلاف هنا لا ثمرة له.

■ وربما كان اختلاف العلماء حول ترتيب هذه الآيات هو البذرة الأولى للبحث فى مسألة «القدر المعجز» من القرآن، وهى اللبنة الأولى فى صرح البحوث الاعجازية فى تطورها التاريخي، والتى امتدت إلى أن أصبحت أساساً لما سمى فيما بعد «بالاعجاز البيانى».

أيا ما كان الأمر، فقد بدأت بحوث اللغويين والمتكلمين فى قضية الاعجاز تتبلور بشكل محدد قرب نهاية القرن الثانى الهجري بعد فتنة خلق القرآن التى أثيرت فى عهد المأمون بصورة واضحة بتأثير من أحد النصارى وهو عبد المسيح بن اسحق الكندى الذى رفض الدخول إلى الاسلام حين دعاه بعض رجال المأمون وانتقد الاسلام وأثار قضية أن القرآن مخلوق وما خلفته من مآس معروفة لا نرى مبرراً هنا لاعادة طرحها أو الاشارة إليها.

غير أن هذه الفتنة امتدت فيما تلا ذلك من سنوات وتمخضت عن عدة اتجاهات فكرية تمثلت فى تبنى المعتزلة ممثلين فى النظام (٢٢٠هـ) لفكرة «الصرفة» ومعناها أن إعجاز القرآن كان بصرف الله تعالى للعرب أن يأتوا بمثله وبهذا القول قال كثير من المعتزلة بعد ذلك بل وقد قال به بعض المفسرين والعلماء من غير المعتـزلـة. إلا أن الرد على هذه الفكرة ميسور لأن الاعجاز لو كان بالصرفة فمعناه أن القرآن بذاته غير معجز والاعجاز قائم على قدرة الله. وهذا مالا تدل عليه آيات التحدى.



■ وبالرغم من كون الجاحظ معتزليا وتلميذاً لابراهيم النظام فقد آمن بفكرة الاعجاز ووضع كتاباً حول الاعجاز الأسلوبى للقرآن أسماه «نظم القرآن» لم يصل إلينا، ولكن الجاحظ على طريقته فى الاشارة إلى بعض كتبه فى بعضها الآخر، أورد نتفا من هذا الكتاب فى كتابيه «الحيوان» و«البيان والتبيين» الموجودين حاليا ويتلخص رأى الجاحظ فى تبنيه للقول بالصرفة إلى جانب ايمانه بأن العرب عجزوا عجزا حقيقيا - مع محاولتهم - عن الاتيان بمثل القرآن بسبب طريقة نظم القرآن أى أسلوبه. ويعتبر كتاب الجاحظ المفقود هذا هو أول كتاب فى إعجاز القرآن كما يقول الباقلانى (ت٤٠٣هـ) ثم تلاه كتاب آخر مفقود لابى عبد الله محمد بن يزيد الواسطى (ت٣٠٦هـ) أشار اليه الرافعي وقال إنه سبق به عبد القاهر الجرجانى.

وفى القرن الرابع نجد رسالة للرمانى فى إعجاز القرآن أشار الرافعى فى كتابه «إعجاز القرآن» إلى أنها تعتـبر المرحلة الثالثة بعد الجاحظ والواسطي من مراحل القول بان الاعجاز أسلوبى بيانى. وقد أشار ابن سنان الخفاجى فى «سر الفصاحة» والسيوطى فى «الاتقان» الى رسالة الرمانى هذه وهى تتميز بانها نقلت مباحث الاعجاز خطوة إلى الامام بتلخيص الرمانى لكل ما قيل قبله من آراء فى رسالته هذه.

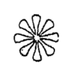
وممن ساروا على هذا الطريق ايضا الخطابى (ت٣٨٨هـ) فى كتاب له عن إعجاز القرآن من جهة بلاغته ولكنه تقدم خطوة أخرى كذلك بأنه حاول تفسير وجوه هذا الاعجاز البلاغى فقال: «ذهب الاكثرون من علماء النظم إلى أن وجه الاعجاز فيه (أى فى القرآن) من جهة البلاغة. لكن

صعب عليهم تفصيلها» وقد اجتهد الخطابى فى تفصيل هذا الوجه وخرج به قليلا عن دائرة النظم إلى دوائر أخرى من المعانى كالاخبار بما يحدث فى المستقبل وبهذا يكون البحث فى الاعجاز قد بدأ ينتقل إلى طور آخر.

■ وابتداء من القرن الخامس الهجرى، ومع اتساع مجالات علم الكلام، وتفشى بعض مظاهر الزندقة والالحاد، بدأت البحوث فى الاعجاز القرآنى تتخذ مسارات أكثر تطوراً وساعد على هذا التطور الازدهار المشهود الذى اتسمت به البحوث اللغوية والفنون الأدبية، ويعد كتاب الباقلانى (ت٤٠٣هـ) من أفضل نتاج هذا القرن فى مجال الاعجاز الى جانب إنجازات عبد القاهر الجرجانى الذى وضع نظرية النظم وضعا متكاملا وإليها يرجع الفضل فى تطور علوم البلاغة بعد ذلك بل إننا لا نغالى إذا قلنا إن ما جاءت به بعض المدارس اللغوية المعاصرة التى اهتمت بالأسلوب والتحليل البنائى للتراكيب اللغوية لم تضف كثيراً إلى ما نادى به عبد القاهر كما سنبين بعد قليل.

أما كتاب الباقلانى فقد كان فيما تلا ذلك من عصور هو المنوال الذى نسج عليه المؤلفون فى الاعجاز بعد عصر الباقلانى. وفيه ناقش مسألة فى غاية الاهمية، وهى أن القرآن لم يجيء معجزاً للكفار فى عصر النبى ﴿ﷺ﴾ فقط بل إن إعجازه يشمل كل العصور التالية. والدليل على ذلك - فى رأيه - أن أسلوب القرآن سيظل أرقى من كل الاساليب مهما تتطور. كما فرق الباقلانى بين إعجاز القرآن وإعجاز غيره من الكتب السماوية فأوضح أن اعجاز تلك الكتب مقصور على الاخبار بالغيب فقط والقرآن إعجازه متعدد الجوانب.

أما عبد القاهر فقد بنى نظريته فى النظم على أساس لغوى/ نحوى بحت، فهو فى كتابه دلائل الاعجاز يوضح جوانب نظريته تلك توضيحاً كافيا ويرد على مخالفيها وملخص ما ذهب إليه أن البلاغة التقليدية تقوم على حسن اختيار الالفاظ فيتقوى المعنى بما يبذله المنشيء للأدب من جهد فى التقديم والتأخير والاستعارة.. أما القرآن فإنه يقوم بالأساس على فكرة إداء المعنى المراد بصورة جمالية مؤثرة فى النفس من خلال العلاقات اللغوية (صوتيا بين الحروف ونحويا بين الكلمات وصرفيا باختيار بناء صرفي محدد وهذه العلاقات الثلاث تسهم فى وضعية الدلالة وتأثيرها.



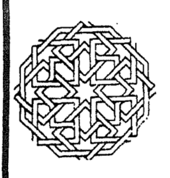
■ وهكذا بدأت بحوث الاعجاز تتميز عن بحوث البلاغة وعلم الكلام، وفتح عبد القاهر والباقلاني باب تلك البحوث لمن جاء بعدهما. ففى القرن التالى لهما وهو القرن السادس نجد الاهتمام بالبحث فى الاعجاز يتسع ليشمل متكلمين كأبى حامد الغزالى (شافعى المذهب) والقاضى عياض (مالكى المذهب) ومفسرين كالزمخشري وابن عطيه. وفى القرن السابع نجد الامام الفخر الرازى وهو مفسر مشهور ويأخذ تفسيره المسمى «مفاتيح الغيب» طابعاً خاصا حيث يهتم بالرد على فرق كثيرة من المتكلمين والزنادقة. ونجد السكاكى البلاغي فى كتابه «مفتاح العلوم» الذى يعتبره كثير من الباحثين خاتمة كتب البلاغة القديمة فى صورتها الابداعية، ويعتبرون مؤلفات البلاغة بعد السكاكى مجرد شروح وحواش وتلخيصات واجترار لما قاله السابقون. كما نجد اهتماماً بالبحث فى الاعجاز فى هذا القرن أيضا عند ابن العربى والآمدي (على بن أبى على ت٦٣١هـ) وحازم القرطاجني (ت٦٨٤هـ) ثم البيضاوى المفسر.

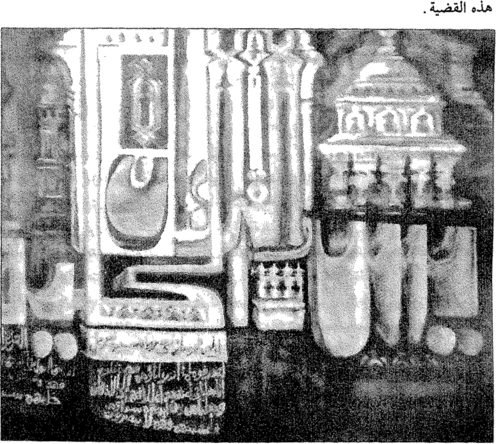
وفى القرن الثامن نجد آراء قيمة للزملكانى (ت٧٢٧هـ) فى كتاب «التبيان فى إعجاز القرآن» وابن تيمية (ت٧٢٨هـ) فى كتابه «جواب أهل العلم والايمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمن». والخطيب القزوينى الذى لخص كتاب مفتاح العلوم للسكاكى. ويحيى بن حمزة العلوى صاحب كتاب الطراز (ت٧٤٩هـ) وابن القيم (٧٥١هـ) صاحب كتاب «الفوائد المشوق إلى علم القرآن

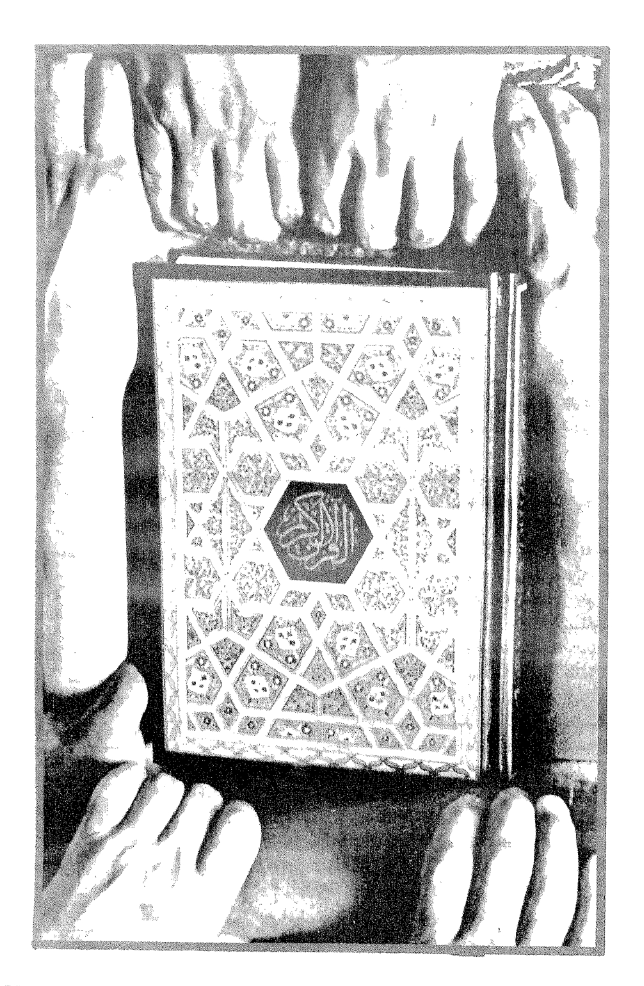
وعلم البيان» الذى يتناول فيه باسهاب قضية الاعجاز القرآنى وما سبقه من آراء فيها. كما نجد إشارات للاعجاز فى تفسير ابن كثير (ت٧٧٤هـ). وخير ما نجده فى هذا العصر كتاب «البرهان فى علوم القرآن» للامام بدر الدين الزركشى وفيه مبحث جيد فى إعجاز القرآن والكتاب مطبوع حاليا فى أربعة مجلدات ومتداول.

■ وتتابعت الكتابات فى الاعجاز القرآنى بعد ذلك حيث نجد فى القرن التاسع آراء لابن خلدون والفيروز ابادى والمراكشى. وفى القرن العاشر يظهر السيوطى بكتابيه «الاتقان فى علوم القرآن» والثانى «معترك الأقران فى إعجاز القرآن» وهو كتاب جامع ومفيد يقع فى ثلاثة مجلدات وهو فى رأينا أثمن كثيرا من الاتقان وأشمل ويغفل عنه كثير من الباحثين على الرغم من قيمته العظيمة. كما نجد فى هذا القرن أيضا تفسير أبى السعود، وبعض الاشارات عند طاش كبرى زاده. وفى القرن الحادى عشر نجد الشهاب الخفاجى وفى القرن الثانى عشر نجد الضرير المالكى الاسكندرى الذى تفرد بين علماء التفسير بوضعه تفسيرا منظوماً كاملا للقرآن الكريم. كما نجد الجمل الذى وضع حاشية على تفسير الجلالين. وفى القرن الثالث عشر يتميز الامام الشوكانى بتفسيره «فتح القدير» والألوسى وقد تحدث كلاهما فى ثنايا تفسيريهما عن البلاغة القرآنية وجوانبها المختلفة.

وأخيراً ومع ظهور التقدم العلمى والتلاقح الحضارى بين الشرق والغرب ظهرت النزعة العلمية فى التفسير فى القرن الرابع عشر الهجرى على يد الشيخ طنطاوى جوهري والمرحوم محمد احمد جاد المولى وقدم فيها موريس بوكاي الفرنسى بحوثا جيدة فى كتابه الذى قارن فيه بين الاعجاز العلمى للقرآن فى ضوء فساد الاشارات العلمية فى التوراة والانجيل. وقد نشرته دار المعارف فى مصر مترجما منذ عدة سنوات.. وبذلك أصبحت البحوث فى مجال الاعجاز تمثل ركناً أساسيا من البحوث القرآنية واللغوية ويتضح ذلك من الكتب الحديثة التى بدأت تفرد لمناقشة هذه القضية.







إعجاز القرآن في ترتيبه

■ أنزل القرآن الكريم على رسول الله ﴿ﷺ﴾ مقسما على ثلاث وعشرين سنة تقريبا، وقد كان من قبل فى اللوح المحفوظ، ثم نزل به جبريل عليه السلام جملة إلى سماء الدنيا، ثم جعل ينزل به على النبى عليه الصلاة والسلام بين الحين والحين «عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: فصل القرآن من الذكر، فوضع فى بيت العزة فى السماء الدنيا، فجعل جبريل عليه السلام ينزله على النبى ﴿ﷺ﴾ ويرتله ترتيلا».. أخرجه النسائى وابن أبى شيبة والحاكم ـ وهذا لفظه ـ وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبى(١). وهذا له حكم الرفع لما أقره أهل العلم كابن الصلاح والحاكم وغيرهما.

■ وانما أنزل كذلك لما فيه من تثبيت قلب النبى ﴿ﷺ﴾ والعناية به: قال تعالى: **﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا﴾** (سورة الفرقان).

وأيضا فإنه صلى الله عليه وسلم ومعه الأمة مكلفون بحفظه واستظهاره، وتفريقه أدعى لذلك، خاصة أن فيهم الأميين الذين لا يستطيعون الكتابة والقراءة، وإلا لشق عليهم ذلك عادة لو نزل جملة واحدة.

وأيضا فإن القرآن فيه أحكام وتشريعات، وبعضها يلزم التدرج فيها، وكان من حكمة الله تعالى أن ينزع من نفوسهم ما هو مرذول ويغرس فيها ما هو حسن، ورحمة الله تعالى بعبيده تقتضى أن يكون ذلك على التدريج: روى البخارى وغيره أن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت: «إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الاسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبدا، ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنى أبدا»(٢).. الحديث، وهو فى جملته يدل على الحكمة فى تدرج الاحكام.

كذلك فإن القرآن فيه أجوبة عن أسئلة، وهذا يستدعى التنجيم نظرا لما يستجد من أسئلة واستفسارات وحوادث واقتراحات.. قال تعالى: **﴿ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا﴾** (سورة الفرقان)، وقال سبحانه: **﴿وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا﴾** (سورة الاسراء).

ثم إن القرآن استمر نزوله هذه الفترة يتحدى الناس على جميع صنوفهم، فعجزوا، قال تعالى: **﴿كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾** (سورة هود).

إن رسول الله ﴿ﷺ﴾ بشر، لا يدرى ما ستجيء به الأيام وما يخبئه المستقبل، وقد اكتمل نزول القرآن الكريم وكان فى غاية من الاحكام والانسجام، ليس فيه تناقض ولا خلل، وصدق الله العظيم: **﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾** (سورة النساء).

(.. انما نزل أول ما نزل منه القران الكريم سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الاسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل اول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبدا، ولو نزل لا تزنوا لقالوا لا ندع الزنى أبدا..)
(حديث عن السيدة عائشة)



أ.د. محمد أحمد يوسف القاسم
أستاذ التفسير وعلوم القرآن كلية الدعوة وأصول الدين جامعة أم القرى

■ إن القـرآن الكـريم كان ينـزل منجما الآية والآيتين والأكثر من ذلك، بل والأقل من الآية الـواحدة، يروى البخارى وغيره عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال: «أنزلت وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود» ولم ينزل (من الفجر) فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم فى رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود، ولم يزل يأكل حتى يتبين له رؤيتهما، فأنزل الله بعد (من الفجر) فعلموا أنه إنما يعنى الليل والنهار»(٣).

وأخرج الامام أحمد وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ صعد على الصفا وأنذر قومه قال **«أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقى؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبا، قال فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد، قال أبو لهب: تبا لك ما جمعتنا إلا لهذا؟ ثم قال فنزلت ﴿تبت يدا أبى لهب وتب﴾** (سورة المسد).

■ ومما قرره العلماء أن ترتيب القرآن على غير ترتيب نزوله، والناظر فى ترتيب المصحف الشريف يرى أنه مرتب على أن الفاتحة فى أوله ثم البقرة ثم آل عمران ثم النساء وهكذا إلى آخر الطوُل(٥)، ثم يلى ذلك المئون ثم المثانى ثم المفصل(٦).

فالسبع الطوُل ما بعد الفاتحة حتى براءة، وأما الانفال فهى المثانى، والمئون ما ولى السبع الطول، وآيات كل منها مائة اية فى المتوسط، والمثانى ماولى المئين . والمفصل ما ولى المثانى من قصار السور، وهو من سورة (ق) حتى الختام(٧).

●● ومن الادلة على هذا الترتيب فى جملته ما رواه الامام احمد وأبو داود وابن ماجة من حديث أوس بن أبى أوس، ابن حذيفة الثقفى رضى الله عنه أنه سأل اصحاب رسول الله ﴿ﷺ﴾ «كيف تحزبون القرآن؟ فقالوا ثلاث سور وخمس سور وسبع سور وتسع سور وإحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل وحده» حسن اسناده ابن كثير(٧)

■ ولقد كان ترتيب المصحف على ما هو عليه الآن بتوقيف من جبريل عليه السلام، وهو هكذا عند الله فى اللوح المحفوظ، ولا عمل فيه لانسان مهما كان، وصدق الله العظيم **﴿وإنه لفى زبر الأولين﴾** (سورة الشعراء).

ولقد كان لهذا الترتيب شأن عجيب، فقد اكتمل نزوله، وصار دستورا لخير أمة، ترجع إليه فى عقائدها واستخراج الأحكام منه، ولا شك أن هذا يستدعى ترتيبا غير ترتيب النزول، حيث روعى فى هذا الترتيب حال الداعي عليه الصلاة والسلام، وحال الأمة المدعوة، وحال القضية التى نزل بشأنها القرآن الكريم(٨).

■ إن النبى ﴿ﷺ﴾ عنى بالقرآن أشد عناية، وكان يعلمه الصحابة، ويدلهم على موضع الآية من الآية، والآية من السورة، والسورة من السورة، وكان يقرأه فى كل الأحوال فى محضر منهم، سواء أكان ذلك فى الصلوات أم خارجها، وكانوا يختمونه فى مدة معينة ويحزبونه أحزابا، ثم إن العرب كانت تسجل كل نفيس عندهم، ولقد سجلوا القرآن فى الصحف وهو أنفس من كل نفيس، وكانوا يعرضون ما كتبوه على الرسول ﴿ﷺ﴾، ولقد بذلوا قصارى جهدهم فى حفظه وفى الحفاظ عليه، وبخاصة أنهم علموا يقينا أنه سبب عزهم فى الدنيا وسعادتهم فى الآخرة.

ولما أرادوا جمعه بعد انتقال الرسول ﴿ﷺ﴾ الى الرفيق الأعلى، كان على نفس الحال الذى علموه منه صلى الله عيه وسلم، سواء فى ذلك ما يتعلق بالألفاظ وما يتعلق بالتريب، وإجماعهم رضوان الله عليهم وإقرارهم خير برهان وأوضح دليل على ذلك.

■ إن القرآن معجز فى لفظه وأسلوبه، فما من حرف أو كلمة أو آية أو سورة إلا وضع كل ذلك فى موضعه اللائق به، لحكمة يعلمها منزله سبحانه، ولو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب على أحسن منها، ما وجد ذلك، ولن تتسع له اللغة بكلمة واحدة.

نزلت الآيات الأولى من القرآن الكريم لتثبت عقيدة الإيمان بالله وحده وتنفى وتبطل عقيدة الشرك والوثنية.

●● يقول الامام الخطابى : «إنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة : لفظ حامل ، ومعنى به قائم ، ورباط لهما ناظم ، وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه فى غاية الشرف والفضيلة ، حتى لا ترى شيئا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه ، ولا ترى نظما أحسن تأليفا وأشد تلاؤما وتشاكلا من نظمه ، وأما المعانى فلا خفاء على ذي عقل أنها هى التى تشهد لها العقول بالتقدم فى أبوابها والترقى إلى أعلا درجات الفضل من نعوتها وصفاتها . . . فتفهم الآن واعلم أن القرآن إنما صار معجزا ، لأنه جاء بأفصح الألفاظ ، فى أحسن نظوم التأليف ، مضمنا أصح المعانى . . ومعلوم أن الاتيان بمثل هذه الأمور ، والجمع بين شتاتها حتى تنتظم وتتسق ، أمر تعجز عنه قوى البشر ، ولا تبلغه قدرهم»(٩) .

■ ويقول عبد القاهر : « . . . إذا قلت : إن التحدى وقع فى القرآن إلى أن يؤتى بمثله على جهة الابتداء ، ما تعنى به؟ أتعنى أنه يأتى فى ألفاظ غير ألفاظ القرآن ، بمثل الترتيب والنسق الذى تراه فى ألفاظ القرآن؟ فإن قال ذلك أعنى ، قيل له :

«أعلمت أنه لا يكون الاتيان بالأشياء بعضها فى إثر بعض على التوالى نسقا وترتيبا ، حتى تكون الأشياء مختلفة فى أنفسها ، ثم يكون للذى يجيء بها مضموما بعضها إلى بعض غرض فيها ومقصود ، لا يتم ذلك الغرض وذاك المقصود ، إلا بأن يتخير لها مواضع ، فيجعل هذا أولا وذاك ثانيا ، فإن هذا لا شبهة فيه على عاقل ، وإذا كان الامر كذلك لزمك أن تبين الغرض الذى اقتضى أن تكون ألفاظ القرآن منسوقة النسق الذى تراه ، ولا مخلص له من هذه المطالبة ، لأنه إذا أبى أن يكون المقتضى والموجب الذى تراه من النسق المعانى وجعله قد وجب لأمر يرجع إلى اللفظ ، لم يجد شيئا يحيل الاعجاز فى وجوبه عليه البتة»(١٠) .

■ ويقول الدكتور محمد عبد الله دراز : «لقد كان للنجوم القرآنية فى تنزيلها وترتيبها ظاهرتان مختلفتان ، وسبيلان قلما يلتقيان ، ولقد خلص لنا من بين اختلافهما أكبر العبر فى أمر هذا النظم القرآنى . فلو أنك نظرت إلى هذه النجوم عند تنزيلها ، ونظرت إلى ما مهد لها من أسبابها ، فرأيت كل نجم رهينا بنزول حاجة ملمة ، أو حدوث سبب عام أو خاص ، إذن لرأيت فى كل واحد منها ذكرا محدثا لوقته ، وقولا مرتجلا عند باعثته ، لم يتقدم للنفس شعور به قبل حدوث سببه ، ولرأيت فيه كذلك كلا قائما بنفسه ، لا يترسم نظاما معينا يجمعه وغيره فى نسق واحد ، ولو أنك نظرت إليها فى الوقت نفسه ، فرأيتها وقد أعد لكل نجم منها ساعة نزوله سياج خاص يأوى إليه سابقا أو لاحقا ، وحدد له مكان معين فى داخل ذلك السياج متقدما أو متأخرا ، إذن لرأيت من خلال هذا التوزيع الفورى المحدود ، أن هنالك خطة تفصيلية شاملة ، وقد رسمت فيها مواقع النجوم كلها من قبل نزولها ، بل من قبل أن تخلق أسبابها ، بل من قبل أن تبدأ الأطوار الممهدة لحدوث أسبابها ، وأن هذه الخطة التى رسمت على أدق الحدود والتفاصيل ، قد أبرمت بآكد العزم والتصميم .

فما من نجم وضع فى سورة ما ثم جاوزها إلى غيرها ، وما من نجم جعل فى مكان ما من السورة آخرا أو أولا ثم وجد عنه أبد الدهر مصرفا ولا متحولا . . . ولن تجد هذه الاوضاع إلا مقصودة بعينها ، كما ظهر القصد فى كل طائفة أن تنتظم منها وحدة محدودة ذات ترتيب ومقدار بعينه»(١١) .

التدرج فى الاحكام كان أدعى إلى اتباعها والقيام بها حلا وحرمة.

■ كانت هذه جولة سريعة بين أصحاب الكتب القديمة والحديثة ، التى تعرضت لاعجاز القرآن الكريم ، من حيث ترتيبه ونظمه ، وصدق الله العظيم **﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾** (سورة فصلت) .

ولقد اقتضت حكمة العليم الخبير ، وهو أعلم بالنفوس ، أن يكون هذا الذكر جامعا لكل طرق الهدى ، لكونه ختاما ، وأن يكون معجزا لكونه تماما ، ونزله على سبيل التدريج موصلا القول

فيه بعضه فى إثر بعض ليكون جوابا لأقوالهم وحلا لاشكالهم، فيكون أقرب إلى العقول، وأولى بالتدبر والتذكر، وأظهر فى الادراك، والنفس أشد تقبلا له، لما هو عليه من حسن النظام والقرب إلى الأفهام.

■ ومما يستأنس به على أن وضع السور فى المصحف لا دخل فيه لعمل الخلق، بل هو من تدبير الخالق سبحانه: كون الحواميم رتبت متوالية، وكذا الطواسين، ولم ترتب المسبحات تباعا، بل فصل بينها بسورة المجادلة والممتحنة والمنافقون، وأفردت الاسراء فى النصف الأول، والأعلى فى الأخير، وفصل بين الشعراء والقصص وهما يبدآن بطسم بالنمل وهى تبدأ بطس، مع أنها أقصر منها، ولو كان الترتيب اجتهاديا لذكرت المسبحات ولاءً وأخرت طس عن القصص(١٢).

وحيث إنه قد حصل الفصل بين المتماثلات والمتقاربات من السور، مع عدم التناسب فى الطول والقصر، فقد دل هذا على الاعجاز، وبالتالى على التوقيف فى الترتيب.

هذه بعض أسرار القرآن الكريم، ومن جد فى البحث وأخلص النية لله، استخرج منه كنوزه ودرره، التى لا تنفد على كثرة النظر والترداد.

■ ويحسن بنا الآن أن نضرب بعض الامثلة التى حفل بها القرآن الكريم، لتكون نبراسا يهتدى بها على الاعجاز القرآنى فى دقة ترتيبه، ولتكون دليلا على ما لم يذكر من أمثلة.

ويجب أن نضع فى اعتبارنا أن القرآن جاء فى أرقى درجة من النظم والاحكام، وأنه رتب ترتيبا فاق مستوى البلغاء، وأن كل ذلك وغيره مما يتعلق بالقرآن وأسلوبه وترتيبه بوحى من الله تعالى، وأن ما وراء ذلك من نظر العلماء واستنباطهم فهو التماس لاظهار بعض أوجه إعجاز القرآن الكريم.

الأمة التى نزل عليها القرآن الكريم أمة أمية ولو كان أنزل عليهم القرآن جملة واحدة لصعب عليهم حفظه وفهمه واستيعاب أحكامه.

● **المثال الاول:** وهو يدل على أن القرآن يراعى مقتضى حال المخاطبين، فيقدم بعض الالفاظ أو يؤخرها لتتلاءم مع هذا الحال.

قول الله تعالى فى سورة الأنعام: **﴿ولا تقتلوا أولادكم من إملاق(١٣) نحن نرزقكم وإياهم﴾** مع قوله تعالى فى سورة الاسراء: **﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم﴾**.

قدم المخاطبين فى الأولى دون الثانية، لأن المخاطبين فى الأولى هم الفقراء، بدليل «من إملاق» فكان رزقهم عندهم أهم من رزق الأولاد، فقدم الوعد برزقهم على الوعد برزق أولادهم.

وأما المخاطبون فى الثانية فهم الأغنياء، بدليل «خشية إملاق» فإن الخشية تكون مما لم يقع، فكان رزق أولادهم أهم، فقدم الوعد برزق أولادهم، لأن رزقهم حاصل وواقع(١٤).

● **المثال الثانى:** وهو فيما يسمى عند البلاغيين بحسن التخلص، ومعناه الانتقال من معنى من المعانى إلى معنى آخر، على وجه سهل كأنه يختلس اختلاسا، ولا يشعر السامع بالانتقال إلا بعد وقوع الثانى عليه، لشدة الالتحام بينهما، فيرى الكلام وقد أخذ بعضه بحجز بعض، وفائدته تنشيط السامع والقارىء حتى لا ينصرفا عن الحديث.

■ قول الله تعالى: **﴿واتل عليهم نبأ إبراهيم إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين﴾** إلى قوله تعالى: **﴿فإنهم عدو لى إلا رب العالمين الذى خلقنى فهو يهدين﴾** ثم يقول بعد: **﴿ولا تخزنى يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم وأزلفت الجنة للمتقين﴾**... إلى آخر الآيات من سورة الشعراء.

■ فقد رتب سيدنا إبراهيم عليه السلام كلامه مع المشركين، فسألهم سؤال تقرير، ثم عرج على

آلهتهم بأنها لا تنفع ولا تضر ولا تبصر ولا تسمع، وأن الدافع لعبادتها ليس إلا التقليد، ثم انتقل إلى ذكر الاله الخالق المعبود، ثم ذكر أن الواجب على العاقل إيثار من بيده أمره وتدبيره، بالعبادة ونبذ ما وراءه مما سواه سبحانه، ثم أراهم أنه ينصح نفسه، ليقولوا ما نصحنا إلا بما نصح به نفسه، فيكون ذلك أدعى لقبولهم، فتخلص إلى ذكر الله تعالى، فأجرى عليه تلك الصفات الجليلة، من تفخيم شأنه وتعديد نعمه عليه فى الدنيا، وما يرجوه من رحمته فى الآخرة، ولا يملك ذلك إلا المعبود المعظم. . ثم تخلص إلى الدعاء بما يناسب المقام، وفى أثناء دعائه قال «ولا تخزنى يوم يبعثون» ثم تخلص إلى ذكر البعث والجزاء وأهل الجنة والنار.

فانظر وتأمل كيف خلص من نوع من أنواع المعانى إلى آخر، بلطيفة ملائمة، حتى كأنه افرغ فى قالب واحد، آخذ بعضه بحجز بعض، فسبحان من هذا كلامه(١٥).

● **المثال الثالث**: فى ارتباط آى السورة الواحدة، ورد بعضها على بعض، واندراجها تحت مقصد واحد لا تنفك عنه.

سورة المرسلات: مقصودها تخويف الكفار وتحذيرهم من العقاب فى الآخرة.

بدأت السورة بالقسم بأمور عظيمة على وقوع الوعيد عليهم يوم الفصل بين الخلائق، **وكان هذا أول تخويف خوفهم الله به** (من أول السورة حتى الآية ١٥).

والتخويف الثانى إهلاك الكفرة المتقدمين، وإذا كان الكفر حاصلا فى المتأخرين، فلابد من إهلاكهم أيضا (من الآية ١٦ حتى الآية ١٩).

ثم ذكرهم بعظيم نعمه عليهم فى البدء، وإذا قدر عليهم فى البدء فهو قادر عليهم فى الاعادة، وسيجازيهم بالعذاب الأليم، **وهذا هو التخويف الثالث** (من الآية ٢٠ حتى الآية ٢٤). . ثم ذكرهم بنعمه عليهم فى الآفاق، بعد نعمه فى الأنفس، ولا ريب أن النعم كلما كثرت، كانت الجناية أقبح، وكان العذاب أشد، **وهذا هو التخويف الرابع** (من الآية ٢٥ حتى الآية ٢٨). . ثم بين كيفية عذابهم فى الآخرة وما يلاقونه من أهوال جهنم، **وهذا هو التخويف الخامس** (من الآية ٢٩ حتى ٣٤). . **وبين فى السادس** أنه لا قدرة لهم على دفع العذاب إذا نزل بهم ولا تقبل منهم حجة (من الآية ٣٥ حتى ٣٧). . ثم قرعهم ووبخهم بأن فى هذا اليوم الذى تجتمع فيه الخلائق على كثرتهم، تنقطع فيه الحيل، ويفضحهم الله على رءوس الأشهاد، وهذا عذاب نفسى، **وهو تخويف سابع** (من الآية ٣٨ حتى ٤٠). . **وأما التخويف الثامن** فهو اجتماع أنواع النعيم للمتقين، وإذا رأى الكافر ما هو فيه من الذل والخسران، ورأى خصمه فى العز والسعة، تضاعفت همومه، وهذا عذاب نفسى آخر (من الآية ٤١ حتى ٤٥). . ثم خوف الكافر بأنه يعرض نفسه للعذاب الأخروى لحبه للمتاع الفانى، ولو عقل لاستغنى عنه من أجل النعيم الأخروى الباقى أبدا، وكانت الصيغة بالأمر زيادة فى الزجر والتخويف، **وهو التخويف التاسع** (من الآية ٤٦ حتى ٤٧). . **أما التخويف العاشر** فهو أنهم إذا رأوا النعيم المقيم للمتقين، والعذاب الذى ينتظرهم، يقال لهم زيادة فى الحسرة والندامة: إذا أردتم أن يرفع عنكم العذاب، وتنالوا مثلما نال المتقون، فاركعوا لله، ولكنهم لا يستطيعون (من الآية ٤٨ حتى الآية ٤٩).

● **المثال الرابع**: وهو من بديع المقابلات بين السورة والسورة: سورة الكوثر مع سورة الماعون.

من لطائف سورة الكوثر أنها كالمقابلة للماعون، فقد وصف الله تعالى المنافق فى الماعون بأمور أربعة:

(١) **البخل**: وهو المراد من قوله: ﴿**يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين**﴾.

(٢) **ترك الصلاة**: وهو المراد من قوله: ﴿**الذين هم عن صلاتهم ساهون**﴾.

(٣) **المراءاة فى الصلاة**: وهو المراد من قوله: ﴿**الذين هم يراءون**﴾.

القصة فى القرآن تختلف من سورة إلى أخرى، طولا وقصرا، تقديما وتأخيرا، والأسلوب يختلف كذلك من آن إلى آخر، حسب الغرض الذى سيقت له السورة، والمتأمل فى سياق السور على اختلافها يجد الكثير والكثير.

(٤) منع الزكاة: وهو المراد من قوله: ﴿ويمنعون الماعون﴾.

■ **ثم ذكر فى سورة الكوثر ما منح نبيه صلى الله عليه وسلم من الخير الكثير، وما يجب عليه من الشكر بإزاء نعمه تعالى عليه، وكان ما ذكر فيها يقابل تلك الصفات الأربع، فذكر:**

(١) فى مقابلة البخل قوله تعالى: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ أى فأعط الكثير ولا تبخل بشىء.

(٢) وفى مقابلة ترك الصلاة قوله: ﴿فصل﴾ أى دم عليها.

(٣) وفى مقابلة المراءاة فى الصلاة قوله: ﴿لربك﴾ أى ائت الصلاة لرضى ربك لا لمراءاة الناس.

(٤) وفى مقابلة منع الزكاة قوله: ﴿وانحر﴾ وأراد به التصدق بلحم الأضحية.

■ فانظر الى سورة الماعون ترها قد أفصحت بالنهى عن مساوىء الأخلاق، وأفهمت بالدعوة إلى معالى الشيم، فجاءت سورة الكوثر لذلك صراحة، وكانت الماعون قد ختمت بالتنفير من البخل ومنع الزكاة، فجاءت سورة الكوثر بالتنويه بالجود والعطاء لأشرف الخلق ترغيبا فيه وندبا إليه، وكما تكفل سبحانه بإفاضة النعم عليه صلى الله عليه وسلم، تكفل بالذب عنه وإبطال قول أعدائه فيه، فقال: ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾ أى الذى يأتى بتلك الأفعال القبيحة المذكورة فى سورة الماعون، سيموت ولا يبقى له أثر، وأما أنت يامحمد فإنه يبقى لك فى الدنيا الذكر الجميل، وفى الآخرة الثواب الدائم الجزيل(١٧).

● **المثال الخامس**: وهو فى مناسبة موضوعات القرآن للسورة وللغرض الذى سيقت من أجله، والموضوعات القرآنية كثيرة، ونختار منها فى مناسبة القصة القرآنية: ذكر بعض الأنبياء عليهم السلام فى سورة دون أخرى، بما يناسب مقصود السورة.

قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام، جاءت فى سور: مريم والأنبياء والشعراء والعنكبوت والصافات وغيرها، ولم تذكر فى سورتى الأعراف والقمر وغيرهما.

والسر فى ذلك: أن السور الأول لم يقتصر فيها على ذكر من أهلك من الأمم، بل قد يذكر الأنبياء وإن لم يذكر معهم قومهم، إذ المقصود أساسا ذكر الأنبياء.

فسورة الأنبياء ذكر الله فيها إكرامه للأنبياء، وبدأ بإبراهيم، إذ كان أكرم الأنبياء المرسلين قبل سيدنا محمد ﴿ﷺ﴾، وهو أب أكثرهم، وليس أبا لنوح، ولكن لوطا من أتباعه وأيوب من ذريته، وكذا داود وسليمان، وأما مريم والشعراء فقد ذكر فيهما حزنه بسبب كفر أبيه وقومه، وإن من أعظم المحن أن يراهم فى النار ولا يتمكن من إنقاذهم، إلا بقدر التنبيه والدعاء لهم، وأما العنكبوت فقد ذكر فيها امتحان المؤمنين وحثهم على الصبر والمجاهدة، حتى يتحقق النصر بإذن الله، وكانت قصة إبراهيم على هذا النمط. وأما الصافات فقد ذكر فيها العاقبة السيئة لمن كذب بالرسل: إما بكونهم أهلكوا أو بكونهم غلبوا، ولذا ترى قصص الأنبياء فيها مقرونا بهلاك قومهم، والناظر فى قصة إبراهيم عليه السلام لا يجد ذكراً لاهلاك قومه، بل يجد أنهم ألقوه فى النار وأن الله نجاه منها، وبهذا تتضح حجته لمن ألقى السمع وهو شهيد، ثم إن إبراهيم تركهم وهاجر، وأما غيره من الأنبياء فقد أقاموا بين قومهم حتى أهلك الله قوم هؤلاء الأنبياء.

■ ومن هنا تظهر الحكمة فى عدم ذكره فى قصص سورتى الاعراف والقمر، فإنهما عرضتا لذكر الأنبياء مع أممهم، وعقاب الله لهم لما كذبوا رسله، قال تعالى: **﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات﴾... ﴿فانتقمنا منهم فأغرقناهم فى اليم﴾... ﴿ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر﴾**، إذن فقصة إبراهيم عليه السلام لم تذكر مع هؤلاء لأنها ليست من جنس قصصهم وواقعتهم(١٨).

●● والخلاصة أن القصة فى القرآن تختلف من سورة إلى اخرى، طولا وقصرا، تقديما وتأخيرا،

إن النبى صلى الله عليه وسلم عنى بالقران أشد عناية، وكان يعلمه الصحابة، ويدلهم على موضع الاية من الاية، والاية من السورة، والسورة من السورة، وكان يقرأه فى كل الاحوال فى محضر منهم، سواء أكان ذلك فى الصلوات أم خارجها، وكانوا يختمونه فى مدة معينة ويحزبونه احزابا، ثم إن العرب كانت تسجل كل نفيس عندهم، ولقد سجلوا القران فى الصحف وهو أنفس من كل نفيس، وكانوا يعرضون ما كتبوه على الرسول صلى الله عليه وسلم.

والأسلوب يختلف كذلك من آن إلى آخر، حسب الغرض الذى سيقت له السورة، والمتأمل فى سياق السور على اختلافها يجد الكثير والكثير، ولكن المقام هنا لا يساعد على تعدد الأمثلة.

● **المثال السادس:** فى ذكر الوعد والوعيد بما يناسب مقصود السورة القرآنية، وبما يناسب مقتضى الحال.

إن من أحسن الأساليب التى طرقها القرآن لدعوة الناس إلى الدين الحق: الجمع بين الترغيب والترهيب، وقرنها بالأحكام وبدلائل عظمته ووحدته وبرحمته تعالى بخلقه، لأن ذلك أجدر بالقبول وأقرب إلى التأثير فى القلوب وأسرع إلى الاستجابة، وبذلك ينتقل من أسلوب إلى آخر، فى غاية ما يكون من المناسبة بين الأنواع بعضها مع بعض.

وحال سوق الآيات قد يقتضى أن يستوى الأمران فى السورة الواحدة، وقد يغلب التخويف، لأن جانب الاخلال من العباد أعظم، وقد يغلب جانب التبشير لأن جانب الالتزام بالأوامر والنواهى أظهر.

■ من ذلك ما جاء فى سورة المائدة، من قول الله تعالى: **﴿ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شىء قدير﴾** لأنها وردت فى قطاع الطرق والمحاربين، فكان المناسب تقديم ذكر العذاب، ولهذا كان ختام آية السرقة **﴿والله عزيز حكيم﴾**.

ونسوق بالمناسبة حكاية الأعرابى حين سمع القارىء يقرأ **﴿والله غفور رحيم﴾** فقال: ما هذا كلام فصيح، فتنبه القارىء وقرأ التلاوة الصحيحة: **﴿والله عزيز حكيم﴾** فقال الأعرابى: بخ بخ عز فحكم فقطع(١٩).

ولهذا قدم الوعيد فى قوله بعدها: **﴿ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شىء قدير﴾** وكان تنزيل الآية بالقدرة مبالغة فى الترهيب، لأن من توعد قادر على تنفيذ وعيده، ومن هنا ندرك الحكمة فى قوله: **﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾**.. وفى ختام السورة يقول سبحانه: **﴿لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شىء قدير﴾**.

■ وقد يغلب جانب الترجيه ويتسع مجالها ويكون هذا فى مواطن القنوط، من ذلك ما جاء فى سورة الزمر، فقد حفلت بالترغيب والترهيب، ومع ذلك فقد ذكر فيها ارجى آية فى القرآن الكريم، وهى قوله تعالى: **﴿قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم﴾**.

وقد يذكر الترهيب منفردا، كقوله تعالى: **﴿تبت يدا أبى لهب وتب﴾**.. السورة، حيث نزلت فى حادثة معينة، وهى إيذاء أبى لهب وزوجه، للنبى ﴿ﷺ﴾، وقد ذكرت ما ينتظرهما من وعيد جزاء على ذلك.

وقد يذكر الترغيب منفردا، كقوله تعالى: **﴿ألم نشرح لك صدرك﴾**.. السورة، فهى ثناء منه تعالى، على رسوله صلى الله عليه وسلم، وأمر له بدوام شكر واهب النعم سبحانه، جزاء على جميل فضله وأفضاله جل شأنه، على رسوله محمد ﴿ﷺ﴾(٢٠).

■ إن القرآن الكريم نزل للهداية وإرشاد الخلق، إلى أقوم الطرق الى الله عز وجل، فنراه يجمع بين الالهيات والنبوات وأحوال القيامة، والمواعظ والحكم، والحلال والحرام والترغيب والترهيب، كل ذلك فى تناسق بديع وترتيب دقيق، ملاحظا الربط بين جميع هذه الأنواع، متنقلا بالسامع من معنى كامل إلى آخر يتآلف معه، حتى لا يمل السامع ولا القارىء، وهذا أذعن للقبول وأدعى لاطمئنان النفس، بمثابة الانتقال من بستان إلى بستان.

إن القران معجز فى لفظه وأسلوبه، فما من حرف أو كلمة أو اية أو سورة إلا وضع كل ذلك فى موضعه اللائق به، لحكمة يعلمها منزله سبحانه، ولو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب على أحسن منها، ما وجد ذلك، وأن تتسع له اللغة بكلمة واحدة.

وترتيب القرآن هكذا أقرب إلى التأثير فى القلوب، وإلى مسارعة الجوارح فى العمل والتنفيذ، لأن التكليف بالأعمال الشاقة لا يقع موقع القبول إلا إذا كان مقرونا بالجزاء الطيب أو القبيح، وإن ذكر الوعد والوعيد فى القرآن، لا يؤثر فى القلب إلا عند القطع بغاية كمال من صدر عنه الوعد والوعيد، فظهر أن هذا الترتيب أحسن الترتيبات اللائقة بالدعوة إلى الدين الحق(٢١).

وإن القرآن الكريم لم يفرد لكل نوع فصلا مستقلا «لأن القرآن ليس كتابا فنيا، فيكون لكل مقصد من مقاصده باب خاص به، وإنما هو كتاب هداية ووعظ، ينتقل بالانسان من شأن من شئونه إلى آخر، ويعود إلى مباحث المقصد الواحد المرة بعد المرة، مع التفنن فى العبارة والتنويع فى البيان، حتى لا يمل تاليه وسامعه من المواظبة على الاهتداء، يوجز أحيانا بما يعجز كل أحد عن الاتيان بمثله، إذا كان المقام يقتضى الايجاز، ويطنب فى مقام آخر حيث ينبغى الاطناب، وهو معجز فى إطنابه كإيجازه، لا لغو فيه ولا حشو، ولكل مقام فيه مقال»(٢٢).

■ ويقول الخطابى: «إنما نزل القرآن على هذه الصفة من جمع أشياء مختلفة المعانى فى السورة الواحدة وفى الآية المجموعة القليلة العدد، لتكون أكثر لفائدته وأعم لنفعه، ولو كان لكل باب منه قبيل، ولكل معنى سورة مفردة، لم تكثر عائدته، ولكان الواحد من الكفار والمعاندين المنكرين له، إذا سمع السورة منه لا تقوم عليه الحجة إلا فى النوع الواحد الذى تضمنته السورة الواحدة فقط. فكان اجتماع المعانى الكثيرة فى السورة الواحدة، أوفر حظا وأجدى نفعا من التمييز والتفريد للمعنى الذى ذكرناه.. والله أعلم.

وقد أحب الله عز وجل أن يمتحن عباده ويبلو طاعتهم واجتهادهم، فى جمع المتفرق منه وفى تنزيله وترتيبه، ﴿**وليرفع الله الذين آمنوا منهم والذين أوتوا العلم درجات**﴾(٢٣).

والحمد لله فى الأولى والآخرة وله الحكم وإليه المرجع والمآب.



الهوامش

(١) المستدرك على الصحيحين (٢-٢٢٣) والذكر: اللوح المحفوظ.
(٢) انظر شرح الحديث بطوله فى فتح البارى بشرح صحيح البخارى (باب تأليف القرآن) (١٠-٤١٤، ٤١٣).
(٣) انظر شرح الحديث، وغيره، فى فتح البارى شرح صحيح البخارى (كتاب الصوم): (٤-١٠٧، ١٠٨).
(٤) انظر الفتح الربانى للبنا (١٨-٣٤٢) وهذا لفظ البخارى فى (كتاب التفسير).
(٥) الطول: كالكبر جمع كبرى - بضم الطاء، وكسرها مرذول -
(٦) البرهان فى علوم القرآن للزركشى (١-٢٤٤).
(٧) انظر الحديث بطوله فى الفتح الربانى (١٨-٢٨، ٢٩) ومختصر المنذرى على سنن أبى داود (٢-١١٣، ١١٤) وفضائل القرآن لابن كثير (٢٦).
(٨) تفسير الشيخ محمود شلتوت (٣٧٤).
(٩) بيان إعجاز القرآن (٢٣ : ٢٥).
(١٠) دلائل الاعجاز (٣٤١).
(١١) النبأ العظيم (١٤٥ : ١٤٧) بتصرف.
(١٢) الاتقان فى علوم القرآن (١-٦٣).
(١٣) الاملاق: الفقر - مختار الصحاح.
(١٤) البرهان (٣-٢٨٥) ودرة التنزيل للخطيب الاسكافى (١١٦، ١١٧).
(١٥) المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير (٢٧٨ : ٢٨٢).
(١٦) مفاتيح الغيب للفخر الرازى (٨-٢٩٢ : ٣٠٠) ودرة التنزيل (٣٨٣ : ٣٨٥).
(١٧) مفاتيح الغيب (٨-٤٩٣ : ٥٠٥) ونظم الدرر للبقاعى - مخطوط بمكتبة الأزهر الشريف ٥٩٠ تفسير، (٧-٣٦٧، ٣٦٨).
(١٨) مفاتيح الغيب (٦-٣٧٥) والبرهان (٣-٣٠ : ٣٢).
(١٩) البحر المحيط (٣-٣٨٤).
(٢٠) البرهان (٤-٦٥) والموافقات للشاطبى (٣-٣٦٠، ٣٦١).
(٢١) مفاتيح الغيب (٣-٣٢٢) بتصرف.
(٢٢) تفسير المنار لرشيد رضا (٢-٤٥١).
(٢٣) بيان إعجاز القرآن (١٩، ٥٠).

الوحدة العضوية والموضوعية بين آيات السورة الواحدة

د. زاهر بن عواض الألمعي

أستاذ بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية - الرياض

﴿الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله. ذلك هدى الله يهدي به من يشاء﴾.



■ الوحدة الموضوعية للسورة، لا تعنى أن السورة موضوع واحد مستقل فهى ليست فصلا فى باب أو مبحثاً فى كتاب، فهناك فارق كبير بين طريقة القرآن الكريم وطريقة التأليف عند الناس، القرآن الكريم كتاب هداية يسلك إلى النفوس طريقها ويتخولها بالموعظة الحسنة بين الحين والآخر، وإنما المراد بالوحدة الموضوعية: أن لكل سورة موضوعاً او موضوعات غالبة عليها وسمات بارزة فيها فقد تتعدد موضوعاتها، ولكن هناك وشائج تربط بين هذه الموضوعات، وهناك روح يسرى فيها تثيره السورة من أحكام ومبادىء وما تذكره من قصص ومشاهد، فالسورة كالسوار، تحيط بموضوعاتها إحاطة السوار بالمعصم أو إحاطة السور بالمدينة فقد ظهرت الوحدة والترابط بين أجزاء السورة الواحدة من جانب وبين أجزائها ووحدتها الموضوعية الشاملة مع السور الأخرى من جانب آخر، فحصلت بذلك الوحدة الموضوعية الكبرى للقرآن الكريم بمعنى التناسق والترابط وتصديق بعضه بعضاً **﴿الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء﴾**.

■ وبهذا يظهر فى كل سورة من القرآن الكريم تناسق أوضاعها وائتلاف عناصرها، وأخذ بعضها بحجز بعض، حتى انها لتنتظم منها وحدة محكمة لا انفصام لها.

■ واعلم أن دراسة الوحدة الموضوعية للسورة محاولة قديمة عند بعض العلماء القدامى، ولكن يبدو أن الامام «ابن القيم» رائد فى هذا المجال ويتضح ذلك من خلال تفسيره المعروف (بالتفسير القيم) الذى جمعه العلامة (محمد أويس الندوى)، ومن خلال الدراسة التى قدمها الاستاذ (محمد احمد السنباطى) عن منهج «ابن القيم» فى التفسير، وهي دراسة عميقة جيدة، ذكر فيها الأساس الأول لمنهج ابن القيم فى تفسيره، بأنه يتمثل في إبراز الوحدة الموضوعية المتكاملة للسورة القرآنية، تلك الوحدة التى تربط أركان السورة بعضها ببعض، لتخدم الأهداف التى أنزلت من أجلها، والتى يمكن أن تكون أساساً لفهم آياتها.

ويقول السنباطى: «ويعتبر ابن القيم فى هذا المجال رائداً للمدرسة الحديثة التى تهتم بأن تقدم أمام تفسير السورة الاطار العام للأهداف السامية التى جاءت السورة لتعالجها وتمثل الروح الذى يسرى فى كيان السورة، فيربط بين أجزائها، ويجعل كل جزء منها خادماً للآخر ومخدوماً منه فى سبيل تحقيق الرسالة العظمى التى قصد من السورة أن تؤديها. ثم قال: «وابن القيم فى ذلك مبتكر لا متبع، ومجدد لا مقلد» ويميل السنباطى إلى ان ابن القيم فى التفسير أكثر دقة وتنظيماً من استاذه «ابن تيمية» فهو يعرض افكاره بصورة مبتكرة جذابة جعلته رائداً لمدرسة مازالت تعيش بين ظهرانينا، تلامذتها من كبار الأئمة والعلماء.

■ كما يرى السنباطي أن حركة التفسير في العصر الحديث قد تأثرت بمدرسة (ابن القيم) ويرى أن من رجال هذه المدرسة التفسيرية الأستاذ (محمد عبده) وتلميذه الشيخ (محمد رشيد رضا) والشيخ (محمود شلتوت) والشيخ (محمد محمد المدنى) والدكتور (محمد عبد الله دراز)، وهذا من مصر وحدها، أما من تأثر به خارج مصر فمنهم (ابو الأعلى المودودى) فى تفسيره لسورة النور، وغيرهم من العلماء.

■ وقد تعنى الوحدة الموضوعية الأهداف والمقاصد للسورة، فقد اشتملت كل سورة من سور القرآن على غرض أو اغراض متنوعة وبينها من الترابط والتناسق ما يعجز الانس والجن عن الاتيان بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.

■ وسنتحدث عن الوحدة الموضوعية بين آيات السورة الواحدة من خلال سورة البقرة كنموذج.

سـورة البقـرة:

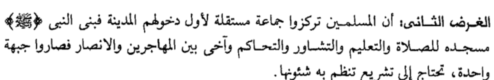
سميت السورة بذلك لاشتمالها على قصة البقرة وذلك أنه قتل قتيل فى بنى إسرائيل ولم يعلم قاتله، فذهب القوم إلى موسى عليه السلام يطلبون منه بيان القاتل فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة، وأن يضربوا القتيل بجزء منها فترد إليه الحياة ويقوم ويقول قتلنى فلان ثم يعود ميتاً، قال الله تعالى **﴿فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون﴾**.

■ وسورة البقرة مدنية: وهى أول سورة نزلت بعد هجرة الرسول ﴿ﷺ﴾ إلى المدينة، وهي من أجمع سور القرآن الكريم فقد احتوت على أصل العقيدة وعلى كثير من أدلة التوحيد كما ذكرت مبدأ خلق الانسان واشتملت على معظم احكام التشريعات عبادات ومعاملات.

● وقد ذكر بعض العلماء غرضين أساسيين لسورة البقرة:

الغرض الاول: استدعاه جوار المسلمين لأهل الكتاب فى المدينة فقد صار للمسلمين جوار فى المدينة غير جوارهم للمشركين فى مكة.





الغـرض الثـانى: أن المسلمـين تركزوا جماعة مستقلة لأول دخولهم المدينة فبنى النبى ﴿ﷺ﴾ مسجـده للصـلاة والتعليم والتشـاور والتحـاكم وآخى بين المهاجرين والانصار فصاروا جبهة واحدة، تحتاج إلى تشريع تنظم به شئونها.

■ وبهذين الامرين نجد أن السورة تهدف فى جملتها إلى هذين الغرضين:

●● توجيه الـدعـوة الى بنى اسرائيل ومنـاقشتهم فيما كانوا يثيرونه حول الرسالة المحمدية من تشكيك وشبـه، وفى سبيل ذلـك أخذت تذكرهم بنعم الله على أسلافهم، وبما انتاب هؤلاء الأسلاف حينما التوت عقولهم عن تلقي دعوة الحق من انبيائهم السابقين وارتكبوا من صنوف العنـاد والتكذيب والمخالفة، واقرأ فى ذلك من قوله تعالى فى السورة **﴿يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون﴾** .. الى آخر آية البر فى منتصف السورة تقريباً **﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب﴾** .. الخ

هذا هو الغرض الاول الذى استدعاه جوار المسلمين لأهل الكتاب.

●● أما الغرض الثانى: فهو التشريع الذى اقتضاه تكوين المسلمين جماعة متميزة على غيرها فى عبادتها ومعاملاتها وعاداتها.

■ وقـد ذكـرت السورة من ذلك القصاص فى القتل العمد العدوان وذكرت الصيام والوصية والاعتكاف والتحذير من أكل اموال الناس بالباطل وذكرت الأهلة وأنها جعلت ليعتمد الناس

عليها فى معرفة أوقات العبادة والزراعة وغيرها، وذكرت الحج والعمرة وذكرت القتال وسببه الذى يدعو إليه، وغايته التى ينتهى إليها وذكرت الخمرو والميسر واليتامى وحكم مصاهرة المشركين وذكرت حيض النساء والتطهر منه، والطلاق والعدة والخلع والرضاع، وذكرت الايمان، وذكرت الانفاق فى سبيل الله والربا والبيع، وذكرت طرق الاستيثاق فى الديون بالكتابة، والاستشهاد والرهن.

■ وبدأ السياق من قوله تعالى بعد آية البر **﴿يأيها الذين أمنوا كُتِبَ عليكم القصاص فى القتلى﴾** إلى قبيل آخر السورة، وكان يتخلل كل ذلك ـ على طريقة القرآن ـ ما يدعو المؤمنين الى التزام هذه الاحكام، وعدم الاعتداء فيها، من قصص ووعد ووعيد وإرشاد الى سنن الله فى الكون والجماعات ثم تختتم ببيان عقيدة المؤمن على نحو ما بدأت به فى بيان أوصاف المتقين **﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون﴾**.

■ وبذلك يؤكد آخرها أولها، ويؤسس أولها لاخرها وتصير السورة كتلة واحدة لينتفع المسلمون الذين يهتدون بالكتاب بأحد غرضيها فى معاملة من يخالطون من أهل الملل الأخرى، وينتفعون بالغرض الآخر فى تنظيم أحوالهم من عبادة ومعاملة.

■ والوحدة العضوية والموضوعية بين آيات السورة الواحدة واضحة جلية، فلو أخذنا مثلا آيات الطلاق فى سورة (البقرة) لوجدنا عجباً في تناسب الآيات وترتيب ما ينشأ عن الطلاق من أحوال وقضايا ومشكلات حيث عالجتها آيات السورة علاجاً حكيماً بما شرع الله فيها من احكام، وسن من سنن التعامل بالمعروف وعدم نسيان الفضل بين الزوجين والاصهار، فإذا وقع الطلاق ترتبت عليه العدة فى أحوال مختلفة وذلك لاستبراء الرحم، وأعطى الزوج فرصة فيما دون الطلقات الثلاث للمراجعة فى مدة العدة من غير مضارة للزوجة، وبينت أحكام كثيرة تتعلق بالمهر، وافتداء الزوجة نفسها بشىء من المال مقابل فسخ النكاح فى حالة الاختلاف، وتناولت الآيات طلاق الثلاث وما يترتب عليه من أحكام، وقيود، وأوصت الآيات بالامساك بالمعروف أو التسريح بإحسان، ونهت عن ظلم النساء فى صوره المختلفة الذى ينتهجه كثير من الازواج أو الأولياء ثم بينت أحكام الرضاعة والحقوق المتعلقة بذلك لكل من الزوجين وعلى كل منهما، وحقوق الطفل ووجوب الرعاية وعدم المضارة، وبينت السورة أحكاماً عامة فى العدل والتراحم والنفقة بالمعروف، وأحكاماً محددة فى العدة والمهر، وأنواع الطلاق، وغير ذلك مما يتعلق بالعلاقات الزوجية بداية ومعاشرة ونهاية، وإن شئت فارجع إلى الآيات فى سورة البقرة من الآية (٢٢٦) إلى الآية (٢٤٢) تجد التناسب المحكم فى سياق الآيات وتجد الاستيعاب لما يتعلق بالعلاقات الزوجية من أحكام فى حالة الوفاق أو الفراق، وما يتفرع عن الطلاق من خصومات وحقوق وواجبات سواء بين الزوجين أو أولادهما او الأولياء والأصهار، وقد ختم الله تعالى تلك الآيات بقوله **﴿كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون﴾** إشارة إلى بيان جميع الاحكام التى يحتاجون إليها واستخدام العقل والفكر فيما ينشأ من خلافات في العلاقات الزوجية وتقديم العقل على العواطف والانفعالات النفسية والنزعات الشيطانية وعدم نسيان الفضل والتراحم بين الزوجين والاصهار، قال تعالى: **﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾**.

■ هذه لمحات موجزة فى هذا الموضوع الواسع من خلال سورة البقرة والله ولى التوفيق.

اشتملت كل سورة من سور القرآن الكريم على غرض أو أغراض متنوعة، بينها من الترابط والتناسق ما يجعل من مضمونها الكلي وحدة موضوعية.




وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل

الأحـــرف الســـبعـــة

القرآن الكريم، المعجزة الخالدة، أنزله الله سبحانه قرآنا يتلى ويتعبد به، أبان المحجة واقام الحجة.

تعددت لهجات العرب، وان كانت قد اجتمعت إلى حد كبير على لسان قريش.. وكان تعدد القراءات رحمة بالناس، أذن للمسلمين بقراءة القرآن الكريم بما أرادوا من تلك القراءات السبع المشهورة حتى لا يستغلق القرآن على احد.

وهذه الدراسة العميقة القيمة، تتناول (الأحرف السبعة والقراءات وتشرح كل جوانبها.



د. عبد الفتاح اسماعيل شـلبى
استاذ الدراسات القرانية اللغوية جامعة ام القرى

تعريف علـم القـراءات

هو العلم الذى يعرف منه كيفية آداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة(١) فهو مستمد من النقول الصحيحة المتواترة عن أئمة قراءة القرآن عن النبى ﴿ﷺ﴾، وهو من أشرف العلوم الشرعية، لتعلقه باشراف الكلام(٢).

نشـأة القـراءات وتطورهـا

أولا: فى عهد الرسول:

نزل القرآن بلغة قريش أول الأمر ووجدت القبائل الأخرى مشقة فى قراءة القرآن بغير لغتها (لهجتها)، فطلب الرسول من ربه أن يخفف عن أمته ما تلاقيه من المشقة، فأذن الله لرسوله أن يقرىء أمته القرآن على أوجه كثيرة يسيرة على ألسنة القبائل.

وتلقى رسـول الله ﴿ﷺ﴾ القـرآن بقراءاته وأحرفه المختلفة عن جبريل (عليه السـلام) فكـان رسـول الله يقـرىء الصحابة بما أقرأه جبريل، فربما أقرأ صحابيا بحرف، وأقرأ صحابيا آخر بحرف، على حسب ما يجده (صلى الله عليه وسلم) يسيرا على كل منهما، وكان كل واحد يقرأ كما علم. وان خالف قراءة صاحبه لقوله (صلى الله عليه وسلم): اقرأوا كما عُلمتم(٣).

من أجل ذلك تعارف بين الصحابة (رضى الله عنهم) من عهد النبى ﴿ﷺ﴾ ترك الانكار على من خالفت قراءته قراءة الآخر، لقول النبى ﴿ﷺ﴾: «أنزل القرآن على سبعة أحرف فاقرأوا بما شئتم».

ولقوله: «نزل القرآن على سبعة أحرف، كل شاف كاف» ولانكاره (صلى الله عليه وسلم) من تمارى فى القرآن. فكانوا يقرأون بما تعلموا، ولا ينكر أحد على أحد قراءته.

وكان النبى ﴿ﷺ﴾ قد وجه بعضهم الى البلدان ليعلموا الناس القرآن والدين.

ثانيا: فى عهد أبى بكر وعمر (رضى الله عنهما):

ولما مات النبى ﴿ﷺ﴾ خرج جماعة من الصحابة فى أيام أبى بكر وعمر الى ما افتتح من الامصار، ليعلموا الناس القرآن والدين وكانوا مئات بل ألوفا مؤلفة.

فهذا الوليد بن مسلم يقول: دخلت الشام عشرة آلاف عين رأت رسول الله ﴿ﷺ﴾، ويروى ابن سعـد فى طبقـاتـه قال: هبط الكـوفة ثلاثمائة من أصحاب الشجرة، وسبعون من أهل بدر وقد كان بالكوفة ستون شيخا من أصحاب عبد الله

والقـــراءات

ابن مسعود، ونزل البصرة أنس بن مالك وكان إمام البصرة فى الحديث، وأبو موسى الاشعرى وكان إمامها فى القراءة والاقراء.

وقد علم هؤلاء وهؤلاء الناس القرآن أهل كل مصر على ما كان يقرأ على عهد النبى ﴿ﷺ﴾، فاختلفت قراءة أهل الامصار على نحو ما اختلفت قراءة الصحابة الذين علموهم.

ثالثا: فى عهد عثمان (رضى الله عنه):

رأى عثمان الناس يختلفون فى القرآن فتدارك الامر، وكتب به مصاحف على لغة قريش، ووجهها الى الامصار، وحملهم على ما فيها، وأمرهم وجميع الناس على حرف واحد بترك ما خالفها، وأجمعت الامة المعصومة من الخطأ على ما تضمنته هذه المصاحف، وترك ما خالفها من زياده ونقص، وإبدال كلمة بأخرى مما كان مأذونا فيه، توسعة عليهم، ولم يثبت عندهم ثبوتا مستفيضا أنه من القرآن.

أذن الله تعالى للرسول صلى الله عليه وسلم أن يقرىء أمته القرآن على أوجه كثيرة.. يسيرة على ألسنة الصحابة.

وقرأ كل أهل مصر بها فى مصحفهم، وتلقوا ما فيه عن الصحابة الذين تلقوه من في (فم) رسول الله ﴿ﷺ﴾، ثم قاموا بذلك مقام الصحابة الذين تلقوه عن النبى ﴿ﷺ﴾.

وهكذا اجتمع الناس فى الامصار على مصحف عثمان، وقرأ أهل كل مصر من قراءاتهم التى كانوا عليها بما يوافق خط المصحف، وتركوا من قراءتهم ما خالف خط المصحف.

رابعا: ما بعد عهد عثمان فى العصرين الثانى والثالث حتى ابن مجاهد:

أ ـ أضحت الامصار (مكة والمدينة، والبصرة والكوفة، ودمشق) تعج بالمسلمين، وكثر القراء من التابعين الذين تلقوا عن الصحابة ومن بعدهم، وتوافدت الوفود على قراء الامصار تجلس فى حلقاتهم، تطلب القرآن وتتلقاه وتقرأه، وكان معظم هؤلاء لا ينتهون من التلقى الا وقد أتقنوا القرآن.

ب ـ ثم ان الرواة عن الائمة من القراء كانوا فى العصرين الثانى والثالث كثيرا فى العدد، (حتى بلغ من كان يجلس فى حلقة أبى الدرداء بدمشق ألفا وستمائة) كما كانوا كثيرا فى الاختلاف فأراد الناس فى العصر الرابع أن يقتصروا من القراءات التى توافق المصحف على ما يسهل حفظه، وتنضبط القراءة به، فأفردوا من كل مصر وجه اليه عثمان مصحفا ـ اماما مشهورا بالضبط والامانة فى النقل، توافق قراءته مصحف ذلك المصر فكان(٤):

ابو عمرو من أهل البصرة.

وحمزه وعاصم والكسائى من أهل الكوفة.

وابن كثير من أهل مكة.

وابن عامر من أهل الشام.

ونافع من أهل المدينة.

■ وأول من اقتصر على هؤلاء أبو بكر بن مجاهد قبل سنة ثلاثمائة أو فى نحوها وتابعه فى ذلك من أتى، الى الآن(٥).

اصل اختلاف القراءات:

ووجه هذا الاختلاف فى القراءات ان رسول الله ﴿ﷺ﴾ كان يعرض القرآن على جبريل عليه الصلاة والسلام فى كل عام عرضة، فلما كان فى العام الذى توفى فيه عرض عليه عرضتين، فكان جبريل عليه الصلاة والسلام يأخذ عليه فى كل عرضة، بوجه وقراءة من هذه القراءات المختلفة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم إن القرآن أنزل عليه وإنها كلها شاف كاف، وأباح لأمته القراءة بما شاءت منها، مع الإيمان بجميعها، والإقرار بها كلها إذ كانت كلها من عند الله تعالى منزلة، ومنه صلى الله عليه وسلم مأخوذة.

ولم يُلزم أمته حفظها كلها، ولا القراءة بأجمعها، بل هى مخيرة فى القراءة بأى حرف شاءت منها كتخييرها إذا هى حنثت فى يمين وهى موسرة بأن تكفر بأى الكفارات شاءت: إما بعتق، وإما بإطعام وإما بكسوة. وكذلك المأمور فى الفدية بالصيام او الصدقة او النسك اى ذلك فعل فقد ادى ما عليه وسقط عنه فرض غيره. فكذا أقروا بحفظ القرآن وتلاوته ثم خيروا فى قراءته بأى الاحرف السبعة شاءوا. إذ كان معلوما انهم لم يلزموا استيعاب جميعها دون ان يقتصروا منها على حرف واحد، بل قيل لهم اى ذلك قرأتم.

تعدد القراءات: أسبابه وفوائده

أولا: التيسير والتخفيف على أمة النبى (صلى الله عليه وسلم):

ويوضح ذلك مكى بن أبى طالب فى كتابه الابانة حيث يقول:

«إن الله عز وجل لم يجعل على عباده حرجا فى دينهم، ولا ضيق عليهم فيما افترض عليهم وكانت لغات من أنزل عليهم القرآن مختلفة، ولسان كل صاحب لغة لا يقدر على رده الى لغة أخرى، الا بعد تكلف ومئونة شديدة، فيسر الله عليهم أن أنزل كتابه على سبع لغات متفرقات فى القرآن، ليقرأ كل قوم على لغتهم، وعلى ما جرت به عادتهم:

فقوم جرت عادتهم بالهمز، وقوم بالتخفيف.. وقوم بالفتح، وقوم بالامالة.

وكذلك الاعراب، واختلافه فى لغاتهم، والحركات واختلافها فى لغاتهم، وغير ذلك.. فقرأوا على طبعهم، ولغتهم، ولغة من قرب منهم، وكان فى ذلك رفق عظيم بهم، وتيسير كثير لهم(٦).

ويشرح ذلك الامام ابن الجزرى فى كتابه النشر، فيقول ما ملخصه: «إن القرآن نزل على سبعة أحرف، وإن الكتب المنزلة كانت تنزل على حرف واحد، وذلك أن الانبياء عليهم السلام كانوا يبعثون الى قومهم الخاصين بهم، والنبى ﴿ﷺ﴾ بعث الى جميع الخلق: أحمرها وأسودها، عربيها وعجميها، وكانت العرب الذين نزل القرآن بلغتهم ـ كانت لغاتهم مختلفة، وألسنتهم شتى، ويشق على أحدهم الانتقال من لغته الى غيرها، بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك لا سيما الشيخ والمرأة ومن لم يقرأ كتابا كما أشار اليه (صلى الله عليه وسلم)، فلو كلفوا العدول عن لغتهم والانتقال عن ألسنتهم لكان من التكليف بما لا يستطاع(٧).



■ يقول ابن قتيبة: «وكان من تيسير الله تعالى أن أمر نبيه ﴿ﷺ﴾ بأن يقرىء كل أمة بلغتهم، ومـا جرت عليه عادتهم، فالهـذلى يقـرأ «عتى حين» يريد «حتى حين» هكـذا يلفظ بها، ويستعملها، والاسدى يقرأ: «تِعلمون وتِعلم، وتِسوّد وجوه وألم إعهد اليكم والتميمى يهمز، والقرشى لا يهمز» (نقله النشر عن المشكل لابن قتيبة).

■ يقول ابن الجزرى: وهذا يقرأ عليهم وفيهم بالضم، والآخر يقرأ: «قدْ افلح وقدْ أوحى» بالنقل والاخر يقرأ «موسى وعيسى ودنيا» بالاماله، وغيره يقرأها بالفتح».

■ قال ابن قتيبة: ولو أراد كل فريق من هؤلاء أن يتحول عن لغته وما جرى عليه اعتياده طفلا وناشئا وكهلا لصعب عليه ذلك وعظمت المحنة فيه، ولم يمكنه الا بعد جهد طويل، وتذليل للسان فأراد الله برحمته ولطفه أن يجعل لهم متسعا فى اللغات، ومتصرفا فى الحركات كتيسيره عليهم فى الدين(٨).

ثانيا: الجمع بين حكمين مختلفين:

كقراءة: يَطْهُرن - ويطهرن، بالتخفيف والتشديد: فينبغى الجمع بينهما، وهو أن الحائض لا يقربها زوجها حتى: تطهر بانقطاع حيضها، وتطهر بالاغتسال.

ثالثا: ومن فوائد تعدد القـراءات:

ما يكـون لأجـل اختـلاف حكمـين شرعـين: كقراءة و«ارجلِكم» بالجر، و«أرجلَكم» بالنصب من قولـه تعـالى: ﴿فـاغسلوا وجـوهكم وايـديكم الى المرافق، وامسحوا برءوسكم وارجلكم الى الكعبين﴾(٩)، فان الجر يقتضى فرض المسح. والنصب يقتضى فرض الغسل. فبينهما النبى ﴿ﷺ﴾ فجعل المسح للابس الخف، والغسل لغيره.

اجتمع النـاس فى الأمصـار علـى مصحف عثمـان

رابعا: ومنها ما يكون حجة لترجيح رأى بعض العلماء كقراءة:

«أولمستم النساء» اذ اللمس يطلق على المس، كقوله تعالى: ﴿فلمسوه بأيديهم﴾ أى مسوه.

خامسا: التحدى بالقرآن جميع الخلق:

فالنبى ﴿ﷺ﴾ تحدى بالقرآن جميع الخلق فى قوله تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾(١٠).

فلو أتى القرآن بلغة دون لغة لقال الذين لم يأت بلغتهم: «لو أتى بلغتنا لأتينا بمثله، وتطرق الكذب الى القرآن تعالى، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

سادسا: فى تعدد القراءات حجة لقول بعض أهل العربية:

كقراءة «فاتقوا الله الذى تساءلون به والارحام(١١)» بالجر. فان النحاة الكوفيين احتجوا بهذه القراءة على جواز عطف الاسم المجرور والارحام على الضمير فى به » من غير اعادة حرف الجر».

سابعا: ومن فوائد تعدد القراءات بيان أن القرآن الكريم وقراءاته من عند الله:

فاختـلاف القـراءات اختلاف تعدد وتنوع لا اختلاف تناقض وتضاد، اذ لو كان من الحرفين حرف يأمر بشىء، وينهى عنه الآخر لكان فى ذلك التضاد. . لكن ذلك لم يقع فى شىء من القراءات: واليك شرح ذلك فى الامثلة الاتية:

● قرأت الجماعة «وهو يُطْعِمُ ولا يُطْعَم» من قوله تعالى: ﴿أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والارض وهو يطعِم ولا يطعَم﴾.

● كما قـرىء: «وهو يُطعِم ولا يُطْعِم».

● وقـرىء: «وهو يُطْعَمُ ولا يُطعِم».
وليس فى شىء من هذه القراءات تناف ولا تضاد ولا تناقض: فقراءة «يُطْعِمُ ولا يُطْعَم» الضمير فى الفعلين راجع الى الله تعالى أى ان الله يرزق الخلق ولا يرزقه أحد.
● وقراءة «يطعِم ولا يطعِم» الضمير فى الفعلين يعود الى الله تعالى أى: والله يطعم من يشاء ولا يطعِم من يشاء».
● وقراءة: وهو يُطعَم ولا يُطعِم الضمير فى الفعلين يعود إلى الكافر أى أنه يطعم من الله ولا يستطيع إطعام غيره(١٢).

ثامنا: ومن فوائد تعدد القراءات الاحتفاظ بلهجات القبائل:

من همز وتسهيل، وفتح وامالة، وادغام واظهار. والزام المثنى الالف الى غير ذلك(١٣).

فقد ظهرت هذه اللهجات فى القراءات المختلفة: قال الأصمعى: قلت لأبى عمرو: من يقول مُرْية؟ قال بنو تميم: قلت: أيهما أكثر فى العرب؟ قال: مُرِيه. قلت: فلأى شيء قرأت مِرْية؟ قال: كذلك أقرئتها هناك، يعنى بالحجاز(١٤).

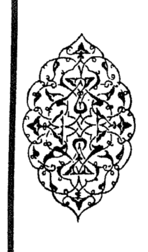
أركان القـراءة الصحيحـة

ذكر العلماء ثلاثة أركان للقراءة الصحيحة، وهى:

١ ـ أن توافق اللغة العربية ولو بوجه من الإعراب.
٢ ـ أن توافق أحد المصاحف العثمانية.
٣ ـ أن يتواتـــر نقلهـــا.

فكل قراءة اجتمعت فيها هذه الأركان الثلاثة فهى قراءة صحيحة متواترة مقطوع بها.

وقد نظم هذه الاركان ابن الجزرى فى كتابة طيبة النشر فقال (رحمه الله):



فكـل ما وافـق وجـه نحـو
وكـان للرسـم احـتمالا يحوى
وصـح اسـنادا هو القـرآن
فهـذه الثـلاثـة الأركـان
وحـيثـما يختـل ركـن أثبـت
شذوذه، لو أنـه فى السـبعـة (١٥)

تعليـق:

قولـه فى الركن الاول: ولو بوجه من الاعراب نحو قراءة حمزة والارحام بالجر من قوله تعالى: ﴿واتقوا الله الذى تساءلون به: والارحام﴾ حين عطف الاسم الظاهر على الضمير فى به وهو ضمير فى محل جر، ولا يجوز ذلك عند البصريين(١٦).

ومعنى موافقة القراءة احد المصاحف العثمانية أى واحد من المصاحف التى وجهها عثمان رضى الله عنه وأرضاه الى الأمصار: كقراءة ابن كثير فى التوبة: «تجرى من تحتها الانهار» بزيادة «من» فانها لا توجد الا فى مصحف مكة.. ومعنى قولنا (فى الركن الثانى): ولو احتمالا أى ما يتحمله رسم المصحف كقراءة من قرأ: «مالك يوم الدين» بالالف فانها كتبت بغير الالف فى جميع

المصاحف، فاحتملت الكتابة أن تكون «مالك» وفعل بها كما فعل باسم الفاعل من قوله: بقادر وصالح وغير ذلك مما حذفت منه الالف اختصارا فهو موافق للرسم احتمالا وتقديرا، لان الالف تقدرها العرب فى النطق ولا يرسمونها فى الكتابة.

والمراد «بالتواتر» فى الركن الثالث ما رواه جماعة يؤمن تواطؤهم على الكذب عن جماعة كذلك من أول السند الى منتهاه الى رسول الله ﴿ﷺ﴾، والعمدة فى هذه الاركان هو «التواتر»، إذ انه متى تحقق التواتر فى القراءة لزم ان تكون موافقة للعربية، ولأحد المصاحف العثمانية.

وقد اجتمعت هذه الاركان الثلاثة فى القراءات السبع المشهورة بالاتفاق وفى الثلاثة التى بعدها على المختار والمشهور(١٧).

تعريف موجز بالقراءة الشاذة

عرفت من قبل أنه لابد من توافر أركان ثلاثة فى القراءة لتكون قراءة صحيحة فان اختل ركن من هذه الاركان كأن تكون القراءة القرآنية لا تتفق مع وجه من وجوه العربية أو تكون مخالفة لرسم المصحف فانها تكون قراءة شاذة.

وكذلك القراءة التى نقلت الينا نقل آحاد من غير تواتر واستفاضة. واذن: القراءة الشاذة هى التى فقدت ركنا من أركان القراءة الصحيحة، وهذا هو معنى قول ابن الجزرى فى طيبته:

وحيثما يختل ركن أثبت
شذوذه، لو أنه فى السبعة

وتتمثل هذه القراءة الشاذة فى قراءة الاربعة بعد العشرة، وكل قراءة وراء العشرة، لا يحكم بقرآنيتها، بل هى قراءة شاذة لا تجوز القراءة بها لا فى الصلاة ولا خارج الصلاة، ولا يصلى خلف من قرأ بها(١٨).

أمثلة للقراءات الشاذة

(أ) قراءات خالفت العربية:

قوله تعالى: وعلى أبصارهم غُشوة (البقرة/٧).

قرأها الحسن بالغين المعجمة مضمومة ومفتوحة.

وبالعين المهملة المضمومة (عُشوة) وليس هذا الوجه فى أمهات كتب اللغة التى بين أيدينا ومنها لسان العرب وشرح القاموس والذى فيها بالعين المهملة المفتوحة وهو سوء البصر بالليل والنهار(١٩).

وكذلك قرأ الحسن: «واتبعوا ما تتلو الشياطين(٢٠) بالواو بدلا من الياء مع فتح النون: «الشياطون» وهذا لحن فاحش وغلط(٢١).

(ب) قراءات خالفت رسم المصحف، ورويت رواية آحاد (غير متواترة):

قرأ عمر بن الخطاب صراط من أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم وغير الضالين، وقرأ ابن مسعود أرشدنا الصراط فى موضع أهدنا(٢٢).

أما القراءة بالمعنى من غير أن ينقل قرآنا فليس ذلك من القراءات الشاذة أصلا، بل هى قراءة كاذبة، والمجترىء على ذلك مجترىء على عظيم، وضال ضلالا بعيدا، فيعزر ويمنع بالحبس ونحوه(٢٣).

حديث: إنزل القران على سبعة أحرف

غلب على علمائنا الذين تناولوا هذا الموضع فى مقالاتهم أو تآليفهم أن يذكروا بأن معنى سبعة الاحرف مما اختلفت فيه الآراء، وكثرت فيه الاقوال وبينوا ان الامام الزركشى فى البرهان جعلها خمسة وثلاثين قولا، وأوصلها السيوطى أربعين.

■ ومن هنا عد بعض العلماء ان هذا الحديث مشكل وبعضهم اتى بآراء يستشف منها عدم صحتها، وآخرون أوردوا آراء تستريح النفس اليها.

وقبل أن أتناول الموضوع، انبه الى أن حديث: أنزل القرآن على سبعة أحرف رواه جمع كثير من الصحابة بلغوا واحدا وعشرين صحابيا، حتى نص أبو عبيد القاسم بن سلام على تواتره ومن الصحابة الذين رووه: أبيّ بن كعب وأنس بن مالك، وحذيفة بن اليمان، وسمرة بن جندب، وابن عباس وابن مسعود، وعبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان، وعمر بن الخطاب وعمرو بن العاص، ومعاذ ابن جبل، وهشام بن حكيم، وأبو سعيد الخدرى، وأبو طلحة الانصارى، وابو حرب، رضى الله عنهم اجمعين. (الاتقان ج١ ص: ٤٥٥).

سرد بعض الاحاديث فى ذلك

أورد أبو شامة المقدسى فى كتابه (المرشد الوجيز ص٧٧). طائفة من الأحاديث التى تواترت على الاحرف السبعة من تلك الاحاديث:

(١) ما جاء فى الصحيحين عن ابن شهاب قال: حدثنى عبيد الله بن عبد الله ان عبد الله بن عباس حدثه ان رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: «**أقرأنى جبريل عليه السلام على حرف واحد، فراجعته فلم أزل استزيده ويزيدنى حتى انتهى الى سبعة احرف**» (البخارى ٦/١٠٠ ومسلم ٢/٢٠٢).

(٢) وما جاء عن ابن شهاب قال: اخبرنى عروة بن الزبير أن المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن عبد القارى حدثاه أنهما سمعا عمر بن الخطاب يقول: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان فى حياة رسول الله ﴿ﷺ﴾ فاستمعت لقراءته. فاذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﴿ﷺ﴾. فكدت اساوره فى الصلاة، فتصبرت حتى سلم فلببته بردائه (اى جمعت ثيابه عند نحره ثم جررته) فقلت: من أقرأك هذه السورة التى سمعتك تقرأ؟ قال: اقرأنيها رسول الله ﴿ﷺ﴾ فقلت: كذبت فإن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قد أقرأنيها على غير ما قرأت فانطلقت به أقوده الى رسول الله ﴿ﷺ﴾ فقلت: إنى سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾ لعمر: «أرسله». فأرسله عمر، فقال: «اقرأ يا هشام» فقرأ عليه القراءة التى سمعته يقرأ، فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾: كذلك أنزلت. ثم قال «اقرأ يا عمر» فقرأت القراءة التى أقرأنى، فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾: كذلك أنزلت، ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه" واللفظ للبخارى. (البخارى ٦/١٠٠).

فكان الصحابة بعد ذلك يقرأون بها تعلموا. ولا ينكر أحد على احد قراءته.

(٣) وفى صحيح مسلم عن أبى بن كعب قال: كنت فى المسجد، فدخل رجل فصلى فقرأ قراءة انكرتها، ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله ﴿ﷺ﴾. فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، ودخل آخر فقرأ ـ وفى رواية. ثم قرأ هذا ـ سوى قراءة صاحبه، فأقرأهما رسول الله ﴿ﷺ﴾ فقرآ، فحسّن النبى ﴿ﷺ﴾ شأنهما، فسقط



فى نفسى من التكذيب ولا اذ كنت فى الجاهلية، فلما رأى النبى ﴿ﷺ﴾ ما قد غشينى ضرب فى صدرى، ففضت عرقا وكأنما انظر الى الله عز وجل فرقا (اى خوفا).

فقال: يا أبى إن ربى أرسل إلىّ أن اقرأ القرآن على حرف، فرددت إليه أن هون على أمتى. فرد الى الثانية: اقرأه على حرفين، فرددت اليه يهون على أمتى فرد الى فى الثالثة. اقرأه على سبعة أحرف، ولك بكل ردة ردد تكها مسألة تسألنيها، فقلت: اللهم اغفر لامتى، اللهم اغفر لأمتى، وأخرت الثالثة ليوم يرغب الى الخلق كلهم حتى إبراهيم صلى الله عليه وسلم. (مسلم٢/٢٠٣ ورواه احمد بن حنبل فى مسنده ٥/١٢٧).

(٤) وفى صحيح مسلم ايضا عن ابن أبى ليلى عن أبى بن كعب ان النبى ﴿ﷺ﴾ كان عند أضاة بنى غفار (هو غدير صغير وهو موضع قريب من مكة فوق سرف) فأتاه جبريل عليه السلام فقال: ان الله يأمرك ان تقرأ أمتك القرآن على حرف فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وان امتى لا تطيق ذلك، ثم أتاه الثانية فقال: ان الله تعالى يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وان أمتى لا تطيق ذلك ثم جاءه الثالثة فقال: ان الله يأمرك ان تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة احرف فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وان أمتى لا تطيق ذلك، ثم جاءه الرابعة فقال: ان الله يأمرك ان تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف. فأيما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا (مسلم ٢/٢٠٣ ورواه ابو داود ٢/١٠٢ والنسائى ٢/١٥٢ واحمد بن حنبل فى مسنده ٥/١٢٨، والبيهقى فى كتاب الاسماء والصفات ص٢٧١).

(٥) وفى جامع الترمذى عن أبى بن كعب قال: لقى رسول الله ﴿ﷺ﴾ جبريل فقال: يا جبريل، انى بعثت الى أمة أميين منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية، والرجل الذى لم يقرأ كتابا قط، قال: يا محمد إن القرآن أنزل على سبعة احرف. قال: هذا حديث حسن صحيح.

(٦) وفى كتاب أبى عبيد عن حذيفة بن اليمان عن النبى ﴿ﷺ﴾: قال: «لقيت جبريل عليه السلام عند أحجار المراء (موضع بقبا خارج المدينة» فقلت: يا جبريل، إنى أرسلت الى أمة أمية: الرجل والمرأة والغلام والجارية والشيخ الفانى الذى لم يقرأ كتابا قط فقال: إن القرآن أنزل على سبعة أحرف. (انظر النهاية لابن الاثير ١/٢٠٣).

(ولو أراد كل فريق من هؤلاء ان يتحول عن لغته وما جرى عليه اعتياده طفلا وناشئا وكهلا لصعب عليه ذلك وعظمت المحنة فيه ولم يمكنه إلا بعد جهد طويل وتذليل اللسان.. فاراد الله برحمته ولطفه ان يجعل لهم متسعا فى اللغات ومتصرفا فى الحركات).

معنى الاحرف: التى اشار اليها النبى ﴿ﷺ﴾ فى قوله: أنزل القرآن على سبعة احرف.

عقد أبو عمرو الدانى بابا فى كتابه جامع البيان فى القراءات السبع تحدث فيه عن نزول القرآن على سبعة احرف، وبين ما ينطوى عليه من المعانى، ويشتمل عليه من الوجوه.

قال الدانى: فأما معنى الاحرف التى ارادها النبى ﴿ﷺ﴾ ههنا، فانه يتوجه الى وجهين: احدهما: ان يكون يعنى بذكر ان القرآن انزل على سبعة أحرف سبعة أوجه من اللغات لان الأحرف جمع حرف فى الجمع القليل مثل: فلس وأفلس ورأس وأرؤس والحرف قد يراد به الوجه بدليل قوله تعالى: «ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به. وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه». والمراد بالحرف ههنا الوجه الذى تقع عليه العبادة.

ومن النـاس من يعبد الله على النعمة تصله والخير يناله، من تثمير المال، وعافية البدن، واعطاء السؤال، ويطمئن الى ذلك ما دامت له هذه الامور واستقامت له هذه الأحوال، فإن تغيرت حاله وامتحنه الله تعالى بالشدة فى عيشه، والضر فى بدنه، والفقر فى ماله، ترك عبادة ربه وكفر به، فهذا عبد الله سبحانه وتعالى على وجه واحد، ومذهب واحد، وذلك معنى الحرف.

ولو عبده تبارك وتعالى على الشكر للنعمة، والصبر على المصيبة، والرضا بالقضاء عند السراء والضراء والشدة والرخاء والفقر والغنى والعافية والبلاء ـ اذ كان سبحانه أهلا ان يتعبد على كل

حال ـ لم يكن عبده تعالى على حرف.

فلهذا سمى النبى ﴿ﷺ﴾ هذه الاوجه المختلفة من القراءات والمتغايرة من اللغات أحرفا، على معنى أن كل شىء منها وجه على حدته، غير الوجه الآخر كنحو قوله: ومن الناس من يعبد الله على حرف اى على وجه ان تغير عليه تغير عن عبادته وطاعته على ما بيناه (جامع البيان ٤/و٠).

■ والوجه الثانى: من معنى الاحرف ان يكون صلى الله عليه وسلم سمى القراءات احرفا على طريق السعة كنحو ما جرت عليه عادة العرب فى تسميتهم الشىء باسم ما هو منه وما قاربه، وجاوره، وكان كسبب منه وتعلق به ضربا من التعلق، وتسميتهم الجملة باسم البعض منها، فلذلك سمى النبى ﴿ﷺ﴾ القراءة حرفا، وان كان كلاما كثيرا من اجل ان منها حرفا قد غير نظمه، اوكسر او قلب الى غيره، او اميل، او زيد او نقص منه، مع ما جاء فى المختلف فيه من القراءة، فلما كان ذلك نسب صلى الله عليه وسلم القراءة، والكلمة التامة الى ذلك الحرف المغير المختلف اللفظ من القراءة فسمى القراءة إذ كان ذلك الحرف منها ـ حرفا على عادة العرب فى ذلك واعتمادا على استعمالها، نحو، الا ترى انهم قد يسمون القصيدة قافية، اذ كانت منها؟ كما قال:

وقافية مثل حد السنا
ن تبقى، ويهلك من قالها

يعنى وقصيدة فسماها قافية على طريق الاتساع..

وكذا يسمون الرسالة على نظامها، والخطبة بكمالها، والقصيدة كلها، والقصة بأسرها كلمة، اذ كانت الكلمة منها.. فيقولون قال قس فى كلمته كذا، يعنون خطبته، وقال زهير فى كلمته كذا يريدون قصيدته، وقال فلان فى كلمته كذا اى فى رسالته.

يرى أبو عمرو الدانى أن العدد سبعة يراد به التكثير لا الحصر، وان المراد بالاحرف لغات العرب أو لهجاتهم.

قال الله تبارك وتعالى: (سورة الاعراف الاية١٣٧) **﴿وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل بما صبروا﴾**، فقال انما يعنى بالكلمة ههنا قوله فى سورة القصص: (الاية٦٥) (٤ظ) **﴿ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض، ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الأرض، ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾**.

فسمى ما فى الآيتين مِنْ مِنَّةٍ ـ على بنى اسرائيل وجعلهم أئمة، ووراث الارض وتمكينه اياهم ـ الى غير ذلك مما تضمنت كلمة.

وقال مجاهد فى قوله تعالى: وألزمهم كلمة التقوى: قال: لا اله الا الله فسمى هذه الجملة كلمة اذ كانت الكلمة منها.

فكذا سمى رسول الله ﴿ﷺ﴾ القراءات أحرفا، اذ كانت الاحرف المختلفة فيها منها فخاطب صلى الله عليه وسلم من بالحضرة وسائر العرب فى هذا الخبر من تسمية القراءة حرفا، لما يستعملون فى لغتهم وما جرت عليه عادتهم فى منطقهم كما بيناه، فدل على صحة ما قلناه.

(جامع البيان ٤/ظ، وانظر النشر ج١ ص٢٤).

المراد بالأحرف السبعة التى نزل القران عليها
أبو عبيدة القاسم بن سلام
(٢٢٤هـ) ص٩١ المرشد الوجيز

قال أبو عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤هـ) رحمه الله تعالى فى كتاب غريب الحديث: قوله:

«سبعة أحرف» يعنى سبع لغات من لغات العرب، وليس معناه أن يكون فى الحرف الواحد سبعة أوجه، هذا لم نسمع به قط. ولكن نقول: هذه اللغات السبع متفرقة فى القرآن، فبعضه نزل بلغة قريش، وبعضه نزل بلغة هوازن، وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة أهل اليمن، وكذلك سائر اللغات ومعانيها فى هذا كله واحدة.

■ تعقيب: مما يؤيد ان العدد سبعة ليس المراد به الحصر، بل المراد به التوسعة ما أورده السيوطى فى الاتقان فى النوع السابع والثلاثين: فيما وقع فيه (آى فى القرآن) بغير لغة الحجاز.

ثم أورد أمثلة لما ورد فى القرآن من لغات.

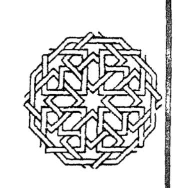
أهل اليمن - وهذيل، والنخع، وهوازن، وعمان، وبنى عبس، وكنانة، وأزد شنوءة، ومذحج، وخثعم، وقيس عيلان، واليمامة، وسبأ، وسليم، وعمارة وخزاعة، وتميم، والأشعريين، والأوس، والخزرج، ومدين. . . الخ (الاتقان ج٢ من ص٨٩ - ص١٠١).

كما أورد السيوطى ما جاء فى كتاب الارشاد فى القراءات العشر لابى بكر الواسطى من أن فى القرآن من اللغات خمسين لغة وأوردها كلها. (انظر الاتقان ص١٠٢).

بين السجستانى وابن قتيبة (٢٧٦هـ)

وقال أبو حاتم سهل بن محمد السجستانى (٢٥٠هـ): معنى سبعة أحرف لغات من لغات العرب. وذلك ان القرآن نزل بلغة (١) قريش، (٢) وهذيل، (٣) وتميم (٤) وأزد، (٥) وربيعة، (٦) وهوازن، (٧) وسعد بكر.

وعلق ابن قتيبة (٢٧٦هـ) على قول السجستانى هذا فقال: هذا القول يعنى قول أبى حاتم السجستانى - عظيم من قائله، لانه غير جائز ان يكون فى القرآن لغة تخالف لغة قريش لقوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه﴾ (سورة ابراهيم/٤) الا ان يكون القائل لهذا أراد ما وافق من هذه اللغات لغة قريش.



ويفسر ايوب السختيانى قوله تعالى: الا بلسان قومه، أراد العرب كلهم.

تعليق إن (احدث نظريات علم اللغة)

من أن لغة العرب تنقسم الى لهجات:

قال أبو شامة فعلى هذا القول لا يستقيم اعتراض ابن قتيبة على ذلك التأويل.

وأورد ابو شامة كذلك قول بعض الشيوخ بما يوفق بين رأى ابن قتيبة وأبى حاتم السجستانى: (ص٩٥).

■ **قال ابو شامة:**

قال بعض الشيوخ: الواضح من ذلك ان يكون الله تعالى انزل القرآن بلغة قريش وما جاورهم من فصحاء العرب، ثم أباح للعرب المخاطبين به، المنزل عليهم أن يقرأوه بلغاتهم التى جرت عادتهم باستعمالها على اختلافهم فى الالفاظ والاعراب، ولم يكلف بعضهم الانتقال من لغة الى غيرها لمشقة ذلك عليهم ولأن العربى إذا فارق لغته التى طبع عليها يدخل عليه الحمية من ذلك فتأخذه العزة. فجعلهم يقرأونه على عادتهم وطباعهم ولغاتهم منة منه عز وجل لئلا يكلفهم ما يشق عليهم، فيتباعدوا عن الاذعان، وكان على ما عهد رسول الله ﴿ﷺ﴾ من الالفاظ والاعراب جميعا مع اتفاق المعنى. فمن أجل ذلك جاء فى القرآن الفاظ مخالفة للفظ المصحف المجمع عليه كالصوف وهو «العهن» (القارعة/٥) وزقية وهى «الصيحة» (سورة يس/٢٩) وحططنا وهى «وضعنا» (الانشراح/٢) وحطب جهنم وهى: «حصب» (سورة الانبياء/٩٨) ونحو ذلك،

فقبض رسول الله ﴿ﷺ﴾، وكل رجل متمسك بها أجازه له (صلى الله عليه وسلم) وإن كان مخالفا لقراءة صاحبه فى اللفظ.

وعوّل المهاجرون والانصار ومن تبعهم على العرضة الاخيرة التى عرضها رسول الله ﴿ﷺ﴾ على جبريل عليه السلام فى العام الذى قبض فيه، وذلك أن النبى ﴿ﷺ﴾ كان يعرض عليه فى كل سنة مرة جميع ما أنزل عليه فيها الا فى السنة التى قبض فيها فانه عرض عليه مرتين.

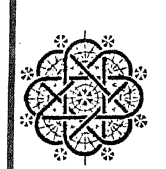
■ قال أبو شامة: (ص٩٦ المرشد وانظر تكملة ص٩٧) وهذا كلام مستقيم حسن وتتمته أن يقال: أباح الله تعالى أن يقرأ على سبعة احرف ما يحتمل ذلك من ألفاظ القرآن وعلى دونها ما يحتمل ذلك من جهة اختلاف اللغات، وترادف الالفاظ توسيعا على العباد. ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول: لما اوحى اليه أن يقرأه على حرفين وثلاثة: «هون على أمتى» (رواية مسلم/ فلما انتهى الى سبعة وقف وكأنه صلى الله عليه وسلم علم انه لا يحتاج من ألفاظه لفظة الى أكثر من ذلك غالبا والله أعلم. (ص٩٦ المرشد الوجيز).

■ وجاء عن على بن أبى طالب وابن عباس رضى الله عنهما انهما قالا: نزل القرآن بلغة كل حى من أحياء العرب. وفى رواية عن ابن عباس: ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقرىء الناس بلغة واحدة، فاشتد ذلك عليهم فنزل جبريل: يا محمد، اقرىء كل قوم بلغتهم.

وعلق على ذلك أبو شامة فقال:

هذا هو الحق: لانه انما ابيح أن يقرأ بغير لسان قريش توسعة على العرب، فلا ينبغى ان يوسع على قوم دون قوم، فلا يُكلَّف احد الا قدر استطاعته فمن كانت لغته الامالة، او تخفيف الهمز، أو الادغام، أو ضم ميم الجمع او صلة هاء الكتابة، او نحو ذلك فكيف يكلف غيره؟

وكذلك كل من كان من لغته أن ينطق بالشين التى كالجيم فى نحو اشدق والصاد التى كالزاى فى نحو مصدر، والكاف التى كالجيم، والجيم التى كالكاف ونحو ذلك فهم فى ذلك، بمنزلة الالثغ ص٩٧ (من كان بلسانه لثغة أى قلب السين ثاء أو الراء غينا) والأرث (من كان فى لسانه رتة أى عجمة وعدم ايضاح) لا يكلف ما ليس فى وسعه. وعليه ان يتعلم ويجتهد والله أعلم (المرشد الوجيز ص٩٧).



أقول: وقد نظر الدكتور ابراهيم انيس ـ من المحدثين الى هذا الرأى فى كتابه: اللهجات العربية، إذ قال:

نحن حين ننظر الى هذا الحديث فى ضوء الروح الاسلامى نرى أنه ليس إلا إحدى الوسائل التى أريد بها التيسير على الناس ومنع المشقة عنهم.

فالمسلم أيا كانت لهجته، وايا كانت بيئته، وأيا كانت تلك الصفات الكلامية التى نشأ عليها، وتعودها، ولم يقدر الا عليها، يستطيع أن يقرأ بالقدر الذى تعودته عضلات صوته فى نطقه بلهجته او لغته، ويجب الا ننكر عليه او نهزأ من قراءته، فقد حاول وبذل الجهد فله أجر اجتهاده. (فى اللهجات العربية ص٥٥ وما بعدها).

■ والخلاصة ما أورده ابو شامة فى المرشد الوجيز اذ قال: المراد بالعدد سبعة فى الحديث التوسعة وليس حصرا للعدد قال ابو شامة وهذا موافق لما روى عن على وابن عباس (رضى الله عنهما) وهو كما قيل فى معنى قوله تعالى: ﴿**ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم**﴾ (التوبة/ ٨٠) اذ جرى كالمثل فى التعبير عن التكثير لا حصرا فى هذا العدد والله أعلم (المرشد الوجيز ص٩٩).

خلاصـــــة
فى المـراد من الأحرف السبعة

الاتقان للسيوطى ١ /١٣٨

● اجتهد العلماء فى المراد من الأحرف السبعة ورأى اكثرهم أنها سبعة على سبيل الحصر (شرح مسلم ص٩٩ ج١٦) وقيل هو توسعة وتسهيل لما يقصد به الحصر (القراء الاندلسيون).

● سبب القراءة على اكثر من حرف التهوين على أمة محمد ﴿ﷺ﴾ وذلك من قول الرسول ﴿ﷺ﴾: انى ارسلت الى امة اميين فمنهم الشيخ الكبير، والعجوز والشيخ الفانى فقال له جبريل ان القرآن انزل على سبعة أحرف.

ولعلمه صلى الله عليه وسلم بما عليه أمته من اختلاف اللغات واستصعاب مفارقة كل فريق منهم الطبع والعادة فى الكلام الى غيره فخفف تعالى عنهم وسهل عليهم، بأن أقرهم على مألوف طبعهم وعادتهم فى كلامهم. (جامع البيان ٤ط، والمرشد الوجيز لأبى شامة ص٩١، وانظر النشر ج١ ص١٦، ٢٢، ٥٢، ٥٤).

● قال ابن حبان: قيل أقرب الاقوال الى الصحة إن المراد به سبع لغات، والسر فى إنزاله على سبع لغات تسهيله على الناس لقوله ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر﴾ (سورة القمر/١٧).

من التفسيرات الفاسدة للاحرف السبعة:

لو كلف اهل اللهجات غير لهجة قريش العدول عن لهجتهم والانتقال منها الى غيرها لكان مما لا يستطاع.

وذلك اكثر ما جاء فى كتاب الإتقان من الاوجه الخمسة والثلاثين وبخاصة التسعة عشر الاولى. (انظر الاتقان١ /١٣٨).

أورد الامام النووى فى شرحه صحيح مسلم:

وأما قول من قال المراد سبعة معان مختلفة كالاحكام والامثال والقصص فخطأ، لانه صلى الله عليه وسلم اشار الى جواز القراءة بكل واحد من الحروف وابدال حرف بحرف، وقد تقرر اجماع المسلمين انه يحرم ابدال آية امثال بآية احكام.

قال: وقول من قال المراد خواتيم الآى فيجعل مكان غفور رحيم سميع بصير - فاسد ايضا للاجماع على منع تغيير القرآن للناس. شرح صحيح مسلم (ج٦ ص١٠٠).

(قول لابن مسعود فى معنى سبعة أحرف وتعقيب عليه)

جاء فى المرشد الوجيز ما نصه: ذهب قوم فى قول النبى ﴿ﷺ﴾: «أنزل القرآن على سبعة أحرف» الى انها سبعة انحاء وأصناف فمنها زاجر، ومنها آمر، ومنها حلال، ومنها حرام، ومنها محكم، ومنها متشابه، واحتجوا بما روى ابن سلمة (هو ابن عبد الرحمن بن عوف الزهرى ابو سلمة المدنى (انظر تهذيب التهذيب ١٢/١١٥).

قال: «كان الكتاب الاول نزل من باب واحد على حرف واحد ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة احرف: زاجر وآمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال فأحلوا حلاله، وحرموا حرامه، وافعلوا ما أمرتم به، وانتهوا عما نهيتم عنه، واعتبروا بأمثاله واعملوا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهه»، وقولوا: «**آمنا به كل من عند ربنا**» (ذكره ابن جرير الطبرى فى تفسيره ١/٦٨).

■ قال أبو عمر بن عبد البر: هذا حديث عن أهل العلم لم يثبت، وأبو سلمة لم يلق ابن مسعود،

وابنه سلمة ليس ممن يحتج به ، وهذا الحديث مجتمع على ضعفه من جهة اسناده، وقد رده قوم من أهل النظر، منهم احمد بن ابى عمران (الفقيه الحنفى قاضى الديار المصرية ٢٨٠هـ) شذرات الذهب ٢/١٥٧ ، هامش ص١٠٨ المرشد الوجيز.

فيما سمعه منه الطحاوى قال: من قال فى تأويل السبعة الاحرف هذا القول فتأويله فاسد لانه محال ان يكون الحرف منها حراما لا ما سواه، او يكون حلالا لا ما سواه، لانه لا يجوز ان يكون القرآن يقرأ على انه حلال كله او حرام كله، او أمثال كله. (المرشد الوجيز ص١٠٧ وما بعدها). وانظر تفنيد هذا الرأى فى النشر ج١ ص٢٥.

هذا، وبعض من لا علم عندهم ظن ان المراد بالاحرف السبعة القراءات السبع!

وفى اجمال أقول: ليست القراءات السبع هى الأحرف السبعة:

أولا: لأن الأحرف التى نزل بها القرآن أعم من تلك القراءات المنسوبة إلى الأئمة السبعة القراء عموما مطلقا، فالوجوه التى نزل بها كتاب الله تشتمل على وجه قرأ به النبى ﴿ﷺ﴾ وأقرأه اصحابه وذلك ينتظم القراءات السبع المنسوبة الى هؤلاء الائمة السبعة القراء كما ينتظم ما فوقها الى العشرة، وما بعد العشرة وما كان قرآنا ثم نسخ. والمذهب المختار ان الوجوه التى انزل الله بها كتابه تشمل وجوه القراءات صحيحها وشاذها ومنكرها.

ثانيا: لأن السبعة لم يكونوا قد خلقوا ولا وجدوا حين نطق الرسول ﴿ﷺ﴾ بهذا الحديث الشريف. وبين العهدين حوالى ثلاثمائة سنة.

ثالثا: إذا كانت القراءات السبع هى الاحرف السبعة فانها يستلزم ذلك ان يبقى قول الرسول ﴿ﷺ﴾ «ان هذا القرآن انزل على سبعة أحرف» عاريا عن الفائدة حتى يولد القراء السبعة المعروفون، وتؤخذ القراءة عنهم، وذلك باطل يكذبه الواقع من قراءة النبى ﴿ﷺ﴾ وأصحابه والتابعين الاحرف السبعة من قبل ان يولد القراء السبعة الذين اختارهم أبو مجاهد.

(الابانة على بن ابى طالب ص١١٥ وما بعدها وانظر مناهل العرفان ص٨٤، والمدخل لابى شهبة ص١٩٦).

الاحرف التى نزل بها القران الكريم أعم من تلك القراءات المنسوبة إلى الائمة السبعة القراء عموما مطلقا.

■ هذا وقد حاول جماعة من أهل العلم بالقراءات استخراج سبعة احرف من هذه القراءات المشهورة ومن هؤلاء من فسروا العدد سبعة على وجه التحديد والحصر وقد جاءت أوجه هذه الاحرف متداخلة، يبدو فيها التكلف، لتكون الأوجه سبعة لا غير. وسأورد هذه المحاولات مرتبة على حسب وفيات اصحابها:

- رأى عبد الله بن مسلم الشهير بابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) فى كتابه تأويل مشكل القرآن (ص٢٨ وابن الجزرى ص٢٧).
- و مكى بن ابى طالب ٤٣٧هـ فى كتابه الابانة تحقيق الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبى.
- و احمد بن عمار المهدوى ٤٤٠هـ فى كتابه الموضح (مخطوط)
- و ابو عمرو الدانى ٤٤٤هـ فى كتابه: جامع البيان (مخطوط) (من الاندلسيين والمغاربة)
- ابو الفضل الرازى ٤٥٤هـ فى كتابه: اللوامح ص١٣٢ مناهل العرفان.
- ابن الجزرى (ت٨٣٣هـ) فى كتابه النشر ص٢٦.
- الحافظ ابن حجر (ت٨٥٢هـ) فى كتابه فتح البارى.

وجوه الاختلاف فى القراءات
ابن قتيبة ٢٧٦هـ

قال: عبد الله بن مسلم الشهير بابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) فى كتابه تأويل مشكل القرآن ص٢٨:

تدبرت وجوه الاختلاف فى القراءات فوجدتها سبعة:

الاول:

فى الإعراب بما لا يزيل صورتها فى الخط، ولا يغير معناها نحو: هؤلاء بناتى هن اطهرُ لكم، وأطهرَ. وهل يُجَازى الا الكفور؟ ونجازى الا الكفور والبُخْل والبَخَل وميسَرة وميسُرة.

الثانى:

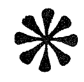
الاختلاف فى اعراب الكلمة، وحركات بنائها بما يغير معناها، ولا يزيلها عن صورتها نحو (ربَّنا باعِد، وربُّنا باعَد)..

الثالث:

الاختلاف فى حروف الكلمة دون إعرابها بما يغير معناها، ولا يزيلها عن صورتها نحو (وانظر الى العظام كيف نُنشزها ونُنشِرُ ها).

الرابع:

أن يكون الاختلاف فى الكلمة بما يغير صورتها ومعناها نحو: «طلع نضيد» فى موضع «وطلح منضود» فى آخر.



الخامس:

أن يكون الاختلاف فى الكلمة بما يغير صورتها فى الكتاب. ولا يغير معناها نحو: «الا زَقْيَة واحدة وصيحة واحدة». و«كالعهن المنفوش وكالصوف».

السادس:

أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير نحو: «وجاءت سكرة الحق بالموت فى سكرة الموت بالحق».

السابع:

أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان نحو: «وما عملت أيديهم وما عملته وان الله هو الغنى الحميد» وهذا اخى له تسع وتسعون نعجة أنثى.

ثم قال ابن قتيبة: «وكل هذه الحروف كلام الله تعالى نزل به الروح الامين على رسول الله ﴿ﷺ﴾. (انظر النشر ج١ ص٢٨).

■ **ويعقب ابن الجزرى على كلام ابن قتيبة فيقول:**

وهو حسن الا ان تمثيله بطلع نضيد وطلح منضود لا تعلق له باختلاف القراءات.. ولو مثل عوض ذلك بقوله: (بضنين) بالضاد وبظنين بالظاء لاستقام وطلع بدر حسنه فى تمام. وبعد هذا الاطراء يقول ابن الجزرى: «على أنه قد فاته كما فات غيره اكثر اصول القراءات:

كالادغام، والاظهار والاخفاء، والامالة، والتفخيم، وبين بين، والمد والقصر، وبعض احكام الهمز، كذلك الروم والاشمام على اختلاف انواعه، وكل ذلك من اختلاف القراءات وتغاير الالفاظ مما اختلف فيه أئمة القراء..

مكى بن أبى طالب (٤٣٧هـ) مغربى اندلسى

عقد مكى فى كتابه الابانة باباً تحدث به عن (معنى أنزل القرآن على سبعة أحرف) فقال :
فان سأل سائل فقال :

ما الذى نعتقد فى معنى قول النبى ﴿ﷺ﴾ أنزل القرآن على سبعة أحرف؟ وما المراد بذلك؟

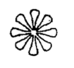
فالجواب : إن هذا المعنى قد كثر اختلاف الناس فيه . . والذى نعتقده فى ذلك ونقول به وهو الصواب ان شاء الله :

إن الاحرف السبعة التى نزل بها القرآن : هى لغات متفرقة فى القرآن ومعان فى ألفاظ تسمع فى القراءة :
مختلفة فى السمع متفقة فى المعنى .

نحو : تبديل كلمة فى موضع أخرى وصورة الخط متفقة أو مختلفة نحو : يسيركم ، وينشركم(٢٤) . .
ونحو : صيحة وزقية(٢٥) .
وزيادة كلمة ونقص أخرى
وزيادة حرف ونقص آخر .
وتغيير حركات فى موضع حركات أخر .
واسـكان حركة
وتشديد ، وتخفيف .
وتقديم ، وتأخير(٢٦)

ثم يمضى مكى فيذكر الملاك العام فى معنى الاحرف السبعة فيقول :
وشبه ذلك مما يسمع ويميز بالسمع .
وليس هو مما يحتوى على المعانى المستترة ، كقول من قال : الاحرف السبعة : حلال وحرام وناسخ ومنسوخ ، وأمر ونهى وشبه هذا(٢٧) .

■ هذه معان فى النفس مستترة لا تعلم الا بسؤال من يعتقدها ، دليل ذلك :



ان عمر انما سمع هشاما(٢٨) يقرأ غير قراءته ، فأنكر عليه ولم يره يغير حكما ، ولا يحرف معنى فى القرآن .

ويدل على ذلك : أن النبى ﴿ﷺ﴾ لما تخاصموا اليه فى القراءة أمرهم بالقراءة ، فلما سمعهم صوب قراءتهم ولم يسألهم عن معان مستورة فى أنفسهم ، إنما سمع ألفاظهم فصوبها .

وأيضا فانها لو كانت فى حلال وحرام ، وأمر ونهى وناسخ ومنسوخ وشبهه لم يقل : اقرءوا بما شئتم ، وأى ذلك قرأت أصبت .

قال بعض القراء :
هى سبعة أحرف منطبقة المفهوم ، مختلفة المسموع وهو معنى ما قلناه .
وقال مالك وغيره(٢٩) :
هو قراءة القارىء : عزيز حكيم . وفى موضع : غفور رحيم .
وهذا الذى يخالف الخط لا تجوز به اليوم لمخالفة خط المصحف ، وهو المنهى عنه .

■ والذى يشتمل عليه معنى القراءات : أنها ترجع الى سبعة أوجه :

الاول:

أن يختلف فى اعراب الكلمة، أو فى حركات بنائها بما لا يزيلها عن صورتها فى الكتاب ولا يغير معناها نحو:

البُخْل والبَخَل(٣٠) وميسَر ة وميسُرة(٣١)

وماهن أمهاتِهم وماهن أمهاتُهم(٣٢)

وهو كثير. يقرأ منه بما صحت روايته، وصح وجهه فى العربية لأنه غير مخالف للخط.

الثانى:

أن يكون الاختلاف فى اعراب الكلمة، أو فى حركات بنائها بما يغير معناها، على غير التضاد(٣٣) ولا يزيلها عن صورتها فى الخط وذلك نحو قوله:

«ربَّنا باعِد بين أسفارنا، وربنا بَعَّد بين أسفارنا»(٣٤)

«واذ تَلقونه وتُلقونه»(٣٥)

«واذكر بعد إمَّة وبعد أَمَهٍ»(٣٦)

الثالث:

أن يكون الاختلاف فى تبديل حرف الكلمة دون اعرابها بما يغير معناها، ولا يغير صورة الخط بها فى رأى العين نحو: ننشرها وننشزها(٣٧).

وفُزِّع عن قلوبهم وفَرَّغ عن قلوبهم(٣٨).

ويقص الحق، ويقض الحق(٣٩).

الرابع:

ان يكون الاختلاف فى الكلمة بما يغير صورتها فى الكتاب ولا يغير معناها نحو:

ان كانت الا صيحة واحدة، والا زقية واحدة(٤٠)

وكالصوف المنفوش والعهن المنفوش(٤١)

فهذا يقبل اذا صحت روايته ولا يقرأ به اليوم لمخالفته لخط المصحف، ولأنه انما ثبت بخبر الآحاد.

الخامس:

ان يكون الاختلاف فى الكلمة بما يزيل صورتها فى الخط، ويزيل معناها نحو:

ألم تنزيل الكتاب. فى موضع: الم ذلك الكتاب(٤٢)

فهذا لا يقرأ به ايضا، لمخالفته للخط، ويقبل منه ما لم يكن فيه تضاد(٤٣) لما عليه المصحف.

وهذه الاقسام كلها كثير لو تكلفنا أن نؤلف فى كل قسم كتابا مما جاء منه، وروى لقدرنا على ذلك لكثرته.

السادس:

أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير. نحو ما روى عن أبى بكر (رحمه الله) أنه قرأ عند الموت: وجاءت سكرة الحق بالموت(٤٤). وبذلك قرأ ابن مسعود.

وهذا يقبل لصحة معناه اذا صحت روايته. ولا يقرأ به لمخالفته المصحف، ولأنه أتى بخبر الآحاد.

والسابع:

أن يكون الاختلاف بالزيادة أو بالنقص فى الحروف والكلم، فهذا يقبل منه ما لم يُحدِث حكما لم يقبله احد.

ويقرأ منه بما اختلفت المصاحف فى اثباته وحذفه، نحو:

«تجرى تحتها» فى براءة عند رأس المائة، و«من تحتها»(٤٥)، «فإن الله الغنى الحميد» فى الحديد و«فان

هذه القراءات التى نقرأها هى بعض من الحروف السبعة التى نزل عليها القران استعملت لموافقتها المصحف الذي اجتمعت عليه الأمة.

الله هو الغنى الحميد»(٤٦).

ونحو ذلك اختلفت فيه المصاحف(٤٧) التى وجه بها عثمان الى الامصار، فيقرأ به اذا لم يخرج عن خط جميع المصاحف.

ولا يقرأ منه بما لم تختلف فيه المصاحف/٨ى: لا يزاد شىء لم يزد فى شىء من المصاحف، ولا شىء لم ينقص فى شىء من المصاحف.

وأما ما اختلفت فيه القراءة من الادغام، والاظهار، والمد، والقصر، وتشديد، وتخفيف، وشبه ذلك فهو من القسم الأول، لان القراءة بما يجوز منه فى العربية وروى عن ائمة وثقات: جائزة فى القرآن، لانه كله موافق للخط.

والى هذه الاقسام فى معانى السبعة ذهب جماعة من العلماء:

وهو قول ابن قتيبة(٤٨) وابن شريح(٤٩) وغيرهما. لكنا شرحنا ذلك من قولهم.

تعليق على كلام
مكى بن أبى طالب ٤٣٧هـ (المغربى الاندلسى)
ورأيه فى وجوه الاختلاف فى القراءات

ويكاد ينقل ما قال ابن قتيبة فى الأوجه السبعة، إلا أنه لا يمثل بطلع نضيد وطلح منضود كما تنبه الى ذلك ابن الجزرى ٨٣٢هـ، من بعد. . ويمثل فى الوجه الرابع مقتصرا على: ان كانت إلا صيحة واحدة والا زقية واحدة (سورة يس/ ٢٩)، وكالصوف المنفوش وكالعهن المنقوش (القارعة/ ٤).

كما تنبه مكى الى ان ما اختلف فيه القراء من الاماله والادغام والاظهار والمد. . . الخ فهو من القسم الاول. وهو ما ذكره ابن الجزرى من بعد، ولم يصرح بأنه نقله عن مكى!!



وفى امانة علمية رائعة يختم مكى كلامه فيقول:

والى هذه الاقسام فى معانى السبعة ذهب جماعة من العلماء، وهو قول ابن قتيبة، وابن شريح وغيرهما لكنا شرحنا ذلك من قولهم.

(الابانة ص٨٣ ـ ٩٠ بتحقيق د. عبد الفتاح إسماعيل شلبى).

أحمد بن عمار المهدوى ٤٤٠هـ (الأندلسى)
وما يراه من وجوه الاختلاف فى القراءات

جاء فى كتاب الموضح لابن عمار المهدوى ت٤٤٠هـ ما نصه:

اعلم ان الله عز وجل جعل القرآن آية معجزة، مباينا لسائر الكتب المتقدمة، وكلام العرب المستعمل فى خطبهم واشعارهم وأمثالهم وأخبارهم، ومباينته لذلك من وجوه يطول تعدادها، ويصعب فى مثل هذا الاختصار ايرادها.

فمن ذلك ما قصدنا اليه فى كتابنا هذا مما يسّر الله تعالى للتالين من اتساع لغاته، ووجوه قراءاته، اختصاصا له بالمنزلة الرفيعة.

وأنا ذاكر لك طرفا من بيان معنى الاختلاف فى حروفه ان شاء الله.

روى أبى بن كعب وغيره عن النبى ﴿ﷺ﴾ أنه قال: «انزل القرآن على سبعة احرف»

فاختلف اهل العلم فى تأويل هذا الحديث فقال بعضهم معنى ذلك: حلال وحرام، وأمر ونهى، وخبر ما كان وخبر ما يكون وضرب أمثال.

وقال بعضهم: ذلك نحو قولك: هلم، وتعال، واقبل، والى، ونحوى وقصدى، وقربى.

وأصحّ ما عليه الحذاق من أهل النظر فى معنى ذلك ان شاء الله ان ما نحن عليه فى وقتنا هذا من هذه القراءات هو بعض الحروف السبعة التى نزل عليها القرآن.

وتفسير ذلك ان الحروف السبعة التى اخبر النبى ﴿ﷺ﴾ ان القرآن نزل عليها تجرى على ضربين:

أحدهما زيادة كلمة ونقص اخرى

وابدال كلمة مكان اخرى

وتقدم كلمة على أخرى وذلك نحو ما روى عن بعضهم

«ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فى مواسم الحج». وروي عن بعضهم حم سين قاف وروى عن بعضهم: إذا جاء فتح الله والنصر وجاءت سكرة الحق بالموت.

فهذا الضرب وما أشبهه متروك، لا تجوز القراءة به، ومن قرأ بشىء منه غير معاند، ولا مجادل عليه ـ وجب على الامام ان يأخذه بالادب، بالضرب والسجن، على ما يظهر له من الاجتهاد.

فان قرأ به، وجادل عليه، ودعا اليه الناس ـ وجب عليه القتل لقول النبى ﴿ﷺ﴾ المراء فى القرآن كفر ولاجماع الامة على اتباع المصحف المرسوم.

والضرب الثانى ما اختلف فيه القراء من اظهار وادغام وروم واشمام وقصر ومد وتخفيف وشد وابدال حركة باخرى، وياء بتاء وواو بفاء وما اشبه ذلك من الاختلاف المتقارب ـ فهذا الضرب هو المستعمل فى زماننا هذا، وهو الذى عليه خط مصاحف الامصار سوى ما وقع فيه من اختلاف فى حروف يسيرة.



فثبت أن هذه القراءات التى نقرأها هى بعض من الحروف السبعة التى نزل عليها القرآن استعملت لموافقتها المصحف الذى اجتمعت عليه الامة، وترك ما سواها من الحروف السبعة لمخالفته لمرسوم خط المصحف اذ ليس بواجب علينا القراءة بجميع الحروف السبعة التى نزل عليها القرآن واذ قد اباح النبى ﴿ﷺ﴾ لنا القراءة ببعضها دون بعض لقوله عز وجل: فاقرءوا ما تيسر منه.

فصارت هذه القراءات (٣ب) المستعملة فى وقتنا هذا هى التى تيسرت لنا بسبب ما رواه سلف الأمة رضوان الله عليهم من جمع الناس على هذا المصحف لقطع ما وقع بين الناس من الاختلاف وتكفير بعضهم لبعض.

فهذا أصح ما قال العلماء فى معنى هذا الحديث ـ وما أشبهه من الاحاديث المأثورة عن النبى ﴿ﷺ﴾.

تعليق: إذن هناك فى رأى ابن عمار المهدوى وجوه صحيحة، وأخرى غير صحيحة.

ما يشتمل عليه المصحف من الأحرف السبعة

وذهب بعض اهل النظر الى غير هذه الاقاويل: وهو ان جميع القراءات التى نزل عليها القرآن داخلة فى خط المصحف المجمع عليه، غير خارجة عنه وانكر ان يكون عثمان والصحابة رضى الله عنهم منعوا من القراءات لما قبض النبى ﴿ﷺ﴾ وهو يقرأ. وحملوا ما جاء من القراءات المخالفة لمرسوم الخط على وجه التفسير لا على انه من التلاوة. ثم قال المهدوى: وهذا وجه حسن

يقويه ان القرآن انما ثبت بالاجماع ، فكل قراءة داخلة فى خط المصحف المجمع عليه مأخوذة من جهة الاجماع ، وكل ما روى مخالف لخطه لم يثبت لأنه من جهة الآحاد والقرآن لا يثبت بأخبار الآحاد . . وانما يثبت بنقل الكافة . وفيما ذكرنا من ذلك كفاية وبلاغ وبالله التوفيق أ . هـ (الموضح فى تعليل وجوه القراءات) .

أبو عمرو عثمان بن سعيد الدانى ٤٤٤هـ
من قــراء الاندلس
أوجه اختلاف الأحرف السبعة

قال أبو عمرو الدانى فى كتابه جامع البيان :

واما عن اى شيء يكون اختلاف هذه السبعة احرف ، فانه يكون فى اوجه كثيرة منها :

(١) تغير اللفظ نفسه ، وتحويله ، ونقله الى لفظ آخر كقولك : ملك يوم الدين بغير ألف (انظر الاختلاف فى قراءتها النشر لابن الجزرى ١/٢٧١ والسبعة لابن جوهر ١٠٤) ومالك بألف . والسراط بالسين والصراط بالصاد والزراط بالزاى وبين الزاى والصاد . (انظر الاختلاف فى قراءتها فى السبعة ١٠٥ والنشر ١/٢٧١) .

. . . وبظنين بالظاء ، وبضنين بالضاد وما اشبه ذلك (التكوير الاية٢٤ . والسبعة ٦٧٣ والنشر ٢/٣٩٨) .



(٢) ومنها الاثبات والحذف كقوله تعالى : «وقالوا اتخذ الله ولدا» (البقرة/١١٦) وانظرها فى السبعة ١٦٩ «وسارعوا الى مغفرة» (آل عمران والسبعة ٢١٦) «والذين اتخذوا مسجدا» (التوبة/١٠٧ والنشر٢/٢٨١) ، بالواو وبغير واو . . . وكذا «الداع اذا دعان» (البقرة/١٨٦ والسبعة/١٩٧) «ويوم يأت» (هود الآيه ١٠٥ والنشر٢/١٨٢) وما اشبهه بها بياء وبغير ياء .

(٣) ومنها تبديل الأدوات كقوله : «فتوكل على العزيز الرحيم» فى الشعراء بالفاء (الآيه٢١٧ وانظر النشر٢/٣٣٦) وتـوكـل بالـواو . و«فلا يخاف عقباها» بالفاء (الشمس الايه ١٥ وانظر السبعة ٦٨٩) . ولا يخاف بالواو .

(٤) ومنها التوحيد والجمع كقوله : الريح والرياح (انظر تفصيل الاختلاف بين القراء السبعة فى السبعة ١٧٢) والى أثر رحمة الله (الروم الآيه ٥٠ وانظر النشر٢/٣٢٨) وآثار ، وما اشبه ذلك .

(٥) ومنها التذكير والتأنيث كقوله : «ولا يقبل منها شفاعة» بالياء والتاء (البقرة الآية٤٨ وانظر السبعة٥٥) و«يعرج الملائكة» بالياء والتاء (المعارج الآيه٤ ، وانظر النشر٢/٣٩٠) .

(٦) ومنهـا الاستفهـام والخـبر كقـولـه أأعجمى (فصلت الآيه٤٤ وانـظر القـراءات فيهـا فى النشر٢/٣٩٠)وأأذهبتم (الاحقاف الآيه ٢٠) ، وانظر النشر ١/٣٦٦) وأ ان كان بالاستفهـام انـظر قراءاتها فى النشر ١/٣٦٧) وأعجمى ، واذهبتم ، وان كان بالخبر .

(٧) ومنها التشديد والتخفيف كقوله «بما كانوا يكذبون» بتشديد الذال وتخفيفها (البقرة الايه٦٠) وانظرها فى السبعة ١٦٧ ، ولكن الشياطين (البقرة الايه١٠٢ ، وانظر النشر ٢/٢١٩) .

(٨) ومنهـا الخـطاب والاخبـار كقـوله : «وما الله بغافل عما تعملون» (البقرة الآيه٧٤ والنشر ٢/ ٢٩٧) ، و«افلا تعقلون» (الانعام الآيه ٣٢ والسبعة ٢٥٦) . . . وما اشبه ذلك بالتاء على الخطاب وبالياء على الاخبار .

(٩) ومنها الاخبار عن النفس ، والاخبار عن غير النفس كقوله ، يتبوأ منها حيث نشاء بالنون ،

ويشاء بالياء يوسف الايه ١٥٦ وانظر النشر ٢/٢٩٥.

(١٠) ومنها التقديم والتأخير كقوله: «وقاتلوا وقتلوا وقتلوا وقاتلوا» (آل عمران ١٩٥ وانظر النشر ٢/٢٤٦، وفيقتلون ويقتَلون. وفيُقتلون ويَقتلون (التوبه الايه ١١٣ والسبعة ٣٢١).

(١١) ومنها النفى والنهى كقوله: ولا تسئل عن اصحاب الجحيم بالجزم على النهى (البقرة الايه ١١٩ وانظر السبعة ١٦٩) ولا تشرك فى حكمه احدا بالتاء والجزم على النهى - ولا يشرك بالياء والرفع على النفى (طه الايه٧٧ وانظر قراءاتها فى النشر ٢/٢٢١).

(١٢) ومنها الأمر والاخبار كقوله: واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى بكسر الخاء على الامر، واتخذوا بفتح الخاء على الاخبار.

(١٣) ومنها تغيير الاعراب وحده كقوله: وحور عين بالرفع والجر (الواقعة الآيه ٢٢ والنشر ٢/٣٨٣) و«والله ربنا» بالجر والنصب (الانعام الآيه ٢٣ والسبعة ٢٥٥) وذو العرش المجيدُ، فى لوح محفوظ بالرفع والجر (البروج الآيه ٢٢ والنشر ٢/٣٩٩) وما اشبه ذلك.

(١٤) ومنها تغيير الحركات اللوازم كقوله: ولا تحسِبن بكسر السين وفتحها (آل عمران الايه ١٧٨ وانظر النشر ٢/٢٣٦). ومن يقنِط، ويقنَطون بكسر النون وفتحها (الروم الآية٣٦ وانظر النشر ٢/٣٠٢).

(١٥) ومنها التحريك والتسكين كقوله: خطوات الشيطان (بضم الطاء وباسكانها) (البقرة الآيه ١٦٨، وانظر النشر ٢/١٥)، وفى الدرك باسكان الراء وفتحها (النساء الآيه ١٤٥ وانظر النشر ٢/٢٥٣). وكذلك ما اشبه.

(١٦) ومنها الاتباع وتركه كقوله: فمن اضطر (البقرة الايه ١٧٣)، وان اعبدوا الله (المائدة الآيه١١٧) وقالتِ اخرج وشبهه بضم النون والتاء لالتقاء الساكنين اتباعا لضم ما بعدهن وكسرهن للساكنين ايضا من غير اتباع.

(١٧) ومنها الصرف وتركه كقوله: وعادا وثمودا (الفرقان الايه٣٨، والا بعدا لثمود بالتنوين وتركه (هود الايه٦٨، والنشر ٢/٢٨٩) وما اشبه ذلك.

(١٨) ومنها اختلاف اللغات كقوله: جبريل بكسر الجيم من غير همز وبفتحها كذلك، وجبرئيل بفتح الجيم والراء مع الهمز من غير مد، وبالهمز والمد (البقرة الايه ٩٨ والنشر ٢/٢١٩)، وابراهيم بالياء وابراهام بالالف (البقرة الايه١٢٤ وانظر النشر ٢/٢٢١). وكذلك ما اشبهه.

(١٩) ومنها التصرف فى اللغات نحو الاظهار والادغام والمد والقصر والفتح والامالة وبين بين (اى بين الفتح والاماله) والهمز وتخفيفه بالحذف والبدل وبين بين (اى بين الهمز والحرف المشاكل لحركة الهمزة. . وما اشبه ذلك.

وقد ورد التوقيف عن النبى ﴿ﷺ﴾ بهذا الضرب من الاختلاف، وأذن فيه لأمته:

عن حصين بن مالك قال: سمعت شيخا يكنى أبا محمد، يحدث عن حذيفة قال: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: (اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها).

قال ابو عمرو: لحونها، وأصواتها: مذاهبها وطباعها.

هأنتم اولاء ترون ان أبا عمرو الدانى يرى:

اولا: ان العدد سبعة يراد به التكثير لا الحصر.

ثانيا: أن المراد بالاحرف لغات العرب (لهجاتهم) وعلى مجموع هذه اللهجات يطلق اللسان العربى.

الأوجه فى القراءات أو الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن هى لغات متفرقة فى القرآن، ومعان فى ألفاظ تسمع فى القراءة، مختلفة فى السمع متفقة فى المعنى.

أبو الفضل الرازى ٤٥٤هـ فـى كتابه اللوامـح

عبد الرحمن بن احمد ابو الفضل الرازى العجلى الامام المقرى شيخ الاسلام الثقة الورع الكامل مات سنة ٤٥٤هـ عن أربع وثمانين سنة .

ذهب العلامة ابن حجر الى ان مذهب الرازى هو مذهب ابن قتيبة بعد تنقيحه وتهذيبه . فقال ما نصه : وقد أخذ (أى الرازى) كلام ابن قتيبة ونقحه (ص١٢١ مناهل العرفان) .

قال الحافظ ابن حجر فى الفتح وقال ابو الفضل الرازى : الكلام لا يخرج عن سبعة اوجه فى الاختلاف :

الاول: اختلاف الاسماء من افراد وتثنية وجمع او تذكير وتأنيث .

الثانى: اختلاف تصريف الافعال من ماض ومضارع فأمر.

الثالث: وجوه الاعراب .

الرابع: النقص والزيادة .

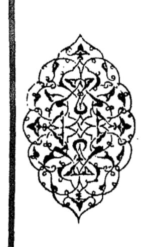
الخامس: التقديم والتأخير.

السادس: الابـــدال .

السابع: اختلاف اللغات كالفتح والامالة والترقيق والتفخيم والادغام والاظهار ونحو ذلك .

قلت : والقائل ابن حجر: وقد اخذ (أى الرازى) كلام ابن قتيبة ونقحه .

رأى ابن الجـزرى ٨٣٣هـ



جاء فى كتاب النشر ج١ ص٢٦ قول ابن الجزرى :

ولازلت استشكل هذا الحديث وأفكر فيه وأمعن النظر من نيف وثلاثين سنة حتى فتح الله على بما يمكن ان يكـون صوابا ان شاء الله ذلك انى تتبعت القراءات : صحيحها ، وشاذها وضعيفها ومنكرها فاذا هو يرجع اختلافها الى سبعة اوجه من الاختلاف لا يخرج عنها وذلك :

- اما فى الحركات بلا تغير فى المعنى والصورة نحو: البخل .
- او بتغير فى المعنى فقط نحو فتلقى آدم من ربه كلمات .
- واما فى الحروف بتغير المعنى لا الصورة نحو: تبلو وتتلو نُنَجيك ببدنك لتكون لمن خلفك ، ونُنَجيك ببدنك .
- أو عكس ذلك نحو بصطة وبسطه ، والصراط والسراط .
- أو بتغييرهما نحو أشد منكم ومنهم ـ وفامضوا الى ذكر الله .
- واما فى التقديم والتأخير نحو. فيقتلون ويقتلون . وجاءت سكرة الحق بالموت .
- أو فى الزيادة والنقصان نحو وأوصى ووصى ، والذكر والانثى .

■ فهذه سبعة اوجه لا يخرج الاختلاف عنها.

■ واما نحو اختلاف الاظهار والادغام والروم والاشمام والتفخيم والترقيق والمد والقصر والامالة والفتح والتحقيق والتسهيل . والابدال والنقل بما يعبَّر عنه بالاصول فهذا ليس من الاختلاف الذى يتنوع فيه اللفظ والمعنى لأن هذه الصفات المتنوعة فى أدائه لا تخرجه عن ان يكون لفظا واحدا ـ ولئن فرض فيكون من الأول . (النشر ج١ ص٢٦ و٢٧) .

مكى بن أبى طالب ٤٣٧هـ

يرى مكى بن أبى طالب أن المراد بالعدد سبعة التكثير لا حقيقة العدد:

أورد فى كتابه الابانة ما يؤيد ذلك، اذ قال: «مثال لاختلاف القراء فى سورة الفاتحة مما هو جزء من الاحرف السبعة: وهو يعالج أيضا أن القراءات السبع بعض الاحرف السبعة وجزء منها.

واذ قد ذكرنا ما يمكن ذكره من معانى القراءات السبع فلنذكر الان سورة أذكر ما فيها الاختلاف فى القراءات مما روى عن السبعة المشهورين مما لا يخالف خط المصحف مما قرأت به.

ثم نعيدها ثانية فنذكر ما فيها من القراءات عن غير هؤلاء السبعة: ممن هو أعلى درجة منهم مما لا يخالف خط المصحف أيضا، وهو أيضا مقبول معمول به فى الأمصار، مروى عن أئمة مشهورين غير هؤلاء السبعة.

ثم نعيدها ثالثة، فنذكر ما روى فيها من القراءات عن غير الائمة السبعة ممن هو أعلى رتبة منهم، وأجل قدرا مما يخالف خط المصحف، وقد تُركت القراءة به للاجماع على المصحف، ولكن لا تجحد ويصدق به. وتترك القراءة به، لانه بغير اجماع، انما نقل بخبر الواحد. فلا يقطع على غيبة، ومالا يقطع على غيبه لا يقرأ به، إذ القراءة باليقين أولى وهو ما عليه خط المصحف. (٥٠)

فيعلم من ذلك كله تحقيق ما ذكرنا أن قراءة هؤلاء المشهورين جزء من الاحرف السبعة التى نص عليها النبى ﴿ﷺ﴾.

ونعلم أيضا من ذلك معانى السبعة التى نص عليها النبى ﴿ﷺ﴾، ونعلم قدر ما روى من القراءات الجائزة القراءة بها، لموافقتها خط المصحف غير هؤلاء السبعة.

ونعلم أيضا قدر ما تركت القراءة به تركا واحدا، ولا تكذب الرواية به مما هو مخالف لخط المصحف.. ونعلم أن كل سورة فيها من الأنواع الثلاثة من الاختلاف على قدر طولها وربما كان اكثر. (انظر فتح البارى ج١٠ ص٤٠٨ وما بعدها فى شرح حديث: «انزل القرآن على سبعة أحرف».

على أنى لا أدعى ذكر كل ما روى فى هذه السورة التى جعلتها مثالا. فقد بلغ غيرى فيها من الاختلاف أمثال ما بلغنى فقدر فى نفسك وتوهم قدر ما ذكرت لك فى جميع سور القرآن فانه يكثر الاختلاف ويعظم من الأصناف الثلاثة.

وأنا أجعل السورة التى أذكر أم القرآن ـ الحمد لله ـ ليكون ذلك أخف، وأخصر، وأسهل، اذ ليست بسورة طويلة، ولو ذكرت سورة من الطوال أو من المثين لطال بذلك الكتاب لكثرة الأنواع الثلاثة فيها من الاختلاف، فتمثيلنا واظهارنا لما أردناه بسورة الحمد يغنى أهل الفهم وينبههم على قدر مافى سائر القرآن من الاختلاف من الأنواع الثلاثة.

القرآن إنما ثبت بالاجماع، فكل قراءة داخلة فى خط المصحف مأخوذة من جهة الاجماع.

أولا: ذكر اختلاف القراء السبعة فى سورة الحمد، مما قرأت به، ويوافق الخط

قرأ عاصم والكسائى:

مالك يوم الدين بألف.

وقرأ باقى القراء ملك بغير ألف.

وقرأ ابن كثير فى رواية قنبل(٥١) عنه:

السراط وسراط بالسين.

وقرأ حمزة فى رواية خلف(٥٢) عنه: الصراط بين الصاد والزاى.

وقرأ ذلك باقى القراء بالصاد خالصة.

قرأ حمزة عليهم بضم الهاء.
وكسرها باقى القراء.
قرأ ابن كثير والحلوانى(٥٣) عن قالون(٥٤) عن نافع عليهم بضم الميم، ويصلانها بواو فى الوصل خاصة.
وأسكنها باقى االقراء.
قرأ أبو عمرو الرحيم ملك بالادغام.
وباقى القراء بالاظهار.
فهذا ما اختلف فيه القراء السبعة المشهورون فى هذه السورة مما قرأت به.

ثانيا: ذكر الأئمة المشهورين غير السبعة فى سورة الحمد مما يوافق المصحف يقرأ به

ولما قرأ به ابراهيم بن ابى عبلة(٥٥) الحمد لله بضم اللام الأولى.
وقرأ الحسن البصرى(٥٦) الحمد لله بكسر الدال.
وفى القراءتين بعد فى العربية، ومجازها الاتباع.
قرأ أبو صالح(٥٧) مالك يوم الدين بألف، والنصب على النداء.
وكذلك قرأ محمد بن المسيفع اليمانى(٥٨) وهى قراءة حسنة.
وقرأ شريح بن يزيد الحضرمى ابو حيوة(٥٩) ملك يوم الدين بالنصب على النداء من غير ألف.
وقرأ على بن ابى طالب ملك يوم الدين بنصب اللام والكاف ونصب يوم. جعله فعلا ماضيا.
وروى عبد الوارث(٦٠) عن أبى عمرو أنه قرأ ملك يوم الدين باسكان اللام والخفض، ولم أقرأ بذلك له، وهى قراءة منسوبة الى عمر بن عبد العزيز (رضى الله عنه).

كل ما روى مخالفا لخط القرآن المجمع عليه لا يثبت لأنه من جهة الآحاد والقرآن يثبت بنقل الكافة.

قرأ عمر بن فايد الأسورى(٦١): إياك نعبد وأياك نستعين بتخفيف الياء فيهما.
وقد كره ذلك بعض المتأخرين لموافقة لفظة لفظ إيا الشمس، وهو ضياؤها.
وقرأ يحيى بن وثاب(٦٢) «نستعين» بكسر النون وهى لغة(٦٣) مشهورة حسنة.
وروى الخليل بن احمد(٦٤) عن ابن كثير أنه قرأ:
«غير المغضوب» بالنصب، ونصبه حسن على الحال، أو على الاستثناء، أو على الصفة من الذين أنعمت عليهم.
قرأ ايوب السختيانى(٦٥) ولا الضألين بهمزة مفتوحة فى موضع الألف ـ همز وحرك لالتقاء الساكنين، وهو قليل فى كلام العرب.
وهذا كله موافق لخط المصحف والقراءة به من رواه عن الثقات جائز لصحة وجهة فى العربية، وموافقته الخط إذا صح نقله(٦٦).

ثالثا: ذكر اختلاف الائمة المشهورين غير السبعة فى سورة الحمد مما يخالف خط المصحف، فلا يقرأ به اليوم

قرأ أبو هريرة(٦٧): مليك يوم الدين بياء بين اللام والكاف، وهو معنى حسن، لأنه بناء

للمبالغة، فهو ابلغ فى الوصف والمدح من ملك ومن مالك.

قرأ ابن السوار(٦٨) الغنوى: «هياك نعبد وهياك نستعين بالهاء فى موضع الهمزة وهى لغة قليلة، أكثر ما تقع فى الشعر.

روى الأصمعى(٦٩) عن أبى عمرو(٧٠) أنه قرأ: الزراط بزاى خالصة، وهو حسن فى العربية.

قرأ الحسن البصرى(٧١): «اهدنا صراطا مستقيما» منونتين من غير ألف ولام فيهما، وبذلك قرأ الضحاك(٧٢). وهو معنى حسن لولا مخالفته للمصحف.

قرأ جعفر بن محمد (رضى الله عنه): «اهدنا صراط المستقيم» باضافة الصراط الى المستقيم من غير ألف ولام فى الصراط وهو جائز فى العربية كدار الآخرة.

قرأ عمر بن الخطاب (رضى الله عنه): صراط من أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم وغير الضالين، فجعل من فى موضع الذين وغير فى موضع لا. وهو فى المعنى حسن كالذى قرأ الجماعة فى المعنى. وهو مروى أيضا عن أبى بكر (رضى الله عنهما).

قرأ ابن مسعود(٧٣): أرشدنا الصراط فى موضع «اهدنا» والمعنى واحد

قرأ ثابت البنانى(٧٤): «بصرنا الصراط» فى موضع اهدنا والمعنى واحد.

قرأ ابن الزبير(٧٥): صراط من أنعمت عليهم، مثل قراءة عمر فى هذا الحرف وحده.

قلت: وهذا الاختلاف الذى يخالف خط المصحف وما جاء منه مما هو زيادة على خط المصحف، أو نقصان من خط المصحف، وتبديل لخط المصحف - وذلك كثير جدا - هو الذى سمع حذيفة فى المغازى وسمع رد الناس بعضهم على بعض ونكير بعضهم لبعض، فجرأه ذلك على اعلام عثمان (رضى الله عنه) وهو الذى حدا عثمان على جمع الناس على مصحف واحد، ليزول ذلك الاختلاف فافهمه.

قال أبو محمد:



فهذا لا يجوز اليوم لأحد أن يقرأ به، لأنه انما نقل الينا بخبر الواحد عن الواحد، ولا يقطع على صحة ذلك، ولا على غيبه وهو مخالف لخط المصحف الذى عليه الاجماع، ويقطع على صحته وعلى غيبه فخط المصحف أولى، لأنه يقين والخبر غير يقين، فلا يحسن أن ينتقل عن اليقين الى غير يقين.

وقد بينا هذا من قول إسماعيل القاضى وغيره.

فهذا المثال من الاختلاف الثالث هو الذى سقط العمل به من الأحرف السبعة التى نص عليها النبى ﴿ﷺ﴾ وهو الأكثر فى القرآن من الاختلاف.

وانما قرىء بهذه الحروف التى تخالف المصحف قبل جمع عثمان (رضى الله عنه) الناس على المصحف، فبقى ذلك محفوظا فى النقل غير معمول به عند الأكثر لمخالفته للخط المجمع عليه.

وهذا النوع هو الذى نهى عن القراءة به من حرف ابن مسعود (رضى الله عنه):

فانما مثلت لك ذلك لتقف عليه وتعرف قدر الاختلاف فى هذه السورة على قلة حروفها - فكيف يظن الاختلاف فيما طال من السور؟!

تعليـــق

وهأنتم أولاء ترون أن مكى بن أبى طالب (ت٤٣٧هـ) فى كتابه الابانة قد ذكر أن فى سورة الفاتحة نحوا من ثلاثين حرفا (قراءة): وبين رحمه الله الصحيح منها والشاذ، وذكر أن اختيار اقصر سورة فى القرآن تعددت فيها القراءات وفيها ما فيها من كثرة الأحرف المختلف فيها، فكيف يظن

الاختلاف فيما طال من السور؟

كل ذلك ليبين :

أولا : أن العدد سبعة يراد به التكثير لا الحصر

ثانيا : أن القراءات السبع جزء من الأحرف السبعة وبعض منها وليست هى الأحرف السبعة . كما يظن بعض الجهال ! !

■ واذ كان مكى قد أحجم عن ذكر سورة طويلة بما فيها من تعدد الأحرف . فقد أقدم الحافظ فى الفتح على ذكر الاحرف التى فى سورة الفرقان والتى كان فيها الخلاف بين عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم بن حزام . قال الحافظ بن حجر:

«وقد تتبع أبو عمر بن عبد البر ما اختلف فيه القراء من ذلك من لدن الصحابة ومن بعدهم من هذه السورة فأوردته ملخصا وزدت عليه قدر ما ذكره ، وزيادة على ذلك . . ثم أخذ ابن حجر (رحمه الله) يعين الأحرف التى اختلف فيها القراء فى سورة الفرقان فشمل ذلك خمس صفحات من شرح البخارى (القطع الكبير) وجعل عدتها مائة وثلاثين موضعا والله أعلم (انظر فتح البارى ج١٠ ص٤٠٨-٤١٣) طبعة مصطفى الحلبى .

الخاتمة

تلخيص ، وإيضاح

● الحرف هو الوجه ، والطرف ، والكلمة .

● أنزل القرآن على سبعة أحرف تيسيرا على أمة محمد ، ورفعاً للمشقة عنهم قال سبحانه «ولقد يسرنا القرآن للذكر» .

● إليك المثال الآتى موضحاً كيف أن من المشقة أن يتخلى الأعرابى عن لغته :

عن أبى حاتم سهل بن محمد السجستانى فى كتابه الكبير فى القراءات قال : قرأ على أعرابى بالحرم : «طيبى لهم وحسن مآب» فقلت : طوبى ، فقال : طيبى فأعدت ، فقلت : طوبى ، فقال : طيبى ، فلما طال على قلت : طوطو ، قال : (طى طى) .



وعلق ابن جنى فى كتابه الخصائص على هذا فقال : أفلا ترى إلى هذا الاعرابى وأنت تعتقده جافياً كزا ، لا دمثاً ولا طيعا ، كيف نبا طبعه عن ثقل الواو الى الياء ، فلم يؤثر فيه التلقين ، ولا شىء طبقه عن التماس الخفة هز ولا تمرين ! ! ؟ (الخصائص لابن جنى ج١ ص٧٦) .

● العدد سبعة يراد به الحصر عند أكثر العلماء ، ويراد به التكثير عند بعضهم ، وهو ما تميل إليه نفسى ، اجتهادا منى» .

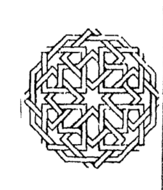
● المراد بالاحرف فى الحديث أوجه اللغات : أصواتاً ، وبنية ، ودلالة ، وتركيبا . هذا ، وقد آثرت الاختصار فلم أتتبع الأوجه التى أوردها مكى فى سورة الفاتحة ، كذلك ما أورده الحافظ بن حجر فى الفتح من الاحرف فى سورة الفرقان ، لأبين أن هذه الاحرف منسوبة فى أعمها الأغلب إلى االلغة : أصواتا ، وبنية (صرفا) ودلالة (معنى) ، وتركيبا (نحواً وإعرابا) .

● الأوجه فى القراءات أو الاحرف السبعة التى نزل بها القرآن هى لغات متفرقة فى القرآن ، ومعان فى ألفاظ تسمع فى القراءة ، مختلفة فى السمع ، متفقة فى المعنى . . . الخ (الابانة لمكىّ) وليس معنى الاحرف : الزاجر والآمر والحلال والحرام . . والمطلق والمقيد ، والعام والخاص . والنص والمؤول ، والناسخ والمنسوخ . . (انظر البرهان فى علوم القرآن للزركشى ج١ ص٢٢٥ وما بعدها) .

● القراءات السبع ليست هى الأحرف السبعة.

الهوامـــش

(١) منجد المقرئين للامام ابن الجزرى ص٣.
(٢) تقريب النفع فى القراءات السبع للشيخ محمد على الضباع على هامش الشاطبيه (حرز الامانى) ص٣.
(٣) أنظر حديث عمر مع هشام بن حكيم بن حزام: الابانة ص٨
(٤) بتصرف من الابانة لمكى بن أبى طالب ص٥٦.
(٥، ٦) الابانة ص٨٧، ٨٠.
(٧) النشر ج١ ص٢٢.
(٨) النشر ج١ ص٢٢ وما بعدها.
(٩) سورة المائدة آية ٦
(١٠) سورة الاسراء آية ٨٨.
(١١) سورة النساء آية ١.
(١٢) انظر النشر ج١ ص٢.
(١٣) انظر منجد المقرئين ص٥٩ وما بعدها.
(١٤) جمال القراء مخطوط للسخاوى لوحة ١٦.
(١٥) انظر طيبة النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى.
(١٦) انظر الانصاف لابن الأنبارى.
(١٧) انظر إتحاف فضلاء البشر ص٩.
(١٨) انظر جمال القراء ص٢٤١ وما بعدها.
(١٩) من مقال للشيخ عبد الفتاح القاضى مجلة القرآن الكريم ج١ ص٢٣.
(٢٠) البقرة آية ١٠٢.
(٢١) البحر المحيط لأبى حيان.
(٢٢) الابانة ص١٣٣.
(٢٣) منجد المقرئين ص١٨.
(٢٤) سورة يونس آية ٢٢ وقد قرأ ابن عامر وابو جعفر ينشركم والباقون يسيركم (الاتحاف: ٢٤٨).
(٢٥) سورة يس آية ٥٣.
(٢٦) ستأتى الامثلة على ذلك.
(٢٧) كبعض الأقوال التى أوردها الزركشى - عن ابن حيان - والسيوطى.
(٢٨) هو هشام بن حكيم.

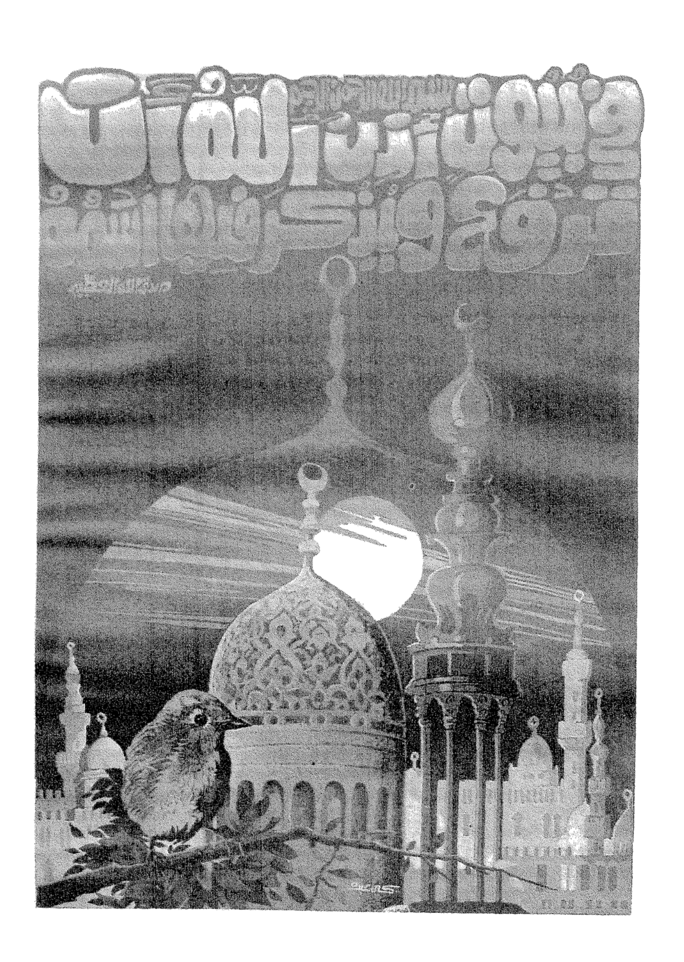


(٢٩) هو مالك بن أنس بن مالك أبو عبد الله الاصبحى المدنى امام دار الهجرة وصاحب المذهب، أخذ القراءة عرضا عن نافع بن أبى نعيم وروى القراءة عنه أبو عمرو الاوزاعى ويحيى بن سعيد ولد سنة ثلاث وسبعين ومات سنة تسع وسبعين ومائة (طبقات القراء: ٢-٣٥).
(٣٠) سورة النساء آية ٣٨، سورة الحديد آية ٢٤، قرأ حمزة والكسائى وخلف بفتح الباء والخاء وقرأ الباقون بضم الباء وسكون الخاء (النشر: ٢-٢٣٦).
(٣١) سورة البقرة آية ٢٨٠ قرأ نافع بضم السين وقرأ الباقون بفتحها (النشر: ٢/٢٣٦).
(٣٢) سورة المجادلة آية ٢. قرأ الجمهور امهاتهم بالنصب على لغة الحجاز والمفضل عن عاصم بالرفع على لغة تميم (البحر المحيط: ٨-٢٣٢).
(٣٣) فى الاصل على غير التضاد.
(٣٤) سورة سبأ آية ١٩ اختلفوا فى (ربنا باعد) فقرأ يعقوب برفع الباء من (ربنا) وفتح العين من (باعد)، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام بنصب الباء وكسر العين مشددة من غير ألف مع اسكان الدال. وقرأ الباقون كذلك الا أنهم بالألف وتخفيف العين. (النشر: ٢-٣٥٠).
(٣٥) سورة النور آية ١٥ قرأ الجمهور: تلقونه، قرأ ابن السميفع تلقونه مضارع ألقى. وقد حكى صاحب البحر المحيط قراءات أخرى (انظر ج٦ ص٤٣٨).
(٣٦) سورة يوسف آية ٤٥ قرأ الاشهب العقيل بعد أمة بكسر الهمزة أى بعد نعمة انعم الله بها على يوسف فى تقريب اطلاقه، وقرأ ابن عباس وزيد بن على والضحاك وقتادة وشبل بن عذرة الضبعى وربيعة بن عمر بعد أمة بفتح الهمزة والميم مخففة وهاء. والجمهور قرءوا بعد أمة (البحر المحيط: ٥-٣١٤).
(٣٧) سورة البقرة آية ٢٥٩ قرأ ابن عامر والكوفيون بالزاى المنقوطة وقرأ الباقون بالراء المهملة (النشر ٢-٢٣١).
(٣٨) سورة سبأ آية ٢٣ قرأ ابن عامر ويعقوب بفتح الفاء والزاى، وقرأ الباقون بضم الفاء وكسر الزاى (النشر: ٢-٣٥١).
(٣٩) سورة الانعام آية ٥٧ قرأ المدنيان: أبو جعفر ونافع، وابن كثير وعاصم ويقص) بالصاد المهملة مشددة، وقرأ الباقون باسكان الفاء وكسر الضاد (النشر ٣-٢٥٨).
(٤٠) سورة يونس آية ٢٩.
(٤١) سورة القارعة آية ٥ فى مصحف ابن مسعد كالصوف المنفوش وقرأ الجمهور كالعهن المنفوش (انظر المصاحف للسجستانى).
(٤٢) سورة البقرة الآية ٢.
(٤٣) فى الاصل تضادد بفك الادغام.
(٤٤) سورة ق آية ١٩.

- الهوامش -

(٤٥) سورة الحديد آية١٢ .
(٤٦) سورة الحديد آية ٢٤
(٤٧) انظر اختلاف مصاحف الامصار التي نسخت من المصحف الامام (كتاب المصاحف للسجستاني ص٣٩).
(٤٨) ابن قتيبة : هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المروزي ولد سنة ٢١١هـ، وتربى في بغداد، وتولى القضاء بدينور. وهو صاحب عيون الاخبار، وطبقات الشعراء، والامامة والسياسة، وأدب الكاتب، وكتاب القراءات وغريب القرآن، ومشكل القرآن (توفى ٢٧٦هـ) انظر وفيات الأعيان.
(٤٩) ابن شريح هو محمد بن شريح الرعيني الاشبيلي ولد سنة ٣٨٨هـ ورحل الى مصر ومكة، ثم لقى ابن أبي طالب واجازه. مات في شوال سنة ٤٧٦هـ.
(٥٠) في الأصل عليه والسياق يقتضي ما أثبته .
(٥١) هو محمد بن عبد الرحمن أبو عمر المخزومي مولاهم المكي الملقب بقنبل شيخ القراء بالحجاز ولد سنة خمس وتسعين ومائة، وأخذ القراءة عرضا عن أحمد بن محمد بن عون النبال وهو الذي خلفه في القيام بها بمكة وروى القراءة عن البزي وممن روى عنه أحمد بن موسى بن مجاهد، واختلف في سبب تلقيبه قنبلا، فقيل اسمه وقيل لانه من بيت بمكة يقال لهم القنابلة وقيل لاستعماله دواءً يقال له قنبيل فلما أكثر منه عرف به، وحذف الياء تخفيفا، وقد انتهت اليه رياسة الاقراء بالحجاز مات سنة احدى وتسعين ومائتين عن ست وتسعين سنة (طبقات القراء: ٢-١٦٦).
(٥٢) هو خلف بن هشام أبو محمد الأسدي أحد القراء العشرة، وأحد الرواة عن سليم عن حمزة، ولد سنة خمس ومائة ومات سنة تسع وعشرين ومائة ببغداد (طبقات القراء ٩-٢٧٢-٢٧٤).
(٥٣) هو أحمد بن يزيد بن أزداد الصغار الاستاذ ابو الحسن الحلواني امام كبير عارف صدوق متقن ضابط خصوصا في قالون وهشام توفي سنة نيف وخمسين ومائتين (طبقات القراء ١ : ١٤٩).
(٥٤) قالون هو عيسى بن مينا بن وردان، وقد سبقت ترجمته .
(٥٥) اسمه شمر بن يقظان الشامي الدمشقي ثقة تابعي أخذ القراءة عن أم الدرداء الصغرى عن مالك بن أنس وقد توفى سنة ثلاث وخمسين ومائة (طبقات القراء: ١-١٩).
(٥٦) هو الحسن بن الحسن يسار أبو سعيد البصري. روى عنه عمرو بن العلاء توفى سنة ١١٠ عن تسعين سنة (طبقات القراء: ١-٢٣٥).
(٥٧) هو محمد بن عيمر بن الربيع أبو صالح الهمذاني الكوفي مقرىء عارف بحرف حمزة. طال عمره وبقي الى حدود عشر وثلاثمائة.
(٥٨) هو محمد بن عبد الرحمن كان من أفصح العرب. قرأ على أبي حيوة شريح بن يزيد. وقيل إنه قرأ على نافع (طبقات القراء: ٢-١٦٢).
(٥٩) الحمصي مقرئُ الشام وهو والد حيوة بن شريح الحافظ روى القراءة عن الكسائي مات سنة ٢٠٣ طبقات القراء: (١-٣٢٥).
(٦٠) هو عبد الوارث بن سعيد بن العنبري مولاهم البصري، امام حافظ مقرى ثقة ولد سنة ١٠٢، وعرض القران على ابى عمرو، ومات ١٨٠هـ.
(٦١) هو عمر بن عيسى بن فايد البغدادي روى القراءة عرضا عن ادريس الحداد (انظر طبقات القراء ١-١٩٥).
(٦٢) يحيى بن وثاب الاسدي مولاهم الكوفي تابعي ثقة كبيرة من العباد الأعلام وكان حسن القراءة مات سنة ١٠٣ (طبقات القراء: ٢-٣٨٠).
(٦٣) وهي لغة قيس وتميم وأسد وربيعة (انظر البحر المحيط: ٢٣).
(٦٤) الخليل بن أحمد أبو عبد الرحمن الفراهيدي الأزدري البصري النحوي الامام المشهور صاحب العروض وكتاب العين. ومات سنة ١٧٠ (طبقات القراء ١-٢٧٥) وانظر اعراب (غير) بالنصب على ما رواه الخليل في البحر المحيط: (١-٢٩).
(٦٥) الأصل السجستاني: ولم يرد في طبقات القراء سجستاني اسمه أوب، وقد أورد ابن الجزري أيوب السختياني من القراء (انظر طبقات القراء: (١-٣٢٢) كما اورده بهذا اللقب في النشر ج١ ص٤٧ عند نقله كلام مكي في الابانة.
(٦٦) قال ابن الجزري في كتابه النشر: «كذا اقتصر - مكي على نسبة هذه القراءات لمن نسبها اليه، وقد وافقهم عليها غيرهم، وبقيت قراءات أخرى عن الائمة المشهورين في الفاتحة توافق خط المصحف، وحكمها حكم ما ذكر. ذكرها الامام الصالح الولي ابو الفضل الرازي في كتاب اللوامح له . وأورد ابن الجزري ما ذكره الرازي (انظر النشر ج١-٤٧ و٤٨).
(٦٧) هو عبد الرحمن بن صخر أبو هريرة الدوسي الصحابي الكبير أخذ القرآن عرضا عن أبي بن كعب، واليه تنتهي قراءة أبي جعفر ونافع توفى سنة سبع وقيل سنة ثمان وله ثمان وسبعون سنة (طبقات القراء: ١-٤٧٠).
(٦٨) في الاصل أبو البرار والتصويب من البحر المحيط ج١ ص٢٣ .
(٦٩) هو عبد الملك بن قريب أبو سعيد الاصمعي الباهلي البصري امام اللغة واحد الاعلام فيها وفي العربية والشعر والادب روى القراءة عن نافع وأبي عمرو والكسائي مات سنة ٢١٥ عن إحدى وتسعين سنة (طبقات القراء ١-٤٧٠).
(٧٠) هو ابو عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة، وقد تقدمت ترجمته .
(٧١) هو الحسن بن أبي الحسن يسار أبو سعيد البصري امام زمانه علما وعملا روى عنه أبو عمرو بن العلاء وغيره. ولد سنة احدى وعشرين وتوفى سنة عشر ومائة (طبقات القراء: ١-٣١٥).
(٧٢) وكذلك قرأها عن الحسن زيد بن علي ونصر بن علي. كقوله: وانك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله (البحر المحيط: ١-١٦) والضحاك هو ابن مزاحم التابعي سمع سعيد بن جبير. توفى سنة ١٠٥هـ (انظر طبقات القراء: ١-٣٣٧).
(٧٣) هو عبد الله بن مسعود.
(٧٤) هو ثابت بن أسلم أبو محمد البناني المصري وردت عنه الرواية في حرف من القرآن العظيم توفى سنة سبع وعشرين ومائة (طبقات القراء: ١-١٨٨).
(٧٥) هو عبد الله بن الزبير بن العوام .





تلاوة القرآن الكريم

من آداب القرآن الكريم، تحسين الصوت بتلاوته، وتطييب اللسان بقراءته، فالقلوب ـ حسب ابن العربى[1] تخشع بالصوت الحسن. . . وما تتأثر به فى التقوى فهو أعظم فى الاجر، وأقرب الى لين القلوب وذهاب القسوة منها.

ومع ترغيب القارىء فى تزيين صوته، يلزمه ان يسير فى تلاوته على النهج القويم: تجويدا وترتيلا.

وانما تجويد الكتاب العزيز: فى اخراج الحروف المتلوة من مخارجها، وفى المحافظة على صفاتها: جهرا أو همسا أو لينا وما جرى مجرى ذلك، مع نبذ التكلف والمشقة فى اداء مخارج الحروف او فى بيان صفاتها.

فاذا كانت القراءة ـ بعد هذا ـ فى تؤدة وتمهل، وحروف مبينة، وحركات مشبعة: فذلك هو الترتيل.

وقد وصفت أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ تلاوة النبى ﴿ﷺ﴾، فاذا هى تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا[2].

ومرة اخرى تقول أم المؤمنين فى هذا الاتجاه: «كان النبى ﴿ﷺ﴾ يقطع قراءته يقول الحمد لله رب العالمين ثم يقف، ثم يقول الرحمن الرحيم ثم يقف»[3].

وجاء عن السيدة عائشة رضوان الله ـ تعالى ـ عنها: ان النبى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ كان يقرأ ـ فى سبحته ـ بالسورة، فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها[4].

فى الترتيل يجب نبذ التكلف والمشقة فى أداء مخارج الحروف أو بيان صفاتها

■ بعد هذه المقدمة تأتي تلاوة الكتاب العزيز بطريقة الترجيع والالحان، وهي مسألة تعددت فيها المذاهب، وتعارضت ـ بصددها ـ أراء، غير ان جماهير من العلماء يرون أن لا حرج فى أداء الذكر الحكيم بالترجيع والنغم، شريطة ان تسير القراءة على النهج القويم، فيلتزم التالي مراعاة القوانين المتبعة تجويدا وترتيلا، ومن كلام ابن العربى المعافري فى تأييد هذا المذهب:

«واستحسن كثير من فقهاء الامصار القراءة بالالحان والترجيع، وكرهه مالك، وهـو جائز لقول ابى موسى للنبى عليه السلام: لو علمت انك تسمع لحبرته لك تحبيرا، يريد: لجعلته لك انواعا حسانا، وهو التلحين. . »[5].



وبعد ابن العربى المالكي، يقول القسطلاني من أئمة الشافعية: «ولا ريب انه يستحب تحسين الصـوت بالقـراءة» وحكى النووي الاجماع عليه، لكونه اوقع فى القلب، واشد تأثيراً، وأرق لسامعه، فان لم يكن القارىء حسن الصوت فليحسنه ما استطاع، ومن جملة تحسينه ان يراعى فيه قوانين النغم، فان الحسن الصوت يزداد حسنا بذلك.

أ. محمد المنونـي (المغرب)

وهذا اذا لم يخرج عن التجويد المعتبر عند اهل القراءات، فان خرج عنها لم يف تحسين الصوت بقبح الاداء[6].

بالترجيع والنغم

■ ومن الجدير بالذكر: أن هذه القراءة المرجعة لم تسر على نغم موحد بين المشرق والمغرب، وانما تتميز كل جهة بلحن قائم بذاته[٧]، غير ان طريقة المشارقة صارت تستهوي الحجاج المغاربة لما يستمعون الى ترتيلها بالقاهرة وبيت المقدس وبغداد ومكة المكرمة، وفي هذا الصدد نقدم ارتسامات يسجلها اثنان من أعلام الغرب الاسلامى، وهكذا يقول ابن العربي المعافري عن قراء من الشرق العربى.

«.. وقد سمعت تاج القراء بن لفتة بجامع عمرو يقرأ: (ومن الليل فتهجد به نافلة لك) فكأني ما سمعت الآية قط.

وسمعت ابن الرفاء ـ وكان من القراء العظام ـ يقرأ وأنا حاضر بالقرافة: (كهيعص)، فكأنى ما سمعتها قط.

وسمعت ـ بمدينة الاسلام ـ شيخ القراء البصريين يقرأ فى دار بهاء الملك: (والسماء ذات البروج) فكأني ما سمعتها قط، حتى بلغ الى قوله تعالى: (لما يريد)، فكأن الايوان قد سقط علينا..

وكان ابن الكازروني يأوي الى المسجد الاقصى، ثم تمتعنا به ثلاث سنوات، ولقد كان يقرأ فى مهد عيسى فيسمع من الطور، فلا يقدر احد أن يصنع شيئا ـ طول قراءته ـ الا الاستماع اليه.

وكان صاحب مصر ـ الملقب بالافضل ـ قد دخلها فى المحرم سنة اثنتين وتسعين واربعمائة، وخزلها عن ايدي العباسية، وهو حنق عليها وعلى أهلها بحصاره لهم وقتالهم له، فلما صادفها وتدانى بالمسجد الاقصى منها وصلى ركعتين: تصدى له ابن الكازروني، وقرأ: (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير). فما ملك نفسه حين سمعه، ان قال للناس على عظم ذنبهم عنده، وكثرة حقده عليهم: (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين)[٨].

ونترك ارتسامات ابن العربى الاشبيلي، لتأتي ـ بعدها ـ انطباعات ابى القاسم التجيبى، وكان قد وصل الى مكة المكرمة مع شهر رمضان المعظم: «وليلة وصولنا الفينا الحرم الشريف قد ملىء شمعا ومشاعل حتى تلألأ الحرم نورا.. ووصل فى جملة المصريين جماعة من القراء المعروفين بحسن الصوت وطيب النغمة، وكانوا يجتمعون فى كل ليلة بازاء باب بني شيبة من الحرم الشريف، فيقرءون جزءا من الكتاب العزيز ـ متراسلين ـ بالتلاحين، على عادة القراء فى هذه البلاد المشرقية، فكانت تكاد تخشع لحسن اصواتهم الجمادات.

وكان لأولئك القراء المذكورين واحد كان مقدمهم، وكان من أحسن الناس نغمة بالقرآن العظيم، وكان ـ نفعه الله تعالى ـ اذا ذهب جزء من الليل قصد المدرسة المنصورية، وصعد على أعلى سطحها المشرف على الحرم الشريف، وتلا هنالك جزءا من الكتاب العزيز، رافعا بذلك صوته العجيب، بحيث يسمعه كل من فى المسجد الحرام، ويصغى اليه ويستطيبه.

وكان ينضاف الى حسن صوته وطيب نغماته وجودتها وذكائها، شرف الموضع وحسنه وبهاؤه..»[٩].

■ ومن المشرق ننتقل الى المغرب، فنلقى مقرىء فاس المرينية: أبا العباس احمد بن محمد

استحسن كثير
من فقهاء الامصار
القراءة
بالترجيع..
وكرهه مالك.

الزواوي، حيث يشيد بجودة تلاوته ثلاثة من مؤرخى الغرب الاسلامى المعاصرين.

فابن الخطيب (لسان الدين): ينعته بالمقرىء الفذ، الشهير فى الترنم بألحان القرآن[10].

وابن خلدون يصفه بأن له صوتا من مزامير آل داود[11].

بينما يقول عنه ابن مرزوق (الخطيب): «.. لم ير فى عصره أطيب منه نغمة، ولا أحسن صوتا ولا أنداه، كان آية من آيات الله عز وجل، لم أر فى المشرق والمغرب نظيرا له، ولا رأيت من رأى مثله، يسلب العقول، ويذكر بالله، لا تملك النفوس ولا الشوق عند سماعه»[12].

■ وفى تونس يلمع اسم ابن برال: محمد بن سعد الانصارى البلنسى الاصل وكان ـ حسب ابن خلدون[13] شيخ القراء ومعلمى كتاب الله ـ تعالى ـ بالحاضر الحفصية، وقد استمع البلوي الى طيب نغمته فى تلاوة القرآن الكريم، وهو يؤم فى صلاة الاشفاع ليالي رمضان بجامع تونس، فيسجل عنه هذه الارتسامة:

«وكان هذا الشيخ قد أوتي من حسن اللفظ بالقرآن ما لم يوته احد ممن بقي على الارض فى هذا الوقت باجماع، حضرت قيامه فى ليالى رمضان بالاشفاع، وانتدب الناس اسماعه من النواحى والبقاع، فما قرع سمعي ولا وقع فى أذن قلبى: احسن منه صوتا ولا احلى تلاوة، ولا أطيب ايرادا، ولا أعذب مساقا، ولا أعجب احكاما، ولا أغرب ترتيلا، ولا اجمل جملة وتفصيلا.

ولقد كنت فى حين قراءته ـ على قساوة قلبي وغباوة لبي ـ أتغاشى وأتلاشى، ويضج جامع تونس بأهله، ويغص جمعه: فبين باك وداع وخاشع وساقط من القيام، وعادم وجوده فى ذلك المقام، كلهم يفعل فيه صدقه. ويسكنهم نطقه، ويسكرهم ذوقه»[14].

■ واخيرا: نذيل هذا العرض بالاشارة الى أن الترخيص فى تلاوة القرآن العزيز بالالحان، مقيد ـ كما علم سلفا ـ بما اذا لم يتجاوز القارىء قواعد التجويد المرعية، أما اذا تعدى هذا الحد، وخرج عنه الى طريقة الغناء، فان القراءة ـ على هذه الصفة ـ محظورة باجماع العلماء، حيث ان القارىء يكون قد عدل بالذكر الحكيم، عن منهجه القويم، وفى هذا الاتجاه يقول بعض اعلام المغاربة وهو يتحدث عن تلاوة القرآن الكريم بالالحان:

«... وانما نزين قراءته بألحان العرب الذين أنزل بألسنتهم، وذلك أن طبع الموسيقى العجمي لا يتم الا بمد ما لا يمد، وقصر ما لا يقصر، وعلى خلافه اللحن العربى، ولذلك ورد الإذن به..».

الترخيص فى قراءة القرآن بالالحان مقيد بعدم تجاوز قواعد التجويد المرعية.

الهوامش

(١) «أحكام القرآن» مطبعة السعادة بمصر ١٨٧/٢.

(٢) «الشمائل الترمذية» المتن المنشور ضمن شرحها لمحمد بن قاسم جسوس، مطبعة محمد على صبيح بالقاهرة: ١٩٢٧/١٣٤٦ ـ ٩٩/٢.

(٣) نفس المصدر ١٠٠/٢.

(٤) «الموطأ» عند باب «ما جاء فى صلاة القاعد فى النافلة» مع مصادر أخرى لتخريج الحديث: فى «المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوى» ج٤ ص٦١.

(٥) «احكام القرآن» ١٨٧/٢، وقولة أبى موسى الاشعرى نسب ابن حجر تخريجها لابي يعلى، حسب «فتح الباري»: المطبعة الكبرى الميرية: ٨١/٩، حيث يذكر ـ ايضا ـ عن «سنن أبى داود» ـ بسند صحيح ـ من طريق أبى عثمان النهري قال: دخلت دار أبى موسى الاشعرى، فما سمعت صوت صنج ولا بربط ولا ناي أحسن من صوته.

(٦) «ارشاد الساري».. المطبعة الكبرى الاميرية: ٤٨١/٧.

(٧) هناك اشارة فى بعض المفيدات الى افراد بجامع القرويين من فاس: كانوا يحتذون فى تلاوتهم الطبوع الاندلسية: طبع الزيدان وتارة الاصبهان، حسب «كناشة» العباس بن الفقيه محمد بن عبد الرحمن الفيلالي الحجرتي ثم الفاسي، بالخزانة العامة بالرباط: د: ٣٦٣٤، ص٥٨١. والظاهر أن احتذاء تلك الطبوع الاندلسية فى التلاوة، يسير مع ما يقرره ابن خلدون وهو يقول: «.. وليس المراد تلحين الموسيقى الصناعى، فانه لا ينبغى أن يختلف فى حظره، اذ صناعة الغناء مباينة للقرآن بكل وجه.. وانما مرادهم التلحين

الهوامش

البسيط الذى يهتدى اليه صاحب المضمار بطبعه . . فيردد أصواته ترديدا على نسب يدركها العالم بالغناء وغيره . .»، «المقدمة» المطبعة الازهرية بالقاهرة ص٣٥٧ .

(٨) «احكام القرءان» ٢/١٨٧ .

(٩) «مستفاد الرحلة والاغتراب» نشر الدار العربية للكتاب، ص٤٥٩ - ٤٦٠ .

(١٠) «الاحاطة» نشر مكتبة الخانجى بالقاهرة، ج٣ ص١٩٩ ، بمناسبة تعداد اشياخ محمد بن قاسم الشديد الانصاري .

(١١) التعريف بابن خلدون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ص٤٥ .

(١٢) «المسند االصحيح الحسن» مخطوط الخزانة العامة بالرباط، ق١١١ : عند اواخر الباب ٢٠ .

(١٣) «التعريف بابن خلدون» ص٣١٠ .

(١٤) «تاج المفرق. . » مطبعة فضالة : ١/١٧٠ ، ومن الجدير بالذكر ان هذا البحث سبق نشره فى مجلة «الهداية» التونسية بالعدد ٤ من السنة ٦ ص١٢-١٤ ، والأن أضيف له اسم المقرىء التونسى ابن برال، مع ارتسامات البلوي عن طيب نغمته فى التلاوة، ومن اجل هذه الاضافة أعيد نشره .



إشكالية نقل المعنى في ترجمات القرآن الكريم

فى أوروبا ـ شرقيها وغربيها ـ اهتمت كثير من المؤسسات الدينية والاستشراقية، كما اهتم بعض الافراد ايضاً بمحاولات ترجمة معاني القران الكريم الى بعض اللغات الاخرى. وكثير من تلك الترجمات كان يسبقها ويصاحبها القصد فى التشويه والتلبيس والاساءة للاسلام والمسلمين، مما يعطى صورة مشوهة عن القران والرسول الخاتم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبالتالى تشويه الصورة الحقيقية للمنهج الاسلامى.

وهذه الدراسة التى بين أيدينا للاستاذ الدكتور عبد النبى ذاكر ألقاها محاضرة فى ندوة (صناعة المعنى وتأويل النص) التى عقدت بكلية الاداب ـ منوبة ـ تونس فى ابريل ١٩٩١م.

ولاهمية هذه الدراسة وموضوعيتها، وتناسبها مع مضمون هذا العدد فإنا ننشرها ـ هنا ـ بكامل نصها.



د. عبد النبى ذاكر (المغرب)

تمهيد

إن مقاربة إشكالية نقل المعني فى ترجمات القرآن الكريم تتطلب منا الغوص فى الاساس اللسانى أولا. غير أن هذا الاجراء ـ فيما نعتقد ـ لا يكفي لكشف وتفسير مجمل المشاكل التى اعترضت سبيل الراغبين فى نقل المعنى القرآنى، عبر ترجمات عدة ترقى إلى حدود القرن الثانى عشر للميلاد. من هنا تنبثق ضرورة معالجة الاساس الصورلوجى (Imagoligique)، الذى تحكم فى نقل المعنى وتكييفه وتوجيهه، شأنه فى ذلك شأن الاساس اللسانى، إن لم نقل إنه أخطر. سيما وأن الاساس الصورلوجى تحكمه سلسلة من المثبطات السيكو ـ سوسيو ـ ثقافية للجماعة الناقلة، وموقفها من الجماعة المنقول عنها.

لكن قبل التطرق للاساسين السابقين، لابد من التوقف أولا عند ثلاث محطات هامة، كإنارة أولية لعنوان هذه المداخلة؟.

فماذا نعنى بالترجمة؟ وماذا نعنى بالقرآن وما المقصود بالمعنى؟.

إضاءات لابد منها:

ما الترجمة؟

الترجمة، إنها برج بابل السحرى العتيد، الذى لا يقوى المرء على مقاومة إغراءاته ومراودته. هذا البرج الذى يحترق بناره عظام كل أمة، ليبعثوا من رمادهم كطائر فينيق الاسطورى. غير انه احتراق داخل لذة التناسل السرى المقدس بين اللغات والثقافات والافكار[1] فالترجمة ضرورة جوانية (شلير ماخير)، نمثل عن طريقها أمام فكر الاخر ولغته (هيدغر)[2] وهى تأسيس لعلاقة فعلية بين نسقين لغويين متباينين من الرموز، أى بين سننين (Codes) إنها خير معبر للوقوف على محفة الاجنبى (Etran-ger) والغريب (Etrange) لذا كانت الشعوب البدائية لا تخفى نفورها من الانسان الذى يتكلم لغات عدة ذلك لأنه ليس مجرد خائن بالقوة، بل إنه وحش أو ضرب خطير من أولئك الذين يتكلمون من بطونهم (Ventriloque).

فلقد قبض بعض التونجوزيين على أحد المتعلمين لديهم للغة الروسية، وقتلوه على الفور: (أيها الرجل المزدوج اللغة! ستلقى حتفك بمرأى مناحتى تكفر عن جرمك)[3]، أو لم يكن على المترجم بمثابة دليل سياحى الى الاطلال المهجورة، ومرشد للجنود فى الميدان، وترجمان للسفراء لدى الباب العالى، أى كمرتزق مستأجر لخيانة بنى جنسه؟ إذن فالمثل الفلورنسى: الترجمة خيانة (Traduttore traditore) لم يكن دعاية مجانية تولدت عن سجع عرضى[4] فالمترجم إذن هو حارس هذا الطقس السرى الذى يستدعى الوقوف على العلاقات الترادفية بين نصين فى سننين مختلفين، والترجمة اختراق لفضاء الآخر (L'espace de l'autre) أو الفضاء الآخر (L'autre espace)

وهنا نتساءل ما هى طبيعة هذا الاختراق؟ وما علاقته بإشكالية نقل المعنى؟ للاجابة عن ذلك، لابد أولا وقبل كل شيء من معرفة طبيعة المتن المخترق فإن هذا سيساعدنا على ضبط خصوصية الخطاب المنقول من جهة، مثلما سيمكننا من تحديد تلوينات عملية نقل المعنى من الثقافة المخترقة إلى الثقافة المخترقة من جهة اخرى.

ماهيـة القـرآن:

مما لا شك فيه أن القرآن، حسب التعريف المتفق عليه بين الاصوليين والفقهاء وعلماء العربية هو: الكلام المعجز، المنزل على محمد عليه السلام المكتوب فى المصاحف العربية، المنزل عليه بالتواتر والمتعبد بتلاوته.

فلا خلاف فى أن القرآن وحى أوحي به إلى محمد رسول الله، وفى كونه كلاما معجزا يتفق فى ذلك الاديب اللغوى المحدث كالخصابى فى كتابه: «**بيان إعجاز القران**» والمتكلم المعتزلى كالرمانى فى كتابه: «**النكت فى إعجاز القرآن**»، والسنى الشافعى كمحمد عبد القاهر الجرجانى فى «**الرسالة الشافعية**»[٥].

■ إذن فالقرآن بليغ لكنه بليغ فى عربيته ﴿**إنا أنزلناه قرآنا عربيا**﴾ (سورة يوسف/٢)، والسؤال الذى يطرح نفسه الآن هو: **هل يمكن تلقى معانى هذا الكتاب فى غير اللغة التى أنزل بها، سيما وأنه مؤسس على الاعجاز البيانى؟**

قبل معالجة هذه النقطة، تلزمنا ـ كخطوة إجرائية ـ الاجابة عن السؤال الآتى: **ماذا يقصد بالمعنى فى هذا الاطار؟**.

الترجمة عملية تبحث عن الترادف بين نصين فى لغتين مختلفتين.

سيميائيـة المعنـى:

المعنى هو ما يدل عليه اللفظ. وهو الفكرة والحقل الدلالى لكلمة (معنى) يشمل الوحدات المعجمية التالية: Meaning Denoting Notion, import, signification [٦] مثلما يشمل أيضا المدلول (signifie).

روى الازهرى عن أحمد بن يحيى، قال: المعنى والتفسير والتأويل واحد وعنيت بالقول كذا: أردت ومعنى الكلام مقصده»[٧] ويبدو أن هناك تداخلا دلاليا بين المعنى والتأويل. فالمقصود بهذا الاخير هو: الشرح أو التفسير والتقديم لدلالة واضحة»[٨] لكن ما علاقة المعنى بالترجمة أولا؟ وبترجمة القرآن ثانيا؟

اشكالية نقل المعنى فى الترجمة

يبدو أن نجاح الترجمة أو فشلها يقاس فى جزء كبير منه بمدى تحصيل المترجم لـ «**معنى الشىء المترجم**»[٩] وهذا مفهوم اساسى ليس فقط فى نظرية الترجمة عند(إد موند كارى) بل هو ـ فى واقع الامر ـ مفهوم تكاد تتفق بشأن أهميته مختلف مدارس الترجمة. فهذا رومان ياكويسن يرى هو الآخر أن كل تمثيل للدلالة، هو بالضرورة ترجمة[١٠] وهذا جورج مونان يؤكد «أن الترجمة هى مرور ـ وليست شيئا آخر غير مرور ـ معنى نص ما، من لغة ما إلى لغة أخرى[١١] بل إننا نجد أن (إيتيان دولى) منذ سنة ١٥٤٠م يضع المعرفة الجيدة للمعنى[١٢] على رأس البنود المسطرة للترجمة الجيدة.

والى أصوات هؤلاء يمكن أن نضيف صوت الكاتب الارمينى ك سورينيان، الذى يقول: وقبل الشروع فى الترجمة لا مناص من الفهم الامين للنص، وتحسسه تحسسا كليا وجزئيا[١٣] إذن، الفهم أولا وقبل كل شىء، ذلك لأن الذى يترجم لا يترجم من أجل أن يفهم، بل من أجل أن يفهم، لانه قد فهم قبل أن يترجم[١٤]، فالصعوبة الاولى التى تعترض المترجم هى: حاجز اللغات، بمعنى أن عليه كخطوة أولى «فك رموز النص وفهم معانى الكلمات»[١٥].

وإذا علمنا أن الترجمة ـ أساسا ـ عملية تبحث عن الترادف بين نصين فى سننين مختلفين، أدركنا أننا مع الفعل الترجمى نكون فى بؤرة الاشكال السيمانتيكى، لكن كيف تمت معالجة هذا الاشكال فى ترجمات القرآن.

إشكالية نقل المعنى فى ترجمات القرآن

لا ريب فى أن الترجمة الدينية سابقة على الترجمة الأدبية، سواء فى أسيا أو اوروبا أو فى البلاد السلافية، حيث كانت تترجم، منذ القدم، نصوص طقسية (Liturgique) وكتب مقدسة كالتوراة. ومنذ غابر الأزمان كانت الاديرة مراكز هامة للترجمة[١٦] وعلاوة على ذلك أن الترجمة الدينية هى التى أفرزت نظرية الترجمة[١٧] لكن هل بالامكان نقل نص مقدس إلى لغة أخرى؟ إذا كان مسموحا لاى كان أن يترجم رواية أو شعرا كما أراد، فإن المسألة تختلف عندما يكون المرء فى حضرة نص إلهى، إذ لا يتعلق الامر هذه المرة بالاسطتيقا، لان المترجم يصبح ناطقا بلسان صوت إلهى: وأقل ما يطلب منه هو أن يتناول عمله بإجلال، ويتأمل فى صنعته[١٨] فشرط إجلال النص الربانى وتقديسه وتأمل صنعته، شىء وارد لنقل حمولته الدلالية إلى المتن المترجم. وهذا لا يعنى أن الشواغل الاسطتيقية لا قيمة لها ـ سيما فى نقل القرآن المؤسس على الاعجاز البيانى بامتياز ـ لانه ليس نصا تقنيا، ولا نصا علميا صارم التعبير.

عملية الترجمة ليست بالأمر السهل، وانما هى ابداع يتطلب من الناقل محاولة استيعاب ما وراء النص قدر المستطاع.

فإذا كان إشكال المعنى حاضرا حتى فى ترجمات كتب الهندسة والتنجيم والحساب، فكيف لو كانت هذه الكتب كتب دين وإخبار عن الله ـ عز وجل ـ بما يجوز عليه مما لا يجوز عليه، حتى يريد (اى المترجم) أن يتكلم على تصحيح المعانى فى الطبائع، ويكون ذلك معقودا بالتوحيد ويتكلم فى وجوه الاخبار واحتمالاته للوجوه، ويكون ذلك متضمنا بما يجوز على الله تعالى، وحتى يعلم مستقر العام والخاص، والمقابلات التى تلقى الاخبار العامية المخرج فيجعلها خاصية وحتى يعرف من الخبر ما يخصه الخبر الذى هو أثر، مما يخصه الخبر الذى هو قرآن وما يخصه العقل مما تخصه العادة أو الحال الرادة له عن العموم، وحتى يعرف ما يكون من الخبر صدقا أو كذبا، وما لا يجوز أن يسمى بصدق ولا كذب، وحتى يعرف اسم الصدق والكذب. وعلى كم معنى يشتمل ويجتمع وعند فقد أى معنى ينقلب ذلك الاسم وكذلك معرفة المحال من الصحيح وأى شىء تأويل المحال، وهل يسمى المحال كذبا أم لا يجوز ذلك، وأى القولين أفحش: المحال أم الكذب، وفى أى موضع يكون المحال أفظع والكذب أشنع، وحتى يعرف المثل والبديع، والوحى والكناية، وفصل ما بين الخطل والهذر، والمقصور والمبسوط والاختصار، وحتى يعرف أبنية الكلام وعادات القوم وأسباب تفاهمهم والذى ذكرنا قليل من كثير ومتى لم يعرف ذلك المترجم أخطأ فى تأويل كلام الدين والخطأ فى الدين أضر من الخطأ فى الرياضة والصناعة والفلسفة والكيمياء، وفى بعض المعيشة التى يعيش بها بنو آدم[١٩] وقد فصل الجاحظ فى هذا النص القيم مختلف مثبطات نقل المعنى. وتستوقفنا هنا ملاحظته الهامة والثاقبة عن احتمالات الاخبار لوجوه عدة أى أن النص الإلهى يحتمل عدة قراءات (أى شروح وتفاسير) وبالتالى عدة معان، وهذا هو السر فى

خصوصية التراث العربى الاسلامى بالعديد من المصنفات التفسيرية. فالمترجم والمفسر كلاهما يقف وجها لوجه أمام تعدد المعانى، فأيتها ستفوز باختياره؟ وهذا يشير ضمنيا إلى أن الناقل لن يقدم ترجمة للقرآن، بل ترجمة لاحد معانى القرآن، فلا يمكن أن يأتى بجميع مراد الله[٢٠]، فالترجمة إذن تتم بنقل معنى من المعانى التى وقف عليها جمهور المفسرين والشراح وان لم تمكن الاحاطة بكل المعانى العظيمة التى احتوى عليها اللفظ المنزل من حكيم حميد[٢١] ولهذا قال العلامة الفقيه محمد الحجوى الثعالبى: «فنحن نعتبر كل ترجمة للقرآن تفسيرا فقط لبعض معانيه، وشرحا من جملة الشروح وليست عينه»[٢٢] إذن فحكم ترجمات القرآن هو حكم التفسير والبيان لبعض ما تضمنه لفظ القرآن[٢٣] من هنا نعلم انه لا يمكن تطويق كل آفاق النص القرآنى وتجلياته الدلالية والرمزية، نظرا لامكانية تعددية القراءات والتأويلات.

وما الترجمة إلا قراءة واحدة ـ وليست الوحيدة ـ لمستوى معين من مستويات النص المترجم، فمسألة تسبيج ونقل المعنى الحق والحقيقى، والاصلى والواحد والوحيد والقار والثابت مسألة ميتافيزيقية ليس إلا بيد أنه بمكنة المرء القيام بنقل بعض معانى الكتاب المقدس فى ظل شروط الاحترام والتبجيل التى تيسر قابلية الترجمة، (traduisibilite).

■ يظهر مما سبق أن إشكالية نقل المعنى القرآنى ترتطم بعائقين: عائق لغوى يعود إلى البنى المختلفة للغات وعائق ثقافى مصدره الوقائع السيكو ـ سوسيو ـ إثنولوجية المتباينة. ونظرا لخطورة العائق الثانى وتسببه فى العائق الاول وتزكيته، نرى لزاما علينا البدء به فالسؤال الذى يطرح نفسه الآن بالحاح شديد هو: **كيف تحد الملابسات النفسية والاجتماعية والاثنولوجية من نقل معانى القران إلى لغات أخرى؟** هذا ما سنعالجه فى النقطة الموالية.

نماذج الاخلال بالمعنى كثيرة، تتعلق بالتركيب والمعجم والدلالة والصوت.

الاشكال الصورلوجى ومسألة نقل المعنى

مما لا شك فيه أن الترجمة تعكس طبيعة علاقة الأنا (ego) بالآخر (L'autre) وتقدم صورة عن خلفيات تهجير المعنى ـ لا أى معنى ـ إلى فضاء الغير. فتأسيس الترادف بين نصين فى لغتين متباينتين مشروط بطبيعة النص المنقول وبوجهته (Destination)، وبنمط العلاقات الموجودة بين الثقافتين ومناخهما الاخلاقى والثقافى والعاطفى، مثلما هو مشروط بعوارض المرحلة.

وغير خاف أن جمهور ومترجم النص المترجم، كلاهما محكوم بالنموذج السوسيو ـ إسطتيقى والاخلاقى ـ وهذا النموذج محكوم بدوره بروح العصر المحددة لدرجة التنافر او التآلف بين الامتين أو الثقافتين. ولذا فان مبحث الصورلوجيا (Imagologie) يفرض نفسه علينا فى هذا الاطار، على اعتبار أن إشكالية نقل معنى او معانى القرآن العظيم تبقى خاضعة ـ إلى حد كبير ـ للصورة الثقافية (Imagerie culturelle)، التى كونتها الثقافة الاخرى عن ثقافة الذات. ولا تولد هذه الصورة وتتكون او تترعرع وتجدد أو تموت إلا فى ظل ملابسات أو سياقات تداولية تاريخية وسياسية، تحدد عقلية الناظر، وتلون صورة المنظور اليه[٢٤].

فالترجمة ـ ولا شك ـ تعكس تلك العلاقة الطبيعية او اللاطبيعية بين الناقل والمنقول عنه. وهى علاقة توقفنا من جهة على خصائص الصورة الغيرية، مثلما تكشف لنا من جهة ثانية عن الحواجز الاثنولوجية والنفسية والاجتماعية، التى قد تحول دون نقل المعنى بحد ادنى من الامانة والجدية والاحترام. ويمكننا تبين ذلك من خلال العرض الكرونولوجى لترجمات القرآن المشهورة والمتداولة باشعاع كبير، سيما تلك الترجمات الكاملة، علما بان الترجمات الجزئية او المخطوطة وهى كثيرة جدا لا تكاد تخرج، من حيث الخصوصية، عن العينة التى اتخذناها كنماذج لدراستنا هذه.

ولعل اهمية هذه المتابعة الدياكرونية منبثقة من كونها تساعدنا على ضبط مدى تطور تلك الترجمات، ومدى خدمتها للمعنى ، مثلما تساعدنا على الوقوف امام لحظة المراجعة إن وجدت.

■ إن اول ترجمة للقرآن هى الترجمة اللاتينية التى قام بها روبيرت الكيتونى بتكليف من بيتر المبجل، وقد قصد بها إدانة الاسلام.

وقد اتخذت هذه الترجمة كأساس لتهجمات المسيحية على الاسلام. وفى تلك الترجمة غير قليل من التهكم والتحريف والتشويه والسخرية من الاسلام ورسوله من جانب رجال الجدل المسيحى[٢٥] وذلك بهدف (الرد على هرطقة السراسنة ومذهبهم الشيطانى). وهذا الملفوظ الاخير نفسه هو عنوان احد كتب بيتر المبجل.

إننا إذاً فى غمرة حقبة الصراع الوسيطى بين الصليب والهلال فكان أن تمت الترجمة لتفنيد الاسلام على أساس من تعاليمه، اى تقويض الاسلام من الداخل، ودحض أهم مقدسات المسلمين. ومن هنا لا نعجب ـ وبظهور السبب يبطل العجب ـ إذا ما ظهرت اول ترجمة للقرآن فى هذه الفترة بالذات دون غيرها. غير أن هذا الجو الصراعى لم يكن يسمح لكتاب الآخر.

ونظرا لخطورة ترجمة روبيرت الكيتونى، التى تمت بطوليد (Tolede) ، واعتبارا لاخلالها بشرط احترام النص المقدس، وشرط الامانة لمضامينه، يجدر بنا ان نتتبع اشعاعات هذه الترجمة فى مناطق اوروبية اخرى شهدت ميلاد عدة ترجمات جزئية وتامة للقرآن.

■ لقد عرفت ترجمة روبيرت الكيتونى انتشارا واسعا فى ايطاليا. بل يعتقد أن هناك علاقة بين الاخرويات (Eschatologia) الاسلامية، كما جسدت فى كتاب الله، وتصوير دانتى للعالم الآخر فى ملحمته الخالدة: «**الكوميديا الآلهية**».

وغير خاف أن تلك الترجمة تسربت الى مناطق أخرى من العالم. فلقد أعيد نشرها ببال سنة ١٥٤٣م، وزوريخ سنة ١٥٥٠م، ثم سنة ١٥٥٦م. واذا كنا قد وقفنا على بعض مظاهر الاخلال بالمعنى كغياب تقديس واحترام الكتاب المنقول، فإن وقوفنا على طبيعة صورة محمد «ﷺ»، والذى هو الشخص الموحى اليه، كما تصورها المترجمون، لمن شأنه، ان يشكل وجها آخر من اوجه مثبطات نقل روح او مضمون القرآن الى غير الناطقين بلغة الضاد. ففى الفترة الوسيطية ـ التى لها امتدادات الى يومنا هذا ـ كانت الصورة المكونة عن رسول الاسلام من صنع رجالات الكنيسة. فمنذ القرن التاسع للميلاد اعتبر ظهور النبى مقترنا بيوم القيامة، باعتباره المسيح الدجال، الامارة الرئيسية لليوم الاخر[٢٦] مثلما اعتبر بمثابة مطران أو بطريرك تشاجر مع بطريرك القسطنطينة فشكل هرطقة انفصلت تدريجيا عن المسيحية الكاثوليكية الصحيحة[٢٧].



■ نخلص من هذا إلى أن الترجمات الوسيطية الأولى كانت مشروطة بصورة محددة للاخر فى الذاكرة الثقافية للناقل.

وهذا ما يفسر نسبة الكثير من المترجمين القرآن إلى محمد النبى. وفى ذلك إخلال بأحد اهم خصائص الكتاب المترجم: وهو كونه ليس كتابة فقط، بل صوتا قدسيا بالاساس. وإسقاط هذا الاعتبار يفضى حتما إلى خرق أهم شروط نقل المعنى.

كما أن تسمية بعض الترجمات بالقرآن إخلال آخر بالمعنى، لأن المترجم يلقى فى روع المتلقى أنه يقدم قرآنا، فى حين أنه لا يأتى ـ فى احسن الاحوال ـ سوى بفهم معين لبعض معانى القرآن، لكن تبنى هذه الاستراتيجية، التى تخلق لدى المرسل إليه الايهام بالوقوف على القرآن عينه، تتغيى تمرير المعانى العدائية للاسلام والمسلمين ورسولهم الذى بعث للعالمين.

استراتيجية الترجمة وإشكالية نقل المعنى

صحيح أن الانطلاق من اللغة المصدر، لا يضمن ـ بالضرورة ـ للترجمة قيمة معينة، لكنه ـ دون ريب ـ يسعف فى استيفاء بعض شروط الترجمة الحقيقية الجيدة، سيما إذا كانت الترجمة الأولى تخل بدلالات وصيغ النص الاصلى.

سبق أن أشرنا إلى أن ترجمة روبيرت الكيتونى قد نضحت ـ نظرا لشروط موضوعية معينة ـ بروح ومعنى النص القرآنى، وسبق أن أشرنا إلى خطورة تسرب طبعات تلك الترجمة إلى مناطق اوروبية عديدة، بل لقد أعيد طبعها مرات كثيرة، مما أكسبها فرصة للذيوع والانتشار، ولقد عززت هذه الاستراتيجية، استراتيجية تمرير المعنى المحرف عبر مضاعفة الطبعات، باستراتيجية الترجمة، ونقصد بها اعتماد الكثير من الترجمات الأخرى على هذه الترجمة الأولى، التى اغتالت جوهر المعنى على عتبة المغايرة المرفوضة.

■ ومن تلك الترجمات نشير إلى الترجمة العبرية الشهيرة ليعقوب بن إسرائيل عام ١٦٣٤م[٢٨].

وفى اواخر القرن السابع عشر سنجد أن الترجمات الفرنسية تنسب القرآن إلى النبى محمد، مثلما فعل ريير: (قرآن محمد)، باريس ١٦٤٧م، ثم أعيد نشرها سنة ١٦٤٩م إلخ وستتكىء الترجمات الانجليزية بارتياح على هذه الترجمة، من مثل ترجمة الكسندر روس: (قرآن محمد) لندن، التى عرفت انتشارا واسعا بطبعاتها المتعددة سنة ١٦٤٨، ١٦٤٩، ١٦٨٨، ١٧١٩.

كما استندت ترجمة رولان تايلور هى الاخرى سنة ١٦٨٨ على الترجمة الفرنسية المذكورة وقد تمسكت الترجمات الالمانية والهولاندية بدورها بالترجمة الفرنسية. فترجمة يوهان لانج بهامبورغ عام ١٦٨٨م انطلقت من الترجمة الهولاندية للترجمة الفرنسية، بمعنى أن الشقة بدأت تتسع بين النص المترجم والنص المترجم وذلك انطلاقا من التعامل مع اليد الثانية (Second-Hand) واليد الثالثة (Third-hand). . الخ. وهذا عامل أساسى فى تبخير المعنى.

والترجمات الروسية أيضا كانت تستنجد بالترجمة الفرنسية المذكورة. من مثل ترجمة كانطمين ديميتربوس بسان بيطرسبورغ سنة ١٧١٦م، وترجمة فيريوفكين بسان بيطرسبورغ سنة ١٧٩٠م، تحت عنوان (القرآن) بمعنى أنها تقدم نفسها ـ منذ البداية ـ كقرآن، لا كترجمة لمعنى من معانى القرآن. كما أن الدكتور بيوتر بوستيكوف ترجم القرآن سنة ١٧١٦م عن الترجمة الفرنسية المشار إليها. ولا غرو فى أن يعنون ترجمته بالملفوظ التالى: (القرآن ومحمد أو قانون تركيا[٢٩])، وهذا العنوان ـ كما هو واضح ـ يصب فى عمق الإشكال الصورلوجى فكلمة اتراك هنا تؤدى الدور نفسه الذى تؤديه لفظة سارازان فى تعتيم التحديد الدقيق للآخر المغاير.

■ أما ترجمة جورج صال وعنوانها: (القرآن المسمى عادة قرآن محمد) لندن، فإن العنوان نفسه لا يكتم النية المغرضة أو المبيتة، رغم انطلاق هذه الترجمة الانجليزية من اللغة العربية مباشرة وهى فى جزءين. طبعت عدة مرات: ١٧٣٤م، ١٧٤٦، ١٧٦٤، ١٧٧٤م، . . الخ.

وقد أشار الزرقانى إلى أنها طبعت ٣٤ مرة[٣٠] وهو ما يعكس انتشارها الواسع وإشعاعها، لا فى إنجلترا وحدها، بل فى مناطق أخرى من ارجاء المعمورة، كروسيا مثلا لا حصرا، حيث استفادت منها ترجمة الكساندر كولماكوف المسماة: (القرآن) والتى نشرت ببيطرسبورغ سنة ١٧٩٢م، وقد أفاد منها ايضا لى تيك تشينج من طريق غير مباشر. فترجمته الصينية منقولة عن الترجمة اليابانية التى هى بدورها مستقاة من عدة ترجمات إنجليزية (كترجمة صال ورودر. . إلخ) وإذا علمنا أن ترجمة تشينج هى أول ترجمة كاملة فى اللغة الصينية أدركنا مدى إشعاعها وأهميتها الكامنة فى نقل معان من الدرجة الثالثة.

النص القرآنى يحتمل عدة تفاسير وعدة وجوه، كما يقرأ على عدة قراءات ومما تعطيه الثراء فى المعنى، ومن هنا يحتاج الناظر فيه الى الدقة وعمق المعرفة، وبراعة الاستيعاب.

وكثيرة هي الترجمات التي جعلت من كتاب الله، كتاب محمد، اي انها اخلت بشرط قدسية الكلام الرباني (Oracle)، من مثل الترجمات الالمانية، التي قام بها كل من سالومون شفايجر (قرآن محمد) بنورمبيرغ سنة ١٦١٦م، ثم سنة ١٦٢٣، الخ، و وولفجانج، ويوهان اندرياس إردتر صاحبي ترجمة (قرآن محمد) بنورمبورغ سنة ١٦٥٩م.

والشيء نفسه يقال عن الترجمات الايطالية كترجمة اندريا أريفابينا الاسم المستعار لموسينيجو وعنوانها: (قرآن محمد) التي نشرت ببال سنة ١٥٤٣م والبندقية سنة ١٥٤٧م.

وتعتبر استراتيجية إعادة الطبع ـ كما سلفت الاشارة ـ وسيلة اخرى من وسائل تهجير المعنى الفاسد من فضاء إلى اخر عبر الزمان والمكان. فهذه ترجمة الالماني اولمان لودفيج التي تمت سنة ١٨٤٠م. قد أعاد طبعها وينتر ليو في ميونيخ سنة ١٩٥٨م. مثلما أعادت الدكتورة شيميل انهاري طبع ترجمة هينيغ ماكس التي تمت سنة ١٩٠١م، أكثر من مرة بشتوتغارت (١٩٦٠م و١٩٦٣)[٣١].

وقد يصطدم ناقل المعنى القرآني بعوائق أخرى لا تقل أهمية عما سبق التنبيه إليه، ومن تلك العوائق ما يفرزه الإشكال الهيرمينوطيقي.

الاشكال الهيرمينوطيقي ومسألة نقل المعنى

عدم التقيد بمذهب معين عند ترجمة تفسير القرآن الكريم الى اللغات الاجنبية.. من شروط اللجنة الفنية في الأزهر

تعني كلمة هيرمينوطيقا اليونانية: بين (To Testify) أعرب عن (To express)، أول (To interpret) شرح (To escplain). [٣٢] وتقوم الهيرمينوطيقا على تأويل النصوص الدينية والفلسفية (التأويل المقدس)[٣٣] فالحديث عن الهيرميتوطيقا هنا ـ التي تشتغل اساسا بتأويل النص الديني ـ ينبثق من ضرورة الالتفات الى الشروح والتفاسير والتأويلات، التي أمدت بعض المترجمين بفهم معين، دون آخر للنصوص القرآنية، قبل الاقدام على نقلها.

سيما وأن الفهم هو أول خطوة يقوم بها المترجم لضبط معنى النص المترجم قبل نقله إلى قارئه ودون أن نقف طويلا عند هذه النقطة التي نأمل أن تخصص لها دراسات مفصلة، نشير إلى أن بعض التأويلات كثيرا ما تعتم المعنى السليم، الذي قد يقصده القرآن الكريم. من ذلك أن الشيخ لي يوشين قام بتعاون مع هسيو تزي مينغ بترجمة القرآن سنة ١٩٣١م، نقلا عن الترجمة الانجليزية لمحمد علي الهندي القادياني، التي فيها غير قليل من التأويلات القاديانية في مسائل صلب المسيح، والجن والانس والعذاب في الاخرة والبعث وإنكار المعجزات، وغير ذلك من الاباطيل، كما أن ترجمة (خالد شيه تزي تشو) سنة ١٩٥٩م، بلغة المندرين قد بنيت على صرح ترجمة محمد علي الهندي القادياني[٣٤]، التي تخضع للمواصفات التثبيطية السالفة.

ويبدو أن مثل هذا الخلل الهيرمينوطيقي هو ما جعل اللجنة الفنية في الأزهر تشترط في ترجمة تفسير القرآن إلى اللغات الاجنبية بندا رابعا هو عدم التقيد بمذهب معين[٣٥].

بعد أن وقفنا على المثبطات الصورلوجية والهيرمينوطيقية، ومثبطات استراتيجية الترجمة والاشعاع المؤسس على إعادة الطبع وتسرب الطبعات إلى فضاءات جديدة، واستفادة بعض الترجمات من اليد الثانية والثالثة، إلخ، أقول بعد كل هذا سنتوقف عند شكل آخر من أشكال العصف بالمعنى في ترجمات القرآن الكريم.

وهذا الشكل له طبيعة لغوية.

الاشكال اللساني في نقل المعنى

إضافة إلى تلك الكمائن الثقافية والحضارية والهيرمينوطيقية تقع مسألة نقل المعنى المترجم في

كمين لسانى يتعلق بالبنى اللغوية، ما دامت العملية الترجمية، أساسا، هى فعل اتصال أو تماس بين اللغات[٣٦] وإذا علمنا أن النص القرآنى نص معجز ومأثرة جمالية «ايقاعه مذهل، ولغته خارقة ومحيرة حقا على حد تعبير جاك بيرك»[٣٧]، أدركنا أن المترجم يواجه بصعوبة أخرى لها طبيعة أسلوبية، ومن هنا تأتى أهمية وضرورة الحذف والمهارة فى اللسانين معا:

■ المنقول منه واليه. فالقرآن زاخر بأساليب االبيان والبديع، التى يستحيل نقلها حرفيا، ولعل عدم ادراك هذه الحقيقة التى تقتضى الحرص على عدم اغفال معنى المعنى أو المعانى الثوانى، هو ما اوقع مترجمى القرآن الى يومنا هذا، فى غير قليل من الحيصبيصية.

■ فالترجمة الفرنسية لسافارى (M.Savary) تمت سنة ١٧٨٣م، واعيد طبعها سنة ١٧٩٨م، الخ، عرفت انتشارا واسعا، لذا آلينا على أنفسنا الوقوف عند بعض مشاكلها فى نقل المعنى الربانى لبعض الآيات:

● يقول تعالى فى سورة النبأ، الآية العاشرة: ﴿وجعلنا الليل لباسا﴾، والترجمة هى: Nous avons abaisse sur vous le voile de la nuit وقد نقل الآية ١٨٦ من سورة البقرة: ﴿هن لباس لكم، وأنتم لباس لهن﴾ كالاتى:

Elles sont votre vetement et vous etes le leur.

وقد احتفظت ترجمة كازيميرسكى بالعبارة نفسها، فى حين تم نقل الآية الاولى على الشكل الموالى:

nous vous avons donne la nuit pour manteau.

وتتأكد لدينا خطورة هذه الترجمة، اذا اما علمنا ان بعض الترجمات الروسية فى القرن التاسع عشر، قد جعلت من هاتين الترجمتين حجر الزاوية فى نقولها[٣٨].

وباعتماده ترجمة (بلاشير) سيكرر (ماسون) الهفوة نفسها:



■ جاء فى ترجمة بلاشير:

6(elles sont un vetement pour vous et vous un vetement pour elles[٣٩]

6(nous avons foit de la nuit un voile[٤٠]

■ وجاء فى ترجمة ماسون:

(elles sont un vetement pour vous, vous etes, pour elles, un vetement)[٤١]

(nous avons fait de la nuit un voile[٤٢]

■ وقد شرح هذه اللفظة الأخيرة فى هامش ص٩٦٣ بكلمة (vetement). ومع ذلك فقد سميا ترجمتهما قرآنا، علما بأن الاول كان يدرك (أنه أمام تأويلات متعبدة للقرآن جادت بها عبقرية المفسرين المسلمين، وأن عليه أن يختار واحدة منها[٤٣] ومع العلم أيضا ان الثانى يدرك ان القرآن معجزة، وهل يستطيع المترجم نقل المعجزات؟ إنه يستطيع فى أحسن الاحوال، وبفضل احترام هذا النص، أن يقدم الظل[٤٤] على حد تعبير جان كروسجان.

■ هكذا أفسد التمسك بحرفية الترجمة، على الناقل فرصة القبض على معنى النص المنقول. فالمقصود باللباس المنسوب الى الليل هو السكون والهدوء والراحة والطمأنينة. والمقصود باللباس المنسوب الى المرأة والرجل هو: الملابسة والمخالطة والمعاشرة[٤٥].

فالاساس فى الترجمة كما هو مسطر للمبتدئين فى هذه الصناعة، هو: الفكرة لا نوع الكلمة. أي البحث عن مرادف للفكرة لا للكلمة[٤٦].

سيما اذا كنا أمام نص يقوم على الاعجاز البيانى لكن الاخلال بالمعنى هنا يكمن - كما رأينا - فى كون بعض المترجمين المتأخرين ينقل «عن المتقدمين سورا وآيات بترجمتها الحرفية، دون تكبد

عناء التمحيص والتدقيق فى اختيار العبارات، وما تنطوى عليه من الاسرار والاشارات»[٤٧] وكثيرا ما ترتبط المثبطات الاسلوبية للغة الاعجاز القرآنى بخصوصية اللغة العربية، باعتبارها تنتمى الى اللغات السامية المتميزة عن أسرة اللغات الهندو - اوروبية[٤٨].

كلمة قبل الختام:

كثيرة هى نماذج الاخلال بالمعنى وتتعلق بالتركيب والمعجم والدلالة والصوت، اضافة الى المثبطات الآنفة الذكر، ولم نقم سوى بالاشارة اشارة طفيفة الى بعضها. وهى فى مجملها تحتاج الى دراسات تفصيلية جزئية دقيقة. فميدان نقد الترجمة بصفة عامة، وميدان نقد ترجمات معانى القرآن بصفة خاصة مازال مجالا بكرا للباحثين العرب والمسلمين وغيرهم من ذوى النيات الحسنة، فى ميدان الادب المقارن. وما قمنا به الآن ليس سوى مجرد إلقاء الحجر الأول فى الماء الراكد، علما بأن مثل هذه الدراسات تحتاج الى مؤسسات متخصصة ومخبرية يسيرها اكفاء من خدمة الثقافة الاسلامية، بدل الاعتماد على المبادرات الفردية، التى تبقى قاصرة ومحدودة.

وإن غياب مثل هذه المؤسسات فى الظرف الراهن هو ما يشفع لنا فى هذا الطموح المفرط الراغب فى تطويق مختلف عناصر أزمة نقل المعنى، التى تعكس ازمة التواصل الحضارى بين المسلمين وغيرهم من شعوب العالم.

ولا يفوتنا هنا أن نشير الى أن هناك كتبا أشارت لمشاكل نقل المعنى القرآن الى لغات أخرى، لكنها لم تتوخ «التصدى لهذه الترجمات والتعليق عليها. فلهذا الموضوع شأن آخر»[٤٩] كما جاء على لسان الدكتور محمد صالح البنداق. وقد أشار الزرقانى أيضا الى «وقوع اغلاط فاحشة فى هذه التى سموها ترجمات»[٥٠]، لكننا مازلنا - بكل أسف - نفتقر الى دراسات أكاديمية جادة تتصدى لنقد تلك الترجمات والنقول الكلية او الجزئية للقرآن. بل مازلنا نفتقر الى رصد بيبليوغرافى تحليلى شامل لتلك الترجمات، التى مازالت تمتع بمشروعية التأثير والتأثر.

ميدان نقد ترجمات معانى القرآن الكريم مازال مجالا بكرا للباحثين المسلمين والعرب.

ولا نريد أن نفوت علينا هنا فرصة الاشارة الى مسألة ذات بال فى ثقافتنا العربية الاسلامية. وهى أننا تركنا الباب مشرعا فى وجه المستشرقين، الذين يتجشمون - الى يومنا هذا - مشقة ترجمة القرآن سواء عن حسن أو سوء نية، دون ان نقوم بالدور الحضارى المنوط بنا. ويكفى أن نشير بهذا الصدد، الى أن فرنسا وحدها شهدت فى الموسم الادبى الحالى (١٩٩١) ميلاد ثلاث ترجمات: ترجمتى رينيه خوام وأندريه شوراكى، واخرها ترجمة شيخ الاستشراق جاك بيرك، الصادرة عن «دار سندباد» فى طبعتين واحدة مجلدة وممتازة ومرقمة فى ١٨٠٠ نسخة، واخرى عادية فى ١٣ الف نسخة. وعلى الرغم من أن صاحبنا عضو فى «مجمع اللغة العربية بالقاهرة» الا أنه فضل الالتصاق فى ترجمته بالاصول الفرنسية[٥١]. والجميل أنه صرح فى عنوان فرعى على صفحة الكتاب الاولى أن عمله مجرد «محاولة فى الترجمة»، وتضاف الى تلك الترجمات الثلاث اربعون ترجمة فرنسية سابقة، مقابل ستمائة فى العالم[٥٢].

فعلى المستوى النظرى، إننا نمتلك مصنفات قيمة حول «ما ينبغى ومالا ينبغى»، أو مالا يجب وما يجب فى نقل معانى القرآن - لكن علينا ان نتخطى هذه العتبة، ونزيل الدهشة، بدءاً بنقد الترجمات الموجودة وعدم التنكر لها لتقديم الاصلح والاحسن. علما بأننا ندرك - أتم الادراك - أن الترجمة ليست جوهرا ميتافيزيقيا، وإنما هى عملية بشرية، لها حدودها ومجهوداتها ونجاحاتها وتاريخها (الذى هو تاريخ نمو قابلية الترجمة (Traduisibilite). فلا يحكم على الترجمة بقانون: الكل أو لاشىء. انها دائما بحث - لا أكثر - عن المرادف الأكثر تقريبية لارسالية تنقل من لغة الى

اخرى. ثم إنها - بهذا الاعتبار - أحد أجمل انتصارات التواصل الصعب بين البشر»[٥٣]، فمن المستحسن - كما يقول الكاتب الارمينى كلارك سورينيان «ألا تصدر عن المترجم أية أخطاء، ولكن لابد منها حتى فى التراجم الممتازة»[٥٤].

كلمة الختــام:

نستنتج مما سبق ان إشكـالية نقل المعنى فى ترجمات القرآن الكريم ارتطمت على صخرة الاشكـال الصـورلـوجى اولا، المرتبط بالمثبـطات االثقـافية والحضارية والسيكولوجية والاثنية والسـوسيولـوجية، كما ارتطمت ثانيا على صخرة الاشكال اللسانى المرتبط بالمثبطات المعجمية والـدلالية والـتركيبية أو الاسلوبية، المشكلة لأس الاعجـاز القـرآنى. وقـد وقف الاشكـال الهيرمينوطيقى أيضا حاجزا أمام نقل المعنى النقى من الشوائب المذهبية. ولعل هذه العوائق هى التى أفضت بالمترجمين الى اللجوء الى استراتيجيات تعتم المعنى وتحرفه، كاستراتيجية الاستمداد من اليد الاولى والثانية الخ، واستراتيجية الاشعاع واعادة الطبع التى تضمن للترجمة الاستمرارية والحركية: الاستمرارية عبر الزمن، والحركية عبر التنقل من فضاء الى آخر. وهو ما ضمن لبعض الترجمات حياة وحضورا راهنيا يستدعى أن نأبه الى لحظة المراجعة واعادة النظر.

هوامــــش

---

(١) عبد النبى ذاكر، خطاب الترجمة الأدبية: من الازدواجية الى المثاقفة، العلم الثقافى، ع ٧٩٧، ٣نوفمبر ١٩٩٠م ص٤.

(٢) عبد النبى ذاكر، مقارنة بين ترجمتين عربيتين لكتاب Stucture du langage poetique، لجان كوهن، العرب والفكر العالمى، ع٧ صيف ١٩٨٩م ص١١٢.

(٣) إدموند كارى، ما معنى الترجمة؟، ترجمة عبد النبى ذاكر، العلم الثقافى، ع٨٠٠، ٢٤نوفمبر ١٩٩٠م ص٤.

(٤) المرجع السابق ص٤.

(٥) انظر كتاب: ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، (د. ت).

(٦) صليبا جيل، المعجم الفلسفى، ج١١، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، ط١، ١٩٧١.

(٧) ابن منظور، لسان العرب، دار لسان العرب، بيروت (د. ت).

(٨) Paul Robert, Petit Robert, 1982, P.1023

(٩) Edmond Cary, comment faut-ilraduire P.114.L, 1985. P12.

(١٠) Fabre. P,la semantique, ed,F. Nathan,P.268

(١١) Mounin G,Linguistiique et traduction-Revue La Linguistique, N 1-2, 1967, P,44

(١٢) Edmond cary, la traduction dans Lemonde moderne, librairie de luniversite Georg. S.A Geneve 1956, P.40-41

(١٣) ك. سورينيان «الاخوة كارامازوف» الموسوعة الصغيرة. ع٣٤، ١٩٧٩، ص٢٩.

(١٤) Vinay et Darbelneet stylistique comparee, ed: Marcel Didier, Paris, 1958, P.24

(١٥) Cary. E Comment faut-il traduire P.U.L, 1985, P.32

(١٦) ادموندكارى، الترجمة الادبية، ترجمة عبد النبى ذاكر، العلم الثقافى، ع٨٠٩، ١٦ ابريل ١٩٩١، ص٢.

(١٧) المرجع السابق ص٢.

(١٨) السابق ص٢.

(١٩) الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، المجمع العلمى العربى الاسلامى، ص٣. ١٩٦٩، ج١، ص٧٧-٧٨.

(٢٠) بدر الدين الزركشى، البرهان فى علوم القرآن، ج١ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار الفكر، ط٣. ١٩٨٠، ص٤٦٥.

(٢١) محمد بن الحسن الحجوى الثعالبى الجعفرى، حكم ترجمة القرآن الكريم، مخطوطة الخزانة العامة بالرباط، ضمن مجموع رقم ج١١٣، ص١٣٤.

(٢٢) السابق ص١٥٠.

(٢٣) السابق ص١٥١.

(٢٤) للمزيد من التفاصيل بخصوص الصورة ومبحث الصورلوجيا، انظر:

عبد النبى ذاكر، العلم الثقافى، ٦ اكتوبر ١٩٩٠، ص٣.

عبد النبى ذاكر، الواقعى والمتخيل فى الرحلة الاوروبية الى المغرب، د.د.ع ٨٩-١٩٩٠، كلية الاداب الرباط.



الهوامش

دانييل هنرى باجو: الصورة الثقافية: من الادب المقارن الى الانثروبولوجيا الثقافية، ترجمة عبد النبى ذاكر، العلم الثقافى، ع٧٨٩، ١٥ سبتمبر ١٩٩٠.

(٢٥) رشا حمود الصباح التصورات الاوروبية للاسلام فى العصور الوسطى، عالم الفكر م١١، ع٣. ١٩٨٠ ص٩١.

(٢٦) ريتشارد سوذرن، السابق ص١١.

(٢٧) السابق ص١٢.

(٢٨) د. محمد صالح البنداق، المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، منشورات دار الافاق الجديدة، بيروت، ط٢. ١٩٨٣. ص١٩٦.

(٢٩) سهيل فرح، الاستشراق الروسى، نشأته ومراحله التاريخية: الفكر العربى ع١، س٥. ١٩٨٣. ص٢٣٥.

(٣٠) محمد عبد العظيم الزرقانى. مناهل العرفان فى علوم القرآن، ج٢، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبى وشركاؤه ط٣. (د.ت) ص٣.

(٣١) د. ميشال حبحا، مستعربان المانيان بارزان: هلموت ريتروردي بارت، الفكر العربى. ع٣١. س٥. ١٩٨٣. ص٣٤٩.

(٣٢) Thomas sebeok, Encyclopedic Dictionary of semiotics, Tom I, Mouton de Gruyter, 1986. of.p 305-307.

(٣٣) Andre lalande, vocabulaire technique et critique de la philosophie, paris, 12ed. 1976.

(٣٤) د. حسن المعايرجى من تاريخ ترجمات معانى القرآن الكريم الى اللغة الصينية، مجلة الامة، ع٣٥، س٣. ١٩٨٣. ص٧٤ـ٧٥.

(٣٥) د. محمد صالح البنداق، السابق، انظر هذا الشرط مع بقية الشروط من ص٧٥ الى ص٧٧.

(٣٦) Voir G.Mounin, les problemes theorique de la traduction, chapitre premier: La traduction comme contact de langues.

(٣٧) شربل داغر، صدور ترجمة جاك بيرك لمعانى القرآن الكريم، جريدة الحياة، الاربعاء ١٦ يناير ١٩٩١م. ص٧.

(٣٨) لقد استفدنا كثيرا من لائحة بعض تراجم القرآن الى اللغات الاوروبية التى ذيل بها د. محمد صالح البنداق كتابه الانف الذكر.

(٣٩) R.Blachere, le Coran G.P Maisonneuve et lorose 1980. p.55

(٤٠) السابق ص٦٣٢.

(٤١) D-Masson,le Coran. ed. Gallimard, 1967, p.35

(٤٢) السابق ص٧٣٧.

(٤٣) بلاشير، السابق ص٨.

(٤٤) ماسون، السابق ص٩.

(٤٥) أحمد مصطفى المراغى، تفسير المراغى، ج١. ط٣، ١٩٧٤. ص٧٧.

(٤٦) Joseph N. Hajjar, Traite de traduction, 51 Dar el Machreq, Beyrouth, 1972, p.15

(٤٧) البنداق، السابق ص١٣٠.

(٤٨) انظر بهذا الصدد ما ذكره كروسجان عن خصوصية الفعل فى اللغات السامية، وتميزه عن الفعل فى اللغات الهندو ـ اوروبية أنظر مقدمة ترجمة ماسون، ص٩ـ١٠.

(٤٩) البنداق، السابق، ص١٦٦.

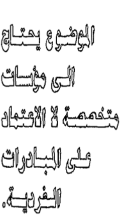
(٥٠) الزرقانى، السابق ص٣.

(٥١) شربل داغر، السابق ص١.

(٥٢) السابق، ص٧.

(٥٣) جورج مونان الترجمة والميتافيزيقا، ترجمة عبد النبى ذاكر، العلم الثقافى، ع ٧٨٢. ٢١ يوليو ١٩٩٠، ص٦.

(٥٤) فن الترجمة، ترجمة د. حياة شرارة، الموسوعة الصغيرة، العراق ع٣٤، ١٩٧٩، ص٤٦.







من أصول التفسير وضوابطه

لـم يكـن التفسـير فـى بدايتـه على شـكل منظم منفرد كما هـو الحـال الان، بـل كـان يكتـب علـى أنـه بـاب مـن أبـواب الحديـث.



أ. شهاب الدين الفرفور - سوريا

الكلام فى التأويل والتفسير كلام دقيق غاية الدقة، وله حظ من العمق إلا أن الذي يذهب بذهنك إلى عالم الشتات، هو ذلك الاختلاف في مناهج التفسير عند المفسرين إن لم تضـع ضوابط التفسير نصب عينيك فلذلك لابد أن تعلم - قارئي العزيز - أن هناك ميزانا لطرق التفسير، والتأويل، فيما يذم منها، وما يمدح.

إذ إن ذلك الميزان هو الفيصل الذي يجب أن نحكمه، ونزن كل تفسير به، فما رجح في هذا الميزان قبلناه، وحمدناه، وما طاش فيه رفضناه وذممناه، والمدح والذم درجات، بعضها فوق بعض، على حسب استيفاء التفسير لوجوه المدح والذم، أو نقصها قليلا، أو كثيراً.

غير أن هذه الدرجات، وتلك الضوابط لم تراع عند أقوام وبعض جماعات فلقد ظهر أفراد من هؤلاء تعصبوا لآرائهم، ومذاهبهم، وزعموا أن من خالف هذه الآراء والمذاهب كان مبتـدعـا متبعـا لهواه، ولو كان متأولا تأويلا سائغا يتسع له الدليل والـبرهـان، كأن رأيهم ومـذهبهم هو القياس والميزان، أو كأنـه الكتـاب والسنـة والاسلام، وهكذا استز لهم الشيطان وأعماهم الغرور.

ولقد نجم - عن هذه الغلطة الشنيعة - أن تفرق كثير من المسلمين شيعاً وأحزاباً وكانوا حربا على بعضهم وأعداء وغاب عنهم أن الكتاب، والسنة، والاسلام أوسع من مذاهبهم، وآرائهم وأن مذاهبهم، وآراءهم أضيق من الكتاب والسنة والاسلام وأن فى ميدان الحنيفية السمحة - متسعاً لحرية الافكار واختلاف الانظار ما دام الجميع معتصمـاً بحبل الله المتين.

■ ومن هنـا عمِّيت عليهم طرق الصـواب، ولم يتبنّـوا فهم الجـواب، ولا فحوى الخطاب، واستحوذ عليهم التخليط في الأمور بسبب هذا التعصب المقيت فخلطوا بين التفسـير والتـأويل ولم يتفهمـوا التخصيص من التقييد والتعميم، فظهـر فيهم الجهل، وفشا فيهم الضلال في العقيدة والعلم ولولا أن الله قيض لهذا الدين من فنده تفنيدا وفصله تفصيلا وأزال الزيغ عن الحق، ووضح الكذب من الصدق لكان أمرنا أمراً لا تحمد عقباه، ولكن رحمة الله وسعت الناس أجمعين.

(الفرق بين التفسير والتأويل وتوضيحها)

ومن الذين كشفوا عن معاني التفسير، والتأويل، ووضعوا فيهما الفروق الواضحة الجلية الشيخ أبو هلال العسكري في كتابه (الفروق في اللغة) فيقول - رضى الله عنه: والفرق بين التفسير والتأويل أن التفسير هو الاخبار عن أفراد آحاد الجملة، والتـأويل: الاخبـار بمعنى الكـلام جملة، وقيل: التفسير: إفراد ما انتظمه ظاهر

التنزيل، والتأويل: الاخبار بغرض المتكلم بكلام.
وقيل: التأويل: استخراج معنى الكلام لا على ظاهره بل على وجه يحتمل مجازا أو حقيقة، ومنه يقال: تأويل المتشابه، وتفسير الكلام: إفراد آحاد الجملة، ووضع كل شيء منها موضعه.
إلى أن يقول: وأصل التأويل في العربية من إلت إلى الشيء أؤول إليه إذا صرت إليه، وقال تعالى: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ ولم يقل تفسيره، لأنه أراد ما يؤول من المتشابه إلى المحكم. (انتهى. الفروق في اللغة ص٤٨-٤٩).

هذا ولقد وضح الجرجاني في كتابه التعريفات توضيحاً جلياً في تعريف التفسير، والتأويل، يجدر بنا ذكره في هذا المضمار.
فيقول ـ رضى الله عنه ـ التفسير في الأصل هو الكشف، والاظهار وفي الشرع: توضيح معنى الآية، وشأنها، وقصتها، والسبب الذى نزلت به بلفظ يدل عليه دلالة واضحة، ظاهرة (انظر التعريفات ص٦٣).

ويقول في التأويل ما نصه: (التأويل في الأصل: أى: فى أصل اللغة ـ الترجيع، وفي الشرع: صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله إذا كان المحتمل الذى يراه موافقاً للكتاب، والسنة، مثل: قوله تعالى: ﴿يخرج الميت من الحى﴾ إن أراد به إخراج الطير من البيضة كان تفسيراً، وإن أراد به إخراج المؤمن من الكافر، أو العالم من الجاهل كان تأويلا (انظر التعريفات ص٥٠).
■ ومن هنا يتضح لك الفرق بين التفسير والتأويل، من أن التأويل، إنما العمدة فيه على إرجاع المعنى إلى أصله، بعد أن صرف عنه، وأن التفسير ليس كذلك، ثم إنك تلحظ أن التأويل يعتمد على الظن، وإعمال الاحتمال والتفسير ليس مثله في هذا الامر، فالتفسير مقدم على التأويل من حيث مراتب الظن، والقطع، لأن التفسير مبناه على القطع، والتأويل ليس كذلك فلا تستطيع في التفسير أن تصرف االلفظ عن ظاهره، وما وضع له، وتستطيع ذلك فى التأويل، ولكن بشروط.



■ ومن هنا يظهر لك ما نقله الشيخ فخر الاسلام البزدوي في أصوله عن شيخ الماتريدية أبي منصور الماتريدي رضى الله عنهم أجمعين (أن التفسير هوالقطع على أن المراد باللفظ هذا، فإن قام دليل مقطوع به على المراد يكن تفسيراً صحيحاً مستحسناً، وإلا فهو تفسير بالرأي. (انظر كشف الاسرار بحاشية عبد العزيز البخارى ج١ ص٤٥).

فلذلك كل لفظ احتمل أكثر من معنى ثم رجح أحد معانيه بدليل قطعي هو تفسير، وهو عند الاصوليين المفسر، وكل ترجيح لأحد هذه المعاني التى احتملها اللفظ يكون بطريق ظني فهو تأويل، وهو ـ عند الاصوليين ـ المؤول.

وبعد:

فإنه يتضح مما ذكر لك معنى كلام الاصوليين في المؤول (أنه ما ترجح من معاني المشترك بعض وجوهه، أو معانيه بغالب الرأي) وحكمه (وجوب العمل به على احتمال الغلط والسهو).
وأن المفسر: (هو ترجيح لأحد معاني المشترك بدليل قطعى) وحكمه (وجوب العمل به على احتمال النسخ) وهنا نستطيع أن نخرج المحكم من هذا الكلام، لأن المحكم لا يلحقه النسخ. (انظر الكشف ج١ ص٤٤-٤٥).

ولقد وضع الشيخ ابن نجيم ـ رضى الله عنه ـ شرحاً، وتعليقاً رائعاً على تعريف صاحب المنار للمفسر، فيقول: (أما المفسر) بفتح السين مبالغة من الفسر: وهو الكشف (فما ازداد وضوحاً على النص على وجه لا يبقى معه احتمال التأويل.
الى أن يقول (وحكمه: وجوب العمل به) قطعاً وتعييناً لأنه أريد به كشف لا شبهة فيه، وهو

القطع بالمراد، ولهذا يحرم التفسير بالرأي دون التأويل، لأنه الظن بالمراد، وحمل الكلام على غير ظاهره بلا جزم. (انظر فتح الغفار ج١ ص١١٣ ط عيسى البابي الحلبي).

مناهج المفسرين ومذاهبهم فـى التفسـير

ولو أردنا أن نقف على كلام المفسرين، وتفسيرهم لكتاب الله العزيز لوجدنا أن هذه الثروة الهائلة قد نحا فيها العلماء طريقين ـ المأثور ـ والرأي، أما تفسير المأثور: فهو ما جاء في القرآن والسنة، أو كلام الصحابة والتابعين بياناً لمراد الله من كتابه.

ولقد تدرج هذا النوع من التفسير رواية، وتدويناً، أما في دور الرواية فإن رسول الله ﴿ﷺ﴾ بين لأصحابه ما أشكل عليهم من معاني القرآن، فكان هذا القدر من التفسير يتناوله الصحابة بالرواية بعضهم لبعض، ولمن جاء بعدهم من التابعين.

ثم وجد من الصحابة من تكلم في تفسير القرآن بما ثبت لديه عن رسول الله ﴿ﷺ﴾ أو بمحض رأيه، واجتهاده، وكان ذلك على قلة، ويرجع السبب فيها إلى الروعة الدينية التى كانت لهذا العهد، والمستوى العقلي الرفيع لأهله، وتحدد حاجات حياتهم العلمية، ثم شعورهم مع هذا بأن التفسير شهادة على الله بأنه عنى باللفظ كذا.

ثم وجـد من التابعين من تصدى للتفسير، فروى ما تجمع لديه من ذلك عن رسول الله ﴿ﷺ﴾ وعن أصحـابـه، وزاد على ذلـك من القـول بالرأي، والاجتهاد، بمقدار ما زاد من الغموض الذي كان يتزايد كلما بعد الناس عن عصر النبي ﴿ﷺ﴾ والصحابة.

ثم جاءت الطبقة التى تلي التابعين، وروت عنهم ما قالوا، وزادوا عليه بمقدار ما زاد من غموض، وهكذا ظل التفسير ينضم طبقة بعد طبقة وتروي الطبقة للثانية ما كان عند الطبقات التى سبقتها كما أشرنا فيما سبق ثم ابتدأ دور التدوين ـ وهو يعنينا في هذا البحث ـ فكان أول ما دون من التفسير هو التفسير المأثور، على تدرج في التدوين كذلك، فكان رجال الحديث والرواية هم أصحاب الشأن الأول في هذا.



وقد رأينا أصحاب مبادىء العلوم حين ينسبون ـ على عادتهم ـ وضع كل علم لشخص بعينه، فيعـدون واضع التفسير ـ بمعنى جامعة لا مدونه ـ الامام مالك بن أنس الأصبحي إمام دار الهجرة. (انظر مناهل العرفان ج٢ ص٢١).

وكان التفسير إلى هذا الوقت لم يتخذ له شكلا منظما، ولم يفرد بالتدوين بل كان يكتب على أنه باب من أبواب الحديث المختلفة، يجمعون فيه ما روي عن النبى ﴿ﷺ﴾، وعن الصحابة، والتابعين.

ثم بعد ذلك انفصل التفسير عن الحديث، وأفرد بتأليف خاص فكان أول ما عرف لنا من ذلك، تلك الصحيفة التى رواها ابن طلحة عن ابن عباس، ثم وجد من ذلك جزء أو أجزاء دونت في التفسير خاصة مثل ذلك الجزء المنسوب لأبى روق، وتلك الأجزاء الثلاثة، التى يرويها محمد بن ثور عن ابن جريج. (انظر مناهل العرفان للشيخ الزرقاني ج٢ ص١٣ وما بعدها).

ثم وجدت من ذلك موسوعات من الكتب المؤلفة فى التفسير، جمعت كل ما وقع لأصحابها من التفسير المروي عن النبى ﴿ﷺ﴾ وأصحابه، وتابعيهم كتفسير ابن جرير الطبري، ويلاحظ أن ابن جرير، ومن على شاكلته ـ وإن نقلوا تفاسيرهم بالإسناد ـ فقد توسعوا في النقل، وأكثروا منه حتى استفاض، وشمل ما ليس موثوقاً به، وكما يلاحظ أنه كان لا يزال موجوداً إلى ما بعد عصر ابن جرير.

فمن أفرد التفسير بالتأليف رجال من المحدثين بوبوا للتفسير باباً ضمن أبواب ما جمعوا من الأحاديث.

ثم وجد بعد هذا أقوام دونوا التفسير المأثور دون أن يذكروا أسانيدهم في ذلك، وأكثروا من نقل الأقوال في تفاسيرهم من غير تفرقة بين الصحيح، والعليل، مما جعل الناظر في هذه الكتب لا يركن لما جاء فيها لجواز أن يكون من قبيل الموضوع، المختلق، وهو كثير في التفسير.

(أشهر التفاسير في المأثور)

هذا وأذكر الآن أشهر التفاسير التي ألفت بالمأثور على سبيل الانتقاء لا الحصر.

■ **فمنها:**

١ ـ تفسير ابن جرير الطبري.

وهو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري ولد سنة ٢٢٤هـ وتوفي سنة ٣١٠ كان فريد عصره ووحيد دهره علماً، وعدلا، وحفظاً لكتاب الله وخبرة بمعانيه، وإحاطة بالآيات ناسخها، ومنسوخها، وبطريق الرواية صحيحها، وسقيمها، وبأحوال الصحابة، والتابعين. (انظر الاعلام ملخصاً ج٦ ص٦٩).

ولذلك كان تفسيره من أجل التفاسير بالمأثور، وأصحها وأجمعها لما ورد عن الصحابة، والتابعين، عرض فيه لتوجيه الأقوال، ورجح بعضها على بعض، وذكر فيه كثيراً من الاعراب، واستنباط الاحكام، وقد شهد العارفون بأنه لا نظير له في التفاسير.

قال النووي في تهذيبه: «كتاب ابن جرير في التفسير لم يصنف أحد مثله»، وقال أبو حامد الاسفراييني شيخ الشافعية: «لو رحل أحد إلى الصين ليحصل تفسير ابن جرير لم يكن كثيراً عليه».

ومن مزاياه أنه حرر الأسانيد وقرب البعيد، وجمع ما لم يجمعه غيره غير أنه قد يسوق أخباراً بالأسانيد غير صحيحة، ثم لا ينبه على عدم صحتها قلت: والذى يتهيأ لي عذراً في ذلك الأمر هو ذكر السند فى زمن، توافر الناس فيه على معرفة حال السند، من غير توقف على تنبيه منه.

٢ ـ الدر المنثور في التفسير المأثور.

وهو للامام جلال الدين السيوطي، وهو غني عن التعريف، والترجمة قال في مقدمته: إنه لخصه من كتاب ترجمان القرآن، وهو تفسير مسند إلى رسول الله ﴿ﷺ﴾، وقد طبع فى مصر، وقد ذكر في كتابه الانقاذ أنه شرع في تفسير جامع لما يحتاج إليه من التفاسير المنقولة، والأقوال المعقولة، والاستنباطات، والاشارات، والأعاريب، واللغات ونكت البلاغة، ومحاسن البديع، وسماه مجمع البحرين ومطلع البدرين وذكر أنه جعل كتاب الاتقان مقدمة له، وذكر في كتاب الانقاذ نبذة يسيرة صالحة من التفسير بالمأثور المرفوع إلى النبى ﴿ﷺ﴾ من أول الفاتحة إلى سورة الناس.

٣ ـ تفسير ابن كثير.

هو عماد الدين: أبو الفداء إسماعيل بن الخطيب أبو حفص عمر القرشي الدمشقى الشافعي المولود سنة ٧٠١ المتوفى سنة ٧٧٤ وتفسيره هذا من أصح التفاسير بالمأثور، إن لم يكن أصحها جميعاً، نقل فيه عن النبى ﴿ﷺ﴾، وكبار الصحابة، والتابعين؛ وقد طبعته أكثر من دار في دمشق، في أربعة أجزاء كبار، وطبع في مصر، أخرجته مطبعة المنار في تسعة أجزاء ومعه بأسفل الصفحات تفسير البغوي. (انظر الاعلام ملخصاً ج١ ص٣٢٠).

التفسير بالمأثور هو ما جاء فى القران والسنة أو كلام الصحابة والتابعين بيانا لمراد الله تعالى من كتابه.

(التفسير بالرأي)

المراد بالرأي هنا الاجتهاد، فإن كان الاجتهاد موفقا أي مستندا إلى ما يجب الاستناد إليه، بعيداً عن الجهالة والضلالة، فالتفسير به محمود وإلا فمذموم، والأمور التى يجب استناد الرأى إليها في التفسير نقلها السيوطى في الاتقان نقلا عن الزركشى، فقال ما ملخصه:

للناظر في القرآن لطلب التفسير مآخذ كثيرة، أمهاتها أربعة:

الاولى: النقل عن رسول الله ﴿ﷺ﴾ مع التحرز عن الضعيف والموضوع.

الثانية: الأخذ بقول الصحابى، فقد قيل إنه في حكم المرفوع مطلقاً وخصه بعضهم بأسباب النزول، ونحوها، مما لا مجال للرأي فيه.

الثالثة: الأخذ بما يقتضيه الكلام، ويدل عليه قانون الشرع وهذا هو النوع الذي دعا به رسول الله ﴿ﷺ﴾ لابن عباس (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل).

الرابعة: الأخذ بمطلق اللغة مع الاحتراز عن صرف الآيات إلى مالا يدل عليه الكثير فى كلام العرب. (انتهى الاتقان ج٢ ص٢٢٨).

فمن فسر القرآن برأيه أى: باجتهاده ـ ملتزماً الوقوف عند هذه ـ المآخذ معتمداً عليها فيما يرى من معاني كتاب الله كان تفسيره ساقطاً مرذولا، خليقا بأن يسمى التفسير المذموم.

التفسير بالرأى منه الممدوح الجائز.. ومنه المذموم غير الجائز.

فالتفسير بالرأي الجائز يجب أن يلاحظ فيه الاعتماد على ما نقل عن الرسول ﴿ﷺ﴾، وأصحابه مما ينير السبيل للمفسر برأيه، وأن يكون صاحبه عارفاً بقوانين اللغة خبيراً بأساليبها، وأن يكون بصيراً بقوانين الشريعة، حتى ينزل كلام الله على المعروف في تشريعه أما الأمور التى يجب البعد عنها في التفسير بالرأي فمن أهمها:

- التهجم على تبيين مراد الله من كلامه على جهالة بقوانين اللغة أو الشريعة.
- حمل كلام الله على المذاهب الفاسدة.
- الخوض فيما استأثر الله بعلمه.
- القطع بأن مراد الله كذا من غير دليل.
- السير مع الهوى، واستحسان التشهي.

■ ويمكن تلخيص هذه الامور الخمسة في كلمتين هما: **الجهالة، والضلالة.**

(أهم كتب التفسير بالرأي)

قد علم مما سبق أن التفسير بالرأي منه الممدوح الجائز، ومنه المذموم غير الجائز، وهاك بياناً بأشهر ما ألف في القسم الأول.

١ ـ تفسير البيضاوي.

وهو تفسير جليل دقيق، جمع بين التفسير والتأويل على قانون اللغة العربية، وقرر الأدلة على أصول أهل السنة، وقد التزم أن يختم كل سورة بما يروى في فضلها من الاحاديث، غير أنه لم يتحر فيها الصحيح، وأحسن حواشيه المتداولة حاشية الشهاب الخفاجي وإن كان له حواش أخرى كثيرة، منها حاشية سعدي أفندي وحاشية الروشي، وحاشية التستري، وحاشية الشيروني وحاشية السمرقندي على تفسير الفاتحة، وحاشية الإسفراييني على جزء عم.

٢ ـ تفسير أبى السعود.

وهو تفسير جيد ممتاز يستهويك حسن تعبيره، ويروقك سلامة تفكيره ويروعك ما أخذ به نفسه من تجلية بلاغة القرآن الكريم والعناية بهذه الناحية المهمة فى بيان إعجازة، مع سلامة في الذوق وتوفيق في التطبيق، ومحافظة على عقائد أهل السنة وبعد عن الحشو، والتطويل.

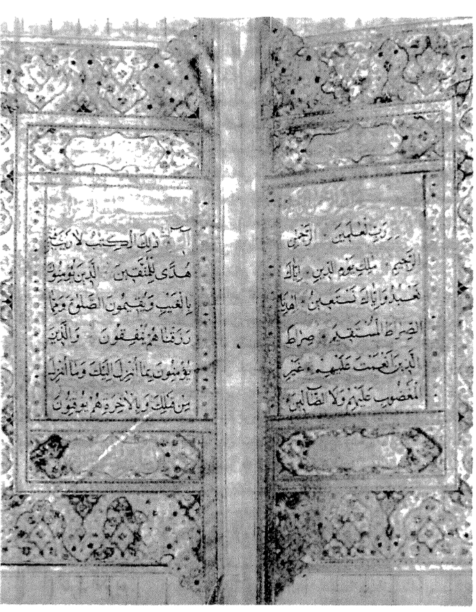
قلت: وهو نسخة ثانية من الكشاف للزمخشري، إلا أن صاحبه سليم العقيدة.

٣ ـ تفسير النيسابورى.

وهو تفسير يمتاز بسهولة عبارته، ويتحقيق ما يحتاج الى تحقيق مع قصد، وخلو من الحشو، وقد عنى بأمرين يلتزمهما: الكلام عن القراءات والكلام عن التأويل الاشاري في آخر كل مرحلة من تلك المراحل وهو مطبوع طبعة شهيرة على هامش تفسير ابن جرير، وهو مختصر لتفسير الفخر الرازي مع تهذيب كبير.

قلت: وكل ما سبق ذكره من التفاسير قد التزم أصحابها الضبط في المنهجية والأسلوب، وكلام العرب، فهى تفاسير مقبولة لدى الأمة جمعاء.

تفسير ابن كثير من أصح التفاسير بالمأثور.



التفسير بالمأثور

التفسير مرتبط بمدى تأثر المفسر بالقرآن الكريم فكريا ووجدانيا، ومرتبط بمدى اندماجه فى جوه، والحياة فى نصه، والتجارب مع إشاراته وحكمه وتعاليمه وترجمتها إلى سلوك.

دراسات قرانية

د. التهامي نقــرة (تونس)

لعل أسمى ما يطمح اليه من رام تفسير القرآن أن يوفق الى ابراز هدفه، والكشف عن مقاصده، وانارة مسالك فهمه، باعتباره قبل كل شيء كتاب هداية كما أخبر بذلك منزله سبحانه:

﴿ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم﴾[1].

فتجلية معانيه، وتبيين مراد الله فيه ـ من اصلاح العقيدة، وتهذيب النفس، وتشريع الاحكام، وسياسة الامة ـ هو عمل المفسر الذى يتفاوت قيمة ومنهجية وتأثيرا بحسب ما له من استعداد وما له من بعد نظر، ودقة فهم، ثم ما له من ملكات تعينه على الفهم، وتوضيح المعنى على نحو يفتح القلوب، ويهدى العقول، علاوة على معرفته لفقه اللغة، والبيان، وأصول الفقه، والقراءات، وأسباب النزول، ونحو ذلك مما لا غنى عنه فى تفسير القرآن الكريم.

ولكن مدى تأثير المفسر بمنهجه ومعرفته مرتبط ايضا بمدى تأثره هو بالقرآن، والاندماج فى جوه، والحياة في نصه، والتجارب مع اشاراته وحكمه وتعاليمه، وترجمتها الى سلوك، شأن من يتناول قصة أو مسرحية أو قصيدا بالتحليل العميق والشرح الدقيق، فإنه يعيش مع الكاتب أو الشاعر ظروفه وأحاسيسه، وينير سبيل الدارسين والقراء، بما يسلطه على النص من أضواء، تغوص فى أعماقه، وتكشف عن أبعاده.

واذا نظرنا فى الطرائق المقبولة التى توخاها المفسرون وجدناها ثلاثا فى جملتها:

- إما الاقتصار على الظاهر من المعنى الاصلى للتركيب مع بيانه وايضاحه وهذا هو الاصل.
- واما استنباط معان من وراء الظاهر تقتضيها دلالة اللفظ أو المقام ولا يجافيها الاستعمال، ولا مقاصد القرآن وذلك من خصائص اللغة العربية ككون التأكيد يدل على انكار المخاطب أو تردده، وكدلالة الاشارة، واحتمال المجاز مع الحقيقة.

وهذه الطريقة مكنت المفسرين من التوسع فى تفاصيل الاحكام وغيرها مما يخدم المقاصد القرآنية.

- وإما بجلب المسائل وبسطها لمناسبة قوية بينها وبين المعنى المراد، اذا كان فهمه متوقفا عليها، أو كانت مما يؤيد القرآن فى اشاراته الى القضايا الصحيحة من العلوم.

ولا يقبل هذا النوع من التفسير الا أن يكون موضوعيا ويسلك فيه مسلك الايجاز، ولا يصير الاستطراد كالغرض المقصود[2].

المصادر الأولى للتفسير

١) القران الكريم:

فمن تفسير القرآن بالقرآن: «حمل المجمل على المبين فيه ليفسر به كقوله تعالى ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات﴾[٣] فسر الكلمات بقوله تعالى ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾[٤].

● حمل العام على الخاص: ﴿من يعمل سوءا يجز به﴾[٥]

خصص بقوله تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾[٦].

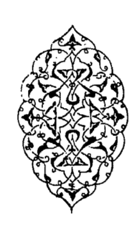
● حمل المطلق على المقيد، كآية التيمم، فقد وردت مطلقة، ولم تعين مقدار ما يمسح من اليدين. ﴿فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه﴾[٧].

وعند بعض الشافعية حملت هذه الآية على آية الوضوء التى عينت ما يغسل من اليدين: ﴿فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق﴾[٨]. شرح ما كان مسهباً فى موضع لما جاء موجزاً فى موضع آخر، كقصة موسى وفرعون فى سورتى الذاريات ويونس[٩]

وتفسير القرآن بالقرآن يستدعى أن يكون المفسر ملما بالقرآن كله فى نظرة شاملة حتى يتسنى له جمع ما تكرر منه فى موضوع واحد ومحور واحد، لمقابلة الآيات بعضها ببعض، واستنباط عادات القرآن من كلمة ونظمه وبعض السلف تعرض لشىء من ذلك.

■ فعن ابن عباس: كل كأس فى القرآن يراد بها الخمر.

وفى صحيح البخارى فى تفسير سورة الانفال: ما سمى الله مطرا فى القرآن الا عذابا وتسميه العرب الغيث، قال تعالى: ﴿وهو الذى ينزل الغيث من بعدما قنطوا﴾[١٠].



وعن ابن عباس أن كل ما جاء من «يا أيها الناس» فالمقصود به أهل مكة المشركون.

وورد فى الكشاف عند تفسير قوله تعالى: ﴿فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم: انى كان لى قرين﴾[١١]

«جىء به ماضيا وكذا أخبر به الله».

قال ابن عاشور: «وقد استقريت بجهدى عادات كثيرة فى اصطلاح القرآن سأذكرها فى مواضعها. ومنها: أن كلمة «هؤلاء» اذا لم يرد بعدها عطف بيان يبين المشار اليهم، فانما يراد بها المشركون من أهل مكة كقوله تعالى: ﴿فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين﴾[١٢].

كما استوعب ابو البقاء الكفوى فى كتاب (الكليات) ما ورد فى القرآن من معانى الكلمات. وفى (الاتقان) للسيوطى الكثير من ذلك[١٣].

ويدخل فى هذا النطاق أيضا معرفة الوجوه والنظائر فى القرآن.

فالوجوه: استعمال اللفظ الواحد فى عدة وجوه من المعانى، والسياق هو الذى يبين المعنى على التخصيص، ومن ذلك مثلا:

«النبأ والأنباء» فى القرآن، فهى بمعنى الاخبار الا قوله تعالى: ﴿فعميت عليهم الانباء يومئذ﴾[١٤]. فانها بمعنى الحجج[١٥].

و «لعلكم» فقد وردت فى القرآن بمعنى «لكى» الا فى سورة الشعراء: ﴿وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون﴾[١٦]. فانها بمعنى التشبيه «كأنكم»[١٧].

وقد يرد اللفظ الواحد بمعنى واحد فى موضعين فأكثر، فيكون له نظير أو نظائر.

ومن ذلك مثلا: لفظ «الظلم» فى قوله تعالى: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن﴾[١٨]، روى أحمد والشيخان عن ابن مسعود قال: لما نزلت هذه الآية شق ذلك على الناس، فقالوا: يارسول الله. وأينا لا يظلم نفسه؟ قال: انه ليس الذين تعنون. انما هو الشرك ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: ﴿ان الشرك لظلم عظيم﴾[١٩].

■ وهنا لابد للمفسر بالقرآن من معرفة هذا الاختلاف فى المعنى للفظ الواحد بحسب الغرض من استعماله، حتى لا يخطىء بالتعميم أو التنظير.

واعتبر بعضهم كأبى عبيدة أن القراءة الشاذة مرجع هام في تفسير القرآن بالقرآن، وذلك بحمل القراءة غير الشاذة عليها فى المعنى[٢٠]، ولا سيما اذا كان اللفظ مبهما عند البعض كقراءة ابن مسعود: (أو يكون لك بيت من ذهب) فقد فسرت معنى زخرف في القراءة المشهورة: ﴿أو يكون لك بيت من زخرف﴾[٢١].

أو كانت هذه القراءة الشاذة توضح حكما من الاحكام كقوله سبحانه: **﴿وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس﴾**[٢٢].

قرأ سعد ابن أبى وقاص: وله أخ أو أخت من أم. فبينت هذه القراءة أن المراد بالاخوة فى هذا الحكم: الاخوة للأم دون الأشقاء، والاخوة للأب، وهذا أمر مجمع عليه[٢٣].

وبناء على ذلك فان أبا عبيدة يرى أن المقصد من القراءة الشاذة واثباتها تفسير القراءة المشهورة وتبيين معانيها[٢٤].

قال السيوطى: وقد اعتنيت فى كتابى «أسرار التنزيل» ببيان كل قراءة أفادت معنى زائدا على القراءة المشهورة[٢٥]. فهو يراها أقوى من التفسير، لأنها مروية عن كبار الصحابة.

ويترتب على اعتبار القراءة الشاذة من القرآن أم عدم اعتبارها قرآنا العمل بمقتضاها وصحة الاستدلال بها فى الاحكام.

ويبدو لى أن القراءة الشاذة لا يجوز بحال أن تكون قرآنا، وانما هى من تفسير الصحابى الذى كان يرى جواز اثبات التفسير بجانب القرآن، فهى لا تتجاوز مرتبة التفسير المأثور عن الصحابى.

اما القراءات التى صحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بسند صحيح، والتى تفيد بالخصوص أن ثبوت أحد اللفظين فى قراءة قد يبين المراد من نظيره فى قراءة أخرى، أو يثير معنى آخر، فذلك ما ينبغى اعتباره بحق من تفسير القرآن بالقرآن. ومن هنا كان لا يجوز تفضيل قراءة على أخرى، اذ الكل من عند الله، ومن ذلك مثلا قوله تعالى: **﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا﴾**[٢٦] قرىء: (الذين هم عند الرحمن إناثا).



■ ان تفسير القرآن بالقرآن الذي يعتبر عند كل المفسرين مصدرا أساسيا للتفسير، والذى كان يرجع اليه الصحابة فى معرفة بعض معانى القرآن ليس عملا آليا، ولكنه عمل يقوم على كثير من التدبر والنظر، اذ ليس حمل المجمل على المبين، أو المطلق على المقيد، أو العام على الخاص أو احدى القراءتين على الاخرى بالامر الهين[٢٧]، لأن ذلك يحتاج الى معرفة واحاطة وعمق.

قال ابن تيمية: «فان قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: أن أصح الطرق فى ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن. فما أجمل فى مكان فانه قد فصل فى موضع آخر، وما اختصر فى مكان فقد بسط فى موضع آخر»[٢٨].

فان أعياك ذلك فعليك بالسنة، فانها شارحة للقرآن وموضحة له[٢٩]. فكان المصدر الثانى الذى يرجع اليه المفسرون:

٢) السنة النبوية:

فهى أصح الطرق فى التفسير بعد القرآن، لأنها شارحة له، وموضحة اياه، بل ان الشافعى لم يفصلها عنه فى البيان، واعتبرها هى والكتاب نوعا من الاستدلال الذى يعد أصلا واحدا وهو

النص.

ولقد قال الشاطبى، فى هذا المقام: لا ينبغى فى الاستنباط من القرآن الاقتصار عليه دون النظر فى شرحه وبيانه وهو السنة، لأنه اذا كان كليا وفيه أمور كلية، فلا محيص من النظر فى بيانه[٣٠]، اذ كل ما حكم به رسول الله فهو مما فهمه من القرآن الذى أثبت حجية السنة باعتبارها مبينة لما فيه، ومكملة لشرع الله، قال الله تعالى: ﴿**وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم**﴾[٣١].

﴿**إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله**﴾[٣٢].

والسنة تنزل على الرسول بالوحى أيضا كما ينزل القرآن ولكنها لا تتلى كما يتلى. قال صلى الله عليه وسلم: «الا وانى اوتيت القرآن ومثله معه»[٣٣].

وقال لمعاذ لما بعثه الى اليمن: «بم تحكم؟ قال: بكتاب الله. قال: فان لم تجد؟ قال: بسنة رسول الله. قال: فان لم تجد؟ قال: أجتهد رأيى. قال: فضرب رسول الله ﴿ﷺ﴾ صدره، وقال: الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى الله ورسوله»[٣٤].

والسنة النبوية تشمل أقوال النبى، وأفعاله وتقريراته عن طريق النقل والرواية. فمن السنة القولية وهى أكثر الاقسام: قوله صلى الله عليه وسلم: «انما الاعمال بالنيات، وانما لكل امرىء ما نوى»[٣٥].

ومن السنة الفعلية صلاته وحجه صلى الله عليه وسلم. فقد قال: «صلو كما رأيتمونى أصلى». وقال: «خذوا عنى مناسككم»[٣٦].

■ ومن السنة التقريرية، وهى ما يقره النبى صلى الله عليه وسلم من قول سمعه أو فعل رآه من أصحابه، كإقراره لعلى فى كثير من الاقضية، واقراره لمن أكلوا حمار الوحش[٣٧].

●● فعلاقة السنة بالقرآن أنها:

● تفصل مجمله: كالأحاديث الواردة فى كيفية الصلاة وعدد ركعاتها. ومقدار الزكاة.

● وتخصص عامه: كحديث: «لا ميراث لقاتل» فانه خصص ما جاء عاما فى آيات الميراث.

● وتقيد مطلقه: كتقييده صلى الله عليه وسلم للايام الثلاثة بالمتابعة فى قوله تعالى: ﴿**فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام. ذلك كفارة أيمانكم اذا حلفتم**﴾[٣٨].

● وتشرح معنى بعض الفاظه وعباراته. كقوله صلى الله عليه وسلم: «وألزمهم كلمة التقوى» «لا اله الا الله».

● وتبين أحكاما لم ترد فيه كميراث الجدة، والحكم بالشاهد واليمين وغير ذلك مما هو مبسوط فى كتب الفروع.

واختلفوا فى المقدار الذى بينه رسول الله ﴿ﷺ﴾ لأصحابه: فمنهم من يقول: انه بين لهم كل معانى القرآن والفاظه كابن تيمية[٣٩].

ومنهم من يقول: انه لم يبين لأصحابه من معانى القرآن الا القليل مثل السيوطى[٤٠].

وحجتهم فى ذلك ما أخرجه البزار عن عائشة قالت: «ما كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ يفسر شيئا من القرآن الا آيات معدودة علمه اياهن جبريل»[٤١].

والحق أن الرسول لم يبين لاصحابه كل معانى القرآن اما لوضوحها وعدم الحاجة الى شرحها لهم، واما لأنها مما استأثر الله بعلمه، وحجبه عن جميع خلقه، واما لأنها مما اختص به الرسول دون سواه[٤٢].

قال ابن عباس: التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهله، وتفسير تعرفه العلماء، وتفسير لا يعلمه الا الله[٤٣].

القراءة الشاذة لا يجوز بحال ان تكون قرآنا وإنما هى من تفسير الصحابي الذي كان يرى جواز اثبات التفسير بجانب القرآن الكريم.. فهى لا تتجاوز مرتبة التفسير بالمأثور

ويعجبني قول الزركشي في البرهان: لا أبحث عن مبهم أخبر الله أنه مما استأثر بعلمه، كقوله تعالى ﴿وآخرين من دونهم لا تعلمونهم. الله يعلمهم﴾[44].

والعجب ممن تجرؤوا فقالوا: انهم قريضة، أو من الجن. قلت: ليس في الآية ما يدل على أن جنسهم لا يعلم، وانما المنفى علم أعيانهم وهو نظير قوله تعالى: ﴿وممن حولكم من الاعراب منافقون، ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم﴾[45].

وبهذا التسلسل في مصادر التفسير يأتي المصدر الثالث في مرتبة ثالثة.

٣) قـول الصحابـة:

فمن لم يجد التفسير في القرآن نفسه ولا في السنة رجع الى أقوال الصحابة، فانهم أدرى بذلك لما شاهدوه، وللأحوال التي اختصوا بها، ولمعرفتهم بأسباب النزول، ثم لما لهم من الفهم والعلم، ولا سيما علماؤهم. كالخلفاء الاربعة وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود.

قال الحاكم في المستدرك: ان تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل له حكم المرفوع.

قال الحاكم في المستدرك: ان تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل له حكم المرفوع.

التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهله، وتفسير تعرفه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله.

ومن الجلي أنه لما انتقل صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الاعلى لم يكن لأمثال هؤلاء العلماء من الصحابة بد من تحمل الاعباء التي كان ينهض بها الرسول في الهداية والتوجيه. فكانوا يبينون ما علموه ويوضحون ما فهموه، ويكشفون عن أسراره ومعانيه ويتعلمون ويعلمون، عملا بما جاء في القرآن: ﴿كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته، وليذكر أولوا الألباب﴾[46].

وتلقى أقوال الصحابة عدد من التابعين في مختلف الامصار الاسلامية فنشأت في مكة طبقة المفسرين، كمجاهد وعطاء وعكرمة، ونشأت في المدينة طبقة أخرى مثل زيد بن أسلم ومالك بن أنس. ونشأت طبقة أهل العراق بالكوفة والبصرة كمسروق بن الاجدع وقتادة والحسن البصري.

وقد نقل عن ابن تيمية انه قال: أعلم الناس بالتفسير أهل مكة لأنهم أصحاب ابن عباس.

اما فهم الصحابة للقرآن. فانه نزل بلسان عربي مبين على أساليب لغة العرب وبلاغتهم كما ذكر ابن خلدون في المقدمة. فكانوا يفهمونه ولو اجمالا على تفاوت بينهم في الفهم بحسب مداركهم العقلية، ومعرفتهم بما أحاط بنزول القرآن من ظروف، وبمدلول الالفاظ. فقد تساءل عمر بن الخطاب عن معنى «الأبّ» في قوله تعالى: ﴿وفاكهة وأبا﴾ حيث قال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأبّ؟.

كما روى عن ابن عباس قال: كنت لا أعرف معنى: (فاطر السماوات والارض) حتى أتاني أعرابيان يتخاصمان في بئر. فقال أحدهما: أنا فطرتها. بمعنى أنا ابتدأتها.

ولكن هنالك حقيقة لابد من اعتبارها، وهي أن ما اختلف الصحابة في تفسيره من الآيات لم يكن مما فسره النبي ﴿ﷺ﴾. ولو كان لهم نص في تفسيره لما اختلفوا.

ومن اجتهادات الصحابة في التفسير ما رواه البخاري عن ابن عباس قال: «كان عمر يدخلني مع شيوخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه وقال: لم يدخل هذا معنا؟ ان لنا أبناء مثله! فقال عمر: لأنه من أعلمكم.

فدعاهم ذات يوم فأدخلني معهم. وما رأيت أنه دعاني فيهم الا ليريهم. فقال: ما تقولون في قوله تعالى: ﴿اذا جاء نصر الله والفتح﴾. فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره اذا نصرنا وفتح علينا. وسكت بعضهم ولم يقل شيئا. فقال: وأنت ما تقول؟ فقلت: هو أجل رسول

الله ﴿ﷺ﴾ قد اقترب، وقد أعلمه الله بذلك. فقال عمر: لا أعلم منها الا ما تقول»[47].

وهذا يدل على قوة فهمه وجودة فكره. ولعل من خير ما قيل فيه قول ابن عمر: «ابن عباس أعلم أمة محمد بما نزل على محمد». ثم يليه فى المرتبة عبد الله بن مسعود. روى ابن جرير الطبرى وغيره عن ابن مسعود أنه قال: كان الرجل منا اذا تعلم عشر آيات لم يتجاوزها حتى يعرف معانيها والعمل بها. ومن هذا الاثر يتضح لنا مدى حرص ابن مسعود على تفهم القرآن والوقوف على معانيه.

وعن مسروق قال: قال عبد الله بن مسعود: والذى لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله الا وأنا أعلم فيم نزلت وأين نزلت؟ ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله منى تناله المطايا لأتيته.
ثم يليه على ابن طالب الذى يروى عنه قوله: «ان ربى وهب لى قلبا عقولا ولسانا صادقا»[48].

فهذه المصادر الاساسية للتفسير وهى القرآن والسنة وقول الصحابى، كلها من نوع التفسير بالمأثور، ولا يجوز أن يستغنى عنها مفسر سواء بالرأى أو بالمأثور.

تفسير الصحابى الذى شهد الوحى والتنزيل له حكم المرفوع.

الهوامش

(١) سورة الاسراء/٩.
(٢) محمد الطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير ج١/٣٦-٣٧، ط. القاهرة ١٩٦٤.
(٣) سورة البقرة/٣٧.
(٤) سورة الاعراف/٢٣.
(٥) سورة النساء/١٢٣.
(٦) سورة الشورى/٣٠.
(٧) سورة المائدة/٦.
(٨) سورة المائدة/٦.
(٩) الذاريات: ٣٨ - ٤٠ - ويونس: ٧٥-٩٢.
(١٠) سورة الشورى/٢٨.
(١١) سورة الصافات/٥١.
(١٢) سورة الانعام/٨٩.
(١٣) التحرير والتنوير ج/٣.
(١٤) سورة القصص/٦٦.
(١٥) البرهان فى علوم القرآن: ج١/١٠٩.
(١٦) سورة الشعراء/١٢٩.
(١٧) البرهان فى علوم القرآن ج: ١/١١٠.
(١٨) سورة الانعام:
(١٩) سورة لقمان: والحديث رواه أحمد.
(٢٠) محمد عبد العظيم الزرقانى: مناهل العرفان فى علوم القرآن ج: ١/١٤٠: (ط. القاهرة: ١٣٧٢هـ).
(٢١) سورة الاسراء/٩٣.
(٢٢) سورة النساء/١١.
(٢٣) الزرقانى: مناهل العرفان فى علوم القرآن ج: ١/١٤٠ (ط. القاهرة ١٣٧٢هـ).
(٢٤) السيوطى: الاتقان فى علوم القرآن: ج١/٨٢.
(٢٥، ٢٦) سورة الزخرف: ١٩.
(٢٧) محمد حسين الذهبى: التفسير والمفسرون. ج: ١/٤١
(ط. القاهرة ١٩٦١).
(٢٨) ابن تيمية: مقدمة فى أصول التفسير: ٩٣ (ط الكويت: ١٩٧١).
(٢٩) محمد ابو زهرة: اصول الفقه: ١٠٥-١٠٦ (ط. القاهرة دار الفكر العربى).
(٣٠) محمد ابو زهرة: اصول الفقه: ١٠٥-١٠٦، (ط. القاهرة دار الفكر العربى).
(٣١) سورة النحل: ٤٤.
(٣٢) سورة النساء/١٠٥
(٣٣، ٣٤) اخرجه أبو داود مرفوعا.
(٣٥) رواه البخارى.
(٣٦) الحديثان: اخرجهما احمد.
(٣٧) محمد ابو زهرة: اصول الفقه: ١٠٥ (ط. القاهرة: دار الفكر العربى).
(٣٨) سورة المائدة: ٨٩.
(٣٩) انظر مقدمته فى أصول التفسير: ٣٥.
(٤٠) انظر الاتقان فى علوم القرآن: ج ٢/١٧٩.
(٤١) القرطبى: الجامع لاحكام القرآن ج: ١/٣٥ (ط. القاهرة ١٩٦٧).
(٤٢) انظر: جامع البيان عن تأويل القرآن للطبرى ج: ١/٩٢ (ط دار المعارف مصر).
(٤٣) المرجع السابق: ج١/٧٥.
(٤٤) سورة الانفال/٦٠.
(٤٥) سورة التوبة/١٠١.
(٤٦) سورة ص ٢٨.
(٤٧) رواه البخارى.
(٤٨) قاسم القيسى: تاريخ التفسير: ٥٠-٥١ (ط. المجمع العلمى العراقى: ١٩٦٦.

مراحل التفسير

يمكن تقسيم مراحل التفسير رغم تداخلها إلى خمس، تتابع مسيرة التفسير من النشأة والتكوين إلى التطور والتدوين إلى النضج والتفريع ثم إلى الضعف والركود، ثم إلى البعث والتجديد:

تميز تفسير التابعين بظهور تفاسير شاملة لأكثر آيات القرآن.



عبد العزيز العميدي

باحث في العلوم الاسلامية ـ المغرب

١) النشأة والتكوين:

تمتد هذه المرحلة من بداية البعثة إلى نهاية القرن الأول للهجرة لتمثل تفسير الرسول «ﷺ» وتفسير أصحابه وكبار التابعين. ففي هذه الفترة قام الرسول «ﷺ» بالدور الذي أنيط به خير قيام حيث كان تفسيره هو البيان العملي التوضيحي الذي يطل على الحقيقة من أقرب مكان، والذي يتصل اتصالا وثيقاً بتثبيت المقاصد الشرعية للدين في نفوس المسلمين، ويبين أداء المناسك والشعائر والأحكام التي جاء بها القرآن الكريم.

ثم جاء دور الصحابة رضي الله عنهم الذين شهدوا مناسبات نزول الوحي وسلمت سليقتهم وصفت ملكة البيان لديهم زيادة على ما تلقوه من بيان الرسول «ﷺ» القولي والعملي فكانوا مرجعاً للتفسير وقد اشتهر من الصحابة في التفسير عشرة وهم الخلفاء الأربعة وعبد الله بن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعرى وعبد الله بن الزبير، ويضاف إليهم بعض الذين اشتهروا برواية الحديث كأبي هريرة وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وأنس بن مالك. وقد تميز تفسير الصحابة بأنه لم يشمل تفسير جميع آيات القرآن بل اقتصر على ما غمض فهمه منها، كما تميز من ناحية ثانية بقلة الاختلاف في فهم معاني القرآن حيث كان اختلافهم محدوداً، ومن ناحية ثالثة بالاعتماد على الرواية والحفظ دون التدوين إذ في عهدهم لم يدون التفسير، ويتميز أخيراً بقلة رجوعهم إلى أهل الكتاب (أي الاسرائيليات).

ثم كان عهد التابعين الذين تتلمذوا على أيدي الصحابة ولا سيما أصحاب المدارس التفسيرية كمدرسة ابن عباس بمكة وابن مسعود بالعراق وأبي بن كعب بالمدينة. فقد اشتهر من تلاميذ ابن عباس: مجاهد وعطاء وعكرمة وسعيد بن جبير وطاووس. كما اشتهر من تلاميذ ابن مسعود في الكوفة: علقمة بن قيس والشعبي ومسروق بن الأجدع وقتادة كما اشتهر من تلاميذ أبي بن كعب في المدينة: أبو العالية وزيد بن أسلم ومحمد بن كعب القرضي.

وقد ظهرت لبعض التابعين بعض المدونات الخاصة في التفسير كمدونة سعيد بن جبير المتوفى سنة ٩٥هـ وكان من أعلم التابعين في التفسير وكذلك مجاهد الذي روي

أنه كان يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحه فيقول ابن عباس: (أكتب)[1].

■ وهكذا تميز تفسير التابعين بظهور تفاسير شاملة لأكثر آيات القرآن أخذت تظهر في مدونات تفسيرية بعد أن كان التفسير قاصراً على الرواية الشفاهية، ومن ناحية أخرى فقد ظهرت بعض الخلافات حول تفسير بعض الآيات وكثر الرجوع إلى أهل الكتاب حيث دخل في التفسير كثير من الاسرائيليات لتساهل بعض التابعين فى الاستماع إلى أهل الكتاب ولا سيما ممن دخل منهم فى الاسلام كعبد الله بن سلام وكعب الأحبار ووهب بن المنية وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج.

■ أما من كان يتحفظ من الاسرائيليات فقد أخذ بأحاديث تفيد منع الرواية عنهم أي اليهود مثل الحديث الذي رواه الامام أحمد: «**لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم**» وقد حمل المنع على الفترة الأولى التي لم يكتمل فيها الدين ولم يستقر في النفوس، كما حمله البعض على ماله علاقة بالشريعة والاحكام فإنه ينبغي أن لا نأخذه من أهل الكتاب وهذا ما جعل الرسول ﴿ﷺ﴾ يغضب فى وجه عمر رضى الله عنه عندما رآه يحمل كتاباً أصابه من أهل الكتاب، حيث قال عليه الصلاة والسلام: «**أمتهوكون ـ متحيرون ـ فيها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقيا**»[2].

ويقول الحافظ بن حجر العسقلاني فى محاولة التوفيق بين النهي والاباحة: «كان النهي قد وقع قبل استقرار الاحكام الاسلامية والقواعد الدينية خشية الفتنة ولما زال المحظور وقع الاذن في ذلك لما فى سماع الاخبار التى كانت في زمانهم من الاعتبار»[3].

نشط التدوين من بداية القرن الثانى للهجرة إلى منتصف القرن الرابع.

٢) الجمع والتدوين:

وتمتد هذه الفترة من بداية القرن الثانى للهجرة إلى منتصف القرن الرابع، حيث نشط التدوين فى هذه الفترة حيث أخذ العلماء يفصلون مدونات التفسير عن الحديث وقد اشتهر من تلك المدونات الخاصة بالتفسير عن القرن الثاني كتاب «**الأشباه والنظائر فى القرآن الكريم**» لمقاتل بن سليمان البلخي المتوفى سنة ١٥٠هـ وقد تم طبعه أخيرا بتحقيق الدكتور عبد الله شحاته وتفسير سفيان الثوري المتوفى سنة ١٦١هـ حيث طبع تفسيره فى الهند ولعلهما التفسيران الباقيان من التفاسير العديدة فى هذا القرن.

فإذا انتقلنا إلى القرن الثالث وجدنا تفسير عبد الرزاق همام الصنعاني المتوفى سنة ٢١١هـ وهو شيخ الامام البخارى وله تفسير مخطوط، ونجد من المفسرين المشهورين روح بن عبادة القيسي المتوفى سنة ٢٠٧هـ وإسحاق بن راهويه المتوفى سنة ٢٣٨هـ ونجد مجموعة من المفسرين اتجهوا إلى التفسير اللغوى والبلاغى اشتهر منهم أبو عبيدة المتوفى سنة ٢١٠هـ وهو أول من ألف فى مجاز القرآن، وبن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦هـ فى كتابيه «**تأويل مشكل القرآن**» و«**تفسير غريب القرآن**» وقد حققهما جيداً السيد أحمد صقر. والفراء المتوفى سنة ٢٧٠هـ فى كتابه «**معاني القرآن**».

وقد تميز التفسير عموماً فى القرنين الثاني والثالث بالتجزئة لآيات القرآن الكريم، وقد غلب التفسير المأثور على مفسرى القرن الثاني بينما غلب الاتجاه اللغوى على مفسري القرن الثالث.

أما التفسير الذى شمل القرآن كلا متماسكاً ومتسلسلاً فإنه ظهر في أواخر القرن الثالث على يد إمام المفسرين محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠هـ حيث كان تفسيره «جامع البيان» أول مرجع للتفسير بالمأثور شمل جميع آيات القرآن وعمل على الترجيح بين الروايات بعد فحصها ونقدها كما اشتمل على شذرات نحوية ومعالجات لغوية واستشهادات شعرية، وقد اعتبر تفسيره

قمة ما وصل إليه التفسير في هذه الفترة بل وفي الفترات اللاحقة.

٣) مرحلة التفريع:

تمتد من منتصف القرن الرابع إلى منتصف القرن السابع، فقد كان لاتساع الثقافة في المجتمع الاسلامي وتشعبها وكثرة الفرق الكلامية والمذاهب الفقهية وتعصب المنتمين إليها أثر في ظهور التفسير المذهبي الذي يسعى فيه المفسر إلى تأييد المذهب الذي ينتمي إليه فيناقش بحدة أهل المذاهب الاخرى، مما جعل بعض المفسرين يلوي عنق النص ليخضعه لمذهبه ويأوله حسب المبادىء التي يتعصب لها. وقد مثل اتجاه المعتزلة العقلي(١) في هذه الفترة تفسير جار الله الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨هـ والذي سماه «**الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**» وهو كتاب يمتاز بأمور منها، خلوه من الحشو والتطويل ومنها سلامته من القصص والاسرائيليات واعتماده في بيان المعاني على لغة العرب وأساليبهم، ومنها عنايته بعلمي المعاني والبيان والنكات البلاغية، تحقيقا لوجوه الاعجاز. وللكشاف حواش كثيرة، منها حاشية ابن كمال باشازاده، وحاشية علاء الدين المعروف بالبهلوان، وحاشية الشيخ حيدر، وحاشية الرهاوي(٥).

■ أما الاتجاه السني الأشعري فيمثله في هذه المرحلة تفسيران هامان أولهما تفسير عبد الحق بن عطية الأندلسي المتوفى سنة ٥٤٢هـ والثاني تفسير فخر الدين الرازي المتوفى سنة ٦٠٦هـ، ويعرف تفسير ابن عطية «**بالمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**» الذي امتاز بتحرير الحقائق ودفع الشبهات عنها بإيجاز ودقة، بينما عرف تفسير الرازي (بمفاتيح الغيب)، وقد اشتمل على كثير من الحكم والعلوم والاستنباطات الرياضية، وكانت الوجهة الكلامية هي السمة البارزة في هذا التفسير.

جامع البيان للطبري أول مرجع للتفسير بالمأثور

أما الاتجاه الشيعي فيمثله في هذه المرحلة تفسيران، أولهما تفسير محمد بن الحسن الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠هـ، والثاني يمثل الفرقة الامامية من حيث الفقه الشيعي.

أما التفسير الاشاري عند الصوفية فيمثله تفسير أبي بكر بن عربي المتوفى سنة ٦٣٨هـ وكذا تفسير «**عرائس البيان في حقائق القرآن**» لأبي محمد بن أبي نصر الشيرازي.

وهكذا تفرع التفسير إلى اتجاهات ومذاهب متعددة وكان الجدل الكلامي قد تمخض عن قواعد وأصول للتفسير، فكان التأويل العقلي معتمداً على المجاز اللغوي، وكان التفسير الاشاري الذوقي لتأييد المذاهب الصوفية.

٤) مرحلة الركود:

تمتد من منتصف القرن السابع إلى أواخر القرن الثالث عشر، حيث أخذت الثقافة تتقلص فكادت ملكات الخلق والابداع أن تنضب، ومن هنا كان الجمود والركود وكثرة التقليد حتى اقتصرت جهود عدد من المفسرين على تلخيص الاعمال السابقة أو شرحها أو التعليق عليها، وبعبارة أخرى إعادة صياغتها بأساليب يتسم بعضها بالركاكة والغموض مما استدعى ظهور بعض المصلحين الذين انتقدوا ما آلت إليه هذه الأحوال من تدهور وكان في مقدمة هؤلاء المصلحين شيخ الاسلام ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ والذي انتقد التفاسير التي امتلئت بالانحراف والحشو والأباطيل والاعتماد على المنطق الذي يخالف صريح المعقول وصحيح المنقول، وكان له تفسير لبعض آيات القرآن، كما وضع مقدمة للتفسير ضمنها كثيرا من الفصول التي ينبغي

مراعاتها.

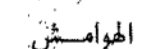
كما كان لجهود تلميذه ابن القيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١هـ أثر فى نشر تعاليم أستاذه وتطبيقها فى تفسيره لبعض آيات القرآن، حيث جمع أخيراً فى مجلد بعنوان: «التفسير القيم». وقد ظهرت فى هذه الفترة أعمال تفسيرية كثيرة من أهمها تفسير القرطبى سنة ٦٧١هـ وتفسير البيضاوي المتوفى سنة ٦٨٥هـ وتفسير ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤هـ وتفسير الآلوسى المتوفى سنة ١٢٧٠هـ، بالاضافة إلى كتاب: «الدر المنثور فى التفسير بالمأثور» لجلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ.

٥) مرحلة النهضة والتجديد:

كانت معظم كتب التفسير التى ظهرت فى عهد الركود تمتزج فيها علوم النحو والبلاغة والفقه والقصص والأخبار حتى قال بعضهم (فيها كل شيء إلا التفسير) فلما كانت النهضة الحديثة ارتفعت الأصوات بالاصلاح والتجديد للربط بين العلم والعقل والدين، فكان تفسير المنار الذي اشترك فيه الشيخ محمد عبده والأستاذ رشيد رضا والذي اتخذ فيه الاتجاه الاجتماعي، ثم ظهر تفسير الجواهر، للشيخ طنطاوي جوهري والذى اتجه فيه نحو التفسير العلمي.

■ ومن الأعمال التفسيرية الهامة كتاب «فى ظلال القرآن» للسيد قطب والذي اتجه فيه نحو التفسير الأدبي. بالاضافة إلى الاتجاه الموضوعي الذي ظهر أخيراً ويراد به اختيار موضوع اجتماعي أو فكري أو علمي، وجمع كل الآيات التى تتعلق بذلك الموضوع، وقد ساهم فى هذا الاتجاه عدد من المتخصصين في الدراسات الاسلامية ولا سيما فى الجامعات الحديثة حيث يساعد نظام الامتحان فى التعليم العالي على هذا الاتجاه. وفي هذا الصدد قدمت عدة أطروحات فى تفسير قصص القرآن، وفى أمثال القرآن، وفى عدة جوانب تنوعت حسب التخصصات مما يدل على أن القرآن لا يزال كما كان موضوع بحث واهتمام.





الهوامش

(١) انظر فى ٣٦ ج١ للامام ابن جرير الطبري.
(٢) رواه الامام أحمد.
(٣) يراجع فتح الباري للحافظ بن حجر العسقلاني ج٦ ص٣٢٠.
(٤) يستحسن الاطلاع على كتاب الكشاف للزمخشري، ثم كتاب تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار باعتبارهما نموذجين من تفاسير أهل الكلام من المعتزلة.
(٥) يراجع كتاب مناهل العرفان فى علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ج١١ ص٧٠ ط: دار الفكر.



غريب القرآن الكريم

الحمد لله، خلق الانسان، علمه البيان والصلاة والسلام على أفصح الخلق أجمعين سيدنا محمد وعلى آله ومن تبعه . . وبعد .

فقد تنوعت الدراسات التى تناولت القرآن الكريم : تفسيرا وتوضيحا . . الخ .

وأتناول فى هذا البحث ما يتعلق «بغريب القرآن» بالدراسة والتحليل فأقول وبالله التوفيق .

أولا : معنى غريب القرآن :

غَرَب الشىء أى بعُد، وفلان غريب : بعيد عن وطنه، والغريب : الغامض من الكلام وكلمة غريبة وقد غَرُبت وهو من ذلك(1) .

ويقصد بغريب القرآن : توضيح معانى ألفاظه الغامضة للعامة أو الخاصة ويدخل فى غريب القرآن تلك الكتب التى ألفت فى توضيح معانى ألفاظ القرآن وإن لم تصرح هذه الكتب فى عنوانها باسم الغريب مثل : إعراب القرآن ومجاز القرآن ومعانى القرآن(2) .

يقول السيوطى فى حديث «ابن عمر» (مَنْ قرأ القرآن فأعربه كان له بكل حرف عشرون حسنة، ومن قرأ بغير إعراب كان له بكل حرف عشر حسنات)(3)، المراد بإعرابه : معرفة معانى ألفاظه وليس المراد به الاعراب المصطلح عليه عند النحاة وهو ما يقابل «اللحن»(4) لأن القراءة مع فقده ليست قراءة ولا ثواب فيها(5)، ويقول الزركشى فى معرفة «غريب القرآن» هو معرفة المدلول وقد صنف فيه جماعة منهم أبو عبيدة كتاب «المجاز»(6) .

والغريب فى ألفاظ القرآن الكريم أمر نسبى يختلف باختلاف البيئات والأفراد فما هو غريب عند قوم قد يكون واضحا عند آخرين، ومن هنا اختلف مفهوم الغريب وتفاوت تحديده عند علماء اللغة ورواتها فى مختلف العصور(7) .

ثانيا : التفكير فى غريب القرآن :

بدأ السؤال عن فهم معانى ألفاظ القرآن الكريم ـ من عهد الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وقد كانوا سباقين إلى معرفة ما فى القرآن الكريم من الغريب يدفعهم إلى ذلك : حرصهم على توضيح معانى ألفاظ القرآن الكريم للخاصة والعامة ـ لا سيما ـ بعد دخول غير العرب فى الاسلام ـ ويدلنا على ذلك ما أخرجه البيهقى من حديث أبى هريرة مرفوعا «أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه»(8) .

وقد وردت روايات مختلفة تؤكد أن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وهم أصحاب

يقصد بغريب القرآن .. توضيح معانى ألفاظه الغامضة للعامة أو الخاصة .



د. فتحى أنور الدابولى
أ. مشارك ـ كلية البنات ـ جدة

دراسة وصفية

اللغة الفصحى : توقفوا فى فهم ألفاظ من القرآن الكريم لم يعرفوا معناها فلم يقولوا فيها شيئا.

فقد روى أن أبا بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ سئل عن قوله تعالى «وفاكهة وأبا»[٩] فقال : أى سماء تظلنى وأى أرض تقلنى إن أنا قلت فى كتاب الله مالا أعلم، وروى عن طريق مجاهد عن ابن عباس أن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ قال : كنت لا أدرى ما «فاطر السماوات» حتى أتانى أعرابيان يختصمان فى بئر فقال أحدهما : أنا فطرتها، يقول : أنا ابتدأتها[١٠].

ثالثا: التأليف فى غريب القرآن

كثرت المؤلفات فى هذا الفن كثرة لا نظير لها فى أى فن آخر لأن معرفة غريب القرآن ضرورية للمفسر وغيره بل إنه لا يستغنى عنها قارىء القرآن الكريم.

قال يحي المدينى : سمعت مالك بن أنس يقول : «لا أوتى برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالا» وقال مجاهد : «لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم فى كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب»[١١].

■ ومن هنا قال السيوطى فى الاتقان[١٢] فى «معرفة غريب القرآن» «أفرده بالتصنيف خلائق لا يحصون منهم أبو عبيدة وأبو عمر الزاهد. . الخ».



■ وإلى القارىء الكريم أهم المؤلفات فى غريب القرآن مرتبة ترتيبا زمنيا ـ حسب وفاة أصحابها ـ منذ بدايات التأليف فى هذا الفن إلى وقتنا الحاضر ـ مع التنبيه على المطبوع منها :

١ ـ مسائل نافع بن الأزرق فى غريب القرآن وإجابات ابن عباس عنها[١٣] ـ فقد سأل نافع بن الأزرق (أحد زعماء الخوارج) عبد الله بن عباس وهو جالس بفناء الكعبة ـ عن أشياء فى كتاب الله ففسرها له ابن عباس واستشهد فى كل جواب ببيت من الشعر ومن ذلك قال نافع أخبرنى عن قول الله تعالى «عن اليمين وعن الشمال عزين»[١٤].

فقال : العزون : حَلَقُ الرفاق قال : وهل تعرف العرب ذلك؟ قال : نعم أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول :

فجاءوا يهرعون إليه حتى \
يكونوا حول مِنْبره عِزينا . . الخ

وقال ابن عباس: الشعر ديوان العرب فإذا خفى عليهم الحرف من القرآن الذى أنزله الله بلغتهم رجعوا إلى ديوانهم فالتمسوا معرفة ذلك.

٢ ـ غريب القرآن لعبد الله بن عباس أيضا (متوفى ٦٨هـ)[١٥].

يُعد أول كتاب مستقل فى غريب القرآن وقد صحت نسبته إليه وقد أورد السيوطى فى الاتقان[١٦] ما جاء فى غريب القرآن عن ابن عباس عن طريق ابن أبى طلحة وقال «إنها من أصح الطرق عنه وعليها اعتمد البخارى فى صحيحه مرتبا على السور، كما نقل السيوطى ما جاء عن

ابن عباس عن طريق الضحاك. ولعل ما جاء فى إتقان السيوطى عن ابن عباس هو نسخة من كتاب ابن عباس «غريب القرآن».

٣ ـ غريب القرآن لأبى سعيد أبان بن تغلب بن رباح البكرى (ت ١٤١هـ)[١٧].

٤ ـ غريب القرآن لأبى فيد مؤرج بن عمر السدوس اللغوى البصرى (ت١٧٤هـ)[١٨].

٥ ـ غريب القرآن لعلى بن حمزة الكسائى أبو الحسن إمام اللغة والنحو (ت١٨٩هـ)[١٩].

٦ ـ غريب القرآن لأبى فيد مرثد بن الحارث بن ثور السدوس البصرى (ت١٩٥هـ)[٢٠].

٧ ـ غريب القرآن للنضر بن شميل المازنى النحوى (ت٢٠٤هـ)[٢١].

٨ ـ مجاز القرآن لأبى عبيدة معمر بن المثنى (ت٢١٠هـ) وفى عد كتاب «مجاز القرآن» بين كتب «غريب القرآن» خلاف بين العلماء[٢٢].

٩ ـ غريب القرآن للأصمعى (ت٢١٣هـ) والأخفش الأوسط (ت٢١٥هـ) والقاسم بن سلام «أبو عبيد» (ت٢٢٤هـ) ومحمد بن سلام الجمحى (ت ٢٣١هـ)[٢٣].

١٠ ـ غريب القرآن لعبد الله بن يحيى بن المبارك اليزيدى البغدادى (ت٢٣٧هـ)[٢٤].

١١ ـ تفسير غريب القرآن لعبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ)[٢٥].

١٢ ـ غريب القرآن لأحمد بن يحي ثعلب (ت٢٩١هـ)[٢٦].

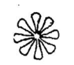
١٣ ـ تفسير غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب لأبى بكر محمد بن عزير السجستانى (٣٣٠هـ)[٢٧].

١٤ ـ غريب القرآن لمحمد بن عبد الواحد الزاهد صاحب ثعلب (ت٣٤٥)[٢٨].

١٥ ـ العمدة فى غريب القرآن لمكى بن أبى طالب حموش بن محمد القيسى (ت٤٣٧هـ)[٢٩].

١٦ ـ المفردات فى غريب القرآن ـ للراغب الأصفهانى الحسين بن محمد (ت٥٠٢هـ)[٣٠].

١٧ ـ الأريب بما فى القرآن من الغريب لابن الجوزى أبو الفرج (ت٥٩٧هـ)[٣١].



١٨ ـ المجموع المغيث فى غريبى القرآن والحديث لمحمد بن أبى بكر الأصفهانى (ت٥٨١هـ)[٣٢].

١٩ ـ مفردات القرآن لأحمد بن على البغدادى الحلبى المعروف بابن السمين (ت٥٩٦هـ)[٣٣].

٢٠ ـ تحفة الأريب بما فى القرآن من الغريب لأبى حيان النحوى الأندلسى (ت٧٤٥هـ)[٣٤].

٢١ ـ بهجة الأريب لما فى الكتاب العزيز من الغريب لعلى بن عثمان التركمانى الماردينى (ت ٧٥٠هـ)[٣٥].

٢٢ ـ تفسير غريب القرآن لعمر بن أحمد الأنصارى سراج الدين (ت٨٠٤هـ)[٣٦].

٢٣ ـ غريب القرآن (منظومة) لعبد الرحيم بن الحسين الكردى المصرى الشافعى الملقب بالعراقى (ت٨٠٦هـ)[٣٧].

٢٤ ـ التبيان فى تفسير غريب القرآن لأحمد بن محمد الهائم المصرى (ت٨١٥هـ)[٣٨]، وهذا الكتاب وفقنى الله لدراسته وتحقيقه وهو الآن ـ تحت الطبع ـ وهناك بواعث قوية دفعتنى إلى تحقيق هذا الكتاب وإخراجه من غياهب المكتبات إلى نور الحياة لتعم به الفائدة:

● أن هذا الكتاب يعد أنفع كتب غريب القرآن التى اطلعت عليها لأنه استفاد من جميع ما كتب قبله فى هذا الفن وأضاف إليه زيادات نافعة.

● هدف هذا الكتاب الجوهرى هو تهذيب كتاب «تفسير غريب القرآن» لأبى بكر محمد بن عزيز السجستانى (ت٣٣٠هـ) وقد أضاف إليه كثيرا من المعلومات النافعة إلى جانب تحرير عبارته وترتيب الغريب فيه حسب ترتيب السور فى القرآن الكريم وقد ميز عبارته عن عبارة السجستانى برمز ـ زه ـ[٣٩].

● عدم اقتصاره فى أغلب الأحيان ـ على اللفظة وتفسيرها ـ كما هو المتبع فى أغلب كتب الغريب .
■ ولتوضيح ذلك أذكر المثال الآتى من سورة (البقرة آية ١٧٥) ﴿فما أصبرهم على النار﴾ أى : أى شىء صبرهم عليها ودعاهم إليها ، ويقال : ما أصبرهم على النار : ما أجرأهم عليها وأصبرهم وصبرهم بمعنى ـ زه ـ والحاصل أن فى «ما» قولين :

أحدهما: أنها استفهامية وهو قول ابن عباس والسدى، قال الكسائى والمبرد : والمعنى على التوبيخ لهم والتعجيب لنا ، قال الفراء : التقدير أى شىء حبسهم عليها وقيل على عمل يؤدى إليها .

والثانى: أنها تعجبية وهو قول الحسن وقتادة ومجاهد والمعنى ما أشار إليه ثانيا ، وقال مجاهد : ما أعملهم بأعمال أهل النار ، وقال الزجاج : «ما أبقاهم على النار» . والله أسأل أن يعين على طبعه وأن ينفع به .

■ هذا وقد انقسمت المؤلفات فى ألفاظ القرآن الكريم منذ العصر الحديث حتى وقتنا الحاضر قسمين :

المؤلفات فى غريب القرآن كثيرة لا نظير لها فى أى فن آخر

أولا: مؤلفات اقتصرت على الفاظ الغريب وهى:

١ ـ تفسير غريب القرآن للأستاذ محمود إبراهيم وهبة[٤٠] .
٢ ـ الهادى إلى تفسير غريب القرآن اشترك فى تأليفه د/محمد سالم محيسن ، د/شعبان محمد إسماعيل[٤١] .
٣ ـ القرآن الكريم وتفسير غريبه ـ للأستاذ حمدى عبيد الدمشقى وضعت فيه الكلمات الغريبة وتفسيرها على هامش المصحف[٤٢] .
٤ ـ كلمات القرآن تفسير وبيان للشيخ / حسنين محمد مخلوف[٤٣] ، اقتصر فيه على الكلمات التى تحتاج إلى تفسير فقط .
٥ ـ المعجم الجامع لغريب مفردات القرآن الكريم (ابن عباس ، ابن قتيبة ، مكى بن أبى طالب وأبو حيان) إعداد وترتيب الشيخ عبد العزيز السيروان[٤٤] وذكر فيه معجم غريب القرآن لابن عباس الذى استخلصه الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى من صحيح البخارى[٤٥] وقد رتب هذا المعجم أبجديا على حروف المعجم وجعله مواد : أ ب ب ، أ ب ق الخ .
٦ ـ غريب القرآن للشيخ «نديم الجسر» مفتى طرابلس الشام[٤٦] .
٧ ـ آخر طبعات المصحف الشريف التى اطلعت عليها : نسخة بها المصحف الشريف وبالهامش : تفسير وبيان لغريب الألفاظ مع كتاب «أسباب النزول للسيوطى» مع فهارس كاملة للمواضع والألفاظ إعداد د/ محمد حسن الحمصى[٤٧] .

ثانيا: مؤلفات لم تقصر اهتمامها على الفاظ الغريب ونهجت منهج معاجم اللغة فى جمعها لالفاظ القران الكريم: الواضح منها وغير الواضح، وهى:

● المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ـ وضعه الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى للدلالة على مواضع الكلمات من القرآن الكريم[٤٨] .
● معجم ألفاظ القرآن الكريم وضعه أعضاء مجمع اللغة العربية فى القاهرة وهو مرتب على حروف الهجاء ويشرح معانى ألفاظ القرآن الكريم مع دلالته على موضع كل كلمة من الآية والسورة[٤٩] .
● قاموس قرآنى جمع وتأليف حسن محمد موسى ويهدف إلى بيان أسباب الاشتباه والغموض فى معانى الآيات[٥٠] .

مناهج[٢] العلماء فى جمع «غريب القرآن»

إذا تأملنا الكتب التى تناولت: غريب ألفاظ القرآن الكريم بالشرح والتفسير ـ منذ االقديم إلى يومنا الحاضر ـ وجدنا أصحابها قد نهجوا مناهج ثلاثة:

١ ـ ترتيب الغريب حسب ترتيب السور فى المصحف فهى تبدأ بغريب سورة «الحمد» «فالبقرة» «فـآل عمران». . الخ، ومن الذين ساروا على هذا المنهج: ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) فى «تفسير غريب القـرآن» وابن الهائم (ت٨١٥هـ) فى «التبيان فى تفسير غريب القرآن» وقد وفقنى الله لتحقيقه وهو ـ الآن ـ تحت الطبع.

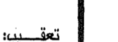
٢ ـ ترتيب الغريب حسب تقسيم كلمات الغريب إلى مواد لغوية بعد تجريدها من الزوائد ثم ترتيب هذه المواد على حروف المعجم بترتيب الحرف الأول والأخير. ومن الذين ساروا على هذا المنهج أبو حيان الأندلسى (ت٧٤٥هـ) فى كتابه «تحفة الأريب بما فى القرآن من الغريب»، يبدأ كتابه بحرف الهمزة ويقسم الهمزة إلى مواد: «أبب»، «أرب»، «أوب»، «ألت»، «أمت»، «أثث» الخ. ثم حرف الباء والتاء والثاء إلى آخر المواد، ويذكر فى «أبب» **«الأب: ما رعته الأنعام» وفى «أرب» «الإربة: الحاجة» الخ.**

٣ ـ ترتيب «غريب القرآن» حسب الحرف الأول وحركته، وترتيب ذلك على حروف المعجم، فيبدأ بباب الهمزة ثم الباء ثم التاء الخ وفى باب الهمزة يبدأ بالمفتوحة فالمضمومة فالمكسورة وكذلك باب «الباء» و«التاء». . الخ.

■ هذا كله مع النظر إلى الكلمة بوضعها ـ دون اعتبار للأصلى من حروفها أو الزائد، وممن ساروا على هذا المنهج السجستانى محمد بن عزير (ت٣٣٠هـ) فى كتابه «**نزهة القلوب**» أو «**تفسير غريب القرآن**» وقد طبعته أخيرا ـ دار التراث بالقاهرة «حسب ترتيب السور».



والمناهج السابقة ـ وإن اختلفت فى الطريقة ـ فهدفها واحد وهو خدمة كتاب الله وتيسير ألفاظه لمن أراد: فالذى يحفظ القرآن ويعرف موقع الكلمة من سورتها نظر إلى الطريقة الأولى، ومن هو على علم بالعربية وتصاريفها رجع إلى الطريقة الثانية، ومن يريد النظرة السريعة لقلة المامه بالقواعد والحفظ فعليه الطريقة الثالثة.



تعقيب:

رأينا ـ فيما سبق ـ القرآن الكريم (**كتاب العربية الخالد**) منذ نزوله على خاتم النبيين محمد ﴿ﷺ﴾ إلى يوم الناس هذا وسيظل إلى أن تقوم الساعة: المنهل العذب الذى لا يشبع منه العلماء ولا يخلق عن كثرة الرد لأنه حبل الله المتين وصراطه المستقيم. . . الخ.

كما رأينـا كثرة التأليف والمؤلفين فى «غريب القرآن» وهو علم من علوم القرآن التى تخدمه وتحافظ عليه وتبرز كثيرا من وجوه إعجازه وأسراره التى لا تنفد. وصدق الله العظيم:

﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[٣]، ﴿ما فرطنا فى الكتاب من شيىء﴾

الهوامـــش

(١) ابن منظور ـ لسان العرب ـ مادة غرب.

(٢) انظر احمد بن محمد الهروى، مقدمة الغريبين ج١/ ١٠، ١١ تحقيق د/محمود الطناحى القاهرة ١٣٩٠هـ، حاجى خليفة ـ كشف الظنون ١/١٢١/١٢٢، ٢/ ١٧٣٠ (ط مكتبة (المثنى ـ بغداد).

(٣) لم أعثر على نص الحديث والحديث المشهور فى هذا المعنى عن ابن مسعود «من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة

الهوامــش

بعشر أمثالها لا أقول «ألم» حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف» ينظر الترمذي - الجامع الصحيح ٥/١٦١ تحقيق احمد محمد شاكر - ط. بيروت الأولى ١٩٨٧م.

(٤) أى الخطأ الإعرابى المؤدى إلى فساد المعنى.

(٥) السيوطى - الاتقان فى علوم القرآن ٢/٣ (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط. الأولى سنة ١٩٦٧م).

(٦) الزركشى - البرهان فى علوم القرآن ١/٢٩١ (تحقيق محمد أبو االفضل إبراهيم ط الأولى ١٩٥٧م.

(٧) ينظر د. عبد الحميد الشلقانى - رواية اللغة/ ٩٠ (ط/دار المعارف بمصر).

(٨) الحــديث فى - المناوى - فيض القـدير ١/٥٥٨ وهـو ضعيف وفيه رواية البيهقى «اتبعـوا» بدل «التمسـوا» (ط/ بيروت/ الثانية/١٩٨٢م وانظر السيوطى فى الاتقان ٢/٣ وأبى حيان - البحر المحيط (المقدمة) ١/١٢، ١٣ (ط الأولى ١٣٢٨هـ.

(٩) سورة (عبس آية٣١).

(١٠) الزركشى - البرهان ١/٢٩٥، ٢٩٦ والسيوطى الاتقان ٢/٤.

(١١) الزركشى ١/٢٩٢ وقارن بالسيوطى ٢/٣.

(١٢) ٢/٣ وقارن بالزركشى ١/٢٩١ وحاجى خليفة - كشف الظنون ٢/١٢٠٨.

(١٣) نقلها السيوطى فى الاتقان ٢/٥٥-٨٨ وذكرها الأنبارى فى كتاب الوقف والابتداء بإسناده وطبعها الأستاذ إبراهيم السامرائى ببغداد طبعة أولى سنة ١٩٦٩م راجع الزركشى ١/٢٩٣، ٢٩٤، مكى بن أبى طالب القيسى - العمدة فى غريب القرآن تحقيق/ يوسف المرعشلى ١٩، ٢٠ (ط/الأولى ١٩٨١م مؤسسة الرسالة بيروت)، د/عبد العزيز الحميدى - تفسير ابن عباس ١/٢١ (نشر مركزالبحث العلمى وإحياء التراث بمكة المكرمة)، فؤاد سزكين - تاريخ التراث العربى ١/١٧٨، ١٨٢ (راجعه د/محمود حجازى ط الهيئة المصرية العام ١٩٧١م).

(١٤) المعارج آية ٣٧.

(١٥) انظر بروكلمان - تاريخ الأدب العربى ٤/٨ (الطبعة الثالثة - دار المعارف والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم)، د/احمد مختار عمر - البحث اللغوى عند العرب/٧٧ (ط الرابعة ١٩٨٢م)، فؤاد سزكين ١/١٨٢، ١٨٣، أبو موسى الأصفهانى - مقدمة المجموع المغيث تحقيق عبد الكريم العزباوى/٨ (نشر مركزالبحث العلمى جامعة أم القرى ط الأولى ١٤٠٦هـ).

(١٦) ٢/٥-٥٤.

(١٧) انظر حاجى خليفة ٢/١٢٠٧، السيوطى بغية الوعاة ١/٤٠٤ (تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ط الأولى - عيسى البابى الحلبى)، د. حسين نصار - المعجم العربى /٣٩ (ط/ دار مصر للطباعة).

(١٨) انظر حاجى خليفة ٢/١٢٠٧، الداودى - طبقات المفسرين ٢/٣٤٠، ٣٤١ (ط الاولى ١٣٩٢هـ نشر مكتبة وهبة)، د. حسين نصار ١/٣٩، ٤٠.

(١٩) حاجى خليفة ٢/١٧٣٠.

(٢٠) نفســه ٢/١٢٠٧.

(٢١) نفســه ٢/١٢٠٤.

(٢٢) طبع كتاب «مجاز القرآن» عدة طبعات نشره سامى الخانجى بالقاهرة ١٩٥٥م وحققه الاستاذ محمد فؤاد سزكين ونشرته مكتبة الخانجى أيضا ١٩٦٢ وأخيرا طبعته بيروت ١٩٨١م وانظر مكى بن أبى طالب - العمدة ٢٣ وسزكين - تاريخ التراث العربى ١/١٩٧.

(٢٣) انظر حاجى خليفة ٢/١٢٠٧ وفؤاد سركين ١/٢٢٢.

(٢٤) طبع الكتاب بتحقيق محمد سليم الحاج (ط بيروت الأولى ١٩٨٩م - عالم الكتب).

(٢٥) طبع فى القاهرة ١٩٥٨م بتحقيق الاستاذ أحمد السيد صقر وأعيد طبعه فى لبنان ١٩٧٨م.

(٢٦) حاجى خليفة ٢/١٢٠٥.

(٢٧) وهو أشهر الكتب المؤلفة فى هذا الشان وله طبعات كثيرة: أولها للأستاذ مصطفى عنانى ١٩٣٦م - ١٣٢٦هـ القاهرة ثم عنى بتحقيقه لجنة من أفاضل العلماء وطبعته مطبعة محمد على صبيح سنة ١٩٦٣م - ١٣٨٢هـ وهاتان الطبعتان على حسب الحروف أى الكلمات المبدوءة بحرف الهمزة ثم الباء ثم التاء الخ ثم طبعته دار التراث بالقاهرة على حسب السور أى غريب سورة الفاتحة ثم سورة البقرة الخ وطبع الكتاب على هامش «تبصير الرحمن» للمهائمى - بولاق سنة ١٢٩٥هـ وعلى هامش تفسير ابن كثير ١٣٢٥هـ وطبع حديثا على هامش بعض المصاحف - انظر مكى بن أبى طالب - العمدة/٢٨ وسزكين - تاريخ التراث ١/٢١١.

(٢٨) حاجى خليفة ٢/١٢٠٥ والزركشى ١/٢٩١.

(٢٩) طبعته مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الاولى ١٩٨١م شرح وتعليق يوسف بن عبد الرحمن المرعشلى (ماجستير).

(٣٠) مطبوع مشهور متداول ط/ دار المعرفة بيروت.

(٣١) حاجى خليفة ٢/١٢٠٨.

(٣٢) حققه عبد الكريم العزباوى ونشره مركز البحث العلمى وإحياء التراث الاسلامى بجامعة أم القرى - الطبعة الاولى سنة ١٤٠٦هـ.

(٣٣) السيوطى - الاتقان ٢/٣.

(٣٤) طبع سنة ١٣٤٥هـ فى مطبعة الاخلاص بحماة تعليق محمد سعيد الوردى النعسانى الحصوى ثم طبع فى بغداد سنة ١٣٩٧هـ



الهوامــــش

مطبعة العانى تحقيق د/أحمد مطلوب ود/ خديجة الحديثى وأخيرا طبع سنة ١٩٨٣م ط/المكتب الاسلامى بيروت تحقيق سمير المجذوب.

(٣٥) حاجى خليفة ١٢٠٨/٢.

(٣٦) منه نسخة محفوظة بمكتبة الأزهر رقم ٢٧٩ (١٣٦ ـ تفسير وعلوم القرآن).

(٣٧) حاجى خليفة ١٢٠٨/٢، مكى بن أبى طالب ـ العمدة/٣٤.

(٣٨) منه نسخة وحيدة فى العالم فى دار الكتب المصرية تحت رقم ٢٦١٠١ب (٨٤ تفسير) ٧٦ ورقة بخط على بن عاشور البرلسى (ت ١١٣٠هـ) وهى من تعليق المؤلف.

(٣٩) أى زيادة على الأصل.

(٤٠) طبع فى القاهرة ١٩١٣م.

(٤١) طبع فى مصر ١٩٨٠ نشر دار الأنصار.

(٤٢) طبع بالمكتبة العربية بدمشق ١٩٦٣م.

(٤٣) طبع فى القاهرة طبعة أولى سنة ١٣٧٥هـ وظهرت بعد ذلك طبعات منه على هامش المصحف.

(٤٤) طبعته دار العلم للملايين ـ بيروت ـ الطبعة الاولى سنة ١٩٨٦م.

(٤٥) نشر معجم «غريب القرآن» هذا سنة ١٩٥٠م بالقاهرة.

(٤٦) انظر مجلة الفكر الاسلامى ـ بيروت ـ السنة الخامسة ـ العدد الخامس ربيع الثانى ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م ـ مكى بن أبى طالب ـ العمدة/٣٧.

(٤٧) طبعته دار الرشيد دمشق ـ بيروت ـ غير مكتوب عليها سنة الطبع ويغلب على الظن أنها سنة ١٩٩١م.

(٤٨) واتبع فيه طريقة الأبجدية العادية وهى ترتيب أصول الكلمات على حسب أوائلها فثوانيها فثوالثها وافتتح المعجم بمادة «أب ب» واختتمه بمادة «ى و م» طبع أولا ١٣٦٤هـ ـ ١٩٤٥م بدار الكتب المصرية ثم طبعته أخيرا: دار إحياء التراث العربى بيروت ـ لبنان.

(٤٩) طبعه مجمع اللغة العربية طبعة كاملة فى مجلدين ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م ونشرته الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر وانظر الشيخ عبد العزيز السيروان ـ المعجم الجامع ١٨،١٧ مكى بن أبى طالب ـ العمدة/٣٦.

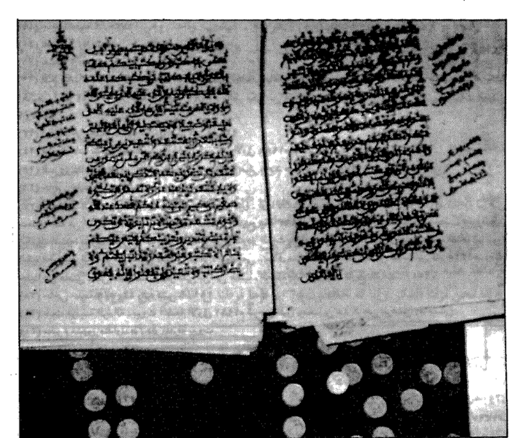
(٥٠) طبع بالاسكندرية ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م مطبعة خليل إبراهيم ـ وانظر مكى بن أبى طالب ـ العمدة٣٧.

(٥١) جمع «منهج» أى طريقتهم فى التأليف لهذا الفن.

(٥٢) الحجـر/٩.

(٥٣) الأنعام من الآية ٣٨.







الإعجاز البياني في القرآن الكريم

﴿وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين﴾ (البقرة/ ٢٧).



■ إن الله تعالى أنزل آدم عليه السلام من الجنة إلى الأرض وعلمه العلوم كلها التى هى قوام البشريه من لدن آدم عليه السلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، قال الله تعالى: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها.﴾ وكان الوحي موصولا بالأرض يوحي الله به إلى أنبيائه بالتعاليم التى تقيم حياتهم على أحسن حال وأقومه ولتتحقق لهم السعادة فى الدارين.

وتتابعت الرسالات فى الأرض والنبوات لتجدد المفاهيم وتوضح المعالم التى توصل إلى طريق الحق والهداية، فكان لابد من تأييد الرسل والأنبياء بالدلائل والبراهين الساطعة التى تؤيد دعواهم، وأن ما يدعون إليه من تعاليم وأخلاق وأحكام وأوامر ونـواه إنما هى من عند الله تعالى. وأتى كل رسول ومعه المعجزة المؤيدة لدعواه متناسبة وملائمة لما اشتهر من علوم فى عصر كل رسول. فأتى صالح عليه السلام بالناقة، وأتى موسى عليه السلام بآيات عشر منها العصا، وأتى عيسى عليه السلام باحياء الموتى وشفاء الأبرص إلى غير ذلك من المعجزات المؤيدات له عليه السلام.

بعث رسولنا محمد بن عبد الله ﴿ﷺ﴾ بالرسالة الخاتمة فكان صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء والمرسلين ورسالته خاتمة الرسالات جميعا فأنزل الله عليه القرآن بلسان عربى مبين فى أمة أمية لها شأوها ولها باعها الطويل والكعب المعلى فى البيان والبلاغة والفصاحة وروعة الأسلوب حتى كانت لهم الأسواق والمنابر والمواسم يعرضون فيها أنفس البضائع وأدق وأجود وأبرع صناعتهم البيانيه إنها بضاعة الكلام من الشعر والنثر والخطابة وكان النقد والمساجلة والمناظرة حتى يختاروا من هذه الصناعة البيانية أروعها وأحسنها فى جو من التنافس الشديد ليتفاخروا بها قدموه ولتتناقله العرب بعد ذلك فيا بينها ليصير حديث المجالس وسمر السامرين تذوقاً للغة العالية التى تهذبت كلماتها وأساليبها واختيرت ألفاظها أحسن اختيار.

فنـزل القرآن على النبى محمد ﴿ﷺ﴾ فكانت آذان أئمة اللغة صاغية وقلوبهم متفهمة وعقولهم قد أخذها سحر البيان والأسلوب الفريد الرائع إلى غيبوبة من المتعة واللذة والانسجام والانقياد وراء معانيه وتناسق الالفاظ وحسن سبكها وتلازمها بحيث تأخذ كل كلمة بعنان أختها فى سبك رائع جميل وجرس هادىء قوى رصين ينساب مع المعانى انسياباً رقيقا دون أن يعتريه تكلف أو ركاكة أو نفور.

وقف هؤلاء القوم عاجزين أمام القرآن عن محاكاته أو مماثلته فى أزهى العصور للأمة العربية بياناً وفصاحة وبلاغة. فانفضت الأسواق الأدبية وخلت الأندية من روادها أمام القرآن الكريم عن أن يجاروه أو يماثلوه أو أن يقترحوا مجرد اقتراح بابدال كلمة مكان كلمة أخرى أو حتى تقديم أو تأخير وكان التحدى لهم متهكماً بهم وهو ينزل عليهم نزول الرعد القاصف والبرق الخاطف وهم فى موقف يحتاجون فيه أشد

د. عبد الحميد عمر الامين
جامعة ام القرى (مكة المكرمة)

الاحتياج للرد على التحدي بأن يأتوا بمثله متدرجاً معهم إلى عشر سور ثم إلى سورة مثله.
وزيادة فى النكاية والتحدى أباح لهم الاستعانة بمن شاءوا إن كانوا جناً أو إنساً.

وقد تنزل القرآن معهم فى هذه الى طلب جنس المماثلة ومطلقها. ولم يكلفهم المماثلة العامة. وهذه آيات التحدى فى تدرجها وحسب السور التى نزلت فيها. وهى سورة يونس وهود والاسراء والطور وسورة البقرة المدنية.

●● قال الله تعالى: **﴿وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا، فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله، إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا، فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين﴾** (سورة البقرة/٢٣-٢٤).

●● قال الله تعالى: **﴿وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله، ولكن تصديق الذى بين يديه، وتفصيل الكتاب لا ريب فيه، من رب العالمين. أم يقولون افتراه، قل: فأتوا بسورة مثله، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين. بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه، ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم، فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾** (يونس/٣٧-٣٩).

●● قال الله تعالى: **﴿أم يقولون افتراه؟ قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو، فهل أنتم مسلمون؟﴾** (سورة هود/١٣-١٤).

●● قال الله تعالى: **﴿قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن، لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾** (سورة الاسراء/٨٨).

●● قال الله تعالى: **﴿أم يقولون تقوله. بل لا يؤمنون. فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين﴾** (سورة الطور/٣٣-٣٤).

القرآن الكريم بهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول نظماً أو نثراً.

■ ولو استعرضنا آيات التحدي فى القرآن لوجدنا العموم فى التحدي بحيث اشتمل الانس والجن وكونهم عاجزين عن معارضة القرآن، ونذكر هنا قول سيد قطب رحمه الله «والتحدى هنا عجيب، والجزم بعدم إمكانه أعجب ولو كان فى الطاقة تكذيبه ما توانوا عنه لحظة. وما من شك أن تقرير القرآن الكريم أنهم لن يفعلوا، وتحقق هذا كما قرره، هو بذاته معجزة لا سبيل إلى المماراة فيها ولقد كان المجال أمامهم مفتوحاً، فلو أنهم جاءوا بما ينقض هذا التقرير القاطع لانهارت حجة القرآن. ولكن هذا لم يقع ولن يقع كذلك فالخطاب للناس جميعاً»(١).

فكان التحدى إذن بألفاظ وكلمات القرآن فى فصاحته وبلاغته وبيانه وأسلوبه. لذا قبل الدخول فى لب موضوعنا وهو الاعجاز البيانى لابد أن نتعرض لبعض التعريفات الضرورية المتعلقة فى هذا الموضوع بشكل عام.

أولا: تعريف المعجزة ـ الاعجاز.

ثانيا: تعريف البيان ـ البلاغة ـ الفصاحة.

تعريف المعجزة:

عندنا فعلان: أحدهما ثلاثى، والآخر رباعى:
الثلاثى، عجز ـ يعجز ـ فهو عاجز ـ ومصدر الفعل هو: العجز.
أما الرباعى: فهو: أعجز ـ يعجز ـ فهو معجز.
ومصدر الفعل هو: الاعجاز.

المعجز إذن: هو اسم الفاعل من الفعل الرباعى : أعجز.
والمعجزة: هى اسم الفاعل المؤنث من ذلك الفعل(٢).
والمعجزة فى الاصطلاح هى: الأمر الخارق للعادة، السالم من المعارضة ليجريه الله على يد النبى، تصديقاً له فى دعوى النبوة.

تعريف الاعجاز:

الاعجاز مصدر وفعله رباعي هو «أعجز» تقول: أعجز يعجز. إعجازاً وإسم الفاعل «معجز».

■ ومن تعريفات الاعجاز فى الاصطلاح وأكثرها دقة واختصاراً تعريف القاضى عبد الجبار المعتزلي حيث عرفه فى كتابه «المغنى» بقوله: «معنى قولنا فى القرآن إنه معجز: أى يتعذر على المتقدمين فى الفصاحة فعل مثله، فى القدر الذى اختص به».

● وقال الامام الجرجانى فى كتابه القيم (التعريفات) فى تعريف الاعجاز هو: أن يؤدى المعنى بطريق، هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق»(٣).

ومن التعريفات المهمة فى هذا الباب تعريف مصطفى صادق الرافعى حيث قال: «وإنما الاعجاز شيئان:

١ ـ ضعف القدرة الانسانية فى محاولة المعجزة. ومزاولته على شدة الانسان واتصال عنايته.
٢ ـ ثم استمرار هذا الضعف على تراخى الزمن وتقدمه.

فكأن العالم كله فى العجز إنسان واحد، ليس له غير مدته المحدودة بالغة ما بلغت»(٤).

■ **ومن التعريفات المتعلقة فى هذا الباب**:



تعريف البيان:

البيان عبارة عن اظهار المعنى بعبارة منبية عن حقيقته من غير توسع فى الكلام فإن تأنقت فى إسهاب فهى البلاغة.

● **وأما الفصاحة**: فعبارة عن الظهور من قولهم «أفصح الصبح» إذا ظهر واللفظ الفصيح هو الظاهر، والغالب أنه يستعمل باعتبار اللفظ الكثير الاستعمال فى معناه وإن خالف القياس(٥).

«**ولذلك قيل الفصاحة**: هى خلوص الكلام من التعقيد وأصله من الفصيح وهو اللبن الذى أخذت عنه الرغوة أو ذهب لباؤه وقد فصح وأفصح إذا صار كذلك وأفصحت الشاة إذا فصح لبنها ثم قالوا فصح الأعجمي فصاحة فهو فصيح إذا خلصت لغته من اللكنة»(٦).

● **وأما البلاغة**: فهى بلوغ الرجل بعبارته كنه ما فى قلبه مع الاحتراز عن الايجاز المخل والاطالة المملة. هذا ما قاله فخر الدين الرازي.

أما ما قاله أبو هلال العسكرى إنها بمعنى الفصاحة. فيه نظر، فإن الظاهر أن الفصاحة من عوارض الالفاظ مع ملائمة المعنى والبلاغة من عوارض المعانى، وهو تكميل المعنى باللفظ الذى يفهمه من قولهم «بلغ كذا» إذ إنتهى إليه، فإن اللفظ إذا كمل معناه أوصله إلى القلب».

ولا أريد أن أدخل فى تفصيل هذه التعريفات لأن الدخول فى تفصيلاتها يخرجنا عن المقصود الذى هو الاعجاز البيانى. وهذا الوجه من الاعجاز لا يتضح لنا إلا إذا تطرقنا إلى سر اعجازه فى النظم والأسلوب وفى دلالة ألفاظه على المعانى وسر التآخى بين الكلمات والتناسق بين الجمل وقد تعرض العلماء لهذا فى القديم والحديث منهم أبو عبيدة معمر بن المثنى والجاحظ والواسطي والرمانى والخطابي والعسكرى والباقلاني والخفاجى والجرجانى والزمخشرى والقاضى عياض

والرازي . . . الامام محمد عبده ومحمد رشيد رضا والرافعي وأبو زهرة . . . إلى سيد قطب . . . الخ .

■ وقد اختلف العلماء فى وجوه الاعجاز فحددها القاضى عياض فى كتابه الشفا بأربعة أوجه وأتى القرطبى بوجوه كثيرة عدها من اعجاز القرآن أوصلها إلى عشرة أوجه ولكن الأمر فيه تداخل كبير . . ولعل أهم الوجوه هو ما يتعلق بالاعجاز البيانى لأن هذا الوجه من الاعجاز أول من يخاطب به العرب لأن القرآن نزل بلغتهم فإذا ما عجز العرب عن مماثلته فغيرهم أعجز منهم ولعجزهم قام البرهان الساطع على نبوة سيدنا محمد ﴿ﷺ﴾ وأن القرآن الكريم هو كلام الله المنزل على رسوله .

■ ولنأخذ بعض الأمثلة الدالة على الاعجاز البيانى على سبيل الايضاح لبعض الجوانب الهامة فى براعة أسلوب القرآن وكونه معجزاً . . نذكر ما قاله القاضي عياض (أولها حسن تأليفه) من حيث تركيبه بين حروفه وكلماته وآياته وسوره وقصصه وحكاياته وانتظام كلماته فى سلك مبانيها المتناسبة لمقتضى معانيها المتناسقة . . ومن فصاحته وهو وضوح بيان معانيه مع اقتصاد مبانيه . . . مع ايجازه وذلك بايفاء واكتفاء وايماء . . وغير مخل ولا ممل ومن بلاغته فى عجائب التراكيب وغرائب الأساليب وبدائع العبارات وروائع الاشارات المتجاوزة لعادة العرب من فصاحتهم وبلاغتهم . . حيث انهم كانوا أرباب هذا الشأن من الفصاحة والبلاغة وفرسان الكلام وقد خصوا من البلاغة والحكم ومن كمال العقل ما لم يخص به غيرهم من الأمم سابقة ولاحقة . . . حتى أنهم تساجلوا فى النظم والنثر وتفاخروا وتكاثروا . . فما راعهم إلا رسول كريم جاءهم بخلاف هواهم لكن معه هداهم . . حين أتاهم بكتاب عزيز **﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾** أحكمت آياته وفصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول نظما أو نثرا . . صارخاً بهم ومقرعا وموبخاً لهم بضعاً وعشرين عاماً على رؤوس الملأ من أشرافهم ورؤسائهم متحديا لهم بأن يأتوا بمثل هذا القرآن أو بسورة أو بأقصر سورة مثله تماثله فى بلاغة مبانيه وفصاحة معانيه حيث انكم اشتهرتم بالخطابة نظماً ونثراً . واستعينوا بمن يمكن الاستعانة به غير الله من إنس وجن كما بينته الآيات التى ذكرناها سابقا فى مراحل التحدي ومن تعاطى ذلك منهم فضحه الله وأبان كذبه ، ومما حكاه السهيلى عن مسيلمة الكذاب قال «كذب بل كانت آياته معكوسة ورواياته منكوسة فإنه كما يقال : تفل فى بئر قوم سألوه ذلك تبركاً فملح ماؤها ، ومسح رأس صبى فقرع قرعا فاحشاً ، ودعا لرجل إلى غير ذلك مما فضحه الله به وكشف كذبه فى إدعائه النبوة .



■ وهذا الوليد بن المغيرة لما سمع من النبى ﴿ﷺ﴾ «إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون» قال الوليد قولته المشهورة «والله إن له لحلاة وإن عليه لطلاوة وان أسفله لمغدق وإن أعلاه لمثمر . ما يقول هذا بشر . .» وكل هذا مما جعل القرآن الكريم فى فصاحته وبلاغته خارقاً للعادة بعجز المنكرين واعتراف المفترين ولنأخذ مثلا للتأمل فى اعجاز بلاغته متأملا الايجاز الباهر فى الاعجاز الظاهر فى قوله تعالى ﴿ولكم فى القصاص حياة﴾ نجد من بدائع التركيب وروائع الترتيب مع ما فيه من المطابقة بين معنيين متقابلين وهما القصاص والحياة ومن الغرابة بجعل القتل الذى هو مفوت الحياة ظرفا لها ومن البلاغة حيث أتى بلفظ يسير متضمن لمعنى كثير فإن الانسان إذا علم انه اذا قتل أقتص منه دعاه الى ردعه عن قتل صاحبه فكأنه أحيى نفسه وغيره فيرتفع بالقصاص كثير من قتل الناس بعضهم بعضا فيكون القصاص حياة لهم مع ما في القصاص من زيادة الحياة الطيبة فى الآخرة ـ وفى هذا نجد أنه أولى من كلام موجز عند العرب وهو أن القتل أنفى للقتل فى قلة المبانى وكثرة

المعانى وعدم تكرار اللفظ المنفر وفى الايماء إلى أن القصاص الذي بمعنى المماثلة سبب للحياة دون مطلق القتل بالمقابلة إذ ربما يكون سبباً لفتنة فيها قتل فئة وفساد جماعة . انتهى .

■ وهناك أمثلة كثيرة تدل على حسن تأليفه وروعة تراكيبه. ولنذكر مثالا على روعة نظمه وحسن تأليفه ودلالة ألفاظه، ذكر القاضى عياض فى كتابه الشفا سئل بعض الحكماء من بعض العلماء عما فى كتاب الله تعالى من علم الطب فقال كله فى نصف آية هى قوله تعالى: ﴿كلوا واشربوا ولا تسرفوا . . ﴾ فقال صدقت وبالحق نطقت . .

■ وفى هذا بيان واضـح وكذلك من الحكم الشائعة المعبرة عن معان كثيرة «**المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء**» .

ومما نسمعه ونقرأه من الوصايا الطبية التى أثبت العلم الحديث فعاليتها هو تنظيم الغذاء وعدم الاسراف لما يترتب عن الاسراف بالطعام من المضار ونشوء بعض الأمراض وهذا ليس بخاف على ذى لب فطين .

ثم بعد ذلك ننتقل إلى أمثلة أخرى ونماذج تبين لنا روعة الأسلوب القرآنى الفريد الذى تحدى الله به العالمين الانس والجن على أن يأتوا بمثله .

وتذكر قول الزملكاني «ومن تدبر بعض آيات الكتاب العزيز علم أن جوهره أصفى من الابريز وأنه المعجز الجامع للمعاني الجمة فى اللفظ الوجيز . . وإن أردت مثالا فى ذلك فعليك بسورة الفاتحة فإنها عنوان مقاصد القرآن وبه سميت أم القرآن لجمعها مقاصده .

ولنشرع فى شرح مقاصد القرآن ليتضح اشتمال الفاتحة عليه فنقول: فما كان المقصود منه دعوة الخلق إلى الحق جل وعلا انحصرت مقاصده فى أربعة أقسام: معرفة الله، والطريق المسلوك إليه، والغاية التى ينتهى إليها الطريق، ومعرفة أحوال السالكين. ا . هـ .



هذا كله فى سورة واحدة شملت وعمت مقاصد القرآن كله فى كلمات معدودة ولذلك كانت مجزية فى الصلاة لقول رسول الله ﴿ﷺ﴾ «**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**» (رواه البخارى) .

الوجه الاول: معرفة الله تعالى: باعتبار الذات وهو أغمضها فهمـاً وأبعدها علمـاً ولذلك أجاب موسى عليه السلام فرعون لما قال له: ﴿وما رب العالمين﴾ بأن قال: ﴿رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين﴾ (الشعراء/٢٤) .

ولما لم ير فرعون جواباً بالذات «قال لمن حوله: ألا تسمعون» وتجاهل بكون هذه الذات لا تدرك قال تعالى ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ و﴿سبحانه وتعالى عما يصفون﴾ .

الوجه الثانى: فى الطريق المسلوك إليه: وهو منحصر فى القيام بأوامره واجتناب نواهيه وبه ينجلى صدأ القلب فتنطبـع فيه المعـارف وتنـدرج تحت الأوامـر المندوبات والواجبات وتحت المناهي المكروهات والمحرمات .

وأما المباح فليس من الطريق المسلوك فى شىء إذ لا يتعلق به ثواب ولا عقاب ولا مدح ولا ذم .

■ ولما كان الطريق الموصل إلى الله تعالى هو التبتل على ما قاله سبحانه وتعالى ﴿وتبتل إليه تبتيلا﴾ وكان ذلك مطلوب الاستدامة إلى يوم القيامة .

احتيج إلى ذكر مجادلة الكفار وبيان فضائحهم والنداء عليهم بما جرى بهم من المثلات طلبا للتنفيرعنها وتثبيتا لأهل الحق .

الوجه الثالث: الغاية التي ينتهي إليها السالكون: وهي منازل القرب إلى الله تعالى والبعد منه وعلى ذلك يترتب دخول الجنة والنار وأعلى مراتب الجنة النظر، قال الله تعالى: ﴿إن الأبرار لفي نعيم . على الارائك ينظرون﴾ وقال سبحانه ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾، وأدنى رتب النار الانحجاب عن الله تعالى قال الله تعالى ﴿كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون . ثم انهم لصالو الجحيم﴾.

الوجه الرابع: أحوال السالكين: وهي إما حالا كذكر ما أنعم الله به على عباده من الانجاء والظفر بالأعداء والتمكن من ديارهم وأموالهم وذراريهم وذكر ما انتقم به من أعدائه. كطوفان قوم نوح وغرق فرعون وقلب مدائن لوط وقتل الكفار يوم بدر.

واما مآلا كما في انطاق الجوارح وتبديل الجلود ودوام الخلود وتضاعف العذاب والتقريع ودرجات الجنان ودركات النار. . وانبعاثهم إلى الموقف كالجراد المنتشر وتطاير الصحف وقراءة الكتب ووزن الأعمال وورود النار.

وحيث انه اتضح حصر مقاصد القرآن التي اشتملت الفاتحة عليها.

■ وهذه أمثلة لما اشتملته سورة الفاتحة:

قوله تعالى «الحمد لله» إشارة الى طريق السلوك إليه فإن الحمد ثناء على الذات وخص الحمد دون الشكر لأنه مخصوص باللسان وهو متقدم على الأفعال بالرتبة. . والشكر يكون باللسان على سابقة احسان وبأعمال الجوارح ولذلك قال عليه الصلاة والسلام «الحمد رأس الشكر» وقال صلى الله عليه وسلم «أول ما يدعى إلى الجنة الحمادون على كل حال» وفي صحيح البخارى «إن خير عباد الله يوم القيامة الحمادون» وقال تعالى ﴿اعملوا آل داود شكراً﴾، وفي ذلك رمز الى أنه لا يستحق للحمد سواه على الحقيقة». . ا. هـ.

وقد علم أن طريق السلوك اما بالاعمال الظاهرة وإما بأعمال القلب، وأتمها في التعلق بالعمل الاخلاص وهو قائد تزكية النفس وقد وقفت الافادة في قوله تعالى: إياك نعبد وإياك نستعين. وبعد هذا البيان في اجمال ما اشتملت عليه معاني ألفاظ القرآن من المعاني الجسام نذكر نوعاً آخر من وجوه الاعجاز البياني ألا وهو.

قال الوليد بن المغيرة عند سماعه للقران الكريم (والله ان له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وان أسفله لمغدق، وان اعلاه لمثمر.. وما يقول هذا بشر)

١) معرفة ألفاظ القرآن ومقاصدها:

ومن معرفة ذلك رد الكلمة الى ضدها مثاله قول الله تعالى ﴿ولا تطع منهم آثما أو كفورا﴾ (سورة الانسان/٢٤).

وهو أن ترد النهي فيه الى الأمر فتقول: معنى «أطع هذا أو هذا»: أطع أحدهما وعلى هذا معناه في النهي «لا تطع واحداً منهما».

٢) في بيان ألفاظ يتوهم أنها في معنى غيرها مع أنها متقاصرة عنها.

ومن ذلك الخشية والخوف قد يظن أنهما بمعنى واحد مع أن الخشية أعلى مرتبة من الخوف فانها مأخوذة من قولهم «شجرة خشية» إذا كانت يابسة وذلك فوات بالكلية.

والخوف: من قولهم «ناقة خوفاء» إذا كان بها داء وذلك نقص وليس بفوات.

ومن ثم خصت الخشية بالله سبحانه. في قوله تعالى: ﴿ويخشون ربهم ويخافون سوء العذاب﴾، لان خوف الله تعالى ينبغي أن يكون في أعلى المراتب. ومنه قوله صلى الله عليه وسلم «أنا أعرفكم بالله وأشدكم له خشية».

■ ومن هذا لفظ الاكمـال مع الاتمـام نحو قوله تعالى ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي . .﴾ (المائدة/٣) .

هذا مؤذن لاختـلافهـما بالمعنى والاستعـمال يؤذن بأن «الإتمـام» لازالـة نقصـان الأصل، و«الاكمال» لازالة نقصان العوارض بعد تمام الأصل .

وكذلك قوله تعالى ﴿تلك عشرة كاملة﴾ أحسن من ﴿تلك عشرة تامة﴾ إذ التمام فى العدد قد علم وانما بقي احتمال نقصان فى صفاتها ، ويفترقان أيضا فى جهة أن قولهم «تم» يشعر بحصول نقص قبل ذلك و«كمل» لا يشعر به . الى غير ذلك من حسن اختيار الالفاظ ووقوعها فى موقعها بحيث يختل النظم والمعنى ويظهر خلله لمجرد أى تغيير لوضع كلمة مكان آخرى وفى هذا دليل ساطع على حسن النظم وروعة الأسلوب مما جعل العرب حائرين قد داخلت الدهشة والانبهار نفوسهم فوقعوا ساجدين مقرين بعظمة القرآن الكريم وأنه كلام لا يمكن أن يكون من كلام إنس ولا جن . فقعدوا مقرين بالعجز أمامه .

وهذا نموذج للبلاغة التى هي على ثلاث طبقات : منها ما هو فى أعلى طبقة ومنها ما هو أدنى طبقة ومنها ما هو فى الوسط .

فأعلاها طبقة، هي بلاغة القرآن المعجز .

والبـلاغـة على عشرة أقسام : الايجاز، والتشبيه ، والاستعارة والتلاؤم والفواصل، والتجانس، والتصريف، والتضمين، وحسن البيان .

الايجاز: تقليل الكلام من غير اخلال بالمعنى والايجاز على وجهين : حذف، وقصر .

فالحذف: اسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها فى الحال أو فحوى الكلام .

والقصر: بنية الكلام على تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير حذف، مثال الحذف قوله تعالى : ﴿واسأل القرية﴾ وقوله تعالى : ﴿ولكن البر من اتقى﴾ وقوله تعالى : ﴿طاعة وقول معروف﴾ . .

وانما صار الحذف فى مثل هذا أبلغ من الذكر لأن النفس تذهب فيه كل مذهب .

وأما الايجاز بالقصر دون الحذف فهو أغمض من الحذف منه قوله تعالى ﴿يحسبون كل صيحة عليهم﴾ .

والايجاز بلاغة والتقصير عي ، كما أن الاطناب بلاغة والتطويل عي .



التشـبيه:

هو ان يسد احد الشيئين مسد الآخر فى حسن أو عقل ولا يخلو التشبيه من أن يكون فى القول أو فى النفس .

● ونضرب مثالا واحدا لذلك: قال الله تعالى: ﴿**والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمـآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا**﴾ (سورة النور) .

فهذا بيان قد أخرج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة وقد اجتمعا فى بطلان المتوهم مع شدة الحاجة وعظم الفاقة ، ولو قيل يحسبه الرائى ماء ثم يظهر أنه على خلاف ما قدر لكان بليغا، وأبلغ منه لفظ القرآن، لأن الظمـآن أشد حرصاً عليه وتعلق قلب به ، ثم بعد هذه الخيبة حصل على الحساب الذى يصيره إلى عذاب الأبد فى النار ـ نعوذ بالله من هذه الحال ـ وتشبيه أعمال الكفار بالسراب من حسن التشبيه ، فكيف إذا تضمن مع ذلك حسن النظم وعذوبة اللفظ وكثرة الفائدة، وصحة الدلالة اهـ قول الرماني . وهذا ما وقع فى أسلوب القرآن .

الاستعارة:

مثالها: قال الله تعالى : ﴿سمعوا لها شهيقا وهي تفور تكاد تميز من الغيظ﴾ شهيقاً

حقيقته صوتاً فظيعاً كشهيق الباكى، والاستعارة أبلغ منه وأوجز والمعنى الجامع بينهما قبح الصوت (تميز من الغيظ) حقيقته: من شدة الغليان بالاتقاد، والاستعارة أبلغ منه، لأن مقدار شدة الغيظ على النفس محسوس، مدرك مدى ما يدعو إليه من شدة الانتقام، فقد اجتمع شدة فى النفس تدعو إلى شدة انتقام فى الفعل، وفي ذاك أعظم الزجر وأكبر الوعظ وأدل دليل على سعة القدرة وموقع الحكمة.

التلاؤم:

نقيض التنافر والمتلائم فى الطبقة العليا القرآن كله.. والفائدة فى التلاؤم حسن الكلام فى السمع، وسهولته فى اللفظ وتقبل المعنى له فى النفس لما يرد عليها من حسن الصورة وطريق الدلالة، وقد عم التحدى بالقرآن للجميع لرفع الاشكال كما تقدم ذكره فى أول البحث من خلال الآيات الكريمة وبذلك فقد قامت الحجة على العربى والعجمى بعجز الجميع عن المعارضة إذ بذلك تبين المعجزة.

الفواصل:

حروف متشاكلة فى المقاطع توجب حسن إفهام المعانى والفواصل بلاغة والاسجاع عيب.

بلاغة القرآن أعلى طبقات البلاغة.

وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني، وأما الاسجاع فالمعاني تابعة لها.. وفواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة لأنها طريق إلى افهام المعاني التى يحتاج إليها فى أحسن صورة يدل بها عليها.

والفواصل على وجهين أحدهما: على الحروف المتجانسة - والآخر - على الحروف المتقاربة.

فالحروف المتجانسة كقوله تعالى: ﴿والطور وكتاب مسطور﴾.. وأما الحروف المتقاربة: كالميم مع النون فى قوله تعالى: ﴿الرحمن الرحيم مالك يوم الدين﴾.. وكالدال مع الباء فى قوله تعالى: ﴿ق، والقرآن المجيد﴾، ثم قال: (هذا شىء عجيب).

التجانس:

هو بيان لأنواع الكلام الذى يجمعه أصل واحد فى اللغة وهو على وجهين:

مزاوجة، ومناسبة، فالمزاوجة تقع فى الجزاء كقوله تعالى: **﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه﴾** أى جازوه بما يستحق على طريق العدل، إلا أنه استعير للثانى لفظ الاعتداء لتأكيد الدلالة على المساواة فى المقدار، فجاء على مزاوجة الكلام لحسن البيان.. وأمثلته كثيرة ...

والثانى من المجانس وهو المناسبه: وهى تدور فى فنون المعانى التى ترجع إلى أصل واحد فمن ذلك قوله تعالى: **﴿ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم﴾** فجونس بالانصراف عن الذكر صرف القلب عن الخير والأصل فيه واحد وهو الذهاب عن الشىء أما هم فذهبوا عن الذكر فى قلوبهم فذهب عنها الخير. الى غير ذلك من وجوه البلاغة التى تقدم ذكرها وتعرضنا لبعضها ببعض التوضيح أمثلة على بلاغة القرآن وحسن أسلوبه ونظمه ودلالة ألفاظه.

■ ولعل فيما ذكرناه الكفاية فى الدلالة على اعجاز القرآن البيانى وعلى أنه كلام الله المنزل على رسوله محمد ﴿ﷺ﴾ وفى ذلك أكبر دليل وأعظم برهان على صدق النبوة طالما أن هذه المعجزة الباقية تتحدى الثقلين الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ولن يأتوا بمثله وأن مصدر التشريع هو من عند الله الذى أنزله قرآنا يتلى ليكون للعالمين بشيرا ونذيرا وهاديا إلى الحق ودستور حياة ونظام حكم.

● وقد ذكر الباقلانى فى كتابه اعجاز القرآن عن بديع نظمه «أنه بديع النظم عجيب التأليف، متناه في البلاغة الى الحد الذى يعلم عجز الخلق عنه» فهل آن لهذه الأمة إبتداء أن ترجع إلى كتاب ربها وسنة نبيها فتحتكم إليهما ففى ذلك الخير كل الخير والسعادة كل السعادة والعدل كل العدل والمساواة كل المساواة وتحقيق الكرامة الانسانية والحرية الحقيقية والفوز بالدارين فى الآخرة والأولى قال الله تعالى ﴿وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون﴾. وقال تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما﴾. وقال تعالى: ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب﴾.

■ ثم تدعو الأمم الاخرى الكافرة إلى منهاج الله وشرع الله ايماناً به وتطبيقا بعد أن يصبحوا النموذج الذى يحتذى به ويقتدى به لأنه والله لن ينقذ البشرية كلها والأمة الاسلامية والعربية شيء إلا الرجوع إلى هدى ربها وبهذا تتحقق السعادة الحقيقية باذن الله تعالى والله أسأل أن يوفقنا جميعاً للعمل بكتابه وإتباع سنة نبيه محمد ﴿ﷺ﴾ وأن يميتنا على ذلك غير مفتونين إنه على ما يشاء قدير.

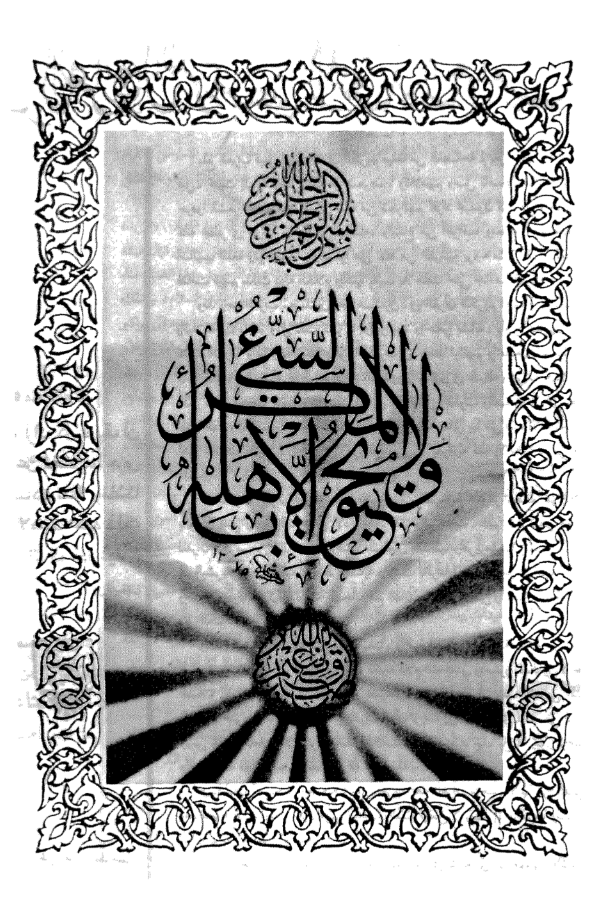
من تدبر بعض آيات الكتاب العزيز علم أن جوهره أصفى من الابريز وأنه المعجز الجامع للمعانى الجمة فى اللفظ الوجيز

الهوامش

(١) الظلال: ١: ٤٨.
(٢، ٣) البيان فى اعجاز القرآن ـ د. صلاح عبد الفتاح الخالدي ص٢٣، ٣٢.
(٤) المصدر نفسه. وينظر اعجاز القرآن للرافعى، ص١٣٩.
(٥) البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن ـ كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكانى ـ المتوفى سنة ٦٥١هـ.
(٦) نهاية الايجاز فى دراية الاعجاز ـ فخر الدين الرازى (محمد بن عمر) المتوفى ٦٠٦هـ ـ دار الفكر ـ عمان.

المصادر

١ ـ شرح الشفا ـ للقاضى عياض.
٢ ـ اعجازالقرآن ـ للبا قلانى.
٣ ـ تلخيص البيان فى مجازات القرآن ـ للشريف الرضى.
٤ ـ البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن ـ كمال الدين الزملكانى.
٥ ـ ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن ـ للرمانى ـ والخطابى ـ والجرجاني.
٦ ـ نهاية الايجاز فى دراية الاعجاز ـ فخر الدين الرازى.
٧ ـ بلاغة القرآن الكريم ـ محمد الخضر حسين.
٨ ـ المعجزة الكبرى القرآن ـ محمد أبو زهرة.
٩ ـ جواهر التفسير ـ أحمد بن حمد الخليلى.
١٠ ـ النبأ العظيم ـ د. عبد الله دراز.
١١ ـ المعجزة الخالدة ـ د. حسن عتر.
١٢ ـ القرآن والصور البيانية ـ د. عبد القادر حسين.
١٣ ـ نظرية اعجاز القرآن عند عبد القاهر الجرجاني ـ محمد حنيف فقيهى.
١٤ ـ مناهل العرفان ـ محمد عبد العظيم الزرقانى.
١٥ ـ البيان فى اعجاز القرآن ـ د. صلاح عبد الفتاح الخالدي.


بسم الله الرحمن الرحيم

أثر القرآن الكريم على اللغة العربية

بلغ العرب قبيل نزول القرآن الكريم مبلغاً من الفصاحة لم يعرف فى تاريخهم من قبل، حيث إن ما وصل إلينا من شعرهم، وكلامهم وصل ناضجاً ومكتملا، فقد جودوا الشعر وافتنوا فيه، وتوافى عليه من شعرائهم أفراد مجيدون كان كل واحد منهم كأنه عصر فى تاريخه بما زاد من محاسنه، وابتدع من أغراضه ومعانيه. ثم تفننوا في أساليب اللغة وتراكيبها، واجتمعوا على نمط من القرشية يرونه مثالا لكمال الفطرة، فقامت فيهم بذلك دولة الكلام ولكنها بقيت بلا ملك حتى جاءهم القرآن(١).

وقد وجد العرب ـ مسلمين وغير مسلمين ـ فى القرآن الكريم القمة فى الفصاحة والبلاغة والابانة، وكل ذلك كان مما أولعوا به، واحتفوا بشأنه، وأولوه عنايتهم، ولما كانت الرواية والمشافهة نمطاً سلوكيا للعرب فى حفظ تراثهم وأمجادهم القومية فقد كانوا بذلك أمة مهيأة لحفظ القرآن فى الصدور والتدقيق فى ضبطه وتجويده حيث كان مدار تلقيه وحفظه وتعلمه على المشافهة فى الحفظ فى القلوب والصدور لا على حفظ المصاحف والكتب. وهذه أشرف خصيصة من الله تعالى بها على هذه الأمة بخلاف أهل الكتاب الذين لا يحفظونه إلا في الكتب، ولا يقرءونه كله إلا نظراً لا عن ظهر قلب(٢).

(... لو أراد كل فريق أن يزول عن لغته وما جرى عليه اعتياده طفلا وناشئا وكهلا لاشتد عليه ذلك وعظمت المحنة فيه..)

(ابن قتيبة).

لذلك كان القرآن الكريم هو النص العربى الصحيح المتواتر المجمع على تلاوته بالطرق التى وصل إلينا بها فى الأداء والحركات والسكنات، فلم يتوفر لنص ما توفر للقرآن الكريم من تواتر رواياته وعناية المسلمين بضبطها وتحريرها متنا وسندا(٣). بل إن البشرية لم تعرف كتاباً أحيط بالعناية واكتنف بالرعاية فحوفظ على تراكيبه وكلماته وحروفه وحركاته وكيفية ترتيله بلهجاته مع اتقان متنها فى التلقن والتلقين، ودقة بالغة مثل الكتاب العزيز(٤).



ولقد اكتسبت العربية تشريفاً عظيماً، وأهمية قصوى، ومكانة سامية بين لغات البشر بسبب نزول القرآن الكريم بها، لكونه كلام الله تعالى ودستور المسلمين لا تجوز الصلاة إلا بقراءة آياته. وقد أجمع المسلمون على أن القرآن بنصه العربى المنزل المحفوظ حتى يومنا هذا هو وحده القرآن، وأن ترجمته إلى لغة أخرى لا تسمى قرآناً، وليس لها أحكامه، فلا تكون مصدرا للاستنباط ولا يتعبد بها، بل لا يجوز ترجمته، ولكن ترجمة معانيه بحيث تعد الترجمة تفسيرا له باللغة الأجنبية(٥).

وبذلك أصبحت معرفة اللغة العربية لغة القرآن واجباً، لأنها من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض لا يفهم إلا بالعربية ومالا يتم الواجب إلا به فهو واجب(٦).

وقد بين على بن أبى طالب كرم الله وجهه ذلك فى كتابه الى أبى موسى الأشعرى حيث قال (أما بعد، فتفقهوا فى العربية وأعربوا القرآن فإنه عربى، وتعلموا العربية فإنها من دينكم)(٧).

د. على محمد يوسف جميل
جامعة الملك عبد العزيز
كلية التربية بالمدينة المنورة

■ وبنـاء على هذا الاسـاس حرص المسلمون على تعلم القرآن بنصه العربى حفظاً وفهمـاً، وأكثروا من تلاوته تعبداً بحروفه التى اندفعوا إلى تعلمها فكان ذلك عاملا هاما فى تقوية هذه الصلة بين الاسلام واللغة العربية.

أخرج البيهقى من حديث إبن عمر مرفوعا (من قرأ القرآن فأعربه كان له بكل حرف عشرون حسنة، ومن قرأه بغير إعراب كان له بكل حرف عشر حسنات)(٨)

وأخرج من حديث أبى هريرة (أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه)(٩). قال الامام السيوطى: المراد بإعرابه معرفة معاني ألفاظه، وليس المراد به الاعراب المصطلح عليه عند النحاة، وهو ما يقابل اللحن، لأن القراءة مع فقده ليست قراءة ولا ثواب فيها(١٠).

■ وحرص المسلمون على ضبط النص القرآنى وتجويده، إذ لابد للقارئ أن يجود القرآن، وتجويده إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها، ورد الحرف الى مخرجه وأصله، وتلطيف النطق به على كمال هيئته من غير إسراف ولا تعسف، ولا إفراط ولا تكلف(١١). وقد حدث هذا التجويد وهذا الضبط منذ نزول القـرآن كما تعلمـوه من النبى ﴿ﷺ﴾، وكما تلقاه هو من جبريل عليه السلام، وبذلك نستطيع أن نقول إن العربية قد عرفت دراسة الأصوات اللغوية منذ تاريخ مبكر يعود إلى بواكير عهدها بنزول القرآن الكريم، وفى ذلك رد على اللغويين الذين ينسبون كثيرا من النظريات فى علم الاصوات توصلوا اليها فى القرن الماضى إلى علمائهم من أمثال (دانيال جونز) وغيره ظانين بذلك أنهم سبقوا فى هذا الميدان ولولا ضيق المجال لأشرنا إلى كثير من نظرياتهم ورددناها الى منشأها الى الخليل وسيبويه وابن جنى ومن إليهم. والذى يهمنا هنا هو أن العرب من خلال اهتمامهم بتجـويد القرآن درسوا الأصوات فعرفوا الجهر والهمس، والشدة والرخاوة، والمماثلة والمخالفة، وعرفوا النبر وتنغيم الكلام، وعرفوا مخارج الحروف، ودرسوا التنوعات الصوتية للحرف الواحد بمجاورة الأصوات المختلفة فتكلموا عن الاظهار والاخفاء والاقلاب والادغام وما اليها(١٢).

■ ومن أثـر القرآن على العربية وفضله عليها أنه حد من التوسع اللهجى، وجمع العرب على الفصحى، فقد كان الاختلاف بين لهجات العرب يبدو واضحاً بين القبائل ولا سيما المتباعدة كتلك التى تسكن شمال الجزيرة وتلك التى تسكن الجنوب.

وقد ذكر الباحثون أن الخلاف بين العدنانية فى الحجاز والقحطانية فى اليمن كان عظيما، فقد كانوا يختلفون فى المفردات والتراكيب حتى قال أبوعمرو بن العلاء: «ما لسان حمير وأقاصى اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا»(١٣). وقال ابن جنى «لسنا نشك في بعد لغة حمير ونحوها عن لغة ابنى نزار. دخلت يومـاً على أبى رحمه الله تعالى، فقال لى: أين أنت؟ أنا أطلبك. قلت: وماذاك؟ قال فما تقول فيما جاء عنهم (العرب) من (حَوْرَيْتُ)؟ فخضنا معاً فلم نحل بطائل منه، فقال: هو لغة اليمن ومخالف للغة ابنى نزار فلا ينكر أن يجيء مخالفاً لأمثلتهم»(١٤).

■ وقـد حد القـرآن الكريم من هذا الوجود اللهجى، فأصبحت كل اللهجات تتجه إلى أن تنضـوي فى كنف القرآن الكريم، وكل قبيلة تجعل غايتها أن تصطنع لغة القرآن الكريم وأن تتمثلها فى خطابها.

ولا يعنى هذا الكلام أن القرآن أبطل اللهجات الأخرى بل إن العلماء والمفسرين وأئمة اللغة مجمعون على الاعتراف بأن غير لغة قريش موجودة فى جميع القراءات، فالقرآن الكريم كما فيه من لهجة قريش فيه من لهجة غيرها من القبائل العربية. يوضح هذا ما روي عن عمر بن الخطاب من أنه قال على المنبر بعد أن تلا قوله تعالى ﴿أو يأخذهم على تخوف﴾(١٥): ما تقولون فيها؟ فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال: هذه لغتنا: التخوف التنقص(١٦).

■ وقد أحصى الدكتور علم الدين الجندى أسماء اللهجات التى وردت فى تفسير البحر المحيط

القران بنزوله على العرب ولكونهم مأمورين بحفظه وتلاوته وفهمه واستنباط الشرائع والاحكام منه أفاد العربية بأن قدم لها ثروة لغوية ضخمة، وجعل الدارسين من اللغويين، والمفسرين، والمهتمين بعلوم القران، يعكفون على دراسة ألفاظه، وأصواته، واشتقاقاته وتصاريفه، وتراكيب جمله ودلالاتها، وتحت كل من هذه الجوانب نشأ علم أو أكثر من علوم العربية.

لأبى حيان بأجزائه الثمانية فوجد أنه ذكر أربعاً وستين قبيلة(١٧).
ولقد جاءت لغة القرآن الكريم على وجه يستطيع العرب أن يقرءوه بلحونهم وإن اختلفت وتناقضت، ثم بقى مع ذلك على فصاحته وخلوصه لأن هذه الفصاحة باقية فيه فى وضعه التركيبى والائتلافى، وذلك سنن لغوى استدرج به العرب إلى الاجماع على منطق واحد ليكونوا أمة واحدة كما حدث بعد ذلك، فجرت لغة القرآن على أحرف مختلفة فى منطق الكلام: كتحقيق الهمز وتسهيله، والمد والقصر، والفتح والامالة وما بينهما، والاظهار والادغام، وضم الهاء وكسرها فى «عليهم» و«إليهم» وإلحاق الواو فيهما وفى لفظتى «منهم وعنهم» وإلحاق الياء فى «إليه» و«عليه» و«فيه» فكان أهل كل لحن يقرءونه بلحنهم(١٨) فالهذلى يقرأ «عتّى حين» يريد: «حتى حين» والأسدى يقرأ «تِعلمون» و«تِعلم» و«تِسود وجوه» و«ألم إعهد» بكسر حرف المضارعة فيها جميعاً، والتميمى يهمز والقرشى لا يهمز إلى آخر ذلك مما أبيح قراءته تيسيراً على العرب وجمعاً لكلمتهم. قال ابن قتيبة: ولو أراد كل فريق أن يزول عن لغته وما جرى عليه اعتياده طفلا وناشئا وكهلا لاشتد عليه ذلك وعظمت المحنة فيه(١٩).
ويتفق ذلك مع ما رواه ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال **(أقرأنى جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل استزيده ويزيدنى حتى انتهى إلى سبعة أحرف)**(٢٠).
وبذلك وجدت قبائل العرب بعض خصائص لهجاتها متمثله فى القرآن الكريم، فجمعهم القرآن بذلك ووقف نمو هذه اللهجات المختلفة وتوسعها وصيرورتها لغات متفرقة مستقلة كما تشهد بذلك قوانين اللغة.

إ ن أقدم نص يرجع إ ليه فى الشعر الانجليزى يرجع تاريخه الى القرن الرابع عشر الميلادى ولا يكاد أحد يتداوله اليوم، فى حين ان النص الشعري الجاهلي نقرأه اليوم والاجيال التالية فى سهولة ويسر.

■ لقد نزل القرآن الكريم بلغة العرب وعلى سنن كلامهم فألفاظه عربية وتراكيبه عربية وأساليبه عربية، وهذا أمر طبيعى لأنه نزل على النبى العربى ﴿ﷺ﴾ لينذر به قومه وهم عرب فلابد أن يكون بلغة يفهمونها قال جل ثناؤه: **﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾**(٢١) وقال تعالى: **﴿قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون﴾**(٢٢) ومع هذا فلم يكن الصحابة وهم العرب الخلص يتساوون فى إدراكهم للقرآن وفهمهم له إجمالا وتفصيلا بمجرد أن يسمعوه، لأن نزوله بلغة العرب لا يقتضي أن كل أحد من العرب يفهم كل القرآن فى مفرداته وتراكيبه، بل كانوا يتفاوتون فى ذلك، كما لم يدع أحد أن كل فرد فى كل أمة يعرف جميع ألفاظ لغتها. . عن أنس بن مالك أن رجلا سأل عمر بن الخطاب عن قوله تعالى: **﴿وفاكهة وأبا﴾**(٢٣) ما الأب؟ فقال عمر: نهينا عن التكلف والتعمق(٢٤).
غير أن القرآن بنزوله على العرب ولكونهم مأمورين بحفظه وتلاوته وفهمه واستنباط الشرائع والاحكام منه أفاد العربية بأن قدم لها ثروة لغوية ضخمة، وجعل الدارسين من اللغويين، والمفسرين، والمهتمين بعلوم القرآن، يعكفون على دراسة ألفاظه، وأصواته، واشتقاقاته وتصاريفه، وتراكيب جمله ودلالاتها، وتحت كل من هذه الجوانب نشأ علم أو أكثر من علوم العربية، ونما وازدهر وترعرع فى ظل لغة القرآن، ومن أجل فهم القرآن، فنشأت دراسة الأصوات والتصريف، والمعاجم، والنحو، والتفسير وتوصلوا إلى تقعيد ما يتوصل به إلى المعنى من تضافر مختلف مستويات الدرس اللغوى مع المقام أو أسباب النزول.
■ وقد بعث القرآن الكريم فى كثير من ألفاظ العربية حياة ونشاطاً وأشربها مفاهيم ثقافية وفكرية وعلمية، وفى القرآن الكريم آيات كثيرة لا يكفى فى تفهمها معرفة ألفاظ اللغة وأساليبها مثل **﴿والعاديات ضبحا﴾**(٢٥) و**﴿والفجر وليال عشر﴾**(٢٦) وما المراد بليلة القدر؟ إلى كثير من أمثال ذلك، وفيه إشارات إلى أشياء كثيرة فى التوراة والانجيل ليس يكفى فى فهمها معرفة اللغة.
■ وقد تشربت كثير من الألفاظ العربية معانى أخرى ومفاهيم جديدة اكتسبتها بالاستعمال

القرآنى نحو: الظلم والكفر والايمان والصلاة والزكاة والحج والسوء والفتنة والرحمة والروح والبروج وآسفونا إلى غير ذلك من الالفاظ وقد أشار الامام السيوطى إلى أنه ممن أفرد غريب القرآن بالتأليف خلائق لا يحصون منهم: أبو عبيدة، وأبو عمر الزاهد، وابن دريد، والراغب الاصفهانى، وغيرهم كثير(٢٧).

■ وقد كان من المظان التى اتجه صوبها أئمة اللغة والمفسرون يبحثون فيها عن معاني بعض ألفاظ القرآن الكريم دواوين الشعر العربى، فقد جاء عن الصحابة والتابعين كثيراً الاحتجاج على غريب القرآن ومشكله بالشعر، فالشعر عربى والقرآن عربى قال تعالى: **﴿إنا جعلناه قرآناً عربيا﴾**(٢٨) وقال **﴿بلسان عربى مبين﴾**(٢٩). وقال ابن عباس: الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذى أنزله الله بلغة العرب رجعنا الى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه. وقال أيضا: إذا سألتمونى عن غريب القرآن فالتمسوه فى الشعر فإن الشعر ديوان العرب. وقد كان ابن عباس نفسه ذا قدرة فائقة على حفظ الشعر والاستدلال به على معانى مفردات القرآن، ولعل فى إجاباته على مسائل نافع بن الأزرق دليلا قوياً على شدة تمكنه من حفظ أشعار العرب والاستشهاد بها، واستنباط المعانى منها(٣٠).

■ وبدافع من البحث عن تأصيل ألفاظ القرآن الكريم «البحث عن أصولها» اهتموا بالشعر واحتفوا به، وحفلوا بحفظه، وعلموه أبناءهم وتناقلوه جيلا عن جيل حتى إننا نقرأ اليوم شعر امرىء القيس ولبيد وزهير وأضرابهم ونفهم شعرهم ونعرف مؤدى ألفاظه وتراكيبه ومعانيه، وفى ذلك خالف الشعر العربى آداب كل لغات العالم الحية الآن التى لا نكاد نجد فيها مثل هذا التواصل اللغوى عبر اللغة المستمرة عبر هذه القرون المتطاولة.

القران الكريم بعث فى كثير من ألفاظ اللغة العربية حياة ونشاطا وأشربها مفاهيم ثقافية وفكرية وعلمية جديدة.

سألت مرة أحد إخواننا الذين يقومون بتدريس الأدب الانجليزى فى الجامعة عما إذا كان من الممكن أن نجد فى الانجليزية شعراً يرجع إلى ألف وأربعمائة عام وقد بقى متداولا ومفهوماً بين الناطقين باللغة، فذكر لى أن أقدم ما يضعون عليه أيديهم الآن هو شعر (Chaucer) الذى يرجع إلى القرن الرابع عشر الميلادى ولا يكاد أحد يتداوله اليوم.

ولكن بفضل القرآن ونزوله بالعربية، وحرص المسلمين على الابقاء على تراث العربية بقى الشعر العربى كل هذه القرون الطويلة.

ولما اتسعت دائرة الناطقين بالعربية باتساع الفتح الاسلامي ودخول غير العرب فى الاسلام ومخالطتهم للعرب فى المجتمع ظهر اللحن فى اللغة، فخشى الحادبون على أمر الأمة من فشو اللحن فيها، فشمروا عن ساعد الجد لوضع ضوابط وقواعد تحفظ ألسنتهم وتصون نطقهم، وهكذا بدأت الفكرة الأولى للدراسة النحوية فى البصرة، خوفاً على القرآن الكريم، وحرصاً على سلامته من تسرب اللحن إليه فوضعوا قواعد وقوانين يمكن تطبيقها على الأساليب اللغوية المختلفة.

■ وقد بدأت هذه الدراسة النحوية جادة حيث إنها استطاعت فى فترة لا تتجاوز مائة عام ـ من وفاة أبى الأسود الدؤلى (٦٧هـ) إلى وفاة سيبويه (١٧٧هـ) ـ أن تقيم علماً عربيا ناضجا مقنناً، له ضوابطه وأبوابه الكثيرة المتفرعة، يتبدى ذلك فى كتاب سيبويه الذى تركه دالا على ما كان للعقلية العربية من دقة فى الملاحظة، وحرص على حفظ اللغة العربية متمثلة فى القرآن الكريم والسنة النبوية والتراث العربى(٣١).

■ وقد بلغوا الغاية فى ذلك إلى حد أن الواحد منهم كان يؤلف فى الجزئية الصغيرة المجلدات الضخام مثلما فعل ابن الانبارى حيث ألف فى بيان الضمائر الواقعة فى القرآن الكريم مجلدين(٣٢)

بل إن الهروى ألف كتابا فى اللامات فى القرآن الكريم ـ ويذكر السيوطى فى الاتقان أن منهم من عد حروف القرآن الكريم(٣٣).

لما نظر العرب فى القرآن الكريم وقرأوه وتأملوه وجدوه عربياً فى ألفاظه وتراكيبه وأساليبه، غير أن ثمة شيئا وجدوه فى القرآن لم يجدوا له مثيلا فى كلام البشر، ذلك أنهم وجدوا فيه سحراً وأخذاً بمجامع القلوب لم يجدوهما فى كلامهم، فانبرت طائفة منهم تدرس وجوه الكلام البلاغية، فوجدوا فيه التشبيه والكناية، والتقديم والتأخير، والفصل والوصل، والايجاز والاطناب، ووجدوا فيه الالتفات واللف والنشر، والطباق والمقابلة وما إليها فانكبوا عليها يدرسونها، بل جعلوا درسها واجباً على المسلمين إلى حد أننا نجد رجلا مثل الشيخ عبد القاهر الجرجانى (ت٤٧٦هـ) يقول بعد أن أشار إلى أبواب البلاغة المختلفة إنه إذا لم يكن فى الكلام غير ما تضمنته أبواب البلاغة المشار اليها فكيف نتهاون فى تحصيلها فيكون فى ذلك خيانة للعقل والدين فنجهل بسبب هذا التهاون بم عظم التفاوت واشتد التباين بين القرآن وغيره من الكلام وترقى الأمر فى القرآن إلى الاعجاز. وبهذا الدافع بفضل القرآن الكريم نشأت علوم البلاغة وتطورت وازدهرت وأمدها النص القرآنى بفيض من الأمثلة السامية الراقية ارتفعت بفضلها البلاغة العربية مكاناً علياً.

ولما لم نكن فى مقالنا هذا فى مقام من يؤرخ لنشأة علوم العربية فإننا نلخص القول فى هذا المقام بأن القرآن الكريم غرس فى نفوس المسلمين من العرب والمستعربين حب العربية والحرص على صيانتها من التحريف والضياع والاستغلاق على الفهوم والانبهام عليها، وحافظوا على أصواتها ومفرداتها وتراكيبها ودلالاتها، ولولا هذا الشعور الفياض تجاه لغة القرآن لكان شأنها اليوم غير شأنها بالأمس تماماً، ولذهب الكثير من ألفاظها وتراثها وليس شيء أدل على ذلك مما حكاه أبو عمرو بن العلاء أحد أئمة اللغة، وأحد قراء القرآن المشاهير حيث نقل عنه قوله (ما انتهى اليكم مما قالت العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير)(٣٤).

وما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافرا لجاء كم علم وشعر كثير.

وأقبل المسلمون على القرآن الكريم يقتبسون منه فيضمنون شعرهم أو نثرهم بعض القرآن الكريم، لا على أنه منه وذلك بأن يقال فيه: قال الله تعالى ونحوه فإن ذلك لا يكون اقتباساً، ولسنا هنا فى مجال بيان حكم الاقتباس إلا أن الأرجح أنه جائز لوروده فى كلام النبى ﴿ﷺ﴾ فى الصلاة وغيرها (وجهت وجهى .... الخ) وقوله (اللهم فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا اقض عنى الدين وأغننى من الفقر). وذلك كله يدل على جوازه فى مقام المواعظ والدعاء والثناء وفى النثر، ولا دلالة على جوازه فى الشعر، وبينهما فرق(٣٥).

وبفضل تلك القيمة العظيمة والمنزلة الرفيعة التى رفع إليها القرآن اللغة العربية تبارى العلماء عرباً وغير عرب، مسلمين وغير مسلمين فى دراستها وإتقانها وإجادتها وصوغ كتاباتهم فى مختلف الفنون والمعارف والعلوم بها، حتى لقد أصبحت العربية فى النصف الثانى من القرن الثامن للميلاد لغة العلم عند الخواص فى العالم، وصارت حاملة علم التقدم الصحيح، وحافظت على تفوقها وتصدرها فى المرتبة الأولى بين جميع الألسن الأخرى إلى آخر القرن الحادى عشر للميلاد، حتى لقد كان يجب على من أراد أن يلم بثقافة عصره، وبأحدث صورها أن يتعلم اللغة العربية(٣٦).

ويتصل بازدهار اللغة العربية وانتشارها الخط العربى الذى أخذ شأنه فى الازدياد منذ ظهور الاسلام إذ صار انتشار الخط العربى مصاحباً لانتشار اللغة العربية، بل زاد عليها حين صار يكتب به لغات غير العربية مثل الفارسية والتركية، والأردية.

كما احتل الخط العربى مكان الصدارة بين الفنون الاسلامية الأخرى وصار أحد العناصر الزخرفية الأساسية فيها فى جميع العصور والأقطار، ومن ثم ظهرت بصمته على التراث الاسلامى

بشتى مظاهره(٣٧).

■ ومهما يكن من أمر فإن نزول القرآن الكريم باللغة العربية رفعها إلى مكانة سامية رفيعة، وإذا كان سليمان عليه السلام قد قال: (**رب اغفر لى وهب لى ملكاً لا ينبغى لأحد من بعدى**)(٣٨) فإن العربية أوتيت بفضل إنزال الله القرآن بها ملكاً على سائر لغات الدنيا لا ينبغى للغة من قبلها ولا من بعدها. وظلت وستظل بمشيئة الله حية متقدة مشعة باقية ما بقى القرآن يتلى بها مصداقاً لقوله جل ثناؤه: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾(٣٩).

الهوامش

(١) مصطفى صادق الرافعى، اعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص١٥٧.
(٢) ابن الجزرى: النشر فى القراءات العشر ج١ ص٦.
(٣) سعيد الافغانى: فى أصول النحو ص٢٥.
(٤) د. أحمد علم الدين الجندى: اللهجات العربية فى التراث ج١ ص١٠٤
(٥) جلال الدين السيوطى: الاتقان فى علوم القرآن ج١ ص١٤٣، أنور الجندى: الفصحى لغة القرآن ص٤٣.
(٦، ٧) أنور الجندى: الفصحى لغة القرآن ص٥٧.
(٨) رواه البيهقى فى شعب الايمان عن ابن عمر.
(٩) أخرجه الحاكم فى المستدرك (٢/٤٣٩) وقال صحيح الاسناد ووافقه الذهبى.
(١٠، ١١) جلال الدين السيوطى: الاتقان ج/ ص١٤٩، ص١٣٢.
(١٢) انظر فى ذلك على سبيل المثال سيبويه ج٢ ص٤٠٤ (ط بولاق).
(١٣) ابن سلام الجمحى: طبقات الشعراء ص٨، أحمد أمين: ضحى الاسلام ج٢ ص٢٤٤، د. عبد الحميد السيد طلب: تاريخ النحو وأصوله ص١١.
(١٤) ابن جنى: الخصائص ج١ ص٣٢٩.
(١٥) من الآية ٤٧ سورة النحل.
(١٦) الزمخشرى: الكشاف ج٢ ص٦٠٨-٦٠٩، علم الدين الجندى: اللهجات العربية فى التراث ج١ ص١٠٧، وانظر فى ذلك أيضا الاتقان فى علوم القرآن ج١ ص١٧٥-١٧٨.
(١٧) أحمد علم الدين الجندى: اللهجات العربية فى التراث ج١ ص١٠٧.
(١٨) مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص٦٤، ٦٥.
(١٩) ابن الجزرى: النشر فى القراءات العشر ج١ ص٢٣.
(٢٠) ابن حجر العسقلانى: فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج٩ ص١٩، وانظر النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ج١ ص٢٢.
(٢١) الآية ٤ سورة ابراهيم.
(٢٢) الآية ٢٨ سورة الزمر.
(٢٣) الآية ٣١ سورة عبس.
(٢٤) أحمد أمين: فجر الاسلام ص١٩٦، وانظر الكشاف للزمخشرى ج٤ ص٧٠٤/٧٠٥
(٢٥) الآية ١ سورة العاديات.
(٢٦) الآيتان ١ و٢ سورة الفجر.
(٢٧) السيوطى: الاتقان فى علوم القرآن ج١ ص١٤٩/١٥٠.
(٢٨) الآية ٣ سورة الزخرف.
(٢٩) الآية ١٩٥ سورة الشعراء.
(٣٠) انظر فى ذلك جلال الدين السيوطى: الاتقان ج١ ص١٥٧-١٧٥.
(٣١) د. عبد الحميد السيد طلب: تاريخ النحو وأصوله ص١٦.
(٣٢، ٣٣) الامام السيوطى: الاتقان ج١ ص٢٤٤.
(٣٤) السيوطى: الاقتراح فى أصول النحو ص٢٣، علم الدين الجندى: اللهجات العربية فى التراث ج١ ص١٨١.
(٣٥) أبو منصور الثعالبى: الاقتباس من القرآن الكريم، تحقيق د. ابتسام مرهون الصفار ص٧٣، وانظر الاتقان للسيوطى ج١ ص١٤٧.
(٣٦) محمد كرد على: الاسلام والحضارة العربية ج١ ص١٧٩-١٨٢، د. عبد الله الدفاع: لمحات من تاريخ الحضارة العربية والاسلامية ص٢٦.
(٣٧) د. حسن الباشا: دراسات فى الحضارة الاسلامية ص(١١-١٢).
(٣٨) الآيـة ٣٥ سورة ص.
(٣٩) الآيـة ٩ سورة الحجر.



دراسات لغوية وبيانية

من الظواهر النَّحوية في القرآن الكريم

د. أحمد محمد قاسم
مستشار اللغة العربية
بوكالة الرئاسة العامة
لكليات البنات

■ لقد كانت اللغة العربية منذ نشأتها عزيزة على أهلها، محببة إليهم، مفضلة لديهم، أثيرة عندهم، فهى دائما محل عنايتهم، وموضع رعايتهم، وهى أداة فعالة من أدوات تفاخرهم، وكان المتفوق فيها موضع التقدير، ومحل التكريم والتعظيم، وتشهد بذلك المعلقات والأسواق.

ثم أكرم الله تعالى هذه اللغة بنزول القرآن الكريم بها، فقوى منزلتها ودعم مكانتها، وزادها رفعة وعزة، وأصبحت هى اللغة الأولى لجميع المسلمين، لأنها لغة الكتاب المبين، ولأنها أيضا من الأدلة الواضحة على إعجاز القرآن الكريم.

ولقد كان العرب حريصين على لغتهم، وسلامة ألسنتهم، وكانوا لا يلحنون بفطرتهم، ولا يخطئون بسجيتهم، إلى أن جاء الاسلام وأظهره الله على سائر الأديان، فدخل الناس فيه أفواجا، واجتمع فى ظلاله أصحاب اللغات المختلفة، والألسنة المتعددة، والأجناس المتفرقة، وحدث الاختلاط والامتزاج والتلاحم، والتزاوج بين العرب وغيرهم، وكان ذلك نذيرا بدخول اللحن فى كلام العرب.

● قال ابو الطيب: «(١) واعلم أن أول ما اختل من كلام العرب وأحوج إلى التعلم الاعراب، لأن اللحن ظهر فى كلام الموالى والمتعربين، من عهد النبى ﴿ﷺ﴾».

كذلك قال أبو بكر رضى الله عنه: «لأن أقرأ فأسقط أحب لى من أن أقرأ فألحن»(٢).

وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه مر على قوم يسيئون الرمى فقرعهم ولامهم على إساءتهم الرمى فقالوا: «إنا قوم متعلمين» فأعرض مغضبا وقال: «والله لخطؤكم فى لسانكم أشد من خطئكم فى رميكم»(٣).

وكذلك روى أن كاتبا لأبى موسى الأشعرى كتب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه خطابا فقال: «من أبو موسى الأشعرى الى عمر» فكتب عمر لأبى موسى قائلا: «أما بعد فاضرب كاتبك سوطا واحدا»(٤).

● وقال ابن قتيبة: سمع أعرابى مؤذنا يقول: أشهد أن محمدا رسول الله ـ بنصب رسول ـ فقال ويحك يفعل ماذا؟!!(٥).

وإذا كانت هذه الأخطاء وغيرها تعتبر سببا من أسباب التفكير فى وضع علم النحو، فإن السبب المباشر لوضع هذا العلم هو اللحن فى القرآن الكريم.

● قال ابو البركات الأنبارى: «(٦) إن سبب وضع على رضى الله عنه لهذا العلم، أنه سمع أعرابيا يقرأ: «لا يأكله إلا الخاطئين»(٧) فوضع النحو.

ويروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، هو الذى أمر بوضع علم النحو، لأنه علم بأن أعرابيا سمع رجلا يقرأ: «أن الله برىء من المشركين ورسوله»(٨) بكسر اللام فى كلمة رسوله، فقال الأعرابى: أو قد برىء الله من رسوله؟!! إن يكن برىء من رسوله، فأنا أبرأ منه!!

فدعاه عمر وقال له: أتبرأ من رسول الله؟!!

فحكى الأعرابى ما سمع من الرجل، فصحح عمر له الآية وقرأها برفع اللام فى رسوله، فقال الأعرابى على الفور: وأنا والله أبرأ ممن برىء الله ورسوله منه . . ثم أمر عمر أبا الأسود بأن يضع علم النحو.

وقيل إن الذى أمر بوضع علم النحو هو زياد بن أبيه(٩) والى البصرة، لأنه جاءه رجل فقال: أصلح الله الأمير، توفى أبانا!! وترك بنون!! فتعجب زياد وقال: توفى أبانا وترك بنون؟!! . . ثم قال: احضروا إلىَّ أبا الأسود، فلما جاءه طلب منه أن يضع علم النحو، فتردد أبو الأسود فى إجابته وتلبية طلبه . . فوضع زياد خطة ليجبر أبا الأسود على وضع قواعد النحو، حيث أجلس فى طريقه من اشتهر باللحن فى القرآن الكريم ليسمعه أبو الأسود، فلما سمعه استعظم ذلك وبدأ فى وضع قواعد النحو، واستهل عمله بضبط القرآن الكريم بالنقط، واستعمل فى ذلك مدادا يخالف لون المداد الذى كتبت به الآيات، واختار لمساعدته كاتبا فطنا من بنى عبد القيس، وقال له: إذا رأيتنى قد فتحت شفتى فضع نقطة فوق الحرف، وذا ضممت شفتى فضع نقطة إلى جانب الحرف، وإذا كسرت شفتى فضع نقطة تحت الحرف، وإذا كان فى الكلمة غنة ـ أى تنوين ـ فاجعل مكان النقطة نقطتين، وهكذا كانت هذه النقاط أساسا لعلامات الاعراب: الفتحة والضمة والكسرة.

(والله لخطؤكم فى لسانكم أشد من خطئكم في رميكم)
عمر بن الخطاب رضى الله عنه

وهكذا نجد أن النحو قد وضع أساسا لخدمة القرآن الكريم، والحفاظ عليه من اللحن أو التحريف.

وإذا كان القرآن الكريم ـ كما نعلم ـ هو كلام الله **﴿وإنه لكتاب عزيز، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾**(١٠) فهو مشمول برعاية الله وعنايته قال تعالى: **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾**(١١).

ولقد أراد الله تعالى أن يكون لوضع القواعد النحويه دورها فى الحفاظ على كتابه من اللحن أو التحريف.

وإذا كان النحو قد وضع فى الأصل للحفاظ على اللغة العربية وعلى كتاب الله من الخطأ أو اللحن أو التحريف، فإن كتاب الله قد حافظ على اللغة العربية، ودعم قواعدها وأمدها بالأدلة والحجج والشواهد والأسانيد والأصول النحوية الثابتة التى لا تقبل الجدل.

فلقد عرف ابن السراج علم النحو فى كتابه الأصول بأنه «علم استخرجه المتقدمون من استقراء كلام العرب».

ولقد بنى النحويون قواعدهم على عدة أصول أهمها: السماع، والقياس والاجماع، والسماع أقوى هذه الأصول النحوية، وقال عنه السيوطى(١٢): «وأعنى به ما ثبت من كلام من يوثق بفصاحته، فشمل كلام الله تعالى وهو القرآن الكريم، وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم، وكلام العرب، قبل بعثته، وفى زمنه وبعده، إلى أن فسدت الألسنة بكثرة المولدين، نظما ونثرا، عن مسلم أو كافر فهذه ثلاثة أنواع لابد فى كل منها من الثبوت».

ثم قال: أما القرآن فكلما ورد أنه قرىء به جاز الاحتجاج به فى العربية، سواء كان متواترا، أم آحادا، أم شاذا، وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة فى العربية، إذا لم تخالف

قياسا معروفا، بل لو خالفته يحتج بها فى مثل ذلك الحرف بعينه وإن لم يجز القياس عليه».
ثم قال السيوطى أيضا: وما ذكرته من الاحتجاج بالقراءة الشاذة لا أعلم فيه خلافا بين النحاة ومن ثم احتج على جواز إدخال لام الأمر على الفعل المضارع المبدوء بتاء الخطاب بقراءة «فبذلك فليفرحوا»(١٣) - وهى قراءة أبى وأنس - كما احتج على إدخال لام الأمر أيضا على الفعل المضارع المبدوء بالنون بالقراءة المتواترة: «**ولنحمل خطاياكم**»(١٤).

■ والامثلة على احتجاج النحويين واستشهادهم بالقرآن الكريم أكثر من أن تحصى ومن ذلك قولهم فى باب العطف إن الواو هى لمطلق الجمع فهى لا تفيد الترتيب أو التعقيب واستدلوا بقوله تعالى: ﴿**كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك**﴾(١٥) كذلك قالوا إن ثم تفيد الترتيب والتراخى واستشهدوا بقوله تعالى: ﴿**ثم إذا شاء أنشره**﴾(١٧).

وإذا اختلف النحاة فى رأى من الآراء أو مسألة من المسائل كان الترجيح لمن اتفق رأيه مع إحدى القراءات القرآنية.

■ فلقد رجح ابن مالك رأى الكوفيين ومعهم الأخفش ويونس بن حبيب، حين أجازوا العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الخافض، واستشهد لترجيحه بقراءة حمزة: «واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام»(١٨) وفى ذلك يقول ابن مالك:

وعـود خافض لدى عطف على
ضمـير خفض لازمـا قد جعـلا
ولـيس عنـدى لازمـا إذ قد أتـى
فى الـنظم والـنثر الـصحيـح مثبتـا

■ ولقد استشهد الأشمونى(١٩) على صحة كلام ابن مالك بالآية السابقة وقال إنها من قراءة ابن عباس والحسن ثم استدل بآية أخرى وهى قوله تعالى: ﴿**وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام**﴾(٢٠) وعلق عليها بقوله: «إذ ليس العطف على السبيل لأنه صلة المصدر، وقد عطف عليه كفر، ولا يعطف على المصدر حتى تكتمل معمولاته» أى لأن السبيل صلة المصدر ولا يعطف عليه قبل أن تكتمل معمولاته لئلا يلزم الفصل بين المصدر ومعمولاته بأجنبى(٢١).

كذلك أيد ابن مالك رأى الكوفيين فى صحة الفصل بين المتضايفين فى السعة بمنصوب المضاف - مفعولا به، أو ظرفا، أو بالقسم - ونكتفى بما استشهد به على صحة جواز الفصل بالمفعول به حيث احتج بقراءة ابن عامر: «وكذلك زُيِّنَ لكثير من المشركين قَتْلُ أولادَهم شركائهم»(٢٢) فقد فصل بين المضاف وهو قتل والمضاف إليه وهو شركاء بالمفعول وهو أولاد وقال فى ألفيته:

فصـل مضـاف شبـه فعـل ما نصـب
مفـعـولا أو ظرفـا أجـز ولم يعـب
فصـل يمـين واضـطرارا وجـدا
بأجـنبـى أو بنعـت أو نـدا

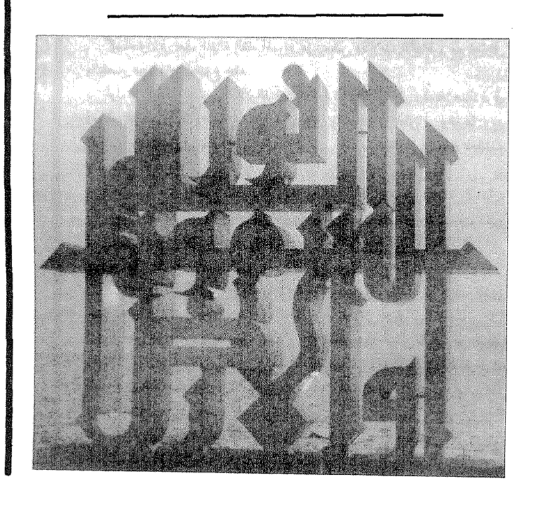
■ وهكذا نجد القرآن الكريم حصنا للغة وموئلا للاستشهاد والاستدلال ودعامة قوية للرأى السديد، ولقد اعتمد عليه النحويون فى بناء قواعدهم، لأنه لا يتطرق إليه شك فى أصالته العربية فهو قد ﴿**نزل به الروح الأمين، على قلبك لتكون من المنذرين، بلسان عربى مبين**﴾(٢٣) ولا يمكن للبشر أن يرقوا لبلاغته وفصاحته، قال تعالى: ﴿**قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا**﴾(٢٤) وصدق الله العظيم.

.. إذا كان النحو قد وضع فى الاهل للحفاظ على اللغة العربية وعلى كتاب الله من الخطأ أو اللحن أو التحريف فان كتاب الله قد حافظ على اللغة العربية ودعم قواعدها وأمدها بالادلة والحجج والشواهد والاسانيد والاصول النحوية الثاقبة.

الهوامش

(١) مراتب النحويين ونشأة النحو ص١٠ .
(٢) المرجع السابق، والمزهر للسيوطى اوائل النوع الرابع والاربعون.
(٣) معجم الادباء لياقوت ٨٢/١
(٤) المرجع السابق والخصائص ٤٠٨/١ .
(٥) عيون الأخبار ١٥٨/٢ .
(٦) مقدمة نزهة الالباء.
(٧) الآية رقم ٣٧ من سورة الحاقه.
(٨) الآية رقم ٣ من سورة التوبة .
(٩) طبقات النحويين واللغويين للزبيدى.
(١٠) الآية رقم ٤١-٤٢ من سورة فصلت.
(١١) الآية رقم ٩ من سورة الحجر.
(١٢) الاقتراح ٤٨ .
(١٣) الآية رقم ٥٨ من سورة يونس وانظر الاشمونى ٣/٤
(١٤) الآية رقم ١٢ من سورة العنكبوت.
(١٥) الآية رقم ٣ من سورة الشورى.
(١٦) الآية رقم ٢١ من سورة عبس.
(١٧) الآية رقم ٢٢ من سورة عبس
(١٨) الآية رقم ١ من سورة النساء.
(١٩) انظر شرح الاشمونى ١١٤/٣-١١٥ .
(٢٠) الآية رقم ٢١٧ من سورة البقرة.
(٢١) انظر نشأة النحو ١١٤ وشرح ابن عقيل ٨٢/٣
(٢٢) الآية رقم ١٣٧ من سورة الانعام.
(٢٣) الآيات رقم ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥ من سورة الشعراء.
(٢٤) الآية رقم ٨٨ من سورة الاسراء.





دلالات الألفاظ القرآنية

الألفاظ القرآنية تميزت بدقة اختيارها ومطابقتها للمعنى، وتمكنها في موضعها من جملتها، ولها مع صاحبتها مقام.



د. حامد صادق قنيبي

الأستاذ المساعد ـ قسم الدراسات الاسلامية والعربية
جامعة الملك فهد للبترول والمعادن ـ الظهران

تضمن القرآن الكريم دعوة الى تصور معين للخالق وللكون والحياة الانسانية، وعبر تعبيراً جميلا عن هذا التصور. وفى القرآن الكريم تلتقى الحقيقة والجمال ويتلازمان.

والألفاظ فى البيان القرآنى تتميز بدقة اختيارها ومطابقتها للمعنى، وتمكنها فى موضعها من جملتها، ولها مع صاحبتها مقام، يقول الخطابى: وإنما يقوم الكلام بهذه الاشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم. وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه فى غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً وأشد تلاؤماً وتشاكلا من نظمه. أما المعاني فلا خفاء على ذي عقل أنها هي التى تشهد لها العقول بالتقدم فى أبوابها، والترقي إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها»[1].

لقد تميزت الألفاظ القرآنية بخصائص معجزة لا تتوفر للعمل الأدبي، مهما ملك الأديب من مواهب فطرية، ونبوغ خلاق.. ولا يدرك حقيقة ذلك، إلا من تفرغ لدراسة القرآن، وحاول الوقوف على معالم إعجازه.

وسأحاول في هذه المقالة إلقاء أضواء على بعض دلالات الألفاظ، مع اعترافي بالتقصير عن إيفاء الموضوع حقه.

أول ما يلاحظه الدارس للبيان القرآنى ملاءمة الألفاظ للمعاني، فمثلا هناك فرق في الاستعمال بين لفظ **(الرياح)** و**(الريح)**، وبين **(الغيث)** و**(المطر)**.. وغيرها:

■ فالرياح تستعمل فى مقام الخير والنعمة والرحمة.. والريح تستعمل فى مقام العذاب والتخويف.

وكذلك الغيث والمطر، فالغيث لا يذكر في القرآن إلا في موطن النعمة والرحمة، والوشيجة بين (الغيث) والاغاثة التى تعني النجدة والعون وطيدة، ولذلك فإن ذكره في موطن النعمة مطابق للمعنى. على حين لا يذكر (المطر) إلا فى مقام العذاب والتخويف[2].

و(الأرض) إذا ذكرت مع (السماء) المفردة أو المجموعة فالمراد بها كوكبنا الذى نعيش عليه[3]. وقد تذكر (الأرض) ويراد بها جزء مخصوص منها، ومكان معين، كما في قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام: **﴿اجعلنى على خزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾** (يوسف/ ٥٥)، **وكقوله أيضا: ﴿كذلك مكنا ليوسف فى الأرض يتبوأ منها حيث يشاء﴾** (يوسف/ ٥٦) و(الأرض) الواردة في الآيتين السالفتى الذكر يراد بها أرضاً مخصوصة، وهي أرض مصر، وليست كل الأرض.

● وهناك فروق دقيقة فى الدلالة بين (خلق) و(جعل) و(أبدع) و(فطر) و(ألقى) رغم دلالاتها كلها على الايجاد والتكوين على غير مثال أو احتذاء، فمن ذلك قوله تعالى:

"دراسة وصفية"

﴿وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر﴾ (الانبياء/٣٣).

﴿الحمد لله فاطر السماوات والأرض﴾ (فاطر/١).

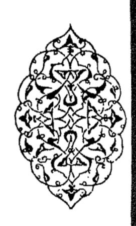
﴿ بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾ (البقرة/١١٧).

■ ويرد استعمال الفعلين (جعل) و(ألقى) مع الجبال. قال تعالى:

﴿وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً﴾ (الرعد/٣).

﴿ وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهاراً وسبلا لعلكم تهتدون﴾ (النحل/١٥).

■ وللدكتور محمد أحمد الغمراوي تعليل طريف للتفريق بين دلالة (جعل) و(ألقى) يقول فيه: الدلالة في (جعل) عامة تشمل أنواع الجبال. لكن الدلالة في (ألقى) أكثر خصوصية منها في (جعل) وقد لاحظ ذلك ابن عطية فيما ذكره (أبو حيان) عند تفسيره آية النحل. ورأى أن (ألقى) تقتضي أن الله أوجد الجبال ليس من الأرض ولكن من قدرته واختراعه.. ولكن ابن عطية لم يعرف أن الجبال أنواع مختلفة النشأة، وأن الفعل (ألقى) ينطبق تماماً على نشأة الرسوبى منها، فهي بالفعل يلقيها الحق سبحانه في الأرض، فمادتها تنقلها الأنهار وتلقيها قرب شواطىء البحار بأمره، حتى إذا تراكمت إلى الحد الذي قدره سبحانه وتماسكت بالتضاغط وبغيره، رفعتها تلك القوة جبالا شاطئية بأمره. فقد خلق الله الجبال من الأرض وخلق ثانى نوعيها ـ الجبال الرسوبية ـ الأساسيين من قدرته واختراعه، ولكنه خلقها طوراً بعد طور، كما قدر خلق الجنين في بطن أمه أطواراً[٤].



■ كذلك هناك ملحظ دقيق من فروق الدلالات عند استعمال صيغ الافعال والمشتقات ـ تصور المشاهد وتستحضر الاحداث كأنما تراها العين وتسمعها الأذن: فالأفعال المضارعة تستعمل في المواقف التى تفيد الاستمرار والتجدد في الأعمال أو تفيد استحضار الصور والمشاهد البعيدة وتقريبها. فالبيان القرآني عند وصف الأرض الزاهية بالنبات فى مقام يدل على الإنعام استعمل الفعل المضارع (تصبح) بدل الفعل الماضى (أصبح)، ليفيد بذلك استمرار النعمة وتجددها حالا بعد حال، وهي خضرة النبات وزينته. يتجلى ذلك في مثل قوله تعالى:

﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير﴾ (الحج/٦٣).

ويعدل القرآن عن اسم الفاعل الى الفعل المضارع كلما أراد الاستحضار، لأن الاسم يثبت به المعنى للشىء من غير أن يقتضي تجدده شيئاً فشيئاً[٥]، كما في قوله تعالى:

﴿إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي، ذلكم الله فأنى تؤفكون﴾ (الأنعام/٩٥).

وظاهرة الاستغناء عن ذكر الفاعل، وصرف الحدث عن محدثه، ظاهرة أسلوبية تكثر فى مشاهد الآخرة، حيث يجيء الفعل مبنيا للمجهول، كقوله تعالى:[٦].

﴿إذا الشمس كورت. وإذا النجوم انكدرت. وإذا الجبال سيرت. وإذا العشار عطلت. وإذا الوحوش حشرت. وإذا البحار سجرت. وإذا النفوس زوجت. وإذا الموءودة سئلت. بأي ذنب قتلت. وإذا الصحف نشرت. وإذا السماء كشطت. وإذا الجحيم سعرت. وإذا الجنة

أزلفت. علمت نفس ما أحضرت﴾ (التكوير/ ١-١٤).

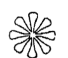
فالموصوف هنا هول يوم القيامة كله. والأسماء هنا مقدمة على الأفعال في الجمل. وآيات النفخ في الصور، جميعها مبنية للمجهول، الماضي منها والمضارع.

وربما كان اطراد هذه الظاهرة دلالة على التلقائية التى يكون بها الكون كله مهيئاً يومئذ للحدث الخطير، وأن الكائنات مسخرة بقوة لذلك الحدث: اضطراب يسود السموات: اضطراب يسود السموات والأرض: نفخ في الصور، وبعث من القبور، وارتجاج، ودك، وزلزال، وتناثر، وطمس، وخسف، وجمع.. وإن في تركيز الانتباه على الحدث فى ذاته، وحصر الوعي فيه، فلا يتوزع فى غيره تحقيقاً للغرض الدينى[٧].

التقديم والتأخير:

تقديم بعض الألفاظ على غيرها، في البيان القرآني، ظاهرة تلفت النظر، من نحو: تقديم السمع على البصر، والزانية على الزاني، والسارق على السارقة، والأموال على الأولاد، والأزواج على الأولاد، والليل على النهار، والظلمات على النور، والسموات على الأرض، والشمس على الأرض.. وغيرها.

■ يقول الجرجانى: «إن للتقديم فائدة شريفة، ومعنى جليلا لا سبيل إليه مع التأخير»[٨]. أى أننا لا نجد لفظا في البيان القرآنى يتقدم أو يتأخر إلا لغرض ومقصد، فالألفاظ في مكانها اللائق، بحيث لو أجرى تبديل على أمكنتها لاختل النظام، ولما عاد له ذلك السبك والرونق الذي كان له من قبل.



● ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله**﴾ (النور/٢).

قال الزمخشري: «المرأة هى المادة التى منها نشأت الجناية لأنها لو لم تطمع الرجل، ولم تومض له، ولم تمكنه لم يطمع ولم يتمكن. فلما كانت أصلا وأولا في ذلك بدىء بذكرها»[٩]، ويؤيد الطب الحديث حقيقة «أن المرأة لها قدرة على المنع أكثر بكثير من قدرة الرجل على النيل منها، وأن الروايات والافتراءات التى تختلق من أن النسوة أو البنات يغتصبن كرها يجانبها الصدق ويجافيها الصواب»[١٠].

● أما فى قوله تعالى: ﴿**والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله، والله عزيز حكيم**﴾ (المائدة/ ٣٨).

لقد ابتدأت الآية بالسارق، لأن الرجل على السرقة أجرأ. والزنا من المرأة أقبح وأشنع، فناسب كلا منهما المقام.

● والقرآن حين يذكر (السمع) يقدمه غالباً على (البصر) من نحو قوله تعالى[١١]: ﴿**قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار**﴾ (يونس/ ٣١).

﴿**إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا**﴾ (الاسراء/ ٣٦)، لقد فضل الله سبحانه وتعالى السمع على البصر لأنه أول ما يؤدي وظيفته في الدنيا، ولأنه أداة الاستدعاء في الآخرة. ولأن الأذن لا تنام أبدا[١٢]. وقال أبو السعود: «السمع إدراك القوة السامعة وقد يطلق عليها وعلى العضو الحامل لها.. وتقديم السمع على الأبصار أنسب بالمقام. قالوا: السمع أفضل من البصر لأنه عز وعلا. وحيث ذكرهما قدم السمع على البصر، لأن السمع شرط النبوة ولذلك ما بعث الله رسولا أصم، ولأن السمع وسيلة إلى استكمال العقل بالمعارف»[١٣].

■ وقد جاء (البصر) مقدمـاً على (السمع) مرة واحدة في البيان القرآنى، وذلك في قوله تعالى:
﴿ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رؤوسهم عند ربهم، ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون﴾ (السجدة/١٢).

■ هذا مشهـد من مشـاهد الآخرة حيث يستغيث من استحقوا العذاب بقولهم (ربنا أبصرنا وسمعنا)، أي «أبصرنا صدق وعدك ووعيدك، وسمعنا منك تصديق رسلك، أو كنا عمياً وصمـاً فأبصرنا وسمعنا»[١٤]، وجوز أبو السعود: «أي (أبصرنا) قبح أعمالنا وكنا نراها في الدنيا حسنة، و(سمعنا) أن مردنا إلى النار. وهو الأنسب لما بعده من الوعد بالعمل الصالح. هذا، وقد قيل المعنى: (وسمعنا) منك تصديق رسلك ـ وأنت خبير بأن تصديقه تعالى لهم حينئذ يكون بإظهار مدلول ما أخبروا به من الوعد والوعيد لا بالاخبار بأنهم صادقون حتى يسمعوه»[١٥].

وهذا شبيه بقولنا ـ في أسلوب التوجيه التربوى ـ: إنك لن تصدق ما أسمعك الآن عن مغبة سوء أعمالك حتى ترى بأم عينك ما ستقع فيه، وساعتئذ ستصدق وتستيقن، وتقول: أبصرت وسمعت.. و(الليل) مقدم أبداً على (النهار) في البيان القرآني، ومن ذلك قوله تعالى:
﴿إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجري في البحر بما ينفع الناس﴾ (البقرة/١٦٤).
﴿تولج الليل في النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب﴾ (آل عمران/٢٧).
﴿إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب﴾ (آل عمران/١٩٠)،
وانظر أيضاً: الأنعام:١٣، الأعراف:٥٤، الاسراء:١٢، الحج:٦١، فصلت:٣٧.

■ وأما قوله تعالى:
﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون. والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم. والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم. لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون﴾ (يس/٣٧-٤٠).

دلالات الألفاظ فى القرآن الكريم تصور المشاهد وتستحضر الأحداث كأنما تراها العين وتسمعها الأذن.

فالليل والنهار متعاقبان بمقتضى تدبيره تعالى. والتعبير القرآني يصور النهار متلبساً بالليل، ثم ينـزع الله النهار من الليل فإذا هم مظلمون.. ولا يتأتى للشمس أن تخرج عن نواميسها فتلحق القمـر وتـدخـل مداره، ولا الليل يتأتى له أن يغلب النهار ويحول دون مجيئه، بل هما متعاقبان. وكل من الشمس والقمر وغيرهما يسبح فى فلك لا يخرج عنه[١٦].

■ قال ابن المنير: «الليل متبوع والنهار تابع. فإن قيل: هل يلزم على هذا أن يكون الليل سابق النهار وقد صرحت الآية بأنه ليس سابقاً؟»[١٧] وبعد أن يعرض الوجوه المحتملة للمسألة ينتهي إلى القول: إن جملة (ولا الليل سابق النهار) تعدل (لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر) ويكون القول بتقديم الليل على النهار في آخر النص مطابقاً لصدره بوجه من التأويل[١٨].

ولتكرار لفظ (يولج) في آيات الليل والنهار فائدة في التنبيه على أمر مستغرب، وهو حصول الزيادة والنقصان معاً في كل من الليل والنهار، في آن واحد، وذلك بحسب اختلاف البقاع، فعندما يكون نصف الكرة الأرضية ليلا، فإن نصفها الآخر يكون نهاراً في وقت واحد، كما أن الأرض لا يغشـاهـا ليل، في وقت واحد، ولا يصيبها نهار في وقت واحد[١٩]، وسبحانه الذي **﴿يكـور الليل على النهار، ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى﴾** (الزمر/٥).

● و(الظلمات) مقدمة على (النور) فى جميع المواضع التي وردت فيها، وبعطف النور عليها. قال تعالى:

﴿الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾ (الأنعام/ ١)، وانظر أيضاً: الرعد١٦، فاطر: ٢٠ .

■ يقول محمد رشيد رضا: «وقدمت الظلمات فى الذكر على النور لأن جنسها مقدم فى الوجود فقد وجدت مادة الكون وكانت دخاناً ـ أو سديها كما يقول علماء الفلك ـ ثم تكونت الشمس بما حدث فيها من الاشتعال. . وسبق الظلمات المعنوية للنور المعنوى أظهر، فإن نور العلم كسبي فى البشر. . وظلمات الجهل والاهواء سابقة على هذا النور، فالرسول لا يولد رسولا وإنما يؤتى الرسالة إذا بلغ أشده واستوى، والعالم لا يولد عالماً ولا الفاضل فاضلا»[٢٠].

والغالب تقديم (السموات) على (الأرض) إذا وردا فى سياق واحد، وذلك للأسبقية في الخلق. أما تقديم (الشمس) على (القمر) فذلك للعلاقة السببية بينهما[٢١]. يقول ابن الزملكانى[٢٢]: «الألفاظ تتبع المعاني، والمعاني تتقدم باعتبارات خمسة» منها[٢٣] «تقدم العلة والسببية على المعلول والمسبب كتقدم المضيء على الضوء وليس تقدماً بالزمان، لأن جرم الشمس لا ينفك عن الضوء. . ومنه تقدم (العزيز) على (الحكيم)، ومنه: ﴿يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ (البقرة/ ٢٢٢)، فإن التوبة سبب الطهارة وكذلك: ﴿كل أفاك أثيم﴾ (الشعراء/ ٢٢٢) فإن الافك سبب للإثم، وكذلك: ﴿معتد أثيم﴾ (القلم/١٢). . وقد يكون فى كل واحد من اللفظين صفة تقتضي التقدم لكن تكون أحدهما أهم في مكان فيقدم فيه وإن أخر. فمنه قوله تعالى: ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ (الانفال/ ٢٨)، وتقديم الأموال من باب تقديم السبب فإنه إنما يشرع في النكاح عند قدرته على مؤنه فهو سبب التزوج، والنكاح سبب للتناسل، ولأن المال سبب للتنعم بالولد وفقده سبب للشقاء به، وكذلك تقديم (النساء) على (البنين) في قوله تعالى: ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث﴾ (آل عمران/ ١٤).

إنما أخر ذكر الذهب والفضة على النساء والبنين لأنها أقوى فى الشهوة الجبلية من المال، فالمال يرخص لتحصيل النكاح والولد، والنساء أقعد من الأولاد في الشهوة الجبلية والبنون أقعد من الأموال، والذهب أقعد من الفضة، والفضة أقعد من الأنعام أو وسيلة إلى تحصيل النعم فلما صدرت الآية بالحب، وكان المحبوب مختلف المراتب اقتضت حكمة الترتيب أن تقدم ما هو الأهم فالأهم من رتبة المحبوبات[٢٤].

الأفعال المضارعة تستعمل فى المواقف التى تفيد الاستمرار والتجدد فى الأعمال، أو تفيد استحضار الصور والمشاهد البعيدة وتقريبها.

ونظير هذا قوله تعالى: ﴿وهو الذى أرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته، وأنزلنا من السماء ماء طهوراً. لنحيى به بلدة ميتاً، ونسقيه مما خلقنا أنعاماً وأناسي كثيراً﴾ (الفرقان/ ٤٨-٤٩).

فتقدم ذكر البلدة الميتة، لأن في حياتها حياة الأنعام، فمن نباتها تأكل وتنمو، وتقدم الأنعام على الأناسي، لأن في حياة تلك حياة هؤلاء[٢٥].

● ومن أمثلة تقديم الأهم بالنسبة للغرض المسوق له الكلام قوله تعالى: ﴿خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾ (الملك/ ٢)، قال الزمخشري: «. . وقدم الموت على الحياة لأن أقوى الناس ـ داعياً إلى العمل ـ من نصب موته بين عينيه. فقدم لأنه فيما يرجع إلى الغرض المسوق له الآية أهم[٢٦].

● وقريب من هذا قوله سبحانه وتعالى: ﴿ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون﴾ (النحل/ ٦).

قال الزمخشري: «فإن قلت: لم قدمت الاراحة على التسريح؟ قلت: لأن الجمال في الاراحة أظهر إذا أقبلت ملأى البطون حافلة الضروع ثم أوت إلى الحظائر حاضرة لأهلها»[٢٧].

وفى وصف أحوال يوم القيامة وشغل كل امرىء بنفسه وفراره من أهله، يقول سبحانه: ﴿يوم

يفر المرء من أخيه. وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه﴾ (عبس/ ٣٤-٣٦)، ففي هذا الترتيب يلحظ الزمخشري أحـوال إحساس النفس بالهول وتدرجها في هذه الأحوال وفرارها من أصناف الأهل على وفق مراتب شعورها بالهول، يقول: «وبدأ بالأخ ثم بالأبوين لأنهما أقرب منه ثم بالصاحبة والبنين لأنهم أقرب وأحب كأنه قال يفر من أخيه بل أبويه بل من صاحبته وبنيه»(٢٨).

■ وقد يأتي التقديم والتأخير لمراعاة الفاصلة القرآنية، فمن ذلك تقديم (الأرض) على (السماء)، كما في قوله تعالى: **﴿ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شىء فى الأرض ولا في السماء. الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحق إن ربى لسميع الدعاء. رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي، ربنا وتقبل دعاء. ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾** (ابراهيم/ ٣٨-٤١).

فلقد قدم لفظ (الأرض) خلافاً لما هو غالب في النسق القرآنى، وأخر لفظ (السماء) وجعلها فاصلة ختمت بها الآية الكريمة، يقول أبو السعود: «وتقديم الأرض على السماء للالتفات»(٢٩)، وفي تفسـير ابن عاشور نجد توضيحاً أوسع حيث يقول: «وابتدىء في الذكر بالأرض ليتسنى التدرج في العطف إلى الأبعد في الحكم، لأن أشياء الأرض يعلم كثيراً منها كثير من الناس، أما أشياء السماء فلا يعلم أحد بعضها فضلا عن علم جميعها»(٣٠).

● ونظيره قوله سبحانه:

﴿وما تكون فى شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه، وما يعزُب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا فى السماء﴾ (يونس/ ٦١).

■ قال الزمخشري: «فإن قلت: لم قدمت الأرض على السماء بخلاف قوله فى سورة سبأ: ٣ (عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا فى الأرض)؟ قلت: حق السماء أن تقدم على الأرض، ولكنه لما ذكر شهادته على شئون أهل الأرض وأحوالهم وأعمالهم ووصل بذلك قوله (لا يعزب عنه) لاءم ذلك أن قدم الأرض على السماء على أن العطف بالواو حكمه حكم التثنية»(٣١).



● ومن ألوان التقديم تقديم الأغرب فى الوصف كما فى قوله تعالى:

﴿وسخرنا مع داوود الجبال يسبحن والطير﴾ (الانبياء/ ٧٩).

■ قال الزمخشرى: «فإن قلت لم قدمت الجبال على الطير؟ قلت: لأن تسخيرها وتسبيحها أعجب وأدل على القدرة وأدخل في الاعجاز لأنها جماد والطير حيوان إلا أنه غير ناطق»(٣٢).

الافـراد والجمــع:

في الشواهد التى مرت في الفقرة السابقة من البحث قرأنا (**السمع والأبصار**) و(**الظلمات والنـور**) و(**السمـوات والأرض**).. وغيرها، وهذا يدعونا للوقوف على هذه الظاهرة في البيان القرآني لتأمل الملاءمة بين صيغتي المفرد والجمع لموقعها حيث يردا:

● لفظة (السماء) ترد مجموعة في آيات كثيرة، على حين ترد (الأرض) مفردة، مع أنها تنتظم وإياها في سياق واحد، قال تعالى:

﴿وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والأرض كل له قانتون. بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾ (البقرة/ ١١٦-١١٧، وانظر الآية ١٦٤ من السورة نفسها).

﴿إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذا النار﴾ (آل عمران/ ١٩٠-١٩١، وانظر الآية ١٣٣ من السورة نفسها).

﴿إن فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتقون﴾ (يونس/ ٦).
﴿الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة﴾ (النور/ ٣٥).
■ نقل صاحب (تفسير روح البيان) ما ورد من آراء في تفسير هذه الآيات، فقال: (السموات): جمع السماء، وكل سقف سماء، غير أنه إذا أطلق لم يفهم منه غير السموات السبع وإنما جمعت السموات ووحدت (الأرض) لأنه لما ذكر السماء بأنها سبع في قوله: ﴿فسواهن سبع سموات﴾ (البقرة/ ٢٩)، وقوله: ﴿خلق سبع سموات﴾ (الملك/ ٣ والطلاق/ ١٢) - جمع لئلا يوهم التوحيد معنى الواحدة من هذه السبع. فالسماء أنواع مختلفة، وأجرام متفرقة. والأرض نوع واحد ذات أجزاء مختلفة[٣٣].
■ وقال البيضاوى: «وإنما جمع السموات وأفرد الأرض لأنها طبقات متفاصلة بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف الأرضين، و(واختلاف الليل والنهار): تعاقبهما»[٣٤].
وقال صاحب (من بلاغة القرآن)[٣٥]: «هناك لفظتان أبى القرآن أن ينطق بهما، ولعله وجد فيهما ثقلا، وهما كلمتا (الآجر والأرضين)، أما الأولى فقد أعرض عنها فى سورة القصص، فبدل أن يقول: وقال فرعون: يأيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري، فهيىء لي يا هامان آجراً، فاجعل لي صرحاً، لعلي أطلع إلى إله موسى. قال: ﴿وقال فرعون: يأيها الملأ، ما علمت لكم من إله غيري، فأوقد لي ياهامان على الطين، فاجعل لي صرحا، لعلي أطلع إلى إله موسى﴾ (القصص/ ٣٨). أما الثانية فقد تركها فى الآية الكريمة: ﴿الله الذى خلق سبع سموات، ومن الأرض مثلهن، يتنزل الأمر بينهن﴾ (الطلاق/ ١٢). وقال مصطفى صادق الرافعي: لم يقل (سبع أرضين)، لهذه الجسأة التى تدخل اللفظ ويختل بها النظم. والجسأة: الصلابة والخشونة[٣٦].
■ ومن دقائق القرآن فى هذا الباب جمعه (الظلمات) حيثما وردت مقابلة (للنور) سواء أريد بها الظلمات المعنوية، كالكفر والضلال، أو الحسية التى تعنى الدياجير على حين أفرد (النور) معنوياً كان أو حسياً في كل وضع ورد فيه. قال تعالى:



﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت، يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾ (البقرة/ ٢٥٧)، ﴿الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾ (الانعام/ ١).
■ ويبدو أن ذلك عائد إلى أن الظلمات الحسية والمعنوية كثيرة متعددة، على حين لم يكن النور إلا شيئا واحدا، وإنما تتفاوت درجته لا ماهيته، يقول صاحب (تفسير المنار) في تفسير آية الأنعام: «أفرد النور وجمعت الظلمة هنا وفي كل آية قوبل فيها بين النور والظلام سواء أكان ذلك في الحسي أم المعنوى، بل لم يذكر النور في القرآن إلا مفردا والظلمة إلا جمعاً، وحكمة ذلك أن النور شيء واحد وإن تعددت مصادره ولكنه يكون قوياً ويكون ضعيفاً، وأما الظلمة فهي تحدث بما يحجب النور من الأجسام غير النيرة وهي كثيرة جداً، وكذلك النور المعنوي شيء واحد فى كل نوع من أنواعه أو جزئي من جزئياته، ويقابل كلا منهما ظلمات متعددة، فالحق واحد لا يتعدد والباطل الذى يقابله كثير».
● وأحيانا يعدل القرآن عن صيغة المفرد إلى صيغة الجمع أو العكس، وذلك لحكمة، من نحو قوله تعالى: ﴿فما لنا من شافعين. ولا صديق حميم﴾ (الشعراء/ ١٠٠-١٠١).
■ يقول الزمخشري: «فإن قلت: : لم جمع الشافع ووحد الصديق. قلت: لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق، ألا ترى أن الرجل إذا امتحن بارهاق ظالم نهضت جماعة وافرة من أهل بلده لشفاعته، رحمة له وحسبة، وإن لم يسبق له بأكثرهم معرفة، وأما الصديق وهو الصادق في ودادك الذي يهمه ما أهمك فأعز من بيض الأنوق[٣٧]، وعن بعض الحكماء أنه سئل عن الصديق فقيل

اسم لا معنى له».

ويرفض ابن المنير ما ذهب إليه الزمخشري، فيقول: «العجب أن الصديق يقع على الواحد وعلى الجمع فما الدليل على إرادة الافراد؟ ثم لو كان المراد الافراد لكان أعم لأنه في سياق النفي، فينفي الواحد فما زاد عليه إلى ما لا نهاية له»[٣٨].

ومع قوة الاعتراض، فإن السؤال يظل قائماً وهو لِـمَ خالف القرآن بين الكلمتين وعمد إلى الجمع في شافعين، والافراد في صديق وإن كان مدلولها واحداً؟ والجواب ما ذهب إليه الزمخشري.

● ونظير هذا قوله تعالى: **﴿ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم﴾** (لقمان/٢٧)، والمعنى: لو أن أشجار الأرض أقلام وبحر مداده ممدود بسبعة أبحر، وكتبت بتلك الأقلام وبذلك المداد كلمات الله، لما نفدت كلمات الله ونفدت الأقلام والمداد، وهذا معنى قوله سبحانه: **﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا﴾** (الكهف/١٠٩).

■ يقول الزمخشري: «فإن قلت: لم قيل (من شجرة) على التوحيد (الافراد)، دون اسم الجنس الذى هو شجر؟ قلت: أريد به تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر واحدة إلا وقد بريت أقلاماً»[٣٩]. وقال البيضاوى: «والبحر يمده من بعده.. وإيثار جمع القلة للاشعار بأن ذلك لا يفي بالقليل فكيف بالكثير»[٤٠].

واستدعى المقام المجيء بالمفرد دون الجمع في كلمة (البقعة) في قوله تعالى فى قصه موسى عليه السلام: **﴿فلما أتاها نودي من شاطىء الوادي الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن ياموسى، إنى أنا الله رب العالمين﴾** (القصص/٣٠). وليس فى الجمع وهو البقاع ثقل ولا نفور. ولم ترد الكلمة فى غير هذا الموضع.

وهناك طائفة من (المجموع) لم ترد (مفردتها)، من مثل: الأصواف، والأوبار، والأكواب، والأرجاء. قال تعالى: **﴿والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم، ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين﴾** (النحل/٨٠)، **﴿ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا﴾** (الانسان/١٥)، **﴿والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾** (الحاقة/١٧).

الالفاظ القرآنية تميزت بخصائص معجزة لا تتوفر للعمل الأدبى مهما ملك الأديب من مواهب ونبوغ.

التعريف والتنكير:

● نتناول بالتعريف هنا، المعرف بأل، واسم الموصول، واسم الاشارة، والاضافة، ويستخدم القرآن الكريم ألوان المعارف في مواضعها الدقيقة الجديرة بها.

● فاللام تدل على العهد، أو على الجنس وتتكرر هذه الدلالة في مواطن كثيرة، ومن أجمل مواطنها أن تستخدم لاستغراق الجنس[٤١]، كما فى قوله تعالى: **﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾** (البقرة/٢٥).

■ قال ابن عاشور[٤٢]: «الصالحات جمع صالحة، وهي الفعلة الحسنة فأصلها صفة جرت مجرى الأسماء، والتعريف هنا لاستغراق الجنس، وهو استغراق عرفي يحدد مقداره بالتكليف والاستطاعة والأدلة الشرعية.. فإن قلت لماذا لم يقل وعملوا الصالحة بالافراد، فقد قالوا إن استغراق المفرد أشمل من استغراق المجموع، قلت تلك عبارة سرت إليهم من كلام صاحب (الكشاف)[٤٣] فى هذا الموضع من تفسيره، فاعتمدها صاحب (المفتاح) وتناقلها العلماء ولم يفصلوا

بيانها. ولعل سائلا يسأل عن وجه إتيان العرب بالجموع بعد أل الاستغراقية إذا كان المفرد مغنياً غناءها فأقول: إن أل المعرفة تأتى للعهد وتأتي للجنس مراداً به الماهية، وللجنس مراداً به جميع أفراده التى لا قرار له فى غيرها، فاذا أرادوا منها الاستغراق نظروا فإن وجدوا قرينة الاستغراق ظاهرة من لفظ أو سياق نحو ﴿إن الانسان لفى خسر إلا الذين آمنوا﴾. ﴿وتؤمنون بالكتاب كله﴾. ﴿والملك على أرجائها﴾ اقتنعوا بصيغة المفرد لأنه الأصل الأخف. وإن رأوا قرينة الاستغراق خفية أو مفقودة عدلوا إلى صيغة الجمع لدلالة الصيغة على عدة أفراد لا على فرد واحد، ولما كان تعريف العهد لا يتوجه إلى عدد من الأفراد غالباً تعين أن تعريفها للاستغراق نحو ﴿والله يحب المحسنين﴾ لئلا يتوهم أن الحديث عن محسن خاص نحو ﴿وأن الله لا يهدي كيد الخائنين﴾ لئلا يتوهم أن الحديث عن خائن معين، تعني نفسها، فيصير الجمع فى هذه المواطن قرينة على قصد الاستغراق.

■ وفى الآية نكر (جنات) وعرف (الأنهار)، ولو سأل سائل لماذا؟ وليس في معلومنا إلا جنة الخلد، فكيف قال جنات؟ ـ والجواب: عرف الأنهار لأنها معلومة من جنس واحد، ولأن المقصود منها التمتع بها حيث تجري، والتلذذ برؤيتها حيث تجري. ونكر جنات لأن (الجنة) اسم لدار الثواب وهي مشتملة على جنان كثيرة وهي ذات مراتب على حسب استحقاق العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان[٤٤].

■ وفى قوله تعالى: ﴿وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات﴾ (البقرة/ ١٢٦).

والتعريف في (الثمرات) تعريف الاستغراق، وهو استغراق عرفي، أي من جميع الثمرات المعروفة للناس ودليل كونه تعريف الاستغراق مجيء من التى للتبعيض، وفى هذا دعاء لهم بالرفاهية حتى لا تطمح نفوسهم للارتحال عنه[٤٥].

■ وفى قوله تعالى: ﴿والملك على أرجائها، ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾ (الحاقة/ ١٧)، قال الزمخشري: «فإن قلت: ما الفرق بين قوله والملك وبين أن يقال والملائكة؟ قلت: الملك أعم من الملائكة ألا ترى أن قولك ما من ملك إلا وهو شاهد أعم من قولك ما من ملائكة»[٤٦].



وفى قوله تعالى: ﴿رب العالمين﴾ (الفاتحة/ ٢) أنه جمع ليشمل كل جنس مما سمى بالعالم يعني لو أفرد لتوهم أنه إشارة إلى هذا العالم المحسوس المشاهد فجمع ليفيد الشمول والاحاطة[٤٧].

وقد تفيد لام الجنس معنى الكمال فى الصفة كما في قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس﴾ (البقرة/ ١٣)، قال الزمخشرى: «أي كما آمن الكاملون في الانسانية، أو جعل المؤمنين كأنهم الناس على الحقيقة ومن عداهم كالبهائم فى فقد التمييز بين الحق والباطل[٤٨]. ونظيره قوله تعالى: ﴿أولئك هم الكافرون﴾، أى الكاملون فى الكفر. وقوله تعالى: ﴿وما أولئك بالمؤمنين﴾، أي بالكاملين في الايمان.

■ ويأتى القرآن بالإسم الموصول، عندما تكون صلته هي التى عليها مدار الحكم[٤٩]، كما فى قوله تعالى: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات، سندخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار، خالدين فيها أبدا، وعد الله حقاً، ومن أصدق من الله قيلا﴾ (النساء/ ١٢٢)، ﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً، ولو افتدى به، أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين﴾ (آل عمران/ ٩١).

■ وصلة الموصول يجب أن تكون معلومة عند المخاطب لأنها معرفة، ولا يعرف بالمجهول وفي قوله تعالى: ﴿فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين﴾ (البقرة/ ٢٤).

● قال الزمخشري: فإن قلت: صلة الذي والتي يجب أن تكون قصة معلومة للمخاطب، فكيف علم أولئك أن نار الآخرة توقد بالناس والحجارة؟ قلت: لا يمتنع أن يتقدم لهم بذلك سماع أهل الكتاب، أو سمعوه من رسول الله ـ ﴿ﷺ﴾ أو سمعوا قبل هذه الآية قوله تعالى فى سورة التحريم: ﴿**ناراً وقودها الناس والحجارة**﴾، فإن قلت: فلم جاءت النار الموصوفة بهذه الجملة منكرة في سورة التحريم، وههنا معرفة؟ قلت: تلك الآية نزلت بمكة فعرفوا منها ناراً موصوفة بهذه الصفة، ثم نزلت هذه بالمدينة مشاراً بها إلى ما عرفوه أولا»[٥٠].

أى إن تعريف النار ووصفها بالموصول جاء لتنزيل الجاهل منزلة العالم بقصد تحقيق وجود جهنم.

ومن الموصولات ما ترجع روعته في التعبير إلى ما يكتنف دلالته من الغموض والابهام، كقوله تعالى: ﴿**إذ يغشى السدرة ما يغشى**﴾ (النجم/١٦)، ففى إبهام الدلالة، وعدم التصريح بها تفخيم لها وتعظيم، كأنها مما لا يحيط بها الوصف، ولا يفي بها البيان، لا كما ولا صفة، وفي التعبير بالمضارع استحضار للصورة البديعة، وإيذان باستمرار الغشيان بطريق التجدد.

ونظير هذا قوله تعالى: ﴿**فغشيهم من اليم ما غشيهم**﴾ فالأمر لا يستطاع تحديده بوصف، مهما بولغ فيه، وليترك العنان للخيال ليكمل الصورة ويرسمها.

■ وقد يعدل القرآن الكريم إلى كلمة (ما) دون (من) حين يتحدث عن العقلاء. وقد حاول الزمخشري أن يكشف ما وراء هذا العدول مبيناً الدلالة الأدبية التي توحي بها معنى الوصفية في (ما)، يقول في قوله تعالى: ﴿**والسماء وما بناها، والأرض وما طحاها. ونفس وما سواها. فألهمها فجورها وتقواها**﴾ (الشمس/ ٥ـ٨) ـ والوجه أن تكون (ما) موصولة، وإنما أوثرت على (من) لارادة معنى الوصفية كأنه قيل: والسماء والقادر العظيم الذي بناها، ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذي سواها، وفي كلامهم: سبحان ما سخركن لنا، فإن قلت: لم نكرت النفس؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما أن يريد نفساً خاصة من بين النفوس وهي نفس آدم كأنه قال وواحدة من النفوس. والثانى أن يريد كل نفس وينكر للتكثير على الطريقة المذكورة في قوله ﴿علمت نفس﴾[٥١].

الغيث لا يذكر فى القرآن إلا فى موطن النعمة والرحمة - والمطر لا يذكر إلا فى مقام العذاب والتخويف.

■ ويأتى أسم الاشارة في القرآن ليفيد معنى التعظيم والتنويه سواء أكان للقريب أم للبعيد كما أنه قد يفيد معنى التحقير والتصغير، والسياق هو الذي يكشف عن هذه الاشارات ويبرزها.

فمن دلالة اسم الاشارة على التعظيم قوله تعالى: ﴿**إن هذا القرآن يهدي للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً**﴾ (الاسراء/٩).

فالمقام مقام تعظيم وتقريب يدل على هاد يقود إلى أقوم الطرق، ولأن يكون هذا الهادي قريباً أنجح لرسالته، وأقطع لعذر من ينصرف عن الاسترشاد بهديه، بينما استخدم اسم الاشارة للبعيد، مشيراً إلى القرآن نفسه، عندما تحدث عن بعده عن الريب، فكان الحديث باسم الاشارة البعيد أنسب فى الدلالة على ذلك[٥٢].

■ ومن دلالة اسم الاشارة للبعيد ـ أحياناً ـ على ما يجب أن يكون عليه من بعد في المكان والمنزلة قوله تعالى: ﴿**إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين**﴾ (آل عمران/ ١٧٥).

وفى التعبير بأسماء الإشارة أسرار جمالية. فالاشارة (بذلك) قد تكون للتعظيم والاشارة (بهذه): تكون للتحقير بحسب السياق والمقام. ومن ذلك ما جاء على لسان امرأة العزيز: ﴿**قالت: فذلكن الذي لمتنني فيه، ولقد راودته عن نفسه فاستعصم، ولئن لم يفعل ما آمره**

ليسجنن وليكوناً من الصاغرين﴾ (يوسف/٣٢).

ولم تقل (فهذا) وهو حاضر رفعا لمنزلته فى الحسن واستحقاق أن يُحبَّ ويفتتن به وربأ بحاله واستبعاداً لمحله[٥٣]. وقال الزمخشرى فى تفسير آية (العنكبوت/٦٤) ﴿وما هذه الدنيا إلا لهو ولعب﴾ «هذه: فيها ازدراء للدنيا وتصغير لأمرها»[٥٤].

■ وفى اسم الاشارة لون من الايجاز والتنبيه معاً، عندما يشير إلى موصوف بصفات عدة، فينبنى الحكم على هذه الصفات، كما فى قوله تعالى: ﴿**إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً، وعلى ربهم يتوكلون. الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون. أولئك هم المؤمنون حقاً، لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم**﴾ (الأنفال/٢-٤)، أى هؤلاء الموصوفون بهذه الصفات كلها هم ـ دون سواهم ـ الكاملو الايمان.

■ والاضافة قد تفيد تعظيم المضاف وتفخيمه، كما في قوله تعالى: ﴿**ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب**﴾ (هود/٦٤)، فإضافة الناقة الى اسم الله تعظيم وتفخيم لشأنها وأنها جاءت من عنده مكونة من غير فحل وطروقة آية من آياته.

وكذلك تفيد الاضافة تحقير المضاف والاستهزاء به، كما فى قوله تعالى: ﴿**أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون**﴾ (المجادلة/١٩) ومنه قوله تعالى: ﴿**ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم، قال الذين أوتوا العلم إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين**﴾ (النحل/٢٧)، يقول شركائي على الاضافة إلى نفسه حكاية لإضافتهم ليوبخهم بها على طريقة الاستهزاء بهم. ومثله قوله تعالى: ﴿**ويوم يناديهم فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون**﴾ (القصص/٦٢). يقول الزمخشري: «شركائى مبني على زعمكم، وفيه تهكم وتوبيخ».

التنكير فى البيان القرآنى مواقعه الدقيقة.

■ وقد تفيد الاضافة معنى الاستحقاق أى ما يستحقه المضاف إليه من معنى المضاف وما يستوجبه، وهذا المعنى له وقعه الأدبي وقيمته البلاغية. والزمخشرى ينبه إلى هذا في قوله تعالى: ﴿**إذا زلزلت الأرض زلزالها**﴾ (الزلزلة/١).

يقول: «فإن قلت ما معنى زلزالها بالاضافة؟ قلت: معناه زلزالها الذي تستوجبه في الحكمة ومشيئة الله، وهو الزلزال الشديد الذى ليس بعده، ونحوه قولك: أكرم التقي إكرامه، وأهن الفاسق إهانته، تريد ما يستوجبانه من الاكرام والاهانة. أو زلزالها كله وجميع ما هو ممكن منه»[٥٥]. أي زلزالها التى تستحقه ويقتضيه جرمها وسعتها.. ولو لم يضف لصدق أى قدر من الزلزال وإن قل.

التنكير:

للتنكير فى البيان القرآنى مواقعه الدقيقة كالتعريف، ولكل كلمة نكرة معنى مستفاد ضمن السياق الذي وردت فيه:

● من ذلك قوله تعالى: ﴿**وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون**﴾ (المؤمنون/١٨).

● يقول الزمخشري: «وقوله (على ذهاب به) من أوقع النكرات وأحزها للمفصل، والمعنى على وجه من وجوه الذهاب به وطريق من طرقه، وفيه إيذان باقتدار المذهب وأنه لا يصعب عليه شيء.. وهو أبلغ الوعيد من قوله: ﴿**قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين**﴾

(الملك/ ٣٠) ـ فعلى العباد أن يستعظموا النعمة في الماء ويقيدوها بالشكر الدائم ويخافوا نفارها إذا لم تشكر».

ونظيره قوله تعالى: ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض﴾ (آل عمران/١٣٣)، قال ابن عاشور: «وتنكير (مغفرة) ووصلها بقوله (من ربكم) مع جواز الاضافة بأن يقال (إلى مغفرة ربكم) ـ لقصد الدلالة على التعظيم»[٥٦]، ومثله قوله تعالى: ﴿فيه شفاء للناس﴾ (النحل/٦٩)، أي شفاء عظيم[٥٧].

■ وقد يفيد التنكير معنى الابهام، والابهام من عناصر الاثارة في الكلام، وله أثره في النفس، ومنه: قوله تعالى: ﴿ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون﴾ (البقرة/ ١٠)، أى لا يوقف على حقيقته. وما جاء على لسان أخوة يوسف وهم يتآمرون عليه: ﴿اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم﴾ (يوسف/٩)، قال الزمخشرى: «أرضاً منكورة مجهولة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها وإخلائها من الوصف، ولابهامها من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المبهمة».

وقد يفيد التنكير معنى التقليل، كما فى قوله تعالى: ﴿لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية﴾ (الحاقة/١٢)، وقد أراد بالأذن صاحبها لا الجارحة نفسها، ونكرها وجعلها واحدة للاشارة إلى أن الآذان التى تعي الحكم والمواعظ وعى تدبر وانتفاع قليلة بالنسبة إلى التى لا تعي ولا تتدبر، على أن تنكيرها المفيد لتقليلها إيذاناً بتعظيم تلك الآذان القليلة وتفخيم أمرها، وأنها على قلتها هى الكثيرة الطائلة والقوة العاملة.



■ ومن قوله تعالى: ﴿وعد الله المؤمنين جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن، ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم﴾ (التوبة/ ٧٢)، فكلمة رضوان تدل على التقليل، وان قليل رضوان الله أكبر من الجنات والمساكن الطيبة، لأن النكرة تطلق على القليل والكثير، فما يطلق عليه رضوان قل أو كثر أكبر مما أثيبوا به.

■ ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله، إن الله خبير بما تعملون﴾ (الحشر/١٨)، فتنكير (النفس) لغرض التقليل.

وقد يفيد التنكير معنى التكثير كما فى قوله تعالى: ﴿وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين﴾ (الاعراف/١١٣)، قال الزمخشرى: «والتنكير للتعظيم، كقول العرب: إن له لإبلا، وإن له لغنماً يقصدون الكثرة»[٥٨].

ونظيره قوله تعالى: ﴿قل: قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم، فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين؟ فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك، جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير﴾ (آل عمران/ ١٨٣-١٨٤)، فتنكير (رسل) وهي من صيغ جموع التكسير الدالة على التكثير.

● ومنه قوله تعالى: ﴿أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله﴾ (الزمر/٥٧)، يقول الزمخشري: «فيجوز أن يكون المراد بعض الأنفس وهى نفس الكافر أو يراد بها نفس متميزة بلجاج في الكفر أو أن يراد بها التكثير»[٥٩].

وعلى هذا السياق جرى التنكير فى قوله تعالى:

ـ ﴿سلام على إبراهيم﴾ (الصافات/ ١٠٩).

ـ ﴿وسلام عليه يوم ولد﴾ (مريم/ ١٥).

ـ ﴿سلام على نوح فى العالمين﴾ (الصافات/ ٧٩).

■ وقد يشير التنكير إلى نوعية الاسم النكرة. قال تعالى: ﴿ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يُعَمر والله بصير بما يعملون﴾ (البقرة/ ٩٦).

قال أبـو السعـود: والتنكير في (على حياة) للايذان بأن مرادهم نوع خاص منها، وهي الحياة المتطاولة، ولكن ليس من الضروري أن تكون هذه الحياة رفيعة أو وضيعة، لذا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة، ومن هنا جاء التنديد بهم، لأن الانسان المثالي، لا يريد الحياة إلا إذا كانت رفيعة صالحة.

وقريب من هذا قوله تعالى: **﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم﴾** (البقرة/٧).

■ فالتنكير للنوعية، يقول الزمخشري: «ومعنى التنكير أن على أبصارهم نوعاً من الأغطية غير ما يتعارفه الناس، وهو غطاء التعامي عن آيات الله، ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه إلا الله»[٦٠].

● ونظير هذا قوله تعالى: **﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب﴾** (البقرة/١٧٩)، **فالمقصود هنا مطلق حياة يستفيدها المجتمع من حكم القصاص بردع القاتل المعتدي مخافة ما ينتظره إذا وقع في المحذور، يقول ابن الزملكاني: امتنع تعريف (حياة) لئلا يفضي إلى إيهام أن الحياة من أصلها مستفادة بالقصاص»[٦١].**

■ **واختم بقول لابن الزملكاني في هذا الباب: «قد يظن ظان أن المعرفة أجلى فهي من النكرة أولى. ويخفى عليه أن الابهام في مواطن خليق، وأن سلوك الايضاح ليس بسلوك للطريق خصوصاً في موارد الوعد والوعيد والمدح والذم اللذين من شأنهما التشييد»[٦٢].**

الهوامـــش

(١) بيان إعجاز القرآن للخطابي (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، ص٢٤.
(٢) انظر: الجاحظ: البيان والتبيين، ٢٠/١.
(٣) انظر: الآيات: ١١٧ من سورة البقرة، و١٩٠ من سورة آل عمران، و٥٤ من سورة الأعراف.
(٤) الاسلام في عصر العلم، ص٣٩٥.
(٥) انظر: دلائل الاعجاز، ص١١٥.
(٦) انظر أيضا الآيات: ٢١-٢٣ من سورة الفجر، و٤-٦ من سورة الواقعة، ٩٩ من سورة الكهف.
(٧) انظر: عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء): الاعجاز البياني للقرآن ومسائل نافع بن الأزرق، ص٢٢٢ وما بعدها.
(٨) دلائل الاعجاز، ص١٨٩.
(٩) الكشـاف ٤٩/٢.
(١٠) السيد الجميلي (طبيب): الاعجاز الطبي في القرآن، ص٧٤. وفي برنامج تلفازي للدكتور مصطفى محمود أكد على أن الأنثى تملك من الردع كما تملك من الاغراء، وتملك المنع كما تملك العطاء، وأن الله زودها بقوة سبعة رجال بين فخذيها، فإذا أبت أن تمكن لمغتصبها شاءت، ولن يتم الزنا إلا برضاها.
(١١) وانظر أيضا: النحل: ٧٨، المؤمنون: ٧٨، السجدة: ٧٩، الاحقاف: ٢٦، البقرة: ٧و٢٠، فصلت: ٣٠.
(١٢) انظر: محمد متولي الشعراوي: معجزة القرآن، ص١١٦.
(١٣) تفسير أبي السعود (ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم) ٣٨/١.
(١٤) الكشـاف ٢٤٢/٣.
(١٥) تفسير أبي السعود ٨٣/٨.
(١٦) انظر المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص٦٥٥.
(١٧) الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال، بهامش الكشاف ٣٢٤/٣.
(١٨) انظر: المصدر السابق، المكان نفسه.
(١٩) انظر: شوكت محمد عليان: الاسلام والمكتشفات العلمية، ص٦٢، وانظر تفسير ابن عاشور، مجلد ٢٨/١١.
(٢٠) تفسير المنـار ٢٩٤/٧.
(٢١) انظر: تفسير أبي السعود ١٠٤/٣.
(٢٢) التبيان في علم البيان، ص١٤٧.
(٢٣) المصدر نفسه، ص١٤٨.
(٢٤) المصدر نفسه، ص ص١٤٩ ـ ١٥٠، ومعنى (أقعد) أي أكثر تمكنا وتثبتاً.



هوامـــش

(٢٥) انظر: المثل السائر، ٢/٢٣١.
(٢٦) الكشاف، ٤/١٣٤.
(٢٧) المصـدر نفسه ٢/٤٠١.
(٢٨) الكشـاف، ٤/٢٢٠.
(٢٩) تفسير أبى السعود ١٣/٥.
(٣٠) تفسير التحرير والتنوير، ٣/١٥١. وانظر ايضا الآيات: ٥ من آل عمران، ٢٢ من العنكبوت، ٤ من طه.
(٣١) تفسير الكشـاف، ٢/٢٤٣.
(٣٢) المصـدر نفسه ٢/٥٨٠.
(٣٣) انظر: تفسير روح البيان، ١/٢٦٦، وتفسير أبى السعود، ٢/١٨٤ و٨/٢٦٥.
(٣٤) تفسـير البيضاوى، ص٣٣.
(٣٥) أحمد أحمد بدوى ص٧١.
(٣٦) انظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص٢٦٤ وما بعدها.
(٣٧) الأنوق: الرخمة وهي تضع بيضها حيث لا يوصل إليه بعدا وخفاء، ويضرب مثلا للشيء يعز وجوده.
(٣٨) المصدر نفسه، الهامش: الصفحة نفسها.
(٣٩) المصدر نفسه، ٣/٢٣٦، وانظر: تفسير أبى السعود ٧/٣١١.
(٤٠) تفسير البيضاوى، ص٥٤٦.
(٤١) أل الجنسية: تأتى على ثلاثة أنواع: (أ) التى لبيان الحقيقة والماهية وهي التي لا تخلفها «كل» نحو: ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ (الأنبياء/٢١)، (ب) التي لاستغـراق الجنس حقيقـة، فهي لشمـول أفـراد الجنس نحـو: ﴿وخلق الانسان ضعيفاً﴾ (النساء/٤)، وعلامتها أن تخلفها «كل» فلو قيل: وخلق كل إنسان ضعيفاً لكان صحيحاً، (جـ) التى لاستغراق الجنس مجازا لشمول صفات الجنس مبالغة نحو «أنت الرجل علمـاً وأدباً» أي أنت جامع لخصائص جميع الرجال وكمالاتهم.
ولقد كانت الآية (٢٥) من سورة البقرة مدار بحوث مطولة عند جمهور المفسرين، ولقد أحسن صاحب تفسـير (التحرير والتنوير)، واعتذر عن التوسع في نقلها، ولكنى رأيت من تمام القائدة اثباتها في الفقرة التالية.
(٤٢) تفسير التحرير والتنوير، المجلد الاول، ص ص ٣٥٢، ٣٥٣.
(٤٣) انظـر، الكشاف ١/٢٥٦.
(٤٤) المصـدر نفسه، ص٢٥٧.
(٤٥) انظر تفسير ابن عاشور، ١/٧١٥.
(٤٦) الكشـاف، ٤/١٥٢.
(٤٧) المصدر السـابق، ١/٥٥.
(٤٨) المصدر السابق، ١/١٨٢، وانظر تفسير ابن عاشور، ١/٢٧٨.
(٤٩) انظر تفسير ابن عاشور ٣/٣٠٥.
(٥٠) الكشـاف، ١/٢٥١.
(٥١) المصدر السـابق ٤/٢٥٨.
(٥٢) إشارة الى قوله تعالى: ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾ وقد فسره أبو عبيدة بمعنى هذا (مجاز القرآن ص٢٨).
(٥٣) انظر الكشـاف ١/٤٧١.
(٥٤) المصدر السـابق ٣/٢١١.
(٥٥) المصدر السابق ٤/٢٧٦.
(٥٦) تفسير التحرير والتنوير ٤/٨٩.
(٥٧) انظر: البرهان لابن الزملكاني، ص١٣٧.
(٥٨) الكشاف، ٢/١٠٣، وانظر إلى متعلق هامش (٤٦) - البقرة/٢٥.
(٥٩) الكشاف ٣/٤٠٤.
(٦٠) الكشـاف ١/١٦٥.
(٦١) البرهـان ١٣٦.
(٦٢) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

دقة تحديد الألفاظ واستعمالها في القرآن الكريم

﴿قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون﴾
(الزمر/ ٢٨)



د. كاصد ياسر الزيدى

■ من دلائل إعجاز الكتاب المبين، القرآن الكريم: تحديد الألفاظ التى وردت فيه تحديداً دقيقاً فى استعمالاتها المتعددة، حتى إن كل لفظ منها لا يغنى غناءها ولا يؤدى تمام معناها. وهذا وإن خفي على عامة الناس، وكثير من خاصتهم، لم يفت كبار اللغويين والأدباء والمفسرين، قدامى ومحدثين.

■ وكان أبو عثمان الجاحظ (ت٢٥٥هـ) من أوائل الملتفتين الى هذه الظاهرة اللغوية الفريدة السامقة فى التنزيل. وقد دعته عنايته المعروفة باللفظ الى ملاحظة الفروق المعنوية بين طائفة من الألفاظ التى يظن للوهلة أنها متساوية الدلالة تماماً، أو بعبارة أخرى: يظن أنها مترادفة، وليس ثمة فوارق دلالية بينها.

وقد انتهى الجاحظ الى هذه النتيجة، وهذا الملحظ الدقيق بعد دراسته للمفردات القرآنية فى سياقاتها المتعددة فى القرآن. وقد أداه ذلك الى نقده على عامة الناس وأكثر خاصتهم، عدم التفاتهم الى دقة استعمال القرآن لطائفة مما لم يفطنوا الى ما فيه من دقة، من الألفاظ، أو قل: المعجم القرآنى. ذلك المعجم الذى يمتاز من غيره بهذه الخصوصية، خصوصية الدقة المتناهية فى استعمال المفردة. ولذلك نجده يقول:

«وقد يستخف الناس يستعملونها وغيرها أحق بذلك منها. ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر فى القرآن الجوع إلا فى موضع العقاب، أو فى موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر. والناس لا يذكرون السغب، ويذكرون الجوع فى حال القدرة والسلامة ـ وكذلك ذكر المطر، لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا فى موضوع الانتقام. والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث، ولفظ القرآن الذى عليه نزل أنه إذا ذكر الأبصار لم يقل: الأسماع، وإذا ذكر سبع سموات لم يقل: الأرضين ـ ألا تراه لا يجمع الأرض أرضين، ولا السمع أسماعاً. والجارى على أفواه العامة غير ذلك، لا يتفقدون من الألفاظ ما هو أحق بالذكر والأولى بالاستعمال».

ثم بين أن بعض القراء ذهب إلى أنه لم يجد ذكر لفظ (النكاح) فى القرآن إلا فى موضع التزويج(١).

■ وبهذا وضع الجاحظ اللبنة الأولى في التفرقة الدلالية بين الألفاظ التى يظن أنها مترادفة فى القرآن، وهو ما سعى إليه من بعد غير واحد من اللغويين، كالمبرد (ت٢٨٤هـ) وأبى هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) فى كتابه (الفروق فى اللغة)، وأبى منصور الثعالبى (ت٤٢٨هـ) فى (فقه اللغة وسر العربية)، والراغب الأصفهانى (ت نحو ٤٢٠هـ) فى (مفردات ألفاظ القرآن). . كما عنى به غير واحد من المعاصرين، كالدكتورة عائشة عبد الرحمن فى (الاعجاز البيانى للقرآن الكريم ومسائل ابن الأزرق)، وصاحب هذا البحث فى (الطبيعة فى القرآن الكريم).

فالمبرد يفرق دلالياً بين (الشرعة) و(المنهاج) فى قوله تعالى: ﴿لكل جعلنا منكم

شرعة ومنهاجاً﴾ (المائدة/٤٨)، فلا يجعل الثانى مرادفاً للاول معطوفاً عليه لتغاير اللفظ، بل يقول: «عطف منهاج على شرعة، لأن الشرعة لأول الشيء، والمنهاج لمعظمه ومتسعه»(٢).

■ وأبو هلال يفرق بين الانكار والجحد، وكلاهما ورد فى القرآن، فيجعل الجحد لما ظهر من الأمور، والانكار لما خفي منها. واحتج للأول بقوله تعالى: ﴿**بآياتنا يجحدون**﴾ (الاعراف/٥١)، وقال: «فجعل الجحد مما تدل عليه الآيات، ولا يكون ذلك ظاهراً»، واحتج للثانى بقوله تعالى: ﴿**يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها**﴾ (النحل/٣)، وقال: «فجعل الانكار للنعمة، لأن النعمة قد تكون خافية»(٣).

وبالمثل فرق أبو هلال بين العقل واللب(٤)، وهما مما ورد فى القرآن(٥)، الى أمثلة أخرى كثيرة، لسنا هنا بصدد استقصائها.

■ وما انتهى اليه الجاحظ فى الواقع من هذه التفرقة الدقيقة بين ما يظن أنه مترادف ومتحد الدلالة من الألفاظ، يدل ـ كما يقول الدكتور محمد أحمد أبو الفرج(٦) على حس لغوي بالغ الدقة. فإذا نظرنا الى الألفاظ القرآنية التى ميز بعضها من بعض فى الاستعمال ألفينا ملاحظته صحيحة، وألفينا لذلك نظائر لم يذكرها، كالريح والرياح، والحلف والقسم، والرؤيا والحلم، والسكوت والصمت، وأمثال ذلك كثير. غير أن هذا الاستعمال لم يرق لأستاذنا الناقد المعروف الدكتور مصطفى ناصف، إذ عد صنيع الجاحظ يرجع الى مبدأ «التشيع لفكرة الاستعمال الواحد». . ووصف هذا الموقف بأنه «ينطوى على تعسف ظاهر»، على أساس أنه يؤدي الى التشيع لفكرة الدلالة الواحدة(٧).

(القران الكريم يستعمل اللفظة بدلالة معينة لا يمكن أن يؤديها لفظ اخر في المعنى الذى تحشد له المعاجم وكتب التفسير عددا قل أو كثر من الالفاظ).

(د. عائشة بنت الشاطىء)

والذى نراه هو ألا تعسف فى منهج الجاحظ هذا، بل هو دال من جهة على ما تحمله اللفظة القرآنية من قيمة دلالية ينبىء عنها سياق اللفظة بدليل (المصاحبة)(٨)، ودال من جهة أخرى على دقة استعمال القرآن للالفاظ، إذ ينبغى ألا ننكر أو ننسى أن للقرآن معجمه الخاص الذى تفرد به، وهو ما رآه من بعد الجاحظ غير واحد من القرآنيين الذين عرضوا لتفسير المفردات القرآنية، وخاصة الراغب الاصفهاني فى مفرداته المشهورة.

■ وقد تأثر الجاحظ بعده تلميذه ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، ففرق بين ألفاظ قد يظن أنها ذات دلالة واحدة، على نحو تفريقه بين (الكلام) وبين (القول)، فقد تبين له أن القول يقع فيه المجاز، فيقال مثلا: قال الحائط فمال، وقالت الناقة ـ ولا يقال فى مثل هذا المعنى: تكلم، إذ لا يكون الكلام إلا بالنطق ذاته، أي بالقول الحقيقي لا المجازى.

غير أنه ـ مع ذلك ـ لاحظ جواز الاسناد لما هو غير ناطق من عناصر الطبيعة: الطبيعية والصناعية «وهو ما يسميه الموات»، حين يراد بذلك العبرة والاتعاظ، فتقول: خبر، وتكلم، وذكر. وبعد أن احتج له بالشعر، احتج له بالتنزيل، فبين أن منه قوله تعالى: ﴿**أم أنزلنا عليهم سلطاناً فهو يتكلم بما كانوا به يشركون**﴾ (الروم/٣٥)»، وفسره بقوله: «أى أنزلنا عليهم برهاناً يستدلون به فهو يدلهم». أو بعبارة أخرى: إن الكلام هنا مجاز عن إنزال البرهان والدليل(٩).

■ ثم بين ابن قتيبة أنه لا يقال لمن ألهمه الله: «كلمه الله»، لما بينه فى كلامه السالف من الفرق بين الكلام والقول، من حيث إن الكلام لا يصح فيه التعبير عن النطق مجازاً، بل ذلك للقول. ونبه على أن من التعسف والتماس المخارج الضعيفة حمل (القول) فى مثل قوله عز وجل للسماء والأرض: ﴿**ائتيا طوعاً أوكرها قالتا أتينا طائعين**﴾ (فصلت/١١) على «أنه عبارة عن تكوينه لهما» وأن قوله ﴿**هل امتلأت وتقول هل من مزيد**﴾ (ق/٣٠) «إخبار عن سعتها». وحجته فى ذلك أنه ليس هناك ما يمنع من نطق السماء والأرض، أو نطق جهنم، فليس ذلك عن عجب، وقد انطق سبحانه ـ فى ذلك اليوم ـ الجلود، والايدى، والارجل، كما سخر فى الدنيا الجبال والطير

بالتسبيح(١٠). وهذا رأى له، وهناك كثيرون حملوا الكلام في مثل هذه التعابير على المجاز: لا الحقيقة، كالمرتضى، والزمخشري.

■ ويفرق الراغب الاصفهانى بين (اللب) و(العقل)، وكلاهما ورد فى التنزيل، وذلك بأن يجعل اللب أخص من العقل، يقول: «اللب: العقل الخالص عن الشوائب، وسمى بذلك لكونه خالص ما في الانسان من معانيه كاللباب واللب من الشيء، وقيل: هو ما زكى من العقل، فكل لب عقل وليس كل عقل لباً»(١١).

وقد بنى هذا الفهم على ما تبينه من استعمال القرآن لكل من اللفظين، إذ لاحظ أن وصف الباري سبحانه عبادة بـ (أولى الالباب) مخصوص بمن أولى صفات معينة، فقال: «ولهذا علق الله تعالى الأحكام التى لا يدركها إلا العقول الزكية بأولى الألباب، نحو قوله: **﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيرا﴾** الى قوله: **﴿أولوا الألباب﴾** ونحو ذلك من الآيات»(١٢).

■ وكان الراغب يهم بتأليف كتاب مفرد فى هذا الموضوع المهم، ويمنى نفسه بانجازه خدمة للقرآن الكريم وإعجازه، وأداء لرسالة العلم التى يحملها ويعنى بها، يدلنا على ذلك ما أورده فى خاتمة مقدمته لمفرداته، إذ قال: «وأتبع هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ونسأ فى الأجل، بكتاب ينبيء عن تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد وما بينها من الفروق الغامضة. فبذلك يعرف اختصاص كل خبر بلفظ من الألفاظ المترادفة دون غيره من أخواته، نحو ذكره القلب مرة، والفؤاد مرة، والصدر مرة ـ ونحو ذكره تعالى فى عقب قصة: **﴿إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾** وفى أخرى: **﴿لقوم يتفكرون﴾** وفى أخرى: **﴿لقوم يعلمون﴾** وفى اخرى: **﴿لقوم يفقهون﴾** وفى أخرى: **﴿ لأولى الأبصار﴾**، وفى أخرى: **﴿لذي حجر﴾**، وفى أخرى: **﴿لأولى النهى﴾** ونحو ذلك مما يعده من لا يحق الحق ويبطل الباطل أنه باب واحد، فيقدر أنه إذا فسر «الحمد لله بقوله: الشكر لله، و«لا ريب فيه» بلا شك فيه، فقد فسر القرآن ووفاه التبيان»(١٣).

■ وهذا يعنى أن الراغب ـ رحمه الله ـ كان يعد العدة لمشروع كتاب، قد يكون فريداً فى موضوعه، متميزاً مما سبقه من كتب الدراسات القرآنية ذات السمة الدلالية، كرسالة المبرد: (ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد)(١٤)، وكتب تفسير غريب القرآن التى سبقته وعرضت للمترادفات فى الأثناء، ككتاب ابن قتيبة، ومحمد بن عبد العزيز السجستانى (ت ٣٣٠هـ)، وأغلب الظن أن الأجل لم يمهله لاتمام هذا الكتاب أو الشروع به، أو أن مشاغل الدنيا وعوارضها حالت دون تحقيق أمنيته.



على أنه بث كتابه (مفردات ألفاظ القرآن) كثيراً مما وعد التفريق بين دلالته، مما يعد أو يتوهم أنه متحد الدلالة من الألفاظ.

وحين يهدينا البحث الى الوقوف عند كتاب قرآنى قيم مخطوط(١٥) لأبى الحسن على بن عيسى الر مانى النحوى اللغوى المفسر، (ت٣٨٤هـ)، سماه(١٦) (الجامع لعلم القرآن)، يتبين لنا منه أن مؤلفه الجليل حرص أيضاً على إيضاح الفروق الدلالية الدقيقة بين كثير من الألفاظ القرآنية التى قد تبدو مترادفة وذات دلالة واحدة. فمن ذلك ما أورده فى وقوفه عند قوله تعالى: **﴿فانتقمنا منهم وإنهما لبإمام مبين﴾** (الحجر/٧٩)، إذ فرق معنوياً بين (الانتقام) و(العقاب) تفرقة دقيقة، بأن قال: «الانتقام نقيض الانعام، والعقاب نقيض الثواب ـ فالعقاب مضمن بأنه على المعصية، والانتقام مطلق، وهو هنا على المعاصي، لأن الاطلاق يصلح فيه التقييد بحرف الاضافة»(١٧)، يريد: بحرف الجر.

أو بعبارة أخرى: إن العقاب لابد أن يكون على معصية. أما الانتقام فأعم وأطلق من هذا التحديد، إذ قد يكون على معصية وجرم، وقد يكون ابتداء من غير معصية. وهو فى النص

القرآني على المعصية، فالخالق العادل سبحانه لا ينتقم إلا من عاص موغل في عصيانه سادر في غيه.

■ ويفرق أبو جعفر محمد بن الحسن الطويسي المفسر الامامي (ت٤٦٠هـ) دلالياً بين طائفة من الألفاظ التي تبدو مترادفة، فهو ينفي مثلا ظنه التكرار في قوله تعالى مخاطباً نبيه الكريم محمداً (ﷺ): ﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ (آل عمران/١٥٩)، بأن يبين أن لفظ (غليظ) يباين في دلالته لفظ (فظ)، وهو أن الفظاظة إنما تكون أعم من الغلظة، لأنها تكون باللسان تارة وبالجنان تارة أخرى.. فجاء التعبير: (غليظ القلب) ليدل على أنها فظاظة الجنان لا اللسان(١٨)، تلك التي نفاها سبحانه عن نبيه المصطفى في ذلك السياق، مع ما عرف عنه أيضاً صلوات الله عليه من الرأفة واللين باللسان.

■ ويسلمنا الحديث بعد هذا الى صنيع الدكتورة عائشة عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطىء في كتابها القيم: «الاعجاز البياني للقرآن الكريم ومسائل ابن الأزرق»، وموقفها من موضوع الترادف في القرآن، لقد صنعت الدكتورة عائشة معجماً صغيراً في أحد فصول كتابها، قدمت له بكلمة تاريخية عن الترادف، ذكرت فيها أقوال الفريقين من القدامى: المؤيدين له، والمنكرين، كما عرضت آراء عدد من اللغويين المحدثين مثل الدكتور على عبد الواحد وافى، والدكتور ابراهيم أنيس، ولم تقطع ابتداء برأى في ذلك الخلاف، بل رأت أن «من الحق ألا نأخذ في القضية برأى دون عرضها على الكتاب العربي المبين، لأنه الذى يحسم ذلك الخلاف الذى طال».

وانتهت الدكتورة عائشة الى أن استقراءها «لألفاظ القرآن في سياقها» أقنعها بأنه «يستعمل اللفظة بدلالة معينة، لا يمكن أن يؤديها لفظ آخر في المعنى الذى تحشد له المعاجم وكتب التفسير عدداً قل أو كثر من الألفاظ»(١٩).

ثم انبرت بعد ذلك تعرض معجمها القرآني، موازنة بين ألفاظ تبدو للوهلة متفقة المعنى، مثل: الرؤيا والحلم، وآنس وأبصر، وحلف وأقسم، والتصدع والتحطم، والخشوع والخشية، والخضوع والخوف، والزوج والمرأة، وكذلك ألفاظ ترجع الى مادة واحدة مع اختلاف بينها في الصيغ، مثل: اشتات وشتى، والانس والانسان، والنعمة والنعيم.. وانتهت من دراسة هذه الألفاظ في سياقها القرآني، الى أن بينها فروقاً معنوية دقيقة، ففي الرؤيا والحلم مثلا لاحظت أن أرباب المعجمات يفسرون الحلم بالرؤيا. ثم تساءلت: «**هل كان العرب الخلص في عصر المبعث بحيث يضعون احد اللفظين مكان الآخر حين تحداهم القرآن أن يأتوا بسورة من مثله، فيقال مثلا: افتوني في حلمي إن كنتم للرؤيا تعبرون؟** ثم أجابت: «كلا لا يقولها عربي يجد حسّ لغته سليقة وفطرة».

ثم بينت أنها حين استقرأت موضوع ورود اللفظين في القرآن، وجدت أنهما لا يترادفان، إذ «استعمل القرآن الأحلام ثلاث مرات يشهد سياقها في أنها الاضغاث المشوشة والهواجس المختلطة». ولاحظت كذلك أن هذه المواضع الثلاثة تأتي فيها اللفظة «بصيغة الجمع دلالة على الخلط والتشويش»، نحو قوله: ﴿**بل قالوا أضغاث أحلام**﴾ (الانبياء/٥).

على حين وجدت (الرؤيا) قد «جاءت في القرآن سبع مرات، كلها في الرؤيا الصادقة، وهو لا يستعملها إلا بصيغة المفرد: دلالة على التميز والوضوح والصفاء». وقد جاءت الرؤيا من بين المرات السبع خمس مرات للأنبياء، كرؤيا إبراهيم عليه السلام: ﴿**وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا**﴾ (الصافات/١٠٩)، ورؤيا يوسف.. ورؤيا المصطفى محمد (ﷺ)، وغير ذلك(٢٠).

■ وعلى هذا المنوال من استقراء موارد استعمال هذه الألفاظ، تمضى الدكتورة عائشة في دراستها،

الدراسات القرآنية في مسألة تحديد الالفاظ القرآنية ودقتها وعدم ترادفها شغلت كثيرا من المهتمين بهذا الجانب من قدامى ومحدثين.

منتقلة الى لفظتى آنس وأبصر، وغيرهما من الألفاظ التى أوردناها آنفاً. وتخلص المؤلفة الفاضلة من هذا كله الى القول: «واكتفى بما قدمت من شواهد تؤيد ما ذهب إليه المحققون من أهل اللغة، فى انكار القول بالترادف، إلا أن يجيىء فى لغتين، فأما أن يجيىء فى لغة واحدة فمحال ـ عندها ـ أن يختلف اللفظان والمعنى واحد، كما يظن كثير من النحويين واللغويين». وهى فى هذا تستمد من أبى هلال العسكري فى كتابه (**الفروق فى اللغة**)، وقد أشارت الى ذلك(٢١).

■ والذى نود بيانه هنا، هو أن الذى ذهبت إليه الدكتورة الفاضلة فى مثل هذه الألفاظ التى تنسب الى لهجات عربية هو عين الصواب، فليست هذه الألفاظ متحدة المعنى تماماً، بل بينها فروق دلالية فى عدة مواضع من القرآن، كالحلف والقسم، والرؤيا والحلم. وهذا الذى ذهبت إليه صحيح.

إلا أن الذى نختلف معها فيه، نفيها وقوع الترادف فى القرآن مطلقاً، إذ لا نجد معنى لهذا القول مع التسليم بأن القرآن لم ينزل بلهجة واحدة ـ ولو كانت لهجة قريش ـ وإنما نزل باللغة (المشتركة)، أو كما تسمى أيضاً (الموحدة)، وهى تحتوى على عدة لهجات عربية فصيحة، وإن كانت لهجة قريش أساسها ونواتها وعمادها ـ إذ لا خلاف بين القرآنيين قديماً وحديثاً أن فى القرآن من لهجات عدد من القبائل، والبيئات، كلفظة (سامدون) بمعنى (لاهون) فى لغة اليمن، كما ورد فى الآثار المروية عن بعض السلف ـ كابن عباس رضى الله عنه ـ وغير واحد من اللغويين كأبى عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ) فى كتابه القيم: (غريب الحديث)(٢٢).

■ وقد تبين لنا من دراسة مفردات القرآن بدقة أن بينها ترادفاً فى عدة مواضع، وذلك مثل الذهب والزخرف فى مثل قوله: ﴿**أو يكون لك بيت من زخرف**﴾ (الاسراء/٩٣)، قال الراغب(٢٣): «الزخرف: يعنى الذهب»، ونظيره: البعولة والأزواج(٢٤)، والحرث والزرع(٢٥)، الى غير ذلك من ألفاظ أخرى.



■ من كل ما تقدم يتبين لنا دقة تحديد القرآن للألفاظ فى استعماله لها، بحيث إن كثيراً من الألفاظ تتمايز وتتباين فى دلالاتها، وإن بدت لغير المتخصص باللغة مترادفة، ومتحدة الدلالة، وهذا إن دل على شيء، فانما يدل على أن هذا الكتاب المجيد، معجز فى هذا الجانب من جوانب سموقه وسمو بيانه، وهو بعد دليل لكل من يبتغى الاهتداء الى سر من أسراره، ودليل على أن العربية لم تشهد ولن تشهد فى تاريخها الطويل كتاباً فى مثل روعته ودقة لفظه، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**قرآنا عربياً غير ذى عوج لعلهم يتقون**﴾ (الزمر: ٢٨).

الهوامش

(١) الجاحظ: البيان والتبيين ١/ ٢٠، ط٣ بتحقيق عبد السلام هارون.
(٢) أبو هلال: الفروق فى اللغة ص١٣، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.
(٣، ٤) الفروق فى اللغة ص٣٧، ص٧٦.
(٥) ينظر (يعقلون) مثلا فى البقرة: ١٦٤، ١٧٠، ١٧١، والمائدة: ٥٨، ١٠٣، ٢.
(٦) المعاجم اللغوية فى ضوء دراسات علم اللغة الحديث ص١١٢.
(٧) نظرية المعنى فى النقد العربى، للدكتور مصطفى ناصف ص١٨٧ من الطبعة الأولى.
(٨) ينظر هذا الدليل فى كتاب المعاجم اللغوية ص١١٠ وما بعدها.
(٩) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن ص١٠٩-١١٠
(١٠) المصدر نفسه ص ١١٢-١١٣.
(١١، ١٢) الراغب: مفردات ألفاظ القرآن ص٤٦٦، مادة (لب)
(١٣) المصدر نفسه: المقدمة: س.
(١٤) طبعت هذه الرسالة فى المطبعة السلفية سنة ١٣٥٠ للهجرة بتحقيق المحقق الميمني.

الهوامــــش

(١٥) منه نسخة بأجزاء فى معهد إحياء المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية .

(١٦) كما أشار اليه فى رسالته : (النكت فى اعجاز القرآن) ص١٤٠ عن ثلاث رسائل فى الاعجاز القرآنى) بتحقيق الدكتور خلف الله .

(١٧) الجامع لعلم القرآن ١٢٣/١٢ من المخطوطة، وينظر كتابنا : فقه اللغة العربية ص١٧٦ .

(١٨) الطويسى : التبيان فى تفسير القرآن، عند تفسير الآية ١٥٩ من آل عمران .

(١٩) عائشة عبد الرحمن : الاعجاز البيانى للقرآن الكريم ص١٩٨ .

(٢٠، ٢١) المصدر نفسه ص٣١٩-٣٢٠ .

(٢٢) ٨١/٤، طبعة دائرة المعارف العثمانية ـ الهند .

(٢٣) مفردات ألفاظ القرآن ص٢٤٦ (زخرف)

(٢٤) تنظر الآيات فى البقرة: ٣٢٨، النور: ٣١، والبقرة٣٣٢ .

(٢٥) فى عدة مواضع كما فى البقرة: ٧١، ٢٠٥، آل عمران: ١٤، ١١٧، الانعام: ١٤١ .



من بلاغة الحذف في القرآن الكريم

القرآن الكريم معين البلاغة الذى لا ينضب، وينبوعها الذى لا يشح، عكف عليه جهابذة العربية من نحاة وبلاغيين أربعة عشر قرناً من الزمن، فما زادهم النظر فى آياته إلا تسليماً بسمو بيانه وروعة أسلوبه، وأنه ليس بقول بشر، وأنه يعلو ولا يعلى.

من ادعى أنه حصل منتهى بلاغته كذب، ومن خال أنه غاص على أعمق معانيه جهل.

﴿كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾ (هود/١).

■ ولما كان القرآن الكريم أوثق نص لغوي، فقد حرص علماء العربية أن يجعلوه للغتهم إماماً يتخذون من آياته البينات شواهد وبراهين على صدق القواعد التى يبنونها والأصول التى يرفعونها لهذه اللغة الشريفة. ومن هنا فقد كثرت فى كتب النحاة أولا وكتب البلاغيين ثانياً الشواهد القرآنية، وما كانت نفوسهم لتطمئن بالشاهد اللغوي اطمئنانها بالآية من الكتاب العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.



ولقد تهدّى علماء العربية وهم يبحثون فى قواعد اللغة وأصولها إلى ظاهرة الحذف فى لغة العرب. والحذف من أبواب العربية الواسعات التى اجتمع النحويون والبلاغيون والمفسرون على العناية بها. و«هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الافادة أزيد للافادة»(١).



وقد وقع الحذف كثيراً فى أسلوب القرآن الكريم، وهو يمثل جانباً هاماً من بلاغة الذكر الحكيم، لما يتعلق به من وجوه دلالية دقيقة، وأسرار بيانية عميقة. ولعل ما يأتي يكشف عن بعض الوجوه البلاغية لهذه الظاهرة فى التركيب القرآني.

الحذف للاتساع في التقدير:

ذلك أن الحذف يستدعي فى الغالب تقدير الكلام المحذوف، وربما صلح المعنى فى الآية من القرآن مع اختلاف وجوه التقدير، مما يفسح المجال أمام النفس لتذهب فى المعنى مذاهب متعددة، كلها صالح مقبول. ولو كان المحذوف مصرحاً به، لحرمت النفس فرصة اكتشاف المعاني وتأويلها.

ولعل لفظ البسملة أول موضع من القرآن على الاتساع الذي يكون مع الحذف. وليس يعنينا فى هذا المقام الخلاف فى شأن البسملة: أهي آية من السور أم ليست آية(٢)؟ وإنما يعنينا أنها من القرآن لورودها فيه(٣)، وأن الرسول ﴿ﷺ﴾ حض أمته على

محمد طاهر الحمصي

كلية الاداب - جامعة البعث - حلب - سوريا

أن يبدؤوا أعمالهم بها، فقال: «**كل أمر ذى بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر**». وإذا افتتح بها المؤمن أعماله كان لابد من تقدير فعل محذوف. ويختلف لفظ الفعل المقدر بحسب اختلاف حال المتكلم، فإذا كانت البسملة للقراءة كان التقدير: بسم الله الرحمن الرحيم أقرأ، وإذا كانت للذبح كان التقدير: بسم الله الرحمن الرحيم أذبح، وإذا كانت للارتحال كان التقدير: بسم الله الرحمن الرحيم أرتحل..

ولولا أن كان لفظ الفعل محذوفاً من البسملة ما أمكن هذا الاتساع فى التقدير. يقول ابن قيم الجوزية وهو يعدد فوائد حذف العامل فى (بسم الله): «ومنها أن الفعل إذا حذف صح الابتداء بالتسمية فى كل عمل وقول وحركة، وليس فعل أولى بها من فعل، فكان الحذف أعم من الذكر، فإن أى فعل ذكرته كان المحذوف أعم منه»(٤).

■ وتأمل قوله تعالى: ﴿**ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى**﴾ (الرعد/٣١) فقد حذف جواب الشرط واحتيج إلى التقدير، فذهب بعضهم إلى أن المعنى: ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى لكان هذا القرآن(٥). وذهب آخرون إلى أن الجواب تقديره: لما آمنوا(٦).

■ وفى قوله تعالى: ﴿**وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها: سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين**﴾ (الزمر/٧٣) جواب شرط محذوف، تقديره: حصلوا على النعيم المقيم. ويمكن أن يلتمس له وجه آخر، كأن يقدر: وجدوا ما وعدهم الله حقاً، أو غير ذلك مما يصلح عليه المعنى، ويستقيم معه سياق الكلام.

ويستطيع من يقرأ قوله تعالى: ﴿**وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون**﴾ (يس/٤٥) أن يذهب فى تقدير الجواب مذاهب متعددة، كأن يقدره: أعرضوا ولم يتقوا، أو استكبروا، أو تمادوا في غيهم، أو قالوا: لن نتقي.

وقديماً قال الرماني في تعليل بلاغة الحذف فى القرآن الكريم: «**وإنما صار الحذف فى مثل هذا أبلغ من الذكر، لأن النفس تذهب فيه كل مذهب. ولو ذكر الجواب لقصر على الوجه الذي تضمنه البيان**»(٧).

ومن هنا يظل القرآن الكريم قادراً على إثارة فضول أرباب الفقه وفرسان البيان لاستكشاف آفاقه التى لا تحد والغوص على معانيه التى لا تنفد.

جاء الحذف فى أسلوب القران الكريم ليمثل جانبا هاما من بلاغته، ويشير الحذف إلى عدة وجوه دلالية دقيقة، واسرار بيانية عميقة.

الحذف للمشاكلة بين اللفظ والمعنى:

إن كثيراً من الحذف في القرآن الكريم يمكن أن يتخذ سبيلا لاكتشاف المشاكلة بين صورة الكلام اللفظية وصورته المعنوية. وتلك ـ والله ـ حكمة بالغة من لدن عزيز حكيم، إذ يكون الكلام حينئذ في أكمل صوره، لأنه يشف عن سر عميق فى المعنى.

وقديما ذكر علماء اللغة أن ثمة مناسبة بين شكل اللفظ المفرد ومعناه، وأن هيئة الكلمة قد تكون أمارة على المعنى(٨). ويقودنا هذا إلى الاعتقاد بأن تلك المناسبة لا ينكر وجودها فى الكلام المركب، بل إن الكلام إذا كان مركباً كان أحرى بالاشتمال على هذه المناسبة بين صورة التركيب وحقيقة المعنى، فما الألفاظ إلا صور المعاني:

ولطف الأواني في الحقيقة تابع
للطف المعاني، والمعاني بها تسمو(٩)

■ يقول عبد القاهر الجرجاني: «ودليل آخر، وهو أنه لو كان القصد بالنظم إلى اللفظ نفسه دون

أن يكون الغرض ترتيب المعاني في النفس، ثم النطق على حذوها، لكان ينبغي ألا يختلف حال اثنين في العلم بحسن النظم أو غير الحسن فيه، لأنهما يحسان بتوالي الألفاظ في النطق إحساساً واحداً، ولا يعرف أحدهما في ذلك شيئاً يجهله الآخر»(١٠).

■ ومن أمثلة المشاكلة بين اللفظ والمعنى قوله تعالى: **﴿وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا﴾** (البقرة/٦٠)، لما أمر بالضرب ثم أخبر بحصول انفجار العيون، علم أن المخاطب قد استجاب للأمر، فضرب، ثم كان من بعد الضرب الانفجار. ولهذا فإن هناك محذوفاً هو الجملة التي عطفت عليها جملة (انفجرت)، والتقدير: فقلنا اضرب بعصاك الحجر فضرب فانفجرت. ولعمري إن لحذف الفعل (ضرب) أسراراً بيانية عظيمة، بيانها - والله أعلم - أن موسى عليه السلام، وهو رسول الله وكليمه، لم يكن يعقل منه إلا أن يضرب امتثالا لأمر الله عز وجل، ولهذا فلا ضرورة للتصريح بالفعل الموثوق بحصوله المقطوع بوقوعه، وأن امتثال موسى - عليه السلام - حصل فور تلقي الأمر، فصار انفجار العيون كأنه حصل فور صدور الأمر لسرعة الامتثال. ولم يكن ليعبر عن هذه الأسرار إلا بحذف ما حذف وإثبات ما أثبت.

■ ومما يقوي ما ذهبت إليه المحافظة على المحذوف نفسه في آية أخرى تكرر فيها ذكر المعجزة التي أوتيها موسى - عليه السلام - في انفجار العيون الاثنتي عشرة على يديه، وذلك في قوله تعالى من سورة الاعراف: **﴿وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا﴾** (الاعراف/١٦٠)، فالمشاكلة إذاً حاصلة في الآيتين بين صورة اللفظ وحقيقة المعنى من حيث كان مجيء لفظ فعل الانفجار عقب لفظ الأمر بالضرب يناسب حصول انفجار العيون عقب الأمر بالضرب لسرعة الامتثال. ولابد من الاشارة إلى أن سرعة الامتثال التي دل عليها حذف الفعل (ضرب) توافق مقتضى حال المخاطب موسى عليه السلام، إذ كان موسى وقومه في حالة جدب شديد بعد أن نفد ماؤهم، ولما استسقى لهم عليه السلام فأمر بفعل الضرب الذي سيكون سبباً لوفرة الماء كان حرياً أن يسرع في الامتثال وأن يضرب بعصاه الحجر طاعة لله ورغبة منه في توفير الماء لقومه، والله أعلم.



■ ومن المشاكلة بين اللفظ والمعنى قوله عز اسمه: **﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا﴾** (البقرة/١٢٧)، أي يقولان ربنا أو قائلين ربنا. وفي حذف لفظ القول في الآية دلالة على شدة اقتران رفع القواعد بالدعاء، وكأنهما - عليهما السلام - لم يكونا ليفترا عن الدعاء وهما يرفعان قواعد البيت. فلما كان المعنى على أن عملهما لم ينفصل عن الدعاء حذف ما يفصل بين عملهما (رفع القواعد) ودعائهما (ربنا تقبل منا) في اللفظ لتتم المشاكلة بين صورة اللفظ وحقيقة المعنى.

■ ومن هذا القبيل قوله تعالى: **﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب، سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾** (الرعد/٢٣-٢٤)، أي يقولون: سلام عليكم. فلما ترافق دخول الملائكة على أصحاب الجنة بالتسليم عليهم، ولما كان دخولهم من كل باب في وقت معاً، لم يكن ثمة فاصل بين الدخول وإلقاء السلام، فدخول يحصل هنا في وقت يسمع فيه سلام يلقى هناك، وسلام يسمع هنا في وقت يحصل فيه دخول هناك، فلا فاصل بين رؤية الملائكة داخلين وسماعهم مسلمين. وإذ اشتد اقتران الدخول بالسلام إلى هذا الحد، حسن حذف ما يفصل بينهما في اللفظ وهو القول، وصارت حينئذ صورة اللفظ منبئة بالمعنى العميق الذي يوافق ما يقتضيه حال أهل الجنة، والله أعلم.

■ ومن قوله تعالى: **﴿لا يسأم الانسان من دعاء الخير وإن مسه الشر فيؤوس قنوط﴾** (فصلت/٤٩)

أى فهو يؤوس قنوط. لم يصرح بلفظ المبتدأ (هو) في جواب الشرط ليكون حذفه دليلا على قرب يأس الانسان وقنوطه حين يمسه الشر، فليس ثمة حاجز من الصبر والاحتمال، فلما زال ما يحجز بين وقوع الشر على الانسان وبين يأسه وقنوطه في حقيقة الأمر اقتضى ذلك أن يزول ما يحجز بين لفظ الشر ولفظ اليأس في صورة الكلام.

الحذف للاعتماد على شهادة العقل:

فقد يتهدى العقل إلى معرفة المحذوف مع عدم وجود القرائن اللفظية في الكلام. ويكون غرض الحذف عند ذاك الاعتماد على شهادة العقل، لأنها أولى من شهادة اللفظ. وفي ذلك إكبار للعقل البشري وتمرين له على التفكر والتبصر وإدراك دلالات الكلام.

■ ومن أمثلة هذا الحذف في القرآن قوله تعالى: ﴿**فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا**﴾ (الفرقان/٣٦). فالعقل يهديك إلى تقدير المحذوف في هذه الآية، إذ لا يصح أن يحصل التدمير عقب الأمر بالذهاب إلى القوم المكذبين، بل لابد أن يكون قد حصل بعد الذهاب ما يستدعي غضب الله على أولئك القوم، ثم لا ترى الفكرتين: (فكرة الأمر بالذهاب وفكرة التدمير) تتسقان إلا مع هذا التقدير: فأتياهم، فأبلغاهم الرسالة فكذبوهما فدمرناهم تدميراً. وقال الزمخشري ـ رحمه الله ـ بعد أن أورد هذا التقدير: «أراد اختصار القصة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم»(١١). وربما كان من أغراض الحذف هنا الالماح إلى تعجيل عقوبة الذين يكذبون الأنبياء ليكون ذلك رادعاً لمن تسول لهم أنفسهم مثل ذلك، فالتكذيب في أثره التدمير، وليس ثمة إمهال.

■ ومن هذا القبيل الحذف في قوله تعالى: ﴿**فمن كان منكم مريضاً أوبه أذى من رأسه ففدية**﴾ (البقرة/١٩٦). لابد من تقدير المحذوف في الآية ليستقيم الحكم، وليكون الكلام مساوقاً لما قبله، وهو: «**ولا تحلقوا حتى يبلغ الهدى محله**». والتقدير: فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه فحلق فعليه فدية. وعلة الحذف هنا الاعتماد على عقل المخاطب وفطنته في إدراك المقام الذى كان الكلام من أجله وبسببه، وهو بيان أحكام الحلق في الحج.

(الحذف، باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الامر شبيه بالسحر، فانك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الافادة أزيد للافادة)

■ ومن ذلك الحذف جملة الشرط في قوله تعالى: ﴿**إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون**﴾ (العنكبوت/٥٦) فلا يتوصل إلى معرفة المناسبة بين سعة الأرض والأمر بالعبادة إلا بتقدير جملة الشرط المحذوفة، والتقدير: فإن لم يتأت إخلاص العبادة لى في هذه البلدة فإياي فاعبدوني في غيرها.

■ ومن ذلك أيضاً حذف جملة جواب الشرط في قوله عز وجل: ﴿**من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت**﴾ (العنكبوت/٥). فالعقل يستدل على أن الذي يرجو لقاء الله لابد له أن يبادر بالعمل الصالح، وإلا لم يكن صادقاً في رجائه. ، فالتقدير إذاً: من كان يرجو لقاء الله فليبادر بالعمل فإن أجل الله لآت. وهذا التقدير تصدقه الآية الكريمة الأخرى: ﴿**فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا**﴾ (الكهف/١١٠).

■ ومن ذلك أيضا ما يهتدي العقل إلى تقديره في القصص التى تضمنها القرآن. مثال ذلك قوله تعالى في قصة سليمان ـ عليه السلام ـ وملكة سبأ: ﴿**اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون. قالت يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم**﴾ (النمل/٢٨-٢٩) أى ففعل ذلك فأخذت الكتاب فقرأته فقالت: يا أيها الملأ . . .

ولا شك في أن مثل هذا الحذف يستثير النباهة والفهم، ويدعو الى التبصر وحسن المتابعة، ويدفع السأم والملل، ويسهل الحفظ والاستظهار.

ويلحق بهذا الضرب من الحذف حذف جواب القسم في مواضع عديدة من القرآن الكريم، وذلك للوقوف بقدرة العقل على اكتشاف الجواب عند التبصر فى المقام الذي يلقى فيه القسم والسياق العام الذي يحتويه. نحو قوله تعالى: ﴿ق والقرآن المجيد﴾ (ق-١/). أى إنه لمعجز، مراعـاة لما فى ابتداء السورة بهذا الحرف من التحدي. ومثل ذلك يقال فى قوله تعالى: ﴿ص والقرآن ذي الذكر﴾ (ص-١/). وإلى هذا ذهب الزمخشري في كشافه(١٢). ونحو منه قوله تعالى: ﴿والنازعات غرقاً﴾ (النازعات/١) جواب القسم محذوف، تقديره: لتبعثن، لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة: ﴿يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة﴾ (النازعات/٦-٧).

الحذف للاحتراز من التكرار الزائد:

من بلاغة القرآن الكريم أن التكرار لا يقع فيه إلا لغرض بلاغي كتمكين المعنى وتوكيده وتقريره، أما التكرار الذى يعد حشواً لا فائدة منه فالقرآن أجل من أن يحتوى عليه، ولذا فقد حذف في القرآن مالا فائدة فى التصريح به. ويكون ذلك عند وجود القرنية المبينة عن المحذوف إبانة ينتفي معها الشك فيه، ومن أمثلة هذا الحذف حذف المبتدأ في جواب الاستفهام فى نحو قوله تعالى: ﴿وما أدراك ما الحطمة؟ نار الله الموقدة﴾ (الهمزة/٥-٦)، أى هي نار الله. ولو صرح بالمبتدأ لكان في الكلام ما يزيد على الحاجة، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا؟ الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾ (الكهف/١٠٤). ولو صرح بالمحذوف في هذه الآية لتكرر فى الجواب ما ذكر في الاستفهام.

■ ومما حذف للاحتراز من التكرار المبتدأ بعد فاء جواب الشرط نحو قوله عز وجل: ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها﴾ (فصلت/٤٦ - الجاثية/١٥)، أى فعمله لنفسه وإساءته عليها. وقوله تعالى: ﴿وإن تخالطوهم فإخوانكم﴾ (البقرة/٢٢٠)، أي فهم إخوانكم. وبعد القول في نحو قوله تعـالى: ﴿وقالوا أساطير الأولين﴾ (الفرقان/٥) أي هو أساطير الأولين، والضمير عائد على القرآن المذكور قبلا. وقوله تعالى: ﴿سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم﴾ (الكهف/٢٢)، أى هم ثلاثة، وهم خمسة. ومن هذا القبيل حذف الخبر فى نحو قوله تعالى: ﴿أكلها دائم وظلها﴾ (الرعد/٣٥). أي وظلها دائم، استغني بذكر الخبر فى الجملة المعطوف عليها عن ذكره في الجملة المعطوفة. ومثله قوله تعالى: ﴿وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم، والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ (المائدة/٥)، أي حل لكم، وقريب من ذلك قوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد، ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾ (الحج/٢٥). حذف خبر (إن) لدلالة جواب الشرط عليه، والتقدير: إن الذين كفروا... سنذيقهم من عذاب أليم. ولو صرح به لكان فى الكلام ما يشبه التكرار.

■ ومن هذا الوادى أيضاً حذف جواب الشرط فى مثل قوله تعالى: ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة﴾ (النساء/٧٨). أى لأدرككم، استغني بجواب الشرط الأول عن ذكر جواب الشرط الثانى. ونحو منه قوله تعالى: ﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدداً﴾ (الكهف/١٠٩). أى لنفد أيضاً بدلالة جواب الشرط الأول.

وإذا اشتبه الأمر بالتكرار عمد البيان الالهي إلى حذف ما يستغني عنه الكلام، ليكون في أعـلى درجات الايجاز، وتأمل قوله تعالى: ﴿لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل،

ان كثيرا من الحذف فى القرآن الكريم يمكن أن يتخذ سبيلا لاكتشاف المشاكلة بين صورة الكلام اللفظية وصورته المعنوية.

أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا، وكلا وعد الله الحسنى﴾ (الحديد/١٠) أي لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ومن أنفق من بعده وقاتل. حذف الجملة المعطوفة لدلالة ما بعدها عليها، ولو ذكرت لكان في الكلام ما يشبه التكرار.

■ وبعد فبلاغة القرآن خضم واسع، كلما بدا للمبحر فيه أنه أشرف على الساحل امتدت أمام عينيه أرجاء من ورائها أرجاء.. وما ذكر في هذه المقالة ليس إلا نفية من هذا البحر الذى. لا ساحل له، فإن كان فيه فائدة فذلك ما كنا نبغي، وإن تكن الأخرى فحسبى أني أخلصت النية، وإنما الأعمال بالنيات.

الهوامـــش

---

(١) دلائل الاعجاز/١٠٣ لعبد القاهر الجرجاني. تحقيق الدكتور رضوان الداية والدكتور فايز الداية.

(٢) اختلف الفقهاء في البسملة في أوائل السور، فذهب فريق منهم الشافعي - رضى الله عنه - إلى أنها آية من كل سورة، وذهب آخرون - ومنهم أبو حنيفة رضى الله عنه - إلى أنها ليست آية من السور.

(٣) قال تعالى: ﴿إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (النمل/٣٠).

(٤) بدائع الفوائد ١/٥، لابن قيم الجوزية.

(٥) انظر بيان إعجاز القرآن للخطابي/ ٥١-٥٢ (ضمن ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن)، والنكت فى إعجاز القرآن للرماني/٧٦.

(٦) انظر مغني اللبيب/٧٢١. تحقيق الدكتور مازن المبارك.

(٧) النكت في إعجاز القرآن/٧٧ (ضمن ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن).

(٨) انظر كلام ابن جني فى الخصائص ٢/١٥٢ (باب فى إمساس الألفاظ أشباه المعاني).

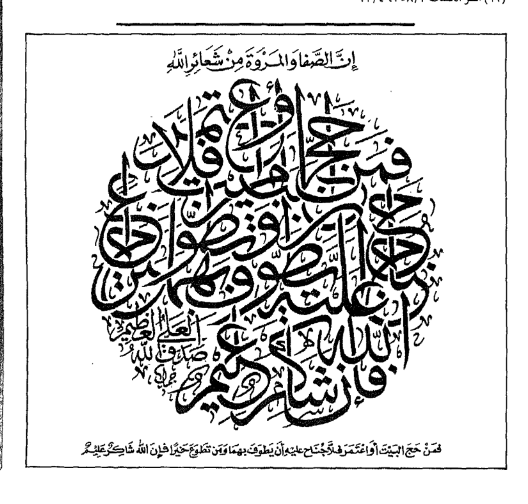
(٩) البيت لابن الفارض.

(١٠) دلائل الاعجاز/٤٣.

(١١) الكشاف عن حقائق التنزيل ٣/٩٢ للزمخشري.

(١٢) انظر الكشاف ٣/٣٥٨، ٤/٣.





التصحيف والتحريف

.. اللغة العربية ليست لغة طارئة وليدة وقتها يطرأ عليها التغيير والتبديل والتحوير، بل هي قوام أمة، وحاملة دين وتشريع، ولغة حضارة باقية ما بقى الدهر.. تشرفت هذه اللغة بأن أصبحت وعاء للقران الكريم، تحمله قرانا يتلى ويتعبد به.. وشريعة تقيم منهجا للحياة.

لكل هذا فان اللغة العربية تأخذ أهميتها من القران الكريم، واى تحريف او تصحيف، أو تغيير متعمد فى ألفاظها ليس بالامر السهل الذى يمكن تجاوزه..

دراسات لغوية وبيانية

أ.د. احمد محمد عبد الدايم
كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

■ لقد شغلنى أمر الخط العربى منذ عهد بعيد. . وزادت اهتماماتى به بعد أن زادت اتصالاتى بمراجع الدرس ومصادر البحث من كتب ومخطوطات. . وكان أهم ما برز لى من قضايا «قضية التصحيف والتحريف» وزاد اهتمامى بهذه القضية منذ أن رأيت الحانقين على لغتنا يدعون إلى نبذها والكتابة بالحروف اللاتينية هربا من النقط وتهيبا للحركات والأمر بهذه الصورة جد خطير لأن لغتنا ليست لغة أمة فقط ولكنها لغة أمة ودين وحضارة وما يمس لغتنا فانه يمس قرآننا وكياننا. . وهذا بدوره جعل أعداءنا يلجأون إلى هدمها بالنبش فى أساسها.

■ ولقد تناسى هؤلاء أن اللغة العربية ظلت تحتفظ بمكانتها المرموقة التى ورثتها منذ عهد الأوائل الأقدمين حتى يومنا هذا بين اللغات العالمية لما تتمتع به من تصوير حسن يملك الأفئدة وتعبير جميل يسرح بالخيال ويدفع إلى التأمل.

■ ولقد شغف العرب بلغتهم أيما شغف. . وتلذذوا بجرس ألفاظها. . وملك عليهم نفوسهم وأفئدتهم لحنها وموسيقاها فوزنوها بموازين لا تخطىء حتى أخذت بمشاعرهم فتفاخروا بها وعقدوا مجالسهم عليها. . ودارت احاديثهم من حولها فى أسواقهم المشهورة. . وأنديتهم المعمورة. . ومجالسهم التى أطالت كتب الأدب فى وصفها.

واللغة العربية لغة دقيقة. . قد تغير الحركة الاعرابية فيها من معنى مقصود الى آخر بعيد كل البعد. . كما تغير زيادة الحرف من الكلمة من معنى مراد الى معنى غير مراد. . ومن هنا ظهرت قضية «**التصحيف والتحريف**» فى اللغة العربية.

■ وقد كان الناس فيما مضى يغلطون فى اليسير دون الكثير ويصحفون فى الدقيق دون الشائع المعروف لكثرة العلماء وعناية المتعلمين وحرصهم. . فذهبت كثرة العلماء وقلت عناية المتعلمين فصار ما يصحفون فيه أكثر مما يصححون وما يسقطون ويحرفون أكثر مما يضبطون.

والتصحيف والتحريف يتناولان الألفاظ والأسماء المشكلة التى تتشابه فى صورة الخط وبنية الكلمة فيقع فيها التصحيف ويدخلها التحريف خصوصاً فى ألفاظ اللغة والشعر وأسماء الشعراء وأيام العرب وأسماء فرسانها ووقائعها وأماكنها وما يعرض فى علم الأنساب وغيرها من الأشكال فيصحفها بعض الناس ويغلط فيها بعض الخاصة. . ولا يفطن لها إلا من افتن فى العلوم ولقى العلماء والرواة والمتقدمين فى صناعاتهم والمتقنين لما حفظوه ومن أخذ من أفواه الرجال. . ومن لا يعتمد على الكتب الصحفية ويؤثر الراحة والتقليد على تعب البحث والتنقيب.

«والاحتراس من التصحيف لا يدرك إلا بالعلم الغزير والرواية الكثيرة» ولقد سئل ابن عباس - رضى الله عنه - أنى أدركت هذا العلم؟ فقال: «بلسان سؤول وقلب

عقول» وقد قال بعض الشعراء :

والنار في أحجارها مخبوءة
ليست ترى ان لم تثرها الأزند [1]

■ ومهما يكن من أمر التصحيف والتحريف فهو موضوع شائك أثار من الاهتمام ما يثيره اي موضوع خطير. لذا لا يستغرب وفرة الباحثين فيه والمصنفين لآثاره نذكر على سبيل المثال منها حسب تاريخ وفاة مؤلفيها.

(١) كتاب شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف للامام أبى أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكرى (ت٣٨٢)[2].

(٢) التنبيه على حدوث التصحيف لحمزة الاصفهانى (ت٤٢٨) على أشهر الروايات[3].

(٣) التصحيف لأبى الحسن بن عمر الدارقطنى (ت٣٨٥)[4].

(٤) التصحيف والتحريف: لأبى الفتح عثمان بن عيسى البلطى (ت٦٠٠هـ).

(٥) تصحيح التصحيف وتحرير التحريف فى اللغة: لأبى الصفا خليل بن أيبك الصفدى (ت٧٦٤هـ)[5].

معنى التصحيف والتحريف ونشأتها وأسبابها

لقد شغل التصحيف عدداً من المفكرين قديما وحديثا لما له من كبير الأثر وعظيم الخطر فى عالم الفكر والدين والدنيا[6].

وهو عند اللغويين: مصدر صحف يصحف الكلمة إذا أخطأ فى قراءتها وروايتها فى الصحيفة ومخالفة الراوى للثقات.



والتصحيف أيضا: قلب الحروف بتغيير اعجامها[7] وذلك بالنسبة إلى اللفظ.

والتحريف: مصدر حرف يحرف الكلمة إذا أخطأ فى قراءتها وروايتها فى الصحيفة. . ومادتها «ح ر ف» . . وحرف كل شيء طرفه والحرف واحد (حرف) التهجى . . و(تحريف) الكلام عن مواضعه: تغييره[8].

وهو أيضا: «أن يقرأ الشيء بخلاف ما أراده كاتبه وعلى غير ما اصطلح عليه فى تسميته»[9] لذلك قال الغيورون على اللغة: لا تأخذوا القرآن من مصحفى . . ولا العلم من صحفى . . وأما معنى قولهم الصحفى والتصحيف . . فقد قال الخليل: أن الصحفى الذى يروى الخطأ عن قراءة الصحف باشتباه الحروف[10].

وتحديد الاصفهانى[11] للفظة يبدو فى نظرى أكثر دقة حيث يرى ان أهل المعانى «زعموا أن قوما كانوا أخذوا العلم من الصحف من غير أن يلقوا فيها العلماء فكان يقع فيما يروونه التغيير فيقال عندها: قد صحفوا فيه أى رووه عن الصحف»[12].

■ ويقول «تصحف القارىء: تصحف أخطأ فى القراءة لذا سمى مصحفا وصحافا وصحفيا . . وهو كل من يخطىء فى قراءة الصحيفة ومحرفا كل من يبدل الحروف بأشباهها ومن يأخذ العلم من الصحف لا من استاذ»[13].

وقيل أيضا «أصل التصحيف: أن يأخذ الرجل اللفظ من قراءته فى صحيفة ولم يكن سمعه من الرجال فيغيره عن الصواب . . وقد وقع فيه جماعة من الأجلاء من أئمة اللغة وأئمة الحديث حتى قال الامام «أحمد بن حنبل»: ومن يعرى من الخطأ والتصحيف؟»[14]

● أما عند البديعيين: فإن للتصحيف والتحريف وجهاً آخر وذلك بأن يؤتى بلفظين يتفقان فى

صورة الأحرف ويختلفان فى النقط أو الاعجام مع اتفاق فى الحركات كلفظى (جديد وحديد) أو بين أكثر من لفظين نحو (جمرة وحمرة وخمرة) ويسمونه «الجناس المصحف». وله من الجهال ما له فى عالم الشعر والنثر لما فيه من جرس وغنى لغوى ومرونة فى الاستخدام.. وقد استخدموه فى أحاج ومعميات بلاغية تساعد على تفتح الفطنة وتنميتها وتكسب الخاطر مرونة فى حلها(١٥).

خطورة التصحيف والتحريف

التصحيف والتحريف لهما خطر لا يستهان به على الرغم مما فيهما من الطرافة والاطراف حيث يصيبان الناس فى دينهم ومعاشهم نتيجة لما يصاحبهما من تشويش للفكرة وتشويه للنصوص لولا أن يقيض الله دائماً العلماء الثقاة.. فيردون الخطأ على صاحبه ان سمعوا به أو قرأوه ـ أو يرشدونه الى سواء السبيل إن حدث الخطأ فى مجالسهم ومنتدياتهم.

وهذا النوع على خطره فقد تلافاه أو تلافى كثيراً منه الاعجام (النقط) والشكل فما عاد يقع فى الآثار منه إلا القليل وهذا يوضح لنا أهمية النقط(١٦) والتشكيل فى لغتنا الجميلة.

■ أما أخطر أنواع التصحيف والتحريف فهو المتعمد للدس والتشويه.. تشويه الحقائق بتشويه النصوص كالدس على بعض العلماء للنيل منهم ومن نتاجهم، ويقوم المصحف به أو المحرف عن دراية وخبرة ناهيك عن سوء النية وفساد الطوية وهنا مكمن الخطر لأن التصحيف والتحريف صادران عن فكر متمكن دار بحقائق الأمور عارف بعواقبها.

ولا يمكن أن يقدر المرء خطورتهما ـ التصحيف والتحريف ـ إلا إذا اطلع على قضايا منه شوهت حياة أناس وهدمت سعادتهم وقللت من مكانتهم وعرضتهم للهزء والسخرية.. ولا دواء يرأب الصدع إلا الوعى لما يكتب أو ينشر وعرضه على الفكر النير المتحرى للحقائق البصير بعواقب الأمور.



والناس فى نظرتهم للتصحيف والتحريف بين معجب للنكتة فيهما ومهتز لجمال جناس صنعه.. وبين خائف على اللغة والعلم ورعاً دارياً لسوء انتشاره وعظيم خطره.. وبين حاقد يتخذ من وقوعه فى الخط العربى ذريعة للتشهير به ومطية للنيل منه ووسيلة للطعن فى العرب ونتاجهم وحجة لاستبداله بخطوط زينها الشيطان لهم.

تنبيـــه:

ننبه إلى أننا نسوق هذه الامثلة لمجرد إثبات أن حفظ القرآن الكريم من المصحف دون الاعتماد على شيخ حافظ متقن يتلقى عنه، قد يوقع فى التصحيف والتحريف فى كتاب الله، كما وقع فيه بعض الفضلاء من العلماء، الذين نقلوا عن الصحف وحفظوا من الصحف دون أن يتلقوا عن العلماء ويشافهوهم، فكانت رواياتهم هذريه إلى حد بعيد.

أمثلة وطرائف لوقوع التصحيف والتحريف فى قراءة بعض العلماء للقران الكريم

** يروى أن الخليفة المتوكل ألزم (عبادة) فى يوم من أيام رمضان أن يقرأ فى المصحف، فصحف ما شاء الله حتى بلغ قوله تعالى ﴿وبشر المخبتين﴾(١٧) فصحفه إلى ﴿وبشر المخنثين﴾ فأمر المتوكل بسحبه على وجهه فسحب.

** ولقد روى كتاب التنبيه على حدوث التصحيف تحت باب «فأما ما أصيب فى هجائه ولم يصب فى معناه» أمثلة كثيرة لذلك منها ما رواه عن حماد بن الزبرقان وتصحيفاته فقال: «وصحف حماد بن الزبرقان ثلاثة ألفاظ فى القرآن الكريم، وذلك أنه حفظ القرآن من المصحف ولم يقرأه على أحد.

اللفظ الاول: وما كان استغفار ابراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها «أباه» يريد «إياه».

اللفظ الثانى: بل الذين كفروا فى «غرة» وشقاق، يريد «عزة».

اللفظ الثالث: لكل امرىء يومئذ شأن «يعينه» يريد «يغنيه».

** كما روى أن عثمان بن أبى شيبة يقرأ «وجعل السقاية فى رحل أخيه» كان يقرؤها محرفة فيقول «وجعل السفينة فى رجل أخيه».

** وروى الكوفيون أن حماد الراويه حفظ القرآن من الصحف وكان لذلك يصحف كثيراً فى قراءته للقرآن(١٨).

** ويروى أعداء حمزة الزيات (أحد أصحاب الروايات فى قراءة القرآن) أنه كان تعلم القرآن فى المصحف، فقرأ يوماً وأبوه يسمع «الٓمٓ ذلك الكتاب لا ريب فيه» حيث قرأها «لا زيت فيه» تصحيفا لقوله تعالى «لا ريب» فقال له أبوه دع المصحف وتلقن من أفواه الرجال.

﴿وإنه لتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين. وإنه لفي زبر الأولين﴾.

فضح التصحيف وذم المصحفين

فلهذا وأشباهه قيل لا تأخذوا القرآن من مصحفى ولا العلم من صحفى.

ولقد فضح التصحيف والتحريف خلقاً من أهل الأدب والأشراف والقضاة والرؤساء وهجوا به وبقى ذمهم مخلداً فى بطون الكتب وقد مدح بالاحتراس من التصحيف والبعد عن ارتكاب هذه النقائص كثيرون.. وهذا يحيى بن معين يقول «من حدث وهو لا يفرق بين الخطأ والصواب فليس بأهل أن يحمل عنه(١٩).

● وهذا هو الحسن بن هانىء - أبو نواس - يرثى خلفاً الأحمر فكان أفضل ما عدد من مناقبه أن قال:

لا يهم الحاء فى القراءة بالخاء ولا يأخذ أسناده عن الصحف(٢٠) وممارثاه به أيضاً فى هذا المعنى قوله: «أودى جماع العلم مذ أودى خلف راويه لا يجتنى عن الصحف»(٢١).

● وقد تهكم أبو نواس بآخر بنحو من هذا فقال: «رأى الصيف مكتوبا فظن أنه لتصحيفه (ضعيف) فقام يواثبه»(٢٢).

● وقد اتهم ابن دريد كيسان بهذه النواقص فقال عنه نقلا عن أبى عبيدة: «العلم يمسح على لسان كيسان.. يكتب فى ألواحه خلاف ما يسمع.. وينقل من ألواحه إلى الدفتر خلاف ما فى ألواحه.. ثم يقرأ من الدفتر خلاف ما فيه»(٢٣).

● وحكى أبو الحسن بن الكوفى أن رجلا كان يقرأ على الأصمعى شعر النابغة فقال:

كلينى لهم يا أميمة باضت
وليل أقاسيه بطىء الكواكب

يقصد «ناصب».

فقال الاصمعى: «أما علمت - ويلك - أن كل ناجمة الأذنين تحيض وكل سكاء(٢٤) الأذنين تبيض(٢٥).

خطورة التصحيف والتحريف

يرى البعض منا أن التصحيف والتحريف لا يخرج عن كونه نوعا من الملح أو الطرائف تروى للفكاهة والتندر. . ولكن الأمر جد خطير اذا نظرنا إلى ما يترتب على وقوعهما من آثار خطيرة على التقعيد النحوى أو ما قد يترتب عليهما من فهم خاطىء لكثير من المعانى الناشىء عن وهم حدث فى المبنى . . وقد يكون الأمر أكثر خطورة إذا علمنا أن كثيراً من الحاقدين على لغتنا اتخذوا من الاعجام والتشكيل اللذين تزخر بهما اللغة العربية اللذين بدونهما قد يقع التصحيف والتحريف مطية للدعوة الى التخلص من تلك الحروف الملبسة واحلال الحروف اللاتينية محلها لذا قد يكون من المفيد أن أمثل لخطورة وقوع التصحيف والتحريف وما يترتب عليهما .

أولا : أثرهما فى البنية

نحن لا نشك للحظة واحدة أن التشكيل والنقط عنصران هامان جدا فى كتابتنا باللغة العربية وخاصة إذا اتفقت كلمتان فى مبناهما . . هنا يكون الفارق دقيقا بينهما . . حيث إن اختلاف التشكيل يؤدى إلى اختلاف المعنى . . وتغير مواضع الاعجام تؤدى إلى معنى آخر غير مقصود - فمثلا - الفرق واضح جلى بين «غرفه» بضم الغين وقرينتها «غرفة» بفتح الغين الى المكان الذى يسكنه الانسان بينما ينصرف فى الثانية إلى اسم المرة من غرف الطعام غرفة . . وكذلك الفرق بين (جُرح) بضم الجيم و(جَرح) بفتحها . . و(جُهْد) و(جَهْد) بضم الجيم وفتحها .

واكثر خطورة إذا ما تحرك حرف من مكانه تاركا بنيته لينضم الى بنية كلمة بعده بفعل عدم دقة الراوى وأخذه الرواية عن الصحف دون سماع العلماء والتلقى عنهم من ذلك ما روى عن الأصمعى من أنه كان ينشد :

يارب عرجلة أصابوا خلة
دانوا وحار دليلهم حتى بكى (٢٦)

ويقول : كذا قرأناه على أبى عمرو بن العلاء : جارد . . ليلهم وصحة الأمر أنها حار دليلهم .

■ **وهنا يتضح لنا دور التصحيف بارزاً فى نقل «الدال» من (دليلهم) وألصاقها بالفعل (حار) فصار (حارد) وتحولت (دليلهم) إلى (ليلهم) والفرق واضح بين (حار) و(حارد) (حار) من الحيرة و(حارد) من القسوة .**

هذا من حيث المبنى وما أدى اليه من اختلاف فى المعنى .

ثانيا : أثرهما فى الاعراب

أدى التصحيف والتحريف إلى وضع كثير من قواعد اللغة ونحوها فى أطر وهمية «لأن ما قام على استدلال خاطىء فهو خاطىء» ايضا فكثيرا ما قعد النحاة قواعدهم بناء على شواهد محرفة أو مصحفة وليس المقام مقام حصر واستقصاء وإنما نمثل بمثال أو بمثالين للتدليل على خطورة التصحيف والتحريف .

■ من ذلك ما رواه ابن كيسان عن المبرد عن المازنى قال : حضرت يوما الفراء وهو يقول الجزم فى الفعل المستقبل بغير جازم جائز - مستشهداً ببيت من الشعر روى محرفاً - فقد قال الشاعر :

لقد شغف العرب بلغتهم أيما شغف.. وتلذذوا بجرس ألفاظها.. وملك عليهم نفوسهم وأفئدتهم لحنها وموسيقاها فوزنوها بموازين لا تخطىء حتى أخذت بمشاعرهم فتفاخروا بها وعقدوا مجالسهم عليها.. ودارت احاديثهم من حولها فى أسواقهم المشهورة.. وأنديتهم المعمورة.. ومجالسهم التى أطالت كتب الأدب فى وصفها.

من كان لا يزعم أنى شاعر
فيدن منى تنهه المزاجر
ـ حيث روى الفعل (يدن) دون أن يكون مسبوقاً بأداة من أدوات الجزم.

■ يقول المازنى: فقلت له فإن روى/ فليدن منى/ هل تكون لك حجة فيه؟ فسكت ولم يحر جوابا(٢٧).

■ ومن هذا القبيل ما يحكيه استاذنا الدكتور رمضان عبد التواب عن ذلك البيت الشعرى المشهور، أحد شواهد النحو المتواترة التى توارثناها جيلا بعد جيل، نرويه مستشهدين به دون أن نفطن إلى ما دخله من تصحيف ذلك البيت هو:

أبا خراشة أما أنت ذا نفر
فإن قومى لم تأكلهم الضبع

أقول: ظللنا نردد قول النحاة فيه، بأن كان تحذف بعد اما ويبقى عملها من رفع للاسم ونصب للخبر.

وحقيقة الامر ـ كما يقول استاذنا الدكتور رمضان ـ أن الفعل كان لم يحذف والرواية هى:

أبا خراشة أما كنت ذا نفر
فإن قومى لم تأكلهم الضبع

■ وعلى هذا لا شاهد فيه البتة وكل ما حدث أن (كنت) فصلت منها (الكاف) عن (النون والتاء) فبدت كأنها (ألف) عليها همزة هكذا (أنت) فوهم النحاة وبنوا على ذلك قاعدة نحوية مشهورة.

ومن تحريفات الفراء التى يقيس عليها ـ خطأ ـ قواعده النحوية ما رواه أحمد بن يحيى أن الفراء قال: (الجبى ما حول البئر. والجبى (مقصور) ما جمعته من الماء) وأنشد.

حتى إذا أشرق فى جوف جبا

أنشده باضافة جوف إلى جبا.

■ وقد عاب عليه اضافة جوف إلى جبا جماعة من العلماء منهم المفضل بن سلمة.. وظن الفراء أن جبا الذى فى البيت هو ما تجمع من ماء حول البئر وانه اسم وإنما هو فعل من جبأ يجبأ فترك الهمز أى جبن ورجع ويقال رجل جبىء أن جبان من الأسد.. أى جبن.. قال ابراهيم بن حميد أخطأ الفراء فى مكان لا يخطىء فيه أحد.

اختلاف التشكيل يؤدى الى اختلاف المعنى، وتغيير مواضع الاعجام يؤدى الى معنى آخر غير مقصود..

دور التربية السليمة فى تلافيها

أن نحفظ السنتنا من الاعوجاج أسهل كثيرا من التخلى عن جلدتنا وارتداء جلود غيرنا.. ويمكننا ببذل الجهد قليلا أن نتلافى كثيرا من ذلقات اللسان فى مواطن التصحيف والتحريف.. والبداية لابد أن تكون مبكرة تبدأ مع دخول أولادنا أولى مراحل التعليم ومن هنا كان للتربية السليمة والتعليم المنظم الجاد أهم أثر ـ بل الأثر الفعال على حفظ الألسنة من الذلل واللحن وتبدأ خطوات تربية التلاميذ أو الناشئة بوجه خاص والمتكلمين بالعربية بوجه عام على الأسس الآتية:

أولا: إننا نستطيع أن نقلل من الوقوع فى التصحيف والتحريف ـ ولا أقول تجنبه ـ باكتساب المهارة اللغوية والعناية بدرس اللغة فى معاهدها المتخصصة وتوحيد مناهجها على مستوى التعليم العام والجامعى فى كل البلاد العربية للسير على خطط موحدة تخدم فى نهاية أمرها لغتنا القومية وترعاها.

ثانيا: اللغة ملكة انسانية تكتسب بتعود النطق الصحيح وتكراره إذ يؤدى ذلك الى رسوخ هذه الملكة وتمكينها لدى من ينطق اللغة . . ويترتب على ذلك أن اللغة الصحيحة تكتسب من البيئة سماعا وقراءة وكتابة(٢٨) ونحن اليوم فى حاجة الى تكوين بيئة لغوية صافية لتكوين تلك الملكة لدى ناشئتنا المتعلمين للغة والمتعلمين بها إذ أن ذلك الضعف العام فى استخدام اللغة العربية نطقا وكتابة يكمن فى المناخ أو البيئة التى تحيط بالمتعلمين والمتكلمين حيث تسبح فى أجوائها الأخطاء واللكنة والتواء الألسنة وضحالة الثقافة وتفاهة المعلومات . . وسطوة اللهجات المحرفة والألفاظ المصحفة والعبارات الأجنبية الوافدة مما يعوق استخدام الفصحى وتعودها .

ثالثا: من البين أن علاج هذا الضعف يكون بتعويد الناشئة سماع النصوص الصحيحة وحفظها وأخذهم بمحاكاتها فيعتادون على أساليب القرآن الكريم والحديث الشريف وما ورد عن العرب الفصحاء من النثر السلس والشعر الجميل .

رابعا: توجيه الناشئين الى قراءة الكتب الراقية والقصص الرفيع .

التشكيل والنقط عنصران هامان جدا فى كتابة اللغة العربية، وملاحظة الدقة فى وضعهما يرفع اللبس والغموض.

خامسا: مناشدة المعلمين فى كل مراحل التعليم التحدث مع الناشئة بلغة عربية سليمة سهلة وأن يتخلوا عن استعمال اللغات الدارجة التى يقلدها الصغار بسرعة عجيبة فتختل ألسنتهم وتفسد ملكاتهم وتسوء لغتهم .

سادسا: وعلى وسائل الاعلام المختلفة من إذاعة مسموعة ومرئية وصحف ومجلات دور لا أقول مهما بل أكثر أهمية من أى دور آخر فى محاولة التقيد بقواعد الفصحى تحدثا وكتابة لكى يكونوا القدوة والمثل لأن دور وسائل الاعلام «أصبح من الخطورة بمكان بحيث يجب علينا القيام بعملية تقييم مستمرة وصادقة لهذا الدور لأنه ولا شك أوسع الأبواب التى يأتى منها الخطر»(٢٩) .

سابعا: محاولة تشجيع الناشئة على حفظ كتاب الله وتلاوته على يد اساتذة متخصصين فحفظ كتاب الله سيد الحافظين للألسنة من الانحراف . . وهو الواقى للملكات من الضعف والوهن .

ثامنا: يرى الاستاذ فاروق جويدة فى مقال له تحت عنوان «**هل ننقذ اللغة العربية**»(٣٠) ان الحل «يبدأ مع المدرس الذى يعلم ابناءنا قواعد لغتهم . . ويتدرج الحل ليصل الى مذيع الاذاعة الذى يخطىء فى لغته أو كاتب المقال الذى لا يستطيع أن يتحكم فى استخدام الكلمة . . اللغة العربية كمشكلة لابد أن يبدأ حلها فى اعداد المدرس القادر وفى القدوة التى يتعلم منها الناس فى كل من يمسك بالقلم أو يقرأ النشرة أو يلقى على الناس خطاباً أو موعظة .

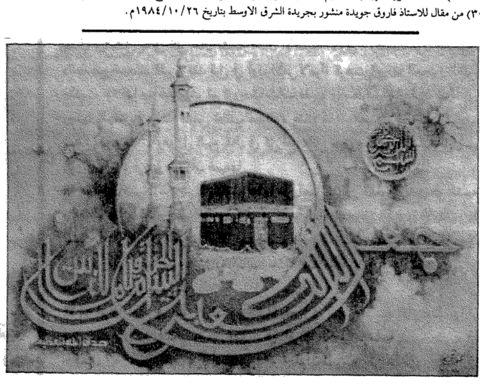
تاسعا: ويضيف الدكتور سمير عبد العظيم العطار فى مقال له تحت عنوان «الأزمة الحضارية ودور المثقفين العرب» أسساً أخرى نخرج بها من الأزمة الحالية التى نعانى منها من انعدام القدرة على تنشئة الفرد المثقف الواعى . . اخترت منها دور المدرسة نظرا لاهميتها، أضيفها الى الأسس التى ذكرتها حيث يرى أنه يجب ان تتحول المدرسة الى عالم جميل ممتلىء بالفكر والمنهج العقلى فى الفهم فمما يدعو للأسف أن مدارسنا لا تزيد عن كونها اماكن لحشو العقول بالمعلومات يضيع معها المضمون الى حد بعيد(٣١) .

عاشرا: دور الاسرة حيوى جدا فى الحفاظ على الملكة اللسانية عند الاطفال من الانحراف بالتشجيع على القراءة والاطلاع . . وتوفير مكتبة صغيرة للطفل بها كثير من القصص الراقى ودواوين الشعر المبسطة مما يقوى عند الناشئة حب الاطلاع وروح الابتكار وينمى لديهم اسلوبا سليما خالياً ـ قدر الامكان ـ من مواطن التصحيف والتحريف .

التصحيف والتحريف لهما خطر لا يستهان به على الرغم مما فيهما من الطرافة والاطراف حيث يصيبان الناس فى دينهم ومعاشهم نتيجة لما يصاحبهما من تشويش للفكرة وتشويه للنصوص لولا أن يقيض الله دائما العلماء الثقاة.. فيردون الخطأ على صاحبه ان سمعوا به أو قرأوه ـ أو يرشدونه الى سواء السبيل ان حدث الخطأ فى مجالسهم ومنتدياتهم.

الهوامش

(١) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ـ لأبى احمد الحسن بن عبد الله العسكرى ص٤ .
(٢) كشف الظنون ٤١١/١ .
(٣) هدية العارفين ٣٦٦/١ ويتيمه الدهر ٢٦٧/٣ .
(٤) معجم المؤلفين ١٥٧/٧ .
(٥) ايضاح المكنون ٢٩٣/١ ـ ولحن العامة ص١٨٢ والنجوم الزاهرة ١٩/١١ .
(٦) من مقال للمستشرق بول كراوس، المنشور فى مجلة الثقافة المصرية السنة الخامسة ـ العدد ٢٢٣ ابريل ١٩٤٣ .
(٧) انظر مختار الأغانى ص٥٨ ج٣ بالهامش لابن منظور تحقيق عبد العليم الطحاوى.
(٨) مختار الصحاح مادة (حرف) ص١٣١ .
(٩، ١٠، ١٢، ١٣) التنبيه على حدوث التصحيف ص٣، ٢٦ .
(١١) حمزة بن الحسن .
(١٤) المزهر للسيوطى ٣٥٣/٢ .
(١٥) التنبيه على حدوث التصحيف ص٤ .
(١٦) قديما كانوا يطلقون النقط ويريدون به التشكيل والاعجام ويريدون به وضع النقط على الحروف .
(١٧) آية ٣٤ من سورة الحج وقد روى ذلك السيوطى فى المزهر ٣٦٩/٢ .
(١٨) شرح ما يقع فيه التصحيف ص٥٢ والتنبيه ص٥٨ .
(١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص١٢، ص١٣، ص١٤ .
(٢٤) التصحيف والتحريف ص٢٧ .
(٢٥) ناجمة ظاهرة سكاء : داخلة .
(٢٦) انظر التنبيه ص١٤٥ .
(٢٧) انظر التنبيه ص٨٧ .
(٢٨) اللغة العربية، الداء والدواء للدكتور محمد عيد من مقال منشور بجريدة الاخبار .
(٢٩، ٣١) مقال للدكتور سمير عبد العظيم العطار منشور بجريدة الشرق الاوسط بتاريخ ١٩٨٤/١٠/٢٦م .
(٣٠) من مقال للاستاذ فاروق جويدة منشور بجريدة الشرق الاوسط بتاريخ ١٩٨٤/١٠/٢٦م .



الأمثال في القرآن الكريم

قال الله جل ثناؤه: ﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون﴾ (الزمر/٢٧).

وقال الله عز وجل: ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾ (العنكبوت/٤٣).

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون﴾ (ابراهيم/٢٥).

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل﴾ (الروم/٥٨).

■ روى البيهقي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: «إن القرآن نزل على خمسة أوجه: حلال، وحرام، ومحكم، ومتشابه وأمثال، فاعملوا بالحلال، واجتنبوا الحرام، واتبعوا المحكم، وآمنوا بالمتشابه، واعتبروا بالأمثال».



تقول المعاجم: المثل، والمِثل، والمثيل: كالشبه، والشبه والشبيه لفظاً ومعنى.

كذلك يطلق المثل على القصة العجيبة الشأن، أو الحال كقوله تعالى: ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾ (أي قصتها وصفتها) (سورة محمد/١٥).

● والمثل في الأدب: قول محكي سائر، يقصد منه تشبيه حال الذى حكى فيه بحال الذى قيل لأجله، كقول العرب: «رب رمية من غير رام» أي رب إصابة هدف حصلت من رام شأنه أن يخطيء. فهذا المثل وضع في أصله لمعنى معين، ويجوز أن يقال ويتمثل به في كل حال تشبه الحال الأصيلة الأولى. وكذلك قول العرب: «الصيف ضيعت اللبن» فقد قيل في أول الأمر لامرأة كرهت زوجها العجوز الغنى فطلبت طلاقها منه فطلقها، ثم تزوجت بشاب فقير، واضطرتها الحاجة أن تلجأ إلى رجلها السابق في شتاء قارس تطلب معونته، فقال لها: «الصيف ضيعت اللبن»، فذهب قوله مثلا، وهو إلى اليوم يقال في كل أمر مماثل حين يطلب الانسان حاجة في غير أوانها، أو فرصة سبق أن ضيعها.



■ إن أمثال القرآن الكريم لا يستقيم حملها على أصل المعنى اللغوى الذى هو الشبيه والنظير، ولا يستقيم حملها على ما يذكر في كتب اللغة لدى من ألفوا في الأمثال، إذ ليست أمثال القرآن الكريم أقوالا استعملت على وجه تشبيه مضربها بموردها، ولا يستقيم حملها أيضاً على معنى الأمثال عند علماء البيان لذا فإن المثل في القرآن الكريم له تعريف أكثر وأسمى من ذلك.

■ إنه ابراز المعنى في صورة رائعة موجزة لها وقعها في النفس، سواءأكانت تشبيها أو قولا مرسلا.. ان المقصود من المثل ـ في القرآن الكريم ـ تشبيه شيء بشيء في حكمه، وتقريب المعقول من المحسوس، أو أحد المحسوسين من الآخر.

بقلم: صلاح احمد الطنوبي
ـ الرياض

■ إن أمثال القرآن الكريم سهلة الفهم، واضحة الدلالة لا تحتاج إلى بذل عقلى، وجهد فلسفى وقواعد منطقية. . هى دائماً بسيطة ميسرة.

■ إن أمثال القرآن الكريم تعتمد دائماً على الصور الموجودة المحسوسة. . وأمثال القرآن الكريم لا تبعد عن واقع الانسان، بل تعيش معه وتنطلق من حياته، وتخاطبه بالصور الموجودة في بيئته.

وتظهر روعة التصوير في المثل القرآني وقوة تأثيره حين يتخذ من الطبيعة ميداناً يقتبس منها صوره. . فمن نباتها نرى الحبة تنبت سبع سنابل، ونرى الشجرة الطيبة والخبيثة، والزرع الذى أخرج شطأه، ومن حيواناتها نرى الكلب والحمار، ومن حشراتها نرى البعوض والعنكبوت، ومن طيورها نرى الهدهد، ومن أحجارها نرى الرماد الصلد والجبل. .

ويجذب المثل القرآني محدثه وقارئه عن طريق ترغيبه في الخير والثواب أو عن طريق تخويفه بالشر والعقاب، لأن الانسان عادة يساق من داخله، إذا خاف انساق للمطلوب.

ولقد شاء الحق جل ثناؤه أن يجعل من ضرب الأمثال في القرآن الكريم آية عظمى، لفوائد جمة، وغايات جلى يستفاد منها أمور كثيرة: التذكير، والوعظ والحث، والزجر، والاعتبار، والتقرير، وترتيب المراد للعقل وتصويره في صورة المحسوس، بحيث يكون نسبته للفعل كنسبة المحسوس إلى الحس.

ومن حكمة الأمثال تعليم البيان وهو من خصائص هذه الشريعة السمحاء.

المثل فى القرآن الكريم.. تشبيه شىء بشىء فى حكمه.. وتقريب المعقول من المحسوس أو المحسوس من الآخر.

أنواع الامثال في القران الكريم:

الامثال فى القرآن الكريم ثلاثة أنواع: الأمثال المصرحة، الأمثال الكامنة، الأمثال المرسلة.

النوع الاول: الامثال المصرحة: وهى ما صرح فيها بلفظ المثل، أو ما يدل على التشبيه. وهى كثيرة في القرآن المجيد. . منها: قول الله تبارك وتعالى: **﴿مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدى القوم الظالمين﴾** (الجمعة/٥).

يقول تعالى ذاماً لليهود الذين أعطوا التوراة وحملوها للعمل بها، ثم لم يعملوا بها، مثلهم فى ذلك كمثل الحمار إذا حمل كتبا لا يدرى ما فيها، فهو يحملها حملا حسياً ولا يدرى ما عليه، وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذى أوتوه، حفظوه لفظاً ولم يتفهموه، ولا عملوا بمقتضاه، فهم أسوأ حالا من الحمار، لأن الحمار لا فهم له، وهؤلاء لهم فهوم لم يستعملوها.

فالمشبه هو «اليهود» والمشبه به هو «الحمار» وغرض التشبيه هو ذم اليهود بتلك الحال وتقبيح أمرهم.

النوع الثاني: الامثال الكامنة: وهى التى لم يصرح فيها بلفظ التمثيل، ولكنها تدل على معان رائعة في إيجاز، يكون لها وقعها إذا نقلت إلى ما يشبهها ويمثلون لهذا النوع بأمثلة منها:

■ قال أحد العلماء: ما تكلم العرب بمثال إلا وفي القرآن الكريم نظيره، فقال له أحد الناس: قالت العرب: خير الأمور أوساطها فأين أجده في القرآن؟ فأجاب: تجده في قول الله تبارك وتعالى: **﴿لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك﴾** (البقرة/٦٧).

وقول الله عز وجل: **﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما﴾** (الفرقان/٦٧).

وقول الله جل جلاله: **﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط﴾** (الاسراء/٢٩).

وقول الله سبحانه وتعالي: ﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا﴾ (الاسراء/١١٠).

النوع الثالث: الامثال المرسلة: وهي جمل أرسلت إرسالا من غير تصريح بلفظ التشبيه، فهي آيات جارية مجرى الأمثال، ومن أمثلة ذلك ما يأتي:

قول الحق عز وجل: ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ (آل عمران/٩٢).

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿الآن حصحص الحق﴾ (يوسف/٥١).

وقوله جل شأنه: ﴿أليس الصبح بقريب﴾ (هود/٨١).

وقوله تبارك وتعالى: ﴿لكل نبأ مستقر﴾ (الانعام/٦٧).

وقوله عز وجل: ﴿ولا يحيق المكر السيىء إلا بأهله﴾ (فاطر/٤٣).

وقوله جل ثناؤه: ﴿ضعف الطالب والمطلوب﴾ (الحج/٧٣).

وقوله جل جلاله: ﴿لا يستوى الخبيث والطيب﴾ (المائدة/١٠٠).

■ وقد اختلف العلماء في هذا النوع الأخير من الآيات الذى يسمونه ارسال المثل ما حكم استعماله استعمال الأمثال؟.

فرآه بعض أهل العلم خروجاً عن أدب القرآن، قال الرازى في تفسير قوله تعالى: ﴿لكم دينكم ولى دين﴾ (الكافرون/٦): «جرت عادة الناس بأن يتمثلوا بهذه الآية عند المتاركة، وذلك غير جائز، لأن الله تعالى ما أنزل القرآن ليتمثل به، بل يتدبر فيه، ثم يعمل بموجبه».

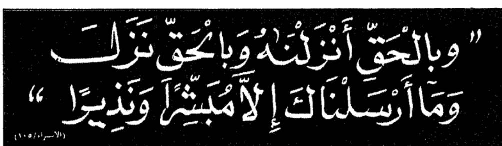
ورأى آخرون أنه لا حرج فيما يظهر أن يتمثل الرجل بالقرآن الكريم في مقام الجد، كأن يأسف أسفاً شديداً لنزول كارثة، قد تقطعت أسباب كشفها عن الناس فيقول: ﴿ليس لها من دون الله كاشفة﴾ (النجم/٥٨)، أو يحاوره صاحب مذهب فاسد يحاول استهواءه إلى باطله فيقول: ﴿لكم دينكم ولى دين﴾ والاثم الكبير في أن يقصد الرجل إلى التظاهر بالبراعة فيتمثل بالقرآن حتى في مقام الهزل والمزاح!.

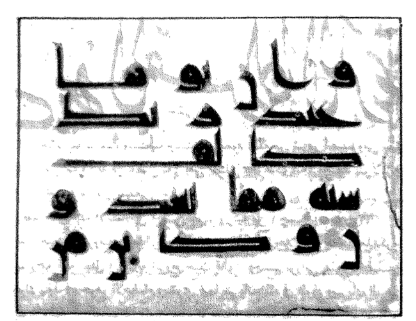
هذا وبالله تعالى التوفيق.. وصلى الله تعالى على محمد النبى وعلى آله وصحبه وأمته وسلم تسليما كثيرا.

أمثال القرآن الكريم لا تبعد عن واقع الانسان، بل تعيش معه وتنطلق من حياته.

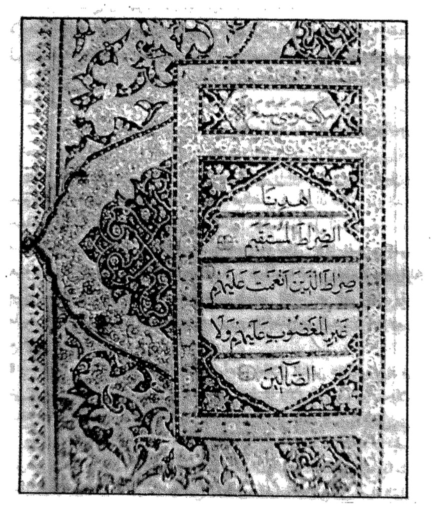
المراجع

- مختصر تفسير ابن كثير ـ المجلد(٣) تحقيق محمد على الصابوني.
- البرهان فى علوم القرآن ـ بدر الدين الزركشى.
- الاتقان فى علوم القرآن ـ جلال الدين السيوطى (ج٢).
- بلاغة القرآن الكريم ـ محمد الخضر حسين.
- مباحث فى علوم القرآن ـ محمد الخضر حسين.
- الأمثال القرآنية ـ عبد الرحمن حسن الميدانى.
- التعبير الفنى في القرآن ـ د. بكرى شيخ أمين.





مخطوطة من القرن العاشر الهجرى



مخطوطة من القرن الحادى عشر الهجرى

النفس في القرآن الكريم

عرض القران الكريم للنفس المطمئنة والامارة بالسوء واللواقة.. ووضع العلاج الناجح لامراض الروح، فجاء الايمان كأول علاج نافع أكيد وتلته العبادة.

ففى القران الكريم الشفاء لجميع ما يعترى الارواح من اعراض وامراض.



بقلم: د. فهد بن عبد الرحمن الرومى
قسم الدراسات القرانية
الكلية المتوسطة لاعداد المعلمين - الرياض

■ ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله.. اما بعد.

فقد خلق الله الانسان فى أحسن تقويم وركبه من (جسد.. وروح).

■ اما الجسد فمعروف، واما الروح فللعلماء فى المراد بها خلافات أصحها ما ذكره ابن القيم رحمه الله تعالى فى كتابه الروح حيث قال: «جسم نورانى علوي خفيف حي متحرك ينفذ في جوهر الأعضاء ويسري فيها سريان الماء فى الورد وسريان الدهن فى الزيتون والنار فى الفحم فما دامت هذه الاعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقي ذلك الجسم اللطيف مشابكاً لهذه الأعضاء وأفادها هذه الآثار من (الحس) و(الحركة الارادية) وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الاخلاط الغليظة عليها وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح البدن، وانفصل إلى عالم الأرواح.. وهذا القول هو الصواب فى المسألة، وهو الذى لا يصح غيره، وكل الأقوال سواه باطلة، وعليه دل الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأدلة العقل والفطرة»(١). ثم ذكر - رحمه الله تعالى - مائة وستة عشر دليلا على ذلك.

وقال الفيروز آبادي أن الروح اسم «للجزء الذى به تحصل الحياة والتحرك واستجلاب المنافع واستدفاع المضار»(٢).

ولعله يشكل على بعض الناس التفريق بين النفس والجسم والروح وقد فصل ابن القيم رحمه الله تعالى القول فى ذلك فقال: «والنفس فى القرآن تطلق على الذات بجملتها (يعنى الجسم والروح) كقوله تعالى: ﴿فسلموا على أنفسكم﴾(٣) وقوله تعالى: ﴿يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها﴾(٤) وقوله تعالى: ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾(٥) وتطلق على الروح وحدها كقوله تعالى: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة﴾(٦) وقوله تعالى: ﴿أخرجوا أنفسكم﴾(٧) وقوله تعالى: ﴿ونهى النفس عن الهوى﴾(٨) وقوله تعالى: ﴿إن النفس لأمارة بالسوء﴾(٩) وأما الروح فلا تطلق على البدن لا بانفراده ولا مع النفس»(١٠).

■ وسنتناول فى حديثنا هذا الاطلاق الثاني أعنى إطلاق النفس على الروح إذ هي التى تفيض على الجسم تلكم الآثار من الحس والحركة والادراك والحياة واستجلاب المنافع ودفع المضار وبدونها يفقد الجسم كل هذه الآثار بل يفقد نفسه بالتحلل.

وحين نتأمل فى غذاء كل من هذين العنصرين (الروح والجسد) نجد أن الجسد خلق من تراب وأن غذاءه من التراب (نبات أو حيوان يتغذى - بالنبات) وانه إذا مات يتحلل ويعود إلى التراب؟! ولذلك يتمنى الكافر يوم القيامة أنه بقى على أصله الترابى الأول فيقول ﴿يا ليتني كنت ترابا﴾(١١).

أما الروح فمن الله ـ **﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي﴾**(١٣) وإن كانت النسبة إضافة تشريف ـ فلابد أن يكون غذاؤها من الله وليس من التراب ولا مما خلق من التراب فإن التزمت بالغذاء الرباني صعدت بعد الموت الى عليين وفتحت لها ابواب السماء ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية﴾(١٤) قال كعب «أرواح المؤمنين في عليين فى السماء السابعة، وأرواح الكفار فى سجين فى الأرض السابعة تحت جند ابليس»(١٥).

■ وغذاء الجسد فيه النافع والضار فإذا غذى الانسان جسده بالغذاء الجيد صح وقوي بناؤه، وظل حيا طرياً متماسكا، وإذا غذاه بالغذاء الردىء أو أهمل غذاءه ضعف وانحرف مزاجه وساءت صحته وخارت قواه وهزل وذبل.

■ وكذا غذاء الروح فيه النافع والضار ايضا، وإذا غذى الانسان روحه بالغذاء السليم سمت وارتفعت وصحت وسلمت من الأمراض وغذاؤها صحة الاعتقاد وسلامتها باتصالها بالله قال تعالى: **﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾**(١٦) وإذا أهمل الانسان غذاء روحه أو غذاها بالغذاء البشري بأن جعل صلتها بالمبادىء الوضعية والمعتقدات الزائفة أو انقادت لملذات الجسد الترابى فتغذت بغذائه واستغنت به عن غذائها الربانى ضعفت وخارت وتاهت وانحرف مزاجها ولم يقر لها قرار وضاقت عليها الأرض على سعتها **﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا﴾**(١٧) **﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين﴾**(١٨) وقد تطلب الخروج من هذا الجسد الذى ضاقت به وضاق بها فتودى بصاحبها الى الانتحار.

■ إذن فإن على الانسان أن يحرص على اختيار غذاء الروح كما يحرص على اختيار غذاء الجسد، وأن يسأل أطباء القلوب عن الغذاء النافع كما يحرص على سؤال أطباء الأبدان عن غذاء الجسد الفاني، وعليه أن يعرض روحه على اهل الذكر كما يعرض جسده على اهل الطب، وأن يعالج روحه كما يعالج بدنه وأن يتفقدها كما يتفقد بدنه، وأن يحاسبها دورياً كما يجرى الفحوص الدوريه لجسده.

الايمان .. أول علاج لصيدلية القرآن الكريم لأمراض الروح.

وإذا كان غذاء هذه الأجساد الترابية السفلية الفانية من أصلها الترابى يستمد، فإن غذاء هذه الارواح السامية الباقية من الله يستمد ومن معين كتابه العزيز.

وليس فى وسعنا فى هذه العجالة .. أن نستوعب غذاء هذه الأرواح وعلاجها فلنكتف بالاشارة السريعة.

■ **اما الأرواح فلا تخلو من ثلاث حالات:**

الاولى: الروح السليمة:

وهى التى سلمت من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه، والتزمت الغذاء الرباني وسلمت العبودية لله رغبة ورهبة ومحبة وتوكلا ورجاء وإخلاصاً.

الثانية: الروح الميتة:

وهى الروح التى لا تعرف ربها بل انحرفت وهوت واتبعت الشهوات وتغذت بالحرام وانقادت لشهواتها وأعرضت عن ذكر ربها.

الثالثة: الروح المريضة:

وهى الروح التى خلطت عملا صالحاً، وآخر سيئاً، فحيناً تحيا بذكر الله وتخبت له، وحيناً يشوبها اتباع الشهوات والحرص على تحصيلها فهى بين الحياة والموت .. أمل فى حياتها إن صحت

منهـا العزيمة وتداركها صاحبها والتمس علاجها وجد فى تحصيله وخشية من موتها إن أهملها صاحبها وسها عن دائها وأيس من شفائها.

■ فإن قلت وكيف يعرف الانسان روحه من أي هذه الأرواح الثلاث هى؟ قلنا يعرضها على صفات الأرواح الثلاث فيعرف من أى الأرواح روحه.

صفات الروح الاولى:

ـ من علامات هذه الروح أن تظل معلقة بالآخرة، متذكرة لها كل حين، وأن تكون علاقتها فى الدنيا علاقة مؤقتة محدودة كما قال صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر رضى الله عنهما «**كن في الـدنيـا كأنك غريب أو عابر سبيل**» (رواه البخارى). . والرجل الذى علق قلبه بالمساجد من السبعة الذين يظلهم الله تحت عرشه يوم لا ظل إلا ظله.

ولا نعنى بهذا أن ينقطع الانسان عن الدنيا أو أن يهملها وإنما نعنى أن لا تكون كل همه ومقصده.

ـ ومن علاماتها أن تنفر من الغذاء الضار وتأباه، وتأنس إلى الغذاء النافع وتقبل عليه، فتكون القائد لصاحبها إلى الاختيار فلا تزال تضرب على قلب صاحبها حتى يقبل على الطاعة فتسكن، ولا تزال تضرب على قلبه إن هم أن يسلك طريق الزلل فتربط على قلبه حتى يرى برهان ربه. . فيعود.

ـ ومن علاماتها أن يشح صاحبها بوقته أن ينفقه فيما لا خير فيه أو لا فائدة يجنيها منه.

ـ ومن علاماتها أن تجد فى الصلاة راحتها، وفى القرآن أنسها.

ـ ومن علاماتها أن لا تفتر عن ذكر الله وأن تجد لذلك حلاوة دونها كل حلاوة.

المسلم فى صلاته يدرك أنه تحت الرقابة الالهية فيخضع كل أعماله لما يرضى الله.

صفات الروح الثانية:

فإنها قد تمرض ولا يدرك صاحبها مرضها، بل قد تموت وصاحبها غافل لاه عنها لا يعرف بمرضها فيتداركها، وعلامة ذلك أن صاحبها لا تؤلمه حراب المعاصي «**وما لجرح بميت إيلام**».

ـ ومن علاماتها أن صاحبها لا يتأثر بموعظة ولا تنفعه الذكرى ولا يأنس لذكر الله . . والعياذ بالله.

ـ ومن علاماتها ايضاً ميلها عن الأغذية النافعة إلى الأغذية الضارة وعن ما فيه صلاحها إلى ما فيه شهواتها وعن الدواء إلى الداء.

صفات الروح الثالثة:

فإنها تجتمع فيها أسباب الحياة والمرض فتمده هذه مرة وهذه أخرى وهو مع من غلب منها فتارة يغلب الايمان فى قلبه، وتارة تغلب الشهوات. . ويظل حائراً متردداً بين الحالتين إلى أن يتـدارك نفسه فيعتقها. . أو أن يغفل عنها فيوبقها وفى الحديث «**كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها أو موبقها**» (رواه مسلم)، ﴿**فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هى المأوى، وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى**﴾[١٩].

فالروح الاولى هى: النفس المطمئنة.

والروح الثانية هي: النفس الامارة بالسوء.
والروح الثالثة هي: النفس اللوامـة.

● فالأولى مطمئنة لأنها سكنت إلى الله عز وجل واطمأنت بذكره وأنابت إليه، واشتاقت إلى لقائه، وأنست بقربه فهي مطمئنة قال ابن عباس رضي الله عنهما «المطمئنة المصدقة»(٢٠).

● وأما الثانية فإنها تأمر بالسوء وتأنس إليه فلا يكاد أحد ينجو من شرها وهي الأصل في النفوس فهي أمارة بالسوء إلا ما رحم ربي قال تعالى: ﴿**إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم**﴾ (يوسف/٥٣)، فكل النفوس في أصلها كذلك إلا من وفقه الله تعالى وزكى نفسه فإنها ترتقي إلى درجة النفس اللوامة أو أعلى من ذلك إلى النفس المطمئنة ﴿**قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها**﴾ (الشمس/ ٩-١٠)، ﴿**ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً**﴾ (النور/ ٢١).

● وأما الثالثة: فهي اللوامة التي لا تثبت على حال واحدة فهي تتقلب بين الطاعات والمعاصي فتذكر وتغفل، وتقبل وتعرض.

ولا شك أن في القرآن الكريم طاقة روحية ذات تأثير بالغ الشأن في نفس الانسان فهو يهز وجدانه ويرهف أحاسيسه ومشاعره، ويصقل روحه ويوقظ إدراكه وتفكيره، ويجلي بصيرته، فإذا بالانسان بعد أن يتعرض لنفحات القرآن يصبح إنساناً جديداً كأنه خلق خلقاً جديداً.

■ إن كل من يقرأ التاريخ الاسلامي يلحظ ذلك التحول في تلكم المجتمعات ويرى الانقلاب في شخصيات الأفراد الذين تعلموا في مدرسة سيدنا محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام(٢١).

ولا شك أن في القرآن الكريم الشفاء لجميع ما يعتري الأرواح من الأعراض والأمراض، بل إن الروح المطمئنه لا تستغنى عن القرآن ساعة واحدة.

على الانسان أن يحرص على اختيار غذاء الروح كما يحرص على اختيار غذاء الجسد.

طب الأرواح في القرآن الكريم:

فإن سألت ـ بعد ـ عن علاج الأرواح في القرآن الكريم قلنا أن أول علاج يصفه القرآن لأمراض الأرواح هو: الايمان.

قال تعالى: ﴿**الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون**﴾ (الأنعام/٨٢)، وقال سبحانه ﴿**الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله، ألا بذكر الله تطمئن القلوب**﴾ (الرعد/٢٨)، ﴿**ومن يؤمن بالله يهد قلبه**﴾ (التغابن/ ١١).

ولا عجب أن يكون الايمان هو ركن العلاج ذلكم أن للايمان التأثير العظيم في النفوس البشرية، فهو يزيد من ثقة الانسان بنفسه، ويزيد من قدرته على الصبر وتحمل المشاق، ويغرس فيه الشعور بالأمن والطمأنينة، وهذا المعنى يفسر لنا كيف كان الجيل الأول من هذه الأمة الذي تربى بالقرآن وخالطت قلبه بشاشة الايمان، كيف كان هذا الجيل القرآني يثق بنفسه أمام جيوش فارس والروم، وكيف صبر على قتالهم وهم الذين يملكون من السلاح والعتاد مالا يعرفه، وكيف كان يشعر بالأمن والطمأنينة مع القلة من المسلمين أمام الكثرة الكاثرة من الكفار والمشركين.

لم يكن ليتحقق لهم ذلـك لولا أن الايمان قد تمكن من شغاف قلوبهم فبث فيها الأمن والسكينة، والصبر والطمأنينة، فالايمان يصله بربه القوي الذي دون قوته كل القوى، والمؤمن دائم التوجه إلى الله تعالى في كل عمل من أعماله فهو على صلة بربه في كل حين والله في عونه ما دام على هذا الشعور.

■ إن المؤمن إيماناً صادقاً لا يخاف من شيء في هذه الحياة ـ إلا الله ـ فهو يعلم أنه لا يمكن أن

يصيبه شر أو أذى إلا بمشيئة الله تعالى، ولا يمكن لأي إنسان أو لأية قوة أخرى فى الكون أن تلحق به ضرراً، أو تمنع عنه خيراً إلا بمشيئة الله تعالى، ولذلك فالمؤمن الصادق إنسان لا يمكن أن يتملكه الخوف أو القلق(٢٢) أو يشل حركته أو يؤثر عليه.

وقد اتفقت جميع مدارس العلاج النفسي على أن القلق هو السبب الرئيسى فى نشوء أعراض الأمراض النفسية(٢٣).

■ والمؤمن الصادق الايمان يعلم ـ يقيناً ـ أن الأرزاق بيد الله، وأن الله قد قسمها، وأن رزقه سيأتيه. فهو راض بقضاء الله وقدره إن كان قدر فقره أو قدر غناه، **﴿إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾** (الذاريات/ ٥٨)، **﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾** (الذاريات/ ٢٢)، **﴿وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها﴾** (هود/ ٦)، **﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾** (الرعد/ ٢٦).

■ والمؤمن لا يخشى الموت ولا يهابه فهو يعلم أنه حق لا مفر منه **﴿قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم﴾** (الجمعة/ ٨) ويعلم انه لن يموت قبل أجله **﴿ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها﴾** (المنافقون/ ١١)، **﴿ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾** (الاعراف/ ٣٤).

■ المؤمن يعلم أنه فى هذه الحياة عابر سبيل، وأن الآخرة هى الحياة الدائمة لذلك فهو لا يحزن على ما فاته من زخرفها، ولا يبيع دينه بقرض منها **﴿بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى﴾** (الأعلى/ ١٦-١٧).

■ والمؤمن لا يخشى الحوادث والمصائب وغوائل الزمان وعوادي الأيام ولا يخاف المرض إن حل به ولا يجزع، فهو مؤمن أن كل ذلك بقضاء االله وقدره ويعلم ـ يقيناً ـ أن ما حل به أو سيحل به من سراء أو ضرار ما هو إلا إبتلاء وامتحان، وأن عليه أن يصبر على الضراء، وأن يشكر على السراء **﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون﴾** (الانبياء/ ٣٥).

■ والمؤمن لا يستسلم للحزن والهم، ولا يرهن نفسه لليأس والقنوط، ولا يصيبه الكبر والبطر مع النعمة لأنه يعلم أن **﴿ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور﴾** (الحديد/ ٢٢-٢٣).



■ والمؤمن لا يظهر خلاف ما يبطن فلا يعاني في نفسه من هذا التكلف لأنه يعلم أن الله تعالى يعلم ما فى نفسه **﴿ربكم أعلم بما في نفوسكم﴾** (الاسراء/ ٢٥).

وبهذا كله ندرك أن الايمان يطهر النفس البشرية من نقائصها فتسلم من الآفات والأمراض النفسية(٢٤).

ولكن هذا التغيير وهذا التطهر ليس بالأمر الهين اليسير إنه عبء ثقيل ذلكم أن الله تعالى قد ألهم كل نفس الخير والشر، وأمد كل إنسان بالقدرة على تطهير نفسه من الشر والابقاء على الخير فمن فعل قد زكاها، ومن لم يفعل فقد دساها **﴿ونفس وما سواها، فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها﴾** (الشمس/ ٧-١٠)، وسيلاقى الانسان العناء الشديد لصد نفسه عن الفجور وحملها على الطاعات وسيظل كذلك فى كل لحظة من حياته فجهادها أكبر من جهاد العدو الذى يستمر لمدة معينة ولهذا وصف رسول الله ﴿ﷺ﴾ جهادها بالجهاد الاكبر.

■ ومن المعلوم أن الايمان ينفي الرياء، والكبر، والغرور، والحقد والحسد والغضب، والوسواس، والطمع، والعجب، واليأس، وتلكم أهم الآفات النفسية والأمراض العصبية.

اما العلاج الثانى في القرآن الكريم للأمراض النفسية والروحية فهو: العبادة وما أدراك ما لعبادة؟ شأنها عظيم، ومكانتها كبيرة، إذ لا يكفي لشفاء المريض أن يعرف مرضه ولا يكفى ايضا ن يعرف علاجه ثم يقف عند هذا الحد! بل لابد من تناول العلاج، وكذلك علاج النفس لا

يكفى أن يعتقد الانسان العقيدة الصحيحة بل لابد من مزاولة هذه العقيدة والالتزام بها وما تتطلبه من أعمال وتطبيقات إذ بالممارسة العملية للعقيدة الصحيحه تحدث التزكية للنفس.

وقد دعا القرآن الى العمل وفق العقيدة الصحيحة **﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾** (التوبة/١٠٥).

■ والعمل الذى دعا إليه القرآن ورد بيانه في مواضع عديدة من القرآن الكريم والسنة النبوية ومن أهم تلكم الأعمال: الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والورع، والزهد، والتقوى، والذكر وتلاوة القرآن، والصبر، والتوبة، والصدق، والأمانة، وغير ذلك.

وأداء هذه العبادات يربي المسلم على التخلص والتجرد من هواه ورغباته، والانقياد لشهواته، ويربيه على الاستسلام له بالطاعة وحده، والامتثال لأوامره واجتناب نواهيه، وأن يظل فى كل لحظة متصلا بربه، قريباً منه.

كما يعلمه الصبر على مخالفة النفس، وتحمل المشاق الجسدية والنفسية فى سبيل ذلك، كما تغرس فى نفسه حب الناس، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه فيحسن إليهم، ويتصدق على فقيرهم ويزور مريضهم، ويعطف على صغيرهم، ويوقر كبيرهم، كما تنمي هذه العبادات فى نفسه روح التعاون والتكافل، وهذه الخصال هي مقومات الصحة النفسية، كما أنها الوقاية من الأمراض النفسية ايضا.

فالصلاة صلة بين العبد وربه لا تنقطع فإن العبد إذا صلى الظهر لم يزل ينتظر صلاة العصر ويترقبها وإذا صلى العصر لم يزل ينتظر صلاة المغرب ويترقب دخول وقتها.. وهكذا ولا يزال العبد فى صلاة ما انتظر الصلاة وبذا تكون صلته بربه دائمة لا تنقطع وحينما يشعر المسلم بهذه الصلة يدرك أنه تحت الرقابة الالهية فيخضع كل أعماله لما يرضي ربه.

المؤمن لا يظهر خلاف ما يبطن لانه يدرك أن الله تعالى يعلم ما فى نفسه

قال تعالى: **﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون﴾** (العنكبوت/٤٥).. وتأمل فاصلة هذه الآية **«ويعلم ما تصنعون»** كأن فى هذا إشارة إلى أن المصلي يدرك أنه مراقب من ربه وأن الله يعلم سائر ما يعمل فيراقب نفسه بنفسه فتنهاه صلاته عن الفحشاء والمنكر.

■ إضافة إلى ما تضفيه االصلاة من تهذيب للأخلاق وتقويم للسلوك بل تورث انقياد إرادة العبد لارادة الله وخشيته ومحبته سبحانه والانسلاخ من الطبيعة البهيمية التى تقوده إلى الشهوات والهوى. ولذلك حين أمر الله تعالى نساء النبى ﴿ﷺ﴾ - ورضى الله عنهن - بالقرار فى البيوت ونهاهن عن التبرج أمرهن بالصلاة والزكاة وطاعة الله ورسوله ثم بين عاقبة ذلك فقال سبحانه:

﴿وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ (الأحزاب/٣٣).

■ والخشوع هو روح الصلاة ولبها وقد صور لنا أحد العلماء تصويراً مؤثراً للصلاة التامة فقد سئل حاتم الأصم عن صلاته فقال: «إذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء وأتيت الموضع الذى أريد الصلاة فيه فأقعد حتى تجتمع جوارحى ثم أقوم إلى صلاتي وأجعل الكعبة بين حاجبي والصراط تحت قدمي والجنة عن يميني والنار عن شمالي وملك الموت ورائي، وأظنها آخر صلاتي، ثم أقوم بين الرجاء والخوف، وأكبر تكبيراً بتحقيق، وأقرأ قراءة بترتيل وأركع ركوعاً بتواضع، واسجد سجوداً بتخشع وأقعد على الورك الأيسر وأفرش ظهر قدمها، وأنصب القدم اليمنى على الابهام وأتبعها الاخلاص ثم لا أدري أقبلت مني أم لا».

■ إن لهذه الحالة من الخشوع والاسترخاء النفسي الذى تحدثه الصلاة الأثر الكبير فى علاج النفس

وتخفيض حدة التوترات العصبية الناشئة عن صغوط الحياة اليومية وفي خفض القلق الذى يعاني منه بعض الناس ولذلك يقول الطبيب توماس هايسلوب «إن الصلاة أهم أداة عرفت حتى الآن لبث الطمأنينة فى النفوس، وبث الهدوء فى الأعصاب»(٢٧).

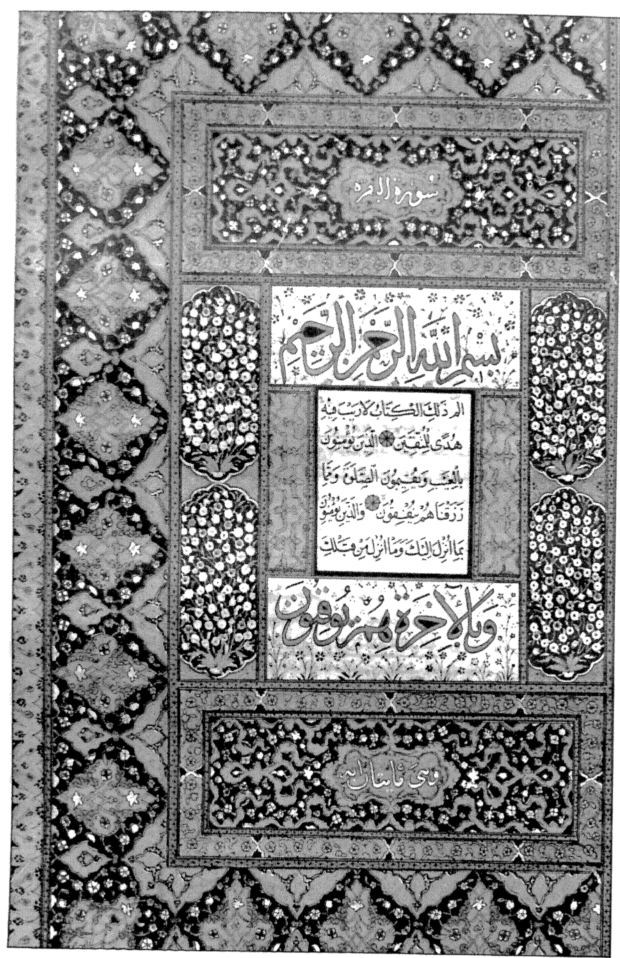
ولما للصلاة من تأثير نفسي كان عليه الصلاة والسلام يقول لبلال رضى الله عنه «**أرحنا بالصلاة يابلال**»(٢٨) وكان عليه الصلاة والسلام إذا حَزَبَه أمرٌ أمر بالصلاة.

■ وإذا علمنا أن الصلوات المفروضة خمس فى اليوم والليلة فضلا عن النوافل وعن صلاة الجمعة والاستسقاء والخسوف والكسوف والجنائز والعيدين والتراويح وغيرها وما يسبقها من استعداد لها بالأذان والطهارة وما يعقبها من استراحة للتسبيح والتكبير وذكر لله عرفنا ما تستغرقه هذه الصلاة في حياة المسلم ومدى تأثيرها فى سلوكه.

والصـلاة مثـل من أمثلة تأثير العبادة فى علاج النفس البشرية وتهذيبها وقل مثل ذلك فى العبادات الأخرى كالزكاة والصيام والحج وغيرها ويطول الحديث لو ذهبنا فى استقصاء واحد منها فضلا عن جميعها ولعل فيما قلناه إشارة فيها فائدة والله المستعان.

الهوامـــش

(١) الروح: ابن القيم ص١٧٨-١٧٩.
(٢) بصائر ذوي التمييز: الفيروز آبادي ج٣ ص١٠٣.
(٣) سورة النور: من الآية: ٦١.
(٤) سورة النحل: الآية١١١.
(٥) سورة المدثر: الآية٣٨.
(٦) سورة الفجر: الآية٢٧.
(٧) سورة الانعام: الآية٩٣.
(٨) سورة النازعات: الآية ٤٠.
(٩) سورة يوسف: الآية٥٣.
(١٠) الروح: ابن القيم ص٢١٧.
(١١) سورة النبأ: الآية ٤٠.
(١٢) سورة الحجر: الآية٢٩ وص٧٢
(١٣) سورة الفجر: الآية٢٧.
(١٤) سورة الاعراف: الآية ٤٠.
(١٥) شرح العقيدة الطحاوية: على بن ابى العز ج٢ ص٥٨٢ والروح: ابن القيم: ص٩١.
(١٦) سورة الرعد: الآية٢٨.
(١٧) سورة طه: الآية١٢٤.
(١٨) سورة الزخرف: الآية٣٦.
(١٩) سورة النازعات: الآية ٣٧-٤١.
(٢٠) تزكية النفوس وتربيتها كما يقرره علماء السلف: جمع د. احمد فريد ص٧٠.
(٢١) انظر القرآن وعلم النفس: د. محمد عثمان نجاتي ص٢٤٥.
(٢٢) القرآن وعلم النفس: د. محمد عثمان نجاتى ص٢٥٠-٢٥١.
(٢٣) أثر القرآن الكريم في الأمن النفسي: د. ناهد الخراشي ص١٢٩.
(٢٤) انظر القرآن وعلم النفس: د. محمد عثمان نجاتي من ص٢٤٤ وما بعدها.
(٢٥) من كتابي «الصلاة فى القرآن الكريمة ص٣٨-٣٩.
(٢٦) إحياء علوم الدين: الغزالي ج١ ص١٥١.
(٢٧) القـرآن وعلم النفس: د. محمد عثمان نجاتي ص٢٦٤-٢٦٥ وانظر أثر القرآن الكريم فى الأمن النفسي: ناهد عبد العال الخراشي ص١٧٢.
(٢٨) رواه الامام أحمد في مسنده ج٥ ص٣٦٤ وأبو داود فى سننه ج٤ ص٢٩٦-٢٩٧.



سورة البقرة

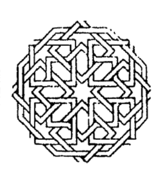
بسم الله الرحمن الرحيم

الم ذلك الكتاب لا ريب فيه
هدى للمتقين الذين يؤمنون
بالغيب ويقيمون الصلوة ومما
رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون
بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك

وبالآخرة هم يوقنون

القرآن الكريم والفكر التربوي

د. مصطفى رجب





■ لا خلاف بين المشتغلين بالعلوم الاسلامية والعربية على كون القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة المصدرين الأولين لتلك العلوم مهما تختلف مناهج البحث فيها. ولا خلاف بينهم كذلك على كون القرآن الكريم هو المصدر الأول من هذين المصدرين.

■ **وفيما يتعلق بدراسة الفكر التربوي فى ضوء القرآن الكريم، هناك أكثر من مدخل يمكن فى رأينا إجمالها فيما يلى:**

١ ـ **دراسة الفكر التربوي من زاوية فلسفية**، وفى هذا الاطار يمكن للدارس أن يعقد موازنات بين عطاء القرآن الكريم فى مجال فلسفة التربية وما قالت به الفلسفات التربوية البشرية. ويدرس الباحث هنا الجوانب المعروفة لأية فلسفة تربوية مثل: رؤيتها للطبيعة البشرية، والقيم، والوجود، والحرية.. الخ.

٢ ـ **دراسة الفكر التربوي من زاوية اجتماعية**، وفى هذا الاطار يمكن للدارس أن يركز على مشكلات المجتمع وكيف تناولها القرآن الكريم. ويتعمق الباحث فى تحليل الأبعاد المختلفة لتلك المشكلات وأثرها فى الفرد. كما يتناول البحث فى هذا الميدان قضايا العمل والانتاج والاقتصاد والعلاقات الانسانية بوصفها من «**القوى والعوامل**» المؤثرة فى أى نظام تربوي.

٣ ـ **دراسة الفكر التربوي من زاوية فردية**، وفى هذا الاطار يمكن للدارس أن يبحث وضعية «**الانسان الفرد**» فى القرآن الكريم بوصفه المحور الذى تدور حوله عملية التربية، فيرى كيف عرض الانسان فى القرآن: خلقاً وتكوينا وتنشئة. وكيف بين القرآن أحوال نموه المختلفة وطباعه المختلفة.

٤ ـ **دراسة الفكر التربوي من زاوية القصة القرآنية**، وفى هذا الاطار يدرس الباحث قصص القرآن الحافلة بالعطاء التربوي المكثف بحيث يكشف عن مسالك التربية بالقصة فى القرآن ويحلل كيف استخدم القرآن عناصر القصة المختلفة: الشخصيات ـ الحوار ـ الزمان ـ المكان ـ الاحداث فى ابراز الفكرة الأساسية للقصة.

■ مما سبق يتضح أن هناك مداخل متعددة لدراسة الفكر التربوي فى ضوء القرآن الكريم أشرنا إلى نماذج منها، وهناك غيرها الكثير. ومع ذلك فإن الدراسة الحالية هذه لن تتطرق إلى دراسة مفصلة للفكر التربوى من خلال احد المداخل السابقة. ولكنها تطمح إلى إثارة «نقاط» بحثية يمكن لمن يرغب فى دراسة العطاء التربوي القرآنى أن يتخذ إحداها نقطة انطلاق يبنى عليها خطة بحثية متكاملة. ونعتقد أن ذلك أجدى من تركيز البحث فى نقطة واحدة قد لا يجد فيها القارىء ما يبحث عنه من «**إثارة**» لمشكلات بحثية تهمه.

■ **وفيما يلى نقدم عدة تصورات أكثر تحديداً لدراسات يمكن أن تتعرض للفكر التربوى فى ضوء القرآن الكريم.**

التصور الاول: الأهداف التربوية فى ضوء القرآن الكريم(١).

يقول أحد المربين المعاصرين «إذا لم تكن متأكداً من المكان الذى تسير إليه فإنك ستصل إلى مكان آخر»(٢).

وهذه الجملة البسيطة توضح بشكل عملى أهمية تحديد الأهداف فى حياة الانسان العادي فالذى يمشى مكبا على وجهه محكوم عليه حتما بأن يضل طريقه. ولما كانت نظم التعليم الحالية بأشكالها المؤسسية أصبحت مسؤولة اجتماعيا عن تنشئة الأجيال وتهيئتها لحمل راية التقدم بالمجتمعات وقيادتها، فقد أصبح لزاماً على تلك المؤسسات التعليمية أن تبذل جهداً واضحاً من أجل تحديد ماهية رسالتها أو بتعبير آخر، أهدافها التى تسعى إلى تحقيقها.

ومنذ ظهور تصنيف «بلوم» الشهير للأهداف التربوية فى أوائل الخمسينيات من هذا القرن، ظهرت مئات من الكتب والدراسات التربوية حول موضوع الأهداف(٣) صياغتها واستخدامها. وبشكل عام تحتدم الخلافات بين الكتاب حول:

● **مستويات الاهداف التربوية:** ويقصد بها الغايات التربوية Aims والأغراض Purposes والاهداف العامة Goals والأهداف الخاصة Obgectives ويختلف ترتيبها تصاعديا أو تنازليا من مؤلف إلى آخر.

● **مصادر اشتقاق الاهداف:** وتختلف أهميتها من مؤلف إلى آخر ولكنها (عند الجميع) لا تخرج عن ثلاثة مصادر تشتق منها أهداف التعليم وهى: المتعلم (من حيث نموه وحاجاته وميوله) والمجتمع (من حيث طبيعته ونظمه ومشكلاته) والمادة الدراسية (من حيث مجالاتها ومكوناتها وطرق تدريسها).

● **سلطة وضع الاهداف التربوية:** ويقصد بها الجهة المنوط بها تنفيذيا تحديد الأهداف التربوية المرجوة: أهى السلطات السياسية أم السلطات التعليمية؟.

■ **والحقيقة التى نؤمن بها:** أن كثيراً من التخبط الذى تعانى منه نظم التعليم فى البلدان العربية والاسلامية، يرتبط ارتباطا وثيقا بتخبط تلك النظم فى صياغة أهدافها التربوية. وتبنى المشروع الغربي فى تناول تلك الأهداف تحت تأثير عوامل عديدة منها التبعية الثقافية (وبخاصة التبعية التربوية) للغرب ويمكن حل هذه الاشكالية ببساطة إذا ما اتجهت دراسات تربوية تتناول صياغة أهداف تربوية فى ضوء القرآن الكريم للمجتمعات الاسلامية. وتأتى هذه الخطوة من عدة منطلقات أهمها:

البحث عن نظرية للمعرفة فى القرآن الكريم أمر لازم لابراز الذات الخاصة للتربية فى الشعوب الاسلامية.

● ثبات الاهداف إذا ما اشتقت من مصدر لا يتغير كالقرآن الكريم بحكم كونه نصاً إلهيا لا يأتيه الباطل. وثبات الأهداف يحقق للنظم التعليمية القدرة على إنجاز مهامها فى ظل وضوح رؤية نابعة من وضوح الأهداف واستقرارها. أما الأهداف الموضوعة باجتهادات بشرية فهى تخضع للأهواء السياسية المتقلبة وحسابات المصالح القصيرة الأمد مما يسبب قلقا دائماً للنظم التعليمية.

● إبراز الهوية الاسلامية فى ارتكازها على كتابها السماوي فى تشريعها التربوى، الذى هو جزء من النظام الاجتماعى العام الذى ينبغى له أن يخضع ـ فى شتى منظوماته الداخلية للتشريع الالهى.

● التصدى للاتهام الشائع للتربية الاسلامية بأنها مجرد «مواعظ» وتوجيهات خطابية جوفاء لا تناسب العصر الحاضر.

■ والـذى نتصـوره فى هذا الصدد: أن تأخذ عدة دراسات حديثة على عاتقها مهمة اشتقاق أهداف تربوية من القرآن الكريم مصنفة فى مستويات تلائم المستويات المعروفة حاليا فى الأوساط التربوية. ولكن أسس تلك الاهداف مأخوذة من عطاء القرآن الكريم. وحتى لا نتهم بالخطابية فإننا نضرب مثالا على ذلك: فإذا اعتبرنا «التقوى» مثلا غرضاً تربويا عريضا أو هدفاً أو غاية استناداً إلى قوله تعالى ﴿**لعلكم تتقون**﴾ أو ﴿**هدى للمتقين**﴾، فمن الممكن فى الخطوة التالية أن نضع تعريفاً جامعاً مانعاً للتقوى مستخلصا من صفات المتقين بعد تحليلها موضوعيا من جميع أماكن ورودها فى القرآن. وفى خطوة تالية نحول ذلك التعريف إلى خطوات اجرائية ملموسة يمكن قياسها. وفى الخطوة الاخيرة نوزع تلك الخطوات الاجرائية على مناهج المواد الدراسية المختلفة أو على المراحل التعليمية المختلفة.. وهكذا.

التصور الثانى: الطبيعة البشرية فى ضوء القرآن الكريم:

الانسان هو محور العملية التربوية الذى تدور حوله. فالطفل المتعلم «إنسان» بالدرجة الأولى يفرح، ويألم، ويحب، ويكره، وله طموحاته، وميوله. ويختلف كل فرد عن الآخر بدرجات متفاوتة من الاختلاف فى كل ناحية من نواحي شخصيته. ومن هنا تأتى أهمية دراسة الطبيعة البشرية كجزء أساسي من أى دراسة تخوض فلسفة التربية باعتبار الانسان هو «الخامة» الاساسية للعمل التربوي.

■ وتتناول دراسة الطبيعة البشرية عناصر عديدة أهمها:

١ ـ أثر كل من الوراثة والبيئة فى تكوين الانسان.

٢ ـ الاختلاف بين الذكور والاناث: أنواعه ـ اتجاهاته ـ آثاره.

٣ ـ هل الانسان مسير أو مخير؟

٤ ـ أيهما أكثر تأثيرا فى السلوك: الجسم أم العقل؟

■ وقد قدمت الفلسفات التربوية المعاصرة آراء كثيرة لها فى كل ناحية من هذه النواحي وتناول تلك الآراء كثير ممن كتبوا فى فلسفة التربية. ولكن الدراسات التى تعرضت لدراسة الطبيعة البشرية فى القرآن الكريم ما تزال محدودة جدا(١). وفى تصورنا أن من الضرورى قبل الشروع فى وضع أسس للفكر التربوي الاسلامى تخصيص دراسة مستقلة لتجلية هذا الجانب الهام الذى هو ـ كما اشرنا فى البداية ـ محور العملية التربوية، فقد عرض الانسان فى القرآن منظوراً إليه من زاوية طبيعته البشرية من خلال:

أ ـ حديث القرآن عن الحواس: وظيفتها الأصلية، وإساءة استخدامها

ب ـ حديث القرآن عن النفس: أنواعها ـ ودورها فى السلوك.

ج ـ حديث القرآن عن دوافع السلوك: الوراثية، والبيئية.

د ـ حديث القرآن عن الحرية والاختيار فى حياة الانسان: وهى قضية نالت حظها من الدراسة على أيدى علماء الكلام ورجال الفرق والمفسرين.

التصور الثالث: الجوانب المعرفية فى القرآن الكريم:

تتناول مباحث نظرية المعرفة الجوانب التالية بوجه عام:

١ ـ طبيعة المعرفة (ماهيتها)

التربية فى القصص القرآنى فى حاجة الى دراسات أكثر عمقا

٢ ـ مصادر المعرفة (العقل ـ الحواس ـ الوحي ـ الحدس ـ العقل والحواس معاً).
٣ ـ أنـواع المعرفـة.

■ وتأتى أهمية دراسة نظرية المعرفة كجزء أساسى من أية فلسفة تربوية، من كون التربية بطبيعتها عملية «نقل معارف» إلى جانب كونها عملية اكتساب مهارات وعملية خلقية. . والملاحظ حاليا أن الاتجاه المسيطر على النظم التربوية المعاصرة هو تغليب الجانب المعرفى على الجانبين الآخرين: المهارى والخلقي على الرغم من النداءات المتكررة لرجال التربية الحديثة بضرورة إيجاد «توازن ما» بين الجوانب الثلاثة.

ومع الانفجار المعرفي السائد حاليا تصبح عملية «اختيار» ما يقدم فى المناهج المدرسية عملية فى غاية الصعوبة. ففى العصر الحاضر «يتضاعف العلم فى أوربا كل خمس عشرة سنة، وفى الولايات المتحدة الامريكية كل عشر سنوات، وفى روسيا كل سبع سنوات، وفى الصين كل خمس سنوات مما يدل على أن التنافس العلمى العالمي حاليا أصبح يجرى بصورة تشبه السباق إن لم نقل الصراع»(٥).

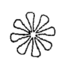
■ والحقيقة أن البحث عن «نظرية» للمعرفة فى القرآن الكريم أمر لازم لابراز الهوية الحضارية للمجتمعات الاسلامية، وأمر حتمى لابراز «الذات» الخاصة للتربية فى الشعوب الاسلامية.

وفى تصورنا أن مثل هذا البحث يمكن أن يتناول الجوانب التالية:

أ ـ طرق اكتساب المعرفة فى القرآن (الدعوة الى اعمال العقل ـ عدم إنكار دور الحواس فى اكتساب المعرفة ـ التركيز على دور الوحي والالهام. . . الخ).

ب ـ ماهية المعرفة فى ضوء القرآن (فتح المجال أمام جميع العلوم مع مراعاة المعيار الشرعى فى النفع والضرر على نحو ما توضحه كتابات التربويين القدامى كالغزالى وغيره)(٦).

ج ـ تصنيفات المعرفة القرآنية:



١ ـ القرآن وعلوم الحياة (البيولوجيا: الحيوان والنبات والحشرات).
٢ ـ القرآن وعلم الانسان (الانثروبولوجيا).
٣ ـ القـرآن وعلوم اللغة.
٤ ـ القرآن والبحث التاريخى.
٥ ـ القرآن وعلم الطبيعة (الفيزياء: الجوامد، الحرارة، الطاقة، الكتلة، الزمن. . الخ).
٦ ـ القرآن والعلوم الرياضية (الحساب الفلك ـ النجوم. . الخ).

التصور الرابع: التربية فى القصص القرآنى(٧):

على الرغم من أن هذا الجـانب نال قسطاً أوفر من الدراسات التربوية الحديثة إذا قورن بالجوانب السابقة، فإنه مازال يفتقر إلى دراسات أكثر عمقاً تتناوله من عدة زوايا جديدة لم تطرق حتى الآن مثل:

١ ـ دراسات تربط بين عطاء علم اللغة الحديث الذى يدرس «الأسلوب» وفقاً للمناهج الحديثة (التركيب النحوى والصرفى والصوتى والدلالي) وعطاء علوم النفس والتربية من أجل استنباط محتوى تربوى أكثر عمقاً.

٢ ـ دراسات تتناول القصص القصيرة جدا فى القرآن والتى لم تتوقف عندها الدراسات السابقة كثيراً مثل قصص (سبأ وسيل العرم ـ الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ـ الصافنات

الجياد - بناء الكعبة - القوم الجبارين - أصحاب الجنة (سورة ن) - صاحبى الجنتين (سورة الكهف) - وغيرها كثير).

٣ - دراسات تتناول القصص النبوى الذى جاء لتوضيح قصص قرآني مجمل، أو القصص النبوى الذى جاء تفسيراً لآيات قرآنية غير قصصية أو بها إشارات سريعة.

٤ - دراسات تتناول القصص القرآني موضوعيا مقارنا من خلال عدة تفاسير ذات اتجاهات مختلفة (تفسير بالماثور - تفسير بالرأى - تفسير إشارى - تفسير إجمالي).

أما بعــــد..

فلعل فى السطور السابقة إشارة كافية للامكانات البحثية التى ما تزال بكراً فى مجال القرآن الكريم والفكر التربوي. أردنا بها فتح الباب أمام طلاب البحث العلمى الصابرين الصادقين الذين سيجدون صعوبات جمة فى هذا الطريق، ولكن إيمانهم بقيمة ما سيصلون إليه من نتائج قيمة مفيدة يعصمهم من الملل والزلل. ولعل الله أن ييسر لنا قريباً نشر نماذج لبعض دراسات قمنا بها فى هذا المجال فى المنهل الغراء بعون الله تعالى.

هوامش وتعليقات

(١) فى حدود علمنا ليست هناك دراسة حتى الآن لموضوع الاهداف التربوية مستقاة من القرآن الكريم إلا أن تكون إشارات عامة داخل دراسات أوسع فى مجال التربية الاسلامية. ولكن هناك مراجع مفيدة حول موضوع الاهداف التربوية بصورتها المعاصرة من اهمها:

A. Bloom, Benjamin S. et al, (Editors) Taxonomy of Educational Objectives: The Classification of Educational Goals: Handbook 1: Cognitive Domian (N.Y: Longmans Green s Co., 1956).

B. Krathwohl, David R, et al, Taxonomy of Educational Goals: Handbook 11: Affective Domian (N.Y: David Mckay Book Co., 1964). C. Kibler, R. and D.Miles, Behavioral Objectives and instruction (Boston: Allyn and Bec-on Publishing Co., (1970).

د - الدمرداش سرحان، المناهج المعاصرة، الكويت: مطبعة الفلاح، ١٩٨٥.

هـ - جودت احمد سعادة، استخدام الاهداف التعليمية فى جميع المواد الدراسية.
القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٩١م.



(٢) Robert F. Mager, Preparing Instructional Objectives. 2nd ed. (California: Fearon Pitman Publishers, (1975) Preface.

(٣) فى كتاب جودت سعادة المشار إليه فى رقم (١) عرض جيد لعشرات من هذه الدراسات بين مؤيد ومعارض. وقد عرضها المؤلف بأمانة وحيدة وكتابه صور من شهور قليلة.

(٤) نذكر منها: أ - فلسفة المعرفة فى القرآن الكريم - تأليف على عبد العظيم، نشر مجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة وفيه فصل جيد عن الغرائز يخدم البحث فى الطبيعة البشرية.

ب - محروس سيد مرسى، الطبيعة البشرية فى الفكر الاسلامي وبعض الفلسفات الغربية، رسالة دكتوراه، نشرت أخيرا (١٩٩٠) فى دار المعارف بمصر.

(٥) راجع: مصطفى رجب، «العرب والتحدى العلمى المعاصر» دراسة منشورة بصحيفة البيان (الاماراتية) العدد ٣٩٨١ الصادر فى ١٣ مايو ١٩٩١م. نقلا عن مصدر أمريكي.

(٦) تعرضنا تفصيلا لظاهرة تقسيم العلوم عند العرب فى عدة بحوث تناولت الفكر التربوى عند أعلام من القدماء، كالجاحظ (مجلة الكويت، أغسطس ١٩٨٩) والجيطالى (مجلة كلية التربية بسوهاج - ١٩٩٠م) وابن الاكفانى الذى حققنا مخطوطته: إرشاد القاصد الى أسنى المقاصد وفيها عرض تفصيلي لتصنيف العلوم (صدرت طبعتها الاولى عن جامعة سوهاج عام ١٩٨٩م.

(٧) من أشهرها وأفضلها فى رأينا دراسة التهامى نقرة: سيكولوجية القصة فى القرآن، تونس ١٩٧٥.

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الشيخ عبدالحميد بن عبدالعزيز بن محمَّد السَّلمان
طبع ونشر وتوزيع الكتب الإسلامية الوقفية
على جميع المكتبات غير التجارية داخلياً وخارجياً

على من يرغب في اقتناء أي كتاب من هذه الكتب القيمة
الكتابة إلى فضيلته - حفظه الله ورعاه - على العنوان التالي :
المملكة العربية السعودية - ص.ب ٥٦٦٧٣ الرياض ١١٥٦٤ - هاتف ٤٨٢٧١٨١«خاص»

بيان بالكتب الإسلامية الوقفية

وجميعها من مؤلفات والده العالم العَلاَّمة الورع الزاهد الشيخ عبدالعزيز بن محمَّد بن عبدالرحمن السَّلمان
(حفظه الله ورعاه) ... آمين

١ - الأسئلة والأجوبة الفقهية المقرونة بالأدلة الشرعية-٧مجلد.
٢ - موارد الظمآن لدروس الزمان - ٦ مجلد .
٣ - مجموعة القصائد الزهديات - ٢ مجلد .
٤ - إتحاف المسلمين بما تيسَّر من أحكام الدين - ٢ مجلد .
٥ - الأنوار الساطعات لآياتٍ جامعات - ٢ مجلد .
٦ - الكواشف الجلية عن معاني الواسطية .
٧ - الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية .
٨ - مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية.
٩ - المناهل الحسان في دروس رمضان .
١٠ - دعاء ختم القرآن الكريم .
١١ - من محاسن الدين الإسلامي .
١٢ - من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم .
١٣ - أوضح المسالك إلى أحكام المناسك .
١٤ - التلخيصات لِجُلِّ أحكام الزكاة .
١٥ - إرشاد العباد للاستعداد ليوم المعاد .
١٦ - سلاح اليقظان لطرد الشيطان .
١٧ - اغتنام الأوقات في الباقيات الصالحات .
١٨ - إيقاظ أولي الهمم العالية إلى اغتنام الأيام الخالية .
١٩ - مفتاح الأفكار للتأهُّب لدار القرار .
٢٠ - الحل الوحيد لقضية أفغانستان .
تأليف الأستاذ / عبدالمنعم محمد حلمي الهاشمي
٢١ - الكنز الجديد من أوراق الشيخ عبدالحميد .
إعداد فضيلة الشيخ / عبدالحميد بن عبدالعزيز السَّلمان

تكميل : الكتب ذات الأرقام ١/٢/٦/٧/٨/٩/١٠/١١/١٢ من منشورات رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - الرياض ، والكتاب رقم ٦ أيضاً من منشورات رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة .
[للفائدة العلمية]

تنبيه : على من يرغب أخذ فكرة عن مؤلفات والدي (وفقه الله لكل خير) آمين ، الرجوع إلى المجلات التالية :
(١) مجلة «المنهل» العدد ٤٨٤ صفحة ٢٠٥ المجلد ٥٢ ربيع الآخر وجمادى الأولى ١٤١١هـ - أكتوبر - نوفمبر ١٩٩٠م .
(٢) مجلة «عالم الكتب» المجلد ١١ العدد ٣ صفحة ٤٥٥ - ٤٥٧ محرم ١٤١١هـ - أغسطس ١٩٩٠م .
(٣) مجلة «الدارة» العدد ٢ صفحة ٢٢٠ - ٢٢١ السنة ١٦ المحرم - صفر - ربيع الأول ١٤١١هـ - أغسطس ١٩٩٠م .
(٤) مجلة «التوحيد» المصرية السنة العشرون - العدد الثاني - شهر صفر ١٤١٢هـ. ص ٥١

« وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم »
(جزى الله خيراً من نشرها أو اعان على نشرها وغفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين ... آمين)

الظاهرة الحضارية في القرآن الكريم

إن مرحلة سيطرة الاشياء على القيم والافكار.. مرحلة التردد والتذبذب فى كل شيء فالحق قد يكون معروفا بوضوح، لكن الامة المنغمسة فى الترف لا تعطى الحق إلا بعض الكلمات فى بعض المناسبات، أو تجعله أشبه ما يكون (بالشعارات).. لكنه بعيد عن عالم التطبيق.. إن ضغط (الاشياء) وشتى مظاهر الترف على العقول والسلوكيات تحول دون تطبيق الحق المعروف.



الاستاذ بقسم التاريخ والحضارة
بجامعة الامام محمد بن سعود بالرياض

الحضارة الانسانية هى تعبير فطرى عن حاجة إنسانية يتميز بها الانسان على سائر الكائنات، ففى داخل كل إنسان ـ فردا أو جماعة ـ حاجة تلح عليه، وتؤكد له ـ عبر عدد من النوازع والسلوكيات ـ أنه شيء متميز عن الكائنات الأخرى.. إنه يحس باختلافه عن مستواها، ويحس بأنه قادر على ما لاتستطيع هى أن تقدر عليه، ويحس بأنه يستطيع أن (يسمو) لدرجة لا تستطيع الكائنات التى تشاركه فى الأرض أن تصل اليها.

ـ ليكن هذا الشيء المتميز روحا تشعره بالعلو. وبنفحة انسانية خاصة.

ـ او ليكن هذا الشيء عقلا.. يعقل.. ويتسع لرؤية الماضى واستكناه المستقبل حيث لا يستطيع غيره من الكائنات أن يمد الطرف إلى الماضى أو المستقبل.

ـ ليكن هذا أو ذاك... فالمهم أن (الحضارة) ـ أى الاستعلاء فوق الوجود التاريخى ـ هو شيء فطرى يحس به الانسان فى كيانه الداخلى.. ولعلى ألمح هذا الشيء ـ بصورة ما ـ فى قوله تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان﴾(١)، وفى قوله: ﴿وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم، إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم﴾(٢).

منظومة بناء الحضارة وعناصرها الثلاثة:

إن بناء الحضارة هو قرار إنسانى يعتمد على الانسان والفكر.. ثم الأشياء.. وبالتالى فصناعة الانسان للحضارة ـ عندما تتوافر لديه الارادة والوعى ـ تحتاج لثلاثة عناصر أساسية لا غنى لواحد منها عن الآخر:

١ ـ إنسان: مؤهل للقيام بالدور الحضارى المطلوب، معد نفسيا وأخلاقيا لتحمل المسئولية، ويدخل فى عنصر الانسان (الزمان) باعتبار الانسان حقيقة زمانية، لا تنفصل عن الزمان، ووجوده وجود زمانى بدرجة كبيرة.

٢ ـ فكر: يقود خطوات الانسان ويلهمه ويدفعه الى التضحية والايثار.. وقد يسمى بعضهم هذا الفكر بالعقيدة، ويسميه آخرون بالثقافة، أو الجانب المعنوى للحضارة.

٣ ـ أشياء: يستطيع الانسان أن يجد فيها المواد الخام المادية التى يبرز من خلالها فكره، وقد يسمى بعضهم هذه الأشياء بالجانب المادى فى الحضارة، أو يطلق عليها بعضهم مصطلح (المدنية) ويسميها بعضهم (بالأرض أو التراب)(٣).

■ وهكذا، فلا حضارة انسانية إلا بهذه المنظومة الثلاثية(٤):

١ - انســان . . . (كينونة وزمان)

٢ - وفكــر . . . (عقيدة وثقافة)

٣ - وأشـياء . . . (التراب ورأس المال وشتى العوامل المادية).

■ وهذه المنظومة بعناصرها الثلاثة تحتاج - لكى تبقى فاعله ومؤثرة - الى ان تتوازن النسب بينها، ويعطى كل عنصر قدره فى المرحلة التاريخية التى تمر بها الحضارة. . ولا تسقط الحضارات عندما تطغى نسبة عنصر على عنصر. . فعندما يعبد الانسان الفرد، ويصبح هو الهدف، وتصاغ الحياة بوسائلها وأهدافها - من أجل استمتاعه . . يقع الخلل. . وأيضا عندما يطغى الفكر، ويذوب الانسـان فيه على حساب (الانسان) أو (الأشياء) فيترك العمل، ويصبح الفكر لمجرد الفكر، ويريد بعضهم أن يصوم فلا يفطر، ويقوم آخر فلا ينام، ويترهبن ثالث فلا يتزوج(٥).

■ هنا يطغى تألف (الفكرة) وتهدد الحياة بالخلل، ويجب تقويم الميزان. . وتحقيق العدل بين العناصر. .

ومن الغريب أن أحد المفكرين المعروفين أنشأ كتابا أسماه (التفسير القرآنى للتاريخ)(٦). . ومع ذلك فانه لم يتكلم فى كتابه هذا إلا عن عنصر واحد هو (الأشياء) فتحدث - فقط - عن الجوانب المـادية من أرض واقتصاد وثروة وعمل ورأسمال وتنظيم وتخطيط وسياسة زراعية وتجارة وادخار واستثمار وموضوعات فرعية تتصل بها.

■ إن الحـديث عن الآيات القرآنية التى تحث على الزراعة أو التجارة أو الصناعة. . إنما هو حديث فى التفصيلات والتطبيقات والثمار الحضارية. . لكن عناصر ابداع الحضارة ليست هى هذه (الماديات) التى تنشأ تلقائيا وتزدهر فى الطور الثانى للحضارة، حين تتجاوز الحضارة مرحلة الميلاد والتكوين، وتزيح كل أخطار الميلاد، وتقف على أقدامها فتية قوية، وتبدأ فى إفراز بعض قوتها من خلال عدد من المجالات الاقتصادية والمادية.

وعند توافر عنصر الانطلاق لأمة من الأمم فى طريق التحضر، حتى ولو كانت الأمة ذات سابقة حضارية - فإن عليها أن تهتم بتوفير العناصر الثلاثة الأساسية - محافظة على الترتيب والنسب - حتى تضع قطارها - أولا - فوق القضبان الصحيحة.

■ ففى الآية القرآنية التى تقول: **﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾**(٧). يوجد (الانسان) الذى (يعمل صالحا) وهو مؤمن (بالعقيدة والفكرة). . فمثل هذا الانسـان العامل (كل صالح مادى أو عقلى أو روحى) عن ايمان ومنهج وفكر، هو الانسان الذى يستطيع أن يصل إلى الحياة الطيبة اللائقة بالانسان، ولقـد تحدث القـرآن عبر مئـات الآيات، كما تحدثت السنـة الشريفة عن تفصيلات العناصر الثلاثة. . وكيفية الوصول إلى الوضع الصحيح لكل منها!!

من خصائص المناهج الخاطئه جفاف منابع الارادة، وقلة الخيال السامى الذى يحدو بناة الامم عادة وصناع الحضارات، وتنحصر الامال فى (اللحظة) وفى اطار (العمر المحدود) الذى يراد الاستفادة منه فى المتعة الى اقصى الحدود دون تفكير فى المستقبل، حتى فى المستقبل القريب، ودون تفكير فى المستقبل، حتى فى المستقبل القريب، ودون تفكير حتى فى الاخطار المحيطة بالامة، والتى عادة ما تكون قوية جدا فى مثل هذه الظروف.

١ - الانســان فــى القــرآن:

أما العنصر الأول وهو (الانسان)، فقد حظى بكثير من الاهتمام من القرآن ومن سنة الرسول ﴿ﷺ﴾ (الفعلية بخاصة)، حيث عاش الرسول ﴿ﷺ﴾ جزءا كبيرا من فترة رسالته يبنى هذا الانسان، ويصنعه فى مكة، ثم فى المدينة، حتى تكون أفضل جيل عرفته البشرية على الاطلاق.

ويبـين القـرآن الـوظيفة الحضارية المنوطة بالانسان على الأرض فيقول: **﴿وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة﴾**(٨). . ويقول: **﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم﴾**(٩).

■ ان هذا الانسان المخلوق من ﴿ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب﴾(١٠) هو الانسان الذى كرمه الله واختاره لصناعة الحضارة ﴿ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾(١١) إنه هو نفسه الذى سجدت له الملائكة ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس﴾(١٢) . . وهو الذى تعلم الأسماء كلها: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين﴾(١٣) وهو الحر الذى يختار طريقه بإرادته ﴿وهديناه النجدين﴾ . . ﴿ولكل وجهة هو موليها﴾(١٤) .

■ على أن الانسان . . بالرغم من كل هذه المكانة التى أعطاها له القرآن، ومن كل الأسلحة التى زوده بها ـ لن يستطيع الاسهام الصحيح فى فعل ايجابى وخالد إلا إذا حافظ على عبوديته لله والالتزام بمنهجه: ﴿لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم﴾(١٥)، فاذا ارتكس وسار فى طريق الانحراف والضلال فانه يهبط الى أسفل سافلين ﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾(١٦) . . ومن هنا فان القرآن فى تقويمه للحياة الانسانية يقيم نظريته على دعامتين توازن كل منهما الأخرى . . حتى لا ينحدر الانسان الى حضيضها، وينهك قواه فى أشيائها . . فالحياة الدنيا فى جانب ﴿وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب﴾(١٧)، ﴿قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا﴾(١٨)، ﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح﴾(١٩)، لكن هذه الدنيا فى جانب آخر: ﴿ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾(٢٠)، ﴿فلنحيينه حياة طيبة﴾(٢١) ـ والحقيقة أن كلا من الجانبين يقوم بمثابة الروح التى تبعث الحياة فى الجانب الآخر، فكل منهما عندما ينفصل عن الآخر ويصبح بمعزل عنه يغدو باطلا من الأمر وخارجا عن معنى الحياة وحقيقتها(٢٢)، فضلا عن أن فقدان أحد الجانبين لنسبته يزيغ بصيرة الانسان ويضل خطواته على درب الفعل الحضارى الرشيد.

٢ ـ الفكرة أو المنهج:

ان المعالم الواجبة التحقيق فى الفكر المبدع للحضارة معالم كثيرة وأهمها هى (ايجابيته) وحركته (ديناميكيته) فالفكر السكونى السلبى أو الانعزالى لا يصنع حضارة مهما كانت أخلاقيته أو مثاليته.

ان المعالم الواجبة التحقيق فى الفكر المبدع للحضارة معالم كثيرة واهمها هى (ايجابيته) وحركته (ديناميكيته) فالفكر السكونى السلبى أو الانعزالى لا يصنع حضارة مهما كانت اخلاقيته او مثاليته.

وهذا الفكر من أبرز واجباته أن يقدم تقنينا سليما لعلاقة الانسان بمبدع الكون، ثم يقدم تفسيرا لعلاقة الانسان بالكون، ولعلاقته بأخيه الانسان ـ فثمة مهام محددة للفكرة الحضارية المؤهلة لاطلاق طاقات الانسان نحو فعل حضارى حركى ايجابى ـ أهمها بإيجاز:

(أ) تقديم تفسير لعلاقة الانسان بالانسان (تشريعيا وأخلاقيا)، وتعتبر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التى تتحدث عن العقيدة الاسلامية والشريعة والأخلاق ـ وهى تستغرق حيزا كبيرا ـ موجهة لتغطية هذا الجانب. .

(ب) تقديم تفسير لعلاقة الانسان بالكون، وهل هى علاقة تسخير إذلالى أو هى علاقة تسخير فطرى ودود، كما هى وجهة النظر الاسلامية، فالكون قد هيأه الله أصلا ليسخره الانسان، وأعطاه العقل القادر ـ بعون الله ـ على التسخير.

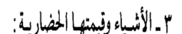
(ج) تقديم تفسير لعلاقة الانسان بخالق الكون، وواجبات الانسان نحو خالقه وكيف يحقق عبوديته له. . ويمثل جانب (العبادات) والشروط المطلوب توافرها فى (المعاملات) وتوجيه (المعاملات) ـ أى التعاملات الدنيوية ـ الى حيث يرضى الله ويحب. . يمثل هذان الجانبان أبرز

الوسائل لأداء الانسان واجبه نحو الله .

■ ان قيمة (الفكرة) المطروح فى المصادر الاسلامية الأصلية لا نستطيع التعبير عنه ـ بتفصيل ـ فى هذا البيان الوجيز، فهو يحتاج إلى بحث خاص، لكننا نقول إن مرحلة الفكرة هذه عنصر أساسي فى مرحلة الحضارة، والافكار المطروحة قادرة على القفز بالأمم من كل مراحل السقوط، وعندما تسقط الحضارة فى دورة من التاريخ، وتكون الأفكار سليمة موجودة ـ على النحو الذى تتكفل به المصادر الاسلامية، فان امكانية قفز الأمة من جديد يكون أمراً ميسوراً، مهما كانت ضآلـة الأشياء التى تملكهـا، ومهما كانت خسائرها ـ إبان مرحلة السقوط ـ فى عالم الأشياء ـ فالأفكـار هى الـرصيد المخـزون الـذى يبقى للأمة عندما تفقد الأشياء. . لقد كانت الفكرة الاسلامية هى التى أطلقت قطار الحضارة الاسلامية، وضمنت له الاضطراد فى التاريخ، وكان الانسان المسلم المعبأ بهذه الفكرة عن يقين جازم، والذى يحس بأنه مبتعث بها فى التاريخ ليخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله (كما قال ربعى بن عامر فى وجه رستم) . . كانت الفكرة وكان انسانها هما اللذان أنجزا ميلاد الحضارة الاسلاميه «ولقد واصل المجتمع المسلم ـ بالفكرة ـ تطوره، واكمل سبكة روابطه الداخلية، بقدر امتداد إشعاع هذه الفكرة فى العالم»(٢٣).

■ ولقد مرت بالأمة الاسلامية هزائم كثيرة وتعرضت لصنوف من الاحتلال التترى والصليبى والاستعمارى، لكنها استطاعت تجاوز المحنة بفضل الفكر الذى كان يقودها . . ومن هنا تبدو خطورة (غزو الافكار) ـ بواسطة التنصير والشيوعية واليهود ـ فى العالم الاسلامى، وهو ما عمد إليه الاستعمار بعد أن أدرك خطأه فى الغزوات العسكرية التى لم يكسب منها شيئا الا ما تعلمه فى جامعات المسلمين ومدارسهم ـ وهو يغزوهم أو يحاربهم ـ ورجع به الى بلاده . . فالأفكار هى الرصيد الصحيح الذى تلجأ إليه الأمم، وهى الوقود المخزون فى الباطن والأعماق اذا انتهت البضائع من أسواق (الأشياء) فى مراحل الاستهلاك أو الاستنزاف الحضارى . . !!





إن قيمة الأرض فى الابداع الحضارى قيمة لا تنكر، فهى مناط الزراعة، وهى مناط الرعى، وهى ـ بدرجة ما ـ مرتبطة بالتصنيع . وبقدر ما يستطيع الانسان استغلال الأرض الاستغلال الأمثل، وتطوير عطائها وتوجيهه، بقدر ما يستطيع ابداع حضارة إنسانية موجهة .

وأمامنا أمثلة حية فى عصرنا، حيث تقهر الحضارة فى ميلادها وفى دورتنا الحالية فى التاريخ ـ بتأثير القهر الاستعمارى الذى يفرض على بعض الدول عدم زراعة القمح بصورة تكفيها أو تكفى للتصدير . . وتبقى الأرض فى بلاد كثيرة فى العالم الاسلامى فى مرحلة بدائية الاستغلال، فى حين يزرع اليابانى الأراضى التى فوق الجبال، وفى الوقت الذى يزرع الشخص الأمريكى وحده ألف هكتـار ـ تحرم الأمم المستعمـرة (وان حملت اسم الاستقـلال) من تطوير زراعتهـا، ويستأجر الاستعمار رجالا يضمنون الحفاظ على تخلفها، ويضمنون أيضا إجهاض الفكر وإنهاك الانسان .

■ لقـد حوى القرآن وجاءت السنة بمئات الآيات والأحاديث التى تحث على (العمل) وعلى استغلال الأرض، وعلى الصيد والزراعة والصناعة والتجارة . . **﴿وإذا حللتم فاصطادوا﴾**(٢٤)

﴿والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون﴾(٢٥)

﴿أخرج منها ماءها ومرعاها﴾ (أى الأرض)(٢٦) .

﴿الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا﴾(٢٧)

﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس﴾(٢٨)

﴿وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها﴾(٢٩)
﴿واصنع الفلك بأعيننا ووحينا﴾(٣٠)
﴿اركبوا فيها باسم الله مجراها ومرساها﴾(٣١)
﴿وحملناه على ذات ألواح ودسر تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر﴾(٣٢)
﴿ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين﴾(٣٣) (أى أصواف الأنعام).
﴿وزرابى مبثوثة﴾(٣٤)
﴿ولباسهم فيها حرير﴾(٣٥) (أى فى الجنة).
﴿ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا﴾(٣٦)
﴿وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم﴾(٣٧).
﴿متكئين فيها على الأرائك﴾(٣٨).
﴿أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله﴾(٣٩).
﴿والأرض وضعها للأنام فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام﴾(٤٠).
﴿ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾(٤١).
﴿والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شىء موزون وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين﴾(٤٢). (رواسى: هى الجبال).
﴿والذى أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى﴾(٤٣).
﴿والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها﴾(٤٤).
﴿هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون﴾(٤٥).

■ ولعل حديث الرسول الكريم «إن قامت القيامة وبيد أحدكم فسيلة فليغرسها» من أقوى الأدلة على احترام الاسلام لاستغلال الأرض وعالم الأشياء الموجهة للخير والمتناسقة مع حاجات الانسان وأهدافه من الحياة.



وعندما يزهد الاسلام فى الدنيا ـ فى بعض الآيات كما ذكرنا ـ ويجعلها (متاع الغرور) فانما يوجه الانسان إلى أن يبقى هو القائد للأشياء، والموجه لها ولا يصبح موقعه منها مثل موقع الانسان المعاصر من التكنولوجيا التى أصبحت تقوده إلى المجهول.. (كما يوضح رينيه دوبو فى كتابه انسانية الانسان) وبالتالى تختل النسبة بين الانسان والفكر والأشياء ويقع الانهيار.

■ ومن الغريب الجدير بالذكر أن عوامل ميلاد الحضارة أو بنائها هى كذلك، عوامل سقوطها.. فعندما ينحل الانسان ويفقد الرؤية يتحول هو نفسه (بالظلم أو بالترف أو بهما) إلى عامل هدم لنفسه ولمجتمعه وحضارته، وكذلك تتوارى الفكرة الصائبة وتحل محلها الفكرة النفعية التبريرية، وفى النهاية تطغى الأشياء وتصبح هى السمة الحضارية الطاغية، بل ينظر إليها من خلال مظاهر الترف والاستمتاع على أنها هى الحضارة، بينما هى فى هذه المرحلة وبهذا الطغيان، السرطان الذى دخل إلى جسم الحضارة.

سقوط الحضارة من منظور إسلامى:

دائما تسقط الحضارات من داخلها.. إن الغزو الخارجى إنما يأتى كما تأتى العاصفه، لا يقتلع إلا الأشجار التى لا جذور لها، أو التى تمتد جذورها أمتداداً هشا، أو التى تتمتع بجذور قوية لكنها مريضة الجسم، فينكسر الجسم وقد تبقى الجذور مؤهلة ـ بعد ذلك ـ لبناء جسم آخر،

والبروز مرة أخرى . .

■ والقرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة ـ عندما يتحدثان عن سقوط الحضارات، يركزان على هذا التداعى الداخلى الذى هو العامل الأول والجوهرى فى سقوط الحضارات . . ان المهمة التى تقوم بها (الذنوب) ـ أى الفواحش والآثام، سواء على مستوى الفرد أو الجماعة ـ إنما هى تمزيق الانسجام بين خلايا المجتمع.

ولا تكثر الذنوب والآثام والموبقات إلا يوم يختل تصور الأمة وينحرف منهجها . . إن أخطاء الطائعين مقبولة، وهى تدور فى المستوى البشرى المعهود . . والناس على امتداد تاريخهم ليسوا ملائكة(٤٦)، فتاريخهم تاريخ بشر، وفعلهم فعل بشرى قابل للصواب والخطأ . . ولم توجد جماعة بشرية دون أخطاء . . والمعادلة التى نحب تأكيدها من خلال التصور القرآنى أن كثرة الفواحش والآثام تأتى (نتيجة) ـ أو مرحلة ثانية وسطى ـ فى مراحل السقوط الحضارى . . وهى ليست السبب الأول أو المرحلة المتقدمة . . أما الأخطاء العادية البسيطة فهى ضحية وليست من باب التراكم الذى يؤدى للسقوط.

القران الكريم، والسنة النبوية الشريفة ـ عندما يتحدثان عن سقوط الحضارات، يركزان على التداعى الداخلي الذى هو العامل الاول والجوهرى فى سقوط الحضارات.. ان المهمة التى تقوم بها (الذنوب) ـ أى الفواحش والاثام، سواء على مستوى الفرد أو الجماعة ـ إ نما هى تمزيق الانسجام بين خلايا المجتمع.

المرحلة الأولى ـ فساد الفكر:

ففى البداية يكون فساد الفكر واختلال العلاقة بين الانسان والناموس الكونى . . سواء كان الاختلال فى علاقته بخالق الكون . . أم فى منهج علاقته بالكون والانسان، وانحرافه عن الحق والكمال والخير . .

■ إن كل التجارب الحضارية تؤكد لنا عبر تطورها أن ثمة درجتين للانحطاط:

الأولى: درجة الانقلاب النفسى والذهنى إلى الأدنى.

والأخرى: هى درجة الانقلاب العملى والخلقى بناء على الانقلاب الذهنى والنفسى المتدنى . . فالتغيير الداخلى (فكريا ونفسيا) هو المرحلة الأولى فى أى سقوط، كما أن تغييره إلى الأعلى والأذكى هو المرحلة الأولى فى أى تقدم . . ان فساد الفكر والنفس هو البيئة التى تنمو فيها جراثيم الانحطاط الأخلاقى . .

ويتحدث القرآن عن مرحلة (الانهيار الفكرى) و(الظلام العقدى) فيقول: ﴿إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم﴾(٤٧).

فهى مرحلة (انغلاق فكرى) و(فساد منهج) . .

■ ولعل الآيات التالية توضح هذه الحقيقة الحضارية على نحو أكثر مباشرة . . تقول الآية: ﴿وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان، فكفرت بأنعم الله، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون. ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون﴾(٤٨).

■ وتقول آية أخرى:

﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض، ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾(٤٩).

وفى آية أخرى يوضح القرآن مرحلة (الفكرة) كمنطلق للحياة على الأرض، وقيام حضارة (على أساس المنهج القويم) وسقوط أخرى (على أساس الانحراف الفكرى)، **﴿قال اهبطا منها**

جميعا بعضكم لبعض عدو، فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى، ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا وحشره يوم القيامة أعمى﴾(٥٠).

وقد يأتى الضلال الفكرى عن طريق اتباع الطواغيت من الأصنام البشرية أو المذاهب الفكرية المنحرفة أو المترفين:

﴿وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا ءاتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا﴾(٥١).

﴿وما أرسلنا فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون﴾(٥٢).

■ وهكذا يقف أئمة الضلال ومحترفو الجدل قادة لمرحلة الضياع الفكرى، ويؤازرهم المنافقون المتشدقون الذين يستخدمون علمهم فى تبرير الأوضاع والتماس الأعذار للسقوط والساقطين، وفى تحريم الحلال وإباحة الحرام، وخلط الحقائق حتى لا تكاد جمهرة الأمة تعرف المعروف من المنكر. ويتصدر هؤلاء الساحات المختلفة، وميادين العمل المتقدمة، فيحجبون الحق، ويظهرون الباطل، وتزوى النماذج الصالح، وتتألق النماذج الهابطة جاها وسلطانا ومالا.. وتغدق عليها الأموال والألقاب والمناصب.. فلا يكاد ينفذ أصحاب الحق إلى الحق.. ولا يكاد القابضون على الأمر يحسون بما يعانيه أهل الحق القابضون على الجمر.. وتنقطع الجسور بين أولى العلم وأولى الأمر، فلا يبقى إلا الصراع الخافت والظاهر.. وتتعرض السفينة الاجتماعية كلها للضلال والضياع.

عند السقوط يقف أئمة الضلال ومحترفو الجدل قادة لمرحلة الضياع الفكرى، ويؤازرهم المنافقون المتشدقون الذين يستخدمون علمهم فى تبرير الاوضاع والتماس الاعذار للسقوط والساقطين، وفى تحريم الحلال واباحة الحرام، وخلط الحقائق حتى لا تكاد جمهرة الامة تعرف المعروف من المنكر.. ويتصدر هؤلاء الساحات المختلفة، وميادين العمل المتقدمة، فيحجبون الحق، ويظهرون الباطل، وتزوى النماذج الصالحة وتتألق النماذج الهابطة جاها وسلطانا ومالا.

■ إن التمزق الفكرى الداخلى للأفراد أو للأمم هو أول داء نصاب به.. وعن طريق هذا الخلل الفكرى تدخل صنوف الخلل السلوكية نتيجة حتمية لخلل الفكر.. لأن سلامة الفكر هى الضامن لسلامة السلوك.. وهى السور الذى يحجز ويمنع.. أو كما يقول أحد الفلاسفة: «إذا لم يكن الله موجودا فكل شىء مباح».

ولن تستطيع الحواجز القانونية أو عوامل التخويف الأخرى أن تقف طويلا أمام عواصف الغرائز.. بل إن هذه القوانين البشرية سوف تضعف وتضعف لدرجة أنها - فى مرحلة من المراحل - لن يكون لها عمل إلا أن تبرر الفساد وتقننه بل وتجعله حقا من حقوق الفرد.. وتعبيرا من تعبيراته عن حريته (الحيوانية)!!

المرحلة الثانية: فساد السلوك:

إن الآيات القرآنية حاسمة الدلالة فى ترتيب السلوك السىء على الفكر السىء، كما أنها حاسمة الدلالة على أن شيوع الآثام.. ليس سببا.. وإنما هو (عقوبة) يصيب الله بها الأمم والأفراد تمهيدا لأخذها وهلاكها.. إنه الاستدراج الالهى الذى يحقق الله به ناموسه الكونى فى ألا يأخذ الناس بظلم وهم مصلحون، ولا يأخذهم إلا بعد أن يمتعهم بنصيبهم المقدر من المتعة، حيث تتاح الفرصة لمن يريد أن يتمادى وتعميه فرص المتعة المتاحة، وتتاح الفرصة لمن يبصر من وراء الحجب المادية والاجتماعية الحقيقية الأزلية فيئوب إلى رشده، ويعود إلى الحق قبل اللحظة الفاصلة.

■ إن القرآن يجيبنا بوضوح على (السبب الأساسى) لظهور الفساد فى الأرض.. يقول: **﴿ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا.. لعلهم يرجعون﴾**(٥٣).

فبسبب ما كسبه الناس من جنوح عن العدل وميل إلى الظلم، انتشرت موجات الفساد

والانحراف عقوبة لهم . . تمهيدا للساعة المرتقبة .

وتقول لنا آية أخرى: ﴿**ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**﴾(٥٤) .

وتقول آية ثالثة : ﴿**واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا**﴾(٥٥) .

والسؤال الوارد هنا : لماذا يريد الله إ هلاك القرية؟ والاجابة أن أهلها ـ قد أصبحوا أهلا لارادته تلك مما استوجبوه من ضلال فى فكرهم ، وتبرير لترفهم وشعور منهم بأنهم إنما أوتوا ما أؤتوا على علم عندهم ، (كما هى فلسفة قارون) وليس بفضل الله وعونه . . أو كما توضح آية قرآنية أخرى : ﴿**وما أرسلنا فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون**﴾(٥٦) .

■ فهذه هى عادة المترفين فى التاريخ ، إنها مواجهة الهداة (بالكفر) . . وعند ذلك يستدرجهم الله إلى المرحلة الثانية وهى (الفسق) الذى ولغوا فيه معتمدين على الأموال والأولاد التى يملكونها : ﴿**وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين**﴾(٥٧) .

وذلـك دون استفـادة من دروس التاريخ الماضية . . فضلالهم الفكرى يعميهم عن رؤية كبريات الحقائق الكونية والتاريخية : ﴿**أولم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الأرض ما لم نمكن لكم ، وأرسلنا السماء عليهم مدراراً ، وجعلنا الأنهار تجرى من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين**﴾(٥٨) .

وفى آية أخرى يكرر القرآن المعنى نفسه مقدرا معطيات جديدة : ﴿**كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ، وخضتم كالذى خاضوا أولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة ، وأولئك هم الخاسرون**﴾(٥٩) . . وهذه الآية تعالج بايجاز المعالم الكبرى لمرحلة (الفسوق) وما يعتورها من فتن وأخلاق ، ومن ثم تنتهى إلى المصير الحتمى الذى يؤول إليه أمر هذه المرحلة . . وهو الاحباط الكامل ، والخسران الدائم .



■ ويقدم لنا (القصص القرآنى) ـ الذى لم يفقهه المسلمون الفقه الحضارى الكامل ـ عددا من التجارب البشرية التى دخلت مسيرتها الى مرحلة (الذنوب) فكانت عاقبتها وخيمة . . فقوم نوح : ﴿**ممـا خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا**﴾(٦٠) . . وحتى ابنه أصابه الغرق لأنه ﴿عمل غير صالح﴾(٦١) .

وعاد قوم هود ـ أصابهم الريح العقيم حتى صاروا موتى كأنهم أعجاز نخل خاوية لأنهم : ﴿**جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد**﴾(٦٢) .

وثمود ـ قوم صالح ـ أرسل الله عليهم الصيحة بسبب عصيانهم أمر نبيهم وعقرهم الناقة خلافا لأمره ﴿فعقروها فقال تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام . . وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين﴾(٦٣) .

وجـريمة قوم لوط التى عرفوا بها معروفة ، وهى من الخبائث المنكرة التى لا تليق بالجنس البشرى ، بل إن الحيوانات تعف ـ بفطرتها ـ عنها ، وقد أثبت الطب الحديث الآثار المدمرة لهذه الجريمة وعلى رأس آثارها الصحية مرض (الايدز) أى فقدان المناعة الجسدية . . ، أما أمراضها الحضارية ـ اجتماعيا وأخلاقيا ـ فهى لا تقل خطورة عن (الايدز) إذ هى تفقد الحضارة مناعتها ـ أيضا ـ فى تحمل أعباء صناعة الحضارة ، وفى خلق (الرجولة) و(الجد) اللازمين للبناء . . يقول القرآن عن قوم لوط ﴿**وجاءه قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات**﴾ ، ﴿**فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود ، مسومة عند ربك وما هى**

من الظالمين ببعيد﴾(٦٤).

وأما مدين قوم نبى الله شعيب ـ فقد ابتلوا بذنب آخر. لقد كان رأيهم بخس الناس أشياءهم ونقص المكيال والميزان، وهو ظلم مبين.. وقد حاول شعيب إصلاحهم لكنهم رفضوا فحقت عليهم عقوبة الله **﴿وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها.. ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود﴾**(٦٥).

وكانت عاقبة فرعون وأتباعه الغرق لكفرهم وانغماسهم فى المعاصى.

■ ويعقب القرآن على هذه الأمم وما أصابها.. بعد أن تسردها علينا سورة هود فى إيجاز وتعاقب تاريخى بليغين.. يعقب القرآن (بالعبرة) العامة التى انتهت بهذه الأمم وتجاربها إلى نهاية واحدة.. هى السقوط فى هاوية الهلاك الشامل والدمار الكامل.. يقول القرآن: **﴿ذلك من أنباء القرى نقصه عليك، منها قائم وحصيد.. وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم.. وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾**(٦٦).

■ إن السلوك الأخلاقى المنحرف هو طريق الانهيار الحضارى، وليس الضعف المادى أو (التقنى).. فالأخلاق القائمة على أساس عقدى وفكرى سليم ـ وليست الأخلاق النفعية (البرجماتذم) ـ هى الطريق الصحيح للحضارة.. ولقد أشار العلامة ابن خلدون إلى هذا الأمر، وذكر أن رقى الأمم لا يتحقق بتوافر القوة المادية أو رقى العقل (العلمى أو العملى غير المرتبط بفكرة أخلاقية) بل بتوافر الأخلاق الحسنة(٦٧).

● ويوضح الفيلسوف (غوستاف لوبون) قيمة المعيار الأخلاقى فيقول: «إن الانقلاب يحدث فى حياة الأمم بالأخلاق وحدها، وعلى الأخلاق يؤسس مستقبل الأمة وحياتها الحاضرة، وحظ العقل والقلب فى بقاء الأمة أو سقوطها قليل جدا، وعندما تذوى أخلاق الأمة تموت مع وجود العقل والقلب، اللذين ربما يكونان متقدمين فى نواح عملية كثيرة.. فعلى الأخلاق وحدها يقوم نظام الجماعة الانسانية، وهى ـ أى الأخلاق ـ أساس الدين»(٦٨).

■ وقد ساق الدكتور لوبون عددا من الأمثلة لبيان تأثير الأخلاق فى قيامها أو سقوطها، من بينها حال الأمة الرومانية التى سقطت وهى أقوى من أسلافها فى الناحية العقلية إلا أنها أضعف فى النواحى الأخلاقية.



وأيضا فقد استطاع الانجليز بجيش قدره ستون ألفا استعباد ثلاثمائة مليون هندى لاستقامة أخلاقهم (فيما بينهم فقط!!) مع أن كثيرا من سكان الهند كانوا يشبهون الانجليز فى النواحى العقلية، بل كان البعض يرجحهم فى المباحث الفلسفية(٦٩) (بل والدينية).

■ وقد نسى (لوبون) أن يقدم النموذج الاسلامى الذى قضى على الروم وفارس، ولم يكن له من سلاح النصر إلا إيمانه ورسالته الأخلاقية.. أما حالته العقلية (أى التقدم المادى والفنى) فلم يكن يصل اليهم بالتأكيد..

ويذكر لنا أحد علماء الهند(٧٠) الفرق بين الأخلاق التى يقصدها (غوستاف لوبون) وبين الأخلاق الاسلامية.. فالأخلاق القرآنية التى يريد الاسلام إحداثها فى الأمة لا ينحصر أثرها فى نطاق تلك الأمة، بينما تعامل الأمم الأخرى بوحشية، بل على الانسانية العامة والرحمة الشاملة.

■ وفى هذه المرحلة.. مرحلة (الذنوب والفسوق) كثيرا ما تكون هناك فسحة من الزمان كى تعطى الأمة أو الجماعة فرصة الرجوع إلى الحق، وتعالج أسباب انهيارها.. فاذا ظهر أنها وصلت إلى مرحلة الانغلاق الكامل، والطمس على القوى الواعية فيها، واختلاط المعايير فى أيديها..

فقد تعطى فرصة أخرى استدراجية لتقع اكثر فى الاوحال، وتستحق الأخذ الأليم الشديد.

ويعبر القرآن عن هذه الحالة . . يقول الله تعالى: ﴿**فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة**﴾(٧١)، ويقول أيضا: ﴿**ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لأنفسهم، إنما نملى لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين**﴾(٧٢).

﴿**ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجرى من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين**﴾(٧٣).

■ وتتميز سلوكيات هذه المرحلة ببعض الأخلاقيات المسيطرة على الناس . . .

* فمن أخلاقيات هذه المرحلة (عدم التفرقة بين الحلال والحرام) . . «**يأتى على الناس زمان لا يبالى المرء ما أخذ منه أمن الحلال أم من الحرام**»(٧٤).

* ومن الأخلاقيات السائدة (محاباة الكبار) وعدم خضوعهم لشريعة الله العادلة وكثرة الوساطات والرشاوى «**إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد**»(٧٥).

* ومن الأخلاقيات السائدة (التجرؤ على الفتوى) فى دين الله بلا علم ولا هدى «**يأتى آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء الاحلام يقولون من قول خير البرية يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية لا يجاوز ايمانهم حناجرهم**»(٧٦).

* ومن أخلاقيات هذه المرحلة العكوف على (وسائل الترف) واستحلالها «ليكونن من أمتى أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف»(٧٧).

* ومن الظواهر الشائعة (عدم البركة فى الأعمار) والأوقات وقلة الانتاج والشح والاستهانة بالدماء الاسلامية حتى تكون أرخص الدماء فى الأرض «**يتقارب الزمان وينقص العمل ويلقى الشح ويكثر الهرج قالوا وما الهرج؟ قال: القتل القتل**»(٧٨).

* ومن الظواهر (سيادة بعض المجرمين) السفهاء الذين ينتسبون الى قريش، ويعتبرون هذه النسبة سندا يملكون به الأمة الاسلامية ويلعبون بحاضرها ومستقبلها «**هلكة أمتى على يدى غلمة من قريش**»(٧٩).

* ومن الظواهر (الاعلان) بالخمور والزنا ـ تحت حماية القانون الوضعى السائد ـ وارتفاع كفة الجهلاء وانزواء العلماء «**من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويثبت الجهل ويشرب الخمر ويظهر الزنا**»(٨٠).

* ومن الظواهر بروز (النساء متبرجات) سافرات مستعلنات بالاثارة «**أيما امرأة استعطرت فخرجت على قوم ليجدوا ريحها فهى زانية**»(٨١).

■■ ان هذه المرحلة هى المرحلة التى يقل فيها العمل ويكثر الجدل، وتقل فيها الصراحة والوضوح، ويسود الملق والنفاق ومظاهر الشرك المختلفة، ويكون اتباع الباطل وأهله هو الغالب حتى على كبار العلماء والمفكرين، إذ هم يخضعون لضغوط المناصب والأموال . .

■ إن الناس جميعا قد يسلمون بصحة أصولهم الفكرية لأمتهم، لكن لا يوجد لديهم اليقين القلبى ولا الاستعداد للتضحية، إنهم أقرب إلى النفاق، وهم يريدون إيمانا لا يدفعون له أى ثمن ولا يعوقهم عن أى مصلحة مادية أو معنوية(٨٢) . . وإلا فالصمت أو ممالأة الفاسقين والضالين هو الطريق . . أو البحث عن مخرج لوضعهم باخضاع النصوص للباطل، وتلفيق آراء وتبريرات لوضعهم المزرى . . وهكذا تظهر صور كثيرة من سيطرة العادات والتقاليد القديمة، واتباع هوى النفس والتعلق باللذات الدنيوية وعدم الانضباط والتذبذب الدائم بين القول والفعل . . وهذه الحالة أشار إليها الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله: «أربع من كن فيه كان

إ ن التمزق الفكرى الداخلى للافراد أو الامم هو أول داء تصاب به.. وعن طريق هذا الخلل الفكرى تدخل صنوف الخلل السلوكية نتيجة حتمية لخلل الفكر.. لان سلامة الفكر هى الضامن لسلامة السلوك.. وهى السور الذى يحجز ويمنع.. أو كما يقول أحد الفلاسفة: (إ ذا لم يكن الله موجودا فكل شىء مباح).

منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق ولو صلى وصام وزعم أنه مسلم: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، واذا اؤتمن خان، واذا خاصم فجر»(٨٣).

■ ولئن كانت المرحلة الأولى (وهى مرحلة الفساد الفكرى والخلل العقدى) تتميز بالضلال وظهور أئمة الفساد الذين يدعون الناس إلى الباطل ويبررون كل منكر ويخضعون مبادىء الصراط القويم للمسار المنحرف بواسطة التأويل.. فان مرحلة الذنوب تتميز بأنها مرحلة انتشار وسائل الترف. وخضوع الأفكار للأشياء، وبروز العوامل المادية التى تهوى بالمجتمع إلى قاع الاستهلاك، حتى تصبح الثانويات والكماليات جزءاً أساسياً فى حياته.

■ وفى هذه المرحلة يتبلد الاحساس (وما تغنى الآيات والنذر) وتنغمس القيادات والشعوب فى ترف مزر، وتتحول العلاقة بين الحكام والمحكومين إلى (علاقة مادية مطلقة) فما دام الحكام يوفرون للشعوب حاجاتها التى يطمعون فيها فهى عنهم راضية حتى ولو دمروا الأخلاق وكانوا يمشون سيرة معوجة.. وفى مثل هذه الحياة المترفه يكثر المفلسفون للفساد والمبررون له.. وأكثر الفلسفات التى تنتشر تؤيد إشباع الغرائز.. وتدعو الى الانفتاح على الترف المادى، وتزين للناس توفير كل سبل الحياة المادية.. ولا مكان فى هذه الحياة للآخرة، ولا لعالم القيم العليا، ولا لدعوات التسامى والتضحية والايثار والجهاد.. بل تقف الماديات وحدها هى الأمل وهى القيم العليا والغاية المرجوة.. ويقول القرآن مصورا هذه الحياة المادية بكل أبعادها: **﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث﴾**(٨٤)، ويقول القرآن أيضا: **﴿وما أرسلنا فى قرية من نذير إلا قال مترفوها، إنا بما أرسلتم به كافرون * وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين﴾**(٨٥).

إنها مرحلة (سيطرة الأشياء على القيم والأفكار).. وهى مرحلة التردد والتذبذب فى كل شىء فالحق قد يكون معروفا بوضوح، لكن الأمة المنغمسة فى الترف لا تعطى الحق إلا بعض الكلمات فى بعض المناسبات، أو تجعله أشبه ما يكون «بالشعارات».. لكنه بعيد عن عالم التطبيق.. إن ضغط «الأشياء» وشتى مظاهر الترف على العقول والسلوكيات تحول دون تطبيق الحق المعروف.. وإن السواعد المترفة تضعف على تحمل واجبات الحق المعروف والواضح.. وتظهر - فى الطريق - فلسفات تحاول تبرير هذا الوضع.. بل والنظر إليه على أنه (التقدم) فتصبح المهرجانات والمباريات والمسابقات والاحتفالات وما يصحبها من صور البذخ والاسراف واللهو وتمجيد التافهين.. تصبح أكبر وسيلة للتعبير عن حالة (التحضر).

. وقد يخدع بعض العقلاء أنفسهم فيحاولون مهادنة هذه الأوضاع أو الرضا بها وتبريرها.. وتعلمنا مسيرة الرومان أن حضارتهم فى عصر النشأة والقوة كانت تتميز بقلة الرغبات والحاجات، وكانت عقيدتهم قوية لدرجة أن كل أفرادهم كانوا مستعدين للتضحية.. لأن قيمة الحياة (مع قلة الحاجات والرغبات) تصبح هينة، وترتفع أسهم القيم العليا.

■ ومن خصائص هذا الوضع جفاف منابع الارادة، وقلة الخيال السامى الذى يحدو بناة الأمم عادة وصناع الحضارات، وتنحصر الآمال فى (اللحظة) وفى اطار (العمر المحدود) الذى يراد الاستفادة منه فى المتعة إلى أقصى الحدود دون تفكير فى المستقبل، حتى فى المستقبل القريب، ودون تفكير حتى فى الأخطار المحيطة بالأمة، والتى عادة ما تكون قوية جدا فى مثل هذه الظروف.

(لنتذكر حالة ملوك الطوائف فى الأندلس وتربص نصارى الشمال الأسبانى بهم، ولنتذكر قبلهم حالة الرومان كما صورها جيبون أثناء سقوط الامبراطورية الرومانية، واحاطة الجرمان بها، ولنتذكر حالة معاصرة وهى حالة العرب والمسلمين الآن وإحاطة القوى اليهودية والصليبية والشيوعية والهندوسية بهم).

يوضح الفيلسوف (غوستاف لوبون) قيمة المعيار الاخلاقى فيقول: (إن الانقلاب يحدث فى حياة الامم بالاخلاق وحدها، وعلى الاخلاق يؤسس مستقبل الامة وحياتها الحاضرة، وحظ العقل والقلب فى بقاء الامة أو سقوطها قليل جدا، وعندما تذ وى أخلاق الامة تموت مع وجود العقل والقلب، اللذين ربما يكونان متقدمين فى نواحٍ عملية كثيرة.. فعلى الاخلاق وحدها يقوم نظام الجماعة الانسانية، وهى - أى الاخلاق - أساس الدين).

■ ومن السمات المميزة لهذه الحالة أيضا ظهور فجوة كبيرة بين الطبقات، ففى ظل الترف تظهر طبقة تصل إلى تكديس معظم الثروة، ويبدو الفرق شاسعا بينها وبين سائر المجتمع . . وتظهر طبقة قادرة على أن تعيش بلا عمل طول حياتها، لأن تكديس الثروة ينتهى إلى أن هناك أجيالا من أبناء أو أتباع المترفين تكون قادرة - ومقبلة - على الحياة المترفة دون جهد لعشرات السنين أو لأكثر من ذلك.

ومثل هذه الثروة لا يمكن أن تمتلك بالعمل . . بل تكون لها طرق من الحيل الشرعية المبغوضه أو غير الشرعية . . وهى تجنح الى الاكتناز أو التكديس (وأكل الأموال بالباطل) على غرار ما كان يفعله الأحبار والرهبان:

﴿يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله، والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾(٨٦).

■ ومن خصائص هذه المرحلة ذهاب روح الاخلاص والصدق، وفقدان قوة الارادة واستسهال الطرق السريعة للوصول، صحيحة كانت أو غير صحيحة، ومع ذهاب الاخلاص والارادة يغلب الشكل على المضمون، ويصبح المجتمع مهتما بالنواحى الشكلية على حساب الجوانب الحقيقية، وحتى التدين يصبح شكلا ومظهراً أكثر منه حقيقة ومخبرا، بل يصبح وسيلة لكسب الدنيا وليس لاصلاحها، وتظهر النواحى الطائفية(٨٧)، ولا تصبح العقيدة والعمل النافع هما ميزان الخير والشر، بل يصبح الانتماء الطائفى أو العرقى أو الحزبى أو العنصرى أو الوطنى هو الأصل وهو يغفر لأصحابه كل زلاتهم وإهمالهم.

■ ومن آثار مرحلة الترف على الكيان الانسانى تدمير العاطفة البشرية والابتلاء بقسوة القلب وغلظته . . وعندما تصل القلوب فى أمة إلى مرحلة غلظة القلوب وقسوتها تفقد الأمة كثيرا من وشائج الرحمة وأواصر التراحم، ولا يستجيب الناس للحق إلا على مطارق الموت لغرورهم وفساد قلوبهم . . ويتجرأ السفلة القساة على المصلحين الهداة، ولربما يبحثون لهم عن مثالب وتهم يسكتونهم بها، وينتشر العناد والمكابرة ومظاهر الصراع الغليظة، وينزوى الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، وتصبح (القوة) و(الثروة) و(الأنانية الفردية) و(الأثرة) هى القيم المسيطرة، ويضطر الضعفاء - وهم الغالبية - تحت ضغط هذه القيم الغابية - إلى الملق والنفاق والكذب والسلبية . .



■ وهذه هى قيم (الوهن) التى يدفع إليها هذا الوضع المزرى، وتدفع اليها غريزة (حب الدنيا وكراهية الموت) كما ورد فى حديث رسول الله ﴿ﷺ﴾(٨٨) فتسود المجتمع روح الاستهانة والاستكانة وكراهية العمل، ويصبح أفراد المجتمع (غثاء كغثاء السيل) ولا ينجو أحد - إلا قلة قليلة - من هذه الروح العامة . . حتى العلماء والمفكرون لا يتورع بعضهم عن تطويع الدين لتبرير الأحوال وتحريف الكلم عن مواضعه، وهكذا تصبح النظرة (المادية والنفعية والحسية) هى سمة هذه المرحلة البارزة . . وهى الروح العامة المهيمنة على الحياة الفردية والاجتماعية، وتحاصر - فى المقابل - الاتجاهات الاخلاقية والروحية، ولربما سخر الناس من أصحابها، أو نظر إليهم على أنهم جاءوا فى غير زمانهم أو أنهم الطبقة الدنيا فى المجتمع.

وقد يدفع هذا بعض العاملين فى حقول الخير إلى أن يتلمسوا لأنفسهم طرقا فى الحياة تقربهم من الوضع الاجتماعى والاقتصادى الذى يتمتع به أنصار النظرة المادية . . وبهذا التلمس يفقدون مكانتهم النفسية والفكرية، وتخلع عنهم أردية القيادة الصالحة، ويحار الناس بين قوى مادية قوية مستعلية، وقوى روحية ضعيفة مستخزية . . وتصل الحضارة إلى مرحلة الانحطاط الفكرى

والأخلاقى والاجتماعى الشامل.

المرحلة الثالثة: مرحلة الانهيار:

فى هذه المرحلة تبدأ الحياة الاجتماعية بالتعرض للضربات الداخلية والخارجية نتيجة اختلال نسيجها الداخلى وتمزق كيانها الفكرى والنفسى.

لقد ظن الناس أنهم سيفلتون من الناموس الكونى، أو أنهم ـ لمجرد أنهم يهود أو نصارى أو مسلمون ـ لن يتعرضوا للجزاء الحتمى، ولربما تمنوا أن يكونوا ـ وحدهم فى سلسلة الحضارات ـ الحلقة التى لا تخضع للناموس الكونى.. لكن حركة التاريخ تمضى ـ بقدر الله ـ إلى غايتها متجاوزة أمانيهم التافهة.

﴿ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب، من يعمل سوءا يجز به، ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا﴾، لقد أصبح البناء الاجتماعى هشا يقوم على أسس فاسدة.. فلا أمل ـ بالتالى ـ فى علاجه، بل لابد من إسقاطه: **﴿أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم، والله لا يهدى القوم الظالمين﴾**، ولقد اختل النسيج كله واختلطت المعايير، وتقطعت خيوط الأخلاق **﴿والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض، أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾**، فلم يبق إلا أن تتهاوى الربات من الخارج ومن الداخل.. وللاشارة إلى الضربات التى تهوى من الخارج يقول الحديث النبوى الشريف: **«توشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة الى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله فى قلوبكم الوهن.. فقال قائل: يارسول الله: وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت»**.



وأما الضربات من الداخل فتتمثل فى الفتن والمشكلات التى تقع بين المسلمين من داخلهم، حيث تتفتت وحدتهم، وينقسمون شيعا وأحزابا، تتوزعهم الأفكار والمذاهب والأطماع وتظهر لهم الأقليات المعادية للاسلام حقيقتها الحاقدة المبغضة!!

وبين انهيارات الداخل وضربات الخارج يهوى المجتمع الى الوادى السحيق.

الهوامـــش

(١) الأحزاب: الآية ٧٢

(٢) الانعام: الآية ١٦٥

(٣) انظر مالك بن نبى شروط النهضة فصل التراب.

(٤) انظر بتصرف مالك بن نبى ميلاد المجتمع.

(٥) إشارة إلى الحديث الشريف المعروف.

(٦) للدكتور راشد البراوى ـ نشر دار النهضة العربية ـ القاهرة ط٢/١٩٧٦.

(٧) النحل: الآية ٩٧.

(٨) البقرة: الآية ٣٠.

(٩) النور: الآية ٥٥.

(١٠) الطارق: الآيتان ٦، ٧.

(١١) الاسراء: الآية ٧٠.

(١٢) البقرة: الآية ٣٤.

(١٣) البقرة: الآية ٣١.

(١٤) البقرة: الآية ١٤٨.

(١٥، ١٦) التين: الآيتان ٥، ٦

(١٧) العنكبوت: الآية ٦٤.

(١٨) النساء: الآية ٧٧.

(١٩) الكهف: الآية ٤٥.

(٢٠) القصص من الآية: ٧٧.

(٢١) النحل من الآية: ٩٧.

(٢٢) د. محمد سعيد رمضان البوطى / منهج الحضارة الانسانية ـ بيروت٧٣.

(٢٣) انظر بتصرف مالك بن نبى شروط النهضة ص٦٨١ طبع بيروت.

(٢٤) المائدة: الآية ٢.

(٢٥) النحل: الآية ٥.

(٢٦) النازعات: الآية ٣١.

(٢٧) يس: الآية ٨٠.

(٢٨) الحديد: الآية ٢٥.

(٢٩) النحل: الآية ١٤.
(٣٠) هود: الآية ٣٧.
(٣١) هود: الآية ٤١.
(٣٢) القمر: الآيتان ١٣، ١٤.
(٣٣) النحل: الآية ٨٠
(٣٤) الغاشية: الآية ١٦.
(٣٥) الحج: الآية ٢٣.
(٣٦) الانسان: الآية ١٥.
(٣٧) النحل: الآية ٨١.
(٣٨) الانسان: الآية ١٣.
(٣٩) آل عمران: الآية ٤٩.
(٤٠) الرحمن: الآيتان ١٠، ١١ واقرأ الايات التالية لها.
(٤١) لقمان: الآية ٢٠.
(٤٢) الحجر: الآيتان ١٩، ٢٠.
(٤٣) الأعلى: الآيتان ٤، ٥.
(٤٤) النازعات: الآيتان ٣٠، ٣١.
(٤٥) النحل: الآية ١٠.
(٤٦) خصوم الحضارة الاسلامية يحاسبون جيل الصحابة والتابعين وكأنهم ملائكة لحاجة في نفوسهم.. والصحابة والتابعون بشر يجتهدون وقد يخطئون في التطبيق ويختلف بعضهم مع بعض.. وكلهم مثاب على اجتهاده.
(٤٧) البقرة: الآيتان ٦، ٧.
(٤٨) النحل: الآيتان ١١٢، ١١٣.
(٤٩) الأعراف: الآية ٩٦.
(٥٠) طه: الآيتان ١٢٣، ١٢٤.
(٥١) الاحزاب: الآيتان ٦٧، ٦٨.
(٥٢) سبأ: الآية ٣٤.
(٥٣) الروم: الآية ٤١.
(٥٤) الانفال: الآية ٥٣.
(٥٥) الاسراء: الآية ١٦.
(٥٦) سبأ: الآية ٣٤.
(٥٧) سبأ: الآية ٣٥.
(٥٨) الأنعام: الآية ٦.
(٥٩) التوبة: الآية ٦٩.
(٦٠) نوح: الآية ٢٥.
(٦١) هود: الآية ٤٦.
(٦٢) هود: الآية ٥٩.
(٦٣) هود: اقرأ الآيات من ٦٥-٦٧.
(٦٤) هود: اقرأ الآيات من ٧٨-٨٣.
(٦٥) هود: الآيتان ٩٤، ٩٥.
(٦٦) هود: اقرأ الآيات من ١٠٠-١٠٢.
(٦٧) المقدمة.
(٦٨) السنن النفسية لتطور الأمم - ترجمة عادل زعيتر بتصرف (فصل الاخلاق:
(٦٩) المكان السابق.
(٧٠) محمد تقي الدين الأمين (كتاب رقي الأمم وسقوطها).
(٧١) الأنعام: الآية ٤٤.
(٧٢) آل عمران: الآية ١٧٨.
(٧٣) الأنعام: الآية ٦.
(٧٤) رواه البخاري (كتاب البيوع).
(٧٥) رواه البخاري (كتاب بدء الخلق.
(٧٦) البخاري ؟باب علامات النبوة).
(٧٧) البخاري كتاب الأشربة.
(٧٨) البخاري كتاب الأدب.
(٧٩) البخاري كتاب الفتن.
(٨٠) البخاري كتاب العلم.
(٨١) رواه النسائي..
(٨٢) محمد تقي الأمين: سنن الله في الرقي والانحطاط (بالاوردية).
(٨٣) رواه مسلم.
(٨٤) آل عمران: الآية ١٤.
(٨٥) سبأ: الآيتان ٣٤، ٣٥.
(٨٦) التوبة: الآية ٣٤.
(٨٧) سنن الله في التقدم والتخلف: محمد تقي الأميني (بالأوردية).
(٨٨) رواه أبو داود.

إن الناس جميعا قد يسلمون بصحة اصولهم الفكرية لامتهم، لكن لا يوجد لديهم اليقين القلبي ولا الاستعداد للتضحية، إنهم أقرب إلى النفاق، وهم يريدون ايمانا لا يدفعون له أي ثمن ولا يعوقهم عن أي مصلحة مادية أو معنوية.



القياس المنطقى فى القرآن الكريم

د. عاطف العراقى
أستاذ الفلسفة بكلية الاداب - جامعة القاهرة

الدارس لما كتبه المسلمون عن القياس يلاحظ انهم ربطوا بين دراستهم للقياس المنطقي والتحليلات اللغوية والفلسفية.



يمكننا القول بأن دراسة موضوع القياس المنطقى فى القرآن الكريم يعد من الموضوعات البالغة الأهمية، إذ أننا نجد العديد من الموضوعات التى تلتقى حول موضوع القياس المنطقى، بالاضافة إلى أننا الآن - وأكثر من أى وقت مضى - فى أمس الحاجة الى التأمل فى آيات القرآن الكريم وبحيث نستخلص منها ما يتعلق بموضوع القياس المنطقى.

ونود أن نشير الى أنه ليس بالامكان فى حدود النطاق المرسوم للمقالة، دراسة كل الابعاد التى تتعلق بهذا الموضوع من قريب أو من بعيد، وبصورة مباشرة أو غير مباشرة، إذ أن هذا الموضوع بالاضافة إلى أهميته البالغة، فإنه أيضاً شديد التشعب والتنوع والتعدد.

ولكننا سنحاول من جانبنا إبراز أهم الجوانب التى تتعلق تعلقاً مباشراً بهذا الموضوع وهدفنا من ذلك فتح الطريق أمام الباحثين للقيام بمزيد من الدراسات التفصيلية حول مجال القياس المنطقى فى القرآن الكريم ومدى علاقته بالعديد من البحوث والمشكلات الفكرية الأخرى.

■ وإذا كنا نجد القيم والمثل العليا ممثلة فى الخير الذى يعد موضوع علم الاخلاق، والجمال وهو مبحث فلسفة الجمال وما يرتبط بها من البحث فى الفن، فإننا نجد مبحثاً آخر يتصل بالانسان وهو مبحث الحق. هذا المبحث هو الذى يتعلق به تعلقاً مباشراً البحث فى القياس المنطقى. وكم أشار إلى ذلك الدكتور محمد عبد الله دراز فى كتابه «**مدخل إلى القرآن الكريم**».

والواقع أننا نجد العديد من الآيات القرآنية الكريمة التى تتصل اتصالا مباشراً بمبحث الحق، لابد أن نذكر بعضها حتى تتكشف أمامنا الجوانب العديدة للقياس المنطقى وكيف اختلف حوله مفكرو الاسلام بين مؤيد لهذا القياس، ومعارض له.

■ ومن هذه الآيات قوله تعالى:

﴿**فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة**﴾ (سورة الاعراف)

﴿**كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا**﴾ (سورة يونس)

﴿**لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين**﴾ (سورة يس)

﴿**ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين**﴾ (سورة الانفال).

﴿**ألا إن وعد الله حق**﴾ (سورة يونس)

﴿**إن هذا لهو حق اليقين**﴾ (سورة الواقعة)

﴿**فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم**﴾ (سورة البقرة)

﴿**تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق**﴾ (سورة البقرة).

﴿**يظنون بالله غير الحق**﴾ (سورة آل عمران)

م .. من منظور اسلامى

﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾ (سورة النساء)
﴿يأيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم﴾ (سورة النساء)
﴿ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق﴾ (سورة الانعام)
﴿فماذا بعد الحق إلا الضلال﴾ (سورة يونس).
﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل﴾ (سورة الاسراء).
﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ (سورة الكهف)
﴿ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ (سورة الروم).
﴿فلما جاءهم بالحق﴾ (سورة غافر)
﴿وقضى بينهم بالحق﴾ (سورة الزمر)
﴿ذلكم بما كنتم تفرحون فى الأرض بغير الحق﴾ (سورة غافر).
﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ (سورة فصلت).
﴿هذا تأويل رؤياى من قبل وقد جعلها ربى حقا﴾ (سورة يوسف).

القياس المنطقى يعيننا على الانتقال من عدم معرفتنا بالشىء إلى حالة العلم أو المعرفة به.

■ هذه بعض الآيـات القـرآنية الكريمة والتى يظهر من خلالها أن الحق يعد مقابلا للظن، والكذب يعد مقابلا للصدق، والحق يعد مقابلا أيضا للباطل والضلال. بل نعرف من خلال هذه الآيات أن الحق يوازى الايمان ويوازى الحكمة ويوازى العدل والشرائع وهكذا الى آخر المعانى التى تكشف لنا المجالات العديدة للبحث فى الحق ومدى الارتباط بينه وبين البحث فى القياس المنطقى عند المسلمين. ومن يرجع الى مؤلفات الغزالى وابن قيم الجوزية والصنعانى وابن تيمية يجد هذا واضحاً غاية الوضوح وخاصة حين رفض أكثرهم المنطق بصورته اليونانية الأرسطية.

■ لقد عرف العرب بحوث أرسطو فى المنطق، والقياس من مباحثه الهامة، وعندما بدأت حركة الترجمة فى الاسلام اتجهت جهود المترجمين الى نقل البحوث المنطقية.

■ لقد ترجمت البحوث المنطقية لأن المنطق كان ضرورياً فى مجال مساعدة أهل الجدل من علماء الكلام فى مناقشاتهم الدينية والرد على خصومهم، سواء أكان الخصوم من أتباع الفرق الاسلامية الأخرى التى تختلف معهم فى الرأى، أم كان الخصوم من الخارجين عن الدين كالذين يقولون بأن الله غير موجود، أو يقولون بإلهين، إله للخير (النور) وإله للشر (الظلام). بل إن البحوث المنطقيـة نجـدها قد انتشرت فى المراحل المتأخرة من علم الكلام، بحيث اختلطت المباحث الكلامية بالمباحث الفلسفية ونجد هذا عند متكلمين كبار من أمثال الشهرستانى فى الملل والنحل ونهايـة الاقـدام فى علم الكـلام، وعند فخر الدين الرازى فى العديد من كتبه وخاصة كتابه «المباحث الشرقية» وعند عضد الدين الايجى فى كتابه «المواقـف».

■ إن الاقبال على ترجمة الكتب المنطقية والاستفادة منها وخاصة فى مجال القياس إن دلنا على شىء، فإنما يدلنا على أن الدين الاسلامى الحنيف يدعونا إلى النظر والتأمل فى الكون. يدعونا

إلى الاستفادة من العلم وطلبه حتى لو كان بالصين، لو كان فى أقصى الأرض.

ولكن لابد أن نضع فى اعتبارنا أن المسلمين إذا كانوا قد تأثروا ببحوث أرسطو المنطقية، إلا أننا نجد بعضهم ممن لم يقف عند حدود هذا المنطق، بل مزجوا بينه وبين أسس الحضارة الاسلامية العربية من جهة، وكشفوا عن جوانب الضعف فيه من جهة أخرى. بل منهم من وقف موقف الرفض من هذا المنطق. ومن أمثلة ذلك ما كتبه ابن تيمية فى الرد على المنطقيين، وما ذكره جلال الدين السيوطى فى كتابه: «صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام»، وما كتبه البوبختى فى الرد على أهل المنطق وأيضاً فتوى ابن الصلاح ضد المنطق. وما ذكره ابن قيم الجوزية فى كتابه: مفتاح دار السعادة، حين يقول:

واعجباً لمنطق اليونان كم فيه من إفك ومن بهتان

مخبط لجيد الاذهان ومفسد لفطرة الانسان

■ بل إن ابن القيم كان ينحو بالقياس منحى آخر. إنه يستعين بآيات القرآن وما فيها من دعوة إلى التأمل فى الموجودات، ويرى أن كل كائن من هذه الكائنات العجيبة يدل على وجود خالق لها، أى ينتقل من المخلوق إلى الخالق، ينتقل من المبدَع الى المبدِع وهذا يعد داخلا فى القياس المنطقى بصورته الاسلامية.

المسلمون أضافوا الى منهج الملاحظة فى دراساتهم للقياس المنطقي المنهج الذى يقوم على قياس الغائب على الشاهد.

وقد تجنب الغزالى استعمال كلمة «منطق» فى أسماء كتبه، وذلك حين نجد من عناوين كتبه: معيار العلم، ومحك النظر، والمستصفى، والقسطاس، ومقاصد الفلاسفة. وهو فى هذه الكتب كلها يبحث فى المنطق ويدرس موضوع القياس المنطقى.

وأيضا ابن خلدون حين يقول: اخلص إلى فضاء الفكر الطبيعى الذى فطرت عليه وسرح نظرك فيه.

وقد ارتبط البحث فى القياس المنطقى عند مفكرى الاسلام، بالتأمل فى الآيات القرآنية التى تدعو إلى العلم. وهذا يعنى أن القياس المنطقى عندهم يعيننا على الانتقال من عدم معرفتنا أو عدم علمنا بشىء، الى حالة العلم أو المعرفة به. والدليل على ذلك أننا نجدهم يذكرون العديد من الآيات القرآنية فى هذا المجال ومن بينها:

﴿إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب﴾

﴿كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون﴾

﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾

﴿ونفصل الآيات لقوم يعلمون﴾

﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾

﴿قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾

■ والدارس لما كتبه المسلمون عن القياس المنطقى يلاحظ أنهم ربطوا بين دراستهم للقياس المنطقى، والتحليلات اللغوية والفلسفية لمعانى الحق. وكم ذكروا العديد من معانى الحق الذى نصل إليه عن طريق القياس المنطقى، فمن معانيه: الثابت الصحيح وهو ضد الباطل، والحق هو الصدق، وهو البين الواضح، وهو العلم الصحيح، وهو أحد حقوق العباد وهو ما وجب للغير، وأيضاً الحكمة التى فعل الفعل لها، ومن معانيه الثبوت والمطابقة للواقع.

وقد استخدم المسلمون القياس المنطقى لاقامة الأدلة على وجود الله تعالى. ومن أمثلة ذلك: كل ما لا يخلو من الحوادث حادث.

العالم لا يخلو من الحوادث
. . العالــم حــادث.
ومعنى الحدوث هنا هو أن العالم يعد مبدعاً أى مخلوقاً.

بل نجد القياس المنطقى فى دليل العناية الالهية عند ابن رشد الفيلسوف العربى، كدليل على وجود الله تعالى، وذلك إذا رجعنا الى كتابه مناهج الأدلة فى عقائد الملة. إننا نستطيع. نظم دليله فى صورة قياس كالاتى:

العالم بجميع أجزائه يوجد موافقاً لوجود الانسان والكائنات (مقدمة صغرى) كل ما يوجد موافقاً فى جميع أجزائه لفعل واحد ومتجها نحو غاية واحدة فهو مصنوع (مقدمة كبرى ∴ العالم مصنوع ضرورة وله صانع (النتيجة).

■ لقد ذكر ابن رشد هذا الرأى فى صورة قياس، بعد أن حلل العديد من الآيات القرآنية وذكر منها:

﴿ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتاداً وخلقناكم أزواجاً وجعلنا نومكم سباتاً وجعلنا الليل لباساً وجعلنا النهار معاشاً وبنينا فوقكم سبعاً شداداً، وجعلنا سراجاً وهاجاً وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً لنخرج به حباً ونباتا وجنات ألفافاً﴾ (سورة النبأ). إن هذه الآيات تتضمن التنبيه على موافقة أجزاء العالم لوجود الانسان. وقوله تعالى: **﴿تبارك الذى جعل فى السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً﴾** (سورة الفرقان). . وقوله تعالى: **﴿الذى جعل لكم الأرض فراشاً﴾** (سورة البقرة).

ارتبط البحث فى القياس المنطقى عند مفكرى الاسلام بالتأول فى الآيات القرآنية التى تدعو إلى العلم.

ولا يمكن الحديث عن القياس المنطقى من وجهة النظر الاسلامية، إلا بأن نضع فى اعتبارنا محاولات التوفيق بين الدين والفلسفة عند كثير من مفكرى الاسلام. لقد ساعدهم على إقامة التوفيق بين المجال الدينى والمجال الفلسفى، اعتقادهم بالقياس، وأنه يمكن استخراجه من العديد من الآيات القرآنية. لقد حاول ذلك الكندى فى المشرق العربى على سبيل المثال، وابن رشد آخر فلاسفة العرب فى المغرب العربى الاسلامى. لقد قال ابن رشد فى كتابه مفصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال: إن الشرع قد أوجب النظر بالعقل فى الموجودات واعتبارها، والاعتبار ليس شيئاً أكثر من استنباط المجهول من المعلوم واستخراجه منه، وهذا هو القياس أو بالقياس، ومن الواجب أن نجعل نظرنا فى الموجودات بالقياس العقلى، وهذا النحو من النظر الذى دعا الشرع إليه وحث عليه هو أتم أنواع النظر بأنواع القياس، وهوالمسمى برهاناً. ويستند ابن رشد فى ذلك الى الآية القرآنية: **﴿أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيىء﴾** (سورة الاعراف)، **ويقول إنها تحث على النظر فى جميع الموجودات، والآية القرآنية ﴿فاعتبروا ياأولى الابصار﴾** (سورة الحشر) **ويقول إنها تنص على وجوب استعمال القياس العقلى أو العقلى والشرعى معاً** (فصل المقال ص٢).

ولعل مما ساعد ابن رشد على التأكيد على هذا الاتجاه، أن ابن رشد قد جمع بين كونه فيلسوفاً، وكونه فقيها، وقاضيا، بل قاضياً للقضاة. فهو يقول فى كتابه المشهور «بداية المجتهد ونهاية المقتصد فى الفقه» إن القياس الشرعى إلحاق الحكم الواجب لشىء ما بالشرع بالشىء المسكوت عنه لشبهه بالشيىء الذى أوجب الشرع له ذلك الحكم، وهو ما يعرف بقياس الشبه، أو لعلة جامعة بينهما وهو ما يعرف بقياس العلة (ص٤ ـ الجزء الاول من بداية المجتهد).

ويربط ابن رشد بين القياس الفقهى، والقياس المنطقى الفلسفى فهو يقول (ص٤ من فصل المقال) **فكما أن الفقيه يستنبط من الأمر بالتفقه فى الاحكام وجوب معرفة المقاييس الفقهية وأنواعها وما منها يعد قياساً وما منها ليس بقياس، كذلك يجب على العارف أن يستنبط من الامر بالنظر فى**

الموجودات وجوب معرفة القياس العقلى وأنواعه.

ولابد من القول بأن المسلمين فى بحوثهم الخاصة بالقياس المنطقى، قد ركزوا على موضوع التأويل، إذ أنه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالقياس المنطقى. ونجد ذلك فى العديد من الكتب ومن بينها: ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان للصنعانى، وحقائق التأويل فى متشابه التنزيل للسيد الشريف الرضى، وموافقة صريح المعقول لصحيح المنقول لابن تيمية، الى آخر الكتب والرسائل التى تعرضت للبحث فى التأويل سواء أيدت القيام به بالنسبة للآيات القرآنية والأحاديث النبوية، أو عارضت القيام بالتأويل، بمعنى ضرورة الوقوف عند ظاهر الآية القرآنية.

ويذكر ابن رشد أن معنى التأويل هو اخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية من غير الاخلال بعادة لسان العرب فى التجوز من تسمية الشىء بشبيهه أو سببه أو لاحقه أو مقارنه أو غير ذلك من الأشياء التى عددت فى تعريف أصناف الكلام المجازى.

■ وإذا كنا قد أشرنا إلى أن البحث فى القياس المنطقى من وجهة النظر القرآنية يعد بحثاً متشعب الجوانب، فإننا نلاحظ ذلك حين نضع فى اعتبارنا أن البحث فى موضوع القياس المنطقى قد ارتبط بمنهج النظر والتفكير وكم أشار إلى ذلك كثير من الباحثين المحدثين أمثال الشيخ محمد عبده والشيخ طنطاوى جوهرى فى تفسيره الضخم المشهور. لقد حوى القرآن أصول نظرية فى المعرفة تقوم على ضرورة التأمل فى الكون للوصول إلى المجهول. فالعالم لم يوجد وحده بمحض الصدفة أو من الطبيعة. إنه من عمل خالق واحد. إننا نجد فى القرآن الكريم دعوة صريحة وعميقة إلى وجوب الملاحظة وإلى التفكير فى الموجود المشاهد للوصول من ذلك بالعقل الى المجهول. وهذا يكون عن طريق الحواس والعقل معاً. يقول تعالى: ﴿إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾ هذه الآية وغيرها تدل على منهج الملاحظة والذى يرتبط بالقياس المنطقى.

حين نتحدث عن القياس المنطقى من وجهة النظر الاسلامية.. يجب أن نضع فى الاعتبار محاولات التوفيق بين الدين والفلسفة عند كثير من مفكرى الاسلام.

وما يقال عن موضوع وجود الله تعالى، يقال عن الوحدانية، يقول تعالى: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾. ويقول تعالى: ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض﴾. هاتان الآيتان تدعوان الى تنبيه الناس الى إعمال الفكر للوصول إلى الاعتقاد بأن الله تعالى يعد واحداً وإلا كيف نفسر وجود النظام الدقيق فى الكون.

■ ومن يرجع الى الكتب التى تركها لنا علماء الكلام يجد أنهم قد استندوا الى العديد من الآيات القرآنية حين قدموا لنا دليل المانعة أو المغالبة أو التمانع والتغالب، بمعنى أنه لا يصح الاعتقاد بوجود إلهين. فالاله الأول إذا أراد شيئا ما كالحياة لفلان، وأراد الاله الثانى الموت لهذا الشخص، فلا يمكن أن يتحقق الإنسان واحد الحياة والموت. وإذا انتصر الاله الأول، فالثانى يكون عاجزاً، والعجز ليس من صفات الألوهية. وإذا انتصر الاله الثانى على الأول، فالاول يكون عاجزاً أى غير قادر، وصفة عدم القدرة ليست من صفات الاله. لقد حلل المتكلمون فى الاسلام، أى اصحاب الفرق الاسلامية وخاصة أهل السنة أو الاشاعرة هذا الدليل معتمدين فى ذلك على العديد من الآيات القرآنية، كما حللوا أيضاً القياس الشرطى المنفصل، والقياس الشرطى المتصل معتمدين على الآيات القرآنية. والقياس الشرطى المنفصل كما نقول إما أن تكون الشمس طالعة أو يكون الليل موجوداً، والقياس الشرطى المتصل، كما نقول إذا كانت الشمس طالعة فالنهار موجود.

بل إن المسلمين قد أضافوا الى منهج الملاحظة فى دراستهم للقياس المنطقى، المنهج الذى يقوم على قياس الغائب على الشاهد. نجد هذا فى العديد من الموضوعات والمشكلات التى بحثوا فيها. وقد استندوا فى ذلك الى العديد من الآيات القرآنية. وعلى سبيل المثال لا الحصر نجد أكثر مفكرى الاسلام فى دراستهم لموضوع البعث والحياة الآخرة قد استندوا الى هذا النوع من القياس، قياس الغائب على الشاهد. فالانسان لم يخلق فى هذه الدنيا عبثاً، بل إنه سيرجع الى الله تعالى ليؤدى حساب ما عمل فى هذه الحياة الدنيا التى عاشها. يقول تعالى: **﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذى أحياها لمحيى الموتى إنه على كل شيىء قدير﴾**، ويقول تعالى: **﴿وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم، قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم﴾** (سورة يس). ومن الواضح أن الاستدلال هنا يقوم على النظر فى الأشياء المشاهدة وقياس الغائب عليها، والنتيجة إذن هى الوصول الى المطلوب.

■ ونجد هذا عند فخر الدين الرازى فى كثير من أدلته على الثواب والعقاب فى الآخرة، وذلك حين يذهب الى أننا نجد فى الدنيا مطيعاً وعاصياً وقد لا يجد المطيع ثوابه فى الدنيا، وقد يموت العاصى قبل عقاب يلحق به فى الدنيا، فلابد إذن من القول بالحياة الآخرة حتى يعود الثواب الحقيقى إلى المحسن أو المطيع، والعقاب الحقيقى الى المسيء أو العاصى.

ويلجأ الفارابى الى هذا النوع من الاستدلال حين دراسته للصفات الآلهية.

■ والواقع أنه دار جدال طويل بين المسلمين حول مدى صحة المنطق الأرسطى، وهل نستطيع عن طريقه أن نميز بين الصواب وغير الصواب. هل نستطيع عن طريقه أن نميز الحق من الباطل. وإذا كان طريق اكتساب العلم عند أرسطو هو البرهان بنوعيه أى الاستدلال والاستقراء، فإننا نجد من جانب المسلمين مناقشة واسعة حول هذا الموضوع. لقد حاول المسلمون نقد المنطق الأرسطى وسعوا الى المنهج التجريبى الذى يقوم على الملاحظة والمشاهدة. وإذا كان أرسطو قد تحدث عن قوانين الفكر الثلاثة فى منطقه وهى قانون الهوية وقانون التناقض وقانون الثالث المرفوع، فإننا نجد من جانب المسلمين مناقشة مستفيضة لهذه القوانين، وهذا يكشف عن اهتمامهم البالغ بالقياس المنطقى، أبعاده ومجالاته وقوانينه.، وقد استفادوا فى مناقشاتهم بالعديد من الآيات القرآنية وذلك على النحو الذى سبق أن أشرنا اليه.

البحث فى القياس المنطقى من وجهة النظر القرآنية متشعب الجوانب.

وإذا كان مبحث العلية يعد مبحثاً بالغ الأهمية فى الفلسفة الارسطية وفى القياس الأرسطى، فإننا نجد كثيراً من المسلمين قد حرصوا على نقده ومن بينهم الباقلانى والجوينى والغزالى.

وعرف المسلمون الكثير من المباحث التى تتعلق بالقياس المنطقى وعلى القارىء العزيز الرجوع الى ما كتبه الامام الشافعى، وفخر الدين الرازى (مناقب الشافعى)، وابن خلدون (المقدمة) والزركشى (البحر المحيط) والجوينى (البرهان)، والغزالى (المستصفى)، وابن حزم (الاحكام فى أصول الاحكام). يقول ابن خلدون فى مقدمته: «إن كثيراً من الواقعات بعد النبى ﴿ﷺ﴾ لم تندرج فى النصوص الثابتة فقاسوها بما ثبت. وألحقوها بما نص عليه بشروط فى ذلك الالحاق تصحح تلك المساواة بين الشبيهين أو المثلين، حتى يغلب على الظن أن حكم الله تعالى فيهما واحد».

وصار ذلك دليلا شرعياً بإجماعهم عليه وهو القياس. (المقدمة ـ تحقيق د. على عبد الواحد وافى). وكم نجد لدى المسلمين الكثير من البحوث التى تدخل فى إطار القياس بطريقة مباشرة وغير مباشرة ومن بينها فكرة الخاص والعام، وفكرة المفهوم، وقياس الأشباه بالنظائر، والامثال بالأمثال وشروط العلة الى آخر هذه المباحث والتى لا يتسع النطاق المرسوم للمقالة لدراستها

وتحليلها تحليلا شاملا . بل يمكن أن يضاف إلى هذه المباحث الهامة، قانون الاطراد فى وقوع الحوادث، وقياس الغائب على الشاهد . إننا نجد مناقشات مستفيضة لهذه المباحث والموضوعات عند ابن تيمية وطاش كبرى زاده وعبد الوهاب السبكى والسيوطى وحاجى خليفة والصنعانى وابن قيم الجوزية . والمتأمل فى هذه المباحث والمناقشات التى دارت حولها يلاحظ أول ما يلاحظ الخلفية الاسلامية الواضحة والمتميزة والتى تستند أول ما تستند إلى الآيات القرآنية الكريمة .

بل إننا نجد هذا واضحاً فى دراسات مفكرى الاسلام لمشكلة المعرفة، وكيف فرقوا بين مصادر المعرفة اليقينية ومصادر المعرفة غير اليقينية . لقد ذهبوا إلى أن مقدمات ومصادر المعرفة اليقينية تتمثل فى الانواع الآتية .

«الاوليات العقلية المحضة ـ المحسوسات ـ المجربات ـ الحدسيات ـ القضايا التى عرفت لا بنفسها بل بوسط ـ المتواترات» .

■ أما مصادر المعرفة غير اليقينية فإنها تتمثل فيما يلى :

«المشهورات ـ المقبولات ـ المظنونات ـ المسلمات ـ المخيلات ـ الوهميات» .

●● وقدموا لنا دراسات مستفيضة لكل نوع من هذه الانواع والتى تمثل مصادر المعرفة اليقينية ومصادر المعرفة غير اليقينية وهذا يدخل فى إطار القياس المنطقى من خلال منظوره الاسلامى إلى حد كبير.

والواقع أننا نجد فى بحوث المسلمين لموضوع القياس المنطقى بصورته الاسلامية التى تستند أساساً إلى الآيات القرآنية والتأمل فيها كما سبق أن أشرنا، ثراء فكرياً إن دلنا على شىء فإنما يدلنا على التراث الخالد، التراث العظيم الذى تركه لنا المسلمون فى مجال القياس المنطقى .

ابن رشد يربط بين القياس الفقهى والقياس المنطقى فى دراساته الفقهية.

بعض المصادر والمراجع

● الباقلانى : التمهيد.
● الغزالى : المستصفى.
● الجوينى : الارشاد إلى قواطع الادلة فى أصول الاعتقاد.
● ابن رشد : فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال .
● ابن تيمية : الرد على المنطقيين.
● ابن خلدون : المقدمة .
● ابن سينا : النجاة .
● الفارابى : آراء أهل المدينة الفاضلة .
● د. محمد عبد الله دراز: مدخل إلى القرآن الكريم .
● د. على سامى النشار: مناهج البحث عند مفكرى الاسلام ونقد المسلمين للمنطق الارسطى .
● د. محمد يوسف موسى : القرآن والفلسفة .
● ابن حزم : الاحكام فى أصول الاحكام .
● الاشعرى: الابانة عن أصول الديانة .
● الايجى (عضد الدين) المواقف .
● التهانوى: كشاف اصطلاحات الفنون .
● السنوسى : المقدمة فى أصول الدين .
● السيوطى : صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام .
● الصنعانى : ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان .
● الكندى: رسالة فى وحدانية الله وتناهي جرم العالم .
● مصطفى عبد الرازق: تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية .
● د. أحمد محمود صبحى : فى علم الكلام .
● عاطف العراقى : ثورة العقل فى الفلسفة العربية .
● عاطف العراقى : النزعة العقلية فى فلسفة ابن رشد .

Aristotle: The Logic
Boer: Art Philosophy in Encyclopaedia of Religion and Ethics.
O Leary: Arabic thought and its place in history.
Gauthier (£): Ibn Rochd (averroes)
Rass: Aristotle.
Sharif (M.M): History of Muslim Philasophy.



المُستشرقُون والقـــرآن

من المستشرقين من عاش عمره يبحث عن الحقيقة المجردة، يعلي من شأنها ويعطيها مكانتها اللائقة بها.
ومنهم من اتبع نفسه هواها.. يسوقه الغرض، ويرتع فى مساقط الظنون والأباطيل ودخل القول ليخرج منها بآراء لا تنتمى الى الحقيقة فى شىء ولا تشتم رائحتها، بل هى الأبـاطـيـل والافـتـراء بعينه.. وهذا البحث يستعرض جانباً من هذه المفتريات على القرآن والسنة.. والله يقول الحق، وهو احكم الحاكمين.



د. اسماعيل سالم عبد العال
أستاذ مشارك - كلية الشريعة - جامعة أم القرى
مكة المكرمة

■ للمستشرقـين محاولات كثـيرة للطعن فى القرآن، وإثارة اللغو حوله، سيراً وراء إخـوانهم الكـافرين من قبل ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾ (فصلت/٢٦).

ومن هذه المحاولات محاولة المستشرق الانجليزى آرثر جفرى، حين كتب مقدمة لكتاب (المصاحف) لأبى بكر عبد الله بن أبى داود فى حوالى اثنتى عشرة صفحة، لكنهـا مملوءة بالكـذب والبهتان، وبانتقاد خبيث لمنهج المسلمين فى تأريخ القرآن، ومـوازنـة بين هذا المنهـج ومنهـج المستشرقين، ومطاعن متعددة حول جمع القرآن، وكتابته، وحفظه وترتيبه وغير ذلك مما حاول أن يلبسه مسوح العلم، والعلم منه براء.

بين منهج المسلمين ومنهج المستشرقين فى تمحيص الروايات:

لقد انتقد آرثر جفرى منهج البحث عند المسلمين وتمحيصهم المرويات وأصحابها فقال: «فأما أهل النقل فاعتمدوا على آراء القدماء وعلى هذه التخيلات التى ورثوها عن آبائهم وأجدادهم، والتى نقلها العلماء من دور إلى دور، وإذا ما وجدوا بين هذه الآراء خلافا اختاروا واحداً منها وقالوا: إنه ثقة، وغيره ضعيف أو كاذب»(١).

فانظر كيف حكم جفرى هذا على تراث السلف بأنه «تخيلات» نقلها العلماء من دور إلى دور؟؟!!

وانظر كيف افترى على علماء المسلمين بأنهم أصحاب هوى إذا وجدوا خلافا بين آراء عدة اختاروا واحداً منها (هكذا دون ما قواعد تضبط هذا الاختيار!!) ووثقوا صاحبه، ورموا بالكذب أو بالضعف أصحاب الآراء الأخرى؟؟!!

وغنى عن البيان أن أرثـر جفـرى يجهل أو يتجاهل بالكلية قواعد علم الجرح والتعديل، وأن علماء الحديث لم يجرحوا أحداً من الرواة، أو يعدلوه إلا بناء على قواعد وضوابط محكمة استخلصوها من دراستهم لأحوال الرجال وتواريخهم، وهوعلم قائم بذاته، أطلق عليه علماء الحديث «علم رجال الحديث» الذى تشعب بدوره الى عدة علوم أخرى.

لكن ما الطريقة المثلى، والمنهج الصحيح فى نظر جفرى هذا وإخوانه المستشرقين؟

يقـول: «وأمـا أهل التنقيب، فطريقتهم فى البحث أن يجمعوا الآراء والظنون والأوهام والتصورات بأجمعها ليستنتجوا بالفحص والاكتشاف ما كان مطابقا للمكان والزمان وظروف الأحوال معتبرين المتن دون الاسناد، يجتهدون فى إقامة نص التوراة والانجيل كما أقيم نص قصائد هو ميروس، أو نص رسائل أرسطو الفيلسوف»(٢).

ثم بين جفرى رأى علمائنا فى منهج المستشرقين فقال: «لما ظهرت الطبعة الأولى من كتاب (نولدكه) تجنى عليه بعض أصحاب النقل فى الشرق واتهموه بالطعن فى الدين، وزعموا أن الذين يتبعون هذه الطريقة ليسوا خالين من المحاباة فى أبحاثهم، مع أن إنصافهم، وصدق نيتهم، وعدم محاباتهم ظاهر، ويتبين من كتبهم أنهم لا يرمون إلا للكشف عن الحق.

وكان عيبهم الوحيد فى عين أهل النقل أنهم يعتبرون المتن دون الاسناد، ويختارون من آراء القدماء ما يطابق ظروف الأحوال من أسانيد متواترة(٣)، كانت أم ضعيفة، فكثيراً ما تناقض نتائج أبحاثهم بهذه الطريقة نعلم أهل النقل الذى قد عرف بين العلماء منذ زمن بعيد(٤).

■ ويتبين من كلام جفرى السابق أن الأسس التى يقوم عليها منهج المستشرقين هى:

أولا: جمع الآراء والظنون والأوهام والتصورات للوصول إلى حقيقة ما كان واقعا ومطابقا للحقيقة المدروسة!!

ثانيا: اعتبار المتن دون الاسناد حتى لو أدى الأمر إلى أن يختاروا من آراء القدماء ما كان سنده ضعيفا - مع وجود متواتر يناقضه - لكنه يطابق الواقع فى رأيهم!!.

ثالثا: غايتهم الأساسية من البحث الكشف عن الحقيقة، والحيدة التامة وعدم المحاباة (وهو زعم عريض كذبته بحوثهم ودراساتهم ومؤلفاتهم).

■ ومنهج المستشرقين هذا يتناقض تماما مع المنهج النقدى الأصيل الذى اتبعه المسلمون فى بحث المرويات المتعلقة بالكتاب والسنة.

●● ونتساء ل: كيف يمكن لمستشرق بهذا المنهج السقيم حين يرفض الاسانيد المتواترة التى رواها جمع من الصادقين الثقات ويقبل رواية ضعيفة رواها غير ضابط ولا ثقة لمجرد أنها توافق الواقع، أقول: كيف يمكن أن يصل إ لى الحق بهذه الطريقة؟!! وأى حق وأى واقع هذا؟ إ نه أعظم فترة زمنية مثالية شهدها التاريخ البشرى!! وكيف يصل إ ليه عن طريق جمع الاراء والظنون والاوهام والتصورات؟!! وصدق الله إ ذ يقول: ﴿إن يتبعون إلا الظن، وإن الظن لا يغنى من الحق شيئا﴾ (النجم/٢٨).

أرثر جفرى وكثير غيره من المستشرقين يريدون دراسة نصوص القرآن والسنة كما درست نصوص التوراة والانجيل، وكما درست قصائد هوميروس ورسائل ارسطو

■ إن أرثر جفرى يريد دراسة نصوص القرآن والسنة كما درست نصوص التوراة والانجيل، وكما درست قصائد هوميروس ورسائل أرسطو! وهذا أمر يستحيل واقعاً، وعقلا، ودينا.

يستحيل واقعا: لأن نصوص القرآن لا يتطرق إليها - فى عقيدتنا وعند المنصفين من غيرنا - أدنى شك، إذ قد ثبتت بالتواتر القطعى الذى يرفضه جفرى وإخوانه.

وقد كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ يقرأ السورة أو الآيات فى محفل من الناس، خطبة، أو درسا، أو تلاوة فى الصلاة، ثم يعيد ما قرأه قبل ذلك كما قرأه من قبل هو بتمامه، ويأخذ عنه المسلمون جماعات جماعات متواترين لا انقطاع بينهم حتى وصل إلينا حفظا فى الصدور، وتدويناً فى السطور.

لكن التوراة والانجيل ليستا كذلك، فالتواتر الذى روى به قرآننا وبعض سنة نبينا ﴿ﷺ﴾ مقطوع انقطاعاً كليا عند أهل الكتاب، بل إن أخبار الذين كتبوا التوراة والانجيل - وهم آحاد - أخبار آحاد من الناس غير متصلة، بل منقطعة، فهم لا يروون كما يروى المسلمون ما سمعوه فيقول الراوى مثلا: قرأت عن فلان عن فلان عن موسى عليه السلام كذا، أو عن عيسى عليه السلام كذا، فنعرف - على وجه اليقين من الذى روى عن موسى وعن عيسى.. هل هو عدل ضابط فنأخذ بروايته أم غير عدل ولا ضابط فترد روايته.

فكيف يسوى أرثر جفرى بين تدوين التوراة والانجيل، وبين تدوين القران الذى كتبه كتاب الوحى إ ثر نزوله، وسجلوه فى السطور، وحفظوه فى الصدور؟!!.

■ إن منهج الشك الذى اتخذه جفرى وإخوانه المستشرقون إن صح فى دراسة الكتب المقدسة السابقة على القرآن فإنه لا يصح فى دراسة القرآن الكريم ولا السنة المطهرة.

ويستحيل التسوية بين تدوين التوراة والانجيل، وبين تدوين القرآن الكريم عقلا لوجود اختلاف كبير بين نسخ التوراة، ونسخ الانجيل بعضها مع بعض، ووجود تناقضات هائلة مع قوانين العلم ومبادئه بل وخرافات لا يقبلها عقل صحيح سليم!!

ويكفى أن تقرأ كشاهد على ما نقول كتاب الطبيب الفرنسى موريس بوكاى (الكتب المقدسة، القرآن الكريم والتوراة والانجيل والعلم)(٥)، فستجد فيه دراسة علمية موثقة تجعلك تقول قول الله سبحانه: ﴿**ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا**﴾ (النساء/٨٢).

■ وهناك كتب كثيرة أبانت التناقضات والاختلافات التى وقعت فى التوراة والانجيل نتيجة التحريف والتغيير والتبديل الذى وقع من أيدى أهل الكتاب. ان فى التوراة قصة وفاة موسى عليه السلام، ودفنه وقبره، وفى الانجيل قصة صلب المسيح، وما جرى له، وقيامه من القبر، وغير ذلك مما يستحيل عقلا أن يكون هذا وحى الله، بل هو من كلام أحبار اليهود والنصارى، واتخذه أتباعهم وحيا مقدسا!.

لكن القرآن الكريم ﴿**قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض**﴾ (الفرقان/٦)، وتكفل الله تعالى ـ بحفظه حين قال: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ (الحجر/٩). أما من قبلنا فقد «استحفظوا» كتاب الله فلم يحفظوه، بل نقضوا ميثاق الله وبدلوه ﴿**فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه، ونسوا حظاً مما ذكروا به**﴾ (المائدة/١٣).. هذا عن اليهود، أما النصارى فقد قال الحق عنهم: ﴿**ومن الذين قالوا: إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به**﴾ (المائدة/١٤) لكن القرآن: ﴿**آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم، وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون**﴾ (العنكبوت/٤٩).

وتلك هى استحالة التسوية بين القرآن، وبين ما سبقه من الكتب السماوية دينا.

كثير من المستشرقين يتتبعون مساقط الأوهام والظنون ليستخرجوا منها - حسب أوهامهم - ما يسمونه اسلاما..

جمع القرآن فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم:

حاول جفرى أن يطبق ذلكم المنهج السقيم على جمع القرآن، وتاريخ تدوينه فقال: «لما قبض النبى ﴿ﷺ﴾ لم يكن فى أيدى قومه كتاب. قيل: إن النبى ﴿ﷺ﴾ كان كلما نزلت عليه آيات أمر بكتابتها، وكان يعرض على جبريل مرة فى كل سنة ما كتب من الوحى فى تلك السنة، وعرض عليه مرتين فى سنة موته، وهكذا جمع القرآن كله فى حياة النبى ﴿ﷺ﴾ فى صحف وأوراق، وكان مرتبا كما هو الآن فى سوره، وآياته، إلا أنه كان فى صحف لا فى مصحف»(٦).

■ تلك هى النتيجة التى يتمناها المستشرقون: أن الرسول ﴿ﷺ﴾ قد انتقل الى الرفيق الأعلى دون كتاب سماوى بين أيدى أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ لينتقلوا بعد ذلك الى التشكيك فى الحفظ، والطعن فى الكتابة، أو بيان اختلافها وغير ذلك من الشبهات التى لا تستقر إلا فى قلب مريض أو عقل معلول.

■ لقد ذيل آرثر جفرى كلامه بذكر رأى علماء المسلمين، وصرح برفض رأيهم قائلا: وهذا الرأى لا يقبله المستشرقون، لأنه يخالف ما جاء فى أحاديث أخرى انه قبض ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يجمع القرآن فى شىء (هذا دليله الأول) وهذا يطابق ما روى من خوف عمر بن الخطاب، وأبى بكر الصديق لما استحر القتل (أى اشتد) بالقراء يوم اليمامة، وقالا: إن القتل استحر فى قراء القرآن، ونخشى أن يستحر القتل بالقراء فى المواطن كلها، فيذهب قرآن كثير.

ويتبين من هذا أن سبب الخوف هو قتل القراء الذين كانوا قد حفظوا القرآن، ولو كان القرآن قد جمع وكتب لما كانت هناك علة لخوفها (وهذا هو دليله الثانى)(٧).

وأول ما نلحظه فى كلام هذا المستشرق أنه يتحدث بصيغة الجمع عن المستشرقين، ويجعلهم فى صف واحد فى مقابل رأى علماء المسلمين فيقول: «وهذا الرأى لا يقبله المستشرقون»!! «إن علماء الغرب لا يوافقون على . . . (٨)».

■ فهل هذا هو الحياد العلمى، والنزاهة والموضوعية التى يتشدق بها هؤلاء المستشرقون؟!! وهل أخذ جفرى تفويضا من المستشرقين جميعا ليتحدث باسمهم؟! أم أنه الكيد للاسلام وأهله وعدم الرضى عن القرآن وشريعته؟!! ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ (البقرة/١٢٠).

وقول جفرى وإخوانه المستشرقين: إنه لم يكن فى أيدى المسلمين كتاب حين قبض النبى ﴿ﷺ﴾ هو محض افتراء، وكذب بين على الحق، شاء الله سبحانه - أن يفضح جفرى ومن معه بيد جفـرى نفسه، إذ قال عقب كلامه السابق وفى معرض طعن آخر: «وزعم بعض الكتبة (الكتاب) أن المراد بالجمع فى هذا الحديث الحفظ، ولكنا لا نوافق على قولهم هذا، لأن عليا حمل ما جمعـه على ظهـر ناقته، وجاء به إلى الصحابة، وسمى ما جمعه أبو موسى الأشعرى «لباب القلوب» ثم قال: «ويلزم على هذا أن ما جمعوه كان محفوظا فى مصاحف»(٩).

فانظر كيف حاول هذا الكذوب أن ينفى أولا وجود جمع للقرآن كتابة، ثم حاول أن ينفى ثانيا وجود جمع للقرآن حفظا فوقع فى تناقض أدى به إلى أن يثبت الأمرين جميعا!!



ولننقض دليليه اللذين استدل بهما:

اما الدليل الاول فقد استند على ما روى عن زيد بن ثابت قال: «قبض النبى ﴿ﷺ﴾ ولم يكن القرآن جمع فى شىء».

فهذا الحديث - إن صح - فقد بين العلماء المراد منه، وهو أن القرآن لم يجمع فى صحيفة واحدة، فى كتاب واحد على غرار ما هو حادث اليوم.

قال ابن حجر شارحا ما جاء فى حديث أنس بن مالك (فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلى إلينا بالصحف ننسخها فى المصاحف): «وفى رواية يونس بن يزيد: فاستخرج الصحيفة التى كان أبو بكر أمر زيدا بجمعها فنسخ منها مصاحف فبعث بها إلى الآفاق».

قال: «والفرق بين الصحف والمصحف أن الصحف الأوراق المجردة التى جمع فيها القرآن فى عهد أبى بكر، وكانت سورا مفرقة . . . مرتبة بآياتها على حدة، لكن لم يرتب بعضها إثر بعض، فلما نسخت، ورتب بعضها إثر بعض صارت مصحفا»(١٠).

وعقب السيوطى على حديث أبى سعيد الخدرى الذى أخرجه مسلم: «لا تكتبوا عنى شيئا غير القرآن» فقال: «فلا ينافى ذلك - أى ما جاء فى حديث زيد السابق - لأن الكلام فى كتابة مخصوصة، على صفحة مخصوصة، وقد كان القرآن كتب كله فى عهد رسول الله ﴿ﷺ﴾ - لكنه غير مجموع فى موضع واحد»(١١).

وهذا المعنى الذى ذكره السيوطى ذكره من قبله الزركشى فى «البرهان»(١٢) ثم إن زيد بن ثابت الذى استشهد جفرى بروايته تلك هو هو الذى روى له البخارى رواية أخرى صحيحة الثبوت، صريحة الدلالة فى أن القرآن كان مكتوبا فى السطور، محفوظا فى الصدور قبل وفاة الرسول ﴿ﷺ﴾ ونص كلام زيد هو: «فتتبعت القرآن أجمعه من العسب(١٣)، واللخاف(١٤)، وصدور الرجال . . »(١٥).

فكيف يغمض جفرى هذا عينيه كلتيهما عن هذا الحديث الصحيح الذى رواه زيد نفسه، وهو أحد كتاب الوحى؟!!.

فهل هذه هى الحيدة والموضوعية والنزاهة التى يقول بها المستشرقون؟!

■ إن من عجيب أمر هذا المستشرق ـ ومن سار على دربه ـ أنه على علم تام بحديث زيد الذى رواه البخارى، والذى يدل على أن القرآن كان مكتوبا فى صحف فى عهد الرسول ﴿ﷺ﴾، وكان محفوظا فى صدور الرجال كما قال زيد نفسه، لكن جفرى هذا يستشهد بجزء من الحديث ـ حديث زيد ـ على أن القرآن لم يكن مكتوبا فى عهده صلى الله عليه وسلم.

■ وهذا هو نص ما ذكره البخارى(١٦) عن زيد واستشهد به ذاك المستشرق: «عن زيد بن ثابت: أرسل إلى أبو بكر بعد مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، فقال أبو بكر.. رضى الله عنه ـ إن عمر أتانى فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وإنى أخشى إن استمر القتل بالقراء بالمواطن، فيذهب كثير من القراء، وإنى أرى أن تامر بجمع القرآن.. ولو تتبع المستشرق الحديث حتى آخره لعلم أن المراد بالجمع هنا أن يكون فى مصحف واحد لا فى صحف كما ذكر ابن حجر، مما يدل على مغالطة مكشوفة لهذا المستشرق يقول زيد فى آخر الحديث: «فلم يزل أبو بكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح الله له صدر أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ـ فتتبعت القرآن أجمعه من العسب، واللخاف، وصدور الرجال..».

فانظر الى حيدة المستشرقين ونزاهتهم المدعاة حين يأخذون جزءا من رواية واحدة، من موضع واحد، لراو واحد، ليطعنوا بها على تاريخ القرآن وجمعه، فى حين أن بقية الرواية تنفى هذا الطعن وتدحض!!

■ يقول جفرى ـ وعليه إثم ما قال: «ولو كان القرآن قد جمع وكتب لما كانت هناك علة لخوفهما» أى أبى بكر وعمر.. رضى الله عنهما ـ وهذا هو دليله الثانى على دعواه. وخوف عمر رضى الله عنه ثم خوف أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ بعد قناعته برأى عمر لا لأن القرآن لم يكن مكتوبا فى العسب، واللخاف، والرقاع، وغيرها، بل لذهاب مصدر وثيق ـ غاية الوثاقة ـ وهو قتل كثير من حفظه القرآن فى موقعة اليمامة(١٧)، فيضيع بذهاب الحفظة أحد المصدرين المهمين بل أهمهما، وبخاصة فى بيئة تعتمد على الحفظ والذاكرة.

■ ومن هنا أحس عمر ـ ومن بعده أبو بكر وزيد وسائر الصحابة ـ رضوان الله عليهم بعظمة المسئولية وخطورتها، فوفقهم الله تعالى، إلى جمع القرآن فى عهد أبى بكر جمعاً مؤلفا فى مصحف واحد، مما كان مسطورا ومحفوظا فى صدور صحابة رسول الله ﴿ﷺ﴾.

■ لقد فهم علماء المسلمين من حديث زيد بن ثابت ـ ومن غيره كذلك ـ أن القرآن كان مكتوبا ومحفوظا فى عصر النبى ﴿ﷺ﴾ ولم يكن جمع أبى بكر جمعا مستحدثا. فهذا الزركشى يقول عن المحاسبى(١٨): «قال الامام أبو عبد الله الحارث المحاسبى فى كتاب (فهم السنن): كتابة القرآن ليست محدثة، فإنه صلى الله عليه وسلم كان يأمر بكتابته، ولكنه كان مفرقا فى الرقاع، والاكتاف، والعسب وإنما أمر الصديق بنسخها من مكان إلى مكان، وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت فى بيت رسول الله ﴿ﷺ﴾ فيها القرآن منتشر، فجمعها جامع وربطها بخيط لا يضيع منها شىء.

ثم قال: «وفى قول زيد بن ثابت (فجمعته من الرقاع، والاكتاف وصدور الرجال) ما أوهم بعض الناس أن أحدا لم يجمع القرآن فى عهد رسول الله ﴿ﷺ﴾ وأن من قال: إنه جمع القرآن أبى بن كعب وزيد ليس بمحفوظ وليس الأمر على ما أوهم، وإنما طلب القرآن متفرقا ليعارض بالمجتمع عند من بقى ممن جمع القرآن ليشترك الجميع فى علم ما جمع، فلا يغيب عن جمع القرآن

﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾

صدق الله العظيم.

أحد عنده منه شيء، ولا يرتاب أحد فيما يودع المصحف، ولا يشكوا في أنه جمع عن ملأ منهم».

وكلام المحاسبي المتوفى سنة ٢٤٣هـ تصوير جيد لجمع القرآن، ورد عظيم على المشككين، والموهمين، في تاريخ القرآن.

ولا أدري إذا كان أرثر جفري يؤمن بالوحي الالهي - فلماذا ينكر نزول الوحي على رسول الله ﴿ﷺ﴾، يعارضه القرآن مرة كل سنة، ومرتين في العام الأخير لحياته صلى الله عليه وسلم.. وقد روى البخاري في صحيحه في أكثر من موضع هذا المعنى.

■ قال مسروق عن عائشة، عن فاطمة - رضي الله عنها: «أسر النبي ﴿ﷺ﴾ الى أن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة، وأنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضور أجلي[19]».

لقد تكفل الحق - سبحانه - بجمع القرآن وحفظه فقال - عز وجل: ﴿**إن علينا جمعه وقرآنه**﴾ (القيامة/١٧)، وجمعه يشمل المعنيين المشار اليهما من قبل، حفظه في الصدور، وكتابته في السطور فكيف ينال من القرآن، وجمعه، وحفظه نائل بعد تعهد الله الحفيظ الحكيم بجمعه وقرآنه؟!!

تلك بعض مفتريات هذا المستشرق سطرها في ثلاث صفحات من اثنتى عشرة صفحة مملوءة إفكا وبهتانا قدم بها الكتاب الذي حققه ونشره أول مرة لغرض خبيث في نفسه وهو كتاب (المصاحف) لأبي بكر بن أبي داود، وقد فندنا مفترياته كلها في كتاب صدر مؤخرا بعنوان «المستشرقون والقرآن»[20] والذي كان المصدر الرئيسي لهذا البحث ﴿**والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾ (يوسف/٢١).

.. إن منهج الشك الذي اتخذه جفري واخوانه المستشرقون ان صح في دراسة الكتب المقدسة السابقة على القران الكريم فانه لا يصح في دراسة القران الكريم ولا السنة المطهرة.

الهوامش

(١) مقدمة كتاب المصاحف: ٤ المطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٩٣٦م الطبعة الاولى.

(٢) المصدر السابق: الموضع نفسه.

(٣) الاسناد يقصد به رواة الحديث أو الأثر والنص نفسه يسمى متنا، وأعلى الاسناد، الاسناد المتواتر الذي يرويه جمع عن جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب، والقرآن ورد بهذه الطريقة المتواترة وكذلك بعض الاحاديث النبوية، وهو مالا يعجب المستشرقين ويحاولون الطعن فيه، ولكن أنى لهم ذلك؟!!

(٤) المصدر السابق: الموضع نفسه.

(٥) ترجم الكتاب ونشر في دار المعارف بمصر وانظر أيضا كتابه: «ما أصل الانسان؟» إجابات العلم والكتب المقدسة، ترجمة ونشر مكتب التربية العربي لدول الخليج.

(٦) مقدمة كتاب المصاحف: ٥

(٧،٨) المصدر السابق: الموضع نفسه.

(٩) المصدر السابق: ٥، ٦.

(١٠) فتح الباري لابن حجر العسقلاني: ١٨/٩ باب جمع القرآن من كتاب الفضائل.

(١١) الاتقان في علوم القرآن: ٥٧/١ طبعة مصطفى الحلبي الطبعة الثالثة ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م.

(١٢) البرهان في علوم القرآن: ٢٣٥/١ تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم طبعة عيسى الحلبي الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

(١٣) العسب جمع عسيب وهو جريد النخل، كانوا ينزعون الخوص منه، ويكتبون في الطرف العريض.

(١٤) اللخاف - بكسر اللام - جمع لخفة - بفتح اللام وسكون الخاء - صفائح الحجارة.

(١٥) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن: باب نزول القرآن بلسان قريش والعرب حديث رقم ٨٩٨٤، فتح الباري: ٩/٨-٩ طبعة دار الفكر بيروت.

(١٦) المصدر السابق: الموضع نفسه.

(١٧) بلغ عدد الحفظة الشهداء في هذه الموقعة سبعين صحابيا.

(١٨) البرهان في علوم القرآن: ٢٣٨/١-٢٣٩

(١٩) كتاب فضائل القرآن: باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﴿ﷺ﴾، صحيح البخاري بشرح فتح الباري: ٤٣/٩ طبعة دار الفكر.

(٢٠) نشر في سلسلة دعوة الحق العدد ١٠٤ سنة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م وهو الجزء الاول، يليه الجزء الثاني قريبا بإذنه تعالى.

□□□□

ضوابط الكتابة في الإعجاز العلمي في القرآن والسنّة

للكتابة فى الاعجاز العلمى فى القرآن والسنة ضوابط كثيرة حتى تثمر ثمرتها فى دعم ايمان المؤمنين والقضاء على ريب المرتابين وقد كثرت الكتابة فى هذه الآونة حول تلك القضية وكان من بواعثها أن ذلك أسلوب جيد فى الدعوة الى الاسلام من خلال الاقناع بمكانته فى العلم والمعرفة.

وفى هذا الموضوع يحدثنا الكاتب عن ضوابط الكتابة فى الاعجاز العلمى عارضاً للقرآن الكريم الرسالة الخاتمة.. وعلاقة العلم بالايمان فى ظلال الاسلام.. الاسلام والعقل ثم حقيقة قضية الاعجاز العلمى فى القرآن أسلوب الحقائق العلمية فى القرآن واخيرا القرآن الكريم منبع المعارف.



د. السيد رزق الطويـل
جامعة الأزهر (القاهرة)

مقدمـــة:

احمد الله تبارك وتعالى على جزيل نعمائه، وكريم عطائه، هدانا للاسلام الدين الحق، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله، وأصلى وأسلم على رسوله ومصطفاه محمد عليه الصلاة والسلام، الأسوة الحسنة، والقدوة الطيبة، ختم الله به رسالاته، وأنزل عليه الكتاب الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فعجزت عن مواجهة آيته عقول العلماء، وأفهام الحكماء، وانتهى عجز جمهرتهم الى ايمان عميق بسمو مكانته على درب الهداية والرشاد، كما كان التبيين النبوى للكتاب الحق وهو المعروف بالسنة آية أخرى على طريق العلم الراشد الذى يفرض نفسه على كل معرفة فى أى زمان ومكان.

وبعــد..

فهـذا بحث موضــوعـه: ضوابط الكتـابة فى مجال الاعجاز العلمى فى القرآن والسنـة.. وهـذا البحث له طبيعة متميزة، اذ أنه يعتمد على الاجتهاد الشخصى والخبرة الواسعة بمعارف الكتاب والسنة أكثر مما يعتمد على مراجع ومصادر تحمل فكر الآخرين واجتهاداتهم.

منطلقات الكتابة فى هذا الموضوع

كثرت الكتابة فى هذه الآونة حول قضية الاعجاز العلمى فى الكتاب والسنة، وتوفرت عليها أقلام الكاتبين من أعلام الاسلام وعلمائه، وكان وراء تعدد مجالات الكتابة فى هذا الموضوع بواعث كثيرة:

أولها: أن الاسلام الآن فى حوار جديد مع الفكر الغربى، والشعوب الغربية ومداخل هذا الحـوار: ما تكشف لهم بوسيلة أو بأخـرى من تلاقى النصـوص الاسلامية، ومكتشفـات العلم والمعارف الانسانية حتى وجدنا علماء قضوا حياتهم فى مختبرات البحث سارعوا الى الايمان وصدق الله العظيم: ﴿انما يخشى الله من عباده العلماء﴾ (فاطر/٢٨) ﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق﴾ (فصلت/٥٣).

ثانيها: وراء الاقبال الواضح على الكتابة فى هذه القضية كان يمكن أن نقع فى مخاطر لا تخدم الاسلام، لذا كان من الواجب أن نبحث فى وضع ضوابط للكتابة فى هذه القضية لتثمر ثمـرتهـا فى دعم ايمان المؤمنين والقضاء على ريب المرتابين، واضاءة الطريق أمام الراغبين مع تجنب المخاطر التى قد تحيط بالكتابة فى هذا الموضوع.

ثالثها: هناك عامل هام ومؤثر كان من أهم أسباب رواج الكتابة والكلام فى هذا الموضوع وهو أنه أسلوب جيد فى الدعوة الى الاسلام من خلال الاقناع بمكانته فى العلم والمعرفة وبما تشير اليه نصوص الكتاب والسنة من ظواهر علمية لم يدركها العلماء الا فى عصرنا الحاضر.

وما يعزز من قيمة هذه الوسيلة أن أوربا شهدت عصرا كانت فيه مسيحيتها على عداء مع العلم، دفع بها الى الاتجاه للعلمانية وفصل الدين عن الدولة، فاذا رأت الاسلام على النقيض من هذا وهو فعلا كذلك، فلابد لها أن تراجع موقفها من الدين وستجد الاسلام يحقق لها ما تريد.

رابعا: لنا تحفظ على لفظ (الاعجاز) برغم شيوعه وشهرته فى كتب التراث مرادا به عجز المخالفين عن الاتيان بمثل ما أتى به النبى الخاتم، فتحق عليهم كلمة الله، ولا يسع العقلاء منهم الا الاستجابة.

■ وفى تقديرى أن هذا اللفظ اصطلاح ابتكره علماء الكلام، وأعلام البلاغة الأوائل وهو غير دقيق(١) فى التعبير عن المدلول الذى يحمله.

فالله تبارك وتعالى زود رسله بآيات تختلف باختلاف العصور والأزمنة التى أرسلوا فيها ولا يستطيع أن يأتى بمثلها معاصروهم، عند ذاك يدرك أصحاب الفطر السليمة أن هؤلاء مزودون بآية من الله. فليس الهدف اذن أن تعجز الناس أمام ما أتى به النبى وانما الهدف أن يهتدوا بما جاء به، وأما عجزهم فمقطوع(٢) به، اذ أنى للمخلوق أن يواجه آية من الخالق؟!!.



ولذلك لا نجد فى القرآن لفظ (معجزة) وإنما نجد بدلا منها لفظ (آية)، اذ يقول تعالى: ﴿وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه﴾(٣) وقال سبحانه على لسان فرعون وقومه وهم يواجهون موسى عليه السلام: ﴿قال ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين﴾(٤). ﴿وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين﴾(٥)، وعلى لسان نبى الله صالح لقومه يقول سبحانه: ﴿هذه ناقة الله لكم آية﴾(٦).

■ أما لفظ المعجزة فلم يرد بهذا المعنى فى القرآن الكريم ولا فى السنة النبوية المطهرة(٧)، لكن مشتقاته وردت فى سبعة عشر موضعا من القرآن الكريم (أعجز - معجزين - معاجزين) ومدلولاتها فى هذه المواضع كلها بعيدة كل البعد عما أريد بلفظ المعجزة عند علماء البلاغة والكلام.

وعلى ضوء هذا التمهيد السابق نستطيع أن نسجل ما أسعفنا به اجتهادنا من ملاحظة نراها صالحة لأن تكون ضوابط محكمة لقضية الاعجاز العلمى فى الكتاب والسنة.

القران الكريم ايةَ الرسالة الخاتمة

زود الرسل الكرام على امتداد التاريخ البشرى بآيات كونية هى فوق مستوى ما وصل اليه البشر من علم كونى فى عصر الرسالة(٨) لتكون بمثابة الدليل والبرهان على أنهم رسل من عند الله فيهتدوا بهديهم، ولا يكون للمكذبين عذر فى تكذيبهم.

والآية الكونية موقوتة بعصرها، وقد يأتى زمان بعدها لا تكون فيه الآية الكونية قادرة على الاقناع، لأن البشر وصلوا من العلم، واكتشفوا من قوانين الكون ما يجعل مثل هذه الآية من الأمور المعتادة(٩).

ولأجل هذا شاءت حكمة العليم الخبير أن تكون الآية التى جاء بها رسول الرسالة الخاتمة

محمد عليه الصلاة والسلام قادرة على الاقناع، وعلى ايجاد اليقين فى قلب البشر فى كل عصر ومصر، لأنها رسالة ممتدة امتداد الزمن، وامتداد الحياة البشرية على ظهر البسيطة أعنى أنها تملك الامتداد الزمانى والمكانى، فاذا وجد معاند فى أى زمان أو مكان فسيجد من آيات الكتاب الحق ما يكبح جماحه ويرد عناده.

■ وهكذا توالت الأزمان بعد نزول القرآن، ويتقدم علم البشر فاذا بهم يرون فى الكتاب الحق تأييدا لما علموه، وان بدا تعارض واضح للعيان أن التصور فيما علمه الانسان لا فيما آمن به من القرآن.

■ وقد كانت قريش تتصور(١٠) ان الآية الحسية أقوى من الآية العلمية البيانية، التشريعية فطلبت الأولى والحت فى طلبها: **﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا﴾**(١١)، **﴿وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين. أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون﴾**(١٢).

فالآية القرآنية بما تحفل به من أسرار علمية على كل مستويات العلم والمعرفة قادرة على تحقيق الهداية للبشر على اختلاف الأزمنة والأمكنة، فهو الكتاب الذى لا تنقضى عجائبه، والذى لا يخلق على كثرة الرد.

واذا ورد فى السنة النبوية آثار من قبيل الاعجاز(١٣) الكونى، فليس الغرض منها أن تكون آية الرسالة لأن آية الرسالة الخاتمة أسمى من ذلك وأعظم، وانما هى لتكريم النبى ﴿ﷺ﴾، وتثبيت قلوب صحابته فى بعض المواقف.

■ هذه الحقيقة التى قدمتها تشير بوضوح الى أن الرسالة الخاتمة جاءت وانتشرت فى ظلال العلم والمعرفة، فكان العلم احد ادلة اثباتها، ومنهج عملها، كما أن التقدم العلمى كان الثمرة الحتمية لتأثيرها عقيدة وشريعة وسلوكا.

وهذا احد الضوابط للكتابة فى هذا الموضوع.



علاقة العلم بالايمان فى ظلال الاسلام

علاقة العلم بالايمان فى الاسلام علاقة متميزة، يقول تبارك وتعالى: **﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾**(١٤)، فارتفاع المكانة أمر يشترك فيه المؤمنون وأهل العلم جميعا، والعلم وسيلة جيدة للايمان الصحيح، بل انه الخطوة الأولى على طريقه، فالآيات الأولى من القرآن الكريم نزولا: **﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق، خلق الانسان من علق، اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم، علم الانسان ما لم يعلم﴾**(١٥).

وجاء فى الحديث الشريف: «ومن سلك سبيلا يلتمس فيه العلم سهل الله له طريقا الى الجنة»(١٦).

وتستبين معالم الخطوة الأولى على طريق الايمان، وهى خطوة علمية كما أشرنا بالتأمل الواعى فى هذه الآيات:

﴿قل انظروا ماذا فى السموات والأرض﴾(١٧).

﴿وفى الأرض آيات للموقنين. وفى أنفسكم أفلا تبصرون﴾(١٨).

﴿أولم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما الا بالحق﴾(١٩).

﴿ أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الأرض كيف سطحت﴾(٢٠).

﴿ أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج، والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى، وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب﴾(٢١).

■ هكـذا يشد القرآن الكريم أنظار المؤمنين وعقولهم للتبصر فى ملكوت السموات والأرض، وكشف أسرار الكون وقوانينه، وسننه، وصولا الى ايمان يقينى يكفل الهداية للمسيرة البشرية على الأرض.

■ وهكذا يتضح لنا أن العلم الكونى(*) فى الاسلام من خلال نصوص الكتاب والسنة ليس مجرد قضية تنال أهمية خاصة، أو فضيلة من الفضائل التى حبب الدين اليها، ولكنه يتجاوز ذلك كله الى كونه أصلا يقوم عليه بناء العقيدة الصحيحة والايمان القويم، ومن هنا فلا نعجب اذا رأينا نحو ثلث آيات الكتاب العزيز دعوة الى التبصر فى الكون والتأمل فيه حتى نعرف الله من خلال مخلوقاته:

﴿ هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه﴾(٢٢).

﴿ فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون﴾(٢٣).

الآية القرآنية بما تحفل به من أسرار علمية قادرة على تحقيق الهداية للبشر على اختلاف الأزمنة والأمكنة.

■ ومثـل هذه الآيات ذات الـدلالة الخاصة والمصدرة بأسماء الاشارة تأتى تعقيبا على الآيات السابقة تبسط جوانب العظمة فى صنع هذا الكون البديع.

ولأجـل هذا كان أعلام هذه الأمة يجمعون بين المعرفة الدينية أعنى علم الكتاب والسنة بجـانب معـارف الحياة فتجد الطبيب فقيها، وفيلسوفا، والكيميائى محدثا، والفيزيائى مفسرا ولغويا، نذكر على سبيل المثال لا الحصر الحسن بن الهيثم، وأبا بكر الرازى، وابن سينا، وأبا القاسم الزهراوى، وجابر ابن حيان، وابن النفيس، ذلك لأن هؤلاء علموا من جوهر الدين الحق أن المعارف لا ينفصل بعضها عن بعض، وأن علمك بالله تستمده من كتاب الكون، كما تستمده من الوحى المنزل، ولذا قرر القرآن الكريم أن العلماء هم أهل الخشية والتقوى، ولو جهلوا لما خافوا، لأن من جهل شيئا عاداه ونقصه حقه، فقال تعالى:

﴿ انما يخشى الله من عباده العلماء﴾(٢٤).

كما قال فى تفسير شرك المشركين، وسر تورطهم فى ضلاله:

﴿ وما قدروا الله حق قدره﴾(٢٥).

■ ان حديث القرآن الكريم عن العلم واشادته بالعلماء فى مواطن كثيرة تؤكد أهمية العلم بكل صوره وطرقه فى تثبيت أقدام المؤمنين على طريق الايمان، يقول جل شأنه:

﴿ قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾(٢٦).

كما قال:

﴿ شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط﴾(٢٧)، اذ جعلهم سبحانه شهودا على قضية من أخطر قضايا الاسلام وهى توحيد العبودية. كما نرى فى قول الرسول عليه الصلاة والسلام: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»(٢٨). بعدا جديدا يكشف عن مدى العلاقة بين الاسلام والعلم.

والجهـل مرفـوض اسلاميا، لأنه يقف حائلا دون المعرفة الصحيحة بالله، كما يحول بين الانسان وبين ادراك قوانين الكون التى تمنحه القوة فى الدنيا، يقول جل شأنه: ﴿قل أفغير الله

تأمرونى أعبد أيها الجاهلون﴾(٢٩) .

الاســلام والعقــل

قضية أخـرى تضبط الكتابة فى هذا الموضوع الهام وتكشف عن مدى العلاقة الوثيقة بين الاسلام والنمو العلمى ، وأن القدرة على كشف أسرار الكون ، قوانينه تنبع عن فهم واع لما فى الكتاب العزيز والسنة الصحيحة من توجيهات .

هذه القضية هى احتفاء الاسلام بالعقل ، ورعايته له ، والتعويل عليه فى قضايا العقيدة والتشريع .

فهو فى الاسلام مناط التكليف ، فأى عبادة شرعها الله لعباده يشترط فى وجوبها العقل ، كما أن القرآن الكريم فى آيات كثيرة حرك العقل الى التأمل والنظر ، والتفكر فى ملكوت السموات والأرض دعـما لليقـين ، وصونا للعقيدة ، وتأكيدا للايمان الصحيح ، ولو أحصينا ما فى القرآن الكريم من آيات تتحدث عن العقل ، وما يتصل به من حواس ، وعمليات عقلية لوجدنا مئات الآيات تختتم بمثل (يسمعون ـ يعقلون ـ تبصرون ـ يتذكرون ـ يتفكرون ـ أولى الالباب ـ أولى الابصار ـ ﴿ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾(٣٠) .

■ بل ان اهمال عقل المسلم ، أو تعطيل المسلم لعقله قد يكون جريمة تؤدى بهللخسران المبين ، يقول رب العالمين :

﴿ **ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون**﴾(٣١) .

وقد حدثنا القرآن الكريم عن أهل النار ، وأنهم فى حمأة جهنم أدركوا سر ما تورطوا فيه من عذاب مهين فقال جل شأنه :

﴿ **وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير ، فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير**﴾(٣٢) .

■ وان التشريع الاسـلامى قدر العقـل البشرى تقديرا بالغا ، فما من تشريع الا وله حكمة ، وحكمة بالغة تبهر العقل وتلزمه بالانصياع حتى التشريعات التى عرفت عند الفقهاء بأنها أمور تعبدية يستطيع العقل الواعى . البعيد عن الهوى والتعصب أن يلتمس لها حكما ترضيه ، وتقنعه ، وقد تكون بعض هذه التشريعات التى بدت فى تصور بعض أسلافنا من الفقهاء أمورا تعبدية ، أعنى بلا حكمة ظاهرة ، تحمل سرا كونيا وعلميا تتهيأ أسباب كشفه للعلماء المعاصرين . . او لغيرهم ممن يأتى بعد .

وقد ساق القرآن الكريم حكما عامة وراء التشريع ، وترك لعقل المسلم المجتهد أن يستخرج منها ـ حسبما تهيىء له ظروف العلم فى عصره ـ أسرارا ومعارف ذات شأن كبير، يقول الله تعالى بعد آيات الطهارة :

﴿ **ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ، ولكن يريد ليطهركم ، وليتم نعمته عليكم ، ولعلكم تشكرون**﴾(٣٣) .

ورعاية العقل مقصد أسمى في شريعة الاسلام حتى ان كل ما يضر به ، أو يضعف امكاناته حرمه الاسلام ، وحذر منه ، وعد تناوله من قبيل الرجس(٣٤) ، وعلى هذا الأساس حرمت الخمر وسائر المخدرات ، وما يلحق بها من مشروبات ينحرف الانسان الى تناولها لأنها تتلف جسمه

التقدم العلمى كان الثمرة الحتمية لتأثير الرسالة الخاتمة عقيدة وشريعة وسلوكا .

وماله، وبذلك سبقت شريعة الاسلام شريعة الانسان بعشرات القرون على طريق المحافظة على العقل.

كما عدت حماية العقل من الضرورات التى تبيح المحظورات، اذا كان تناول هذا المحظور فى هذا الوقت بالذات يرد عن العقل غائلة تفتك به، أو تعطل وظيفته.

■ بقى ان نقول ان العقل الذى شرحنا مكانته فى الاسلام نعنى به العقل الصريح المجرد من الأهواء والآفات، المحرر من أسر التقاليد والأوهام والأعراف، لأن مثل هذا العقل لا يتناقض فهمه مع نصوص الشرع وقد عالج هذه القضية علاجا شاملا وافيا شيخ الاسلام ابن تيمية فى سفره القيم درء تعارض العقل والنقل، وفيه أكد أن العقل الصريح لا يتناقض مع الدين الصحيح.

واذا كان الاستنباط العلمى ثمرة للعقل الواعى فان هذه المكانة التى يحتلها العقل البشرى فى الاسلام لها دلالة واضحة على أن الاعجاز العلمى فى الكتاب والسنة حقيقة لا تحتاج الى بحث، ولا تتطلب برهانا، لأنها تجاوزت مرحلة البحث والبراهين، وبذا أصبحت قضية العقل ومكانته فى الاسلام ضابطا هاما من ضوابط الكتابة فى الاعجاز العلمى حتى لا نتصور أن ما نطلع عليه من أمثلة له مجرد شواهد قليلة، أو مصادفات محدودة ومعدودة.

حقيقة قضية الاعجاز العلمى فى القرآن



وأعبر هنا بلفظ الاعجاز تجاوزا والا فالتعبير الصحيح على ضوء ما قدمت هو الحقيقة العلمية فى الآية القرآنية: مفهومها ومداها.

وهذا الأمر يتطلب ابراز حقيقتين هامتين:

أولهما: أن القرآن الكريم كتاب هداية، مهمته أن يهدى البشر للخطة الراشدة فى أمور الدنيا والدين، أعنى فى علاقة الناس بعضهم ببعض، وبالكون الذى يعيشون فيه، وكذلك فى علاقتهم بالله خالق كل شىء، وبعالم الغيب بعامة، يقول جل شأنه:

﴿ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم﴾(٣٥).

﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾(٣٦).

﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام﴾(٣٧).

■ والهداية فى القرآن قضية عظيمة الشأن، عميقة الأثر، ليست مجرد أوامر، وتوجيهات للعقل البشرى بما فيه سداده ورشده، وانما هى بجانب ذلك تضم وسائل الاقناع المتعددة التى تحمل فى طياتها من سنن الكون قوانينه ما يلزم العقل بالاستجابة والاذعان والانصياع.

■ وهنا نصل الى الحقيقة الأخرى:

وهى أن الاعجاز العلمى فى القرآن ليس هدفا أساسيا للمهمة القرآنية، وانما نرى القرآن الكريم فى آياته الهادية يعرض حقائق ثابتة راسخة، نستنتج منها السبق العلمى بطريق التتبع.

■ والقرآن الكريم ليس كتابا فى الطب أو الفيزياء أو الكيمياء أو الفلك، وانما هو كتاب هداية فهو أسمى من ذلك وأكبر غير أنه يتضمن حقائق فى هذه المعارف تذهل من نبغوا فيها فى عصرنا الحاضر، فينقدح فى أذهانهم حق كانوا فى ريب منه، وهو أنه من عند الله، فيهتدون الى

الاسلام، وبذا تتحقق المهمة القرآنية فى رشدها وسموها.

وليس فى صالح الكتاب الحق أن يسارع حافظوه، ودارسوه، والمؤمنون به الى ملاحقة ما يظهر فى محيط العالم من نظريات علمية فى الشرق والغرب ليقولوا انها فى القرآن الكريم، ان كثيرا من نظريات العلماء يظهـر فسادها وبطلانها بعد حين، وتظهر نظرية أخرى تعارضها، أما عندما تتحول الفروض العلمية الى حقائق يشهد بها الواقع المحس فعند ذاك نجد ما يصدقها فى الكتاب العزيز.

■ ولكى تتضح هاتان الحقيقتان أسوق عددا من الشواهد القرآنية التى تشير الى حقائق علمية أذهلت المعاصرين من العلماء، ووقفوا أمامها مشدوهين، لا يسعهم الا التسليم لآية القرآن الكريم.

الشاهد الاول قوله تعالى: ﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون﴾(٣٨)

■ يستوقفنا فى هذه الآية أمران وراء كل منها حقيقة علمية.. ومهمة الآية التحذير من الشرك والدعوة الى العبودية الخالصة لله وحده، وفى سبيل هذه المهمة الجليلة قدمت الآية ما قدمت من حقائق علمية:

أول الامرين: قوله تعالى **﴿اتخذت بيتا﴾** بتأنيث الفعل، واللفظ من حيث هو حقه التذكير، وهنا نرى الحس العلمى الصادق يحمل المشكلة اللغوية، وذلك لأن المعلوم من طبائع هذا الحيوان ان أنثى العنكبوت هى التى تبنى البيت.



والاخـر: تشبيه المشرك بالله بالعنكبوت اتخذت بيتا، ويتوقف البلاغيون كثيرا، ويذهبون فى وجه الشبه كل مذهب، والحس العلمى الواعى يكشف الخفى من وجه الشبه عندما نعلم أن بيت العنكبوت هو البيت الوحيد الذى يفقد فيه صاحبه أمنه؟ لأن الأنثى تقتل الذكر بعد اللقاح. والشرك بالله باتخاذ الأولياء من دونه مضيع للأمن، قال سبحانه: **﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق﴾**(٣٩).

■ ان هذه الصورة التى تذكرها الآية أصعب موقف يمر به البشر، اذ يتملكه خوف بالغ قد يفقده حياته، وقد ذكر العلماء أن الذى يسقط من مكان عال قد يموت قبل أن يصل الى الأرض وسبب وفاته الصدمة العصبية.

فالآية اذن تشبه الخوف الذى يحل بالمشرك بسبب تركه بخوف ذكر العنكبوت فى بيته، والوهن هنا الذى ذكرته الآية هو الوهن فى العلاقة الأسرية.

وشاهد اخر، قوله تعالى: ﴿ولبثوا فى كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا﴾(٤٠).

■ ان الآية وهى تقدم لنا أخبار أهل الكهف، تبين عدد السنين التى مكثوها بعد أن ظنوا انهم لبثوا يوما أو بعض يوم. وقد قدمت الآية حقيقة فلكية، عظيمة الشأن، لم تصغ صياغة علمية لكن دل عليهـا النـظم القـرآن وهـو آية أخرى فى حد ذاته. فلم اختارت الآية هذا التعبير: **﴿وازدادوا تسعا﴾** دون **﴿ثلاث مائة سنين وتسعا﴾**؟!، ان الحاسة العلمية الواعية عند عالم الفلك المسلم تقـرر أن وراء هذه الصياغة حقيقة عجيبة هى أن ٣٠٩ سنة بالتقويم القمرى تساوى بالضبط ٣٠٠ سنة بالتقويم الشمسى، وهذا أمر لم يعرفه الفلكيون الا أخيرا، أن الفرق بين السنـة القمـرية والشمسية فرق دقيق فيه السنوات والشهور والأيام والساعات والدقائق،

وكسور الدقائق والثوانى، واذا ضربته فى ثلاثمائة ستكون النتيجة تسع سنوات كاملة.
■ ان هذه الحقيقة جاءت عرضا فى السياق، ولم تكن مقصودة لذاتها.

وثمة شاهد ثالث:

وهو قول الله تعالى: **﴿ألم تر أن الله يزجى سحابا، ثم يؤلف بينه، ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله، وينزل من السماء من جبال فيها من برد، فيصيب به من يشاء، ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار يقلب الله الليل والنهار، ان فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار﴾**.

■ هذه الآية تقدم مشهدا من مشاهد الكون، دالا على عظمة الله وقدرته فى خلقه، وهذا المشهد يتمثل فى ظاهرة السحب الركامية التى ينشأ من احتكاكها البرق، ويتساقط منها البرد، وأن من يسير فى قلب هذه السحب قد يفقد الابصار بصفة مؤقته.

والغريب أن علماء الفلك لم يعرفوا هذه الحقائق عن السحب الركامية الا خلال الحرب العالمية الثانية عندما وقعت حوادث لبعض الطيارات التى تتوغل فى مناطق السحب الركامية ويرى الطيار أنه فقد الرؤيا.

وصدق الله العظيم اذ يقول: **﴿وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾**.

المعارف العلمية فى القرآن نابعة من خصيصة قرآنية هى أن القرآن الكريم كتاب حق.

شاهد رابع:

يقول الله تعالى: **﴿وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا﴾**.

■ ان الدلالة الأصلية للآية تكشف عن قيمة قراءة القرآن عند الفجر وما تمنحه للقارىء من جرعة ايمانية، ولا عجب فهى قراءة تشهدها الملائكة الذين يتعاقبون فى صلاتى العصر والفجر كما جاء فى الحديث الصحيح الذى يرويه البخارى.

لكن الحس العلمى يدرك وراء ذلك شيئا آخر، ولا حرج عليه، لأن ادراكه خطوة هامة على طريق دعم الايمان.

لقد أثبتت البحوث العلمية أن أعلى نسبة لغاز الاوزون فى الجو تكون عند الفجر، وتقل تدريجيا حتى تضمحل عند طلوع الشمس، وهذا الغاز مفيد للجهاز العصبى، ومنشط للعمل الفكرى والعضلى، كما أن أشعة الشمس عند شروقها قريبة من اللون الأحمر، المثير للأعصاب، والباعث لليقظة والحركة، ونسبة الأشعة فوق البنفسجية تكون أكبر ما يمكن عند الشروق، وهذه الأشعة تحرك الجلد لصنع فيتامين (د).

كما ثبت أن أعلى نسبة (للكورتوزون) تكون فى الصباح، وتنخفض تدريجيا فى المساء، ومن المعلوم طبيا أن الكورتزون يزيد السكر فى الدم، وبذلك تتولد الطاقة اللازمة والضرورية للحيوية والنشاط اليومى.

■ هذه استنتاجات لعلماء الطب لا نستطيع أن نقول انها كانت مقصودة رأسا فى الآية الكريمة، وانما المقصود الاصلى من الآية، هو الالتزام بما فيها من توجيه، مع اليقين الكامل بأن ما وراء الأمر الالهى من دلالات جانبية، أو ما يؤدى الى تنفيذه من وسائل حقائق علمية لا ريب فيها.

شاهد خامس:

قال الله تعالى: **﴿فأجاءها المخاض الى جذع النخلة، قالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت**

نسيا منسيا، فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا﴾.

الآية الكريمة تصف الحالة النفسية لمريم رضى الله عنها عند المخاض، وقد أحاطت بها آلام قاسية؟ اذ كيف تواجه بنى اسرائيل بمولودها، وهى تعرف قسوة ألسنتهم الباغية، وهنا يسر الله تبارك وتعالى لها ما يذهب عنها احساسها الأليم.

■ وهنا يلتقط الحس العلمى حقيقة طبية، لم يتوصل إليها العلم إلا فى العصر الحاضر، هذه الحقيقة تتمثل فى ثمار النخيل، لقد تبين من الأبحاث والتجارب الطبية التى أجريت على ثمار النخيل أنها تحوى مادة قابضة للرحم، تقوى عمل عضلات الرحم فى الأشهر الأخيرة للحمل، فتساعد على الولادة، وتقلل عمليات النزف بعد الولادة، كما أن الرطب يحتوى على كمية كبيرة من سكر الكلوكوز، مصدر الطاقة الأساسية للعضلات وخصوصا عضلات الرحم التى تتعرض لاجهاد كبير أثناء الولادة، كما لانه مادة ملينة تنظف القولون، فتسهل عملية الولادة.

شــاهد ســادس:

يقول الله تعالى: ﴿حملته أمه كرها ووضعته كرها، وحمله وفصاله ثلاثون شهرا﴾.

تصف الآية ما تبذله الأم من معاناة فى سبيل ولدها، مما يتطلب البر بها، ورعاية حقوقها لكن الآية تسوق فى خلال هذه القيمة الخلقية والانسانية والاجتماعية حقيقة علمية تعد سبقا بارزا فى مجال الطب، ذلك أن هذه الآية لو وضعنا بجانبها الآية الأخرى من سورة البقرة وهى قوله تعالى: ﴿والـوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾. نصل الى أن مدة الحمل هى ستة أشهر على الأقل، بعد استبعاد العامين من مدة الحمل والفصال.

وهذا أمر لم يدركه البحث الطبى الا أخيرا، لقد قدرت المنظمة الصحية العالمية أن أقل مدة للحمل هى ستة أشهر، وهى أقل مدة للحمل يمكن أن يبقى الجنين بعدها حيا، فالولادة قبلها تسمى اسقاطا، والجنين يكون ميتا، وهى المدة المعتمدة الآن قانونيا فى جميع محاكم الدول العالمية.

وغير ذلك من الشواهد كثير، تؤكد ما قررته من ضوابط هى أن القرآن كتاب هداية والهداية القرآنية تساعد من خلالها حقائق ثابتة نستنتج منها السبق العلمى بطريق التتبع.

الحقائق العلمية فى القرآن الكريم جاءت فى أسلوب متميز يعطى الانسان ما يقنعه ويمنحه اليقين فى كل عصره

أسلوب الحقائق العلمية فى القران

جاءت الحقائق العلمية فى القرآن على نحو من الصورة التى شرحتها، وذكرت مداها فى اطار الشواهد التى قدمتها، وكان ذلك فى أسلوب متميز يعطى الانسان ما يقنعه، ويمنحه اليقين فى كل عصر، وبالمقدار الذى تسعه مداركه، واكتشافاته لقوانين الحياة والكون. وهذه الشواهد التى ذكرتها قرأها المسلمون فى القرن الأول، وتدبروها وحصلوا من هداها ما يعزز الايمان فى نفوسهم، لكننا لا نستطيع أن ندعى انهم عرفوا منها من حقائق العلم ما عرفه علماء اليوم من آيات الكتاب العزيز.

فالآية من سورة النــور التى وصفت بدقـة السحب الـركـامية بصـورة أذهلت الفلكيين المعاصرين، عرف منها القوم(*) فى عصر البعثة أنها دلالة على تغيرات جوية ضارة كما قال سبحانه:

﴿وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم﴾(٤٩).

فالصيانة القرآنية للحقائق العلمية صياغة عامة تتيح للمتدبر فى كل عصر حظا معينا من المعرفة الهادية بقدر استعداده، للنظر فى قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن المحيض قل هو أذى، فاعتزلوا النساء فى المحيض، ولا تقربوهن حتى يطهرن﴾(٥٠).

فذكرت الآية أن الجماع أيام الحيض أذى، وتتحدد أبعاد هذه الأذى بتطور علوم الانسان ومعارفه، والانسان فى كل طور يجد فى هذا التعبير ما يغنيه ويكفيه.

ومن اجل هذا يكون من غير الوارد على الاطلاق القول بأن القرآن الكريم يقدم حقائق علمية لم يتـأهل لها القوم، وانما الصحيح أن يقال ان ذلك يعد تأكيدا لامتداد مهمة الهداية القرآنية بامتداد الزمن وامتداد مصارف البشر، ونهائهم العلمى بطريقة حاسمة وقاطعة.

■ ان القرآن الكريم كتاب للحياة ومنهج للأحياء يعالج كل حاجات البشر، كما قال سبحانه: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾(٥١).

ومن هنا فالآية القرآنية ذات حيوية لا تذبل ولا تخبو، وهى مستمرة فى هدايتها، كما أنها أيضا مستمرة فيها تملكه من أسباب الالزام، والافحام.

اننا نستطيع أن نقول ان المعارف العلمية فى القرآن نابعة من خصيصة قرآنية هى أن القرآن الكريم كتاب حق، فليس فيه سوى الحق سواء فى مجال الوسائل ام المقاصد.

القرآن الكريم منبع المعارف



كان نزول القرآن الكريم بجانب ما يحتويه من معارف شتى تتصل بسنن الكون وقوانين الحياة، تتكشف أسرارها للبشر حينا بعد حين باعثا لقيام حركة علمية متعددة المجالات، متنوعة الميادين.

فقد كان آية رائعة فى لغته، ومن هنا تحرك العديد من العلماء إلى وضع قواعد لأبنية الكلمات، وقواعد للتراكيب والاعراب حتى لا يقع القارىء المسلم فى أى خطأ منها: نحويا، أو صرفيا، وهو يتدارس الكتاب العزيز، فالذين فكروا فى وضع قواعد النحو والصرف كان الباعث لهم: صون اللسان عن الخطأ فى الكتاب العزيز.

والعلماء الذين فكروا فى وضع مقاييس للبلاغة العربية، كان الحافز لهم على بذل هذا الجهد هو: الكشف عن أبعاد المعجزة القرآنية، وروعة آيتها.

والعلماء الذين توفروا على العلم التجريبى، فى مجالاته المختلفة، من طب وفيزياء وكيمياء وصيدلة ونحوها من أمثال ابن سينا، وأبى القاسم الزهراوى وجابر بن حيان، والحسن بن الهيثم، اتجهوا الى هذه العلوم بتأثير الكتاب العزيز الذى حرك هذه الأمة الى البحث والدرس والنظر فى ملكوت السموات والأرض، وأدركوا بصدق النظر وسعة العقل، أن الهداية القرآنية جاءت فى إطار من الحقائق العلمية، التى يستحيل نقضها فى يوم من الأيام، لأنها من لدن حكيم خبير الذى خلق كل شىء، وهو على كل شىء وكيل.

■ ومن هنا فالآية القرآنية مستمرة، مهما تقدم الانسان فى مجال العلم، واتسعت كشوفه لقوانين الكون، وسنن الحياة، وابتكر ما ابتكر من آلات تروع وتدهش، فإنه عندما يكون بصدد الكتاب العزيز ـ ان كان مؤمنا ـ ازداد إيمانا على إيمانه، ورسخ فى الأعماق يقينه، وإن كان معاندا أو مكابرا

فإنه سيجد فى القرآن الكريم ما يفحمه ويلزمه، ويكشف ضلال سعيه وفساد حجته.

■ **وتبقى ضوابط اخرى للبحث عن الحقائق العلمية فى الكتاب نحصرها بايجاز فيا يلى:**

١ - ادراك ابعاد الدلالة للفظ القرآنى، والا وقع الباحث فى اوهام كثيرة، تغض من شان المهمة الجليلة التى يتصدى لها.

٢ - دراسة اسرار النظم القرآن، وفهم علاقات التركيب فى الكتاب العزيز، حتى تكون النتيجة التى يخلصَ منها ادنى الى الصواب.

٣ - الوضوح، ويسر التناول، والبعد عن التكلف، الذى يحمل الآيات من الدلالات فوق ما تحتمل.

٤ - لابد ان نضع فى الحسبان ان العناية بالبحث فى هذا المجال تتجه اول ما تتجه لخدمة الدعوة ومن هنا كان من الاوفق ان يقوم بهذه المهمة الواعون من حملة الثقافة الاسلامية، ورواد العلم والمعرفة فى ميادينها، حتى اذا قام بهذه المهمة من هو غير دارس للمعارف الاسلامية كان لابد ان يتابعه فى بحثه احد اعلام الفكر الاسلامى.

الهوامش

(١) بل هو دقيق كل الدقة، وهو العبارة الدقيقة الصحيحة عن الدلالات التى تضمنتها آيات التحدى.. ﴿قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ (الاسراء/٨٨) ﴿فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين. فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا﴾ (البقرة/٢٣-٢٤).

(٢) أجل لكن كيف؟ وبم يثبت عجزهم هذا؟ بالآية والمعجزة لا ريب! (ابراهيم الخولى).

(٣) العنكبوت/٥٠.

(٤، ٥، ٦) الاعراف/١٠٦، ١٣٢، ٧٣.

(٧) لكن هل عدم وجوده يعنى خطأه، أو حظر استخدامه. (الخولى)

(٨) فى عصر الرسالة وبعدها، والزمن لا يبطل الآيات أو المعجزات لأنها تخرج عن السنن الكونية المعتادة فلا سبيل الى محاكاتها ولا الى معارضتها، وقصارى العلم انه يقرب لعقول الناس امكان وقوعها.

(٩) لا تنقلب الآية او المعجزة الى أمر معتاد، وكونها موقوته بعصرها ليس لهذا السبب وانما لسبب آخر هو أنها حسية يتوقف اعجازها والالزام بها على مشاهدتها أو تصديق من اخبر بمشاهدتها.

(١٠) لم يكن باعثهم على طلب الآيات الحسية تصورهم انها اقوى.. وانما كان الدافع العناد والمكابرة والتفلت من الزام المعجزة.

(١١) الاسراء/٩٣.

(١٢) العنكبوت/٥٠.

(١٣) كلمة الاعجاز فرضت نفسها؟

(١٤) سورة المجادلة/١١.

(١٥) سورة العلق/١-٥.

(١٦) هذا لفظ مسلم وهو عنده فى الذكر باب ١١ ح ٢٦٩٩، وذكره البخارى تعليقا فى ترجمة الباب ١٠ من كتاب العلم، ورواه أبو داود فى العلم باب ١، والترمذى فى العلم، وابن ماجه فى المقدمة - الهيئة).

(١٧) يونس/١٠١.

(١٨) الذاريات/ ٢٠، ٢١.

(١٩) الروم/٨.

(٢٠) الغاشية/١٧-٢٠

(٢١) ق: ٦ - ٨.

(٢٢) سورة لقمان/١١.

(٢٣) سورة يونس/٢٧.

(٢٤) سورة فاطر/٢٨.

(٢٥) سورة الحج/٧٤.

هوامش

(٢٦) سورة الزمر/٩.

(*) التأمل والتدبر والتفكر: هي المدخل للايمان، وليس الكشف عن اسرار الكون بوساطة البحث العلمي شرطا للايمان الصحيح، ولا شرطا لليقين، ولو طردنا هذا المبدأ لا نحصر الايمان الصحيح او اليقيني في الباحثين (علميا) عن الاسرار الكونية.. وليس الامر كذلك.

(٢٧) سورة آل عمران/١٨.

(٢٨) حديث متفق عليه.

(٢٩) سورة الزمر/٦٤.

(٣٠) سورة ق/٣٧.

(*) هذا الحديث ليس في الصحيحين، بل رواه ابن ماجه وابن عبد البر والبيهقي وابن الجوزي في العلل المتناهية، وهذا الحديث ضعيف، وقال البيهقي: هذا حديث متنه مشهور واسناده ضعيف. الهيئة).

(٣١) سورة الاعراف/١٧٩.

(٣٢) سورة الملك/ ١٠، ١١.

(٣٣) سورة المائدة /٦.

(٣٤) انظر قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين أمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾ (سورة المائدة/٩٠).

(٣٥) سورة الاسراء/٩.

(٣٦) سورة البقرة/٢.

(٣٧) سورة المائدة/١٥و١٦.

(*) لا يظهر وجه الدلالة هنا، وقد يستغنى عن هذه الفقرة. (الخولي).

(٣٨) سورة العنكبوت/٤١.

(٣٩) سورة الحج/٣١.

(٤٠) سورة الكهف/٢٥.

(٤١) سورة النور/٤٣، ٤٤.

(٤٢) سورة فصلت/٤١، ٤٢.

(٤٣) سورة الاسراء/٧٨.

(٤٤) هو عند البخاري في المواقيت باب١٦ ح٥٥٥، ومسلم في المساجد باب٣٧ ح ٣١٠، والنسائي في الصلاة باب٢١ - الهيئة.

(٤٥) سورة مريم /٢٣-٢٥.

(٤٦) سورة الاحقاف /١٥.

(٤٧) سورة البقرة /٢٣٣.

(٤٨) انظر فيما ذكرناه حول الشواهد السابقة: الاسلام والطب الحديث للدكتور عبد العزيز باشا اسماعيل، وكتاب حوار مع صديقي الملحد للدكتور مصطفى محمود، ومدة الحمل من الناحية الفقهية والقانونية للدكتور/عبد الرازق حمامي.

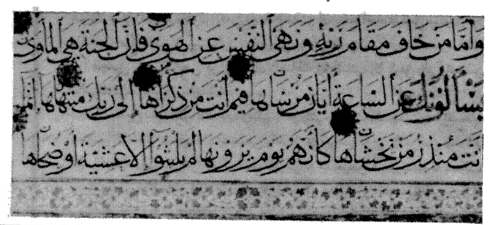
(٤٩) سورة الطور/٤٤.

(٥٠) سورة البقرة/٢٢٢.

(٥١) سورة النحل/٨٩.

(*) ولكن المؤمنين يستبشرون بنعمة الله، قال تعالى: ﴿فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون﴾ الروم/٤٨.





الاستشفاء بالقرآن الكريم

■ القرآن الكريم كتاب الله الخالد، وذكره المبارك، فصلت آياته، وبينت أحكامه، أنزله الله عز وجل صراطا مستقيما، وطريقا قاصدا لا عوج فيه، وجعله رحمة للعالمين، ومحجة للسالكين، وحجة على الخلق أجمعين، ومعجزة باقية على وجه الدهر لنبيه ﴿ﷺ﴾. من اهتدى بهديه فاز، ومن أعرض عنه هلك، وصفه منزله سبحانه بأنه نور يقى من الظلمة، وهدى يعصم من الضلالة، وشريعة فيها تفصيل كل شىء.

وقال عنه فى غير ما آية إنه شفاء وهدى ورحمة:

* **﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾** (الاسراء: ٨٢)

* **﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾** (يونس: ٥٧)

* **﴿. . قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء . .﴾** (فصلت/ ٤٤).

وسر هذا القرآن ومعجزته أنه شفاء لأمراض الأبدان وأمراض الأرواح فى آن، والناظر فى هذا الكتاب نظر المستبصرين يجد فيه آثار رحمة الله بخلقه وعنايته بهم فما من داء من أدواء الأبدان أو النفوس أو العقول إلا وفى القرآن منه شفاء ووقاء، ويكفى أن تستعرض جملة من نجوم هذا الكتاب المعجز لتكون من هذا الكلام على ثلج.

تأمل حكمة الله سبحانه فى تحريم الخمر والميتة والخنزير وإتيان النساء فى زمن المحيض أو فى غير مكان الحرث، وانظر الى الفوائد البدنية والنفسية للوضوء والاغتسال وأخذ الزينة عند كل مسجد، وأنعم النظر فى الأمر بالرضاعة حولين كاملين وفى عدة النساء وفى الأمر بالصلاة والصوم والزكاة والحج.

تأمل فى هذا وغيره لتعلم أن هذا الكتاب شفاء ورحمة. . وهذا غيض من فيض مما جاء به هذا القرآن العظيم.



■ وقد كان صحابة النبى ﴿ﷺ﴾ يستشفون بالقرآن وينشدون فيه الدواء لأدوائهم: أدواء القلوب وأدواء الأبدان على السواء، وكان النبى ﴿ﷺ﴾ يعلم منهم ذلك فيرضاه لهم ولا ينكره عليهم ويقول: «من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل»(١) ويقول: «اعرضوا علىّ رقاكم لا بأس بالرقى ما لم يكن بها شرك»(٢).

فجعل رقى المريض من الأعمال الصالحة ولم يستثن إلا الرقى التى تتضمن الاشراك بالله.

وعلمنا من سنته صلى الله عليه وسلم ما هو أكثر من ذلك فقد حدث عنه أصحابه أنه صلى الله عليه وسلم كان يستشفى بالقرآن مما يعرض له من الأمراض فقد كان عليه الصلاة والسلام بشرا كسائر البشر يعرض له ما يعرض لهم ويصيبه ما يصيبهم من الأمراض والاسقام كان عليه الصلاة والسلام يوعك أي تصيبه الحمى، وكان يوعك وعكاً شديدا وجاء أنه لدغ وأصابه السم وغيره، ولذلك كان يلجأ إلى ربه فى

د. عبد الله بن سعفان اللحياني
جامعة ام القرى ـ كلية الدعوة

طلب الشفاء بدعائه والضراعة اليه والاستشفاء بكلماته المباركة، صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

١ - أخرج البخاري فى صحيحه(٣) عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﴿ﷺ﴾ كان ينفث على نفسه فى المرض الذى مات فيه بالمعوذات، فلما ثقل كنت أنفث عليه بهن وأمسح بيده نفسه لبركتها.

ودلالة هذا الحديث ظاهرة فى جواز الاستشفاء بالقرآن الكريم وقد بوب له البخاري بقوله: باب الرقى بالقرآن والمعوذات.

قال ابن التين: الرقى بالمعوذات وغيرها من أسماء الله هو الطب الروحاني إذا كان على لسان الأبرار حصل الشفاء بإذن الله تعالى، فلما عز هذا النوع نزع الناس إلى الطب الجسماني وتلك الرقى المنهي عنها التى يستعملها المعزم وغيره ممن يدعى تسخير الجن له فيأتى بأمور مشتبهة مركبة من حق وباطل(٤).... الخ

وقال الحافظ ابن حجر فى الفتح ١٠/١٩٧: «قوله (فى المرض الذى مات فيه) ليس قيداً فى ذلك وإنما أشارت عائشة إلى أن ذلك وقع فى آخر حياته وأن ذلك لم ينسخ».

٢ - أخرج البخارى أيضا فى صحيحه(٥) «عن أبى سعيد الخدري رضى الله عنه أن ناساً من أصحاب النبى ﴿ﷺ﴾ **أتوا على حي من أحياء العرب فلم يقروهم، فبينما هم كذلك إذ لدغ سيد أولئك فقالوا: هل معكم من دواء أو راق؟ فقالوا: إنكم لم تقرونا ولا نفعل حتى تجعلوا لنا جعلا، فجعلوا لهم قطيعا من الشاء فجعل يقرأ بأم القرآن ويجمع بزاقه ويتفل فبرأ فأتوا بالشاء فقالوا: لا نأخذه حتى نسأل النبى ﴿ﷺ﴾ فسألوه فضحك وقال: وما أدراك أنها رقية؟ خذوها واضربوا لى بسهم»**.

﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾
(الاسراء/٨٢)

■ فى الحديث دلالة ظاهرة على أن فى فاتحة الكتاب شفاء من لدغ الهوام وذوات السموم. وعلى جواز أخذ الأجرة على المعالجة بالقرآن الكريم.

وفى القرآن شفاء لأمراض العين والسحر وبعض أنواع الصرع الناجمة من مس الجن والشياطين وليس من المبالغة أو التهويل إن قلنا إن أنفع علاج لهذه الامراض هو القرآن.

وأعرف أن فى الناس من لا يؤمن بهذا الحديث، ويراه ضرباً من الاساطير ومن محالات العقول، ويقول عنه كما قال الأول: حديث خرافة يا أم عمرو!.

وأعلم كذلك أن نفرا من خواص العلماء وفضلائهم ينفرون من هذا الحديث ويأبونه أشد الاباء ويرون فيه نوعاً من الايغال فى الشعبذة وضرباً من الاسترسال مع مالا يعقل ورجوعاً إلى مخلفات العهود البائدة، ويعتقدون مخلصين أن ليس فى القرآن ولا فى السنة أدنى إشارة إلى هذه القضايا وأن ما يتناقله الناس من هذا القصص إن هو إلا محض خيال أو اختلاق.

■ ومن هؤلاء الجملة من يؤمن بالسحر وبالعين ولا يؤمن بمس الشياطين وصرعهم وتلبسهم بالادميين وحجتهم فى هذا كحجة من قبلهم.

وأعلم أيضا أن قوماً آخرين ممن فتنوا بعصر الفضاء والذرة وليسوا من الفضاء والذرة فى قليل ولا كثير لا يسيغون هذا الحديث ولا يطيقونه ويشق عليهم أن يوجد فى هذا العصر من لا يزال يصدق بهذا الذى يرونه أمراً منكرا وإفكا مبينا، وتراهم ينظرون إلى قائله وناقله والمتحدث به بعين المقت والازدراء تارة، وبعين الاشفاق والحسرة تارة أخرى، وما لهم من حجة فى إنكارهم إلا أننا فى عصر الفضاء والذرة وتلك أساطير الأولين وحكايات العجزة والقاصرين.

أعرف هذا كله وأنا أكتب فى الاستشفاء بالقرآن الكريم من هذه الأدواء، ولست بحمد الله

فى ريب مما أقول ولا فى شك مما أكتب، وما علي أن ينكر بعض الناس حقيقة كحقيقة السحر وأنا أسمع الله تعالى يقول فى كتابه: ﴿**وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق**﴾.

وحقائق الكون والتاريخ تشهد بوقوع السحر فى كل زمان ومكان، وقد كان لقدماء المصريين اشتغال عظيم بالسحر وكذلك اليونان والهنود والعرب والزنوج وغيرهم.

■ وما علي كذلك أن ينكر بعض الناس العين والمس الشيطانى وأنا أجد فى كتاب الله: ﴿**الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس**﴾ (البقرة/ ٢٧٥).

وأجد فى سنة النبى ﴿ﷺ﴾ أن العين حق وأنه كان يأمر بالاسترقاء من النظرة.

■ ولن تتأخر أبحاث الفضاء فى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وغيرهما إن آمن الناس عندنا بوقوع السحر وصرع الشياطين كما أنها لن تتقدم - فيما يبدو - إن نحن أنكرنا هذا الأمر.

ولن تصادم كلمات الله سننه وقوانينه فى الكون إذ كل من عند الله، ولا نشكوا فى شريعتنا من ذلك الخصام النكد بين العلم والدين كما هو الأمر عند أهل الكتاب.

■ وهناك مقولة طالما رددها بعض الناس وسرت عند بعضهم مسرى الحقائق والمسلمات، وهي أن الحديث عن السحر والجن والشياطين لا يشيع إلا فى أوساط المسلمين أو فى العالم الثالث وأن الدول المتقدمة لا يعرف أهلها هذا النوع من الحديث ولا يشتكى أهلها من السحر والعين والجن.

وهى مقولة يكفى فى ردها أن تنظر فى شىء من قصص القوم وآدابهم لترى أن عند القوم سحرا أعظم من سحرنا وجنا أعجب من جننا وخرافة لم تعرفها أم عمرو.



■ فانظر ما كتبه شكسبير فى العاصفة The Tempest وما كتبه Haw thorne فـى Young Good Man Brown وغير ذلك كثير كثير فى آداب القوم.

■ ولقد حدثنا بعض إخواننا الذين أمضوا شطرا من حياتهم فى الولايات المتحدة أن القوم هناك يؤمنون بهذا الأمر ولا يجدون فى ذلك أدنى حرج، وأن بعض رجال الدين عندهم يقوم بمعالجة من مستهم الشياطين أو أصيبوا بالسحر برقى معينة وعزائم موروثة!!

علاج السحر من القرآن:

مما ذكره أهل العلم(٦) فى العلاج من السحر ان تؤخذ سبع ورقات من سدر أخضر فتدق ثم تضرب بالماء ويقرأ فيها آية الكرسي والقواقل (الكافرون والاخلاص والمعوذتين) ثم يحسو منه المريض ثلاث حسوات ثم يغتسل به. وقالوا هو جيد للرجل إذا حبس عن أهله.

وهذا هو الذى يسميه العلماء بالنشرة وقال بجوازه جماعات من العلماء إذا كانت بالقرآن ومن منعها منهم فإنما منع النشرة بالسحر ونحوه مما حرمه الله.. وقد سئل الامام أحمد عمن يطلق السحر عن المسحور فقال: لا بأس به.

■ ومما ورد فى حل السحر(٧) ما رواه بن أبى حاتم وأبو الشيخ عن ليث بن أبى سليم قال: بلغنى أن هؤلاء الآيات شفاء من السحر بإذن الله تقرأ فى إناء فيه ماء ثم تصب على رأس المسحور الآية

التى فى يونس ﴿فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين.. الى قوله: ﴿ولو كره المجرمون﴾ (يونس/ ٨٢،٨٣) وقوله: ﴿فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون﴾ (الاعراف/١١٨) إلى آخر أربع آيات، وقوله ﴿إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾ (طـه/٧٠).

ومن أعظم ما يعالج به المسحور قراءة سورة الفاتحة والمعوذات وآية الكرسي وكذلك سورة البقرة فقد جاء عن النبى ﴿ﷺ﴾ قوله «عليكم بسورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة»(٨) والبطلة السحرة فى قول بعض العلماء.

.. سر هذا القران فى معجزته الخالدة.. ومن هذا المنطلق فهو شفاء لما فى الصدور، وراحة للنفوس، وشفاء للابدان والارواح.. والناظر فى القران الكريم نظر المستبصر يجد فيه اثار رحمة الله سبحانه بخلقه وعنايته بهم، روحًا وعقلا.. قلبًا وقالبًا.

عــلاج العــين:

روى البخارى(٩) عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﴿ﷺ﴾ قال: «العين حق..»

وأخرج مسلم(١٠) عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﴿ﷺ﴾ قال: «العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين وإذا استغسلتم فاغسلوا».

واخرج مسلم(١١) عن أبى سعيد «أن جبريل أتى النبى ﴿ﷺ﴾ فقال: يا محمد اشتكيت فقال: نعم قال باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك من شر كل نفس أوعين حاسد الله يشفيك باسم الله أرقيك».

واخرج البخاري فى صحيحه عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: أمرنى النبى صلى الله عليه وسلم أو أمر أن يسترقى من العين.

وأخرج مسلم فى صحيحه(١٢) فى الطب والرقي عن أنس رضى الله عنه قال: رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الرقية من العين والحُمَة والنملة.

ودلالة هذه الأحاديث بينة على أن العين حق وعلى مشروعية الاسترقاء منها، والحديث الأخير فيه مشروعية الاسترقاء من الحُمَة والنملة.

والحُمَة بضم الحاء المهملة وفتح الميم المخففة: السم، والنملة: قروح تخرج فى الجنب. والمعنى أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ أذن فى الرقية من ذات السم والنملة(١٤).

ولا ريب أن رقى الصحابة لم تكن بشيء سوى القرآن أو أسماء الله وصفاته.

ومما تعالج به العين الفاتحة والمعوذات وآية الكرسى والرقى النبوية.

وفى السنة الشريفة علاج آخر للعين وهو اغتسال العائن، قال الحافظ ابن حجر فى الفتح ١٠/ ٢٠٤ وقد وقعت - أي صفة الاغتسال فى حديث سهل بن حنيف عند أحمد والنسائى وصححه ابن حبان من طريق الزهري عن أبى أمامة أن أباه حدثه أن النبى ﴿ﷺ﴾ خرج وساروا معه نحو ماء حتى إذا كانوا بشعب الخرار من الجحفة اغتسل سهل بن حنيف وكان أبيض حسن الجسم والجلد فنظر إليه عامر بن ربيعه فقال: ما دأيت كاليوم ولا جلد مخباة فلبط - أى صرع وزنا ومعنى - سهل فأتى رسول الله ﴿ﷺ﴾ فقال: هل تتهمون به من أحد؟ قالوا: عامر بن ربيعة، فدعا عامرا فتغيظ عليه فقال: علام يقتل أحدكم أخاه؟ هلا إذا رأيت ما يعجبك بركت ثم قال: اغتسل له فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة إزاره فى قدح ثم يصب ذلك الماء عليه رجل من خلفه على رأسه وظهره ثم يكفأ القدح ففعل به ذلك فراح سهل مع الناس ليس به بأس.

وقال النووي(٢٠) في صفة وضوء العائن عند العلماء أن يؤتى بقدح ماء ولا يوضع القدح فى الأرض فيأخذ منه غرفة فيتمضمض بها ثم يمجها فى القدح ثم يأخذ منه ماء يغسل وجهه ثم يأخذ بشماله ماء يغسل به كفه اليمنى ثم بيمينه ماء يغسل به مرفقه الأيسر ولا يغسل ما بين المرفقين والكعبين ثم يغسل قدمه اليمنى ثم اليسرى على الصفة المتقدمة وكل ذلك فى القدح ثم داخلة إزاره وهو الطرف المتدلى الذى يلى حقوه الأيمن وقد ظن بعضهم أن داخلة إزاره كناية عن الفرج وجمهور العلماء على ما قدمناه فإذا استكمل هذا صبه من خلفه على رأسه.

■ قال القاضى عياض: «فى هذا الحديث (العين حق) من الفقه ما قاله بعض العلماء أنه ينبغى إذا عرف أحد بالاصابة بالعين أن يجتنب ويتحرز منه، وينبغى للامام منعه من مداخلة الناس ويأمره بلزوم بيته فإن كان فقيراً رزقه ما يكفيه ويكف اذاه عن الناس فضرره أشد من ضرر آكل الثوم والبصل الذى منعه النبى ﴿ﷺ﴾ دخول المسجد لئلا يؤذى المسلمين ومن ضرر المجذوم الذى منعه عمر رضى الله عنه والعلماء بعده الاختلاط بالناس ومن ضرر المؤذيات من المواشى التى يؤمر بتغريبها إلى حيث لا يتأذى به أحد وهذا الذى قاله صحيح متعين ولا يعرف عن غيره تصريح بخلافه.. والله أعلم(١٦).

«القرآن الكريم، نور يهدي من الظلمة، وهدي يعصم من الضلالة وشريعة فيها تفصيل كل شيء»

علاج مس الجن وصرعهم من القرآن:

■ اخرج البخارى(١٧) عن عطاء بن أبى رباح قال: قال لى ابن عباس ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى قال: هذه المرأة السوداء أتت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت: إنى أصرع وإنى أتكشف فادع الله لى قال: إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت الله أن يعافيك، فقالت: أصبر، فقالت: إنى أتكشف فادع الله لى أن لا أتكشف فدعا لها.

ثم روى عن عطاء أنه رأى أم زفر تلك المرأة الطويلة السوداء على ستر الكعبة.

أقول: اسم هذه المرأة السوداء سعيرة ـ مصغراً ـ الأسدية كما فى الفتح ١١٥/١٠ وتكنى بأم زفر ـ بضم الزاي وفتح الفاء ـ والصرع الذى بها بسبب المس الشيطانى للأدلة الآتية:

●● جاء فى بعض روايات الجامع الصحيح أن هذه المرأة السوداء قالت: «إن بى المؤتة» قال ابن حجر: هو بضم الميم بعدها همزة ساكنة: الجنون. وأخرجه ابن مردويه فى التفسير من هذا الوجه فقال فى روايته: «إن بى هذه المؤته يعنى الجنون».

●● جاء فى رواية البزار(١٨) لهذا الحديث أن المرأة قالت إنى أخاف الخبيث أن يجردنى فدعا لها فكانت إذا خشيت أن يأتيها تأتى أستار الكعبة فتتعلق بها.

●● أخرج ابن عبد البر فى الاستيعاب(١٩) عن طاووس قوله: «كان النبى صلى الله عليه وسلم يؤتى بالمجانين فيضرب صدر أحدهم فيبرأ فأتى بمجنونة يقال لها أم زفر فضرب صدرها فلم تبرأ.».

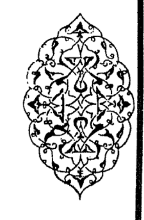
●● ترجمة الامام البخارى على الحديث باب فضل من يصرع من الريح تدل على المراد إذ المقصود بالريح المس فإنه يسمى بذلك قال أبقراط فى علاج المصروع: «هذا إنما ينفع فى الذى سببه أخلاط وأما الذى يكون من الأرواح فلا(٢٠) والمشتغلون بعلاج الجن يسمون هذا النوع ريحا.

●● رواية ابن منده للحديث فى معرفة الصحابة من طريق حنظلة بن سفيان عن طاوس فيه زيادة: «إن يتبعها فى الدنيا فلها فى الآخرة خير».

■ قال الحافظ: وقد يؤخذ من الطرق التى أوردتها أن الذى كان بأم زفر كان من صرع الجن لا من صرع الخلط.

■ وقال ابن حجر: (٢١) انحباس الريح قد يكون سببا للصرع، وهي علة تمنع الأعضاء الرئيسة عن انفعالها منعاً غير تام وسببه ريح غليظة تنحبس فى منافذ الدماغ أو بخار ردىء يرتفع إليه من بعض الاعضاء وقد يتبعه تشنج فى الاعضاء فلا يبقى الشخص معه منتصبا بل يسقط ويقذف بالزبد لغلظ الرطوبة وقد يكون الصرع من الجن ولا يقع إلا من النفوس الخبيثة منهم إما لاستحسان بعض الصور الانسيه وإما لايقاع الأذية به والأول هو الذى يثبته جميع الأطباء ويذكرون علاجه والثانى يجحده كثير منهم وبعضهم يثبته ولا يعرف له علاجا إلا بمقاومة الأرواح الخيرة العلوية لتندفع آثار الأرواح الشريرة السفلية وتبطل أفعالها... الخ.

■■ أخرج أبو داود فى سننه(٢٢) من طريق خارجة بن الصلت التميمي عن عمه أنه أتى رسول الله ﴿ﷺ﴾ فأسلم ثم أقبل راجعا من عنده فمر على قوم عندهم رجل مجنون موثق بالحديد فقال أهله: إنا حدثنا أن صاحبكم هذا قد جاء بخير فهل عندك شيء تداويه؟ فرقيته بفاتحة الكتاب فبرأ فأعطونى مائة شاة فأتيت رسول الله ﴿ﷺ﴾.. فقال: هل إلا هذا؟ وقال مسدد فى موضع آخر هل قلت غير هذا؟ قلت: لا، قال: خذها لعمرى لمن أكل برقية باطل لقد أكلت برقية حق.



وفى رواية أخرى عند أبى داود أنه قال: فرقاه بفاتحة الكتاب ثلاثة أيام غدوة وعشية كلما ختمها جمع بزاقه ثم تفل فكأنما أنشط من عقال فأعطوه شيئا فأتى النبى ﴿ﷺ﴾.. ثم ذكر نحو الحديث السابق.

وعزاه الشيخ الساعاتى فى الفتح الرباني ١٨٤/١٧ إلى النسائى أيضا وقال: سكت عنه أبو داود والمنذري ورجال إسناده رجال الصحيح إلا خارجة المذكور وقد وثقه ابن حبان وأخرجه (حب ك) أى ابن حبان والحاكم - وصححاه.

■■ وفى المسند ٤٤١/٢ والمستدرك ٢١٨/٤ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: جاءت امرأة الى النبى ﴿ﷺ﴾ بها لمم فقالت: يارسول الله ادع الله أن يشفينى قال: إن شئت دعوت الله أن يشفيك وإن شئت فاصبرى ولا حساب عليك، قالت: بل أصبر ولا حساب علي. وإسناده حسن.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبى.

وهذه القصة قد تكون هى التى سبق ذكرها فى حديث ابن عباس وقد تكون غيرها والله أعلم.

■■ وفى مسند احمد ٢٦٨/١ عن ابن عباس أن امرأة جاءت إلى النبى ﴿ﷺ﴾ بابن لها فقالت: إن ابنى هذا به جنون يأخذه عند غدائنا وعشائنا فيخبث علينا فمسح النبى ﴿ﷺ﴾ صدره ودعا فثع ثعة يعنى سعل فخرج من جوفه مثل الجرو الأسود.. (وإسناده حسن).

■■ وفى مسند أحمد ١٧٢/٤ عن يعلى بن مرة عن النبى ﴿ﷺ﴾ انه أتته امرأة بابن لها قد أصابه لمم فقال له النبى ﴿ﷺ﴾: اخرج عدو الله أنا رسول الله قال: فبرأ فأهدت له كبشين وشيئا من أقط وسمن فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾ يا يعلى خذ الأقط والسمن وخذ أحد الكبشين ورد عليها الآخر. (ولا بأس به بمجموع أسانيده).

■■ وفى زوائد عبد الله على مسند أبيه ١٢٨/٥ عن أبي بن كعب رضى الله عنه قال: كنت عند

النبى ﴿ﷺ﴾ فجاء أعرابي فقال: يا نبى الله إن لى أخاً وبه وجع، قال: وما وجعه؟ قال: به لمم قال: فأتنى به فوضعه بين يديه فعوذه النبى ﴿ﷺ﴾ بفاتحة الكتاب وأربع آيات من أول سورة البقرة وهاتين الآيتين وإلهكم إله واحد وآية الكرسي وثلاث آيات من آخر سورة البقرة وآية من آل عمران شهد الله أنه لا إله إلا هو وآية من الاعراف إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض. وآخر سورة المؤمنين فتعالى الله الملك الحق وآية من سورة الجن وأنه تعالى جد ربنا وعشر آيات من أول الصافات وثلاث آيات من آخر سورة الحشر وقل هو الله أحد والمعوذتين فقام الرجل كأنه لم يشتك قط.

قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٥/١١٥ رواه عبد الله بن أحمد وفيه أبو حناب وهو ضعيف وقد وثقه ابن حبان وبقية رجاله رجال الصحيح. (وقد ذكره الهيثمى فى باب رقية المجنون).

■■ روى مسلم(٢٣) عن عثمان بن أبى العاصى رضى الله عنه قال: قلت يارسول الله: إن الشيطان قد حال بينى وبين صلاتى وقراءتى فقال: إن ذلك شيطان يقال له خنزب فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك قال ففعلت فأذهب الله عنى.

واخرجه الحاكم ٤/٢١٩ وقال: صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى وهو سهو منهما.

وروى ابن ماجه(٢٤) هذا الحديث بلفظ آخر عن أبى العاصى قال: لما استعملنى رسول الله ﴿ﷺ﴾ على الطائف جعل يعرض لى شىء فى صلواتى حتى ما أدرى ما أصلى فلما رأيت ذلك رحلت إلى رسول الله ﴿ﷺ﴾ فقال: ابن أبى العاصى؟ قلت: نعم يارسول الله، قال: ما جاء بك؟ قلت: يارسول الله عرض لى شىء فى صلواتى حتى ما أدرى ما أصلى قال: ذاك الشيطان أدن فدنوت منه فجلست على صدور قدمي قال: فضرب صدرى بيده وتفل فى فمى وقال: اخرج عدو الله ففعل ذلك ثلاث مرات ثم قال: الحق بعملك. قال، فقال عثمان: فلعمرى ما أحسبه خالطنى بعد.

قال البوصيرى فى الزوائد: إسناده صحيح رجاله ثقات ورواه الحاكم وقال: هذا حديث الاسناد.

■■ وروى الطبرانى فى المعجم الكبير ٥/٢١٧ من حديث أم أبان بنت الوازع عن أبيها أن جدها انطلق إلى رسول الله ﴿ﷺ﴾ بابن له مجنون أو ابن أخت له فقال: يارسول الله إن معى ابنا لى أو ابن أخت لى مجنون أتيتك به لتدعو الله تعالى له قال: إيتنى به، قال فانطلقت به إليه وهو فى الركاب فأطلقت عنه وألقيت عليه ثياب السفر وألبسته ثوبين حسنين وأخذت بيده حتى انتهيت به إلى رسول الله ﴿ﷺ﴾ فقال: ادنه منى واجعل ظهره مما يلينى قال فأخذ بمجامع ثوبه من أعلاه وأسفله فجعل يضرب ظهره حتى رأيت بياض إبطيه ويقول: أخرج عدو الله فأقبل ينظر نظر الصحيح ليس بنظر الأول ثم أقعده رسول الله ﴿ﷺ﴾ بين يديه فدعا له بماء فمسح وجهه ودعا له فلم يكن فى الوفد أحد بعد دعوة رسول الله ﴿ﷺ﴾ يفضل عليه. (وفى سنده أم أبان لم تذكر بجرح أو تعديل).

■■ ما رواه ابن عساكر فى الثانى من كتاب الاربعين الطوال من حديث أسامة بن زيد(٢٥) قال: حججنا مع رسول الله ﴿ﷺ﴾ فى حجته التى حج فيها فلما هبطنا بطن الروحاء عارضت رسول الله ﴿ﷺ﴾ امرأة تحمل صبيا لها فسلمت على رسول الله ﴿ﷺ﴾ وهو يسير على راحلته ثم قالت: يارسول الله هذا ابنى فلان والذى بعثك بالحق ما أبقى من خفق واحد من لدن أنى ولدته إلى ساعته هذه فحبس رسول الله ﴿ﷺ﴾ الراحلة فوقف ثم اكسع لها فبسط إليها يده وقال: هاتيه

.. القران الكريم، انزله الله سبحانه طريقا قاصدا لا عوج فيه، وجعله رحمة للعالمين ومحجة للسالكين، ومعجزة باقية لنبيه، وحجة على الخلق اجمعين.

فوضعته على يدى رسول الله ﴿ﷺ﴾ فضمه إليه فجعله بينه وبين واسطة الرحل ثم تفل فى فيه وقال: اخرج يا عدو الله فإنى رسول الله ثم ناولها إياه فقال أخذيه فلن ترين منه شيئا تكرهينه بعد هذا إن شاء الله.

وقول المرأة «ما أبقى من خفق واحد» الخفق: الضرب ولعل معناه أنه كان لا يدع أذى الناس وضربهم لما به من الجنون والله أعلم، والمخفوق: المجنون(٢٦).

وقوله «اكسع لها» الكسع أن تضرب بيدك أو برجلك أو بصدر قدمك على دبر إنسان أو شيء(٢٧).

دلالة الاحاديث السابقة:

■ تدل الاحاديث السابقة على عدة أمور منها:

- إثبات أن المس الشيطاني حقيقة لا ريب فيها.
- معرفة العرب لهذا الداء وطلبهم الشفاء منه.
- بيان أن الصرع قد يكون من الجن.
- فيها أن النبى ﴿ﷺ﴾ كان يُعَالِج من مس الجان.
- فيها مشروعية الرقية بالفاتحة وغيرها من سور القرآن.
- فيها بيان لأنواع أخرى من العلاج من الجن كالضرب فى الظهر أو الصدر أو الاخذ بمجامع الثوب والتفل فى الفم.
- فيها أن المعالج يكلم الجنى المتلبس بالانسي.
- فيها أن الجنى المتلبس قد يُرَى أثناء خروجه.
- فيها أن المريض بالمس تظهر عليه آثار هذا المرض.
- فيها أن الجن قد تتعرض للرجل الصالح كما حصل للصحابى الجليل عثمان بن أبى العاص.



أقوال العلماء فى المس الشيطانى:

قال ابن تيمية فى الفتاوى ٢٤/٢٧٦ وجود الجن ثابت بكتاب الله وسنة رسوله واتفاق سلف الأمة وأئمتها، وكذلك دخول الجنى فى بدن الانسان ثابت باتفاق أئمة أهل السنة والجماعة قال الله تعالى: ﴿**الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس**﴾ وفى الصحيح عن النبى ﴿ﷺ﴾ «إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم».

وقال عبد الله بن أحمد قلت لأبى: إن أقواما يقولون إن الجني لا يدخل فى بدن المضروع فقال: يا بنى يكذبون هذا يتكلم على لسانه.

ثم قال: وليس فى أئمة المسلمين من ينكر دخول الجني فى بدن المصروع وغيره ومن أنكر ذلك وادعى أن الشرع يكذب ذلك فقد كذب على الشرع وليس من الأدلة الشرعية ما ينفى ذلك..

إلى أن قال: فمن كذب بما هو موجود من الجن والشياطين والسحر وما يأتون به على اختلاف أنواعه كدعاء الكواكب وتخريج القوى الفعالة السماوية بالقوى المنفعلة الأرضية وما ينزل من الشياطين على كل افاك أثيم فالشياطين التى تنزل عليهم ويسمونها روحانية الكواكب وأنكروا دخول الجن فى أبدان الانس وحضورها بما يستحضرون به من العزائم والاقسام وامثال ذلك كما هو موجود فقد كذب بما لم يحط به علما.

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية ١٩/١٢: أنكر طائفة من المعتزلة كالجبائى وأبى بكر الرازي وغيرهما دخول الجن فى بدن المصروع ولم ينكروا وجود الجن إذ لم يكن ظهور هذا فى المنقول عن

الرسول ﴿ﷺ﴾ كظهور هذا، وإن كانوا مخطئين فى ذلك. . ولهذا ذكر الأشعرى فى مقالات أهل السنة والجماعة أنهم يقولون: إن الجني يدخل فى بدن المصروع كما قال تعالى: **﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس﴾.**
وقال فى الفتاوى ١٩/ ٣٢ أيضا: وجماهير الأمم يقر بالجن ولهم معهم وقائع يطول وصفها. .
إلى أن قال: ومن المعروف عن بقراط أنه قال فى بعض المياه: إنه ينفع من الصرع لست أعنى الذى يعالجه أصحاب الهياكل وإنما أعنى الصرع الذى يعالجه الاطباء. . وأنه قال: طبنا مع طب أهل الهياكل كطب العجائز مع طبنا.
وقال ابن تيميه ١٩/ ٣٩: وصرعهم للانس قد يكون عن شهوة وهوى وعشق كما يتفق للانس مع الانس وقد يتناكح الانس والجن ويولد بينهما ولد، وهذا كثير معروف! وقد ذكر العلماء به وتكلموا عليه، وكره أكثر العلماء مناكحة الجن، وقد يكون وهو كثير أو الأكثر عن بغض ومجازاة مثل أن يؤذيهم بعض الانس بصب ماء حار، وإما بقتل بعضهم، وإن كان الانس لا يعرف ذلك وفى الجن جهل وظلم فيعاقبونه باكثر مما يستحقه، وقد يكون عن عبث منهم وشر بمثل سفهاء الانس.

■ وجوابا عن مشروعية معالجة من به مس الجن قال: وأما قول السائل: هل هذا مشروع؟ فهذا من أفضل الاعمال وهو من أعمال الأنبياء والصالحين، فإنه مازال الأنبياء والصالحون يدفعون الشياطين عن بنى آدم بما أمر الله به ورسوله كما كان المسيح يفعل ذلك وكما كان نبينا صلى الله عليه وسلم. . الخ كلامه.

ثم قال ١٩/ ٦٠: قد يحتاج فى إبراء المصروع ودفع الجن عنه إلى الضرب فيضرب ضربا كثيرا جدا، والضرب إنما يقع على الجني ولا يحس به المصروع حتى يفيق المصروع ويخبر أنه لم يحس بشيء من ذلك ولا يؤثر فى بدنه ويكون قد ضرب بعصا قوية على رجليه نحو ثلاثمائة أو اربعمائة ضربة وأكثر وأقل بحيث لو كان على الانس لقتله وإنما هو على الجني والجني يصيح ويصرخ ويحدث الحاضرين بأمور متعدده كما قد فعلنا نحن هذا وجربناه مرات كثيرة يطول وصفها بحضرة خلق كثيرين.

الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم والمسلمون من بعدهم كانوا يستشفون بالقرآن الكريم ويعالجون به من العين والجن والسحر

■ وقال الشبلى فى آكام المرجان ص١٠٨ نقلا عن القاضى عبد الجبار أنه قال: «ولشهرة هذه الاخبار وظهورها عند العلماء قال أبو عثمان عمرو بن عبيد: المنكر لدخول الجن فى أبدان الانس دهري أو يجيء منه دهري! قال عبد الجبار: وإنما قال ذلك لأنها قد صارت فى الشهرة والظهور كشهرة الأخبار فى الصلاة والصيام والحج والزكاة. . . الخ.
■ ومن كلام الشبلى هذا وكلام ابن تيمية تنجلى الحقائق الاتية:
١ ـ إثبات إمكانية دخول الجن فى بدن الانس وأنه أمر متفق عليه بين علماء أهل السنة والجماعة.
٢ ـ أن المعتزلة لم يتفقوا على نفي ذلك، بل منهم من أقربه كعمرو بن عبيد الذى شنع على من أنكر ذلك.
٣ ـ ليس فى الشرع ما ينفى هذا الأمر.
٤ ـ استدلال ابن تيمية بآية البقرة ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس﴾ على وقوع المس.
٥ ـ أن الاشعري ذكر أن من عقائد أهل السنة والجماعة قولهم بأن الجنى يدخل فى بدن المصروع، ومعنى هذا القول بذلك من شعار أهل السنة وإنكاره من شعار أهل البدع كالمعتزلة وغيرهم.
٦ ـ إثبات بعض الأطباء لصرع الجن كبقراط.
٧ ـ فيه بيان السبب الذى من أجله تصرع الجن الانس.
٨ ـ فيه بيان إمكانية نكاح الجن للانس وعكسه ووقوعه وأن ذلك معروف مشتهر.

٩ ـ فيه أن الأنبياء والصالحين كانوا يعالجون من صرع الجن ومنهم نبينا محمد والمسيح عليهما الصلاة والسلام .

١٠ ـ فيه بيان أن الجني يتكلم إذا أحس بالضرب من المعالج .

١١ ـ قيام شيخ الاسلام بمعالجة صرعى الجن .

■ وبعد فهذه أدلة الشرع في موضوع صرع الجن ومسهم ، أتبعتها بأقوال بعض العلماء في إثبات وقوعه وشهرته وشيوعه ، وأرجو أن يكون في هذا مقنع للمنصف والباحث عن الحق .

■ ومن مجموع ما تقدم يتبين أن في القرآن شفاء للأبدان والأرواح وأن النبي ﴿ﷺ﴾ وصحابته والمسلمين من بعدهم كانوا يستشفون بالقرآن من أمراضهم ويعالجون به من العين والجن والسحر وغير ذلك ، وليت القائمين على شؤون الطب والصحة عندنا يولون هذا الأمر ما يستحقه من الرعاية والعناية وخصوصا في مجال الطب النفسي فإن في المصحات العقلية والنفسية من مرضى السحر والعين والجن عدداً ليس بالقليل ، وانفع علاج لهؤلاء هو القرآن الكريم والرقى المشروعة ، وما يعالجون به من الحبوب المهدئة أو المخدرة أو العلاج بالكهرباء لا ينفع ولا يفيد إلا قليلا ، وماذا على المعالجين لهؤلاء لو عالجوهم بالقرآن والرقى التي أذن الله بها مع تلك الحبوب وسائر الأدوية الأخرى؟! .

■ إنها دعوة مخلصة أرفعها إلى المسؤولين والمهتمين ، وعسى أن يستجاب لها وتعيها أذن واعية .

وفقنا الله لما يحب ، وجنبنا الخطل والزلل ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد .

الهوامش

(١، ٢) رواه مسلم في الطب ١٤/١٧٦، ١٤/١٨٧ .
(٣) في كتاب الطب باب الرقى بالقرآن والمعوذات ١٠/١٩٥
(٤) انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١٠/١٩٦ .
(٥) في الطب باب الرقى بفاتحة الكتاب ١٠/١٩٨ وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الطب ١٤/١٨٨ .
(٦) انظر فتح الباري ١٠/٢٣٣ .
(٧) انظر تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ص٤٢٠ .
(٨) رواه مسلم في صلاة المسافرين ١/٥٥٣ .
(٩) في الطب باب العين حق ١٠/٢٠٣ .
(١٠) في الطب والمرض والرقى ١٤/١٧١ .
(١١) في الطب والمرض والرقى ١٤/١٧٠ .
(١٢) في الطب باب رقية العين ١٠/١٩٩ واخرجه مسلم في الطب ١٤/١٨٤ .
(١٣) في الطب ١٤/١٨٥ .
(١٤) انظر شرح النووي على مسلم ١٤/١٨٣ .
(١٥) في شرح مسلم ١٤/١٧٢ .
(١٦) شرح مسلم للنوي ١٠/١٧٣ .
(١٧) في المرضى باب من يصرع من الريح ١٠/١١٤ :
(١٨) فتح الباري ١٠/١١٥ .
(١٩) ١٣/٢٢٦ بهامش الاصابة .
(٢٠، ٢١) الفتح ١٠/١١٤ .
(٢٢) في الطب باب كيف الرقى ٤/١٣ .
(٢٣) في الطب ١٤/١٨٩ .
(٢٤) في الطب باب القرع والأرق وما يتعوذ منه ٢/١١٧٤
(٢٥) ذكر الشبلي في أكام المرجان في أحكام الجان ص١١٤ .
(٢٦) انظر لسان العرب مادة : خفق .
(٢٧) اللسان مادة كسع .



«وفى أنفسكم أفلا تبصرون»

قبسٌ من الإعجاز الطبّي في

يكتب الكاتبون ويؤلف المؤلفون ويتحدث المتحدثون عن القران ما شاء الله للجميع أن يفعلوا حتى ربت العلوم التى تخدم القران على الثمانين علما. وكل يحاول السبح فى بحار معانيه العالية والغوص وراء هدايته السامية لعل الله يفتح بفهم أسراره والسير فى أنواره.

الاعجاز العلمى

د. غريب جمعة

عضو رابطة الادب الاسلامى العالمية

ولقد أمر الله عباده أن يتدبروا آياته الكونية ليروا ما فيها من الحقائق العلمية الدالة على مبلغ الاعجاز فى آياته وجلال الابداع فى مخلوقاته ﴿قل انظروا ماذا فى السموات والأرض﴾ (يونس/ ١٠١).

■ ولقد احتفى القرآن بالعلم حفاوة لا ينقضى منها العجب حيث وردت كلمة العلم ومادتها ودلالاتها واشتقاقاتها فى حوالى ٨٧٠ آية (ثمانمائة وسبعين آية قرآنية)(١). وسوف نحاول فى هذا المقال أن نعايش القرآن الكريم فنقرأه تدبرا ونتأمله تبصرا ونسعد به تذكرا ونحمله على أحسن وجوهه ومعانيه موقنين بكل ما جاء فيه، وذلك للكشف عن وجه من وجوه اعجازه فى المجال الطبى وهو فنن من دوحة الاعجاز الغضة النضرة ذات الجنى الوافر والظل الوارف. مستعينين بالله أن نكون كمن يركب متن عمياء ليخبط بها فى بيداء خبط عشواء، سائلين إياه أن يجعلنا على نور منه وأن يضمنا إلى رحابه ونحن نتحدث عن كتابه. والقول عندنا ما قال الله: ﴿ومن أصدق من الله قيلا﴾ (النساء/١٢٢).

ومن المحال أن تتعارض آية كونية مع آية قرآنية لأن مبدع الكون المنظور ومنزل الكتاب المسطور واحد هو الله جل جلاله. وإن بدت بعض المماحكات من بعض العقول فترددت فى القبول، فإن ما يتجلى من كشف بعد كشف يبدد الأوهام ويصحح الأفهام ويؤكد أن القرآن هو الحق الثابت على مر الأيام ﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾ (فصلت/٥٤).

معنى الاعجاز:

ولسنا فى هذا المقام بمعزل عن تعريف الاعجاز بمعناه العام وهو:

«إعجاز القرآن مركب إضافى معناه لغة: إثبات القرآن عجز الخلق عن الاتيان بما تحداهم به. فهو من إضافة المصدر لفاعله والمفعول وما تعلق به محذوف للعلم به والتقدير: إعجاز القرآن خلق الله عن الاتيان بما تحداهم به ليكون فى عجزهم هذا الدليل على أن هذا القرآن من عند الله يعجز البشر عن الاتيان بمثله. فينتقل الناس من الشعور بعجزهم عن الاتيان بمثله إلى شعورهم وإيمانهم بمصدره وأنه تنزيل من الله العليم الخبير الحكيم الحميد وتصديق النبى الذى جاء به ليسعدوا باتباعه فى الدنيا والآخرة»(٢).

وهيا بنا ننظر خاشعين فى موضعين من كتاب الله لنجد طلبتنا ونبلغ غايتنا فى مجالين مختلفين هما: (مجال الغذاء والدواء ومجال العبادات).

القرآن الكريم

أولا: مجال الغذاء والدواء:

قال تعالى فى سورة مريم: ﴿فحملته فانتبذت به مكانا قصيا. فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا. فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا. وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا. فكلى واشربى وقرى عينا فإما ترين من البشر أحدا فقولى إنى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا﴾ (مريم/٢٢-٢٦).

■ إن الذى يغوص وراء معانى هذه الآيات الكريمات يجدها تنطوى على حقائق علمية طبيّة على درجة من الاعجاز بحيث لا يتأتى لبشر مجرد التفكير فيها بله معرفتها إلا أن يكون بشرا رسولا.

وجاءت الدراسات والاكتشافات لتميط اللثام عن هذه الحقائق وتضعها ناصعة أمام بصر الأعين وبصيرة القلوب لتقول بلسان الحال والمقال معا إن هذا القرآن: ﴿أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض إنه كان غفورا رحيما﴾ (الفرقان/٦).

التركيب الكيميائى للرطب:

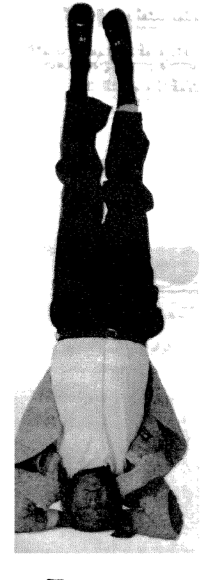
ويحسن بنا أن نتعرف على التركيب الكيميائى للرطب قبل البيان عن الحقائق الطبية:

تحتوى كل ١٠٠ جرام من البلح الجاف على ٢٠٠ جرام ماء - ٢ر٢ جرام بروتين - ٦ر٠ جرام دهون - ٧٥ جرام سكريات (كربوهيدرات) - ٤ر٢ جرام ألياف - ٦٠ وحدة دولية فيتامين أ - ٠٨ر٠ بليجرام فيتامين ب١ - ٠٥ر٠ مليجرام فيتامين ب٢ - ١٨ر٢ مليجرام حمض نيكوتنيك - ٩ر٠ بليجرام صوديوم ٧٩٠ مليجرم بوتاسيوم - ٦٥ مليجرام كاليسوم - ٦٥ مليجرام ماغنسيوم - ١٥ مليجرام منجنيز ٢ر١ مليجرام حديد - ٢١ر٠ مليجرام نحاس - ٧٢ مليجرام فوسفور - ٦٥ مليجرام كبريت - ٢٨٣ مليجرام كلورين(٣).

سؤال وجواب:

لقد ذكر الله طرفا من قصة تلك الصدّيقة فى سورة آل عمران ولم يحدد نوع طعامها الذى امتن به عليها وإنما وصفه بالرزق فقط. قال تعالى: ﴿فتقبلها ربها بقبول حسن

● الطريقة الصعبة لعلاج الركود المزمن للدم الوريدى بالساقين والذى يؤدى إلى تورمهما.



وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ (آل عمران/٣٧).

أما هنا فى سورة مريم فالحال مختلفة وهى حال مخاض - أشبه بحال الطوارىء بلغة عصرنا - فإنه يحدد لها طعاما واحدا هو الرطب وشرابا واحدا هو الماء. فلماذا اختار الحق - وهو العليم الخبير - الرطب والماء - ها هى ذى الكشوف الطبية تلقى بالاجابة مدوية فى سمع الزمان ليقوى الايمان الارواح فتنتعش وتطمئن القلوب وتقتنع العقول.

أولا: لا شك أن الكثير منا سمع أو يسمع: عما يسمى بالغدة النخامية الموجودة بالجمجمة والتى تعتبر «سيدة الغدد الصماء وهى تتكون من فصين (جزأين) أمامى وخلفى. ويقوم الفص الخلفى بإفراز هورمون يسمى الأوكسى توسين (Oxytocin) اللازم لعملية الولادة لأنه ينشط انقباض عضلات الرحم لتيسير هذه العملية، وبعد نزول الجنين يساعد هذا الهورمون على إعادة الرحم سيرته الأولى فيتضاءل حدوث النزيف الرحمى، بعد الولادة. وقد وجد أن التمر يحتوى على مادة تنبه تقلصات الرحم وتزيد من انقباضها وخاصة أثناء الولادة وهذه المادة تشبه هورمون الأوكسى توسين(٤). وقد تبين من الأبحاث التى أجريت على الرطب أى ثمرة النخيل الناضجة أنها تحوى مادة مقبضة لعضلات الرحم وتقوى عملها فى الأشهر الأخيرة للحمل فتساعد على الولادة من جهة، كما تقلل كمية النزف الحاصل من جهة أخرى بعد الولادة. وإن من آثار الرطب أيضا أنه يخفف ضغط الدم عند الحامل فترة ليست طويلة ثم يعود لطبيعته وهذه الخاصية مفيدة لأنه بانخفاض ضغط الدم تقل كمية الدم النازفة(٥).

كثرة السجود تعتبر بمثابة التمرين اليومي المنظم والمتكرر لمركز التحكم والمنظمات.

والرطب من المواد الملينة التى تنظف القولون ومن المعلوم طبيا أن الملينات النباتية تفيد فى تسهيل وتأمين عملية الولادة بتنظيفها للأمعاء الغليظة خاصة والولادة المثالية يجب أن تسبقها حقنة شرجية لتنظيف القولون حتى لا يخرج براز عند خروج رأس الجنين.

ثانيا: تبين لنا من تركيب التمر أنه يحتوى على نسبة عالية من السكريات الأحادية (البسيطة) مثل الجلوكوز وهى تمتص من الأمعاء بسرعة دون حاجة إلى هضم لتمد الجسم بالطاقة الحرارية اللازمة وهى - أى السكريات الأحادية - الوقود المفضل للعضلات ومنها عضلات الرحم الضخمة التى تقوم بمجهود شاق حتى يخرج منها الضيف الجديد بسلامة الله.. ومن العجيب أن أطباء النساء والتوليد يعطون الحامل ساعة المخاض السوائل السكرية باكثر من طريق.

ويقول الحق جل وعلا: ﴿فكلى واشربى﴾ وهو أمر للسيدة مريم أن تتناول الرطب وتشرب الماء السلسبيل وبهذا تجمع بين السكريات والسوائل المطلوبة.

ولا يخفى علينا ضرورة الماء للعمليات الحيوية بالجسم وما يسببه فقدانه بكثرة نتيجة الاجهاد والعرق الزائد من الجفاف الذى قد يودى بحياة الانسان. لذلك كان من رحمة الله بها وهى وحدها فى أحرج لحظات تواجهها أنثى أن أجرى تحتها نهرا عذبا فراتا لتشرب منه حتى تعوض ما فقدته من ماء حينما انتبذت بحملها مكانا قصيا.

يقول الامام ابن جرير الطبرى رحمه الله:

«فلما حضر ولادها يعنى مريم ووجدت ما تجد المرأة من الطلق خرجت من المدينة

مغربة من إيلياء حتى تدركها الولادة إلى قرية من إيلياء على ستة أميال يقال لها بيت لحم فأجاءها المخاض إلى أصل نخلة فوضعت عندها»(٦).

ثالثا: تبين لنا أيضا من تركيب التمر أنه يحتوى على نسبة عالية من البوتاسيوم وهو عنصر لازم لتوازن كمية الماء داخل خلايا الجسم وخارجها، ولعمليات الأيض (التمثيل الغذائى) للعضلات والمخ كما أنه له تأثيره على حركة العضلات غير الارادية كالأمعاء فهو ينبه حركتها بدرجة كبيرة وينشطها لاستقبال وهضم الطعام. وله دوره أيضا فى انبساط عضلة القلب حيث يسبب الكالسيوم انقباضها وذلك فى توازن عجيب بينهما **﴿صنع الله الذى أتقن كل شىء إنه خبير بما تفعلون﴾** (النمل/٨٨).

ولنتأمل معا ـ حديث رسول الله ﴿ﷺ﴾ فى إجلال واكبار وهو:

عن سلمة بنت قيس قالت: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: «أطعموا نساءكم فى نفاسهن التمر فإنه من كان طعامها فى نفاسها التمر خرج ولدها حليما فإنه كان طعام مريم حين ولدت ولو علم الله طعاما خيرا من التمر لأطعمها إياه».

ويطول المقال فيبعث على الملال إذا ذهبنا نستقصى فوائد الرطب ولعل فيما ذكر عبرة لمن يخشى.



● أيها افضل هذا الوضع أم السجود؟

ـ الوقوف على الكتفين

● الفص الامامى من المخ الذي يلامس الأرض أثناء السجود

ثانيا: مجال العبادات:

لم تحظ عبادة من العبادات بقدر ما حظيت به الصلاة من الاهتمام سواء فى القرآن أو السنة حتى أصبحت عماد الدين ورأس العبادات وعلامة اليقين وأفضل القربات ومعراج الأرواح إلى جو ملائكى وأفق طهور وسبب الفوز يوم النشور. ولسنا فى معرض استقصاء الآيات التى تحدثت عن الصلاة ولكن حسبنا تدبرا قوله تعالى:

﴿إن الانسان خلق هلوعا. إذا مسه الشر جزوعا. وإذا مسه الخير منوعا. إلا المصلين. الذين هم على صلاتهم دائمون. والذين فى أموالهم حق معلوم. للسائل والمحروم. والذين يصدقون بيوم الدين. والذين هم من عذاب ربهم مشفقون. إن عذاب ربهم غير مأمون. والذين هم لفروجهم حافظون. إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين. فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون. والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون. والذين هم بشهاداتهم قائمون. والذين هم على صلاتهم يحافظون﴾ (المعارج/١٩-٣٤).

■ إننا أمام مجموعة من حميد الخلال وجميل الخصال وكريم الفعال وقد جعل الله تبارك وتعالى المداومة على الصلاة خير مفتاحها والمحافظة عليها مسك ختامها. وإذا تأملنا اكثر أركان الصلاة تكرارا وجدناه السجود حتى جعله الله من صفات من شرفهم بنسبتهم إلى ذاته العلية فسماهم: «عباد الرحمن». قال تعالى: **﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما. والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما﴾** (الفرقان/٦٣، ٦٤).

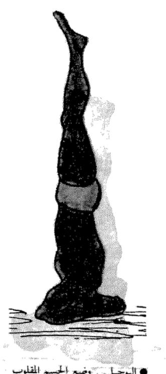
سؤال وجواب أيضا:

ماذا فى السجود من المنافع التى جعلت له تلك المنزلة؟

أ لم يأ تك نبأ ما قالته الكشوف الطبيه فى ذلك. إ ذا فاسمع منى سمعت خيرا ومنحت برا..

أولا: أودع الله فى الجسم الانسانى من مراكز التنظيم ما يجعل جميع أجهزته تتعاون فيها بينها تعاونا حثيثا من أجل هدف واحد هو الحفاظ على حياة هذا الجسم حتى يؤدى وظيفته التى خلق من أجلها. ومن بين تلك المراكز: مراكز التحكم فى الأوعية الدموية الموجودة بالمخ وتوجد منظمات هذه الأوعية بالشريان الأورطى والشريان السباتى الأيمن ونظيره الأيسر. وعند السجود يزداد ضغط الدم فى هذه المنظمات وبالتالى فى مركز التحكم الموجود بالمخ أيضا، فتتولد الانعكاسات العصبية على الفور مناشدة الأوعية الدموية بجميع أجزاء الجسم أن تزيد من سعتها لمجابهة الوضع الجديد درءا للخطر الذى قد يحدث، وتقول الأوعية الدموية - بلسان الحال - لبيك يا أختاه فينخفض ضغط الدم. «وهكذا يتبين لنا أن السجود يؤدى إلى انخفاض ضغط الدم وكلما طالت فترة السجود ازداد انخفاض ضغط الدم. وقد تكون الصلاة أهم عامل فى ندرة الاصابة بضغط الدم فى الركوع والسجود فى الخاشعين كما أنها قد تكون علاجا للمصابين به»(٧).

وتعتبر كثرة السجود بمثابة التمرين اليومى المنظم والمتكرر لمركز التحكم والمنظمات فيؤدى إلى زيادة كفاءتها فى تنظيم الدورة الدموية وبالتالى يستطيع الجسم أن يواجه أى تغير فى وضعه أو اهتزاز دون الاصابة بالدوار الناتج عن مثل تلك الأحوال.



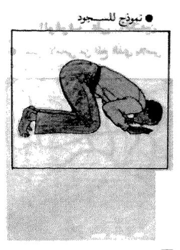
● اليوجا . . وضع الجسم المقلوب

ثانيا: يتعرض الانسان خلال يوم لمزيد من الشحنات الالكتروستاتيكيه (الكهربائية الساكنة) من الغلاف الجوى وهى تترسب على الجهاز العصبى المركزى ولابد من التخلص منها حتى لا تؤدى إلى حدوث متاعب غير محتملة منها على سبيل المثال: الاحساس بالصداع وتقلصات عضلية وآلام بالرقبة.

وقد وجد أن وضع السجود هو أنسب الأوضاع للتخلص من هذه الشحنات لأنه بمثابة توصيل الجسم بالأرض التى تبددها وتمتصها تماما وبهذا ينخفض الضغط الالكتروستاتيكى على المخ وينجو الركع السجود - بفضل الله - من الاصابة بالاضطرابات النفسية وانفصام الشخصية (الشيزوفرينيا)(٨).

ثالثا: يساعد السجود على نظافة الجيوب الأنفية بسحب إفرازاتها أولا بأول وبالتالى تقل فرصة التهاب هذه الجيوب. أما الجيوب الفكية (نسبة إلى الفك العلوى) فإنها فى حالة السجود تشبه الاناء المُصْغَى (بفتح الغين) لسكب السائل الزائد فيه، وهذا يساعد على تصفيتها أولا بأول فلا يشعر المصاب بالتهابها بصداع ما بعد الظهر الذى يشعر به من يظل منتصب القامة طول يومه. وكذلك الأمر بالنسبة للجيوب الاسفينية (Sphenoidal) والتصفوية (Ethmoidal) والجبهيه (Frontal).

● نموذج للسجود



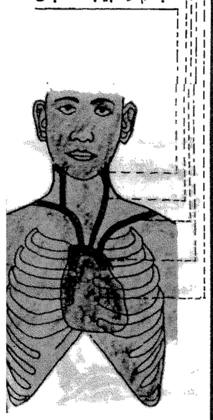
رابعا: يزداد توارد الدم إلى المخ أثناء السجود فيزداد إرواؤه وبالتالى يحصل على ما يلزمه من مواد غذائية وأوكسيجين ويؤدى وظيفته على أحسن وجه ومعروف أن المخ يمثل مركز التحكم فى الجسم كله. ويبدو تأثير عدم إرواء المخ بالدم الكافى واضحا فى الأشخاص الذين يقفون لمدة طويلة كجنود الحراسة حيث يصابون بالاغماء المفاجىء، وعلاجهم فى غاية السهولة وهى أن ينام الجندى على ظهره مع رفع القدمين أعلى من مستوى رأسه فيعود إليه وعيه بإذن الله.

كما أن زيادة توارد الدم إلى منطقة الرأس يساعد على تنشيط الدورة الدموية بالوجه والرقبة ويكسبهما نضارة وحيوية خاصة فى الطقس البارد.

وقد عرف أصحاب رياضة «اليوجا» أهمية وضع الرأس إلى أسفل فجعلوا من بين أوضاعها وضع الوقوف على الكتفين ووضع الجسم المقلوب. ولسنا بصدد الموازنة بين الصلاة وهى فريضة من رب البشر وبين اليوجا وهى رياضة من وضع البشر، ولكنا نشير فقط إلى أن شعائر الله تقدم للناس الخير بأفضل مما يبتكرونه لأنفسهم.

خامسا: يساعد وضع السجود على تخفيف الاحتقان بمنطقة الحوض وبالتالى يساعد على الوقاية من الاصابة بالبواسير وحدوث الجلطات بالأوردة ولا يخفى على أحد خطورتها. كما أنه يساعد على التخلص من الامساك، ويعتبر من أنسب الأوضاع لعلاج سقوط الرحم الخلفى وقد اكتشفت فوائد هذا الوضع حديثا ولهذا ينصح به أطباء النساء والتوليد فى علاج بعض الأمراض وأطلقوا عليه وضع (الركبتين والصدر)(٩).

سادسا: يؤدى السجود إلى نوع من الزفير (اخراج الهواء) الاضطرارى وهذا الزفير يؤدى بدوره إلى خروج الهواء الراكد (الملىء بغاز الفحم (ثانى اوكسيد الكربون) من الرئتين ليستقبلا هواء جديدا يبعث الحيوية والنشاط لتشبعه بالأوكسيجين. كما أنه يؤدى إلى طرد الافرازات من الشجرة الشعبية (نسبة إلى الشعب الهوائية)، وهذه الافرازات تتكون نتيجة لبعض أمراض الجهاز التنفسى مثل التهاب القصبة والقصيبات الهوائية أو اتساع الشعب الهوائية (Bronchiectasis). ولا شك أن بقاء هذه الافرازات مع اختلاطها بذرات الغبار يجعلها مرتعا خصبا للميكروبات تمارس فيه نشاطها الاجرامى داخل الرئتين مسببة الاصابة بالالتهابات المتكررة.



سابعا: لا يخفى أثر السجود على مفاصل الجسم خاصة العمود الفقرى فى الانسان الذى يظل قابعا خلف مكتبه طول يومه على وضع واحد فى حياة رتيبة. وكذلك بقية مفاصل الجسم حيث يساعد على مرونتها ويحميها من الخشونة والتيبس فتؤدى وظائفها دون معاناة قد تعوق الانسان عن الحركة. أما بالنسبة للعضلات فحدث ولا حرج، حيث يكون السجود بمثابة تدليك خفيف لجميع عضلات الجسم تقريبا كما أنه يساعد على عودة الدم الوريدى إلى القلب فينشط الدورة الدموية بها لتمدها بما تشتهى من غذاء وتخلصها مما تكره من نواتج التمثيل الغذائى غير المرغوب فيها فتنمو وتربو لتقوم بالمجهود العضلى الذى يتطلبه معترك الحياة خير قيام.

ولنقف مرة أخرى وقفة إجلال واكبار أمام حديث الرسول الكريم ﴿ﷺ﴾ الذى يقول فيه: قال سلمان الفارسى قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم ومقربة لكم إلى ربكم ومكفرة للسيئات ومنهاة عن الاثم ومطردة للداء عن الجسد»(١٠).

إى وربى إنه لمطردة للداء من الجسد. فهل يعى ذلك من عناهم عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه حينما قال:

نهارك يا مغرور سهو وغفلة
وليلك نوم والردى لك لازم

وتشغل فيما سوف تكره غبه
كذلك في الدنيا تعيش البهائم

■ وبعد . . فهذا غيض من فيض الهداية الربانية ووشل من بحر الانوار القرآنية . . كيف لا؟ وهو الكتاب الالهى الذى نزل به أمين أهل السماء على وحى الله الروح الأمين على قلب أمين أهل الأرض على كتاب الله خاتم النبيين ليحيى قلوبا أماتتها الشهوات ويهدى عقولا أضلتها الشكوك والشبهات ويطلق أفكارا سجنتها التخرصات، ويستنقذ حقوقا اغتصبها الكبراء والسادات، ويقيم دولة الكمالات ومجتمع المكرمات، ويدك ممالك الظالمين ويجدع أنوف الجبارين، ويفتح أبواب الحق التى أوصدها الكهان من سدنة البطلان، وينير دروب العلم وطرائق العرفان ويعرج بالأرواح فى معارج الايمان.

وعلى ذلك فالقرآن ليس كتابا بشريا يتأتى لأى إنسان على حظ عظيم من الذكاء والفطنة أن يقف على كل معانيه وأن يحيط علما بمقاصده ومراميه . . لا وألف لا .

■ إن مقاصد القرآن هى مقاصد الله جل جلاله والعلم بمقاصد الله لا يكون إلا بتأييده ومعونته وتسديده وهدايته ولا يكون ذلك إلا لمن جاهد هواه وزكى نفسه وأخلص نيته وأصلح سريرته وصدق رغبته وطهر قلبه لأن قلوب العباد هى محل نظر رب العباد، فإذا علم الله من عبده ذلك فلا مشاحة ـ وهو الكريم ـ أن يشرح صدره وييسر أمره وينشر عليه رحمته ويفجر على لسانه ينابيع حكمته ويؤتيه فهما ويزيده علما، ﴿وما كان عطاء ربك محظورا﴾ (الاسراء/٢٠) .





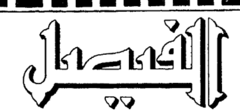
الهوامش

(١) القرآن الكريم معجزة وتشريع. عبد الكريم نيازى مطبوعات نادى مكة الثقافى والأدبى الطبعة الاولى ١٩٨٦ ص١٠ .
(٢) مناهل العرفان فى علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى ٢/٢٢٧ .
(٣) الرطب والنخلة. د. عبد الله السعيد. الدار السعودية للنشر والتوزيع. الطبعة الاولى ١٩٨٥ ص١١٢ .
(٤، ٥) مع الطب فى القرآن الكريم د. عبد الحميد دياب ود. أحمد القرقوز. مؤسسة علوم القرآن، الطبعة السابعة ١٩٨٤ ص١٦٠، ص٢٨، ٢٩ .
(٦) جامع البيان عن تأويل آى القرآن للامام أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى شيخ المفسرين المجلد الثامن ج١٦/ ص٤٨-٥٦ .
(٧) الصلاة صحة ووقاية وعلاج د. محمد زكى سويدان. مطابع شركة الاعلانات الشرقية ١٩٧٦ ص١٣٩ .
(٨) السجود :

Prostration (Sujud)
By
Ahmad H.Sakr Published by Foundation For Islamic Knowledge P.o.Box 665 Lombard, IL 60418. Page22

(٩) وفى الصلاة صحة ووقاية د. فارس علوان. دار المجتمع للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٩٨٧ ص١٤٠ .
(١٠) فقه السنة. الشيخ سيد سابق (العبادات) .

" قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾
(سورة عبس)



- موعدها مع القارئ الكريم في بداية كل شهر هجري في شكلها ومضمونها الجديدين .
- أكثر من (١٠٠) أديب ومفكر وعالم وفنان يتحدثون عن تجاربهم في مساراتهم الأدبية .. والفكرية .. والعلمية .. والفنية .
- علامة الجزيرة العربية الشيخ حمد الجاسر في رحلاته حول العالم .

- أبواب .. ونوافذ جديدة مع جديد الثقافة .. وأصالة التراث العربي والإسلامي والإنساني .. وندوات شهرية يشارك فيها أعلام الفكر والدين والأدب .

- مواجهات أدبية وفكرية بين منهجين .. أو موقفين في باب جديد بعنوان «أديبان .. وموقفان» .. ودراسات عن شوامخ الإبداع الإنساني .

- رحلات بالصورة والكلمة تجمع بين التاريخ .. والحقيقة .. والخيال .. في مدن وأنهار وبحار ومحيطات الكرة الأرضية .

- قضايا انسانية .. ودراسات اسلامية .. ولغوية .. وفنية .. واقتصادية .. واجتماعية .. ونفسية .. وعلمية .. وتربوية . ابداعات شعرية .. وقصصية .. ومسرحية بأقلام نخبة من المبدعين .

- الجديد من تراث الكاتب العربي الكبير الراحل علي أحمد باكثير الذي لم ينشر سوف تطالعك به مجلتك «الفيصل» .

- احجز نسختك من الآن للعدد القادم والأعداد التي تليه .

الفيصل : لك اليوم .. ولأبنائك غدا .. ولأحفادك في المستقبل .

علم الأجنة القرآني

أطوار الجنين فى القران الكريم وعلم الاجنة

د. محمد على البار
اخصائى امراض باطنية
مستشار قسم الطب الاسلامى
مركز الملك فهد للبحوث الطبية
جامعة الملك عبد العزيز
عضو الكلية الملكية للاطباء بلندن





يتحدث القرآن الكريم عن أطوار النمو الانسانى فى آيات متعددة ويجعلها دليلا قاطعا على إعادة البعث . . كما يجعل التفكر فيها مبعث ايمان للفكر والقلب .

قال تعالى : ﴿ما لكم لا ترجون لله وقاراً وقد خلقكم أطواراً﴾(١)، قال ابن عباس وقتاده وعكرمه والسدى وابن زيد : معناه من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة . . ثم تكون عظاما ثم يكسوها اللحم ثم ينشؤها الله خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين(٢) .

قال تعالى : ﴿يا ايها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم . ونقر فى الارحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكى لا يعلم من بعد علم شيئا﴾(٣) .

وقال تعالى : ﴿ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾(٤) .

وقال تعالى : ﴿يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما شاء ركبك﴾(٥) .

وقال تعالى : ﴿هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء﴾(٦) .

وقال تعالى : ﴿يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث﴾(٧) .

■ ومن هذه الآيات الكريمة يتبين أن الانسان يمر فى المراحل التالية :

«سلالة من طين ـ نطفة ـ علقة ـ مضغة ـ عظام ـ لحم يكسو العظام ـ خلق آخر ويتضمن التصوير والتسوية ونفخ الروح» .

■ ويدل ما ذكره ابن رجب الحنبلى فى جامع العلوم والحكم(٨) من أن قوما كانوا عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقالوا إن قوماً زعموا أن العزل هو المؤودة الصغرى فقال على بن ابى طالب كرم الله وجهه «لا تكون موؤدة حتى تمر على التارات السبع تكون سلالة من طين ثم تكون نطفة ثم تكون علقة ثم تكون مضغة ثم تكون عظاما ثم تكون لحما ثم تكون خلقا آخر فقال عمر: صدقت أطال الله بقاءك» .

مرحلة النطفة :

النطفة لغة(٩) : الماء الصافى قل أو كثر والجمع النطاف . والنطفة ماء الرجل . . قال ابن جرير والنطفة كل ماء قليل فى وعاء كان ذلك وكية أو قربة أو غير ذلك(١٠) .

وقد وردت النطفة فى القرآن الكريم والسنة المطهرة فى مواضع كثيرة. وقد تكرر ذكر النطفة فى القرآن الكريم فى اثنى عشر موضعا . . منها قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين﴾(١١).

وقوله تعالى: ﴿يا ايها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة﴾(١٢).

وقوله تعالى: ﴿هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة﴾(١٣).

وقوله تعالى: ﴿قتل الانسان ما أكفره من أى شىء خلقه من نطفة خلقه فقدره﴾(١٤).

وقوله تعالى: ﴿إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا﴾(١٥).

■ وقد ورد لفظ النطفة فى القرآن والسنة المطهرة على ثلاث معان:

الاول: النطفة المذكره: وهى الحيوانات المنوية الموجودة فى المنى.

الثانى: النطفة المؤنثه: وهى البويضة التى يفرزها المبيض مرة فى الشهر.

الثالث: النطفة الامشاج: وهى النطفة المختلطة من الحيوان المنوى والبويضة عندما يتم التلقيح.



● مبيض فتاة عمرها ٣ سنوات.

النطفة المذكرة والمنى:

ذكر تعالى النطفة بأنها جزء يسير من المنى. والمنى هو الافرازات الدافقه التى تخرج بشهوه ويتلذذ بخروجه . . ثم إذا خرج يعقبه فتور ورائحة كرائحة طلع النخل قريبة من رائحة العجين وإذا يبس كانت رائحته كرائحة البيض . . وهو ابيض ثخين يتدفق فى خروجه دفعة بعد دفعة . . هذه هى صفاته التى ذكرها الامام النووي فى المجموع(١٦).

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى المنى فى القرآن الكريم فى ثلاثة مواضع:

قال تعالى: ﴿أيحسب الانسان أن يترك سدى؟ الم يك نطفة من مَنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾(١٧).

وقال تعالى: ﴿وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة إذا تُمْنَىٰ﴾(١٨).

وقال تعالى: ﴿افرأيتم ما تمنون. أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون﴾(١٩).

■ وقد اوضح سبحانه وتعالى فى هذه الايات الكريمة أن النطفة هى جزء يسير من المنى . . حيث يقول ﴿ألم يك نطفة من منى يمنى﴾ ومن هنا تبعيضية كما يقول أهل اللغة.

ومعلوم أن المنى يتكون من السائل المنوى الذى يكون ٩٩ بالمئة من مجموع المنى وهو إفرازات البروستاتا والحويصلة المنوية وغدد كوبر وغيرها . .

وتشكل الحيوانات المنوية التى تتكون فى القنيات المنوية ما بين نصف وواحد بالمئة من مجموع المنى(٢٠) . . ومع هذا فإن حيوانا واحداً فقط من بين مئات الملايين الموجودة فى المنى هو الذى يقدر الله له أن يلقح البويضة.



● مبيض فتاة عمرها ١٤ عاما.

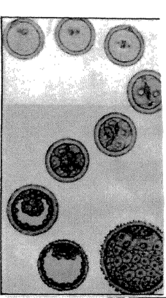
ما من كل الماء يكون الولد

قال تعالى: ﴿الذى أحسن كلَّ شىء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين﴾(٢١).

والسلالة كما يقول أئمة علم التفسير(٢٢) هى الخلاصه . . والماء المهين هو الماء الدافق الذى يسفح عند الاهتياج الجنسي . . وهو المنى إذ أن صفته الدفق. ومعنى الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى جعل نسل بنى آدم من خلاصة الماء المهين وهو المنى . . ومما يزيد هذا الأمر تأكيدا

قول النبى ﴿ﷺ﴾ : «ما من كل الماء يكون الولد»(٢٣) (رواه مسلم) . . وإنما يكون الولد من جزء يسير من هذا الماء .

وهذا الامر لم يعلم الا فى القرن العشرين حيث عرف أن الحيوانات المنوية إنما تشكل نصف بالمئة من مجموع المنى . . وأن جزءاً يسيرا جدا جداً من هذا النصف بالمئة وهو الحيوان المنوى هو الذى يجعل الله له الحظ فى تكوين الولد .



المراحل التي تمر بها البويضة الملقحة حتى تصبح جنينا

صفات المنى فى القران:

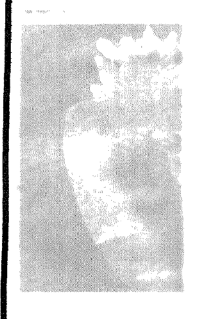
وصف الله سبحانه تعالى المنى بعدة صفات : أولها : أنه منى يمنى أي يراق كما يقول ابن كثير فى تفسيره . وثانيها : انه ماء دافق قال تعالى : فلينظر الانسان مما خلق خلق من ماء دافق(٢٤) ، وثالثها : انه يخرج من بين الصلب والترائب قال تعالى ﴿يخرج من بين الصلب والترائب﴾(٢٥) ، ورابعها : أنه ماء مهين قال تعالى ﴿ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين﴾(٢٦) أى يسفح ولا ينتبه له .

الذكوره والانوثه:

وخامسها : أن الذكورة والانوثة فى الجنين انها تكون تابعة لماء الرجل ، قال تعالى : ﴿وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة إذا تمنى﴾(٢٧) . والنطفة التى تمنى هى نطفة الرجل لا ريب إذ ليس للمرأة مني ولا من خصائصها هذا الماء الغليظ الابيض الذى يتدفق والذى يدعى المنى .

وقال تعالى : ﴿أيحسب الانسان أن يترك سدى . ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه (أى المنى) الزوجين الذكر والانثى . اليس ذلك بقادر على أن يحى الموتى﴾(٢٨) .

وقد أوضح العلم الحديث أن الحيوانات المنوية نوعان : نوع يحمل كروموسوم الذكورة Y ونوع يحمل كروموسوم الانوثة X فإذا أراد الله سبحانه وتعالى أن يلتقى الحيوان المنوى الحامل لكروموسوم Y بالبويضة التى تحمل X دائما كان الولد ذكرا بإذن الله تعالى اما إذا كان التلقيح قد تم بين حيوان منوى يحمل كروموسوم X بالبويضة فإن الولد سيكون أنثى .



النطفة المؤنثة أو البويضة:

لم يرد ذكر النطفة المؤنثة صريحا فى القرآن الكريم وانما ورد ذكرها صريحا فى السنة المطهرة .

قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ لليهودى الذى سأله من أى شىء يخلق الانسان : يا يهودى : من كل يخلق ، من نطفة الرجل ونطفة المرأة(٢٩) . . وقد ورد ذكر النطفة المؤنثة فى القرآن ذكراً غير صريح قال تعالى : ﴿إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج﴾(٣٠) .

قال ابن كثير أمشاج أخلاط وقال ابن عباس : من نطفة أمشاج يعني نطفة الرجل ونطفة المرأة إذا اجتمعا ثم ينتقل بعد من طور الى طور وحال الى حال ولون الى لون وهكذا قال عكرمة ومجاهد والحسن البصرى والربيع بن أنس . . وقد أجمع أهل التفسير على ذلك(٣١) .

النطفـة الامشـاج

قال تعالى : ﴿إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا﴾ .

قال ابن جرير(٣٢) : إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج : إنا خلقنا ذرية آدم من نطفة يعنى ماء

الرجل وماء المرأة . . والنطفة كل ماء قليل فى وعاء كان ذلك ركية أو قربة أو غير ذلك .
وقوله : أمشاج يعنى أخلاط واحدها مشج ومشيج يقال منه إذا مشجت هذا بهذا خلطته وهو مشوج به ومشيج أى مخلوط . . وهو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة، وروى بسنده عن عكرمه قوله : أمشاج نبتليه قال ماء الرجل وماء المرأة يمشج أحدهما بالآخر . . وقال : ماء الرجل وماء المرأة يختلطان .

وروى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ماء المرأة وماء الرجل يختلطان وبمثله قال الربيع بن أنس والحسن البصرى . . وقال مجاهد خلق الله الولد من ماء الرجل وماء المرأة وقد قال تعالى ﴿يا ايها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى﴾ .


هنا تم تكوين الجنين وأصبح مخلوقا او انسانا متكاملا في الشهر السادس وهو داخل المحيط ، يتنفس ويبتلع سائل الاميتيوتك الذى يسبح فيه!

تفسير ابن كثير: ﴿إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج﴾ أى أخلاط والمشج والمشيج الشىء المختلط بعضه فى بعض .
قال ابن عباس رضى الله عنهما: من نطفة أمشاج يعنى ماء الرجل وماء المرأة إذا اجتمعا واختلطا ثم ينتقل بعد من طور الى طور ومن حال الى حال ومن لون الى لون . وهكذا قال عكرمة ومجاهد والحسن البصري والربيع بن أنس : الامشاج هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة .

تفسير الجلالين: إنا خلقنا الانسان أى جنس الانسان من «نطفة أمشاج» أى أخلاط أى من ماء الرجل وماء المرأة المختلطين الممتزجين .

تفسير المراغي: إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج . . أى إنا خلقنا الانسان من نطفة اختلط فيها ماء الرجل بماء المرأة .

سيد قطب فى الظلال: الامشاج الاخلاط . . وربما كانت هذه إشارة الى تكوّن النطفة من خلية الذكر وبويضة الانثى .
■ وهكذا ترى إجماع المفسرين من قدامى ومحدثين على تفسير النطفة الامشاج بأنها النطفة المختلطة من ماء الرجل وماء المرأة يختلطان ويمتشجان .
وتظهر أهمية هذه الآية الكريمة واعجازها الباهر القاهر إذا علمنا أن البشرية لم تعلم شيئا عن النطفة الامشاج المكونة من نطفة الرجل ونطفة المرأة الا عندما تمكن (هيرتويج) (Hertwig) من ملاحظة كيف يلقح الحيوان المنوى البويضة وذلك عام ١٨٧٥ وفى عام ١٨٨٣ أثبت (فان بندن) (Van Benden) أن كلا من البويضة والحيوان المنوى يساهمان بالتساوى فى تكوين البويضة الملقحة أو النطفة الامشاج(٣٣) .
وفى عام ١٩١٢ اثبت مورجان دور الجينات فى الوراثة . . وأنها تنتقل عبر الحيوان المنوى (من الرجل) والبويضة (من المرأة)(٣٤) .
ويحدثنا الامام ابن حجر العسقلانى فى كتابه فتح البارى شرح صحيح البخارى(٣٥) عن معتقدات الاطباء فى زمنه (٧٧٣-٨٥٢هـ) فيقول :
«وزعم كثير من أهل التشريح أن منى الرجل لا أثر له فى الولد الا في عقده . وإنه إنما يتكون من دم الحيض» (وهذه هى نظرية أرسطو الذى كان يُدْعَىٰ المعلم الاول والذى سيطرت أراؤه على البشرية لما يقرب من الفى عام) قال ابن حجر وأحاديث الباب تبطل ذلك «لان حديث الرسول ﴿ﷺ﴾ صريح فى أن الولد انما يخلق من كل من نطفة الرجل ونطفة المرأة فى الحديث الذى أخرجه

أحمد فى مسنده عندما سأله اليهودى مم يخلق الانسان.

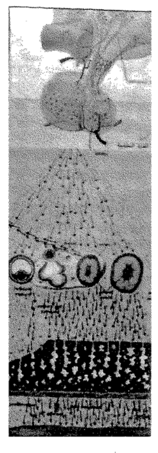
التقدير فى النطفة (علم الوراثه)

قال تعالى: ﴿قتل الانسان ما أكفره من أى شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره﴾(٣٦) وقال صلى الله عليه وسلم: إن النطفة إذا استقرت فى الرحم أحضرها الله تعالى كل نسب بينها وبين آدم(٣٧).

■ وفى علم الاجنة يقول (ليزلى اري)(٣٨) «إن خلق الانسان مقدر على مستوى الجينات والوراثة. أما على مستوى بناء الجسم وتركيبه فهو تطورى فى مراحل». ويتفق معه فى هذا جميع مصادر علم الاجنه الحديث مثل كيث مور(٣٩) وهاملتون وبويد وموسمان(٤٠) ولانجمان(٤١) وبرادلي باتن(٤٢).

وفى القرآن الكريم توضيح كامل لهذا الكلام حيث يقول تعالى: ﴿مالكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا﴾(٤٣).

ويقول: ﴿يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث﴾(٤٤). وتصفه آيات خلق الانسان الواردة فى سورة الحج والمؤمنون فى مراحلها السبعة التى ذكرناها وفى سورة عبس تحدد الآية الكريمة المذكورة أعلاه «من نطفة خلقه فقدره» أن التقدير قد كان ورتب فى النطفة.. وهذا الترتيب والتقدير هو على مستوى الجينات الموجودة فى الكرموسومات (الصبغيات).



الأوعية الدموية وغشاء الرحم وخروج دماء الحيض

نزعه عرق:

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: جاء رجل من بنى فزارة الى رسول الله ﴿ﷺ﴾ فقال: ولدت إمرأتي غلاما أسود وهو يعرض بأن ينفيه فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾: هل لك من إبل قال: نعم قال: فما ألوانها؟ قال حمر قال هل فيها من أورق (أسمر أو ما كان لونه كلون الرماد) قال: إن فيها لورقا. قال فأنّى أتاها ذلك؟ قال عسى أن يكون نزعه عرق. قال فهذا عسى أن يكون نزعه عرق. ولم يرخص له فى الانتفاء منه(٤٥).

■ وقد دل هذا الحديث على سعة علم المصطفى ﴿ﷺ﴾ وقدرته التى لا تدانى فى الحوار والاقناع بحيث أرجع السائل الى ما يعهده من إبله حتى قرر السائل الحقيقة بنفسه وأصبحت الحجة دامغة تملأ عقله وقلبه وتزيل ما قد ران على قلبه من ظلال الشك القائمة فى زوجته التى لم يكن لها من ذنب الا أنها ولدت غلاما أسود.

وعلم الوراثة الحديث يؤكد أن الشبه بين المولود ووالديه قد يكون غير ظاهر بل بعيد كل البعد عن كلا الابوين.. فإن الصفات الوراثية قد تكون سائدة وقد تكون متنحية.. فإذا كانت متنحية وورثها الولد من الابوين معا، ظهرت فيه وإن لم تكن ظاهرة من قبل فى ابويه.

وهذا ما يجعل زواج الاقارب Consanguinity يظهر الصفات المتنحية وكثير من الامراض يزداد احتمال ظهورها مع زواج الاقارب وذلك مثل أمراض الاستقلاب الوراثية مثل مرض ويلسون Wilson ومرض Tay Soca والبرص الوراثى Albinisw والبول الاسود Alkapto huria وعددها يزيد عن مائة مرض معروف.

■ ولذا ورد فى الاثر: إغتربوا لا تضووا ولا يصح رفعه الى النبى ﴿ﷺ﴾ وانما صح عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه.. وروى عنه أيضا «لا تنكحوا القرابة القريبة فإن الولد يخلق ضاويا».

وقد ورد عن النبى ﴿ﷺ﴾ قوله: «تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس»(٤٦)، وقوله: «إياكم وخضراء الدمن. قالوا وما خضراء الدمن قال: المرأة الحسناء فى المنبت السوء»(٤٧)، وقوله صلى

الله عليه وسلم: «إن النطفة إذا استقرت فى الرحم أحضرها الله تعالى كل نسب بينها وبين آدم»(٤٨).

■ وهذه الاحاديث الشريفة والآثار المنسوبة للمصطفى ﴿ﷺ﴾ تؤكد أهمية وراثة الصفات من الآباء والامهات.. وتشكل أساساً للاستشارة الوراثية التى وسعها المصطفى ﴿ﷺ﴾ فلم يقصرها على الامراض الجسمانية بل تعداها الى ما هو أهم وأعمق من الامراض الاخلاقية والنفسية.

الهوامش

(١) سورة نوح ١٤/٧١.
(٢) تفسير ابن جرير الطبرى وتفسير ابن كثير (تفسير سورة نوح)
(٣) سورة الحج ٥/٢٢.
(٤) سورة المؤمنون ١٣/٢٣.
(٥) سورة الانفطار ٦/٨٢-٨.
(٦) آل عمران ٦/٣.
(٧) الزمر ٦/٣٩.
(٨) ابن رجب الحنبلي «جامع العلوم والحكم».
(٩) اسماعيل بن حماد الجوهرى: الصحاح جزء٤ ص١٤٣٤ تحقيق احمد عبد الغفور عطار.
(١٠) ابن جرير الطبرى (التفسير) سورة الانسان/٢.
(١١) المؤمنون ١٣/٢٣.
(١٢) الحج ٥/٢٢.
(١٣) المؤمنون ٦٧/٤٠.
(١٤) عبس ١٧-١٨.
(١٥) الانسان/٢.
(١٦) الامام النووى: المجموع شرح المهذب ج١/١٤٣ تحقيق الشيخ محمد نجيب المطيعى.
(١٧) القيامة آية ٣٦-٣٧.
(١٨) النجم/ ٤٥-٤٦.
(١٩) الواقعة/ ٥٨-٥٩.
(٢٠) Leslie Arey: Developmental Anatomy 7th Edition 1974
(٢١) السجدة/ ٧-٨.
(٢٢) تفسير ابن جرير الطبرى، تفسير ابن كثير، تفسير الجلالين، تفسير القرطبى، تفسير الفخر الرازى تفسير الالوسي، تفسير البغوى، تفسير الخازن.. الخ.
(٢٣) أخرجه مسلم فى صحيحه.
(٢٤) سورة الطارق/ ٥-٧
(٢٥) السجدة/٨.
(٢٦) النجم ٤٥-٤٦.
(٢٧) القيامة ٣٦-٤٠
(٢٨) أخرجه الامام أحمد فى مسنده.
(٢٩) سورة الانسان/٢.
(٣٠) تفسير ابن كثير، تفسير ابن جرير الطبري، تفسير البغوى، تفسير الخازن، تفسير الالوسي تفسير المراغي، تفسير الفخر الرازي، تفسير القرطبي، تفسير الجلالين.. فى قوله تعالى: ﴿إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج﴾ سورة الانسان/٢.
(٣١) سورة الانسان/٢.
(٣٢) تفسير ابن جرير الطبرى سورة الانسان/٢.
(٣٣) Keith Moore: the Developing Human 3rd Edition.
(٣٤) Leslie Arey: Developmental Anatomy 7th Edition.
Hamilton, Boyd, Mossman: Human Embryology 4th Edition.
(٣٥) ابن حجر العسقلانى: فتح البارى شرح صحيح البخارى كتاب القدر ج١١/٤٨٠ المطبعة السلفية.
(٣٦) سورة عبس ١٧-١٩
(٣٧) أخرجه ابن جرير وابن ابى حاتم



الهوامـــش

(٣٨) Leslie Arey Developmental Anatomy 1974, 7th Edition.

(٣٩) Keith Moore, the Developing Human 1982, 3rd Edition.

(٤٠) Hamilton Boyd and Mossman: Human Embryology, 1976, 4th Edition.

(٤١) Jan Langman: Medical Embryology 3rd Edition.

(٤٢) Bradley Patten: Foadations of Embryology 3rd Edition.

(٤٣) نـوح ١٤/٧١ .

(٤٤) الزمـر ٦/٣٩ .

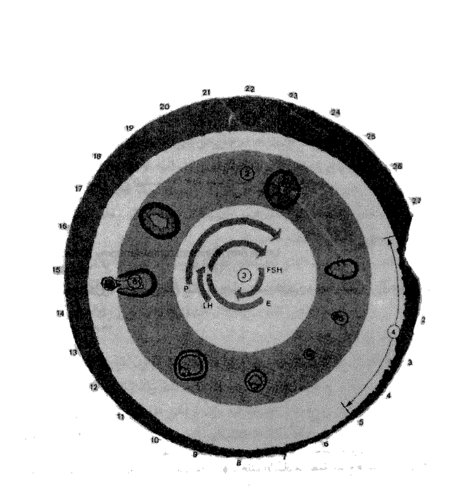
(٤٥) فتح البارى شرح صحيح البخارى حديث رقم ٥٠٣٥ ، ٦٨٤٧ ومسند أحمد ج٢/٥٢و٥٨ ورواه مسلم وأصحاب السنن الأربعة والدارقطنى .

(٤٦) أخرجه ابن ماجه والديلمى فى مسند الفردوس .

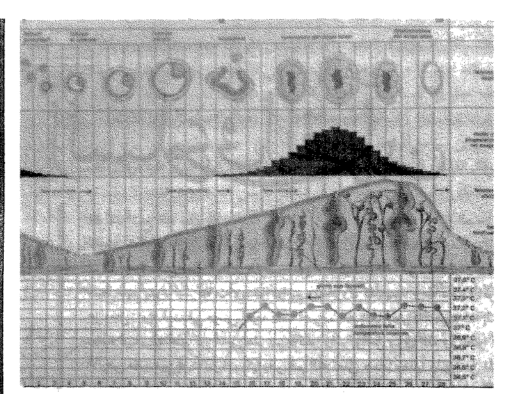
(٤٧) أخرجه الداارقطنى .

(٤٨) أخرجه ابن جرير وابن أبى حاتم .

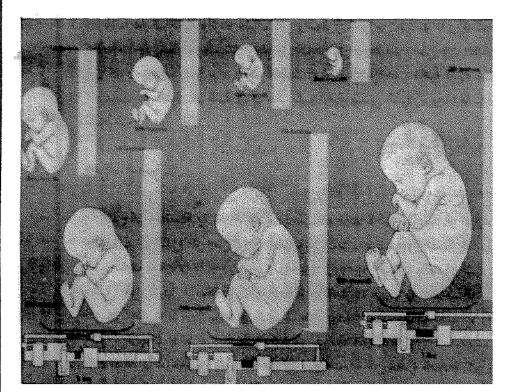




● الدورة الشهرية للأنثى بالكامل (٢٨) يوماً . . وعمل هرمونات الاستروجين (E) والبروجترون (P) و (F.S.H) و (L.H)



● الدورة الشهرية لأية أنثى



● الصورة تبين ازدياد وزن وطول الجنين ابتداء من الشهر الثالث وحتى الشهر التاسع من الحمل

المنّ والسلوى في القرآن

﴿ يا موسى لن نصبر على طعام واحد . . ﴾ (البقرة/ ٦١).

■ لقد أسبغ الله تعالى نعم العيش الرغيد على بنى إسرائيل وهم في تيه الصحراء لعلهم يشكروه عليها ويطيعون ما أمرهم به ويتجنبوا ما نهاهم عنه، فأنبع لهم الماء الزلال بأمره موسى عليه السلام بضرب الحجر فانفجر منه إثنتا عشرة عيناً، وكان لكل سبط منهم ينبوعاً ليشربوا منه ويسقوا دوابهم ويدخرون كفايتهم، وجاء ذلك فى قوله عز وجل: وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه إثنتا عشرة عيناً. قد علم كل أناس مشربهم **﴿كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا فى الارض مفسدين﴾** (البقرة/٦٠)، كما وفر لهم الله تعالى طعاما مغذياً وشهيا من المن والسلوى بدون جهد ولا تعب، وسخر لهم السحاب يظلهم من أشعة الشمس ويقيهم من حرارتها، وجاء ذكر هذه النعم ثلاث مرات فى القرآن الكريم كقوله تعالى **﴿وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾** (البقرة/٥٧)، ولم يشكر بنو إسرائيل ربهم على النعم التى وفرها لهم، لكن دب الضجر بين كثير منهم وتبرموا بها، ولقد اختلفت آراء المفسرين حول ماهية المن، بينما اجتمعت على القول بأن السلوى هو طائر يشبه الحمام يسمى السماني، وهذا ما سوف نستعرضه فى هذا المقال.



تعريف المن:

المن هو مادة سكرية تفرزها طبيعياً بعض النباتات كالندى المنعقد أو افرازات حلوة المذاق لحشرة المن على أوراق بعض النباتات، وإسمه فى اللغة الفارسية الشيرحشك ومعناه «الحلاوة اليابسة» والترنجبين أى «عسل الندى» والعسل السماوى وعسل الهواء، وقيل ان لفظ المن عبرانية معناها «المغذى الالهي»، وفى المعجم الوسيط المن هو: طل ينزل من السماء على شجر أو حجر ينعقد ويجف جفاف الصمغ، وهو حلو المذاق يؤكل ولفظ المن باللغة الانكليزية: هو مانا Manna وفى اللغة الفرنسية Manne وذكر قاموس المورد أن المن هو مادة متحلبه من شجرة الدرداء الأوربي تجفف وتتخذ ملينا أو مسهلا خفيفا.

المن فى الكتب السماوية

ذكر المن ووصف فى سفر الخروج ـ الاصحاح السادس عشر بالتوراه بأنه «كبزر الكزبرة أبيض طعمه كرقاق بعسل، وكان لهم خبزا عوضاً عن الخبز يأكلونه»، واختلفت آراء المفسرين عن ماهية المن الذى ذكره القرآن كقوله تعالى: ﴿وأنزلنا

د. محي الدين عمر لبنية
(المدينة المنورة)

عليهم المن والسلوى﴾ (الاعراف/١٦٠)، فمنهم من قال بأنه طعام، وقال آخرون بأنه شراب والظاهر - والله أعلم - أنه كل ما امتن الله به على بنى اسرائيل من طعام وشراب وغير ذلك لما ليس لهم فيه عمل ولا تعب، فالمن المشهور - إن أكل وحده كان طعاما وحلاوة، وان مزج مع الماء صار شراباً طيباً، وان ركب مع غيره صار نوعا آخر، وهناك العديد من أقوال السلف عن المن:

قال ابن سيده: المن طل ينزل من السماء، وقيل: هو شبه العسل كان ينزل على بنى اسرائيل، وقال الليث: المن كان يسقط على بنى اسرائيل من السماء إذ هم في التيه، وكان كالعسل الحامس حلاوة، وقال الزجاج: جملة المن فى اللغة: ما يمن الله عز وجل به مما لا تعب فيه ولا نصب، قال: وأهل التفسير يقولون: أن المن شيء كان يسقط على الشجر حلو يشرب، ويقال إنه الترنجبين، وهو ايضاً كل ما امتن الله به عليهم من طعام وشراب مما ليس فيه عمل ولا جهد، وفي حديث الرسول ﴿ﷺ﴾ فى الصحيحين «الكمأة من المن» قولان:

الاول: أن المن الذى أنزله الله على بنى اسرائيل لم يكن ذلك الشراب السكرى فقط وإنما أنواع مختلفة من الطعام والشراب.

الثانى: شبه الرسول ﴿ﷺ﴾ الكمأة بالمن المنزل من السماء لأنه يجمع من غير تعب أو فلاحة أو زرع.

■ كما قيل أن المن مادة حلوة المذاق تخرج طبيعياً من بعض النباتات كالندى المنعقد، وقال البعض هو ما وقع على شجر البلوط، وفى سيناء نباتات تفرز المن وهى ضرب من الطرفاء النيليه منها الشيح، وقال آخرون أن قوت بنى إسرائيل فى التيه كان الكمأة لأنها بمقام الخبز، والسلوى أدمهم مع المن فكمل عيشهم، فقد جاء فى الصحيحين قوله صلى الله عليه وسلم: «الكمأة من المن ماؤها شفاء للعين»، وقال ابن عباس «كان المن ينزل على الاشجار فيغدون إليه فيأكلون ما شاءوا».

المن طعام امتن به الله سبحانه على اليهود.. ولكنهم قوم مردوا على كفر النعمة..

المن فى الطب القديم

استخدم المن قديماً فى علاج بعض الامراض، فقد ذكره الطبيب اليوناني ديسفوريدس باسم اليوميلي، وقال عنه «إنه يسهل البطن ويخرج الصفراء» وقال عنه الشيخ الرئيس إبن سينا: «المن كان يقع على حجر أو شجر ويحلو فينعقد ويجف جفاف الصموغ، وأجود المن الطرى الأبيض، وهو ملين صالح للجلاء وينفع من السعال ويلين الصدر ويسكن العطش ويسهل الصفراء برفق، واسهاله بخاصية فيه والشربة عشرة مثاقيل إلى عشرين مثقالا.

■ وقال النباتي العربى الشهير إبن البيطار فى مفرداته عن المن: «بأنه حار، جلاء غسال، إلا أن قوته تزيد وتنقص على قدر الشجر الذى يقع عليه، جيد للصدر، والمن يقع على نبات الخطمى مثل العسل ما تخلص منه كان أبيض، وما لم يتخلص وجمع بالورق كان أخضر».

■ وقال الطبيب ابن جزلة أن المن: طل يقع على حجر أو شجر فيحلو وينعقد عسلا، ويجف جفاف الصموغ كالعسل المجلوب من بلاد قصران بالرى، وقوته مركبة من قوة حلاوته، وقوة ما يسقط عليه، وأما المن الذى غلب عليه هذا الاسم اكثر من غيره هو الذى يقع على شجر البلوط والدفان وغيرهما بنواحي سنجار وديار بكر ونصيبين، وهو معتدل في الرطوبة واليبس والذي يقع على البلوط يابس، وهو ينفع من السعال الرطب وهو جيد للصدر والرئة، ويجلو رطوبتها، ويلين خشونتها والذي يقع على الدفلى وما قاربه من الشجر رديء فينبغى أن يتجنب».

■ وقال النباتى التفليسى عن المن بأنه «طل يقع على شجر أو حجر أو نبات أجوده الأبيض النقي

الحجرى، ينفع من السعال ويلين الصدر ويسهل المرة الصفراء والشربة منه أوقيه»، وذكر أيضا الحافظ أبو عبد الله الذهبى فى كتابه الطب النبوى فوائد المن الصحية وهى «قوته حارة يابسه وقيل فيه اعتدال، وما نزل على الخطمي فما يخلص فيه كان أبيض، وما لم يتخلص منه كان أخضر، وتزيد قوته وتنقص حسب الشجر الذى يقع عليه، وهو جيد للصدر ينفع السعال وفيه جلاء».

المن عصارة نباتية

كما ذكر أحمد قدامه فى كتابه «قاموس الغذاء والتداوي بالنبات» بان المن هو عصارة سكرية متجمدة ذات طبيعة خاصة تسيل من شجر لسان العصفور أو الدرداء او غيرهما، واعتقد أنه ناتج عن الندى لأنه يشاهد بشكل قطرات على أوراق الأشجار، ولقد لوحظ أن المن يخرج من شقوق تعمل فى قشور سيقان بعض النباتات تسببها بعض الحشرات ويستمر افرازه منها رغم تغطيتها ولا يكون افرازها له إلا فى سن معينة يختلف حسب نوع الأشجار، وللمن ثلاثة أنواع، ولكل نوع شكل ولون وطعم مميز عن غيره، لكنها تشترك جميعاً فى المادة السكرية الموجودة فيها بنسب متباينه، ويجنى عادة المن مرة كل يومين، ويسيل من الشجرة وسط النهار إلى المساء وهو سائل صاف ثم يتجمد ولا يجمع إلا في الصباح ليرطب ليلا، وفى أوقات المطر والضباب لا يسيل المن، وللحصول على المن النقي توضع أنابيب من سوق القمح فى الشقوق فيسيل فى جوفها صافياً نقياً تصنع منه الأقراص والمربيات واللعوقات، وهو أقل إسهالا من غيره - ويفيد فى أمراض الصدر.

شراب سكرى من حشرة المن



تكون حشرة المن Aphedes معروفة لدى المزارعين، وتنمو على أوراق عدد كبير من المحاصيل النباتية، وهناك عدة أنواع من هذه الحشرة يتخصص بعضها فى النمو على نباتات معينة لكن بعضها الآخر يهاجم اكثر من محصول، والاسم العلمي لمن القطن هو: Aphedes gossypii وهى حشرة ناقصة التطور تمر بمراحل النمو التالية (بيض - يرقه - حشرة كاملة) ودورة حياتها قصيرة تصل فى بعض أنواعها إلى اسبوع واحد، لذا تحتاج إلى كمية كبيرة من العناصر الغذائية وخاصة البروتين لتوفير احتياجات نموها السريع وتكاثرها تحصل عليها من أوراق الأشجار فتمتص حجماً كبيراً من عصارة أنسجة النبات بوساطة أجزاء فمها الثاقبه الماصة، وتكون هذه العصارة غنية بالسكريات المتكونة فى أوراق النبات نتيجة عملية التمثيل الضوئى فى وجود مادة الخضور وأشعة الشمس، وبعد امتصاص حشرة المن العصارة النباتية الغنية بالسكريات والفقيرة بالبروتين تخرج السكريات الزائدة من فتحة الاخراج فى الحشرة بشكل مستمر فى صورة قطرات عسلية تسقط على أسطح الأوراق الموجودة أسفلها لذا يسمى اكتشاف وجود الشراب السكرى على أوراق النبات بالندوة العسلية، وتختار الحشرة النمو والتكاثر على السطح السفلى للاوراق لقلة سماكتها واحتوائها على نسبة أقل من الكيوتين وسهولة ادخالها فمها الماص فى النسيج النباتى، ويؤدى نشاط حشرات المن على سطوح الأوراق الى تكوين طبقة عسلية تتسبب فى انتشار النمل عليها فيسهل به الكشف عن الاصابة بالندوة العسلية.

شجرة تفرز شرابا سكريا

توجد فى الولايات المتحدة وكندا بعض أصناف شجرة الاسفندات Mapli والاسم العلمى لها

Acer Daccharinum ، فعند عمل قطع في جذع الشجرة فى أوقات معينة من السنة يجمع محلول سكرى يمكن تركيزه بالتبخير فى صورة شراب يعرف بشراب المابل Maple Syrup يحتوى على نحو ٦٢ر٦٢٪ سكروز (سكر عادى) و٥ر١ سكر محول، يستعمل فى تحلية الفطائر Pan Cake وغيرها.

أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير!

دعا موسى عليه السلام قومه إلى شكر الله على نعمه التى من بها عليهم، كما جاء فى قوله تعالى: ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم إذكروا نعمة الله عليكم﴾ (المائدة/٢٠)، فلم يقتنعوا بها أحسن الله عليهم فقال الله عز وجل على لسان أحبارهم ﴿ياموسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها﴾ (البقرة/٦١)، فسألوا أن تستبدل المن والسلوى بما تنبت الأرض من بقول ومحاصيل، فقرعهم الكليم على هذا السؤال وعنفهم قائلا كما جاء فى الكتاب العزيز ﴿أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير، اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم﴾ (البقرة/٦١)، ويدل جزءا هذه الآية الكريمة على أن الله قد فضل ما من به على بنى اسرائيل من طعام وشراب ولحم طير على ما تنبت الأرض، وذلك قبل أن يحدد العلم الحديث تركيب الأغذية ومكوناتها، وتدل التحاليل المخبرية على أن بروتينات خلايا جسم الانسان تحتوى على ٢٢ حمضاً أمينياً، ويختلف نوع البروتين حسب ترتيب وحداته النباتية من الاحماض الامينية وعددها، ويحتاج الجسم إلى أحد عشر منها لا يستطيع تكوينها فى خلاياه ويحصل عليها من طعامه وشرابه، فتسمى بالأحماض الامينية الضرورية وهى: «**الليوسين والأيزوليوسين والليسين والميثيونين والفينابل ألانين والثريونين والتربتوفان والفالين والهستدين والسيستين والتيروزين**»، وله قدرة بناء الاحماض الأمينية الاخرى، ولقد قسمت البروتينات فى الاغذية على أساس محتواها من الاحماض الامينية الضرورية لجسم الانسان إلى قسمين رئيسيين هما:

الاول: بروتينات ذات قيمة حيوية مرتفعة لاحتوائها على جميع الاحماض الأمينية بنسب جيدة، وتوجد عادة فى الأغذية ذات المصدر الحيوانى كاللحوم بأنواعها والألبان والأجبان والبيض.

الثانى: بروتينات ذات قيمة حيوية منخفضة لاحتوائها على بعض الاحماض الأمينية الضرورية وليس جميعها، وتكون معظم مصادرها ذات أصل نباتى كالبروتينات فى البقوليات والحبوب..

ولقد كان سؤال بنى اسرائيل لنبيهم موسى عليه السلام أن يبدل لهم الله المن والسلوى التى وهبها لهم بدون تعب ولا نصب بما تنبت الأرض التى هى أدنى فى قيمتها الغذائية لاجسامهم.

اليهود أمة جبلت على العصيان والتمرد والنفاق .. ولم يسلم الأنبياء من كيدهم وغدرهم.

المراجع

١ - ابن سينا - القانون فى الطب - ص١٩٥ (١٩٨٦) مؤسسة المعارف - بيروت - لبنان

٢ - الحافظ ابن كثير. قصص الأنبياء ص٣٧٠ - دار القلم - بيروت - لبنان.

٣ - ابن منظور - لسان العرب ج١٣، ص٤١٨ - دار الفكر - بيروت - لبنان.

٤ - الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي. الطب النبوى (١٩٨٦) ص١٩٥، دار احياء العلوم - بيروت - لبنان.

٥ - أحمد قدامة - قاموس الغذاء والتداوى بالنبات (١٩٨٥) ص٧١٠ - ٧١٣ - دار النفائس - بيروت - لبنان.

٦ - مجمع اللغة العربية - المعجم الوسيط ج٢، ص٨٩٥، المكتبة العلمية - طهران - ايران.

Passmore, R. and Eastwood, M.A. 1986
Human Nutrition and Dietetis. P.49.
Churchill Livingstone, London, England



والجبال أوتادًا

لقد احتوى القرآن الكريم وحى الله المنزل على خاتم انبيائه محمد ﴿ﷺ﴾ على آيات الهداية والرشاد وكان ومازال معجزا فى بيانه معجزا فى اخباره ومعجزا فى اتيانه وتقريره لأمور وسنن كونية ما كان للانسان أن يدركها ناهيك عن أن يقررها فى وقت نزول هذا الوحى ولم يحط بها ويدركها تماما الا فى وقت متأخر جدا، قدره المولى عز وجل وقرره فى قوله **﴿لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون﴾** وفى قوله تعالى **﴿ولتعلمن نبأه بعد حين﴾** ولسوف نتناول فى مقالنا هذا حقيقة علمية ذكرها القرآن الكريم وأشار إليها في عدد من آياته الا وهى ظاهرة الجبال شكلا ووظيفة والتى لم يستطع الانسان أن يصل اليها كحقيقة معروفة الا بعد التقدم والتطور العلمى والتقنى الهائل الذى حصل فى القرنين الأخيرين من عمر البشرية.

■ لقد عرف الانسان الجبال منذ القدم وتعامل معها وعاش فى اكنافها واستفاد منها ومن مكوناتها واقتصرت معرفته بها على حد الاستفادة المباشرة عرفها من خلال شكلها الظاهرى فقد عرف الجبل بأنه كل ما علا عن سطح الأرض واستطال وتجاوز التل ارتفاعا. فهل يفى هذا التعريف الجبل حقه الآن؟. إجابة على هذا التساؤل سنجول ونقلب فى صفحات تاريخ الجبال على مدى القرون الثلاثة الأخيرة والتى تميزت بالكثير من الكشوف العلمية الهامة فى شتى المجالات الكونية.

لقد فتن الانسان بالجبال شكلا وجذب اليها لما فيها من منافع واكتفى بمعرفتها ظاهريا الى بداية القرن الثامن عشر عندما تنبه بير بوجر (والذى كان يرأس بعثة الى جبال الأنديز) الى أن قوة الجذب Grivitational Attraction المقاسة فى هذه المنطقة لا يتناسب مع كتلة هذه الجبال الهائلة وإنما هى أقل بكثير مما هو متوقع معتمدا على الانحراف فى اتجاه القمم البركانية فى تلك المنطقة والملاحظ على قياس الجذب التقليدى الذى كان متوفرا لديه والمسمى بميزان البناء Plumb Bab نتيجة لهذه الملاحظة الأولية افترض بوجر ضرورة وجود كتلة صخرية هائلة غير مرئية ليس لها مكان الا اسفل تلك الجبال البارزة، ولقد حفلت بدايات القرن التاسع عشر الميلادى بالكثير من اعمال المسح الجيولوجى التى قامت بها بعثات جيولوجية بريطانية فى شبه الجزيرة الهندية وفسرت من خلالها الكثير من الظواهر غير أن ظاهرة الشذوذ فى قراءات الجاذبية قريبا من جبال الهيمالايا والتى اشتهرت باسم لغز الهند لم تفسر تفسيرا منطقيا الا أن فى منتصف ذلك القرن من خلال أعمال المسح التى كان يتولى الإشراف عليها سير جورج أفرست والتى كانت تشير بوضوح الى أنه لا يمكن

الموسوعة البريطانية اقتصرت فى تعريفها للجبال على الشكل الخارجى فقط وأغفلت تماما الجذر





د. حسن باحفظ الله
جامعة الملك عبد العزيز كلية علوم الأرض - جدة

تفسير هذا الشذوذ الا بافتراض وجود امتدادات لهذه الجبال الهائلة منغرسة فى جوف القشرة الأرضية الى مسافات عميقة وأن هذه الامتدادات اما أن تكون من نفس مادة الجبال البارزة أو أكثر كثافة منها، بهذه الفرضية امكن حل مشكلة الفارق الملاحظ فى قياس المسافة بين محطة كاليانا الواقعة فى احضان جبال الهيمالايا وكاليان بور البعيدة نسبيا عن جبال الهيمالايا والواقعة فى المنطقة المنبسطة (شكل١) والذى قدر بحوالى ١٥٣متراً، هذا الفرق كان قد لوحظ عندما قيست المسافة بطريقتى قياس مختلفتين الاولى تعتمد على حساب المثلثات وتسمى بطريقة المسح الثلثى Triangulation Technique والثانية تعتمد على موقع النجم القطبى وتسمى بطريقة المسح الفلكى Astron-omical Technique وقد عزى الشماس جون هارى برات Archdeacan John Henry Pratt هذا الفارق إلى تأثر الطريقة الثانية المستخدمة فى القياس بقوة جذب كتلة غير متطورة لم يتم ادخالها فى المعادلات المستخدمة لانجاز الحسابات النهائية للقياسات وبعبارة أخرى كان يشير الى وجود جذور Roots لجبال الهيمالايا ممتدة أسفل منها وهى التى اثرت على القياسات واظهرت الفارق سالف الذكر.

■ تقدم سير جورج أيرى فى عام ١٨٦٥م بنظرية مفادها أن القشرة الأرضية لا تمثل اساسا مناسبا للجبال التى تعلوها وافترض أن القشرة الارضية وما عليها من جبال لا تمثل الا جزراً طافية على بحر من صخور أعلى كثافة وعليه فلابد للجبال لضمان ثباتها واستقرار ها على هذه المادة الأكثر كثافة ان تكون لها جذور ممتدة من داخل تلك المنطقة العالية الكثافة (شكل/٢).

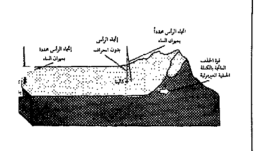
■ إن التفسير العلمى لنظرية جورج أيرى اتى من خلال النموذج الذى قدمه الجيولوجى الأمريكى دتون فى العام ١٨٨٩م شارحا به نظريته المسماه بنظرية الاتزان Theory of Isostasy والمتمثل فى مجموعة من المجسمات الخشبية المختلفة الارتفاعات طافية فى حوض مملوء بالماء (شكل/٣).

تبين من هذا النموذج أن الجزء المغمور فى الماء من المجسمات الخشبية يتناسب طردا مع ارتفاعه ذاكرا أنها فى حالة اسماها بحالة الاتزان الهيدروستاتى State of Hydrostatic Balance .

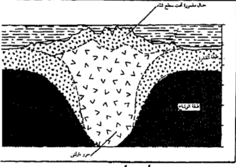
أما التمثيل الطبيعى والتقليدى لهذه الحالة فهى فى الواقع حالة جبال الجليد العائمة Iceeberges (شكل/٤).

تطورت العلوم وتوالت الكشوف وانتقلت قضية جذور الجبال من مرحلة النظرية الى الحقيقة والواقع الملموس وذلك بفضل من الله ثم بتقدم معرفتنا بتركيب الأرض الداخلى عن طريق القياسات السايزمية التحت سطحية والتى كشفت لنا أن القشرة الأرضية الصلبة التى نحيا عليها لا تمثل الا طبقة رقيقة جدا قياسا بما تحتها من طبقات وتراكيب أخرى وأن هذه الطبقة فى الواقع تطلق على طبقة اعلى كثافة منها ولكنها فى حالة مائعة تسمى بالوشاح Mantle (شكل/٥)، ثم عرفنا حقيقة أخرى تتمثل فى أن استقرار واتزان القشرة الأرضية بما تحمله من جبال وتلال ووديان لا يتم على طبقة الوشاح الا من خلال امتدادات من مادة القشرة داخل نطاق الوشاح وأن هذه الامتدادات لا

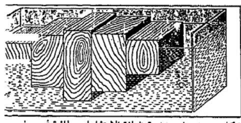
«أشار كتاب الله الكريم بإعجازه المعجز الى حقائق ثبتت اليوم بيقين»



شكل (١) يبين موقع كل من كاليانا وكاليان بور والانحراف الناتج بسبب قوه الجذب الخفية على ميزان البناء.



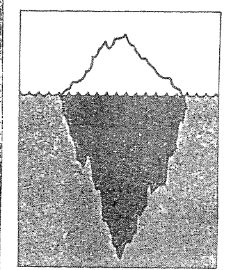
شكل (٢) يوضح جذراً بازلتياً من قشرة محيطية منغرس فى طبقة الوشاح.



شكل (٣) مجسمات خشبية مختلفة الارتفاعات طافية فى حوض مملوء بالماء لتمثيل نظرية الاتزان (مأخوذ من كتاب مبادىء الجيولوجيا الطبيعية - هولمز ١٩٧٠م)

يمكن أن تمثل عمليا الا بدور الاوتاد فى تثبيت الخيمة على سطح الأرض لضمان ثباتها وعدم اضطرابها.

■ أخيرا وصلنا الى مرحلة من المعرفة كبشر مكنتنا بعون من الله من رسم العديد من الخرائط التحت سطحية فى أجزاء عديدة من الكرة الأرضية أمكن من خلالها اثبات أن الجذور التحت سطحية تتناسب طردا مع ما يعلوها من تراكيب فهى ضحلة فى حالة المنخفضات وعميقة جدا فى حالة الجبال العالية ليس هذا فقط بل امكننا ان نقيس اطوال هذه الجذور وتوقع تركيبها وخواصها الطبيعية والكيميائية، اليست هذه الحقائق التى ثبتت الآن بيقين هى ما أشار اليها كتاب الله الكريم بايجازه المعجز قبل ما ينوف على الأربعة عشر قرنا عندما قال جل من قائل ﴿وألقى فى الأرض رواسي أن تميذبكم﴾ مشيرا الى ما خفى على الانسان من دور ووظيفة للجبال فى ثبات واستقرار الأرض التى يعيش عليها هذا الانسان، وفى قوله تعالى: ﴿والجبال اوتادا﴾ (سورة النبأ)، مشيرا الى الشكل الحقيقى للجبل وجذره الخفى الممتد أسفل منه كل ذلك فى كلمتين سهلتين واضحتين ولقد أدرك علماء المسلمين الأوائل هذه الحقائق من كتاب ربهم عندما تعرضوا لتفسير هذه الآيات الكريمة فإليك أخى القارىء مقتطفات من اقوالهم:



شكل (٤) شكل يمثل جبل جليدى طاف على سطح الماء والجزء الاكبر منه مغمور فى الماء (مأخوذ من كتاب الأرض- بريس، سيفير ١٩٧٤م)

المفسر	الآية	التفسير	المرجع
١ - ابن الجوزى	والجبال أوتادا	للأرض لئلا تميد	زاد المسير ٩/٥
٢ - الزمخشري	والجبال أوتادا	أى أرسيناها بالجبال كما يرس البيت بالأوتاد	الكشاف ٢٠٧/٤
٣ - الشوكاني	والجبال أوتادا	الأوتاد جمع وتد اي جعلنا الجبال أوتادا للأرض لتسكن ولا تتحرك كما يرس البيت بالأوتاد. أي لتسكن ولا تتكفأ ولا تميل بأهلها.	فتح القدير ٣٦٤/٥
٤ - القرطبى	والجبال أوتادا	أى ثبتنا الأرض بالجبال كما ثبت البيت بالأوتاد	الجامع لاحكام القرآن ١٧١/١٩
٥ - ابوحيان	والجبال أوتادا		البحر، المحيط ٤١١/٨

ولتقارن أيها القارىء الكريم بين ما قاله هؤلاء العلماء منذ مئات السنين وبين ما قالته الموسوعة البريطانية Encyclopacedia Britannica ذائعة الصيت فى تعريفها بالجبال فى المجلد الثانى عشر تحت مادة عمليات بناء الجبال حيث قالت إن الجبل هو منطقة من الأرض مرتفعة نسبيا عما حولها ثم تحدثت الموسوعة عن سلاسل الجبال وأنواعها المختلفة وهكذا نجد أن الموسوعة قد اقتصرت فى تعريفها للجبال على الشكل الخارجى فقط مغفلة تماما الجذر فى هذا التعريف ولا تعليق لنا أكثر من ذلك.

وقبل أن نصل الى النهاية نود أن نقرر أن الانسان وصل الى معرفة جذور الجبال عن طريق التجربة بجهده الذاتى وذلك بعد أن طرح سؤالا على نفسه عن الكيفية التى مكنت الجبال من الانتصاب على القشرة الأرضية وهو أمر

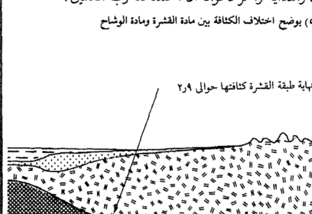
كان موضع عناية القرآن الكريم حين قال: ﴿**أفلا ينظرون الى الإبل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت**﴾ ورغم أن القرآن الكريم قد وجه الانسان الى تلك الحقيقة من خلال الآية الكريمة ﴿والجبال اوتادا﴾ الا أن معرفة اسرار هذه الحقيقة ما كان متيسرا فى القرون التى سبقت قرون الكشوف العلمية وهو ما أشار اليه القرآن الكريم أيضا فى قوله تعالى ﴿**لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون**﴾.

الا أن ذلك لم يمنع العالم المسلم كما سبق ولاحظنا من أن يسبق عصره فى فهمه لبعض الظواهر والسنن الكونية على الأقل بصورة اجمالية فكيف به لو استفاد مما لديه من امكانيات ومفاتيح للمعرفة مما هو متوفر الآن أو يتوفر مستقبلا أى أن العلم الصحيح لم ولن يتعارض أبدا والدين الصحيح وسيكون العلم فى عصرنا والعصور التالية برهانا ساطعا على صدق الوحى وسيشهد العلماء قبل غيرهم بهذا قال تعالى: ﴿**ويرى الذين أوتوا العلم الذى انزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد**﴾ وستتجلى آيات الله فى الآفاق والأنفس حتى يتبين للناس أن الذى أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق.

■ أظنك ايها القارىء الكريم ستتفق معى فى أننا سنعود كبارا كما كنا عندما كنا فى موقع القيادة والريادة لبقية الأمم وما كنا كذلك الا عندما كنا على صلة بالله عبادة وفهما فأنار لنا ظلام الطرق ويسر لنا سبل الهداية أما عندما ابتعدنا وغفونا ضعنا وأضعنا معنا بقية الأمم وأصبح حالنا حال الأيتام على مائدة اللئام نتطفل على حضارات غيرنا نأخذ منها كل غث مخلوط بقليل من السمين فهل من عودة الى مواقع القيادة والريادة لن تكون الإجابة إيجابا الا من خلال دعوة صادقة الى العودة الى مائدة الله، الى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة من معينها نقتبس وبهداهما نهتدى وبالأسباب نأخذ وعلى الله نتوكل ومنه نستلهم العون والهداية وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



شكل (٥) يوضح اختلاف الكثافة بين مادة القشرة ومادة الوشاح



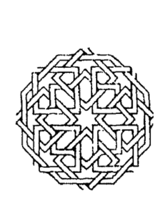
القصة القرآنية

ـ قراءة تأملية

د. محمد أحمد حمدون

كلية التربية للبنات ـ جدة

●● قبلما أتابع هذه التأملات فى القصة القرآنية أود أن أشير إلى أن جهوداً كثيرة بذلت فى مجالات دراستها وشرحها، وربما تختص بهذا الجانب منها إحدى دراسات هذا العدد المتخصص. ولا شك أن تأثير ما قرأت من تلك الدراسات والشروح سوف ينعكس سلبا أو إيجابا، رفضا أو قبولا، على بعض ما يرد هنا من تأملات. . غير أنى آثرت أن اكتب بصورة أكثر «انطباعية» بالنص القرآنى منها بتلك الدراسات، على ما فى بعضها من جهد وقيمة علمية وأدبية كبيرة. لم أشأ أن أسترسل مع الذين وقفت جهودهم عند إعادة كتابتها بإضافة عبارات تفسيرية قليلة. أو مع الذين أعجبوا بالقيم الفنية والموضوعية فى هذا القصص ـ مع مشاركتهم هذا الاعجاب ـ فراحوا يتحدثون عما فيه من «تكامل» عناصر القصة إلى حد أن بعض قصصه كالكهف ويوسف وهود وغيرها بدت لبعضهم كأنها «قصص سينمائية» ذات (سيناريو) نبحث فيه عن «المزج» أو طبع عدد من (الكادرات) بعضها فوق بعض double impress-ion، كما نبحث فيه عن التشويق وأنواعه، والعرض الفنى وأساليبه، وما قد يوصف «فى القصة الحديثة بالرجوع إلى الماضى ويعبَّر عنه بلفظة Retrospective، وما إلى ذلك مما قد تحمس له أحد الدارسين للقصة القرآنية حتى قرر أنها تحتوى على كل «عناصر الفيلم الناجح».



■ إعجاز القرآن أدبيا أمر مقرر. . ولكنه كالإعجاز العلمى يؤخذ فى «حسّى» ـ قبل ان أقول: «فى رأيى» بقدر. . ومن هنا فضلت أن تكون هذه المقالة انعكاسا لما انطبع فى ذهنى وأنا أقرأ قصص القرآن.



القص فى القرآن:

وردت مادة القص «ق ص ص» ومشتقاتها فى القرآن الكريم في اثنتى عشرة سورة، منها واحدة سميت «القصص» ـ سورة ٢٨:

● وأولها من حيث ترتيب المصحف كلمة «القصص» فى الآية ٦٢ من سورة «آل عمران»، تعقيبا على قصة عيسى عليه السلام: ﴿إن هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم﴾ والقصص الحق هنا ينفى الألوهية عن غير الله.

● ثم ورد الفعلان «قَصَصْنَا» و«نقصُّ» فى الآية ١٦٤ من سورة النساء: ﴿ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك﴾ وذلك فى معرض تأكيد وحدة الرسالة السماوية: ﴿إنا أوحينا اليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾ (النساء١٦٣).

● وفى سورة «الأنعام» تكرر الفعل «يقص» فورد فى الآية ٥٧ ﴿قل إنى على بينة من ربى وكذبتم به ما عندى ما تستعجلون به، إن الحكم إلا لله يقُصُّ الحق وهو خير

الفاصلين﴾، ثم ورد فى الآية ١٣٠ ﴿يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصُّون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا﴾، وواضح أن القص فى الموضعين مرتبط ببيان **الحقيقة الالهية التى لا مراء فيها، وأن على الانسان أن يعتبر بها ويتعظ.**

● وفى سورة «الأعراف» كثرت مادة القص فورد الفعل «نَقُصّ» فى الآية ٧: ﴿فلنقصَّنَّ عليهم بعلم وما كنا غائبين﴾ والفعل «يَقُصُّون» فى الآية ٣٥: ﴿يبنى آدم إما يأتينكم رسل منكم يَقُصُّون عليكم آياتى فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾، وتكرر الفعل «نقص» فى الآية ١٠١ ﴿تلك القرى نقُصُّ عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات﴾، كما جاء الفعل «اقْصُصْ» والاسم بالجمع «القَصَص» فى الآية ١٧٦ ﴿فاقْصُصْ القصص لعلهم يتفكرون﴾..

وإذا كانت تلك الآيات تشترك مع ما سبق ذكره من الآيات فى ارتباط مادة الـ« ق ص ص » ببيان الحقيقة الآلهية وبعث الرسل برسالة ذات غاية وهدف واحد، فإنها تشير - إضافة إلى ذلك إلى حقيقتين، **أولاهما: كون القصص «بعلم» أى: صادرا عن معرفة يقينية وليس مجرد تخيل، وثانيتهما: الاشارة إلى هدف القص وهو التدبر والتقوى والصلاح.**

● أما فى سورة «هود» فقد ورد الفعل «نقص» فى آيتين: آية ١٠٠ ﴿ذلك من انباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد﴾ وذلك تعقيبا على قصص الأقوام السابقة، أقوام إبراهيم ولوط وشعيب ومـوسى وما أصابهم بسبب تكذيبهم للرسل، وآية ١٢٠ وفيها يتحدد واحد من أهم أهداف القصص القرآنى وهو **تثبيت فؤاد الرسول** ﴿ﷺ﴾ ﴿وكُلًّا نقُصُّ عليك من أنباء الرسل ما نُثَبِّتُ به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين﴾.

● ثم نتقدم الى سورة يوسف وهى نفسها قصة طويلة فنجد فى الآية ٣ حكم القرآن بتفضيل القصص القرآنى على سواه «أحسن القصص» لكونه وحيا قرآنيا ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين﴾، ثم يأتى الفعل «تقصص» فى الآية ٥ ﴿قال يا بنى لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للإنسان عدو مبين﴾.. وهى آية تشير إلى **خطورة القص بما يتضمنه من إثارة للمتلقين.**

وبانتهاء هذه القصة والتعقيب عليها بما يشير الى وحدة طبيعة العلاقة بين الرسل وأقوامهم ونتائج هذه العلاقة يعود القرآن فيقرر فى الآية ١١١ أن من وظائف القصص القرآنى **بث العظة والاعتبار**وهى غاية سبقت فى آيات اخر. ﴿لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب، ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾، وفى الآية أيضا إعادة تأكيد لفكرة الحقيقة فيما يرويه هذا القصص.

● على أن تعبير فعل «القص» عن الحقيقة يبدو صريحاً فى الآية ١١٨ من سورة النحل: ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل﴾ وذلك تعقيبا على حكم شرعى بتحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به. **فليس ما يشير إليه الفعل (قصصنا) هنا رواية سلفت ولكن أحكاما تقررت.**

● ونأتى الى سورة «الكهف» وهى - كما سنرى - عدد من القصص المتتابع فنجد الفعل «نقص» **يعود لتقرير الارتباط بين الحقيقة والقص** فى الآية ١٣: ﴿نحن نقص عليك نبأهم بالحق﴾.

● وتتوالى القصص من سورة «الكهف» إلى «مريم» (التى لم ترد فيها لفظة «القصة أو مشتقاتها) إلى «طه» التى نجد فيها الدور الاخبارى للقصة وما يرتبط بهذا الدور من معرفة بأخبار السابقين واحوالهم، وذلك فى الآية ٩٩: ﴿كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق، وقد ءاتيناك من لدنا ذكرا).

● وليس أدل على ارتباط القصص القرآنى بالإخبار بالحقائق مما جاء فى سورة النمل، الآية ٧٦:

مساحة القصة فى القرآن الكريم عريضة الى الحد الذى نستطيع معه الجزم بأن أثرها على الحياة العربية الادبية والفكرية كان شاملا.

﴿إن هذا القرآن يقص على بنى إسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون﴾، وواضح أن غاية القص هنا **الاخبار بها يقطع دابر هذا الاختلاف** لكونه حقيقة فاصلة لا مراء فيها ولا جدال.

● ويشير القصص فى السورة التى سميت به الى حكاية موسى عليه السلام قبل أن يلقى شعيبا (الآية٢٥) ﴿فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين﴾ وهى حكاية أحدثت تأثيرا ربما لم يتوقعه موسى أو يخطط له، وبذلك تشترك هذه الآية مع بعض ما سبقها من الآيات التى تربط بين مادة «القص» وتأثيرات القص نفسه على المتلقين.

● وكانت آخر سورة نعثر فيها على مادة «القص» ـ حسب ترتيب المصحف الشريف ـ هى سورة «غافر»، التى نستطيع أن نستنبط منها أنه مع اهتمام القرآن الكريم بذكر أخبار الأمم والرسل السابقين تأكيداً للحقيقة وتثبيتا للفؤاد فإنه **لا يزال هناك من تلك الحقائق ما لم نحط به علما، ومن ثم يظل تاريخ الاعتبار مفتوحاً لمن يحاول أن يقرأ القصة ـ أو القصص ـ كاملة**: ﴿ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك﴾ (٧٨).

■ وهكذا فإن تتبع المادة اللغوية للقص فى القرآن الكريم يوحى بارتباطات متعددة أهمها أن القص يتضمن حقائق تعنى ببيان وحدة الرسالة السماوية، وأنه يهدف إلى بث العظة والاعتبار وتثبيت فؤاد المؤمنين فى كل أمة وجيل، وأنه يحدث أثرا فى نفوس المتلقين يجعلهم أقرب إلى قبول الحق ورفض الظلم والبغى.. لكن تأمل المادة القصصية القرآنية ذاتها سوف يوحى لنا بآفاق أرحب فى معطيات هذا القصص ومؤثراته.

القصص القرآنى يرتبط فى بعض السور والآيات بالدور الأخبارى.. وهذا يرتبط بمعرفة أخبار السابقين وأحوالهم.

المادة القصصية القرآنية:

فى القرآن قصص كثير. بل إنه ليدهشنا حقا أن نرى المادة القصصية فيه أكثر بكثير مما نتصور لأول وهلة.. إن قارىء القرآن ما يكاد يستهل سورة البقرة فى أوله حتى يجد نفسه أمام «صورة قصصية» تقوم على «حوار» بين الحق وبين الذين كفروا، وفى هذه الصورة تصوير لما ختم الله به على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم، فلا يستجيبون لحق، ولا يكفون عن باطل:

ـ وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض

ـ قالوا إنما نحن مصلحون...

ـ وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس

ـ قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء؟..

ـ وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا: آمنا

ـ وإذا خلوا الى شياطينهم قالوا: إنا معكم..

■ وهكذا يظلون فى لجاجتهم يشترون الضلالة بالهدى فيغيب الهدف عن أعينهم حتى يصبحوا ﴿كَمَثَلِ الذى استوقد ناراً، فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون﴾ (٦ـ١٨).

■ وما نكاد نخرج من هذه **الصورة القصصية** حتى ندخل فى أول قصة بتفريعيها المتكررين فى القرآن الكريم وهى قصة آدم خلقه وهبوطه إلى الأرض، وتمرد ابليس (٢٩ـ٣٩)، ومنها الى قصة أخرى ذات تفريعات وتكرار، وهى قصة موسى: مع فرعون، ومع قومه (٤٠ـ١٢٣). ونلاحظ فى هذه القصة التداخل مع قصة فرعية هى قصة البقرة الصفراء التى تمثل «لجاجة» بنى إسرائيل (٦٧ـ٧٣).. وهى لا تختلف عن اللجاجة التى عهدناها فى «الذين اشتروا الضلالة بالهدى» فى مطلع السورة.. كما نلاحظ فى نهاية القصة ربطاً بين موقف اليهود وموقف النصارى، وهو ربط

يتصل بأهم مغازى القصص القرآنى، أعنى عرض الأحداث والمواقف التى تؤكد استمرار قصة الانسان كما هى: حياده عن الحق ودعوته للرجوع إليه، أو الشر والخير فى الانسان مجتمعين.

■ ومن قصة موسى إلى قصة ابراهيم وبنائه البيت الحرام (١٢٤-١٣٢). ثم - وتلك مناسبة واضحة على الرغم من التباعد التاريخى - مشاعر الرسول ﴿ﷺ﴾ تجاه هذا البيت وقصة تحول القبلة (١٤٢-١٥٠). وبين قصة ابراهيم والمناسبة التى استدعت قصة تحول القبلة نرى مقطعا قصصيا يعيدنا إلى فكرة استمرارية الحكاية الانسانية: الحياد والهداية ﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون﴾ (١٣٣).

وعلى الرغم من أن سورة البقرة بعد ذلك لا تورد إلا قصتين قرب نهايتها - وهما قصة طالوت (٢٤٦-٢٥١) وقصة الذى حاج ابراهيم فى ربه (٢٥٨-٢٦١) - إلا أننا ندرك ونحن نتابع قراءة السورة ما ذكرته من حضور فكرة «استمرارية الحكاية الانسانية: هداية وحياداً.. طاعة وعصيانا.. فالتداول بينهما مستمر، وما يواجهه الرسول ﴿ﷺ﴾ - الشخصية الرئيسية فى الجزء الحاضر من الحكاية - قد واجهه أنبياء كثر من قبله: ﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين﴾ (٢١٣).

أريد أن أخلص مما سبق عرضه بالنسبة لسورة البقرة هذه أن المادة القصصية القرآنية ذات طابع مميز وفريد، فهى تقوم على «حكايات» و«صور» متداخلة ومترابطة فى حكاية رئيسية مفهومة الايحاء والقصد.

■ إن الأحداث - التاريخية - بل والحكايات القصيرة الكاملة، وما يتخلل هذه وتلك من شخصيات يتم تصويرها إجمالا أو تفصيلا، وأسلوب المعالجة مقاليا أو وصفيا أو حواريا، كل هذا لا يبين الاساس أو الجوهر فى محاولة كشفنا عن خصائص القصة القرآنية بقدر ما تبدو الفكرة الايحائية الكامنة وراءه.. هناك نسج لا نهائى لشبكة من علاقات الانسان بتاريخه، والمهم أن يدرك كل منا مكانه على هذه الشبكة.. فيأخذ موقعاً أفضل فى ظاهرة الوجود.



■ وقبل أن أعرض لهذه الفكرة المغزى ومسوغاتها يجب أن أجمل الحديث عن المادة القصصية القرآنية فى عدد من الملاحظات.

الملاحظة الأولى: الكثرة

إن أكثر السور القرآنية حتى القصار منها تشتمل على «قصص» أو «عرض قصصي» الى الحد الذى أشرنا إليه سلفاً بأن تلك المادة القصصية فى القرآن الكريم تفوق كثيرا كل تصور لنا عنها.

لقد حددت الدراسات النقدية النص القصصي بأنه نص تنطبق عليه شروط أربعة هى:

١ - وجود هيكل سردى متصل يربط أجزاءه.

٢ - شموله على أسلوب وصفى جيد.

٣ - ان يكون الاستطراد أو الحذف فى عرض الحوادث وفقا لمنطق هذه الاحداث.

٤ - أن يثير هذا النص قدرا من التشويق عند قارئه يدفعه إلى متابعته وقراءته حتى النهاية.. وربما «إعادة قراءته».

■ ومع تأكيدنا على أن القصص القرآن لا تحكمه هذه الشروط فإن تطبيقها عليه سيخرج لنا بعدد كبير من النصوص القصصية القرآنية كقصص آدم، والبقرة، وطالوت، والذى حاج إبراهيم فى ربه التى ذكرناها فى سورة البقرة من قبل، وكقصة امرأة عمران ومعها زكريا وعيسى ابن مريم إلى

آخر ما أطلق عليه: ﴿القصص الحق﴾ فى سورة آل عمران (٣٥-٦٢) والمحتوى على هياكل سردية.

ولو رحنا نعدد هذا النوع من القصص المتكامل المحدد البداية والنهاية فى بقية السور لوجدنا لكل نبى قصة، ولكل أمة سلفت رواية، ولكل حادثة ذات مغزى فى حياة النبى ﴿ﷺ﴾ ومن معه حكاية.. فى سورة المائدة قصة موسى وقومه حين أمرهم بدخول الأرض المقدسة (٢٠-٢٦) تعقبها قصة «ابنى آدم» (قابيل وهابيل) (٢٧-٣٢) وبعدها قصة «عيسى والمائدة» (١١٠ - آخر السورة). وفى سورة الأنعام قصة «ابراهيم مع أبيه آزر وقومه» (٧٤-٨٣). وفى **سورة الأعراف** تكررت قصة آدم وتمرد ابليس (١١-٢٧) ثم اعقبتها قصة هود مع قومه عاد (٦٥-٧٢)، وقصة صالح مع ثمود (٧٣-٧٩)، وقصة لوط مع قومه (٨٠-٨٤)، وشعيب إلى مدين (٨٥-٩٣)، وقصة موسى مع فرعون وسحرته - ثم مع قومه وأخيه هارون بعد أن عبر بهم البحر، وهى من أطول القصص وأكثرها تكرارا، (١٠٣-١٧١).

● وفى **سورة الأنفال** نجد ملامح قصة جهاد النبى ﴿ﷺ﴾ ﴿كما أخرجك ربك من بيتك بالحق﴾ وأولى معاركه مع المشركين (٧-٢٠) ثم تترى الآيات فى هذا الجهاد تتخللها أحداث وعظات من حيوات السابقين حتى آخر السورة). بل إننا نرى امتدادا لهذه القصة فى السورة التالية - التوبة - ﴿لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا﴾ (٢٥-٢٧).. وفيها أيضا نرى عرضا موجزا لقصة مسجد الضرار (١٠٧-١١٠).

■ ونعود إلى قصص الأنبياء مرة أخرى فى سورة يونس: نوح (٧١-٧٣)، وموسى (٧٥-٩٤)، ويونس - قصة قصيرة جدا - ﴿فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين﴾ (٩٨)، وفى **سورة هود**: نوح - وهى هنا قصة مفعمة بتفاصيل الطوفان وحكاية أب - نوح - وما يعتمل فى قلبه حين يرى ابنه رافضا النجاة مصرا على العصيان.. سائرا الى الهلاك (٢٥-٤٩)، وهود إلى عاد (٥٠-٦٠) وصالح إلى ثمود - مع ذكر الناقة وتحذيرهم - دون جدوى - من عقرها (٦١-٦٨) - وإبراهيم وامرأته العجوز العقيم.. تلد (٦٩-٧٦) ولوط يتوعد قومه.. «والصبح قريب» (٧٧-٨٣) وشعيب إلى مدين (٨٤-٩٥).. وموسى وفرعون، تذكرة موجزة (٩٦-٩٩) ﴿ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم﴾ (١٠٠-١٠١).



■ ومن سورة هود إلى **سورة يوسف** التى تمثل فى طولها وتتالى أحداثها ظاهرة من أبرز الظواهر القصصية فى القرآن الكريم. إن قصة يوسف لم تتكرر كغيرها من قصص الأنبياء ولكنها عرضت مفصلة وكاملة فى تلك السورة، وعلى نمط روائى تاريخى روحي لا نظير له سواء فى مصدرها السابق «العهد القديم» أو ما لحقها بعد ذلك من محاولات الكتابات القصصية المتكررة فى الآداب الاسلامية وغيرها(*).

● وتجمل سورة إبراهيم قصص الأنبياء مرة أخرى: موسى (٥-٨) وقوم نوح وعاد وثمود (٩-٢٣). أما سورة الحجر ففيها إعادة لقصة خلق آدم وتمرد ابليس (٢٨-٤٨) وقصة ابراهيم مع الرهط المرسل إلى قوم لوط. (٥١-٦٠) ثم قصة قوم لوط (٦١-٧٥).

● وقصة إسراء النبى ﴿ﷺ﴾ وهى مصدر لكثير من القصص الذى ظهر بعد ذلك حول الاسراء والمعراج تقع فى آية واحدة فى مستهل سورة الاسراء، يعقبها طرف من قصة موسى مع بنى إسرائيل (٢-٨) وقصة تمرد ابليس (٦١-٦٥)
ثم ايجاز سريع لقصة موسى مع فرعون (١٠١-١٠٤).

■ والناظر فى **سورة الكهف** يجدها كلها قصصاً بدءا من أصحاب الكهف (٩-٢٦) إلى صاحب

الجنتين وصاحبه (٣٢-٤٣) وقصة موسى مع فتاه ثم مع العبد الصالح (٦٠-٨٢) وقصة ذى القرنين (٨٣-٩٩). وكذلك سورة مريم تبدأ بقصة زكريا (٢-١٥) تعقبها قصة مريم وميلاد عيسى (١٦-٣٦) ثم قصة ابراهيم مع أبيه (٤١-٥٠). وفى السورة كذلك أطراف ولمحات سريعة من قصص موسى وإسماعيل وإدريس، وتنتهى بالاشارة الى جزء من قصة عيسى وكيف اتخذه بعضهم للرحمن ولدا..

● وننتقل مباشرة من قصص سورتى **الكهف ومريم** الى قصص **سورة طه**.. حكايات الأولين والأنبياء والمرسلين تعود بأساليب مختلفة ومن زوايا جديدة ﴿وهل أتاك حديث موسى. إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا إنى ءانست ناراً لعلى ءاتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى..﴾ وتستمر القصة إلى آخر ما كان من أمره بملاقاة فرعون.. ثم عودة على طفولته وما أوحاه الله لأمه من قذفه فى التابوت.. فى اليم.. فالبعثة.. فالتحدى.. فمصير فرعون المحتوم.. فحيدة بنى اسرائيل عن الصواب بعد أن نجاهم الله: (٩-٩٨).

وقبل أن تنتهى السورة كانت هناك مناسبة للعودة لطرف من قصة آدم ووسوسة الشيطان له (١١٦-١٢٣). وفى سورة الأنبياء مرة أخرى نعود إلى قصة ابراهيم وتحطيمه الأصنام وما أعقب ذلك (٥١-٧٣) مع إشارات قصصية سريعة لكل من لوط ونوح وداوود وسليمان وأيوب وإسماعيل وإدريس وذى الكفل وذى النون وزكريا والتى أحصنت فرجها (مريم)، و﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾ (٧٤-٩٢).

المادة القصصية فى القرآن الكريم اكثر بكثير مما نتصور لاول وهلة.

● ثم ذكرت قصة نوح مرة أخرى وبتفصيل أكثر مما ورد فى السورة السابقة فى سورة المؤمنون (٢٣-٣٠) تعقبها قصص لغيره من الأنبياء منهم موسى (٤٥-٤٩) وعيسى وأمه (٥٠) مع تأكيد نفس الفكرة السابقة وهى ﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾ (٥٢). وفى سورة النور تقع قصة (حديث الافك) فى إشارات تتخللها نماذج من القيم والاحكام (١١-٢٦). وفى سورة الفرقان إشارة تكررت سريعاً لقصص الانبياء: موسى ونوح وهود وصالح (٣٥-٣٩). والسورة التالية لها - الشعراء - تحتوى أيضا على جوانب من قصص موسى (١٠-٦٦)، وابراهيم (٦٩-٨٩)، ونوح (١٠٥-١٢٠) وهود (١٢٣-١٣٩) وصالح (١٤١-١٥٩) ولوط (١٦٠-١٧٣) وشعيب (١٧٦-١٨٩). وفى سورة النمل أطراف من قصص موسى (٧-١٤)، وداوود وسليمان - وفيها قصص النمل والهدهد والجني وبلقيس ملكة سبأ - (١٥-٤٤)، وصالح (٤٥-٥٣) ولوط (٥٤-٥٨)، أما السورة التى تلتها فهى التى أشرنا من قبل أنها تحمل عنوان «القصص»، وهى أيضا لا تخلو من قصص الأنبياء، فهى تبدأ بحكاية موسى مع فرعون وعلى طريقة السرد بالرجعة تقص حكاية طفولته ثم شبابه وما وقع منه حين استنصره رجل من شيعته فقضى على عدوه ثم هروبه إلى أرض مدين فزواجه فرسالته فمحاجته لفرعون.. الخ (٣-٤٦)، وتنتهى بحكاية قارون (٧٦-٨٢).

■ ولا نكاد نغادر سورة الى تاليتها حتى نجد أنفسنا مرة أخرى أمام قصص مررنا بها. **ففى سورة العنكبوت** - وهى التى تلى **القصص** - عودة الى قصة نوح (١٤-١٥) وابراهيم (١٦-٢٧) ولوط (٢٨-٣٥) وشعيب (٣٦-٣٧)، وعاد وثمود وقارون وفرعون وهامان فى لمحة سريعة على سبيل التذكرة. أما سورة لقمان - وهى فى بداية الثلث الأخير من القرآن - فقد اشتملت على نصائح لقمان لابنه والتى ترد فى أسلوب قصصى، مما سنعرض له بعد استقرائنا للقصص المحدد البداية والنهاية كما ذكرنا.

والذى يبدو - من استقرائنا هذا - ان ذلك النوع من القصص يقل فى الثلث الأخير من القرآن الكريم عنه فى الثلثين الأولين. فلا نجد من أمثلته إلا أطرافاً من قصة حول زوجات النبى

﴿ﷺ﴾ مع تضمين وإشارة لقصة زينب (الأحزاب ٢٨-٤٠) وقصة داوود وسبأ (سبأ ١٠-٢١) وأصحاب القرية (يس ١٣-٢٩) وداوود وسليمان وأيوب (ص ١٧-٢٦، ٣٠-٤٠، ٤١-٤٤ على التوالى). ونماذج من نساء: امرأة نوح وامرأة لوط، وامرأة فرعون، ومريم ابنة عمران فى إشارات قصصية موجزة (التحريم ١٠-١٢). وقصة اصحاب الجنة (القلم ١٧-٣٣) وقصة نوح، والتى تشبه قصة يوسف فى استقلالها بسورة كاملة تحمل عنوانها «نوح» وإشارة لقصة الأعمى فى مطلع سورة «عبس» مع قصتين قصيرتين فى اثنتين من قصار السور هما: قصة أصحاب الفيل (سورة الفيل) وقصة أبى لهب وزوجته فى سورة المسد.

● ولم يخل هذا الثلث كذلك من إشارات موجزة لقصص الأنبياء تتناول نوحاً وإبراهيم وإسماعيل واسحق وموسى وهارون ويونس ولوطاً (الصافات) وهى تعرض فى أسلوب تغلب عليه موسيقى الفواصل واللمحات والاشارات الفنية والشعورية.

ومثل ذلك يقع فى سور غافر والذاريات والقمر والجاثية.

●● الحقيقة إذن أن مساحة القصة فى القرآن الكريم عريضة إلى الحد الذى نستطيع معه الجزم بأن أثـرها على الحياة العربية الأدبية والفكرية كان شاملا. فمن بحث المشركين عن قصاص يروون أسـاطـير الأولين ليصرفوا الناس عن القرآن.. الى استطراد بعض المفسرين فى بحث أسباب النزول وسرد القصص والحكايات المتعلقة ببعض الآيات.. إلى تأكيد كثير من الدارسين - ومنهم مستشرقون مثل ويستنفلد وميتز ونولدكه - بأن قصص القرآن كانت مثلا عليا للقصة احتذتها القصة الاسلامية - عربية وفارسية - وتأثرت بها القصة فى آداب كثيرة●.

القصص فى القرآن الكريم يتضمن حقائق تعنى ببيان وحدة الرسالة السماوية.

الملاحظة الثانية: التكرار والتذييل والتقابل

«التكرار» و«التذييل» و«التقابل» ثلاثة مصطلحات تختلف مفاهيمها وأمثلتها فى الأسلوب القرآنى أو البلاغى بعامة. وهى - فى نفس الوقت - مصطلحات لا نقصد بها حصر العناصر الفنية للقصة أو تقعيدها فى أنماط بلاغية مهما كانت،إنها - فيما نهدف إليه - تمثل ملاحظة واحدة متشابكة الأطراف، وهى أن القصة القرآنية دينية المغزى.. هى جزء من الوحى، وداخل إطار واحد معه ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً﴾ (الشورى٥١).

ولكونها هكذا دينية المغزى عملت تلك الظواهر البلاغية الثلاثة فيها على تعميق هذا الأثر. فالتكرار يقع دائما فى قصص الأنبياء، وفى معرض تحدى أقوامهم لهم وعدم استجابتهم لما أوحاه الله اليهم ومن ثم يأتى أمر ربك وتنزل بهم النوازل تأكيداً لنصر الله لدعوة الحق. لقد ذكرنا عددا من السور التى تكررت فيها تلك القصص - مع اختلاف زوايا العرض أحيانا - كالأعراف ويونس وهود وإبراهيم وطه والأنبياء والشعراء بصفة خاصة.

■ ففى مطلع السورة الأخيرة - على سبيل المثال - ترد قصة اللحظة الحاضرة والرسول ﴿ﷺ﴾ باخع نفسه على آثارهم حتى يكونوا مؤمنين، ولكنهم لا يزالون مختلفين.. مكذبين.

تلك قصة نجد فى ختامها تعقيباً عليها بالأيتين ٨ و ٩ هكذا: ﴿إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين. وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾.. ثم ترد قصة موسى التى ذكرت فى السور السـابقـة، أى تتكرر، ثم يتكرر التعقيب عليها:نفس الآيتين برقمى ٦٧ و ٦٨.. ثم قصة ابراهيم مكررة ومعقباً عليها بنفس الآيتين فى رقمى ١٠٣ و ١٠٤.. وهكذا عقب قصة قوم نوح تتكرر الآيتان برقمى ١٢١ و ١٢٢، وقوم عاد برقمى ١٣٩ و١٤٠، وثمود قوم صالح برقمى ١٥٨ و ١٥٩، وقوم لوط برقمى ١٧٤ و ١٧٥، وأصحاب الأيكة برقمى ١٩٠ و ١٩١. إن

التكرار هنا لا يقع فقط فى إطار إعادة القصة، الحدث. ولكن فى النتيجة النهائية لصراع الحق مع الباطل.

وإذا كان التكرار فى القصة أو فى التعقيب عليها بما فى هاتين الآيتين من معان يعطى هدفها الدينى بعداً أقوى، فإن التذييل ـ بمعناه العام، أى كون جزء من الآية تعقيباً عاماً على مضمونها ـ قد قام بحمل هذا البعد إلى مشاعر المتلقين لحظة بلحظة فأكثر الآيات تذيل بما يدعو لتقوى الله أو خشيته أو الخوف من عذابه أو غير ذلك من المعانى الدينية. ولنأخذ هنا المقطعين المقارنين من قصة يوسف عليه السلام ـ كمثال ـ فى القرآن الكريم وفى الفصل السابع والثلاثين من الكتاب المقدس، وهما من ذكر مالك بنّبى فى كتابه المشار اليه من قبل:

■ القصة القرآنية:

(آية رقم ٥) : ﴿قال يابنى لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للانسان عدو مبين﴾.

(والآية رقم١٨): ﴿وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما يصفون﴾.

■ القصة الكتابية: (المقابل)

تتبع المادة اللغوية للقصص فى القرآن الكريم يوحى بارتباطات متعددة.

(رقم ١٠): وإذ قصه (الحلم) على أبيه وإخوته زجره أبوه وقال له ما هذا الحلم الذى رأيته. أترانا نجيء أنا وأمك وإخوتك فنسجد لك إلى الأرض..؟

(٣٢ـ٣٥) وبعثوا بالقميص الموشى فأنفذوه إلى أبيهم وقالوا: هذا أثبته. أقميص ابنك هو أم لا؟.

فأثبته وقال: قميص ابنى وحش ضار أكله، افترس يوسف افتراسا.

ومزق يعقوب ثيابه وشد مسحا على حقويه وناح على ابنه أياماً كثيرة.

وقام جميع بنيه وبناته يعزونه فأبى أن يتعزى وقال: إنى أنزل الى ابنى نائحا الى الجحيم. وبكى عليه أبوه.

■ فالنص الكتابى على الرغم من طوله ـ لا سيما فى المقطع الثانى ـ تشغله تفاصيل الحدث عن إحداث الأثر الدينى الذى يحدثه التذييل فى كل من الآيتين القرآنيتين. وهو تذييل يؤكد البعد الروحى للقصة القرآنية وأنها تجعل صياغة التاريخ أو تفاصيل الحدث مسألة تالية للهدف الذى من أجله صيغت دون أن تقلل من قيمتها أو تخطىء فى تفاصيلها.

■ إن هذا التذييل ملحوظ فى أكثر الحوار الدائر بين الأنبياء وأقوامهم، وقد أشرنا إلى مواضع قصصهم فيما سبق، فلننظر فى الملحظ البلاغى الثالث: التقابل، وهو فيما نقصده هنا يقابل الطباق والمقابلة فى بلاغة الكلمة والجملة. فكما حفل القرآن الكريم بأساليب عديدة تعنى بتصوير الضدين أو المتقابلين لابرازهما فى أوضح صورة لكل منهما: (الأعمى والبصير، والظلمات والنور، والظل والحرور، والأحياء والأموات) شاع فى قصصه إبراز المتقابلين أو المتقابلات، لكى يعمق نفس الغاية المشار إليها من قبل، وهى المغزى الدينى للقصة.. فإسماعيل يطيع أباه فيما لا يكاد يصدقه عقل: ﴿.. يابنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى.. قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين﴾ (الصافات/١٠٢) ولكن يام ابن نوح يعصى أباه فيما لم يكن بحاجة الى برهان أو يكلفه مشقة: ﴿.. يابنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين. قال: سآوى الى جبل يعصمنى من الماء..﴾ (هود ٤٢-٤٣) نبى وابنه ونبى وابنه وشتان ما بين

الابنين.

ويقص القرآن كذلك قصة امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عباد الله الصالحين.. فخانتاهما.. فى مقابل قصة امرأة فرعون تحت رجل كافر وتقول: ﴿رب ابْنِ لى عندك بيتا فى الجنة﴾ (التحريم ١١) كمريم ابنة عمران.. امرأتان وامرأتان.. وشتان.

■ وهكذا قصص الأنبياء.. تبين من آمن فنجا ومن كفر فهلك.

■ إن ابراز التقابل على هذا النحو فى القصص القرآنى - إلى جانب ما ذكرناه عن التذييل والتكرار - يؤكد خضوع هذا القصص لغرضه الدينى أولا ووفائه بهذا الغرض، بمقارنة الخير والشر والحق والباطل وإن كان هذا لايعنى استبعادنا لما فى هذا القصص من خصائص فنية أخرى لا حصر لها، ولا تدخل فى إطار ملاحظاتنا الحالية.

الملاحظة الثالثة: الانسياب فى الحاضر:

إن جميع ما أشرنا إليه من قصص يبدو قالبه القصصى واضحا، حيث يتمحور العرض فيه حول «حدث» (فى الغالب بسيط، غير مركب أو معقد) قد نستطيع أن نلحظ بدايته ونهايته، مرة فى يسر وأخرى بصعوبة شديدة. على أننا نتردد فى بعض الأحيان فى تحديد تلك البداية أو النهاية للقصة، لأنها لا تبدو لنا مجرد مقطع خارجى لوقائع تروى أو نشاهدها من بعيد. إنها تنشأ من اللحظة الحاضرة وتنساب فيها مرة أخرى. ولذلك فهى تتكرر - وكل قصص الأنبياء يتكرر - لأن اللحظة الحاضرة استدعتها فكانت جزءا من الحدث القائم.

القصة القرآنية دينية الغزى.

إننا لو عدنا الى قصة آدم وتمرد ابليس فى سورة البقرة (مثلا) وقد قلنا إنها تستغرق الآيات ٢٩ إلى ٣٩ نجد أنها تبدأ بحرف العطف ﴿وإذ قال ربك للملائكة...﴾، ومع وضوح ما فى هذا التركيب اللغوى من ربط بما سبقه، فإننا نلحظ ربطاً أقوى وأهم على مستوى العلاقة بين المقطع - الذى سميناه قصة آدم - وما سبقه، فلقد كانت الآيات السابقة تتحدث فى سؤال تعجبى: ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فأحياكم..﴾ (٢٧). وتؤكد أن الله (هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شىء عليم﴾ (٢٨)، إن الآيتين توجهان القارىء المتأمل إلى التحرر من سيطرة الشكل الخارجى للخطة المحيطة به والذى جعله يكذب أو يكفر إلى جوهرها الكامن فى عملية الخلق والابداع الالهى لهذا الكون بكل ما فيه.. وبدءا بخلق آدم.. هنا لم تصبح القصة مقطعاً منفصلا فى بدايتها، لأن هذا الجزء السابق عليها منها وفيها.. وهى فيه أيضا.

وفى نهايتها لذلك.. هل ينفصل الخطاب الموجه لبنى اسرائيل عن تلك القصة؟ ﴿يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوفِ بعهدكم وإياي فارهبون. وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا وإياى فاتقون﴾؟ (٤٠-٤١).

إن خلق آدم ونعمة الخالق عليه وعلى من أمرهم بالسجود له - ومنهم إبليس - ثم كفر إبليس بهذه النعمة، ليس حدثاً معزولا عن هذا الخطاب الموجه لبنى اسرائيل.. بل هو إلغاء للفاصل الزمنى الموهوم بين أحداث قصة واحدة.. خلق واحد وموقفين مختلفين: كفر وإيمان.. وهذه القصة نفسها قصة بنى اسرائيل وما يرد خلالها من قصص تفريعي (٤٠-١٢٣) لا نكاد نعرف متى وكيف دخلنا إليها أو انتقلنا منها إلى تاليتها. إن ما بين القصة والقصة دائما استحضار للواقع، وإدماج للحظتين - الماضية والآتية - لا بشكلهما بل فى جوهرهما. وقل مثل ذلك فى معظم

ما ذكرناه من قصص.

■ هل تنتهى قصة ذى القرنين فى سورة الكهف عند الآية ٩٨ بعد أن بنى السد الذى لم يستطيعوا له نقبا، ثم ﴿قال هذا رحمة من ربى فإذا جاء وعد ربى جعله دكاء وكان وعد ربى حقا﴾؟ أم أنها تمتد إلى الآية ٩٩ مع أنها بدء ربع الحزب ٣١: ﴿وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض ونفخ فى الصور فجمعناهم جمعا﴾؟ ثم.. ألا يستمر المد الفكرى والأثر الوجدانى للقصة فيما يعقب ذلك كله من آيات؟.

■ ومن أبرز الأمثلة على النهاية التى تجعل القصة منسابة فيما يعقبها قصة آدم فى نهاية سورة طه فبعد أن عرفنا من قصة آدم نسيانه وامتناع إبليس عن السجود له، ثم وسوسة الشيطان له، وما أعقبها من عصيان وغواية، ثم توبة الله عليه وهدايته له، نقرأ: ﴿قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى (١٢٣) ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى (١٢٤) قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا (١٢٥) قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى (١٢٦) وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى (١٢٧) أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم إن فى ذلك لآيات لأولى النهى (١٢٨)﴾ أين بالضبط فى هذا السرد المنساق الآخذ بعضه بأعناق بعض نستطيع أن نرى نهاية القصة؟ إننا بلا شك - وبتأثير انسيابية الماضى فى الحاضر - ذوبنا طرفى الحدث فيها - أو ذابا - حتى أصبحنا وفاعليه لا نختلف إلا باختلاف كل منهم ومنا فى موقفه من القضية المعروضة.. قضية واحدة.. قصة واحدة.. أمة واحدة..

■ وإذا كان التعرف على هذا الادماج يحتاج منا جهدا مركزاً واستعانة دائمة بجهود المفسرين القيمة فى «الربط بين الآيات والسور» فى معظم القصص التى أشرنا إليها ونحن نتابع المادة القصصية فى القرآن الكريم، فإن هذا التعرف يبدو أكثر سهولة فى المادة القصصية التى تنساب فى السور القرآنية دون أن تتمحور حول حدث أو حكاية.. وما أكثر تلك المادة!

لا أكاد أجد تعريفاً فنيا محدداً لما أطلق عليه هنا «المادة القصصية» وليكن عذرى فى هذا أنى أعمد منذ البداية إلى التحرر من معالجة القصة القرآنية فى إطار ما تواضعنا عليه فى معالجة القصة فى إطارها النقدى والفنى.

■ المادة القصصية القرآنية واضحة فى أساليب حوارية وتمثيل بلاغى يردان فى كل موقع وكل مناسبة. وما علينا لكى ندرك غزارة هذه المادة وتأثيرها القصصى إلا أن نقف مع نماذج منها:

فى سورة الأعراف - مثلا - ذلك الحوار بين «أولاهم» و«أخراهم» ﴿كلما دخلت أمة لعنت أختها..﴾ (٣٨) وحوار «أصحاب النار» و«أصحاب الجنة» (٤٤-٥١)، و﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء..﴾ (الأنفال٣٢).

ومن سورة التوبة ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾ (٤٠) ﴿لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور..﴾ (٤٨).. ﴿فرح المخلفون..﴾ (٨١) ﴿ومن الأعراب منافقون..﴾ (١٠١).

ومن سورة الرعد ﴿وإن تعجب فعجب قولهم..﴾ (٥) و﴿ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة..﴾ (٦).

ومن النحل ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى..﴾ (٥٨) و﴿وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شىء﴾ (٧٦) و﴿ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا..﴾ (٩٢). و﴿وضرب الله مثلا قرية كانت امنة مطمئنة﴾ (١١٢)

القصص القرآنى يعنى بعرض الأحداث والمواقف التى تؤكد استمرار قصة الإنسان كما هى: حياده عن الحق، ودعوته للرجوع إليه، أو الشر والخير فى الإنسان مجتمعين.

ومن الاسراء: ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا﴾ (٩٠-٩٤).

وفى القصص ﴿إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء﴾ (٥٦)، ﴿ألم غلبت الروم . . ﴾ (الروم ١-٥)، ﴿وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب . . ﴾ آخر الزمر.

■ ولو أضفنا إلى تلك الآيات المتفرقات ما يمكن أن نعده إشارة الى قصة أو تلميحا بقصة - كآيات زوجات النبى ﴿ﷺ﴾ (الأحزاب ٢٨-٣٥)، والتحريم ٣-٥) وآيات ﴿قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها﴾ (المجادلة) و(عبس وتولى) (عبس)، وغيرها كثير - لوجدنا أن المادة القصصية فى القرآن الكريم لا تقوم فقط الى جانب دورها البيانى، بدور الربط والمقارنة بين مواقف متعددة، بل تبدو وكأنها النسيج الفنى المحكم لقصة واحدة تصل إلى غايتها حين يتخلى الانسان - كل إنسان فى كل زمان ومكان - عن عناده وإصراره ويؤمن. وإننا لنبدأ وننتهى دائما فى كل تلك المادة القصصية القرآنية من خلال انسياب أجزاء تلك القصة الانسانية الواحدة بعضها فى بعض. ومن هنا يمكن أن نقول إن خاصية انسيابية القصة القرآنية تخرجها من قطاع الحدث التاريخي الماضى الى الحاضر لتصبح جزءا منه. إنها تهدم الجدار الفاصل بين ذلك الحدث والمتلقى ليصبح هو نفسه أحد شخصيات القصة. . هى إذن حكاية له. . ولكنها حكايته من قبل ومن بعد.

■ آن إذن أن ندخل فى هذه المحاولة. .

خاصية انسيابية القصة القرآنية تخرجها من قطاع الحدث التاريخى الماضى إلى الحاضر لتصبح جزءا منه.

المغزى المضمن فى القصة القرآنية:

هناك مغزى واضح نلمسه فى كل قصة من القصص القرآنى ألا وهو عرض الحقائق تاريخية كانت أم إنسانية فى إطار العظة والاعتبار. إن كل ما فى الكون - حتى الجمادات يستجيب لإرادة الله فى توجيه الانسان نحو هذا الطريق الواحد للأمة الواحدة التى بعث الله فيها النبيين مبشرين ومنذرين، وأن يعتبر بأخبار من سبقوه. فالأرض تنخسف بقارون وبداره. والسماء والأرض معاً يمطران الويل على قوم لوط ﴿فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل﴾ (الحجر٧٤) وتفيض البحار وتنهمر السماء ويعم الطوفان ويهلك قوم نوح. . والطبيعة كلها بالارادة الالهية شاخصة وفاعلة وموجهة نحو هذه الغاية التى تبدو رغم وضوحها ومباشرتها مغلفة بأغلفة من النور ومنسابة فى ضمائر المؤمنين بلا تصادم ولا إكراه. . ذلك - كما ذكرت - هدف واضح ومباشر.

لكن هناك مغزى آخر نحاول استنباطه من النظر فى المادة القصصية فى مجموعها وهو ما أشرت إليه من قبل بـ «الفكرة الايحائية الكامنة وراء هذا الكم الهائل من القصص».

■ إننا إذ نتابع تلك المادة القصصية فى مجموعها نجدها تشكل النسيج الأساسى للأسلوب القرآنى تعرض فوقه وخلاله مجموعة من العلاقات التاريخية والأحكام الشرعية والقيم الانسانية المتكاملة. وهى بهذه الصفة تخرج بالقص عن كونه عملا يقوم على الخرافة ﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا﴾ (الفرقان ٥) وهو ما ادعاه المشركون خطلا وبهتانا، كما تخرج به - وإن أكدت صلته بالحقيقة والحق والتاريخ - عن كونه تأريخاً للأحداث. فالقصة القرآنية - من ناحية - لا تلتقى مع الأسطورة فى وجه من الوجوه. . فى الأسطورة تعبير عن المخاوف والآمال ومكامن النفس وتصورات الانسان القديم للكون وما وراء الطبيعة بشكل عام. . فيها معتقدات فحواها أن ثمة قوى كونية هائلة تنشر الخراب والدمار إن شاءت وتهدد الانسان وتسير حياته. . فيها تفسيرات متعددة لفكرة الوجود لتعدد الافتراضات النابعة من تصورات ذلك الانسان عن

عالمه المشهود والغيبي .

لكن قصص القـرآن يتجـاوز فكـرة **التعبيـر عن مكامن النفس** ليحل «الفعل» الانسانى محلها . . **ويتخطى قوى الكون والطبيعة** كمصدر لمخاوف الانسان فيجعلها «سنة الله وقانون الحياة الـذى يثيب ويعـاقب على الفعـل الانسـانى . . **ويـرفض التفسـيرات المتعـددة لتعـدد الافتراضات** . . فهناك فرض واحد : إله واحد وأمة واحدة» .

■ ومن ناحية اخرى كان القصص القرآنى فى أغلبه يركز على أحوال الأمم السابقة ، لا للتأريخ بل ليقدمها إلى عقل الانسان وضميره . . قصة واحدة تتجزأ وتتكرر أجزاؤها بداياتها ونهاياتها ، ولكنها دائما وأبدا قصة مستمرة نحس بتأثيرها فى كل خطاب موجه للرسول ﴿ﷺ﴾ ولنا ، وفى كل ما يحدث بينه وبين من حوله ومن حولنا .

■ القصة كانت . . ولا تزال . . وستظل .

فهى اذن تفتح إطار الحكاية ـ كما أسلفنا ـ أمام القارىء أو السامع ليصبح هو نفسه إحدى شخصياتها . تلك السمة هى المغزى المضمَّن فى القصص القرآنى ، أعنى مسئولية الانسان عن مكانه ومكانته فى هذه القصة ودوره فى هذه الحياة . . فاعتبروا يا أولى الأبصار ! !

الهوامش

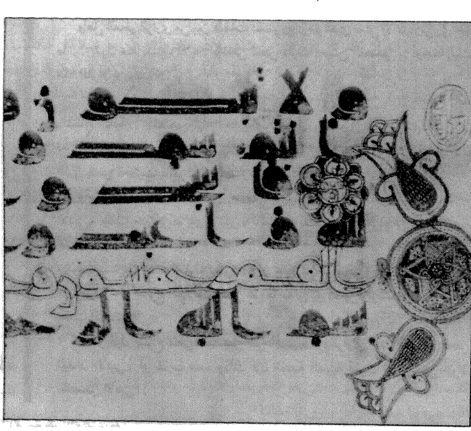
(*) لمالك بنبى دراسة مقارنة ممتعة وكاشفة للحقائق حول هذه القصة فى القرآن الكريم والكتاب المقدس فى كتابه الظاهرة القرآنية .

● بالذات القصة الاسبانية فى العصور الوسطى . وانظر على سبيل المثال كيف أثرت قصة يوسف فى تمسك الرجل بالشرف والمبادىء فى شخصية دى جولا .

■ الجزء الأخير من الآية .

▲ راجع مثلا ختام قصة عيسى فى مريم (وان الله ربى وربكم فاعبدوه) ، موسى فى طه ﴿إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شىء علما﴾ . . موقف السحرة انتهى بإيمان . . والأنبياء معتزلون أقوامهم وما يعبدون من دون الله . . وهكذا تسيطر فكرة وصول القصة غايتها بإيمان من آمن . . وليؤمن من لم يؤمن بعد .





المعايير الأدبية فى القصة القرآنية

ما هى القصة؟
وما اللون الذى جاءت
عليه فى كتاب الله؟

دراسات فى القصص القرآني

د. عبد الفتاح محمد محمد سلامة
كلية التربية للبنات - جدة

لم يتعرض البيانيون وعلماء النقد الأقدمون: لمفهوم القصة، ولم يدلوا بدلائهم فى هذه القضية، فضلا عن أن يتحدثوا عن النمط الذى وردت على غراره فى القرآن الكريم!!

■ أما علماء اللغة: فقد اكتفوا من الكلام عن القصة، بتحديدات مبهمة، وتعريفات ناقصة، فتعرضوا لما يثيره اللفظ من معنى، وما يحركه فى الخواطر من صور.. فإذا بهم يوردون معانى كثيرة زاخرة عند حديثهم عن مادة (ق ص ص).. ولعل أقربها إلى الناحية الأدبية البلاغية، ما رواه اللغويون عن الأزهرى والليث.

يقول الأول: القصص فعل القاص إذا قص القص، والقصة معروفة.

ويقول الثانى: القص: اتباع الأثر، ويقال: خرج فلان قصصا فى أثر فلان: إذا اقتص أثره، وقيل: القاص يقص القصص لاتباعه خبرا بعد خبر، وسوقه الكلام سوقا!![1].

■ اما فى كتب التفسير فتخطو المسألة خطوة إلى الأمام، ذلك لأنهم يتناولون المسألة من زاويتين: زاوية لغوية يعتمدون فيها على الأثر اللغوى.. وزاوية دينية ينظرون فيها إلى مرامى القرآن وأغراضه التى يتغياها من وراء قصصه.

ولعل الفخر الرازى من بين طبقات المفسرين: هو الذى يمثل الاعتبارين إلى حد ما.. يقول عند تفسيره للآية: **﴿نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن﴾** (يوسف/٣).

«**المسألة الثانية**»: القصص اتباع الخبر بعضا بعضا، وأصله فى اللغة: المتابعة.. قال تعالى: ﴿وقالت لأخته قصيه﴾.. أى اتبعى أثره.. وإنما سميت الحكاية قصة: لأن الذى يقص الحديث يذكر تلك القصة شيئا فشيئا[2].

وهو قول يدل على أن الرازى يحاول التقريب بين المعنى اللغوى، والاصطلاح الأدبى، وذلك حين يربط بين الاثنين، باستعماله لفظ الحكاية، وإطلاق لفظ القصة عليها..

ويقول أيضا عند تفسيره لقوله تعالى: **﴿إن هذا لهو القصص الحق﴾** (آل عمران/٦٢).

«والقصص هو مجموع الكلام المشتمل على ما يهدى إلى الدين ويرشد الى الحق ويأمر بطلب النجاة»[3].

وهو قول يشرح معنى القصص شرحا دينيا.. والرازى بهذا القول: **يدخل الميدان الأدبى، أو يقترب منه، وذلك لأن القصة الدينية ليست إلا لونا من ألوان القصص الأدبى!!**

هذا ملخص أمين لجهد علماء اللغة والمفسرين، فى مجال حديثهم عن القصة ومشتقاتها.

ثم يأتى بعد ذلك المتأدبون، ويسوقون للقصة تعريفا يحدونها فيه بأنها: «هى ذلك العمل الأدبى الذى يكون نتيجة تخيل القاص لحوادث وقعت من بطل لا وجود له، أو لبطل له وجود، ولكن الأحداث التى دارت حوله فى القصة لم تقع، أو وقعت للبطل ولكنها نظمت فى القصة على أساس فنى بلاغى، فقدم بعضها، وأخر آخر، وذكر بعضها، وحذف آخر، أوأضيف إلى الواقع بعض لم يقع، أو بولغ فى تصويره، إلى الحد الذى يخرج بالشخصية التاريخية عن أن تكون من الحقائق العادية والمألوفة، ويجعلها من الاشخاص الخياليين..»[1].

■ والسؤال الذى يطرح نفسه الآن: هل قصص القرآن الكريم يخضع لهذا المعيار الأدبى؟ أو بعبارة أخرى: هل قصد القرآن من قصصه إلى ما يقصد إليه الأدباء من التأثير الوجدانى، واستثارة العاطفة وإلهاب الخيال؟ أو قصد إلى التأثير العقلى وإقامة الدليل والبرهان؟؟ على أننا لن نكلف أنفسنا مؤونة الخوض فى غمار هذه البحوث، لنقف على الاجابة الدقيقة لتلك الأسئلة، فإن ذلك مجال المشتغلين بالدراسات الأدبية، وميدانهم الذى يتسابقون فيه ويتنافسون، ولكل وجهة هو موليها!!

ولكننا سنورد هنا نموذجا من القصص القرآنى، وبخاصة ما يمثل منه اللون التاريخى، الذى يدور حول الشخصيات التاريخية، من أمثال الأنبياء والرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ والذى يعتقد الأقدمون أن الأحداث القصصية فيه هى الأحداث التاريخية، وهذا اللون من القصص يسلم الجميع بوجوده فى القرآن الكريم.

وفى تناولنا لهذا اللون القصصى، سيتبين لنا: كيف عالجه القرآن بطريقة فنية بلاغية، وفى صورة أدبية تأخذ بالألباب!!

القرآن الكريم يختار من المواد الأدبية القصصية ما يحقق الغرض ويوفى بالقصد

لنتدبر معا هذه القصة: قال تعالى: ﴿كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر، إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى يوم نحس مستمر، تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر، فكيف كان عذابى ونذر﴾ (القمر/١٨-٢١).

سنرى أن القرآن: قد تخلى عن كثير من التفصيلات، فلم يذكر عن عاد شيئا قبل التكذيب، وحتى عملية الارسال نفسها، قد تجاوز عنها، فلم يذكر عن هود شيئا ـ وهو الرسول الذى كذبه قومه ـ كما لم يذكر هنا صفة عاد، ولم يتحدث عن بيوتها ومساكنها، ولم يذكر لنا شيئا مما دار بين هود وقومه، من جدل أو حوار.. ترك كل هذا، وأسرع إلى وصف العذاب.. وهنا صورة أدبية رائعة، بألفاظ جزلة، تهز العاطفة، وتستثير الانفعال، وتأخذ مكانها من الأفئدة والألباب.. فهناك الريح الصرصر، وهناك النحس المستمر، وهناك قوة الريح التى تنزع الناس وكأنهم أعجاز نخل منقعر!!

■ فعل القرآن كل هذا لسبب بسيط: هو: أنه يريد فى ذلك العهد، أن يبث فى نفوس المعاصرين للنبى ﴿ﷺ﴾ الخوف من العذاب، ويرغب أن يريهم من الصور ما يجعل الخوف قويا عنيفا، ومن ثم تخير هذه الصورة، واكتفى بعرضها حتى لا ينشغل الذهن عنها بغيرها..

وفى ثنايا ذلك: حرص السياق على أن يكون العذاب والخوف منه: النتيجة التى يجب أن تقر فى النفس وفى الفؤاد.. ومن ثم بدأ القصة بذلك الاستفهام الذى يصوب الى القلب السهام.. «فكيف كان عذابى ونذر؟».. وختمها ـ أيضا ـ بالاستفهام نفسه، وكأنه يريد أن يصيب من الناس المقاتل.

فالقصة بذلك: لها مغزى عاطفى هو التخويف والانذار.. وهكذا فالقرآن يختار من المواد الأدبية القصصية ما يحقق الغرض ويوفى بالقصد!!.

ولقد فطن ابن الأثير إلى هذا الصوغ القرآنى القصصى البارع، وعلله تعليلا أدبيا، أوبلاغيا، أو فنيا، حين قال فى قوله تعالى: ﴿**ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا، فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا**.﴾(الفرقان/٣٥-٣٦).

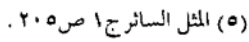
«ألا ترى كيف حذف جواب الأمر فى هذه الآية، فإن تقديره: فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فذهبا إليهم فكذبوهما فدمرناهم تدميرا. فذكر حاشيتى القصة أولها وآخرها، لأنها المقصود بطولها: أعنى إلزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم»(٥).

فابن الأثير كما ترى: يعلل الذكر والحذف فى القصة، بعلل أدبية بيانية، ويدلنا على أن القرآن: اكتفى فى الذكر بحاشيتى القصة لأنها المقصود، وأعرض عما عداه، لسبب بسيط: هو أنه يقص للموعظة والعبرة، ولا يؤرخ للافراد والجماعات، أو للأمم والشعوب. .

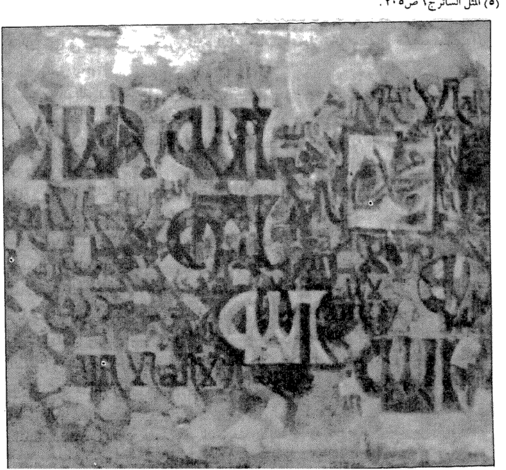
■ ومن هنا نستطيع أن نقول: إن هذا اللون من قصص القرآن يعتمد على سرد الوقائع الحادثة فعلا بصورة قوية مؤثرة تؤدى الغرض منها فى سبيل الدعوة ويعرضها عرضا مؤثرا، ويسوقها سوقا عاطفيا، يبين المعانى ويؤدى الأغراض، ويؤثر بها التأثير الذى يجعل وقعها على الأنفس، وقعا استهوائيا خطابيا، يستثير منها العاطفة والوجدان!!

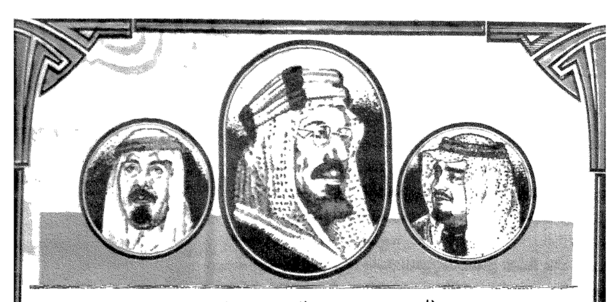
هوامـــش

(١) مادة القصص فى كل من اللسان والقاموس ومفردات الراغب.
(٢) التفسير الكبير ج٢ ص١٨١
(٣) التفسير الكبير ج٣ ص٢٠٣.
(٤) الفن القصصى فى القرآن ص١١٩، د/خلف الله
(٥) المثل السائر ج١ ص٢٠٥.









اليوم الوطني

بمناسبة اليوم الوطني للمملكة العربية السعودية يطيب لأرامكو السعودية
أن تتقدم بأسمى التهاني وأجمل الأماني
إلى خادم الحرمين الشريفين

الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود

وصاحب السمو الملكي الأمير

عبد الله بن عبد العزيز

ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء
ورئيس الحرس الوطني

وصاحب السمو الملكي الأمير

سلطان بن عبد العزيز

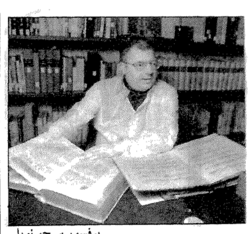
النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء
ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام

وحكومة المملكة العربية السعودية الرشيدة والشعب السعودي الكريم
أعاده الله على الجميع باليمن والبركات

(PRS-6-91)

(السعودية)

اكتشاف أول طبعة للقرآن


برفسور سرجو نويا

على امتداد ساحة الفتوحات الاسلامية امتد انتشار المصحف الشريف، وبقى المصحف متداولا فى تلك البلدان . . وفى ايطاليا تم مؤخراً العثور على أول نسخة مطبوعة من القرآن الكريم . . ولقد اهتم البروفيسور سرجونويا نوزاده بهذا الاكتشاف، واولاه عنايته . . وفي هذا المقال يوضح للقارىء بعض النقاط المهمة حول هذا الموضوع .

وجـاء هذا الموضوع (خاصا) للمنهل وكان لمعالى الاستاذ خالد الناصر تركى سفـير خادم الحرمين الشريفين فى ايطاليا دوره الفاعل فى اظهار هذا الموضوع لانه كان حلقة الوصل بين المنهل والبروفيسور سرجونيا .

● تم العثور فى البندقية «ايطاليا» على أول نسخة مطبوعة من القرآن الكريم .

فى منتصف القرن السادس عشر، حقق الناشر بغانينو داي بغانيني عملية طباعة القرآن الكريم بواسطة آلة طباعة منقوشة دامغة خاصة لطباعة حروف الابجدية العربية .

من المعلوم تاريخياً أن عملية الطباعة هذه قد دمرت بموجب أمر باباوي . . والآن فان فتاة باحثة قد اكتشفت نموذجاً من هذا القرآن الكريم في مكتبة دير الرهبان «فراتي مينوري دي سان ميكالا إن ايزولا» الكائن بالبندقية .

●● من المعروف تاريخياً في اوروبة أنه بتمام القرن السابع عشر بدأت طباعة الكتب بشكل منتظم وفي خضم المنافسة المطبعية هذه أصبح من البديهي من قبل بعض دور النشر استعمال حروف الابجدية الشرقية في الطباعة . ولقد كان الدافع الأول للقيام بعملية الطباعة هذه في ذلك الوقت مجرد عملية الربح .

فلم تقم المؤسسات العلمية كما يمكننا أن نتخيل على انتشار وسيلة النشر المطبعي الهائلة التي استبدلت وحدة المخطوطات القليلة النسخ لتحل مكانها الطباعة الهادفة لنشر الكتب والمؤلفات بأعداد كثيرة . . يمكننا القول إذن إن الفضـل كله في انتشار الطباعة يعود للمقاول الذي كان همه الأول والأخير الربح فقط .

ومن الجدير بالذكر أنه ضمن الاختصاصات العلمية تم عام ١٦٥٠م طباعة قانون الطب لابن سينا بالحروف العربية .

كان فى اعتقاد الكثيرين من المؤرخين ان طباعة القرآن الكريم بالعربية لأول مرة تمت عام ١٦٩٤ فى هامبورغ (المانيا) على يد هنيكلمان . وتاريخياً فإن هذه الطبعة الالمانية للقرآن هي ليست الأولى، فلقد سبق ان تم طباعة القرآن الكريم لأول مرة في ايطاليا بالبندقية بنحو ١٥٠ عامـاً قبل الطبعة الألمانية .



برفسور: سرجونويا نوزاده
استاذ فى جامعة ميلانو عضو اكاديمية العلوم والفنون

الكريم في روما ١٥٣٧-١٥٣٨م

ومن الجدير بالذكر أنه لغاية أمس كان حسب إعتقاد المؤرخين أن هذه الـطبعـة الايطالية للقرآن قد اختفت لا، بل أحرقت، وأما عن ناشر هذا الحدث فهو الطابع الأول المشهور بغانينو داي بغانيني الذى أسس مطبعة دور نشر في البندقية عام ١٤٨٣ أي بعد بضعة أعوام قلائل من تاريخ اكتشاف الطباعة.

لو أني لم أعـرف شخصياً البرتوتاللونا الناشر المعاصر ولم أره بعيني لعدة سنوات ولولا انى اعرف عملية تحضير الحروف للطباعة وما يسبقها من تحضير ورسم وقص وصك للقوالب التى يتم استعمالها فيها بعد لعمل الحروف. لولا انني أعرف كل هذا لم يكن لى الآن حق التحدث باعجاب كبير عن أمر انجاز بغانينو.

■ إذن بغـانينـو داي بغـانيني هو أول من طبـع القرآن الكريم بالعربية فى اوروبة، حقا إنها لعملية رائعة وفريدة من نوعها.

ففى بداية العـام ١٦٠٠ صـك بغانينو القطع وذويها لتحضير الحروف العربية كما وكان قد حضر سابقاً الصفحات الثمينة وبعد جهد جهيد طبع القرآن الكريم.

ولولا هذه الطبعة الايطالية لضاع كل أثر يمكنه الدلالة على وجود القرآن فى تلك البلاد لمدة قرون طويلة. علمـاً بأننا كنا على يقين بوجوده لأن امبروجو تازيو دالي البـونـازي كان قد كتب إلى بغانينو لشراء منه حروف الابجدية العربية لتحقيق مشروع نشرى.

■ ومع بداية ثورة الاصلاح البروتستنتانية في المانيا كان قد انتشر نبأ مفاده أن القرآن الذي تمت طباعته فى البندقية دمر بموجب أمر باباوي، كما وأن العديد من المثقفين الأوروبيين أكدوا أنه تم احراق جميع النماذج القرآنية بأمر من البابا وهيئة إدارة الكنيسة المركزية في روما.

■ واما عن عملية اكتشاف القرآن الكريم فلقد قامت به طالبة اسمها انجيلة نوفـو تختص بعلم وتـاريخ الكتـاب والتي وجـدتـه في دير الـرهبان المسمى بالايطالية Froti Miniri di S. Michele in Isola حسب اعتقادي أنه الكتاب الوحيد الباقي من نشرة بغانينوداي بغانينى والذى تم طبعه او طباعته بالعربية في البندقية ما بين ١٥٣٧ و١٥٣٨م. إنه كنز ثمين هكذا يمكننى القول عن هذا الكتاب الذى كان مجهولا حتى على ذات المحافظين عليه. إن غموض الكتاب وصعوبة فهمه أكدا لي بشكل قاطع على وجود الكتاب المجهول.

فعـلا ان القـرآن الـذي تم اكتشـافه يحتوي على ٢٣٢ صفحة مكتوبة

الموفدة التي تطلع على الافيدة انها عليهم موصدة في عمد ممدده

سورة الفيل خمس ايات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الم يجعل كيدهم

في تضليل وارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم

بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف ماكول

سورة قريش تسع ايات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتا والصيف فليعبدوا رب

هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وامنهم من خوف

سورة الماعون سبع ايات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

ارايت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا

صورة لصفحة من المصحف المكتشف

بالعربية فقط مستبعدا بكلامي هذا بعض الملاحظات الهامشية المكتوبة باللغة اللاتنية والتى يعود تاريخها الى سنوات قليلة بعد طبع القرآن الكريم. فنحن نجد فيه ملاحظات هامشية عائدة لـ امبروجو تازيو دالي البونازي ولـ اركنجلو منكازولا الذي كان كاهناً ونائباً للمكتب المقدس بمدينة Gmemome بإيطاليا.

واهم من هذا الاكتشاف هو اخذنا بالاعتبار لأمرين: الأول ولقد سبق لي التحدث عنه مطولا وهو متعلق بأصحاب التعهدات والمقاولات.. والثانى يتعلق بعملية إفلاس المشروع بسبب حدوث خطأ فادح عائد لعدم المعرفة بعلم (Marketing).

■ قبل أن أتحدث عن سبب فشل المشروع يتوجب عليّ القول ان بغانيني كان ايضا من صانعي الورق الثمين بجوار بحيرة (Garda) والذى كان يتم تصديره عن طريق البندقية ومنها إلى الشرق الاوسط.

فلماذا وقع الفشل؟ إن حدوث الفشل اوبالاحرى انهيار مشروع طباعة القرآن بالحروف الابجدية العربية المصنوعة بايطاليا يعود بالاضافة الى الاخطاء الطباعية العديدة الى رفض العقلية العربية لنظام واصول الطباعة التي كانت متبعة في اوروبة فى ذ لك الوقت.

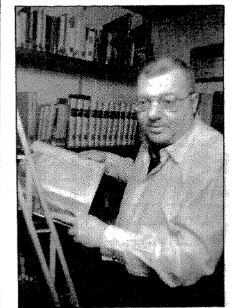
اين انتهت جمال كتابتنا؟ هذا ما قاله تركي فى ذلك الوقت لدى رؤيته القرآن المطبوع في ايطاليا.

■ إن سعة خيال وموهبة الخطاط العربى وتجمع جميع الحركات الصوتية وحروف العلة والنقاط وحركات الشدة والضمة وعملية القلب والتفنن بالكتابة بواسطة القلم بحرية وبراعة أمرها مجهول علينا حتماً.

فالقلم يسمح للخطاط المرور خطياً فوق وتحت والتمديد والتضييق بالحروف العربية. حقاً إنه فن مطلق. يكفينا ان نفحص صفحات القرآن المطبوع بواسطة بغانيني وإحدى الصفحات التي تم كتابتها من قبل خطاط مشهور لنفهم لماذا في الشرق لم يتم بيع أى نسخة من القرآن الذى طبعة بغانيني.

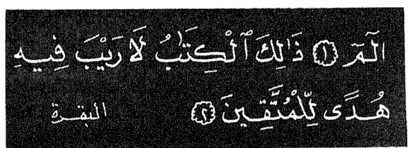
فإن الحاجز الذى تجابهه عملية انتشار الطباعة بالحروف العربية لا يتعلق بمقاومة أو بمعارضة جماعة الكتاب كما قد زعم القول العديد عدة مرات. إنما الأمر ناتج عن بشاعة حروف الأبجدية العربية التى استعملت فى الطباعة إذا اردنا ان نقارنها بجمال فن الخط باليد.

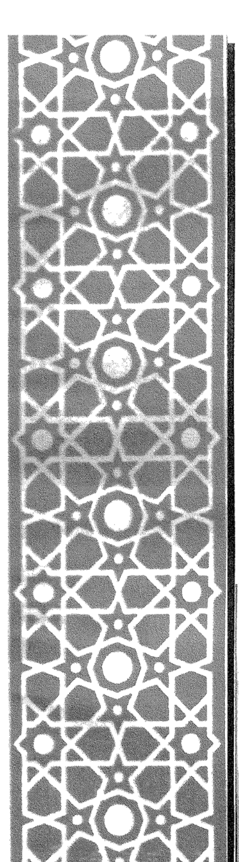
فالمشروع كان نتيجة عقلية تجارية كليا ومعتادة على المخاطرة التي تلمس حتماً حد الغرابة.



صورة للبرفسور امام المصحف المكتشف

لولا هذه الطبعة الايطالية لضاع كل أثر يمكنه الدلالة على وجود القران فى تلك البلاد لقرون طويلة.

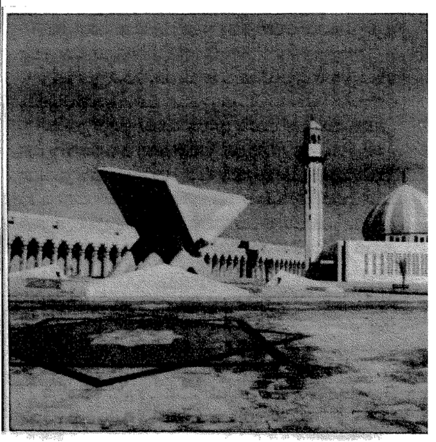




مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

وكان جهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ـ حفظه الله ـ موفقاً فى اقامة هذا الصرح الاسلامى الكبير ـ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ـ وكان جميلا ان يكون مقر هذا الصرح فى مدينة الرسول ﴿ﷺ﴾، هذه المدينة الطيبة المباركة التى شهدت قيام اول كيان إسلامى أسس على التقوى من أول يوم .

المجمع يضم أحدث ما توصل اليه عالم الطباعة من الات .



استطلاع مصور



في ١٦ محرم ١٤٠٣ تفضل خادم الحرمين الشريفين بإزالة الستار عن اللوحة التذكارية لوضع حجر الاساس لمشروع هذا المجمع.

وفي شهر صفر الخير من عام ١٤٠٥هـ ازاح - حفظه الله - اللوحة التذكارية لبدء تشغيل المجمع وحينئذٍ بدأ المجمع في حركة تشغيلية ضخمة لتغطية ما أنيط به ويمكن تلخيص أهداف هذا المجمع في الآتي:

١ - إصدار مصحف باسم (مصحف المدينة النبوية) وفقاً للمواصفات الدقيقة التي تفوق في إخراجها ودقتها وسلامتها جميع ما يصدر في العالم.

٢ - تغطية حاجة المملكة العربية السعودية (الحرمين الشريفين والمساجد والمدارس والجامعات وجمعيات تحفيظ القرآن الكريم والفنادق والأسواق وغيرها) من المصاحف والترجمات والتسجيلات منعاً لاستيراد أي مصحف من خارج المملكة.

٣ - قصر طباعة المصحف الشريف في هذا المجمع وعدم السماح بطباعة المصاحف في أي مطبعة تجارية داخل المملكة العربية السعودية.

٤ - تغطية حاجة العالم العربي والاسلامي من إصدارات المجمع المقروءة والمسموعة.

٥ - خدمة السنة والسيرة النبوية.

٦ - إجراء بحوث علمية تخدم القرآن الكريم والسنة وعلومها بحيث يكون المجمع مركزاً للبحث العلمي والدراسات العلمية للقرآن والسنة.

موقع المجمع ومكوناته:

يشغل المجمع مساحة تقدر بمئتين وخمسين ألف متر مربع، على طريق تبوك في المدينة المنورة.

ويعتبر مبنى المجمع وحدة عمرانية مستقلة بذاتها ومتكاملة في مرافقها ومستلزماتها الادارية، والفنية والسكنية والخدمية.

اما المبنى الرئيسي للمطبعة فقد جهز بأحدث آلات الانتاج الطباعي المتنوع الاختصاصات وآلات التسجيل الصوتية.. والمبنى يضم في داخله مجموعة من الأقسام المتخصصة في نوعية أدائها ومنها: قسم المراجعة والتدقيق - قسم مراقبة النوعية على الانتاج - قسم التخطيط والدراسات - الصف التصويري للنص - قسم التصوير والمونتاج - قسم البروفات - قسم الطباعة.. هذا اضافة إلى القسم الاداري - وقسم التسجيلات الصوتية - ومركز التدريب والتأهيل الفني.

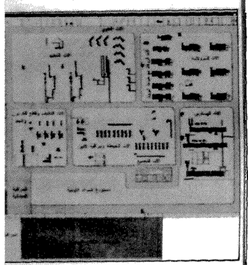
ومن خلال العمل المتناسق لكل هذه الاقسام والادارات، يأتي العمل الناتج عن ذلك في غاية الدقة والاتقان والجودة.. والمجمع اضافة الى اهتمامه الرئيسي المتمثل في طباعة المصحف الشريف، فانه يقوم بتسجيل المصحف على أشرطة كاسيت ويتم ذلك بأسلوب في غاية الدقة والتنظيم.

ومن ناحية اخرى فان المجمع يعمل على اصدار ترجمة تفاسير القرآن الكريم، تكون معتمدة من اللجنة المختصة بذلك.

مصحف المدينة النبوية

لما كثرت الطبعات التجارية وغير التجارية للمصحف، وأصبح عرضة لإهمال الطابعين وتكاسل الناشرين عن العناية بتصحيحه ومراجعته، كان من توفيق الله عز وجل أن ألهم ولاة الأمور في المملكة العربية السعودية إنشاء (مجمع) لطباعة المصحف الشريف بالمدينة النبوية، يزود بأحدث وأرقى أنظمة الطباعة وإمكاناتها، وكان الهدف من ذلك إصدار طبعة سليمة ممتازة للمصحف، توفر له العناية العلمية اللازمة بتصحيحه ومراجعته، ويشرف على إصداره عدد من العلماء المتخصصين، ونشر هذا المصحف على أوسع نطاق، فيمكن بذلك توفير حاجة المسلمين إلى طبعة صحيحة من المصحف الشريف، والحد من تلاعب الطابعين بكتاب الله.





وتم اختيارالمصحف الذي كتبه الخطاط الدمشقي عثمان طه، وذلك لجودة خطه ووضوحه وسلاسته ولقلة الأخطاء الفنية فيه.

ثم شكلت لجنة علمية رفيعة المستوى لتتولى الاشراف العلمي على مشروع الطبع بعد القيام بمراجعة النسخة (الأصل) من المصحف المذكور، وتصحيحها وإعدادها إعداداً علمياً دقيقاً، حتى يتحقق ضمان سلامته وصحته بأعلى نسبة ممكنة.

وروعي في تشكيل اللجنة أن تتضمن علماء مختصين في سائر العلوم المتصلة بالمصحف، وهي: التجويد، والقراءات والرسم، والضبط وعد الآي، والوقوف، والتفسير، والفقه، واللغة، والنحو والصرف.

كما روعي أيضاً أن يكون الأعضاء الأساسيون من حفاظ القرآن المتقنين.

وأسهمت كلية القرآن الكريم بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة بنصيب وافر من أعمال اللجنة وإنجاز مهمتها. وتم وضع خطة لعمل اللجنة، تتلخص في الآتي:

يعطى كل عضو نسخة من المصحف (الأصل)، فيطالعه على انفراد من أوله إلى آخره ويسجل ما يجد من ملاحظات في بيان موقع باسمه، ثم تجمع هذه البيانات وتصاغ في بيان موحد بعد حذف المكرر، وعندئذ يجتمع أعضاء اللجنة جميعاً لمناقشة هذا البيان الموحد فقرة فقرة، فما أجمع عليه الأعضاء أثبت في بيان نهائي يوقع عليه رئيس اللجنة، ويسلم (للمجمع)، حيث يجرى تصحيح (الأصل) بموجبه، وطبع نسخة مصححة (تجربة) تسلم للجنة، لتقوم بالمراجعة مرة أخرى بنفس الطريقة.

وقد ختم المصحف أكثر من مائتي مرة أثناء المراجعة، يقرأ فيها قراءة متأنية، مع الفحص الدقيق للنص القرآني آية آية، وكلمة كلمة، بل حرفاً حرفاً، وحركة حركة، ومع الفحص الدقيق أيضاً للاصطلاحات والرموز.

والاجماع اتخذ شرطاً في كل خطوات وأعمال اللجنة، لذلك فإن الملاحظات التي لا يتحقق لها الاجماع من الأعضاء تستبعد وعندما يقع الخلاف كان الرجوع إلى مصادر هذا الشأن من كتب أهل العلم المتقدمين

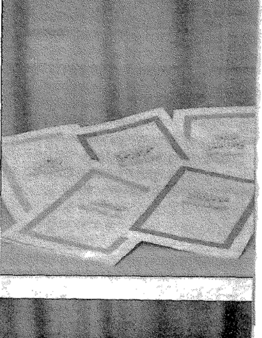
والمتأخرين يحسم الخلاف دائماً.

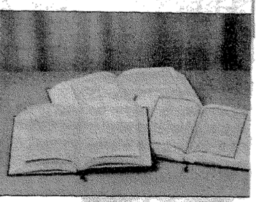
وقد أخذ جميع الأعضاء على أنفسهم الالتزام بالحجة إذا ظهرت، وأسقطوا حينئذ من حسابهم سائر الاعتبارات التي تتنافى معها، والحجة مبنية على الرواية وكلام الأئمة المتقدمين، إذ أن علوم القرآن مبناها في الغالب على الرواية، ولا دخل للرأى والاستحسان فيها.

وفى بعض المسائل التي تتبين الحجة بخلافها كان يستوقف الأعضاء اشتهارها بين الناس، وتعودهم عليها في كثير من المصاحف.

وهذا ليس بمستغرب مع قلة العناية بمراجعة المصاحف كما أسلفنا، وتقليد الطابعين لمن سبقهم من طُبّاع المصاحف، دون أن يكلفوا أنفسهم الرجوع إلى أهل العلم لتحرير المسائل.

ومع أن اللجنة كانت تستأنس بما جرى عليه العمل في المصاحف المعتبره، كالمصحف الذي كتبه الشيخ محمد بن علي بن خلف الحسيني إلا أنها كانت لا تقدم على الحجة شيئاً إذا ثبتت من كلام أهل العلم.





طاقة المجمع الانتاجية

قام المجمع بطباعة كافة الاصدارات من المصاحف الشريفة بأحجامها ونوعياتها المختلفة وعلى مستويات من الدقة والجودة تتناسب مع قدسية كتاب الله وهي كالتالي: فاخر، جوامعي فاخر، ممتاز، ترجمات، ربع يس، الجيب، الربع، جوامعي عادي، عادي، أجزاء، العشر الأخير، الثمن، مصحف مرتل.

وقد بلغ مجموع ما أنتجه المجمع حتى رجب ١٤١٠هـ (فبراير ١٩٩٠م) (٥٣،٠٣٥،٨٥٦) نسخة.

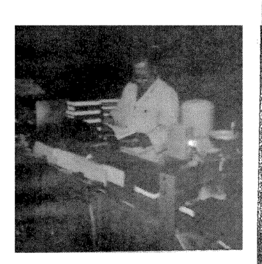
كما قام المجمع بتسجيل القرآن الكريم لفضيلة الشيخ علي بن عبد الرحمن الحذيفي بعد مراجعته وتدقيقه من قبل لجنة شكلت لهذا الغرض وهو الآن يوزع هدية للمسلمين وقد بلغت الكميات المنتجة من المصحف المرتل لغاية تاريخ ١٤٠٩/٧/٢١ (١٥٤،٠٠٠) مجموعة.

وبناء على توجيهات خادم الحرمين الشريفين ـ أيده الله ـ والقاضية بنشر المصحف الشريف وإصداراته وإيصاله لأيدي مسلمي العالم.. فقد تم توزيع كميات كبيرة من المصحف الشريف والأجزاء والمصحف المرتل حتى ١٤١٠/٥/٣٠هـ (١٩٨٩/١٢/٢٨م) بلغت (٣٣،٨٩٨،٨٦٠) إصداراً.

هذا وقد لاقت مكرمة خادم الحرمين الشريفين إلى المسلمين بمناسبة شهر رمضان ١٤٠٩هـ تقديرهم واستحسانهم بإهداء وزارات الأوقاف والشئون الاسلامية في العالم الاسلامى من ١٠-١٠٠ ألف نسخة لتوزيعها على المساجد والمسلمين في شتى أنحاء العالم الاسلامي حتى بلغت حوالى أربعة ملايين نسخة. كما وافق حفظه الله على إهداء وزارة التربية والتعليم بجمهورية مصر العربية مليون نسخة من مصحف المدينة النبوية لتوزيعها على طلبة وطالبات مدارسها.

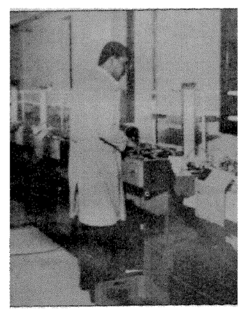
إضـافة إلى ذلك فقد تمت طباعة ترجمة تفسير معاني القرآن الكريم إلى اللغات التالية : الهوسا، الصينية ، التركية، الأردية، الانجليزية، الفرنسية وأما طباعة ترجمة تفسير القرآن الكريم إلى اللغة التايلندية فإنها قيد الاعداد والتجهيز لتتم طباعتها اضافة إلى عدد من اللغات الأخرى.

هذا ويستقطب المجمع علماء ندر وجودهم في القراءات وعلوم القرآن الكريم بالتنسيق مع كلية القرآن في الجامعة الاسلامية.



الطاقـة الانتاجيـة السنوية

تصل طاقته الانتاجية الحالية بعون الله تعالى الى نحو ثمانية ملايين نسخة من المصحف الشريف في العـالم الواحد للوردية الواحدة بأحجام ونوعيات مختلفة منها نحو مليوني نسخة سنوياً لترجمة تفسير القرآن الكريم بلغات العالم المختلفـة التى تتـوفـر لها ترجمة دقيقة وصحيحة من كافة الجوانب من تلك اللغات العالمية وتأتي الطباعة لتحقيق الأهداف المتوخاة من إقامة هذا المشروع على ورق فاخر وتجليد فاخر وإخراج فني بديع.



ويضم المجمـع أحدث ما توصل إليه عالم الطباعة من آلات ومعدات وأكثرها دقة ويشرف على تشغيلها مجموعة كبيرة من أصحاب العلم والخبرة الطويلة في هذا المجال والمؤهلين لإخراج العمل في منتهي الجودة والاتقان.

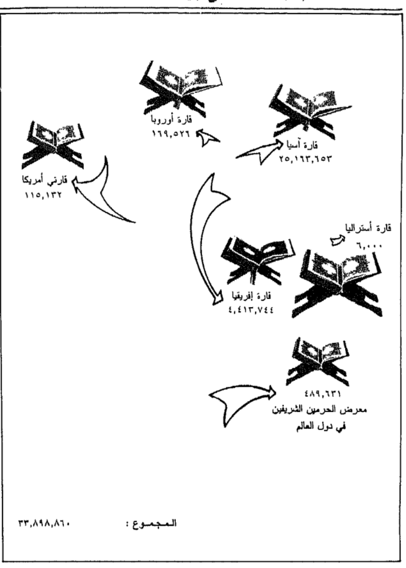
توزيع إصـدارات المجمع

تحقيقاً لأهداف المجمع لإيصال إصداراته من مصحف المدينة النبوية إلى كافة أرجاء العالم الاسلامي وكذلك الأقليات الاسلامية والجاليات الاسلامية في مختلفة أنحاء العالم.

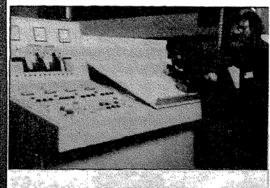
وإنفـاذاً للأوامـر السـامية بإهداء إصدارات المجمع إلى عدد من دول العالم، فقد وصلت مصاحف المدينة النبوية من إصدارات المجمع إلى ٧٨ دولة بلغ بيان توزيعها حتى ١٤١٠/٥/٣٠هـ (١٩٨٩/١٢/٢٨م) كما يلي:

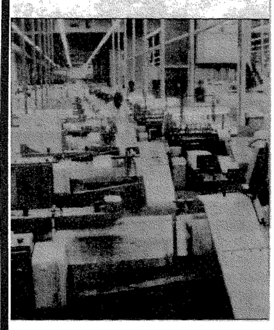


الكميات المصروفة من المصاحف والاجزاء من بداية التوزيع ١٤٠٥/٥/٢٣هـ حتى نهاية ٣٠/٥ / ١٤١٠هـ



المجموع : ٣٣,٨٩٨,٨٦٠





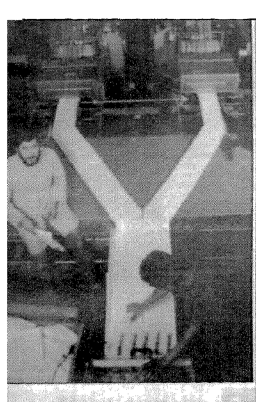
بيان إجمالي بما تم توزيعه من المصاحف والاجزاء والتراجم حتى نهاية ٣٠/ ٥/ ١٤١٠هـ (٢٨/ ١٢/ ١٩٨٩م)

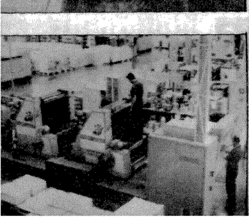
م	اسم الاصدار	الكمية الموزعة
١	فاخر ١٠٠/أ	٣٠٢
٢	جوامعي فاخر ١٠٠٠/ أأ	٢ر١٤٩
٣	جوامعي عادى ١٠٠٠/ أب	٢ر٨١٣ر٦٠٤
٤	ممتاز ٢٠٠٠/ب	١ر٥٧٧ر١٥٣
٥٥	عادي ٣٠٠٠/ج	١٧ر٣٠٦ر٩٠٥
٦	نسخ تعليق ٣٠٠٠/ج/٢	١٠٦ر٢٨٦
٧	الربع ٩٠٠٠/ط	٢ر١١٤ر٩٦١
٨	ترجمة صيني ٤٠٠٠/د ـ أ ـ ص	٤٥٤ر٨٦٦
٩	ترجمة هوسا ٤٠٠٠/د ـ ٢ هـ	٣٠٤ر٣١١
١٠	ترجمة تركي ٤٠٠٠/د ـ ٣ ـ ت	٦٠٢ر٤٤٤
١١	ترجمة أوردو ٤٠٠٠/د ـ ٤ ـ أ	٣٣٣

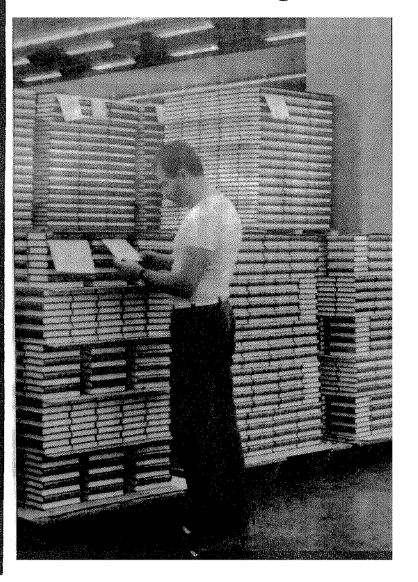
م	اسم الاصدار	الكمية الموزعة
١٢	مجموعة مرتلة ٦٠٠٠/ و	٤٤٫٤٥٠
١٣	الثمن ٨٠٠٠/ج	٨٢٩٫٤٩٥
١٤	الجيب ٧٠٠٠/ ز	٤٦٢٫٤٤٣
١٥	ربع يس ٥٥٠٠/ هـ أ	١٫٥٤٨٫٠٠٥
١٦	العشر الأخير ٥٠٠٠/ هـ أ	٥٦٩٫٧٨٥
١٧	جزء عم ٥٠٠٠/ هـ ١	٣٫٣٥٢٫٢٠٥
١٨	جزء تبارك ٥٠٠٠ /هـ ٢	١٫١٦١٫٢٩٧
١٩	جزء قد سمع ٥٠٠٠/ هـ ٣	٦٤٧٫٥٦٦
٢٠	مصحف عادى ٣٠٠٠/ج/٤٥	٣٠٠
	المجموع	٣٣٫٨٩٨٫٨٦٠

● وتعكس الكميات المتزايدة من التوزيع مدى إقبال المسلمين في كافة بقاع العالم على مصحف المدينة النبوية وحرصهم على اقتنائه .

● وفى احصائية اخيرة بلغ عدد توزيع المصاحف الى الداخل والخارج حوالى ٤٧ مليون نسخة من جميع الاصدارات وحتى نهاية عام ١٤١١هـ.







عـــرض خــــــاص

يسعد مجلتك المنهل إشتراكك بها لمدة ثلاث سنوات تبدأ من الشهر الذي تحدده أنت .. ومساهمة من المجلة في إثراء مكتبتك الخاصة سترسل لك المجلة الكتب التالية :

١ - كتاب شذرات الذهب (من إصدارات المنهل) لمؤلفه الشيخ أحمد بن إبراهيم الغزاوي ويقع في أكثر من ٩٠٠ صفحة من القطع الكبير .

٢ - كتاب الصيام وتفاسير الأحكام لمؤلفه (مؤسس مجلة المنهل) الشيخ عبد القدوس الأنصاري .

٣ - كتاب اليوبيل الفضي للمجلة والذي أصدر عام ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م .

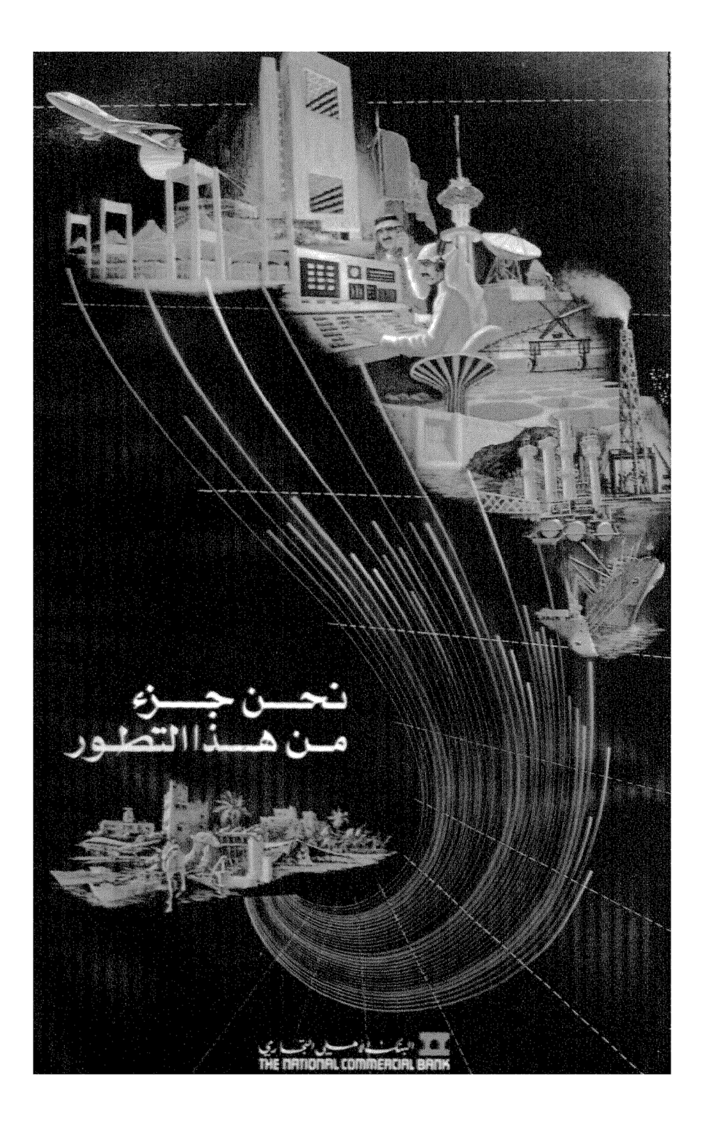
٤ - هدية عينية تحمل شعار مجلتك " المنهل " .

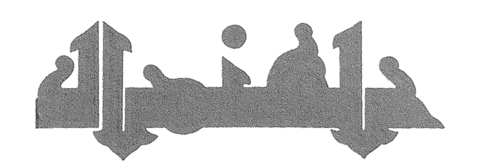
كل هذه المميزات وبما فيها اشتراكك لمدة ثلاث سنوات بالمجلة مقابل مبلغ ٥٠٠ (خمسمائة) ريال سعودي أو ما يعادلها فقط .

وليستمر هذا العرض الخاص حتى نفاد الكمية .

مع تحيات

المنهل


نحن جزء
من هذا التطور
البنك الأهلي التجاري
THE NATIONAL COMMERCIAL BANK




بالداخل قسيمة المسابقة
المنهل
ALMANHAL
مجلة العرب الأدبية
الصناعات الحرفية فى المنطقة الغربية
الحاسبات الالكترونية .. ودورها فى
دراسة الاوعية الدموية
فى ذكراه التاسعة
الانصارى فى عيون الاخرين
أين المثقف العربى



طريق الوصول

بادرتنى النفس قائلة:

ما فات مات.. ونحن ابناء اليوم.. فعلينا أن نشمر عن ساعد الجد حتى ندرك الركب، فى أسرع وقت ممكن، وفي أوجز نطاق لحاق، علينا أن ننهمك في البحوث العلمية وفى الدراسات العالية، والتطبيقات الواقعية التى اوصلت القوم إلى هذه المرتبة من التفوق التقني، وعلينا أن نبدأ من حيث انتهوا، وعلينا أن نوجه نوابغ شبابنا زرافات ووحدانا إلى العلوم التقنية في الجامعات العلمية الكبرى، علينا أن نجلب لهم العلم فى داخل بلادهم، وأن نبنى لهم الجامعات التى تعنى بهذه الدراسات في داخل اوطاننا وعلينا.. وعلينا.. وقديما قال شاعرنا الحكيم أبو الطيب حكمة خالدة مشجعة:

(على قدر أهل العزم تأتني العزائم)

وقلت للنفس عندئذ:

- إن ما قلته لى حق كل الحق، فانا مسلّم به كل التسليم، وأنا مقتنع به كل الاقتناع.

فقالت لى النفس في تؤدة وهدوء:

مهلا.. فليس في الدنيا شيء من الممكنات مستحيلا.. والامر كله متوقف على ما اشرت لك به انفا.. متوقف على (العزم المصمم) الذى لا يقبل التوقف أو التراجع أوالهوادة او التأخر.

والان: أرى أننا لسنا بعيدين كل البعد عن ذلك النبع الغزير من منابع القوة العالية، والعلم الرفيع في عالم اليوم.

عبدالقدوس الأنصاري

رمضان ١٣٩١هـ





العدد ٤٩٢ المجلد ٥٣ جمادى الاولى والاخره ١٤١٢هـ



مجلة شهرية للاداب والعلوم والثقافة
تصدر في جدة
المملكة العربية السعودية
عن دارة المنهل
للصحافة والنشر المحدودة

صاحب المجلة ورئيس التحرير
نبيه بن عبد القدوس الانصاري

مستشار التحرير
أ.د. عبد الرحمن الانصاري

نائب رئيس التحرير ـ المدير العام
زهير بن نبيه الانصاري

سكرتارية التحرير
السمالي كمال الدين

العلاقات العامة
مصطفى محمد مصطفى

الاشراف الفني والتنفيذ
عبد الرحيم فؤاد بدر الدين

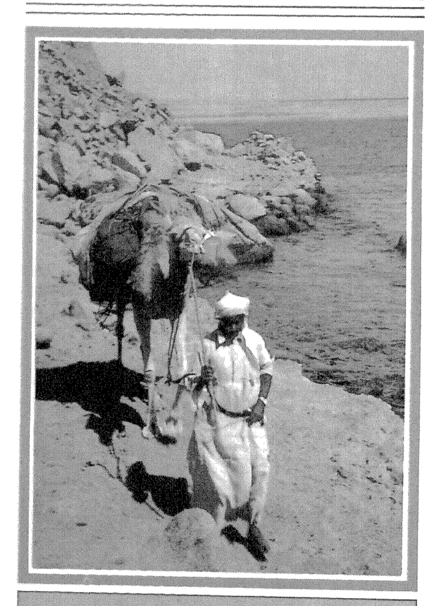
وكلاء التوزيع

تهامة للتوزيع/ جدة ت ٦٦٩٥٠٠٠ ـ وكالة الاهرام للتوزيع/ القاهرة ت: ٧٥٥٥٠٠ ـ الشركة التونسية للصحافة/ تونس ت: ٢٤٢٤٩٩ ـ الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ت ٤٠٠٢٢٣ ـ دار المسيرة للطباعة/ ابو ظبي ت: ٣٣٨٢٨٥ ـ دار الثقافة للطباعة/ الدوحة ت: ٤١٤١٨٢ ـ وكالة التوزيع الاردنية/ عمان ت: ٣٠١٩١٥٢ ـ دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ت: ٤١٨٠٩

الاعلانات

الادارة ت: ٦٤٣٢١٢٤

لقطة

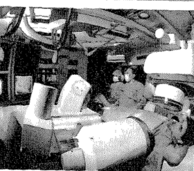


على شاطىء البحر الاحمر الممتد عبر الجبال والقلال إلى جنوب المملكة تتناثر روعة الطبيعة هنا وهناك بصورة لا تخطئها العين، ولا تغرب عن الخاطر.. وتبقى النفس معلقة بهذا الشاطىء الجميل غدق العطاء. وهذا البدوي، يكمل جمال هذه اللوحة، بروحه الطيبة، وسجيته العادلة، وطبعه الكريم.. تناغم وتناسق جميل رائع.. يشد إليه النفس دائما.

المجلة السعودية الأم

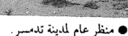



أولى أمهات الصحافة السعودية تأسست عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م
على يد الاستاذ المؤرخ عبد القدوس القاسم بن محمد الانصاري (عليه رحمة الله)




● أسلوب دراسة اجراء الكمبيوتر المقطعي.

● منظر عام لمدينة تدمر.



فى هذا العدد

إسلاميات:

أدب وثقافة

شعر:

عزيزى القارىء.. عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل فى العديد من صفحاتها ايات قرانية كريمة واسماء الله الحسنى فضلا عن احاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها وعدم إلقائها فى الطرقات أو الاكل عليها.

سعر النسخة

السعودية ٨ ريال - قطر ٨ ريال - المغرب ٦ دراهم - تونس ٦٠٠ مليم - مصر ١ جنيه - الكويت ٦٠٠ فلس - سلطنة عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم - السودان ٢٥٠ قرش - موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الاردن ٥٠٠ فلس

الاشتراكات

● قيمة الاشتراك السنوى للمؤسسات الحكومية ٢٠٠ ريال
● قيمة الاشتراك للافراد ١٥٠ ريال

اشارة

● تحتفظ هيئة التحرير بالحق فى تحديد اولويات النشرويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع او مكانة الكاتب.

● يشترط فى الاسهامات المقدمة عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية مع رجاء ان تشفع المادة المرسلة بالصور الموضوعية والتوضيحية وصورة للكاتب مع نبذة مختصرة عن حياته.

● يرجى فى المقال المرسل أن يكون بخط واضح جدا.. ويفضل ان يكون مطبوعا على الالة الكاتبة، ومراجعا من قبل صاحبه.

● الا يكون المقال او القصيدة قد تم نشرها قبل ذلك.

● الا تزيد صفحات الموضوع الواحد على أربع صفحات، أو ثمانى صفحات إ ذا كان الموضوع يستلزم ان يكون على حلقتين علما بان المجلة تفضل ان يكون على حلقة واحدة.

ورقة أولى

ثقافة السّمو

يبدو أن قضية الثقافة والمثقف، قوية، تشدنا إليها في قوة.. خلال العددين الماضيين " محرم، وصفر " تركزت " ورقة أولى " حول ' الأصالة والمعاصرة، وجيل الرواد جيل التحدي..

وكلتا الورقتين حامت حول الثقافة.. وهذه أيضا نصرة سابقتيها.. ذلك، لأن أحد كتّاب هذا العدد يسأل: أين المثقف العربي؟!

ولا نحسب الثقافة تبعد عن أن تكون - الصدق مع النفس في عروجها إلى المنهج الأمثل، وهو هنا تحويل المخزون العقلي المعرفي إلى " معرفة عليا " ونعني بها " الأنموذج الأمثل " في مدارج النفس الإنسانية نحو " الكمال "...

إذن " المعرفة العليا " أصبحت هي ذاتها " القيمة العليا " عن طريق هذا الامتصاص والتمثل للمخزون العقلي المعرفي.. وكل التمثل يتم بفاعلية آكد.

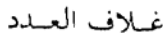
ونحن " نعالج الداخل ".. ومن هذا الداخل " النفس في مدارجها إلى الأمثل " ينبثق النور الوضاء إلى " الخارج " وعندئذ يكون " السمو " .. ويكون " الإنسان الأنموذج " في كل مناحي الحياة..

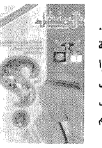
وهل نبتغي من دنيانا غير هذا المثال الأعلى من الثقافة... ثقافة السمو، السمو في الأخذ، والسمو في العطاء.. السمو في السلوك والمعاملة.. السمو في أن يكون الإنسان " ربانيا "...

ترى هل بعدنا عن مضمون الثقافة..؟

إن كنا كذلك.. فإلى ورقة أخرى

رئيس التحرير





المثقف العربي.. ومعطيات التقنية الحديثة.. موضوعان تصدرا غلاف هذا العدد.. ترى هل من توافق بينهما في الواقع.. أم هو مجرد حلم طالما أزعجنا كثيرا..؟؟!!

فقرات

● ثقافة الاجيال الحاضرة فى عالمنا العربى يشوبها الكثير من الخلط والاضطراب وضيق الافق، وعلاج هذا الامر يحتاج لكثير من الجدية وبعد النظر، وينطلق هذا من غرس حب القراء ة فى نفوس الصغار.

د. فوزى الفيشاوى

● الانصارى، شخصية متعددة المواهب.. وقد أسهم فى كل ناحية من نواحي العلوم والفنون بكفاء ة وجلد ودأب يغبط عليها.. وقليل من الرجال والمثقفين الذين واصلوا حياتهم منذ البداية إلى النهاية فى خدمة العلم والادب والثقافة بتجرد واخلاص نادرين.

حسين عرب

● النشاشيبى خاتمة طبقة من الادباء اللغويين المحققين، ولم يكن من هواة الشهرة وحب الظهور.. بل كان فى كثير من كتاباته فى بعض الصحف انذاك يخفى اسمه بغرض أن ينقد فى حرية بعيدا عن المجاملة.

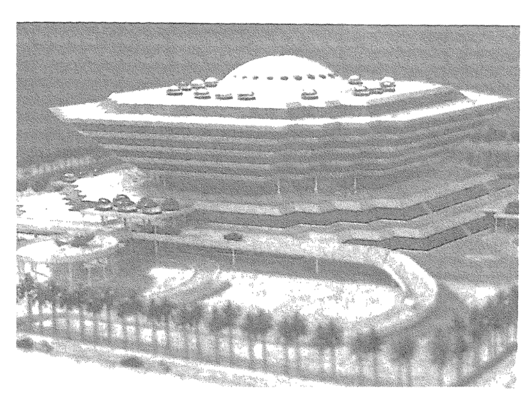
د. محمد رجب البيومى

● ماذا يعني ان يكون للانسان مبدأ..؟ أيعنى ذلك ان هناك شيئا ما لا يفرط فيه؟ شرفه؟ إيمانه؟ وطنه؟ حريته؟ إنسانيته؟ ... كل مثالياتنا الجميلة..؟.. ولكن هل مفهومنا لهذه المثاليات هو واحد عند الجميع..؟!

د. ثريا العريض

أبواب ثابتة

كز الرئيسى: جدة الشرفية: ص.ب ٢٩٢٥ رمز بريدى: ٢١٤٦١ برقيا: المنهل فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ ت: ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧
مكتب الرياض: ص.ب: ٢٩٠ ت: ٤٥٤٢٤٣٢

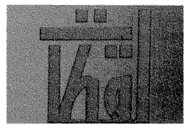


● المبنى الجديد لوزارة الداخلية بالرياض.

مقر جديد للداخلية

صرح معالى الدكتور ابراهيم العواجى وكيل وزارة الداخلية أن الوزراة ستنتقل بمشيئة الله من مقرها القديم الى المبنى الجديد خلال الشهور الثلاثة القادمة.

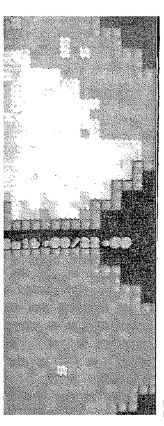
وكان صاحب السمو الملكى الامير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية.. قد وضع حجر الأساس للمبنى الجديد فى ١٤٠٥/٣/١١هـ.. هذا المبنى يعد معلماً من معالم الرياض - العاصمة - وهو يتكون من مبنى رئيسى.. ومبان للخدمات.. ومهبط للطائرات العمودية.. ومواقف للسيارات.. وقد بلغت عدد طوابق المبنى ١١ طابقاً وبلغت تكلفته الاجمالية ٦٩٠ مليون ريال.



كريس والديناصور؟!!

كريس الطيار الأمريكى المتقاعد حين زار طوكيو وشاهد لأول مرة فى «مهرجانات الروبوت» الديناصورات ذات الأحجام الأسطورية المخيفة والتى تمشى بخطوات بطيئة ومخيفة - وتزأر فاتحة أفواهها التى تشبه فوهات البراكين.. ملك ذلك عليه عقله وصمم أن يذهب بواحد يعرضه فى متحف كاونتى للتاريخ الطبيعى.. شحنه على حاوية بحرية لنقل البضائع - وعرضه فى المتحف فى لوس انجلوس.. ولما نال هذا العرض نجاحاً منقطع النظير، أسس كريس مصنعاً عملاقاً لانتاج الديناصورات التى تعمل بالروبوت.. ولم يقتصر الأمر عند حد تأسيس المصنع. بل قام بإصدار مجلة دورية أطلق عليها «ديناصوريا».. وتتبع ما قاله العلماء كما قرأ تاريخ الديناصورات التى ظهرت على وجه الأرض منذ ملايين السنين.. وعاونه فى ذلك العلماء اليابانيون والأمريكيون وجامعة كاليفورنيا.

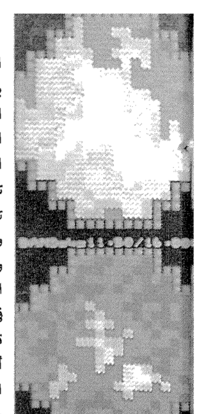
استطاع مصنع كريس انتاج خمسة ديناصورات يزن كل منها عشرة أطنان.. واستطاع أيضا جذب ملايين الأطفال الذين ترددوا من كل أنحاء العالم للتمتع بمشاهدة الديناصورات الآلية التى تعكس تفوق وعبقرية العقل البشرى.



● انفجار شمسى.



● الديناصور.. وغرائب المخلوقات.



فى مرصد الجامعة انفجار شمسي؟!!

فى قسم العلوم الفلكية بكلية العلوم ـ جامعة الملك عبد العزيز بجدة.. تم رصد انفجار شمسي نادر استمر ما يقرب من ثلاث ساعات وشرح الدكتور عبد الرحمن على ملاوى الاستاذ المساعد بقسم الفلك ذلك بقوله:



الظاهرة التى نحن بصددها هى: ظاهرة الانفجارات الشمسية العنيفة التى تهز الغلاف الجوى الشمسي ويبلغ تأثيرها سطح الارض التى تبعد عن الشمس بـ مائة وخمسين مليون كم.. وتتميز الانفجارات الشمسية بازدياد كبير جدا فى اللمعان يغطي مساحة قد تبلغ ٥ ملايين كم مربع أى ما يوازى مساحة الجزيرة العربية مرتين ونصف مما يدل على ان كمية الطاقة المنبعثة من الشمس هائلة جدا.

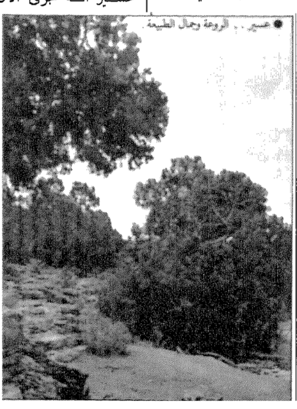
ومشتملة على الطيف المغناطيسى بأسره من أشعة جاما ذات الموجات القصيرة والطويلة بالاضافة الى الجسيمات التى يصل تأثيرها الى سطح الارض على شكل عواصف مغناطيسية تسبب اضطرابات فى ارسال الأقمار الصناعية وظهور الوهج القطبى والتأثير اللحظى على طبقة الاوزون.

وداعـاً أيتها المبيدات؟!!

الانسان منذ العصور القديمة عرف نبات «الرمان».. استعمله كطعام له كما انتشر استعماله كعلاج للعديد من الأمراض، وحديثاً تأكد أن الرمان طعام ممتاز.. يقوى القلب وينظف المجارى التنفسية ويطهر الدم كما يساعد على التخلص من عسر الهضم والزحار والدودة الشريطية

كل هذا يكاد يكون معروفاً.. غير أن الأمر العجيب فعلا هو ما ذكره الطبيب العربى الشهير ابن سينا ـ قديماً ـ من أن فروع نباتات الرمان وأغصانه تطرد الهوام الضارة وتبعدها؟!! ومن المعروف أن الطائف مشهور بزراعة الرمان.. فهل لنا أن نقول: مع نباتات الرمان وداعاً للمبيدات و.. اهنيء ياطبقة الاوزون.

أشجار عسير



● عسير.. الروعة وجمال الطبيعة.

أشجار الغابات تتعرض دائماً للاعتداء البشرى من ناحية ولآثار عوامل التعرية من ناحية أخرى.

وحفاظاً على هذه الثروة الهامة صرح الاستاذ مبارك محمد المطلقة المدير العام للزراعة والمياه بمنطقة عسير أنه تجرى الآن

● الرمان.. وطبقة الأوزون



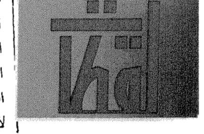
● توسعة الحرم المكى الشريف.

عمليات ترقيع واسعة لغابات عسير.

ومما يجدر ذكره أن أنظمة الغابات فى منطقة عسير تحرم قطع الأشجار أوإتلافها كلياً أو جزئياً . . ولكن مما يؤسف له أن هذا التحريم لم ينقذ أشجار الغابات من الخطر مما أدي إلى الاضرار بكميات من تلك الاشجار.

بقى أن نذكر أن عمليات الترقيع تلك ـ والتى تأتى كخطوة إيجابية وفاعلة فى مواجهة خطر الاعتداء هذا . . تتم بزراعة الشتلات وفق المناخ المناسب، وتطويعها للبيئة السائدة.

□□□



مشروع توسعة خادم الحرمين للمسجد الحرام بمكة

شهر رمضان القادم وموسم الحج لهذا العام بمشيئة الله تعالى ستتم الاستفادة من مشروع توسعة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز للمسجد الحرام بمكة المكرمة.

المشروع دخل مراحله الأخيرة حيث يجرى العمل ليل نهار لإنجاز هذا المشروع الاسلامى الكبير والذى سيزيد استيعاب عدد المصلين فى الحرم الى ٧٣٠ ألف مصل هذا الى جانب توسعة المساحات المجاورة للحرم وزيادة عدد الأبواب والمآذن ودورات المياه . . وكذلك النواحى الفنية التى تم تنفيذها وفقاً لأرقى طراز إسلامى ـ تمثله القباب الثلاث والمآذن والأسقف والأعمدة والجدران الخارجية المكسوة بالرخام الأبيض والملون.

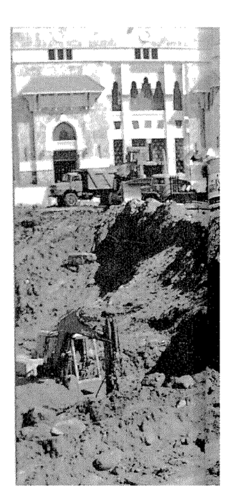
● توسعة الحرم المكى الشريف.



● الملكة اليزابيث.

صورة الملكة إليزابيث

جرى في آخر لحظة تغيير مكان لوحة زيتية للملكة اليزابيث اعتبرها البعض فاشلة والبعض الآخر «بشعة للغاية» وذلك قبيل افتتاح مبنى رسمى جديد للبرلمانيين البريطانيين. وكان مقررا ان تتصدر هذه اللوحة

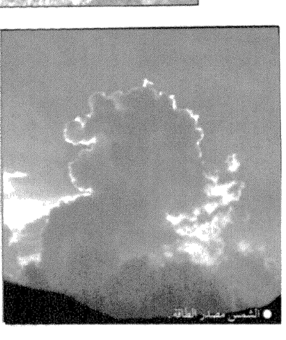


التى رسمها الفنان المعاصر هنرى مدخل المبنى الذي افتتحه الامير تشارلز ولكن تم نقلها في آخر دقيقة الى جدار درج معتم بعد الجدل الذي أثير بين النواب حول رداءة مستواها الفنى حيث قال نائب عمالى إن الملكة تبدو فيها صفراء اللون ويبدو أحد ذراعيها متورما.

اندماج نووى ؟!!

أعلن العلماء الأوروبيون فى مركز للابحاث فى بريطانيا أنهم تمكنوا للمرة الاولى من إنتاج كمية كبيرة من الطاقة عن طريق الاندماج النووى وهى الظاهرة التى تستمد الشمس على أساسها مصدرها من الطاقة. ونقل راديو لندن عن فريق مشترك من العلماء الاوروبيين قوله إنه أنتج حوالى اثنين ميجاوات من الطاقة فى مركز أبحاث بمقاطعة بريطانية.

ويقول الراديو إن هذه التجربة تضع أوروبا فى موقف متميز في السباق لتسخير الطاقة على المستوى التجارى من مصدر لا ينضب ويتسم بالنظافة وعدم تلويث البيئة نسبيا غير ان الوصول الى ذلك قد يستغرق فترة تصل الى خمسين عاما.



● الشمس مصدر الطاقة

معرض للكتاب الطبى

مستشفى الملك فيصل التخصصى ومركز الابحاث.. ينظمان خلال الفترة من ٥ - ١٠ من شهر شعبان المقبل بمشيئة الله معرضاً للكتاب الطبى.

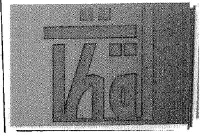
يأتى هدف هذا المعرض متمثلا فى منح الفرصة للعاملين فى الحقل الطبى بالمملكة للاطلاع على أحدث الاصدارات فى المجالات الطبية والعلاجية والجراحية والصيدلانية.. كما أوضح ذلك الدكتور فهد العبد الجبار المدير العام التنفيذى للمستشفى والمستشار. فى تصريح لوكالة الانباء السعودى.

هذا.. واللجنة المنظمة للمعرض دعت دور النشر السعودية وممثلى دور النشر العربية والعالمية للمشاركة فى هذا المعرض الذى ينظمه المستشفى ولأول مرة.

● الاطفـال والقـراءة .

القـاهـرة ومعـرض دولى لكتب الاطفال

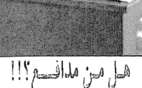
أقيم فى القـاهـرة فى الشهـر الماضى معـرض دولي لكـتـب الاطفـال وشـارك فى المعـرض الذى اقامته الهيئة المصرية العامة للكتاب ٣٦٠ ناشرا مصرياً وعربياً واجنبياً من ٢٨ دولة عرضت احدث ما انتجته



دور النشر فى مجال كتب ورسومات الأطفال .

وأقيم في اطار المعرض ندوة عن ثقافة الطفل استمرت ثلاثة أيام شارك فيهـا مجموعة من كتاب قصة الأطفال والمهتمين بثقافة الطفل .

كما قدمت فيه بعض الانشطة الفنية الموسيقية والسينمائية والمسرحية ووزع خلال فترة اقامة المعرض الجوائز الخاصة بمسابقة أدب الاطفال ورسوم كتب الأطفـال التى سبق ان اعلنت هيئة الكتاب عنها

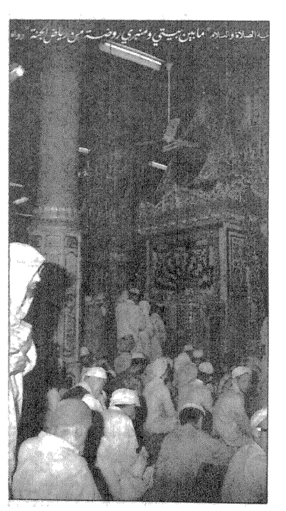


فى حوار مع الدكتور الشاعر أحمد الشويخات عن موقف النقد فى ساحتنا اليوم . . أجاب قائلا :

«بـوجـه عام لست مقتنعـا بأساليب الحوار النقدية الموجودة لدينا على الساحة الثقافية، ولا بعمق المضمـون النـقـدى ومنطلقاته ورفاقه . كما ان معظم الضجيج النقدى حتى الممارسات النقدية الصادقـة والنازعـة الى العمق تحمل الاشكالات التنموية نفسها، مع ذلك هنـاك اشراقات ومحاولات جميلة من البحر الى البحر معـروفة . . ولكن يبدو لي انها ذات تأثـير محدود - وارجو ان اكون مخطئا فى هذا» .

فهل من مدافع؟!!.





شعر: أحمد غراب (مصر)

أصلى عليك فأطوى المدى
أعانق (يثرب) والمسجدا
وفى الباب أرمى حصاد السنين
حقائب عمر بغير هُدَى
وأشكو إليك خداع الأمانى
وأنى أضعت وجودى سُدَى
وأنى وإن ضللتنى الحياة
فما أشركَ القلب أو ألحدا
ولم أنس والاثم يحصد عمرى
إلها دعونا له سُجّدا
وأن الحياة إذا أضحكت
ففى ثغرها الحلو طيف الردى

●●●

أبا المتعبين أتيت بجرحى
أخوض إليك الشذى والندى
فقد مضغتنى كهوف الضياع
وفى الطين ضعف إذا عربدا
وفى النفس جوع وللأفعوان
فحيح له فى العروق صدى
دموع الذنوب على جبهتى
تمد الى راحتيك يدا

●●●

أبا المسلمين أيا واحة
من الحب فوق اتساع المدى
وفوق احتمال افتكار الزمان
إذا فكر الدهر أن يخلدا
فيا بسمة الحب والبغض يشعل
فى كل قلب له موقدا
وفى كل درب ترى المسلمين
يبيعون للموت حتى الغدا
وصاروا من الضعف موتى إذا
جرى العالمون مشوا رُقدا
إذا انطفأت فى الدروب الشموع
دعوتك فيهم وأنت الهدى

الإنسان بين الإيمان والإلحاد

مع الايمان تكون السكينة والهدوء والأمانة والصلاح والعدل والقوة والوعي ..

أ.د. صالح بن سعد اللحيدان
الامين العام للبحث العلمي

الذين يقرأون نصوص الشرع ويطّلعون على معنى ذلك من خلال فهم المراد للنص، حسب حالاته وقرائنه، وما ينهض به من معنى عظيم له قواعده وشواهده، يدركون حقيقة التوحيد ولازمه في النفس قبل وجود الالحاد من حيث واقع الحال منذ أقدم الازمان، وعلى هذا السّير الذي يوحي لي ولغيري بلازم أقدمية الايمان على الالحاد فإن الفطرة تقبل هذا ولا تحيد عنه تُقبل عليه ولا تدبر، وإن ولّت أقبلت ولو طال المطال جزماً .. ولهذا نقرأ قول الله تعالى ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ﴾ .

ليس هناك سوى القلق والحيرة مع العلمانية أو الاشتراكية أو الوجودية ..

ليس مع المدعين بأقدمية الوثنية أو ضياع الانسان شروى نقير من دليل من الحس أو المعنى أو اللغة أو التاريخ على شيء من هذا أو ذاك سوى الحدس والتخمين أو ما يكون بسبب حالات نفسية توجد لدى الانسان من جراء حدث نفسي كريه يولد لدى صاحبه من واقع الحال ولو كان الايمان بين جوانحه وبين أوله ومنتهاه .

فليس ثَمة مع العلمانية أو الاشتراكية أو الوجودية أو قل مع عبادة الذات وطلب الجاه سوى القلق والحيرة دون دليل يركن إليه هؤلاء وأولئك إلا دليل الشيطنة بين ثنايا العقول والافهام .

وليس يوجد اليوم بعد قرون متطاولة أدل على السقوط من سقوط مذاهب وأيدلوجيات وآراء كانت في حينها ديناً شديداً يدين الكثيرون به فوق هذه الأرض غرباً وشرقاً كحال الشيوعية والـدّاروينية الأولى والثانية وكذا العقلانية الأوربية في المذهب الماركسي، والعلماني المعاصر .

ونحن نجد شاهداً عجباً في القرآن الكريم يحكي حال الايمان مع جحوده بسبب : جاه، أو مادة، أو مبدأ خاطيء لا يقوم، يقول تعالى في حكايته عن فرعون وأنه يؤمن ويوقن لكن جاهه يعميه ودنياه تغريه يقول جلّ شأنه ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً ﴾ .

وكحال هذا المريد المعاند حال كفار قريش إذ قال الله عنهم ﴿ فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ﴾ .

وهكذا نفهم وهو الحق قدم الايمان على الكفر في حياة الكون وحياة الانسان ولنقرأ ما ورد في صحيح مسلم رحمه الله فقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم (خلقتُ عبادي حنفاء فاحتالتهم الشياطين)، فيولد المولود على الفطرة الصحيحة النقية لكن وبسبب ما من الأسباب المغوية من تربية أو صحبة أو حالة نفسية أو غرور كما يقولون مُجنح يهلك الانسان فيطمس الحق ويعميه بينما هو من خلال نداء الفطرة يجدها تدعوه إلى الإيمان لكن الايمان الحق الذي لازمه تحقيقه : لا إله إلا الله محمد رسول الله، من حب وموالاة ودعاء ورجاء وخوف واستعانة واستغاثة .

ويكفي خيراً من الايمان أنه إيمان بالله ورسله ومقتضى هذا الايمان الايمان بالملائكة والكتب واليوم الآخر وقضاء الله وقدره هنا يكون الإيمان ذا ثمار تزيد ولا تنقص من سكينة وهدوء وأمانة ونزاهة وصلاح وعدل وقوة ووعي ونباهة على طول الحياة .

﴿ ومن يؤمن بالله يهدي قلبه ﴾ .
﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ .
﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ﴾ .
﴿ واتقوا الله ويعلمكم الله ﴾ .

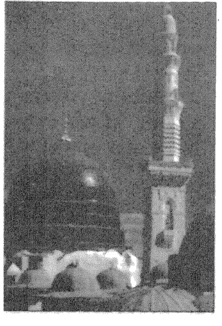
ترى قارئي الكريم كم الانسان بحاجة إلى هذا كله حيث يبتعد القلق والخوف وأمراض كثيرة نفسية وعصبية وعقلية جاء بها الزيغ أو جاء بها ضعف الايمان وصدق الله ﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ .

□□□

من الإعجاز القرآني : صيانة السُّنَّة

- ازداد عمق مذاكرة أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم فى عهد الصحابة رضوان الله عليهم.
- حافظ الصحابة على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشروه فى الأصقاع علما وعملا.

المكى اقلاينية
كلية الآداب والعلوم الانسانية ـ المغرب



نزل القران الكريم على رسول الله ﴿ﷺ﴾ لهداية الناس إ لى الدين القويم، ومنقـذا لهم من ضلالة الكفر، مقدما لهم الدليل تلو الدليل على صدق رسالة سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، متحديا البشرية جمعاء أن يضاهوه، كما في قوله تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن، لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾(١). فلما ظهر العجز من القـوم، تحداهم بالاتيان بعشر سور مثله، كما فى قوله عز وجل: ﴿أم يقولون افتراه. قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾(٢)، إ لا أنهم ما قدروا على ذلك، فانتقل بهم إ لى أقصى التحدي عندما طالبهم باختلاق ولو ما يشبه سورة واحدة كما يتضح من قوله جل ثناؤه: ﴿أم يقولون افتراه، قل فاتوا بسورة مثله، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾(٣).

وهذه الطريقة في مواجهة المنكر ومطالبته بالاستجابة للقدر الأدنى، لا تصدر إلا من جهة متيقنة كل اليقين أن لا مناص للطرف الآخر إلا الاذعان والاعلان عن العجز، وهي بالتالي أفضل وسيلة لإفحام المخالف.

يضاف إلى ما سبق ذكره إخباره تعالى بقضايا ما تزال مطوية في عالم الغيب، ثم تقع كما نص عليها القـرآن الكريم، كما ورد فى قوله عز وجل: ﴿الم غلبت الروم في أدنى الأرض، وهم من بعـد غلبهم سيغلبـون في بضع سنين. لله الأمر من قبل ومن بعد، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله﴾(٤).

ويطلع علينا تحد آخر، يلمسه العالم والعامي، ألا وهو حفـظه تعـالى لكتـابه من الزيادة والنقصان والتحريف، وبقاؤه الى الآن محفوظا لأكبر دليل على صيانة الله تعالى له بدفـع المسلمين إلى حفظه منذ عهد الرسول المصطفى، وكتابته بشكل جماعي، ونقله عنهم بنفس الطريقة إلى أن وصل إلينا. ولو تجرأ أحد على تحريف آية، لقام أكثر من واحـد ليصحـح ذلـك، إذ لا يمكن أن تتفق الأمة على السكوت على الضلال. وهكذا يتحقق وعد الله: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر، وإنا له لحافظون﴾(٥).

ولو أنه أمكن وقوع الزيف فى القرآن، لأدى ذلك إلى تحريف الشريعة وإدخال أحكام فيها لا تمت إليها بصلة. لكن، شاءت مشيئة الخالق أن يحفظ الدين الاسلامي، وأن يتنزه مصدره السامي عن كل الشوائب.

إلا أن المتأمل في القرآن يجده محتاجا إلى البيان، وهو أمر موكول الى رسول الله ﴿ﷺ﴾ وفى ذلك قال الباري سبحانه: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾(٦).

وسبب هذا البيان أن من الآيات ما جاء مجملا يحتاج إلى تفصيل، كما هو الشأن بالنسبة للآيات المتعلقة بالأمر بالصـلاة، فقـد وردت دون بيان لكيفيتها وعدد ركعاتها وسجداتها، فقام الرسول بتوضيح ذلك.

كما أن من الآيات ما ورد مطلقا فى حين أن المراد قسم محدد من المتكلم عنه، فقامت السنة بتقييدها بقيد يقلل شيوعهـا. فقد ورد الحكم الشرعي في الكتاب بقطع يد السـارق فى قوله سبحانه: ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾(٧). واليد فى العربية تطلق على العضو المبتدىء

بالكتف والمنتهي بالأنـامل، فيعتقد المرء أن القطع لكل هذا العضو، إلا أن السنة حددت القطع بالرسغ.

وبالاضافة إلى ذلك جاءت آيات ذات حكم عام، كما فى قوله تعالى: **﴿يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين﴾**[٨]، فكـان الحكم عاما وشاملا لكل الأولاد، فقامت السنة بتخصيص هذا العموم بأن الذي يشمله الحكم هو الولد غير القاتل، أما الولد القاتل مورثه، فلا يرث، لقوله عليه السلام: «لا يرث القاتل».

وإلى جانب هذه الأدوار التي تقوم بها السنة، نجدها تضيف أحكـامـا جديدة لم ترد فى القرآن، كتحريم لحم الحمر الأهلية، وكل ذى ناب من السباع[٩].

وإذا كان الأمر كما قلنا، فإن القرآن محتاج إلى السنة، إذ بدونها لا يمكن أن تفهم جملة من الآيات، ولا يمكن للمرء أن يعرف كيفية الصلاة، ولا مقدار الزكاة الشىء الذى سيؤدي إلى تعطيل الأحكام لو أننا تجاهلناه. لذلك، كان التأكيد فى القرآن على ضرورة أتباع سنة رسول الله ﴿ﷺ﴾، وطاعته، حيث قال تعالى: **﴿وما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا، واتقوا الله، إن الله شديد العقاب﴾**[١٠]، وقال أيضا: **﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾**[١١]، وقال أيضا: **﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت، ويسلموا تسليما﴾**[١٢].

والرسول قد أمر ونهى، فكان من اللازم اتباع قوله لأنه تشريع للمسلمين. فهل يتصور ضياع شيء منه؟ ثم هل يتصور اختلاط السنة بافتراء المفترين؟.

■ إن تصـور إمكـان ذلـك، يعني إمكان كون الشريعة ناقصة حاليا لجهلنا بكثير من الاحكام، كما يعني أن علماء الأمة الاسلامية قد فرطوا فيها بعد اكتمالها، وفى كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من خلفه ولا من بين يديه: **﴿اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الاسـلام دينـا﴾**[١٣]، كما يعني أيضا اختلاط المنهج الربانيّ بكذب المدعين إلى حد عدم القدرة على التفرقة بين هذا وذاك.

■ إن الدارس لكتاب الله، يجد قوله تعالى عن رسوله: **﴿وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحي﴾**[١٤]، كما يجد أيضا: **﴿إن أتبع إلا ما يوحى إلى﴾**[١٥]. **وقال عز وجل** آمرا رسوله الكريم: **﴿لتبين للناس ما نزل إليهم﴾**[١٦]. وفى هذا الوحي قال سبحانه: **﴿إنا نحن نزلنا الذكر، وإنا له لحافظون﴾**[١٧].

وبناء على ما سبق ذكره من الآيات، أكد ابن حزم أن كلام رسول الله ﴿ﷺ﴾ فى الدين وحي من عند الله عز وجل، وأنه لا خلاف بين أحد من أهل اللغة والشريعة أن كل وحي نزل من عنده سبحانه، فهو ذكر منزل وهو كله محفـوظ بحفظ الله تعـالى له بيقـين. وكل ما تكفل الله بحفظه فمضمون أن لا يضيع منه، وأن لا يحرف منه شيء أبدا تحريفا لا يأتي البيان ببطلانه، «فان كان ذلك كذلك، فبالضرورة ندري أنه لا سبيل البتة إلى أن يختلط به باطل موضوع اختلاطا لا يتميز عن أحد من الناس بيقين. إذ لو جاز ذلك، لكان الذكر غير محفوظ..»[١٨].

■ وهذه نظرة دقيقة لابن حزم تحسب له، ولنا أن نتساءل الآن عن كيفية هذا الحفظ؟

لقد خلق الله أمة حريصة على نقل شريعة الله بأمانة، بعيدة عن الأهواء واختلاق الكذابين، هذه الأمة التى لما أمرها رسول الله ﴿ﷺ﴾ بالاحتشاد في المسجد ليخطب فيهـا، قالت جماعة: «دونك أول كلمة يتكلم بها رسول الله ﴿ﷺ﴾، وأنت التي تليهـا، لئـلا يفوتكم شيء من كلام رسول الله ﴿ﷺ﴾»[١٩].

وكـانت رواية الحـديث تعتمـد فيها تعتمـد، على الكتـابـة[٢٠]، فنجـد عبـد الله بن عمـرو بن العاص له صحيفـة يسميهـا: «الصادقة» كتبها بين يدي الرسول، وعنـد أبى بكـر الصـديق صحيفـة فى الصـدقات (اي الزكوات) وعند على بن ابى طالب صحيفة في الدماء (اى العقوبات المتعلقة بالجراح والقتل) معلقة فى غمد سيفه..

إلا أن الرواية المكتوبة لم تكن منتشرة وشائعة، فقد كانت الصبغـة العامة لنقل الحديث: الرواية الشفوية. فكيف تم ضبطها؟

لقد كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ يعلم أصحابه ويحدثهم فى دار الأرقم أول الأمر، ثم فى بيته، وبعد بناء المسجد سينتقـل التعليم إليه. والتعليم فى المساجد مفضل عند العلماء، لأن هذه الـوسيلة تقوم بتعميم المعرفة، وتجنب النـاس الحـرج الذى قد يحسونه فى منزل يحتاج أهله إلى قضـاء حاجاتهم. وفي ذلك، قال ابن الحاج العبدرى: «والمقصـود بالتـدريس كما تقدم، إنما هو التبيين للأمة، وإرشاد الضال وتعليمه، ودلالة الخيرات. وذلك موجود فى المسجـد أكثر من المـدرسـة ضرورة. وإذا كان المسجد أفضـل، فينبغى أن يبـادر إلى الأفضل ويترك ما عداه،

اللهم إلا لضرورة والضرورات لها أحكام أخر»[٢١].

وكان عليه السلام يبعث أصحابه أفراداً وجماعات إلى القبائل قصد تعليم أهلها الدين الاسلامي الحنيف، كعمار بن ياسر الذى بعثه إلى حيّ من قيس[٢٢]، ومعاذ بن جبل وأبو موسى الأشعري اللذين بعثهما إلى اليمن[٢٣]، وحرام ـ خال أنس بن مالك ـ الذى أرسله في سبعين من الأنصار يقال لهم القراء، إلى قوم لتعليمهم[٢٤].

وكانت الرحلة إلى الرسول للسماع منه، فانتشر حديثه صلى الله عليه وسلم بين الصحابة، يبلغ الحاضر الغائب، لحثه صلى الله عليه وسلم على ذلك، إذ قال فيما رواه عنه عبد الله بن مسعود رضى الله عنه: «نضر الله امرأ سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه، فرب مبلغ أوعى من سامع»[٢٥].

وعلى هذا، نجد الصحابة فى تمام التركيز وهم في مجلس رسول الله «ﷺ»، فإذا قام تذاكروا فيما بينهم حديثه قصد حفظه وضبطه، فهذا أنس بن مالك رضى الله عنه يقول: «كنا نكون عند النبى «ﷺ» ـ وربما كانوا نحوا من ستين إنسانا ـ فيحدثنا رسول الله «ﷺ»، ثم يقوم فنتراجعه بيننا هذا وهذا، فنقوم وكأنما قد زرع في قلوبنا»[٢٦].

■ وهذه المذاكرة ازداد عمقها وأثرها فى عهد الصحابة، خصوصا وقد التحق الرسول بالبارى سبحانه، إذ أحسوا، أكثر من أي وقت مضى، بضرورتها لضبط الحديث ونشره. لذلك، نراهم يحثون طلبتهم عليها، لأن تركها يؤدى إلى تفلت الحديث من الذهن، فعن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال: «**تذاكروا هذا الحديث وتزاوروا، فإنكم إن لم تفعلوا يدرس**»[٢٧].

وعن ابن مسعود رضى الله عنه: «**تذاكروا الحديث، فإن ذكر الحديث حياته**»[٢٨].

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «ردوا الحديث واستذكروه، فإنه إن لم تذكروه ذهب. ولا يقولن رجل لحديث قد حدثه: قد حدثته مرة، فانه من كان سمعه يزداد به علما، ويسمع من لم يسمع»[٢٩].

ونتيجة ذلك، أنه إذا أخطأ أحد الرواة، يصحح له آخر خطأه، فلما روى عبد الله بن عمر عن رسول الله «ﷺ» قال: «الشهر تسع وعشرون» وأخبرت عائشة بذلك، قالت: «يرحم الله أبا عبد الرحمن، إنما قال: الشهر يكون تسعا وعشرين»[٣٠].

وبهذا، يتضح أن الصحابة كانوا حريصين على ضبط السنة ضبطا دقيقا يصل إلى درجة الوقوف عند الحرف الواحد، ويتكبدون مشاق الرحلة إلى من سمع معهم حديثا معينا قصد التأكد من ضبطهم له. من ذلك، ما رواه عبد الله بن بريدة «أن رجلا من أصحاب النبى «ﷺ» رحل إلى فضالة بن عبيد، وهو بمصر، فقدم عليه وهو يمد لناقة له، فقال: مرحبا. قال: أما إنى لم آتك زائرا، ولكن سمعت أنا وأنت حديثا من رسول الله «ﷺ»، رجوت أن يكون عندك منه علم. قال: ما هو؟ قال: كذا وكذا..»[٣١].

وبهذه الطريقة، حافظ الصحابة على حديث رسول الله «ﷺ»، ونشروه فى الاصقاع علما وعملا. وهم أنفسهم ما كانوا ينتقلون من آية إلى أخرى حتى يعلموا ما فيها ويعملوا بمضمونها. يدل على ذلك ما رواه أبو عبد الرحمن السلمي قال: «حدثنا من كان يقرئنا من أصحاب النبى «ﷺ» أنهم كانوا يقترئون من رسول الله «ﷺ» عشر آيات، فلا يأخذون فى العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل قال: فعلمنا العلم والعمل»[٣٢].

وعن على بن ابى طالب قال: «يا حملة العلم، اعملوا به، فإنما العالم من علم ثم عمل، ووافق علمه عمله»[٣٣].

■ ومما لا شك فيه، أن التطبيق العملي للعلم يزيده رسوخا فى الذهن. وهذا الارتباط الوثيق بين العلم والعمل راجع إلى كون المسلم مأمورا بتطبيق التعاليم الدينية، سواء ورد الأمر فى كتاب الله عز وجل، أو فى حديث رسول الله «ﷺ»، الأمر الذى يجعلنا نجزم أن هذا الجيل ما كان ليحيد عن تطبيق ما بلغه عن الخالق من أوامر، خصوصا مع العلم بالوعيد الذى ينتظر من يعلم ولا يعمل.

وعلى هذا الأساس، فرواية الحديث كانت عن طريق الكتابة منذ عهد الرسول، والمشافهة التى عمل على ضبطها كل من المذاكرة والرحلة والتطبيق. فبقيت السنة نقية من الشوائب لوعي المسلمين بخطورة القضية، إذ أن عدم ضبطها يعني إمكانّية دخول أحكام فى الشريعة فى حين أنها براء منها، لذلك نجد من الصحابة من يستحلف الراوي، كصنيع على بن أبي طالب مع ثقة الراوي. وفي هذا الشأن، قال: «كنت إذا سمعت عن رسول الله «ﷺ» حديثا، نفعني الله عز وجل بما شاء أن ينفعنى منه، وإذا حدثني غيره استحلفته، فحدثني ابوبكر،

وصدق أبو بكر. . »[٣٤].

وكصنيع عمر بن الخطاب مع أبي موسى الأشعرى عندما استأذن عليه ثلاثا فلم يؤذن له فرجع، فأرسل فى إثره فقال: «مالك لم تدخل؟» فقال أبو موسى: «سمعت رسول الله ﴿ﷺ﴾ يقول: الاستئذان ثلاث، فإن أذن لك فادخل وإلا فارجع»، فقال عمر: «ومن يعلم هذا؟ لئن لم تأتني بمن يعلم ذلك، لأفعلن بك كذا وكذا». فخرج أبو موسى حتى جاء مجلسا فى المسجد يقال له مجلس الأنصار، فقص عليهم الأمر وقال: «فإن كان سمع أحد منكم فليقم معي»، فقالوا لأبى سعيد الخدري: «قم معه» وكان أبو سعيد أصغرهم ـ فقام معه، فأخبر بذلك عمر بن الخطاب[٣٥].

وما كان ذلك بتكذيب منهم لبعضهم البعض، فهم عدول والحمد لله، بشهادة الخالق وشهادة رسوله، وإنما هو للاطمئنان القلبي كالذي قاله إبراهيم لربه: **﴿وإذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى. قال أو لم تؤمن. قال بلى، ولكن ليطمئن قلبي﴾**[٣٦]، وإلا فإن عليا إنما كان يستظهر بالايمان على بعض من حدثه ليسوق لفظ النبى ﴿ﷺ﴾ كما حدثه، ولا يرويه على المعنى[٣٧]. وهذا منه زيادة فى التحري والضبط. وأما موقف عمر، فانه يتضح عند دراستنا للحديث كاملا، حيث نجده يقول لأبي موسى: «أما إني لم أتهمك، ولكنى خشيت أن يتقول الناس على رسول الله ﴿ﷺ﴾». وقد احتمل ابن عبد البر أن يكون عمر رحمه الله كان عنده فى ذلك الحين من لم يصحب رسول الله من أهل العراق والشام وغيرهم، لم يستحكم الإيمان فى قلوب جماعة منهم، وهؤلاء ممن يجوز عليهم الكذب عند الرهبة والرغبة أو طلبا للحجة، وفرارا إلى الملجأ لقلة علمهم بما في ذلك عليهم، فأراد عمر أن يريهم أن من فعل ذلك منهم ينكر عليه، ويجب التثبت فيما يرويه الراوي حتى يصح قوله، ففعل ذلك مع أبى موسى وإن كان عنده معروفا بالعدالة غير متهم ليكون ذلك أصلا وقاعدة عندهم[٣٨].

لما دخل الاسلام إذن أقوام فى نفوسهم مرض، هدفهم من إسلامهم تقويض صرح الدين من الداخل بعد فشلهم فى هدمه من الخارج، وأرادوا أن يتزيدوا على الرسول. لهذا السبب، نجد من يقف فى وجههم. وقد تبين لنا أن المحدثين، ابتداء من عهد الصحابة يتقصون كلام رسول الله ﴿ﷺ﴾ تقصيا دقيقا، ثم سيظهر البحث فى الرجال منذ وقت مبكر جدا، كما يثبته لنا النص المنقول عن محمد بن سيرين ـ وهو من علماء التابعين ـ الذى قال فيه: «كانوا لا يسألون عن الاسناد، فلما وقعت الفتنة، قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة، فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم»[٣٩].

ومن طريف الوقائع التى تثبت حرص المحدثين على السنة، وأخذهم عن العدول من الرواة، ما رواه عفير بن معدان قال: «قدم علينا عمر بن موسى حمص، فاجتمعنا إليه فى المسجد، فجعل يقول: ثنا[٤٠] شيخكم الصالح، ثنا شيخكم الصالح. فلما أكثر قلت له: ومن شيخنا الصالح، سمه لنا حتى نعرفه. فقال: خالد بن معدان. قلت: في أى سنة لقيته؟ قال: لقيته سنة ثمان ومائة. قال: قلت: وأين لقيته؟ قال: لقيته فى غزاة أرمينية. قال: قلت له: اتق الله عز وجل يا شيخ، لا تكذب، مات خالد بن معدان سنة أربع ومائة، فأنت تزعم أنك لقيته بعد موته بأربع سنين. وأزيدك آخر، إنه لم يكن يغزو أرمينية، كان يغزو الروم»[٤١].

وهذه الطريقة التى استعملها عفير مع عمر بن موسى داخلة فى لب منهج المحدثين، إذ يقومون بالبحث عن تواريخ الولادات والوفيات والرحلات لمعرفة مدى إمكان لقاء الراوي بالمروي عنه. وفي ذلك، قال سفيان الثوري: «لما استعمل الرواة الكذب، استعملنا لهم التاريخ».

ثم تدخل السنة طورا جديدا، ألا وهو التدوين الرسمى لها. ويجد الباحث تلك المحاولة الأولى التى قام بها عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموى الذى توفي سنة ٨٥هـ ـ والد عمر بن عبد العزيز ـ فيما رواه الليث بن سعد عن يزيد بن أبى حبيب أن عبد العزيز كتب إلى كثير بن مرة الحضرمي ـ توفي ما بين ٧٠هـ و٨٠هـ[٤٢]، وكان قد أدرك بحمص سبعين بدريا من أصحاب رسول الله ﴿ﷺ﴾ ـ أن يكتب إليه بما سمع من أصحاب رسول الله ﴿ﷺ﴾ إلا حديث أبى هريرة «فإنه عندنا» كما قال[٤٣]، فقد كان سمعه منه[٤٤].

وإذا أخذنا بعين الاعتبار المدة التى كان فيها عبد العزيز أميرا ـ وهى تمتد ما بين سنة ٦٥هـ و٨٥هـ ـ ووفاة كثير الحضرمي، استطعنا ان نحدد الفترة التى وجه فيها عبد العزيز طلبه ما بين سنة ٦٥هـ و٨٠هـ.

وإذا علمنا أن عبد العزيز كان محبا للعلم وأهله متفانيا فى خدمة الدين[٤٥]، استطعنا ترجيح كون النداء فى السنين

الأولى من إمـارتـه. ومن البـدهي أن يستجيب كثير الحضرمي لهذا النداء، خصوصا وأنه وجه إليه من الأمير، ولأنـه قادر على تنفيذه لعلمه، لكن، ما لدينا عن كتابه خبر. فلعله لم يكتب له الذيوع ولم يطلع عليه الأمير. أو هو بعض خواصه، وإلا فإنه يبقى احتمال أخير، وهو أن الطلب وجه إلى كثير فى السنين الاخيرة من حياته، فلم يتمكن من تنفيذه، ولم ينتشر الخبر بين الناس، لأن الأمير لم يأمره ببحث العلماء على تدوين الحديث.

فى جميع الحالات، كان الشعور بضرورة التدوين منذ وقت مبكر جدا، وعدد غفير من الصحابة على قيد الحياة يمكن سؤالهم.

ثم سيتكرر هذا النداء على عهد عمر بن عبد العزيز الذى تولى الخلافة سنة ٩٩هـ، وتوفي سنة ١٠١هـ، إذ أرسل إلى أبى بكر محمد بن عمرو بن حزم (ت١٢٠هـ) عامله وقاضيه على المدينة: «انظر ما كان من حديث رسول الله ﴿ﷺ﴾ فاكتبه، فإنى خفت دروس العلم وذهاب العلماء»، كما أرسـل أيضا إلى ولاة الأمصار كلها، وكان أول من استجاب لذلك هو محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى (ت١٢٤هـ) الذى يفتخر بأنه «لم يدون هذا العلم أحد قبل تدويني»[٤٦].

فهل هذا يعني أن الحضرمي لم يكتب له الامتثال للطلب الموجه إليه؟

أم أن الزهري لم يكن عالما بما قام به الحضرمي؟

أم أنه يقصد أنه لم يسبق إلى فضل تدوين الحديث للامة؟

لأنه كان يخرج الأجزاء الحديثية إلى طلبته ويمليها عليهم، بخلاف عمل الحضرمي.

■ كل ما سبق ذكره ممكن ما دامت الأدلة الدامغة تعوزنا.

ثم شاع التدوين بعد ذلك. فأول من جمع الحديث بمكة: ابن جريج (ت١٥٠هـ)، وابن إسحاق (ت١٥١هـ).

وبالمدينة: سعيد بن أبي عروبة (ت١٥٦هـ)، والربيع بن صبيح (ت١٦٠هـ)، والامام مالك بن أنس (ت١٧٩هـ).

وبالبصرة، حنف حماد بن سلمة (ت١٧٦هـ).

وبالكوفة: سفيان الثورى (ت١٦١هـ).

وبالشام: أبو عمرو الأوزاعي (ت١٥٦هـ).

وباليمن: معمر بن راشد (ت١٥٣هـ).

■ ولضبط هذا المكتـوب، يعمـد المحـدث إلى العرض والمقـابلة. وقـد طبق مبـدأ العـرض منـذ عهـد الرسول الكريم، وهو عبارة عن قراءته لما في كتابه على المروي عنه للتثبت من سلامة كتابه من الخطأ كما كان يفعل زيد بن ثابت عنـدمـا ينتهي من كتابة ما يملي عليه الرسول من الوحي أو غيره، يقرأه عليه، حتى إذا ما كان فيه سقط، أقامه[٤٧].

وقـد أكـد المحـدثـون على ضرورة العـرض، فنجد الأوزاعي يقـول: «مثل الذي يكتب ولا يعارض، مثل الذى يدخل الخلاء ولا يستنجي»[٤٨].

أمـا المقابلة، فقد ظهرت وانتشرت بانتشار الكتب، فكـان الممـلى عليه أو من حصل على كتاب، يتوجه إلى الشيخ أو الى من بيده الكتـاب الأصل أو فرع مصحح ليقـابـل كتـابه بكتابه حتى يتأكد من سلامة المنقول من الزيادة أو النقص أو التحريف. وهى مثلها مثل العرض يقوم المصحح بوضع دارة بعد نهايته من مقابلة كل حديث حديث.

ووضع الدارات علامة على أن الحديث قد قوبل إما على كتاب أصل، أو فرع صحيح عرض على الشيخ فأقر صيغته على نحو ما هو مكتوب. وهناك من يضع النقط داخـل الـدارة قد تصـل أحيانـا الثلاثة، علامة على أن الحديث قد قوبل ثلاث مرات، زيادة فى الضبط، كما كان يفعل الامام أحمد بن حنبل.

فإذا وجـد صاحب الكتاب خطأ عنده، كأن يكون أخطأ في كتابة كلمة مثلا، أو وضع كلمة عوض أخرى، فانه يضع خطا عليها، على ألا يمحو أثرها لتبقى مقروءة ويعلم الناظر فيه حسن نية صاحبه وأنها ليست من فعل فاعـل. وفى ذلـك قال الرامهر مزي: «قال أصحابنا: الحك تهمة، وأجود الضرب ألا يطمس المضروب عليه، بل يخط عليه من فوقـه خطا جيدا بينا يدل على إبطاله، ويقرأ من تحته ما خط عليه»[٤٩].

وإذا ما وجد عنده كلمة وخاف أن تشكل عليه أو على غيره، وضع علامة تميزها عن غيرها للتأكيد على صحتها كما فعـل عبـد الله بن إدريس الكـوفى لما حدثـه شعبـة بحديث أبى الحوراء السعدي عن الحسن بن على، كتب أسفله: «**حورعين**» لئلا يغلط فيقرأ: «**أبا الجوزاء**» لشبهه فى الخط[٥٠].

■ وبهذا يكون للمحدثين فضل السبق فى الضبط والأمانة العلمية التي نفتقـدهـا اليوم عنـد الكثـير ممن يحرفـون

النصوص لخدمة أهدافهم، أو لا يتثبتون مما ينقلون، وفي هذا خطر كبير على البحث العلمي، وأي ما خطرا!

في سبيل خدمة الحديث النبوي تطورت مناهج المحدثين في التصنيف، فألفوا في السنن، ثم في المسانيد، إلا أنها كانت تجمع بين الصحيح والحسن والضعيف، إلى أن جاء البخاري (ت٢٥٦هـ)، فأفرد كتابا للصحيح، ثم تبعه تلميذه مسلم (ت٢٦١هـ) فألف فيه أيضا كتابا. وفي ذلك، قال العراقي:[٥١].

أول من صنف في الصحيح
محمد وخص بالترجيح
ومسلم بعد وبعض الغرب مع
أبي علي فضلوا ذا لو نفع

والعنوان الكامل لصحيح البخاري هو: «الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه» صنفه في ست عشرة سنة، خرجه من ستمائة ألف حديث. كما قضى مسلم خمس عشرة سنة في جمع صحيحه، وسماه: «المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ» طوفا البلدان، ولقيا الرجال، وميزا بين العدل[٥٢] الضابط من غيره.

■ هذا النوع من الدراسة للرجال سيظهر نوعا جديدا من التصنيف يتعلق بنقد الرجال لتبيين مدى عدالتهم وضبطهم واتصال الراوي بالمروي عنه وسماعه منه. فظهرت كتب خاصة بالثقات ككتاب «الثقات والمتثبتون» لعلي بن عبد الله المديني (ت٢٣٤هـ) و«تاريخ الثقات» لأحمد بن عبد الله بن صالح العجلي (ت٢٦١هـ). و«الثقات» لأبي العربي القيرواني (ت٣٣٣هـ)، و«الثقات» لمحمد بن حبان البستي (ت٣٥٤هـ). وكتب خاصة بالضعفاء «كالضعفاء من رجال الحديث» لأبي الحسني المدائني (ت٢٢٥هـ)، و«الضعفاء» ليحيى بن معين (ت٢٣٣هـ)، و«الضعفاء» لعلى بن المديني (ت٢٣٤هـ)، و«الضعفاء» لعمرو بن على الفلاس (ت٢٤٩هـ).

وكتب تجمع بين الثقات والضعفاء كـ«معرفة الرجال» ليحيى بن معين (ت٢٣٣هـ) و«كتاب يحيى بن عبد الرحمن في الرجال» لعلي بن المديني (ت٢٣٤هـ) و«العلل والرجال» لأحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، و«علل الحديث ومعرفة الشيوخ» لأبي جعفر الموصلي (ت٢٤٢هـ)، و«الجرح والتعديل» للحسيني بن علي بن يزيد الكرابيسي (ت٢٤٨هـ).

وكتب تهتم بالاسماء والكنى، فقد ألف في ذلك يحيى بن معين، وعلى ابن المديني، وأبو بكر بن أبي شيبة (ت٢٣٥هـ). وأحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)[٥٣].

كما ظهر نوع جديد من التأليف، ألا وهو جمع الأحاديث المكذوبة في كتب خاصة، ككتاب الأباطيل للجوزقاني (ت٥٤٣هـ) وتذكرة الموضوعات لمحمد بن طاهر المقدسي (ت٥٠٧هـ)، والموضوعات الكبرى لابن الجوزي (ت٥٩٧هـ).

ومما تجدر الاشارة إليه، أن المحدث لا يكتفي بكتابة الحديث وترك كتابه عرضة للتلف، بل نجده يهتم بضبط كتابه عن طريق حفظه، وكمثال على ذلك: ابن حزم الأندلسي (ت٤٥٦هـ) الذى أعاد كتابة جملة من كتبه من حفظه بعد أن أحرقت في إشبيلية. وفي ذلك يقول:[٥٤]:

فإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذى
تضمنه القرطاس، بل هو في صدري
يسير معي حيث استقلت ركائبي
وينزل إن أنزل، ويدفن في قبري
دعوني من إحراق رق وكاغد
وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري
وإلا فعودوا في المكاتب بدأة
فكم دون ما تبغوه لله من ستر

■ والهدف من حفظ الكتاب هو القدرة على استذكار الأدلة دون حاجة إلى الرجوع إلى الكتاب لصعوبة حمل المؤلفات دوما، ولأن الانسان في حالة المناظرة يجب أن يكون حاضر البديهة، وأيضا حتى لا يزاد عليه، كأن يعير كتابه لشخص، فيضيف هذا الأخير في الكتاب حديثا من عنده إما لاختيار مدى حفظ المحدث، فإذا حدث به حكم عليه بالضعف، وإما أن يكون ذلك الشخص زنديقا يريد فقط أن يلقن الشيخ، وأيضا حتى إذا ما ضاع منه الكتاب، استطاع كتابته من جديد.

لهذا نجد من المحدثين من يحفظ كتابه حفظا تاما، ومنهم من يكتفي بصيانته حتى لا تمتد إليه الأيدي بالتحريف.

من جهة أخرى، نجدهم يملون كتبهم على طلبة الحديث الذين يأتونهم من كل حدب وصوب، ويكثر عليهم الجمع حتى إنهم يستعينون بمستملين يبلغون عنهم، بلغ عددهم مرة ثلاثمائة وستة عشر مستمليا[٥٥]،

يرددون كلام الشيخ حتى يسمع الجميع بما أنه لم يكن يوجد مكبر الصوت.

ثم ينقل عنه كتابه بطريقة جماعية بعد العرض والمقابلة. لذلك، لا يستطيع أحد الاقدام على زيادة شيء في صحيح البخاري مثلا، أو مسلم، أو مسند أحمد، أو غيرها من الكتب، لأنها منقولة إلينا بهذه الطريقةالجماعية التي يستحيل معها الاتفاق على الغلط أو التحريف، وإن أية زيادة أو نقصان ستخالف صحيح المنقول، وسترد على صاحبها.

■ وبهذا الشكل، حافظ المحدثون على سنة رسول الله ﴿ﷺ﴾ وبينوا المدسوس من الحديث ونصوا عليه إما مفرقا في طيات الكتب، أو مجموعا في كتب خاصة. ولا يمكن لأحد أن يدعي أننا لا نستطيع التمييز بين الغث والسمين، كما لا يستطيع أحد أن يدعي أنه غاب عن الأمة الاسلامية قسم من الحديث الصحيح، إذ كل سنة صحيحة تم نقلها إلينا. وفي ذلك، قال ابن حزم: «حديث النبى صلى الله عليه وسلم محصي مضبوط مجموع مستقصى ولله الحمد»[٥٦].

صدق وعد الله: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر، وإنا له لحافظون﴾[٥٧]. فالسنة الصحيحة مميزة ومضبوطة لم يضع منها شيء أبدا، والموضوع منصوص عليه لا يختلط بالصحيح. أو ليس هذا من أوجه الاعجاز القرآني إذ بقي الوحي محفوظا كما وعد الله تعالى؟! إي وربي إنه لحق.

الهوامش

(١) سورة الاسراء آية: ٨٨.
(٢) سورة هود، آية: ١٣.
(٣) سورة يونس، آية: ٣٨.
(٤) سورة الروم، آية: ١-٢.
(٥) سورة الحجر، آية: ٩.
(٦) سورة النحل، آية: ٤٤.
(٧) سورة المائدة، آية: ٣٨.
(٨) سورة النساء، آية: ١١. وبناء على هذه المسألة، قرر الفقهاء قاعدة فقهية: من تعجل الأمر قبل إبانه، عوقب بحرمانه.
(٩) هناك من العلماء من يقول إن ما يبدو أنه إضافة جديدة، إنما هو من نوع البيان أو الالحاق لما ورد في القرآن.
(١٠) سورة الحشر، آية: ٧.
(١١) سورة النساء، آية: ٨٠.
(١٢) سورة النساء، آية: ٦٥.
(١٣) سورة المائدة، آية: ٣.
(١٤) سورة النجم آية: ٣-٤.
(١٥) سورة الاحقاف آية: ٩.

هوامش

(١٦) سورة النحل آية: ٤٤.
(١٧) سورة الحجر آية٩.
(١٨) ابن حزم: الاحكام ١/١٢١-١٢٢. ويعتبر ابن حزم أول من صرح - في تحليل متماسك - أنه لم يضع من الحديث شيء.
(١٩) الكتاني: التراتيب الادارية ٢/٢٣٦. وأخرجه أبو نعيم عن أبى أمامة.
(٢٠) لقد وردت أحاديث تنهي عن كتابة الحديث، منها رواية أبى سعيد الخدري أن النبى عليه السلام قال: «لا تكتبوا عني شيئا سوى القرآن، فمن كتب عني غير القرآن فليمحه»، وعن ابى هريرة قال: «خرج علينا رسول الله ﴿ﷺ﴾، ونحن نكتب الأحاديث، فقال: ما هذا الذي تكتبون؟ قلنا: أحاديث سمعناها منك. قال: أكتابا غير كتاب الله تريدون؟ ما أضل الأمم قبلكم إلا ما اكتتبوا من الكتب مع كتاب الله. قال أبو هريرة: فقلت: أنتحدث عنك يا رسول الله؟ قال: نعم تحدثوا عني ولا حرج، فمن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار». إلى جانب ذلك، جاءت أحاديث تبيح الكتابة، كما في رواية ابن عمر قال: «يارسول الله أقيد العلم؟ قال: نعم. قلت: وما تقييده؟ قال: الكتاب». انظر التفصيل عند الخطيب البغدادي في كتابه: تقييد العلم.

وقد فسر العلماء هذا التعارض بأقوال منها: ان المنع كان في بداية الأمر خشية اختلاط الحديث بالقرآن، فلما أمن اللبس، أباح الكتابة.
(٢١) ابن الحاج العبدري: المدخل ١/٨٥. وقد فصلنا ذلك في دراسة لنا - مرقونة - تحت عنوان: النظم التعليمية عند المحدثين في القرون الثلاثة الاولى - وهي بين يدي طلاب شعبة الدراسات الاسلامية، بكلية الآداب بتطوان.
(٢٢) المنذرى: الترغيب والترهيب ١/٩١.
(٢٣) ابو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ١/٢٥٦.
(٢٤) صحيح البخارى: وتر٧، مغازى ٢٨، وصحيح مسلم: مساجد ٣٠١، إمارة ١٤٧، ومسند أحمد بن حنبل ٣/٢٧٠.
(٢٥) جامع الترمذي ٣/٣٧٢. وقال حديث حسن صحيح، وانظر سنن ابى داود: علم ١٠، وسنن ابن ماجة مقدمة١٨، ومناسك ٧٦، وسنن الدارمي: مقدمة ٢٤، ومسند أحمد بن حنبل ١/٤٣٧، و٣/٢٢٥، و٤/٨٠،٨٢، و٥/١٨٣.
(٢٦) الخطيب البغدادى: الفقيه والمتفقه ٢/١٢٧.
(٢٧) سنن الدارمى ١/١٥٠، ومستدرك الحاكم ١/٩٥، وابن عبد البر: جامع بيان العلم ١/١٠١.
(٢٨) مستدرك الحاكم ١/٩٥.
(٢٩) سنن الدارمي ١/١٤٧.
(٣٠) مسند احمد بن حنبل ٦/٥١.
(٣١) سنن الدارمي ١/١٤٢.
(٣٢) مسند أحمد ٥/٤١٠، وأخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى بنحو ٦٠/١٧٢.
(٣٣) ابن عبد البر: جامع بيان العلم ٢/٧.
(٣٤) اخرجه احمد والنسائى والترمذي وابن ماجة وغيرهم.
(٣٥) أخرجه البخارى ومسلم ومالك وغيرهم.
(٣٦) سورة البقرة، آية: ٢٦٠.
(٣٧) الباجي: إحكام الفصول، ص٣٣٥.
(٣٨) ابن عبد البر: التمهيد ٣/٢٠٠.
(٣٩) مقدمة صحيح مسلم ١/٨٤.
(٤٠) ثناء اختصار لكلمة: حدثنا.
(٤١) يعقوب البسوى: كتاب المعرفة والتاريخ ١/١٥٢.
(٤٢) ابن حجر العسقلانى: تهذيب التهذيب ٨/٤٢٩.
(٤٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٢/١٥٧، وابن حجر: تهذيب التهذيب ٨/٤٢٩.

(٤٤) ابن حجر: تهذيب التهذيب ٦/٣٥٦.

(٤٥) يوسف بن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ١/١٧١-١٧٤.

(٤٦) محمد بن جعفر الكتاني: الرسالة المستطرفة، ص٤.

(٤٧) القاضي عياض: الالماع، ص١٦١.

(٤٨) القاضي عياض: نفس المرجع، ص١٦٠، وابن عبد البر: جامع بيان العلم ١/٧٨.

(٤٩) الرامهرمزي: المحدث الفاصل، ص٦٠٦.

(٥٠) القاضي عياض: الالماع، ص١٥٥.

(٥١) العراقي: التبصرة والتذكرة ١/٣٩.

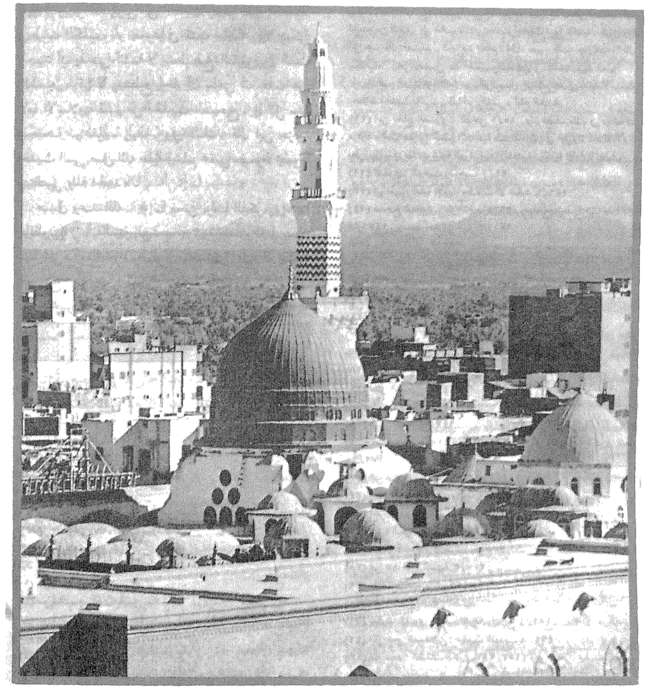
(٥٢) مقومات العدالة أربعة، وهي: أ- الاسلام، وعلى هذا فرواية الكافر غير مقبولة. ب- البلوغ. ولذا، فرواية الصبي غير مقبولة على قول ابن السمعاني، وقيل: تقبل إذا لم يجرب عليه الكذب - ج - العقل. فلا تقبل رواية المجنون والمعتوه - د - السلامة من أسباب الفسق وخوارم المروءة.

(٥٣) انظر تفصيل ذلك في المنهج الاسلامي في الجرح والتعديل لفضيلة الدكتور فاروق حمادة، ص٣٨-٥٨.

(٥٤) ابن بسـ م: الذخيرة ١/١/١٧١، وانظر المكي اقلاينة: ابن حزم الأندلسي وأثره في الدراسات الحديثية ١/٥٧-٦٨ - وهو موضوع تقدمت به لنيل دبلوم الدراسات العليا، تحت إشراف فضيلة الدكتور فاروق حمادة - كلية الاداب - الرباط ١٩٨٨.

(٥٥) السمعاني: أدب الاملاء والاستملاء، ص١٨.

(٥٦) رسالتان لابن حزم أجاب فيهما عن رسالتين سئل فيهما سؤال التعنيف، ضمن رسائل ابن حزم ٣/٩٨. (٥٧) سورة الحجر، آية٩.



أين المثقف العربي ؟

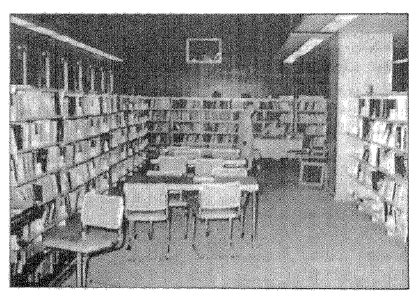
ثقافة الأجيال الحاضرة في عالمنا العربي .. يشوبها الكثير من الاضطراب والخلط وضيق الأفق

حب الثقافة ينغرس أول ما ينغرس فى نفوس الصغار

التراث العربي القريب والبعيد نافذة لثقافتنا

د. فوزي عبد القادر الفيشاوى
كلية الزراعة ـ جامعة أسيوط ـ مصر

لو أنك استنطقت رجالا من أهل الثقافة والفكر في عالمنا العربى، تتعرف منهم على حال الثقافة والمثقفين في بلادنا، لاخبروك بشىء من الاسى.. أن الثقافة العربية اليوم في محنة ومرض.. وما اقساها من مرض. وعندهم أن كشف هذه الغمة وشفاء ذلك المرض مهمة غير يسيرة، لان الامر متصل بكيان الامة وروحها.. مرتبط بتصميم وجودها، فالحقيقة التي نريد ان نعيها واكثر العارفين الفاهمين إ يقاظ لها، أن حظوظ الثقافة في أي مجتمع، هي من حظوظ الحياة التى يحياها الناس.. حياة الناس الاجتماعية والسياسية وحياتهم الاقتصادية. فحيث الظلام خيم على جوانب الحياة، خيم الظلام على الثقافة، وحلت بها صنوف المحن والارزاء.. وحيث الشمس طلعت وامتدت اشعتها على واقع الناس، وجدنا هذه الاشعة دخلت كل دروب الثقافة، فأنارت حتى الخبيء المظلم من اركانها.



● الثقافة .. ما الثقافة ؟

إن من الألفاظ الجارية بين الناس ، ألفاظاً تجري على ألسنتهم جري الشيء البديهي ، لكن تفسيرها ومفهومها يكون من أصعب الأشياء . . ومن هذه الألفاظ لفظ الثقافة والمثقف . فالمدهش حقاً ، أن الثقافة ، مازالت إلى يوم الناس الحاضر ، مفهوماً خلافياً بين الكثيرين . فعن الثقافة يقول « ريتشارد ماك كيون » إنها مجموعة من العادات ، تتعارف عليها الجماعة وترتضيها كأسلوب للحياة ، وبوسع المرء متابعة آثارها في كل دوائر النشاط الانساني كالسياسة والفن والدين والأدب والمعرفة العقلية بمختلف أشكالها وألوانها . وثمة رؤية أخرى يقول بها المفكر الانجليزي « ماتيو أرنولد » ، فعنده أن الثقافة هي مسعى نقوم به في سبيل الكمال . وأن ذلك يأتي عن طريق معرفة أفضل ما توصل إليه الفكر ، وكذلك عن طريق تنمية جميع مظاهر انسانيتنا . وعند فريق آخر من المفكرين ، أن الثقافة بمعناها الواسع (أسلوب حياة) ، يطبع به مجتمع ما أفراده ، فيسهل بذلك تمييز المجتمعات عن بعضها من خلال سلوك أفرادها ، وتكون الثقافة بمعناها الضيق أسلوب أفراد المجتمع في التعبير عن انتاج قرائحهم في الآداب والفكر والفن . وهكذا . . فإذا رأيت

صورة الحياة العملية وقد اختلفت بين شعبين أو بين فردين ، فاعلم يقيناً أن ذلك الاختلاف مرده إلى اختلاف (الثقافة) . ونستطرد في مدلول الثقافة ، فنذكر أنها جملة الأفكار والمعتقدات التي يحصلها الفرد نتيجة اطلاعاته المختلفة حول طبائع الأمور ، سواء أكانت طبيعية أو دينية أو سياسية أو فكرية . وأن المثقف هو كل من يمتلك رؤية واضحة لمجتمعه ، بشكل عقلاني ، وما يريد أن يكون عليه هذا المجتمع ، وهو قادر ـ كذلك ـ على الفهم والتحليل والاستنتاج . ونعود فنقول .. إن الثقافة إنما تكون تابعة للفكر ، فثقافة الأفراد والجماعات في أي عصر من العصور ، إنما يصنعها مفكرو هذا العصر أو ذاك ، ويتلقاها الأفراد ، فيتشكل بناء عليها وعيهم وتتسع مداركهم وتنمو أفكارهم وتتجدد ، ويكون منهم المثقفون . وبهؤلاء جميعاً تنهض الحركة الثقافية في أي مجتمع وتزدهر . وأنت تنظر الآن في عالمنا العربي .. وفي حال الثقافة العربية والمثقفين العرب ، وتتساءل : فأين هو المثقف العربي ؟ ولمَ تراجع دور المثقف في مجتمعنا ؟ وإلى أي مدى بلغت الحركة الثقافية .. وماذا عن فاعليتها ووجودها !

● الكتاب رأس الثقافة :

إنك لو بحثت عن شيء يقع في صميم البناء الثقافي ، ويقع في الخطو الأول من وسائط الثقافة والمعرفة ، فلن تجد كالكتاب رفيقاً . فالكتاب في حياة الرجل المثقف ، أطول صاحب صحبه . والغلام يخرج عن مدرسته ، والشاب عن جامعته ، ورجل العمل عن عمله ، فان ظل الكتاب صاحباً ورفيقاً ، فالكل في الطريق الصاعدة إلى عالم الثقافة يسيرون . وإن هم قد استبدلوا بصحبة الكتاب صحاباً غيره ، حتى زحموه ، فقد استبدلوا بالصحة اعتلالاً ، وبالنضارة شحوباً . وإن الذي يعرف كيف يصاحب الكتاب لا يجد عنه غناء في أي سنة من سني الحياة .. فالكتاب .. الكتاب الحق ، به خلاصة كل علم ، ومحاصيل كل فن ، وفيه حكمة الدهر وخبرة العيش في سعادتها والشقاء . والكتاب .. الكتاب الحق ، لخاصة الأمة من أهل الفكر ولعامة المثقفين والخاصة سواء بسواء . وإن السائل عن حال الثقافة في أي مجتمع ، لابد هو سائل عن حال الكتاب . فماذا عن حال الكتاب العربي ؟ الحق أن عالمنا العربي ، من حيث الكتب ، تعس فقير . فمما لا شك يسوء كل غيور على أمتنا ، أن أي كتاب أو مجلة فكرية جادة ، لا يطبع منها أكثر من خمسة آلاف نسخة في الحد الأقصى .. وهذا يعني أن كتاباً واحداً أو مجلة لكل ٣٢ ألف شخص في عالمنا العربي . وقد أحصوا عدد كتب التراث ، التي نشرت خلال ٢٢ عاماً .. فيما بين عامي ١٩٥٤ و ١٩٧٥ ، فكان حوالي ١١٩٦ كتاباً أي بمعدل ٥٤ كتاباً في السنة . هذا في الوقت الذي تزيد فيه عناوين كتب التراث المخطوط على ربع مليون . ومن عجائب الاحصاء ، أن متوسط اقتناء كل ألف نسمة لا يتجاوز عشرين كتاباً . ويقل ذلك كثيراً عن نظيره في العالم ، حيث يزيد متوسط الاقتناء العالمي عن ٤٠ كتاباً . وفي بعض الدول يصل هذا المتوسط إلى ٦٠٠ كتاب لكل ألف نسمة . وفي دراسات أجروها على ما تخرجه المطابع ودور النشر من انتاج فكري ، تبين أن أفضل دور النشر العربية لم تتجاوز اصداراتها السنوية مائة عنوان ، فيما يصل الاصدار السنوي لكثير من دور النشر الاسرائيلية إلى ١٥٠ عنواناً . وقدروا أن الرواية (الجادة) تصدر في اسرائيل ، فتبيع بسهولة عشرين ألفاً أو يزيد ، فيما لا يزيد عدد النسخ المطبوعة من أفضل الروايات العربية عن خمسة آلاف نسخة . فانظر كم في حياتنا الثقافية من مفارقات عجيبة غريبة .. فليس من أحد لا يعلم بأمر هذا التفاوت العددي الكبير بين قارئي العربية وقارئي العبرية .. ولكنه سوء الحال .

وفي السويد .. ذلك البلد الصغير ، الذي لا يتجاوز عدد ساكنيه على ثمانية ملايين .. هناك تصدر دور النشر سنوياً أكثر من ١٩٠٠ رواية ، ونحو مائة من دواوين الشعر . وفي ذلك البلد ، تقتني المكتبات العامة نحو ٤٠٠٠ نسخة من كل كتاب . وهنا .. في عالمنا العربي ، الذي يربو عدد ساكنيه عن ٢٠٠ مليون نسمة ، تبدو الصورة على خلاف ذلك .. فالمحصول السنوي من الروايات (بما في ذلك المترجمة) ، لا يزيد عن بضع عشرات ، أما كتب الشعر ، فالأمر أسوأ من ذلك بكثير . ولا يتجاوز عدد ما تقتنيه المكتبات العامة من أي مؤلف عربي ، عن عدة مئات من النسخ . وهذا مثل آخر .. فقد رصدوا عدد الكتب المتوفرة بالولايات المتحدة عام ١٩٨٨ ،

فبلغ نحو ٨٠٠ ألف عنوان . والمدهش أنه ما بين ٥٠ ـ ٦٠٪ من عناوين الكتب الجديدة تنفد خلال عام واحد . وهكذا . . إذا نظر الناظر في وضع الكتاب هناك ، لا تجد ما يماثله في أقطارنا العربية . بل إن وضع الكتاب العربي . . ووضع الثقافة العربية ، يجعلنا عاجزين على إقامة مقارنة بين وضع ووضع . وأشد من ذلك سوءاً في واقعنا العربي . . أن كل النشاطات الثقافية الأخرى ليست بأحسن حظاً . ولعلنا نشير بذلك إلى هذه الثغرة الخطيرة في واقع بناء أمتنا . . فالبنية الضعيفة هي التي تتكالب عليها الأدواء . والضياع الثقافي لأي أمة ، هو أولاً وقبل كل شيء قابلية الضياع في نفوس وعقول أبنائها . ومن هنا قلق السؤال : هل يكفي مثل هذا الحجم الثقافي الهزيل ، ومثل هذا التحرك الثقافي الكسيح للصمود وغرس الأقدام في الأرض ، في عصر يكتسح كالطوفان كل شيء ؟

● **فتش عن الأسباب**

ليس من أحد غيور على مستقبل هذه الأمة ، إلا وأدرك أن ثقافة الأجيال الحاضرة في عالمنا العربي ، يشوبها الكثير من الاضطراب والخلط وضيق الأفق . . فالثقافة العربية اليوم في محنة وضيق . وإذا كان الحال كذلك ، فما نراها إلا ظاهرة من أخطر الظواهر التي تهدد مستقبل العقل العربي . وربما كانت أخطر من بعض أزماتنا السياسية التي شغلنا بها عن كل ما عداها من أزمات . وهي وإن كانت غير صارخة كالأزمات السياسية ، إلا أن تأثيرها أعمق أثراً وأبعد غوراً . وهذه المحنة . . محنة



الثقافة العربية . . تبدو في ظاهرها البساطة ، ولكنها من أعقد المحن عند ردها إلى أصولها . فلم يبق في أهل الخبرة والاختصاص ، إلا من قال فيها كلمته ، وأبان فيها وجهة نظره . . والمحنة لا تزال ـ على كل ذلك ـ باقية باقية ، تنتظر تشخيصاً أشمل . . . ودواء أنجع . . فأين يا ترى يكون الداء ؟

● **التعليم بيت الداء**

بعض الباحثين والخبراء يرون أن الداء يبدأ من هنا . . من التعليم . . من ثقافة المدارس والجامعات . . فهذه هي التي تهيء السبيل ضعفاً أو قوة لشتى ألوان الثقافة الحرة ، التي يغشاها الناس من بعد مدرسة أو لا يغشونها . ومما يستطاب ذكره ، أن حب الثقافة والمعرفة ، إنما ينغرس أول ما ينغرس في نفوس الصغار . وفي مناهج التعليم وطرائقه ، ما يحبب التعلم والتثقف إلى نفس الصبي ، وفيها كذلك ما يكرهه فيه . وهؤلاء الصغار ، قد يخرجون من مدارسهم وفي أنفسهم حب للكتاب شديد ، فهم يخرجون جائعين متعطشين للمزيد من الثقافة والمعرفة . وربما خرج الصغار وفي أنفسهم الكراهية والمقت للكتاب والثقافة وللمدرس والمدرسة جميعاً . . وتسأل عن علّة ذلك ، وتعلم أن هذه المدارس والجامعات ، إن هي إلا مؤسسات حية ، لها رؤوس تفكر وقلوب تدق . وهي إنما تحيا بمقدار ما في البيئة من موارد حياة ، وهي تموت بمقدار ما في البيئة من أسباب موت . وهنا تكمن العلة . . ضعف الموارد والفقر . . الفقر الذي كاد أن يكون كفراً ، هو علة التعليم : وهو وإن لم يكن العلة الواحدة وراء تخلف مؤسساتنا التعليمية ، إلا أنه العلة الأخفى بين العلل جميعاً . أثر الفقر يتراءى في كل منشط تعليمي .

فهذا الفصل الدراسي البائس ، نحشر فيه ـ على الفقر ـ ستين تلميذاً وسبعين ، بينما تقضي قواعد التربية

الصحيحة أن لا يزيد عدد الفصل عن الثلاثين : ولا شك أن ذلك (الحشر) البشري ، لا يمكن أن يأتي بجيل محب للثقافة . . محب للمعرفة . مرة أخرى يتراءى أثر الفقر ، حينما ينظر الناظر في أحوال المعلمين وفي مرتباتهم . . إنها أخس المرتبات وأقل المعاشات . والمعلم . . هذا الرجل الذي يصنع الرجال ، لا يمكن إلا أن يصنعهم على مثاله . فالمصنوع الجديد من النشء ، نشء صنعه الضيق وصنعه الفقر . وصنعه الحرمان . . تلك الصفات المتمثلة في المعلم الصانع . ولعل الأمر المدهش في بعض بلادنا العربية ، أنهم حينما يذكرون الأولويات ، يضعون التعليم والثقافة في الموضع غير اللائق بها ، وينتج عن هذا أن لا يكون لمؤسسات التعليم ووسائل التثقيف الجاد ، من نفقات الدولة وميزانيتها إلا النصيب الصغير . وتكون النتيجة المنتظرة . . هي الفقر والعوز في كل مؤسساتنا التعليمية والتثقيفية ، ويكون تدهور المستوى العلمي والثقافي لأبنائنا . وإنك لو استرسلت في بيان أثر الفقر وقلة الموارد على أداء مؤسسات التعليم ، ما انتهيت إلى غاية ، وحسبك أن تقول انه لا مخرج من هذا الحرج إلا بالانفاق السخي ، وبزيادة البذل في هذا السبيل . ونعود فنعدد من أسباب ضحالة المحصول الثقافي للأجيال الجديدة ، حتى وهم في مدارسهم وجامعاتهم ، فنذكر فرض (المقرر) الواحد على كل الدارسين ، ونذكر (صب) الدارسين كلهم في قالب دراسي واحد . وكأنما « كل الصيد في جوف الفرا » كما يقولون . وكأنما صار المجد والعز كله في هذا (المقرر) ، والنجاح كله في حفظ ماهنا ، وعلى سائر كتب الثقافة الحرة العفاء ، وينزل بها العفاء ، لاشك في هذا ، وتذهب الثقافة ويذهب رجالها ، فلمن يبدعون إذن وقد احتكرت (المقررات) العلم كله ، علم الدنيا . . وصبته في قالب واحد ، فيه خير الدنيا والآخرة . والحق أن مناهج التعليم في مدارسنا وفي الجامعات ، وقد وضعت بطريقة أو بأخرى ، بحيث حددت الآفاق أمام طالب العلم والثقافة ، تحديدا بالغ الضيق . في مجرد توفير فرصة للنجاح . . أي نجاح . . وفي أي تخصص بغض النظر عن قدرات الطالب واستعداده النفسي . وربما حصرت مناهج التعليم ، في بعض بلداننا العربية ، كل طموح الأبناء ، في مجرد توفير وظيفة في سوق العمل من بعد التخرج . شيئا فشيئا ، يتحول خريج الجامعة والمدرسة إلى مجرد موظف محترم أو غير ذلك .

● للثقافة نوافذ موصدة أو تكاد :

حوافز المرء للتعلم والتثقف ، حوافز كثيرة . منها ما يصطنعها المثقف من داخل نفسه ، وأخرى تصطنعها له مناهج التدريس في المدارس والجامعات ، وثالثة تصنعها مصادر الثقافة الحرة اصطناعا .

وبهذه المصادر الحرة للثقافة نعني ثقافات العالم الغربي ، يقرأها المثقف العربي بلغات أهلها ، وتشمل كذلك ثقافتنا التراثية . . البعيد منها والقريب ، وختام ذلك كله . . ثقافتنا المحلية المعاصرة . ونعود الآن ، فنزيد بعض ما أجملنا من مصادر الثقافة الحرة ايضاحا . ونبدأ بنافذة الثقافة الغربية ، فنجدها اليوم تكاد أن تكون مغلقة في وجه الأجيال العربية الجديدة . ونسأل عن العلة ، فيقال إنه ضعف التعليم في المدارس والجامعات ، وخاصة ضعف تعليم اللغات الأجنبية ، وقد أضعف ذلك كله من قدرة شبابنا على الاتصال المباشر بتيار الثقافة العالمية ، وكادت إحدى نوافذ المعرفة والتثقيف ، أن تغلق .

● تراثنا بين السكون والحركة :

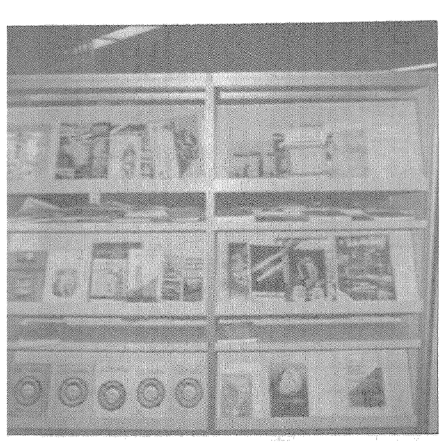
نافذة أخرى لثقافتنا . . انها نافذة التراث العربي القريب والبعيد . وربما سائل يسأل عن موقفنا من التراث ، وعن جهودنا لتجديد الفكر التراثي . وتبحث وراء ذلك ، ولا تجد إلا عجزا بينا عن تقديم كنوز تراثنا الثقافي بصورة تتسم بالحيوية وتتحدث إلى الأجيال الجديدة بلغة العصر . ثمة شعور مبهم يتملكنا . . شعور محبط لكل تجديد . . شعورنا بأن حركاتنا الفكرية وأعمالنا الأدبية وكل كنوز

تراثنا ، قد قيلت فيها الكلمة الجامعة المانعة ، وأنه لم يتبق شيء لمستزيد ، وأن كل الأحكام والتفسيرات والتعليقات قد صدرت ، وأن جلسة التاريخ قد انفضت ، وأن الأقلام قد جفت ، كما طويت الصحف . وربما نكون قد وصلنا بعد فوات الأوان ، فلم يبق أمامنا إلا أن نكرر ما قاله الأولون ، دون حماسة ، ودون حرارة ، ودون تجديد ، ولسان حالنا يقول مع زهير بن أبي سلمى :

ما أرانا نقول إلا معاراً
أو معاداً من لفظنا مكروراً

ومثلما كانت نظرتنا إلى تراثنا ، تقليدية . . سكونية . . حرفية . . جامدة ، كانت نظرتنا لأعلام تراثنا العظام . وهي نظرة تقليدية ، لا ينتظر منها أن توحي بتعبيرات جديدة وإيحاءات أخرى مغايرة ، تكشف لنا عن معان جديدة وعلاقات متجددة بيننا وبين هؤلاء الأعلام . والحقيقة التي نريد أن نعيها ، أن سيطرة هذه الروح الجامدة في أية ثقافة ، وفي أية حضارة ، يمكن أن يفضى بها إلى العقم والجمود ، ويمكن كذلك أن يقتل روح الإبداع في عقول وقلوب المبدعين .

من كل هذا الذي وصفنا ، نرى أننا نحتاج إلى نظرة تجديدية ابداعية ابتكارية لكل تراثنا القريب والبعيد ، هذا إذا أردنا لتراثنا الأصيل أن يبقى حياً مستمراً بين أيدينا وفي وعينا وضمائرنا وفي وعي أجيالنا القادمة وضمائرها .



● وماذا نحن فاعلون ؟

تلك هي بعض أسباب المحنة . . محنة الثقافة والمثقفين . . وكلها ـ كما رأينا ـ معقدة أكبر التعقيد . وأن الخلاص من هذه المحنة التي نحن فيها ، لن يتحقق في يوم وليلة . والخلاص منها ، يستلزم إعادة النظر في واقعنا العربي بكل ما فيه من سلبيات . فهذه الأمية الفاشية في عالمنا العربي ، والتي جاوزت السبعين في المائة ، هي ولاشك حجر عثرة نحو التحول إلى عالم الثقافة الرحب . وليس موقفاً أميناً مخلصا ، أن نترك هؤلاء الأميين فريسة سهلة لوسائل الاعلام الميسورة ، أو لبرامج محو الأمية الترفيهية . فهذه الأساليب كلها ، وفي أحسن حالاتها هي أساليب إصلاحية ، من شأنها دوماً أن تجعل القضية معلقة . وتظل وصمة الأمية باقية . . باقية . . ويظل حلم الثورة الثقافية مجرد حلم . شيء آخر لابد نحن ذاكروه ، هذه الأمية الفاشية بين المتعلمين . ونعني بها ، عزوف شبابنا ـ الذي نال قسطاً من تعليم المدارس والجامعات ـ عن ورود منابع الثقافة الجادة ، وانصراف هؤلاء عن القراءة والكتاب وعن الثقافة الجادة . لقد حلت آهات المطرب وهتافات كرة القدم محل الكتاب ، وانقسم الشباب شيعاً ومذاهب حول هذا المطرب أو ذاك ، وحول هذا الفريق أو ذاك . ومن ثم ، فقد سمعنا ومازلنا نسمع من يلوم شبابنا على ضحالة فكره ، وانعدام ثقافته ، وفقدانه لهويته ، وغير ذلك كثير من اللوم والعتاب ، وكأنما هؤلاء الشباب ليسوا أبناء اللائمين العاتبين . وليسوا من صنائع أيديهم . . وليسوا ثمرة ما غرسه الكبار . هؤلاء الكبار الذين

يمسكون بمقاليد التعليم ، ويضعون له مناهجه الجامدة ويرضعونها للأبناء . ثم نأتي ونقول العيب في الشباب . وأسوأ من هذا وذاك . . تلك السياسة الجهنمية التي يرعاها الكبار ضد العناصر الموهوبة من شبابنا المثقف . . أقصد سياسة تعقيم المبدعين ، ثم العزل . . الذي يتدرج إلى الصدمات الحادة ، حتى يصل هؤلاء المبدعون إلى درجة البوار وتشقق التربة والعقم . ثم نأتي ونقول العيب في الشباب . . العيب في الشباب ، وهم كذا وكذا . . . فهل يا ترى حرص الكبار على تأمين وسائل الثقافة إلى تلك الأنفس المتعطشة إلى المعرفة ، وصول الماء إلى الأرض التي جفت حتى تشققت من جدب وإمحال . والحق أن الذي ضر بالثقافة ، والذي ضر بالمثقفين ، إنما هي هذه السياسات وأشباهها ، وأنه لا خلاص لنا من أزمتنا إلا بثورة ثقافية شاملة ، تغير وجدان شبابنا تغييراً جذرياً من تخوم اليأس وهاوية اللامبالاة إلى حرارة الانتماء ودفء الالتزام . ثورة في نظم التعليم . . وفي مناهج التدريس . وثورة في كل وسائل الثقافة الجادة ، وفي طليعتها الكتاب . وثورة في وسائل إعلامنا ، وفي نظرتنا إلى تراثنا العربي القريب منه والبعيد . وقبل ذلك وبعده . . ثورتنا على تلك القيود الصارمة التي تعيق الفكر الحر ، وتعيق الابداع ، وتعقم المبدعين ، وتغتال شخصية المثقف العربي الأصيل . ونعود فنقول . . إن صدق التحليل وراء أزمة الثقافة ، وإن الخطط الفاهمة الواعية للخروج منها ، والجلد على تنفيذها ، سيظل وحده هو السبيل لتوسيع رقعة الأمل للخلاص من هذه المحنة . وبلوغنا هذا المبلغ ، لاشك فيه . فينا الفهم ، وفينا العلم ، وفينا القدرة ، ولدينا المواهب الانسانية التي تبلغ الأمم بها ما شاءوا من زمانهم .

● مبنى مكتبة الحرم المكي الشريف . . وهي واحدة من أقدم مكتبات المملكة العربية السعودية وتقع قبالة الحرم المكي الشريف من الناحية الجنوبية الغربية .

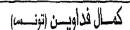
المراجع

(١) أبيض ملكة (١٩٨٤) : الثقافة وقيم الشباب ، وزارة الثقافة السورية ، دمشق .
(٢) زكي أحمد (١٩٨٤) : الحرية ، كتاب العربي ، ١/يناير ، الكويت .
(٣) مصطفى شاكر (١٩٨٩) : تاريخنا . وبقايا صور كتاب العربى ، ٢٥/اكتوبر ، الكويت .
(٤) شكرى غالي (١٩٩١) : ثقافتنا بين «نعم» و«لا» ، كتابات نقدية ، ٩ يولية ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة .
(٥) زكى أحمد : مجلة العربى ، الاعداد ٧٢ ، ١٣٨ ، ١٤٧ ، الكويت .
(٦) بهاء الدين أحمد : (مجلة العربى) ، الاعداد ٢١٦ ، ٢٤٥ ، الكويت .
(٧) الرميحي محمد : (مجلة العربى) ، الاعداد ٣٤٥ ، ٣٥٢ ، الكويت .
(٨) زكريا فؤاد (١٩٧٨) : مجلة العربى ، العدد ٢٣٢ ، مارس ، الكويت .
(٩) النشار مصطفى (١٩٨٩) : العربى ، العدد ٣٦٩ ، اغسطس ، الكويت .
(١٠) االنقاش رجاء (١٩٨٣) : الدوحة ، يونية ، قطر .
(١١) الأنصارى محمد جابر (١٩٨٢) : الدوحة ، سبتمبر ، قطر .
(١٢) مجلة رسالة الجهاد : العدد ١٠٠ ـ يونيو ١٩٩١ ، ليبيا .
(١٣) مجلة الشاهد : العدد ٦٩ ـ مايو ١٩٩١ ، نيقوسيا ، قبرص .



دور المدرسة في تنمية الميول القرائية عند الطفل

تمثل المدرسة المحيط الثاني للطفل في الاهتمام بكتابه وتقريبه له، بعد الاسرة، وذلك نظرا لكونها تهدف إلى التعلم وتلقين ابجديات القراء ة، ولا يتسنى لها ذلك إلا باستعمال الاداة الاساسية في هذا المجال وهي الكتاب، وإذا شئنا أن نعمل على إيجاد حركية للكتاب والمطالعة، فلنحاول أن نوفر الجو الملائم للقراء ة في المدرسة، لان المدرسة هى (الاطار الذي يمكن في المرحلة الحالية من كسب عادة المطالعة.. إلا أن شروطا عدة ـ يجب أن تتوفر وأهمها إعادة النظر فى مفهوم عملية القراء ة نفسها .

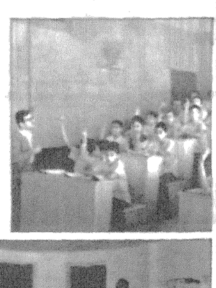


عدم التمييز بين صنفين من الكتب، يمثل مشكلة في مدارسنا اليوم

مدارسنا لاتزال تعاني مشاكل انعدام المكتبات المدرسية

ولعل من أهم واجبات المدرسة إضافة إلى تلقين الطفل المعلومات الأساسية ودعم الرصيد المعرفي لاجتياز الامتحانات هو ألا « تقتصر على أن تقدم للطفل معلومات جافة بل يجب أن تقوم المدرسة بالايحاء إلى التلميذ وتوجيهه نحو تكوين نفسه بالمطالعة والتركيز على المطالعة المفيدة بقدر الامكان يدون إهمال المطالعة البريئة المُسلِّية . . » إن الاشكال الموجود في مدارسنا اليوم هو عدم التمييز بين صنفين من الكتب : كتاب موجه مفروض غاية الطفل من ورائه الدرس والتحصيل والتلقين والاستذكار لأداء امتحان ما ، وكتاب تتاح للتلميذ فرصة اختياره وقراءته بكل تلقائية ورغبة وليست له علاقة مباشرة بالامتحانات، وإنما هدفه المتعة وتوسيع الآفاق وإثراء الرصيد المعرفي كمًّا وكيفاً ، بخلاف الكتاب المدرسي الذي « يقتل الابداع عند الطفل ويقتل فيه الرغبة والمعرفة ، والمفروض أن العملية التعليمية عملية إيجابية ليس التلميذ فيها متلقياً فقط وإنما يُطلب منه أن يحرك ذهنه وأن يُجمِّع الأولويات » وهذا الاتجاه الغالب في مدارسنا اليوم ، لا يعمل على تقريب الكتاب للطفل وترغيبه فيه ، إذ سرعان ما ينفر عنه بمجرد انتهاء الفروض المدرسية . . لذا فانه جدير بالمعلمين والمربين التوفيق والمعادلة بين هذين النوعين من الكتب ، وذلك بالترغيب في الكتاب والمطالعة في حصة المطالعة المدرسية ، على الأقل ، هذه الحصة التي تتطلب بدورها إعادة النظر للتمديد فيها وإعادة الاعتبار لها ، والعمل على حُسن استغلالها واستثمارها وتوعية المربين بضرورة إنجازها بانتظام ودقّة حسب ما تنص عليه البرامج الرسمية للتربية والتعليم في بلادنا وفي البلاد العربية الأخرى ، وكذلك عدم إهمالها بدعوى أنها مادة غير أساسية وغير مُدرجة في الامتحانات . . . إن دور المعلم هنا أساسي وفعَّال وجدّ دقيق ، فهو الذي يعبِّد الطريق أمام التلميذ للدخول في عالم المطالعة من بابه الواسع . . وإن مهمته في هذا المجال ينبغي أن لا تقف عند حد وضع الكتاب في يد الطفل ولكنها تتعدى ذلك فهو يعرف بالكتاب وبمحتواه وأسلوبه ويسهم في تعويد





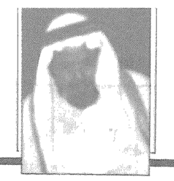




الطفل على العادات الحسنة للقراءة كتركيز الانتباه فيما يقرأ الطفل وكتحديد الغاية من مطالعة الكتاب وكمواءمة ميول الطفل للقراءة والموازنة بينها دون إفراط أو تقييد . . . ويبقى إلى جانب ذلك كله موضوع هو من الأهمية بمكان وهو تعويد الأطفال المطالعين على النقاش والحوار في نطاق المجموعة ، ثم بصفة خاصة توظيف الكتاب واستثماره في عدة مجالات وأنشطة يدوية ومسرحية وعلمية وتعبيرية وغيرها وبذلك يمكن للمواد المدرسية الأخرى أن تفيد من الكتاب كثيراً وتيسر دور المعلم لتتعاون كلها على تنفيذ العملية التعليمية ، وهذا ليس بالعسير خاصة إذا ما ادركنا تواضع الامكانيات والوسائل التي تتطلبها الأنشطة المذكورة والتي يمكن أن يُساهم في إيجادها وتوفيرها الأطفال أنفسهم . .

وهناك موضوع آخر على غاية قصوى من الأهمية في مدارسنا وهو موضوع المكتبات المدرسية . .

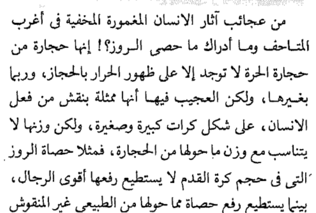
ومازالت المدارس في الوطن العربي تعاني مشاكل انعدام المكتبات المدرسية ، ويجب دعم هذا النشاط المكتبي المدرسي في عالمنا العربي الكبير مادياً ولو بنسبة رمزية وإلى توفير الفضاءات الملائمة لمارسته ، وإلى دمج التكوين النفسي والبيداغوجي النظري والتطبيقي في برامج تكوين وتعليم أعوان المكتبات ومعاوني العاملين حاليا في هذا الميدان لتأهيلهم للقيام بالتنشيط التربوي في بعض حصص عملهم المكتبي . . وتبقى إلى جانب ذلك كله ، مسألة على غاية من الأهمية تعوز مكتباتنا وهي عدم توفر كتب خاصة بالأطفال دون الثماني أو السبع سنوات تقريباً ، رغم دقة هذه المرحلة وتأثيرها على تنمية الميول القرائية عند الطفل فان « المكتبات العامة في كثير من دول العالم تُولي جانباً من اهتمامها للأطفال في سن الطفولة المبكرة من الثانية حتى السادسة وتشجع الأطفال على استخدام الكتب وترحب بهم في المكتبة » وجدير بالهيئات والجهات المختصة في كافة البلاد العربية ، تشجيع الكتّاب والرسامين والناشرين والمبدعين إلى الالتفات بعناية لهذه المرحلة حتى تصبح مراحل التعود على استعمال الكتاب عند الطفل تصاعدية ومتوازية ومتكاملة .





(٦٣٧) حصى الروز

من عجائب آثار الانسان المغمورة المخفية فى أغرب المتاحف وما أدراك ما حصى الروز؟! إنها حجارة من حجارة الحرة لا توجد إلا على ظهور الحرار بالحجاز، وربما بغيرها، ولكن العجيب فيها أنها ممثلة بنقش من فعل الانسان، على شكل كرات كبيرة وصغيرة، ولكن وزنها لا يتناسب مع وزن ما حولها من الحجارة، فمثلا حصاة الروز التى فى حجم كرة القدم لا يستطيع رفعها أقوى الرجال، بينما يستطيع رفع حصاة مما حولها من الطبيعي غير المنقوش تكون أكبر من حجم هذه الحصاة ثلاث مرات، وهناك أنواع كبار منها، وتجد هذا الحصى (حصى الروز) مبثوثاً على الطرق التى تسير فى ظهور الحرار، وهي الطرق التى أصبحت غير مطروقة بعد حدوث الآلة.



وتقول البادية ـ كعادتهم فى مثل هذه النوادر ـ إن هذا الحصى عمله بنو هلال، وهم فيما زعموا أهل قوة خارقة حتى أن أحدهم يمسك المروة بيده يفيتها كما تفت البعرة!

ثم إن بنى هلال ـ بزعمهم ـ جعلوا هذا الحصى يختبرون فيه قوتهم، وأن صغاره جعلوه لأولادهم وكانت تستهوينا هذه الأساطير ونحن صغار، فيجتمع الثلاثة والأربعة على الحصاة الواحدة من الصغار فلا نكاد نزحزحها!

وعلى فرض صحة النسبة فإنه يتبادر إلى الذهن أمران: **أحدهما:** هذا حصى من حصى الحرة، فما أسباب هذا الثقل الفاحش فيه، وهو مالا يوجد فى حصى الحرة المحيط به، والذي يفترض أن هذا مختار من بينه، ولا نسبة بينهما فى الوزن. . **الثانى:** بأي آلة مثل هذا الحصى فى تلك العهود؟ أقول فى تلك العهود، لأنه لو كان من عهود معلومة لكان له ذكر هنا أو هناك، ثم إن صانعيه من المهارة بحيث لا تجد فيه نتوءاً ولا استطالة أو انحناء، إنما هو مدرمج كهيئة كرة القدم.

(٦٣٨) ثلاث وثلاث

ثلاث هن الطريق إلى الشهرة الممقوتة: تملق من فوقك. والترفع عمن تحتك، ومنازعة سويك، وثلاث لا يجتمعن الا فى لئيم: إذا أهين ذل، واذا رفع تعالى، وإذا استغنى نسي من أحسن إليه فى بؤسه.

وثلاث لا تدعها المرأة: الغيرة، وتطلب الجمال، والتظاهر بالشباب.

(٦٣٩) الطبائع الأربع

كان قدماء الأطباء يرون أن الانسان لا يخرج فى تركيبه عن الطبائع الأربع المشهورة، ولم يهملها الطب الحديث، ولكنه لم ير محصوريتها، وهذا الشاعر البارودي يدلي بدلوه ليؤدى لنا هذا الموروث فيقول: [1]

إن ابن آدم ذو طبائع أربع
مجموعة الاجزاء فى أخلاقه

تبدو فواعلها على حركاته
فى بطشه وسكونه ونزاقه

فاذا تغلب واحد منها على
أقرانه أدى إلى إقلاقه

بينا تراه كالزلال لطافة
ألفيته كالنار في إحراقه

أو كالتراب يهيل من عقداته
أو كالهواء يجول فى آفاقه

فاذا تعادل جمعها وتوازنت
حركاتها كانت دليل وفاقه

والمـــرء مهـــا كان في أفــعـــالـــه
لا ينــتـــهـــى إلا إلى أعـــراقـــه

(٢٤٠) المنغصات الثلاث

الحياة عموماً ذات أفراح وأتراح ولولا ذلك ما لذت وطابت، فالنعيم المقيم يمل ويفقد لذته، والشقاء الدائم يجعـل الحياة لا تطاق، فقضت حكمـة الله سبحانه أن يقسو اللين ويلين القاسي، (وتلك الايام نداولها بين الناس).

وغـالباً ما تكون الحياة مقبولة مستساغة مرارتها لأنها معشوقة فى ذاتها، لكن تنتابها المنغصات بين حين وآخر، ومن صنع من هذه المنغصات؟! إنها من صنعنا انفسنا، واعظمها إيلامـا وافدحها خسارة هذه الثلاث: الغرور، الحسد، والأنانية.

(٢٤١) ابن المسيب يصلي على وحي من قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم

روى الدارمي فى سننه، قال: أخبرنا مروان بن محمد عن سعيد بن عبد العزيز، قال: لما كان أيام الحرة لم يؤذن فى مسجد رسول الله ﴿ﷺ﴾، ثلاثاً ولم يقم، ولم يبرح سعيد بن المسيب المسجد، وكان لا يعرف وقت الصلاة إلا بهمهمة يسمعها من قبر النبى ﴿ﷺ﴾.

(٢٤٢) كل عنده مشكلة

كل إنسان تصادفه لابد أن تكون له مشكلة، حدثك بها أم لم يحدثك، وكل يريد أن يتخلص من مشكلته ولو بالحديث إلى من يثق به أو لا يثق، بعضها يظهر على شكل شكـوى، وبعضها على شكل تذمر مما يحيط بالانسان، ولكن كل مشكلة وراءها مشكلة المشاكل! وهى:

أن غالبية من تشكو إليهم لا تهمهم مشكلتك، فهم مشغولون عنها بمشاكلهم الخاصة، وهم يريدون منك أن تسمع لا أن تتكلم.

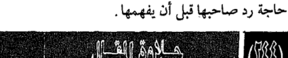
حتى من نشكو إليه شكوى رسمية من أهل الحل، لا يرون مشكلتك كما تراها أنت.

ولعل بعضهم لو أتيح له ربما شكا إليك بعض مشاكله.

ألا أدلك على نصف الحل؟! (بيتها تصبح ناقصة).



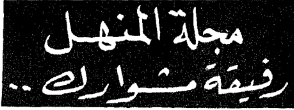
قال الاصمعي: قال رجل من العرب: ما رأيت مثل فلان، إن طلب حاجة غضب قبل أن يرد عنها، وإن سئل حاجة رد صاحبها قبل أن يفهمها.

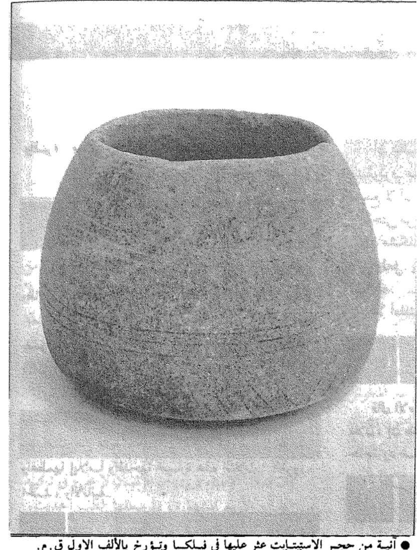


نبئـت أن الـنـــار بعـــدك أوقـــدت
واســتــب بعــدك ياكــليـب المــجــلس
وتـكــلــمــوا في امــر كل عظيــمـــة
لو كنــت شاهــدهـــم بها لم ينــبســـوا
وإذا تشـــاء رأيــت وجــهـــا واضـحـــا
وذراع باكـيـــة عليـــهـــا برنس
تبـكـــى عليــك ولـــســت لائــم حرة
تأســى عليــك بعــبرة، وتــنــفــس
«المهلهل»

---

(١) مجموعة أعلام الشعر للعقاد.





عن: متحف الكويت الوطني

● آنية من حجر الاستيتايت عثر عليها فى فيلكا وتؤرخ بالألف الاول ق.م.

صلة ما سبق

فى الحلقة السابقة من هذا الموضوع (عدد صفر ١٤١٢) تناول الاستاذ البدر فى دراسته هذه مجموعة من النقاط منها: وسائل التنقيب الاثرى وارتباطها بطبيعة الموقع، تحدث الكاتب عن مجموعة من الوسائل الحديثة الداخلة فى اطار التنقيب (التصوير الجوى المجسم، الفوتوغرافترى، اجهزة تقدير مقاومة التربة للتيار الكهربائى، جهاز قياس القوة المغناطيسية، الخ...

كما تناول التنقيب ودوره الحضاري، وختم موضوعه بدراسة تطبيقية عن دور التنقيب الاثرى في جزيرة فيلكا.

وفى هذا الجزء الاخير من الدراسة يكمل بقية النقاط فى هذا الموضوع.

عدم وضوح التسلسل التاريخى فى الموقع الأثرى الواحد.. من مشكلات العمل العلمى فى مجال التنقيب فى جزيرة فيلكا

التنقيب الاثرى أكد على تبوأ الخليج العربى مكانة حضارية ابتداء من الألف الثالث قبل الميلاد

محاولة .. لرسم معالم حضارية (الجزء الثانى)

بقلم: د. سعدون البدر
قسم التاريخ - جامعة الكويت

بداية التمهيد للكشف الأثرى في فيلكا

اعتمدت الدراسات المتعلقة بمنطقة الخليج العربى بشكل عام على الكتابات الاغريقية التي تغطي فترة زمنية تمتد من القرن الخامس ق.م الى القرن الثالث الميلادى[1]، وتزخر هذه الكتابات بوصف الخليج العربي وجزره وسواحله ونشاط سكانه التجارى.

ويذكر المؤرخ «أريان» الذى دون أخباره عام ١٧٠م، نقلا عن بعض رجالات الاسكندر المقدوني وخبرائه في العسكرية والعلوم الجغرافية، أن الاسكندر المقدوني أرسل سفنا الى مياه الخليج العربي بحثت عن طرق بحرية

ساحلية فوصلت هذه السفن الى جزيرة البحرين التي عرفت باسم **تايلوس وجزيرة فيلكا «أو فيلجة»** والتي عرفت باسم ايكاروس تيمنا باسم الجزيرة اليونانية التي تقع في بحر ايجة، وهي تبعد عن مصب نهر الفرات بنحو ٢٢ كيلو مترا[٢]. وقد ثبت ان جزيرة فيلكا والتى عرفت باسم (ايكاروس) هو العثور على مخلفات يونانية ورسالة ملكية كشف عنها عند مدخل معبد ارتميس في الجزيرة، وهي موجهة الى أهالي ايكاروس.


عن: متحف الكويت الوطني.

ولو انتقلنا الى مرحلة بدء الاستكشافات الأثرية بواسطة الباحثين من الرحالة والمغامرين والسياسيين والمهندسين، متجاوزين بذلك تفاصيل تاريخ وحضارة منطقة الخليج العربى بعد العصر اليونانى وخلف الاسكندر (السلوفيون) والعهد البارثى والساساني والاسلامى لتوصلنا الى نتيجة هامة وهي أن النشاط التجارى الذى تميز به الخليج العربى من آلاف السنين ظل مستمرا طوال القرون التي أعقبت سقوط الدولة البابلية الحديثة (عام ٥٣٩ ق.م) وشهد اهتماما أو اهمالا تبعا للأوضاع السياسية العالمية ومركز القوى السياسية والعسكرية[٣].

■ اما عن دوافع وأهداف أولئك الباحثين الذي جابوا منطقة الشرق العربى بصفة خاصة فقد تفاوتت بين الرغبة في الثراء عن طريق نهب الآثار وبيعها في اسواق أوروبا وبين القيام بدراسات اجتماعية واقتصادية تحقيقا لأهداف رجال السياسة وتمهيدا لاستعمار المنطقة، ومنهم من كان يهدف الى تلبية رغبات نفسية في حب المغامرة واكتشاف المجهول، وآخرون اتجهوا الى تلبية نداء متطلبات العلم الحديث الذى ظهر في اوروبا في عصر النهضة العلمية الحديثة. وسواء أكانت تلك الدوافع والأهداف مجتمعة أو فردية فقد أصاب منطقة الخليج العربى نصيب من الكشوف والدراسات قد لا يرقى الى ما حظيت به بقية أقطار الوطن العربى إلا أنه يمكن وضع تصور لجوانب اجتماعية وأخرى اقتصادية وسياسية الى جانب تلمس اوصاف لبعض المعالم الأثرية والاطلال القائمة. ويمكن الاشارة الى بعض تلك الجهود الأوروبية المبكرة ومنها زيارة الكابتن ديوراند الذى زار البحرين عام ١٨٧٩ واكتشافه بعض التلال الأثرية وهى كانت تمثل مدافن الجزيرة عبر عصور طويلة، كما كشف عن لوحة من حجر البازلت الاسود رسم عليها سعف نخلة ودونت عليها كتابات بالخط المسمارى نصها:

«قصر ريموم، خادم (الإآله) آنذاك، رجل (زعيم قبيلة) أجاروم[٤]».

كما زار الميجور بريدو البحرين عام ١٩٠٦ وفتح بعض التلال الجنزيرية هناك، وفي عام ١٩٢١ بدأ الرحالة جيزمان رحلته حول الخليج العربي أنهاها بزيارة طويلة للبحرين كما كشف عن أطلال جبل سلوى الى الجنوب من شبه جزيرة قطر، هذا الى جانب آخرين من أمثال (**كورنوول وشكسبير وبلجريف ونيبور وأرنست مكاى وتبودوربنت**). وكانت المعلومات فى مجملها مفيدة فى التعرف على النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية الا أنها كانت مفتاحا لدراسات أثرية هامة قامت في المنطقة ابتداء من منتصف الخمسينيات من القرن العشرين.

بعثات التنقيب الأثرى في فيلكا

بدأت التنقيبات الأثرية المبنية على أسس علمية الى حد كبير عندما بدأ المهندس البترولى الدنمركي جفرى بيبي والذى شده انتباهه واهتماماته إلى المعالم الأثرية في البحرين، حيث كان يعمل لدى شركة البترول هناك ـ بالاتصال ببعض العلماء والباحثين في الدنمارك، ومن هنا، وفى عام ١٩٥٢، أرسل متحف عصور ما قبل التاريخ في

مدينة آرهوس بالدنمارك بعثة علمية برئاسة بيتر جلوب وبدأت تجرى هذه البعثة مسحا أثريا فى البحرين ثم بدأت التنقيب في موقع قلعة البحرين وموقع باربار وغيرها من المواقع الأثرية وقد شجعت النتائج الأثرية التي حصلت عليها البعثة الدنمركية أفراد البعثة على مد نشاطهم الى مناطق أخرى من دول الخليج العربى، فقامت البعثة الدنمركية باجراء مسوحاتها الأثرية في قطر ودولة الامارات والساحل الشرقي من المملكة العربية السعودية ودولة الكويت، وقد اختارت البعثة الدنمركية جزيرة فيلكا حقلا لإجراء تنقيباتها الاثرية خلال عدة مواسم سنوية غطت الفترة من ١٩٥٨ إلى ١٩٦٣، وكانت تنشر تقارير أولية في مجلة كومل التي يصدرها متحف عصور ما قبل التاريخ بآرهوس، وكان عدم نشر التقارير العلمية المفصلة من المآخذ الكبيرة على هذه البعثة، وفي الفترة الأخيرة بدأت تصدر سلسلة من التقارير مترجمة أصلا عن اللغة الدنمركية وهي :

Ikaros: The Hellenistic Settlements

Ikaros: The Hallenistic pottery

Failaka: Dilmun, The Stamp and Cylinder Seals.

■ كما قامت وزارة الاعلام الكويتية **(وزارة الارشاد والأنباء آنذاك)** باصدار تقرير عن الحفريات الأثرية بعنوان «تقرير شامل عن الحفريات الأثرية في جزيرة فيلكا عام ١٩٥٨-١٩٦٣».

وعلى الرغم من أن البعثة الدنمركية كانت تهدف أساسا الى الكشف عن آثار يونانية الا أن التنقيبات الأثرية التي قامت بها كشفت عن مراحل سابقة امتدت زمنيا الى منتصف الألف الثاني ق. م، ومن أهم تلك المكتشفات الأثرية، الى جانب الآثار والمباني والمعابد التي تعود الى الفترة اليونانية، مجموعة كبيرة من الأختام الدائرية التي أطلق عليها اسم **«أختام دلمون» أو «أختام الخليج العربى»**، وبعض الأختام الاسطوانية بعضها يبدو أنه قد صنع محليا ـ كما عثر على مجموعة من الجرار الفخارية والأواني الفخارية والأواني الحجرية المصنوعة من حجر الاستيتليت، ومجموعة من الأدوات البرونزية.

ونتيجة لتوقف أعمال البعثة الدنمركية توقفت التنقيبات الأثرية في الجزيرة بقرار من وزارة الاعلام الكويتية حتى عام ١٩٧٢ عندما تشكلت بعثة كويتية محلية باشراف الاستاذ الدكتور رشيد سالم الناضورى من جامعة الاسكندرية وعضوية بعض الشباب العاملين في ادارة الآثار والمتاحف، وقامت هذه البعثة باجراء مسح أثرى عام وأعدت تقريرها بتاريخ ١٩٧٢/٢/١٤ ثم تلي ذلك اجراء تنقيبات أثرية في الجزيرة وذلك على النحو التالى:

بعثة جامعة جون هوبكنو ١٩٧٣/١٩٧٤

يعتبر تقرير هذه البعثة مبدئيا. على أمل أن تستكمل دراستها مستقبلا من أجل التوصل الى نتائج أكيدة يمكن من خلالها رسم صورة عن التسلسل الحضارى للجزيرة. وقد قامت البعثة في التنقيب عن الآثار في مواقع رمز اليها باسم (F H) يليها أرقام متوالية، ومن ابرز ما كشفت عنه هذه البعثة بعض الكسر الحجرية المصنوعة من حجر الاستيتايت، بعضها عليه نقوش زخرفية، ومجموعة من الأختام الدائرية وأدوات من الخرز والبرونز والطين الى جانب بعض الكسر الفخارية. ولم يتم نشر تقارير هذه البعثة حتى الآن.

بعثة جامعة فينيسيا الايطالية ١٩٧٦/١٩٧٧

أجرت هذه البعثة تنقيباتها خلال موسمين وركزت على موقع إسلامي واصدرت تقريرين أوليين باللغة الانجليزية بتاريخ ٧٦/١١/٢٣ و١٩٧٧/٦/٢٤ على التوالي، ثم توقفت اعمال هذه البعثة دون أن تصدر تقريرها العلمي الشامل غير أنها اخرجت كتابا باللغة الايطالية عن فترة العصر الاسلامي الوسيط فى الكويت(*).

بعثات امريكية.. الولايات المتحدة الامريكية

قام فريق من العاملين بإدارة الآثار والمتاحف بدولة الكويت باجراء مسح أثرى في فيلكا برئاسة الاستاذ برونو، الاستاذ بمعهد سميث سونيان وقد قدمت البعثة تقريرا أوليا عن نتائجها باللغة الانجليزية بتاريخ ٨٢/٥/١٢، تلا ذلك مسح أثرى آخر في الجزيرة عام ١٩٨٤ تحت اشراف معهد واشنطن الذى قدم

الفرنسية لعام ١٩٨٣ بعنوان:
(Failaka Fouille Francaises, 1983)

■ ومن نتائج التنقيبات الأثرية التي أجرتها البعثة الفرنسية يمكن القول بأن أعمال هذه البعثة تعتبر استمرارا لأعمال البعثة الدنمركية فالمادة العلمية المكتشفة لا تتجاوز بعض جدران المنازل والأوانى الفخارية والأختام والمسكوكات وهي تمثل في أغلبها آثار المرحلة اليونانية وآثار الألف الثاني ق.م، ولكنها بمجملها مادة علمية هامة تفيد الدارسين والباحثين في رسم صورة واضحة المعالم لحضارة هذه الجزيرة في عصورها القديمة.

بعض المشاكل العلمية الناجمة عن التنقيب الأثرى في فيلكا

أبرزت التنقيبات الأثرية التى تمت في جزيرة فيلكا بعض المشاكل العلمية التي قد نجد لها حلولا مناسبة بمواصلة الكشف الأثرى سواء في الجزيرة نفسها أو على الأرض اليابسة، أو ربما باجراء مسح أثرى تحت المياه المحيطة بالجزيرة.

وأول ما يواجه الباحث من مشكلات هو غياب النصوص المكتوبة وبخاصة تلك المعاصرة للكتابات الأكدية أو البابلية. ومع أن هناك بعض الأختام الاسطوانية وقليلاً جدا من الأختام الدائرية تحمل بعض الكتابات بالخط المسمارى الا أنها ليست بالصورة الواضحة أو الكمية الكافية التى يمكن اجراء دراسات عليها والخروج بنتائج علمية سليمة. إن غياب الكشف عن نصوص يمثل



عن: متحف الكويت الوطنى.



عن: متحف الكويت الوطنى.

● أعلى ختم اسطوانى تظهر فى طبعته كتابات بالخط المسمارى، ويمكن ملاحظة رداءة: الخط وربما اللغة أيضا،
● أسفل ختم اسطوانى يظهر فى زخرفته رجل جالس وأمامه رجلان وكانهما يقدمان ولاءهما كما يظهر شكل نجمة وهلال،

تقريرا مبدئيا عام ١٩٨٤.

البعثة الفرنسية[٦]

تنفيذا للاتفاقية الثقافية المعقودة بين حكومة دولة الكويت وحكومة الجمهورية الفرنسية والمصدق عليها بتاريخ ١٩٨٣/٦/١ تقدمت الحكومة الفرنسية بمشروع إجراء تنقيبات أثرية بالتعاون مع وزارة الاعلام وبإشراف مسئولين فرنسيين ممثلين عن متحف اللوفر (قسم آثار الشرق الأدنى) والمعهد الشرقي في ليون التابع لجامعة السوربون (Maison De L,Orient, Lyon) وتنفيذا لهذا المشروع تم تشكيل البعثة الفرنسية باشراف الدكتور «جان فرانسوا سال» وضمت افرادا من ادارة الآثار والمتاحف وبدأ العمل في جزيرة فيلكا في ربيع عام ١٩٨٣، أعقبه عدة مواسم كان آخرها موسم ربيع ١٩٨٧، كما نشرت البعثة الفرنسية بعض تقاريرها الأولية باللغتين الفرنسية والانجليزية، وفي عام ١٩٨٤ أصدر المعهد الشرقي في ليون، ضمن منشوراته وباشراف فرانسوا سال، تقرير أعمال البعثة



● ختم دائرى من الاستيتايت يظهر ضمن نقوشه رجلان داخل اطار وآخران خارجه وأشكال نباتية وحيوانية .

عن: متحف الكويت الوطني

عقبة كبيرة أمام الباحثين في التوصل ، بشكل قطعي ، الى معرفة الحياة الاقتصادية والاجتماعية والفكرية ، ولذا فان الدارس لابد وأن يستعين بالكتابات القديمة المتمثلة بالنصوص الادارية والتذكارية والدينية للتعرف على بعض جوانب حضارة جزيرة فيلكا من جهة وحضارة منطقة الخليج العربى من جهة أخرى..

لم يكشف التنقيب الأثرى عن أى نوع من المدافن في جزيرة فيلكا مما يثير العديد من التساؤلات عن المجتمع الذى ترك ذلك الكم من المخلفات الأثرية مثل اين كان يدفن موتاه وما هو فكره الديني ومدى ايمانه بعقيدة الخلود التى سادت فكر الانسان القديم؟ . لقد تم الكشف عن عشرات بل مئات المدافن الجنزية في جزيرة البحرين ، ومنها يمكن التأكد من فكر انسان جزيرة البحرين في القديم وتوصله الى عقيدة الايمان بالخلود والبعث كما يستدل على ذلك من دفن أدوات المتوفي معه في مدفنه .

■ وهناك مشكلة ثالثة تواجه العمل العلمي في مجال التنقيب عن الآثار في الجزيرة وهى اختلاط بعض الطبقات الأثرية وعدم وضوح التسلسل التاريخي في الموقع الأثرى الواحد. وربما كان لرجال البعثات التنقيبية دور في عملية التخريب ، فالدنمركيون ، على سبيل المثال ، كانوا يركزون اهتماماتهم على المرحلة اليونانية ولم يتوقعوا الوصول الى طبقات أثرية أقدم من هذه المرحلة ، كما أن بعض البعثات التنقيبية شتت جهودها فى البحث فى أكثر من موقع أثرى واحد خلال موسم واحد مما يؤدى الى العبث في المواقع الأثرية . وكان من المفترض أن يتم التنقيب في موقع واحد ولعدة مواسم ابتداء من مرحلة العصر الاسلامي حتي الوصول الى الطبقات الأقدم . ونحن نأمل أن يكشف التنقيب الأثرى مستقبلا عن مواقع توضح آثارها استمرار حياة المجتمع منذ الألف الثالث ق.م حتى العصر الاسلامي المبكر.

مجمل نتائج التنقيب الأثرى في جزيرة فيلكا

أبرزت الجهود العلمية التى بذلتها ، بعثات التنقيب الأثرى في منطقة الخليج بشكل عام وفي جزيرة فيلكا بشكل خاص ، مجموعة من النتائج العلمية الهامة يمكن ايجازها على النحو التالي :

١ ـ كشف التنقيب الأثرى عن مراكز استيطان قديمة على امتداد ساحل الخليج العربى وفي جزره ، وهي مراكز ضمت آثارا سطحية تعود بتاريخ اناس المنطقة الى العصر الحجرى القديم ، وآثارا مطمورة بينت مراحل الاستقرار الكامل للانسان وبخاصة في البحرين ودولة الامارات العربية المتحدة .

٢ ـ أكد التنقيب الأثرى على تبوأ الخليج العربى ، مكانة حضارية ابتداء من الألف الثالث ق.م كما تشهد بذلك الادوات البرونزية والاواني الفخارية والأختام والمدافن والمعابد وغيرها من الآثار المادية والفكرية .

٣ ـ أبرز التنقيب الأثرى في المنطقة أهمية الدراسة المقارنة لآثار الوطن العربي بحيث تشكل الآثار المكتشفة وحدة حضارية ربطت منطقة الخليج العربي بالمراكز الحضارية الأخرى في

الوطن العربى، كما أوضحت علاقات منطقة الخليج العربى الدولية منذ منتصف الألف الثانى ق.م.

■ إنه من الغبن عدم الإشارة بدور البعثات الأجنبية في محاولة رسم حضارة وتاريخ المنطقة في العصور القديمة ولكن يبقى الأمل مناطا بأبناء المنطقة، فقد آن الأوان للبدء في تهيئة عناصر من الخليجيين للعمل في ميدان الآثار. وهناك عدة سبل منها طريق الابتعاث والإيفاد الى الخارج من أجل الدراسة والتدريب. ومن تلك السبل الزام البعثات الأجنبية العاملة في المنطقة في تكوين كوادر وطنية في مجال المسح الأثرى والتنقيب والصيانة وذلك خلال المواسم التنقيبية أو استقبالهم في المعاهد والجامعات والمتاحف التابعة لها تلك البعثات.

ويمكن تشجيع العمل المحلي بتدريب العاملين في ادارات الآثار والمتاحف على أيدى اساتذة من الجامعات والمتاحف العربية واتاحة الفرصة لهم لإظهار قدراتهم بتخصيص المواقع الأثرية ليقوموا بأنفسهم بإجراء التنقيبات الأثرية فإن العمل الأثرى معايشة واستمرارية تلك المعايشة مع الموقع والطبيعة المحيطة به. كما ينبغي على الجامعات في دول الخليج العربى أن تدعم التنقيب الأثرى بالتعاون مع ادارات الآثار والمتاحف وبإنشاء أقسام علمية متخصصة لتدريس الآثار والحضارة من الجانب النظرى والاكاديمي والجانب العلمي التطبيقي، وبذلك تسهم في تهيئة خريجين مدربين للعمل في مجال التنقيب الأثرى.



عن: متحف الكويت الوطني.

● ختم دائرى من الاستيتايت يظهر فى اعلاه رجلان جالسان بينهما جرار شراب، كما تظهر قطعان من الماشية.

الهوامش

(١) رضا جواد الهاشمي، المدخل لآثار الخليج العربي، بغداد، ١٩٨٠، ٤٩.

(٢) تقرير شمل عن الحفريات الأثرية في جزيرة فيلكا ١٩٥٨-١٩٦٣، ص٧.

(٣) رضا جواد الهاشمي، نفس المرجع، ص٦٧.

(٤) يؤرخ هذا النص بحوالي ١٨٠٠ ق.م، انظر بهذا الخصوص:
Bibby,G., Looking For Dilmon, 1970,PP. 20-22 and p.44

(٥) The Reoort of the john Nopkins University, 1974, P.2
Inseiamenti Medievali Islamici Ricerche escavi nel Kuwait

(٦) إن البعثة الأثرية الفرنسية في الكويت هى قسم من البعثة الأثرية الفرنسية العاملة في دراسات وابحاث الشرق العربى في عصور ما قبل الاسلام.

لا يجد الباحث تفسيرا واضحا لقيام البعثة الفرنسية باجراء أول تنقيباتها الأثرية في ربيع ١٩٨٣ (في الفترة من ٢-٣١ مارس ١٩٨٣)، بينما توقيع اتفاقية التعاون الثقافي تم في ١٩٨٣/٦/١.

المراجع

● توفيق سليمان، الفن الحديث فى التنقيب عن الآثار، الجامعة الليبية ١٩٧٢.

● جورج ضو، تاريخ علم الآثار، ترجمة بهيج شعبان، بيروت ١٩٧٠.

● رضا جواد الهاشمي، المدخل لآثار الخليج العربى، بغداد ١٩٨٠.

● سليمان سعدون البدر، منطقة الخليج العربى خلال الألفين الرابع والثالث ق.م الكويت ١٩٧٤.

● عبد المعز شاهين، طرق وصيانة وترميم الآثار والمقتنيات الأثرية، القاهرة ١٩٧٥.

● عدنان البني، التنقيب الأثرى الحديث، دمشق ١٩٧٦.

● على حسن، الموجز في علم الآثار، القاهرة ١٩٨٤.

● الموسوعة الأثارية العالمية، اشراف ليونارد كوتريل، ترجمة محمد عبد القادر محمد، زكي اسكندر، القاهرة ١٩٧٧.

Barry I, Concise Book of Archaeology U.S.A, 1981

Ceram, C.W. (ed.) The World of Archaeology, Lendon, 1973.

Clarke,D.L., Analytical Archaeology, London 1978

Daniel, G. AShort history Of Archaeology London 1981.

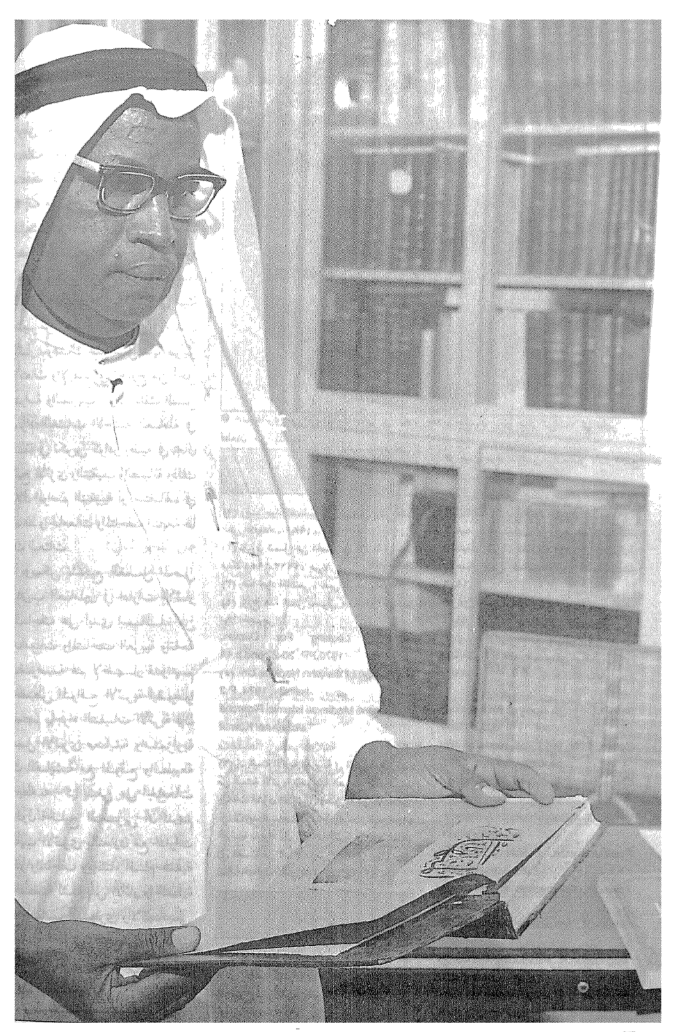
Forde-Johnston, J. History From the Earth, London 1974.

Fowler,P. Approaches to Archeology London1977

Greene,K., Archeology: An Intorduction London 1983.

Magnusson,N., Intorducing Archeology London 1972

Mcintosh,J., The Archaeologists Hand book London 1986.





● الاستاذ عبد القدوس الانصارى مؤسس مجلة المنهل يتصفح أحد مجلدات المنهل فى مكتبته الخاصة فى منزله.. الصورة عام ١٣٨٣هـ.

فى ذكرى المؤسس التاسعة

●● وهكذا ظل الأنصارى - رحمه الله - يهب أيامه ولياليه.. ساعاته وثوانيه.. فى البحث والتنقيب والتدقيق والتحليل.. تفر الأيام من بين يديه دقائق وثوانى.. تعن المسألة فيقضى الليل ساهراً متعبداً فى محراب العلم صانعاً لنفسه ذكرها.. والذكرى للانسان عمر ثان.

ولا غرو فهو يصل ليله بنهاره.. هو مؤمن إيماناً مطلقاً بأن ليس للانسان إلا ما سعى.. فما بالك والسعى فى العلم.

يقول صلى الله عليه وسلم فى معنى الحديث.. إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث.. صدقة جارية أو ولد صالح يدعو له أو علم ينتفع به.. علم تركه شيخ اللغويين، وشيخ المحققين، وشيخ المؤرخين.. مؤلفات فى اللغة والتاريخ والآثار والنحو والتراث و... و... رحلات وتنقيبات وانطباعات وتحليلات.. وكل ذلك ماثل أمام أعيننا لسان حاله يقول: أنا ثمار كدك وجهدك.. سعيك المبرور.. وتلامذة يشهدون فى كل مقام ويعترفون فى كل حال بأستاذية وريادة عبد القدوس الانصارى.

لقد كان - ولا يزال - عبد القدوس الانصارى - رحمة الله عليه - بما أثاره من قضايا فى كتبه.. وما فتحه من أبواب أمام الدارسين والباحثين فى مؤلفاته وآثاره.. وما أرساه من دعائم للصحافة الجادة الأصيلة.. رائداً يقود ركب الطامحين إلى مجد العلم والعلياء.

وها هى (المنهل) تتسنم خطاه وتسير على الدرب.. يلفها الشموخ ويدثرها العرفان.. فصارت حسناء تبدو دائماً فى موضوعاتها وتوجهاتها وأطروحاتها.. فعلى العهد سائرون إلى الامام على الدوام..

وفى الذكرى التاسعة لرحيل مؤسس المنهل نتقدم بهذه العجالة.. تقديراً واعترافاً بالفضل والريادة.

التحرير

● مكث الطفل مليا يترقب عودة والده بعد الصلاة.. ولكنه لم يسعد بذلك ، وأصبح يتيما.. وكان الشيخ محما

● دقت طبول الحرب.. وافرغت المدينة من أهلها.

● الجوع والمخمصة وجهان لعملة طالما هربنا منها.

ذكريات طفل يتيم

كان قد بلغ سن الخامسة من العمر حينما ذهب والده عشاء الى المسجد النبوى ليصلي به صلاة العشاء مع الجماعة.. وقد مكث مليا لا ينام في انتظار اياب والده.. ولما طال به الوقت طرقته هواجس غامضة حيال هذا الغياب الذى لم يسبقه غياب مماثل.. وفتح عينيه في الصباح متلهفا على مشاهدة والده في مقر نومه من البيت، ولكنه لم يره.. لقد خاب أمله في هذا أيضا..

وسأل بعض من يكبره في السن فلم يحر جوابا، فزاد ارتباكه وازدادت وساوسه وهواجسه ولكنه تشجع وتقدم الى بعض كبار السن يسألهم عن والده لماذا لم يعد الى المنزل من البارحة، فما حصل على جواب مقنع.. وحدثه بعضهم بأنه لا يزال بالمسجد النبوى منذ الليلة البارحة.. فذهب الى المسجد يفتش جوانبه فعاد بخفي حنين.

■ وهكذا تراكمت عليه الهواجس وساورته الظنون واختلط عليه الحابل بالنابل وزاد الطينة بلة أن ذهنه الصغير لم يستطع أن يدرك حقيقة ما كان يخشاه فى نظره على أبيه في غيابه الطويل..

وفي ومضة من ومضات الفكر الصغير تذكر أن والدته قد ذهبت هي الاخرى من المدينة الى القطر المصرى في رحلة استشفاء فلم تعد هي الاخرى من هنالك وكان والده أخبره بأنها لقيت حتفها في القطر المصرى بعد علاج طويل في أحد مشافي الاسكندرية وقال له: إنهم دفنوها في مقبرة سيدى جابر هنالك.. فتوجس خيفة من أن يكون والده قد ذهب الى غير رجعة كأمه.. وهاله أن يبقى يتيما مجردا من حنان الاب والام.. ولم يعلم أن أباه كان قد جعل خاله وصيا عليه، وصيا رقيقا به عطوفا عليه، ليقوم بتربيته وتغذيته وتعليمه حتى يصير رجلا سويا إن عقله الصغير المحدود لم يرتفع الى مستوى إدراك هذه الحقيقة التي كانت منه قاب قوسين.

وقد بقي على أوهامه وتخيلاته حيال عودة أبيه ذات يوم اليه، حتى مضى ردح من الزمن ودخل سن السادسة، فبدأ شعور جديد يتسرب الى ذهنه بحقيقة الواقع المرير.

وكان فى كثير من الاحيان ينتابه شعور غريب جارف حيال وضعه ويتمه من الوالدين معا، فيسلم عينيه لدموع تتهاطل بغزارة وحرارة، وما تزال كذلك حتى يشعر بشيء من راحة الضمير فيمسح عن عينيه تلك الدموع ويجففها ويخرج الى الناس من مخبئه المتنقل.. حائرا منغصا لا يعجبه شيء من الحياة.

وفى ذات يوم تراكمت عليه هذه الهموم، استدعاه خاله الوصي عليه من قبل أبيه، وقربه اليه نجيا، وحدثه حديثا عذبا رقيقا خالط تأثيره فؤاده الصغير. قال له: يا بنى سأخبرك بالحقيقة ان أباك قد ذهب الى رحمة الله.. وأنا في مقام والدك.. سأكون كافلك ومربيك ومعلمك وسأوفر لك كل ما يسرك حاضرا ومستقبلا فلا تبتئس وكن إنسانا عاقلا ورشيدا، وأن والدك رحمه الله قد خلف لك شيئا طيبا من المال وسأكلف عمك موسى بالاشراف من كثب على شؤونك بصفة موقوتة وسأعين لك خادما هو تلميذى (محمد الصالح) الذى كان يخدم والدك.. فكن مطمئنا فأنت إن شاء الله بخير وفير.

ونزلت هذه الكلمات الطيبة بلسماً شافياً وترياقاً قوى المفعول على قلب الطفل الصغير الذى بدأ سنه يتقدم الى

لطيب الأنصاري نعم الوصي الأمين .

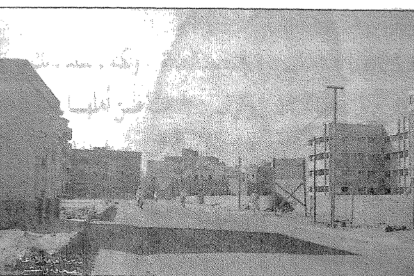


ـيم

السابعة . . وسلم الامر لله واقتنع تماما بأن له أبا ثانيا كريما عطوفا سيقوم بكل لوازم حياته بصورة ان لم تكن صورة والده فهي لا تقل مطلقا عنها بل ربما تفوقها عطفا وحنانا وتكريما.

وقد وفى الشيخ محمد الطيب الانصارى بوعده كل الوفاء فكان نعم الوالد ونعم الوصى المربى، ونعم الكافل والموجه والمعلم ومن يومئذ لازمه الفتى ملازمة الظل لا يريم عنه حولا لا في داره ولا في المسجد النبوى ولا أين ذهب أو حل، لازمه وأحبه حبا جما لا يدانيه حب فقد وجد منه كل وسائل الراحة والتربية المنشودة والتعليم المخلص والكفالة البناءة.

وكانت الحرب العالمية الاولى قد بدأت رحاها تدور وهو في السابعة من العمر فكانت ضغثا على ابالة . . لقد تشتت الناس وذهبوا الى كل جهة وشاهد الصبى ما يجرى . . ومرت سنوات تلك الحرب الضروس كالحة عابسة مرهقة فقد بدأت الارزاق تشح وبدأت المدينة تصفى من سكانها شيئا فشيئا . . وبدأ الخط الحديدى ينقل الناس منها صوب ديار الشام زرافات ووحدانا، فكان كل يوم يأتي ينقص عدد السكان بالمدينة ليرتفع عددهم بالشمال، وظل الشيخ متشبثا بالبقاء في المدينة حتى آخر نفس من حياته وحياة أسرته ومن معه . . برغم سيف الجوع المصلت على رقابهم حتى اذا كان ذلك اليوم الذى لا ينساه الطفل فقد سلمه بعض الاسرة خمسة مجيديات حرشا . . وقال له أن يذهب صوب باب العنبرية لعله يجد أحد من يبيعون (تعييناتهم) بدراهم كثيرة فيأخذ منه بقيمة ما معه من نقود خبزا وكان هذا الخبز يومئذ أسود مخلوطا بالشعير والكرسنة والنخالة والتراب فهو لا يسمن ولا يغني من جوع . . وخرج الفتى من دارهم بالشونة بجانب السقيفة المقامة على الشارع، خرج الى ناحية باب العنبرية وحيدا يطل هنا وهنا فلا يرى مخلوقا في سائر الشوارع التى اجتازها، لا عسكريا ولا مدنيا، وقد بلغ الفتى باب العنبرية فاذا كل تلك الشوارع ليس بها انيس فذعر الفتى وعاد مسرعا الى الدار يتلفت يمنة ويسرة فينقلب حسيرا من شدة الخوف من فراغ البلد من السكان وقد كان الى ما قبيل أمد مكتظا بالسكان كالرمانة المحشوة، وعندما دق الباب وفتح له سقط مغشيا عليه في داخل الباب . . وقد رشوه بالماء فأفاق بعد لأى فحدثهم بما شاهد مما أطلق عليه الخوف والذعر والاستيحاش . . وعندئذ أزمع الشيخ في نفسه أمرا، فقد بلغ السيل الزبى والبقاء مع هذه الحالة تهلكة محققة . . للكبار وللصغار معا . . وذهب الى صلاة الصبح بالمسجد النبوى الشريف فجاءه تلميذه (عبد الرحمن باشا) وكيل فخرى باشا . . وكان عربيا من سورية ارتقى الى هذه المرتبة العالية بجده وكفاءته وكان فخرى باشا يقدره



(صورة تذكارية من أرشيف المجلة)



ويؤثره.. وبعد أن أكمل الشيخ له درسه في القواعد امام الاسطوانة ذات النجفة الكبيرة البيضاء التى طالما درسنا أمامها فيها بعد.. حدثه عما وقع للصبى في خروجه للحصول على شيء من الخبز يسد به أهل البيت رمقهم.. فارتأى عبد الرحمن باشا أن لا مناص من السفر وسيهيىء أسباب الرحيل الى الفرع للشيخ وذويه.. وكان من المصادفات أن جماعة كبيرة من سكان المدينة ما بين رجال ونساء واطفال كانت قد أزمعت هي أيضا الخروج من المدينة الى الجانب الجنوبي منها.

وأحضروا لنا الجمال الهزيلة التى كنا نراها هياكل عظمية متحركة، وأحضر خبز التعيينات وخرجنا من المنزل جميعا وامتطينا هذه الاشباح التى أنحلها الجوع وأضناها وذهبنا صوب الجنوب حتى اذا وصلنا الى مركز (الجليجلة) وفيه آبار معروفة بهذا الاسم الى اليوم تقع على الجانب الايسر للذاهب الى مكة.. عندئذ انزلونا هنالك من على جمالهم وأشعرونا بأن نأخذ طريقنا الى الامام صوب الفرع.. فاستسلمنا للقدر، وسرنا على أقدامنا فى طريق جبلي وعر وفي أودية ملتوية مملوءة بشوك السعدان..

● أعلى اليمين
يد العمران بدأت تعمل فى المدينة المنورة
● فوق
عبد القدوس الانصارى فى عام ١٣٦٥هـ
● أقصى اليسار
صورة تاريخية للمدينة المنورة منذ نصف قرن
● الى اليسار
اشجار النخيل فى المدينة المنورة..

فمنذ أربع سنوات لم يطرقه انسان.. اللهم الا لماماً.. وفي الهزيع الاخير من الليل نزلنا بواد مملوء بأشجار السلم، وباتت كل أسرة تحت شجرة السلم المبثوث هنالك.. حتى اذا قرب الصباح نهضنا من فراشنا غير الوثير واستأنفنا الرحلة البرية الى المجهول.. وعند شروق الشمس لمح أحدنا: (الياس) رحمه الله شبحين يتحركان بجانب الصخور الماثلة أمامنا على بعد.. فصرخ قائلا: انى أرى هناك أناسا يتحركون وراء الصخور،

وقد صدق الواقع نبأه فبعد هنيهة خرج اعرابيان مسلحان عرفنا اسم احدهما فيما بعد وهو (سليمان) خرجا من وراء تلك الصخور ورفع أحدهما (سليمان) بندقيته الى السماء وقال بصوت عال

حازم: (سلمتم.. سلمتم) كررها مرتين.. وأقبل علينا هو وصاحبه يحييان ويرحبان.. ثم ذهبا بنا الى ناحية من الوادى الذى تقع به بيوتهم الشعرية وأنزلونا ببعضها.. وكان الظمأ الكارب يكاد يقضي علينا فقد سرنا ليلة نابغية طويلة في سموم لافح، في سنى الحرب والحصار.. وبعد المغرب أقبل علينا جماعة من أولئك البادية بجفانهم المترعة باللحم والارز ووضعوها بين أيدينا فأكلنا هنيئا حتى وصل الطعام حلوقنا ثم نمنا ليلتئذ نوما مريحا هادئا وأصبحنا نشطين أحسن مما كنا قبلا وأقمنا لديهم ثلاث أيام حتى

(صورة تذكارية من ارشيف المجلة)

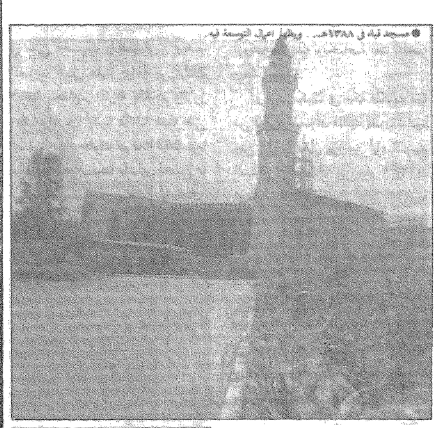
وكنا كلنا بلا ماء.. فكنا نصرخ بأعالي أصواتنا نطلب جرعة من الماء نبل بها ريقنا.. فما استجاب البداة الكرماء لالحاحنا وصراخنا.. وكان لهم الحق.. فلو أنهم سقونا الماء البارد على ذلك الظمأ الشديد والجوع العتيد لكنا لقينا منه أذى شديدا حسب تجاربهم فبدلا من الماء أتونا بقرب كبار مملوءة بالسمن البرى ففتحنا لهم أكفنا وصبوا عليها السمن صبا متواليا وصرنا نشرب منه حتى ارتوينا.. وبعد هنيهة شبت النار في أجوافنا وازداد لهيب الظمأ بنا.. فصرنا نلح في الاستسقاء ولا من مجيب.. ثم تحركت الامعاء بفضل السمن الذى ارتوينا منه وقد نظفها من الخليط الناشب فيها مما كنا نسميه أكلا

عادت الينا روح الحياة فأركبونا جمالهم السمينة النشيطة صوب الحفر حيث مكثنا هناك مدة سبعة أيام ومنها توجهنا إلى مكة المكرمة.

وعندما وصلنا الى مكة كان بها صديق الخال السيد على كتبى رحمهما الله فذهب بالشيخ الى داره بالشبيكة على ما أذكر، فرتب للشيخ وأسرته منزلا كان بالقشاشية بجوار حمامها وبجوار الشيخ عبد الله خزندار الرجل الاسمر الطوال فأقمنا بمنزلنا ذلك خير مقام مدة تقرب من العام وكانت الارزاق والنقود تقدم الينا بما فيه الكفاية وزيادة.. وعلى صغر سنى كنت أتجول بمكة وكان المسجد الحرام طافحا بالدروس وبالطلاب في جميع أروقته وأفنيته وبخاصة بعد العصر وبعد المغرب.

وبعد مكوثنا فى مكة المكرمة فترة من الزمن علمنا ان المدينة المنورة تنادينا ومن بعد عصر يوم من أيام الربيع الذى ربما كان من عام ١٣٣٩هـ امتطينا جمال قافلة من محلة القشاشية بمكة قاصدين الشمال صوب المدينة وكان المرحوم السيد علي كتبى رجلا ذا مكانة محترمة.

وكان السيد يمسك بأيدينا أنا وزميلي ويطالع يمنة ويسرة والناس يقفون فى أماكنهم وشوارعهم تقديرا له.. وحينما وصلنا ابواب مكة قال بصوت مرتفع: (ولا أرى جزرا) لقد كان يفتش عن مطهو الجزر اليمانى المعروف ليشترى لنا منه كمية يزودنا بها فلما يئس من وجوده قال كلمته الشعرية المرتجلة، وأخرج من جيبه جنيهين انكليزيين ذهبا ونفحنا بهما هدية وتذكارا ثم ودعنا وسرنا الى المدينة. ومررنا على قرية «بحرة» وكانت قرية صغيرة جدا عبارة عن بضع عشش ومسجد صغيرجدا.. أمامه رجل كبير السن سوداني اسمه الشيخ (ياسين).. وعندما أشرفنا على الخبت الافيح الذي تقوم مدينة جدة في طرفه الغربى ويبتدىء من قبل جبال الرغامة حتى مدينة جدة هالتني سعته.. وامتداده وراعني انبساطه كزرابي مبثوثة.. وفي الظهر كنا بمدينة جدة الصغيرة ذات السور العتيق والمستنقعات الكبرى والرطوبة الغزيرة والدور المتلاصقة على غير نظام.. وتناولنا طعام الغداء برواق احد مقاهيها البلدية وشربنا الشاى فيه، وتوكلنا على الله الى المدينة.. ومررنا برابغ.. وكان دخولنا المدينة من ناحية



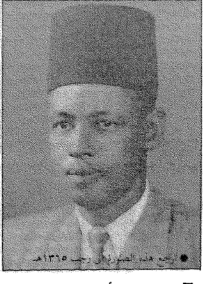
● مسجد قباء في ١٣٨٨هـ .. ويظهر اعمال التوسعة فيه

قبـاء في ليلة قمـراء ساطعـة لطيفـة السمات والنسمات . . وكان المزارعون بحـدائقهـا الغنـاء يسوقـون حيوان سوانيهم وينشـطون أنفسهم بنشيد (المجرور) في أصوات رخيمـة ندية متعاطفة فأعجبتني أصواتهم وقد علق بذهني من تلك الاناشيد قولهم :

أقـل لك يا زارع الـسـبـخـة
تبـغـى الـفـواكـه تجي فيـهـا
فنجـان شاهي مع الـطبخـه
يسـوى الـصبـاحي بما فيهـا

■ وقبيل طلوع الفجر بقليل حيث كان الهـدوء مستـوليا على كل شيء كان دخـول قافلتنا الصغيرة الى المدينة، وكـانت شبه خالية من اسباب الحياة نتيجـة من نتائج ما عانته من ويلات حرب عالمية ضروس رافقهـا حصـار شديد مطبق طيلة أربعة أعوام عجاف لم تبق ولم تذر، فلقد أتت على الاخضر واليابس ولله في خلقه شؤون .

عبد القدوس الانصاري
جدة في ٢٣/٣/١٣٩٧هـ



● ترجع هذه الصورة الى رجب ١٣٦٥هـ



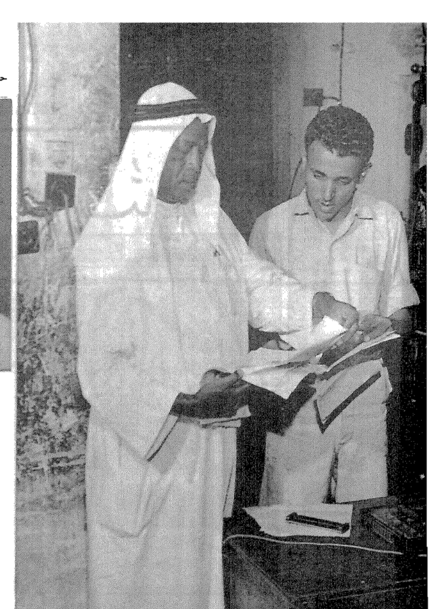
عبد القدوس الانصاري في ع

الأنصاري

■ ذكرى وفاة أستاذنا عبد القدوس الانصاري تستدعي وقفة تأمل من كل كاتب وأديب ومفكر للنظر في حياة هذا الرجل العظيم المتعدد المواهب والذى أسهم في كل ناحية من نواحى العلوم والفنـون بكفـاءة وجلد ودأب يغبط عليها قليل من الرجال والمثقفين الذين واصلوا حياتهم منذ البداية الى النهاية في خدمة العلم والأدب والثقافة بتجرد وإخلاص نادرين لا سيما اذا علمنا أنه ليس له مردود مادى مقابل هذا العمل بل هي رغبة وحسبة وأمانة وإخلاص .

لقد واصل الاستاذ عبد القدوس الانصاري رحمة الله عليه أعماله هذه من منطلق الصفر .

ومعـروف أن مثـل إنشـاء هذه المجـلات الادبية لم تكن السـاحـة مستعدة لاستيعابها مما أدى الى إغفال بعض المجلات التى سبقته أو عاصرته ومنها على سبيل المثال المجلة الاسلامية ومجلة الاصـلاح وغيرهـا وقد كانت الاولى تصـدر من احـد المتعلمين



● عام ١٣٨٣هـ . . الأنصاري يراجع (بروفات) مجلة المنهل فى مطبعة الاصفهانى بجدة.

حسين عرب

رين

المواهب المتعددة

والثانية تصدر من هيئة رسمية ولكنهما لم تستطيعا الثبات رغم ما توفر لهما من دعم مادى. . أما فضيلة الاستاذ الانصارى فقد استمر فى أداء هذا العمل الذى اعتبره واجباً وبذل النفس والنفيس فى استمرار صدور المجلة حتى وصلت إلى المكانة التى تحتلها الآن بين المجلات العربية والاسلامية فهى تمثل الاصالة والعمق والتجديد فى الميدان الأدبي والثقافى.

هذا ما يختص بمجلة المنهل.

أما ما يختص بمؤلفاته الأخرى سواء أكانت قصصية أو تاريخية أو لغوية أو شعرية أو غير ذلك فكلها تعتبر من غرر المؤلفات التى صدرت فى موضوعاتها ولأن الله تعالى بارك فى وقت هذا الرجل وعمله انتفع بثقافته كثير من الأدباء الناشئين فى ذلك الوقت وأنا أحدهم وكثير من زملائى الذين كنا نحرص على قراءة ما يجود به قلم الأستاذ العظيم.

لقد تجاوزت المجلة والمؤلفات الانصارية المجال الاقليمى إلى غيره من مجال عربى وغربى حتى أصبحت محل بحث ودرس يمثل مراجع لبحوث ودراسات كثير من المثقفين من حملة الماجستير والدكتوراه.

على العموم فقد كان الاستاذ رحمه الله لا أجاوز الصواب اذا قلت إنه فريد عصره وقد كان كأنه علم فى رأسه نار يستفيد منه القريب والبعيد والصديق والعدو وكان يواصل مسيرته بجد ودأب وكثيرا ما اعترضته مشاكل قد تعوق غيره عن الاستمرار ولكنه تجاوزها بجلده وصبره وإخلاصه حتى وصل إلى القمة الذي هو جدير بها بين المثقفين.

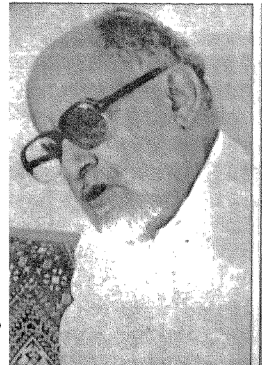
لا نملك فى هذه العجالة إلا أن نسأل الله القدير البركة فى نجله الاستاذ نبيه وأحفاده وأن يمدهم بقوة لمواصلة هذه المسيرة الثقافية وأن يغمر الفقيد برحمته ورضوانه إزاء ما قدم من جهد لم يرد منه إلا وجه الله أولا وبث روح العلم وإشاعة المعرفة لكل من يستحقها. . أسكنه الله فى جناته وأسبغ عليه شآبيب رحمته والحمد لله رب العالمين.

(حسين عرب)

● كنا نقرأ المنهل صفحة صفحة وسطرا سطرا. حمد الجاسر

عرفته .. وأحببته

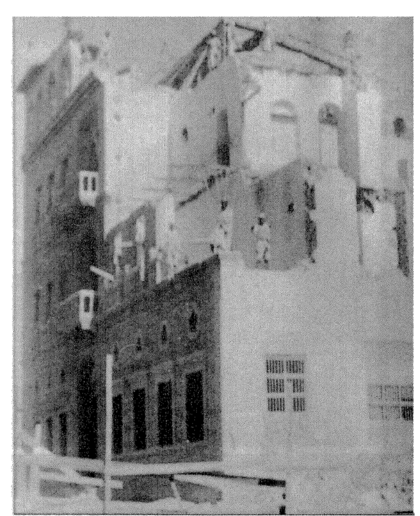




حمد الجاسر

● مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة وفيها تلقى الأنصاري دروسه.

الأستاذ عبد القدوس الأنصارى، لى به صلة قوية جدا، اولى هذه الصلات انني كنت في ينبع سنة ١٣٥٣هـ اعمل مدرسا حينها صدر العدد الاول من مجلة (المنهل) التى كان يصدرها فى المدينة المنورة، فحرصت على ان أحصل على هذا العدد وأتى الى وأنا فى ينبع ولا ازال اذكر اننى انا والشيخ عبد الغني مشرف رحمه الله ومحمد العبيس عباس وسالم شاهين كنا نجتمع بعد العصر فى ظل خزان مياه (صهريج) من صهاريج ينبع، ونقرأ المقالات المنشورة فى مجلة (المنهل) من اولها الى آخرها، بعد ذلك عينت قاضيا فى ضباء ونواحيها فى شمال المملكة سنة ١٣٥٧هـ، فكنت اكاتب واراسل الأستاذ عبد القدوس الأنصارى، وارسلت له مقالا بعنوان (على اطلال الاجداد) تحدثت فيه عن بعض الآثار في تلك النواحى، ثم بعد ذلك اقمت فى مكة مدة وانتقل الاستاذ عبد القدوس الانصارى الى مكة واخذ لمجلة (المنهل) مكتبا فى (السوق الصغير) بقرب باب ابراهيم جوار الحرم المكى الشريف، فكنا نصلي العصر انا والاستاذ محمد سعيد العامودي وهاشم نحاس وعبد القدوس الانصارى، ونمر بمكتب (المنهل) ونجلس فيه ثم بعد ذلك نواصل السير، وكانوا فى (السوق الصغير) يبيعون الحبوب من ضمن ما يبيعون (الحمص) فكان الاستاذ عبد القدوس الانصارى يملأ جيبه من (الحمص) ويمد الى كل واحد منا ملء كفه من الحمص وينصحنا ويقول ان هذا (الحمص) فيه (فسفور) وانه طيب، ونمر على هاشم فيلالى يرحمه الله وهو من الادباء المشهورين وكان بيته فى نهاية السوق الصغير ونذهب جميعا الى بركة (ماجن) في المسفلة ونبقى هناك حتى نصلى المغرب والعشاء. ثم يعود كل واحد منا الى بيته، وقد نشرت فى (المنهل) مقالات فى التاريخ وفى التراجم وفي نقد الكتب وفى غيرها، وبعد ذلك حدث ما حدث، حدث أن كتب احدهم عن (جدة) ورأى الاستاذ عبد القدوس الانصارى ان (الجيم) فى (جدة) يجب



أن تضم وألف رسالة سماها (التحقيقات المعدة على حتمية (ضم) جيم جدة) فانا كتبت حول هذا وقلت (جدة) مأخوذة من (جد) البحر، وجد البحر مثلث الجيم اي (جُد) البحر و(جَد) البحر و(جِد) البحر.

فالجزم بأنها بالضم وان كان بعض المتقدمين يقولون غير ذلك وكما كان يقال ذلك ايضا، لكن ليس هذا قاعدة ثابتة حتى يصح أن تعد، والاسماء هذه كثيرا منها يكون مثلثا (مُصحف) و(مِصحف) و(مَصحف) وكثير من الاسماء.. فكان ان حصل بيني وبينه نقاش طويل.

على كل حال الاستاذ عبد القدوس الانصارى عالم جليل وأديب وسباق الى اشياء كثيرة وخدم الادب واللغة من خلال مجلة (المنهل) التى صدرت نصف قرن من الزمان ـ ولا تزال بفضل الله تسير فى طريق التقدم ـ وخدم اللغة والأدب بالشىء الكثير من مؤلفاته، والله يغفر له ويرحمه، ومما يبهج قلبى انه لم يفارق الدنيا الا وقد تصافينا وقد زال ما بيننا فالله يغفر له ويرحمه.

(حمد الجاسر)



عزيز ضياء

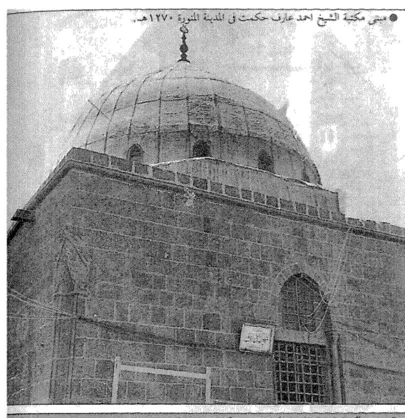
العالم .. المتواضع

رغم قلة أو ندرة مشاركتي في الكتابة في مجلة المنهل التى أسسها وظل يصدرها بما تميز به رحمه الله من الاصرار على الوفاء بالتزامه فانه من الوفاء لهذا الرجل ان نذكر جانباً مما كان يتحلى به من علم وفضل.. لقد كانت علاقتى بشخصه الكريم، علاقة تقدير وإعزاز لم يطرأ عليها قط ما يعكرها أو يشوبها من خلاف أو اختلاف.

كنا نجتمع في مكتب شيخ الصحافة الراحل الأستاذ عبد المجيد شبكشي، فيدور الحوار بين الذين يحفل بهم المكتب، كما تدور فناجين الشاى، حول شتى مواضيع وقضايا اليوم أو الساعة.. فاذا شارك الشيخ عبد القدوس برأى أو ملاحظة كنا نحرص على الاصغاء اليه ثم نأخذ في التعليق الذى قد لا يرضيه، وقد يتحفظ ضده، ولكن بذلك اللطف والرقة مبتعدا عن لهجة الاثارة وأسلوب (المكايدة) أو التعسف.. يقول ما يرى انه الأصح بصوت هادىء، فاذا ارتفع صوت معارض أو (مناكف).. فإنه يلتزم الهدوء ويعطينا المزيد مما يدعم رأيه المتحفظ الدقيق وبنفس الصوت الهادىء الناعم، ويترك لنا أن نرضى أو نخالف، إذ قال كلمته وكفى.

رحم الله الشيخ عبد القدوس الانصارى وعاطر الذكرى لشيخ الصحافة الأستاذ عبد المجيد شبكشى الذى كان مكتبه فى عمارة باخشب مجلسا للرأى والرأى الآخر.. ولا أدرى اليوم ان كان قد وجد له بديل.

(عزيز ضياء)



● مبنى مكتبة الشيخ احمد عارف حكمت فى المدينة المنورة ١٢٧٠هـ.



● مبنى المكتبة العامة بالمدينة المنورة بجوار مكتبة عارف حكمت.

الريـادة . . والسـبق

تجسـدت فى الشيخ عبد القدوس الانصارى رحمه الله مواهب رائعة فهو العالم اللغوى الفحل المتميز وهو عالم الاثـار الـذى لا يشق له غبـار، وهو المؤرخ المقتدر، وهو الاديب صاحب الاسلوب الـذى يجمع بين دقة العالم ومـوهبـة الأديب ومؤلفاته العديدة فى هذه الحقـول شواهـد حية بل مواهبه الكبيرة، وجهوده العلمية والادبية فى خدمـة الـلغـة والاثــار والتــاريخ والأدب . . فضـلا عن تأسيسه لمجلة المنهـل معلمـاً ثقـافياً رائـداً مشعاً فى الساحة الثقافية.

(د. عبد الله باقازى)

الأديــب الانســان

أتـذكـر كنت تلميذاً فى الصف الأول الثـانوى يوم أن جمعت أطراف شجاعتى وقررت أن أزوره: لم أكن قد أبصرت أديباً من قبل ولذا كنت أهيىء نفسى لأى مفـاجـأة قد تحدث . . وفوجئت به رجلا يحمله الحب على أن يتلقـانى بالـترحـاب على باب مكتبـه ويصر على أن يود عنى بمثله فتعلمت بذلك درساً هو أن الأديب إن لم يكن إنساناً لا يكون أديباً قط.

وأتـذكر وأنا أقرأ كفاحه فى سبيل إصـدار المنهـل وانتقاله من مدينة إلى أخـرى لينجز مشروعـه الرائد أتذكر كيف كنت أتعلم من كفاحه درساً لا أنساه كذلك هو أن الأديب إن لم يكن مكافحاً لا يكون أديباً مطلقاً.

وأتذكر كلما قلبت بين يدى كتابيه عن تاريخ جدة وبنى سليم أنى أكبر فيه أن يبحث فى مواطن بكر للتاريخ لم يمسسها بشر من قبل فأتعلم منه درساً لا أنساه أيضا هو أن الأديب إن لم يكن مبتكراً فلن يكون أديبا قط.

أتــذكــر كلما تذكـرت الاستـاذ الأنصــارى رحـمه الله أن هذا الجيل العظيم الذى ينتمى اليه قد حملنا أمانة عظيمــة نسـأل الله أن نكـون أهـلا لحملها ومواصلة الخط الذى رسموه لنا بإصرارهم وجدهم وصدقهم.

(د. سـعيد السريحى)

قالوا عن عبد القدوس

هو زميل زمـالة المعاشرة فى المجد ينتسب الى مدرسة وأنتسب إلى مدرسة

شاعرا اخلص للشعر واعطاه من وقته جل اهتمامه وترك فيه أثرا كبيراً ومستوى أثيرا وعرفته اديبا ذواقة اعطى للأدب جل اهتمامه واعطاه الأدب مستوى قل ان يصل اليه واصل وعرفته لغويا متمكنا قد لا تجد فى كتاباته ولا فى بحوثه ولا فى اصداراته مأخذا.

هكذا عرفت عبد القدوس الانصارى وعرفت فيه خصالا جمة من العلم والفضل والاستقامة.

«عبد الله بن خميس»

الانصارى رائد نهضة أدبية وفكرية

إن أهم ما يتميز به المرحوم الاستاذ الانصارى قيامه بدور الريادة والاسهام المتواصل فى النهضة الادبية والفكرية التى شهدتها المملكة منذ صدور روايته «التوأمان» حتى يومنا هذا.

وكان كأمثاله من رواد النهضة فى اقطار عربية اخرى موسوعى المنزع يكتب فى التاريخ والآثار والتراجم والشعر واللغة وغيرها من الحقول كما تدل على ذلك مؤلفاته ومقالاته الكثيرة المبعثرة فى الصحف والمجلات.

وإذا جاز لى ان أستشهد بتجربة شخصية مع المرحوم فأود أن أشير إلى أننى كنت على صلة به بضع سنوات فى نهاية الاربعينيات وعلى وجه التخصيص عام ١٩٤٧م - ١٩٥١م وكان يبدى خلالها حرصه على ان ينشر فى المنهل ما يدور من نشاط ادبى فى العراق ومن يرجع الى المنهل سيجد فيها اشارات الى اعمال نازك الملائكة وبدر شاكر السياب وغيرهما من الشعراء المجددين فى العراق.

« صالح جواد الطعمة»



حسين زيدان، الى يمينه عمر بهاء الدين الاميري والى يساره عبد الله بلخير.



عبد الله بن خميس   د. سعيد السريحى   د. عبد الله باقازي

تعارفنا وإذا تآلفنا تخالفنا، له جهد كبير حيث أقام لنفسه بناء رجل نكبره..

وأحاط عبد القدوس نفسه برجال صادقهم فصدقوا معه، كان الوفى لهم وكانوا المحتفين به تقاربت ثقافتنا موردا واختلفت فيما أصدرناه، هو محافظ على القديم اكثر منى قد كان لا يجامل ولكن لا يتجامل فالجفوة منه صمت لا تلحق الأذى والصفوة منه متعة تجلو القذا.

عاش حياة طويلة وعريضة قد استطاع أن يحرز السلامة فما أحاطت به الندامة.

«محمد حسين الزيدان»

المرحوم عبد القدوس الانصارى كما عرفته

عرفت الرجل أديبا متمكنا وعرفته صحفيا نابها وعرفته أثريا ناجحا وعرفت فيه جوانب خفية متعددة كلها سمحة وكلها مثالية وكلها ترمز إلى الحق. جمعتنا به عدة اجتماعات أدبية وجرت بينى وبينه مناقشات أدبية فى مجال النقد واستمرت عدة شهور وعرفته صحفيا ناجحا عاشت مجلته خمسين عاما واكثر وما علمت ان مجلة يصدرها ويحوطها شخص واحد قد عاشت مثل هذا الوقت ومرت على هذه المجلة ظروف واحوال قاسية ولكنه صبر وثابر وتحمل وأنفق فى سبيل حياة هذه المجلة، أعطى المجلة من جهده ومن وقته ومن ماله ومن جاهه الشيء الكثير وعرفته باحثا اثريا أعطى هذا المجال ما يمكنه أن يعطيه باحث وحقق ودقق وبحث واستنبط وأعطى لهذه البلاد الشيء الكثير والكبير فى كتبه ومقالاته وبحوثه ومحاضراته، فكان وجها من وجوه هذه البلاد فى هذه الناحية وعلما من اعلامها، وعرفته




محمد رضا نصر الله — عبد المجيد شبكشي — عبد العزيز الرفاعي

الانصاري: إصرار وتحد

■ يظهر جلياً الدور المباشر الذى مارسه الانصارى فى حياتنا الادبية فى مجلته المنهل التى كانت أول مجلة أدبية فى بلادنا، واستطاع ان ينقذها فى كثير من الاحيان من الموت المحقق بجهده الذاتى وعرقه وما يجنيه من ريع يعود عليه من تسويق كتبه، ولازلت احتفظ بمكتبتى ببعض اعداد المنهل القديمة التى اتصلت من خلالها بالنشاط الثقافى والأدبى الذى كان يضج آنذاك مستوعبة كثيرا من الاسماء ومحتضنة العديد من المواهب، بل إن الرجل احتفى ببعض الأدباء العرب، ولشد ما هالنى حينما زرت الجزائر والتقيت بأدبائها وشعرائها ان يذكروا لى احمد رضا حوحو القاص الجزائرى المعروف الذى اختط ريادة فنية فى الأدب الجزائرى وكان هذا الرجل يمارس نفيا اختياريا فى الحجاز ابان احتدام الاستعمار الفرنسى فى الجزائر ونشر فى المنهل معظم ما كتبه ومنها قصة شهيرة اسمها «غادة» التى نشرها على حلقات فى مجلة المنهل.

ولقد استطاع أن يقدم بعض الأعداد التاريخية ومنها العدد التوثيقى الخاص بالادباء السعوديين وكان أملا يقترب من الببلوغرافية التى لم يكن يهتم بها احد فى ذلك الوقت اضافة الى هذا فان اصراره على الاستمرار فى اصدار مجلته المنهل كان قائماً على اعتبار أخلاقى وأبوى فالرجل كان يحاول استقطاب أية موهبة ولا أخفيك فإننى قبل ما يقرب من اربعة عشر عاما أرسلت للرجل مقالا عن جبران مرفقاً بصورتى لأجدها منشورة بعد ارسالها بمدة قصيرة محققة لى أول رغبة فى النشر، بل ان اسمى كان مسبوقا بكلمة الاستاذ.

وقد اثر ذلك فى نفسى كثيرا ومنذ ذلك اليوم تحمست للقراءة والكتابة والنشر.

«محمد رضا نصر الله»

الانصارى طود شامخ فى تاريخنا الحديث

عرفت عبد القدوس الانصارى منذ ثلاثين عاما عندما كنت اجمع مادة لرسالة ما جستير عن الشعر الحجازى ولو كان كل الذين قابلتهم يومذاك من اجل هذا الغرض يتمتعون بأخلاق عبد القدوس او الغزاوى رحمهما الله ـ أو محمد سعيد العامودى ـ لما قررت العدول عن ذلك المشروع.

تجلس الى عبد القدوس فتحس منه الرغبة الكاملة فى أن يعطيك ما عنده بأسلوب السلف الصالح من العلماء دون ادعاء او مباهاة او تجمل بما لم يكن ولا يضن عليك بما يملكه من مخطوطات او مطبوعات نادرة او معلومات يشح غيره بالافصاح عنها.

إن من الصفات التى تحبب عبد القدوس الى الباحثين كونه صادق اللهجة، عفيف اللسان جم التواضع شديد الاخلاص للعلم، الى جانب ما وجدناه من كرمه فى منزله وحفاوته البالغة بزواره.

وعبد القدوس بالنسبة الى هذه البلاد طود شامخ فى تاريخنا الثقافى الحديث.

ولم تكن مجلة المنهل ـ على انتشار نفعها ـ اعظم انجازات الرجل، بل إن تأثيره الشخصى على المحيطين به كان اكبر من ذلك فقد خلق الراحل معلما بطبعه فجعل من نفسه قدوة حسنة فى المحيط الأدبى من حوله.

«د. عبد الله بن ناصر الوهيبى»

هذا الرجل الفذ

فى آخر اتصال هاتفي لى معه، وكنت يومذاك فى الرياض، وكان هو فى أحد مستشفيات جدة.. يقضي أيامه الأخيرة، كان صوته مجهدا، أنهكه المرض.. كان متأثرا بمهاتفتي جدا.. وأحسست أن هذا العلم البارز يقضي ساعاته الأخيرة.. وأدركت أننا ـ أعني أبناء هذا الوطن ـ نوشك أن نفقد شخصية أدبية مميزة، لا تعوض.

لعل أول ما قرأت له تصويباته اللغوية التى كان ينشرها فى (البلاد السعودية) وقد فرح غروري، وأنا في مطلع صحبة القلم، أن أجد ذات مرة ثغرة في تصويباته تحتاج إلى تصويب.. ثم تعرفت على الرجل شخصيا، لعل

المنهل

المجلة السعودية الوحيدة التي صدرت بموجب حجة شرعية

وفيما يلي صورة فوتوغرافية من تلك الحجة التي صدرت من المحكمة المستعجلة الشرعية بالمدينة المنورة، متضمنة صدور الإذن الرسمي لصاحب المجلة بإصدارها.

١٦٦٩

ذلك كان في مجلس الشيخ عبد الله عبد الغني خياط، الامام والمربي والمقرىء الشهير - كتب الله له الشفاء، وأطال بقاءه - فقد كنت جاره وكنت أتردد على مجلسه الذي كان يحفل بكبار الرجال، وكبار الأدباء، منهم الأستاذ عبد القدوس الأنصاري، ثم زرت ندوته في مقر المجلة في باب العمرة. . وكان الرجل حفيا بي، كريماً عطوفا، لم يفاتحني قط في ذلك النقد الذي أقدم عليه غروري.

ثم خطا الرجل النبيل خطوة جديدة، في سبيل توثيق عُرى صداقتنا، حينما رشحني لمنصب أحسن به من وضعي المادي والاجتماعي، ونجح ترشيحه، ثم شاء الله بعد ذلك أن نلتقي زملاء في ديوان النيابة، عرفته فيها عن كثب، فوقفت على آرائه، وعلى جانب من نشاطه الأدبي، والتقيت معه حينا واختلفت معه حينا، ولكنه ظل في جميع حالاته رجلا نبيلا.

كنت أرقبه احيانا، وهو يكتب شيئا من مقالاته، كان يتدفق في كتاباته كالسيل. . لا يتريث. . ولا يتوقف. . كأنما كانت أفكاره حبيسة قمقم، لا تكاد ترى القلم حتى تنطلق متوالية متتابعة، وقلما يعيد النظر فيما يكتب.

كان يكتب بخط كبير. . يميل الى الوضوح، تحسبه من خطوط كبار مؤلفينا القدامى لا نكاد نستشكل من حروفه شيئا. . ذهنه حاضر. . حتى في تلك التهويمات التي كان يخيل لأصدقائه، أنها سنة من النوم. . كأنما هي مجرد استراحة جسم مكدود، يستحوذ عليه السهر من أجل العلم والأدب والمراجعة.

تنوعت كتاباته وموضوعاته، كتب في القصة وكتب في الشعر، وله في كل منها أثر. . ولكنه أدرك أنهما ليسا من مجاله فصرف قلمه عنهما. . وأجاد في اللغة والتاريخ، والبحوث الأدبية. . وقدم أفكاراً رائدة. . وكان صاحب اوليات. . رأى أن يسجلها لنفسه كلما واتته الفرصة، لئلا يظلمه التاريخ.

أبرز أولياته وأهمها. . هذه المجلة العتيدة (المنهل) التي أصدرها في ظرف صعب لا يساعد على إصدارها، ولكن همته تغلبت على العقبات جميعها. . ووقفت المجلة، وقاومت، ومضت في طريقها. . صامدة، وتطورت مع الزمن، ولم يأل صاحبها جهدا. . في تطويرها وتحسينها، حتى كانت معلما من معالم هذه البلاد. . وسجلا باهرا لتاريخها الأدبي.

كان عطاؤه الأدبي والفكري غزيرا، لم يقف عند حدود مجلته. . ولا ما كان يزود به الصحف من ثمار قلمه. . بل أصدر عددا من الكتب المهمة في الأدب والتاريخ واللغة، والآثار. فقد كانت له بالآثار عناية. . وكثيرا ما كان يتجشم عناء الرحلات في سبيل تحقيق المعالم والآثار.

من الصعب في هذه العجالة أن ألمَّ بكل مميزات هذا الرجل الفذ، ولا أن اتحدث عن جميع تطلعاته الطموحة، ولكن من المهم أن اذكر، أنه كان في دينه وخلقه، صاحب نهج قويم لا يحيد عنه. . وهو فيهما صاحب موقف صلب. . لا هوادة فيه. . وقد خلع هذه الصلابة على المجلة. . التي كانت لا تفسح المجال إلا لما يتفق وذلك النهج. . وإن لم يحل هذا بينها وبين أن تفسح صدرها لأدب القصة المؤلفة، والقصة المترجمة، والفنون من الشعر والنثر. . في حدود ملتزمة.

في النفس حديث مستفيض عن الاستاذ الصديق عبد القدوس الانصاري الذي استحكمت عرى الصداقة معه في سنواته الأخيرة يضيق عنه هذا المجال المحدود.

«عبد العزيز الرفاعي»
الاندلس ٨/ ٤/ ١٤١٢هـ

عبد القدوس الانصارى فى ذمة الله

إن مجلة ـ المنهل ـ التى ظل رحمه الله يوالى اصدارها حوالى نصف قرن معلم من المعالم البارزة فى حياتنا الأدبية بما سجلته من المراحل التى مرت بها هذه الحياة منذ نشأتها الاولى فى بداية هذا العهد كما ستظل ـ المنهل ـ عنوانا على كفاحه الدائب من اجل الكلمة ودليلا على جهده الدءوب فى سبيلها بل وشاهدا على عصره، فقد كان يضحى بالجهد الكبير والمال الوفير لتستمر فى الصدور ايمانا منه بالدور الذى تضطلع به فى مسيرتنا الثقافية وضمانا لامتداد معطياتها فى مواكبة المسيرة ودعمها.

وأشهد بان طموحاته بالنسبة للمنهل لم تقف عند الحد الذى انتهت اليه وانما كان يفكر فى تطويرها فرسم لها من الخطط واعد من البرامج ما كان ينوى تنفيذه لو لم يقعده المرض الذى اعتراه منذ اشهر عما كان يفكر فيه ويتطلع اليه.

وإن كان الادب قد خسر بوفاة أستاذنا الانصارى علما بارزا ورائدا كبيرا ممن كان لهم اوفر فضل فى خدمته بما شاركوا به من عطاء وما ساهموا فيه من إنماء سواء بما الفه من كتب وألقاه من محاضرات وشارك فيه من ندوات وعقده من لقاءات.

ومما يذكر له ـ ما قاله الدكتور عبد الرحمن الانصارى فى سياق استعراضه للحياة الحافلة التى عاشها فقيدنا الكبير ـ أنه بدأ حياته العلمية بكتابه عن آثار المدينة المنورة وشاء الله تعالى أن يكون آخر كتاب له عن الكعبة المشرفة.

«عبد المجيد شبكشى»

الانصارى فى عيون المعاصرين

عبد القدوس الأنصارى علم النهضة الفكرية..

عبد القدوس الانصارى، كان ولا يزال موضع الكثير من الدراسات والبحوث، باعتباره أحد اعلام الفكر والثقافة والمعرفة، وباعتبار مجلته المنهل التى تعتبر أحد المصادر الاساسية للمراحل التاريخية والثقافية والفكرية التى مرت بها المملكة العربية السعودية.. ولهذه الجوانب وغيرها قامت (دار معد) فى سوريا بهذه الدراسة عن الراحل الاستاذ عبد القدوس الانصاري.. ويسعدنا تقديمها فى هذا الملف.

(التحرير)

شمس الدين الحاج يوسف

رئيس هيئة تحرير دار معد (سورية)

كثيرون نسبيا هم أولئك الكتاب والمبدعون الذين لمعت أسماؤهم فى سماء النهضة الفكرية والثقافية التي عاش العالم العربي والاسلامي ارهاصاتها ومخاضها مع بداية القرن الحالي، لكنهم قلائل جدا أولئك الذين يمكن اعتبارهم رواد تلك النهضة وصانعيها الحقيقيين.

عبد القدوس الانصارى

وعندما تجري محاولة تحديد هوية هؤلاء الرواد لا شك أن اسم الاستاذ عبد القدوس الانصارى سيبرز فى مقدمة أولئك الرجال الذين خاضوا معركة النهوض بالأمة العربية والاسلامية وكرسوا حياتهم من اجل قضية هذه النهضة.

وحسب الأستاذ الأنصارى في هذا المجال أنه كان صاحب أول مجلة ثقافية، فكرية، تصدر في بلاد الحجاز ويتتلمذ فيها، وعلى يدي صاحبها، جيل كامل من الادباء والشعراء والمفكرين الذين حملوا على كواهلهم أعباء النهضة الثقافية والفكرية في الجزيرة العربية.

لكن الانصارى لم يكن صاحب هذه المدرسة الفكرية التى مثلتها مجلة «المنهل» وحسب، بل كان هو نفسه عالما ومفكرا موسوعيا تعددت مجالات ابداعاته لتشمل ميادين متنوعة في التاريخ والآثار واللغة وفنون الأدب على تلاوينها من شعر ونقد ورواية قصصية.

وقبل ذلك كله تبقى مأثرة الانصاري الكبيرة أنه خاض

...ـــاريـــب ..
في الجزيرة العربية

معركة النهوض الثقافى والفكرى فى المملكة فى وقت لم تكن فيه من الاصدارات الثقافية فى المملكة ما يتخذه انموذجاً يتكيء عليه ومن هنا كانت ريادته.

وحين نحاول اليوم تسليط بعض الاضواء على جانب جديد من شخصية الاستاذ الانصارى وهو الجانب الذي يكشف عن ارتباط مواقفه وكتاباته بقضية النهضة في العالمين العربى والاسلامي، نجد لزاما علينا أن نعترف منذ البداية بأن مثل هذه العجالة لن تكون قادرة على الاحاطة بجميع أوجه الدور البارز الذي أداه الأنصارى في هذا المجال، وحسب هذه المقالة أن تثير قضية لأبحاث لاحقة يتوفر لها أفضل مما توفر لنا من مصادر وامكانات.

طريــق النبــوغ:

نشأ الاستاذ عبد القدوس الانصارى في المدينة المنورة حيث رأى النور سنة ١٣٢٤هـ وتربى يتيما فقد أبويه معا ولما يبلغ السابعة من عمره. ولكن الله هيأ له عالما فاضلا هو خال أبيه الشيخ محمد الطيب الانصارى الذي كان من وجوه العلماء بالمدينة المنورة وله رياسة علمية بمدرسة العلوم الشرعية التى أنشأها السيد احمد الفيض أبادي. وقد خصه ذلك الخال الكريم برعايته واهتمامه ومحبته، وعمل على أن يلتحق الناشيء بالمدرسة بعد أن مهد له بدراسة ابتدائية تشمل متون النحو والفقه وشذورا من قضايا البيان والبديع والتفسير والحديث.

واستمر الانصارى الفتى محبا للمعرفة متعطشا للثقافة فكان لا يبتسم لشيء قدر ما يبتسم للدرس والكتاب وما يستتبعانه من حفظ ومطالعة وتكرار وكأن عزلته قد فتحت له آفاق الدأب في تحصيل العلوم فأكب على دراسته إكباب من ينشد امتلاك ناصية العلم لا من يرتقب مجرد النجاح. وكان الامتحان الشفوي في أثناء تحصيله هاما يحضره الجمهور وكأنه مناقشة رسالة علمية فازدحمت المدرسة بالزائرين وفي مقدمتهم رئيس ديوان الامارة الذي لمس من إجابة الطالب ما كان موضوع تقديره واهتمامه فعينه في إدارة الامارة بالمدينة المنورة، ولم يكن قد سعى لذلك فسر به، وتنامت أحلامه الطامحة منذ باكورة صباه ولم يلبث أن التحق بمدرسة العلوم الشرعية.

ازداد جد الانصاري الفتى وتضاعف اقباله على التحصيل ووصل ليله بنهاره معرضا عن ألوان اللهو والمتع التي كانت تستهوي أقرانه الآخرين.

شعر مدير المدرسة الشرعية بما يحمله قلب طالبه من حرص واجتهاد فما قصر في اغداق المساعدات عليه وصار يعهد اليه فوق ذلك ببعض المهام زيادة في نشاطه ورفعا لمستواه الفكري في ميدان الأعمال الادارية والاجتماعية. وقد اهلته تلك التجربة مع ما كان يعبه من كتب ومجلات مختلفة وفي علوم شتى، الى التنقل بين عدد من الوظائف المهمة.

فبعد عمله في ديوان امارة المدينة المنورة تسلم رئاسة التحرير في صحيفة أم القرى بمكة المكرمة، كذلك عمل في ديوان سمو الأمير ولي العهد ثم في إدارات المالية والمشاريع والأنظمة.

وهو في كل هذه الأعمال لم يغب عنه لحظة أنه صاحب رسالة وقد حبب الى نفسه أن يكون أستاذا في المدرسة التي تعلم فيها وفاء لها فأعطاها من ثقافته وعلمه الكثير فكانت استاذيته تلك بالفعل مبعث نهضة كبرى بالمدينة المنورة لأنه استطاع أن يقوم على اعداد جيل قامت على كاهله النهضة الفكرية في البلاد.

هاجس الأصالـة:

لا شك أن العمل في مجال التدريس قد أعطى للاستاذ الانصاري فرصة نشر افكاره بين الطلبة الذين وجدوا فيه معلما جليلا وأبا موجها يغذي عقولهم ويصقلها ويرشد سلوكهم ويقومه، ومع ذلك فقد ظلت طموحات الاستاذ الانصاري اوسع من أن تحصر نفسها ضمن اطار واحد حتى ولو عظم شأنه.، وظل هاجس ايصال الافكار التي تلتمع داخل العقل والقلب الى المثقفين المهتمين بقضية النهوض بالأمة العربية والاسلامية، مستبدا بمجامع الاستاذ الانصاري ومسيطرا عليه، وهنا كان القلم البارع

والمتميز الذي وهبه الله للأستاذ الانصاري بمثابة السفينة التي حملت افكاره ونشرتها بين الملأ من المثقفين في الداخل وأوصلت أصداءها الى مختلف أنحاء بلاد العرب والمسلمين.

وكـان كتـاب «اصـلاحات في لغة الكتابة والأدب» باكورة سلسلة طويلة من الكتب التي احتوت عصارة فكر الاستـاذ الانصـارى وعكست على مرآتها ملامح الرسالة الثقافية التى نذر نفسه لها.

والـواقع أن الكتاب الذي جمع فيه الانصاري نتائج المـلاحـظات التى رصـدها من تتبعه للاساليب المعوجة والاخـطاء اللغـوية التي كانت تظهر فى بعض الصحف والكتب، وتحقيقاته وتصويباته لهذه الاخطاء لم يكشف هذا الكتـاب عن السليقـة اللغـوية النـادرة والبصيرة الادبية النـافذة اللتين امتلكهما الاستاذ الانصاري وحسب، بل لابـد من النظر الى هذا الكتاب على أنه دعوة من أجل التمسـك الـدقيق والصحيح بقواعد اللغة العربية نحوا وأسلوبـا، وهي الدعوة التى تتضح أبعادها وآفاقها حين نلمح فيها صدى المعركة الثقافية التى كانت تدور آنذاك في أنحـاء متعددة من الوطن العربى (وفي مصر خاصة) والتي كان الأنصارى مطلعا عليها ومتتبعا لتفاصيلها، بين أنصـار التمسـك باللغـة العربية وقواعدها على أنها لغة القرآن وحصن وحدة الأمة العربية وبين بعض الأصوات التي كانت تدعو الى التحلل من الالتزام بقواعد اللغة والتي تحولت عنـد بعضهـم الى دعوات تطالب بالاستغناء عن الحرف العربي نفسه في الكتابة.

ويمكن استشفـاف طيـف قضية الاصرار على اصالة الأمة والتمسك بتراثها في كل ما كتبه الاستاذ الانصارى تقريبا من كتب ومقالات ومؤلفات. وتنم عناوين الكتب البـارزة التى خلفهـا الاستـاذ الانصـارى فى مجال اللغة والأدب عن هذا الاهتمام بشكل لا يمكن ان تخطئه عين القـارىء المـدقق. ومن هذه الكتب السفـر الذي أسماه **«رحلة في كتاب من التراث»** وكتاب آخر بعنوان **«الملك عبد العزيز فى مرآة الشعر»** وثالث بعنوان **«التحقيقات المعدة بحتمية ضم جيم جُدة»**.

إلا أن مما لا شك فيه أن المكان الذي يظهر فيه موقف الاستاذ الانصاري من هذه القضية وحماسه في الدفاع عن أصالة الأمة وقيمها ومبادئها بأكثر ما يمكن من الوضوح والشـفـافية هو رواية «التـوأمـان» التى صدرت عام (١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م) عن مطبعة الترقي بدمشق لتكون بذلك أول رواية سعودية ولتعلن بداية هذا الفن الأدبى في الثقـافة السعودية الحديثة. وقد عرضت الرواية بأسلوب تعليمي تهذيبى مشكلة الصراع الـذي تعيشـه الـذات العـربية والاسـلامية في مواجهـة الغرب المدجج بعلومه وثقافته المتفوقة. وبحكم تجربته الطويلة والغنية فى مجال التـدريس اختـار الاستـاذ الانصـاري أن يجعـل الاطار الـدرامي لروايتـه على شكـل صراع بين التعليم الوطني والتعليم الأجنبي ممثلين في شخصيتي «رشيد» و«فريد» اذ لا يخفي هنا، حسب ملاحظة بعض النقاد، ما يحمله كل من هذين الاسمـين من ايحـاء، مع الاشـارة الى أن الانصاري لا يختزل القضية الى قضية «صواب» في مقابل «خـطأ» بل يجعل منها دعوة الى «الرشد والتفرد» اللذين يقومان على ادراك عميق لطبيعة العصر ولمقومات الذات وأبعادها ومسؤولياتها.

صورة تذكارية ١٤٠١هـ. من اليمين: محمود عارف - عبد القدوس الأنصاري - هاشم زواوي - علي حافظ - عثمان حافظ.

جامعة الملك سعود بالرياض والتي اعتبرها «خطوة جبارة» منبها الى أن «للتعليم الجامعي مزاياه الحميدة التي تنقل التفكير الفردي والجماعي الى ميادين واسعة من البحث المنتج والريادة والانتاج المثمر تنظيما واختراعا وابتكاراً».

فى رحاب التاريخ:

لم تكن قضية الدفاع عن أصالة الأمة عند الأستاذ الانصاري مجرد مسألة تنظيرية يعلن الموقف منها بطرف اللسان أو القلم، بل كانت أقرب الى العشق الحقيقي الذي يمكن استشفاف صدقه العميق من خلال آثاره العفوية التي تظهر في نسيج التكوين الثقافي للأنصاري كما تعبر عنه الآثار المكتوبة التي خلفها لنا. فعند استعراض قائمة تلك الآثار المكتوبة لابد للقارىء أن يلاحظ ذلك الاهتمام الكبير الذي اولاه الأنصاري وتحول عنده الى درجة الشغف بقضايا التاريخ والآثار حيث تطالعنا صورة الماضي التليد لعظمة الأمة وعراقتها. ونرى ذلك جليا في كتاب الآثار الذي خصصه الأنصاري للحديث عن آثار المدينة المنورة من الدور والقصور والحصون والمساجد والبلاطات والأمكنة المشهورة والجبال والحرار والأودية والآبار والعيون.. وكل ما تقع عليه العين من آثار مدينة رسول الله ﴿ﷺ﴾، حسب ما جاء في التعليق الذي نشرته في حينه مجلة الأزهر المصرية حول الكتاب بقلم المشرف على تحرير المجلة الأستاذ محمد فريد وجدي الذي وصف هذا الكتاب بأنه «كتاب نفيس» يحتوي على «كل الأشياء التى يهم زائر المدينة المنورة ان يعرفها ويعرف تاريخها».

ويتميز هذا الكتاب بأنه لم يكتف بما جاء من كتب التراث والرحلات حول آثار المدينة المنورة من معلومات وأقوال وجد فيها اختلافا يصل الى حد التناقض، بل جعل من نفسه الدارس الميدانى الأول الذي يقدم عن آثار المدينة تحقيقا ميدانيا يصحح ما وقع فيه بعض أصحاب المؤلفات التجميعية من أخطاء.

وقد تابع الأنصارى نهجه هذا في كتب عديدة أخرى منها كتاب «تحقيق امكنة بالحجاز وتهامة» أما في مجال التاريخ فقد خلف الأنصاري عددا كبيرا من الكتب



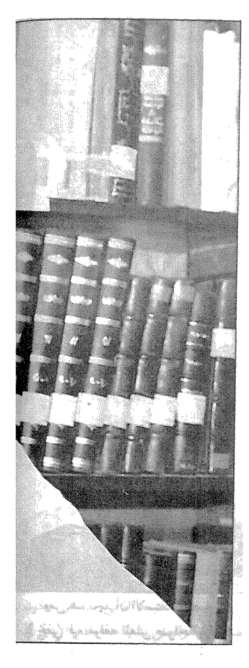
ومن هنا نجد أن الاستاذ الانصاري وفي الوقت الذي لا يخفي فيه موقفه المعلن صراحة (والمستبطن في الرواية) والذي يؤكد انحيازه الى جانب المدارس الوطنية «لسلامة نتائجها وحسن عواقبها» نجده حريصا على أن لا يغلق المنافذ أمام العلوم النافعة والصالحة التي يمكن أن نستفيد فيها من الغرب، والتي يهيب بنا الأستاذ الأنصاري أن «نسعى سعيا حثيثا لاقتناصها». وهكذا اذن يدعونا الأستاذ الأنصاري الى التمسك بأصالة الأمة دون انغلاق أو تشدد قد يمنعان العرب والمسلمين من الأخذ بسبل النهوض والالتحاق بركب العصر الحديث، والى الاستفادة من حضارة الغرب وعلومه دون أن يؤدي ذلك الى التخلي عن قيمنا ومبادئنا الأصيلة. ولعل في هذا الموقف المتوازن في دفاعه عن الأصالة ودعوته للأخذ بأسباب المعاصرة الحقيقية التي لا تتعلق بالقشور وتترك الجواهر ما يفسر الحماسة التي استقبل بها الأستاذ الأنصاري خطوة انشاء

الأصيلة التي تحفظ اسم صاحبها في سجل الكبار من المؤلفين في هذا الميدان ومن بينها موسوعته عن «تاريخ مدينة جدة» وكتاب «بنو سليم» الذى استعرض فيه قصة امتداد الاسلام من الجزيرة العربية الى مختلف اصقاع الأرض وكتاب «بين التاريخ والآثار» الذي ربط فيه بين مادتي التاريخ والآثار ووظف هذا الربط في ابراز واقع الاسهام الكبير الذي قامت به حضارة العرب فى مرحلتى الجاهلية والاسلام حيال الحضارة الانسانية الشاملة.

وقد اعتمد الأنصارى في هذا الكتاب على جملة مراجع فى مقدمتها القرآن الكريم وكتب التفسير ثم كتب بعض المؤرخين والجغرافيين الغربيين القدامى والمحدثين وكتب المؤرخين والجغرافيين والرحالين العرب والمسلمين كالهمذانى والأصطخري وياقوت الحموي وابن جبير وابن بطوطة. واستند أيضا الى بعض المصادر اللغوية التى أفادته في تدقيق الوثائق التاريخية التي اعتمدها والتي نشر عددا كبيرا منها في ذيل الكتاب ومن بينها بعض النقوش التى اكتشفها بنفسه وحل رموزها وكشف أسرارها.

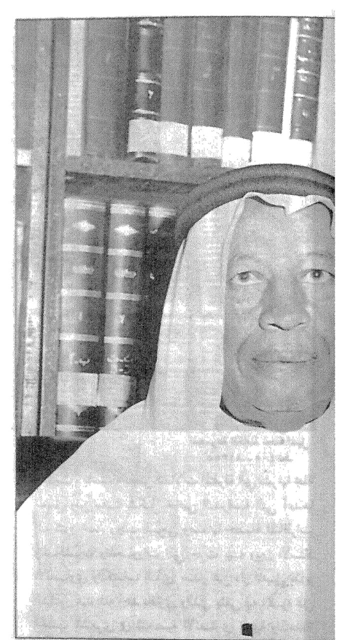
منهل للفكر والثقافة:

إلى جانب هذه الآثار الكتابية الغزيرة والمتميزة التي تركها لنا في مجالات اللغة والأدب والتاريخ والآثار، يبقى الانجاز الكبير الذي حققه الأنصارى في ميدان الفكر والثقافة هو تأسيسه لمجلة «المنهل» التى شكلت منعطفا حقيقيا في مسيرة الفكر والثقافة في المملكة. ولتقدير أهمية هذا الإنجاز الذي حققه الانصاري لابد من الاشارة الى أن النهضة الأدبية في الحجاز تأخرت زمنيا بشكل ملحوظ اذا ما قورنت بما حدث فى مصر وبلاد الشام. وبرؤية الناقد المتبصر يصف الأنصاري الحالة الأدبية التي كانت سائدة في الحجاز في اوائل القرن بالقول: «كانت الحياة الأدبية عندنا فيها قبل الحرب العامة (الحرب العالمية الأولى) تجري على سنن أدباء القرون الوسطى جريا تقليديا محضنا». ولا يفوت الأنصارى هنا أن يشير الى الأسباب التاريخية البعيدة التى أدت الى تردي الوضع الأدبي في الحجاز ومن بينها «انتقال الفاتحين من هذه الربوع الى أقطار العالم لنشر الهداية.. (مما أدى الى خلو البلاد من كل نشاط دينى أو اجتماعي أو سياسي او عمرانى أو اقتصادي أو أدبي»، فكادت أن ترجع الى


عبد القدوس الانصارى فى مكتبته

المؤخرة ورغم ادراكه لهذه الأسباب التاريخية البعيدة لحالة الركود الفكرى والثقافي التي كانت تسود الحجاز في مطلع القرن يبدو أن الأنصاري، باطلاعه الواسع على واقع النشاط الثقافى في أنحاء العالم العربي والاسلامي الأخرى (مصر بشكل خاص) أدرك ايضا أن أحد أسباب استمرار حالة الركود هذه هو افتقاد الكتاب والمفكرين السعوديين للمنبر الذي يتيح لأفكارهم أن تتحاور فتزداد عمقا وأن تتلاقح فتزهر وتثمر، أفلم تكن ارهاصات النهضة الثقافية والفكرية والأدبية في مصر وبلاد الشام قد بدأت من صفحات الصحف التي انتشرت فيها منذ اواخر القرن الماضى؟.

■ وهكذا انبرى الأنصاري لتحقيق مشروعه الكبير



بتأسيس مجلة «المنهل» التي سرعان ما تحولت الى مدرسة حقيقية تخرج فيها معظم الأدباء والكتاب والمفكرين السعوديين الذين يحتلون اليوم أمكنتهم البارزة في ساحة الفكر والثقافة سواء داخل المملكة نفسها أو في أنحاء مختلفة من العالمين العربي والاسلامي.

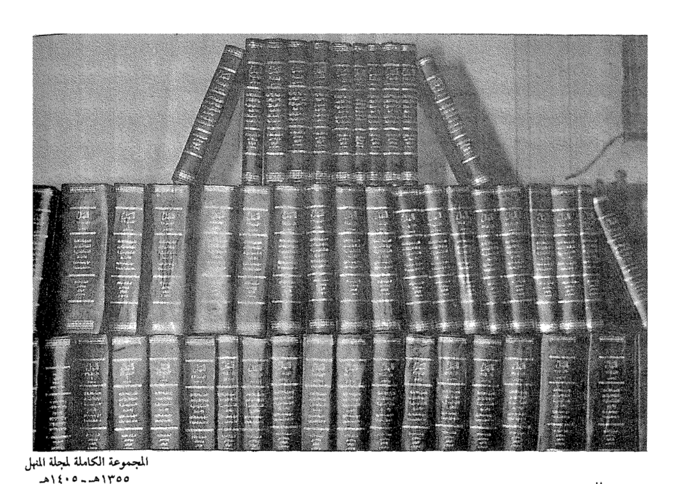
لقد كان ظهور المنهل متنفسا مريحا للصفوة من زملاء الأنصاري وتلاميذه في الجزيرة العربية اذ بعث فيهم من العزيمة ما دفعهم الى الانتاج الجاد وقد أخذ الأستاذ الأنصاري نفسه بخطة معتدلة في تقديم الثمار الفكرية لقرائه فجعل من ديدنه أن يجمع بين الأساتذة والتلاميذ في ساحة المنهل فهو يحتفل بجهود الكبار ويجعلها نمطا للاحتذاء ثم يرعي في الوقت نفسه جهود الناشئة فيقدم من آثارهم بواكير تدفعهم الى مواصلة الجد ليتسلموا الراية بعد أن يستووا على سوقهم، وحسنا فعل، لأنه بذلك حافظ على استمرارية المسار الإبداعي وتواصله.

ومنذ البداية حرص الأنصاري على جعل «المنهل» ساحة معارك لبحوث اجتماعية وثقافية تدور رحاها حول قضايا المرأة والتوجيه التربوي وشؤون التجارة والزراعة ومسائل الأدب والنقد وغيرها من القضايا التى ترتبط بهاجس النهوض بالأمة العربية والاسلامية مع المحافظة على قيمها الأصيلة.

وطبيعي أن يكون لهذه المعارك صدى متجاوب ما بين مؤيد ومعارض وأن يشتد النقد بصورة لا ترضي من يلتمسون جانب العلاج الرقيق ولكن الأنصاري يرى في هذه المعارك بشائر نصر محقق لأن احتكاك العقول يبعث شررا يتقد فيضيء. وقد حدد الأنصاري توجهات المجلة أو ما يمكن تسميته بسياستها العامة حين أكد ضرورة التزامها بنوع محدد من النقد عرفه على النحو التالى:

«إنه النقد البريء النزيه، انه النقد الواعي الذي يقوم على الدراسة والخبرة والمعرفة ونشدان الاصلاح الحقيقي وليس بالنقد المتهافت المغرض اذ ما دخل هذا النوع من النقد على أمة إلا ذاقت منه الأمرين وأوسع الخلاف بين أبناء الدين الواحد والوطن الواحد. ولكن النقد النزيه حافز لتكوين الوعي ولن يتكون الوعي الحقيقي إلا بصراحة الرأي ونزاهة القصد».

ويمثل هذه الرؤية المستنيرة التي عرفت كيف تحافظ على الخط الفاصل بين الجرأة والتهور وبين الالتزام والتشدد، نجح الأنصاري في قيادة دفة «المنهل» وسط الأمواج التي عصفت بالكثيرين من حملة الأقلام في العالمين العربي والاسلامي، وعلى مدى تسعة وأربعين عاما من العمل الدؤوب استطاع الأنصاري أن يجعل من المنهل صرحا شامخا للفكر والثقافة ومنبرا رائدا للمدافعين عن أصالة الثقافة العربية والاسلامية دون تشدد أو انغلاق ودون انبهار ببعض الأضواء الزائفة التى وجد فيها بعضهم بديلا لنور الشمس الساطعة. وهكذا لم يكن غريبا أن المنهل حافظت بعد رحيل الأستاذ عبد القدوس الانصارى على موقعها ومكانتها بين المنابر الصحفية المتميزة في العالمين العربي والاسلامي عامة وفى الجزيرة العربية خاصة، فالكلمة الطيبة مثل الشجرة الطيبة يظل جذرها ثابتا في الأرض وفرعها ممتدا نحو السماء.

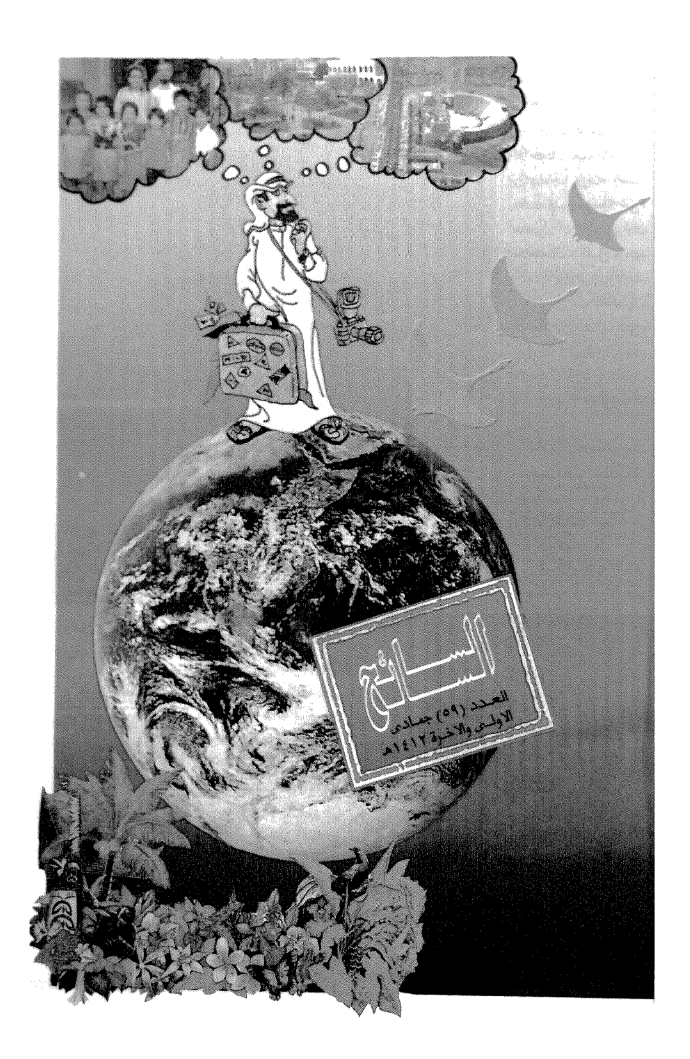


المجموعة الكاملة لمجلة المنهل
١٣٥٥هـ - ١٤٠٥هـ

دعــوة للبحــث:

لقـد حمل الأنصـاري على كاهله عبء مهمة ثقافية مضـاعفة إذ زاوج بين الاسهام في تأسيس نهضة الثقافة العـربية والاسـلامية التى هبت رياحها من مصر وبلاد الشـام، وبين احساسه بضرورة كسر طوق العزلة الذي فرضتـه ظروف تاريخية وجغـرافية وسياسية متنـوعة حول الانتاج الثقافي والفكري في الجزيرة العربية، وحين نعود اليوم الى ما حققـه الأنصارى على هذين الصعيدين فلا شك بأننا سنجد أنفسنا امام ظاهرة فذة ونموذج نادر لتفاني الانسان في خدمة رسالة وهب نفسه لها. ومع ذلك لابد لمثل هذا الاعجاب أن يشوبه شيء من الأسى حين نجد أن صاحب التجربة نفسه كان ضحية للظروف التى عمل طول حياته من أجل تغييرها، وقد نجح الأنصارى بالفعل فى اخراج الثقافة العربية السعودية من عزلتها وفتح امام المثقفـين والمفكرين في الجزيرة العربية أبواب الانتشار في مختلف أرجاء العالم العربي والاسلامي، الا أن من يحاول متابعة ما صدر من دراسات حول تجربة الأنصاري وفكره ومواقفه سيكتشف قدر الغبن الذي لحق بحق هذا العلم البـارز من أعـلام النهضة العربية والاسلامية في العصر الحديث، باستثناء بعض المقالات المتفرقة التي نشرتها مجلة المنهـل ومن بينهـا بشكـل خاص الـدراسـة التى أعدها الـدكتور محمد رجب البيومي وضمنها حصيلة المناظرات والمنـاقشـات والمحـاورات التي جرت بينـه وبين الأستاذ الأنصـاري والكتـاب الـذي صدر عن دار المنهـل بقلم الدكتور عبد الله أحمد باقازي والذي يلقي فيه الضوء على الجانب الشعري في شخصية الأنصاري الغنية والمتعددة الجوانب.

فهـل دفع الأنصاري بذلك ضريبة العزلة التى كان الانتاج الثقافي في الجزيرة العربية يعاني منها في بداية هذا القرن، حين كانت الصحف والمجلات المنتشرة في مصر وبـلاد الشـام ماضية في صنـاعة أسماء من نعدهم اليوم أقـطاب النهضة الثقافية الحديثة في الوطن العربي، ليس القصد هنا هو اجراء مفاضلة بين انتاج الأنصاري وانتاج غيره من أقطاب النهضة، انما هي دعوة للباحثين من اجل انصاف هذا الباحث والأديب الذي نجح في خلق وايجاد ما وجده الآخرون جاهزا فأفادوا منه، وقبل ذلك هي دعوة للتقيد بقواعد الموضوعية والشمول في دراسة ما اصطلحنا على تسميته **«عصر النهضة العربية الحديثة»**. والتي تلح الدعوات الآن من أجل اعادة استكشافه.

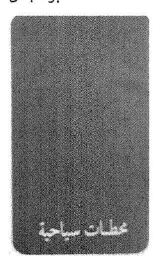

السائح
العدد (٥٩) جمادى
الاولى والآخرة ١٤١٢هـ

● جامع السلطان احمد (الجامع الأزرق)

● منظر عام لجامع قوجة تبة فى تركيا

تركيا: حديقة الجوامع

تعد اسطنبول بحق



مدينة الجوامع .. او لنقل حديقة الجوامع - وذلك لأنها تزخر بأروع فنون العمارة الاسلامية (من جوامع ومتاحف) شيدت خلال فترة الحكم العثمانى.. وقد اسبغت هذه الجوامع والمتاحف على اسطنبول مسحة مميزة من الجمال والتفرد.. كما ان الجوامع بشموخ مآذنها تعد معلماً من معالم اسطنبول الشهيرة.. ومن اشهر هذه الجوامع جامع السلطان احمد (الجامع الازرق) والذى يعد آية من آيات الجمال فى فن المعمار الاسلامى، ولقد استغرق بناؤه سبع سنوات (١٦٠٩-١٦١٦م) على يد المعمارى الشهير (محمد آغا) الذى يعد احد تلامذة المعمارى الفذ سنان.

أسبانيا: أحبوها حتى الهوس

أن يقام مهرجان للاحتفال بعيد الأم فرحة وابتهاجاً ووفاء (لست الحبايب) فهذا شيء معقول أن يقام مهرجان للاحتفال - لنقل - بعيد الأب - وإن لم يجرؤ أحد لتسجيل هذه الفكرة - فهذا ايضا شيء معقول.. ان يقام مهرجان للاحتفال (بـ......) (.......) فكل هذا معقول..

أما أن يقام مهرجان ضخم فخم احتفالا وابتهاجاً ووفاء لـ (الطماطم) فهذا هو الغريب حقاً..!!

فى إحدى المدن الأسبانية (بوتول) وفى



● وغطت الطماطم أجسامهم .. إنه العشق حتى الجنون.

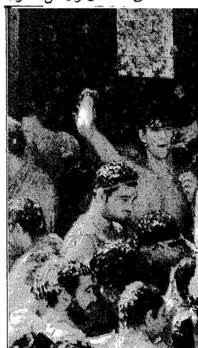
(ميدان الشعب) كانت هناك مهرجانات فخمة.. فيها الرقص والفلكور الشعبي.. امتلأت الشوارع واكتظت بالمحتفين.. و(المحتفى به) هو صاحبة الرهبة وسيدة الأوان السيدة (المجنونة) الطماطم.. لقد عشقوا المجنونة.. والصورة توضح بجلاء قدر هذا العشق.

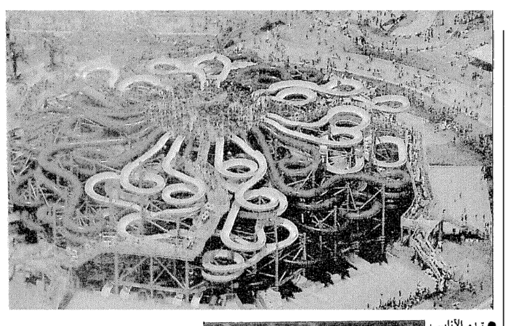
ومن عشق المجنونة هانت عليه ملابسه.

الحب يصنع المعجزات
فرنسا:

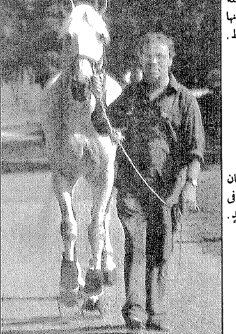
«جاى مورين».. أحب الفرس.. إنها عشرة العمر.. جرت المودة بينهما.. إنه لا يكاد يفارقه صباحاً، حتى يرجع إليه فى المساء وهو يحمل الشوق بين عينيه.. مورين هذا (سائق تاكسى) تلك مهنة أكل العيش (له ولفرسه الجميل)..

وقد أصيب الفرس الجميل فى رجليه مما أعاقه عن الحركة.. عرضه (مورين) على الأطباء المختصين، ولكن صدم عندما سمع منهم (أرحه الى الأبد يامورين).. ترددت الكلمة فى أذنيه كمغارز الابر.. أخذ (وصية الموت الأبدى) التى كتبها المختصون، مزقها وقذف بها فى الهواء.. وذهب يفكر.. (وجدتها.. وجدتها) صاح من أعماقه.. وكانت المفاجأة هذا الجهاز.. أحاط به حوافر الفرس.. وعادت إليه الحياة ثانية.. إنه الحب.. يصنع المعجزات.





● تبدو الأنابيب وهى متصلة ببعضها وكأنها اخطبوط.



● الحصان وصاحبه، فى جولة تحدٍ.

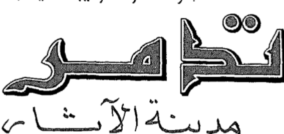
التزحلق فوق الاخطبوط
طوكيو:

فى أكبر جزيرة من صنع الانسان على بعد ٥٠٠ كيلو متر غرب طوكيو، والتى أطلق عليها اسم «كوب» تم تخصيص نحو ٥٠ قناة للتزحلق على سطح الماء، اتساع كل منها متر، جميعها اتخذت شكلا اسطوانياً، اتصلت ببعضها البعض لتبدو فى النهاية على شكل اخطبوط.

أما أطول قناة للتزحلق فيبلغ طولها ١٥١ متراً. واذا ما سلك الفرد الطرق المتصلة، فإنه بذلك يكون قد سلك طريقاً طوله ٦ كيلومترات.

والبحيرة الصناعية المحيطة بالجزيرة فيبلغ طولها ٧٤٠ مترا، وهى تعتبر أطول مجرى مائى صناعى فى العالم. رسم الدخول ١٨ دولارا للشباب و١١ دولاراً لأطفال المدارس.

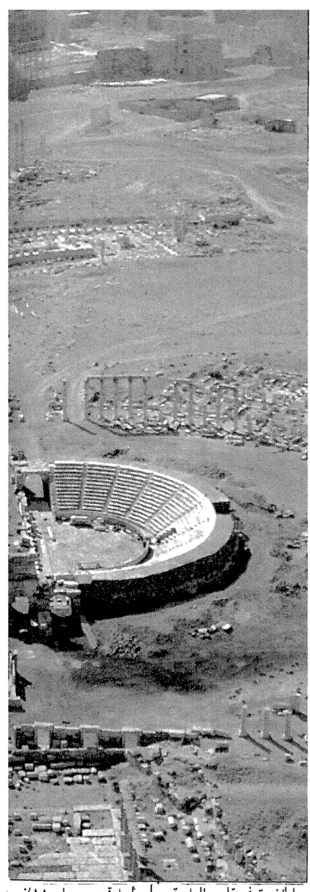
على بعد ١٦٠ كم من مدينة حمص تتربع واحة تدمر الخضراء، التى تحتمي من الشمال والغرب بسلسلة من الجبال أعلاها جبل هيان (٨٥٠م) وجبل المزار (٦٠٠م) وتفتح صدرها إلى الشرق والجنوب نجو الصحراء الرحيبة، تحيط بها



تدمر مدينة الآثار

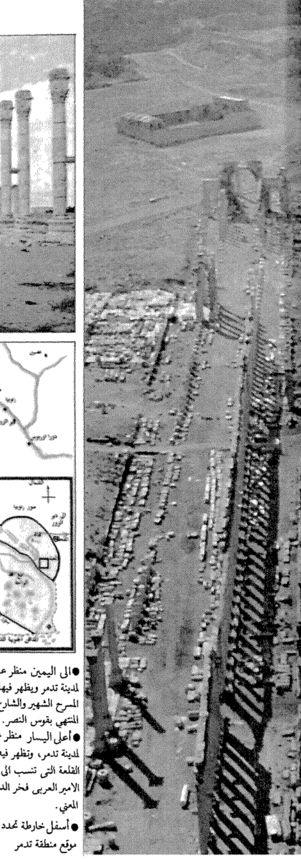
غوطة واسعة من الزيتون والنخيل والرمان (نصف مليون شجرة) ترسم بخطوط عميقة وزاهية أجمل اللوحات وأندرها في العالم، تطوقها كإكليل من الغار يزين جيد الاطلال والاعمدة الذهبية وأبراج الاسوار والمدافن، وتقف قلعة ابن معن محلقة كالنسر يظلل بأجنحته الافق الغربي المورد بحمرة الغروب، موحيًا للقادمين الى المدينة بالمشاعر العميقة الطيبة، وكأنها تتحدث بكل لسان وزمان، وتمنح اللوحة سحرا وجلالا واشراقًا.

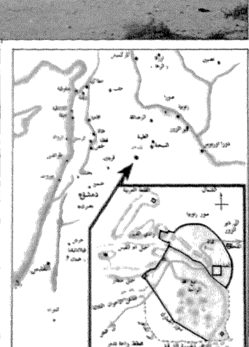
د. عبد الحميد حسن شقير (سوريا - دمشق)



وتعتبر مدينة تدمر مركز منطقة البادية السورية، ترتبط بمدينة حمص ارتباطاً وثيقاً، ويقطن فيها حوالي ٣٠ ألف نسمة، ومعظم سكانها يشتغلون بالزراعة والتجارة. . وفي المدينة عدد من المدارس الابتدائية والاعدادية والثانوية، ومنذ وقت قصير دب فيها نشاط عمراني وزراعي وثقافي ملحوظ، وهي أولا وأخيراً تعد السوق الوحيدة للبدو فى بادية الشام ففيها يبيعون منتوجاتهم الزراعية ويشترون كافة لوازم حياتهم منها.

ويقوم بالقرب من تدمر «نبع أفقا» الذي كان سبب نشوء مدينة تدمر، ولا يزال شريانها الحامل للخير والخضرة فى قلب الواحة، وتمتاز مياهه المعدنية ذات الحرارة الثابتة طوال أيام السنة (٣٠ درجة مئوية) بأنها تحتوي على ١١٪ من الاشعاع الراديوي المنشط لخلايا الكبد والكليتين، والكلور والمغنزيوم





والكبريتات، وهو خال من الجـراثيم والـطفيليات، صالـح للشرب يفيد فى شفـاء الأمـراض الجلدية وحـالات فقـر الـدم، وبعض أمـراض الصـدر كالقصبات والرئة والتهاب الكلى.

● الى اليمين منظر عام لمدينة تدمر ويظهر فيها المسرح الشهير والشارع المنتهي بقوس النصر.

● أعلى اليسار منظر عام لمدينة تدمر، وتظهر فيه القلعة التى تنسب الى الامير العربى فخر الدين المعني.

● أسفل خارطة تحدد موقع منطقة تدمر

تاريخ تدمـر:

من الـصعب وضـع تاريخ محدد لبـداية حياة تدمـر فكـل الظواهر تدل وكـأنها كانت هنـاك منـذ الأزل، إلا أن أول ذكـر لاسم تدمـر ورد فى لوحـة آشـورية من الألف الثاني قبل الميلاد وجدت فى كول تبـه فى الانـاضـول بتركيا وهي عبـارة عن عقـد أو اتفـاق كان احـد طرفيه المتعـاقـدين «بـوزواشتـار التدمري» وفي زمن لاحق يرد فى لوحـة من مدينـة ماري (تل الحريري شرقي الصحـراء السـورية) ذكر أربعة رجال قدموا من تدمر.

واسم مدينـة تدمـر معـروف لدى السـاميين جميعـاً.. ويطلقه العرب عليها حتى اليوم، ولا نجد لها اشتقـاقـاً فى اللغـات السـامية المعـروفة، ولكنها اتخـذت اسمـاً لاتينياً هو «بـالميرا» من «بالما» ومعناه النخيل وهـو شجـر التمر وعـرفت به لدى اليونـان والـرومـان والفرس ومازال معـتـمـداً فى الـلغـات الاجـنـبية. وقـد اشتق الشاعر العربى أبو الطيب المتنبي اسم تدمـر اشتقاقاً بديعياً من الـدمـار. وفي التقـاليد الشعبية التدمرية تدمـر تعـني تطمـر لأنها مطمورة بالرمال، وفي ذلك

بعض الطرفة.

وفى بداية القرن الخامس قبل الميلاد أخضعها الفرس لحكمهم، ثم استولى عليها الاسكندر الكبير المقدوني عندما انساح في الشرق ليؤسس الامبراطورية المقدونية اليونانية، وكانت بعد موته من نصيب دولة السلوقيين التى أسسها «سلوقوس نيكاتور» في سورية ولكنها بقيت بعيدة عن سيطرتها السياسية الكاملة.

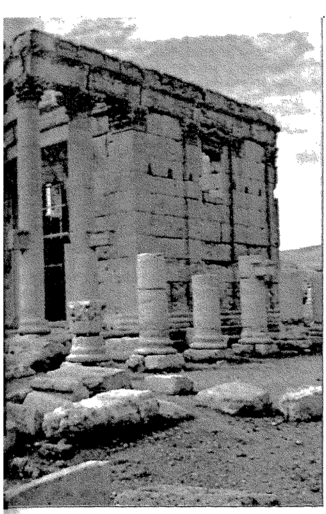
ومنذ بداية القرن الأول قبل الميلاد نرى الدلالة الواضحة لهذه المدينة ذات الأهمية والمركز المرموق لدولة مستقلة قائمة في أعقاب انهيار دولة السلوقيين.. وإبان الحروب الطاحنة في روما.. وإذ بهذه الدولة الفتية - تدمر - تتخذ سياسة التوازن بين أعظم قوتين عظيمتين آنذاك وهما امبراطورية روما وفارس.

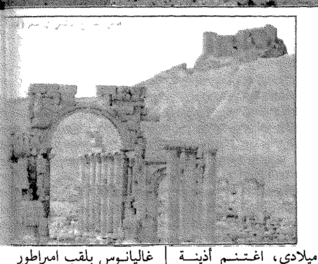
■ ويشير المؤرخ «ابيان» في حوادث ٤١ قبل الميلاد إلى سياسة الاعتدال التى نهجتها دولة تدمر، عندما يقول: «أرسل انطونيو فرسانه الى تدمر بعد عودة كليوباترا بحراً إلى مصر، وأمر بنهب تدمر وضربها، فليس لديه ما يلوم عليه التدمريين غير سياستهم الحكيمة الوسط بين الروم والفرس، فهم تجار يبتاعون من الفرس منتجات الهند وبلاد العرب». ولكن هذه الحملة كانت غير موفقة فقد أخلى أهل تدمر مدينتهم وأسرعوا ليعبروا نهر الفرات بأرزاقهم وأخذوا عبر النهر يصلون فرسان انطونيو بوابل سهامهم الشهيرة.

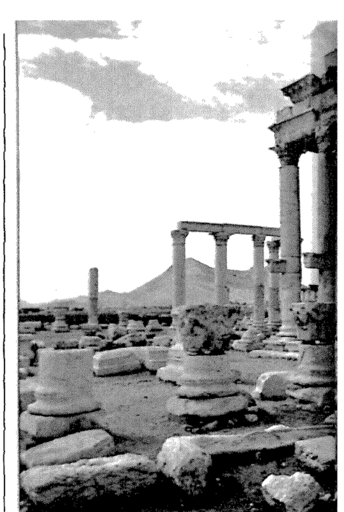
غير أن المؤرخ «بلين الأكبر» يؤكد أن تدمر كانت في عهده - أي في منتصف القرن الأول قبل الميلاد - مستقلة على الرغم من تأثرها الاقتصادى بسيطرة روما على الطرق والموانىء في كل من مصر وسوريا والأناضول.. مما جعلها تقبل بوصاية روما تحت هذا الضغط الاقتصادى.

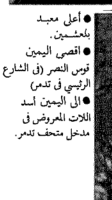
وبقيت تدمر تتمتع بحرية مطلقة أثناء خضوعها العسكرى لروما زمن الامبراطور «ادريان» الذى منحها لقب «المدينة الحرة» وعهد الى التدمريين أنفسهم بالاستقلال بشؤون دولتهم الاقتصادى والمالي وزاد الرخاء في المدينة لدرجة كبيرة. ولكن تاريخها الخالد صنعه الملك أذينة ومن ثم زوجته زنوبيا التى خلفته في الحكم.

وعندما قامت الحرب بين الرومان والفرس وتم انتصار سابور الأول ملك فارس على جيوش روما وأخذه الامبراطور فاليريان أسيراً حوالي عام ٢٦٠ ميلادى، اغتنم أذينة الفرصة وزحف على الفرس في بلادهم يتعقب ملكهم سابور الأول ويحاصره في عاصمته «طاق كسرى» ويخلص امبراطور الرومان من الأسر. ونتيجة لذلك أغدقت روما عليه أسباب الاكرام والتبجيل وأنعم عليه الامبراطور غاليانوس بلقب امبراطور فخري وأقره قائداً على جيوش روما في الشرق بما في ذلك آسيا الصغرى، ولم تمض سنة على هذه الشهرة الرفيعة حتى قتل الملك أذينة مع ولي عهده عام ٢٦٧م، في ظروف غامضة، عندما كانا في زيارة لمدينة حمص بتدبير









● أعلى معبد بلعشمين.
● اقصى اليمين قوس النصر (فى الشارع الرئيسي فى تدمر)
● الى اليمين أسد اللات المعروض فى مدخل متحف تدمر.

من السلطات الرومانية التي خافت من ازدياد نفوذه. وآل الملك من بعده الى زوجته زنوبيا وتعرف بالعربية "الزباء أو زينب فاتبعت سياسة زوجها وأشرفت على شؤون الدولة وصية على العرش، ريثما يبلغ ابنها القاصر وهب اللات سن الرشد واتخذت لنفسها لقب ملكة الشرق وتحدت روما مدة من الزمن ثم عقدت عزمها على توسيع أرجاء ملكها حتى ضمت مصر وقسماً كبيراً من آسيا الصغرى اليها، وأخضعت شوكة الرومان الذين تراجعوا الى أنقرة، وفتح جنودها البواسل مدينة الاسكندرية أهم مدن الامبراطورية الرومانية بعد العاصمة.

عندئذ خشيت روما وإمبراطورها اورليان أن يزحف النفوذ التدمري فيشمل جميع ممتلكات روما، فانطلق لملاقاة زنوبيا وجيش تدمر العظيم.. في معركتين هائلتين.. استطاع ان ينتصر فى الأولى عند مدينة انطاكية وفي الثانية عند حمص، ثم دخل تدمر ظافراً فى عام ٢٧٣م بعد أن دافعت زنوبيا دفاع الأبطال عنها وقد حاولت الإفلات من الجيش الروماني ولكنها لم تنج من الامبراطور فقبض عليها فى مجاهل البادية وساقها أسيرة وأمر أن تُغَل يداها بأطواق من الذهب وتسير أمام مركبته عند دخول موكبه الظافر إلى روما، وبلغه وهو في طريقه الى روما خبر نشوب الثورة فى تدمر فعاد أدراجه وأمعن فى أسوارها هدماً وتخريباً ودك معظم معالمها وقضى عليها ثم نقل نفائس هيكل الشمس البديع (معبد بعلشمين) إلى الهيكل الجديد الذى شاده فى روما تكريماً لإله الشمس الشرقي وتخليداً لذكرى انتصاراته الكبرى.. وبذلك تنتهي أروع أمجاد دولة تدمر على مر تاريخها الطويل.

تدمر فى الجاهلية والاسلام

لم يعرف العرب قبل الاسلام مدينة تدمر، سوى واحة صغيرة ارتفعت فيها بعض اشجار النخيل وأشجار الزيتون، ومدينة تجارية لها المكانة الهامة على طريق القوافل التجارية.

واثناء الفتوحات الاسلامية، مر بها القائد العربى خالد بن الوليد اثناء عبوره من العراق فى طريقه إلى اليرموك فحاصرها.. ولما استعصت عليه واستعجله الرحيل قال لأهلها: «يا أهل تدمر، والله لو كنتم في السحاب لاستنزلناكم، ولنصرنا الله عليكم».

وأما فى العهد الأموي، فمن المرجح أنها نالت أهمية كبيرة نظراً لتوسطها بين قصري الخليفة هشام بن عبد الملك ـ الحير الشرقي والحير الغربي. وقتل بالقرب منها الخليفة الأموي الوليد الثاني، وذلك سنة ١٢٦هـ.

وفى سنة ١٢٧هـ ثار أهلها على الخليفة مروان

بن محمد، آخر خلفاء بني أمية، فقصد مروان اليها، وحاصرها، ثم دخل اليها فخرب سورها البيزنطي المنسوب الى الامبراطور جوستنيان وقتل أهلها. ولعل إلى هذا النصر - الذي حققه الخليفة مروان وفرسان بنى قيس الذين ساندوه في حملته على تدمر - يشير الشاعر بشار بن برد عندما يفتخر:

وقد كانت بتدمر خيل قيس

فكان لتدمر فيها دمار

■ وأهملت تدمر في عهد العباسيين، كما أهملت الشام كلها بسبب انتقال مركز الخلافة الى بغداد.

■ أما في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي فقد أصبحت مدينة تدمر تحت سيطرة أمراء حمص، وتحول معبد بل الى حصن في عهد الأمير يوسف بن فيروز سنة ١٢٧١م، وأعاد ناصر الدين محمد بن شيركوه بناء الجدار الجنوبى لسور معبد (بل) الخارجى وبقيت تدمر بيد آل شيركوه حتى عهد المماليك، فانتقلت مع حمص الى حكم الملك الظاهر بيبرس فى القرن الثالث عشر.

وبعد أن لف الاهمال مدينة تدمر اثر غزوة تيمورلنك لبلاد الشام، ضاعت أخبار هذه المدينة العريقة إلى أن تطرقت للرحلات الاستكشافية.

لكن منذ عهد الاستقلال فى سورية أصبح لمدينة تدمر اهتماماً بالغاً، ورصدت لها الأموال الكثيرة استكمالا لكشف وترميم بعض الآثار والمحافظة عليها، ولا سيما فقد أصبحت تدمر من أهم مدن العالم الأثرية جلباً للسياح يزورونها للاطلاع على آثارها الضخمة وحضارتها العريقة.

حضارة تدمر وآثارها:

حضارة تدمر عربية والتدمريون عرب خلص ويثبت ذلك أسماؤهم العربية كما ان اللغة التى يتكلمونها لهجة من اللهجات الآرامية العربية ليس بينها وبين لغة الانباط سوى فرق بسيط وقد كتب التدمريون كالأنباط بالخط الآرامي العربي الذي تنوع قليلا فكان منه النبطي والتدمري.

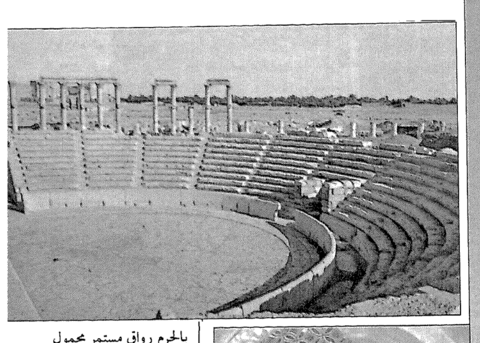
وأن أهم معالم مدينة تدمر وأروع ما فيها.. الآثار التدمرية والفن التدمري. لا سيما وأن تدمر تعرضت وما تزال تتعرض في كل وقت لحملات التنقيب وبعثات الاستكشاف التي تجد فى كل مرة اضافة جديدة لعظمة هذه المدينة ذات التاريخ العريق والآثار الباقية.

ولابد إذن أن نتعرض ولو باختصار لبعض المعالم الأثرية التى ما تزال قبلة أنظار السياح فى العالم، وكنزاً زاخراً من كنوز الاستكشاف المتتابعة والمتلاحقة. ولعل من أبرز هذه المعالم:

معبد بل: شُيِّد هذا المعبد فوق تل ركامي فى عام ٣٢م على أنقاض معبد يعود للعصر الهلنستي. وكان هذا المعبد مكرساً للإآله «بل» بصورة أساسية وكذلك للثالوث الذى يضم الآله «بل» ويرحبول «إآله الشمس» وعجلبول «إآله القمر». كما انه يعتبر مقراً لمجمع الآلهة التدمريين.

ويتألف معبد «بل» من ساحة رحيبة مربعة مغلقة بسور أبعادها ٢١٠×٢٠٥م ويتوسطها

●الى اليسار معبد بل المشيد فى عام ٣٢م.
● أقصى اليسار مسرح تدمر الشهير ويستخدم مسرحاً وحلبة للصراع مع الحيوانات المفترسة.
●أسفل اليسار من المدافن التدمرية (مدفن الاخوان الثلاثة).



الحرم «السيلا» وقد تحول هذا المعبد - فيما بعد - إلى حصن اسلامي واضح المعالم تم تحويله وبناء بعض أجزائه سنة ٥٢٧ للهجرة، يوضح ذلك الكتابة الكوفية بالخطوط المزهرة فوق الباب الاسلامي.

أما على الطرف الآخر من الجدار الاسلامي، وهو من بقايا البوابة الأصلية للمعبد، كتابة عربية تشير إلى بناء مسجد سنة ٥٧٦ هجرية على يد محمد بن شيركوه الذي ولاه السلطان صلاح الدين الأيوبي منطقة حمص ليقاتل الصليبيين، فقاتلهم وهزمهم.

كذلك وجدت أقدم الكتابات العربية، على جدران حرم المعبد، بالخط الكوفى القديم، وترجع هذه الكتابة الى عام ١١٠ للهجرة.

أما على الجدار الشرقي فهناك كتابة تشير الى عمارة المسجد على يد الناصح يوسف بن محمد، بأمر السلطان الملك سنة ٦٣٥ للهجرة.

معبد «نبو»: يقع هذا المعبد غربي قوس الشارع الطويل المعروف باسم «قوس النصر» ويتكون من سور خارجي على شكل شبه منحرف غير منتظم أبعاده ٨٥×٧٨×٤٤×٦٠م. وحرم مشيد على قاعدة ابعادها ٢٠×٩٠م، ويحيط بالحرم رواق مستمر محمول باثنين وثلاثين عموداً من الطراز الكورنثي. وقد شيد هذا المعبد فى بداية النصف الثانى من القرن الأول الميلادى تكريماً للإله «نبو».

معبد بعلشمين: شيد هذا المعبد في الحي الشمالي من المدينة في القرن الثانى الميلادى على انقاض معبد يعود الى بداية القرن الأول الميلادي، وتتألف أطلال المعبد من حرم «سيلا» وباحتين شمالية وجنوبية بها أروقة، وأمام الحرم عتبة تحمل ستة أعمدة وجبهته مثلثة.

ومعبد اللات: شيد هذا المعبد فى الحي الغربي من مدينة تدمر، وهو يتألف من باحة مستطيلة ٢٨×٧٢م يتوسطها الحرم الذي يتقدمه رواق من ستة أعمدة.. وفى عام

١٩٧٧م تم اكتشاف أسد اللات الذي تم ترميمه وعرضه فى مدخل متحف تدمر.

السور: يحيط بمدينة تدمر سور دفاعي بُني من الحجر الضخم ويبلغ محيط هذا السور ١٢كم. تكامل وانتهى بناؤه فى عهد أذينة وهو مدعم بأربعة أبراج يبعد كل برج عن الآخر ٣٧ متراً.

وبعد هدمه من قبل جيوش الامبراطور أوليان، أعيد ترميم السور من قبل الامبراطور جوستنيان وأضيف أثناء ترميمه بعض الأبراج المستديرة بين الأبراج المربعة. ثم تهدمت أجزاء منه في عهد آخر خليفة أموي مروان الثانى سنة ٧٤٥م.

كذلك يحيط بالمدينة سور آخر بنى من الحجر واللبن وهو «سور الجمارك» يحاذى فى مروره بمدافن «الأخوة الثلاثة» ويتسلق هذا السور سفح جبل المنطار ويدور حول وادي القبور ليلتقى بالسور الدفاعى الآخر.

الحمامات: تبلغ مساحتها ٨٥×٥١م، ولها مدخل تتقدمه أربعة أعمدة غرانيتية (جلبت من مصر)، وتتألف من الأقسام المعروفة: «البارد، والدافىء، والحار وقاعة مثمنة الشكل تتوسطها فسقية مثمنة لترطيب الجو الجاف. ويلحق بها باحة للرياضة والاجتماعات أبعادها ٢٢×٢٠م ذات أروقة، كما يلحق بالحمامات فى الزاوية الشمالية الغربية قسم المراحيض.

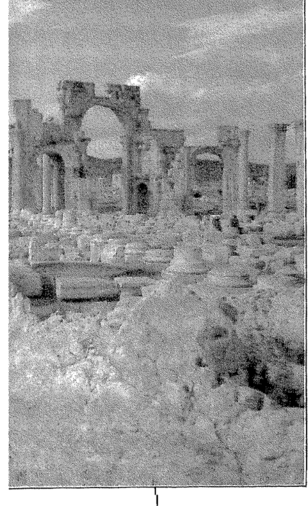
المسرح: بقيت أطلال مسرح تدمر تحت الرمال حتى عام ١٩٥٢م عندما باشرت المديرية العامة للآثار والمتاحف برفع انقاضه.

وقد بني المسرح بشكل نصف دائرة قطرها ٢٠م تحف به مدرجات عددها ١٣ درجة وارتفاع كل واحدة منها ٣٧ سم وبعرض ٤٠ سم، أما أبعاد منصة التمثيل فتبلغ ٤٨م، وعرض ١٠٫٥م ومحددة بثلاثة أواوين ذات محاريب لرفع آلهة الفنون. ومجهزة بدرجين يؤديان الى الصحن، ودرجين الى الخارج، اضافة لثلاثة أبواب عبر الأواوين ذات سقفيات مزخرفة بجبهات مثلثة. ويلحق به غرفتان لاستعمال الفنانين والممثلين.

أما أرضية صحن المسرح فقد فرشت ببلاط من الحجرالمنحوت، ويفصل الدرجات عن الصحن سياج حجري ارتفاعه متر واحد، وللصحن ثلاث بوابات الشرقية والغربية مقوستان، والجنوبية مستطيلة لإدخال بعض الحيوانات المفترسة فى حفلات المصارعة، فمسرح تدمر كان يستخدم مسرحاً وحلبة للصراع.

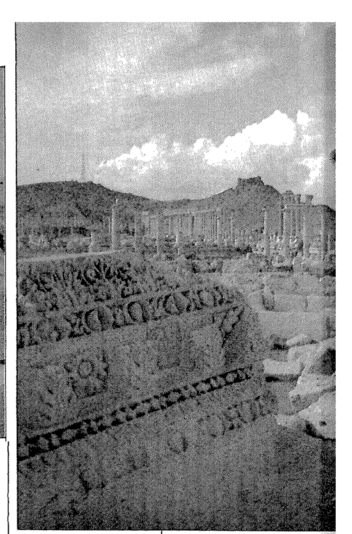
الميدان: أو السوق الرئيسية ويسمى (الآغورا باليونانية والفوروم عند الرومان) وفيه تعقد الاجتماعات العامة في السلام والحرب وتتم فيه المبادلات التجارية.

ويتألف هذا الميدان من باحة مربعة مغلقة ٨٤×٧١م تحيط بها الأروقة الداخلية التى كانت تحمل السقوف الخشبية، ولهذا الميدان أحد عشر مدخلا لتسهيل حركة الدخول والخروج.



قلعة فخر الدين المعني:

تنسب هذه القلعة إلى الأمير فخر الدين المعني الذي حكم جبل لبنان وأجزاء من سورية في بداية القرن السابع عشر الميلادى وقد يعود أصل القلعة إلى زمن الحروب الصليبية حيث عمل



● اقصى اليمين قلعة فخر الدين المعني.
● الى اليمين منظر عام لمدينة تدمر وتبدو فيه مجموعة من الآثار.

أتابكة دمشق والزنكيون والأيوبيون على تجهيز المدينة بوسائل للدفاع، فحول معبد «بل» كذلك الى مدينة محصنة تقف بوجه الصليبيين كموقع دفاعي ممتاز.

ويمكننا أن نشاهد بقايا قواعد الجسر المتحرك الذي أقيم فوق الخندق المحيط بالقلعة أمام مدخلها الرئيسي المتجه الى الجنوب الشرقي، ويمكن الصعود إلى القلعة التى تعلو عن سطح المدينة ١٥٠م بطريق تبدأ من الجهة الشمالية وقد مد جسر جديد مؤخراً فوق الخندق للوصول الى داخل القلعة.

المدافن التدمرية:

أبدع الفن التدمري في بناء المدافن ابداعاً كبيراً بحيث لا نجد مثيلا لها في كل مدن الشرق القديم.. وقد أطلق التدمريون على هذه المدافن اسم «بيت الأبدية».

آثار تدمر في متاحف العالم:

أدت الحفريات السرية وتهريب الآثار دوراً كبيراً فى عهد الحكومة العثمانية وبفضل نشاط قناصل الدول الأجنبية بتهريب الكثير من آثار تدمر والتى نجدها في عدد من متاحف العالم كمتحف الجامعة الامريكية في بيروت والمتحف البريطاني ومتحف الارميتاج فى لينينغراد ومتحف برلين ومتحف المتروبوليتان بنيويورك واللوفر في باريس.

ولكنه يمكن القول إنه منذ عهد الاستقلال فى سورية عام ١٩٤٧ تكرست جهود بعثات الآثار والمتخصصين السوريين في الحفاظ على آثار تدمر والعناية بها سواء في المدينة ذاتها أو في متحف تدمر أو متحف دمشق.

■ وأخيراً قبل أن نطوي هذه الصفحة العظيمة من تاريخ الانسان القديم في تدمر العريقة لابد أن نشير إلى متحف تدمر الذى يضم بين جدرانه أروع الآثار من المنحوتات والموزاييك، والمصنوعات الذهبية والبرونزية والفخارية وكهف إنسان ما قبل التاريخ.

المراجع

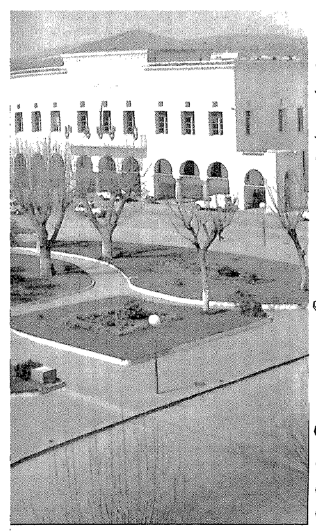
(١) تدمر. أثريا، تاريخياً، سياحياً ـ د. عدنان البنى، خالد الأسعد.

(٢) تدمر .. عروس الصحراء ـ جان ستاركي، صلاح الدين المنجد.

(٣) تدمر .. عاصمة زنوبيا ـ عدنان الداعوق.

(٤) تاريخ العرب القديم ـ وزارة التربية السورية.

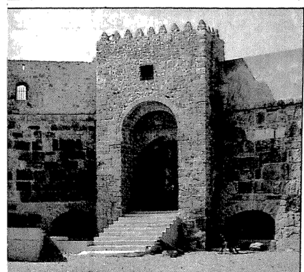
(٥) مدينة تدمر .. عاصمة المملكة زنوبيا ـ د. عبد الحميد شقير، مجلة القافلة ع٧ رجب ١٤١١هـ.



اقتحم اسم بنزرت سجل التاريخ باعتباره رمز الكفاح والصمود والتضحية في سبيل تطهير أرض الوطن من الاحتلال الأجنبي مهما كان شكله ، وعنوانا عن عزم شعب مؤمن صرف كل الجهد

بنزرت
مدينة النضال والتاريخ

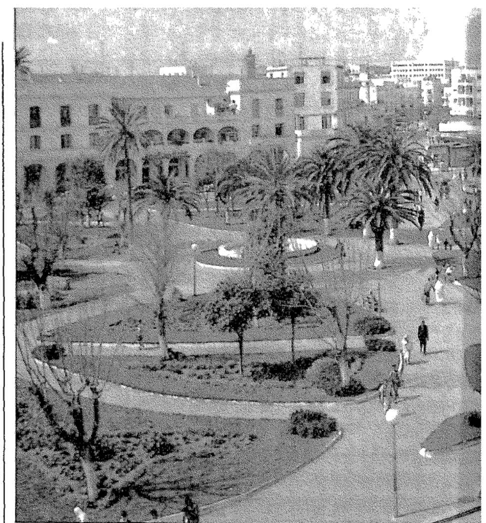
والامكانات ، إلى تهيئة المستقبل الأفضل والنهوض بالانسان في جميع المجالات . فكانت معركة النضال التحريري ضد القواعد العسكرية والأجنبية ، التي حُوِّلت إلى منشآت صناعية تساعد على خلق الازدهار والاستقرار .

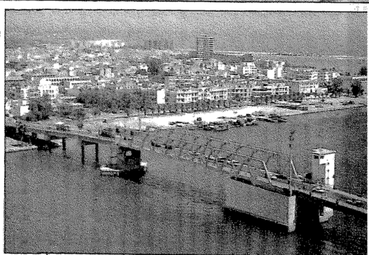


بنزرت اليوم قطب صناعي وقاعدة جوية تؤدي دورها في الذود عن السيادة

محمد الصادق عبد اللطيف (تونس)

أول من حلَّ بحراً من المشرق هم (الفينيقيون) حاملين معهم (الحديد) في طريقهم إلى (الأندلس) للاتجار به ، فأسسوا مدينة (هيبو أكرا) (هيبو دياريتوس) أي (المدينة التي يشقها الماء) في مكان بنزرت اليوم بين القرن ، ٧ و ٩ قبل الميلاد . وقد سقطت المدينة بأيدي حكومة (قرطاج) التي جعلت منها ميناء حربياً حصيناً . . . وبهذا الاحتلال عرفت الحروب القرطاجية الرومانية ، ونالها التخريب والدمار واستمرت تحت الاحتلال الروماني فالوندالي ثم البيزنطي واستقرّ أمرها عند الفتح الاسلامي سنة ٤١ هـ وعُرفت منذ ذلك التاريخ لليوم باسم (بنزرت) وهو الاسم الذي أطلقه العرب الفاتحون . فتحها معاوية بن حديج الكندي في محاولة أولى



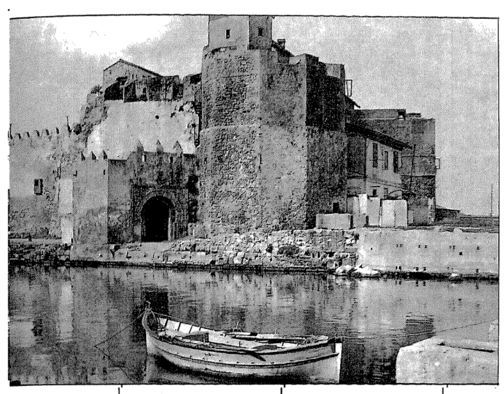


● أعلى الساحة المركزية في بنزرت . . روعة وجمال .
● اقصى اليمين الميناء الاسباني في بنزرت من المباني الأثرية .
● الى اليمين قنطرة القنال في بنزرت .

ثم وبصفة نهائية على يد حسّان بن النعمان . . . وقد بقيت مدينة مهملة حتى فترة (الزحفة الهلالية) حيث قام زعماء محليّون للذود عن المدن والقرى المهددة من طرف الأعراب ، يقول البكري : (إن بها سوراً من حجارة ، ومسجداً ودكاكين كثيرة ، وإن تجارة السمك بها نافقة كما ذكر وجود برج يلتجىء إليه السكان عند غارات الرّوم . . . وذكر كذلك أن الميناء يدعى (مرسى القبة) . وقد خضعت بنزرت للخليفة الموحدي (عبدالمؤمن بن علي) ثم (ليحيى بن غانية) ثم للحفصيين . . . وكانت بنزرت الحضن الدافىء لمّا أقبل المهاجرون (الأندلسيون) . . . ولا يزال لليوم بها حي يعرف بحي (الأندلسيين) ، وبقدومهم أخذوا معهم الصناعات الجديدة كصناعة الحديد وصناعة الشاشية والأسلحة والدروع والخناجر . . . ولم يدم الاستقرار كثيراً فقد احتلها (خيرالدين باربارس) و (عرّوج) سنة ١٥٣٤ م واحتلها الأسبان لمدة أربعين سنة ، بعدها طردوا منها بفضل تدخّل (الأتراك) وفي هذا العهد انتشرت (القرصنة البحرية) فازدهرت المدينة وامتلأت بالمماليك والعلوج ، وقد ضجّت الدول الأوروبية من أعمال القرصنة التي مبعثها بنزرت فحاولت قواتها القضاء على المدينة فقد حاصرها المركيريز دي مارتان ثلاث سنوات ١٦٧٠ - ١٦٧٢ م .

وخلال فترات متعاقبة جرت الأحداث التالية :

١ - أبرم الباي علي سنة ١٧٦٨ م معاهدة مع فرنسا يمنح بفضلها الفرنسيين (لزمة صيد المرجان) على سواحل تونس الشمالية كما يرخص لهم إقامة متجر في بنزرت .
٢ - ازداد النشاط التجاري الذي يقوم به الأوروبيون في بنزرت (من الفرنسيين والايطاليين) حيث



● القلعة الاسبانية.

أقيمت بها القنصليات الأجنبية .

٣ - عند نكبة الاحتلال الفرنسي لتونس ١٨٨١ م اتخذت بنزرت لموقعها المتميّز (قاعدة عسكرية - بحرية وجوية - مرسى حربيا - مركزا لصناعة السفن وإصلاحها) .

٤ - تطورت المدينة وشهدت نهضة معمارية وصناعية وسكانية ومحطة لمراقبة البواخر والمنارات الحربية حتى كانت معركة الاستقلال حيث رجعت للسيادة ، لكن تخليصها من الوجود العسكري استمرّ بعد ذلك حتى وقعت معركة الجلاء سنة ١٩٦١ م والتي أفضت إلى اتفاقية الجلاء العسكري التام سنة ١٩٦٣ م وهي اليوم كقطب صناعي وكقاعدة جويّة تؤدي دورها في الذود عن السيادة والدفاع والتكوين .

المعالم الحضارية

١ - برج الأندلس :

في عهد الأغالبة بني رباط بنزرت (برج الأندلس) أو القلعة (الاسبانية) عند ترميم هذا المعلم الأثري الهام نقرأ بأن هذا الرباط يرجع تاريخه إلى ما قبل الاحتلال الاسباني لتونس .. وأن الاسبان كانوا قد اكتشفوه في حالة سيئة فجدّدوه وأعادوا له معلمه .. والأغالبة هم أول من أقام (السّور الحجري) للمدينة العتيقة ... ولم تزل معالمها تشير إلى الطراز المعماري الأغلبي .. وأن أول مسجد بني بها هو (مسجد سيدي الهاني) بجهة القصبة (قائم على أعمدة وأقواس رومانية وتيجان حجرية) .

٢ - السبيل العتيق :

ما يزال لليوم قائماً في ساحة الميناء القديم شيّده علي بن ريم الأندلسي .

٣ - برج سيدي سالم :

٤ - الجامع الكبير :

من إنشاء المراديين المئذنة تقوم على ثمان من الزوايا ١٦٥٢ م في عهد الأمير محمد داي .

٥ - مئذنة جامع (سيدي المسطاري):

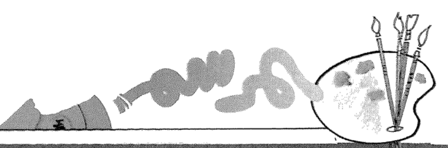
الأب الروحي للمدينة والتي تمّ بناؤها بمبرّة من الأمير المذكور الذي اشتهر بجدبه على إحياء التراث وإقامة المعالم وتنشيط الأدب والفنون .

٦ - الميناء العتيق :

يمتدّ الميناء العتيق داخل المدينة بواسطة رافدين بحريّين يلتقيان عند مضيق (البحيرة) آخر المطاف يُعرف الآن (ببركة صبرة) .

الرافد الأول يجتاز المدينة الحالية حتى يصل إلى منتهى المضيق ، وقد أقيمت فوقه جسور حجرية (أهمها جسر باب تونس) .

الرافد الثاني يدور حول القصبة متعرجا حتى مدخل المضيق خلف باب (ماطر) .



نباتـــات علـــى الجـــرف (صفحة مـن روعـة الطبيعـة)

مجموعة من النباتات والازهار البرية تأتي بابعادها اللونية العاصفة التى استطاعت الفنانة بحسها الرفيع أن تروضها، تيارات متسقة النمو ودرامية متصاعدة الايقاع تشمل اللوحة من الأسفل إلى الأعلى استخلتها الفنانة بحذق لإغناء المكونات التصميمية للعمل الفني. معطيات العمل.. في مجملها تمنحنا مساحة أوسع لقراءتها ضمن ذلك الحس الذي إستطاعت (نينا فرعون) إفراغه في سطور هذه اللوحة.

والفنانة (نينا فرعون) من التشكيليات السعوديات القلائل اللائي لهن اعمال متميزة ولها كثير من المشاركات الفنية بمعارض رعاية الشباب ومعارض ردك بلازا والرسامات السعوديات، كما أن لها بعض المقتنيات بمتحف عبد الرءوف خليل.

صلة ما سبق

فى الحلقة السابقة كنا فى صحبة الاستاذ العبودي فى رحلته الى بورما حيث الجامعة الاسلامية، ومسجد العزيزية، وزرنا خلالها بعض المعالم الاسلامية هناك، وتناولنا معه وجبة العشاء فى مطعم مخصص للمسلمين.. وسعدنا بالجلوس فى مقهى شعبى.. ومعلوم ان المقاهي الشعبية لها نكهتها الخاصة التى تستمدها من شعبيتها وتراثها.



تضم مكتبة المسجد السورتى كتباً متنوعة بين عربية وأوردية.

محمد بن ناصر العبودى (مكة المكرمة)

عدنا الى مكتب السياحة وقد بدأ صباحه بوجه غير صبيح . . من امرأة ولا أقول غانية، لأن الغانية عند العرب انها سميت بذلك لكونها غنيت بجمالها المطبوع عن ابتغاء الجمال المصنوع من حلى أو تطرية.

فأحالتنا هذه المرأة البورماوية التى كانت معاملتها مرضية الى رجل أعلى منها رتبة ففحصنا بعينيه كلتيهما أولا ثم طلب جوازات السفر، وتفقد سمة الدخول الى (بورما) بصفة خاصة وما بقى لنا فى البلاد من أيام، ثم قارن بين الصورة فى الجواز والصورة الحقيقية. ولم يخف عجبه من هذه الجوازات العربية التى تنطلق الكتابة فيها كما تنطلق صفحاتها من اليمين الى اليسار عكس كتابة الجوازات التى يحملها السياح الغرباء عن بلاده وكلهم أو أكثرهم من البلدان الغربية ما عدا اليابانيين.



● مجموعة من الصبية فى ماندلي كانت لهم الرغبة فى أخذ هذه الصورة التذكارية.

وأخبرنا أنه لم ير الجوازات العربية كثيرا من قبل.

وكان من الأشياء التى وقف عندها وأولاها أهمية خاصة أوراق الجمرك التى توضح إحداها ما أدخلناه الى البلاد من نقود ما صرفنا منها وما بقى.



● أحد الشوارع الرئيسية فى ماندلي.

ثم أخذ يدقق فى بيانات عنده وأخيرا كتب ورقة الى موظفة أخرى فى مكتب آخر، واعطانا الورقة وقال، يمكنكم الآن ان تشتروا تذكرة السفر الى (ماندلي) من ذلك الموظف.

ولم يضع هذا وقتا كبيرا لأن المسئولية فى سفرنا داخل البلاد تقع على عاتق غيره. وانما هو مكلف بالاطلاع على أوراق العملة فطلب منا مائة وخمسة عشر دولارا امريكيا قيمة تذكرة الذهاب فقط وقال: إنه ليس مخولا ان يبيع لنا تذكرة العودة وإنما يمكننا أن نشتريها من (ماندلي) من مكتب السياحة هناك وليس من رانقون.

ولم يرض ان يأخذ المبلغ بالعملة المحلية رغم كوننا نحمل مقدارا كافيا منها واننا جميعا قد صرفنا مقادير قليلة منها قبل ذلك.

وبينما كنا ننتظر منه أن يعطينا التذاكر مقابل ما دفعناه من دولارات أعطانا صورة ورقية تشبه الايصال أو شهادة الصرف من البنوك. وقال هذه تكفى أروها مكتب السياحة فى المطار وهو يعطيكم التذاكر.

وكان المسئول الأول قد أخبرنا أنهم سيرسلون حافلة المكتب الينا فى الفندق لتوصلنا الى المطار فى رانقون. ثم ينقلنا مكتب السياحة فى مطار (ماندلي) الى فندق (ماندلى) وهو الذي عرضه علينا للسكن فيه هناك وطلبوا أن نكون مستعدين فى فندقنا فى العاشرة والنصف.

■ خرجنا من عند مكتب السياحة بعد ان أنفقنا فيه جزءا غاليا من وقتنا وسببنا للموظفين فيه عملا متعبا لأن كل شيء فيه كان يتم بطريقة يدوية مثل كتابة البيانات وغيرها.

وقد رأيت إعلانا عن بيع بعض الأوراق السياحية التعريفية هنا فسألتهم عن بعضها فلم أجد إلا بطاقات بريدية قليلة غير مهمة.

ولكن الذى ينبغى أن يسجل لهم أن معاملتهم لنا كانت جيدة رغم كوننا قد شعرنا بأننا سببنا لهم تعبا ربما يخفف منه أننا لم نر أى شخص آخر غيرنا فى المكتب.

ذلك بأن السياحة فى بورما يقف فى طريق توسعها ما تتخذه حكومتها من اجراءات صعبة فى الدخول والتنقل واكثر السياح يقدمون على هيئة جماعات بوساطة شركات سياحية تكفيهم مؤونة العمل بأنفسهم ما يحتاجون اليه.

ثم أسرعنا الى فندقنا فندق (ستراند) ودفعنا أجرة الليلتين الاثنتين اللتين قضيناهما فى (رانقون) مائة دولار ودولارين بأجرة مقدارها لليلة الواحدة خمسة وعشرون دولارا امريكيا ولم يقبلوا من عملتهم البورماوية شيئا.. ووضعنا حقائبنا الكبيرة فى مستودعهم.

الى مدينة ماندلي:

فى العاشرة والنصف بالضبط حضرت حافلة السياحة وهى حافلة متوسطة من التى تحمل ٣٨ راكبا فحملتنا من فندق (ستراند) ولم يكن فيها غيرنا حتى وصلنا المطار الذى يبعد عن قلب مدينة رانقون واحدا وعشرين كيلو مترا. وكنا نظن أنها ستلتقط ركابا آخرين من فنادق أخرى كما هو المعتاد

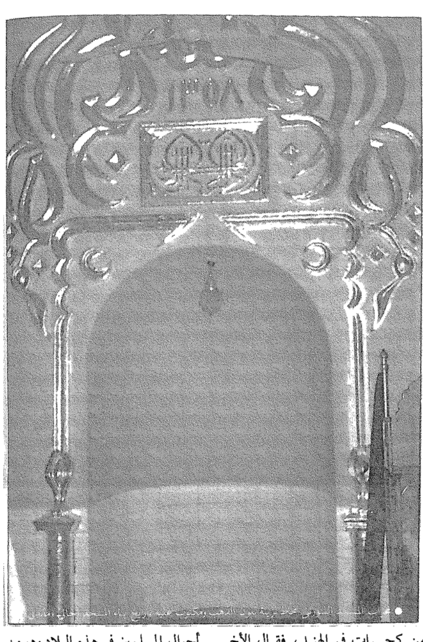
فى مثل هذه الأحوال.

ولكن السياح عندهم كما قلت قليل. والدليل على ذلك أن سائق الحافلة لم يطلب منا أن نريه الورقة التى أخذناها من مكتب السياحة كما لم يطلب غيرها ولم يتوقف فى حملنا عند إعطائنا تذكرة من عنده مثلا لأنه يعرف أنه لا يوجد غيرنا عنده فى هذا اليوم من الذاهبين الى (ماندلي) لأن عندهم لمدينة (ماندلي) رحلتين اثنتين فقط احداهما فى الصباح والأخرى فى الظهر وهى رحلتنا هذه التى من المقرر أن تغادر مطار رانقون فى الثانية ظهرا. ولا أدرى لم أسرعوا فى حملنا من الفندق.

وصلنا المطار وقد بقى وقت طويل على مغادرة الطائرة لذلك لم نجد فى مكتب السياحة احدا من الموظفين مع أنه مهم لنا لأننا لا نحمل التذاكر التى دفعنا قيمتها وإنما سنأخذها منه كما أخبرونا.

وبينما كنا ننتظر فى المطار رأينا أحد الاخوة المسلمين فأسرع يسألنا قائلا: عربى، انا عربى فى الاصل انا اخوكم سليمان سيدات وذكرت بذلك مسلما شهما لقيته فى زيارتى الاولى الى مدغشقر اسمه (عبد القادر سيدات) كان قد ساعدني فى الحصول على بعض المعلومات عن اماكن المسلمين هناك وذكرت ذلك فى كتاب (مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين) اعترافاً بفضله.

فسألت الاخ سليمان سيدات عما اذا كان الأخ (سيدات) الموجود فى مدغشقر قريبا له؟ فقال: إنه لا يعرفه، وإنما أصل اسرته من كجرات فى الهند وان كان هو مولود فى بورما فقلت: وكذلك اخبرنى الاخ عبد القادر سيدات (المدغشقري) أن أصله



• [illegible] المسجد السورتي [illegible] بلون الذهب ومكتوب عليه تاريخ بناء المسجد [illegible]

من كجرات فى الهند، فقال الأخ سليمان: إن (سيدات) اسم قديم أصله: سادات بالعربية، وهذا ما يجعلنا نظن ان أصلنا من العرب.

ثم دعانا الى شراب فى مقهاة المطار واحضر مع القهوة شيئاً من الشطائر (الساندويتش) وقال: لا تخشوا شيئاً هذا حلال، لأن هذا العامل الذى ناولنا إياه هو مسلم والرجل المسئول عن الطعام فى هذه المقهاة مسلم، وهذا العامل أيضا وأشار الى شخص كان يقف بعيدا هو مسلم.

ثم أخذ يحدثنا حديثا مفيداً عن أحوال المسلمين فى هذه البلاد وهو من الاشخاص الذين يجمعون بين الذكاء وحسن التقدير وقد اخبرناه أننا قد قدمنا الى هذه البلاد بصفة السياحة، ولكننا نرغب الاطلاع على احوال المسلمين من شعورنا الاسلامي وبخاصة فى مدينة (ماندلي) التى لم نكن قد حصلنا على عنوان أحد من المسلمين فيها. وكنا رغبنا الى الشيخ المفتى محمود ان يساعدنا في ذلك فوعدنا ولكنه لم يرسل الينا فى الفندق أى عنوان.

فقال الاخ سليمان سأتصل حالما أصل

الى رانقون بأحد الاخوة النشطين فى العمل الاسلامى هناك وأطلب منه أن يحضر الى فندقكم، ويعمل على اطلاعكم على المساجد والمدارس فى (ماندلي) فشكرنا له ذلك، وقد وفى إذ وعد.

ودخلنا قاعة المغادرة الداخلية فوجدناها ليست قاعة وانما هى رواق متسع مفتوح من جهة المطار عليه مقاعد خشبية مصبوغة ظننت أنها مكسوة بقماش فآلمنى الجلوس عليها لأنها من خشب صلب مثل المقاعد الموجودة فى قاعة الترحيل وهى مستطيلة على طراز قديم يوحى بالفقر أو التقشف مع أن البلاد غنية بمواردها المختلفة من النفط والاخشاب والأحجار الكريمة إضافة إلى الأرز والاخشاب بل ربما صح القول بأنها غنية باكثر ما تفتقر اليه الدول فى العادة إلا فى الادارة الصحيحة.

وقد لاحظت فى هذه القاعة شيئا لا يكون فى العادة الا فى البلدان الصحراوية أو الشبيهة بالصحراوية و(بورما) ليست منها.

وركبنا فى الطائرة البورماوية وهى صغيرة ذات محركين مروحيين تتسع لأربعة وأربعين راكبا ما لبث الطيار أن حرك احدهما قبل اكتمال ركوب الركاب وإغلاق الباب.

والركاب فى الطائرة هم مجموعة من السياح اليابانيين من كبار السن، وبعض الأوروبيين أو الامريكيين ولم أر بينهم راكبا واحداً من أهل البلاد (بورما) وليس فيها من السمر غيرى أنا ورفيقى الشيخ على عيسى.

■ بدأت الطائرة الطيران فى الموعد المحدد وهو الواحدة والربع ظهراً وعندما نهضت مباشرة صارت فوق ضواح من مدينة (رانقون) وكان أوضح المناظر فى هذه الضواحى من المدينة منظر معبد بوذى ضخم واسع حوله بيوت قديمة ذات سقوف حالكة الالوان كئيبة المنظر، ثم بحيرة صغيرة حولها أحواض من الأرز الذي بذر حديثا غارقة فى المياه، وبقربها أحواض أرز اخرى خضراء لأنها مزروعة قبلها.

وهكذا يكون الأرز عندهم على أنواع فى الزراعة بحيث يكون بعضه يحصد وبعضه يبذر غير أن هذا الوقت بالذات وهو الذى يسمونه فصل الصيف لأنه فصل الجفاف اكثر الأرز فيه حصيد بمعنى أنهم يتوقفون عن الزراعة قليلا حتى يحين وقت الامطار فى شهر يوليو.

وليس معنى ذلك أن البلاد تشكو من شح فى المياه ففيها الأنهار والبحيرات وحتى المستنقعات التى أرى الآن تحتي من الطائرة بعضها وقد اخضرت مياهها من طول المكث وان لم تكن واسعة المساحة.

وفى ضاحية بعيدة من العاصمة رأيت خطا ازفلتياً جيدا أحسن من طرق العاصمة التى رأيتها ولا أدرى السبب.

ثم تكرر منظر الأراضي التى تبدو كأنها جافة واكثرها ذات أعشاب هامدة تنتظر فصل الأمطار أو بقايا حقول من الأرز الحصيد.

وبعد أن غابت العاصمة عن الأنظار بدأت الطائرة تحلق فوق اراضٍ مرتفعة وصارت الاشجار فى الارض أكثر وصار لون التربة أحمر أو يميل الى الذهبى كما هو لون الاراضى فى المناطق الاستوائية المطيرة. مع أن هذه البلاد ليست من البلاد الاستوائية. وان كانت من البلاد المطيرة.

■ مرت الطائرة ونحن فى طريقنا من العاصمة رانقون الى ماندلي فوق بلدة صغيرة لا نعرف اسمها لأنه ليس لدينا أوارق توضح ذلك ولا حتى توجد مكتبات تبيع تلك الاوراق وانما كل شيء لدى مكتب السياحة، كما قالوه لنا وعندما ذهبنا اليه لم نجد عنده ما نبحث عنه.

ثم وصلت الطائرة إلى أرض جبلية ذات أشجار كثيرة ورأينا نهرا صغيرا وجدولا كبيرا ينساب من هذه الجبال حيث تقع على مجراه بعد مسافة بعيدة قرية قليلة البيوت. وقد رأينا ما يدل على أن المنطقة خصبة من نيران موقدة بالحشائش يرتفع دخانها يطاول قمم الجبال ولكنه يرتد خاسئا وهو حسير.

وغالبا ما يكون إحراق الحشائش فى الأراضى الخصبة بالنباتات التى تلتف فيها الاعشاب الضارة والطفيليات من النبات فيحرق الزراع هذه الأعشاب والنباتات من أجل تهيئة الأرض للزرع الى جانب ما يتخلف عن حرقها من سماد ينفع الارض.

فوق منطقة الجبال الوسطى:

أخذت الطائرة تحلق فوق منطقة جبلية عالية ذكرتني بالمنطقة القريبة من جبال الهملايا فى كشمير ونيبال، أو على الأدق تلك الجبال التى تقبل اقدام جبال الهملايا العملاقة وتركع امامها.

وهذه الجبال نفسها فى بورما ليست من الهملايا التى تبعد عنها بمسافة

ستمائة كيلو مترا انما هى مثل تلك فى الشكل.

فالهملايا العملاقة. بل أعتى جبال العالم لا تنتصب فى فراغ (جبلى) وانما هى تمتطي ظهور جبال أخرى ضعيفة لا تقدر مثلها على الارتفاع، فتكون لها بمثابة الاعتاب للدرج أو للأبواب، وزاد المنظر شبها بالجبال القريبة من الهملايا أن بعضها هو بمثابة الاكوام وليس على هيئة سلاسل من الجبال المستطيلة وقد أعاد ذلك الى ذاكرتي أيضا منظر بل مناظر جبال عالية فى أماكن اخرى من العالم النائي عن هذه المنطقة وهى جبال الأنديز فى كل من تشيلي وبيرو والاكوادور من امريكا الجنوبية. وقد ذكرت ذلك فى الكتب التى الفتها عن رحلاتى هناك ومنها «الى جنوب الجنوب الامريكى» و«على قمم جبال الانديز» و«ورحلات فى امريكا الوسطى».

ومما لاحظته هنا وعجبت له أن كثيراً من هذه الجبال تكون جهاتها الشمالية الغربية عارية من الاشجار بالنسبة الى كثافتها من جهاتها الأخرى ولا أدرى السبب فى ذلك الا أن يكون هبوب رياح باردة جافة عليها فى فصل الشتاء من تلك الجهة أو أنها تكون واقفة، بحيث تجرف الامطار الغزيرة التربة عنها فلا تنبت فيها الاشجار.

والعمارة من المساكن والزراعة فى أعالى هذه الجبال البورماوية قليلة أو معدومة وإنما رأيتها فى الاماكن المتسعة بينها.

فى مطار هي هو:

لابد أن يلاحظ العربى تطابق هذا الاسم (هي) بإسكان الياء و(هو) باسكان الواو اللذين يدلان على ضمير المذكر والمؤنث فهذا هو اسم هذه البلدة التى لن ندخلها وانما سننزل فى مطارها و«هى» فيما بلغنا ذات أهمية سياحية لأن فيها آثاراً من المعابد البوذية القديمة. وأول ما لفت انتباهى الى المدينة ليس اسمها وإنما هو موقعها فهي تقع فى متسع من الأرض بين أكوام الجبال عندما رأيته من بعيد خيل الي أنه المتسع الوحيد بين الجبال الصالح للسكنى والزراعة فى تلك المنطقة.

وهو ذو تربة حمراء ذهبية جميلة ويفيض فيه نهر ثر المياه على جانبي مجراه تكونت بحيرة بل بحيرات متعددة ممتدة.

وكان منظرها بديعا ولذلك جاءت يابانية تستأذن فى الجلوس فى مقعد خال هو المقعد الوحيد الخالي فى الطائرة وذلك لأنها لا تستطيع مشاهدة المنظر بوضوح من الجهة اليسرى التى كانت فيها.

والمنظر يستحق ذلك لأنه منظر هذا المتسع الخصب الجميل تحيط به التربة الحمراء البهيجة بين الجبال العالية، ورأيت الطرق فى هذه الأرض الخصبة ترابية حمراء لا أثر للازفلت فيها مما جعل منظرها من الطائرة يبدو منسجما فى الروعة مع ما يحيط به من جمال وجلال.

وقد كثرت الزراعة فى سفوح الجبال التى كانت تتضامن بتدرج الى أرض المتسع الخصيب. ثم منظر غريب آخر وهو منظر تلال رمادية اللون بقربها قرى صغيرة ذات بيوت متفرقة سقوفها من الصفيح الابيض.

وقد أخذت الطائرة تضطرب لأنها تهم بالنزول من فوق التلال الجبلية فاتسع الوادي فى النظر وأصبح النهر أخضر الحواشي، وصارت البحيرة عدة بحيرات على ضفافه.

ووصلنا مطار بلدة (هي هو) حوالى الثالثة وكان قيام الطائرة من رانقون فى الواحدة والربع واذا استغرق الطيران الى (هي هو) ساعتين إلا ربعا.

وهو مطار صغير كمطارات المدن الصغيرة عندنا فى الماضى وقد ذكرنى بمطار جزر سلمون فى جنوب المحيط الهادى فصغره وضيق مكتبه مع أن بورما دولة غنية بمواردها. ومدرجه سفلتته رديئة. الا أن الهواء فيه عندما وصلنا اليه كان عليلا قد خلا من الرطوبة التى يحس بها المرء فى (رانقون) وإن كان هواء رانقون اكثر جفافا وأقل رطوبة من الهواء فى بانكوك وترتفع مدينة (هي هو) أربعة آلاف قدم عن سطح البحر.

وجميع عمال المطار هنا يرتدون الزي الوطنى الذي هو فوطة مشدودة تضرب الى الكعبين فوقها قميص، حتى الرجل الفنى المختص بالكشف على محرك الطائرة كان يرتدي هذا الزى، وقد أسرع ركاب كانوا مستعدين فى المطار الى الصعود بالطائرة وهم مجموعة من السياح الذين يتكلمون الالمانية حتى امتلأت الطائرة بهم وركب رجل من البورماويين فيما يدل عليه مظهره ودليلة سياحية حكومية مرافقة للمجموعة السياحية الألمانية.

وأعلن مكبر الطائرة بالانجليزية دون اللغة الوطنية أن الطيران الى مدينة (ماندلى) سيستغرق نصف ساعة. وانه يمنع التدخين خلال تلك المدة.

وذلك لأن المنطقة جبلية وقد أبقوا اشارة ربط الحزام فى الطائرة مضاءة.

فى مطار ماندلى:

قبل الوصول بخمس دقائق كان مما يميز النظر هنا نهر يتلوى فى أرض مزروعة الا أن اكثر الحقول فيها هامدة لأنها مزارع أرز حصيد كما اخبرتنى الدليلة وقالت: إننا الآن فى فصل الصيف الجاف ومنظر المعابد البوذية الكثيرة التى بعضها يبدو ضخم البناء واسع المساحة مغالاً فى تزيينه وتأنيقه وبخاصة أبراجه العالية الذهبية اللون رغم أننا نراه مُن الجو، وهى كثيرة كثرة ملفتة للنظر.

أما طبيعة المنطقة التى فيها المدينة فإنها تبدو من الجو جميلة بقربها تلّة جبلية خضراء تتناثر فيها معابد بيض وشوارع المدينة مستقيمة وهي فى أرض اكثر خضرة من رانقون وأبهج نظراً، وحتى منازل القش أو البامبو الكئيبة المنظر الموجودة بكثرة فى ضواحي رانقون وما حولها موجودة هنا ولكن بقلة ربما كان ذلك لقلة السكان نسبيا (فماندلى) يقدر سكانها بثلاثمائة وثمانين الف نسمة على حين ان سكان رانقون يبلغون المليونين فيما قيل لنا.

وان كانت المدينتان تشتركان فى كون كل واحدة منهما كانت عاصمة، فرانقون هى العاصمة الحالية وهى حديثة لا يزيد عمرها على مائة وثمانين سنة و(مندلي) كانت عاصمة قديمة لمملكة بورما وهى قديمة الانشاء لذلك توجد فيها آثار عديدة من المعابد والمبانى وغيرها.

الموظفة السياحية المسلمة:

هبطت الطائرة فى مطار ماندلي وهو صغير رديء السفلتة ضيق المدارج قليل الأبنية يقع فى منطقة ريفية لا عمارة فيها الا المساكن الخشبية كالأكواخ.

وانصرفت الدليلة البوذية الى عملها مع الالمانيين الذين تخدمهم ونزلنا نبحث عن مكتب السياحة فى المطار لأنه هو الذى سينقلنا الى الفندق الذى حجزنا فيه فى المدينة وهو فندق ماندلي وذلك أمر مهم لنا لأن أخانا (سليمان سيدات) الذى قابلناه فى مطار رانقون قد ابرق لأحد الاخوة من المسلمين أن يلتقى بنا فى هذا الفندق ونريد أن يحجز لنا هذا المكتب السياحى فى المطار، لان اهل الفندق فى رانقون اعتذروا بعدم وجود امكانية الاتصال به من هناك وقالوا: إن مكتب السياحة فى مطار مندلى سيتولى كل ما يتعلق بأمركم ومن ذلك الحجز لكم فى الفندق.

فرأينا فى المكتب وهو صغير ضيق فتاة وحيدة مشرقة الوجه يتضح من وجهها انها ليست من العنصر الذي منه سائر أهل البلاد لأنها ذات مظهر عربى، فلما رأت اسمى فى الورقة محمد، قالت: باهتمام: انتما اذاً مسلمان؟ فقلنا: نعم والحمد لله فقالت: والناس يسمعون وأنا مسلمة مثلكم ثم حجزت لنا فى الفندق بالهاتف. وقالت اسمى (موميخان جان) وابى اسمه (جان) ولكنه مسلم وانطلقت تتقدم بعض الركاب الذين هم من الأجانب الى حافلة صغيرة حكومية وصارت تحدث الجميع عن معالم البلدة ثم قالت لنا إنها سترسل والدها الينا فى الفندق لأنه مسلم ولديه سيارة يمكنه أن يرينا المساجد ومعالم البلدة ثم نزلت عند بيتها قبل الوصول الى الفندق.

وتبين بعد ذلك ان والدها اسمه (محمد نصرة الله جان) وجان هنا: اسم موجود فى بعض الأسر المسلمة التى تنتمى الى الهند وتركستان فى الأصل من اهل الحرمين الشريفين كما أنها موجودة فى أسماء الاندونيسيين وقال الرجل كما قالت ابنته: إن أصلهم من العرب ولكن ذلك من عهد طويل، الا أنه الحق يقال أن مظهرهم شبيه بالمظهر العربى وان كان الرجل تغلب السمرة على لونه والبنت يغلب على لونها اللون العربى الأصيل وهو القمحي. ولكن حظ الرجل ليس جيدا معنا اذ سبقه الينا الأخ المسلم الذى هاتفه سليمان سيدات من رانقون.

فى مدينة ماندلي:

وهى مدينة أثرية مهمة كانت عاصمة لمملكة بورما قبل رانقون.

نزلنا فى فندق (مندلي) وهو فندق سياحى فى مستوى الدرجة الثانية رخيص الثمن اذ الغرفة فيه بثمانية عشر دولارا وهذه اذا صرفتها فى السوق الحرة نقصت الى سبعة دولارات ولا يقبلون فى مثل هذه الحالة الا بالعملة الصعبة الا اذا ابرز السائح ما يثبت أنه صرف مبالغ كبيرة بالعملة المحلية.

ولم نكد نستقر فى الفندق حتى حضر الينا الاخ (شمس الدين شيناوي) وقال: أنا الذى هتف بى (سليمان سيدات) من رانقون وقد أحضرت معى سيارة (اجرة تاكسى) لأخ مسلم واذا بها سيارة جيب قديمة

قال الأخ شمس الدين: إنها من زمن الحرب العالمية الثانية ولكن هكذا سيارات الاجرة فى مدينتنا أغلبها من هذا النوع.

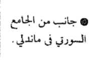
وكانت اولى المحطات فى هذه المدينة التاريخية القديمة الوصول الى مطعم مسلم صينى وتناول طعام الغداء فيه الذى يصح أن يقال فيه: إنه عشاء لأنه بعد الرابعة.

والمطعم صاحبه مسلم صينى اسمه حاجي (محمد حسين) واسمه (مطعم بكين المسلم، أو بالانكليزية كما كتب عليه: (بيكنج مسلم ستورانت) وعليه لافتة واضحة باللغتين البورماوية والانكليزية بمعنى واحد وهو أنه يمنع شرب الخمور واحضارها منعا باتا فى هذا المطعم. وتتوج البسملة الكاملة بنصها (بسم الله الرحمن الرحيم) اسمه المكتوب عليه وليست بالارقام كما اعتاد بعض المسلمين هنا على كتابتها بذلك.

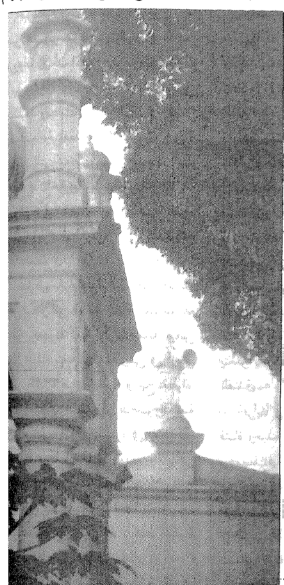
وبهذه المناسبة عن تحريم شرب الخمور أو إحضارها للمطعم سألت الأخ (شمس الدين شيناوي) مرافقنا الكريم عن غير المسلمين أيأكلون فى مطاعم المسلمين، فقال: إنهم يرتادونها كثيرا، وإن بعضهم يفضل الأكل فيها رغم كونها لا تقدم الخمر، وذلك لنظافة مآكلها ورخص بعضها.

وأهم ما يميزها أكثر أنه لا يقدم فيها لحم الخنزير وأن جميع اللحوم فيها وبخاصة من البط والدجاج يكون مذبوحا بأيدى المسلمين. وهذا أمر مهم هنا لأن أهل البلاد ليسوا من اهل الكتاب الذين تحل ذبيحتهم.

ورغم بعد العربية عن هذه المدينة البعيدة عن العاصمة (رانقون) فإن اللوحات واللافتات واللوحات المعلقة على جدرانه كلها بالعربية وهى لوحات إسلامية فواحدة كتبت عليها سورة الفاتحة وثانية الآية الكريمة: ﴿رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لى ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾..



● جانب من الجامع السورتي فى ماندلي.



وثالثة ﴿إنا انزلناه فى ليلة القدر﴾... الخ السورة وهى تحيط بصورة للحرم المكى الشريف فى وسطه الكعبة المشرفة.

وعندما حاولت تصوير لافتة المطعم ورأى طائفة من الأطفال الصورة معى أخذوا يصيحون على ويتوسلون بما لا أفهمه حتى ناديت الأخ (شمس الدين) فأفهمني أنهم يطلبون أن أصورهم وهم من سكان الحى وليسوا كلهم من أبناء المسلمين. وعندما برق نور المصورة فى أعينهم جن جنونهم وطربوا حتى رقصوا فذكرت بذلك فعل بعض الافارقة فى محبتهم للتصوير وكذلك بعض سكان جبال الانديز فى امريكا الجنوبية.

وهذا يدل على عدم شيوع المصوراتى (الكاميرات) فى هذه البلاد.

الأذان يصدح فى الأذان:

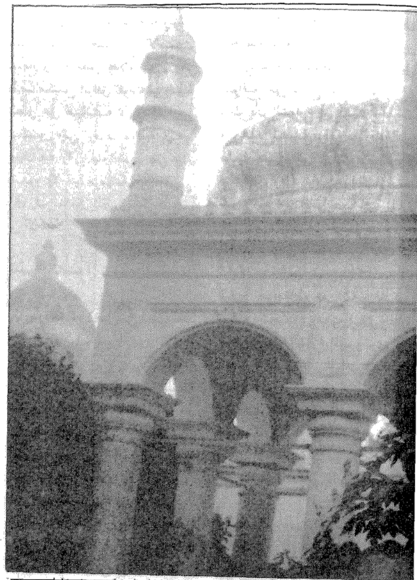
وبينما كنا ننتظر الطعام كان الأذان

يصدح في الآذان ويلج القلوب بدون استئذان من مكبر للصوت في هذا الشارع الهام من شوارع عاصمة بورما القديمة.

وحدثونا بما كنا سمعنا به فأبدوا

ونسبة البوذيين فيها ٨٤٪ والبقية مسلمون وقلة لا تكاد تذكر من المسيحيين.

وكان صوت المؤذن وهو يتردد في هذا الشارع الذي يعج بالحركة يظهر



القول وأعادوه عن مجد غابر كان للمسلمين، وقوة مالية وتجارية كبيرة كان من أثرها أن اشادوا المساجد وأقاموا المدارس واقترنت اسماؤهم بالمؤسسات التجارية المهمة.

ومن ذلك أن في مدينة (مندلى) وحدها على أقل الاقوال ثمانية وخمسين مسجدا مع أنها صغيرة بحيث لا يزيد سكانها على ثلثمائة وستين ألف نسمة

حتى ينفذ الينا في داخل المطعم مشيرا الى وجود مسجد قريب وقال الاخوة: إننا سنزور هذا المسجد بعد تناول الطعام.

المسجد السورتي:

كان الطعام الصينى بطبيعته شهيا وسرورنا بتناوله في مطعم هذا الأخ المسلم جعله هنيئا مريئا.

وكان سرورنا مضاعفا عندما انطلقنا الى جامع ليس بالبعيد منه يسمى كما كتبوا ذلك عليه (سورتي سنى مسجد) أي: المسجد السورتي لأهل السنة والسورتي: نسبة الى سورت من بلاد الهند لأن الذين قاموا على بنائة هم من اهل تلك الجهة، وكلمة (سني) نسبة الى أهل السنة والجماعة أمر له مدلوله أيضا لأن هناك طائفة من الشيعة يكون لها مساجد وهناك طوائف منحرفة كالقاديانية والاسماعيلية الاغاخانية الذين هم من الباطنية يكون لهم معابد قد يسمونها مساجد.

وقد وصلنا الى المسجد والقوم ينصرفون من صلاة العصر لأنهم من الحنفية الذين يؤخرون صلاة العصر قليلا بالنسبة الينا نحن الذين اعتدنا على أن نصليها في أول وقتها.

فكانت رؤيتهم وهم يخرجون من المسجد بكثرة ومع بعضهم أولادهم الذين حضروا للصلاة في المسجد أو للدراسة في مدرسة إسلامية هناك ملحقة بالمسجد منظرا يبهج النفس، ورأينا بناء في مؤخرة المسجد مؤلفا من قبة مرتفعة تشبه المظلة ظننتها قد بنيت على بركة الوضوء كما كان يفعل بعض الأثرياء من أهل الهند الذين يبنون المساجد ولكنهم أخبرونا انها على قبر باني هذا المسجد واسمه (اسماعيل الملا) وأنه قد توفى بعد بناء المسجد بمدة طويلة كما أن قبره ليس في جهة القبلة بل ولا في المسجد نفسه وإنما في ساحته الشرقية المقابلة لجهة القبلة.

وقد التف علينا المصلون واطفالهم الذين تركوا دراستهم بمعنى أنهم لم يذهبوا اليها احتفاء بهذه المناسبة ولا يستغرب ذلك من فضول أهل بورما

وكأنما جئنا اليهم من عالم آخر. والواقع اننا من عالم اقليمي آخر ولكننا إخوة لهم في الدين جئنا الى هذا المسجد لنراه ونصلي فيه كما يصلون ولكن ندرة وصول الاجانب اليهم وبخاصة من ذوى اللون العربى الذي لا يرونه يبعد كثيرا عن اللون الاوروبي.

ولن أنسى حينما أردت الوضوء وكانوا يتوضأون من بركة قد اجتمع فيها الماء يغترفون منها بأيديهم والبركة كبيرة ونازلة عن مستوى الأرض ويدل مظهر مائها على أنه لم يجدد منذ فترة. فكرهت أن اتوضأ منها وبحثت عن صنبور المياه الذي يصب فيها فأخذت أتوضأ ولكن القوم أقبلوا إلي يضحكون يظنون اننى جاهل أحتاج الى تعليم وهم يشيرون الى الماء ويغترفون بأيديهم من البركة يريدون أن أفعل فعلهم مع أن الماء موجود في الصنبور وهو لم يستعمل ولم يركد مثل ماء البركة.

وعندما لم استجب لعذل العاذلين منهم فى استعمال ماء الصنبور أسرع أحدهم وهو شيخ أبيض اللحية والثياب واخذ يغرف بيديه من ماء البركة ويصب على يدي ورجلي ليريني كيف أفعل وأفسد ذلك على ما قصدته من الوضوء من ماء الانبوب مباشرة.

ودخلنا المسجد فرأيته ذا محراب محلى باللون الذهبى كما هو اللون المختار فى هذه البلاد التى رأيتهم فى إعلاناتهم السياحية قد أطلقوا عليها اسم (بورما الذهبية).

وقابلنا إمام المسجد (اسماعيل بن يوسف) وهو يعرف قليلا من العربية تعلمه فى الهند.

ومما رأيته فى المسجد مكتبة عربية فى رفوف محيطة بواجهة المسجد فيها كتب متنوعة بين عربية وأوردية وليس فيها كتب بالبورماوية لغة البلاد لأن المسلمين بأكثريتهم هنا هم من أصل هندى.

ووجود المسجد قديم حدثونا أنه يرقى الى اكثر من مائة سنة لكن عمارته الحالية القوية هذه كانت فى عام ١٣٥٨هـ كما هو مكتوب عليه وفرشه جيد وسقفه بالخشب لا بالاسمنت المسلح ولكنه مطلى بطلاء بهيج، وهو نظيف مكتمل المرافق تقوم عليه جمعية تنفق على صيانته مما تجمعه من المسلمين ومن اوقاف موقوفة عليه، ورأيت فيه أوانى لمياه الشرب على هيئة القدور إلا انها مرفوعة عن الارض فوق رف بمقدار المتر ربما لكى ترتفع عن الاطفال.

مفتاح العلوم:

على عادة الاخوة من أهل الهند وغيرهم من الذين يأخذون الأسماء العربية بقصد انهم لا يعرفون معناها وجدناهم قد أسموا مدرسة ملحقة بالمسجد (مدرسة مفتاح العلوم) مع أنها بمثابة الكُتّاب وان احد مدرسيها الذي يدرس اللغة العربية فيها لا يستطيع التحدث بالعربية والسبب فى ذلك هو عدم تمرسه بالحديث بها.

وهى من بناء جيد من طابقين ملاصق للمسجد ويقع فى فنائه تظلله أشجار باسقة كالتى فى فناء المسجد والتى تشبه المدينة. والأشجار التى غرست فى هذه البلاد منذ فترة قديمة تلفت النظر بضخامتها ونضارة أوراقها وغصونها رغم ذلك.

وقالوا: إن المدرسة تضم مائة وخمسين من الطلاب ما بين ذكور واناث.

وبينما كنت اتفقد المسجد وباحاته افتقدت رفيقى الشيخ على عيسى وانتظرته عند السيارة فلم أجده فقيل لى: إنه فى المسجد ووجدته قد عقد حلقة لبعض الطلبة الذين يحفظون القرآن الكريم يدارسهم القرآن ويختبرهم فى التلاوة وقال: إنه انسجم معهم حينما رأى تحصيلهم فى حفظ القرآن الكريم جيدا وحرصهم على المحافظة عليه.

وتركنا هذا المسجد الجميل الجليل الواقع على شارع اسمه رقم (٨٤) ذلك بأن الشوارع فى القسم الحديث من هذه المدينة مرقمة بالارقام التى غدت أسماء لها لأن اكثرها شوارع متقاطعة، وعند تقاطع هذا الشارع مع شارع هام آخر اقاموا نصباً شبيه المنارة على البعد وهو فى الحقيقة يشبه برج المعبد البوذي وبخاصة فى أعلاه كما تراه فى هذه الصورة، وبينما كنا نسير فى شارع آخر مقاطع مع الشارع المذكور لمحت مسجدا فى نهايته ابيض المنارة ظاهرا فى هذا الشارع المهم، يرى على البعد كما يرى على القرب فالتقطت صورة للشارع من أجله الا أنه لم يظهر فى الصورة كما كان يظهر فى الرؤية لبعده، وهو للمسلمين البورماويين بمعنى أن الذين قاموا على بنائه هم من البورماويين المسلمين الأصلاء، وليسوا ممن أصولهم من الهند كالذين بنوا الجامع السورتي. ويسمى (توم بو مسجد).

مسجد مياو تاون:

هذا مسجد بورماوي ايضا والنسبة هنا للتعريف لا للتمييز فالذين قاموا عليه هم من اهل (بورما) الاصلاء، وهم فى المذهب مثل القادمين من الهند، ولذلك يصلى الجميع مشتركين فى المساجد والمسجد هذا بجانبه صومعة كبيرة وله منارتان أخرتان

دقيقتان وقد كتبت على واجهته الشهادتان بخط نسخي جميل.

ثم انطلقت سيارة الأجرة وهي من طراز جيب الذي قال عنه مرافقنا: إنه من الحرب العالمية الثانية ولكن الجهات التي ننطلق فيها الآن من مدينة (ماندلي) هي جهات حديثة نوعا وان تكن حداثتها نسبية فهي كلها قبل الاشتراكية التي توقف بناء المنازل عند ما حلت في البلاد فضلا عن تخطيط المدن وتنظيمها لأنه قد اصبح الهم الاكبر للقائمين على الحكم هو أن يثبتوا أنفسهم في الحكم وأن يردوا عنهم كيد من يريد أن يصدهم عن طريقهم.

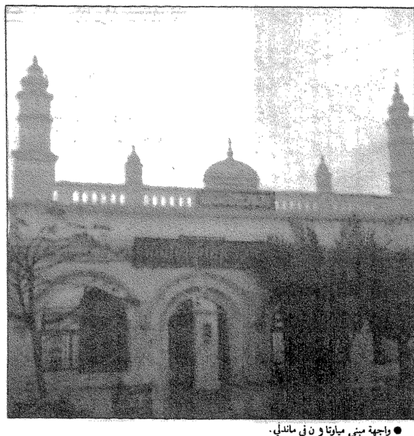
والشوارع هنا اكثرها جيد الاستقامة غير أن الارصفة لا توجد الا في بعضها والزفلتة فيها جيدة أيضا.

وقد لاحظت في هذه المدينة وجود طائفة ذات ملامح مشتركة ما بين البنغاليين وبين البورماويين وهم ليسوا من المسلمين وقد قدموا في الاصل من جهة الحدود المشتركة ما بين الهند وبورما وأهم ما يميزهم سواد البشرة بالنسبة الى بياض البورماويين الأصلاء الذي هو بياض مع صفرة في الحقيقة وليس بياضا خالصا.

(المسجد الصيني):

وللمسلمين من الصين هنا تميز واضح بين المسلمين فمطاعمهم شهيرة لكونها تقدم الوجبات الصينية من اللحم الحلال وأغلبهم يشتغلون بالتجارة.

وقد بنوا مسجدا خاصا بهم بمعنى أنهم الذين أنفقوا على بنائه وأعطوه مظهراً رمزيا من مظاهر طراز الصين في البناء. وهو المسجد الصيني الوحيد في (ماندلي).



● واجهة مبنى مياوتا و ن في ماندلي.

والسبب في هذا أنهم بنوه في حي يسكنه كثير من الصينيين من مسلمين وغير مسلمين.

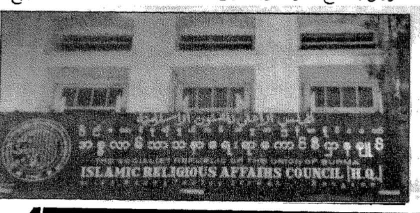
وأهم ما يميز هذا المسجد الصيني في المظهر قبة صينية ظاهرة يعلوها شاهد بمثابة المنارة ولكنهم لم يقتصروا عليها بل بنوا الى جانبها منارتين عربيتين مستدقتين.

والمسجد أو المصلى الرئيسي مرفوع عن الارض يصعد اليه بدرج وهو مفروش بالمشمع، حول محرابه نقوش وتزيينات صينية باللون الذهبي وفوقه الشهادتان بخط عربي جيد والآية الكريمة ﴿هو الله الذي لا اله الا هو﴾.

ووجود المسلمين الصينيين هنا قديم ربما يرقى الى قرنين من الزمان.

وهذا المسجد بالذات كتب عليه تاريخه في لوحة عند مدخله باللغتين الصينية والبورماوية وبني منذ مائة وإحدى عشرة سنة مضت.

«يتبع»





أهم الحرف والـ

وعرفت دباغة
الجزيرة العر
حرفة الحداد

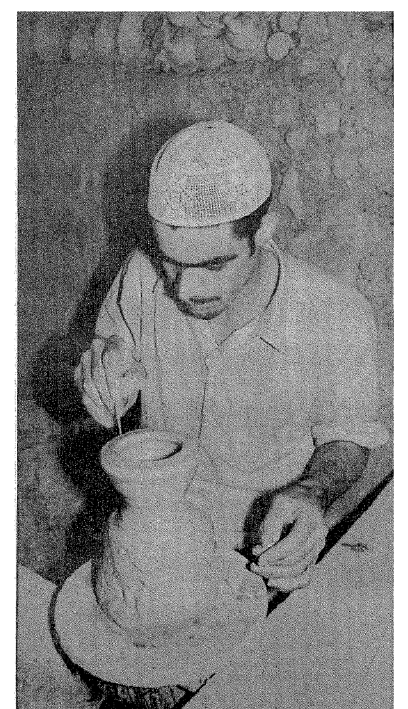
الدكتور غيثان علي جريس
كلية التربية - ابها

إن الحياة الحرفية والصناعية من أقل المواضيع التي ناقشها المؤرخون خلال العهود الإسلامية الأولى ، فعندما نريد معرفة أوضاع أى حرفة معينة خلال العصور الإسلامية المختلفة ، فربما لا نجد المعلومات الكافية لإعطائنا صورة واضحة عن هذا الجانب الحضاري ، إلى جانب أن الاقتصار على الكتب التاريخية البحتة لا يكفي لبحث مثل هذا الجانب ، ولابد من الاطلاع على مصادر أخرى متنوعة ككتب الأدب ، والجغرافيا ، والطبقات والتراجم وغيرها ، ثم إن دراسة مثل هذه الجوانب قد يختلف من مكان إلى آخر وذلك حسب أهمية المكان وما دون عنه من معلومات حفظته لنا المصادر الأولية ، فدراسة الحرف والصناعات في العراق أو بلاد الشام ليست في نفس المستوى لموضوع قد يدرس حول هذا الجانب في المنطقة الحجازية ، وذلك أن المناطق الأولى قد توافرت عنها المادة العلمية التي قد تسعف الباحث لإخراج بحث متكامل من جميع جوانبه ، في حين أن المناطق الحجازية قد ينقصها توافر المعلومات والسبب في ذلك يعود إلى درجة التدوين والتأليف بأنه كان قليلا حول الحجاز فيما لو قابلته مع غيره من أجزاء العالم الاسلامي وخصوصا تلك المناطق التي كانت تحيط أو تقرب من مراكز الخلافة سواء في الشام أو العراق أو بلاد مصر وغيرها من المدن الحضارية في الدولة الاسلامية .

الحرف والصناعات الموجودة عندهم ولكن ركـزت على أهمهـا وأكثرهـا نشـاطا ، وسوف تناقش على النحو الآتي ، دبـاغـة الجلود وخـرازتها ، والـنجـارة ، الـنسيج والخياطـة والصباغـة ، التعـدين والحدادة ، الصياغة ، ثم حرف أخرى متنوعة .

أولا : دباغة الجلود وخرازتها :

إن احـتراف دبـاغـة الجـلود وصناعتها قد عُرفت في أجزاء عديدة من شبه الجزيرة العربية من عصور مبكـرة قبل الاسلام ، فلم يكن استخدامها والتجارة فيها على نطاق المستوى المحلي الاقليمي فقط ، وانما كانت سلعـة عالمية يتاجر فيها تجار شبـه الجـزيرة ، وخـصـوصـا الحـجـازيين ، إلى أنـحـاء بعيدة ومتعـددة من العالم(١) . وقد أفادتنا بعض المصادر الاسلامية المبكرة عن المـدن الحجـازية التي كانت ذات شهرة عالمية في هذه الحرفة ، فيذكر الهمداني(٢) ، والبكري(٣) أن مدينة الـطائف كانت المـدينة الرئيسية في دباغة وتصنيع وتجارة الجلود الجيدة النوعية والادريسي(٤) وابن المجاور(٥) وياقـوت الحـموي(٦) قد وافقـوا الهمـداني والبكري على ما ذكرا ثم أضافوا ان سلعة الجلود المدبوغة في الطائف كانت من السلع الأساسية التي يعتمد عليها المجتمع الطائفي وذلك بترويجها والتجارة فيها ليس في شبه الجزيرة فحسب ولكن في أماكن عديدة من العالم .


هذه الأيادي القديرة، حفظت لنا التراث من الانقراض

ولكن مع قلة المادة التي نعترف بها جميعا حول المدن الحجازية فلم أكن يؤوسا في أن لا أجد بعض المعلومات التي تدل على وجود حرف وصناعات متعـددة عنـد أهـالي الحجاز خلال العهود الاسلامية المبكرة ، ولهذا فقد جمعت أنـواعـا مختلفـة من المصـادر الأولية ، حصلت من خلالهـا على بعض الحقائق حول عدد من الحرف والصنـاعـات المتـواجـدة عنـد الحجازيين والتي ستكـون موضوع هذا البحث ، علما أني لم أشمل كل

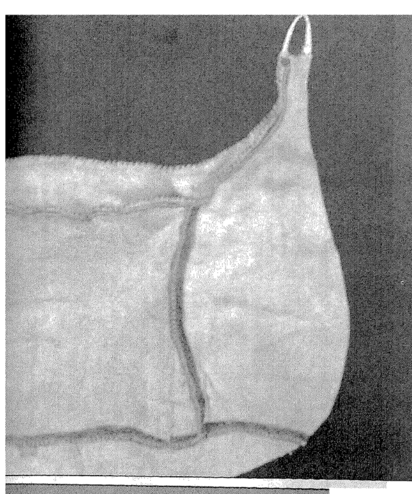
...ات في الحجاز خلال القرون الاسلامية المبكرة

...د وصناعتها في أجزاء عديدة من شبه ...ن عصور مبكرة قبل الاسلام كما عرفت ...جارة وبيع الأخشاب منذ القدم .

إلا أن الطائف لم تكن هي الوحيدة في الحجاز التي تمارس فيها مهنة دباغة الجلود ، وانما وجد في مكة وجدة والمدينة من يزاول هذه الحرفة ، لكن لم تكن في مستوى النوعية وكثرة الانتاج التي كانت في مدينة الطائف(٧) ، كما أن هذه المدن نفسها لم تكن في مستوى واحد من حيث الجودة والانتاج للجلود المدبوغة ، وتأتي مكة في المرتبة الثانية بعد الطائف كما كان هناك عدد من الحرفيين يعملون في دباغة الجلود فيها ، إلا أنها أيضا تعتبر السوق المركزي لترويج وتصدير انتاج أهالي الطائف من الجلود المدبوغة الجاهزة ، ثم إن بعض الطائفيين أنفسهم قد يذهبون إلى مكة للاستقرار بها ومزاولة حرفة الدباغة إلا أن مثل هذا الانتقال من الطائف إلى مكة لم يؤثر على سمعة الطائف في أن تتصدر المنطقة الحجازية في مزاولة هذه الحرفة(٨) .

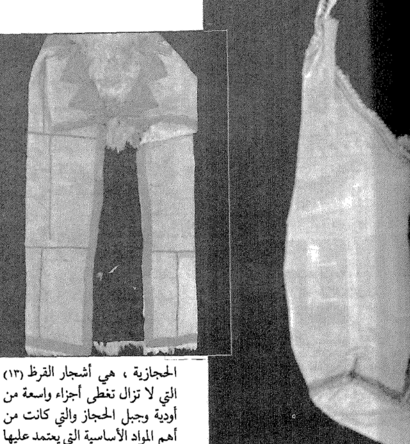
وبما أن أي حرفة أو صناعة تحتاج إلى عوامل مساعدة ومواد أولية ، فإن دباغة الجلود تحتاج إلى الجو الملائم للدباغة ، كأن يكون جافا وذا هواء معتدل ، ثم يستلزم وجود المادة الأولية للدباغة ألا وهي جلود الحيوانات الصالحة لمزاولة حرفة الدباغة ، ثم المواد والمحتويات التي تضاف إلى الجلود أثناء دباغتها وعادة تكون من أوراق ولحاء بعض الأشجار المخصصة لمثل هذه المهنة . وإذا كانت هذه اللوازم التي يحتاج إليها من يحترف مهنة الدباغة ، فانه لحسن الحظ أنها كانت متوفرة في الحجاز وخصوصا في مدينة الطائف وما يحيط بها ، فهي ذات جو عليل جدا لممارسة الدباغة ثم إن الحيوانات والأشجار الضرورية للدباغة كانت موجودة وبكثرة ليس في الطائف وضواحيها وانما في أماكن عديدة من أرض الحجاز(٩) ، ولهذا فلم يكن هناك أي عقبة لمزاولة مهنة الدباغة في الطائف وغيرها من المدن الحجازية .

ولكن نشاط حرفة الدباغة في المدن الحجازية ربما كانت واسعة ونشيطة حتى تستهلك جميع جلود الحيوانات التي كانت موجودة في المنطقة ، والدليل على ذلك أن عددا من المصادر تذكر نشاط استيراد الجلود غير المدبوغة من غير مناطق الحجاز حتى يتم دباغتها في كل من مكة والطائف ، وكانت المدن اليمنية وكذلك المدن العراقية وبلاد فارس وخراسان من أنشط البلاد التي تصدر هذه السلعة إلى الحجاز حيث يتم دباغتها هناك ثم تصديرها مرة ثانية إلى أنحاء العالم(١٠) .





● أعلى شنطة من الجلد.
● أقصى اليسار صناعة من جلد الغنم يرتديها البدو في أيام البرد.
● الى اليسار صناعة جلدية (شنانة لحفظ الزيت والسمن).

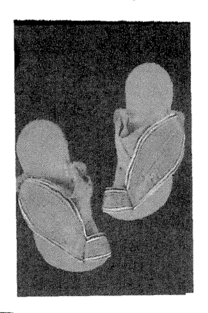


أمّا المواد الأساسية التي تضاف إلى الجلود أثناء دباغتها ، والتي يمكن الحصول عليها من بعض الأشجار والنباتات ، فنجد أن الدينوري(١١) وابن سيده(١٢) يذكران قائمة بأسماء الأشجار والنباتات التي تستخدم أوراقها في حرفة ودباغة الجلود ، ولم يكونا يكتفيان بذكر الأسماء فقط لهذه الأشجار وانما استطردا في وصف كل شجر أو نبات ونوعية الجلد الذي يتم دبغه مع التوضيح لبعض الأشجار المهمة والتي تكون أكثر صلاحية من غيرها في دباغة الجلود واعطاء صفات جيدة كالنعومة ، واللون للجلد المدبوغ . ومن يطلع على أسماء الأشجار والنباتات التي ذكرها كل من الدينوري وابن سيده ، فانه سيجدها جميعا في شبه الجزيرة وخصوصا أراضي الحجاز مع العلم أن من أهم وأحسن الأشجار التي تستخدم والمتواجدة بوفرة في المناطق الحجازية ، هي أشجار القرظ (١٣) التي لا تزال تغطي أجزاء واسعة من أودية وجبل الحجاز والتي كانت من أهم المواد الأساسية التي يعتمد عليها العاملون في مهنة الدباغة ، إذ كانوا يذهبون هم بأنفسهم لجمعها من أماكنها واحضارها إلى الأماكن التي تمارس فيها المهنة ، أو انه كان هناك من هو متخصص في جمع الأخشاب والأشجار المتنوعة ومن ضمنها شجر وأوراق القرظ الذي يحضر إلى الأسواق والأماكن المتخصصة في بيعها فيتصل الدّباغون بهؤلاء المهنيين ويشترون منهم ما أرادوا لكي يمارسوا حرفتهم في الدباغة(١٤) .

وحيث إن المصادر الأولية أكدت على نشاط حرفة الدباغة في المدن الحجازية خلال العهود الاسلامية الأولى ، إلا أنه لايزال لدينا بعض الغموض عن الطرق المتبعة ، والخطوات التي تتخذ أثناء عملية الدباغة ، ثم إنا لا ندري هل كان يعمل الدباغون في كل من مكة والطائف وغيرها على شكل نقابات وجماعات يتعاونون لمزاولة هذه الحرفة ، أم أنهم فقط كانوا يعملون على شكل أفراد أو أسر مستقلة بعضهم عن الآخر ، مع العلم أن الدينوري وابن سيده في فصليهما اللذين خصصاهما للدباغة زودانا بمعلومات قيمة عن بعض الخطوات التي تتبع أثناء الدباغة ، وزيادة على ذلك فقد ذكرا الأشجار وبعض الأدوات التي يستخدمها الدباغون أثناء مزاولة أعمالهم(١٥) ، وبالرغم من وجود هذا كله فالنقص لايزال واضحا ، وخصوصا في الطرق التكتيكية لممارسة هذه الحرفة ، ثم مدى ثقلها وعلاقتها بالأسواق والحرف الأخرى ، ثم أيضا التحديد والتعريف بالأماكن التي كانت تقام فيها المدابغ ، علما بأن عملية الدباغة قد تسبب مخلفات قذرة وكذلك رائحة غير طيبة ، فلهذا لا ندري عن العاملين في هذه الحرفة وكذلك القائمين على الحفاظ على نظافة المدن ، هل كانوا يحتاطون لمثل هذه الأمور أم لا ؟!

وطالما أن حرفة الدباغة تمارس بشكل جيد في مناطق الحجاز لهذا لابد أن يكون هناك حرفة الخرازة التي هي في الأساس تابعة لمهنة الدباغة ، فبعد عملية الدبغ تأتي صناعة هذه الجلود المدبوغة وتشكيلها على نمط أدوات مختلفة ،

● حذاء محلي من الجلد.



وقد يكون هناك من فئة الدباغين من يجيد حرفتي الدباغة والخرازة معا ، أو أن الخرازين المتخصصين يقومون بالاتصال بالدباغين والتعاون معهم لكي يحولوا انتاجهم إلى أدوات أكثر صلاحية للاستعمال ، فتروي لنا بعض المصادر عن تواجد الخرازين وبكثرة في المدن الحجازية ، وخصوصا في مكة حتى إنهم صاروا من كثرتهم يسيطرون على أماكن أصبحت خاصة بهم بل وعرفت بأسواق أو أزقة الخرازين في أماكن متعددة من مكة(١٦) . في حين أن مصعب ابن الزبير يتحدث عن هؤلاء الحرفيين في المدينة بمثل الصورة التي تحدثت بها المصادر عن مكة(١٧) . ولكن الشيء الغريب أن المصادر ركزت على تواجد الخرازين بكثرة في كل من المدينة ومكة في حين أن الطائف قد امتازت بشهرتها في الدباغة للجلود إلا أنه لا يذكر عنها شيء كثير في مهنة الخرازة ، وهذا أمر يجعلنا نتساءل هل كان يتم إرسال كل الجلود المدبوغة في الطائف إلى المدن الكبرى كالمدينة ومكة حيث يتم صناعتها ثم تصديرها ؟ أم أن الطائف كانت قد اهتمت بحرفة الخرازة إلا أن شهرتها في الدباغة كانت أكبر ، لهذا ركز المؤرخون على حرفة الدباغة أكثر من غيرها ؟ وهذان الاحتمالان ربما كانا واردين ، فالطائف كانت تصدر انتاجها من الدباغة ليس إلى المدن الحجازية فقط ولكن إلى أنحاء عديدة من العالم ، ثم إنه لابد أن يكون قد عمل الطائفيون على تصنيع الجلود وخرازتها على أشكال مختلفة(١٨) .

ثانيا ـ النجارة :

إن حرفة النجارة ذات أهمية كبيرة عرفتها المجتمعات منذ القدم ، ومن يطلع على تاريخ شبه الجزيرة بشكل عام وتاريخ الحجاز بشكل خاص ، يجد أن سكان هذه المناطق قد عرفوا مهنة النجارة ، وأن هناك من كان يعالج الأدوات الخشبية عن طريق النجارة على المستويين الفردي والجماعي ، ولأهداف تجارية عامة ، وكذلك لاستخدامات شخصية خاصة فعندئذ يتم انتاج أدوات خشبية متنوعة في الأشكال والأغراض(١٩) .

ولتواجد مهنة النجارة في أي مكان ، فانه يتطلب لها بعض المقومات الأساسية التي تستند عليها ، ومن أهم هذه المقومات توافر الأيدي الفنية العاملة ، ثم توافر المواد الأولية لصناعة الأخشاب التي تتمثل في الخشب نفسه ، الذي يتوافر في الأشجار الصالحة لمزاولة هذه الحرفة .

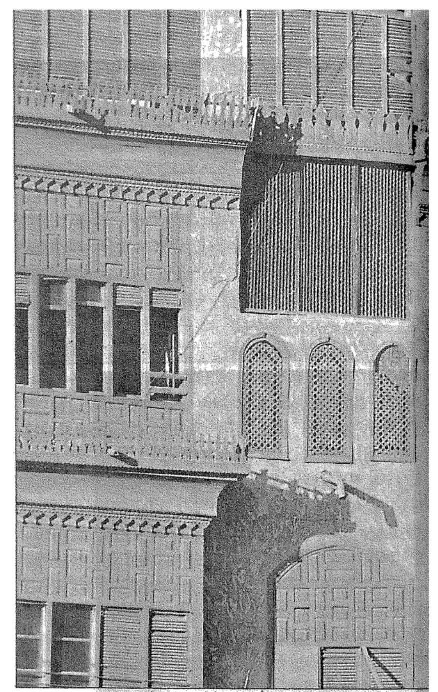
ومن حسن الحظ فان هذه المقومات الأساسية تتوافر في منطقة الحجاز . فتروي لنا عدد من المصادر وجود النجارين في كل من مكة والمدينة ، وان مزاولتهم لمهنة النجارة لم تكن قاصرة على سد الحاجة الخاصة للفرد ، وانما كانوا يمارسونها كحرفة تجارية يسعون من وراء مزاولتها إلى الكسب وسد الحاجة في وقت واحد ، ثم إن الأماكن التي كانوا يتخذونها للعمل لم تكن قاصرة على البيوت فقط وإنما كان لبعضهم أجزاء خاصة بهم في الأسواق وبعض الأماكن الأخرى في كل من مكة والمدينة(٢٠) . ومع أن المؤرخين الأوائل يخبروننا بتواجد من يزاول النجارة في المدن الحجازية ، إلا أنهم لم يفصحوا عن مستوى أولئك النجارين في أعمالهم التي ينتجونها ، ولا عن الطرق التي كانوا يتبعونها أثناء مزاولتهم حرفتهم ، بل ولا كمية إنتاجهم هل كان يكفي حاجة المجتمع الحجازي وهل كان يُصَدَّر منه شيء إلى خارج الحجاز ؟ كل هذه النقاط لم تكن توضح ، إلا أن بعض الروايات تذكر أن عِلْيَة القوم وأغنياء المجتمع الحجازي وكذلك الأمراء والخلفاء في عهد بني أمية وبني العباس كانوا لا يقتصرون على ما يتم انتاجه عن طريق النجارين المقيمين في الحجاز وانما كانوا يقومون بجلب بعض النجارين المهرة من بلاد الشام ، والعراق وبلاد فارس لكي ينفذوا لهم بعض الأشكال الخشبية المعقدة التركيب في بيوتهم وبساتينهم وغيرها من العقارات ، بل وفي المساجد والمشاريع العمرانية التي تم تنفيذها خلال القرون الاسلامية المبكرة(٢١) . وقد يكون سبب استيراد الأيدي الفنية لهذه المهنة ناتجا عن عدم وجود نجارين

أعدادا كثيرة من الأشجار الصالحة لحرفة النجارة مبينا مميزات كل شجرة من حيث الصفات الحسنة لإعطاء أدوات خشبية جيدة(٢٢) . إلى جانب مصادر أخرى توضح بشكل دقيق بعض الأماكن المليئة بالأشجار الصالحة لمهنة النجارة ، والواقعة في المناطق المحيطة بكل من مكة والمدينة والطائف وغيرها من مناطق الحجاز الأخرى(٢٣) . إلا أن أغلب هذه المصادر أجمعت على أن أحسن أنواع الأشجار في أعمال النجارة تتمثل في شجر الغرب ، التألب ، والعتم ، والشوحط ، والنشم ، والاثل ، والطلح وهذه الأنواع كلها توجد ولا تزال في منطقة الحجاز حيث يستطيع النجارون أن يُنتجوا من هذه الأشجار أشكالا خشبية متنوعة ومتعددة الأغراض(٢٤) .

ولأهمية وجود الأخشاب للنجارين في الحجاز ، فانه كان هناك من هو متخصص في جلب الأخشاب من الجبال والأودية المحيطة بالمدن الحجازية ، حيث كان يتم احضارها إلى الأسواق وبيعها لأصحاب هذه الحرفة ، حتى ليذكر انه كان بمكة والمدينة أسواق خاصة لبيع الأخشاب المتنوعة(٢٥) . ولم يكن الاقتصار على الأخشاب المحلية وانما كان هناك بعض الأخشاب المستوردة من الهند ، وبلاد فارس ، أمثال خشب الساج ، والأبنوس وغيرها ، حيث كان يأتي بها الأغنياء وعِلْيَة القوم في المجتمع الحجازي ، وكذلك الخلفاء والأمراء لكي يستخدموها في مشاريع عمرانية متعددة في كل من مكة والمدينة والطائف(٢٦) .

ثالثا - النسيج والخياطة والصباغة :

إن حرفة النسيج ، والخياطة والصباغة متكاملة في عملها ، فلا يمكن ممارسة الخياطة أو الصباغة



● استخدام الخشب بصورة فنية رائعة ، أضفى على العمارة مسحة من الروعة .

بين المجتمع الحجازي يستطيعون تنفيذ الأعمال الخشبية المعقدة التي قد يطلبها أصحاب الأعمال . ثم كون الروايات تذكر وجود نجارين مقيمين بين المجتمع الحجازي والذين أغلبهم من طبقات الموالي والعبيد ، وآخرين تم جلبهم من خارج شبه الجزيرة ، إلا أن المصادر أغفلت الحديث عن ما حدث من اتصال بين الفريقين ، وهل كان هناك نوع من الاحتكاك وتبادل الخبرات ، علما بأنه إذا كان الأفراد القادمون استطاعوا عمل أشكال جيدة ومعقدة التركيب ، فليس ببعيد أن يكون استفاد منهم بعض النجارين المقيمين في المدن الحجازية ، إلا أن هذا الاحتمال وإن كان قويا فليس عندنا من البراهين والدلائل ما يجعلنا نجزم بحدوثه .

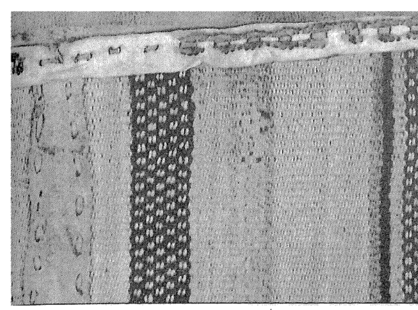
أما المواد الخشبية التي تتمثل في الأشجار والتي تعتبر عنصرا أساسيا في مهنة النجارة فكانت هي أيضا متوفرة في أرض الحجاز ، فمما سبق وأن ذكرنا في عنصر الدباغة من أن الدينوري قد أخبرنا بعدد من أصناف الأشجار المتواجدة في الحجاز والصالحة للاستخدام في حرفة الدباغة فهو هنا يذكر لنا

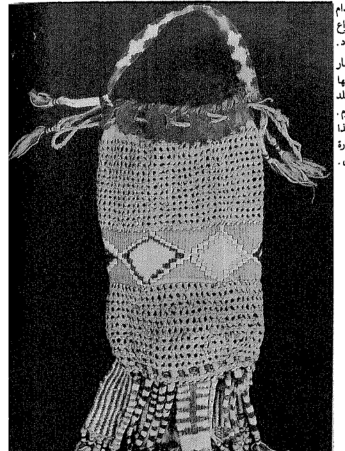
دون أن تتوافر المنسوجات التي على ضوئها يتم للخياطين والصباغين ممارسة أعمالهم ، وكل هذه الحرف وجدت عند العرب في شبه الجزيرة منذ العصور القديمة واستمرت تمارس في بلاد الحجاز وغيرها خلال العصور الاسلامية المختلفة(٢٧) .

١ ـ النسيج :

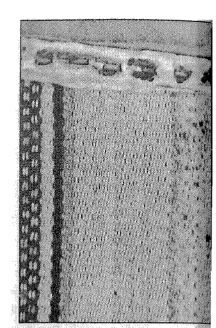
تتحدث بعض المصادر عن وجود حرفة النسيج في منطقة الحجاز ، فيذكر الأزرقي(٢٨) أن النساجين في مكة كانوا متواجدين بكثرة في البيوت والأسواق حتى إنه صار لهم أماكن ودكاكين تعرف باسم مهنتهم ، كسوق أو زقاق النسيج ، أو النساجين ، ثم إنه كان عليهم مشرف أو رئيس عام يتابع حركة عملهم ويطلق عليه أمير الحاكة أو النساجين(٢٩) . ومع أن الأزرقي يحدثنا بتواجد هؤلاء الحرفيين في مكة خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين ، إلا أنه لم يوضح لنا دور هذا الأمير الذي ذكر أنه مشرف على العاملين في هذه المهنة ، من الذي عينه أميرا ، ثم ما هي الأعمال التي كان يقوم بها تجاه من يشرف عليهم ؟ ومع العلم أيضا أنه لم يذكر المستوى الذي وصل اليه النساجون في مكة ، وهل كان انتاجهم كافيا لسد حاجة المجتمع ؟ كل هذه الأسئلة لاتزال غامضة وتحتاج إلى توضيح ، فمن ناحية الأمير الذي ذكر لابد أن يكون قد عيّنه أحد الملاك لمحلات النسيج في مكة ، والدليل على ذلك أننا نجد بعض المصادر الأخرى تذكر أسماء بعض الأشخاص الذين كانت لديهم محلات للنسيج ، وقد يعمل فيها عدد من العمال الذين غالبيتهم من العبيد والموالي ، ويكون عليهم مشرف عام يقوم بمتابعة أعمالهم وتزويدهم بالمواد الأساسية في عمل المنسوجات(٣٠) . وفي أغلب الظن أن هذا الأمير الذي قصده الأزرقي كان من ملاك محلات النسيج أنفسهم ، والسبب الذي يجعلنا نستبعد أن يكون هذا الأمير عُين من قبل خلفاء أو أمراء بني أمية وبني العباس هو أنه لم يكن في منطقة الحجاز محلات للنسيج تحت اشراف الخلافة وسلطاتها ، وانها كانت على العكس من بعض المدن في الشام ، ومصر وبلاد فارس ، في أنّه كان بالمدن الأخيرة محلات للنسيج والطرز مهمتها بالدرجة الأولى انتاج منتوجات وشعارات تستخدم لأغراض رسمية للخلفاء ، وموظفيهم(٣١) .

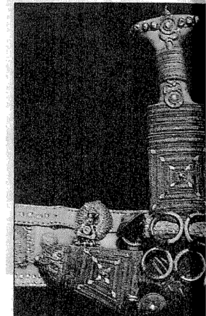
أما المستوى الذي وصل إليه النساجون في مكة أو غيرها من مدن





● أعلى استخدام الصوف في نسج أنواع من الفرش والسجاد .
● أقصى اليسار صناعة الخناجر محاملها وأغربتها من الجلد محلاة بالرسوم .
● الى اليسار في هذا الشكل تتضح مهارة العمل اليدوي .





الحجاز ، وكذلك نسبة إنتاجهم ، فلا أعتقد أن مستواهم كان عاليا كما وأن نسبة إنتاجهم قد تكون قليلة وضئيلة ، والسبب في ذلك أن المصادر الأولية بشكل عام لم تكن تذكر مستوى راقيا للنساجين بالمنطقة الحجازية ، ولا تلك الكمية الكافية التي تسد حاجة المجتمع ، وانما كانت تتحدث عن المنسوجات التي يتم تصديرها من المدن اليمنية ، والعراقية ، والفارسية ، وبلاد الشام ومصر وغيرها ، وكيف كانت أسواق الحجاز تستقبل الأنواع العديدة من المنسوجات المستوردة(٣٢) وهذا التصدير والاقبال من قبل أهل الحجاز يدل على أن مستوى منتوجات النسيج في الحجاز لم تكن كافية ولا جيدة المستوى .

٢ ـ الخياطة :

تتوفر المنسوجات في المدن الحجازية ، إما عن طريق الاستيراد من الخارج ، وإمّا من الانتاج المحلي ، وقد وجدت أيضا حرفة الخياطة التي تعتمد بالدرجة الأولى على توافر الأقمشة والمنسوجات التي تستخدم في هذه الحرفة . وقد أشارت بعض المصادر إلى وجود مهنيين في كل من مكة والمدينة يقومون بإحضار الأقمشة وبيعها إلى الخياطين للاستمرار في ممارسة مهنتهم ، علما أن أولئك الحرفيين لم يكونوا من أهل الحجاز فقط وإنما كانوا يأتون إلى أسواق الحجاز من أماكن عديدة داخل وخارج شبه الجزيرة ، إلى جانب أنه كان في مكة والمدينة من كان يقيم بشكل دائم ، ويمارس تجارة البيع للأقمشة بأنواعها ، حتى أصبح لهم أماكن معروفة باسم مهنتهم كأسواق القماشين أو البزازين(٣٣) .

وطالما وجدت الأقمشة في المدن الحجازية فلم يكن هناك مشكلة للخياطين الذين كانوا يشتغلون في الأسواق ، فيدفع إليهم القماش لتفصيله مقابل أجرة معلومة ، كما كانوا أحيانا أخرى يستأجرون للعمل وتفصيل الثياب في بيوت الأثرياء وعِلْيَة القوم من المجتمع الحجازي(٣٤) . إلى جانب وجود خياطين بدائيين لم يكن لديهم الدراية بفن الخياطة وتفصيل الملابس ، إلا أنهم قد يسدون حاجتهم في خياطة ملابسهم الخاصة وعادة تكون هذه الفئة بين الأسر الفقيرة في المدن وعند أهل البوادي والأرياف . أما العاملون في المدن والذين يمارسون حرفة الخياطة على مستوى واسع فليسوا إلا من طبقة الموالي والعبيد حتى إنه ليذكر أن غالبية الحرفيين في هذه المهنة من هذه الفئات(٣٥) . ومن المعروف أن طبقات الموالي والعبيد لم يكونوا من سكان الحجاز الأصليين وإنما قدموا إلى الحجاز خلال الفتوحات الاسلامية المبكرة من مناطق متعددة ومتباينة في ثقافاتها وحضاراتها ، وهذا مما لا شك فيه أنهم قد عملوا في الحرف والمهن أمثال الخياطة وغيرها وبالتالي أحدثوا أنواعا من التجديد والتطوير في الحرف التي أصبحوا يعملون فيها ، مستفيدين من خلفياتهم ومعارفهم التي اكتسبوها من أوطانهم الأصلية(٣٦) .

وطالما أننا لا ننكر وجود العاملين في مهنة الخياطة ، إلا أنه لايزال لدينا النقص واضحا في معرفة المستوى الذي وصلوا إليه من حيث إخراج تصاميم ونماذج جيدة ، ثم النسبة في الانتاج هل كانت كافية لخياطة ما يسد حاجة المجتمع الحجازي ، وقد أرى أنه لا يكفي لأن المصادر تشير إلى أن عليّة القوم من الحجازيين خلال القرون الاسلامية الأولى كانوا يعتمدون اعتمادا كبيرا على استيراد أنواع عديدة من الألبسة من البلاد الأكثر انتاجا من الحجاز ، إلى جانب أن خلفاء بني أمية وبني العباس وكذلك أمراءهم كانوا يذهبون إلى الحجاز فيتصلون بالأمراء والشيوخ والأعيان فيهدونهم الألبسة المتنوعة والجاهزة التفصيل(٣٧) ومثل هذه الملبوسات سواء أكانت عن طريق التجارة أو عن طريق الهدايا لابد أن يكون قد أثر في مستوى الانتاج في الحجاز لأنه بدون شك لن يستورد إلى أسواق الحجاز ولن يُهدى إلا نوعية جيدة من الألبسة ، والتي ربما لا يقدر الخياطون في الحجاز العمل مثلها علما أن هناك مصادر عديدة تذكر عددا من الألبسة التي كانت تُلبس في الحجاز ولكن لم تذكر هل صُنعت

محليا أم أنه تم استيرادها من خارج الحجاز(٣٨).

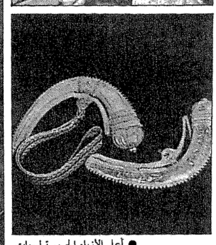
٣ ـ الصباغة :

إن حرفة الصباغة قد تسبق عملية الخياطة وأحيانا أخرى قد تليها ، وعملية التقديم أو التأخير تعود إلى الأهمية في ما يراد نسجه وخياطته ثم صبغه أو العكس ، إلا أنه بتوافر كل من حرفتي النسيج والخياطة لابد أن تكون قد وجدت حرفة الصباغة كذلك ، ولو أننا نجد الدكتور صالح العلي(٣٩) يشير في إحدى مقالاته أنه بعد أن بذل جهدا جهيدا في مصادر عديدة محاولا أن يجد اشارة تدل على وجود مكان للصباغين في المدن الحجازية إلا أنه لم يوفق في ذلك ، فأنا كذلك أوافق الدكتور العلي لأنه بعد البحث والتقصي قابلت النتيجة نفسها التي قابلها ، فلم أجد أي مصدر يذكر أي مكان يعرف باسم سوق أو زقاق الصباغين ، كما يلاحظ حول عدد من الحرف الأخرى(٤٠). إلا أن عدم وجود مكان معين يسمى بحرفة الصباغة لا يعني أنه لم يكن هناك من يمارس هذه الحرفة ، وإنما هو على العكس من ذلك فلابد أن تكون قد وجدت خلال القرون الاسلامية المبكرة ، والدلائل على ذلك عديدة من أهمها :

أ ـ أن عددا من المصادر ذكرت العديد من الأشخاص الذين كانوا يرتدون ألبسة ذات ألوان متعددة كالأزرق ، والأحمر والأصفر وغيرها ، وهذه الألبسة لا يمكن أن تكون قد وردت كلها من خارج الحجاز ، وإنما لابد أن تكون بعضها قد صبغت في أراضي الحجاز(٤١) ، وذلك أن من يطلع على كتاب الدينوري الذي مر ذكره في الصفحات السابقة يجده قد ناقش في فصل مستقل ، الأشجار والنباتات التي تستخدم في الصبغ لإعطاء ألوان متعددة مع ذكر أماكنها في منطقة الحجاز وغيرها من المناطق الأخرى في شبه الجزيرة(٤٢). كما أن المعاجم العربية الأخرى كاللسان لابن منظور(٤٣) والتاج للزبيدي(٤٤) وفقه اللغة للثعالبي(٤٥) قد أشارت إلى بعض الألبسة الملونة والأشجار المتعددة والمستخدمة في حرفة الصباغة والتي كانت معروفة عند الحجازيين .

ب ـ وهناك مصادر أخرى تشير إلى بعض المواد المستخدمة في الأصباغ مثل مادة العصفر(٤٦)، والزعفران ، والنيل ، والورس(٤٧) والإيداع(٤٨) والتي عرفها أهل الحجاز فاستخدمها بعضهم بل وبيعت في أسواق مكة والمدينة ، علما أن بعضها كان متوافرا في النباتات والأشجار التي توجد في الحجاز في حين أن البعض الآخر كان يتم استيراده من داخل وخارج شبه الجزيرة على حد سواء(٤٩).

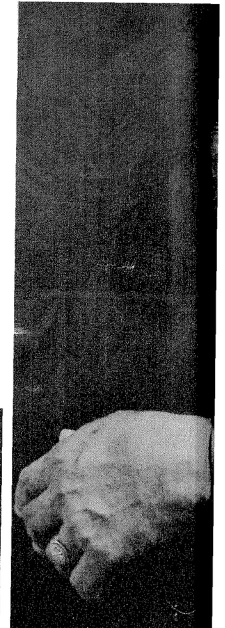




● أعلى الأزياء الحريمية لوحات من الجمال والبراعة .
● أسفل صناعة الخناجر .
● الى اليسار ادوات الزينة النسائية ، العقود والأسوره من الفضة والسوميت .
● أقصى اليسار صناعة ادوات الزينة . . . فن ومهارة .

رابعا ـ التعدين والحدادة :

قد يظهر لنا أن المصادر لم تتحدث بشكل واسع عن حرفة التعدين والحدادة ، وبشكل دقيق عن منطقة الحجاز ، إلا أن كتاب الهمداني(٥٠) يعتبر أفضل المصادر التي وصلتنا ،



فذكر لنا بعض المعادن المشهورة في شبه الجزيرة العربية ، وكان مما أشار إليه في بلاد الحجاز ، معدن بني سليم الذي كان يقع في بلاد قبيلة بني سليم وكانت هذه القبيلة هي التي تشرف عليه ، ويذكر عنه أنه كان معدن ذهب على وجه التحديد وقد كان يستخدم قبل الاسلام وخلال العهود الاسلامية المبكرة ، حتى إنه ليذكر عنه أنه كان له شأن عظيم خلال العصر الأموي ، فتروي بعض المصادر بأن كان عليه في سنة ١٢٨ هـ أمير يدعى عبدالله بن كثير(٥١) ، إلا أنه من الغريب أننا قد بحثنا عن هذا الشخص فلم نجد له ترجمة في أي مصدر كان ، ولهذا فاننا لا نعرف كيف تمت توليته أميرا على ذلك المعدن ، هل كان من قبل الخلافة الأموية التي كانت تحكم العالم الاسلامي في ذلك الوقت ، أم كان عن طريق قبيلة بني سليم نفسها التي كانت في حقيقة الأمر تتولى الحفاظ والسيطرة على ذلك المعدن ، ومع أننا لا نعرف من ولاه على هذا المعدن ، إلا أن أقوى الاحتمالات أنه ولي من قبل الخلافة الأموية وممثليها الاداريين في الحجاز ، والسبب الذي جعلنا نرجح هذا الاحتمال هو أن المعادن كانت ملكا [illegible] وليس للسلطة الادارية أو الخلافة في تلك العهود إلا أن تحصل على نصيب الزكاة من المعادن ، ولهذا فليس ببعيد أن عينت الخلافة



الأموية هذا الأمير لكي يشرف على المعدن فيحافظ على سير العمل ثم بالتالي يضمن نسبة الزكاة التي سوف تذهب إلى بيت مال المسلمين .

ومن يتتبع العمل في معدن بني سليم بعد ولاية عبدالله بن كثير قد لا يجد المعلومات الكافية التي تصور مسيرة العمل والانتاج به إلا أنه بدون شك لابد أن يكون قد استمر في انتاجه خلال العهد الأول من العصر العباسي ، وذلك لما امتاز به الخلفاء الأوائل من بني العباس من حنكة ودراية في سياسة الأمور ، غير أن الوضع لم يدم طويلا ، وذلك لما قد جرى من الصراعات السياسية في بلاط الخلافة العباسية بعد موت هارون الرشيد ، ثم بعد سيطرة الأتراك على بلاط الخلافة في عهد الخليفة المعتصم ، فتذكر الروايات التاريخية أن ما حدث من قلاقل سياسية في أرض العراق أثر بالتالي في أحوال القبائل في الحجاز ومن ضمن هذه القبائل قبيلة بني سليم التي اشتركت في حروب ونزاعات مع القبائل الأخرى كان هذا مما أثر على معدن بني سليم وانتاجه في أن بدأت القبائل العربية تغير عليه فتنهب انتاجه وتصيبه بالايذاء والدمار(٥٢) .

ومن المعادن المشهورة أيضا في منطقة الحجاز معدن القَبَلِيّة (٥٣) ، وهي أرض ومعادن أقطعها رسول الله (ﷺ) لبلال ابن الحارث المزني ، وكان هذا المعدن كثير الانتاج خلال القرنين الأولين من الاسلام ، ثم إن ملكيته لم تخرج من ورثة بلال بن الحارث(٥٤) ، إلا أن الشيء الذي لايزال غامضا حول هذا المعدن هو مقادير الانتاج الذي كان يخرج منه ، ثم هل كان عليه وال معين كما رأينا عبدالله بن كثير على معدن بني سليم في آخر عهد بني أمية ؟

ومعادن أخرى قد ورد ذكرها في أماكن متعددة من الحجاز مثل معدن الأحسن على حدود الحجاز من جهة نجد ، وكذلك معادن في ينبع ، وجبل رضوى بين مكة والمدينة(٥٥) ، إلا أن هذه المعادن لم يرد عنها إلا اشارات في بعض المصادر المبكرة دون أن توضح من كان يمتلكها وما المعادن التي كانت تستخرج منها .

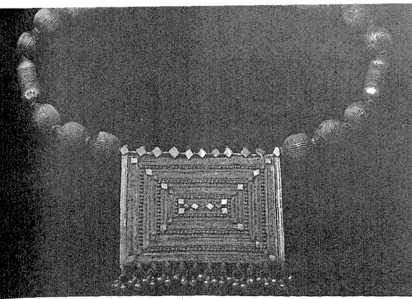
أما حرفة الحدادة التي تعتمد بالدرجة الأولى على الأيدي الفنية التي تصنع الحديد ، وكذلك على المواد الأولية من الخامات الحديدية التي بتوافرها يستطيع صانع الحديد أن يمارس مهنته ، فقد عرفت عند العرب من قبل الاسلام ، إلا أن الكتاني (٥٦) يروي لنا قصة تواجد صناعة الحديد في شبه الجزيرة ، وأنها راجعة إلى أن الرسول ﷺ لما فتح خيبر سبى في من سبى ثلاثين

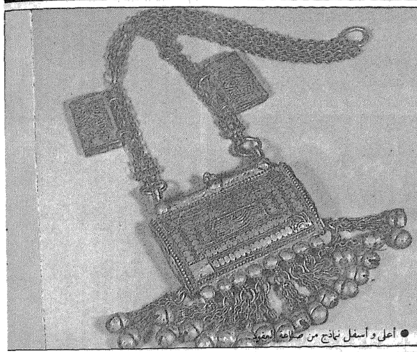
عبدا ، كانوا صناعا وحدادين ، ثم جعلهم يعلمون المسلمين في المدينة حرفة صناعة الحديد . وما فعله الرسول ﷺ ليس ببعيد أن يكون حصل ، إلا أن القول بأن صناعة الحديد لم توجد إلا في تلك الفترة التي غزى الرسول ﷺ فيها خيبر ، فهذا أمر قد لا يصدق لأن الحديد قد عرف عند عرب شبه الجزيرة من العهود السابقة لظهور الاسلام ، بل قد استخدمت الأدوات الجديدة المستوردة والمصنعة محليا في أغراض عدة ولأهداف متنوعة .

وقد ذكرت المصادر في القرنين الثاني والثالث الهجريين نشاط الحدادين في أسواق مكة والمدينة ، وكيف كانوا يزاولون حرفتهم لصناعة أدوات حديدية متنوعة الأشكال ، ومختلفة في الاستخدام ، بل وأشارت إلى أن غالبية الأيدي العاملة في هذه الحرفة كانت من طبقتي الموالي والعبيد في حين أن العرب كانوا ينظرون إلى هذه المهنة وغيرها من المهن نظرة ازدراء واحتقار (٥٧) ، علما بأن هذا التصرف قد لا يتفق مع الشريعة الاسلامية التي تنادي بأن يعلم المسلم حرفة أو مهنة يكسب من ورائها الرزق الحلال .

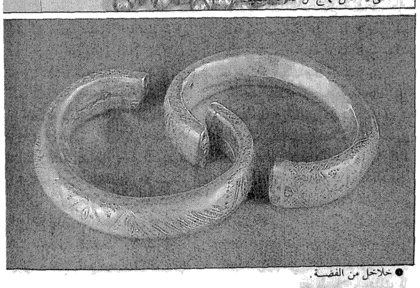
ومن يتفحص الدراسات الأثرية التي أجرتها جامعة الملك سعود في مدينة الربذة ، يجد أنه قد عثر على عدد من الآلات والأدوات الحديدية التي تعود إلى القرون الثلاثة الاسلامية الأولى ، ثم إن أغلبها كان قد صنع محليا في منطقة الحجاز (٥٨) .

ومع أن الحدادين كانوا متواجدين في أرض الحجاز إلا أنه لم يكن هناك معادن حديدية تسد حاجة هؤلاء الحرفيين ، لذا كان هناك حركة تصدير للحديد من مناطق خارج وداخل شبه الجزيرة ، أمثال اليمامة ، واليمن ، وبلاد فارس ، والهند وغيرها (٥٩) .





● أعلى و أسفل نماذج من صناعة العقيق.



● خلاخل من الفضة.

خامسا ـ الصياغة :

ومن الحرف التي عرفها أهل الحجاز ، الصياغة ، فيروي لنا الطبري (٦٠) ، وجود اليهود في المدينة قبل ظهور الاسلام وكيف كانوا يمارسون هذه المهنة بنشاط ، ثم عند هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة ، وتصادمه مع الفئات

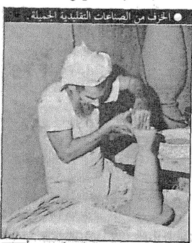
اليهودية هناك وقرر إخراجهم من المدينة ، ومن هذه الرواية نستطيع استنتاج عدة نقاط هي :

١ ـ ممارسة حرفة الصياغة بين عرب الحجاز ، علما بأن اليهود كانوا أصحاب الشأن في مزاولة هذه المهنة ، إلا أنه ليس ببعيد أن يكون مارسها بقية السكان من أهل المدينة ، لأنها مادامت أن عرفت لديهم فليس بغريب أن يزاولوها .

٢ ـ إدراك الرسول ﷺ أهمية الحرف بشكل عام لذا نراه يبقي على أدواتهم بعد طردهم ، وهذا مما يساعد المسلمين في استخدامها ومزاولة هذه المهنة ، إلى جانب أنه بهذا التصرف الذي فعله الرسول ﷺ لم يكن إلا إيعازا لتطوير وتحسين حرفة الصياغة كما رأينا في فصل التعدين والحدادة بترك الحدادين الذين سباهم من خيبر يمارسون مهنة الحدادة بين أهالي المدينة . ثم إن العمل الذي فعله الرسول ﷺ ربما يكون له أبعاد في أن إزالة الاحساس الذي كان ولا يزال عند بعض العرب بأن العمل في هذه المهن أمثال الحدادة والصباغة عمل حقير ولا يعمل فيه إلا الموالي والعبيد .

ومما لا شك فيه أن العمل في حرفة الصياغة قد تطور في العهود التالية لعصر الرسول ﷺ ، إذ يذكر لنا السمهوري (٦١) ، والعصامي (٦٢) ، نقلا عن ابن زبالة الذي عاش في المدينة خلال القرن الثاني الهجري ، أنه كان في إحدى ضواحي المدينة ما يقارب ثلاثمائة صائغ يمارسون مهنة الصياغة ، وقد يكون هذا الرقم مبالغا فيه ، إلا أنه على أية حال يدل على سعة ونشاط مزاولة هذه الحرفة في المدينة . ولم تكن المدينة وحدها هي المشهورة بالصاغة الذين يمارسون مهنة الصياغة ، ولكنهم وجدوا في أماكن متعددة من أسواق المدينة ومكة معا ، فكانوا يجلسون في حوانيتهم بالأسواق لممارسة عملهم ، وصناعة الحلي من الذهب والفضة ، كالأساور ، والخلاخيل والخواتم ، والأقرطة التي تستخدمها النساء وتتزين بها (٦٢) .

ولم يكن جلب المواد الأساسية لحرفة الصياغة صعبا ، وذلك لتوافر المعادن في الحجاز كمعدني بني سليم والقَبَلِيَّة فكانت تنتج بالدرجة الأولى الذهب ثم الفضة ، ولذا فان انتاج تلك المعادن لابد أن يذهب منه بعض الشيء للصاغة في الأسواق وغيرها حتى يمارسوا مهنتهم . ثم إن هناك مصدرا آخر ، إذ تذكر بعض المصادر أنه كان بين أهل الحجاز عدد من الأغنياء وعلية القوم يحصلون على المجوهرات والأدوات



الذهبية والفضية إما عن طريق التجارة من خارج الحجاز ، أو أن بعض خلفاء بني أمية وبني العباس كانوا عندما يذهبون إلى الحجاز في أيام الحج يقومون بتوزيع بعض الهدايا والكساوي على بعض أفراد المجتمع ، والتي كان من ضمنها بعض المجوهرات وما شابهها(٦٣) . وبتوافر مثل هذه المجوهرات إما عن طريق التجارة أو الهدايا ، لابد أن يحافظ عليها فتصان ويصلح ما خرب منها ، وهذا العمل لا يقوم به إلا الصاغة الذين هم أصحاب الحرفة .

سادسا ـ صناعات أخرى :

ومن الحرف والصناعات التي كانت موجودة عند الحجازيين صناعة الفخار ، إذ تروي بعض الكتب التاريخية بأنه كان في بعض مدن الحجاز أماكن خاصة ، يمارس فيها صناعة الفخار ، ثم إنه كان هناك مناطق معينة في كل من مكة والطائف يجلب منها المواد الأساسية ، كالطين وغيره لصناعة الأواني الفخارية (٦٤) .

وحرفة البناء ونقش الأحجار كانت متوافرة في المدن الحجازية ، حتى إنه كان هناك من يجيد فن النقش على الحجارة ، فيذكر السمهوري(٦٥) أنه كان لبني حرام في المدينة غلام رومي ينقل الحجارة وينقشها ، ومن يطالع التوسعات المعمارية التي حدثت في الحرم المكي ، والحرم النبوي خلال القرون الاسلامية الأولى ، يجد أنه كان هناك من يجيد حرفة البناء والنقش ، علما أن من يقوم بهذه الحرف لم يكن من أهل الحجاز فقط ، وإنما كان يستقدم بعض البنائين ، والنقاشين ، والمخططين والمهندسين المهرة الذين يقومون بتنفيذ بعض المشاريع التي يراد عملها ، فيذكر أن الخليفتين الوليد بن عبدالملك الأموي ، والمهدي العباسي كانا قد استقدما عددا من هؤلاء الحرفيين من مصر ، والشام والعراق أثناء توسعاتها للحرم المكي والمدني (٦٦) .

كذلك فصناعة الخصف والحبال كانت من المهن التي امتهنها المجتمع الحجازي ، فكانوا يستخدمون أوراق الأشجار ، وسعف النخل في عمل بعض الأثاث المنزلي ، كما أن صناعة الحبال والخيوط المتنوعة كانت معروفة ويمارسها بعض السكان ،

ومن يلقي نظرة على كتاب النبات للدينوري(٦٧) ، يجد أنه أفرد بابا في صناعة الحبال ، موضحا نوعية الحبال التي كانت تصنع ، ذاكرا الأشجار التي تستخدم لاستخراج المواد الأساسية لعمل أنواع متعددة من الحبال ، مع التركيز على شجر الخزم الذي يوجد بكثرة في جبال وأودية الحجاز ، والذي يعد من أفضل أنواع الأشجار في استخراج نوعية جيدة من الحبال .

وقد لا تكون صناعة الحبال من الأشجار فقط ، وإنما كانت تستخدم جلود الحيوانات ، كالجمال والأبقار في إنتاج أنواع جيدة من الحبال ، والتي يقوم على صنعها بعض المهرة من الرجال والشباب في المجتمع الحجازي .

ولم تكن كل الحرف التي عرفها أهل الحجاز قاصرة على ما سبق ذكره ، وأن ما تم شرحه في هذه المقالة يعتبر من أهم الحرف عند الحجازيين علما أن من يطالع كتاب الأزرقي ، أخبار مكه ، تحقيق رشدي ملحس يجد أنه قد ذكر في الفهارس أعدادا كثيرة من الحرف التي كانت معروفة عند أهل الحجاز والتي كانت تمارسها بعض الأيدي العاملة الفنية ، حتى صارت هذه الفئات الحرفية لا تعرف إلا باسم الحرفة التي تزاولها أمثال الخبازين ، الحجامين ، والطباخين وغيرها .

هوامش

١ ـ الجاحظ ، التبصر بالتجارة ، تحقيق حسن حسني عبدالوهاب (بيروت ، ١٩٦٦) ص ، ٣٤ ، جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، جـ ٨ (بيروت ، ١٩٧١ م) ص ، ٥٣٧ ، ٥٨٧ .

٢ ـ صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد الأكوع الحوالي ، (الرياض ، ١٣٩٤ / ١٩٧٤ م) .

٣ ـ جزيرة العرب من كتاب المسالك والممالك ، (الكويت ، ١٣٩٧ / ١٩٧٧) ص ٢٧ ، ١٢٢ .

٤ ـ «جزيرة العرب من نزهة المشتاق للادريسي » تحقيق ، ابراهيم شوكت ، مجلةلا المجمع العلمي العراقي ، جـ ٢١ (١٩٧١ م) ص ، ٢٦ .

٥ ـ صفة بلاد اليمن ومكة وبلاد الحجاز المسمى تاريخ المستبصر ، جـ ١ (ليدن ، ١٩٥١ م) ص ، ٢٥ .

٦ ـ معجم البلدن جـ ٤ (بيروت ، ١٣٧٦ / ١٩٥٧ م) ص ، ٩ .

٧ ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ ٥ (بيروت ، ١٣٧٦ / ١٩٥٧ م) ص ٥٠٠ ، ٥٢٢ ، الأزرقي ، أخبار مكة ، تحقيق رشدي ملحس ، ط ٤ ، جـ ٢ (مكة ، ١٤٠٣ / ١٩٨٣ م) ص ، ٢٦٣ ، الهمداني ، صفة ، ص ٣٢٦ ، ابن المجاور ، تاريخ ، جـ ١ ص ، ١٣ ، ٢٥ ، ٩٧ .

٨ ـ ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ص ٥٢٢ ، الأزرقي ، المصدر السابق نفسه ، الهمداني ، صفة ، ص ٢٦٠ ، المقدسي ، حسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، تحقيق دي غوي (ليدن ، ١٩٧٧ م) ص ٧٩ .
H. lammens (Taif) EIL, Vol. IV, P. 621

٩ ـ الجاحظ ، التبصر ، ص ٣٤ ، الهمداني ، صفة ، ٢٦٠ ، ٣٦٣ عرام السلمي ، كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها ، تحقيق عبدالسلام هارون (القاهرة ، ١٣٧٤ / ١٩٥٥ م) ص ٤٠٣ ، ٤٣١ ، المقدسي ، أحسن ، ص ٧٩ .

١٠ـ أنظر المصادر الآتية ، ابن خرداذبه ، كتاب المسالك والممالك تحقيق ، دي غوي (ليدن ، ١٣٠٦ / ١٨٨٩ م) ص ٣٥ ، الأصفهاني ، بلاد العرب ، تحقيق حمد الجاسر ، وصالح أحمد العلي ، (الرياض ، ١٣٨٨ / ١٩٦٨ م) ص ٣٠٨ ، ابن قدام ، كتاب الخراج ، دي غوي (ليدن ، ١٨٨٩ م) ص ١٨٩ ، ابن المجاور ، تاريخ ، جـ ١ ، ص ١٣ ، ٢٥ ، ٩٧ .

١١ـ كتاب النبات ، الجزء الثالث والنصف الأول من الجزء الخامس ، تحقيق بي ليون (ويسبادن ، ١٣٩٤ / ١٩٧٤ م) ص ١٠٤ ـ ١٢١ .

١٢ـ كتاب المخصص ، جـ ٤ (بولاق ، ١٣١٦ / ١٨٩٨ م) ص ١٠٤ ـ ١١٦ .

١٣ـ القرظ ، نوع من الأشجار التي تنبت في الجبال والأودية ، وله سيقان كبيرة وأوراق تشبه ورق التفاح . الدينوري ، النبات ، جـ ٣ ، ص ١٠٥ ، ابن سيده ، المخصص ، جـ ٤ ، ص ١٠٥ ، الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، حققه مجموعة من العلماء ، جـ ٢٠ (الكويت ، ١٤٠٣ / ١٩٨٣ م) ص ٢٥٦ .

١٤ـ الدينوري ، النبات ، جـ ٣ ، ص ١٠٥ ، عرام ، أسماء جبال ، ص ٣٩٩ ، ٤٠١ ، ٤٠٣ ، ٤٠٧ ، ٤١٧ ، ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ ٥ ، ص ٤٣٧ ، ٥٢٢ . ابن المجاور، تاريخ، جـ ١ ، ص ٢٥ ، ٣٢

١٥ـ الدينوري ، النبات ، جـ ٣ ، ص ١٠٤ ـ ١٢١ ، ابن سيده ، المخصص ، جـ ٤ ، ص ١٠٤ ـ ١١٦ .

١٦ـ الأزرقي ، أخبار ، جـ ٢ ، ص ٢٥٥ ، ٢٦٣ ، الفاكهي ، كتاب أخبار مكة ، رسالة دكتوراه بجامعة اكستر ، تحقيق فواز الدهاس (١٩٨٣ م) ص ٣٢٣ ، ٣٥٨ ، الأصفهاني ، كتاب الأغاني ، جـ ٣ (القاهرة ، ١٣٨٣ / ١٩٦٣ م) ص ٣٤٦ .

١٧ـ مصعب الزبيري ، كتاب نسب قريش ، تحقيق ليفي بروفنسال (القاهرة ، ١٩٥٣ م) ص ١٧٨ .

١٨ـ الجاحظ ، التبصر ، ص ٣٤ ، الهمداني ، صفة ، ص ٢٦٠ المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٢٨٩ الادريسي « جزيرة العرب » ص ٢٦ ابن المجاور ، تاريخ ، جـ ١ ص ١٣ ، ٩٧ ، ٩٨ .

١٩ـ الأزرقي ، أخبار ، جـ ١ ، ص ١٥٧ ـ ١٥٨ ، ابن رسته ، الاعلاق النفسية تحقيق دي غوي (ليدن ١٨٩١ م) ص ٢١٥ ، جواد علي ، المفصل ، جـ ٧ ، ص ٥٤٢ ، ٥٥٢ .

٢٠ـ الأزرقي ، أخبار ، جـ ٢ ، ص ٢٤٣ ، الحربي ، كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ، تحقيق حمد الجاسر (الرياض ، ١٣٨٩ / ١٩٦٩ م) ص ٤٥١ ، ابن رسته ، الاعلاق ، ص ٢٢١٥ الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١٦ ، ص ١٤٩ ، ابن عبدربه ، العقد الفريد ، تحقيق أحمد أمين وآخرين ، جـ ٦ (القاهرة ، ١٩٦٧) ص ٤٣٣ .

٢١ـ الأزرقي ، أخبار ، جـ ٢ ، ص ٦٠ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ١٠٣ ، الفارسي شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، تحقيق لجنة من كبار العلماء والأدباء جـ ٢ (بيروت ، بدون

تاريخ) ص ٣٤٦ ، ابن فهد ، اتحاف الورى بأخبار أم القرى ، تحقيق فهيم شلتوت جـ ٢ (القاهرة ، ١٤٠٤ / ١٩٨٣ م) ص ١٩٤ ، ٢٠٦ ، طاهر العميد « التوسعات القديمة والحديثة في عمارة المسجد الحرام » مجلة كلية الآداب ببغداد ، جـ ١٤ (١٩٧٠ / ١٩٧١ م) ص ٥٢١ .

٢٢- انظر الدينوري ، كتاب النبات ، تحقيق محمد حميدالله ، جـ ٢ (القاهرة ، ١٩٨٣ م) انظر أيضا :
Al. Dinawari's Book of plants (Kitab Al. Nabat) an Annotated English Translation of the Extant Alphabeticl Partion by A. Y. Breslin, Unpublished Master's thesis University of Arizon, 1986.

٢٣- عرام ، أسماء ، ص ٣٩٦ ، ٤٠٣ ، ٤٠٧ ، ٤٠٩ ، ٤١٣ ، ٤١٧ ، القزويني آثار البلاد وأخبار العباد (بيروت ، حوالي ١٩٧٥ م) ص ٨٦ ، ٨٩ ، صالح أحمد العلي « منازل الطريق بين المدينة ومكة » مجلة الداره ، مجلد ١٣ ، جـ ١ (١٣٩٧ / ١٩٧٧ م) ، ص ٣٥ .

٢٤- انظر التعريفات ومدى الأهمية لهذه الأنواع من الأشجار في عرام ، أسماء ، ص ٤٠٣ ، ٤٠٧ ، ابن منظور لسان العرب ، جـ ١ (بيروت ، ١٩٧٥ م) ، ص ٢٢٢ ، جـ ٧ ، ص ٣٢٨ ، جـ ١١ ، ص ١٠ ، الزبيدي ، تاج ، جـ ٢ ، ص ٥٥ ، جـ ١٩ ، ص ٤٠١ - ٤٠٢ .

٢٥- ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٤٣٧ ، الأزرقي ، أخبار ، جـ ٢ ، ص ٢٣٢ ، الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١٦ ، ص ١٤٩ ، جـ ١٩ ، ص ١٦٥ .

٢٦- الدينوري ، النبات ، جـ ٢ ، ص ٢٥ ، الأزرقي ، جـ ٢ ، ص ٢٤٣ ، الحربي ، ص ٣٥٤ ، ٣٨٩ ، ابن رسته ، ص ٤٣ ، ٤٩ ، ٥١ ، ١٣٤ ، الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١٦ ، ص ١٤٩ ، المقدسي ، ص ٧١ ، ٧٦ .

٢٧- ابن خلدون ، المقدمة ، جـ ٢ (بيروت ، ١٩٧٠ م) ، وهي مصورة من طبعة باريس ، عام ١٨٥٨ م) ، ص ٦٦٨ ، ٦٧٠ ، عبدالحي الكتاني كتاب التراتيب الادارية ، جـ ٢ (بيروت ، بدون تاريخ) ص ٥٨ ، ٦٠ ، ٩١ .

٢٨- أخبار ، جـ ٢ ، ص ٢٥٧ ، ٢٩٦ .

٢٩- المصدر نفسه .

٣٠- ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٤٣٧ ، الأصفهاني ، جـ ١ ، الأغاني ص ٦٥ ، ٧٨ ، جـ ٥ ، ص ١١٤ .

٣١- انظر ، الوشي ، كتاب الموشي ، (ليدن ، ١٨٨٦ م) ص ١٦٧ ،
M. Ahsan, Social Life under the Abbasids (London, 1979). P.68; A. Grohmann (Tiraz) EI, Vol. IV, P.785-6

٣٢- ابن سعد ، جـ ٥ ، ص ١٦١ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبوالفضل ، جـ ٧ (القاهرة ، ١٩٦٠ م) ص ٥٥١ ، ٧ ، ٥ ، صالح العلي « الأنسجة في القرنين الأول والثاني » مجلة العرب ، جـ ٤ ، ١٣٨١ / ١٩٦١) ص ٥٨٥ - ٥٩٠ ، صالح العلي « الألبسة العربية القرن الأول الهجري » مجلة المجمع العلمي العراقي ، جـ ٨ ، ١٣٨٥ / ١٩٦٦ م) ص ٤١ وما بعدها
Ahsan, Social, P. 29-30

٣٣- الأزرقي ، أخبار ، جـ ٢ ، ص ٢٥٩ - ٢٦٠ ، الفاكهي ، كتاب المنتقى في أخبار أم القرى تحقيق وستينفلد (ليبزج ، ١٨٥٩ م) ص ١٤ - ١٥ ، الكتاني التراتيب ، جـ ٢ ، ص ٣٢ .

٣٤- الأزرقي ، أخبار ، جـ ٢ ، ص ٩٢ ، ٩٥ ، ٩٧ ، الفاسي ، شفاء جـ ١ ، ص ٢٣٨ .

٣٥- مالك المدونة الكبرى ، جـ ١٦ (القاهرة ، ١٣٢٣ هـ) ص ٣ ، ابن خلدون ، المقدمة ، جـ ٢ ، ص ٣٠٩ - ٣١٠ .

٣٦- انظر ابن خلدون المقدمة ، جـ ٢ ، ص ٣٠٩ ، صالح العلي « الألبسة العربية » ص ٤٣ .

٣٧- الطبري ، تاريخ ، جـ ٧ ، ص ٥٥١ ، ٥٥٧ ، جـ ٨ ، ص ١٣٣ ، صالح العلي « الأنسجة » ص ٥٨٥ وما بعدها ،
Ahsan Social life - P. 29ff

٣٨- ابن سعد الطبقات ، جـ ٥ ص ٢١٧ ، الطبري ، تاريخ ، جـ ٧ ، ص ٥٧٧ ، ٥٨٢ ، الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٦ ، ص ٢٩١ ، جـ ١٩ ، ص ١٤٦ ، ١٦٤ .

٣٩- ألوان الملابس العربية في العهود الاسلامية الأولى » مجلة المجمع العلمي العراقي جـ ٢٦ ، ١٣٩٥ / ١٩٧٥ م ص ١٠٦ .

٤٠- انظر كتاب الأزرقي وفي الجزء الخاص بالفهرس من الجزء الثاني فقد أشار إلى عدد من الحرف التي كانت معروفة في مكة باسم الحرفيين ، فمثلا قد نجد سوق الحدادين والدقاقين وغيرها من الحرف العديدة .

٤١- مالك ، المدونة ، جـ ١٠ ، ص ١٦٩ ، جـ ١١ ، ص ٣٤ ، الفاكهي كتاب أخبار مكة ، ص ١١٩ - ١٢٠ ، الطبري ، تاريخ ، جـ ٢٧ ص ٥٧٧ ، ٥٨٢ ، الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٦ ، ص ٢٩١ .

٤٢- الدينوري ، كتاب النبات ، جـ ٣ ، ص ١٦٥ - ١٨٤ .

٤٣- جـ ٣ ، ص ٤٠٦ ، جـ ٤ ، ص ٧٤ ، ٣٢٤ ، جـ ٥ ، ص ١٧٦ .

٤٤- جـ ٩ ، ص ٢٨٦ ، جـ ١١ ، ص ٤٢٨ ، جـ ٢١٣ ، ص ٧٤ ، جـ ١٤ ، ص ١٢٥ ، جـ ١٧ ، ص ٨ .

٤٥- (بيروت ، ١٩٧٣) ص ٥٠ - ٥٦ ، ١٥٤ - ١٥٩ .

٤٦- العصفر نبات يوجد في بعض أجزاء شبه الجزيرة كاليمن وغيرها إلى جانب استيراده من أماكن متعددة في العالم الاسلامي كمصر وبلاد فارس ، وعندما يستخدم في الصباغة يعطي اللون الأصفر ، الدينوري ، النبات ، جـ ٢ ، ص ١٣٩ .

٤٧- الورس شجرة تنبت في بلاد اليمن وتستخدم في الصبغ إذ تعطي اللون الأصفر المائل إلى الحمرة ، الهمداني ، صفة ، ص ٢١٤ - ٢١٥ الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٢ ، ص ٢٨١ .

٤٨- الايداع شجر كبير ذو أوراق تشبه أوراق العنب ويوجد بكثرة في بلاد الحجاز ويستخدم في الصباغة معطيا اللون الأحمر . الدينوري ، النبات ، جـ ١ ، ص ٥٧ - ٥٨ ، جـ ٣ ، ص ١٧٧ ، عرام ، اسماء ، ص ٣٩٩ - ٤٠٠ .

٤٩ - ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ١٨٠ ، ١٨٩ ، مالك ، المدونة ، جـ ١٠ ، ص ١٦٩ ، الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٢ ، ص ٢٨١ ، الهمداني ، صفة ، ص ٢١٤ ، عرام ، أسماء ، ص ٣٩٩ .

٥٠- كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء (ابسلا ، ١٩٦٨) ص ١٣٨ وما بعدها .
See D.M. Dunlop (Sources of) Gold and Silver in Islam according to al-Hamdani (10 th century A.D.) Studia Islamic, Vol. VIII (1957) P.29 ff

٥١- الحربي ، المناسك ، ص ٣٣٥ ، الطبري ، تاريخ ، ص ٣٤٨ ، الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٢٣ ، ص

٢٢٧ ـ ٢٢٨ .

٥٢ـ الطبري ، تاريخ ، جـ ٩ ، ص ١٢٩ ، الحربي ، المناسك ، ص ٣٣٥ .

٥٣ـ معدن القَبَلِيّة يقع إلى الجنوب الغربي من المدينة وعلى بعد حوالي خمسة كيلو مترات . أبوعبيد ، كتاب الأموال ، تحقيق ، محمد هراس (القاهرة ، ١٣٨٨ هـ) ص ٣٨٧ ملاحظة رقم (٢) .

٥٤ـ أبوعبيد ، المصدر السابق ، ص ٣٨٧ ، ٤٧٠ ، البلاذري ، فتوح البلدان (بيروت ، ١٤٠٣ / ١٩٨٣ م) ص ٢٢ ، ٢٧ .

٥٥ـ المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١٠١ ، الأصفهاني ، بلاد ، ص ١٥٩ ياقوت ، معجم ، جـ ٢ ، ص ٢٣٤ .

٥٦ـ التراتيب ، جـ ٢ ، ص ٧٥ .

٥٧ـ الأزرقي ، أخبار ، جـ ٢ ، ص ٢٣٩ ، ٢٥٦ ، مالك ، المدونة ، جـ ١٢ ، ص ٤٢ ، الطبري ، تاريخ ، جـ ٧ ، ص ٥٢٨ ، ٥٣٠ ، ٥٤١ .

٥٨ـ S. Al. Rashid, Al Rabadhah (Riyadh, 1986) P. 1-14 الربذة تقع في الجنوب الشرقي من المدينة ، وهي تبعد عنها حوالي مائتي كيلا ، وتعتبر من أنشط المحطات على طريق مكة المكرمة خلال القرون الاسلامية الأولى انظر حمد الجاسر « الربذه تحديد موقعها » مجلة العرب ، جـ ١ ـ ٢ (١٣٩٥ / ١٩٧٥ م) ص ١ ـ ٣ .

٥٩ـ ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، تحقيق ، دي غوي (ليدن ، ١٣٠٢ / ١٨٨٥ م) ص ٢٥٤ ، الأزدي ، تاريخ الموصل ، تحقيق علي حبيبه (القاهرة ، ١٣٨٧ هـ) ص ٤٩ ، صالح العلي التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة خلال القرن الأول الهجري (بغداد ، ١٩٥٣ م) ص ١٩ .

٦٠ـ تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٨١ .

٦١ـ وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ، جـ ٤ (القاهرة ١٩٥٤ م) ، ص ١٢٣٠ ، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي جـ ٣ ، (القاهرة ، ١٣٨٠ هـ) ، ص ٩٢ .

٦٢ـ مالك ، المدونة ، جـ ١١ ، ص ٣٤ ، جـ ١٢ ، ص ٤٢ ، ابن سعد الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٤٩٠ .

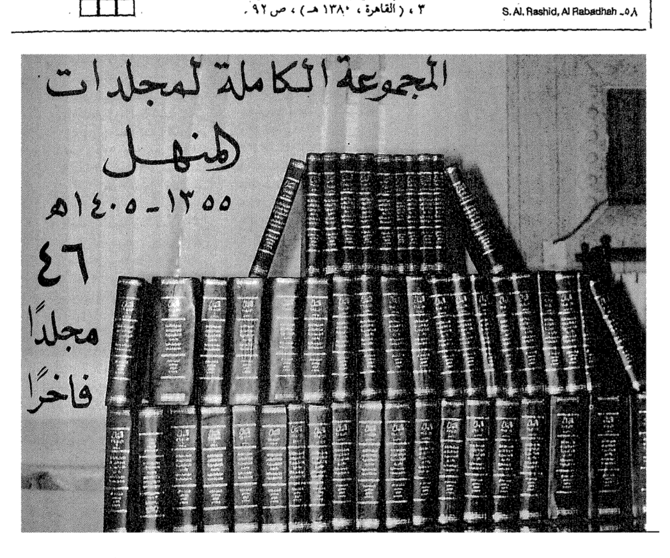
٦٣ـ انظر ، ابن بكار ، جمهرة نسب قريش ، تحقيق محمود شاكر ، جـ ١ (القاهرة ، ١٣٨١ هـ) ، ص ١١٣ ، ١١٤ ، مؤلف مجهول العيون والحدائق ، تحقيق دي غوي جـ ٣ (ليدن ، ١٨٦٩) ، ص ٢٩١ ، ابن فهد ، اتحاف ، جـ ٢ ، ص ١٧٧ .

٦٤ـ الأزرقي ، أخبار ، جـ ٢ ، ص ٢٥٥ ، الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٥ ، ص ٦٥ .

٦٥ـ وفاء ، جـ ١ ، ص ٢٠٤ .

٦٦ـ انظر ، الأزرقي ، أخبار ، جـ ٢ ، ص ٧٩ ، الفاكهي أخبار ، ص ٣٢٦ ، الحربي ، المناسك ، ص ٣٨٩ ـ ٣٩١ ، ابن فهد ، اتحاف ، جـ ٢ ، ص ٢١٤ .

٦٧ـ جـ ٣ ، ص ٢٣١ ـ ٢٥٦



شعر



د. ابراهيم السامرائي (الأردن)

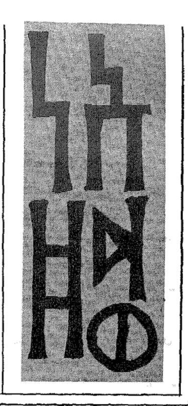
أيغريك نزر من أريب وبارع
ولست إلى وفر سلبت بنازع
وما أنت عما قد صرفت الى الذي
دهيت بها قد نال منك براجع
ولا أنت ممن شف من حسناته
طلائع هم أتبعت بطلائع
أفي قدر أن تحسم اليوم أمر ما
أظلتك في عمر فصول الوقائع
ورحت الى صعب من الأمر منشداً
كأنك تسلوه بألحان ساجع
قواف أبت إلا مطارحة الأسى
ويسعدها فيه رفيف المطالع
وراح الذي في بعضها يسقط السنا
على بعض ما يجبوه سحر البدائع
بدا في حواشيها من الكلم الذي
سما ، فأضاءت فيه زهر الروائع
حمدت لها صانت حفاظا ونائلاً
وسيمت بنجوى هتكت ستر فاجع
سعيت إليها ، وهي وافت بديهة
فنفس عن وفر سخي الشرائع

●●●

وقائلة: ماذا أصبت بغربة
قذفت بها في كل أوعر شاسع
وجردت عن طبع أبى غير واعد
من الخير قد خانته سود الطبائع
فقلت لها: إني ليحزبني هوى
إلى الخير لا أسعى به لمنافع
ولا أبتغى مالا يصون مروءة
متى نيل منها لم أحصن بوازع
وماذا أرجي لو تقلص ظلها
وهل بسواها لم أكن غير ضائع
عجبت لضر بات يعصف نوؤه
ويشتد في قوم هدير زوابع
ويأخذهم أخذ الذي لم يجد له
ملاذاً تداعت فيه هوج الزعازع

●●●

أنلني ما أصبو إليه ، وليس لي
مجال أعانيه إلى كل رائع
وهل لي أن أفضي الى الكلم الذي
عداني ، وإني في عمى غير سامع
حسبت سبيلي واضحاً ولو أنني
هديت له، أدركته غير واسع
ومن أين أقضي فيه حق لبانة
وقد عزني ما شمته من ذرائع
أفي غربة سدت علي مسالكي
وقد قام فيها من أذى كل مانع
وهل لي في ضيق من اليوم حيلة
إلى سعة مني، وما هو نافعي
ولست إلى شيء نأى من رسائلي
بساع، ولا في غث دنيا بطامع
خلا كل سعد خف عني طيره
وأخلف مني تامر غير يانع
وغامت سماء ضامها أي ظلمة
وقد غيل في أرجائها أي لامع
شقيت بها يشقى به كل ذاهب
الى أجل لا يتقيه بدافع





التحرير

(من التراث) صفحات نتذاكر فيها قول الماضين فإن فى أقوالهم: الحكمة المرسلة، النكتة الفكهة، القول المعجب، النصيحة البالغة.. وفى جملة أقوالهم امتاع ومؤانسة.. لغة وأدب.. فصاحة لسان وسرعة بديهة.

●● وبالصورة نسترجع تاريخ أمة سلفت .. وتراث حضارات سادت ثم بادت.

إصلاح مرثد الخير

بين سُبيع بن الحارث، وبين ميثم بن مثوب

«من كتاب جمهرة خطب العرب ـ الجزء الاول ـ تأليف احمد زكى صفوت ص ص ١٠-١٣

كان مرثد الخير بن ينكف قيلا، وكان حدبا على عشيرته، محبا لصلاحهم، وكان سبيع بن الحرث[١] وميثم ابن مثوب بن ذى رعين تنازعا الشرف، حتى تشاحنا، وخيف أن يقع بين حييهما شر، فيتفانى جذماهما[٢]، فبعث إليهما مرثد، فأحضرهما ليصلح بينهما، فقال لهما:

مقال مرثد الخير

إن التخبط[٣] وامتطاء الهجاج[٤]، واستحقاب[٥] اللجاج، سيقفكما على شفا هوة فى توردها[٦] بوار الأصيلة[٧] وانقطاع الوسيلة، فتلافيا أمركما قبل انتكاث[٨] العهد، وانحلال العقد، وتشتت الألفة، وتباين السهمة[٩]، وأنتما فى فسحة رافهة[١٠]، وقدم واطدة[١١]، والمودة مثرية[١٢] والبقيا معرضة[١٣]، فقد عرفتم أنباء من كان قبلكم من العرب: ممن عصى النصيح وخالف الرشيد وأصغى إلى التقاطع، ورأيتم ما آلت إليه عواقب سوء سعيهم، وكيف كان صيور[١٤]، أمورهم، فتلافوا القرحة[١٥] قبل تفاقم الثأى[١٦]، واستفحال[١٧] الداء، وإعواز الدواء، فإنه إذا سفكت الدماء، استحكمت الشحناء، وإذا استحكمت الشحناء، تقضبت[١٨] عرى الابقاء وشمل[١٩] البلاء.

فقال الملك:

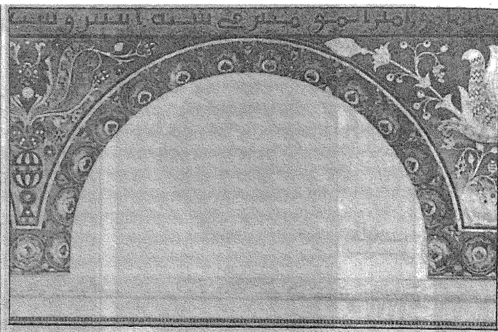
لا تنشطوا[٢٠] عقل الشوارد، ولا تلقحوا العون القواعد[٢١]، ولا تؤرثوا[٢٢] نيران الاحقاد، ففيها المتلفة المستأصلة، والجائحة[٢٣] والأليلة[٢٤]، وعفوا بالحلم، أبلاد[٢٥] الكلم، وأنيبوا إلى السبيل الأرشد، والمنهج الأقصد، فإن الحرب تقبل بزبرج[٢٦] الغرور، وتدبر بالويل والثبور، ثم قال الملك:

ألا هل أتى الاقوام بذلى نصيحة
حبوت بها منى سبيعا وميثما
وقلت اعلما أن التدابر غادرت
عواقبه للذل والقل جرهما
فلا تقدحا زند العقوق وأبقيا
على العزة القعساء[٢٧] أن تهدما
ولا تجنيا حربا تجر عليكما
عواقبها يوما من الشر أشأما
فإن جناة الحرب للحين عرضة
تفوقهم منها الذعاف المقشما[٢٨]
حذار، فلا تستنبثوها، فإنها
تغادر ذا الانف الاشم مكشما[٢٩]

فقالا: لا، أيها الملك. بل نقبل نصحك، ونطيع أمرك، ونطفىء النائرة[٣٠] ونحل الضغائن، ونثوب إلى السلم.

ـ هوامش ـ

(١) اخو علس، وعلس هو ذو جدن.



أكارية فى فسيفساء قبة الصخرة، يرجع تاريخها إلى عام (٧٢هـ)

- هوامـــش -

(٢) الجذم: الأصل وكذا الجذر.

(٣) التخبط: ركوب الرجل رأسه فى الشر خاصة، أو السير على غير هدى.

(٤) ركب فلان هجاج (غير مصروف)، ووهاج مبنيا على الكسر: أى ركب رأسه.

(٥) الاستحقاب: استفعال من الحقيبة أو من الحقاب، فأما الحقيبة، فما يجعل الرجل فيه متاعه من خرج أو غيره، والحقاب: بريم تشد به المرأة وسطها (والبريم خيط فيه لونان)، وهذا مثل: إما أن يكون أراد أن احتزم باللجاج أو جعله فى وعائه.

(٦) التورد: الاشراف على الماء وغيره، دخله أو لم يدخله.

(٧) الأصـــل.

(٨) انتقاض (والأنكاث جمع نكث، وهو ما نقض من الحبال ليعاد ثانية).

(٩) القرابـــة.

(١٠) ناعمة من الرفاهية.

(١١) ثابتـــة.

(١٢) متصلـــة.

(١٣) ممكنة قد أمكنت من عرضها، أى من جنبها وناحيتها، يقال قد أعرض لك الظبى قارمه، أى أمكنك من عرضه.

(١٤) عاقبـــه.

(١٥) الجـــرح.

(١٦) السعى والمثاى: الافساد والجراح والقتل ونحوه.

(١٧) اشتداده، وهو أن يصير مثل الفحل.

(١٨) تقطعـــت.

(١٩) من بابى فرح ونصر.

(٢٠) نشط العقدة: عقدها، وأنشطها حلها، والعقل ككتب جمع عقال، وهو الحبل.

(٢١) هو مثل، وأصله فى الابل، يقال: لقحت الناقة إذا حملت، وألقحها الفحل، ثم ضرب ذلك مثلا للحرب إذا ابتدأت، والعون جمع عوان، وهى الثيب، يقال للحرب عوان إذا كان قد قوتل فيها مرة بعد مرة.

(٢٢) تذكـــروا.

(٢٣) الاستئصـــال.

(٢٤) الشـــكل.

(٢٥) الأبلاد: الآثار، جمع بلد (كالندوب جمع ندب).

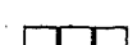
(٢٦) السحاب الذى تشفره الريح والزينة.

(٢٧) الثابتـــة.

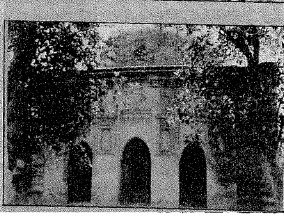
(٢٨) تفوقهم: تسقيهم الفواق بالضم (وهو ما بين الحلبتين) والذعاف: السم، أو سم ساعة (وسم ذعاف) والمقشم: المخلوط.

(٢٩) هو مثل: أى لا تخرجوا نبيثتها، وهو ما يخرج من البئر إذا حفرت: يريد لا تثيروا الحرب، ومكثها: مقطوعا.

(٣٠) العداوة والشحناء.

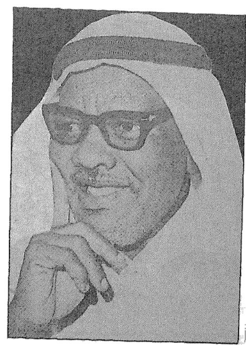


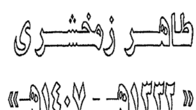




● أعلى من مخطوط مقامات الحريري المحفوظ فى المكتبة الوطنية/باريس. ● صورة الحجيج للواسطي

● أسفل مسجد قديم فى قرية غموالدي بمقاطعة سونارغاون فى بنغلاديش يرجع تاريخ انشائه إلى العصر السلطانى (٦٠١هـ-٩٤٥هـ).





الميلاد: فى مكة المكرمة عام ١٣٣٢هـ

التخرج: فى مدارس الفلاح التى أدت دورا كبيرا فى النهضة الادبية والثقافية فى بلادنا.

العمل: مراقب عام للبرامج.. مذيع بمديرية الاذاعة ١٣٩٦هـ (إ ذاعة المملكة العربية السعودية ـ الان ـ).. مقدم للعديد من البرامج الناجحة.

أول نقطة توهج.. برنامج الاطفال الناجح (بابا طاهر) الذى أسهم فى نجاحه تكوينه الانسانى الذى ينطوى على العواطف النبيلة من حب وود لعالم الصغار والاسرة.

وتزداد دائرة التوهج اتساعـًا .. حيث تنمو حواسه الفنية والذهنية فيمارس من خلال عمله (فن كتابة الاغنية) وتتفتح الافاق الابداعية فها هو طاهر زمخشرى يرتاد طريق الصحافة ويصدر مجلة الروضة للاطفال وتستمر من ١٣٧٩ حتى ١٣٨٣ للهجرة.

ولا يقف توهجه عند هذا الحد بل ينطلق يحدوه الاصرار ويتوجه الابداع الاصيل.. فيخرج الى النور ديوانه الاول أحلام الربيع عام ١٣٦٦هـ.. يهديه الشاعر إ لى محمد حسين هيكل ويقدم له الاديب المصرى حسن كامل الصيرفى.. والاديب السعودى أحمد عبـد الغفـور عطار.. ويفتح أحلام الربيع ـ باعتباره أول ديوان يصدر وينشر لشاعر سعودى ـ الطريق أمام أبناء جيله من الشعراء السعوديين لنشر نتاجهم فى دواوين، ويتوالى صدور دواوين طاهر زمخشرى.. وتبلغ ثمانية عشر ديوانـًا اخرها عام ١٤٠٠هـ (عبير الذكريات) ثم تصدر هذه الدواوين فى مجموعتين ـ (مجموعة الخضراء) ١٤٠٢هـ و(مجموعة النيل) ١٤٠٤هـ ويظهر من خلال هذه الدواوين اتساع التجربة الشعرية لدى شاعرنا طاهر الزمخشرى باتساع عواطفه الانسانية.. فينظم فى المدح والغزل والرثاء والهجاء والمناسبات.. وكذا فى الاخوانيات كما ينظم فى الشعر الدينى.. أى أنه يجوب موضـوعات الشعر العربى.. متمسكـًا بالنمط القصيدى فى الوزن والقافية لاعبـًا على قيثارة الرومانسية الحالمة متأثرا فى هذا بالمدرسة الرومانسية فى الشعر العربى.. للكلمة الشاعرة عاش طاهر زمخشرى .. وللانسان كان يشدو.. منوعـًا ومجددا.

فكان توهجـًا تزيـده الايـام تألقـًا..

رحـم الله طاهر زمخشـرى.

نقطة توهج

فلسطيننا

العدد ٤٩ جمادى الاولى والاخرة
١٤١٢هـ

بسم الله الرحمن الرحيم
﴿وأعدُّوا لهم ما استطعتُم من قُوَّة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم واخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم.. وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون﴾ (الانفال/٦٠)

محتويات العدد







(لقد دخل جميعهم القفص) تعبير جاء على لسان واحد من المحاورين الفلسطينيين.. منذ زمن طويل كان ينبغي لطرفي النزاع هذا القفص، لا ليتقاتلوا، ولكن ليخرجوا من هذا القفص وقد سويت خلافاتهم.. وهذه التسوية لا نعدها (حلما)، لكن طريقها (زلق)..

الاسرائيليون ينثرون في منعطفات هذا الطريق قدرا كبيرا من التعنت والمراوغة والصلف - وهو ثالوث مقدس لدى الاسرائيليين - وأصحاب الحق من الفلسطينيين والسوريين والاردنيين واللبنانيين عليهم التعامل بـ (حكمة) بالغة غايتها مع هذا (الثالوث المقدس) لدى الاسرائيليين.. الاجتماعات الاولى من مؤتمر مدريد كانت (عاصفة) أو هكذا أرادها الوفد الاسرائيلي عاصفة غشيت العقول بغبار كثيف من المغالطات، جاء بها (شامير) ليقول باختصار (ليس للفلسطينيين ديار هنا) وتلك مغالطة كبرى وشامير نفسه يعلم قبل غيره أنها مغالطة كبرى.. وهل يجدر بشامير أن يتخلى عن مبدأ أساسى واستراتيجي عرف عن اليهود.. إ نه مبدأ المغالطة والمراوغة.. أو إ ن شئت فقل (استراتيجية المغالطة والمراوغة) ولا ضير أن تعتمد هذه الاستراتيجية على الكذب المفضوح بل إ ن شئت فقل (الكذب فصيح البيان.. زلق اللسان).

واسرائيل ترغب فى أن يعطيها العرب (سلاما وأمنا) بل و(تبادل منافع) من غير أن تتفضل هى عليهم بارضهم التى استولت عليها غصبا واقتدارا ألم نقل إ نهم أمة مراوغة صلفة..

على كل حال .. انتهت العاصفة الاولى .. وبدأت المحادثات المباشرة بين الاطراف المعنية.. والطريق كما قلنا طويل زلق ومنعرجاته غير مأمونة (وحكمة الايام لابد أن تمنحنا الحنكة اللازمة للتعامل الامثل مع هذا الثالوث الاسرائيلي المقدس (التعنت، والمراوغة، والصلف).

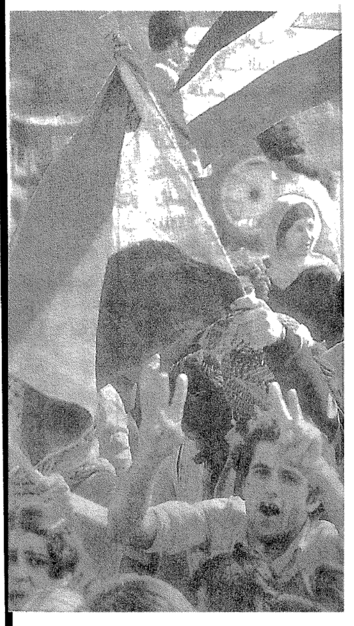
ولا أحسب أننا الان بسبيل موعظة نرسلها من على البعد، ولكننا بسبيل المصارحة والمكاشفة:

لا شىء اودى بنا الى المهالك غير التفرق والتضاد.. الحق الواحد، يلزمه القلب الواحد، واليد الواحدة، بل والرأى الواحد،، أما ان نتفرق شيعا واحزابا وفصائل يضرب بعضنا رقاب بعض فهذاما لايعقل وبخاصة فى الظرف الراهن الذى بدأت فيه بشائر السلام تهل على المنطقة.

لقد عانينا الكثير من التشتت والضياع على يد من اغتصبوا الارض، فلا أقل من أن نهون على أنفسنا يتلاقى القلوب ووحدة الهدف، لقد بذل جهد خارق فى عقد هذا المؤتمر، ولا يزال هذا الجهد مستمرا بقوة دفعه، وعلينا أن نفيد من دروس ما انصرم من الايام لنسترجع بالسلام ما وقفنا دونه من قبل.. فالعدو حجته داحضة، والحق غالب.

فلسطيننا

حسن الفلسطيني وثورة الحجارة ..



شعر: عائشة الخواجا

احذر الأعداء
واحذَر مكر أبناء الحرامْ . .
فالأرض يا ولدي . .
أرض الأحبة والنبيين الأوائلِ
والمياه لنا قراحْ . .

●●●

حسنٌ حبيبُ الكلِّ . .
يرقبه الصغار من الصباح
إلى الرواح . .
ويعود بالأحزان . .
والأحلامِ يهديهم طفولَتَه
التى لم ينسها . .
عمرِ الكفاح . .
ليقول ـ يا أختُ اقعدي
حتى الصباحِ . .
فإذا تأخرتُ اركُضي
نحو المراح . .
روحي ابحثي عني .
بهاتيك البطاحِ . .
أو ربما زادَ المزاح . .
فيقول: انسي فالشهيد له فضاء .
والنزيف له رباحْ . .

●●●

حسنٌ فلسطيني . .
من أرض الصراعْ . .
في أرضه وسمائه . .
كان المحيي في الضياع . .
حسن وتعرفه كروم التينِ
والزيتون . .
تعرفه الأسنة والأعنة
والحجارة في القلاع . .
دوما يفكر في القرى . .
خلف المخيم والمدائنِ
والمشاعْ . .
ولها يغني
موطني . . يا موطني . .

ويهيم حباً .. فالصبية
حبه الثاني ..
تربتْ في القطاعْ ..
وإذا رأى أخويه يبكى ..
للطفولة في خشوع
ما لدمعته انقشاع
يارب ـ
جنبهم يهود بأرضنا
بشفاعة القرآن
والهادي الشفيع ..

●●●

من صُلب شعب يرتجي أهلا ..
يهيم مشرداً ..
عرفته شاسعة البراري لاجئاً ..
أمـا المنونُ وطعمُها ..
فلعله الشيء الذي لم ينسه ..
ولعله الزادُ
الذي وافاه
في كل البقاع ..
عذراً أخي.
ما ضاق بالحب الكبير وحجمه
إلا ضحايا الانصياع ..
حسـنٌ يقـول:
أنا لفاشستٍ رُعاع ..
حجر تحدى في مواجهة
الغزاة وما أطاع ..

●●●

حسـنٌ جميلُ الوجـه
يهفو للقصيدة ..
حسـنٌ بنا والحسنُ يا أختيَ
البعيدة ..
لن يُعدمَ الايمانُ
في القلب الفسيحِ
ولن تهـون
بـه العقيدة ..
يا ليتني كنت الخناجر
يا حسـن ..
كي أطعن الصدر اليهودي ..
الذي ملأ الدنى
حقداً وأشعلها فتن .
يا ليتنى كنت الصواعق
يا حســن ..
كي أحـرقَ الاعداء ..
إذ راَعوا الأحبة
فى الوطن ..
يا ليتني كنت الصوافقَ والدمار .
لجعلت أعداء الحياة
الزارعين الخوف
في قلب الديار ..
هم وحدهم بعضَ الثمن ..
يا ليتني كنت البحورَ المائجات .
لدفعتُ أمواجي لتجليهُم
عن الأرض .. التى اغتصبوا
وتغسل بعدَهُم
تلك الربوعَ الطاهراتْ ..
يا ليتنى كنت السيوفَ الماضيات
لكنت أشفيتُ الصدور
الكامدات ..
يا ليتني كنت المشاكل
يا حســنٍ ..
لزرعتُ في أيامهم ..
كلَّ المحن ..
يا ليت أسيافاً لنا ..
صدقَت كما شاء الوطن ..
لكنه وقتُ التمزق
والتفرق لم يشأ
أن ينقضي ..
إلا وفي جنباتِ
أقداس الحمى .. الصوتُ الكر
لمـن رطـن ..
فاخترتَ أن تمضي ..
وصوتُكَ لى الصَّدى ..

ترديده الأبدي لن . .
ترديده الأبدي لن . .
ترديده الأبدي لن . .

●●●

يا ليتني كنتُ الجداولَ
يا حســن . .
لا جيء للروح الشهيد . .
في كل صبحٍ . .
في هنيهات المساءْ . .
وأكون في ظمأ الظما . .
طـلاًّ ندى . .
قطرات ماءْ . .
كي أسقي الأزهارَ
حولك . .
ولتكن . . . ثوباً طويلاً
لا كَفَنْ . . .
غطّاكَ . . من وردِ الوطنْ . .

●●●

يا ليتني كنتُ السفوح
الحانيــاتْ . .
وبنسمتي أهفو إليك . .
ألطِّفُ الجو الشديد . .
وأحضن الوجه الشهيدْ . .
أعطيه من عظمي . .
ومن قلبي سياجاً
إذ يعز على الشريد . .

●●●

يا ليتني كنتُ السواقي
البــارداتْ . .
كي تستقي مائي الصَّبايا
التائهـــات . .
تبتـل مـن مـائى
قلـوب الـواردات
ترتـاد منـي القطر
جــرَّاتُ البناتْ . .
عند الغروب يزرنني . .
يسألنني يا ساقية . .
هلاّ رأيتِ لنا حسنْ . . ؟
أرأيتِه مجروح ساقٍ
أو قــدمْ . . ؟
فأجيبهن وفي شراييني
ألــم . .
قد كان عندي أيّ نعمْ . .
قد بلَّ وجها وارتوي . .
ومضـى على سيـماهُ
باديـة تعذبــه
أعاصــيرُ الزمـنْ . .

●●●

يا ليتني . .
كفكفـت دمعَك يا حسنْ . .
وليتني رفرفتُ
عصفوراً حنونْ . .
أشـدو إليـكَ
وللصغار إذ بدمائهم . .
كتبـوا عبـارة
لـن نخون . .
كتبـوا عبارة
لـن نخـون . .

●●●

لا تجزعـي يا خالتي
من قبـة الثوب . .
المطرز قطعة
هذا لنا عينُ الوهن . .
وقف الشبابُ وكبروا . .
اللـه أكبـرُ . .
يا تصاريفَ الزمان الممتهن . .
أو ما سمعت غناءهم؟
لما توسطهم حسن . . ؟
قد شُقتِ الأرض استحالت
هـــزَّة . .
لما أتوك بدبكـــةٍ
وتحلقوا حول الشهيد . .



تهادروا دحيَّة . .
يا صوت نبض قلوبهم . .
أشجى له كلَّ الزلازل . .
فاستفاقت من تجاويف
الوطن . .
يا ضرب خطو رفاقِهِ . .
سمَّى عليه منَ الردى . .
فأبى شحوبَ الوجه . .
وازدانَ احتقن . .
وأكفهمْ يا خالتي . .
منها يطير شعاع أنجمهم
ولا . . يبدو على أكتافهم
أثر الغبار أو الحَزَنْ . .
يا خالتي . .
أخشى على أصحابه . .
أن يدمعوا . .
إن اليهود تجمعوا
حـول الزفاف . .
لكى يقال عن الشباب . .
انفض سامرهُم
وما ظلوا معاً . .
لكنني والله . .
لما رودوا ترويدة التوديع . .
خلتُ بلحنهم . .
أشياء لم يعجب
لها سـمعي . .
وما يحنى لها
من عزمهم ظهر الزمن . .

●●●

آ . . لو سمعت ضجيجهم . .
أو . . لو لمحت رقابهم . .
كانت تحوطُ كلها
برموز «حطَّاتٍ»
لها لونٌ عجيبٌ . .
شاهدتهم . .
فأنا وقفتُ وراءهُم . .

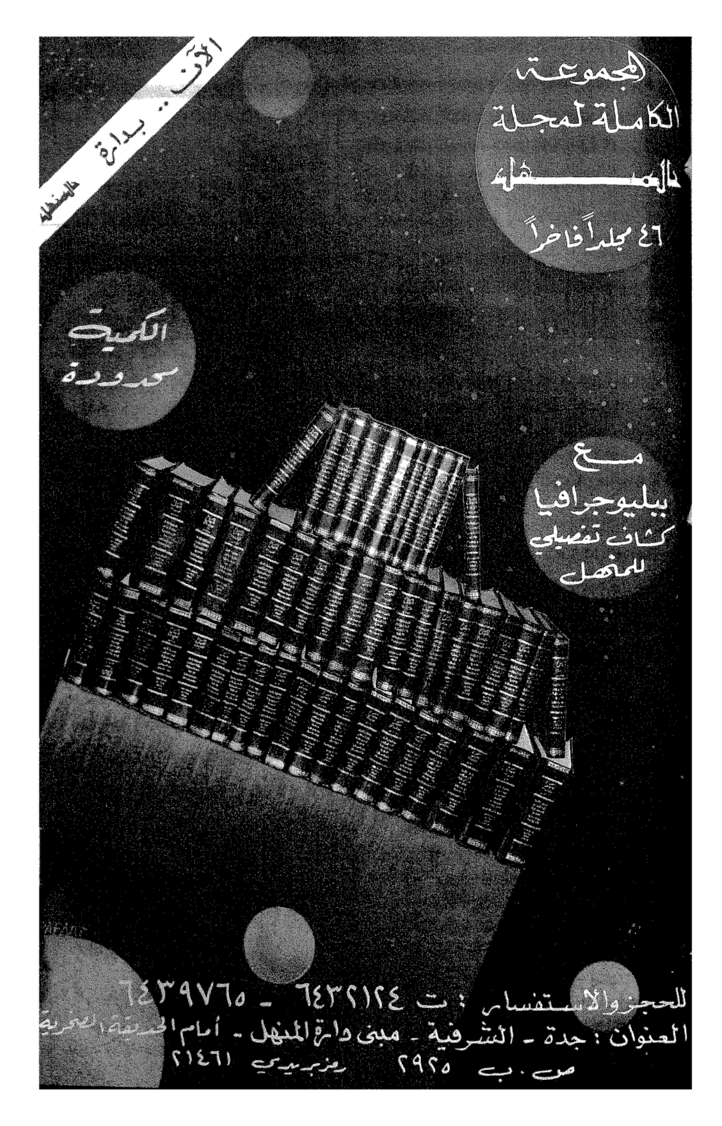
لم يغسلوا يا خالتي
جسـم الحبيبْ . .
كانت دمـاه
تجفُّ فوقَ الكعبِ . .
ما غنَّى لها
أبداً طبيب . .
وتواجهُ الأعـداء
تحت عباءة المختارِ . .
ينفضُهُم وَجيبٌ . .
يستشعرون الغضبة الحمراء . .
ترهبهم تضاريسُ الإشاراتِ
الموقَّعَةِ الأصابع
في ربى الوطن السليبْ

●●●

قومي له يا خالتي . .
قد حان وقتُ وداعِهِ . .
لا تلمسي وجناتِه بالدمع
واجتنبي الرقيب . .
إن شئت هيا حدِّثيه . .
عن الأحبة . . والعَتابا .
أوتَغنِّي بالهوينا . .
كم أحبَّ العزفَ
من ناي الغريبِ
إلى الغريبْ . .

□□□





الآن .. بدارة المنهل
المجموعة
الكاملة لمجلة
المنهل
٤٦ مجلداً فاخراً
الكمية
محدودة
مع
بيليوجرافيا
كشاف تفصيلي
للمنهل
للحجز والاستفسار : ت ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٣٩٧٦٥
العنوان : جدة - الشرفية - مبنى دارة المنهل - أمام الحديقة الصغرية
ص . ب ٢٩٢٥ رمز بريدي ٢١٤٦١

عرض كتاب
من المكتبة الفلسطينية

عن دار الجليل للنشر والدراسات والابحاث الفلسطينية فى عمان، صدر سنة ١٩٨٩ كتاب بعنوان (قبس من تراث المدينة والقرية الفلسطينية) للكاتبة صباح السيد عزازي.

تأليف: صباح السيد عزازي

قبس من تراث المدينة

□ فى مقدمة الكتاب أشارت المؤلفة عن الأسباب التى دفعتها الى تأليف هذا الكتاب، وهى المعلمة فى مدارس وكالة الغوث، تدرس بنات اللاجئين، تقف وجها لوجه ـ وهى اللاجئة الفلسطينية ـ أمام الواقع الأليم: واقع البعد عن الوطن الأم، وانسلاخ شعب عربى أصيل عن أرض آبائه وأجداده.. ولهذا كانت فلسطين ومازالت وستظل الشغل الشاغل لأبنائهم وأبناء أبنائهم، فهي في البال دائما وابداً مهما بعدت المسافات، وطالت سنوات الحرمان.

فقد جاء فى المقدمة: تهدف الخطط التعليمية المدرسية لإقامة الانشطة التربوية المكملة للمناهج المدرسية. وأنطلاقا من هذا الهدف اعتادت المدرسة أن تقدم أنشطة تربوية متنوعة لخدمة اهدافها التربوية، وعندما بحثت عن موضوع للنشاط هذا العام ارتأيت أن أبحث في موضوع التراث الشعبى الفلسطينى لعلي أجد رافداً ليكون موضوع بحثى هذا العام، فاتجهت إلى المكتبة أستطلع ما كتب فى روافد التراث الشعبى المختلفة كان منها ما يتعلق بالازياء الشعبية، وآخر يتحدث عن الحلى والمجوهرات وبعضها يتحدث عن الامثال الشعبية والمواسم الشعبية، وسرعان



ما خطر ببالى موضوع الغناء الشعبى في المجتمع الفلسطيني، فرأيت أن أبحث فى هذا الموضوع (أى الغناء) وذلك خشية من اندثار هذا الرا فد الجيد من تراثنا باندثار حافظيه خاصة، وهم من الفئة الكبيرة فى السن.

ومن تجربتى فى جمع الأغنية الشعبية وجدت أنها تكاد تكون منهج حياة، ففى بعض نواحيها تتحدث عن العرف والتقاليد التى كانت بمثابة القانون وعن النظام الاجتماعي والاقتصادي. بل هو أسلوب ونظام الحياة في مجتمعها آنذاك.

لقد كانت الأغنية بمثابة كاميرا تنقل الينا صور الارض وما عليها، فصورت لنا الطبيعة الجميلة والريف الصادق البسيط.. لقد كانت هذه المجموعة من الاغاني الشعبية برأيى صورة صادقة للحياة فى فلسطين من عناصر أساسية لكل من تراث يافا وسلمة وشقبا، وقد أرفقت المؤلفة بكتابها هذا قاموساً صغيرا للمفردات الفلكلورية التى تضمنها البحث.

الاغنية الشعبية الفلسطينية

إن مجموعة الأغاني الشعبية الفلسطينية التى احتواها الكتاب، والتى تمكنت المؤلفة من جمعها وتسجيلها مباشرة من لسان الشخصيات التى قامت بغنائها، نجد أن الأغنية الشعبية فى المجتمع الفلسطينى تعطى صورة واضحة للأرض وما عليها فقد أعطت هذه المجموعة من الاغانى صورة صادقة ووصفا حيا ودقيقا لما يلى:

● البيئة الطبيعية لفلسطين، حيث صورت الجبل والسهل والبيدر والنهر والبئر والصحراء ونباتات البيئة الجميلة، أى

وهـذا الكتـاب، تضمـن مجمـوعـة كبيرة مـن الاغانـى الفلسـطينيـة الشعبيـة، التـى استـطاعـت المؤلفـة التـى تجمعهـا وتسجلهـا مباشـرة علـى لسـان الشخصيـات التـى قامـت بغنائهـا.

الناشـر دار الجليـل
للدراسـات والابحـاث الفلسطينيـة
عمان ـ الأردن

عرض: زيـاد عـودة

ة والقريـة الفلسطينيـة

صورة البيئة الزراعية.

● القيم الاجتماعية السائدة فى المجتمع الفلسطينى والعادات والتقاليد، من هذه القيم الكرم والشجاعة والترابط الأسرى والعمل الجماعى للأسرة فى الحقل وارتباط الانسان الفلسطينى بالأرض والحقل وتمسكه بها.

● العادات والتقاليد وخاصة تقاليد الزواج والزفاف (أى الافراح) ومراسيمها من الخطبة حتى دخول العروس بيت زوجها وكذلك عرضت غلاء المهور.

● الظروف الاقتصادية للبلاد حيث وصفت المجتمع الفلسطينى بأنه مجتمع زراعي بحت أى يعتمد على الزراعة بالدرجة الأولى.

● قدمت الأغنية الشعبية الفلسطينية صورة لبعض الوسائل الانتاجية فى العمل.

● حدثتنا عن أهم المحاصيل الزراعية التى تنتجها بلادنا وعن الثروة الحيوانية فيها.

● ذكرت الأغنية الشعبية وسائل المواصلات حيث كانت الحيوانات هى الوسيلة شبه الوحيدة للنقل والمواصلات امثال الجمل والحصان.

● كما أعطتنا الأغنية الشعبية الفلسطينية صورة عن أزياء الرجال الشعبية فى الريف وهى الكبر أو الديماية والسروال والحطة (الكوفية) والعقال (غطاء الرأس).. أما بالنسبة لزى السيدات فكان الثوب المحلى بالتطريز والقطع المعدنية الذهبية أو الفضية (الدنانير الذهبية العصمليات).

أما فى مدينة يافا فكان الكاب (الترواك) الاسود زى السيدات. واما غطاء الرأس فكان الملاية السوداء والمنديل الأسود غطاء للوجه.

أما زى الرجال فهو القمباز (الديماية) وتحته يلبس الرجال شروالا أبيض وفوقه شروال آخر أسود، أما على الرأس فيضع الطربوش الأحمر المصنوع من قماش الجوخ الأحمر والذى يتوسط قمته مجموعة خيوط حريرية سوداء اللون مثبتة معا فى وسطه على شكل أهداب.

موضوعات الأغنية الشعبية

قامت المؤلفة بتقسيم موضوعات الأغنية الشعبية الى عدة أقسام متنوعة وأوردت بعض الشواهد حول ذلك على النحو التالى:

■ الموضوعات الوطنية: تتحدث الأغانى فى الموضوعات الوطنية عن تمسك الانسان الفلسطينى بالأرض الأم وتصر على شدة وبقاء انتمائه إليها، ونرى هذا المعنى في المقطع التالى من موال عتابا:

قال عتابا عود الريحان بالدار
نضوي على جبل حوران بالدار
وحق من أخلق شهر كانون وآذار


● جانب من الحرف...

وانا غير بلادى ما باهوى حدا
وبلادى لن شحت عليا كريا

● والزغرودة التالية ترينا شدة انتماء الانسان وتمسكه بالوطن:

أويها يا واحنا الفلسطينيات يا حق الحقيق
أويها وشرشنا في الأرض باحش له طريق
أويها وأنا طلبت من الله
أويها ما يعلى علينا رفيق

■ **موضوعات الحب والغزل:**

لقد جاء الحديث عن الحب والغزل بالمحبوب مختلطا متمازجا في أغلب الاغنيات في آن واحد، وذلك لأن الحديث فيهما غالبا ما كان متواردا.. ومن الاغانى فى هذين الموضوعين المقطع التالى من أغنية (يازريف الطول).

يا زريف الطول الليلة حناك ..
يا زريف الطول الليلة حناك ..
والمبروك في البيت ما وروني اياك ..
ع اليوم يا زريف لو انى من أهلك ..
واعبر واتفرج يا عز احبابنا ..
يا زريف الطول ويا زريف الطول
وانا جيتك وليش تروح تقول

■ موضوعات الافراح.
■ موضوعات تتعلق بنظام الاسرة فى المجتمع الفلسطينى.
■ موضوعات المدح والفخر.
■ موضوعات تتعلق بوصف الطبيعة الجميلة وتعابيرها البريئة.
■ موضوعات تتحدث عن الغربة أي البعد عن الوطن: وتتضمن الشكوى والألم للبعد عن الأهل والوطن، وفي المقابل تتحدث عن الفرح عن عودة المغترب إلى أهله ودياره ووطنه.

●● والمقطع التالى من عتابا يوضح لنا ألم الغربة وعذابها:

جمال محملة وجمال من التعب بتعن..
غريب في بلاد الناس بـ أعن.
وأنا حملت بضاعتي وجيت أعن..
غريب وما حدا منى اشترى..

■ وعند عودة الغائب إلى أهله ووطنه يسود الشعور بالفرح والسرور، ومن الاغانى التى تتضمن هذا المعنى أغنية (روح الغايب):

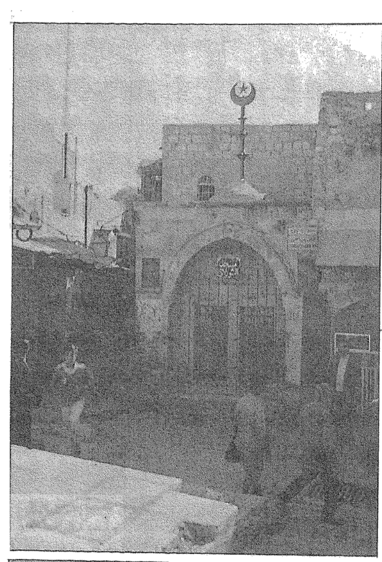
روّح الغايب على بلده
واتجمع شمله على ولده
روح الغايب على داره
واتجمع شمله على عياله
روح الغايب على بيته
واتجمع شمله على خوانه

■ وتطرقت المؤلفة إلى الحديث عن «وظيفة الأغنية الشعبية» وعن «صور من المجتمع الفلسطينى من خلال الأغنية الشعبية» وعن «سمات الأغنية الشعبية الفلسطينية».

وبعد، لقد جاء هذا الكتاب ليسد ثغرة مهمة في موضوع الغناء الشعبى الفلسطينى.. وهو جهد كبير تشكر عليه مؤلفته.

● الأزياء الفلسطينية الشعبية والذوق الفنى الرفيع

قبة يوسف اغا



أنشأ هذه القبة يوسف اغا، الوالي التركي، في سنة ١٠٩٢هـ/١٦٨١م.

ويتكون بناؤها من قبة ضحلة، أقيمت على طراز القباب العثمانية. وقد فتحت ثلاثة من جوانبها الأربعة. وتستند تلك الجوانب على عقود مدببة كبيرة. وقد أغلق الجانب الرابع بجدار، وأنشىء محراب في منتصفه. وتعلو المحراب لوحة كتابية زالت معظم حروفها. ولعلها تشير الى اسم الباني، وسنة البناء. وهي الآن مكتب لبيع التذاكر.

مسجد الشوربجي وسبيله

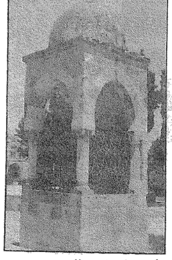
أنشأ هذا الأثر الحاج عبد الكريم بن مصطفى الشوربجي، في سنة ١٠٩٧هـ/ ١٦٨٥م، وجعله سبيلا، وله حوض، وطاسات نحاسية. ووقف عليه أوقافاً، وعين له عدداً من الموظفين مثل المسجلاتي، والمنظف، كما يتبين من وقفيته المسجلة لدى المحكمة الشرعية فى القدس.

ثم حول هذا السبيل إلى مسجد وهو الآن عبارة عن بيت صغير للصلاة، وهو بيت مربع الشكل تقريباً. وله مدخل صغير في واجهته الشرقية، يتناسب وحجمه. وتغطي بيت الصلاة قبة صغيرة. وله محراب في منتصف واجهته الجنوبية. ويتكون هذا المحراب من حنية مجوفة مغطاة بالبلاط الصيني الحديث.

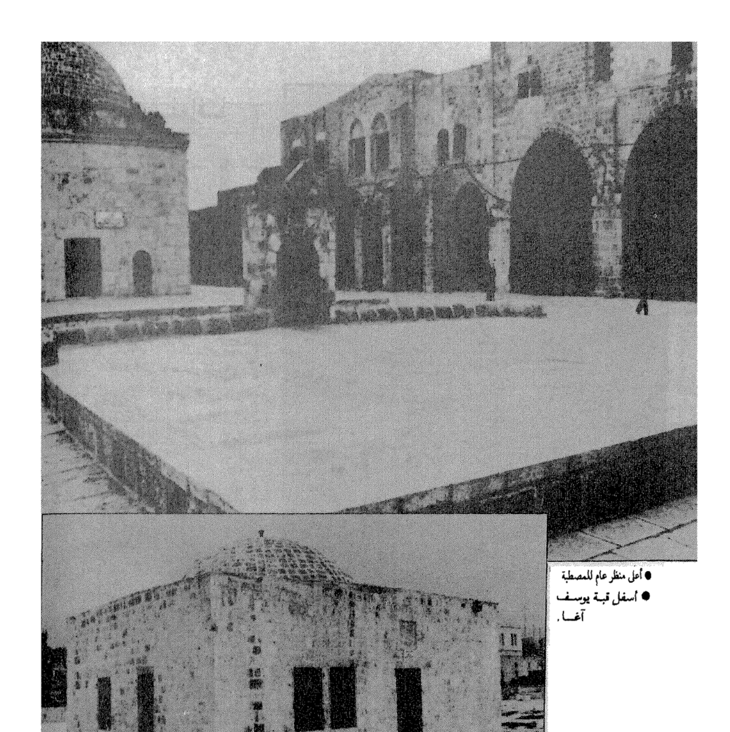
مسجد النبي

ويسمى مصلى الخضر، وقبة بخ بخ أيضاً. ويقع فى طرف صحن الصخرة المشرفة من الشمال الغربى. أنشأه حاكم القدس في سنة ١١١٢هـ/ ١٧٠٠ - ١٧٠١م، فى العصر العثمانى.

ويتكون هذا الأثر من بيت صغير للصلاة، وهو بيت مربع الشكل تقريباً. ويمتد من الشمال إلى الجنوب. وله مدخل في واجهته الشرقية. وهو مدخل بسيط يعلوه نقش كتابى حجري يبين اسم البانى، وتاريخ البناء. وتغطي بيت الصلاة قبة ضحلة مقامة على أربعة عقود مدببة. وله نافذتان مستطيلتان في كل واجهة من واجهاته الأربع. وله محراب يتكون من حنية حجرية قليلة الغور وبأسفل بيت الصلاة كهف صغير ينزل إليه



● أعلى منظر خارجى للمسجد.
● أسفل السبيل.



● أعلى منظر عام للمصطبة
● أسفل قبة يوسف آغا.

بدرجات قليلة، من الجهة الشرقية الجنوبية في بيت الصلاة.

سبيل الشيخ بدير

عمّر هذا السبيل الحاج مصطفى آغا براونه، والى القدس، في عهد السلطان محمود بن السلطان مصطفى الثانى. وكان السبيل قد بنى قبل هذا التاريخ.

ويتكون هذا السبيل من بناء صغير الحجم، وهو مبني من الحجارة الحمراء والبيضاء. مفتوح الجهات الثلاث: الجنوبية، والشمالية، والغربية. وتقوم فوقه قبة صغيرة ترتكز على أربعة أعمدة صغيرة لطيفة. وتعلوها عقود مدببة في كل الجهات المفتوحة. وأما الجهة الشرقية، فقد سدت بجدار حجري يصل بين العمودين في هذه الجهة. وفي وسط البناء بئر للماء.

مصطبة الطين

أنشئت هذه المصطبة، في سنة ١١٧٤هـ/ ١٧٦٠م، فى العصر العثمانى، كما يبدو في نقش كتابى مثبت بأعلى المحراب.

وهى ذات بناء حجري منبسط، ويرتفع قرابة أربعين سنتميترا عن أرض الحرم الشريف، وهو بناء مربع الشكل تقريباً وله محراب حجرى مستطيل الشكل، في منتصف الضلع الجنوبي، ويتكون من حنية تتوجها طاقية. وفوق الطاقية لوح حجرى كتابي كتب باللغة التركية.



لا تراعى

أحمد محمود مبارك (مصر)

لا تراعى من دياجير طغت
حينما ألقوا علينا بالغيوم
وتوالى الغيم يغزو أفقنا
بالنوايا السود والنوء الجهوم
لحظات موحشات بعدها
يومض الأفق وتختال النجوم
بين قلبينا شعاع من تقى
سوف يردى الغيم والليل البهيم
فظلام الغيم لا يعمى سوى
كل قلب شابه ليل مقيم

●●●

إن رأيتِ الشوكَ ينمو حولنا
ويُشيعُ الرعبَ فى كل التخومْ
لا تراعى. إن هذا الشوك لن
يمنع الخطو على الدرب القويم
بيننا والشوك ستر حائل
يحجبُ الأتراحَ عنا والكلوم
إنها الشوك يُدمى مَنْ بغى
مثلما يكوى لظى الإثم ِ الأثيم
ولهيبُ النار لا يكوى به
مؤمن يُلقى إلى قلب الجحيم

●●●

غردى أحلى أغاريد المنى
لن ينال الحقدُ مِنْ قلب رحيم
واهنئى دونك حصنٌ لم يزل
يتحدى الغدر إن شاء الهجوم
وتعالَىْ نحصد اليوم جنى
ما زرعنا فى الروابى من كروم
ما زرعنا غير كَرْم الحب فى
تربة العمر، فلن نجنى الهموم

رحلة فى الذاكرة
(٣)

العلّامة.. محمّد إسعاف أديب ينكر

د. محمد رجب البيومى - عميد كلية اللغة العربية - الأزهر - المنصورة

تجلس مع أديب العربية الأكبر المغفور له الاستاذ محمد إسعاف النشاشيبى، علامة فلسطين، ووارث علم سيبويه والمبرد والاصمعى، فتحار كل الحيرة فيما تلمس من سعة اطلاعه، وتنوع معارفه، وغوصه على الدقائق الدفينة فى مطاوى المخطوطات، فضلا عن المطبوعات، ولست وحدك الذى تحار، فكل من يستمعون إليه فى مجلسه الحاشد يعجبون ويدهشون، وهم بعد فى طليعة المثقفين غزارة مادة وشمول ثقافة وشدة تنقيب، إذ كان الرجل رحمه الله موسوعة علمية تنطق بما ضمت من الذخائر والكنوز وقد يظن بعض القراء أنى أجنح إلى المبالغة، ولكن كل من سعد بمعرفته، يشهد صادقاً بما أشير إليه من ميزات علمية قل أن توجد إلا عند الأفذاذ، وهأنذا أزكى قولى بشهادة الأديب الكبير أحمد حسن الزيات صاحب مجلة الرسالة حيث يقول عنه:

«لقد وقف نفسه ووقته وجهده على دراسة الاسلام الصحيح فى مصادره الأولى، وتحصيل اللغة العربية وعلومها وآدابها من منابعها الصافية، فكأنه آية من آيات الله، فى سعة الاطلاع وتقصى الأطراف، وتمحيص الحقائق.. لا تذكر مسألة إلا كان له عنها جواب، ولا تثار مشكلة، إلا أشرق فيها رأي، ولا تروى حادثة إلا ورد عليها مثل، ولا يحضر ندوته أديب مطلع إلا جلس فيها جلسة المستفيد، فهو من طراز أبى عبيدة والمبرد، لذلك كان أكثر ما يكتب تحقيقاً واختيارا وأمالى، وكان خاتمة طبقة من الأدباء اللغويين المحققين».

(إنكار الذات)

وقد أتيح لى أن أسعد بزيارة الاستاذ مرات فى مجلسه «بالكونتننتال» بالقاهرة، إذ كان يزورها كثيرا فيتوافد عليه أهل المعرفة من عاشقى أدبه، وكان السبب فى اتصالى به لا يخلو من طرافة، وهو من ذكرياتى الأدبية التى أعتز بتسجيلها لما تتضمن من مغزى خلقى واتجاه سلوكى. يحسن أن يلم بهما من يحرصون على الخبر الأدبى الطريف.

ـاف النشاشيبي

ـر فضله

كنت فى نشــأتــى الأدبية الأولى حريصــاً على قراءة المجـلات الأدبية الـرصينة، وكـانت مجلة الـرسالة فى طليعـة هذه المجلات علمـاً دقيقـاً، وأدبـاً صافياً، وفنـا رفيعـا، واختياراً حصيفـاً، فكنت أقـرأ بها بحوثاً أدبية متصلة الحلقات تمتاز ببعد الغور ونفاذ النظرة، وبراعة النقد، ولكن صاحبها لا يعـلن عن اسمــه، وإنـما يكتب العنـوان فى أعلى الصفحة الأولى من المقال منسوبا إلى من قال عنه صاحب المجلة «أستاذ جليل» وتتوالى البحوث المتشعبة لغة وتاريخا ونحوا وأدبا ونقدا، والبـاحث الكبير لا يسفر عن وجهه، بل يدع أمثـالى من القـراء متسائلا: كيف يجوز لمن بلغ هذا المـبــلغ من السـطوة العلمية الفذة أن ينكر نفسه فلا يعـرف، ثم أقـول لعـل البـاحث الكبـير مشهـور لدى الخـاصـة دون العـامـة، فهـو يكتفى بمعرفة زملائه الكبـار، دون سائر القراء، ولا أكتم القـارىء أننى سألت عنه أساتذتى، ومن اتصل بهم من قراء الأدب وعشاق الثقـافة، فلم ألمس جواباً شافيا، ولا أدرى لماذا شغلنى هذا الخاطر بتكرار مقـالات الأستـاذ فى الرسالة، وكنت أجـد من يعقبون على بعض آرائه فى المجلة لا يذكــرون غير هذه العبـارة «ذكـر الأستـاذ الجليل فى مقالة كذا» دون إشــارة ما إلى اسمــه، ولكن ما يسـوقـونه من عبارات الثناء يدل على أنهم يتحــدثــون عن قمـة من قمم الأدب، فهــم يوفــونــه حقــه من الاجـلال، وكـأنهم يعرفونه ويحترمون رغـبتــه فى التنكــر والاختفــاء، ثم أدهشنى أن أجد عالمـاً بارزاً من كبار علماء مصر، وعضوا مرموقا من أعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة، يقع فيما أقــع فيه من الحـيرة، فينشر فى مجلة الرسالة خطابا إلى الأستاذ الجليل يقول فيه:

«إنى ليطربنى يا سيدى أن أقـرأ لكم هذه المقـالات القديرة، الزاخرة بالفـائدة، فى نقد الطبعة الأخيرة من (العقد الفريد) وليست تلك النقدات وحـدهـا هى التى سبتنى من علمك الغـزير واطـلاعـك المنقـطع النظير. وإحــاطتـك بما تكنـه ضمائـر أسفـار الســابقـين الأولـين من أئمـة اللغـة وحفاظها، بل تتبعت فى الرسالة الغراء كل ما دبجته يراعتك منذ أول عهدك بها، لم تفتنى منه فائتة، بل لقد اتخذت منه دروساً أتوفر عليها ـ وأعكف على الافــادة منهـا، والتضلع من معينهـا الـفياض.. وإنى لأعجب يا سيدى كل العجب، فى هذا العصر الــذى يبــاهى بالقشـور، وسخف القـول، كيف تتســتر وتحــتجب، وتقف فى تواريك هذا وعزلتك مرشدا وهاديا لا تبتغى غير خدمـة وطنك ولغتك وإن أسفت على هذا التستر والاحتجاب، فإنما أسفى على أن أمثالى من طالبى المعـرفة، يودون لو أتيحت لهم فرصة لقـائك ليستزيدوا منك، وليتحلوا بما يشــهــدون فيك من كمال الخــلق، ولكنك زهدت فى نباهة الذكر، وعفت الاعلان.. وضربت المثل فى التواضع وإنكار الذات، فليتعلم من هذا المثل الصـالح من يتطاولون على صفحات الجـرائـد والمجـلات، فيدعـون ما يتصـاولـون من أجله، ويخرجون إلى ميادين العيب والتجريح».

قرأت هذا الخـطـاب، وكـاتبه هو الأستاذ الكبير أحمد العوامرى بك كبير مفتشى اللغة العربية بالوزارة، وعضو مجمــع اللغـة وصـاحب التحقيقـات العلمية الدقيقة بمجلة المجمع، وناشر الثمـين من كتب الـتراث، فقلت فى نفسى إن الـرغبـة فى معرفة (الأستاذ الجـليل) لا تقتصر على الصغــار من الطلاب مثلى، بل تتعداهم إلى القادة من كبار العلماء، وأئمة المحققين، وقد عبر الــعــوامــرى عن رأيه فى مجلة الـرسالة، فلماذا لا أكتب أنا الآخر، فأضم صوتاً إلى صوت!

ثم خجلت من نفسى، وأنا طالب بالسنة الأولى من القسم الثانوى حينئذ أن أتبع كلمة العوامرى بكلمة لا تبلغ مبلغها من الاصابة، وستكون تكراراً غير مفيد إذا سمحت المجلة بنشرها، وقـد يسـألنى أسـاتـذتى بالمعهد ماذا أفدت؟ وقد تكلم العوامرى بما يغنى عن مقالك؟ فبماذا أجيب؟

غير أن الالحاح يعاودنى مصرا على أن أجهر بمشاعرى، فاهتديت إلى أن أنظم قصيدة شعرية فى هذا المجال،

وحينئذ لا تكون تكرارا، فاستعنت بالله وقلت من قصيدة طويلة موجها الخطاب إلى الأستاذ الجليل:

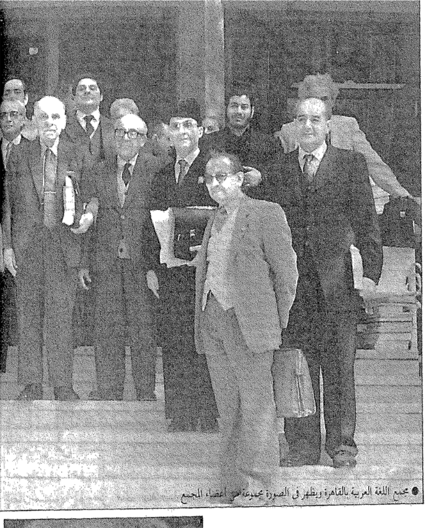
(دع اللثام)

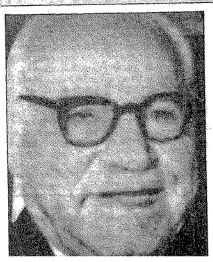
دع اللثام فقد واليت تعذيبي
يا طالما ضل في واديك تنقيبي
حجبت نفسك في شماء شاهقة
لكن سيبك عنا غير محجوب
فكنت مثل النسيم الطلق ينعشنا
ولا نراه بتحديق وتقليب
فيم استتارك؟ والأشواق جامحة
والعين ما بين تشريق وتغريب
ونحن في زمن، كل يتيه بما
يزجيه للناس من فحش الأكاذيب
هو التواضع في أسمى مظاهره
لقد قبضت عليه بالتلابيب
فهات بحثك، إنا معشر كلف
بما تدبج من بدء وتعقيب
فكم مقال رصين الفكر مؤتلق
منمق الصوغ مختار التراكيب
دنيا بمختلف الآيات حافلة
يريك منظرها شتى الأعاجيب
فمن بيان إلى نحو إلى لغة
من كل مؤتلق في العين مرغوب
مباحث زادها في النفس منزلة
أن اسمك الفذ فيها غير مكتوب
أسلوبك المشتهى تلقاه منفردا
بطابع واضح بين الأساليب
ما إن أراه على القرطاس مرتسما
حتى أسوق إليه كل ترحيب
كأنه إذ يوافيني بطلعته
(قميص يوسف في أجفان يعقوب)
إخال أحرفه السوداء قد كتبت
بالمسك يعبق منه عاطر الطيب
أستاذي الفذ، قل لي غير منتظر
من أنت؟ واكشف قناع الشك والريب
قلبي يحدثني في كل آونة
أن اسمك الحق (إسعاف النشاشيبي)

■ والبيت الأخير ينطق بمعرفتي اسم الباحث، وقد جاء ذلك من معاودتي لبعض المقالات التي ينشرها النشاشيبي بتوقيعه الصريح، إذ أراها تتفق في سمتها العام مع المقالات التي يكتبها (الأستاذ الجليل) طريقة ومنهجاً واستطراداً، فقلت لابد أن المقالة المعلومة كالمقالة المجهولة تخرجان من مشكاة واحدة، وترجح ذلك لدى ترجيحاً بعد صبر طويل، فلم أشأ أن أكتمه ثم بعثت بالقصيدة إلى مجلة الرسالة لتتكرم بنشرها، ولكن الزمن يمر دون أن أجد لها صدى، فقلت في نفسي، لعل الشعر ركيك في رأى رئيس التحرير، أو لعلي أخطأت صاحب الاسم الحقيقي، ومع هذا التردد فقد شعرت بأسف لإهمال القصيدة هكذا.

مضت سنوات سبع، فاتصلت بمجلة الرسالة كاتباً، وعرفت أستاذنا الزيات معرفة شخصية لترددي على مكتبه، ثم كانت المفاجأة!

لقد انعقدت ندوة الرسالة ذات مساء، والتأم الشمل بحضور نفر من كتاب المجلة، يتسامرون كعادتهم كل أسبوع، ثم انعرج الباب عن مقدم زائر كبير، هرع الأستاذ الزيات للقائه


● مجمع اللغة العربية بالقاهرة ويظهر في الصورة مجموعة من أعضاء المجمع


● احمد حسن الزيات.



مسرورا، وهـو يقـول: أستـاذنـا النشـاشيبى، ومضى يعـرف الـزائـر بالحـاضرين، حتى جاء دورى، ومـا كاد الزيات ينطق باسمى حتى ابتسم النشـاشيبي ابتسـامـا غامـرا، وفتـح ذراعيه لاحتضانى وهو يقول:

قلبـى يجد ثنـى فى كل آونـة
ان اسمك الحق إسعاف النشاشيبى

فتحيرت أكبر حيرة، لأن القصيدة لم تنشر، فكيف عرفها الأستاذ الجليل؟ وكـأنـه أدرك حيرتى فجلس جوارى وقال: لقد قلت قصيدة عامرة أرسلها لى الأستـاذ الزيات كى أرى رأيى فى نشرها، فاحتفظت بها فى أعز مكان، ولـو عرفت عنوانك لراسلتك شاكراً، ولم أرغـب فى نشرهـا كيلا تفـضـح اسمى؟ فأنـا أود أن أظل مستتراً عن الكثيرين، لأنقد فى حرية بعيدة عن المجاملة! وأحياناً أنكر نسبة المقال لى جبرا لخاطر من تخير شهم النقد، فماذا أصنع؟

ثم قال لى: لابـد أن تزورنى فى الـفـنـدق غداً، لنتنـاول الغـذاء، وحـاولت أن أعتـذر فأصر، وكـررت الاعتذار فلم أفلح.

(فى مجلس النشاشيبى)

ذهبت إلى الأديب الكبير فى الموعد المحـدد، فوجـدت من إيناسه ولطفه وبشـاشتـه ما راع وأطـرب، وكـان الاستشهاد بالشعر الأصيل ديدنه، إذ ما تطرق إلى خاطر ما من الخواطر إلا أسعفته ذاكرته بالجيد المختار، ثم قال لى أتدرى لماذا أوثر الاستتار؟ ومنذ متى؟

قلت: ما أشـوقـنـى لمعـرفـة السر العجيب؟ فأطرق مليا ثم قال: رحم الله أبى، لقـد كان من كبـار أثـرياء وطنـه، ولـديه من العـمال فى المتجـر والمزرع جمع هائل، كلهم ينظرون إليه بإكبـار، وكنت أنشر نقدات أدبية فى مجلات الشـام بسـوريا وفلسـطين ولبنان، وأعنف فى النقد، فيرد علىّ المنقـودون بأعنف العبـارات أحيانـاً، حتى لنتشاتم!! وكان الأصحاب من تابعى الوالد، إذا وجدوا من يشتمنى فى الـصـحـف، سارعـوا إلى أبـى، فاستشـاط غيظاً، لأنه رجل أعمال لا يقدر النقاش العلمى حق قدره، وكم مرة دعـاني غاضباً، وصاح: تشتم فى الـصحف وتشتم معـك أسرتـك يا إسعاف!! وليست لى قدرة على محاورة أبى، فصرت من بعـدها أقدم النقد بدون توقـيع كيلا تشـتـم الأسرة!! ومضى أبى الى رحمة الله، فأصررت على أن أحيى ذكـراه فى نفسى حين أرسل المقال دون توقيع!.

قلت: ولكن العـطر يفـوح! فضحك الـرجـل وقال أى عطر يا فتى! نحن أشواك. وقبل أن أغادر المكان أحضر الأديب الكبير مجموعة من مؤلفاته أذكر منها الاسـلام الصحيح، والشـاعـر الخالد والبطل الخالد والبستان وتفضل مشكورا بإهدائها الى فدلت على فضل باذخ وعلم غزير..!

● أخفيت اسمى لأنقد فى حرية بعيدا عن المجاملة.

● لما كان بعض النقدة يميلون الى التجريح والاساءة الشخصية لجأت الى اخفاء اسمى.

● النشاشيبى خاتمة طبقة من الادباء اللغويين المحققين.



● د. محمد رجب البيومى

الحقيقة إن رواية قنديل أم هاشم ذات طبيعة فكرية خاصة، فهى تبين لنا الصراع بين الشرق والغرب من ناحية المنهج فى التفكير حيث اعتمدت على منهجين منهج يعتمد على العلم ومنهج يعتمد على التراث الروحى للشعوب وميدان المواجهة كان فى الشرق حيث الأصالة والتمسك بالتقاليد والعادات ومع أن هذا الموروث سيطر عليه كثير من حالات الخرافة والجهل إلا أنه بقى قويا يدافع عن موقفه ووقف صامدا دون تقدم العلم الوافد من الغرب. وإذا كان منطق العقل والتطور يستوجب الحسم فى اقتلاع جذور التخلف والجهل لأنها ضد تقدم العلم إلا أن منطق الواقع يستدعى اللين والحذر فى مخاطبة الناس والبعد عن اسلوب الصدمات فى مواجهة هذا التراث الروحى الذى يعتقدونه خاصة إذا كان جذوره ثابتة فى نفوسهم.

فنجد الكاتب قد أتى بصيغة توفيقية بين العلم والموروث الراسخ ولكن هذا الحل الذى يرتضيه الكاتب لا يحل هذا الاشكال حلا حاسما فبطل الراوية كان حائرا مترددا بين الأخذ بأساليب العلم والتنازل لمصلحة الخرافة والجهل (التداوى بزيت القنديل الملوث) وهو أمر لا يمكن قبوله ولكن يمكن ان نبرر للكاتب هذا المأخذ وهو أن هذه الاحداث صيغت فى الاربعينيات وكانت جذور الموروث مازالت قوية ومن ثم كان التدرج فى الاقناع أفضل وسيلة للعلاج.

أما بالنسبة لشخصية إسماعيل فقد يكون الضعف الذى ظهر عليها نتيجة لصرامة المواجهة وأزمات نفسه الحساسة ووقوعه فى تجارب جديدة لم يؤهل لها من قبل فقد انتقل من حارة المبيضة الى قلب لندن ومن عالم عاش فيه الكبْت والجوع الى عالم وجد فيه الحرية ومن ظلام الجهل الى نور العلم.

هذا الانتقال المفاجىء كان ذا أثر فى نفسه ومن ثم كان الاضطراب فى شخصيته ويدعم ذلك أنه عا من ضراوة الصراع داخل نفسه ثم لاح شعاع من نور ألا وهو نفسه فعاد الى اليقين

اما من ناحية العالم النفسى للرواية وبصفة خاصة للبطل (إسماعيل).. نجد أن الكاتب استخدم فى الكشف عن عالمها النفسى تكنيكاً فنيا خاصاً وهو رؤيته للمكان فمن خلال الصلة بين المكان والشخصية ندرك التطور فى نفسه فقد صور الكاتب القنديل فى ثلاث مشاهد وميدان السيدة فى ثلاث مشاهد كل منها برؤية مختلفة مع أن الرائى واحد، كما استخدم الكاتب عنصر التقابل فى بناء الأحداث بحيث تصبح الرواية معرضا لهذا التقابل «شخصية إسماعيل قبل السفر وبعدها والقنديل والميدان قبل المصالحة وبعدها».

ولذلك نجد اللغة فى الرواية موجزة مكثفة تتصف بالتحديد والعمق حيث استخدم الجمل القصيرة والحوار الذى يتسم بالحيوية والقدرة على كشف الأفكار والعالم النفسى للشخصيات والنداءات الشعبية التى تعبر عن الروح المصرية مما يجعل منها عملا جيدا من الناحية الفنية.

حمدى سعد رافع (القليوبية - مصر)

● تنشر لك ومضات تلك القراء ة المختصرة فى (قنديل ام هاشم).. ونود أن ننبه الى أن القراء ة النقدية لرواية ما يجب أن تعرض فيها الشخصيات الرئيسية والمسطحة.. الاحداث... ثم السرد والحوار ولذلك معاييره النقدية التى يجب على من يقوم بقراء ة العمل الالمام بها. فتلك المحاولة أقرب الى الرأى منها الى القراء ة.

(المحرر)



خاطـرة

زفاف الصمت والحب

عبد الهادى ابراهيم الورد (مراكش)

بدون عتمة الشهوة ، يكون ميلاد الليلة البيضاء للحب . . يحضرني عطر مليكتي الراقدة في هودجها المحفوف بهالة الأقحوان ، فأضيع في أرخبيل الأرق . . أخرج إلى ضوء القمر ، وأشرع في منادمة طيفها المنتصب وسط حرائق الذاكرة ، ، ملامح خلابة ، شعر غابويّ ، عينان ملائكيتان ، وجسد ممهور بجداول الضوء : صورة أسطورية مضمخة بأريج الصمت الحاد .

يجرني وميض التداعي إلى سرداب الأزمنة المسافرة في بيداء الغوغاء ، فأستعيد تفاصيل المشهد الذبائحي .

كنت سادرا في سذاجتي ، فتوالت على جزيرة قلبي الصليات النارية الملفوفة بالألم والثبور . . سقط الأمل مسربلا بدمه الربيعي ، دفنته في أحشائى وسقيت قبره بدموع حسرتي وكمدي . . واليوم ، ها أنذا أقطف وردة القبر وأقدمها في حبور ، قربانا للمليكة الرافلة في برج الحب الممتنع . . أجلس في حضرتها ، ألتهم خطاطة وجهها وأكرع من نخب دلالها حتى الثمالة .

وفجأة تجتاحني صرخة حب جارفة ، لكني أتكسر على حافة الصمت العميق . . فتنفلق صرختي إلى هذيان مترقرق بسيل الكلم العذب . . ألملم كلماتي ، وأهبط إلى ردهات الحلم . . هناك حيث ترقص الأطياف رقصتها المستحيلة على إيقاعات العواطف الفلكلورية .

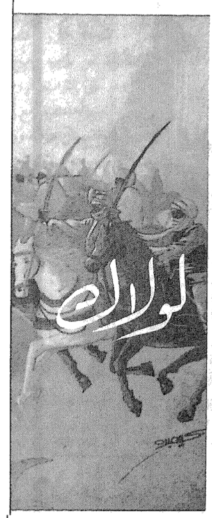
فى كل مرة أتفحص رزنامة الصور المتعددة للحب ، فأجدها مشفوعة بحمأة الغواية والمشاكسة إلا تلك الصورة التى تظل فيها عرائس النحل تراود ـ عبر نبرات أزيزها ـ كمائم اللوتس المنكمشة على سر رحيقها الكوثري . . على أن تبقى أحلى الكلمات هي تلك التي لم نقلها بعد ، وأحلى الحب هو ذلك الذي لن نعيشه أبداً ! !



مناجاة

خلف محمد كمال ابراهيم ـ المنيا

أين حلمى ـ يا غفور الذنب ـ منى
أرمدت عيناى من لحن التجنى
لشباب خلته دوما سيبقى
وخطوب الدهر من حولى تغنى
فمضى العمر سراعا بيد أنى
لى ذنوب جمة تدمى وتفنى
ليت أنى ما عصيت الله يوما
وقضيت العمر أبكى خفض شأنى
وقرينى بات يزجى لى فعالا
وجهلى خلتها للحسن تدنى
قلة الخيرات فى فعلى استحالت
مجمرا بالقلب ذكاً فوق حزنى
ومشيب الشعر فى رأسى سقام
شفنى والوصم فيه كشف وهنى
يا عظيم الجاه ما صنت عهودا
ترسل الأنواء فى قلبى المضن
بيد أنى لى بفضل الله عفو
من رحيم غافر والعفو حصنى
إن طرقت الباب يوما في يقينى
أنه بالتوب فياض كمزن

شعر: محمد حمد الصويغ ـ الدمام ـ

أنا لولاك . .
ما أقمت صروحي
فوق ظني . .
وشقوتي . .
وجروحي . .
حلم أنت . .
قد توارى . .
ولكن . .
كيف أمحو
طموحه . .
وطموحي . .
أخرستني . .
أوهام قلبي بوهم
ليس ينجو قتيله
فاستريحي . .
أنا لولاك . .
والحياء رفيقي
ما تغربت . .
أو أسغت رحيقي
كيف أعدو . .

وراء ظلي طليقا
وأنا الآن . .
قد أضعت طريقي
ما انتهينا . .
وقد نعيش لعهد
دمر الحب غيبه
فأفيقي . .
أنا لولاك . .
ما عرفت جنوني
ذات يوم . .
وما عرفت فتوني
يا لها ضحكة الزمان
أعادت . .
بعض حلمي
بسحرها . .
وشجوني . .
انها الحظ ساقها
أنا وهم . .
كنت في ظله
فماذا تكوني . . ؟

رباعيات

نور محمد

سرعان . . ما كان القبول رفيقي
لما قرأت . . حضارة الاغريق
وعرفت للرومان . . رائع فنهم
يزهو بكل طلاوة . . وبريق
ورحلت في التاريخ . . أحمل جعبة
حفلت بكل ملائم . . وعريق
حتى . . إذا مالاح . . نور محمد
ألقيت حملي . . والتزمت طريقي!!

المتزمت

دع عنك هذا العقم في الافكار
وافتح نوافذ عقلك المحتار
وانظر الى الدنيا . . بعين طلقة
واطلق ظنونك . . من هوى وإسار
الناس قد هبطوا كواكب علمهم
وهبطت وادي الجهل بالأفكار
يا أيها الشيخ التزمت وصمة
فاغسل دماغك من قذى وغبار؟!

ردود خاصــة :

● الاخ: ابراهيم عبد العزيز ـ القاهرة
الـرشوة مرض من أمراض القلوب يحتاج الى تركيـز أكثر ـ خاصة حول نظرة الاسلام تجاه هذه الظاهرة الخطيرة..
فى انتظار مشاركات أخرى.

● الاخ: عبد الرحمن عبد المولى ـ الاسكندرية.
للشعر أوزانه وقوافيه .. ننصح بقراء ة عيون الشعر العربى.. وفى انتظار مشاركات أخرى.
(المحــرر)

جــوائز

● فاز بجائزة احسن عمل أدبى فى ومضات العدد السابق (عادل محمد احمد) عن قصيدته (رحماك) وقد أرسلت الجائزة على عنوانه.

نداء

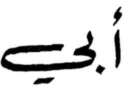
يا شداة الـتراث . . ليس جميلا
أن نصـوغ الـتراث . . غثاً هزيلا
نحـن ما بين باطـل . . وأصـيل
من عطاء الأجـداد . . ساد طويلا
اطمسـوا كل باطـل . . واحجبـوه
عن عيون الـورى وصـونـوا الأصيلا
وأعـيدوا تدوينـه .. من جديد
وتحـاشـوا تراثـنـا . . أن يدولا!!

ماجد ابراهيم العامرى (المدينة المنورة)

غناء

مصطفى محمد مصطفى (جـدة)

أرفـع الليـل
أغنـــى
ابنى اكـواز العصافير
أتــوب
أسـكب الدمـع
ولا أرتــوى
● ● ●
عصافير عصافير
بلـون الفـرح
ونـوم الأطفـال
هاتـوا الأغنيـات
سـنابل
لفراشـات العمـر
● ● ●
المرأة تحمل عطرهـا
الرجل يحمل المسافات
لغــة
لوسـادة الحيـاة
● ● ●
بيـن الوردة والسحـاب
أنامـل المصلين
وغفــوة
لسـهاد المحبين
● ● ●
يقتـرب الوطـن
صخــرة
للمتعبيـن
يقترب الوطــن
كـلامـا للبائسين
كل الأصـوات امتلأت
بسـمة
وضحكــة
لألعـاب الجنون
أيها الجنـون
تعال نعزف البحـر
سمكة فى دهر المستحيل
● ● ●
معجن الكلمات اختمر
وسـراج الأجيـال
لـم يعد فينـا
سـوى كوكب فى ضوء
الغنـاء



تنبهت من غفوة، تلفت حولى ابحث عنه، صوته سمعته، لابد من فم اطلقه، لم اجد احدا، لماذا اخاف؟ تعودت ان اقول الصدق، ابدى رأيى دون حرج، لكن. .
بالامس القريب سمعته يقول فى ضجيج: «هذا البيت بيتى من يشأ العيش فيه يخضع لارادتى ويخنع لطاعتى، ومن لم يشأ يذهب، يبحث عن آخر يأويه؟؟

قلت متماسك الارادة: «البيت بيتنا جميعا، ولكل فيه ارادته الحرة».

تركته ثائرا وانصرفت لشأنى. .

هو كما عرفته لم يتغير، حبوت صغيرا الى أحضانه دفعنى لأسقط على ظهرى ابكى واصرخ هرولت اليه طفلا لأقبل يده لطمت وجهى كفه واندفع الدم من انفى، دنوت منه شابا غمر اذنى بوابل منه عبارات الزجر واللوم والهجاء. .

ما شأنه بى، التحقت بالعمل، تزوجت، أعول نفسىْ وزوجى اعامله دائما بالحسنى، لكنه دوما يثور، يلعن الزمن الذى ولدنا فيه، والايام التى حبلت باحلامنا وامانينا، يعتبرنى واخوتى لم نصل بعد الى سن الرشد، كل تصرفاتنا هوجاء، كل افكارنا معوجة كل كلماتنا محفوظة من الكتب المدرسية التى شكلتنا بين بين، لا علم ولا جهالة لا نظر ولا عمل، لا اقدام ولا احجام زاد الامر سوءا عزمى البحث عن بيت مستقل يقول اخوتى: «ابوك مستاء من افكارك الجديدة» ارد عليهم: «حياتى انا حر فيها» يعقبون: «وغضبه عليك». .
أتردد كثيرا فى الرد، تنتابنى حالة عدم الاستقرار أرانى أخرج من قوقعتى تفترسنى الاسماك، أرانى أسبح حتى الشاطىء أرسو بحثا عن بر الأمان أرانى خلف قضبان أرنو إلى الانطلاق فى حرية، أرانى أنتظم فى صفوف يحيط بى أمواج البشر من أمام ومن خلف، من يمين ومن يسار، ارفع رأسى لأزاحم الأنفاس في استنشاق الهواء، غالبا ما أفشل ويصيبنى الاحباط.

لماذا عدم الاستقرار، أنا عاقل افكر، قوىْ ادبر، املك ارادة حرة، اضع الامور فى نصابها لماذا؟ . . لماذا؟ . .

كأنى غفوت ثانية، انبعث الصوت من جديد: «يابنى آدم قل ما وراءك؟».

حقيقة ما ورائى؟ سؤال من حرف وكلمة، لكنه ماكر، يحتم على ابتلاع محيط الكلمات فى معدتى أجترها وأجيب، يدفع بى الى الغوص داخل أعماقى السحيقة، ويضيع العمر منى.

لم أستطع النوم، قمت الى صالة بيتنا الواسعة، وجدته متربعا فوق الكنبة الى جوار النافذة يستنشق نسمات الفجر، تطلعَ ناحيتى وقال: «يابنى إنى أعرف ما وراءك، إنه الحنين الى الأبوة، والخوف على أبنائك من نفسك، إنى ما قسوت إلا لتكونوا رجالا أشداء أحمد الله إننى مستريح الآن. .».

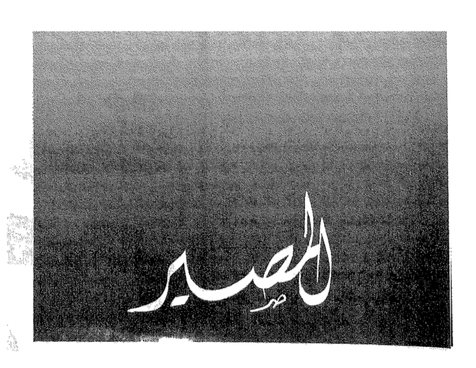
قام ودعانى للجلوس مكانه قائلا: «أنت رب هذا البيت بعدى. . وابتعد، جريت وراءه، حاولت الامساك به واحتضانه اكتشفت فجأة أنه ذكرى حل موعدها.

———— جمعة محمد جمعة (القاهرة)

أبى .. محاولة واعدة.. تمتاز بالاستخدام اللغوى البسيط وتظهر فيها بوضوح ديناميكية القصة القصيرة.. والكاتب يلاقى ببراعة بين الخطين المتقابلين اللذين نسجت االقصة عليهما.

فى انتظار مشاركات أخــرى.

(المحـرر)





سمير احمد الشريف (الاردن)

على كرسيه القش المجدول،
جلس الشيخ عامر،
تسللت الى صدره نسمة ارتياح دافئة بعد توقف القصف . .
تحسس بيد مرتجفة بارزة العروق ـ لحيته البيضاء التي مازالت بعض الشعيرات السود تنبت في ثناياها . .
استدار الى الخلف مرسلا نظراته داخل دكانه الذى رش ساحته ببقايا ماء وضوئه فتسللت رائحة الرطوبة إلى أنفه .
تنهـد . . . .
انقبض صـدره . . .
دق قلبه بعنف عندما رأى رفوف البضاعة فارغة، حاول أن ينهض معتمدا على ساعديه . . .
صوت طائرة اخترق سمعه، اوقفه عن تنفيذ الخاطر . .
مرت لحظات بطيئة ثقيلة . . . فوجيء بالعساكر ينتشرون بالعشرات في الأزقة ودخلات البيوت .
صفارة الانذار أشعلت الصمت المطبق على المكان، تدافعت الأجساد هاربة باتجاه ملجأ مخلوع الباب .
صرخ بأعلى صوته مناديا زوجته التي لم يسعفها ضعف بصرها باللحاق . .
استقر داخل الملجأ ، لاهث الأنفاس، تنبه الى عدم وجود الزوجة . .
من بين الاجساد حاول أن يمد رأسه مستطلعا . .
لم يسمع صوت الرصاصة التي ردته للداخل مضرجا بدمه . .

المصيـر.. تدخـل ضمن ما يمكن أن نسميـه (أقصوصة).. وهى محاولة جيدة.. وفى انتظار مشاركات اخرى.

(المحـرر)

روامة الوهم

عبد الرحمن صالح العشماوي (الرياض)



لم يعد للحزن وجـه . .
وجهـه أصبح لليل امتداد
لم يعد للحزن لون
لونـه صار مزيجاً من بياض وسواد
أيُّ ليل أيُّ نجمَه؟
أيُّ فجر يمنح الشاعر بسمه؟
ليلُـه كهـفٌ . .
وضـوء الفجـر في عينيه خيطٌ من رماد
سـكر المسكينُ - لا بالخمر - لكنْ . .
بأسى أفقـده طعم الرُّقاد
فغدا يستقبل الناس
بإحسـاس جمـاد
أين وجـه الحزن . .
أين الأنفُ والعينان والثغرُ المورَّد؟
كل شيء فى مدى الوهم تبدَّدْ
كل شيء كان يهواه جفاه
لا رفيف الجفن يرضيه ولا همس الشفاه
كبر الوهمُ . . وأضحى خيمة تمتدُّ فوق الأرض
تغتال ضياء الشمس
تغتـال النسيم
خيمة ، والبرق لا تبصره العين
ولا يُسمعُ للرعدِ هزيم
خيمـة تمتد لا أعمدة قامت
ولا الأوتاد شدَّتها الطُّنُبْ
خيمة تمتدُّ لا تأذن للنور
ولا تفتح باباً للسحب
كبر الوهم . . غدا كالكهف لا تعرفه الشمس
ولا يعرفه أهل الرقيم .
هو ليلٌ ؟ ألفُ كلا .
هو سرداب من العتمة
كـــلا
هو شـيء فـوق هذا . .
هو شىء يجعل الظلَّ هجيراً
ويريك الشمس ظِلا
هو شيء يجعل الأرض سمـاء
ويريك السهل تلا
هو شيء يجعل الذلّة عزّا
ويريك العزَّ ذلا



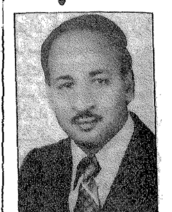
ويريك العلم جهلا ويريك العقد حلا
كبُـرَ الوهــمُ . .
فأين العقل يا دوّامة الوهم
وأيـن المدركــونْ؟
أين درب النور يا بوابة الوهم
وأيــن الســالكونْ؟
شجر، ورد وريحان وكادي
غير أن الوهم يمتد قذى في العين
قيداً في الأيادي.
ألفُ عصفور وغصن وخميله
فلماذا فقدت ليلى الجديله
ولماذا ابتلع «الهيكل» في دوامة الوهم
صهيلــه
آه يا شمشون لا تحزن
فإنـا قد وهبناك دليله
كبـر الوهــم . .
وقومــي في مدى الوهــم وقوفـاً
ينظـــرون
إنهــم لا يبصــرون .
يا إلهــي . .
ما دهاهم ركضــوا نحو الجبل؟ ؛
أهـو السـعيُ الى المجهولِ
أم أن جنون الثأر قد حرك وجدان البطل
ما الذي يجرى ؟؟
وألـجمتُ السؤالْ . .
إنني أسمع في أنفاسهم حشرجة الخوفِ
وأصــداء الوجــلْ . .
أيـن يا قومــي؟؟
وقومــي يلهثــون
ركضـــوا . . يا ويحهم داسوا مئات الأبرياء
أيــن قومــى؟؟
هبطوا الآن وفي أعينهم حزنٌ وخوفٌ وذهولْ
ليس فيهم سامع يسمعُ
أو راو يقــولْ
وعلمنا بعدَ حينْ . .
أنهم كانوا يظنون ضياء الشمس في رأس الجبلْ
ذهبوا كي يأخذوها
كي يخيطوها ثياباً وعباءاتٍ طويلهْ



ويح قومي . . رجعوا
لا أخذوا الشمس ولا عادوا بأمجاد القبيلهْ
كبر الوهم . . ونام الذئب
ما نام . . ولكن خدع الوهمُ القرابينَ الحبيسهْ
وتمشتْ في عروق الذئب نيران الغريزه
وغدت أنيابه ترسم وجه الموت
فـي عين الفريسه
كبـر الوهـم . .
ألم أخبركِ يا أمـاه
أن الوهم مـوتٌ وفناء
تستوي في نظرة الواهم أرضٌ وسمـاء
يستوى هجر ووصل . . ووداعٌ ولقاء
لم أزل أذكر يا أمـاه أسـراب الجـرادْ
ملأتْ كل الروابي والوهـادْ
لـم أزل ألمح وجه القرية الشاحب
بـعد الكارثـه
لم أزل أسمع أنفاس العباد اللاهثه
سـاعة أو سـاعتانْ
وكأن الغصن لم يورقْ
ولم تسعفه بالمـاء يدانْ
إنه الوهم كأسراب الجرادْ
يأكل الاخضر واليابس لا يترك للشيخ فمـاً يدعو
ولا يترك للطفل مهاد
كل شيء كان يوحي . .
أنني أنظر للأحداثِ من منظار شاعر
وكأن الأفقَ لم يضحك
ولم تشرق على الأرض بشائر
نظرت أمي إلى وجهي وقالت فى يقين :
أيها الموغل في الحزن تمهل
أنتَ بالرحمن أقوى
كيف يخشى مؤمنٌ دوامةَ الوهْم
وكيد الكائدينْ ؟ ؟
أيها الصامد كالطود أمام العاصفه
لا تخــف . .
فالأرض لم تهبط ولم ترجف عليها الراجفه
لا . .
ولم تتبع خُطاها الرادفه
لا تخــف . .
فاليأس لا يسكن إلا فى القلوب الواجفة
أيهـا الصـامدُ . .
والطوفان في الأرض يعربدْ
لا تخــفْ .
فالنار قد تأكل من يمنحها الزيت ويُوقدْ
لا تخــفْ .
فالله يُنجيك ويرعاكَ ويُسعد
عندها امتدت ذراع الأمل المشرق نحوي
كفُّه تحمل مصباحاً
وفي عينيه نهرٌ من صفاء
ونداء من وراء الصمتِ يتلوه نداء
أيها الصـامدُ . .
لاتركن إلى الطين فإن الطين يفنى
وجه القلبَ إلى الله وطر نحو السماء
عندها ينزل غيثٌ
وتغنيك عصافير ويُرضيك بقاء
عندها يغمرك النورُ
ويغدو الوهمُ في الأفق هباء .

دراسات

الدعوة إلى التوحيد .



أ.د. عبد الباسط احمد على حمودة

كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر

وصلاً بما سبق ، تحدثنا في الحلقتين السابقتين لعددي المنهل ٤٨٩ ، ٤٩٠ عن مفهوم القصص في اللغة من خلال المعاجم والمعارف العامة ، وعن مفهومه في القرآن الكريم والسنة النبوية ثم تحدثنا في دراسة علمية عن تأثير القصص النبوي في الآداب العالمية وبصفة خاصة في كبار الكتاب والشعراء

وفي هذه الدراسة سنتحدث عن : الدعوة إلى التوحيد في قصص النبوة ، وسنواصل - إن شاء الله - الدراسة في موضوعات أخرى -



من أهم دعائم الاسلام ، وفي مقدمات أركانه توحيد الخالق سبحانه وتعالى ، فقد ركز النبي ﷺ جُل دعوته وأعظم سنواتها على كلمة (لا إله إلا الله) ليخرج الناس من متاهات الشرك ، وعبادة الأوثان ، وكثرة الأصنام ، حتى هام كل واحد بصنم يصحبه في حله وترحاله ، حدَّث هشام بن محمد الكلبي (١) :

أن اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام لما سكن مكة وولد له بها أولاد كثير حتى ملأوا مكة ونفوا من كان بها من العماليق ، ضاقت عليهم مكة ووقعت بينهم الحروب والعداوات ، وأخرج بعضهم بعضا ، فتفسحوا في البلاد والتماس المعاش .

وكان الذي سلخ إلى عبادة الأوثان والحجارة ، أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن إلا احتمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم وصبابة بمكة ، فحينما حلوا ، وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة ، تيمنا منهم بها وصبابة بالحرم ، وحبا له ، وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة ، ويحجون ويعتمرون على إرث ابراهيم واسماعيل - عليهما السلام - .

ثم سلخ ذلك بهم إلى أن عبدوا ما استحبوا ، ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين ابراهيم واسماعيل غيره ، فعبدوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم من قبلهم ، وانتجثوا (٢) ما كان يعبد قوم نوح - عليه السلام - منها على إرث ما بقي فيهم من ذكرها . . .

اتخذوا سواعا فكان لهم برهاط من أرض ينبع . .

واتخذت كلب وُدًّا بدومة الجندل .

واتخذت مذحج وأهل جرش يغوث . .

واتخذت خيوان يعوق . .

واتخذت حمير نسرا . . . إلخ .

ولذلك كانت رسالات الأنبياء عامة ورسالة محمد ﷺ خاصة ، للقضاء على هذه الوثنية ، وعلى اتخاذ الأنداد والشركاء من دون الله ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) ويقول سبحانه وتعالى (يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ، وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ .

يقول أحد المفكرين المحدثين (٣) : اعتياد الانسان على الله باديء ذي بدء يقصي الشيطان بعيدا عن مجال عمله واعتقاده ، وتفكيره أي يقصي الانحراف في هذه الدوائر الثلاث .

واستناد الانسان إلى الشيطان باديء ذي بدء يبعد الايمان بالله في مجال عمله ، واعتقاده ، وتفكيره ، أي يترك هذه الدوائر الثلاث للهوى والغرض والشهوة ، فلا يلتزم الانسان بسلوك معين وإنما يتبع ما يمكنه من تحقيق هواه وغرضه وشهوته ، ولا يلتزم في اعتقاده بمعبود واحد ، وإنما ينتقل باعتقاده من معبود إلى آخر حسب مصلحته وشهوته الخالصة ، ولا يلتزم في تفكيره بمنطق واحد وإنما يطيع منطقه للهوى والغرض والشهوة .

لذا ابتدأت رسالة الله للانسان بتحذيره من اتباع الشيطان وسلوك طريقه ، الذي هو طريق الضلال ،

يقول الله تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ ﴾ « أي لا يضلنكم » ﴿ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِنَ الْجَنَّةِ ﴾ (وهما آدم وحواء إذ وسوس لهما حتى عصيا أمر الله فأخرجا من الجنة عقابا لهما ، وهبطا إلى الأرض) ﴿ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا ﴾ (ولباس الانسان هو عقله ، إذ وظيفة العقل شأنا أن يحول بين الانسان والاندفاع في اتجاه الغرائز إلى مزالق الخطأ والانحراف وبذلك يستر ما فيه من نقص ، وهو نقص الخطأ والانحراف بسبب اندفاع غرائزه في اتجاهها الفطري .

والسنة تعاضد القرآن الكريم وتسانده في ترسيخ العقيدة فهي شارحة ومفسرة له لأنها مصدر من مصادر روايته ، قال عبدالله بن مسعود : والذي لا إله إلا هو ما نزلت آية في كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت ؟ وأين نزلت ؟ ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته ، وقال أيضا : كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يتجاوزهن حتى يعلم معانيهن والعمل بهن ، وذلك يؤيده قول الله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٤) .

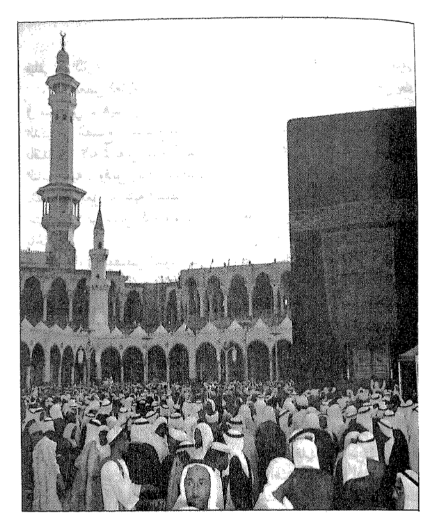
وقد وضع الامام القرطبي بابا في تبيين الكتاب بالسنة وما جاء في ذلك (٥) ، وذكر قول الله تبارك وتعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ وفرض طاعته في غير آية في كتابه وقرنها بطاعته عز وجل ، وقال تعالى ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ وذكر ابن عبدالبر في كتاب العلم له عن عبدالرحمن بن يزيد أنه رأى محرما عليه ثيابه فنهى المحرم ، فقال : ائتني بآية من كتاب الله تنزع ثيابي فقال : فقرأ عليه ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُم عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ وعن هشام بن حجير قال : كان طاوس يصلي ركعتين بعد العصر ، فقال ابن عباس اتركهما ، فقال : إنما نهى عنهما أن تتخذا سنة ، فقال ابن عباس : قد نهى رسول الله ﷺ عن صلاة بعد العصر ، فلا أدري أتعذب عليهما أم تؤجر ، لأن الله تعالى قال : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ . وروى أبوداود عن المقدام بن معد يكرب عن رسول الله ﷺ أنه قال (**ألا وإني أوتيت الكتاب ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم من حرام فحرموه ، ألا لايحل لكم الحمار الأهلي ، ولا كل ذي ناب من السباع ، ولا لقطة معاهد ، إلا أن يستغنى عنها صاحبها ، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه فإن لم يقروه فله أن يعقبهم بمثل قراه**) .

وروى الأوزاعي عن حسان بن عطية : كان الوحي ينزل على رسول الله ﷺ ويحضره جبريل بالسنة التي تفسر ذلك وروى سعيد بن منصور حدثنا عيسى بن يونس عن الأوزاعي عن مكحول قال : القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن ، وبه عن الأوزاعي قال : قال يحيى بن أبي كثير : السنة قاضية على الكتاب ، وليس الكتاب بقاض على السنة ، قال الفضل بن زياد : سمعت أبا عبدالله ـ يعني أحمد بن حنبل وسئل عن هذا الحديث الذي روى أن السنة قاضية على الكتاب فقال : ما أجسر على هذا أن أقوله ، ولكني أقول : إن السنة تفسر الكتاب وتبينه .

وقال ابن كثير(٦) : فان قال قائل فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب إن أصح الطريق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن فما أجمل في مكان فانه قد بسط في موضع آخر ، فان أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له ، بل قد قال الامام أبوعبدالله محمد بن إدريس الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن ـ قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلَا تَكُن لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ ، ولهذا قال رسول الله ﷺ : (**ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه**) يعني السنة ، والسنة أيضا تنزل عليه بالوحي كما ينزل القرآن إلا أنها لا تتلى كما يتلى القرآن ، وقد استدل الإمام الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ وغيره من الأئمة على ذلك بأدلة كثيرة . .

ويقول أبوطالب المكي (٧) : وقيل السنة كانت تنزل على النبي ﷺ كنزول القرآن ، وهو قوله ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ . ودليل هذا من القرآن قوله جل ذكره ، مخاطبا لأزواج النبي ﷺ ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ ﴾ ويعني القرآن ، ويعني أحاديث النبي ﷺ .

ومما تقدم عرضه يتبين لنا أن السنة النبوية معنية في المقام الأول بتصحيح عقيدة المؤمن والتأكيد على سلامتها ، والعمل على تقويتها ، لأن العقيدة هي أساس جوهري ومقدم في الاسلام وفي بداية الدعوة كان النبي ﷺ يقص على أصحابه قصصا يشبه قصص القرآن الكريم في ضرورة التمسك بالعقيدة مثل قصص سحرة فرعون : ﴿ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴾ (٨) وقوله : ﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِن فِرْعَوْنَ وَمَلَأِيهِمْ أَنْ



يفتنهم ﴾ (٩) وقوله : ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ (١٠) وغير ذلك في القرآن الكريم كثير .

وهذه النماذج من القصص القرآني مكية النزول ، ويتزامن معها القصص النبوي لترسيخ وتحقيق الغاية بالثبات والالتزام بكلمة التوحيد قولا وعملا لمواجهة المشركين في مكة .

روى البخاري (١١) : حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا بيان وإسماعيل قالا سمعنا قيسا يقول : سمعت خبابا يقول : أتيت النبي ﷺ وهو متوسد بُرْدَةً ، وهو في ظل الكعبة ، وقد لقينا من المشركين شدة ، فقلت ألا تدعو الله ، فقعد وهو مُحْمَرٌّ وجهه ، فقال لقد كان من قبلكم لَيُمْشَط بمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم ، أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه ، ويوضع بالمنشار على مَفرق رأسه ، فيُشق باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه وليُتِمَّنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حَضْرَمَوت ما يخاف إلا الله والذئب على غنمه .

وجاء في الدردير على قصة المعراج (١٢) أن النبي ﷺ وهو في إسرائه وجد ريحا طيبة فقال يا جبريل ما هذه الرائحة ؟ قال هذه رائحة ماشطة بنت فرعون وأولادها بينها هي تمشط بنت فرعون إذ سقط المشط ، فقالت باسم الله تعس فرعون ، فقالت ابنة فرعون أولك رب غير أبي ، فقالت : نعم قالت أفأخبر بذلك أبي ، قالت نعم ، فأخبرته فدعاها فقال أولك رب غيري ؟ قالت : نعم ربي وربك الله ، وكان للمرأة ابنان وزوج ، فأرسل إليهم فراود المرأة وزوجها أن يرجعا عن دينهما فأبيا ، فقال : إني قاتلكما ، قالت إحسانا منك إلينا إن قتلتنا أن تجعلنا في بيت واحد ، فتدفننا فيه جميعا قال ذلك لك بها لك علينا من الحق ، فأمر ببقرة من نحاس فأحميت ، ثم أمر بها لتلقى فيها هي وأولادها ، فألقوا واحدا واحدا حتى بلغوا أصغر رضيع فيهم ، فقال يا أمه قعي ولا تقاعسي فانك على الحق ، فألقيت هي وأولادها (١٣) .

والقصص المتقدم وإن كان يركز على عقيدة التوحيد والاعتصام بها ، إلا أننا نلاحظ على القصص النبوي أنه لم يجعلها الغرض الأول ، فالقرآن الكريم هو المجال الأول ، ومهمة السنة الشرح والتفصيل ويشرح النطق بالشهادة وعدم الشرك الذي هو من أكبر الكبائر ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ والنهي عن الشرك الظاهر والخفي ، وفي ذلك خدمة لقضية الألوهية ، بتوضيح صفات الخالق سبحانه ، ونصرة الله ورسله . مما نراه في كتب السنة التي بين أيدينا ففي البخاري ـ مثلاً ـ من كتب الايمان والعلم وكيفية بدء الوحي ، والنهي عن الحلف بالآباء ، والاعتصام بالكتاب والسنة ، والتوحيد ، وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم ، وكلام الرب مع أهل الجنة وكل يوم هو في شأن ، وغير ذلك .

عاقبة الشرك

ومن القصص الذي يبين عاقبة الشرك يوم القيامة ، ويضعها في مشهد عجيب ، وصورة تقشعر لها الأبدان ، تلك الصورة التي تدور بين ابراهيم عليه السلام وأبيه آزر من جهة وبين ابراهيم وربه من جهة أخرى .

جاء في البخاري (١٤) فيما رواه عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال (**يلقى إبراهيم أباه آزر (١٥) يوم القيامة ، وعلى وجه آزر قترة وغبرة (١٦) فيقول له ابراهيم ألم أقل لك لا تعصني ، فيقول أبوه : فاليوم لا أعصيك ،**

فيقول ابراهيم : يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون ، فأي خزي أخزى من أبي الأبعد ، فيقول الله تعالى : إني حرمت الجنة على الكافرين ، ثم يقال يا ابراهيم ما تحت رجليك ؟ فينظر فاذا هو بذبح متلطخ ، فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار) .

وأحداث القصة تكشف عن مصير المشركين والكافرين ، الذين يجعلون مع الله إلها آخر ، فمأواهم النار وبئس مثوى الكافرين ولا ينفعهم مال ولا بنون ، ولا شفاعة الشافعين ، ولا الأنبياء المقربون ولا يجزى والد عن ولده شيئا ، ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ، يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه ، فالملك اليوم لله الواحد القهار .

وتقف بنا القصة عند مشهد ابراهيم - عليه السلام - وهو يقرر أباه في يوم القيامة ، حيث قال له في الدنيا ﴿ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ، يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴾ ولكنه حينذاك أعرض عن إبراهيم وقال ﴿ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾ ، وتقف القصة أمام هذه المشاهد التي تتوارد من القرآن والسنة لتدعيم عقيدة المؤمن ، والنأي به عن الشرك الذي يؤدي إلى الخلود في النار .

وثمة مشهد آخر بين إبراهيم ، عليه السلام ، وربه ، فيقول (يارب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون ، وأي خزي أخزى من أبي الأبعد) فيقول الله (إني حرمت الجنة على الكافرين) .

والمشهد الأخير بمثابة إنزال الستار بانتهاء القصة إلى نهاية محتومة أبدية لآزر ، حيث يقول الله لابراهيم (ما تحت رجليك ، فاذا هو بذبح متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار) .

ويقول بعض العلماء (١٧) الحكمة في مسخ أبي ابراهيم إلى ذبح ، وهي الذكر من الضباع ، متلطخ وملوث بأقذاره ، لأنه لم يقبل نصح أشفق الناس عليه ، وقابل إغراء الشيطان بالقبول وجعل له عليه السلطان ، حتى صده عن سبيل النجاة ، فباء بالخسران .

وقد جاء في القصص النبوي كثير من الروايات التي تمنع الاستغفار للمشركين ولو كانوا أولى قربى . جاء في تفسير ابن كثير(١٨) : حدثنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبيه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة يدخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل وعبدالله بن أمية فقال : (أي عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله عز وجل) فقال أبو جهل وعبدالله بن أمية يا أبا طالب أترغب عن ملة عبدالمطلب ؟ فقال أنا على ملة عبدالمطلب ، فقال النبي ﷺ (لأستغفرن لك ما لم أنه عنك) فنزلت ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ قال ونزلت فيه ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ .

وقال الامام أحمد : حدثنا الحسن بن موسى ، حدثنا زهير حدثنا زيد بن الحارث اليامي عن محارب بن دثار عن ابن بريدة عن أبيه قال : كنا مع النبي ﷺ ونحن في سفر فنزل بنا ، ونحن قريب من ألف راكب ، فصلى ركعتين ثم أقبل علينا بوجهه ، وعيناه تذرفان فقام إليه عمر بن الخطاب ، وفداه بالأب والأم وقال : يا رسول الله مالك ؟ قال : (إني سألت ربي - عز وجل - في الاستغفار لأمي فلم يأذن لي ، فدمعت عيناي رحمة لها من النار ، وإني كنت نهيتكم عن ثلاث نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ، لتذكركم زيارتها خيرا ، ونهيتكم عن لحوم الأضاحي بعد ثلاث فكلوا وأمسكوا ما شئتم ، ونهيتكم عن الأشربة في الأوعية فاشربوا في أي وعاء شئتم ولا تشربوا مسكرا) .

وروى ابن جرير من حديث علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه أن النبي ﷺ لما قدم مكة أتى رسم قبر فجلس إليه ، فجعل يخاطب ثم قام مستعبرا ، فقلنا يا رسول الله إنا رأينا ما صنعت ، قال : (إني استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي ، واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي) فما رُئي باكيا أكثر من يومئذ .

وفي رواية عن ابن عباس(١٩) أن رسول الله ﷺ لما أقبل من غزوة تبوك واعتمر ، فلما هبط من ثنية عسفان أمر أصحابه : (أن استندوا إلى العقبة حتى أرجع إليكم) فذهب فنزل على قبر أمه ، فناجى ربه طويلا ، ثم إنه بكى فاشتد بكاؤه ، وبكى هؤلاء لبكائه ، وقالوا ما بكى نبي الله بهذا المكان إلا وقد أحدث في أمته شيء لا تطيقه ، فلما بكى هؤلاء قام فرجع إليهم ، فقال : (ما يبكيكم ؟) قالوا : يا نبي الله بكينا لبكائك فقلنا لعله أحدث في أمته شيء لا تطيقه ، قال : (لا ، وقد كان بعضه ولكن نزلت على قبر أمي فسألت الله أن يأذن لي في شفاعتها يوم القيامة ، فأبى الله أن يأذن لي فرحمتها ، وهي أمي فبكيت ، ثم جاءني جبريل فقال : ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾ فتبرأ أنت من أمك كما تبرأ إبراهيم من أبيه ، فرحمتها وهي أمي ودعوت ربي أن يرفع عن أمتي أربعا فرفع عنهم اثنتين ، وأبى أن يرفع عنهم اثنتين : دعوت ربى أن يرفع عنهم الرجم من السماء والغرق من الأرض ، وأن لا

يلبسهم شيعا ، وأن لا يذيق بعضهم بأس بعض ، فرفع الله عنهم الرجم من السماء والغرق من الأرض ، وأبى أن يرفع عنهم القتل والهرج)(٢٠) . .

كذبني ابن ادم وشتمني

والسنة النبوية تعني بالجانب الالهي ، وتقديس الله وتنزيهه ، ومداومة ذكره ، بما يجعل القلب عامرا بالايمان ، وأن يركن إلى خالقه ، ويسند الأشياء إليه وحده ، ويكثر من طاعته وعبادته راجيا رحمته ، خائفا من عقابه ، وذلك أعلى درجات الربوبية افتقار العباد إلى الله تعالى .

عن أبي اسحاق ، عن الأغر أبي مسلم ، أنه شهد على أبي هريرة وأبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنهما ـ أنهما شهدا على رسول الله ﷺ قال : إذا قال العبد : لا إله إلا الله ، والله أكبر . قال : يقول الله ـ عز وجل ـ صدق عبدي لا إله إلا أنا ، وأنا الله أكبر ، وإذا قال العبد : لا إله إلا الله وحده ، قال : صدق عبدي لا إله إلا أنا وحدي ، وإذا قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له قال : صدق عبدي لا إله إلا أنا ، لا شريك لي ، وإذا قال : لا إله إلا الله له الملك وله الحمد قال : صدق عبدي ، لا إله إلا أنا ، لي الملك ، ولي الحمد ، وإذا قال : لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، قال : صدق عبدي لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا بي .

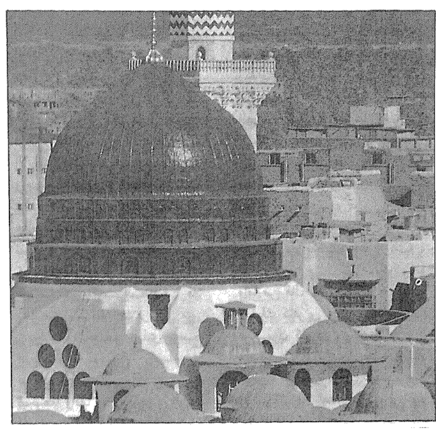
وفي قصص النبوة ما يكشف عن فضل التوحيد ، ومكانته يوم القيامة حيث يغفر للموحدين مهما كانت ذنوبهم ، بل يُخرج الله من النار من يوحده ولا يشرك به شيئا ، يحكي النبي ﷺ عن ربه فيقول (٢١) : (إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة ، فينشر له تسعة وتسعين سجلا ، كل سجل مثل مد البصر ، ثم يقول : أتنكر من هذا شيئا ؟ أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول : لا ، يارب ، فيقول : أفلك عذر ؟ فيقول : لا يارب ، فيقول : بلى ، إن لك حسنة ، فانه لا ظلم عليك اليوم ، فتخرج بطاقة ، فيها أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، فيقول : احْضُرْ وزنك ، فيقول : يارب ، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فقال إنك لا تظلم ، قال فتوضع السجلات في كفّة والبطاقة في كفّة ، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ، فلا يثقل مع اسم الله أحد .

وهذا القصص الذي يرسخ العقيدة ويعرف بالله وفضله على عباده يحكيه النبي ﷺ عن ربه ليجسد واقعا يوم القيامة ، وليزداد المؤمنون إيمانا ويقينا وقربا من خالقهم وليحمدوه على فضله ، حيث يعطيهم الأجر الجزيل على العمل القليل ، فبكلمة التوحيد يثقل الميزان ، وتمحي الذنوب ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ والله ذو الفضل العظيم ، وهو يكره الشرك به أو إرجاع الفضل إلى غيره ، والتعلق بالأسباب من ظواهر كونية أو حوادث مشابهة ، فذلك توجه إلى غيره وعبث في كونه ، وإهدار لنعمة العقل ، وتجاهل للشواهد الظاهرة المؤيدة لتفرده بقدرته ، كما يتضح مما يحكيه النبي ﷺ عن ربه : (يؤذيني ابن آدم بسبب الدهر ، وأنا الدهر ، بيدي الأمر ، أقلب الليل والنهار) ويحكي أيضا : (يؤذيني ابن آدم يقول يا خيبة الدهر ، فاني أنا الدهر ، أقلب ليله ونهاره) نعم بيده الأمر ، وهو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ، وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ، وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٢٢) .

تلك هي سمات عقيدة الايمان ، تنأى عن شوائب الشرك وتؤكد على أن الأمر كله لله ، كما روي (٢٣) عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه ـ قال : صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية ، على إثر سماء كانت من الليلة ، فلما انصرف النبي ﷺ أقبل الناس فقال لهم : (هل تدرون ماذا قال ربكم ؟) قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : (أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمن بي ، كافر بالكوكب ، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا ، فذلك كافر بي ، مؤمن بالكوكب) فالكون كله لله يديره بحكمته ، ويديره بقدرته ، ولا يصح إسناد الأشياء إلى غيره ، مهما عظمت هذه الأشياء ، فلا تعدو أن تكون خلقا يرشد إلى رب الكون وخالق كل شيء .

روى أبوهريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : **(يأتي الشيطان أحدكم ، فيقول من خلق كذا وكذا ؟ حتى يقول له : من خلق ربك ؟ فاذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته)** وروى أيضا ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ **(لا يزال الناس يتساءلون ، حتى يقال : هذا خلق الله الخلق ، فمن خلق الله ؟ فمن وجد في ذلك شيئا فليقل آمنت بالله)** .

وبمثل هذا القصص يعرف المؤمن صفات ربه ، وينعته بكل كمال يليق بذاته تعالى ، ولا يتطرق إلى عقيدته شك أو وهن ولا يدين لأحد سواه ، فان فعل غير ذلك ، فيكون قد تجاوز الحدود ، واخترق حمى ربه المعبود ، وكذب بما جاء في الكتاب والسنة ، بل وشتم خالقه حيث اتخذ من دون الله آلهة وجعل له ندا وولدا . كما يروي البخاري هذه القصة في تفسير سورة الإخلاص (٢٤) عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ



قال : قال الله كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلـك ، وشتمني ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه إياي ، فقوله لن يعيدني كما بدأني ، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته ، وأما شتمه إياي فقوله : اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد ، لم ألد ولم أولد ، ولم يكن لي كفوا أحد) وقوله الله الصمد ، والعرب تسمي أشرافها الصمد ، قال أبووائل هو السيد الذي انتهى سؤدده . وقال الشيخ عزالدين ابن عبدالسلام ـ رحمه الله تعالى (٢٥) السلوب الواجبة لله تعالى على قسمين : أحدهما سلب نقيصه ، كالسِّنة والنوم والموت ، وسلب للمشارك في الكمال كسلب الشريك . وأما قوله ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ فانه سليب للنقص ، إذ الولد والوالد لا يكونان إلا في جسمين ، وهما من الأغيار والأغيار نقص ينزه الله تعالى عنه .

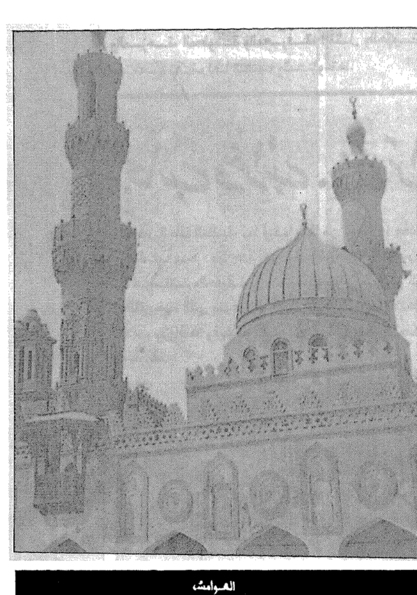
ويقول عباس محمود العقاد(٢٦) : ويستطرد بنا هذا إلى الكلام على صفات الله تعالى في القرآن الكريم ، فان هذه الصفات التي تنبغي لكل كمال مطلق منزه عن الحدود . والكمال المطلق واحد لا يتجزأ ، ولا يكون كمالا مطلقا إلا إذا كان غاية في القدرة والعلم والرحمة والعدل والاحسان والتصريف وعلة الزلل كله أن نحصر هذه الصفات وهي لا تقبل الحصر ، أو نقيسها على شيء وهي أعلى وأكمل في كل شيء ، فأصدق الايمان ، وأصدق التفكير معا في هذا الصدد ، أن ليس كمثله شيء ، وأنه يدرك الأبصار ، ولا تدركه الأبصار .

ثم يقول العقاد : ومتى ثاب المسلم إلى هذه الحكمة القرآنية في أمر الإله فقد تزود من كتاب دينه بعقيدة تصحح أخطاء الديانات ، كما تصحح أخطاء الفلاسفة ، إذ كانت الديانات قائمة على الايمان ، ولا أحق بالايمان من إله أحد صمد ، سميع مجيب ، ليس كمثله شيء ، وهو محيط بكل شيء .

والقصة التي بين أيدينا ـ وهي وحي على رسول الله ﷺ ـ كما سبق ـ فيها وعيد وتهديد لأولئك الغلاة والمتجرئين على الله ، فكل الكتب السماوية تدعو إلى التوحيد ، بما في ذلك الانجيل المنزل على عيسى ـ عليه السلام ـ لكن الغلو والأهواء والعناد ، يجعل الانسان يقدس الجمادات ويتخذها آلهة ، ويرفع العباد وينسبهم إلى الله عن طريق النبوة : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ ، وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ ولذلك عنفهم القرآن الكريم على هذا الزعم وفند أقوالهم التي لا تقوم على سند في العقل أو النقل : ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ وكون المسيح ـ عليه السلام ـ جاء عن طريق عجيب ليكون آية من آيات الله ، فلا يحق للبشر أن يقدروه غير قدره ، ويضعوه في مرتبة غير مرتبته التي وضعه الله فيها ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ .

وهذا القصص النبوي يسير مع منهج القرآن في التنفير من الغلو وتجاوز الحدود ، التي تؤدي إلى سوء العاقبة في الدنيا والآخرة . يقول الزمخشري(٢٧) في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً ﴾ جمعوا بين الكفر والمعاصي . . وذلك أنه لما بعثهم على الايمان وعلى الانتهاء من التثليث علم أنه يحملهم على أمر فقال خيرا لكم . . مما أنتم فيه من الكفر والتثليث ، وهو الايمان والتوحيد ، وقد غالت اليهود في حط المسيح عن منزلته ، حيث جعلته مولودا لغير رشده ، وغالت النصارى في رفعه عن مقداره ، حيث جعلوه إلها ﴿ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾ وهو تنزيه عن الشريك والولد .

ومن قصص النبوة الذي يشخص حقيقة الذين اتخذوا من دون الله أولياء وعبدوا غيره ، ونسبوا له الولد ، وحقيقة الذين أخلصوا دينهم لله ، ما رواه البخاري(٢٨) عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أن أناسا في زمن النبي ﷺ قالوا يا رسول الله : هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال النبي ﷺ نعم ، هل تضارُّون في رؤية الشمس بالظهيرة ضوءٌ ليس فيها سحاب ، قالوا لا ، قال وهل تضارُّون في رؤية القمر ليلة البدر ضوءٌ ليس فيها سحاب ؟ قالوا : لا ، قال النبي ﷺ ما تضارُّون في رؤية الله عز وجل يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما . إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن يتبع كل أمة ما كانت تعبد ، فلا يبقى من كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار ، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله بر أو فاجر وغُبَّرات(٢٩) أهل الكتاب ، فيدعى اليهود فيقال لهم من كنتم تعبدون ؟ قالوا كنا نعبد عزيرا ابن الله فيقال لهم كذبتم ، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد ، فماذا تبغون ؟ قالوا عطشنا ربنا فاسقنا ، فيشار ألا تردون ، فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في النار ، ثم يدعى النصارى ، فيقال لهم : من كنتم تعبدون ؟ قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله ، فيقال لهم كذبتم ، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد ، فيقال لهم : ماذا تبغون ؟ فكذلك مثل الأول . حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر أو فاجر أتاهم رب العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها(٣٠) فيقال ماذا تنتظرون ، تتبع كل أمة ما كانت تعبد ، قالوا فارقنا الناس في الدنيا على أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم ونحن ننتظر ربنا الذي كنا نعبد ، فيقول أنا ربكم ، فيقولون لا نشرك بالله شيئا مرتين أو ثلاثا . **(يتبع)**



الهوامش

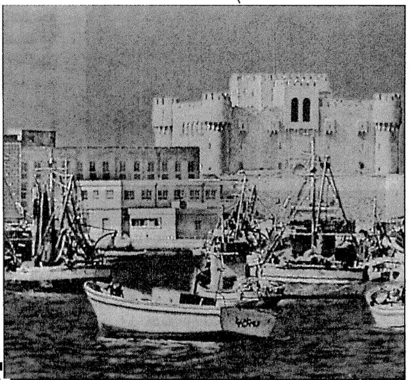
(١) كتاب الأصنام ص ٦ .
(٢) انتجثوا ـ أي استخرجوا .
(٣) د. محمد البهي ـ غيوم تحجب الإسلام .
(٤) أنظر البرهان في علوم القرآن ج٢ ص١٥٧ .
(٥) ج ١ ص ٣٢ .
(٦) ج ١ ص ـ ٣٠ .
(٧) علم القلوب ص ٢٥ .
(٨) سورة الأعراف .
(٩) سورة يونس .
(١٠) سورة يس .
(١١) ج ٥ ص ٥٦ .
(١٢) ص ٨ .
(١٣) وسيأتي مزيد من هذا القصص .
(١٤) هداية الباري إلى ترتيب البخارى ج ٢ ص ٣٦١ .
(١٥) اختلف في أبُوّة آزر لابراهيم .
(١٦) اخبر القرآن الكريم بذلك فقال (وجوة يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة) .
(١٧) السيد عبدالرحيم الطهطاوى : هداية البارى ج ٢ ص ٣٦١ .
(١٨) ج ٢ ص ٣٩٣ .
(١٩) المرجع السابق .
(٢٠) وردت روايات كثيرة في هذا المجال والبعض يستغربها لذا نكتفى بهذا القدر .
(٢١) الأحاديث القدسية ج١ ص ٣٤ .
(٢٢) سورة الحديد .
(٢٣) الاحاديث القدسية ج١ ص ٣٨ .
(٢٤) ج ٦ ص ٢٢٢ .
(٢٥) الاحاديث القدسية ج ١ ص ٣٤ .
(٢٦) الفلسفة القرآنية ص ١٢٧ .
(٢٧) الكشاف ج ١ ص ٥٨٤ (بتصرف) .
(٢٨) ج ٢ ص ٥٦ .
(٢٩) الغُبَّر = بقية الشيء وآخره :
(٣٠) أى من الصورة التى عرفوه بها من انه لايماثل الحوادث .

« للبحث صلة »

أروقة منصوبة على أعمدة الكلمة، قوامها: الطرفة والمزحة، المعلومة والمعرفة، المثل والحكمة.. أشتات مجتمعة تهش لها النفس وتستوعبها.

عجائب وغرائب.. من تراثنا

■ فى الحلقة الماضية، كنا أوردنا نتفا من عجيب ما حفظه تراثنا من امر إ هرامات مصر، وما حدث من الخليفة العباسى المأمون، يوم أراد هدم الاهرامات.. والحقيقة ان الاهرامات مثلها مثل كل الشواهد التراثية والتاريخية، التي ينبغي المحافظة عليها وصيانتها لانها جزء من تاريخ الامم، وثقافتها وفيها ما يفيد من حياة السابقين، وفكرهم، وسلوكهم، وعلومهم.



● قلعة قايتباي بالاسكندرية

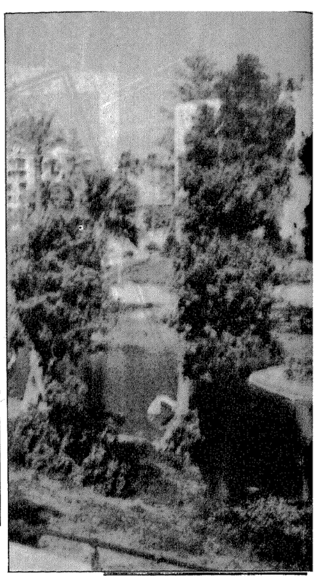


حماد السالمي

وهذه المعانى لا يدركها أولئك الذين يرمون ماضى مجتمعاتهم بالعيب والرذيلة.

وأوصلهم جهلهم إلى نفى العلم والعقل عمن حولهم، حتى إذا رأوا شاهدا قائما خافوا منه واجتهدوا حتى أزالوه.

●● وقد ورد أن المنصور لما أفضت الخلافة إليه، هم بنقض إيوان كسرى بالمدائن، فوافقه اصحابه على ذلك، فخرج على نقض شيء يسير منه جملة من المال، فعدل عما كان أراده.. فلما عدل عن متابعة الهدم، قال له خالد: إني لا أرى لك أن تبطل ذلك، لئلا يقال إنك عجزت عن تخريب ما بناه غيرك.. فلم يلتفت المنصور إلى ذلك، وترك هدمه.. وقد أراد



● حدائق الشلالات بالاسكندرية

● الباب الشرقي من سوريا اقتحمه خالد بن الوليد لتحريرها من الروم.

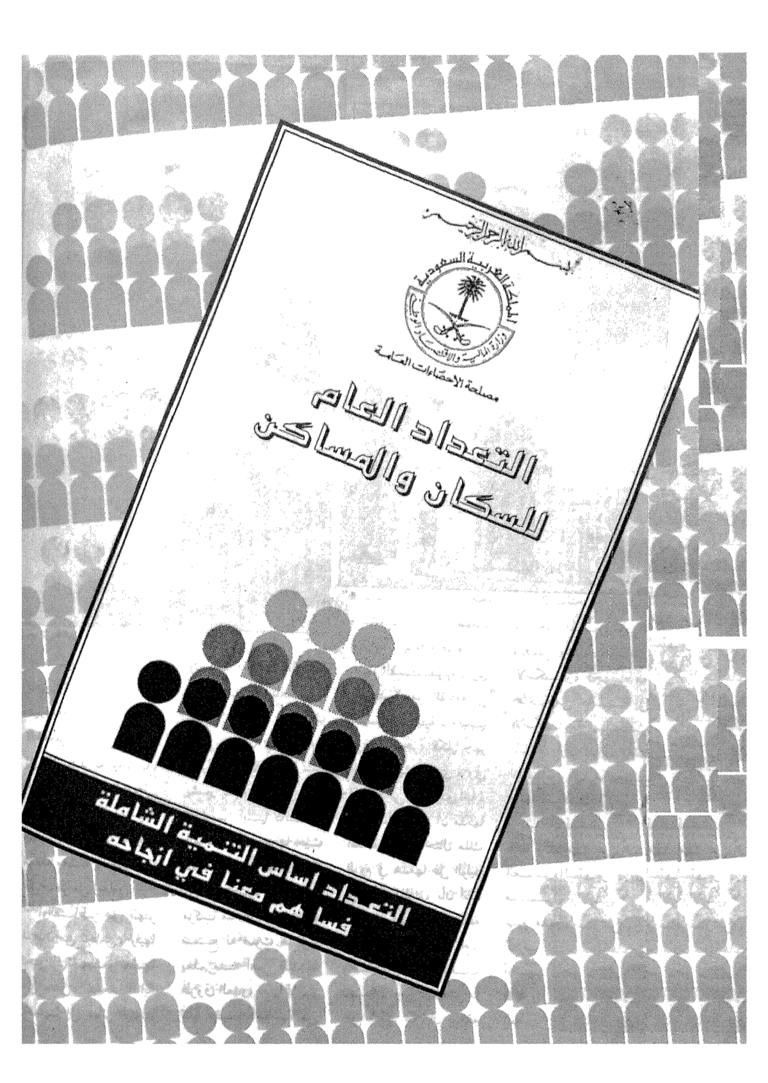
المنصـــور، أن يستعـين بحجـارة الايوان على إتمام عمارة بغداد.

●● ومن المدائن وإيوانها، إلى الاسكندرية ومنارتها، التى حكى عنها السيوطي في المحـاضرة.. أعاجيب منهـا أنها مبنية من حجارة مهدمة مضببة بالرصاص، على قناطر من زجاج.

والقنــاطـر على ظهـر سرطان من نحاس، وفيها نحـو ثلثمائة بيت، بعضها على بعض، تصعد الدابة بحملهـا إلى سائر البيوت وللبيوت طاقات ينظر منها إلى البحر، وإختلف فيمن بناها، ويقال ان طولها ألف ذراع، وكـان في اعـلاهـا تماثيل من نحاس منها تمثال يشير بسبابته اليمنى نحو الشمس أينما كانت من الفلك، يدور معها حيث دارت. ومنهـا تمثال وجهه الى البحـر، متى صار مركب منه على نحو ليلة، سمـع له صوت هائـل، يعلم منـه أهـل المدينة طروق العدو، ومنها تمثال، كلما مضـت ساعـة من الليل، صوت صوتا مطربـا، بأعلاه مرآة ترى منها القسطنطينية ـ ربما يقصد السفن القادمة من القسطنطينية ـ وبينهما عرض البحر، فكلما جهز الروم جيشا رؤي، وفي المرآة حكى المسعودى انها لم تزل كذلك إلى أن ملكها المسلمون، فاحتال ملك الروم في هدمها على الوليد بن عبد الملك، بأن أنفذ أحد خواصه ومعه جماعة الى بعض ثغور الشام، وأظهـر كنوزا كانت بالشام، ومن الدفائن ما حمل الوليد على أن صدقه بأن تحت المنارة أموالا ودفائن وأسلحة، دفنها الاسكندر، فجهزه مع جماعة من خاصته إلى الاسكندرية فهدم ثلث المنارة، وأزال المرآة، فعلم الناس أنها مكيدة، فاستشعر ذلك فهرب فى مركب كان له هناك.

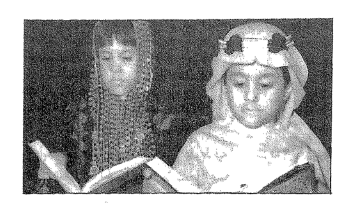
●● والتآمر على آثار العرب والمسلمين لازال مستمرا، والايدي التى تهدم هذه الآثار من بين العرب والمسلمين أنفسهم.

●● والى لقاء آخر إن شاء الله.

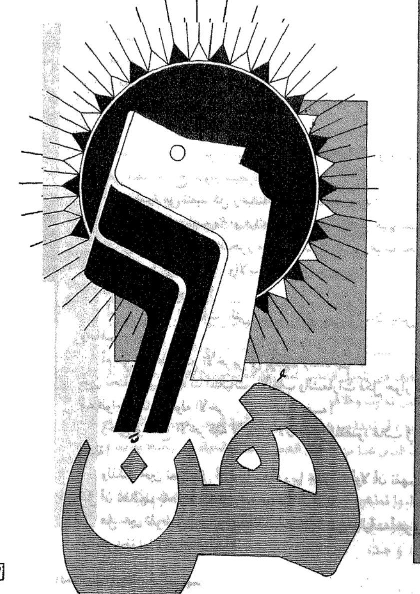

بسم الله الرحمن الرحيم
المملكة العربية السعودية
وزارة المالية والاقتصاد الوطني
مصلحة الإحصاءات العامة
التعداد العام للسكان والمساكن
التعداد اساس التنمية الشاملة
فساهم معنا في انجاحه

مجلة شهرية
ذات أداء متخصص
تعنى بشئون وثقافة المرأة
العدد ٦٣ جمادى الاولى والاخرة ١٤١٢هـ





- الالتزام بالمبدأ والحفاظ عليه قيمة إنسانية.
- تجارب الحياة تفتح أمامنا كتابا لا عهد لنا بمثله.
- عنترة: شجاعته وعفته فى حبه جعلا منه أسطورة شعبية.



فى هذا العدد

.. عزيزتي القارئة

مرحبا بمشاركاتك فى (هن) وعلى طريقة الكلمة الهادفة والفكرة النيرة نلتقى.

د. ثريا العريض «الرياض».

إننا نقول دائما: إنها مسألة مبدأ.

فماذا يعني أن يكون للإنسان مبدأ؟

أيعني ذلك أن هناك شيئا ما لا يفرط فيه؟ . . شرفه؟ . . إيمانه؟ . . وطنه؟ حريته؟ . . إنسانيته؟ . .

كل مثالياتنا الجميلة التي لا نتخلى عنها . . ؟

ولكن هل مفهومنا لهذه المثاليات هو واحد عند الجميع؟ هل الشرف هو العرض؟

هو أن يحافظ الفرد على كلمته أمام الآخرين؟

هو أن لا ينحدر الى أي فعل دنيء للوصول الى غاياته وأحلامه؟ . .

ان لا يكذب او ينتحل مروءات ليست فيه؟

وما هو الإيمان؟

أهو الالتزام بتعليمات الدين؟ . . الارتباط بخالق الكون؟ الثقة بصلتنا الوثيقة بالوجود الشامل بهدف حددته مشيئة الخالق؟

أيشمل قدرتنا على تحمل المشاق . . والصبر في مواجهة صروف الدنيا دون ان نتحطم بددا؟ .

والوطن؟ . .

أهو الانتماء الى جماعة معينة تعيش في مكان معين؟ . .

أم هو عشق لبقعة ما على هذه الأرض؟

أهو مستقر مريح للجسد ومتطلباته؟ . . أم هو حيث يكون الأحبة؟ . . تلك الأطلال التي تغني بها أسلافنا؟ .

أم هو هوية رسمية تمثل حقوقا تمنحها لنا سلطة ما؟ . . والحرية؟ . .

أهي البقاء خارج أسوار سيطرة الآخرين؟

أهي القدرة على تنفيذ كل رغباتنا دون ان يحددها احد؟

أهي امتلاك المرء لمصيره؟ او آرائه؟ . . فعل ما نشتهي حينما نشتهي؟

أم هي كما رآها البعض التحرر من شهوات النفس ورغباتها نخرج بها عن نطاق الضعف الانساني الى آفاق القدرة الروحية؟ . . والانسانية؟

أهي كل الآخرين . . ؟

أم هي تلك الصفات التي يشترك فيها بنو الانسان بكل فضائلهم ومساوئهم؟ . . آلامهم وآمالهم . . ؟

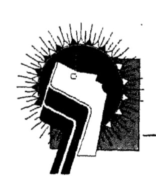
أم هي التعاطف مع الآخرين في بؤسهم ومعاناتهم؟ . .

حين نختلف فيما تعنيه لنا المثاليات والألقاب والشعارات فكل حوار حولها هو حوار طرشان . . لا يسمع فيه الواحد منا ما يقوله الآخر . . بل يصغي لنفسه!

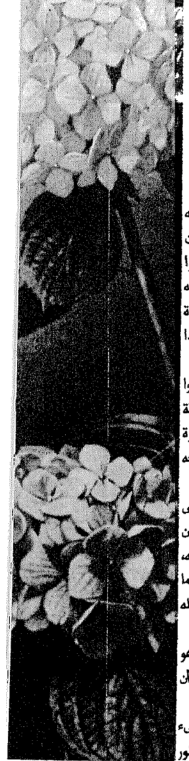
وحتى لو سمع الآخر فإنه لا يفهمه لأن المعنى المقصود غائب في المضمون حتى لو تطابقت مفردات اللغة!

ولذلك حين نصر على أن «لنا مبدأ» ربما يجدر بنا أولا أن نفهم ويفهم الآخرون تفاصيل ما نعنيه قبل أن نطالبهم باحترام مبادئنا والتزامنا بها!

هل حين نفرط في إحدى تلك المثاليات دفاعا عن مثاليات أخرى أو حماية لها . . نكون أقل احتراما أو اكثر احتراما لالتزامنا بالمبدأ؟



وداد سكاكيني (دمشق)



الحياة كتاب

الحياة كتابنا الكبير الذى لا ننتهي من قراء ته، نقلب صفحاته كل يوم فلا نسلم أونتبرم بحوادثه وقصصه، وكم تقدم له ناس حدقوا فى سطوره وأخباره وهم على ما ثقفوا من علم وأفادوا من ذكاء وبيان لم يستطيعوا أن يقرإ وا منه قليلا أو كثيرا، إ ذ التبست عليهم صوره ومعانيه، وضاقت افاقه حتى حسبوا أنهم تلقاءه من الجهلة والعامة، ذلك لان الحياة لم تساعدهم على أن يتعلموا فى المدرسة، وكأن ما تلقوه على مقاعدها أضاعوه وضيعوا معه أزاهير العمر، فإ نهم بعد أن انطلقوا من المدرسة إ لى ميادين الحياة ومرافق العيش فيها وجدوا غير ما قرأوا وطلعت عليهم الحوادث والتجارب بغير ما عرفوا وتوقعوا، وإ ذا بالحياة تفتح أمامهم كتاباً جديدا لا عهد لهم بمثله من قبل.

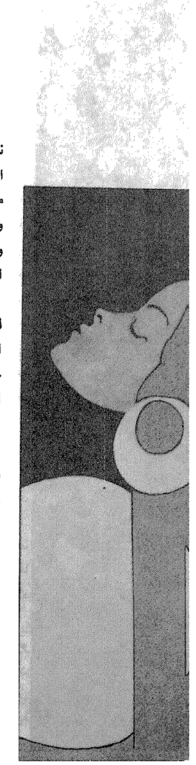
وكان من عجب هؤلاء أن يفهم هذا الكتاب الكبير ويقف على ما بين السطور فيه أناس لم يعرفوا مدرسة وما تلقوا على ما تستعصى عليهم صفحة غامضة من صفحاته فهم يقلبون أجزاء ه وأوراقه بلباقة وبراعة، ويعلمون أولادهم فصوله المتتابعة في معاملة الناس وفي الحديث والاستماع وفي إ نشاء الاسرة والمجتمع، واكتساب الرزق، وفى احتمال الاذى ورؤية جانبه حتى تتهيأ لهم الحياة وتتلقاهم وجهاً لوجه فى شتى أطوارها وأمورها.

وكأن كتاب الحياة هذا السجل الموهوم الذي دفعته الاسرار الكونية برصد كبير هو المعول عليه فى ممارسة الانسان لحياته وتبعاته وبمقدار ما يقل علم الانسان بهذا الكتاب يكثر قلقه واضطرابه، ولم تكن المدرسة حتى اليوم مهتمة بخطر هذا الكتاب، فإ ن مناهجها ونظرياتها وتعاليمها باء ت بالفشل أمامه ولذلك خرج منها الجيل دون أن يحسب حساباً للحياة واندفع إ لى البحر لا يعرف السباحة فعانى ما عانى من حيرة ومتاعب، فإ ذا شاع القلق في الجيل الصاعد وتنازعته المذاهب والاهواء فمرد ذلك كله إ لى ما بين علم المدرسة وعلم الحياة من تفاوت وخلاف.

فعلينا ونحن نبني حياتنا الجديدة أن نتدارس هذه المشكلة المعقدة لنبصر الجيل الحائر بما هو مندفع إ ليه لئلا يستحوذ عليه القلق الذى غدا من طوابع العصر ويخشى الحياة وهو يحبها ويريد أن ينجح فيها.

وما كان كتابها ممنعاً ولا محجوباً، وإ نما هو فى متناول الكبير والصغير مفتح الصفحات لكل قارىء مؤمن به وبنفسه يستطيع بثقافته ومجهوده أن يتبين ما ينفعه فى مسالك الوجود ويحفزه إ لى التطور والتجدد مع الفكر والحياة ومن "جـد "وجد.

نعم الله



لم لا نقدر ما يحيطنا من نعم كريمة؟ أكرمنا الله عز وجل بها الا بعد ان نهدد بفقدها او نفقدها لا سمح الله؟ قد يكون تعودنا عليها هو السبب الواضح فى عدم اعطائها حقها من التقدير والشكر والحرص عليها؟ نعم الله تعالى واسعة وعظيمة وغالية ولكنا لا نوفيها كل حقها من الشكر عليها. نسرف فى الاعتماد على فورة الشباب ونضارة العمر وتوفر الصحة فنجول ونصول لا نتبع حدوداً للصيانة ولا نوجد وسائل للحماية فنسرف فى التهافت على الشهوات واللحاق بالملذات المتنوعة حتى يدركنا يوم، تهمد فيه تلك القوة وتزول فيه تلك النعمة، نعمة الصحة والعافية وعند ضعفنا فقط نتذكر أهمية تلك النعمة التى أضعناها.

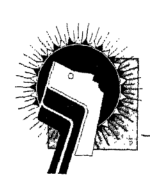
المرض ضعف . . وأسر وكآبة مزعجة والصحة إشراقة الدنيا ووسيلة العيش والانطلاق للتمتع بالحياة . . نعمة غالية نحمد الله تعالى عليها بالشكر الدائم واتخاذ كل وسيلة تحفظ هذه النعمة بمشيئة الله وقدرته ـ بهذه الصحة نقدر على البذل والشفقة قولا وعملا على اولئك الذين حرموا نعمة الصحة، نشفق عليهم ونعينهم بكل أوجه العون ونغتنم الصحة كنعمة فى اداء العبادات على خير وجه.

إنها نعمة أن يكون لنا الشأن والقوة والقدرة على ايصال الفائدة لانسان يحتاج هذا.

تدوم النعمة وتزيد بالشكر عليها وعدا من الله جل شأنه لا يخلفه وتدوم ان نحن جعلناها وسيلة تقرب الى الله جلت قدرته . . فلا نبطش بها بطش جبارين بل رأفة واحسانا ولين جانب لمن يحتاج.

هذا المال ـ مثلا ـ فتنة . . وامتحان . . ونعمة نستطيع ان نحقق الفائدة منه ونسخره بالطرق المشروعة لإمتاعنا وسعادتنا ـ ونستطيع ايضاً ان نحقق به الفرحة والأمان لنفوس محرومة مادام المال هو الوسيلة الفعالة التى تطيع ارادتنا فلِمَ لا نسخره فى اعمال الخير والبر . . نرفع به حاجة الغريب العاجز، الجار المحتاج والطالب المنقطع، والمدين المعسر. نجعله لكل أخ لنا منعه حياؤه من ان يستجدي ويعلن عن حاجته.

تلك النعم يحفظها الله لنا إن أحسنَّا استعمالها . . وهو قادر على سلبها منا، ان نحن اغتررنا بها وحرصنا عليها وأخطأنا فى تقديرها التقدير المناسب لها، وهناك نعم وفضائل أخرى تتميز بها حياة كل منا . . هي رائعة وغالية، لنحرص عليها ونتمتع بها . . ونشارك الجميع فى حدود المشروع فيها . . لأننا بذلك نحقق التكامل النفسى رضى وسكينة لنفوسنا ولمن حولنا من اخواننا فى الداخل والخارج دون استعلاء ولا مَنّ فذلك هو خلق المسلم الشاكر والحمد لله على نعمه الظاهرة والباطنة حمداً كثيرا.



أميمة منير جادو (مصر)

الإعلام الديني.. وقيم الأسرة

إذا كان الاعلام السليم يقوم على ذكر الوقائع والحقائق والصراحة، فإن الإسلام كإعلام دينى وبما يقوم عليه من صدق وحق يحتوى فى بنائه الاساسى على مقومات التأثير الإعلامى العميق وبالتالى فإن الله سبحانه وتعالى قد خص الاسلام وضمن له ما يصل به الى قلوب الناس.

إن الدين كان ولا يزال يمثل ضرورة لازمة للانسان فردا أو جماعة منذ بدء الخليقة وتمثلت هذه الضرورة الدينية فى فكره وأساليب حياته على أساس فطرته التى خلقه الله عليها.

والإعلام الدينى هو إعلام متخصص وقد يوصف كذلك بأنه نوع من الإعلام الثقافى التوجهي. . ولا يمكن إغفال أهمية الإعلام ودوره الخطير فى تغيير بعض قيم المستمعين والمشاهدين من أفراد الاسرة فى الريف والحضر خاصة اذا علمنا ان الاعلام هو توجيه لرسائل واقعية أو خيالية موحدة على اعداد كبيرة من الناس، ووسائل الاعلام هى تلك الوسائط التى تستخدم لنقل الرسائل بالتليفزيون والراديو والسينما والصحافة. وتمتاز وسيلة الاعلام فى العصر الحديث خصوصا بالسرعة والتعامل مع جماهير عريضة والقدرة على خلق الوعى والتزود بالمعلومات، كما أنها تستطيع أن تنجح فى تغيير القيم والاتجاهات غير الراسخة التى قد تتطلب لتغييرها وسائل الاتصال الشخصية والجمهور المستهدف لهذا يتنوع فى افراده ما بين طفل ومراهق وشاب وكهل يجتمعون عادة فى مجموعات من الأسر، فلا شك أن الأسرة هى الخلية الأولى للمجتمع وهى نواته وهى أهم الجماعات الانسانية لأن الانسان يفضل حياته فيها ويكتسب أهم الخبرات التى تجعل منه كائنا اجتماعيا.

وتتكون الأسرة من عدد من الأفراد يرتبطون معا بروابط المصاهرة أو الدم. ويعيشون معا فى منزل واحد ولكل فرد داخل جماعة الأسرة دور محدد يجب أن يؤديه وقد يكون له اكثر من دور وكما يعرفها د. عبد الباسط حسن بأنها - أى الأسرة - هى من أهم الجماعات الانسانية وأعظمها تأثيرا فى حياة الأفراد والجماعات فهى الوحدة البنائية التى تنشأ عن طريقها مختلف التجمعات الاجتماعية وهى التى تقوم بالدور الرئيسى فى بناء صرح المجتمع وتدعيم وحدته وتنظيم سلوك افراده بما يتلاءم مع الأدوار الاجتماعية المحددة وفقا للخط الحضارى العام.

الدعوة الاسلامية ودورها الاعلامى:

الإعلام موجود منذ فتح الانسان عينيه على حقائق الحياة وهو موجود منذ بدأ البشر يتعرفون على بعضهم بعضا ﴿يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (الحجرات/١١) واتخذ

الاعلام منذ بدء الخليقة اساليب متنوعة للتعبير، منها الاشارة فالكلام فالرسم فالمناداة، المهرجانات، اللقاءات الموسمية كالاعياد الدينية والمناسبات القومية، أسواق الشعر، المنتديات، حتى تطور إلى ما نراه عليه اليوم.

والعلاقة بين الإعلام وأية دعوة أو فكرة أو رسالة وخاصة الدعوات الدينية إنما هى علاقة عضوية مترابطة ومتلاحمة، فكل دعوة لها اعلامها، وكل فكرة لن تجد سبيلها الى الآخرين إلا بالمناقشة والدرس والتصادم العقلى أى بالاعلام وكل رسالة لا تبلغ هدفها ولا تصل غايتها الا عن طريق الاعلام.

ومرت الدعوة الاسلامية فى أول عهدها بدعوة (الأسرة)، فأول من أعلم الرسول ﴿ﷺ﴾ الناس بهذا الدين زوجه السيدة خديجة ثم عليا بن ابى طالب، ثم عشيرته الأقربين ثم بعد ذلك جهر بالدعوة. . وعلى هذه الصورة الواضحة البسيطة تم إعلام رسول الله أهله وقومه رسالته ثم كان التصادم بينه وبين بيئة العرب الاجتماعية كما نعلمها جميعا ولسنا بصدد مناقشتها فى هذا المقام الذى لا يتسع لها.

الاعلام الدينى ودوره فى الاقناع والتأثير على الجمهور:

والإقناع لغة مأخوذة من قنع فهو قانع وقنيع أى رضى، وأقنعنى أى أرضانى ويقصد به أن يصبح السامع لفكرتك قد اقتنع بفكرتك لا باعتبارها فكرتك انت ولكنها اصبحت فكرته الخاصة به التى انبثقت من داخل نفسه. ومن اجل ذلك كان الاقناع هو شرط قبول الايمان فى منطقة الاسلام ولا اكراه فى الدين.

ومما لا شك فيه أن جميع المشتغلين بالدعوة الى الله منذ زمن بعيد وقبل ان توجد وسائل الإعلام الحديثة كانوا معنيين كل العناية بأن يضعوا من الوسائل ما يحقق الهدف والغاية من أجل الاقناع وحمل السامعين على ما يراد منهم بترغيبهم واقناعهم بأمور دينهم.

قال ابن الرشيد (إن الخطابة هى قوة تتكلف الاقناع الممكن فى كل واحد من الاشياء المفردة).

ولما كانت البرامج الدينية المختلفة لجميع وسائل الاعلام بأنواعه المتعددة تعتمد فى بنائها على الثقافة الاسلامية الأصيلة وتراث الفكر الاسلامى المستمد من كتاب الله وسنة رسوله فقد تعددت أشكالها وتنوعت أساليبها لكى تكون مقنعة ومؤثرة فهى تخاطب المستمعين من جميع المنافذ التى توصل الى تحقيق هذا الهدف.

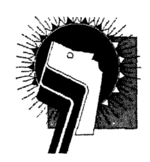
السمات الواجب توافرها فى المتحدث:

من أهم هذه السمات (الإخلاص الصادق، وسداد الرأى، ومعرفة نفسية السامعين)، وتدخل عوامل أخرى مساعدة منها «جودة الالقاء الوقفة وحسن الاشارة ونظرات العينين. . . الخ».

ويختلف الإقناع باختلاف المتحدث اليهم وتتمثل مظاهر الاختلاف فى السن والبيئة والنوع والثقافة والأطفال، والأميون اكثر تأثرا من غيرهم.

ووسائل الإيضاح البصرية والسمعية من أهم وسائل الاقناع للاطفال واقتناعهم لانهم يجنحون دائما الى عادة التقليد والمحاكاة.

ومن هنا كان للتليفزيون والسينما ثم تأتى بعدها الاذاعة الأثر الواضح فى نقل الرسائل الاعلامية الى الاطفال وعلى ذلك فان خطورة هذه الوسائل تبدو واضحة فيما يعرض عليهم أو ينقل اليهم الأمر الذى دفع ببعض علماء الاجتماع الى القول: إن الوسائل الاعلامية المرئية يمكن ان تؤتى آثارها الايجابية اذا استخدمت بذكاء وبالتالى تكون وسيلة بناء للمجتمع وذلك ببث القيم الروحية الرفيعة وفى نفس الوقت قد تكون معول هدم إذا أسىء استغلالها.



أسئلة للحقيقة

مديحة أبو زيد (مصر)

سألتنى فى الفجر الأزهار
كيف أظل أسيرة هذا المجهول
لم لم ألق النفس بأنهار الأضواء
أهرب من دائرة الزيف الى أرض الخلصاء
وأودع كل الأشياء الفاقدة المعنى
أمضى حيث شروق اللحن القادم
من ذاكرة الأنغام الدافئة الإيقاع
قلت أحاور نجمى . .
تسألنى أن أعبر جسر الأشجان
أطوى الأعشاب المصفرة فى عزف الأحزان
وأودع نهر مخاوف
ولأهجر ليل هموم
ولتحمل ابنتى أزهار حنين
تسألنى أن أعزف للنبت الطالع فى ليل صقيع
أبحث عن ذاتى فى كف الريح
ما أقسى أن تتصارع فى الشطآن الأنواء
أن تملأ نفسى نار هواجسى
يلتهم القهر الضوء
تنكسر الشمس وتهرب
والأيام ضباب
وخواء الليل ملل
وسراب من أحلام
وبرغم التيه وبطء الموت
أود أعيش بروض الدهر
وأفتح نافذة للفجر

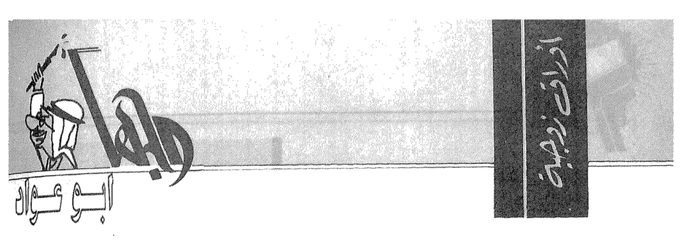
خواطر

دليلة سكري (الجزائر - جامعة الوادى)

أتـت تخطر كالحـلم الـوديـع الـرقيـق
تجر خيـالات الـدلال الـعـتـيـق
تبـادل أنـفـاس الـصـبـاح تحيـه
بطرف سقـيـم الـلحظ حلو الـبريـق
تصـب شبـاب الـعـود فى كل طلعـة
وتـسقى رمـال العـين عذب الـرحيق
وتـصـحـو على خفق الـفـؤاد لعـوبـة
تحاكـى هديـل الـورق فوق الـوريـق
غداة كطعـم الحـب في قلب عاشـقـه
تبـني قصـورا من كريـم الـعـقـيـق

* * *

فلولا خيـال الـظل قلت دعـابـة
تروح على الاكـبـاد روح الحـريـق
سألـت لظاهـا عن رمـادي فدعـنـى
وهـب غشـوقـا في شفـاف الـقـليـق
وقـالـت أأنـت الـشـاعـري محدثـي
بلفظ هذيـل الحشـو رث خليـق
طوتـه سليـمـى بعـد هنـد وخـولـة
وأخـرى بقـفـر البـيـد تحت الحقيـق
سئـمـت من الـتـشبـيـه فى كل صورة
تلوكـه أضراس المـديـح الـصـفـيـق
ألا لذت بالـصـمـت الـكئيـب بلاغـة
وقـمـت قيـام الـصب عنـد الـطريـق



٥١٤ ———— أبو عــواد

صدقيني يا سيدتى ان الخوف على المرأة ليس فقط من بعض الوحوش ـ الضالة ـ!! وانما أيضا من أولئك المتباكين على حظوظها وحقوقها.

٥١٤ ———— ام عمــرو

من السهل على العقل البشرى أن يميز بين القضية الحقيقية والقضية الزائفة فلماذا نتهم الجميع بخبث النـوايا إن من المتباكين على الحقوق والحظوظ من يمثلون نوايا صادقة وحسا مرهفا لاحتياجات المرأة التى طال إهمالها وتجاهلها ودفنها وراء سطوة الرجل وجبروته.

٥١٥ ———— أبــو عــواد

لا شك للمؤسسات التربوية دور كبير فى تربية الأطفــال. لكن الـدور الأسـاسى والـرئيسى يظل للمنزل لا سيما فى المراحل المبكرة.. فأين أنت عن صفـاتـك فى هذه المرحلة؟!.. إن الأدوار الهامشية ياسيدتى غير كافية!!.

٥١٥ ———— ام عمــرو

البيت فعــلا هو اول المـدارس واهمهـا والبيت بالضرورة هو الاب والام وليس الام وحدها وانا كمربية اعتقد ان للاب دورا اهم من دور الام فهو رأس الاسرة وعمـودها وهو النموذج الاول فيها لا تطالبوا النساء وتحـاسبـوهن وانتم تجرون وراء سهـراتكم ورغباتكم فالارض المجدبة لا تخرج ثمارا.

٥١٦ ———— أبــو عــواد

يحاول الزوج أن يقتصد لتوفير مبلغ وبناء رصيد يلجـأ إليه عنـد الضرورة لتـوفـير عنصر الأمـان والاستقرار للأسرة والأبناء.. لكن مخاوف المرأة من أن توفـر السيولـة بين يدى الزوج قد تكون سببا فى زواجـه عليها.. تجعله ينفق هذا المبلغ ويبدد ذلك الرصيد على الضروري والكمالى.. لتطمئن أنه بعد قص جناحيه لن يطير. وللأسف زوجات الاثرياء لا يفعلن هذا فكأن الزوج الفقير مطلوب منه أن يظل فقيرا.

٥١٦ ———— ام عمــرو

لقد تعلمت النساء ـ للاسف ـ هذا الدرس المؤلم من خلال اجيـال من الخبرة فى هذا المجال، استمعت فيها إلى جدتها وأمها وخالتها ورأت ما ال إليه حال الكثيرات غيرها. على الرجال والرجال وحدهم ان يغيروا هذا خلال سنوات طويلة من محاولة طمس معالم هذا النموذج الردىء من الرجال.. فربما تنسى النساء.

٥١٧ ———— أبــو عــواد

إذا أردنا أن نكون اكثر دقة وموضوعية فى حديثنا عن المـرأة يلزم أن نقول بعض النساء.. ولا نقول النسـاء.. فمثلا: بعض النساء لديهن القدرة على مضـاهـاة الرجل فى أعمال معينة وربما التفوق عليه ولكن ليس كل النساء.. وحين يقال الجنس اللطيف مثلا.. فهذا تعميم غير دقيق وحتى وان كان القصد الأغلبية.. فحبـذا لو قلنـا بعض النسـاء وبعض شرائح الجنس اللطيف.

٥١٧ ———— ام عمــرو

ليس هناك جنس لطيف وجنس خشن الانسان هو الانسان رجلا كان او امرأة يتميز بسمات جنسه ويتميز



بسمات فرديته. وقد تكون المرأة اخشن فى كرهها أو الطف فى غضبها من الرجال. اما من حيث تفوقها عليه او تفوقه عليها فى عمل ما، فالدراسات التربوية تقول لنا اعطنى طفلا صحيحا ذكرا كان أو انثى.. اصنع لك منه أى شخص تريد.

٥١٨ ـــــــــــ أبـو عـــواد

عجيب أمر المرأة . . ؟ تطلب من الرجل أن يكون صريحا معها . . ولكنها إذا أجيب طلبها تثور ثائرتها حتى بات واضحـاً عند ذوى الخبرة من الرجال أن الصراحة المطلوبة عند المرأة هى المجاملة .

٥١٨ ـــــــــــ ام عمـــرو

إ ذا كانت الصراحة هنا ترتبط بالبحث عن العيوب وبالنقد المستمر لمقارنة نواقص الزوجة بزوائد كل امرأة أخرى تمر على الاسرة فهذه لا تدخل فى باب الصراحة ولكنها تتعداها إ لى التجريح وهناك فرق بين هذا وتلك.

٥١٩ ـــــــــــ أبـو عـــواد

سامـح الله شعـراء الغزل . . وبعض الممثلين والفنانين والكتاب . . إنهم بفرط تدليلهم للمرأة تركوا لديها انطباعاً مفاده أنها سيدة وأن أمرها حتمـا مطاع .

٥١٩ ـــــــــــ ام عمـــرو

الشعراء والكتاب والمفكرون يملكون عيونا ترى اكثر مما نرى وسمعـًا يسمع اكثر مما نسمع واكثر من ذلك يملكون عقولا اكثر جودة وتميزا من عقول العاديين من الـرجال والنساء، فلماذا لا نستمع اليهم، ربما نتعلم منهم شيئا نافعا.

٥٢٠ ـــــــــــ أبـو عـــواد

إذا وصلت الأمـور بين الرجل وزوجته الى نشر الغسيل للغادى والرائح فذلك يعنى أن عمق الشرخ أكبر من أن تحتويه جراحة ودبلوماسية إصلاح ذات البين واحتواء المشكلة .

٥٢٠ ـــــــــــ ام عمـــرو

هذا صحيح ويجب على كل منهما هنا أن يلم غسيله ويـرحل، ولا ينسى أن يأخذ الحبل معه فقد يحتاجه لمهمة أخرى!.

٥٢١ ـــــــــــ أبـو عـــواد

شهـر العسل صار موضة ! ! لكن الذين جربوه يعرفونه على أنه برزخ بين عهدين ربما كانا ـ إلى حد ما متناقضين ! ! .

٥٢١ ـــــــــــ ام عمـــرو

لماذا لا يجرب الازواج أن يعطوا أنفسهم شهر عسل كل عام فى الاعوام الخمس الاولى يتناقص تدريجيا بعـد ذلك. ربما تفيد شهور العسل هذه فى اعادة قنـوات الاتصـال بين الطرفين التى تقطعها مشاغل الحياة فيتجدد الود والثقة والنفاق الصحى لو اردنا تسميته هكذا.



رسالة من عنترة
الى السيدة الجميلة

حبيبتى عبلة:

رسالتى هذه يحملها إليك أخ عربى كريم أبت عليه عروبته إلا أن يمد إلى يد العون فى محنتى التى أقاسيها الآن . . لقد كان سجينا معى فى حبس المنذر بن ماء السماء ولكنه وقد أفرج عنه وأطلق سراحه قبلى فإنه بكرم من حلمه وتعاطفه الانسانى الجميل قبل أن يحمل رسالتى إليك .

فمن هذا الحبس الموحش الرهيب عزت على نفسى واستعبرت عيونى وقلت: إلى هذا الحد يضمر لى عمى السوء ولا يفكر إلا فى هلاكى؟

ترى علمت عبيلة ما ألاقى
من الأهوال فى أرض العراق
طغانى بالريا والمكر عمى
وجار على فى طلب الصداق
فخضت بمهجتى بحر المنايا
وسرت إلى العراق بلا رفاق
وسقت النوق والرعيان وحدى
وعدت أجد من نار اشتياقى
وما أبعدت حتى ثار خلفى
غبار سنابك الخيل العتاق

■ ووقعت فى الأسر وأخذونى إلى الملك المنذر بن ماء السماء الذى أمر بسجنى فقد هاله ما اجترأت عليه إذ كيف أهاجم أرضه وحده وأسوق كل تلك النوق العصافيرية وهى أعز نوق وأكرمها . . ولقد استبان لى بعد أن انقشعت غشاوة الخداع التى أغرانى بها عمى أنه إنما كان يريد هلاكى والقضاء على حتى لا أعود فأطالبه بأن يحقق وعده فيزوجنى منك . . ولقد تصادف أن كان بعض الأعراب معى فى الحبس فقال لى أحدهم: أأنت عنترة بن شداد؟ قلت: أنا عنترة بن شداد. فقال: أنت فارس بنى عبس؟ قلت: وفارس العرب أجمعين . . فقال: يا هذا، لقد ملأت الآفاق بحبك لابنة عمك عبلة حتى صرنا نتغنى ببديع شعرك فيها ونتمنى أن لو رأيناها رأى العين . . أما وقد صرت معنا فهلا وصفتها لنا حتى نتمثلها وكأننا نشهدها ونتحلى بجمالها؟ فقلت لهم :

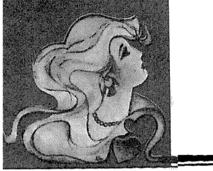
لعوب بألباب الرجال كأنها
إذا أسفرت بدراً بدا فى الأحاشد
شكت سقما كيما تعود وما بها
سوى فترة العينين سقم لعائد
من البيض لا تلقاك إلا مصونة
وتمشى كغصن البان بين الولائد
كأن الثريا حين لاحت عشية
على نحرها منظومة فى القلائد
منعمة الأطراف خود كأنها
هلال على غصن من البان مائد

حبيبتى عبلة:

فى محنتى هذه وأنا مكبل بالأغلال يخيل إلى أن الزمان قد وقف لى بالمرصاد وأن الناس صاروا عوناً له وحربا على كأننى لست منهم : أصلا ودما ولغة ودينا . . ويطول حزنى وتفيض دموعى ، وأنا لا أحمل إلى قومى سوى الحب والوفاء :

إذا فاض دمعى واستهل على خدى
وجاذبنى شوقى إلى العلم السعدى
أذكر قومى ظلمهم لى وبغيهم
وقلة إنصافى على القرب والبعد
بنيت لهم بالسيف مجداً مشيدا
فلما تناهى مجدهم هدموا مجدى
يعيبون لونى بالسواد وإنما
فعالهم بالخبث أسود من جلدى
أتحسب قيس أننى بعد طردهم
أخاف الأعادى أو أذل من الطرد

■ ألا ذكريهم يا عبلة: ذكرى أباك وعمك وأخوالك وقومك كلهم أن سيف عنترة بن زبيبة هو الذى حماهم من بطش كسرى الذى أراد أن ينتهك حرمة أرض العرب وديارهم وكرامتهم وترددت القبائل أمام تهديده وعبثا ما



■ هو عنتر بن شداد العبسى (٦٠٠م) شاعر جاهلى فارس من أهل نجد ـ كان شجاعًا جوادا عفيفًا.. له معلقة تدور كشعره كله حول حبه عبلة وفخره ببطولته.

محمد عبد الواحد حجازى

حاولت أن أنتزع منهم رعدة الخوف فخرجت فى زمرة من رجالى الذين نذروا أرواحهم للذود عن أرضهم وعرضهم لنهاجم أرض كسرى قبل أن يهاجمنا فى عقر دارنا. . وصرت أضرم فى صدور رجالى حمية القتال فقلت:

فويل لكسرى إن حللت بأرضه
وويل لجيش الفرس حين أعجعج[1]
وأحمل فيهم حملة عنترية
أرد بها الأبطال فى القفر تنبج
وأصدم كبش القوم ثم أذيقه
مرارة كأس الموت صبر يمجج[2]
وإنى لحمال لكل ملمة
تخر لها شم الجبال وتُزعجُ

حبيبتى عبلة:

إن ما يؤرق جفنى ويضنينى بل ويبكينى هو أن أستعيد صورتك وأنت ترسفين فى سلاسل الأسر حيث أخذوك سبية من السبايا وأنا إلى جوارك مقيد مغلول وقد بدت عليك الذلة وشملك الارهاق والضنى فقلت لك وقتها وقد غلبنى البكاء:

يا عبل قد دنت المنية فاندبى
إن كان جفنك بالدموع يجود
يا عبل إن سفكوا دمى ففعائلى
فى كل يوم ذكرهن جديد
لهفى عليك إذا بقيت سبية
تدعين عنتر وهو عنك بعيد

■ ولهذا فإن أخشى ما أخشاه هو أن تتحرش بكم القبائل التى تحقد عليكم العز والمجد والكلمة المسموعة. . إن أخشى ما أخشاه هو أن يغتنم بنو عامر فرصة غيابى ـ غياب فارس بنى عبس وسيفها ـ فيهجموا عليكم ليثأروا من الهزيمة التى أوقعتها بهم:

فكم من فارس خليت ملقى
خضيب الراحتين بلا خضاب

■ ومن يدرى فربما أغارت قبيلتا هوازن وجشم على ديارنا كما فعلنا من قبل وكان أهلى ـ كما تعلمين ـ قد طردونى. فلما استنجدوا بى أبيت أن أنجدهم لولا أن جاءنى وفد من نساء قومى تقودهم الجمانة بنت قيس يطلبن منى أن أنقذ الأرض والعرض. . وما كان لى آنئذ أن أتغافل أو أنام:

وكيف أنام عن سادات قوم
أنا فى فضل نعمتهم ربيت
وإن دارت بهم خيل الأعادى
ونادونى أجبت متى دعيت
بسيف حده يزجى المنايا
ورمح صدره الحتف المميت
خلقت من الحديد أشد قلبا
وقد بلى الحديد وما بليت

حبيبتى عبلة:

تصورى: إن جموح انفعالاتى وقلقى على مصيرى جعلنى أستعيد كلماتك القاسية الجارحة التى أسمعتنيها فى يوم من الأيام حتى أننى خرجت أسيفا محزونا منك. . استعدت ذلك الموقف بكلماته وانفعالاته وكأنه متجسد أمامى الآن فى حبسى، فقلت لنفسى: ما كان ينبغى أن أترك عبلة تهيننى بهذه الطريقة، كان ينبغى على أن أرد عليها فى الحال فأقول:

إلى كم أدارى من تريد مذلتى
وأبذل جهدى فى رضاها وتغضب
عبيلة أيام الجمال قليلة
لها دولة معلومة ثم تذهب
فلا تحسبى أنى على البعد نادم
ولا القلب فى نار الغرام معذب
هجرتك فامضى حيث شئت وجربى
من الناس غيرى فاللبيب يجرب



حبيبتي عبلة:

في ليلة من الليالي نظرت من نافذة حبسي فرأيت على البعد ناراً قد أضاءت ما حولها. فقال صديق لي في الحبس: هذه نار جند المنذر أوقدوها في هذه الليلة الباردة، فقلت له: لا . . .

هذه نار عبلة يا نديمي
قد جلت ظلمة الليل البهيم
تتلظى ومثلها في فؤادي
نار شوق تزداد بالتضريم
أضرمتها بيضاء تهتز كالغصـ
ـن إذا ما انثنى بمر النسيم
وكسته أنفاسها أرج النـ
ـد فبتنا من طيبها في نعيم
كاعب ريقها ألذ من الشهـ
ـد إذا مازجته بنت الكروم
كلما ذقت بارداً من لماها
خلته في فمي كنار الجحيم
سرق البدر حسنها واستعارت
سحر أجفانها ظباء الصريم(٣)
وغرامي بها غرام مقيم
وعذابي من الغرام المقيم

حبيبتي عبلة:

ومهما كانت الخطوب التي نزلت بي فسوف يأتي الوقت الذي أخرج فيه من حبسي فإلى أن يطلق سراحي:

سأضمر وجدي في فؤادي وأكتم
وأسهر ليلي والعواذل نوم
فمني بطيف من خيالك واسألي
إذا عاد عني كيف بات المتيم

الهوامش

(١) أعجعج: أصيح فيهم.
(٢) يمجج: لا يساغ
(٣) الصريم: القطعة من الرمل



● عبد القدوس الانصارى.

قراءة نقدية

عبد القدوس الأنصاري



الاصدار (١٥) فى مجموعة إصدارات دارة المنهل للصحافة والنشر

عرض وتحليل: نادر صلاح الدين (مصر)

عبد القدوس الأنصاري شاعراً

تأليف

الدكتور/ عبد الله أحمد باقازي

الطبعة الأولى

١٤١١هـ - ١٩٩١م

قال راجز قديم:

الشعر صعب وطويل سلمه
إذا ارتقى فيه الذى لا يعلمه
زلت به إلى الحضيض قدمه
أراد أن يعربه فيعجمه

الشعر - ومنذ القديم - ديوان العرب.. فيه أخبارهم وأنسابهم.. فيه أيامهم.. فيه الفخر والرثاء، والمدح والهجاء.. والحكمة والتأمل و...

والشاعر.. ينطق بالحكمة، ومنه يأتى نوابغ الكلم فيحتفل به العرب فى الجاهلية والاسلام.. أما لغته فتستهوى الأفئدة وتميل القلوب وتهز العقول حتى يخيل إليهم أن للشاعر شيطانا يساوره فيلقى إليه بهذا الضرب من الكلم العجيب.. وها هم يتعلقون بالموزون المقفى الذى يعزف على أوتار النفس ويضرب على ملامح الفكر.

وشاعرنا.. اختار الصعب وارتقى سلمه.. صعد بخطاً ثابتة واثقة ينظم فى فنونه المختلفة.. تحدوه ثقافة أديب واسع الاطلاع.. له فى فنون المعرفة باع طويل.. أرخ ونقب عن الآثار.. حقق فى اللغة وكتب ونقد فى الأدب والفكر بعامة..

جمع المنهل قصائده فى ديوان «الانصاريات» وصدرت منه الطبعة الثالثة ١٤١١ للهجرة.. عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة.

وفى نفس العام صدرت الطبعة الاولى من كتاب الدكتور عبد الله أحمد باقازى «عبد القدوس الانصارى شاعراً».. موضوع العرض.

الكتاب.. أو الدراسة صدرت فى كتاب عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة فى مئة وسبع وثلاثين صفحة من القطع المتوسط.. بدأها الدكتور الدارس بمقدمة عن صاحب القصائد.. عبد القدوس الانصارى رحمه الله.. عارضاً لثقافته ومكانته الأدبية عرضاً سريعاً ثم جاءت

فى ثلاث أبواب.

الباب الأول: عرض فيه الدكتور باقازى لجوانب شعر عبد القدوس الانصارى وهو ما يمكن أن نعتبره موضوعات شعره أو فنونه.

الموضوع الأول أو الجانب كما يطلق عليه الدكتور.. الجانب الدينى الذى يظهر بوضوح فى شعر الانصارى وقد علق على ذلك بقوله «ولا غرابة أن يظهر فى شعر معظم الشعراء السعوديين لأن أولئك الشعراء كانوا مسلمين موحدين للبارى عز وجل يتفيأون ظلال نعمة الاسلام التى أنعم بها الله عز وجل على عباده ومنهم الشعراء السعوديون».. ونظن أن هذا ليس شرطاً ضرورياً.

ثم يورد قصيدة تحية شهر الصيام معلقاً عليها وموردا بعض ملاحظاته الفنية كالتكرار فى بعض الأشطر وبعض الألفاظ واستخدام الفعل المضارع الذى يضفى الحيوية ويشيع الحركية فى القصيدة.

وما دام الكاتب قد خصص فصلا أو باباً لدراسة الظواهر الفنية فقد كان الأولى أن يكون مكان الملاحظات الفنية هذا الباب.

كما أن الجانب الدينى لا يقتصر على هذه القصيدة فحسب، بل إننا نستطيع أن نتلمس تلك الروح الدينية المتأملة فى قصائد أخرى صنفت ضمن جوانب أخرى، ففى قصيدة نجم يهوى التى يرثى بها عبد القدوس الانصارى - رحمه الله - السيد أحمد الفيض آبادى تظهر بوضوح.. يقول فيها.

عش ما تحب كما تحب محاذراً
فالموت للأحياء بالمرصاد
ذى الدار دار الحزن فهى بغيضة
فطرت على التفريق والابعاد
حصادة لبنى الورى بمناجل
طبعت لحصدهم أغذ حصاد
حياة هذا الناس ظل زائل
يعشو بها سارٍ ويضحى غادِ

(الديوان ص ص ٦٧-٧٤)

■ وفى قصيدة «وقفة على منبر التأمل» يقول
ودها الكون فكره بسناه
فارتمى فى أحضانه وهو حائر
وإذا بالآذان يشدو به ذو
نغمة فى الآفاق شدو مجاهر
فصحى الشاعر الذى احتار واعتا
م هداه وصاح صيحة ظافر

(الديوان ص ص ٢١-٢٢)

■ فها هو الآذان.. المنقذ من حيرة الشاعر الانسان فى خضم الكون وها هى صيحة الظفر/ النجاة تتوافق وتقترن بشدو الآذان.

الجانب الثانى.. هو جانب الرثاء.

أورد الدكتور باقازى فيه قصيدة الانصارى فى رثاء السيد أحمد الفيض آبادى معلقاً على استهلاله للقصيدة.
الحزن يشمل والتجلد شارد
والدمع منهمر من الأطواد
بأنه استهلال رائع يذكرنا باستهلالات رائعة كاستهلال أبى تمام فى رثاء محمد بن حميد الطوسى بقوله:
كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر
فليس لعين لم يفض ماؤها عذر
ومضى يبين ما تشابه فيه الانصارى مع ابى تمام وغيره.. فالأنصارى حين يقول:
ما كان رزؤك رزء شخص واحد
لكنه رزء على الاحشاد
يذكرنا ببيت للشاعر عبدة بن الطبيب فى رثاء قيس بن عاصم:
فلم يك قيس هلكه هلك واحد
ولكنه بنيان قوم تهدما
وإذا فتحنا مجال المقارنة والتشابه فالحديث يطول.
فقول الانصارى:
عش ما تحب محاذراً
فالموت للأحياء بالمرصاد
يذكرنا: وإذا المنية أنشبت أظفارها
و: ألفيت كل تميمة لا تنفع
وما الناس إلا هالك وابن هالك
وذو نسب فى الهالكين عريق

■ والأهم من هذا وذاك.. ذلك التأثر القرآنى الواضح.. بقوله تعالى: ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنت فى بروج مشيدة﴾.

فذا ملمح إسلامى آخر فى قصيدة رثاء..

وكذا قوله :

ذى الـدار دار الحـزن فهـى بغـيـضـة
فطرت على الـتـفـريـق والابـعـاد
حصـادة لبـنـى الـورى بمـنـاجـل
طبـعـت لحصـدهـم أغـذ حصـاد
يتـتـابـع الافـراد فى هواتهـا
كتـتـابـع الابـراق والارعـاد

■ يذكرنا بأبيات أبى العتاهية :

قرن الفناء بنا فما يبقى العزيز ولا الذليل
والموت آخر علة يعتلها البدن العليل
ولرب جيل قد مضى يتلوه بعد الجيل جيل

■ وكـان بودنـا أن يتجاوز الأمر مجرد إيراد ما تشابه فيه الأنصارى مع غيره الى عقد مقارنة فنية تبين مدى التأثر والتأثير فيمن بعده أيضاً وما أضافه ويكون مجال هذا فى الدراسة الفنية.

وعلى أى حال فهذا يدل ابتداء على ثقافة الأنصارى وإطلاعه على عيون الشعر العربى والتراث.

الجانب الثالث: فهو جانب الجمال والحكمة وتمثله قصائد على منبر التأمل/ بداية شاعر ونهايته/ من أخلاق الناس المظاهر والمخابر.

وإذا كان هذا الجانب متجذراً فى الشعر العربى بدءاً من أوس بن حجر وزهير بن أبى سلمى ثم مسلم بن الوليد الأنصـارى وأبى تمام والمتنبى والمعرى فى العصر العباسى ووصولا إلى أحمد شوقى فى العصر الحديث كما يقول مؤلف الكتاب فكنا نود أن يخرج الناقد من مجرد رصد لأفكار الشاعر فى قصائده تلك إلى دراسة فنية متخصصة يبين فيها ما للأنصارى وما عليه فى هذا الموضوع الهام.

ويأتي الجانب الرابع وهو جانب الوصف الذى يمثل جانباً بارزاً فى شعر عبد القدوس الأنصارى وتمثله ست قصائد/ الشاعـر والغيم/ وحى العتيق يوم انهياره/ وقفـة بوادى العقيق/ التالودية/ أنين السانية فى قباء/ الشيخ الفلاح ومن خلال عرض سريع للقصائد يقف الدكتور باقازى وقفـات سريعـة مع موسيقى بعض الابيات كاستهـلال الانصارى قصيدته انين السانية فى قباء بمستهل تصريعى بديع :

فى ظلام الـلـيـل ما بين الـتـلول
هتـفـت سانـيـة وسط الـنـخـيـل

ويورد رأى ابن رشيق فى دلالـة التصريع ثم رأى على الجندى وتأكيده على قيمة التصريع موسيقياً.

وكان من الممكن أن تتوسع دائرة مبحث الموسيقى فى شعـر عبـد القـدوس الانصارى.. خاصة وأن قصيدته «وقفـة بوادى العقيق» تدخـل ضمن الموشحات ـ أو فن التوشيح.. وكذا إغفاءة شاعر وانتباهته التى تأخذ شكل «المسمطات».

وقـد عاد الدكتور باقازى ليضم قصيدة وقفة بوادى العقيق ضمن فصول الدراسة الفنية بعد أن صنفها ضمن جوانب شعر الانصارى.

الجانب الخامس والأخير الذى أدخله المؤلف ضمن تلك الجوانب.. جانب الظرف.. وهو ما ورد فى الديوان تحت مسمى الفكاهيات ويشمل قصيدتى الجندولية الجديدة، «وليلتان فى عمان» ويندرج هذا اللون من الشعر فى باب أدب السخرية والحديث فيه كان من الممكن أن يطول فهو فن له جذوره القديمة، وبذا ينتهى الباب الأول من الدراسة.

أما البـاب الثـانى: فقد خصصه الدكتور عبد الله أحمد باقازى لدراسة «الظواهر الفنية فى شعر عبد القدوس الأنصارى».

وأورد فيه الظاهرة اللغوية وعرض فيها لدلالات بعض الألفـاظ كاستخـدام الصـل الـذى تبدو ملامحه اللغوية الخاصة من حيث الندرة والقلة فى الاستعمال والتداول.. واستخدام الأنصارى له يكشف عن بصيرة لغوية كذا أعد من الظواهر اللغوية ورود لفظة النضو فى قول الانصارى من قصيدة (أنين السانية).

فلتـواس الـنـضـو فى جنـح الـدجى
بقـرى ينـعـشـه قبـل الـرحـيـل
واسـتـطاب الـنـضـو فى ليـلـتـه
لحنهـا الـذاهـب بالهـم الـثـقـيـل

■ حيث استعـار الانصـارى «النضـو» فى البيت الثانى للرجل المسكين الهزيل والنضو كما هو معروف.. البعير المهزول.

وأيضا : وضوح الظاهرة اللغوية من خلال الحزن والمحل فى قوله :

أبــدل الــعــرف حزنــه لى سهــلا
وتــفــيــا بالخــصــب ما كان محلا

والحـزن: ما غلظ من الأرض فى ارتفـاع . . والمحل هو الشدة والجوع الشديد . . وهو نقيض الخصب.

■ وإذا كنا بصدد دراسة اللغة الشعرية فقد كنا نطمح أن يتنـاول هذا الجـانب الهـام بالـدراسة مميزات لغة الشعر ومحاولة التوقف عليها فى شعر عبد القدوس الانصارى . . فللشعـر لغتـه الخـاصـة من صيغـة تنصرف فيه الي غير ظاهرها . . ومن حسن أداء وجمال تعبير . . ومن ضرورة . . تعد آلة من آلات الشعر، ومن مسائل لغوية لا نجدها فى لغة المترسلين ومن أساليب استفهام ودلالاتها . . بحيث لا يقف الأمر عند حد رصد بعض الظواهر فقط وكما سلف.

وأدخل المؤلف ضمن الجوانب الفنية . . ظاهرة التكرار ثم التأثر بالشعر العربى القديم **(إغفاءة الشاعر وانتباهته)** والتأثر بالشعر الاندلسى الذى اكتفى فيه بقوله إن قصيدة الأنصارى **«وقفة بوادى العقيق»** قريبة فى شكلها من بعض الموشحـات الأنـدلسية مثـل موشح ابن سهل الاشبيلى وموشحة ابى الفضل بن محمد العقاد التى عارض بها ابن سهل . . وبأن «القفل» يتكرر فى القصيدة بقافية بائية ثابتة وتتغير الأبيات الثلاثة فى قوافيها بينما يظل القفل ثابتاً . . وهذا المبحث على درجة من الاهمية بمكان . . فهل فتح الأنصـارى بذلـك باب فن التوشيح فى الشعر السعودى ؟!! كنا نود أن يناقش الدارس ذلك.

ثم التـأثـر بالشعـر الحـديث وأورد لذلـك قصيدة الأنصارى الجندولية الجديدة التى عارض فيها على محمود طه صاحب الجندول . . وكان فى هذا الجانب مجال واسع للدراسة الفنية المفصلة.

ويستمر المؤلف فى رصد الجوانب الفنية التى يدخل فيها ظاهرة الطبيعة وظاهرة الحيوان والطير وكائنات اخرى وظاهرة البيئة . . وكان مكان هذه الظواهر فى ـ رأينا ـ هو الـدراسـة الموضوعية أو التى تناول فيها الدكتور باقازى جوانب شعـر عبـد القدوس . . ثم الظاهرة القصصية ـ والظاهرة الجمالية . .

ومـع إدخال الطبيعة والحيوان والبيئة ضمن الدراسة المـوضـوعية كان من الممكن أن تدخـل الـظواهـر الفنية الأخـرى تحت مسمى الظواهر البيانية وفيها يقف الناقد أيضاً على توظيف الرمز فى القصيدة مع تقديم دراسة وافية عن الموسيقى.

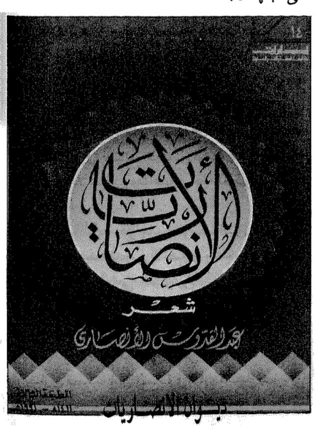
ويأتى الباب الثالث شاملا قصيدة . . وحى العقيق يوم انهماره يقد ها الدكتور باقازى فى عرض تحليلى جيد عارضا ما فيها من حالة تشخيص وملمح وصفى وصيغة حال وغلبة الفعل المضارع ثم عامل التكرار وعامل الحركة وعامل اللون والاضافة ثم للقصيدة كتجسيد لملامح شعر الأنصارى.

وكنا نود أن ينتهج المؤلف هذا المنهج التحليلى فى النقد والذى يرى القصيدة كبعد واحد، فى كل قصائد الديوان بدلا من المنهج التفسيرى والذى أوقعه أحياناً فى نوع من خلط الموضوعات كما ذكرنا سلفاً.

وقد ختم المؤلف كتابه ببيان نتائج البحث ثم بخاتمة مجملة لما تناوله فى الكتاب وبالفهرس ثم ثبت للمصادر والمراجع.

■ وحقيقة فالدراسة جهد علمى قيم يذكر للدكتور عبد الله أحمد باقازى الذى أنار الطريق وفتح الباب للدارسين للوقـوف على شعـر شاعـر رائـد من رواد الحركة الأدبية والفكـرية فى المملكة ولا يزال شعره فى حاجة الى الكثير الكثير من الدرس والتحليل.

■ وما ذكرته مجرد ملاحظات تتلون بذوقى الخاص وحسبى أنى اجتهدت.





الجيل الخامس والطبيب الآلي

كثيرة هي التفاعلات العلمية بين مختلف انواع المعارف والفنون لدرجة جعلت من الصعب على الانسان متابعة كل ما يجرى على ساحة واحدة فقط وإن بدت احيانا شبه مستحيلة.. ففى ميدان مثل الحاسبات الالكترونية نجد انه لم يعد يفصلها عن باقى الميادين العلمية والاجتماعية ادنى فاصل، فلقد تشابكت المعارف واختلطت واصبح لزاما على الطبيب مثلا أن يعرف قدرا غير يسير من علوم الحاسبات الالكترونية كما اصبح على رجال وعلماء الحاسبات، وعلماء الرياضيات معرفة قدر كبير من الثوابت العلميه الطبية حتى يكون التفاهم ممكنا والعمل كفريق ميسراً وحيث تمتزج الخبرات ولا تصبح كل خبرة مثل جزيرة معزولة وسط خضم علمى هائل ورائع ومذهل ومخيف.

د. مهندس محمد نبهان سويلم (مصر)

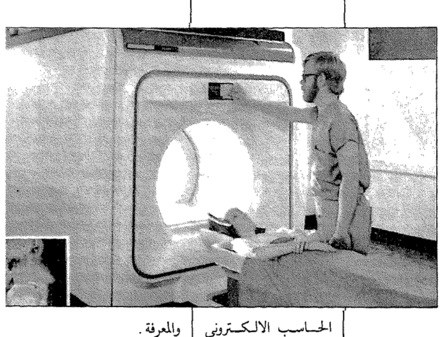
●● تلك المعرفة الموسوعية هى التى مكنت بعض علماء الرياضيات والحاسبات الالكترونية من نمذجة تدفق الدم فى عروق الانسان وحساب كميته وسرعته ثم انطلقوا منها إلى حساب قدرة القلب كوحدة الضخ الاساسية للدم بفضل التشابك العلمى بين الطب والهندسة والحاسبات مما مكنهم فى النهاية من تحسين وتطوير الصمامات الصناعية للقلب انطلاقا إلى إيجاد وسائل افضل للتحكم فى نبضات القلب ومواجهة الحالات الطارئة التى قد تفضى الى الوفاة بالسكتة القلبية.

■ وفى هذا الصدد يؤكد احد كبار اساتذة القلب فى الولايات المتحدة الامريكية وأحد البارزين والنابهين فى استخدام الحاسبات الالكترونية فى مجال تخصصه أن الاطباء اصبح لديهم القدرة حاليا لمعالجة مشكلات لم يسبق لهم أن تطرقوا اليها من قبل وقد حصلوا على حصاد جهدهم فى نتائج لم تكن متوقعة ولم تكن معروفة لديهم فالنماذج التى جرى اختبارها على الحاسبات الالكترونية وبفضلها جعلت المعلومات تتدفق كالشلال الهادر. . تارة على هيئة صور ورسومات بيانية وأخرى على هيئة نبضات تنطلق على شاشة الحاسب محذرة ومنذرة، مما وفر للأطباء أحدث الوسائل لمعرفة ما خفى عن عيونهم وما غاب عن أذهانهم. . فاليوم تتم دراسة الحالات من عدة زوايا وعديد من مناطق القياس، وتتدفق القياسات إلى الحاسبات الالكترونية، وهناك تطحنها آلاته وتترجمها بالشكل الذى يناسب الاطباء.

■ إن التقدم الذى احدثته الحاسبات الالكترونية فى المجال الطبى كثيرة ولا تحصى. . ففى المستقبل القريب سوف يتمكن الاطباء من اجراء حوار مع مرضى على بعد آلاف الأميال. . لا تعوقهم المسافة أو يحد من قدرتهم البعد وعدم وجود جسد المريض قبالة الطبيب. . ويقف وراء هذه الخدمة الفريدة نظام اتصال مباشر يتألف من شبكة حاسبات الكترونية مزدوجة قادرة على نقل الاتصال والتفاصيل الطبية على بعد آلاف الكيلومترات، وقد تمت تجربة حية للنظام الثنائى وبدت صورة للمريض امام الطبيب وما هى سوى لحظات وظهرت الاشعة السينية للمريض ملونة ومجسمة.

■ إن هذا الاتصال عن بعد بالحاسبات الالكترونية سوف يتيح للاطباء المختصين مساعدة مرضاهم فى التوصل إلى حقيقة التشخيص بسرعة كبيرة حتى لو تطلب الامر استشارة اطباء آخرين فى بلدان أخرى لهم سمعة طبية فى علاج هذا الداء أو ذاك.

والحقيقة أن دخول الحاسبات الالكترونية مجالات الطب والعلاج دفعها دفعة كبيرة إلى الامام. . هى نفس الفارق بين تكنولوجيا القرن التاسع عشر



● تفاصيل عن جسم ورأس الانسان وفق اسلوب يعتمد على الحاسب الآلي.

وتكنولوجيا القرن العشرين وبالتحديد فى العشر سنوات الاخيرة منه. قديما كانت اجهزة اشعة اكس مفخرة علمية تزيح استار الجسد وتكشف العظام المكسورة أو المشروخة مما ساعد على شفاء آلاف المرضى. ورغم التعديلات الكثيرة التى ادخلها علماء كثيرون على هذه الاجهزة بحيث حسنت من قدراتها، الا أن التعديل الاهم والاعمق جاء على يد عالم الفيزياء الانجليزى «جودفيرى» عندما ابتكر جهاز التصوير بالاشعة المقطعية وعندما احلت البرامج محل الدوائر الالكترونية وادمج مع الحاسب الالكترونى انطلقت طريقة الاشعة المقطعية انطلاقه بعيدة المدي. حيث راحت تسجل الصور على هيئة بيانات تتدفق الى الحاسب الالكترونى وهناك تسجل على الشرائط والاقراص المغناطيسية وما هى سوى لحظات أو عدة دقائق معدودة تعمل خلال آلة التشغيل المركزية CPU فى الحاسب الالكترونى على تشغيل بيانات الصور.. تحسب وتضرب وتجمع وتطرح وتحل معادلات رياضية معقدة لا قدرة لانسان على حلها فى هذا الوقت المحدود مهما بلغت قدراته أو ذكاؤه.. وتظهر على شاشات العرض صور تلو صور حولها بيانات ملونة وارقام واحرف مكتوبة.. انها لغة أو مصطلحات يفهمها الاطباء واولو العلم والمعرفة.

والتصوير المقطعى بالحاسبات الالكترونية فرض نفسه على مختلف فروع الطب بدءا بالعظام والمخ والقلب والاوعية الدموية وحتى المرارة والكبد مما ساعد آلاف بل ملايين المرضى على الشفاء، وعالج مرضى العمود الفقرى وتيبس الفقرات.. إلى آخر قائمة طويلة من الأمراض.

والواقع أن هموم الانسان وآلامه النفسية والعصبية لاقت اهتماماً كبيرا من علماء الحاسبات الالكترونية وعلماء الطب النفسى لذلك ظهرت اسطوانات كومبيوتر وشرائط كومبيوتر مسجل عليها ملايين من المشاهد المرحه والرسوم الكاريكاتورية وبعض الطرف والاملوحات.. كلها يمكنها أن تبعث

البسمات والسرور في نفوس المشاهدين والمشاركين في شبكات الحاسبات الالكترونية.

والاتجاهات الجديدة في الطب النفسي وبمشاركة علماء الحاسبات الالكترونية ترجمت احتياجات اطباء علم النفس الى مجموعة برامج تم تسجيلها على شرائط واقراص ممغنطة تعمل على حاسبات الكترونية جديدة مزودة بميكروفونات حساسة يمكنها تسجيل خلجات المرضى واعترافاتهم النفسية عما يلم بهم من اسباب القلق والتوتر النفسي، وبمقارنة تلك الاعترافات مع حزم البرامج الجاهزة المزود بها الحاسبات يمكن تحديد نوع المرض وطريقة ومنهج العلاج.

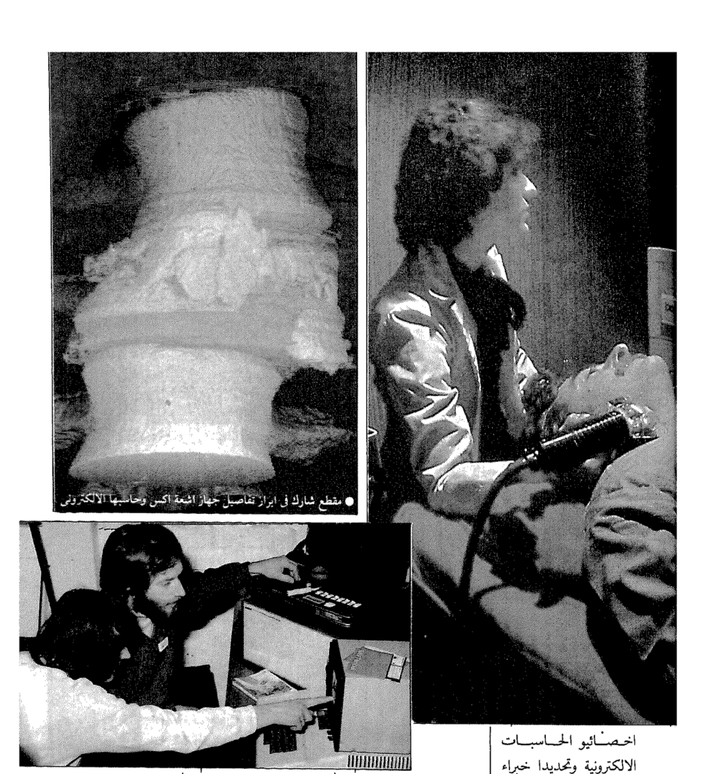
والطريقة الجديدة أعفت كثيرا من المرضى من عقدة الحرج والخجل عند عرض مشاكل على اطباء الامراض النفسيه في حين يشعر المريض بالحرية التامة وهو يتعامل مع جهاز حاسب لا يعي ولا يدرك شيئا عما يدور ولا من هو المريض وبذلك يعرض كل همومه دون خجل أو حرج، وقد حققت هذه الطريقة نجاحا واسعا لدى السيدات على وجه الخصوص.

واستخدام اساليب الذكاء الصناعي افادت كثيرا في اعداد برامج خبيره في مختلف انواع الامراض، فهناك برنامج التشخيص الطبى الذى يمكنه من قياس وسماع نبضات صوت المريض وقراءة الظواهر السطحية للآلام تحديد اسم المرض على الفور، ونوع العلاج والاجراءات الواجب اتخاذها مثل عدم تناول نوع محدد من المأكولات أو المشروبات أو الابتعاد عن الدهون أو عدم الاكثار من اكل اللحوم.

■ إن برامج التشخيص الطبى احد اهم انجازات البرامج الجيدة وعلى حد قول مبتكرها «ف. باتريك» إن هذه البرامج اكثر نجاحاً في التعامل مع ضغوط الحياة اليومية وما تسببه من توتر ومشاكل مزمنة على المدى البعيد، ويقول إنه بعد استخدام تلك البرامج للحالة المرضية يظهر على شاشة الحاسب الالكترونى تصنيف خاص بالمرض وعلاجه واحيانا كثيرة يقوم الحاسب الالكترونى بإصدار صوت معين يطلب فيه من المريض تحديد سبب التوتر بصراحة تامة بعيدا عن الانفعالات الشخصية في صورة سؤال وجواب مثل: **هل تتعرض الى ضغط عصبى من رئيسك في العمل؟ هل هناك مشاكل منزلية؟ هل انت مدين ماليا؟** وما إلى ذلك من اسئلة لا تحتمل الاجابة سوى نعم أو لا.

■ حقيقة أود ذكرها ان مثل هذه البرامج تساعد الاطباء على اداء عملهم - حتى الآن على الاقل - ولا يوجد برنامج شامل جامع مانع يلغى الطبيب الانسان، لكن اعتبارها خطوة على الطريق.. وهى خطوة جبارة لا مراء في ذلك.

ومثل هذه البرامج جاءت نتيجة صب خبرات عظماء ومشاهير الاطباء خبراتهم حول الامراض في برامج SOFT WARE شملت تفاصيل الأمراض وظواهرها وأسبابها وطرق الوقاية والعلاج، وتناولها



● مقطع شارك فى ابراز تفاصيل جهاز اشعة اكس وحاسبها الالكترونى

اخصائيو الحاسبات الالكترونية وتحديدا خبراء الذكاء الصناعى ونظم الخبرة فى تحميلها على الحاسبات وطرحها فى الاسواق لدرجة دعت بعض الشركات إلى انشاء ما يسمى عيادات الحاسب الالكترونى .

وهذا التقدم الرائع جاء نتيجة اجيال جديدة من الحاسبات الالكترونية . . حاسبات فاقت سرعتها كل تصور ممكن، ولها قوة واستنتاج منطقى وهى خطوة كبيرة على طريق الجيل الخامس من الحاسبات الالكترونية والتى يهدف اليها عمالقة الصناعة فى كل من الولايات المتحدة الامريكية واليابان بتحويل ارهاصات الذكاء الصناعى الحالى إلى جعل الحاسبات قادرة على مناظرة الانسان بلغاته الطبيعية والقومية وفهم الكلام والصور وكذلك القدرة على التعلم واكتساب الخبرة وعمل الخيارات المنطقية واتخاذ القرارات والتصرف بالأساليب التى يعتبرها العلماء جزءاً شاملا من التفكير المنطقى المؤدى إلى استنتاجات لا يصل اليها سوى العقل البشرى المتمرس

واذا توصل العلماء اليابانيون إلى اكساب الحاسب الالكترونى كل هذه القدرات مثل التفكير كما يفكر الانسان فإن انعكاسات ظهور هذا الجيل من الحاسبات على المجال الطبى سوف يكون لها اثر عميق .

دعنا ننتظر . . !

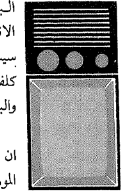


زراعة الصحارى عام ٢٠٠٠

يؤكد البروفيسور «بولتر» انه مع حلول عام ٢٠٠٠ ستكون يد العلم قد امتدت الى اغلبية المحاصيل الزراعية.. ولعل من أغرب الاستبدالات الوراثية تلك التى ينوى تنفيذها باحثون من كلية «امبريال» بلندن.

الباحثون هنا يريدون الاستفادة من المحاصيل المتطورة لانتاج مادة الانسولين، ويعتقد الباحثون ان حصاد الانسولين بهذه الطريقة سيساعد كثيرا على خفض كلفة انتاجه من الخمائر والبكتريا.

ويعتقد العلماء عموماً ان تطبيق هندسة الموروثات فى حقل النبات قد يوصل الانسان الى تطوير اجناس من الاشجار القادرة على النمو فى الاراضى الصحراوية الجرداء او فى اماكن الجفاف.

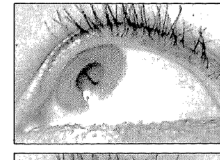


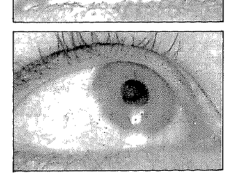
اله كاتبة بلوحة مفاتيح جديدة



■ فى السويد تم اختراع الـه كاتبة كهربائية بلوحة مفاتيح جديدة

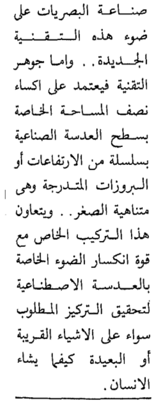
عدسات النور

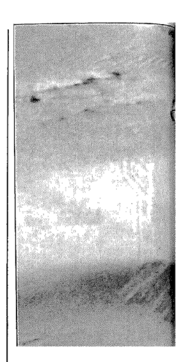




تعكف شركة (ثري ام فش كيد) فى سانت بول بمينيسوتا الامريكية على انتاج عدسات التركيز المزدوج.

ومن المؤمل ان تتطور صناعة البصريات على ضوء هذه التقنية الجديدة.. واما جوهر التقنية فيعتمد على اكساء نصف المساحة الخاصة بسطح العدسة الصناعية بسلسلة من الارتفاعات أو البروزات المتدرجة وهى متناهية الصغر.. ويتعاون هذا التركيب الخاص مع قوة انكسار الضوء الخاصة بالعدسة الاصطناعية لتحقيق التركيز المطلوب سواء على الاشياء القريبة أو البعيدة كيفما يشاء الانسان.





وذلك لان اللوحات الحالية للمفاتيح تسبب ارهاقاً للعنق ولأكتاف مستعملها. اما اللوحة الجديدة فهي مريحة للغاية في الاستعمال.

تسيير المراكب بالمغناطيس

اول مركبة بحرية تستمد طاقتها من نظام الدفع المغناطيسي ذي التوصيل الكهربائي الخارق.. ويذكر المهندسون ان بامكان هذه المغانط توصيل التيار الكهربائي دون ادنى مقاومة اذا ما تم تبريدها الى درجات حرارة منخفضة جدا.. وتتلخص طريقة عمل المغانط في ان القوة المغناطيسية تحدث اولا رد الفعل المعاكس اثناء توليد التيار الكهربائي عند الابحار، ويؤدي هذا بالتالي الى انجذاب تيار مائي باتجاه مؤخرة المركبة فتتولد القوة الدافعة المطلوبة.

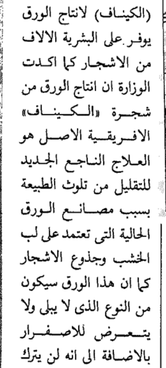
وتشرف على تطويره المؤسسة اليابانية لتطوير بناء السفن (JFSA) وسيدخل تجربة الاختبارات العلمية مطلع العام الجديد.

وقود بلا دخان

شركة «الويرير» في الولايات المتحدة الامريكية طورت نوعاً من خلايا الطاقة تستمد نشاطها من وقود الالمنيوم والهواء، وهذا النوع الجديد من الخلايا يمكن ان يدير محرك السيارة على مدى (٣٠٠) ك.م أو اكثر دون حاجة الى شحنها.

ومن المؤمل تجربة خلايا الطاقة الجديدة على انماط مختارة من السيارات الامريكية..

ورق صحف لا يتعرض للاصفرار



اكد مسؤولون في وزارة الزراعة الامريكية بعد نحو ثلاثة عقود اجراها العلماء والخبراء على شجرة افريقية سريعة النمو هي «الكيناف».

إن استعمال ورق (الكيناف) لانتاج الورق يوفر على البشرية الالاف من الاشجار كما اكدت الوزارة ان انتاج الورق من شجرة «الكيناف» الافريقية الاصل هو العلاج الناجع الجديد للتقليل من تلوث الطبيعة بسبب مصانع الورق الحالية التي تعتمد على لب الخشب وجذوع الاشجار كما ان هذا الورق سيكون من النوع الذي لا يبلى ولا يتعرض للاصفرار بالاضافة الى انه لن يترك اثاراً للحبر على الاصابع.

سعادة رئيس تحرير مجلة المنهل

تحية طيبة ..

فضلا ارجو الاشتراك فى مسابقة المنهل للنشاط الابداعى (القصة القصيرة) المعلن عنها فى العدد ٤٩٢ ومرفق لكم طيه مشاركتى بالعمل الموسوم بـ: —

عنوان القصة : ______ تأريخ الفراغ منها : ______

تفاصيل عن ملابسات انتاج هذا العمل الفنى : ______

______

______

______

اسم الكاتب (ثلاثى) ______ السن : ______

العنوان : ______ القطر : ______

المدينة ______ ص . ب : ______ رمز بريدى : ______

تليفون : ______ فاكس : ______ تلكس : ______

أى معلومات اخرى : ______

ترسل المشاركات إلى مجلة المنهل المركز الرئيسى - جدة - الشرفية ٢ شارع تنورة (عرفات سابقا) - برقيا : المنهل - الرمز البريدى ٢١٤٦١ - ص. ب ٢٩٢٥ - ت : ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٢٥٦٨٧ - فاكس : ٦٤٢٨٨٥٣ مرفقة بالقسيمة الأصلية .



قسيمة إشتراك فى مسابقة المنهل للنشاط الابداعى (القصة القصيرة)

شـــروط المسابقة:

(١) يحق لكل مشترك التقدم بعمل إبداعى واحد لم يسبق نشره لا يقل عن صفحتين ولا يزيد عن أربع صفحات (فولسكاب) منسوخ على الالة الكاتبة من وجه واحد فقط.

(٢) ارفاق القسيمة الاصلية شرط أساسى للدخول فى المسابقة وهى صالحة لعمل واحد فقط.

(٣) اخر موعد لارسال الاعمال نهاية شهر شعبان ١٤١٢هـ.

(٤) الاعمال المخالفة للشروط السابقة تستبعد من الدخول فى المسابقة.

(٥) تعرض الاعمال على لجنة متخصصة لتحديد القصص الفائزة فى المسابقة، و قرار اللجنة نهائى فيما يتصل بالاعمال الفائزة.

(٦) للجنة الحق فى نشر ما تراه جيدا من الاعمال المقدمة والتى لم تفز فى المسابقة.

(٧) تنشر نتيجة المسابقة فى عدد المنهل لشهر ذى الحجة ١٤١٢هـ، وستعمل المجلة على نشر الاعمال الفائزة بالمسابقة فى نفس العدد.

(٨) يخطر الفائزون على عناوينهم وترسل لهم المكافآت الخاصة بالمسابقة، و لا ترد الاعمال لاصحابها.

■ **توزع الجوائز على النحو التالى:**

- الفائز الاول: جائزة قدرها ١٠٠٠ (ألف ريال) واشتراك مجانى بالمنهل لمدة عام.
- الفائز الثانى: جائزة قدرها ٧٥٠ (سبعمائة وخمسون ريالا) واشتراك مجانى لمدة عام.
- الفائز الثالث: جائزة قدرها ٥٠٠ (خمسمائة ريال) واشتراك مجانى لمدة نصف عام.

مع تحيات مجلة



عالم المخطوطات

●● المخطوطات .. عالم الامس الذي نقراه اليوم وغدا.. هذا العالم الذى يتسع لكل الاجيال..فيه تجارب السابقين، وتاريخ الماضين.. صفحات المخطوطات حياة متكاملة ينقلها إ لينا من عاشوها نفيد منها ونورثها من بعدنا.

وعالم المخطوطات العربية الاسلامية فوق كل هذا يمثل خزانة ضخمة للديانات والعقائد، الفقه والتفسير، التاريخ والسيرة، الادب والعلم..

ولأهمية هذه المخطوطات فى حياتنا فإن المنهل يسعده أن يخصص هذه الصفحات ولأشهر قادمة ـ إن شاء الله ـ لعرض بعض المخطوطات فى بعض مكتبات العالم العربى والاسلامى.

وبهذه المناسبة فان المنهل قدم استكتابا لعدد من إ دارات المكتبات فى الجامعات والمؤسسات العلمية لمدها بأسماء وعناوين المخطوطات لديها مع نبذة مختصرة عن كل مخطوطة.. وبهذه المناسبة أيضا يسعد المنهل مشاركة أصحاب المكتبات الخاصة من العلماء والمفكرين فى إثراء هذا الجهد.

اعداد: نور الدين توركاى

تشكل الآثار جانبا مهما فى وجود الحضارات وتطورها، والحضارة الاسلامية غنية بالآثار القديمة كالجوامع والزوايا والمدارس والمكتبات وغيرها. تحتل المكتبات مكانة مرموقة ضمن هذه السلسلة الأثرية المتعددة الحلقات، لما تعكسه من نمو ثقافى وحركة فكرية داخل المجتمع ككل فى تلك الفترة التاريخية التى تواجدت فيها.

المخطوطات العر[...]

سـراى الـ[...]

مدينـة مانيسـا:

تقـع مدينـة مانيسـا فى غرب الأناضول، وقد انشأت بين نهر كديز وجبل مانيسا (جبل سبيل). تحيط هذه المدينة مدن ازمير وبالق كثير وكوتاهية واوشاق ودنيزلي وآيدن. تبعد المدينة ٤٠كم عن مدينة أزمير. تجرى فى هذه المدينـة أنهار عديدة كونت بحيرات مائية فى غاية الجمال. تربتها خصبة، وتعطي محاصيل زراعية ثلاث مرات فى السنـة. وفي جبالها أشجار كثيرة للفاكهـة من أمثال الزيتون والكرز والخوخ والكرم.

تشتهـر مدينـة مانيسـا بما يسمى «معجـون المسـير» وقـد صنـع هذا المعجون لأول مرة من قبل مركز افندى يوضع فيه ٤١ نوعا من البهارات. ولا يزال هذا المعجـون يصنـع مرة في السنة، ويوزع الى الناس يقال إن له فوائد كثيرة.

يسكن فى هذه المدينة حوالي ١٥٠ الف نسمة.

الحضارات التى سادت فيها:

لقـد سادت على تربـة مانيسـا الخصبة حضارات كثيرة فى ازمنة مختلفة من التـاريخ ثم بادت، وبـذلك فإن المـدينة تتضمن آثارا مختلفة لكل هذه الحضـارات. لعـل أهـم الـدول التى نشأت فيها، هي الأتية، والايونية، والفريكية، والفارسية، وامارة بركاما، والبـيزنـطية، ودولـة صاروخـان، والامبراطورية العثمانية. يعتقد أن هذه المدينة انشئت من قبل الحيثيين.

ولكـون مانيسـا مركـز إمـارة صاروخـان فقـد اتخذت مركزا لتربية أولاد السلاطين فى العهد العثماني، وقد أدار شؤونها هؤلاء الامـراء وتـقـلدوا منصب الوالى فيها. ولعل اهم الأمراء الـذين تربوا في هذه المدينة، وتقلدوا منصب الـوالى، هو السلطان محمـد الفاتح الذى فتح مدينة القسطنطينية. لقد عاش محمد الفاتح طفولته فى هذه المـدينـة، ودرس في مدرستهـا التى لاتزال آثارها باقية الى يومنا هذا.

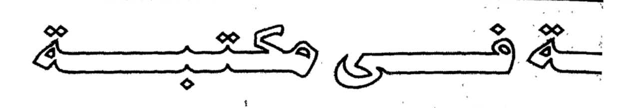
لقد أنشئت في مانيسا فى عهد تربية الأمراء آثار كثيرة، وقد بقي منها الكثير من الجوامع والمدارس والحمامات ودور الشفاء والأضرحة.

مكتبـة سـراى الكتب:

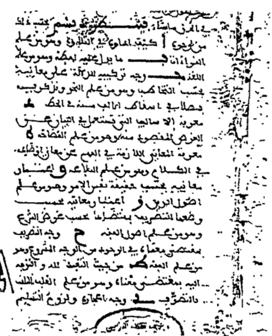
لقـد أدت مانيسـا فى تلك الفترة الزمنية دورا فعالا في الفعاليات الدينية والعلمية المختلفـة. وتخرج فيها علماء ضليعـون كثـيرون. خدمـت هذه المدارس اللغة العربية بشكل خاص.

نجد فى تركيا أن المصادر الاسلامية كثيرة، وهى على شكل مخطوطات موجودة فى مدن عديدة كاستانبول ومانيسا (فيها مكتبة كتاب سراى) وتيرة (فيها مكتبة نجيب باشا) وقونية (فيها مكتبة يوسف أغا ومكتبة متحف مولانا جلال الدين الرومى)، ونوشهير (فيها مكتبة داماد ابراهيم باشا) وبورصة وطوقات واماسيا وبوردور وغيرها من المدن.

ترجمة: د. أنور طاهر رضا - تركيا



ب بمـــانيسا



لذلك نجد أن مكتبة سراى الكتب تتضمن كتبا عربية كثيرة. تعرف هذه المكتبة بين عامة الناس بـ «سراى الكتب»، وقد انشئت بنايتها فى السنوات ١٩٣٧ - ١٩٤٥م على مساحة واسعة من الأرض فى مركز المدينة. ورغم أن المكتبة تحمل لوحة «سراى الكتب»، إلا أنها تسمى بمكتبة الشعب فى المراسلات الرسمية.

توجد فى هذه المكتبة مخطوطات كثيرة، كتبت فى لغات كثيرة إضافة الى الكتب المطبوعة. لقد تجمعت كتب مكتبات المرادية وجشنيكير ومكتبات أخرى غيرها من العهد العثمانى في هذه المكتبة. وفي الواقع أن هذه المكتبة ما هى إلا امتداد لتلك المكتبات

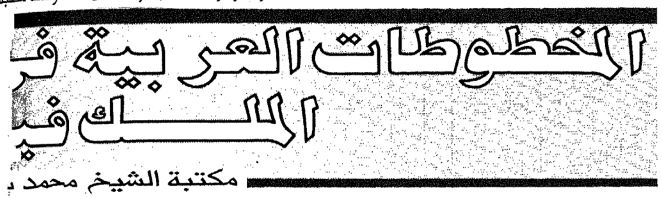
توجد فى هذه المكتبة ٦٠٣٤ كتابا باللغة العربية، منها ٤٢٠١ مخطوطة و١٨٣٣ كتابا مطبوعا تتضمن هذه المجموعة كتبا قديمة جدا يرجع قسم منها إلى العهد الاموى. تتضمن المجموعة كتبا فى التفسير والحديث والفقه واللغة والتاريخ وموضوعات مختلفة أخرى. حتى انها تتضمن كتبا تتعلق بعلم الفلك والطب والكيمياء.

لم تكن هناك محاولات جدية حول تصنيف الكتب فى هذه المكتبة. لقد أعد عصمت بارماقسز اوغلو كاتالوجا فى سنة ١٩٥٢م حول كتب التاريخ والجغرافية التركية القديمة فى هذه المكتبة. نشر هذا الكاتالوج من قبل وزارة التربية الوطنية.

لقد طبع من ناحية اخرى كاتالوج للكتب التركية التى اعد من قبل مديرية الثقافة في مانيسا. لقد اعدت مديرة المكتبة التى تولت إدارتها منذ سنة ١٩٧٣ والى حد الان كاتالوجا للكتب التركية، وطبع سنة ١٩٨٦م.

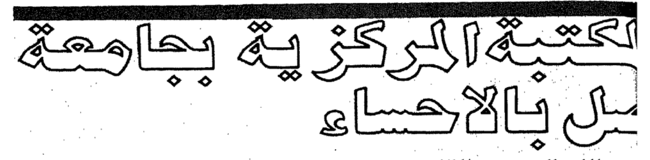
وفى كل هذه المحاولات لم تصنف الكتب العربية الموجودة فى هذه المكتبة وتصنيف هذه الكتب وعرضها لخدمة القراء اضحيا ضرورة ملحة لا تتحمل أى تأخير.

ـ قسم المخطوطات. فى جامعة الملك فيصل بالاحساء من الاقسام حديثة التكوين ولا يزال فى طور الانشاء الا انه رغم ذلك فقد استجاب ـ مشكورا ـ لما طلبه منه (المنهل) بارسال ما يتوفر لديه من اسماء المخطوطات.
وقد وافوا المنهل بفهرس كامل لمخطوطات مكتبة



إسم الكتاب	إسم المؤلف	إسم الناسخ
تفسير الكشاف	جار الله الزمخشري	صلاح بن ابراهيم الحميرى الهجراني
تفسير البيضاوى	—	مجهول
الاتقان فى علوم القرآن	للعلامة جلال الدين السيوطي	مجهول
التيسير فى علم القراءات	لمجهول	مجهول
الاتحاف بتميز ما تتبع فيه البيضاوى صاحب الكشاف مرتباً على سور القرآن	لمجهول	مجهول
عمدة أهل التوفيق والتسديد فى شرح عقيدة أهل التوحيد	محمد بن يوسف السنوسى الحسنى	مجهول
هداية المريد لجوهرة التوحيد	إبراهيم اللقاني	مجهول
تيسير العزيز الحميد فى شرح كتاب التوحيد	سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب النجدي	مجهول
المنتقى من أدلة الاحكام	لمجد الدين ابو البركات عبد السلام بن عبد الله ابن التيميه الحراني	احمد بن عبد الرحمن بن اسماعيل الشافعى
صحيح الامام البخارى	لأبى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى	عبد الله بن محمد بن على بن يحي القاضي الانصاري الاحسائي
صحيح الامام البخارى	لأبى عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري	محمد عتيق الشافعى الحمصي
سنن الترمذى	للامام الترمذي	مجهول
بلوغ المرام من أدلة الاحكام	للامام احمد بن على بن حجر العسقلاني	مجهول
التبصره والتذكره	للعراقى	مجهول
الجامع الصغير	جلال الدين السيوطي	جابرى احمد
أجمع الفوائد من جامع الاصول ومجمع الزوايد	للعلامة محمد بن سليمان المغربى السنوسى	أحمد بن على بن محمد الطير اليمنى
فتاوى الشيخ عبد الرحمن بن زياد الشافعي	عبد الرحمن بن عبد الكريم بن زياد	محمد بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن محمد آل عبد القادر بن النجار الانصارى الاحسائى
عماد الرضا فى بيان آداب القضا	لابن يحي زكريا الانصارى	حسين بن عبد الله بن احمد بن عبد القادر الاحسائى
شرح جمع الجوامع	بدر الدين الزركشى	—
تشنيف الاسماع فى حكم السماع	للعلامة ابن حجر الهيثمي	مجهول
الروضة على المنهاج	للامام النووي	مجهول

الشيخ محمد بن عبد الله ال عبد القادر الموجودة لدى المكتبة المركزية للجامعة وبلغ مجملها (٢٣٧) مخطوطا.. ولما كانت مساحة الصفحات فى هذه المجلة لا تسمح بتقديم كل هذا العدد فانا نستميح القارىء الكريم فى تقديم نماذج لهذه المخطوطات.



بد الله ال عبد القادر

تاريخ النسخ	عدد الاوراق	القياس	عدد الاسطر	الملاحظات
١٠٩١هـ	٤٥٠	٣١×٢١سم	٢٨	الجزء الاول نسخة جيدة
—	٣٢٠	٢١ر٥×١٥سم	٢١	الجزء الاول
١٠٣٣.	٥٥٠	٢١×١٥سم	٢٣	ناقص من أول
—	٥٠	٢٠ر٥×١٤سم	٢٥	ناقص من أول
—	—	—	—	كامـل
—	٣٠٠	٢٠×١٣ر٥سم	١٩	ناقص من أوله وأخره
١١٧٨	٤٢٠	٢٠×١٤ر٥سم	٢٧	ناقص من آخره
—	٢٥٠	٢٢ر٥×١٦ر٥سم	٢٢	ناقصة من أول ورقة واحدة
٧١٥هـ	٦٥٠	٢٦ر٥×١٨ر٥سم	٢٧	كامـل
١٢٣٣هـ	١٢٠	٢١×١٨سم	٣٢	الجزء الاول
١٠٨٠هـ	٤٥٠	٢٦×٢٠سم	٣٣	الجزء الثالث
—	٢١٨	٢١×١٦سم	٢٩	الجزء الاول
—	٣٥٠	٢١×١٤ر٥	١٧	نسخة جيدة
فى القرن الثامن	٤٣٠	١٨ر٥×١٤	١٧	كاملة
١٠٩٦	٢٠٠	٢١×١٥	٢٤	—
١١٦٥	٥٥٠	٣٣×٢٥	٤٣	—
١٢٢٢	٥٧٠	٣٤×٢١ر٥	٢٧	مجاميـع
١٢٢٤هـ	٤٦	٢١×١٥ر٥	٢٢	—
—	٤٥٠	٢٧×١٨ر٥	٣٢	—
١٠٥٨	٢٥	٢٠×١٥	٢١	ناقص من أول
—	٤٢٠	٢٦ر٥×١٩	٢٥	المجلد الرابع فيه جزآن

إسم الكتاب	إسم المؤلف	إسم الناسخ
الاسعاد شرح الارشاد	لجمال الدين محمد بن ابى شريف المقدسى الشافعي	قاسم بن محمد بن محمد
حاشية الشيخ على الشبراملي	للشيخ على الشبراملي	أحمد بن محمد بن عثمان
زاد المعاد فى هدي خير العباد	للعلامة ابن القيم الجوزية	مجـهـول
كتاب مجهول فى الفقه الشافعي	مجـهـول	حاجى بن محمد حاجى فاسكندي
النجم الوهاج فى شرح المنهاج	كمال الدين محمد بن موسى الدميري	خليل بن شهاب الدين
شرح العلامة السبكى على كتاب «منهاج الاصول للبيضاوى»	للامام السبكى - فرغ منه سنة ٧٥٢هـ	محمد بن محمد بن شرف الشافعي
كتاب فى الفرائض مجهول «شرح منظومة عمدة كل فارض»	مجـهـول	مجـهـول
الزواجر عن اقتراف الكبائر	للعلامة ابن حجر الهيثمي	محمد بن ابراهيم بن كثير المالكى الاحسائي
شرح تلخيص الحكم العطائية «شرح تلخيص بتبويب الحكم»	لابى بكر بن محمد بن عمر الملا الحنفي الاحسائى	أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن محمد بن عرفج
التـاج المكلل بجـواهـر الآداب على كتـاب المفصل فى صنعة الاعراب للزمخشري	جمال الدين على بن محمد بن سليم	محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن داغر بن سالم الحسني الحارثى
الصحاح فى اللغة	لابى نصر إسماعيل بن حماد الجوهري	أبى محمد عبد الله بن محمد الحمادي الحضرمي
الصحاح فى اللغة	لابى نصر إسماعيل بن حماد الجوهري	أبى محمد عبد الله بن محمد الحمادي الحضرمي
تهذيب الاسماء واللغات	محى الدين النووي	عبد الرحمن بن محمد بن مسعود الطبيق
شرح الاشمونى على ألفية بن مالك	الأشـمـوني	محمد بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن محمد آل عبد القادر الاحسائي
شرح على مقدمة ابن الحاجب	مجـهـول	محمد بن احمد بن ناصر الدين الحسني
شرح اللمع	لابى القاسم عمر بن ثابت النحوى	عبد الصمد بن احمد بن ابى الفرج
شرح متن محمد بن عثمان البلخي فى النحو	مجـهـول	مجهـول
صرف العناية فى كشف الكفاية	عبد الله بن محمد الكردي البيتوشي	محمد بن مبارك بن حمد الاحسائى
شرح مختصر للمفتاح	لابى يعقوب السكاكي	مجـهـول
كتاب مجهول فى علم المعانى والبديع	مجهـول	مجـهـول
معاهد التنصيص على شواهد التلخيص	زين الدين عبد الرحيم بن أحمد العباسى الشافعي	عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن محمد آل عبد القادر الاحسائى
كتاب فى الامثال العربية	مجـهـول	مجـهـول
ديوان بهاء الدين على بن الساعاتى	بهاء الدين على بن الساعاتى	على بن محمد السودي بلدا الزيدى مذهبا
الشفا لتعريف حقوق المصطفى ﴿ﷺ﴾	للقاضى عياض	مجهول من علماء الاحساء
الاستيعاب	لابن عبد البر القرطبى المالكي	مجـهـول
الانابة الى معرفة المختلف فيهم من الصحابة	مجـهـول	مجـهـول

خ النسخ	عدد الاوراق	القياس	عدد الاسطر	الملاحظات
٩٠٤هـ	٦٢٠	١٧ر٥×٢٦سم	٢٥	كامل الجزء الرابع
١١٨٠هـ	٤٨٠	١٦×٢٢ر٥سم	٢٥	كامـل
—	٤٥٠	٢١ر٥×٣١	٢٧	—
١٢٢٠هـ	٢٧١	١٦ر٥×٢٢	١٤	—
—	٦٥٠	١٨ر٥×٢٦	٢٥	—
٧٥٨	٢٩٥	١٨ر٥×٢٦ر٥	٢٧	—
—	٣٧٠ تقريبا	١٦×٢٣	٢٥	ناقص خط رقعى جيد
١١٨٨هـ	٣٥٠	٢٢×٣٠ر٥	٣٦	مجلد ضخم نسخة جيدة
١٢٦٧هـ	٧٣	١٦ر٥×٢٣	٢٥	ناقص من أول
٩٠٧هـ	٣٩٠	٢٠×٢٧ر٥	٣٠	نسخة نادرة مفككة
—	٩٠	١٦ر٥×٢٣ر٥	٢٣	نسخة قديمة المجلد الثانى
—	٣٠٠	١٦ر٥×٢٣ر٥	٣٠	نسخة قديمة المجلد الاول
٧٣٦	٤٦٠	١٦ر٥×٢٤	١٩	المجلد الثالث والاخير نسخة جيدة
—	٥٥٠ تقريبا	١٥×٢٠ر٥	٢٣	مجلد كامل
٩٨٠	٥٨٠	١٧×٢٦	٢٧	—
٦٥٦	٤٠٠	١٧×٢٥	٢٥	تم نسخها في منطقة تستر نسخة نادره
—	٤٦٠	١٤×٢٤ر٥	١٩	ناقص من اخر
١٢٢٥هـ	٢٠٩	١٦×٢١ر٥	٢١	كاملـة
—	١٣٠	١٣×٢٠ر٥	١٤	ناقص من آخر
—	٤٥٠	١٣ر٥×٢١	٢٣	شرح متن
١٢٤٢	٣٨٠	١٦×٢٢	٢٤	جزآن مفككان
—	١٢٠	١٤×٢٥	٢٥	—
١٠٩٢	١٦٠	١٥ر٥×٢٠	١٥	مجلد خط رقعي جيد ناقص من أول
١١٧٦	٣٤٠	١٩×٣٢ر٥	٢٧	خط نسخي ممتاز عليه حواشي بعض علماء الاحساء
—	٢٧٠	٢١ر٥×٣١	٢٦	الجزء الاول نسخة كاملة خط رقعي جيد
—	١٢٠	١٥×٢٣	٢٣	نسخة قديمة جدا ويوجد منه : الجزء الاول ، الرابع ، الخامس ، السادس ، السابع ، الثامن



●● (استراحة فكر) .. تطواف عابر فى مدائن المعارف..

●● (المعارف) تجوال فى ساحة الفكر، تلمع فى جوانبها معالم الشعوب فى معطياتهم، الثقافية والفكرية، الحضارية والمدنية، وتسجل بعض تلك المعطيات فى العادات والتقاليد والموروثات.

«إن الحق حقيقة ثابتة فى نفسها لا تستطيع العوارض الظاهرية أن تمحو شيئاً من محاسنها الباهرة كيفما تكاثفت عليها غيومها . . وان الحقيقة لا تزول طبعاً، والقوة عرض زائل قائم بغيره يزول بزواله، وكثيراً ما ينعدم العرض ومحله باق ثابت لسبب أوجب ذلك . . وذلك السبب هو الحق . . فالحق قوة . . والحق فوق كل شيء .

عبد القدوس الانصارى
من مخطوط «أول أثر أدبى»

الأمثال

الأمثال، حكمة الشعوب، فيها أسلوب حياتهم ومعاشهم، أيامهم وامجادهم، تراثهم وأعرافهم . . ثم هى فى النهاية العقل المفكر الواعى الذى يمدك بالتفسير الموضوعي لمعطيات حياة الشعوب.

يقول ابن المقفع: «اذا جاز الكلام مثلا كان اوضح للمنطق، وآنق للسمع، وأوسع لشعوب الحديث».

ويقول ابراهيم النظام: «يجتمع فى المثل اربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ وإصابة المعنى. وحسن التشبيه، وجودة الكتابة، فهو نهاية البلاغة».

ويقول الجرجاني: «إن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في اعقاب المعاني او برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الاصلية الى صورته كساها أبهة».

وقال آخرون: «الأمثال صوت الشعب وهي خلاصة تاريخه ومعاناته وفلسفته تجاه ظواهر الاشياء يتناقل بالوراثة يحمله جيل عن شفة جيل».

إذن، الأمثال هى كلمة الحكمة المجلجلة على لسان الشعوب . . إذن، . ، . فلنذكر طرفاً من أمثال الشعوب وبالطبع، لا يفوتك ـ صديقنا العزيز ـ محاولة معرفة جنسية هذا المثل:

● يظن الثعلب ان الجميع يحبون الدجاج مثله.

● وعن الثعلب أيضا: حتى الثعلب النائم يحصى الدجاج فى أحلامه . .

والمثلان احدهما من أقصى الشرق والآخر من أقصى الغرب.

● ثلاثة يجدون طريقهم بسهولة: الجندى والماء والنار.

● السمك والضيوف أشياء تفسد بعد ثلاثة أيام.

● وآخر عن الضيف: أد لضيفك حق الضيافة يومين ثم اعطه فأساً فى اليوم الثالث . . أظن أن هذا أحسن حلا من تركه حتى يفسد فى اليوم الثالث.

● صنعت النقود مستديرة كى تتدحرج بسرعة.

● مصمم الأزياء رجل مجنون يتبع آراءه العاقلون.

ألزمته الحجة

دخلت امرأة عجوز على السلطان سليمان القانوني تشكو إليه جنوده الذين سرقوا ماشيتها بينما كانت نائمة . . فقال لها السلطان: كان عليك أن تسهري على مواشيك.

فاجابت المرأة العجوز؛ ظننتك ساهراً علينا يامولاي فنمت مطمئنة البال.

طاب له المقام

أضاف رجل رجلا فأطال المقام حتى كرهه . فقال الرجل لامرأته: كيف لنا أن نعلم مقدار مقامه . . فقالت له: ألق بيننا شراً حتى نتحاكم إليه. ففعل. فقالت المرأة للضيف: بالذي يبارك لك في غدوك غداً أينا أظلم. فقال: والذي يبارك لى فى مقامى عندكم شهراً ما أعلم.

ساعة صفاء

ما عاتب المرء اللبيب كنفسه
والمرء يصلحه الجليس الصالح

ما رأيكم فى تخير من نجالس؟؟

ما ذلك في أيدينا

كانت امرأة أبى حمزة الضبي شاعرة. وقد هجرها زوجها حين ولدت بنتا. ومر يوما بخبائها فإذا هى تقول:

ما لأبى حمزة لا يأتينا
يظل في البيت الذي يلينا
غضبان ألا نلد البنينا
تالله ما ذلك في ايدينا
وإنما نأخذ ما أعطينا
ونحن كالارض لزارعينا
نبنت ما قد زرعوه فينا

فرق لها وصالحها.

تعريفات

عن السخرية

«.. السخرية هى الطابع الغالب والصفة الاكثر شيوعاً فى المجتمعات العربية بعامة والفكاهة هى الاكثر وصولا الى القراء مهما اختلفت درجة ثقافتهم».

«والسخرية هى حالة وجدانية يسهل نقلها للآخرين تتواءم مع رغباتهم للتخلص من التوترات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التى تزداد درجة حدتها».

«.. اعتقد ان السخرية لها علاقة بحرية التعبير، وهى علاقة وثيقة.. والكتابة الساخرة هى نوع من الحيل التى يلجأ اليها الكتاب فى مناخ لا يسمح بشيوع آرائهم».

صلاح عيسى
مجلة الشرق الاوسط
نوفمبر ١٩٨٩م

مع الساخرين

«.. الضحك أحد خصائص النفس البشرية.. فكما يحتاج الانسان الى الحس الوجدانى لكى يتذوق الجمال ويستمتع بالموسيقى فهو يحتاج ايضا إلى النكتة لكى ينفس عن نفسه.

والنكتة هى هروب من موقف درامى ووقاية للنفس الداخلية.. وسخرية الطبقة الفقيرة أو المسحوقة سخرية مريرة كلها ألم ومرارة».

صلاح منتصر
مجلة الشرق الاوسط
نوفمبر ١٩٨٩م

عنترة يغض طرفه

وأغض طرفي ما بدت لي جارتي
حتى يوارى جارتي مأواها
إنى امرؤ سمح الخليقة ماجد
لا أتبع النفس اللجوج هواها

ذل الطمع

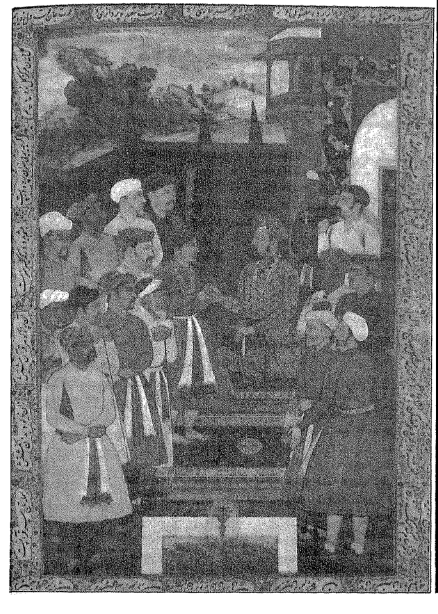
تذل الرجال لأطماعها
كذل العبيد لأربابها
وأعلم أن ثياب العفا
ف أجمل زي لمجتابها

النحوي.. قتل صاحبه

اططحب نحوي ورجل فى سفر فمرض النحوى، وأراد الرجل أن يرجع إلى بلده. فرأى النحوي أن يحمله رسالة إلى أهله فقال له، قل لأهلي: لقد أصابه صدع فى رأسه.. وبلي بوجع في أضراسه.. ووقعت الخمدة في أنفاسه.. وقد فترت يداه.. وتورمت رجلاه.. وشخصت عيناه.. وانحلت ركبتاه.. وأصابه وجع فى ظهره.. وضربان في صدره.. وهزال في طحاله.. وتقطع في أوصاله.. وخفقان في قلبه.. وألم في صلبه.. وماء في عينيه.. وريح في ساقيه.. وارتخاء فى حنكه.. ونبضان في صدغيه.. وسكون في نبضه من تواتر غشيانه.. وسكتة في لسانه.

فقال الرجل: يا سيدى، أنا أكره أن أطيل الكلام. ولكن أقول لهم: مات والسلام.





هى لغة من اللغات الهندية[١]، إحدى شعبتى «اللغات الآرية» أو «اللغات الهندية - الايرانية»، تلك التى تنتمى إلى فصيلة اللغات الهندية الاوربية.

وقد عرف العرب - قبل الاسلام - بلاد الهند، وأحبوها إلى حد أنهم اتخذوا من اسمها اسما لنسائهم، وعرفوا عطورها، وأحجارها، وسيوفها، وثمارها، وكانت تجارتهم مع الهند عن طريق البحر، فكان من الطبعى أن يقتصر اتصالهم بها على الشواطىء والسواحل ولا سيما الساحل الغربى الجنوبى. ويستدل على ذلك من أسماء المسميات فى العربية، هى فى الاصل أسماء لاماكن كانت تستورد منها تلك المسميات، وذلك مثل: (المندل) وهو العود المستورد من (كورومندل) و(الهيل) وهو حب الهان المستورد من رأس (هيلى) أو (إ يلى) على الساحل الغربى بجنوب الهند[٢].

محمد السيد على بلاسى (القاهرة)

اللغة الهنديـة (السنسكريتيـة)

الهنـد مـن البلـدان التـى عرفهـا العـرب قبـل الاسـلام

ومـن مظاهـر قدم صلة الهنـد بالعرب: أنـه كان هناك فى الهند فى عصر «مهـابهارتا» - أى خلال القرن الثالث عشر والرابع عشر قبل الميلاد - من يعرف اللغة العربية وقد كشف عن هذه الحقيقة الكهنوت الهندى الشهير «سوامى ديانندجى» واستدل على ذلك بما ورد فى ملحمـة «مهابهارتا» من أن طائفة «كورو» عندما أحرقوا أعداءهم من طائفة «باندو» تكلم «أرجن» - أحد أبطال المهابهارتا - مع «يدهشتر» باللغة العـربية، فكـان الجـواب بدوره بالعـربية. فما أقـدم وأوطـد هذه العلاقات، وإن كان الزمان قد أتى عليها[٣].

ولما جاء الاسـلام ازدادت صلة العـرب التجارية بالهند، كما ازدادت معـرفتهم لها. وقـد كان لعـرب عمان والبحـرين والمنـاطق الساحلية أثر فى شن الغارات البحرية، فى عهد عمر بن الخـطاب، وذلك بغية فى تأسيس دعائم حكمهم على مواقع من ساحل السنـد وكجـرات، وفى نهاية (تـانـة) بالقرب من بومباى، وبهروج (بروص)

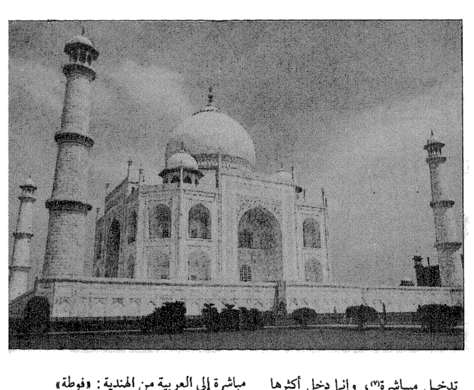
بالقرب من كراتشى[٤].

يقول جورجى زيدان فى كتابه «اللغة العربية. . كائن حى»: ولا ريب فى أن العرب اقتبسوا كثيرا من الألفاظ السنسكريتية ممن كان يخالطهم من الهنود فى أثناء الأسفار للتجارة أو الحج، لأن جزيرة العرب كانت واسطة الاتصال بين الشرق والغرب. . فكل تجارات الهند المحمولة إلى مصر والشام أو المغرب كانت تمر ببلاد العرب، وكان للعرب فى حملها أو ترويجها شأن. وقد عثرنا فى السنسكريتة على ألفاظ تشبه ألفاظا عربية تغلب أن تكون سنسكرتية الأصل لخلو أخوات العربية من أمثالها كقولهم «صبح» و«بهاء» فإنها فى السنسكريتية بهذا اللفظ تماما ويدلان على الاشراق أو الاضاءة. ولا يعقل أنها مأخوذان عن العربية، لأن السنسكريتية دونت قبل العربية بزمان مديد. .

على أننا نرجح أن العرب أخذوا عن الهنود كثيرا من المصطلحات التجارية وأسماء السفن وأدواتها وأسماء الحجارة الكريمة والعقاقير والأطياب مما يحمل من بلاد الهند. والعرب يعدونها عربية أو يلحقونها بالألفاظ الفارسية تساهلا. .[٥]، ويوضح الدكتور مراد كامل هذه الكثرة فى تعليقه المذكور[٦]، إذ يذكر ما يزيد على ثمانين كلمة كثير منها قد سبق ذكره منسوبا إلى لغات أخر غير اللغة الهندية!.

ومن بين الكلمات التى ذكرها: الياقوت، الكافور، المسك، الزنجبيل، الفلفل، الفيل، الموز، الليمون، الأترج.

غير أننا نرى أن معظم الكلمات التى دخلت العربية من الهندية لم



تدخل مباشرة[٧]، وإنما دخل أكثرها عن طريق لغات أخرى كان أهمها الفارسية[٨]. ومن الكلمات التى دخلت مباشرة إلى العربية من الهندية: «فوطة» من السندية. و«زط» لجيل من الناس و«بهطة» لضرب من الطعام[٩].

الهوامش

(١) تشمل اللغة الهندية العديد من اللغات القديمة والحديثة منها: اللغة السنسكريتية، والبراكريتية. . ومجموعة اللغات القومية الحديثة وهى: الهندستانية، والسنهالية، والبنغالية، والمهرانية، والبنجابية. ولمزيد من التفصيل راجع: علم اللغة. د. على عبد الواحد وافى ص١٩٧ وما بعدها. واللغة بين القومية والعالمية: د. ابراهيم أنيس، ص١٥٦ وما بعدها، ط. دار المعارف بمصر ١٩٧٠م.

(٢) اللغة العربية. . كائن حى: جرجى زيدان، مراجعة د. مراد كامل، هامش ص٣٨، ٣٩، ط. دار الهلال.

(٣) اللغة العربية وأدبها فى الهند منذ دخول الاسلام إلى نهاية الاحتلال الانجليزى: د. حبيب الله خان، ص٩، رسالة دكتوراة مخطوطة محفوظة بالمكتبة المركزية بجامعة الأزهر تحت رقم ٥٢٥ (بدون تاريخ)، نقلا عن عرب هندكى تعلقات: تأليف السيد سليمان الندوى، ص١٠، ط. الهند سنة ١٩٣٠م.

(٤) اللغة العربية. . كائن حى: جرجى زيدان، مراجعة وتعليق الدكتور مراد كامل، هامش ص٣٩. ولمزيد من التفصيل راجع: أطلس تاريخ الاسلام: د. حسين مؤنس، ص٢٣٤، وما بعدها، ط. أولى ـ الزهراء للاعلام العربى سنة ١٩٨٧م.

(٥) اللغة العربية. . كائن حى: جرجى زيدان، ص٣٧، ٣٨. وقد ردد زيدان نفس الكلام فى كتابه: تاريخ آداب اللغة العربية، الجزء الأول، ص٣٨، ٣٩، ط. دار الهلال، مراجعة وتعليق الدكتور شوقى ضيف، د. ت.

(٦) لمزيد من التفصيل راجع: اللغة العربية. . كائن حى: جرجى زيدان، بتعليق الدكتور مراد كامل، هامش ص٣٩.

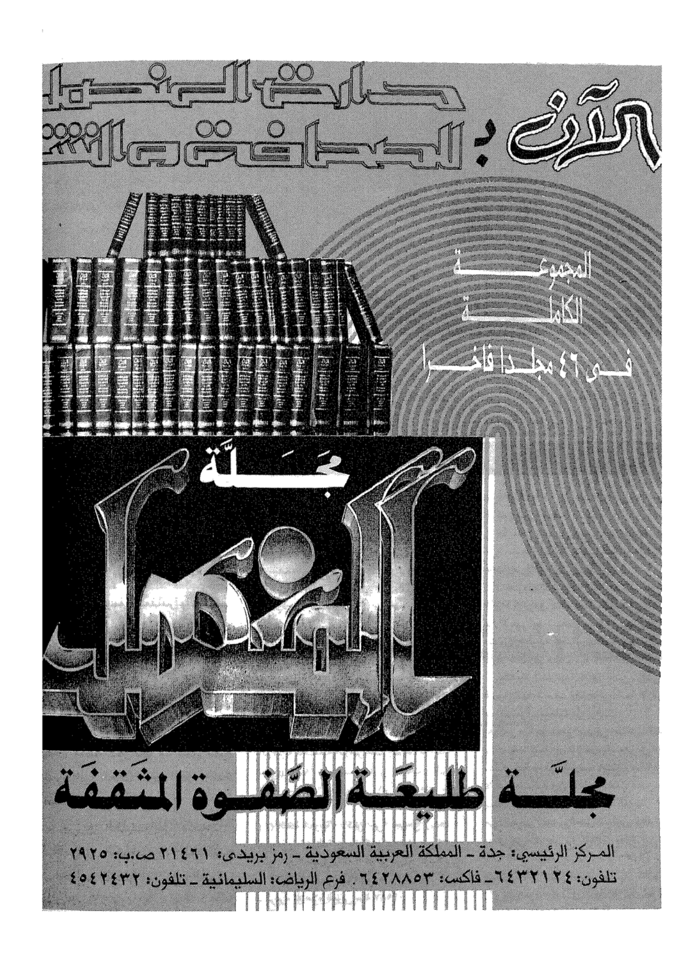
(٧) المعرب والدخيل فى اللغة العربية، مع تحقيق الألفاظ الواردة فى كتاب المعرب للجواليقى: للدكتور عبد الرحيم عبد السبحان ص٥٢ ـ بتصرف ـ رسالة دكتوراة مخطوطة محفوظة بالمكتبة المركزية بجامعة الأزهر تحت رقم ٣٥٨، سنة ١٣٩٧هـ.

هذا وقد استشرت أ. د أمجد حسن ـ رئيس قسم الأردية بكلية اللغات والترجمة ـ جامعة الأزهر، فى هذا الموضوع، فأجاب على بما أثبت.

(٨) لعل هذا هو ما دفع السيوطى وصاحب القاموس الى أن يعدا كلمة «مسك» فارسية، وهى فى الحقيقة سنسكريتية دخلت الفارسية «مشك» ومنها دخلت الآرامية «مشكا» ومن الآرامية دخلت العربية بعد إبدال الشين سينا. راجع: اللغة العربية. . كائن حى: جرجى زيدان، تعليق الدكتور مراد كامل، هامش ص٤٠، ط. دار الهلال. وقارن بـ: تاريخ آداب اللغة العربية: جرجى زيدان ١/٣٩، مراجعة وتعليق الدكتور شوقى ضيف، ط. دار الهلال.

(٩) المعرب والدخيل فى اللغة العربية، مع تحقيق الألفاظ الواردة فى كتاب المعرب للجواليقى: للدكتور عبد الرحيم عبد السبحان، ص٥٢.




المجموعة
الكاملة
فى ٤٦ مجلدا فاخرا
مجلة
مجلة طليعة الصفوة المثقفة
المركز الرئيسي: جدة ـ المملكة العربية السعودية ـ رمز بريدى: ٢١٤٦١ ص.ب: ٢٩٢٥
تلفون: ٦٤٣٢١٢٤ ـ فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ . فرع الرياض: السليمانية ـ تلفون: ٤٥٤٢٤٣٢


الامير فيصل بن فهد

اقتراح: جائزة إبداع للقلم النسائي باسم صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد

كان لجائزة التفوق العلمى التى اقترحها وقام تنفيذها صاحب السمو الملكى الأمير محمد بن فهد حفظه الله لتشمل جميع المراحل الدراسية منذ عدة سنوات.. ثمارها الجيدة، ومنتوجاتها اليانعة.. فقد كانت الجائزة بمثابة «الدينامو» الذى يدفع الماء بكل قوته ليغمر الزرع.. وكانت الارادة القوية التى تدفع بصاحبها الى العمل الجاد، والسعى الدائم، والكفاح المستمر.. لأن أمامه هدفاً معيناً.. وهدفاً نبيلا يسعى الى تحقيقه.. ولم تكن الجائزة ذات فائدة لطلاب وطالبات العلم فقط، بل إنها امتدت إلى أولياء الأمور ومديرات ومديرى المدارس ايضا.. فقد ساعدت هذه الجائزة الكثيرين من اولياء الأمور سواء أكانوا آباء أو أمهات على تعريفهم بأهمية دور الأسرة ومتابعتها لأبنائها من الناحية التعليمية.. أسوة بالناحية التربوية والصحية وغيرها.. وفتحت ايضا أفق الكثير من الآباء على أهمية العلم للابناء الذين هم عماد الأمة ومستقبل الوطن وحماته.

كما أنها شجعت ودفعت الكثيرين من الآباء والأمهات على الموافقة على دخول بناتهن مدارس محو الأمية بعد أن حرمن من متعة التعليم فى صغرهن.. وفتحت أمام مديرى ومديرات المدارس مجال المنافسة الشريفة وزيادة الحرص والاهتمام؛ ومتابعة المعلمة وتشجيع الطالبة على المذاكرة الدائمة لعلها تكون إحدى المتفوقات فتكون فخراً لأهلها وسفيرة عزيزة لمدرستها.. الخ.

هذا بعض ثمار جائزة التفوق التى يطول ذكرها لضيق المجال.

وبعد أن تشرفت بحضور جائزة التفوق العلمي هذا العام بالمنطقة الشرقية، أحسست بالسعادة الغامرة فى كل عيون الطلاب وأولياء أمورهم كما كانت تغمر المعلمين والمعلمات بخاصة، خامرني اقتراح طالما ألح على كثيرا.

ويتلخص هذا الاقتراح فى ايجاد جائزة لإبداع المرأة السعودية.. ولا أقول هذا تحيزا لجانب المرأة ولكنه ضرورة تظهر كوامن الإبداع عند المبدعات، وآمل ان تكون هذه الجائزة باسم صاحب السمو الملكى الأمير فيصل بن فهد الرئيس العام لرعاية الشباب، وتحت إشرافه الشخصي.. وذلك لما لسموه من اهتمام خاص بالشباب، وبالناحية الأدبية والثقافية والفنية.. وهذا اقتراح أقدمه بين يدى سموه وحسبى فى اهتمام سموه ما يحقق الآمال والمقاصد.

«بهية بوسبيت»

ندوة العلماء بالهند مئة عام من العطاء

مضى أكثر من قرن على تأسيس (ندوة العلماء) المسلمين فى مدينة لكنهو بالهند والتى سعى مؤسسوها فى البداية الى نشر اللغة العربية بين أفراد المجتمع الاسلامى فى الهند وجعلها لغة التخاطب والدراسة فى حياتهم اليومية.

وقد برز علماء من المسلمين الهنود فى دراسة الحديث الشريف وتفسير كتاب الله الكريم.

وخلال فترة الاستعمار البريطانى للهند ورغم الضغوط على المسلمين ومحاولات ابعادهم عن اللغة العربية ومدارسهم الاسلامية ومواصلة الدعوة تصدى بعض المسلمين لهذه السياسة الاستعمارية فانشأوا المدارس الاسلامية للحفاظ على العقيدة وتعليم الكتاب والسنة لتوعية المسلمين وإبعادهم عن أضاليل أعداء الدين وأهدافهم الشريرة وكان لهذه المدارس أثر إيجابى لكن لم تنل اللغة العربية العناية المطلوبة مما جعل

كثيرا من المسلمين غير قادرين على دراسة كثير من العلوم الاسلامية.

ومن أجل تصحيح هذه الأوضاع قام بعض من علماء المسلمين الهنود فى عام (١٣١٠هـ) بإقامة «ندوة العلماء» التى ركزت من اول يوم على اللغة العربية وتعليمها كلغة حية باقية ونامية ضدا لما اشاعه عنها اعداء الاسلام حيث إنها اللغة التى أنزل بها القرآن الكريم فهى مفتاح فهم كتاب الله الكريم وسنة نبيه ﴿ﷺ﴾ فاخرجت لحياة الناس العادية كما تمكنت الندوة من ايجاد الوسائل الكفيلة بتعليمها واتقانها.

رسالة وفاء:

سلام من الرحمن نحو جنابهم
فان سلامي لا يليق ببابهم

السيد المحترم رئيس التحرير:

مما لا شك فيه أن تعد مجلتكم من ألمع المجلات العربية، وتعد الى جانب ذلك مناراً زاهياً شامخاً في دنيا المطبوعات التي اتيح لنا الاطلاع عليها، فالنفس رهينة بشكرها، واللسان علق بالثناء عليها، وهي أبهى ملاذ تتناغى به العيون، وأجمل رونق تجول فيه النواظر لتقرأ الحسن من تلك السطور.

ومما لا ريب فيه ان المجلة اوجدت لتكون مجلة كل عربي ولكن ما يحز في النفس أنها لا تصل الى هنا، ولا تباع في ايران، مما نتعرض جميعاً للحرمان بسبب ذلك ونأمل أن لا تنحصر المجلة في داخل البلدان العربية، فالسهم لولا فراق القوس لم يصب.

والشمس لو وقفت في الفلك دائمة
لملها الناس من عجم ومن عرب

ونناشدكم باسم الهيئة الادارية للمجمع العربي التفضل بتزويدنا بالمجلة لتبتهج النفوس بها وتستريح القلوب اليها وننتظر قدومها على ظمأ منا اليها وتطلع شديد نأمل أن يكون بعد عهد قريب.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام.

«د. نعمة التميمي»

نشكر لكم هذا التواصل.. وستصلكم المجلة بصفة دائمة ان شاء الله.

مؤتمر اتحاد الجامعات العربية



فى الفترة من (١٩) الى (٢٢) من الشهر الماضى انعقدت فعاليات مؤتمر اتحاد الجامعات العربية فى دورته الرابعة والعشرين فى جامعة قطر.. وحضر المؤتمر مديرو الجامعات، والمختصون فى الشئون التعليمية والدراسات الجامعية.

وكانت جلسات المؤتمر حافلة بالكثير من الموضوعات ذات الأهمية وفى مقدمتها الدور التنسيقى والتعاوني بين الجامعات العربية فى مجال الدراسات العليا، وتوحيد الجهود لخدمة العلم وطلابه.. وتناول المؤتمر الموضوعات المتعلقة بالمنهج التعليمى، ومستجدات الحياة الحاضرة في مجال التعليم، وغيرها من الموضوعات ذات الأهمية فى هذا الجانب وتزامن مع هذا المؤتمر اقامة معرض الكتاب الذى نظمته جامعة قطر.

أقلام

الشيء بالشيء يذكر

فى مقال للدكتور عبد الله بن محمد أبو داهش بعدد صفر من (المنهل) الغراء - وتحت عنوان **«دور مجلة المنهل فى حركة الأدب التهامى»** تفضل الكاتب الفاضل فى درج مقاله - وهو بصدد الحديث عن شاعر الجنوب الكبير المرحوم محمد بن على السنوسى - بالتنويه بكلمة نقدية لى موجهة فى حينها (فى سنة ١٣٦٦هـ) الى الشاعر الكبير قائلا «ويبدو» أن السنوسى قد تقبل تلك الكلمة النقدية بروح أدبية

واثقة وانشأ بسببها قصيدة قال فى صدرها:

تحفة (الضاد) منطقا جذابا
هاتها من فم الحبيب (رضابا)

وأقول: لقد كان لى هذا الشرف قبل نحو خمسة وأربعين عاما. أما قول الكاتب الفاضل فى تعليقه: (ويبدو أن السنوسى قد قبل تلك اللهجة النقدية.. الخ) فأقول: إنه قبلها بالقطع وعقب بقصيدة تحت عنوان (تحية المنهل) ارسلها الى (المنهل) جاء فيها قوله:

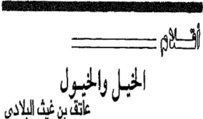
الاستاذ عبد القدوس الانصارى مدير المنهل الأغر: تحية عاطرة وبعد.. فإن من بواعث سرورى بكلمة النقد الأدبية التى جاءت منشورة فى المنهل الممتاز بتوقيع (عدنان أسعد) مصر الزيتون - حول كلمة (أهاج) التى وردت فى بيت من قصيدتى (اغنية البلبل) المنشورة بمنهلكم الكريم.. أجل إن من بواعث سرورى بتلك الكلمة النقدية أن أبعث لحضرتكم القطعة الشعرية التالية بعنوان (تحية المنهل) فهى صدى لتلك الكلمة النقدية المنشورة فى منهلكم الزلال وانا إذ أبدى إعجابى العظيم بصاحب الكلمة أجدنى مبتهجاً جدا بأن يكون (المنهل) مرجعا لغويا ومعهدا أدبيا لتوجيه طلاب الأدب ومحبى العرفان - ولست أعدو الحقيقة إذا قلت إننى لم أف للمنهل ما يستحق عن ثناء - محمد بن على السنوسى.

وقصيدة (تحية المنهل) نشرت فى المجلد (٨) عدد (٦) جمادى الثانية ١٣٦٧هـ وتقع فى تسعة عشر بيتا ختمها الشاعر بقوله:

(روضة) من ثقافة وفنون
رفعت مستوى البلاد شبابا

وأقول: هكذا - قديماً - كانت أخلاقيات المنقود قبل الناقد.. تقبلا واعجاباً وسروراً واعترافاً بالنقد.. رحم الله الشاعر الكبير السنوسى وأجزل له وأثابه.. وصدق من قال: الناس كثير.. ولكن الرجال قليل، والسلام.

(عدنان أسعد)



أخى الفريق المعلمى له بحوث لغوية مفيدة، وأنا شخصياً أتابعها حيث تنشر، ومعرفة الفضل لأهله فضل، وفضل المعلمى فى هذا الباب ظاهر.

غير أنه لفت نظرى بحثه فى مجلة المنهل الغراء، العدد: ٤٨٩ شهر المحرم سنة ١٤١٢هـ، فقد استنكر كلمة خيول كجمع الجمع، ودلل على ذلك بعدم ورودها فى القرآن الكريم، حيث أورد ثلاث آيات، والذى أريد أن أقول:

أولا: ليس القرآن الكريم المصدر الوحيد للغة العربية، إنما هو سنامها وجزلها، ثم بعد ذلك كلام سيد المرسلين، ثم الشعر العربى، ثم ما ثبت عن الفصحاء مثل كبار الصحابة، والأعراب الذين لم يختلطوا بالأعاجم.

ثانيا: كتبت أنا ونوهت فى بعض مؤلفاتي وما نشرت من بحوث أن المعاجم العربية وأجلها لسان العرب لم تستوعب كل اللغة العربية، بدليل تلك الكلمات التى لازلنا نجدها عند البادية الذين - الى عهد قريب - لم يختلطوا بعجمي، بل كانوا ينفرون حتى أن يتلهجوا بلهجة القبائل المجاورة لهم، مما يدل على أن مفرداتهم متوارثة، وانهم يكادون يعضون عليها بالنواجز ومن مثال ذلك: حمطر، التى يمكن أن تكون منشورة فى هذا العدد، وتشلبى، وتشعبط، جحلب.. الخ.

ثالثا: جمع خيول له نظائر مسموعة غير معترض عليها، ومنها:

١ - جيش: لا مفرد له من نوعه، فهو جمع من العسكريين ضباطاً وجنودا وآلات، وكان فى البادية يطلق على عدد من الركاب، فمجموعها (جيش) والجيش يجمع على جيوش من عهد الفتوحات الاسلامية ولابن تيمية - على ما فى ذاكرتى - كتاب اسمه: اجتماع الجيوش.

٢ - خيف: الخيف فى أصل اللغة: سفح الجبل، وأهل الحجاز يتخذون مغارس النخل فى أكناف الجبال، لذا أطلقوا على النخل الكثير اسم (خيف)، ويجمعونه على خيوف، وهذا النص ورد فى غزوة بدر.

٣ - ضيف: يطلق على المفرد والجمع، وذكر الله فى القرآن (ضيف ابراهيم المكرمين) وقول لوط عليه السلام:

(قال إن هؤلاء ضيفى فلا تفضحون) ولا يجهل أحد أن (ضيف) تجمع على ضيوف.

وامثال هذا كثير كغيث وغيوث، وصيد وصيود. كما قال المتنبى:

ولكن الغيوث اذا توالت
على أرض مسافر كره الغمايا

وقول الآخر:

العلم صيد والكتابة قيده
قيد صيودك بالحبال الوثق

وجمع الجمع فى اللغة العربية بابه واسع، ومن ذلك:

١ - فى الناس: رجال ورجالات. ونسوة ونساء، ونسوان.

يقول الهذلى:

رجال ونسوان بأكناف راية
إلى حتن تلك التلاع الدوافع

٢ - فى العجماوات:

غنم واغنام وغنمان، وضائن - جمع - وضأن وضئين. وماعز ومعزى ومعيز. وبقر وباقر وأبقار وبقران. وبعير وأباعر وبعران وأبعرة.

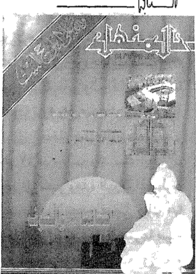
ومثل: كلب وكلاب وكليب. يقول هدبة:

وأنكرت الزمان وكل أهلي
وهرتنى لغيبتك الكليب

وأنت ترى أن معظم هذه الالفاظ التى أوردناها ليست كلها فى القرآن الكريم، بل بعضها ليس فى كتاب ولكنه معروف متداول عند أهل الاختصاص.

وعلى أخى المعلمى أن يعيد النظر فى (خيل وخيول)! ويقول كما نقول!

أقلام


غلاف العدد ٤٨٨

حول موضوع السيدة سكينة

نشرت مجلة المنهل فى العدد ٤٨٨ لشهر ذى الحجة ١٤١١هـ مقالا عن السيدة سكينة وهذا الموضوع مثار جدل ونقاش بين الكتاب فى بعض جوانبه.

وقراء المنهل الاعزاء لا يفوتهم إ بداء رأيهم، وهذه سنة حميدة، والمنهل سعيد بهذا التحاور ما دام فى حدود الموضوعية لا يتجاوزها.. ويسعدنا نشر هذه التعقيبات التى وردت حول هذا الموضوع ابتغاء الوصول للرأى الصحيح فيها.

وكما يقولون (من المناقشة ينبثق النور).. وكما يقولون (اختلاف الرأى لا يفسد للود قضية).. ومرحبا بكل راي ناضج.

(المحرر)

السيد الاستاذ/ رئيس تحرير مجلة المنهل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد:

قرأت فى مجلتكم الغراء (العدد ٤٨٨ ذو الحجة ١٤١١هـ) مقالة تحت عنوان «السيدة سكينة صاحبة أول صالون أدبى فى مصر» ومعه عنوان آخر فى نفس المقالة «كانت السيدة سكينة تجيز الشعراء وقد وقف ببابها جرير والفرزدق وعمر بن أبى ربيعة» بقلم الاستاذ الدكتور بشرى عبد العظيم ابراهيم»..

ولما كان الاستاذ الدكتور قد خلط وألف بين معلومات ووقائع تاريخية متنافرة عن السيدة سكينة فى سبيل إثبات أنها كانت فى مصر وسيدة صالون أدبى، الأول من نوعه فى مصر الاسلامية. ولما كان هذا الذى ذكره الاستاذ الدكتور قول لم يسبقه إليه احد فيما أعلم وهو أيضا خطأ من الناحية التاريخية والأدبية فأردت تصحيح ما جاء فى المقال من معلومات واستنتاجات خاطئة عسى أن يتسع صدر الأستاذ الدكتور ومجلة المنهل لها.

■ والمعروف لكل من يقرأ بعناية ويحقق ويدقق فى النقل

من كتب التراث أن السيدة سكينة لم تقع عيناها على مصر الاسلامية ولم تطأ قدماها ترابها ولا توجد اى وقائع لها أو أحداث أو مساجلات مع الشعراء وغيرهم فى مصر وانما ورد خبر بزواجها من الأصبغ بن عبد العزيز أمير مصر خطبها وأرسلها أخوها الى مصر وكانت كارهة لهذا الزواج ويقال انها دعت عليه الا تلقاه وفى الطريق جاء الخبر بوفاة الاصبغ فقفلت راجعة الى المدينة المنورة ولم تدخل مصر والخبر هذا غير صحيح وان سلمنا بصحته جدلا فهذا هو كل ما جاء عن رحلتها لمصر. كما ان هناك خبراً آخر بدخولها مصر مع عمتها السيدة زينب والتى لم تطأ قدماها مصر أيضا وسنوضح أيضا فى هذا المقال إن شاء الله. والثابت المحقق المؤكد انها عاشت بالمدينة وبها توفيت وفيها دفنت بالبقيع. والمسألة الثانية (الصالون الأدبى) فإن صح التعبير فقد كان فى المدينة وكونه فى مصر فهذا قول لم يقل به أحد من القدماء أو من المحدثين خلا الاستاذ الدكتور. والمعروف أن جرير والفرذق وعمر بن ابى ربيعة وغيرهم كانوا يأتون الى السيدة سكينة فى المدينة المنورة فتسمع منهم وتنقد وتفاضل وتجيز. وكتب التراث حافلة بأخبارهم معها بتوسع وإسهاب ولا يعرف لأحد من الشعراء الذين ذكرهم الكاتب رحلة الى مصر - كما رحل مثلا جميل بثينة إليها وذكره الاخباريون والرواة - وهم أعلام لا يخفى أمرهم على المؤرخين والمشتغلين بالأدب.

فعمر بن أبى ربيعة كان يفد من الحجاز الى الشام ليمدح عبد الملك ابن مروان وغيره من الخلفاء ورفع الى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه انه يتعرض لنساء الحاج ويشبب بهم فنفاه الى دهلك ثم غزا فى البحر فاحترقت السفينة به وبمن معه فمات فيها غرقا رحمه الله.

وجرير بن عطية لم يرحل الى مصر وكان يرحل الى دمشق ومهاجاته وغزله وسيرته تملأ كتب التراث والأدب كذلك الفرزدق مثل صاحبيه كان يأتى دمشق يمدح الخلفاء ويهجو ويفاخر مع غيره من الشعراء.

واكثر من ذلك أن المصعب الزبيرى العلامة بالانساب غزير المعرفة بالتاريخ وكان ثقة فى الحديث وشاعرا وقد ولد بالمدينة عام ١٥٦هـ وصاحب كتاب نسب قريش وكتاب النسب الكبير وكتاب حديث مصعب (جده الذى كان زوجا للسيدة سكينة) لم يذكر لها رحلة الى مصر هى أو السيدة زينب وهو أحدث المؤرخين الكبار عهدا بمعرفة عصر السيدة سكينة. والامام النووى رحمه الله بما عرف عنه من شدة التحرى والتدقيق فى كتاباته وتواريخه يقول فى تهذيب الاسماء والصفات عند ذكر الحسين رضى الله عنه فى آخره (ورويناه فى تاريخ دمشق أن سكينة قدمت دمشق مع أهلها ثم خرجت الى المدينة ويقال عادت الى دمشق وأن قبرها بها والصحيح قول الاكثرين إنها توفيت بالمدينة يوم الخميس لخمس خلون من شهر ربيع الاول سنة سبع عشرة ومائة).

ثم بعد هذا نقف عند الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) والتى اشتهرت كتبها فى العالم العربى والاسلامى عن نساء آل البيت عامة والسيدة سكينة خاصة بكتابها المشهور عنها (سكينة بنت الحسين) الذى تقول فيه (وتضطرب الاخبار عن سكينة فترة فيقال فى رواية انها صحبت عمتها زينب فى خروجها الى مصر حين ادرك يزيد خطر مقامها بالمدينة فأمر واليه أن يفرق بينها وبين الناس حتى لا تكون ثورة واذا صحت هذه الرواية فلعل سكينة قد عادت الى الحجاز بعد وفاة عمتها زينب فى شهر رجب من عام ٦٢هـ) قلت وقد ثبت أيضا ان عمتها زينب لم تسافر قط الى مصر وهذه الرواية المضطربة. كما تقول الدكتورة إن صحت ولا تصح فمعنى ذلك أنها مكثت فى مصر سنة واحدة وهى بعد فى اول عمرها صبية صغيرة فى الخامسة عشرة من عمرها وقد قتل أبوها فى العام السابق وعمرها اربعة عشر عاما أو ثلاثة عشر كما تقول بعض الروايات فكيف يكون لها صالون أدبى فى مصر أو غيرها من ديار الاسلام. ثم تنقل الدكتورة بنت الشاطىء أخبارها مع الشعراء (فى المدينة) ونقدها لشعرهم وأنها كانت تأذن لهم وتجلس حيث تراهم ولا يرونها وأسهبت الدكتورة فى ذلك وتقتطف فقرة صغيرة من كلامها تفى بالمطلوب (وقد انكرت على الفرزدق إفشاء سره وسر صاحبته واثنت على جرير لعفة شعره وإن أنكرت ضعفه واسلوبه فى مخاطبة زائرته وأعجبتها أبيات كثيرة فى وصف صاحبته لما لمحت فيها من دقة التعبير عن عزة الأنثى وطبيعة حواء) ثم بعد ذلك تتحدث الدكتورة عن

اضطراب اخبار الشعرانى الذى اعتمد عليه الاستاذ الكاتب فى بناء مقاله ونقتطف فقرة صغيرة أيضا من كلامها قالت فيها (وذلك أننا نعرف من اضطراب التواريخ فى تراجم اعلامنا ما لا موضع معه للعجب هنا وانما اكتفى بايراد مثل واحد هو أقرب الامثلة لما نحن فيه فالشيخ الشعرانى يقول بوفاة زين العابدين سنة ٩٩هـ عن ٥٨ عاما أى أنه ولد عام ٤١هـ وفى الصفحة نفسها بل فى الفقرة التالية يقول بوفاة الامام محمد الباقر بن زين العابدين عام ١١٧هـ عن ٧٣ عاما أى انه ولد سنة ٤٤هـ ولم يكلف الشيخ الشعرانى خاطره بأن يفسر لنا كيف انجب الامام زين العابدين وهو فى الثالثة من عمره ابنه محمد الباقر ولو قال انها احدى كرامات الامام زين العابدين لتركناها له لكن حتى هذه لم يقلها ومر بالأمر وكأنه ليس فيه ما يلفت أو يدعو الى اهتمام).

قلت وقد اعتذر العلامة نجم الدين الغزى فى كتابه الكواكب السائرة باعيان المائة العاشرة للامام الشعرانى رحمه الله بعد ان انتقده فى عدة مواضع وبين فيه اخطاء وتناقضات مثل التى ذكرتها الدكتورة آنفا بانه انما كان يعنى باخبار وكرامات الاولياء واحوالهم دون العناية بالتواريخ وضبطها.

وبعد فحص وتمحيص وقراءة ناقدة ودراسة متكاملة تأتى الدكتورة بنت الشاطىء الى ختام كتابها «سكينة بنت الحسين» الذى حشدت له عشرات المراجع التراثية المتاحة من عيون كتب التراث فتقول (وأطمئن بعد هذا الى ما اتفق عليه الطبرى وابن خلكان وكتب الشيعة من وفاة السيدة سكينة سنة ١١٧هـ بمدينة جدها الرسول عليه الصلاة والسلام وخالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم عامل على المدينة لهشام بن عبد الملك بن مروان واستقر بها المطاف فى ثرى طيبة مدينة جدها الرسول ﴿ﷺ﴾ تاركة من بعدها كلمة الحق فى كل ما يقال فيها أو يروى عنها أمانة صعبة فى حافظة الزمن الواعية وضمير التاريخ المنصف الامين والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق).

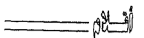
■ وبعد هذا نأتى الى صاحب الأعلام خير الدين الزركلى رحمه الله الذى قضى اكثر من نصف قرن فى كتابه هذا يضيف اليه ويحذف منه ويصحح وينقح حتى توفاه الله قال بعد ان سرد شيئا من سيرتها (وكانت اقامتها ووفاتها بالمدينة وكانت أجمل الناس شعراً تصفف جمتها تصفيفا لم ير أحسن منه والطرة السكينية منسوبة إليها ولعبد الرازق المقدم كتاب (السيدة سكينة) مطبوع ولأمين عبد الحسيب سالم (مناقب السيدة سكينة) مطبوع.

قلت أعرض المؤرخ الكبير الزركلى عن الاخبار الضعيفة والروايات الواهنة وجاء بالمختصر المفيد وقال (وكانت اقامتها ووفاتها بالمدينة) وقد ذكر فى الهامش المراجع التى استقى منها سيرتها وهى وفيات الأعيان وسير أعلام النبلاء ونسب قريش وطبقات ابن سعد والمحبر ومصارع العشاق وخطط مبارك والدر المنثور وفهرس دار الكتب.

ثم بعد هذا نقف عند المؤرخ المصرى العلامة أحمد عطية صاحب القاموس الاسلامى فحين تحدث فى قاموسه عن السيدة زينب بنت علي رضى الله عنهما قال (اختلف النسابة فى تاريخ وفاة السيدة زينب بنت علي كما اختلفوا فى مكانه وفى موضع قبرها ونسبت اضرحة كثيرة فى مصر وغيرها اليها واكثرها من مشاهد الرؤية اى الاضرحة التذكارية ومن هذه المشاهد الضريح الذى يعرف باسم السيدة زينب بالقاهرة والذى اقيم عليه مسجد بهذا الاسم ولا دليل على (الادعاء) بان السيدة زينب قد جاءت الى مصر فى حياتها أو بعد وفاتها) وعليه ايضا فلا دليل لمن بنى على صحبة السيدة سكينة لها فى رحلتها المزعومة الى مصر ثم ياتى صاحب القاموس الاسلامى الى سيرة السيدة سكينة فيقول (عاشت وتوفيت بالمدينة عام ١١٧هـ فى السابعة والسبعين من العمر لها بالقاهرة مسجد وضريح من مشاهد الرؤية بحى الخليفة ومن غير المحتمل أن جثمانها قد نقل الى القاهرة - انشأ هذا المسجد عبد الرحمن كتخدا عام ١١٧٣هـ واجرى الوالى عباس باشا عمارة له)

وبعد فلولا خوف الاطالة وقد أطلت لأوردت الشىء الكثير من عشرات المراجع التراثية التى وقفت عليها ووقفت عليها من نقلت عنهم وبهذا القدر من التوضيح نكتفى والحمد لله رب العالمين.

محمد احمد عباس
جـدة



حول موضوع السيدة سكينة

للدكتور بشرى عبد العظيم

بعد قراءتي للموضوع تبين لى أن هناك أموراً أغفلها الكاتب المحترم فى شخصية السيدة سكينة، ولم يهتم بتحقيقهاوالأمور التى أريد ذكرها هى :

١ ـ تعدد ازواجها.

٢ ـ اجازتها للشعراء جرير والفرزدق وعمر بن أبى ربيعة.

٣ ـ صاحبة أول صالون أدبى فى مصر.

وقبل الدخول فى الحوار مع الكاتب ينبغى بيان مقدمة وهى :

■ لابد لكل كاتب وباحث تاريخى بعد جمعه للمصادر أن يعتمد على المصادر المعتمدة البعيدة عن الوضع والضعف إذ قد يكون المصدر ضعيفاً لضعف صاحبه لاعتماده على الضعفاء والكذابين أو أن المؤلف نفسه كذاب وحينئذ لا يعتمد عليه.

من قرأ تراجم الرجال الذين هم أساس الرواية فى شخصية السيدة سكينة كمصعب الزبيري وابن أخيه الزبير بن بكار والهيثم بن عدي الطائى وصالح بن حسان عرف أنه لا يعتمد عليهم.

فى تهذيب التهذيب لابن حجرج٣/٣١٣ : ولم يعتمد احمد بن علي السليماني بروايات الزبير بن بكار لإكثاره الرواية عن الضعفاء وفي الكامل لابن الأثير ج٧ في حوادث سنة ٢٣٦ كان مصعب بن عبد الله بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام منحرفا عن علي وفي وفيات الأعيان لابن خلكان فى مادة (فاطمة بنت الحسين) ان الزبير بن بكار كان عدواً لآل علي بل لسائر بنى هاشم كان يصنع المفتريات فى رجالهم ونسائهم حتى أرادوا قتله ففر من مكة إلى بغداد أيام المتوكل.

وأول من وضع الأحاديث الشائعة فى بنت الحسين سكينة مصعب الزبيري المتوفى سنة ٢٣٦هـ في كتابه ـ نسب قريش ـ وزود بها مرافقه في بغداد المدائني المتوفى سنة ٢٢٥هـ وزاد عليها الزبير بن بكار وابنه وتلقاها المبرد المتوفى سنة ٢٨٥هـ وعنه اخذها تلميذه الزجاج وغيره من دون تمحيص فأضلوا كثيرا من الكتاب والمؤرخين حتى رووها بلا اسناد موهمين أنها من المسلمات ثم جاء ابو علي القالي تلميذ الزجاج فسجل فى أماليه ما نقله عن أستاذه.

ثم جاء دور صاحب الاغاني واتخذ روايات من ذكرناهم حجة فى نشر الشائع من المنكرات وأفعم كتابه المذكور بتلك الروايات وفيه وفى كتابه من الضعف.

قال القاضي محمود عرنوس في تاريخ القضاء فى الاسلام/١٨٢ : إن كتاب الأغانى اشتمل على كثير من الاخبار الواهية بل الموضوعة. وفى المنتظم ج٧. ٤٠ حوادث سنة ٣٥٦ : لا يوثق بروايته فإنه يصرح فى كتبه بما يوجب عليه الفسق ويهوى شرب الخمر وربما حكى ذلك عن نفسه ومن تأمل كتابه الأغانى رأى كل قبيح ومنكر. وبعد بيان كل ذلك اتضح لنا عدم الاعتماد على مروياتهم.

حوار مع الكاتب :

قال : وتذكر إحدى الروايات أن سكينة قد رافقت عمتها زينب حين أبعدت الى مصر . . الخ وقال أيضا : وفى تحفة الأحباب للسخاوى ان سكينة اول علوية قدمت الى مصر وسبب قدومها أن الأصبغ بن عبد العزيز أمير مصر خطبها من اخيها . . . الخ.

أولا : سؤالي للكاتب المحترم كيف تجمع بين الروايتين المتضاربتين بالنسبة الى سفرها؟.

ثانيا : ان الدكتورة بنت الشاطىء كما حققته فى كتابها

«سكينة بنت الحسين» ان الزواج لم يتم باعتبار تضارب الروايات وكفى بذلك ضعفا.

١ ـ تعدد الازواج:

قال الكاتب المحترم: وكان اول ازواج سكينة رضى الله عنها مصعب بن الزبير . . . الخ.

وأصل هذه الرواية صاحب (نسب قريش) وصاحب الاغانى وهى ضعيفة كما ذكرنا من ضعف الروايتين على أن علماء النسب والتاريخ يشهدون بان زواجها الأول من ابن عمها عبد الله الاكبر بن الامام الحسن قتل يوم الطف نذكر منهم.

النسابة (ابو الحسن) العمرى فى القرن السادس فى كتابه المجدي والشيخ محمد الصبان فى اسعاف الراغبين على هامش نور الأبصار/ ٢١٠.

والرأى القوى أن زواجها الاول والأخير من ابن عمها اما الازواج المدعاة لا يمكن الاعتماد عليهم وقد اقتطف بعض ما قالته الدكتورة بنت الشاطىء فى كتابها المذكور بعد أن أوردت قوائم الازواج:

وتختلط الاسماء اختلاطا عجيباً بل شاذاً حتى ليشطر الاسم الواحد شطرين يؤتى بكل شطر منها على حده، منها زوجان للسيدة سكينة فعبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام، شطر شطرين فكان منه زوجان عبد الله بن عثمان وعمرو بن حكيم بن حزام أو كما ترجم فى دائرة المعارف عمرو بن الحاكم.

وقال ايضا: ففى صفحة واحدة من الاغانى مثلا تقرأ أربع روايات متناقضة متضاربة سردها ابو الفرج متتابعة ثم لا شىء أكثر من هذا السرد.

وقال أيضا: واذا بلغ الشذوذ فيما يروى عن حياتها الزوجية أن تلد لمصعب بنتاً تتزوج من عمها أخي مصعب كما في الترجمة العربية لدائرة المعارف الاسلامية. وأن تزوجها (دائرة المعارف) عبد الله بن عثمان ابن أخى مصعب وعمرو بن الحاكم ابن حزام ولا خبر فى نسب قريش وأنساب العرب عن وجود أخ لمصعب اسمه عثمان او حفيد لحزام اسمه عمرو بن الحاكم.

٢ ـ اجازتها للشعراء جرير والفرزدق وعمر بن أبى ربيعة:

ومن مرويات صاحب الاغاني عن المدائنى وعن عبد الله الزبيرى اجتماع الشعراء فى بيت سكينة للضيافة واختصامهم عندها للمفاضلة . . الخ.

اولا: إن الراوي لها المدائنى وعبد الله الزبيري وصاحب الاغانى وكما قلنا لا يمكن الاعتماد على هذه المرويات لضعفها.

ثانيا: ان المبرد فى الكامل ج٢/ ١٥٠ وابن قتيبة فى عيون الأخبار ج٢/ ١٤٦ ذكرا اجتماع الشعراء عند عبد الملك بن مروان وكذلك ابن كثير فى البداية والنهاية ج٩/ ٢٦٢ ذكر اجتماع الشعراء عند عمرو بن عبد العزيز وهم الفرزدق وجرير وعمر بن ابى ربيعة والأحوص وتفاضلهم ونقده لهم.

ثالثا: إن بيت الضيافة الذى ذكرته الرواية دعوى بلا دليل ولا يناسب شرف السيدة سكينة أن تفتح لها مكان للضيافة ومن أين لها الاموال بل الأمر مستبعد اذ كيف تقبل غيرة بنى هاشم أن تجالس الرجال والشعراء.

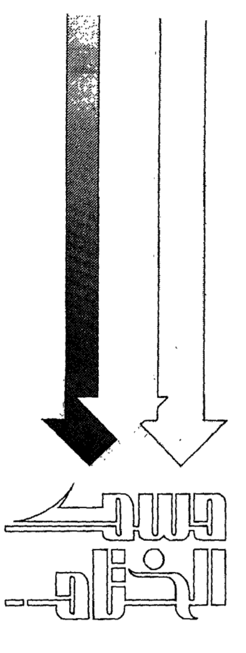
٣ ـ صاحبة أول صالون ادبي فى مصر:

هذه الدعوى بلا دليل بل موضوعة على السيدة سكينة وما نسب اليها من كثرة الشعر كما اخبر صاحب الأغانى فغير صحيح اذ لو كان عندها كل ذلك لقالته فى رثاء والدها بل المعروف أن لها أبياتاً قليلة فى رثاء والدها:

لا تعذليه فهم قاطع طرفه
فعينه بدموع ذرف غدقه
ان الحسين غداة الطف يرشقه
ريب المنون فما أن يخطىء الحدقه . الخ

والكلمة الأخيرة فى حق السيدة سكينة لوالدها الحسين: أما سكينة فغالب عليها التوجه إلى الله تعالى. فنفهم من هذه الكلمة أن كل ما قيل من لقاء الشعراء وبيت الضيافه غير صحيح . . وكل أملي للكاتب المحترم أن يتنبه للحقائق التاريخيه قبل كتابتها حتى يكون قد انصف فى كتابه ولا يعتمد على نقل الروايات فقط من دون تحقيق والعصمة لله.

عبد رب الرسول حبيب
الدمام



العواد وشحاته

في تاريخ الأدب السعودي



بقلم: الدكتور أمين ساعاتي

بدأت أحس بالصدمات الكهربائية للموهبة الأدبية حينما كنت طالبا فى المرحلة الإعدادية بمدرسة الفلاح بجدة، وكانت الموهبة الوليدة تلح علي بأن أقرأ وأن أهضم وأن أكتب.

وبعد مرور فترة وجيزة أخذت مداركى تطالبنى بالاتصال بنجوم الفكر والأدب.

وفى ذلك الوقت كانت أصداء المعارك الأدبية بين العملاقين حمزة شحاتة ومحمد حسن عواد مازال صداها يتردد فى جنبات الأدب السعودى، وكنت أسمع من المتشيعين للعواد ما يعطى له راية التقدم، ومن المتشيعين لشحاته ما يعطى لشحاتة لواء الفوز.

وكان محور الحديث فى الغالب هو المعركة التى اندلعت فى بداية الستينيات الهجرية بين العملاقين الكبيرين.

وسألت يومها عن المراجع كى أعود الى تلك الآثار القيمة، فقالوا سوف تجد ملاحم اللقاء الزاخر فى جريدة صوت الحجاز.

وهرعت الى صوت الحجاز أنقب وأتعقب حتى وضعت يدى على الكثير منها.

نعم قرأت الشيء الكثير وطربت لما قرأت، وذاكرت بالفعل من خلال صوت الحجاز تاريخ الأدب الذى اتسم برومانسية العنف وكلاسيكية العمق.. أى أن الأدب السعودى فى ذلك الوقت كان يشارف منعطفا جديدا نحو التغيير والتطوير.

ولكن قراءة الآثار فى الصحف لم تشف غليلي فسألت عن شخص العواد حتى عثرت عليه وترددت عليه حتى ارتشفت من معين أستاذيته الشيء الكثير.

بيد أن أجمل ما سمعته عن العواد هو ما قاله شحاتة في عواد، وأبهر ما سمعته عن حمزة شحاتة هو ما قاله العواد شحاتة.

ـول شحاتة في العواد: إنني أكره شخصه وأكبر أدبه شعره.. ثم يقول إن العواد أستاذي.. أستاذي.

يقول العواد في شحاتة: لم يستطع شاعر معاصر أن ينزع ن نفسي عبارات الاعجاب.. إلا حمزة شحاتة..

يقول حمزة شحاتة في قصيدته «شجون لا تنتهي»:

عد الدمع في مآقي.. يا حب
وقر اللهيب في أحشائي
عدت من غربتي الى الليل والفجـ
ـر.. لكي يسمعا ترانيم نائي
ـسعت في تيهك المحير.. يا حب
تمرقت في أسى بلوائي
تساءلت: في نعيمك كم أشـ
ـقى.. وكم أرعوى بغير رضاء
م أروض الإباء فيك.. على الصبـ
ـر - وأغضي على جراح ابائي
م ألاقي العذاب منك.. ولا أشـ
ـكو.. وألقاك بالهوى والولاء
م أخوض الاحزان.. راكب تيه
ضل في لا نهاية سوداء
دروب الهوى: تغطيت بالـور
د.. على الشوك.. غارقا في الدماء
ـلة تشمر اللغوب.. وخيـ
ـط من حرير.. يقتادنا للشقاء
شجون لا تنتهي.. وصراع
يسحق الصبر.. دائم الغلواء

ويقول محمد حسن عواد في قصيدته «الساحر العظيم»:

حتما على الأديب احترام الـ
علم جدا في بحثه أو غنائه
أرى الشعر والحقائق ضد
ين فكيف اطراحها في حدائه
ليس حتما أن يحشر العلم في
الشعر.. كما قيل أو يرى بحذائه
شاعرا يحسب الفروع أصولا
ثم يغوى أصحابه بخوائه
وينادي أنصاره بصراع
قد رأوا منه مزدرى أسوائه
لا تلم من يحيد عن ذكر عندي
مثلا في قصيده وأدائه
انما له ان روى أنه من
أمة الانكليز في أهوائه
واذا صد شاعر عن كنوز الـ
بحر ذكرا فخله في التوائه
لكن اصفعه ناقدا صفعة السـ
ـخر اذا قال إنها في عرائه
هكذا الشعر يصحب العقل فلا يكبي
فسحر الفنون في اكبائه

■ لقد علمتني هذه القراءات بأن قراءة الأثر شيء والاتصال بأصحابه شيء آخر.

إن الأديب والباحث كل واحد منهما ينتمي الى الجذر الانساني، وهذا الجذر.. هو الجذر المتقلب الذي قد يعطيك اكثر من الحقيقة.. أو قد ينقص منها فتبدو الحقيقة في النهاية مشوهة. وفي كل الحالات، فان الصورة الفلاشية تختلف عن الأصل.

ولذلك حينما قرأت لشحاتة والعواد ركبتني هالة كبيرة رسمت لهما - في مخيلتي - شخصية الأدب والفكر السعودي بكل أبعاده.

ولكن حينما تعرفت عليهما شخصيا نزعت مني الهالة وعادا كما الأشخاص العاديين، رغم انهما في الواقع قمم تضيىء سماء الأدب السعودي.

نعم لقد فرحت بالهالة وتيقنت بأنني عثرت على كنز مليىء بجواهر الفكر والأدب.. ولقد غضبت لانحسار الهالة لأنني أحسست (مجرد احساس) بأنني كما لو كنت لم أعثر على شيء كنت أتمناه.

وفرق كبير حينما يبحث الانسان عن ضالته ثم يجدها بعد كد وبحث.. وحينما لا يبحث الانسان عن ضالته ولكن يجدها دون اى بحث أو تعقيب.

إننا في زمن مادي نؤمن فيه بالبرج العاجي للأديب. ولكن ليس قوقعة فارغة وانما برج ملىء بالانتاج والابداع والعطاء.

وعلى كل حال ياليته انتاج وإبداع وعطاء في مستوى إنتاج وابداع وعطاء العواد وشحاتة.. أو حتى قريب منها.



يسر إدارة العلاقات العامة بأرامكو السعودية أن تعلن عن إجراء مسابقتها السنوية الثالثة عشرة لرسوم الأطفال، إسهامًا منها في تشجيع القدرات والمواهب الفنية لدى البنين والبنات في المملكة العربية السعودية

ملاحظة هامة: يرجى من المشاركين قراءة نظام وشروط المسابقة بعناية واتباعها بدقة حتى لا يؤدي الإخلال بها إلى استبعاد الرسوم من المسابقة كما حدث، مع الأسف، في بعض الأعوام الماضية.

نظام وشروط المسابقة

أولاً: للطفل كامل الحرية في اختيار موضوع الرسم أو المواد والخامات المستخدمة في تنفيذه.

ثانيًا: يحق لكل طفل لا يزيد عمره على ١٤ عامًا ويقيم حاليًا في المملكة أن يشترك في المسابقة.

ثالثًا: يتقدم المتسابق برسم واحد فقط، على أن يكون الرسم من عمله هو ودون أي تدخل أو مساعدة من الوالدين أو المدرسين أو غيرهم. كما يجب أن يكون الرسم عملاً أصليا غير منسوخ.

رابعا: يجب أن لا يقل حجم الرسم عن ٣٠ سم × ٤٠ سم ولا يزيد على ٦٥ سم × ٨٥ سم.

خامسا: يجب تثبيت بطاقة على ظهر الرسم تحمل المعلومات التالية طباعة أو بخط واضح:

أ - إسم الطفل كاملاً (ثلاثياً على الأقل بحيث يكتب اسم الطفل واسم أبيه ولقب العائلة).
ب - عمر الطفل وتاريخ ميلاده.
حـ - الصف الدراسي.
د - إسم المدرسة كاملاً، والمدينة التي تقع بها، وعنوانها البريدي ورقم هاتفها إن أمكن. (أو عنوان الطفل البريدي كاملاً إن لم يكن مسجلاً في مدرسة).
هـ - موضوع الرسم.

سادسًا: يجب أن يكون الرسم مرتبًا ونظيفًا قدر الإمكان مع عدم كتابة أية معلومات عن الطفل أو الرسم على الرسم نفسه.

سابعًا: يجب تغليف الرسم في مظروف أو مغلف من الورق المقوى للحفاظ عليه من التلف أثناء نقله بالبريد.

ثامنًا: جميع الرسوم التالفة أو المخالفة للشروط المذكورة سابقًا لن تدخل المسابقة.

تاسعًا: تعتبر جميع الرسوم المرسلة للمشاركة في المسابقة ملكًا لأرامكو السعودية. وتبقى هذه الرسوم في حوزة إدارة العلاقات العامة بالشركة التي تحتفظ بحق استخدام أي منها حسب ما تراه مناسبًا.

عاشرًا: آخر موعد لتسلم الرسوم هو يوم السبت المصادف ٢٥ رجب ١٤١٢هـ الموافق ١ فبراير ١٩٩٢م ولن يدخل المسابقة أي رسم يصل بعد هذا التاريخ ما لم يتم التأكد من أن سبب تأخر وصوله هو البريد وذلك عن طريق ختم البريد على المظروف.

حادي عشر: تشكل إدارة العلاقات العامة بأرامكو السعودية لجنة تحكيم من ذوي الخبرة والمعرفة في الفنون لاختيار الفائزين في المسابقة، ويعتبر قرار هذه اللجنة نهائيًا.

ثاني عشر: لا يجوز اشتراك أبناء موظفي إدارة العلاقات العامة بأرامكو السعودية، ولا أبناء أعضاء لجنة التحكيم في المسابقة.

ثالث عشر: بعد فرز النتائج يتم إعلان أسماء الفائزين في الصحف والمجلات السعودية، كما يتم الإبراق لكل فائز بالنتيجة على عنوانه.

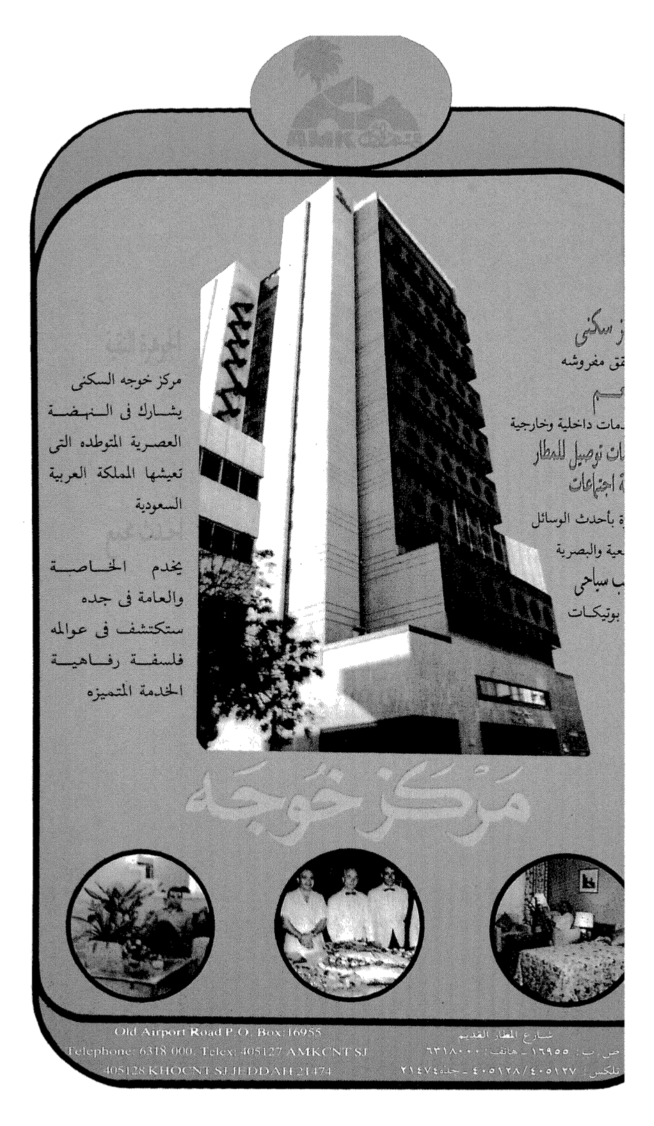
رابع عشر: ترسل جميع الرسوم إلى العنوان التالي:
إدارة العلاقات العامة - الغرفة ٢٢١٦
أرامكو السعودية - مبنى الإدارة الشرقي
الظهران ٣١٣١١
على أن يكتب على الظرف "مسابقة أرامكو السعودية الثالثة عشرة لرسوم الأطفال"

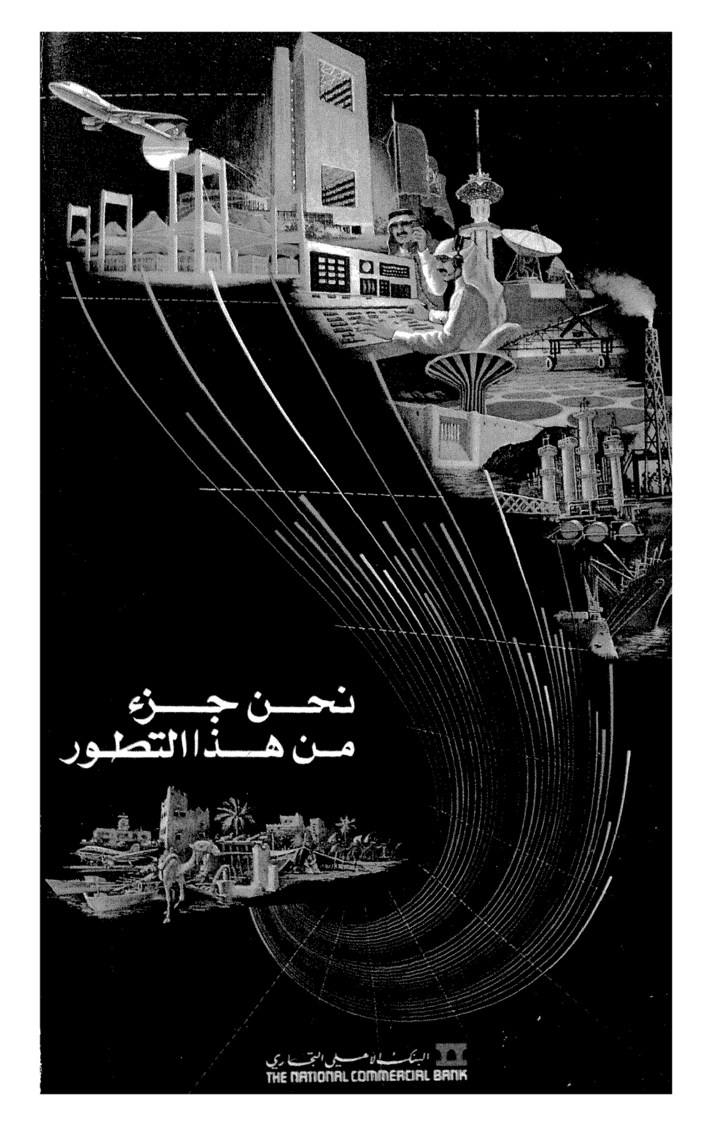
الجوائز

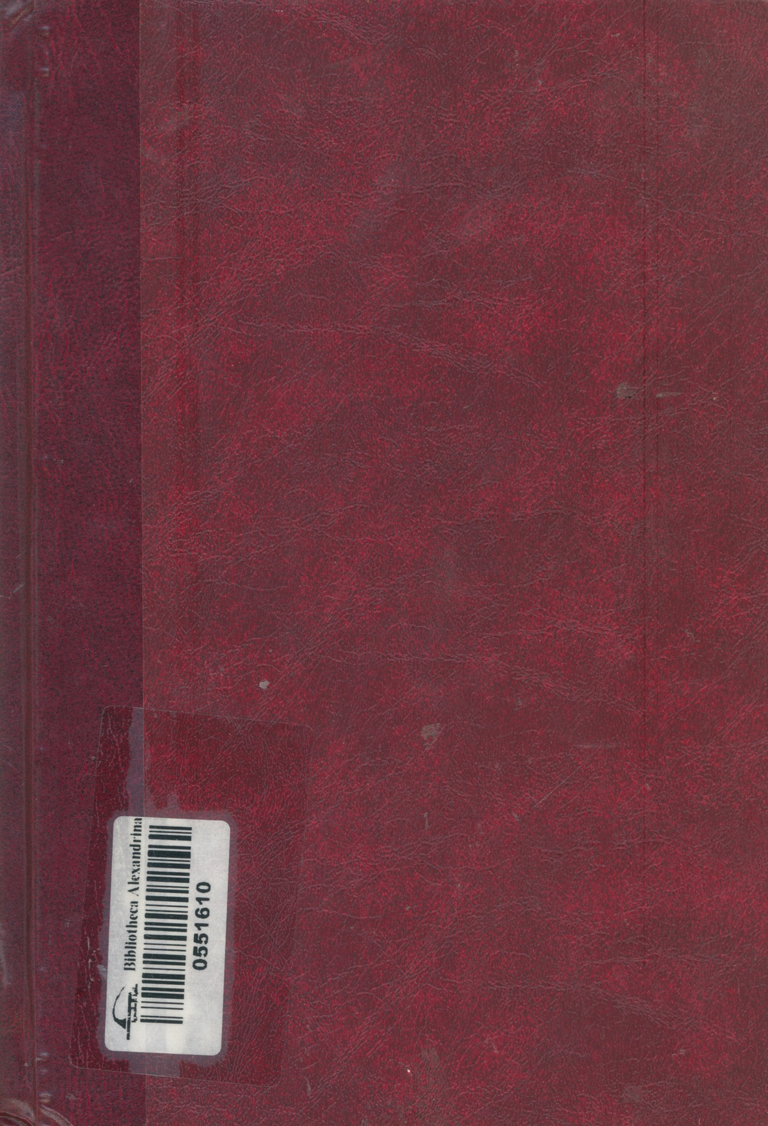
تخصص الشركة للفائزين في هذه المسابقة مائة وخمسين جائزة قسمت إلى الفئات التالية:

- خمسون جائزة للذين تقل أعمارهم عن ٧ سنوات.
- خمسون جائزة للذين تتراوح أعمارهم بين ٧ و ١٠ سنوات.
- خمسون جائزة لمن تتراوح أعمارهم بين ١١ و ١٤ سنة.

يمكن توجيه الاستفسارات عن المسابقة إلى قسم النشر بإدارة العلاقات العامة على الهاتف ٨٧٥٥٩٣٥ أو الهاتف ٨٧٤٦٢١٢ في الظهران مع تمنياتنا للجميع بالتوفيق


مركز خوجه السكنى
يشارك فى النهضة
العصرية المتوطده التى
تعيشها المملكة العربية
السعودية
يخدم الخاصة
والعامة فى جده
ستكتشف فى عوالمه
فلسفة رفاهية
الخدمة المتميزه
سكنى
مفروشه
داخلية وخارجية
توصيل للمطار
اجتماعات
بأحدث الوسائل
والبصرية
سياحى
بوتيكات
مركز خوجه
Old Airport Road P.O. Box 16955
Telephone: 6318 000, Telex: 405127 AMKCNT SJ
405128 KHOCNT SJ JEDDAH 21474
شارع المطار القديم
ص.ب. ١٦٩٥٥ - هاتف: ٦٣١٨٠٠٠
تلكس: ٤٠٥١٢٧/٤٠٥١٢٨ - جدة ٢١٤٧٤


نحن جزء
من هذا التطور
البنك الأهلي التجاري
THE NATIONAL COMMERCIAL BANK


Bibliotheca Alexandrina
0551610